الكتاب المقدّس

العهد القديم

لزماننا الحاضر

كُتب الشّريعة

كُتب التّاريخ

كُتب الأنبياء

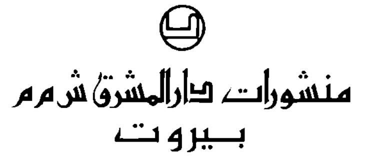
كُتب الحكمة

منشورات دار المشرق
بيروت


الكتاب المقدس



الطبعة الثانية



لا مانع من طبعه

بولس باسيم

النائب الرسولي لِلاّتين

بيروت ١٦ تموز ١٩٩٣

ISBN 2-7214-4844-7

الإخراج : جان قرطباوي

المقدّمة

إنّ الهدف الأوّل من نشر هذا الكتاب الجديد هو أن يكون «العهد القديم» في متناول جميع المؤمنين. فلن تجد فيه، أيّها القارئ الكريم، بعض النصوص التي لا يعرفها عادةً إلاّ أهل الاختصاص والتي قليلاً ما يُستشهد بها، كأكثر صفحات سِفر الأحبار وسفر العدد وغيرها من الصفحات.

ولكنّك تجد فيه كلّ ما اشتهر من النصوص وعلق بالأذهان وتداوله الناس على مرّ الأيّام.

وفيه الكثير من الشروح لكلمة الله التي تساعدك على تغذية روحك وقلبك من معانيها السامية.

بيروت في ٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣

الأب صبحي حموي اليسوعيّ

أسفار الكتاب المقدس

جدول الاسفار كما وردت في الكتاب المقدّس

السفر	الاختصار
سفر التكوين	تك
سفر الخروج	خر
سفر الاحبار	اح
سفر العدد	عد
سفر تثنية الاشتراع	تث
سفر يشوع	يش
سفر القضاة	قض
سفر راعوت	را
سفرا صموئيل	١ صم ٢ صم أو ١ مل ٢ مل
سفرا الملوك	١ مل ٢ مل أو ٣ مل ٤ مل
سفرا الاخبار	١ اخ ٢ اخ
سفر عزرا	عز
سفر نحميا	نح
سفر طوبيا	طو
سفر يهوديت	يه
سفر استير	: اس
سفر أيوب	اي
سفر المزامير	مز
سفر الامثال	مثل
سفر الجامعة	جا
سفر نشيد الاناشيد	نش

السفر	الاختصار
سفر الحكمة	حك
سفر يشوع بن سيراخ	: سي
سفر اشعيا	اش
سفر ارميا	ار
سفر المراثي	مرا
سفر باروك	با
سفر حزقيال	حز
سفر دانيال	دا
سفر هوشع	هو
سفر يوئيل	: يوء
سفر عاموس	عا
سفر عوبديا	عو
سفر يونان	يون
سفر ميخا	مي
سفر نحوم	نحو
سفر حبقوق	حب
سفر صفنيا	صف
سفر حجاي	حج
سفر زكريا	زك
سفر ملاخي	: ملا
سفرا المكابيين	١ مك ٢ مك

السفر	الاختصار
انجيل متى	: متى
انجيل مرقس	مر
انجيل لوقا	لو
انجيل يوحنا	: يو
اعمال الرسل	رسل
رسائل بولس :	
الى اهل رومة	: روم
الى اهل قورنتس	١ قور ٢ قو
الى اهل غلاطية	غل
الى اهل افسس	اف
الى اهل فيلبي	: فل
الى اهل قولسي	قول
الى اهل تسالونيقي	١ تس ٢ تـ
الى طيموتاوس	١ طيم ٢ طـ
الى طيطس	طي
الى فيلمون	: ف
الرسالة الى العبرانيين	: عب
رسالة يعقوب	يع
رسالتا بطرس	١ بط ٢ بـ
رسائل يوحنا	١ يو ٢ يو ٣
رسالة يهوذا	يهو
رؤيا يوحنا	رؤ

جدول الأسفار مرتبة على الابجدية

اح	: سفر الاحبار
١ اخ ٢ اخ	: سفرا الاخبار
ار	: سفر إرميا
اس	: سفر استير
اش	: سفر اشعيا
اف	رسالة بولس الى أهل أفسس
اي	: سفر أيّوب
با	: سفر باروك
١ بط ٢ بط	: رسالتا بطرس
تث	: سفر تثنية الاشتراع
١ تس ٢ تس	رسالتا بولس الى اهل تسالونيقي
تك	سفر التكوين
جا	سفر الجامعة
حب	سفر حبقوق
حج	: سفر حجاي
حز	: سفر حزقيال
حك	سفر الحكمة
خر	: سفر الخروج
دا	: سفر دانيال
را	: سفر راعوت
رسل	اعمال الرسل
روم	رسالة بولس الى اهل رومة
رؤ	: رؤيا يوحنا
زك	سفر زكريا

سي	سفر يشوع بن سيراخ
١ صم ٢ صم او ١ مل ٢ مل	} سفرا صموئيل
صف	سفر صفنيا
طو	سفر طوبيا
طي	رسالة بولس الى طيطس
١ طيم ٢ طيم	: رسالتا بولس الى طيموتاوس
عا	: سفر عاموس
عب	الرسالة الى العبرانيين
عد	: سفر العدد
عز	سفر عزرا
عو	سفر عوبديا
غل	رسالة بولس الى اهل غلاطية
ف	: رسالة بولس الى فيلمون
فل	رسالة بولس الى اهل فيلبي
قض	: سفر القضاة
١ قور ٢ قور	رسالتا بولس الى اهل قورنتس
قول	رسالة بولس الى اهل قولسي
لو	انجيل لوقا
متى	انجيل متى
مثل	سفر الامثال
مر	انجيل مرقس
مرا	سفر المراثي
مز	سفر المزامير

١ مك ٢ مك	:	سفرا المكابيين
١ مل ٢ مل أو ٣ مل ٤ مل	}	سفرا الملوك
ملا	:	سفر ملاخي
مي		سفر ميخا
نح		سفر نحميا
نحو	:	سفر نحوم
نش		سفر نشيد الاناشيد
هو	:	سفر هوشع

يش	:	سفر يشوع بن نون
يع		رسالة يعقوب
يو	:	انجيل يوحنا
١ يو ٢ يو ٣ يو	:	رسائل يوحنا
يوء	:	سفر يوئيل
يون	:	سفر يونان
يه	:	سفر يهوديت
يهو		رسالة يهوذا

فهرس

الصفحة

مدخل إلى الكتاب المقدّس ١٧
مدخل إلى العهد القديم ٣٢
سفر التكوين ٥٣
سفر الخروج ١١٧
سفر الأحبار ١٥٥
سفر العدد ١٦٨
سفر تثنية الاشتراع ١٩٢
سفر يشوع ٢١٤
سفر القضاة ٢٢٨
سفر راعوت ٢٤٣
سفر صموئيل الأوّل ٢٥٣
سفر صموئيل الثاني ٢٨٩
سفر الملوك الأوّل ٣٠٩
سفر الملوك الثاني ٣٣٦
سفرا الأخبار الأول والثاني ٣٦٢
سفر نحميا ٣٦٤
سفر عزرا ٣٧٧
سفر دانيال ٣٩٥
سفر طوبيا ٤٢٥
سفر يهوديت ٤٥٠
سفر أستير ٤٨٣
سفر المكابيّين الأوّل ٥٠٤
سفر المكابيّين الثاني ٥٣٥

سفر عاموس ٥٦٣
سفر هوشع ٥٧٩
سفر أشعيا (١ - ٣٩) ٥٩١
سفر ميخا ٦٢٤
سفر صفنيا ٦٣٢
سفر إرميا ٦٤٠
سفر نَحوم ٧٠٢
سفر حبقّوق ٧٠٧
سفر حزقيال ٧١٣
سفر المراثي ٧٥٩
سفر أشعيا الثاني (٤٠ - ٥٥) ٧٦٥
سفر حجّاي ٧٩٣
سفر زكريّا (١-٨) ٧٩٦
سفر أشعيا الثالث (٥٦ - ٦٦) ٧٩٩
سفر ملاخي ٨١٠
سفر يونان ٨١٥
سفر عوبديا ٨٢١
سفر يوئيل ٨٢٣
سفر زكريّا الثاني (٩ - ١٤) ٨٢٩
سفر باروك ٨٣٥
سفر المزامير ٨٤٥
سفر الأمثال ٩١٦
سفر أيّوب ٩٢٦
سفر نشيد الأناشيد ٩٦١
سفر الجامعة ٩٦٩
سفر يشوع بن سيراخ ٩٨٠
سفر الحكمة ٩٩٩

مصطلحات لغوية وردت في المداخل والحواشي

أخيرية (*eschatology*, eschatologie) : البحث في عواقب الانسان والعالم.
أخيريّ (*eschatological*, eschatologique) : نسبة الى الأخيرية (راجع هذه الكلمة).
إزائيّ (*synoptic*, synoptique) : كلّ من الأناجيل الثلاثة الأولى (متى ومرقس ولوقا) المتشابهة في سياق الأحداث.
ازائية (*synopsis*, synopse) : كتاب يعرض الأناجيل بشكل متواز، فيقابل على قدر الامكان بين الفقرات المتعلّقة بالأحداث نفسها.
أسّينيّون (*Essenes*, Esséniens) : شيعة يهودية لا يذكرها الكتاب المقدّس، بل يوسيفس وفيلون. كانت تقيم في قُمران، على شاطئ البحر الميْت.
آنيّة (*actuality*, actualité) : صفة لما هو آنيّ أو حاليّ. أي متعلّق بالأمور العائدة الى الوقت الحاضر.
أوّن (*actualize*, actualiser) : جعل آنيًّا، أي حاليًّا. مثلاً: أكل الفصح عند اليهود يؤوّن حدث الخروج من مصر.
تأوين (*actualization*, actualisation) : مصدر فعل أوّن (راجع هذه الكلمة).
ترجمة لاتينية شائعة (*vulgate*, vulgate) : هي ترجمة الكتاب المقدس التي وضعها القديس هيرونيمس في اللاتينية والتي اعتمدها المجمع التريدنتيني.
توفيق (*harmonization*, harmonisation) : هو إظهار التوافق القائم بين نصوص تبدو متعارضة.
رؤيويّ (*apocalyptic*, apocalyptique) : نسبة الى الرؤيا. مثلاً: الأدب الرؤيويّ.
عرفان (*gnosis*, gnose) : اختيار فلسفي يدّعي التوفيق بين جميع الأديان وشرحَ معناها الخفيّ عن طريق المعرفة الباطنية للأمور الإلهية التي يمكن الحصول عليها بالتقليد والاطّلاع.
غنوصيّة (*gnosticism*, gnosticisme) : مجموعة تعاليم العرفان (راجع هذه الكلمة) التي ظهرت في حوالى القرن الثاني ب.م.
غنوصيّ (*gnostic*, gnostique) : نسبة الى الغنوصية (راجع هذه الكلمة).
قراءة مختلفة (*variant*, variante): قراءة تختلف عن القراءة الرئيسية أو المعتمدة لنص من النصوص.
مسيحانية (*christology*, christologie) : البحث في شخص المسيح وتعليمه.
مسيحانيّ (*christological*, christologique) : نسبة الى المسيحانيّة (راجع هذه الكلمة).
مشيح (*messiah*, messie) : هو المسيح الذي انبأ العهد القديم بمجيئه لتحرير البشر من عبودية الخطيئة واقامة ملكوت الله على الأرض.
مشيحي (*messianic*, messianique): نسبة الى المشيح (راجع هذه الكلمة).
مشيحية (*messianism*, messanisme) : مذهب قائل بمجيء المشيح (راجع هذه الكلمة).
مَنحول (*apocryphal*, apocryphe) : النص الذي لا تعترف الكنيسة به ولا تقبله في قانون الكتاب المقدّس. مثلاً: الأناجيل المنحولة.

مصطلحات أخرى

( ) ان النص الموضوع بين هلالين غالبًا ما يكون حاشية تفسيرية اضافها الناسخ.
\+ يدلّ المرجع الذي يليه هذا الصليب على ان فيه حاشية أساسية أو مجموعة من المراجع الهامشية المفيدة لاستيعاب معنى النص.
ت يحيل هذا الحرف الآتي بعد مرجع من المراجع الى النص المُشار اليه والى الآيات التي تليه.

المراجع

- **الكتاب المقدّس**، دار المشرق ١٩٨٩.

- Joseph DHEILLY, *Bible pour notre temps,* Editions Mame, Paris, 1970.

- Etienne CHARPENTIER, *Pour une première lecture de la Bible,* Editions du Cerf, Paris, 1974.

ماذا تجد في هذا الكتاب ؟

يمكنك ، أيها القارئ الكريم ، أن تكون على اتّصال شخصي عميق بكلمة الله من دون أن تضطرّ حالاً الى قراءة الكتاب المقدّس بكامله ، لا بل الافضل أن تكتفي اليوم بالاطّلاع على ما يبدو الاهمّ لفائدتك الروحيّة .

ومع ذلك ، فمن المفيد أن تتعرّف إلى كلٍ من الاسفار التي تؤلّف الكتاب المقدّس وأن تكون على علم بالخطوط العريضة التي تمتاز بها مراحل نشأته وتطوّره . وهذا ما حملنا على وضع النصوص الكتابية في إطارها ، فأدرجناها في داخل التصميم الخاص بكل واحد منها .

وقد أضفنا ، لمزيد من التوضيح ، مقدّمات وتمهيدات قصيرة أو طويلة ، وأحلنا ، إلى حواشٍ تجدها في أسفل الصفحات ، شرح بعد الالفاظ والتعابير الاصطلاحية .

وبما أن الكتاب المقدّس يحتوي على رسالة لا تزال اليوم موجّهة إلى كلٍ منّا ، فقد حاولنا أن نستخلصها في خاتمة كلٍ من الاسفار أو من مجموعة أسفار ، وسمّيناها **«قراءة لبني جيلنا»** .

قد تستغرب ألاَّ تجد أسفار العهد القديم في الترتيب التقليدي الذي تعوَّدته في طبعات الكتاب المقدّس . ذلك بأننا فضّلنا ، حيث أمكن الامر ، أن نتّبع الترتيب الزمني ، لانّه يساعدنا على الشعور بتقدّم الوحي الالهي ، وهو أمر على جانب كبير من الاهمية .

الكتاب المقدَّس

تحديده

هو كلمة الله المدوَّنة خطياً. وبما أنها بُلّغت إلى أناس من زمن معيَّن، فلقد اتَّخذت، لتكون مفهومة، شكلاً متأثّراً بذلك الزمن. لكن الله غير محصور في زمان ومكان، فلا بدّ أن يكون في رسالته عنصر لا يزال حالياً. فكلمة الله تعنيني أنا أيضاً، فمن واجبي أن أكتشف، بعون الروح القدس، **كيف** أنا مَعنيّ بها.

مظهره

يظهر لنا الكتاب المقدّس بمظهر نحو ستّين مجموعة مختلفة، وضعها كُتّاب مختلفون في أزمنة مختلفة. لكنّ هذه المؤلّفات جميعها هي كتاب واحد له عنوان واحد: الكتاب المقدّس. فمن أين له هذه الوحدة.

وحدته

يستمدّ الكتاب المقدّس وحدته من شخص المسيح. تُسمَّى الاسفار التي كُتبت قبله «العهد القديم» والاسفار التي حُرّرت بعده «العهد الجديد». ولكن هذه تكلّمنا عليه، في حين أن تلك تمهّد لمجيئه وتعليمه.

والكتاب المقدّس يستمدّ وحدته أيضاً من الله، فقد جعل فيه خاتمه. وهو، من سفر التكوين الى سفر الرؤيا، يعرّف نفسه: هذا هو **الوحي**، اذ ان الله يكشف عن نفسه. وهو، من خَلْق العالم الى نشأة الكنيسة، يُنجز عملاً ويحقّق قصده: هٰذا هو **تاريخ الخلاص**.

الوحي الالهي

نلاحظ، من خلال جميع هذه الاسفار، ان الله يتكلّم. كان موسى أعظم

وسطاء الله على هذا الصعيد. لكن هناك أشخاصاً آخرين: ابراهيم والانبياء والحكماء في العهد القديم، والرسل في العهد الجديد، بغض النظر عن يسوع الذي هو كلمة الله.

الله يتكلّم إذاً، ولكنه يتكلّم شيئاً فشيئاً وتدريجياً. يقول للإنسان ما في امكان الانسان أن يسمعه في ذلك الحين. ليس موسى مسيحياً ولا إرميا. ولقد قال يسوع للرسل، مع أنه علَّمهم مدة سنتَين وأكثر: «لا يزال عندي أشياء كثيرة أقولها لكم، ولكنكم لا تطيقون الآن حملَها».

وما يقوله الله لا يُنسى أبداً. فلقد استشهد يسوع بما أُوحي الى أشعيا أو حزقيال، فضلاً عن أنه جعل الوحي «يخطو» خطوة كبيرة. فصرَّح مثلاً بأن الله ثالوث، وبأن الله يسكن في نفوس الذين يحبّونه، وبأن المحبة هي أعظم وصايا الشريعة الجديدة. وأسَّس أخيراً كنيسة ورثت الجماعة اليهودية، كنيسةً واصل فيها الروح القدس سير الوحي بوجه غير منظور.

وكيف يتكلّم الله؟ لا يهمس في الاذن ولا يُملي إملاءً، لئلاّ يصبح الانسان مجرّد أمين سرّ، بل يتكلّم بواسطة نور ينير العقل، على قدر ما يحتوي عليه، عَبرَ ما يمتاز به الانسان من صيغ فكرية ومن مزاج. فالانسان يحفظ كلّ شخصيته، في حين ان الوحي يضيف اليّ ما كان عنده، ويوجّه تفكيره ويجعل هذا التفكير يصبّ، بوجه بطيء أو فجائي، في معرفة دينية جديدة.

تاريخ الخلاص

يكشف لنا الكتاب المقدّس عن التدبير الإلهي، وهذا التدبير يُحقَّق في تاريخ. وهو أولاً تاريخ شعب صغير، لو لم يكن «الشعب المختار»، لكان قليل الشأن. تنقّل أجداده من بلاد ما بين النهرين إلى أرض كنعان وإلى أرض مصر، ثم تكوَّن شعباً في سيناء واستولى على الارض المقدّسة، أي على فلسطين. وفي الوقت نفسه، أنشأ المؤسَّسات (القضاة والملوك والكهنة)، ومارس سياسة شاقّة بين جارَيه الجبّارَين، مصر وبابل. فبدا، في الساعات الحالكة، أنه سائر إلى الزوال. لكنه ما لبث أن عاد إلى الحياة. وقبلَ أن يُشطب اسمه من لائحة الامم بنحو مئة سنة، أي في أيام السيطرة الرومانية، وُلد يسوع الناصري. لم يَطُل عمله، لا بل كان غير مفيد في الظاهر، فختم يسوع التاريخ حياته معلَّقاً على خشبة. لكن الكنيسة المسيحية سرعان ما ظهرت، منتمية إليه ومواصلةً حتى أيّامنا الرسالة التي عهد بها إليها.

جميع تلك الاحداث يمكن إدراكها على مستوى العلم التاريخي. فغير المؤمن يدركها كما يدركها المسيحي. لكن هناك **نيّة إلهية** تتغلغل في تلك الاحداث، وهي نية لا تُكتشَف إلاّ على مستوى الايمان... فإن هذا التاريخ هو تاريخ ديني.

وهكذا دُعي ابراهيم، الجدّ الاكبر، الى الإيمان بإله واحد. وليس موسى سوى وسيط بين الله واسرائيل. ولم يُكتب للشعب المختار ان يحقّق المطامح السياسية، بل ان يحفظ وينشر الايمان بالاله الحق. وحين ينظر مفكرو اسرائيل الى الماضي فيرون المصائب التي أرهقت الشعب، يصرّحون بأن كل ذلك حدث لان الشعب المختار لم يكن أميناً لله ولدعوته.

فما هو ذلك التدبير الالهي الذي يحقَّق عَبرَ مثل هذا التاريخ؟ ان الله يطلب من الانسان ان يحبّه، لان سعادة الكائن البشري لا تكون إلاّ في هذه المحبة. لكن الله يتّبع طريقة المراحل. فـ «شعب الله» سيبقى قروناً قبل ان يفهم ما هو الله وما ينتظره من اسرائيل. وحين تبلغ هذه التنشئة مبلغاً كافياً، سيرسل ابنه، وسيكون يسوع إنساناً بين أناس آخرين. لكن، ما وراء يسوع التاريخ، ينتصب مسيح الإيمان: بعد ان مات يسوع على الصليب، قام وتراءى لرسله. ومع ذلك، لم ينتهِ هنا التدبير الإلهي. لم يكن الشعب اليهودي إلاّ جزءاً من البشرية، والله يريد أن يكون محبوباً من جميع الناس. ولذلك وسَّع يسوع رسالته على العالم كلّه، وعهد الى الكنيسة بتبليغ هذه الرسالة. وينتهي الكتاب المقدّس بمطلع تاريخ هذه الكنيسة التي تواصل عمل المسيح.

يمكننا، بعد اليوم، ان نفهم التدبير الالهي، وبالتالي رسالة الكتاب المقدّس. أراد الله أن يكون ابنه الآتي الى الارض مِثالَ البشر، لا بل رئيسهم أيضاً. ولكي يمهّد لمجيئه، أقام شعباً مختاراً. ولمّا أنجز المسيح رسالته، أراد أن تكون هناك كنيسة لتساعد البشرية كلّها على الوصول الى الايمان بخالقها وفاديها ومحبته. وهكذا يتمّ خلاص البشرية.

حضور الانسان في الكتاب المقدس

في جميع هذه الاسفار، لا يزال الانسان حاضراً. وقبل كل شيء، فإلى أناس يتكلّم الله. والنبي، رجل الكلمة، هو إنسان شبيه بي. فقد عرف أشعيا شقاء الانسان الذي يشعر بأنه بعيد عن مثاله الاعلى، واختبر هوشع عذاب القلب، واختبر إرميا أهوال العزلة وعدم التفهّم. وحين أقلّب صفحات كتابي المقدس، أجد شعراء

غنائيين وأصحاب مزامير يرفعون الى الله صلاة الشعب كله، وأجد حكماء قد اختبروا المشاكل البشرية الكبرى، أو تمرّدوا أمام محنة لم يفهموا معناها.

الله كلّم أناساً

كان أولئك الناس مكلّفين بتبليغ رسالة الى أناس آخرين، الى معاصريهم: رسالة تنفذ الى قلب الإنسان، لان موضوعها صلته بإلهه وبكيفية توجيه حياته. فهل يقطع الإنسان عهداً مع الله، كما عرض الله عليه؟ هذه هي رسالة موسى. وهل يوفّق الانسان بين نشاطه وايمانه؟ هذه هي رسالة الانبياء. صرّح عاموس بأن الله يريد «قلب» الانسان. وقال ارميا ان الهيكل ليس صَنَماً، وان العبادة الحقيقية هي عبادة باطنية. وأكّدوا جميعاً أن الله لا يقبل أن يكون له شريك، لان محبته للإنسان محبة كاملة. أمّا يسوع، كلمة الآب، فقد أتى ليقول لنا إن العالم، ان لم يمرّ به، لا يستطيع أن يعرف الحق وينال الحياة. وطلب هو أيضاً الى الذين اختارهم - أي الرسل- ان يبلّغوا رسالته الى جميع الناس: «اذهبوا فعلّموا جميع الامم...»

تكلّم الله الى أناس ليعرّف نفسه الى البشرية كلها

وأراد الله أيضاً ألاّ تُمحى كلمته من ذاكرة الناس: فدُوِّن الوحي خَطّياً. والانسان يترك علامته هو أيضاً. لا شكّ ان الله يساعده، وأن «الإلهام» يمكّننا من القول بأن الله هو صاحب الكتاب المقدّس حقاً، لكن الانسان لا يفقد قدرته الاكتشافية والتأويلية. فهناك فرق مثلاً بين الصفحات التي تكلّمنا على موسى والصفحات التي تكلّمنا على إرميا. فهذا يُفضي إلينا بأسراره الخاصّة، وذاك لا نعرف ما عمله إلاّ عن طريق التقليد اليهودي. وهناك أيضاً فرق في شأن القديس بولس بين ما يقوله لنا نفسه في رسائله وما يرويه لنا القديس لوقا في أعمال الرسل.

الله يترك للانسان شخصيته كاملة

وهذه الكلمة، التي في إمكاني أن أقرأها في كتابي المقدّس في أواخر القرن العشرين، لم تمت. فهي حيّة وأبدية، على مثال الله. ولذلك، فإن رسالته تدركني اليوم وتناديني وتدعوني الى الحوار. أحتاج الى معرفة الله لكي أحبّه، أحتاج الى معرفة مشيئته لكي أعمل بها، والى معرفة تدبيره الخلاصي لكي أسهم فيه. ولا شك ان الكتاب المقدّس سيقول لي كل ذلك. وان أردتُ أن أكون واعياً لمشاكلي ومشاكل

العالم الذي يحيط بي ، وان أردتُ أن أجابه مشكلة الشر التي تُحدق بي ، او أن اعلم الى اين يسير المجتمع البشري ، فلا حلَّ لي إلاً في كتابي المقدّس .

معلومات عامّة

إن كنتَ تفتح الكتاب المقدّس للمرة الاولى

الكتاب المقدّس هو أكثر من كتاب، إنه مكتبة!

فالكتاب المقدّس هو مجموعة الكتب التي تُخبرنا عن **العهد** الذي قطعه الله مع شعب اسرائيل القديم بواسطة موسى (العهد القديم) الذي أتمَّه في يسوع (العهد الجديد).

الكُتُب

القسم الاول من الكتاب المقدّس، أي **العهد القديم**، مشترك بين اليهود والمسيحيين، ولكن مع بعض الفوارق. فاليهود، وبعدهم البِروتستانت، لا يعترفون إلاَّ بالكتب (أو الاسفار) الموضوعة بالعبرية، وهي أربعون. وأمَّا سائر المسيحيين، فإنهم يضيفون ستة كتب (أو أسفار) وُضعت باليونانية. يطلق البروتستانت على هذه الكتب صفة «المنحولة»، وأمَّا الباقون فإنهم يلقّبونها بـ«القانونية الثانية»، أي انها دخلت ثانياً في القانون، وهو قاعدة الإيمان.

والقسم الثاني، أي **العهد الجديد**، وهو واحد عند جميع المسيحيين، يضمّ ٢٧ كتاباً (أو سفراً).

فـ«مكتبة» المسيحي - أو الكتاب المقدّس - تحتوي إذاً على ٦٧ أو ٧٣ كتاباً، يُدلّ عليها عادة بالمختصرات. هناك اتّجاه نحو توحيد كتابة المختصرات، ومع ذلك فقد تجد بعض الفوارق الصغيرة بحسب الطبعات.

أنواع الترتيب

اذا أردتَ أن ترتّب كتبك على رفوف مكتبتك، كان لديك عدّة طرق. فإن

قصدتَ الجمال، رتّبتَها بحسب الحجم. وهكذا فقد رُتِّبت رسائل القديس بولس في الكتاب المقدّس بحسب طولها. وان قصدتَ الوجهة العملية، رتّبتَها بحسب المواضيع. وهكذا فقد جُمعت في الكتاب المقدس أقوال الانبياء أو رسائل القديس بولس. وان قصدتَ تطوّر الفكر، كان في إمكانك أن ترتّبها بحسب تاريخ ظهورها. وهذا هو الترتيب الذي سنحاول اتّباعه في هذا الكتاب.

ترتيب **العهد الجديد** هو واحد في جميع طبعات الكتاب المقدّس المسيحية. أَمّا **العهد القديم**، فهناك طريقتان في ترتيبه:

يتضمّن الكتاب المقدّس عند اليهود ثلاثة أقسام: الشريعة أو التوراة - ثم الانبياء وهم مجموعتان: الانبياء الاولون (وهي الكتب التي نسمّيها خطأً «التاريخية») والانبياء الثانون (أشعيا وإرميا وحزقيال ودانيال والاثنا عشر الآخرون) - وأخيراً المؤلّفات أو الكتابات.

معظم طبعات الكتاب المقدس اتّبعت ترتيباً مأخوذاً عن الكتاب المقدس اليوناني، فقسّمت الكتب إلى أربعة أقسام: كتب الشريعة - كتب التاريخ - كتب الحكمة - كتب الانبياء.

اللغات

مجمل كتب **العهد القديم** وُضع بالعبرية وقليل من مقاطعها بالآرامية، ما عدا بعض الكتب باليونانية. وابتداءً من القرن السابع ب. م.، قام بعض العلماء اليهود، وقد أُطلق عليهم اسم «المسّوريين»، بتثبيت معنى النصوص بتشكيل الحروف، وهذا التشكيل عبارة عن نقاط وُضعت فوق الحروف أو تحتها. ولذلك، يسمّى أحياناً النص العبري «النص المسّوري».

تُرجم العهد القديم الى اليونانية ابتداءً من القرن الثالث ق. م. في الاسكندرية.

أَمّا **العهد الجديد**، فقد وُضع كله باليونانية، باللغة «الشائعة» التي كانوا يتكلّمون بها في ذلك الزمان والتي تختلف عن اليونانية الفُصحى.

رجال الاختصاص يعملون ويترجمون انطلاقاً من النصوص الاصلية، أي النصوص العبرية للعهد القديم (بغض النظر عن الاسفار القانونية الثانية) والنصوص اليونانية للعهد الجديد.

من بين الترجمات القديمة، نذكر الترجمة السريانية والترجمة القبطية والترجمة

اللاتينية. وهذه الترجمة اللاتينية، المسمَّاة «الشائعة»، هي من عمل القديس هيرونيمس (أواخر القرن الرابع - أوائل القرن الخامس ب. م.).

الفصول والآيات

للاهتداء بسهولة الى فقرات الكتاب المقدس، خطر في بال اسطفانس لانغتون أن يقسّم كل كتاب الى فصول مرقَّمة، وكان ذلك في السنة ١٢٢٦. وقام صاحب المطبعة روبير استيان، في أثناء رحلة في عربة بين ليون وباريس في السنة ١٥٥١، بترقيم كل جملة تقريباً من هذه الفصول، فنشأ التقسيم الى الآيات.

ان هذا التقطيع الى فصول وآيات لا يطابق دائماً معنى النص. فليس علينا أن نراعيه لنفهم معنى النص. ولكنه أمر عملي، لان جميع دور النشر قد تبنَّته.

ترقيم المزامير

ليس ترقيم المزامير واحداً في الكتاب المقدس العبري وفي الكتاب المقدس اليوناني الذي اتَّبعته الترجمة اللاتينية الشائعة. وجرت العادة في أيامنا أن يُعطى الترقيم العبري وأن يليه الترقيم اليوناني بين قوسين.

كيفية الدلالة على المراجع

يُذكر الكتاب أولاً بالمختصر. يدل الرقم الاول على الفصل، ويدل الرقم الثاني، المنفصل عن الاول بخط مائل، على الآية.

فـ تك ٢/٤ يعني: كتاب التكوين، الفصل الثاني، الآية ٤. والخط الافقي يجمع بين عدّة فصول أو عدّة آيات. فـ تك ٢-٥ يعني: التكوين، الفصول ٢ إلى ٥ (بما فيه ٥). وتك ٢/٤-٨ يعني: التكوين، الفصل ٢، الآيات ٤ الى ٨ (بما فيه٨). حرف العطف «و» يفصل بين مرجعَين مختلفَين في الفصول أو الآيات، وحرف التاء المضاف الى الرقم يعني: والآيات التابعة. فـ تك ٢/٤ ت يعني أنه لا بدّ من مراجعة الآية ٤ والآيات التي تتبعها.

هناك اتجاه نحو تعميم هذه الطريقة، وهي التي استعملناها في هذا الكتاب. ولكن هناك طرقاً أخرى أقل استعمالاً.

قبل أن تفتح الكتاب المقدَّس

ان الكتاب المقدس، لا سيّما العهد القديم، كتاب يبدو غريباً ومحيّراً. لدينا فكرة عنه، وان لم نفتحه قط، لانه جزء من تراث البشرية. ونعلم أيضاً أن هناك عدداً كبيراً من المؤمنين، على اختلافهم، يستشهدون به على أنه كتابهم المقدس. ونسمع في الكنيسة قراءة بعض نصوصه. وكثيراً ما كوَّنَّا عنه فكرة فيها شيء من السحر، لكونه كتاباً «مقدَّساً» نبحث فيه، إن كنَّا مؤمنين، عن كلمة الله، ونعدّه نوعاً من كتاب التعليم المسيحي أو كتاباً في الاخلاق المسيحية.

واذا فتحناه، أخذنا الدهش! فإننا نجد، في العهد القديم، قصصاً من الماضي لا فائدة لها، وروايات من أخلاقية قديمة قد تخطَّاها الزمن، وحروباً واعتداءات، وقصائد غريبة لا تحملنا على الصلاة، وان سمَّيناها «مزامير»، ونصائح من أخلاقية مبغضة للنساء...

كتاب محيِّر... ولكن هل هو كتاب؟

إنه، قبل كل شيء، مكتبة: ٧٣ كتاباً يتدرّج تدوينها على أكثر من ألف سنة. فالكتاب المقدس هو أكثر من مكتبة جامدة. انه عالَم ومغامرة، مغامرة شعب استحوذ عليه الولع بالله.

إليك مثلاً يزيدك وضوحاً.

مساء يوبيلهما الذهبي

عند وصولي الى دارهما، كانا وحدهما، بعد انصراف أولادهما. قضيت الامسية معهما، وكانت رائعة.

كنتُ أعتقد بأني أعرف هذَين الصديقَين القديمَين حق المعرفة: شخصان بسيطان عاشا سوية نصف قرن، في وسط الافراح والاحزان. ولكني اكتشفتهما في تلك الليلة بعينَين جديدتَين، لانهما فتحا لي «كنزهما»: مجرّد علبة كرتون كان فيها كل شيء:

صُوَر ولا شك، من الصورة العائلية التي يرقى عهدها الى يوم العرس، الى الصور الخاطفة لابتسامة طفل أو لمشهد عطلة، وبطاقات بريدية، مبتذلة وتقليدية، بعضها مكسَّر. وكانا يشرحان لي ويعلّقان عليها، وكانت هذه الصور تنقلب الى شهود حزن أو فرح لكل يوم من أيام حياتهما.

وكانت حياتهما أيضاً تنبع من أوراق عائلية: فشجرة العائلة، وهي عبارة عن قائمة رتيبة من الاسماء القديمة، كانت تصبح هنا فخراً بالانتماء الى سلالة والتأصّل في أرض. وهناك عقد ايجار لم يعد وثيقة تقليدية ودقيقة، بل أصبح حلم حياة عمل وادّخار قد تحقّق بالحصول على بيت عائليّ. وهناك رسائل تبودلت مدة الخطبة كانت تجاور صلوات وُضعت لأهم ساعات حياتهما. وكانت عظة حفلة الاكليل تجانب قصيدة خرقاء قدّمها أحد الاحفاد.

وانقضت الامسية كالحلم. كنت أظنّ أني أعرف هذَين الصديقَين القديمَين حق المعرفة، واذا بي أكتشف، معهما وفي وقت واحد، معنى حياتهما. تلك الاوراق وتلك الصور كانت مبتذلة لا قيمة لها. ومع ذلك فقد أصبحت لا تُقَدَّر. لم تعدْ أشياء، بل صارت حياة كاملة مستجمعة ومفسَّرة. وكان كل من هذه الاشياء المتواضعة يتّخذ مكانه في تاريخ ينسج معناه. في لحظة واحدة، اغتنينا بمئات اللحظات التي عاشاها معاً والتي حفظاها في ذاكرتهما لانها جمعتهما.

١. خلاصة حياة

كان كل من الاشياء أو من الوثائق الخطية التي يُريني إيّاها هَذان الزوجان العجوزان يبدو لي، بفضل تفسيرهما، خلاصة لساعة من ساعات حياتهما. وكانت هذه «الساعة» تصبح «نصاً». وما كان يثير اهتمامي، في أولئك الشهود على قصتهما، لم يكن أولاً الشيء في حدّ ذاته، كإنشاء رسائل الخطوبة مثلاً، بل الحياة التي استطعتُ، من خلال أولئك الشهود، أن اتّصل بها.

هذا شأن مؤلّفات الكتاب المقدس كلها، فإنها ستبدو لنا خلاصات حياة وساعات من ساعات تاريخه أصبحت نصوصاً. سنتمكّن من البحث في إنشائها ومفرداتها وتركيبها، لكن ما يهمّنا قبل كل شيء هو الاتصال، من خلالها، بذلك الاختبار الذي تشهد عليه.

٢. حياة مفسَّرة

ليست رواية حدث من الاحداث هو الحدث، بل بالاحرى الحدث كما يفهمه

ويفسّره مَن يرويه . يمكننا أن نقول ، الى حدٍّ ما ، إن الرواية تخلق الحدث بما فيه من جوهر ، أي بمعناه . فهناك أحداث كثيرة لا معنى لها بالنسبة إلينا ، لكنها ، اذا دخلت في قصة حياتنا ، اتّخذت معنى . قد يكتب شاب الى فتاة ليحصل على معلومات مدرسية . هذا أمر مبتذل ، لكنه ان أدّى الى التلاقي والتحاور والحب ، تصبح رسالة «العمل» الاولى هذه ، اذا تحدّثوا عنها ، رسالة «حبّهما» الاولى وأوّل خطوة في مغامرة انتهت بهما الى الزواج . قد يقول لنا صديق شيئاً لا نعيره كبير اهتمامنا ، لانه يبدو لنا غير مهمّ ، ثم يأتي يوم نهتف فيه ، على أثر أحداث أخرى : «آه ! هذا ما أراد أن يقوله لي» .

ذلك بأننا **لا نفهم ذلك إلاّ بعد انقضاء الامر** . جميع شهود حياة تلك العائلة ، وان كانوا متواضعين ، لهم وقع كبير ، لان الزوجَين يكتشفان ، من خلالهم ، سير حبّهما . لا يخفى على أحد أن كتابة سيرة إنسان مشهور ، لا يزال حيًّا ، هي من الامور المحرجة ، في حين أن موت «إنسان عظيم» يثير الكثير من العروض التاريخية لاعماله ، إذ تُنشر صور عن طفولته ويُبحث في حياته المدرسية عمّا كان ينبئ بمصيره وهو ما يُكتشَف الآن .

نحن أيضاً ، طوالَ حياتنا ، نتعلّم من نحن . فباللقاءات والاحداث ، نكتشف مزاجنا وأذواقنا والرسالة التي علينا أن نقوم بها ، سواء أكانت هامة أم لا . والامر الذي يُضفي على حياتنا طابعاً مأسوياً هو أننا لا نعرف مَن نحن إلاّ في ساعة موتنا .

لا بل نقول إن الموت نفسه ليس هو أجل ذلك الادراك . نحن أدرى ، على سبيل المثل ، بمَن كان شارل دي فوكو الذي مات وحيداً في الصحراء ، من خلال مختلف التلاميذ الذين ينتمون إليه في العالم كله . والثورة الفرنسية مثلاً لا تكشف عن معناها إلاّ من خلال مختلف التصريحات عن «حقوق الانسان» التي أثارتها في العالم .

فكل حدث يحمل في ذاته معاني كثيرةٍ لا تنكشف إلاّ تدريجياً . قد يكون لرواية هذا الحدث معنى عند تحريرها ، ولكن ، ان أعيدت قراءتها بالنسبة الى روايات أخرى ، قد تكشف عن معانٍ أخرى أعمق .

سيعرف شعب إسرائيل القديم هذه المغامرة الرائعة ، حين يجدّد ، بعد انقضاء الامر ، قراءة شهود تاريخه الكثيرين : سيزداد اكتشافاً يوماً بعد يوم لهذه الحقيقة ، وهي ان كل شيء كان له معنى وكان متّجهاً الى مكانٍ معيَّن ، أو بالاحرى نحو أحد معروف .

فلا بدَّ لنا من الانتباه ، عند قراءة الكتاب المقدس ، الى هذه المعاني المختلفة : الى

المعنى الاول، وهو الذي قصده النص عند تحريره، والى **المعاني الاعمق** التي اكتشفها شعب إسرائيل حين جدَّد قراءته والتي قد نكتشفها نحن أيضاً بفضل قصة حياتنا الشخصية.

٣. لا تحقيق «تاريخي»، بل شهادة «حقيقية»

ان هذَين الزوجَين، اللذَين «يرويان» نصف قرن من الحياة المشتركة، لا يريدان أن يقصًّا رواية دقيقة للاحداث التي عاشاها («تحقيق مباشر» مطابق للواقع في جميع تفاصيله)، بل أن يعبِّرا لي عن المعنى الذي شعرا به.

يريدان أن يبلّغاني **شهادة** ويزفّا إليَّ بشرى. قد يكون أحد التفاصيل غير مطابق للواقع تماماً، لكني أعلم بأنه **صحيح**، لانه المعنى الذي اكتشفاه فيه. ومن خلال تلك التفاصيل «التاريخية»، أكتشف أنا أيضاً «الحقيقة» غير المنظورة.

«تاريخي» و«حقيقي»: كلمتان نخصِّصهما، مع بعض الكتّاب (ربّما بطريقة لا تخلو من التكلّف)، لاستجلاء الامور. ان صفة «تاريخي» تدل عادةً، في نظرنا، على ما يمكن رؤيته ولَمسه، على ما يمتّ الى العلم. و«الحقيقي» يدل هنا على ما يجري لكائن فيحوّله في حياته الشخصية أو الجماعية. هاتان الكلمتان تتوافقان، ولكن هل هما تتطابقان؟ إليكَ مثلاً: الحب الذي يجمع بين كائنَين هو أمر «حقيقي»، هو جزء من قصة حياتهما. ولكن، هل هو «تاريخي» ومنظور وقابل للقياس؟ أجل، هناك علامات تاريخية لهذا الحب، وآثار منظورة، منها، على سبيل المثَل، كونهما يتعانقان ويعيشان معاً... لكن هذه الآثار التاريخية هي ملتبسة في حدّ ذاتها. فلا بدّ من تفسيرها بالاستناد الى «الحقيقة» غير المنظورة، فقد يُضطرّ الانسان الى معانقة مَن لا يحبّه. ستكون هذه القبلة دليلاً لي على حبّهما، بقدر ما أكون عالماً، من مصدر آخر، بحبّهما المتبادل، لاني اطّلعت عليه من قولهما أو من قول أناس آخرين، أي بقدر ما «أومن» بالحقيقة غير المنظورة. وعند ذلك، اذا رأيتهما يتعانقان، اشتدّ «ايماني» بحبّهما. وهنا نوافق على ما يُسمَّى «الدائرة التأويلية»: آمِن لتفهم، وافهَمْ لتؤمن. الافضل أن نقول: لَولَب، من أن نقول: دائرة، لان الانسان، اذا سار من الواحد الى الآخر بدون انقطاع، تقدّم في معرفة الحقيقة غير المنظورة وفي إدراك معنى الآثار التاريخية.

كلّ منّا اختبر ذلك، حين حاور أصدقاء غير مؤمنين: نلاحظ ان بعض الاقوال في يسوع تبدو لنا واضحة، تنبثق من النصوص، ان قرأها شخص غير متحيّز، في حين

أنها لا تبدو واضحة أبداً في أعين غير المؤمنين، حتى الذين يبحثون عن الإيمان. ذلك بأننا نحن نقرأ تلك النصوص في داخل الإيمان. - فتصبح واضحة لنا و«مُقنعة» - وبأنهم يقرأونها هم في خارج الايمان - فلا تعود تلك النصوص تعني أيّ شيء.

ذلك بأن للنصوص والاحداث تحديدَين. يمكنني، وإن كنت لا أعرف هذَين الشخصَين اللذين يتعانقان، أن أقوم ببحث عام في تلك الحركة، بصفتها تدل عادةً على الحنان. لكني لن أعرف معناها الحقيقي، في حالة معيّنة، ما لم أُدخل في ألفة هذَين الكائنَين.

هذا شأن الكتاب المقدس. فلانه مؤلَّف بشري، يمكنني أن أبحث فيه، سواء أكنتُ مؤمناً أم لا. لا بل أستطيع أن أدرك المعنى الذي قصده الكتّاب. لكني لن أفهمه حق الفهم، ما لم أشاركهم في البحث، ما لم أسِرْ معهم في الايمان الواحد. قال أحد الادباء: «كيف أفهم ما لا أحب؟».

٤. كثافة حياة

في أمسية واحدة، بسط لي هذان العجوزان، على الطاولة، نصف قرن من حياتهما. كل شيء كان مجمَّعاً في علبة الكرتون، لكن كل وثيقة كانت تستمدّ شأناً ومعنًى من أن صديقيَّ كانا يعيدانها الى زمنها. لو كُتِبَتِ اليومَ رسائل الحبّ، لبدت لي مضحكة. لكنها تشهد على زمن خطوبتهما البعيد، فأصبح سِحرها القديم مؤثرًا.

يجمع الكتاب المقدس في مجلّد واحد ألفَي سنة من التاريخ. ومن المهم أن نستطيع أن نعود فنضع كلاً من العناصر التي يتألَّف منها في الزمان والثقافة اللذَين حُرِّر فيهما. فعلينا إذاً أن نحاول تأليف تاريخ أدبي للكتاب المقدس، أي أن نعود فنضع، بقدر الامكان، الادب الكتابي (مختلف الاسفار، لا بل أقسام كل سِفر، عند الاقتضاء) في تاريخ اسرائيل.

كان صديقيَّ العجوزان قد صنَّفا ذكرياتهما الى فئات في داخل «كنزهما»: فهناك فئة الصور وفئة الرسائل وفئة الاوراق العائلية... ولقد حملنا هذا التصنيف على رجوع متواصل الى الوراء، اذ ان سلسلة الصور كانت تجعلنا نجوب قصة حياتهما كلها، تلك القصة التي كنا نعيدها مع الرسائل... ولان نصف القرن هذا كان معروفاً مني في خطوطه العريضة، لم يتعسَّر عليَّ أن اعود فأحدّد ظروف تلك الذكريات.

يضمّ الكتاب المقدس ذكريات على ألفَي سنة من **تاريخ** لا نعرفه إلاَّ قليلاً. فلا بدَّ لنا من رسم خطوطه العريضة. وبإمكاننا أن نستعيده بفضل الوثائق الاثرية وبما ورد عنه في الكتاب المقدس.

لكن الكتاب المقدس، في روايته للاحداث ، يطلعنا على المعنى الذي قرأه الشعب الاسرائيلي فيه. سنحاول اذاً أن نستخلص في الوقت نفسه ذلك المستوى من المعنى لاسرائيل، الذي يمكننا أن نسميه «تاريخه المقدس». بإمكاننا أن نقوم بهذا العمل بصفة المؤرّخ، فنكتفي بهذا القول: هذه هي الوقائع والمعنى الذي قرأه الشعب الاسرائيلي. لكنني مؤمن أيضاً، أي اني أؤمن بأن ذلك المعنى هو المعنى الذي أحاول أن أعيشه أيضاً. فلا أستطيع أن أطمح الى موضوعية محض (وهل هي ممكنة ؟) بعَرْض ذلك التاريخ المقدس: فمن الراجح اني سأدخل فيه، عن وعي أو لا، ذلك المعنى الذي أقرأه فيه. في هذا دعوة الى أن تقوموا بقراءة له مشابهة أو مختلفة.

سيمكننا عندئذ أن نرسم **التاريخ الادبي**، أي أن نحدّد، في هذا السير، وضعَ كل من الاسفار كشهود على شعور ذلك الشعب بأنه يعيش تاريخاً مقدساً.

العهد القديم

تاريخ شعب ناداه الله

يعرض لنا العهد القديم تاريخ شعب اسرائيل من ١٨٠٠ قبل المسيح الى عصرنا . نجد فيه تاريخه - وهو تاريخ مبتذل لشعب صغير بين شعوب أخرى - ، لكننا نجد فيه أيضاً وخاصةً المعنى الذي قرأه فيه .

تاريخ مبتذل

ذكّرنا علم الاجتماع بأهمية «محيطنا الحياتي» : اننا نفكّر ونعيش ونتصرّف على هذا الوجه أو ذاك ، في معظم الاوقات ، لاننا مكيَّفون بجغرافيتنا وبالزمن الذي نعيش فيه وبالعقلية والثقافة المحيطتَين بنا . لسنا صخوراً رضراضة سقطت في صحراء ، بل نباتات مكيَّفة بالتربة التي تستقي منها الحياة .

سيبدو لنا شعب إسرائيل مكيَّفاً هكذا بمحيطه الحياتي ، وهو محيط الشرق الاوسط . يخضع تاريخه لقوانين التاريخ العامة ، وكثيراً ما يوافق تطوّره الديني ما نجده في تاريخ الاديان .

ومع ذلك ، فإن أَمعنَّا النظر ، لاحظنا أنه يمتاز بتطوّر طريف داخلَ تلك القوانين . وبذلك يطرح على المؤرّخ هذا السؤال : في بعض الحالات المعيَّنة ، لماذا لا يتصرَّف هذا الشعب تماماً كما تتصرَّف سائر الشعوب ؟ على المؤرّخ ، قبل أن يأتي بأي تفسير ، أن يطرح هذا السؤال على اسرائيل نفسه : كيف يفسّر ذلك ؟ فيجيب اسرائيل : «أنا شعب فريد ، لان الله يكلّمني ويناديني» .

تاريخ مقدّس

يدّعي اسرائيل أنه استمدَّ وجوده من هذه الكلمة. ان أردنا أن نفهم بأي معنى يُمكن ذلك، كان من المفيد ان نميّز نوعَين من الكلام:

الكلام الذي يفسّر، أو لغة العلم، يفسّر الاشياء ليسيطر عليها. فمنذ أن عرف العلماء، على سبيل المثل، ان الماء مركّب من الهيدروجين والاكسيجين، استطاعوا أن يركّبوا هذا السائل ويحلّلوه. و«القوانين» العلمية هي تفسير للعالم يمكّن الناس من التحكّم به. وهناك قوانين أخرى، كقانون السير، تدوّن، بطريقة اعتباطية أحياناً، ما يمكن عمله أو لا يمكن للعيش في المجتمع.

تُقبل هذه القوانين، فإنها تمكّننا من التأثير في العالم أو من العيش المشترك، لكنّها لا تغيّرنا في العمق.

الكلام الذي يخلق هو كلام العلاقة بين الاشخاص، هو لغة الحب. «يخلق» (بمعنى الكلمة الوجودي) علاقة جديدة بين الكائنات وأحياناً كائناً جديداً. لا معنى لـ«أحبّك» أو «أبغضك» إلاّ بين «أنا» و«أنت»، ويُرغم «أنت» على اتّخاذ موقف، على الخروج من النفس لتلبية الآخَر، على الوجود. وستستطيع هذه المناداة وتلبيتها أن «تخلقا» كائنات جديدة، وأن تحوّلا رجلاً الى زوج أو أب. ولا يقوم هذا «الكلام» حتماً على كلمات، فقد يكون حركة أو ابتسامة أو صمتاً أو حدثاً، كلّ شيء «يتكلّم»، «يعني» شيئاً لمن ينتبه إليه.

وهذا الكلام يغيّرنا باطنيًا، يولي الحياة معنًى جديداً، لكنه لا يغيّرها حتماً في الخارج. فالحب بين كائنَين لا ينتزعهما من محيطهما وعملهما ومن مصاعب الحياة وأفراحها. ومع ذلك، فإنه يغيّرهما، لان كل شيء يتّخذ، من جرّاء هذا الحب، معنًى جديداً.

والكلام في الكتاب المقدس هو من هذا النوع دائماً. وليست «الشريعة» الالهية، في نظر اسرائيل، قانون سير اعتباطيًا، بل هي، قبل كل شيء، كلام ينادي، لا بل هي خلاصة تلك المناداة الالهية التي تدعوه الى الوجود. فبتلك المناداة، بذلك الكلام يفسّر اسرائيل مصيره الفريد. لكن هذا لا ينتشله من وضعه كشعب صغير من شعوب الشرق الاوسط. لِنراقبْ بعض هذه التكييفات.

شعب مكيَّف بوضعه الجغرافي

أُنظرْ الى خريطة الشرق الاوسط. فالابحار والبراري والجبال تحمل الانسان على

الاستقرار في أراضٍ معيَّنة، وهي السهول والوديان. وهناك ثلاثة أماكن رئيسية كانت تصلح لهذا الاستقرار.

وادي النيل: ابتداءً من ٣٠٠٠ قبل المسيح، كانت **مصر** شعباً كبيراً، يحكمه ملوك هم الفراعنة، ويقيمون تارةً في الشمال (ممفيس)، وتارة في الجنوب (طيبة).

أنجاد آسية الصغرى: ازدهر فيها **الحثّيون** طوال ١٥٠٠ سنة، فوسَّعوا نفوذهم الى بلاد ما بين النهرين: تجاورت فيها شعوب كبرى أو تنازعت الحكم: سومر وأكَد في الجنوب، وبابل وأشور في الشمال.

ماذا يجري حين تتجاور شعوب كبرى؟ تتحارب! يقول الكتاب المقدس: «عند عودة الربيع، حين يخرج الملوك الى الحرب...»، كما نقول اليوم: «عند عودة الخريف، حين يذهب الناس الى الصيد»! سيتحارب الحثّيون والمصريون، وسيتحارب المصريون والبابليون أو الاشوريون. لا غرابة، مع الاسف، في كل ذلك.

والسيئة الوحيدة أنه لا يتمّ الحرب إلاً بالتلاقي وان اسرائيل يقيم في الممرّ الذي يفصل بين المتحاربين! فإن كنّا نعرف تاريخ تلك الشعوب الكبرى معرفة جيدة، كان يمكننا، قبل بحث، أن نستعيد تاريخ إسرائيل.

شعب متأثّر بعقلية الشرق الاوسط

خرج ابراهيم، أبو الشعب، من بلاد ما بين النهرين. وأقام في كنعان، يوم كانت الحضارة الاوغاريتية مزدهرة. سيقيم خلف ابراهيم بعض الوقت في مصر، وستستمرّ الصلة بهذا البلد طوال تاريخه. وسيكون اسرائيل غالباً تحت سلطة الاشوريين أو البابليين. وفي النهاية، سيخضع لنفوذ الفُرس، ثم اليونانيين. إليك بعض الملامح التي تتّسم بها بعض هذه العقليات.

الفكر المصري شديد التأثّر بجغرافيته. يعيش المصري في أرض نيّرة، تطلع فيها الشمس كل صباح الى الشرق، مُشعَّةً الحياة وطاردةً القلق الليلي الذي يولّده غيابها. وحين يجفّ كل شيء، يفيض النيل، ولكن في أزمنة محدَّدة، آتياً بالماء والطمي المخصب والحياة.

ولذلك فالمصري متفائل المزاج طبعاً، والآلهة التي يتصوّرها كلّها حنان ورأفة. وهو يعلم أنها تسهر عليه، ويؤمن بأن حياة جديدة وساطعة تنتظره بعد الموت، وان كانت غير شخصيّة.

هناك صلاة يرجَّح أن الفرعون أخنتن هو الذي نظمها (في حوالى ١٣٥٠)، إكراماً لإله الشمس آتون، تضعنا في أجواء تلك العقلية.

أمّا عقلية بلاد ما بين النهرين فتبدو متشائمة في أساسها. يعيش ساكن هذه البلاد في وادٍ لا يمكن فيه توقّع الفيضانات، فتسبّب «طوفانات» بكل معنى الكلمة، عُثر على آثارها في الحفريات. من أنجاد ايران الحالية تتدفّق أحياناً قبائل جائعة، في حين أن عصابات من البدو الشَّرِهين تخرج من الصحراء العربية في كل حين. لذلك نرى أن آلهة بلاد ما بين النهرين متقلّبون، على تصارع دائم، وأن الانسان يبدو ذلك المخلوق الخائف الذي يسعى الى الاحتراس من ردود فعل سورات غضبهم. وما أحزن المملكة التي بعد الموت! فإن ظلال الاموات مجتمعة فيها المصير لا يعرف الفرح.

هناك نصوص كثيرة تتناول خرافات أو أساطير استوحى منها الكتاب المقدس أيضاً. إليك ملخَّصاً عن بعضها:

نعرف ملحمة أطراحسيس (الذكي جداً) من نسخة عُثر عليها في بابل ويرقى عهدها الى السنة ١٦٠٠ ق.م. في هذه القصيدة المؤلفة من ١٦٤٥ سطراً، يظهر لنا الآلهة متعبين من كثرة السخرات التي يقومون بها. فيقرّرون أن يخلقوا الانسان ليقوم بهذا العمل. فيصنعونه من الطين الممزوج بدم إله مذبوح. لكن البشريّة تتكاثر وتُحدث ضجيجاً وتُتعب الآلهة. فيرسلون إليها بلايا مختلفة، وفي آخر الامر الطوفان. لكنَّ الإله آيا أعلم رجلاً بالامر، فبنى هذا الرجل سفينة وأركب فيها عائلته وزوجَين من جميع الحيوانات.

والقصيدة أنوماليش (عندما في العلى...) هي أيضاً قديمة جداً. لا شك أنها وُضعت في شكلها الحالي في حوالى السنة ١١٠٠ ق. م. في أصل كل شيء مصدران ذوان جنس: عبسو (المياه الحلوة) وتيامات (مياه البحر المالحة). منها خرج جميع الآلهة. أرادت تيامات أن تقتلهم لانهم يزعجونها، لكن مردوك انتصر عليها وشطرها كالمحارة وجعل منها قبّة السماء. ثم خلق الانسان مع دم إله متمرّد..

لا شك أن ملحمة جلجامش أشهر تحف بلاد ما بين النهرين القديمة. نشأت في سومر وتطورت، مدة أكثر من ألف سنة، في بلاد أشور وبابل. عُرفت ونُسخت في فلسطين عند الحثّيين. وهي مؤلَّفة، في شكلها الحالي، من اثني عشر نشيداً.

ورد فيها أن جلجامش، وهو من أبطال سومر، أزعج الآلهة بسبب كبريائه. فأقاموا له منافساً يسمّى انكيدو وهو وحش يعيش مع البهائم. وقامت امرأة وجعلت منه انساناً، فأصبح صديقاً لجلجامش، وأخذ الاثنان يقومان بالمآثر. واتفق ذات يوم ان

انكيدو مات. فاكتشف جلجامش فظاعة الموت وشرع يبحث عن الخلود. فأطلعه بطل الطوفان على سرّ شجرة الحياة. ووُفّق جلجامش في الاستيلاء عليها، ولكن حية خطفتها منه، فلم يبقَ له إلاّ أن يموت.

ازدادت معرفة **العقلية الكنعانية**، منذ أن عُثر، ابتداءً من السنة ١٩٢٩، على مكتبة مدينة أوغاريت، رأس شمرا الحالية والواقعة في سورية. توافق ذروة هذه الحضارة السنة ١٥٠٠ ق. م. تقريباً. وهو عصر الآباء.

أكبر الآلهة يُسمّى ايل، وكثيراً ما يظهرونه بشكل ثور (أحد أسماء الله في الكتاب المقدس هو **إيلوهيم**، جمع ايل). وهذه الديانة تعبد قوات الطبيعة المؤلّهة: البعل، إله العاصفة والمطر، ويسمّى أحياناً «راكب الغمام» (كالله في المزمور ٥) وعَنَت شقيقته، وقد سُمّيت فيما بعد عشتر، وهي إلاهة الحرب والحب والخِصب.

سيميل اسرائيل، ولا سيّما مملكة السامرة، الى هذه الديانة الكنعانية والى عباداتها الجنسية المؤدّاة للإلاهة العارية، على المشارف، والى شعائرها المقصود منها خصب الارض والمواشي.

لقد ألقينا نظرة خاطفة على الإطار التاريخي والثقافي الذي جرى فيه تاريخ اسرائيل فيمكننا الآن أن ندخل فيه.

كلمة الله

قد يتعجّب بعض الناس عند قراءة الكتاب المقدس، ذلك بأنهم، بدلاً من ان يجدوا فيه «كلمة الله»، يبدو لهم أن معظمه «كلام بشري». هذا يدل على أنهم يتصوّرون كلمة الله كشيء سحري، كشيء يهبط من السماء، في حين نعرف أن الله يكشف عن نفسه في تاريخ، من خلال أحداث حياة الناس: فعلينا أن نستكشف كلمة الله في هذه الاحداث.

والمسيحي أيضاً يشعر بذلك التعجّب أمام يسوع. انه يرى فيه ابن الله والكلمة. والحال أن معاصري يسوع رأوا فيه إنساناً مثلهم. فالقديس يوحنا لم يكتب: «رأينا الكلمة»، بل «ذاك الذي رأيناه وسمعناه من الكلمة» (١ يو ١/١)، اي اننا، من خلال ما رأيناه (من الحركات البشرية والاقوال المشابهة لاقوالنا)، لَمحنا الكلمة، مستنيرين بالايمان والروح.

ان الله لم يسر على طريقة مختلفة في العهد القديم. كان اليهود يعيشون أحداثاً عادية، لكنَّ المؤمنين منهم وأوّلهم الانبياء كانوا يقرأون فيها كلمة من عند الله، كما

أننا نحسن قراءة كلمة في بعض الحركات ، فنقول : «هذا الحدث بليغ» و«هذه البسمة شديدة التعبير» .

لكننا قد نغلط . . . هل نحن على يقين من ان الأنبياء وسائر المؤمنين لم يغلطوا ؟ هنا تقوم أهميّة الايمان بالروح القدس الذي يُنير المؤمن . قال يسوع : «ان الروح يرشدكم الى الحق كلّه» (يو ١٦/١٣) . فقد يكون انتظار «كلمة من الله تهبط من السماء» مجرد رفض للإيمان بالروح وللعيش في الإيمان : ففي مثل هذه «الكلمة»، يكون الله في متناولنا ، في حين هو يكشف لنا عن نفسه بتواضع وعبر الظواهر البشرية .

قصة حافلة بالخوارق . . .؟

قراءة العهد القديم أمر عسير ، فاللغة والعقلية والأخلاق . . . كل شيء يبدو لنا غريباً . لكني أتساءَل هل الصعوبة ليست فوق ما نظنّه . فإننا ، بعد أن نتغلّب على ذلك الشعور بالغربة ، نصطدم بهذا السؤال : «بماذا يفيدني كل ذلك ؟ تُروى لي قصة عجيبة لا ينقطع فيها الله عن العمل (معجزات ، عبور البحر الاحمر . . .) وعن الكلام (قال الله لإبراهيم ، لموسى . . .) . اذا افترضنا أني أقبل كل ذلك ، لا أرى بماذا يعنيني ، أنا الذي أعيش عيشة مبتذلة . يخيَّل إلينا ان ذلك الإله القدير والكثير الكلام مدة ألفي سنة قد أصبح فجأةً أخرس وغائباً ! فلماذا لم يعد يتدخّل ليخلّص المظلومين ويمنع الحروب والكوارث ؟ لماذا لم يعد يتكلّم ؟ . . .» .

الاعتراض أساسي ، لكنه يدل على أننا نقرأ الكتاب المقدس «بعكس مَيل الشعر» . فإن فائدة من أكبر فوائد الإقبال عليه هي ، على ما يبدو لي ، أن نكتشف أن تاريخ إسرائيل هو تاريخ مبتذل وعاديّ ، وأن حياتنا نحن هي قصة رائعة لا ينقطع الله فيها عن العمل والكلام . كيف ذلك ؟

حين نقارن بين قصة اسرائيل «الرائعة» وقصة حياتنا «المبتذلة» ، نقف على مستوَيين مختلفَين . ان رافقت صديقاً مدة ٤٢ ساعة وكان معي آلة تصوير ومسجّل ، عرفت كل شيء عنه في ذلك اليوم . ولكن ، ان روى هو لي تفاصيل ذلك اليوم ، كانت روايته مختلفة كل الاختلاف . روايتي مطابقة للواقع ، ولا شك ، لكنها خارجية . أمّا روايته فهي داخلية ، تعبّر عن المعنى العميق لما عاشه . وقد يكون ذلك اللقاء المبتذل (اعلم بأنه تحدّث ، مدة ٤٥ ثانية ، الى ذلك الشخص في ذلك الشارع) الحدث الرائع الذي احتلّ في روايته المكان الاكبر .

يحاول المؤرّخون وعلماء الآثار أن يستعيدوا تاريخ اسرائيل في تفاصيله ودقته الخارجية . أمَّا الكتاب المقدس ، فإنه يحدّثنا عن تاريخه الداخلي ، عمَّا اكتشفه اسرائيل عن الله في حياته .

من شأن قراءة الكتاب المقدس أن تحملنا على النظر الى تاريخنا اليومي المبتذل بعينَي اسرائيل . فنكتشف عندئذ ، نحن أيضاً ، قصة رائعة لا ينقطع الله فيها عن العمل وعن الكلام إلينا .

الفنون الادبية

هناك طرق مختلفة لرواية الأشياء نفسها . فلا يروي الإنسان ، على سبيل المثال ، مرض حبيب له بطريقة واحدة لعائلته وللطبيب ولموظّف الضمان الاجتماعي . ويرويه كذلك بطريقة مختلفة حين كان ذلك الصديق بين الحياة والموت أو بعد شفائه .

وهذه الطرق المختلفة في التعبير عن الاشياء (أو «الفنون الادبية») توافق ، على وجه أعمق ، ما لحياة مجموعة من حاجات مختلفة . كل مجموعة موجودة تُنتج بعض النصوص . لنأخذ مثل شركة صغيرة من الصيادين بخيط الصنَّارة . انها تميل الى تأليف كتابات من الطراز الحقوقي (نظام الشركة) وشعارات أو جُمل قصيرة للتعريف بالشركة («رَوِّحْ عن نفسك واذهب الى الصَّيد . . .») وروايات وأحياناً روايات مزخرفة و«ملاحم» بكل معنى الكلمة ، يوصَف فيها صيد شبّوط كأنه حوت . ويقومون في هذه الشركة بحفلات : حفلة مقبّلات في احدى الحانات ومأدبة الجمعية . . .

وهكذا فكل مجتمع يحتاج الى انشاء أدب ، لكي يثبّت وجوده . وكل أمّة لها قوانينها وخُطبها واحتفالاتها ورواياتها للماضي وملاحمها وقصائدها وأغانيها . . .

وبما أن شعب اسرائيل كان موجوداً كشعب ، فقد أنشأ أدباً كاملاً بمختلف فنونه . إليك بعض هذه الفنون :

الروايات : لا بدّ من التذكير بالماضي لإضفاء عقلية مشتركة على الجميع . فالانسان ، اذا استمع الى قصص أجداده ، وعى أنه ينتمي الى العائلة نفسها .

الملحمة : وهنا أيضاً يُروى الماضي ، ولكن المراد بذلك إثارة الحمية والاشادة بالابطال ، وان أدّى ذلك الى زخرفة التفاصيل .

والقوانين تنظّم شؤون الشعب وتساعد على العيش المشترك .

والليترجية والاحتفالات والرّتب (الذبائح مثلاً) تعبّر عن هذا العيش المشترك ،

كما أن مأدبة العيد تلحم أفراد العائلة . وهي ، بصفتها أفعالاً دينية ، تُظهر صلة الانسان بالله .

والقصائد والتراتيل والمزامير هي عبارة عن مشاعر الشعب وايمانه .

وأقوال الانبياء - وهي أقوال رسمية تُلفَظ من قِبَل الله - تلفت الانتباه الى الايمان الصحيح .

وتعليم الانبياء والكهنة قد يتمّ بشكل الارشاد ، ويتمّ أيضاً بشكل روايات وقصص (أمثال) .

والمؤلّفات الحكمية هي تفكير في المسائل الانسانية الكبرى : ما هي الحياة والموت والحب ، لماذا الشرّ والألم . . .

التميز بين الفنون الادبية

لكل طريقة في التعبير حقيقتها ، ولكل فنّ حقيقته . لا نأخذ على كتاب صور سندباد كونه أقلّ دقّة من كتاب تاريخ . . . فلا يحسن أن نقرأ رواية خلق العالم (تك ١) كأنها تعليم علمي (انها قصيدة طقسية) أو رواية عبور البحر الاحمر كتحقيق صحفي مباشر (خر ١٤) (انها ملحمة) .

فلا بدّ لنا ، كلّما كان الامر ممكناً ، أن نتساءل الى أي فنّ أدبي ينتمي النص الذي نقرأه وبالتالي ما هو نوع حقيقته .

الاسطورة

ما هو المقصود بالأسطورة ؟

تظهر لنا الأساطير القديمة بمظهر قصص تُعرض أمامنا آلهة أو إلاهات أو أبطالاً قدماء . قد نرتبك عند القراءة الاولى ، ولكننا لا نلبث أن نستسلم للقراءة ، لشعورنا بأن المواضيع التي تتناولها هي المسائل الكبرى التي نحملها في أنفسنا : من أين أتى العالم؟ لماذا يوجَد الانسان؟ لماذا الالم والموت؟ لماذا يتجاذب الجنسان؟ ما هي صلة الانسان بالإله؟

ولكن ، بدل أن تُعالج هذه المسائل في كتب علمية عويصة ، كما نفعله في أيامنا ، كانت الأساطير تؤدّي هذه الخدمة «بأشرطة مرسومة» .

إليك مثلاً عصريًا ، هو انتخاب ملكة جمال العالم . ففي عصر لم يعد للملكية وجود تقريباً ، ننتخب ملكة تحيط بها وصيفاتها . نقضي حياتنا في أكثر الأحيان في

التفاهة والمتاعب اليومية : وهذه الملكة تُتوَّج وتنال هدايا رائعة . . . كل ذلك يسهم في وضع هذا الانتخاب في عالم آخر ، عالم الأحلام ، عالم غير حقيقي . لكن ذلك يعبّر عن رغبة كل امرأة في أن تكون جميلة وغنية وفي أن توفَّق ، وعن رغبة كل رجل في أن ينظر بإعجاب الى جمال المرأة . ولكنَّ هنا خطراً : فقد يفقد الانسان حريّته أمام هذه الاسطورة ولا يعود هو هو . نرى ، على سبيل المثال ، فتيات يقلّدن تسريحة ملكة جمال العالم أو يحاولن أن يكون لهنّ ما لملكة جمال العالم من قياسات ، مع ان ذلك لا يناسب نوع جمالهنّ . والروايات المصوّرة لبعض المجلاّت ، حيث الضاربة على الآلة الكاتبة تتزوّج من ابن رئيس ومدير مجلس الادارة ، تلعب الدور نفسه ، فإنها تحمل الضاربة على الآلة الكاتبة على الأحلام ولربما تمكّنها أن تعيش ، ولكن في الأحلام ، وقد يبلغ بها ذلك الى إهمال عملها والى صرف وقتها في استمالة ابن رب العمل .

وان أردنا أن نبسّط الأمور الى أبعد حد ، نستطيع أن نقول : الغاية من الأسطورة أن نتناول مسألة كبرى من التي نحملها في أنفسنا وأن نرسل صورتها ، في شكل قصة ، الى عالم غير حقيقي ، في زمن يسبق الزمن ، زمن الآلهة ، حيث لم يكن للإنسان من وجود . هذه القصة عن الآلهة هي قصتنا ، ولكن بعد نقلها من وضع إلى وضع جديد ، فتصبح نموذجاً يجب على الإنسان أن يقلّده .

يتساءل الإنسان ، على سبيل المثال ، ما يعني التجاذب بين الجنسَين ؟ أو كيف يحصل على الخِصب . فيتصوّر عالماً ، خارجاً عن الزمن ، كان الآلهة والإلاهات يحبّون فيه بعضهم بعضاً ويتزاوجون ويلدون . وان كانوا خَصِبين ، تكون أرضنا ومواشينا خصبة أيضاً ، بما أن هؤلاء الآلهة ليسوا سوى نقل خيالي لوجودنا ، فلا بدّ من إكراههم على الإخصاب . فالرتب تهدف الى إكراههم على التزاوج . والاقتران بالبغايا المقدسة في بابل أو في المشارف الكنعانية لم تكن نوعاً من القصوف ، بل كان رتبة دينية تبعث على خصب الارض .

فكل هذه القصص الأسطورية هي في غاية الجدّيّة ، انها تفكير البشرية الأولى . فلا عجب أن يكون الكتاب المقدس قد تبنّى هذا المنهج للتعبير عن تفكيره الخاص ، ولكنه قد حوّله تحويلاً عميقاً . يمكننا أن نقول بسرعة إنه اتّخذ رواية مصوَّرة وجعل منها رواية نفسانية .

لنأخذ رواية نفسانية تعرض لنا حياة زوجَين مع أفراحهما ومتاعبهما . . . يبدو لأول وهلة أنها تشبه الرواية المصوَّرة الى حدّ ما ، ولكنها نقيضها في الواقع . فهي لا تحملنا على الهرب الى عالم الأحلام ، بل تعيدنا بالعكس الى حياتنا اليومية ، لأنها

مؤلّفة من ألف ملاحظة استقاها الكاتب من أزواج مختلفين . وهي تحملنا على التفكير في حياتنا وعلى تسلّم زمامها .

فالكتاب المقدس ، باستلهامه من هذه الأساطير الكبرى ، ولا سيّما في روايات خلق العالم ، يعيد التفكير فيها وفقاً لايمانه بإله واحد يتدخّل في تاريخنا ويريد أن يكون الانسان حرًّا .

فكر لاهوتي في صُوَر

تستعمل الرؤى جهاز صُوَر لا بدّ من فكّ رموزها . إليك أهمّها :

الالوان

الابيض = النصر والطهارة .
الاحمر = القتل والعنف ودم الشهداء .
الاسود = الموت والكفر .

الرموز

سبعة = الرقم الكامل والكمال
ستّة (سبعة ناقص واحد) = عدم الكمال .
ثلاثة ونصف (نصف سبعة) = عدم الكمال والعذاب وزمن المحنة والاضطهاد . إنتبه ، فقد تظهر $3\frac{1}{2}$ بأشكال مختلفة ، ولكنّ قيمتها الرمزية لا تتغيّر . فـ$3\frac{1}{2}$ او زمن وزمنان ونصف زمن (أي $1+2+\frac{1}{2}$) او ثلاث سنين ونصف لا يختلف معناها عن ثلاثة ايام ونصف او ٤٢ شهراً او ١٢٦٠ يوماً !
اثنا عشر = اسرائيل (بسبب الاسباط الاثني عشر)
أربعة = العالم (الجهات الاربع)
ألف = كمية لا تُحصى .

صُوَر أخرى

القَرن = القدرة
الشعر الابيض = الابدية (لا الشيخوخة : فـ«الشيخ» في دا ٧ ليس متقدّماً في السنّ ، بل شاب للابد) .
الثوب السابغ = كثيراً ما يدل عى المرتبة الكهنوتية
زنّار الذهب = سلطة الملك

التيوس = الاشرار
الخراف = الشعب .

الترجمة السبعينية

يُطلق اسم «السبعينية» على الترجمة اليونانية الاولى للعهد القديم .

مصدر هذا الاسم أسطورة وردت في «رسالة أرِستي» هو مؤلَّف يوناني يرقى عهده الى أواخر القرن الثاني ق . م .: يُقال ان ٧٢ عالماً يهودياً عملوا منفردين مدة ٧٢ يوماً فوضعوا ترجمة واحدة في جميع تفاصيلها ! المراد من ذلك أن تلك الترجمة كانت عجائبية وتمّت بالهام من الله .

أما الواقع فإن هذه الترجمة تمَّت بين السنة ٢٥٠ والسنة ١٥٠، عن يد مترجمين مختلفين .

كانت جماعة الاسكندرية تتكلّم اليونانية ولم تعد تفهم العبرية . وكما أن النص العبري كان يُترجم في فلسطين الى الآرامية ، فكذلك ترجم هذا النص في مصر الى اليونانية . ومن الارجح ان لهذه الترجمة أصلاً ليترجياً وكثيراً ما هي تكييف أكثر مِمّا هي ترجمة . أنّها قراءة جديدة للكتب المقدسة لجعلها حالية . هناك مثل مشهور : أعلن أشعيا : «إن المرأة الفتيّة تحبل وتلد عِمَّانوئيل» (اش ٧/ ١٤) ، فترجمت السبعينية : «تحبل العذراء» ، وهذا ما حمل المسيحيين على تطبيق هذا النص على مريم (متى ١/ ٢٣) .

هذه الترجمة على جانب كبير من الاهمية .

إنها أوّلاً ساعدت على أقلمة الإيمان اليهودي للفكر اليوناني فكوّنت لغة للتعبير عنه . ذلك بأنها استخدمت اللغة اليونانية المشتركة ، ولكنها صبغتها بعدد كبير من التراكيب المأخوذة عن العبرية . وقد أكثر العهد الجديد من استعمال هذه اللغة .

أصبحت «كتاب المسيحيين المقدس» ، فهم تبنَّوا لائحة كتبها وكثيراً ما تبنّوا طريقة تفسيرها للكتب المقدسة . فكانت حلقة حاسمة مهَّدت الى التعبير الذي شاع في المسيحية .

الاسفار القانونية الثانية والاسفار المنحولة

الفرق ضئيل بين الكتاب المقدس الكاثوليكي والكتاب المقدس البروتستانتي فيما يتعلّق بالعهد القديم . ففي الكتاب المقدس الكاثوليكي ٧ أو ٨ أسفار يسمّيها الكاثوليك قانونية ثانية ، ويسمّيها البروتستانت منحولة .

تعني كلمة قانون «قاعدة» ، فالكتاب يكون قانونياً إن اعتُرف به كقاعدة إيمان. وقانون الكتب المقدسة هو مجموعة الكتب المعترَف بها كقاعدة إيمان.

انّ المسيحيين قد اتّبعوا اليهود فيما يتعلّق بالعهد القديم. ولكنّ هناك قانونَين مختلفَين قد وُضِعا. ففي خوالى السنة ٩٠ ب. م.، لم يعترف ربانيّو فلسطين إلاّ بالكتب المكتوبة بالعبرية، بينما كان يهود الاسكندرية يعترفون بكتب أخرى وُضعت او كانت معروفة باليونانية.

والمسيحيون الذين كانوا يطالعون الكتاب المقدس باليونانية تبنَّوا قانون يهود الاسكندرية، لكنّ القديس هيرونيمس، الذي ترجم الكتاب المقدس الى اللاتينية في أوائل القرن الخامس، كان يميل الى القانون العبري.

وفي أثناء الإصلاح الذي تمّ في القرن السادس عشر، كان البروتستانت أشدّ ميلاً الى اتّباع القديس هيرونيمس. فكانوا يطبعون الكتب المتنازع عليها في ذيل الكتاب المقدس (وقد اختفت منه في القرن التاسع عشر) ويُسمّونها «منحولة».

وفي المجمع التريدنتيني، اعترف الكاثوليك بأن هذه الكتب مُلهَمة كسائر الكتب، ولكنهم سمّوها «قانونية ثانية» (أي أنها أُدخلت في القانون في مرتبة ثانية).

هذه الكتب هي أسفار يهوديت وطوبيا والمكابيين والحكمة وابن سيراخ وباروك ورسالة ارميا والمقاطع اليونانية في سفر استير وسفر دانيال.

العهد القديم ضروري لفهم العهد الجديد

من المفيد دائماً أن يستهلّ الانسان قراءة كتاب من الكتب بإلقاء نظرة الى الفهرس. وان كان هذا الفهرس مُتقناً، نستخلص فوراً من مطالعته فكرة إجمالية عن المواضيع التي يتناولها الكتاب. يبقى من الواضح أن كل عنوان من عناوين الفصول يكون الاشدّ ايحاء بعد قراءة الفصل المناسب.

العهد الجديد فهرس العهد القديم

هذا شأن الكتاب المقدس. في العهد الجديد ألفاظ كثيرة غير مشروحة لانها من ألفاظ ثقافة المعاصرين. حين تُذكر أمامنا كلمات كفيروز أو الكرسي الرسولي أو شمّ النسيم فإنّها توحي الينا بغير اسم عَلَم مؤنّث وبغير كرسيّ (يوصف بأنه رسوليّ !) أو بتنشّق الهواء، لان هذه الكلمات جزء من ثقافتنا ولانها تعبّر عن إطار اجتماعي وعن تاريخ طويل.

وكذلك فالكثير من الكلمات التي استعملها يسوع أو تلاميذه كان جزءاً من

الثقافة الدينية في ذلك الزمان وهو يوحي بغير ما يبدو أنه يوحي به . والحال أن جوهر هذه الثقافة كان قائماً قبل كل شيء على الكتاب المقدس (العهد القديم) . فهناك ألقاب تُطلق على يسوع (مشيح أو مسيح وابن داود وابن الله وابن الانسان والعبد المتألّم والنبيّ . . .) وعبارات كثيرة كالكرمة والزواج وصهيون والماء والنسمة . . . تبدو أنها «عناوين فصول» مليئة بمضمون اختمر طويلاً في تاريخ اسرائيل .

لكن الكلام على «فهرس» له طابع ماديّ ، والحال ان الكلام يدور بالاحرى على عالم من الرموز .

عالم الرموز

هناك لغتان : لغة العلم التي تأتي بمعلومات ، ولغة العلاقة التي تستخدم الرموز . لِنعدْ ونحدّد ، بواسطة مثل مبسَّط ، وضع هاتين الطريقتين في التعبير .

ان قلتُ لطفل : «هذا الرجل شجاع» ، استخدمت لغة العلم والاعلام . فلكلمة «شجاع» معنى دقيق محدّد في المعجم ، وأنا أنسبه الى هذا الرجل . هذه الكلمة تلخّص ما هو معروف عنه ، لكنها لا تُغني معرفتي له . وان قلتُ : «هذا الرجل أسد» ، استخدم لغة رمزية . فلا يتصوّر الطفل ان هذا الرجل حيوان وان له أنياباً . . . (لغة الإعلام) ، لكنه ينسب اليه كل ما توحي به إليه صورة الاسد . . . شرط أن يكون قد رأى أسداً غير أسده النسيجي ! اننا نلمس هنا لَمس اليد ما هو فضل اللغة الرمزية وما هي حدودها . إنها تغني معرفة الامر الذي تُطبَّق عليه ، ولكن لا معنى لها إلاّ بالنسبة الى أشخاص لهم اختبار واحد . ان كان الطفل لا يعرف ما هو الاسد ، فعليَّ أولاً ان أذهب به الى حديقة الحيوانات والى السينما . ومتى صار عنده اختبار كافٍ عمّا هو الاسد ، عندئذ أستطيع ان أستعمل الكلمة استعمالاً رمزياً .

العهد القديم ، عالم من الرموز

لنستخلصْ مِمّا قلناه نتيجتين عمليتين لقراءة الكتاب المقدس .

عندما نقرأ كلمة من العهد القديم او العهد الجديد ، لا بدّ ان نتساءل هل نحن أمامٍ إعلام أم أمام رمز . فإن كنّا امام رمز ، فلا بدّ ان نتساءل عمّا كان يوحي اذ ذاك . وإلاّ لتعرّضنا لاعظم التفاسير الخاطئة . إليك مثلاً : لعبارة «ابن الله» معنى دقيق وقويّ جداً في نظر المسيحي المعاصر ، في حين ان عبارة «ابن الانسان» توحي في نظره بالضعف . والحال اننا نعرف ان عبارة «ابن الله» كانت تعادل ، في نظر اسرائيل ، «ابن داود» . فكانت اذاً لقباً هاماً ، ولكنه أرضيّ . أما عبارة «ابن الانسان» فكانت توحي في

بعض الاحوال بتلك الشخصية السماوية الوارد ذكرها في سِفر دانيال ، والتي سيولّيها الله الدينونة في نهاية الازمنة ، أي شيئاً إلهياً محضاً . فكان هذا اللقب الاخير اقوى بكثير من لقب «ابن الله» !

نتيجة أخرى : عندما نقرأ العهد القديم ، يجب علينا أن نقاوم ، قدرَ ما أمكن من الوقت ، ميلنا الى رؤية يسوع فيه ! إليك شرحاً معزَّزاً بمثل : هَب اننا ندرس الفصل السابع من سفر دانيال . فإن قلنا ، ونحن نقرأ كلمة «ابن الانسان» : «هذا يسوع» ، نكون قد اكتفينا بأن وضعنا على المسيح رقعة خالية من المعنى أو حاملة معنى غير المعنى الصحيح (كرقعة «أسد» بالنسبة الى الطفل الذي لا يعرف إلاّ أسده النسيجي) . فلا بدّ لنا ان ننسى أولاً يسوع ونبحث في سفر دانيال عن معنى عبارة «ابن الانسان» . ومتى شعرنا بأننا أمام صورة جماعية وأنها تمثّل مجموعة المؤمنين الذين أُدخلوا الى مجد الله لانهم فضّلوه على حياتهم الخ ، استطعنا أن ننسبها الى يسوع ، وعندئذ تغتني معرفتنا للمسيح اغتناءً وافراً . فلا غنى عن العهد القديم لفهم العهد الجديد .



يحتوي هذا القسم من الكتاب المقدس على ٤٥ مجموعة تُقسم الى أربع سلاسل كبرى :

أسفار الشريعة أو التوراة

أسفار التاريخ

أسفار الانبياء

أسفار الحكمة

عند اليهود والبروتستانت حساب يختلف قليلاً ، لانهم لا يقبلون الاسفار القانونية الثانية (الاسفار التي اعترفت الكنيسة في وقت لاحق بأنها ملهَمة) .

أسفارُ الشَّريعَة
أو
التّورَاة

مدخل إلى أسفار الشريعة

تبحث كتب الشريعة في الحقبة الزمنية الفاصلة بين القرن الثامن عشر والقرن الثاني عشر ق. م. والروايات تختص بسيرة الآباء ونشاط موسى.

وهي تُقسم الى خمسة أسفار:

التكوين

الخروج

الاحبار

العدد

تثنية الاشتراع

وتسمّى هذه المجموعات الخمس «الاسفار الخمسة».

والتاريخ الذي يُروى في هذه الاسفار - ولا سيّما في سِفرَي التكوين والخروج، هو **تاريخ ديني**، يهدف الى استخلاصِ تعليم (الله يخلّص شعبه) ولا يُعدّ تاريخاً وثائقياً إلّا بالمرتبة الثانية. فهو يظهر بالاحرى بمظهر رواية شعبية، تتّسم أحياناً بالطابع الملحمي.

من الناحية الادبية، يسلَّم عادةً بأن، في أصل هذه الاسفار، أربع وثائق دمجها احد المحرّرين في حوالى القرن الرابع ق. م.، وهي: اليهوي (القرن العاشر والتاسع) والايلوهي (القرن الثامن) والاشتراعي الثاني (القرن السابع) والكهنوتي (القرن الخامس).

إن الفن السائد في الصفحات التالية هو الفن التشريعي، ولذلك يسمّونها أسفار الشريعة. والمجموعات المحتوية على الوصايا والاحكام والعادات تكشف عن حيوية شعب اسرائيل على مرّ الاجيال، وعن تأثير موسى الدائم.

سِفرُ التّكوين

في التكوين قسمان يختلفان كل الاختلاف الواحد عن الآخر

١ . مدخل عام الى تاريخ الخلاص .

٢. سيرة الآباء .

١. مدخل عام الى تاريخ الخلاص (تك ١-١١).

هو تفكير في الوضع البشري. برّر هذا التفكير، في نظر اليهودي، دعوة ابراهيم. وهو يشكّل، في نظر المسيحي، مدخلاً الى فداء المسيح.

يتمّ هذا التفكير على ثلاث مراحل:

تعليم في الله، خالق العالم والانسان.

تأمّل في وضع الانسان الوجودي.

الخطيئة ونتائجها.

آ) تعليم في الله، خالق العالم والانسان

جُلي أحد الكهنة اليهود الى بابل (أواخر القرن السادس)، وكان يمارس التعليم، فروى على طريقته عمل الله الخلاّق. كان يجهل، ولا شك، كيف تمَّ خلق العالم، فجزَّأه ضِمنَ أسبوع طقسي: فالله عمل ستة أيام واستراح في السابع.

فلسنا إذاً أمام تاريخ علمي، بل أمام تعليم لاهوتي طقسي في نشأة العالم. يتّخذ هذا التعليم إطار علم الكون عند الساميّين القدماء، أو يستخدم بعض التقاليد الدينية البابلية القديمة، فيبيّن ان الله الواحد هو الذي صنع العالم المادّي والانسان، وأن إله اسرائيل المخلّص هو بالتالي الإله الخالق أيضاً.

وفي هذه الرواية المزدوجة، المتّسمة بالطابع الحِكَمي[1]، يُبرز الكاتب بعض الافكار الاساسية:

- خضوع الإنسان لله

(١) يُستعمل الفنّ الحِكميّ في التعليم.

- اشتراكه في قدرة الله الخالقة
- طبيعة المرأة، نظيرة الرجل وشريكته على صعيد الخلق.

ستلاحِظ:

أن عمل الله الخالق مجرَّد من كل تشبيه[٢]: فالذي يعمل هو كلمته. ورد في إنجيل يوحنا: «به (بالكلمة) كان كل شيء» (يو ١/٣). وكتب القديس بولس: «كل شيء خُلق به وله» (قول ١/١٦).

أن ظهور الكائنات المتعاقب في هذه الرواية لا يوافق ما يقوله لنا العلم في هذا الميدان. فالتدخّلات الإلهية المتكرّرة في أثناء «الايام الستة» يجب ألاَّ نعدَّها علميّة.

أن الانسان يظهر، في هذه الصفحة، لا بمظهر كائن خرج حديثاً من الحيوانية، كما يصوِّر علم المتحجّرات الناس الاولين، بل بمظهر كائن يشبهنا كل الشبه، أي بمظهر انسان تمَّ اكتماله في وجود سابق استغرق ألوف السنين. فالمقصود هو الانسان بوجه عام (تك ١/١-٢ و٤).

١. خلق العالم

١ [١]في البَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَواتِ والأَرض

[٢]وكانَتِ الأَرضُ خاوِيةً خالِية، وعلى وَجهِ الغَمْرِ ظَلام

ورُوحُ اللهِ يُرِفُّ على وَجهِ المِياه[٣].

[٣]وقالَ الله: «لِيَكُنْ نور»، فكانَ نور.

[٤]ورأَى اللهُ أَنَّ النورَ حَسَن.

وفصَلَ اللهُ بَينَ النُّورِ والظَّلام

[٥]وسمَّى اللهُ النُّورَ نهاراً، والظَّلامُ سمَّاه لَيلاً.

(٢) طريقة بشريّة في الكلام على الله.

(٣) المياه والارض تكوّن المادة الاصلية: كان صعباً على الاقدمين أن يتصوّروا العَدَم.

وكانَ مَساءٌ وكانَ صَباح : يَومٌ أَوَّل[٤] .
[٦]وقالَ الله : «لِيَكُنْ جَلَدٌ في وَسَطِ المِياه
ولَيَكُنْ فاصِلاً بينَ مِياهٍ ومِياه» .
فكانَ كذلك .
[٧]وصَنَعَ اللهُ الجَلَد[٥]
وفَصَلَ بَينَ المِياهِ الَّتي تَحتَ الجَلَد والمِياهِ الَّتي فَوقَ الجَلَد
[٨]وسَمَّى اللهُ الجَلَدَ سَماء .
وكانَ مَساءٌ وكانَ صَباح : يَومٌ ثانٍ .
[٩]وقالَ الله : «لِتَتَجَمَّعِ المِياهُ الَّتي تَحتَ السَّماءِ في مَكانٍ واحِد
ولْيَظْهَرِ اليَبَس» .
فكانَ كذلك .
[١٠]وسَمَّى اللهُ اليَبَسَ أَرضاً وتَجَمُّعُ المِياهِ سَمَّاه بِحاراً .
ورأَى اللهُ أَنَّ ذلك حَسَن .
[١١]وقالَ الله : «لِتُنْبِتِ الأَرضُ نَباتاً : عُشْباً يُخرِجُ بِزْراً
وشَجَراً مُثمِراً يُخرِجُ ثَمَراً بِحَسَبِ صِنفِه ، بِزرُه فيه على الأَرض» .
فكانَ كذلك .
[١٢]فأَخرَجَتِ الأَرضُ نَباتاً : عُشْباً يُخرِجُ بِزْراً بِحَسَبِ صِنفِه
وشَجَراً يُخرِجُ ثَمَراً بِزرُه فيه بِحَسَبِ صِنفِه .

(٤) كان الظلام ، في نظر الاقدمين ، حقيقة ايجابية ، كالنور .
(٥) كانوا يعتقدون بأن الجلد قبّة ثابتة كان فوقها خزّانات مطر وثلج وبَرَد ، وبأن الارض كفطيرة رُقاق تقوم على الماء . ومن هنا اسم المياه الفوقانية والمياه التحتانية .

ورأى اللهُ أَنَّ ذلِكَ حَسَن.

[١٣] وكانَ مَساءٌ وكانَ صَباح: يَومٌ ثالِث[(٦)].

[١٤] وقالَ الله: «لِتَكُنْ نَيِّراتٌ في جَلَدِ السَّماء لِتَفصِلَ بَينَ النَّهارِ واللَّيل
وتَكونَ عَلاماتٍ لِلمَواسِمِ والايَّامِ والسِّنين

[١٥] وتَكونَ نَيِّراتٍ في جَلَدِ السَّماء لِتُضيءَ على الأَرض».
فكانَ كذلك.

[١٦] فَصَنَعَ اللهُ النَّيِّرَينِ العَظيمَين:
النَّيِّرَ الأَكبَرَ لِحُكمِ النَّهار والنَّيِّرَ الأَصغَرَ لِحُكْمِ اللَّيل
والكَواكِبَ

[١٧] وجَعَلَها اللهُ في جَلَدِ السَّماءِ لِتُضيءَ على الأَرض

[١٨] لِتَحكُمَ على النَّهارِ واللَّيل وتَفصِلَ بَينَ النُّورِ والظَّلام.
ورأَى اللهُ أَنَّ ذلك حَسَن.

[١٩] وكانَ مَساءٌ وكانَ صَباح: يَومٌ رابِع.

[٢٠] وقالَ الله: «لِتَعِجَّ المِياهُ عَجًّا مِن ذَواتِ أَنفُسٍ حَيَّة
ولْتَكُنْ طُيورٌ تَطيرُ فَوقَ الأَرضِ على وَجهِ جَلَدِ السَّماء».

[٢١] فخَلَقَ اللهُ الحيتانَ العِظام
وكُلَّ مُتَحَرِّكٍ مِن كُلِّ ذي نَفْسٍ حَيَّةٍ
عَجَّت بِه المِياهُ بِحَسَبِ أَصْنافِه
وكُلَّ طائِرٍ ذي جَناحٍ بِحَسَبِ أَصْنافِه.

(٦) بعد التنظيم التزيين.

ورأى اللهُ أَنَّ ذلك حَسَن .

[٢٢]وبارَكَها اللهُ قائلاً : «اِنْمي واَكْثُري واَمْلإِي المياهَ في البِحار وَلْتَكْثُرِ الطُّيورُ على الأَرض» .

[٢٣]وكانَ مَساءٌ وكانَ صَباح : يَومٌ خامِس .

[٢٤]وقالَ الله : «لِتُخرِجِ الأَرضُ ذَواتِ أَنفُسٍ حَيَّةٍ بِحَسَبِ أَصْنافِها : بَهائِمَ وحيواناتٍ دابَّةً ووُحوشَ أَرضٍ بِحَسَبِ أَصْنافِها» .

فكانَ كذلك .

[٢٥]فصَنَعَ اللهُ وُحوشَ الأَرضِ بِحَسَبِ أَصْنافِها

والبَهائِمَ بِحَسَبِ أَصْنافِها

وجَميعَ الحَيَواناتِ الَّتي تَدِبُّ على الأَرضِ بِحَسَبِ أَصْنافِها .

ورأى اللهُ أَنَّ ذلك حَسَن .

[٢٦]وقالَ الله : «لِنَصنَعِ الإِنسانَ على صُورَتِنا كَمِثالِنا

وَلْيَتَسَلَّطْ على أَسْمَاكِ البَحرِ وطُيورِ السَّماء

والبَهائِمِ وجَميعِ وحُوشِ الأَرض

وجميعِ الحَيَواناتِ الَّتي تَدِبُّ على الأَرض» .

[٢٧]فَخَلَقَ اللهُ الإِنسانَ على صُورَتِه

على صُورَةِ اللهِ خَلَقَه ، ذَكَراً وأُنْثى خَلَقَهم .

[٢٨]وبارَكَهمُ اللهُ وقالَ لَهم[(٧)] :

«اِنْموا واَكْثُروا واَمْلأُوا الأَرضَ وأَخضِعوها

(٧) للمرأة والرجل عمل واحد في العالم المخلوق . قارِن بين هذا النصّ والفصل التالي .

وَتَسَلَّطوا على أَسْماكِ البَحرِ وطُيورِ السَّماءِ
وَكُلِّ حَيَوانٍ يَدِبُّ على الأَرض» .
[٢٩] وقالَ الله : «ها قد أعطَيتُكم كُلَّ عُشب
يُخرِجُ بِزراً على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها
وكُلَّ شَجَرٍ فيه ثَمَرٌ يُخرِجُ بِزراً يَكونُ لكم طَعاماً .
[٣٠] ولِجَميعِ وحُوشِ الأَرضِ وجَميعِ طُيورِ السَّماء
وجَميعِ ما يَدِبُّ على الأَرضِ مِمَّا فيه نَفْسٌ حَيَّة
أَعطَيتُ كُلَّ عُشْبٍ أَخضَرَ مأكلاً» .
فكانَ كذلك .
[٣١] ورأى الله جَميعَ ما صَنَعَه فإذا هو حَسَنٌ جِدًّا .
[٣٢] وكانَ مَساءٌ وكان صَباح : يَومٌ سادِس .

٢ [١] وهكذا أُكمِلَتِ السَّمَواتُ والأَرضُ وجَميعُ قُوَّاتِها[٨] . [٢] وآنتَهى الله في اليَومِ السَّابِعِ مِن عَمَلِه الَّذي عَمِلَه ، وآستَراحَ في اليَومِ السَّابِعِ من كُلِّ عَمَلِه الَّذي عَمِلَه[٩] . [٣] وبارَكَ الله اليَومَ السَّابِعَ وقَدَّسَه ، لأَنَّه فيه آستَراحَ مِن كُلِّ عَمَلِه الَّذي عَمِلَه خالِقاً .

ب) تأمّل في وضع الانسان الوجودي

يكوّن الفصلان التاليان وحدة لا تنفصم . وضعهما كاتب من القرن التاسع ق . م ،، عاش بعد الانشقاق بقليل (٩٣٥) . وهو يروي لنا ، بصفته شاعراً ، زبدة تأمّله

(٨) لا شك ان القوات المقصودة هنا هي جيش الكواكب .
(٩) المفروض أن يكون الله قد استراح في اليوم السابع ، وفي ذلك داعٍ مطلق الى أن يستريح الإسرائيلي أيضاً يوم السبت (راجع خر ٢٠/١١) .

في الوضع البشري . خُلق الانسان ليكون سعيداً ، وان لم يكن سعيداً ، فلانه تمرَّد على الله منذ القدم .

يتمّ هذا التأمُّل على مرحلتَين . في نقطة الانطلاق ، يرينا الكاتب الرجل والمرأة ، وهما مجرَّد خليقتين من خلائق الله ، موضوعَين في واحة سعادة يتمتّعان فيها بألفة الله . لم يُفرض عليهما سوى شرط واحد : الطاعة لله .

وفي المرحلة الثانية ، تقع المأساة ، وسببُها التوهُّم بالاستقلال الكاذب : فالعصيان يجلب معه معرفة الشرّ معرفةً عملية . لكن الانسان لن يستطيع بعد اليوم ان يحصل بنفسه على تلك السعادة التي كانت تبدو في متناوله .

ومع ذلك ، فهناك بصيص رجاء : فإن نسل المرأة سيسيطر ، في مستقبل غير محدَّد ، على ذلك الشر الذي تغلَّب عليها .

لم يعد هذا التعليم تعليم أستاذ من الاساتذة ، بل تعليم شاعر من الشعراء تستهوينا مخيّلته الخصيبة بصورها البرّاقة :

– لم تعد هنا كلمة الله هي التي تخلق الانسان ، بل هو إله صانع تماثيل ينحت تمثالاً صغيراً من تراب الارض ويجعل فيه شيئاً من ذلك النَفَس الذي في حوزته .

– يوضع الانسان في مكان محسوس : بستان فيه نهر وأشجار مثمرة . لكن شجرتين منها تحملان اسماً رمزياً : شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير والشر .

– تُخرَج المرأة من إحدى أضلاع الرجل .

– يُدخل الكاتب في روايته خوارق الامور ، فيجعل الحيّة تتكلّم .

يؤدّي هذا التأمّل الى تعليم :

– ان الله في أصل كل حياة .

– يحتفظ الله بإطلاع الانسان على ما هو خير وما هو شرّ (= أساسَي الحياة الاخلاقية) فلن يتمتع الانسان باستقلال تام عن الله .

– هناك ، خارجاً عن الله ، قدرة شريرة تحاول عرقلة تدبيره الخلاصي في سبيل الانسان .

– حريّة الانسان حريّة غير كاملة ، ولذلك بإمكانه أن يرفض الله في حياته .

– في الإنباء بانتقام نسل المرأة من الشرير ، رأى التقليد المسيحي وعداً مستوراً بالمشيح .

- لا بدّ من الانتباه الى تأثير الوضع الاجتماعي الذي كان سائداً في القرن التاسع ق . م .: ذلك بأن صورة تكوين المرأة من احدى أضلاع الرجل تدل على خضوعها الاساسي له (قارن هذا برواية تك ١، حيث كلاهما على قدم المساواة) .

٢. المثال الأعلى للسعادة

٢ [٤]يَومَ صَنَعَ الرَّبُّ[(١٠)] الإِلهُ الأَرضَ والسَّمَوات ، [٥]لم يَكُنْ في الأَرضِ شِيحُ الحُقول ، ولَم يَكُنْ عُشْبُ الحُقولِ قَد نَبَت ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لم يَكُنْ قد أَمطَرَ على الأَرض ، ولَمْ يَكُنْ فيها إِنسانٌ لِيَحرُثَ الأَرض . [٦]وكانَ يَصعَدُ مِنها سَيلٌ فَيَسْقي كُلَّ وَجهِها . [٧]وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ الإِنسانَ تُراباً مِنَ الأَرض ونَفَخَ في أَنفِه نَسَمَةَ حَياة ، فصارَ الإِنسانُ نَفْساً حَيَّة[(١١)] .

[٨]وغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً في عَدْنٍ شَرْقاً وجَعَلَ هُناكَ الإِنسانَ الَّذي جَبَلَه . [٩]وأَنبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرضِ كُلَّ شَجَرَةٍ حَسَنَةِ المَنظَر وطَيِّبَةِ المَأكَل وشَجَرَةَ الحَياةِ في وَسَطِ الجَنَّة وشَجَرَةَ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ . [١٠]وكانَ نَهرٌ يَخرُجُ مِن عَدْنٍ فيَسْقي الجَنَّة ومِن هُناكَ يَتَشَعَّبُ فيَصيرُ أَربَعَةَ فُروع . . .

[١٥]وأَخَذَ الرَّبُّ الإِلهُ الإِنسانَ وجَعَلَه في جَنَّةِ عَدْن ليَفلَحَها ويَحرُسَها .

(١٠) يسمّى الله ربًّا (يَهوه في الاصل العبري) في الوثيقة التي في أصل هذه الرواية ، ومن هنا اسم «الوثيقة (أو التقليد) اليهوية» .

(١١) الله يملِك نسمة الحياة كلها ، ويوزّعها على البشر والحيوانات : راجع: ١٠٤/٣٠.

[١٦] وأَمَرَ الرَّبُّ الإِلهُ الإِنسانَ قائلاً: «مِن جَميعِ أَشْجارِ الجَنَّةِ تأكُل، [١٧] وأَمَّا شَجَرَةُ مَعرِفَةِ الخَيرِ والشَّرّ فلا تَأكُلْ مِنها، فإِنَّكَ يَومَ تأكُلُ مِنها تَموتُ مَوتاً».

[١٨] وقالَ الرَّبُّ الإِله: «لا يَحسُنُ أَن يَكونَ الإِنسانُ وَحدَه، فلأَصنَعَنَّ له عَوناً يُناسِبُه». [١٩] وجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرضِ جَميعَ حَيَواناتِ الحُقول وجَميعَ طُيورِ السَّماء، وأَتى بِها الإِنسانَ لِيَرى ماذا يُسَمِّيها(١٢). فكُلُّ ما سَمَّاه الإِنسانُ من نَفْسٍ حَيَّةٍ فهوَ آسمُه. [٢٠] فأَطلَقَ الإِنسانُ أَسْماءً على جَميعِ البهائِمِ وطُيورِ السَّماءِ وجَميعِ وُحوشِ الحُقول. وأَمَّا الإِنسانُ فلَم يَجِدْ لِنَفسِه عَوناً يُناسِبُه. [٢١] فأَوقَعَ الرَّبُّ الإِلهُ سُباتاً عَميقاً على الإِنسانِ فنام. فأَخَذَ إِحْدى أَضْلاعِه وسَدَّ مَكانَها بِلَحْم(١٣). [٢٢] وبَنى الرَّبُّ الإِلهُ الضِّلْعَ الَّتي أَخَذَها مِنَ الإِنسانِ آمرَأَةً، فأَتى بِها الإِنسان.

[٢٣] فقالَ الإِنسان:

«هذهِ المَرَّةَ هي عَظْمٌ مِنْ عِظامي ولَحْمٌ مِن لَحْمي.
هذه تُسَمَّى آمرَأَةً لأَنَّها مِن آمرِئٍ أُخِذَت»
[٢٤] ولِذلِكَ يَترُكُ الرَّجُلُ أَباه وأُمَّه ويَلزَمُ آمرَأَتَه
فيَصيرانِ جَسَداً واحِداً(١٤).

(١٢) في نظر الإنسان الساميّ، يعبّر اسم الكائن عن صميم طبيعته، فالقدرة على إطلاق أسماء على جميع الحيوانات هي مشاركة في معرفة الله لجميع الكائنات.
(١٣) المرأة نظيرة الرجل الأنثوية، لكنها مرتبطة به في أصلها.
(١٤) سيذكّر المسيح بهذه الآية، حين سيعلن عدم انحلال الزواج (متى ١٩/٤-٦).

[٢٥]وكانا كِلاهُما عُريانَينِ، الإِنسانُ وآمرَأَتُه، وهُما لا يَخْجَلان(١٥).

٣. الخطيئة

٣ [١]وكانتِ الحيَّةُ أَحيَلَ جَميعِ حَيَواناتِ الحُقولِ الَّتي صنَعَها الرَّبُّ الإِله(١٦). فقالَت لِلْمَرأَة: «أَيقيناً قالَ الله: لا تأكُلا مِن جميعِ أَشْجارِ الجَنَّة؟» [٢]فقالَتِ المَرأَةُ لِلحَيَّة: «مِن ثَمَرِ أَشْجارِ الجَنَّةِ نأكُل، [٣]وأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتي في وَسَطِ الجَنَّة، فقالَ الله: لا تَأكُلا مِنه ولا تَمَسَّاه كَيلا تَموتا». [٤]فقالَتِ الحَيَّةُ لِلمَرأة: «مَوتاً لا تَموتان، [٥]فاللهُ عالِمٌ أَنَّكُما في يَومِ تأكُلانِ مِنه تَنفَتِحُ أَعيُنُكُما وتَصيرانِ كآلِهَةٍ تَعرِفانِ الخَيرَ والشَّرّ». [٦]ورَأَتِ المَرأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ طَيِّبَةٌ لِلأَكْلِ ومُتعَةٌ لِلعُيون وأَنَّ الشَّجَرَةَ مُنْيَةٌ لِلتَّعَقُّل. فأَخَذَت مِن ثَمَرِها وأَكَلَت وأَعْطَت أَيضاً زَوجَها الَّذي مَعَها فأَكَل.

[٧]فآنفَتَحَت أَعيُنُهما فعَرَفا أَنَّهما عُريانان. فَخاطا مِن وَرَقِ التِّين وصَنَعا لَهُمَا مِنه مآزِر. [٨]فسَمِعا وَقْعَ خُطى الرَّبِّ الإِله وهو يَتَمَشَّى في الجَنَّةِ عِندَ نَسيمِ النَّهار، فآختَبأَ الإِنسانُ وآمرَأَتُه مِن وَجهِ الرَّبِّ الإِلهِ فيما بَينَ أَشْجارِ الجَنَّة. [٩]فنادى الرَّبُّ الإِلهُ الإنسانَ وقالَ له: «أَينَ أَنتَ؟» [١٠]قال: «إِنِّي سَمِعتُ وَقْعَ خُطاكَ في الجَنَّة فخِفْتُ لِأَنِّي عُرْيانٌ فآختَبَأتُ». [١١]قال: «فَمَن أَعلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيان؟ هل أَكَلتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتي أَمَرتُكَ أَلاَّ تأكُلَ مِنها؟» [١٢]فقالَ الإنسان: «المَرأَةُ الَّتي جَعَلْتَها معي هي أَعطَتْني مِن

(١٥) علامة الاتزان الداخلي، وهو سيُفقد بسبب الخطيئة (تك ٣/٧).

(١٦) الحية هي انعكاس خارجي لقوى الشر التي تعمل في الإنسان. ان سفر الحكمة والتقليد المسيحي رأيا فيه كائناً شخصياً هو الشيطان.

الشَّجَرةِ فأَكَلتُ» . [١٣]فقالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلمَرأَة : «ماذا فَعَلتِ ؟» فقالَتِ المَرأة : «الحَيَّةُ أَغْوَتْني فأَكَلتُ» .

[١٤]فقالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلحَيَّة : « «لِأَنَّكِ صَنَعتِ هذا
فأَنتِ مَلْعونةٌ مِن بَينِ جَميعِ البَهائِم وجَميعِ وُحوشِ الحَقْل .
على بَطنِكِ تَسلُكين وتُراباً تَأكُلينَ طَوالَ أَيَّامِ حَياتِكِ(١٧) .
[١٥]وأَجعَلُ عَداوةً بَينَكِ وبَينَ المَرأَة وبَينَ نَسْلِكِ ونَسْلِها
فهُوَ يَسحَقُ رأسَكِ وأَنتِ تُصيبينَ عَقِبَه» .
[١٦]وقالَ لِلمَرأَة : لَأُكَثِّرَنَّ مشقَّاتِ حَمْلِكِ تَكْثيراً .
فبِالمَشَقَّةِ تَلِدينَ البَنين وإِلى رَجُلِكِ تنقادُ أَشواقُكِ وهُوَ يَسودُكِ» .

[١٧]وقالَ لِآدم :
«لِأَنَّكَ سَمِعتَ لِصَوتِ آمرَأَتِكَ
فأَكَلتَ مِنَ الشَّجَرةِ الَّتي أَمَرتُكَ أَلاَّ تَأكُلَ مِنها
فمَلْعونَةٌ الأَرضُ بِسَبَبِكَ
بِمَشقَّةٍ تأكُلُ مِنها طولَ أَيَّامِ حَياتِكَ
[١٨]وشَوكاً وحَسَكاً تُنبِتُ لَكَ، وتأكُلُ عُشبَ الحُقول .
[١٩]بِعَرَقِ جَبينِكَ تأكُلُ خُبزاً
حتَّى تَعودَ إِلى الأَرض
فمِنها أُخِذتَ لِأَنَّكَ تُرابٌ وإِلى التُّرابِ تعود»(١٨) .

(١٧) تفسير شعبي لهيئة الحية وللخوف الذي تثيره .

(١٨) يُنظر هنا الى الموت كإلى عقوبة دينية ، غير خاضعة لعلم الطبيعة البشرية .

[٢٠] وسمَّى الإنسانُ آمرَأَتَه حَوَّاءَ لأَنَّها أُمُّ كُلِّ حَيٍّ(١٩). [٢١] وصَنَعَ الرَّبُّ الإلهُ لِآدَمَ وآمرَأَتِه أَقمِصةً مِن جِلدٍ وأَلبَسَهما. [٢٢] وقالَ الرَّبُّ الإله: «هُوَذا الإنسانُ قد صارَ كواحِدٍ مِنَّا، فيَعرِفُ الخَيرَ والشرّ°. فلا يَمُدَّنَّ الآنَ يَدَه فيأخُذَ مِن شَجَرةِ الحياةِ أَيضاً ويأكُلَ فيَحْيا للأَبَد(٢٠). [٢٣] فأَخرَجَه الرَّبُّ الإلهُ مِن جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَحرُثَ الأَرضَ الَّتي أُخِذَ مِنها. [٢٤] فَطَرَدَ الإنسانَ وأَقامَ شَرقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الكَروبين(٢١) وشُعلَةَ سَيْفٍ متقلِّبٍ لِحِراسةِ طَريقِ شَجَرَةِ الحَياة.

ج) نتائج الخطيئة في تاريخ البشرية

ينتقل الكاتب من الانسان الفردي الى المجموعة البشرية، فيبيّن الآن كيف أن الخطيئة جلبت شقاء البشرية.

يقوم بهذا العمل باستعماله تقاليد شعبية عريقة في القدم، يختار منها ثلاثة أحداث هي أيضاً ثلاث صور مأسوية:

مقتل هابيل عن يد قايين.

الطوفان وسفينة نوح.

برج بابل.

٤. قاين وهابيل

البغض في العالم، والانسان العاجز عن السيطرة على غرائزه الرديئة، والحرب بين الشعوب في الأفق: تلك هي أول نتائج رفض الله في حياة الإنسان.

(١٩) كلمة «حوّاء» مشتقة من أصل يعني «الحياة»، كما أن كلمة «آدم» مشتقة من أصل يعني «الارض».

(٢٠) عن تهكّم.

(٢١) صورة من الفن البابلي. تلك الكائنات الخيالية هي ثيران لها وجه بشري.

٤ [١]وعَرَف[(٢٢)] الإنسانُ حَوَّاءَ آمرَأَتَه فحَمَلَت ووَلَدَت قايِن. فقالَت: «قَدِ آقتَنَيتُ رَجُلاً مِن عِندِ الرَّبّ». ثُمَّ عادَت فوَلَدَت أَخاهُ هابيل. فكانَ هابيلُ راعِيَ غَنَم، وكانَ قايِنُ يَحرُثُ الأَرض. [٣]وكانَ بَعدَ أَيَّامٍ أَنْ قَدَّمَ قايِنُ مِن ثَمَرِ الأَرضِ تَقدِمةً لِلرَّبّ. [٤]وقَدَّمَ هابيلُ أَيضاً شَيئاً مِن أَبْكارِ غَنَمِه ومِن دُهْنِها. [٥]فنَظَرَ الرَّبُّ إِلى هابيلَ وتَقدِمتِه، وإِلى قايِنَ وتَقدِمَتِه لم يَنظُر. فغَضِبَ قايِنُ وأَطرَقَ رَأسَه. [٦]فقالَ الرَّبُّ لِقايِن: «لِمَ غَضِبتَ ولِمَ أَطرَقتَ رأسَكَ؟ [٧]فإِنَّكَ إِن أَحسَنتَ أَفَلا تَرفَعُ الرَّأس؟ وإِن لَم تُحسِنْ أَفلا تَكونُ الخَطيئَةُ رابِضةً عِندَ الباب؟ إِلَيكَ تَنقادُ أَشْواقُها، فعَلَيكَ أَن تَسودَها»[(٢٣)]. وقالَ قايِنُ لِهابيلَ أَخيه: «لِنَخرُجْ إِلى الحَقْل». [٨]فلَمَّا كانا في الحَقْل، وثَبَ قايِنُ على هابيلَ أَخيه فقَتَلَه.

[٩]فقالَ الرَّبُّ لِقايِن: «أَينَ هابيلُ أَخوك؟» قال: «لا أَعلَم. أَحارِسٌ لأَخي أَنا؟» [١٠]فقال: «ماذا صَنَعتَ؟ إِنَّ صَوتَ دِماءِ أَخيكَ صارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرض. [١١]والآن فَمَلْعونٌ أَنتَ مِنَ الأَرضِ الَّتي فَتَحَت فاها لِتَقبَلَ دِماءَ أَخيكَ مِن يَدِك. [١٢]وإِذا حَرَثتَ الأَرض، فلا تَعودُ تُعطيكَ ثَمَرَها. تائِهاً شارِداً تَكونُ في الأَرض».

٥. الطوفان

ان الفساد الذي في داخل الانسان، والذي يميل الى تأليه أهوائه، هو نتيجة أخرى للخطيئة. سبق الله ان عاقبه بالطوفان. وهذه الذكرى لكارثة قديمة، التي وجدها الكاتب في التقليد البابلي (ملحمة جلجامش)، استعملها بمعنى جديد: فلقد نزع عن

(٢٢) فعل «عرف» بالمعنى الكتابي يعني العلاقات الزوجية.
(٢٣) نصّ غير واضح. قد يعني أن الإنسان يجب عليه أن يقاوم غرائزه الشريرة.

الرواية طابعها الشِركي وأدخلها في تقليد اسرائيل التوحيدي. في هذه الرواية، موضوعان هامّان من مواضيع الكتاب المقدس يعبَّر عنهما للمرة الاولى، هما الاختيار والعهد: يظهر الله فيهما، لا بصورة المعاقب فقط، بل بصورة المخلِّص أيضاً.

[٢٥] وَعَرَفَ آدَمُ آمرَأَتَه مَرَّةً أُخْرى فَوَلَدَتِ آبناً وسَمَّته شِيتاً وقالت: «قد أَقامَ اللهُ لي نَسْلاً آخَرَ بَدَلَ هابيل، إِذ إِنَّ قايِنَ قَتَلَه».

٦ [١] ولَمَّا آبتَدَأَ النَّاسُ يَكثُرونَ على وَجهِ الأَرض، ووُلِدَ لَهم بنات، [٢] إِستَحسَنَ بَنو اللهِ(٢٤) بَناتِ النَّاس، فآتَّخَذوا لَهم نِساءً من جَميعِ مَنِ آختاروا. [٣] فقالَ الرَّبّ: «لا تَثبُتُ رُوحي في الإِنسانِ لِلأَبَد(٢٥)، لأَنَّه بَشَر، فتكونُ أَيَّامُه مِئَةً وعِشرينَ سَنَة».

[٥] ورأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنسانِ قد كَثُرَ على الأَرض وأَنَّ كُلَّ ما يَتَصَوَّرُه قَلبُه مِن أَفْكار(٢٦) إِنَّما هو شَرٌّ طَوالَ يَومِه. فنَدِمَ الرَّبُّ على أَنَّه صَنَعَ الإِنسانَ على الأَرض وتأَسَّفَ في قَلبِه. فقالَ الرَّبّ: [٧] «أَمْحو عن وَجهِ الأَرضِ الإِنسانَ الَّذي خَلَقتُ، الإِنسانَ مع البَهائِم والزَّحَّافاتِ وطُيورِ السَّماء، لأَنِّي نَدِمتُ على أَنِّي صَنَعتُهم». [٨] أَمَّا نُوحٌ فنالَ حُظوَةً في عَينَيِ الرَّبّ.

[٩] وهذِه سِيرةُ نُوح:

كانَ نُوحٌ رَجُلاً بارًّا كامِلاً في بَني جيلِه. وسارَ نُوحٌ معَ الله. [١٠] ووَلَدَ نُوحٌ ثَلاثَةَ بَنين: ساماً وحاماً ويافَث. [١١] وفَسَدَتِ الأَرضُ أَمامَ

(٢٤) أصل الجبابرة الخرافي. ادخل الكاتب في نصّه هذه الخرافة المعروفة من قرّائه ليبيّن إلى أي حدّ وقعت البشرية في الفساد.

(٢٥) سيموت الإنسان.

(٢٦) القلب مركز الافكار.

اللهِ وآمتلأت عُنفاً. [١٢]ورأى اللهُ الأرضَ فإذا هي قد فسدت، لأنَّ كُلَّ بَشَرٍ قد أفسدَ طَريقَه عليها.

[١٣]فقالَ اللهُ لِنُوح: «قد حانَ أَجَلُ كُلِّ بَشَرٍ أمامي، فقَدِ آمتلأَتِ الأَرضُ عُنفاً بِسَبَبِهم. فهاءَنَذا مُهلِكُهم مع الأرض. [١٤]إِصْنَعْ لكَ سَفينَةً مِن خَشَبٍ قَطرانِيّ وآجعَلْها مَساكِنَ وآطْلِها بالقارِ مِن داخِلٍ ومِن خارِج. [١٥]كذا تَصنَعُها: ثَلاثُ مِئَةِ ذِراع(٢٧) طولُها وخَمْسونَ ذِراعاً عَرضُها وثَلاثونَ ذِراعاً عُلُوُّها. [١٦]وتَجعَلُ سَقْفاً لِلسَّفينة وإلى حَدِّ ذِراعٍ تُكمِلُه مِن فَوق. وآجعَلْ بابَ السَّفينةِ في جانِبِها وتَصنَعُها طوابِق: سُفلِيًّا وثانِياً وثالثاً.

[١٧]وهاءَنَذا آتٍ بِطوفانِ مِياهٍ على الأرض لِأُهلِكَ كُلَّ ذي جَسَدٍ فيه رُوحُ حَياةٍ مِن تَحتِ السَّماء، وكُلُّ ما في الأَرضِ يَهلِك.

[٢٢] فعَمِلَ نُوحٌ بِحَسَبِ كُلِّ ما أَمَرَه اللهُ بِه. هكذا فَعَل.

٧ [١]وقالَ اللهُ لِنُوح: «أُدخُلِ السَّفينَةَ أَنتَ وجَميعُ أَهلِكَ، فإِنِّي رأَيتُكَ بارًّا أَمامي في هذا الجيل. [٢]وتأخُذُ مِن جَميعِ البَهائِمِ الطَّاهِرَةِ سَبعَةً سَبْعَةً، ذُكوراً وإِناثاً، ومِنَ البَهائِمِ غَيرِ الطَّاهِرَةِ آثنَينِ، ذَكَراً وأُنْثى. [٣]وتأخُذُ أَيضاً مِن طُيورِ السَّماءِ سَبْعَةً سَبْعَةً، ذُكوراً وإِناثاً، لِحِفْظِ نَسْلِها حَيًّا على وَجهِ الأَرْضِ كُلِّها. [٤]فإِنَّني، بَعدَ سَبعَةِ أَيَّام، مُمطِرٌ على الأَرضِ أَربَعينَ يَوماً وأَربَعينَ لَيلَةً، وماحٍ عن وَجهِ الأَرضِ كُلَّ كائِنٍ صَنَعتُه». [٥]فعَمِلَ نُوحٌ بِحَسَبِ كُلِّ ما أَمَرَه الرَّبُّ به.

(٢٧) الذراع = نحو نصف متر.

[١٠] وبَعدَ سَبعَةِ أَيَّام كانت مِياهُ الطُّوفانِ على الأَرض.

[١١] في السَّنَةِ السِّتِّ مِئَةِ مِن عُمْرِ نُوح، في الشَّهْرِ الثَّاني في اليَومِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنه، في ذلك اليَوم تفجَّرت عُيونُ الغَمْرِ العَظيم وتفتَّحت كُوى السَّماء(٢٨). [١٢] وكان المَطَرُ على الأَرضِ أَربَعينَ يَوماً وأَربَعينَ لَيلَةً.

[١٣] في ذلِكَ اليَومِ نَفْسِه دَخَلَ نُوحٌ السَّفينَةَ هو وسامٌ وحامٌ ويافَثُ بَنُوه، وآمْرَأَةُ نُوح وثَلاثُ نِسْوَةِ بَنيه مَعَهُم، [١٤] هُم وجَميعُ الوُحوشِ بِأَصْنافِها وجَميعُ البَهائِمِ بِأَصْنافِها وجَميعُ الحَيَواناتِ الَّتي تَدِبُّ على الأَرضِ بِأَصْنافِها وجَميعُ الطُّيورِ بِأَصْنافِها مِن كُلِّ طائِرٍ وكُلِّ ذي جَناح. [١٥] فَدَخَلَ السَّفينَةَ إِلى نُوحٍ آثْنانِ آثْنانِ مِن كُلِّ ذي جَسَدٍ فيه رُوحُ حَياة. وأَغلَقَ الرَّبُّ علَيه(٢٩).

[١٧] وكانَ الطُّوفانُ أَربَعينَ يَوماً على الأَرض، فكَثُرَتِ المِياهُ وحَمَلَتِ السَّفينَةَ فآرتَفَعَت عنِ الأَرض. [٢٣] ومُحِيَ كُلُّ كائِنٍ على وَجهِ الأَرضِ مِنَ النَّاسِ حتَّى البَهائِمُ والحَيَواناتُ الدَّابَّةُ وطُيورُ السَّماء، فمُحِيَت مِنَ الأَرض وبَقِيَ نُوحٌ ومَن معَه في السَّفينَةِ فقَط. [٢٤] وآرتَفَعَتِ المِياهُ على الأَرضِ مُدَّةَ مِئَةٍ وخَمْسينَ يَوماً.

٨ [١] وذَكَرَ اللهُ نُوحاً وجَميعَ الوُحوشِ والبَهائِمِ الَّتي معه في السَّفينَة. وأَمَرَ اللهُ رِيحاً على الأَرضِ فَسَكَنَتِ المِياه. [٢] وآنسَدَّت عُيونُ الغَمْرِ وكُوى السَّماء وآحتَبَسَ المَطَرُ مِنَ السَّماء.

(٢٨) الكوى التي في الجلد والتي يفتحها الله لينزل المطر.
(٢٩) المفروض أن يعمل الله كالإنسان.

[٦]وكانَ في نِهايَةِ الأربَعينَ يَوماً أَن فَتَحَ نُوحٌ نافِذَةَ السَّفينةِ الَّتي صَنَعَها، [٧]وأَطلَقَ الغُراب، فخَرَجَ وراحَ يَتَرَدَّدُ إِلى أَن جَفَّتِ المِياهُ عنِ الأَرض. [٨]ثُمَّ أَطلَقَ الحَمامةَ مِن عِندِه لِيَرى هل قَلَّتِ المِياهُ عن وَجهِ الأَرض. [٩]فلَم تَجِدِ الحَمامَةُ مَوطِئاً لِرِجْلِها، فرَجَعَت إِلَيه إِلى السَّفينَة لأَنَّ المِياهَ كانَت على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها. فمَدَّ يَدَه فأَخَذَها وأَدخَلَها إِليه الى السَّفينَة. [١٠]وآنتَظَرَ أَيضاً سَبعَةَ أَيَّامٍ أُخَر وعادَ فأَطلَقَ الحَمامةَ مِنَ السَّفينَة. [١١]فعادَت إِلَيه الحَمامةُ وَقْتَ المَساءِ وفي فَمِها وَرَقَةُ زَيتونٍ خَضْراء. فعَلِمَ نُوحٌ أَنَّ المِياهَ قَلَّت عنِ الأَرض. [١٢]وانتَظَرَ أَيضاً سَبعَةَ أَيَّامٍ أُخَر ثُمَّ أَطلَقَ الحَمامَة فلم تَرجعْ إِلَيه ثانِيَةً.

[١٣]وكانَ في سَنَةِ إِحْدى وسِتِّ مِئَةٍ مِن عُمْرِ نُوحٍ، في اليَومِ الأَوَّلِ من الشَّهرِ الأَوَّل، أَن جَفَّتِ المِياهُ عنِ الأَرض.

فرفَعَ نُوحٌ غِطاءَ السَّفينَةِ ونَظَرَ فإِذا وَجهُ الأَرضِ قد جَفَّ.

[١٥]فخاطَبَ اللهُ نُوحاً قائلاً: [١٦]«أُخْرُجْ مِنَ السَّفينَة، أَنتَ وامرَأَتُكَ وبَنوكَ ونِسْوَةُ بَنيكَ معكَ، [١٧]وجَميعُ الوُحوشِ الَّتي معكَ من كُلِّ ذي جَسَدٍ، مِنَ الطُّيورِ والبَهائِمِ وكُلِّ دَابٍّ يَدِبُّ على الأَرض أَخْرِجْها معكَ لِتَعِجَّ بها الأَرضُ وتَنْمو وتَكْثُر». [١٨]فخَرَجَ نُوحٌ وبَنوه وآمرأَتُه ونِسوَةُ بَنيه معَه، [١٩]وجَميعُ الوُحوشِ والحَيَواناتِ الدَّابَّةِ والطُّيورِ وكُلُّ ما يَدِبُّ على الأَرضِ بأَصْنافِها خَرَجَت مِنَ السَّفينَة.

[٢٠]وبَنى نُوحٌ مَذبَحاً لِلرَّبّ وأَخَذَ مِن جَميعِ البَهائِمِ الطَّاهِرةِ ومِن جَميعِ الطُّيورِ الطَّاهِرَة فأَصعَدَ مُحرَقاتٍ على المَذبَح. [٢١]فتَنَسَّمَ الرَّبُّ

زائحةَ الرِّضى[٣٠] وقالَ الرَّبُّ في قَلبِه: «لَن أَعودَ إِلى لَعنِ الأَرضِ بِسَبَبِ الإِنسانِ لِأَنَّ ما يَتَصوَّرُه قَلْبُ الإِنسانِ يَنزِعُ إِلى الشَّرِّ مُنذُ حَداثَتِه، ولَن أَعودَ إِلى ضَرْبِ كُلِّ حَيٍّ كما صَنَعتُ.

[٢٢] ما دامَتِ الأَرض، فالزَّرْعُ والحِصادُ والبَرْدُ والحَرّ
والصَّيفُ والشِّتاءُ والنَّهارُ واللَّيل لا تَبطُلُ أبداً»[٣١].

٩ [٨] وخاطَبَ اللهُ نُوحاً وبَنيه معَه قائلاً: [٩] «ها أنا مُقيمٌ عَهْدي معَكُم ومعَ نَسْلِكم مِن بَعدِكم [١٠] ومع كُلِّ ذي نَفْسٍ حَيَّةٍ معَكم، مِنَ الطُّيورِ والبَهائمِ ووُحوشِ الأَرضِ الَّتي معَكم: أي كُلُّ ما خَرَجَ مِنَ السَّفينة وجَميعِ حَيَواناتِ الأَرض. [١١] وأُقيمُ عَهْدي معَكم، فكُلُّ ذي جَسَدٍ لا يَنقَرِضُ بَعدَ اليَوم بِمِياهِ الطُّوفان، ولا يَكونُ بَعدَ اليَوم طُوفانٌ لِيُتلِفَ الأَرض».

[١٢] وقالَ الله: «هذه عَلامةُ العَهْدِ الَّذي أَنا جاعِلُه بَيْني وبَينكم وبَينَ كُلِّ ذي نَفْسٍ حَيَّةٍ معَكم مَدى الأَجْيالِ لِلأَبَد: [١٣] تِلْكَ قَوْسي جَعَلْتُها في الغَمام فتَكونُ عَلامةَ عَهْدي بَيْني وبَيْنَ الأَرضِ[٣٢]. [١٤] ويَكونُ أَنَّه إِذا غَيَّمتُ على الأَرضِ وَظَهَرَتِ القَوسُ في الغَمام، [١٥] ذَكَرتُ عَهْدِيَ الَّذي بَيْني وبَينَكم وبَينَ كُلِّ نَفسٍ حَيَّةٍ في كُلِّ جَسَدٍ، فلا تَكونُ المِياهُ بَعدَ اليَومِ طُوفاناً لِتُهلِكَ كُلَّ ذي جَسَد».

(٣٠) الرواية الكتابية تقليد للرواية البابلية.
(٣١) أعيد نظام الكون.
(٣٢) هذا هو العهد مع نوح، وعلامته المنظورة مأخوذة من جَلَد السماء.

٦. برج بابل

ان الكبرياء، التي حملت الانسان على رفض الخضوع لله، تعود فتظهر هنا، بشكل رغبة في المساواة لله. يستعمل الكاتب صورة البرج ذي الطوابق، علماً بأنه وجد مثله في بابل. فكانت النتيجة الثالثة للخطيئة «انشقاق البشرية». ولن يستطيع أحد أن يعيد اليها وحدتها المفقودة إلاّ المسيح.

١١ [١]وكانَتِ الأَرضُ كُلُّها لُغَةً واحِدة وكَلاماً واحداً. [٢]وكانَ أَنَّهم لَمَّا رَحَلوا مِنَ المَشرِق وَجَدوا سَهْلاً في أَرضِ شِنْعار فأَقاموا هُناك. [٣]وقالَ بَعضُهم لِبَعض: «تَعالَوا نَصْنَعْ لَبِناً ولْنُحرِقْه حَرْقاً». فكانَ لَهمُ اللَّبِنُ بَدَلَ الحِجارة، والحُمَرُ كانَ لَهم بَدَلَ الطِّين. [٤]وقالوا: «تَعالَوا نَبْنِ لَنا مَدينةً وبُرْجاً رَأسُه في السَّماء، ونُقِمْ لنا آسماً كَي لا نَتَفَرَّقَ على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها».

[٥]فنَزَلَ الرَّبُّ لِيَرى المَدينةَ والبُرجَ اللَّذَينِ بَناهُما بَنو آدم. [٦]وقالَ الرَّبّ: «هُوَذا هُم شَعبٌ واحِد ولِجَميعِهم لُغَةٌ واحِدة، وهذا ما أَخَذوا يَفعَلونَه. والآن لا يَكُفُّونَ عَمَّا هَمُّوا بِه حتَّى يَصنَعوه. [٧]فلْنَنزِلْ ونُبَلْبِلْ هُناكَ لُغَتَهم، حتَّى لا يَفهَمَ بَعضُهم لُغَةَ بَعض»(٣٣). [٨]فَفَرَّقَهمُ الرَّبُّ مِن هُناكَ على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها، فكَفُّوا عن بِناءِ المَدينة. [٩]ولِذلِكَ سُمِّيت بابل، لأَنَّ الرَّبَّ هُناكَ بَلبَلَ لُغَةَ الأَرضِ كُلِّها. ومِن هُناكَ فَرَّقهمُ الرَّبُّ على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها.

قراءَة لبني جيلنا

إن روايات خلق العالم والخطيئة الاصلية أضفت طابعها الشعري على طفولتنا.

(٣٣) يفسّر الكاتب ما هناك من اختلاف في الشعوب واللغات.

نتساءل اليوم بحق، ونحن في سن البلوغ، ماذا يجب أن نحتفظ منها. فإن كنّا من المدرَّبين على المواد العلمية، فقد يكون ردّ فعلنا الاول رفضاً إجمالياً، أو أن تستهوينا فكرة الفصل بين التعليم الديني ومعارفنا العلمية. والحال ان هذه الصفحات، إن طالعناها بذكاء وايمان، من شأنها أن تكون جزءاً من معارفنا، من دون أن تثير احتجاج عقلنا.

خلق العالم

سبق لنا ان قلنا ان رواية الكتاب المقدس لا تهدف الى إفادتنا عن «كيفية» خلق العالم. فليس ظهور الكائنات الواحد بعد الآخر إلاّ تعداداً بسيطاً لكل ما يستطيع الإسرائيلي ان يراه، ومن شأنه ان يحمله على الاعتراف بأن كل ذلك هو عمل الله. في كثير من الأحوال، استخدم الكاتب لغة الظواهر أو عادات معاصريه الفكرية (النور المميَّز عن الشمس، وقبّة الجلَد الجامدة). وابتدعت مخيِّلته صوراً لا يمكن تفسيرها حرفياً (استخدام ضِلع الرجل لتكوين المرأة، ووجود أشجار رمزية تُخرج ثماراً طيِّبة، وتكلُّم حيّة، وإقامة ملائكة على باب بستان).

ليس مضمون الرسالة في كل ذلك، فعلى العلم أن يواصل أبحاثه في حقله الخاص وأن يقول لنا كيف ظهر العالم شيئاً فشيئاً وصار آهلاً بالسكّان.

لكن المسيحي في أيامنا سيكتشف، من خلال تلك الصفحات، أنه، بالنسبة الى الله، شبيه بسائر الكائنات، أي أنه خاضع لخالقه. أجل، انه فوق النبات والحيوان بعقله وبمشاركته في قدرة الله الخالقة، لكنه لم يصنع نفسه. فحين يقرأ المسيحي الفصل الاول من سفر التكوين، يفهم أن خلق العالم ليس **عملاً** زمنياً من أعمال الله بقدر ما هو **وضع** خضوع الخليقة لإلهها.

وقد يخشى الانسان في أيّامنا أن يعارض التدبير الإلهي، ان خاض موضوع مصادر المادة نفسها (تفكيك الذرّة مثلاً). هناك قول يحرّره: «املأوا الارض وأخضعوها فإذا ترك الانسان العالمَ المادي يفجّر جميع إمكانياته، أتمَّ أمر الخالق، وان كان ملحداً.

لقد جعل الله الانسان عمداً في داخل العالم والتاريخ، فلن يقوم الانسان برسالته إلاّ عَبرَ القوانين الطبيعية والتاريخية وغيرها.

هل الكتاب المقدس يعارض الافتراض العلمي القائل **بالنشوء والارتقاء**؟ كلاً، بل

ما قيل الآن يعزّزه بالاحرى : فلا بأس أن يلقي الله البذرة الاولى ، فتفجّر هذه مع الزمن جميع إمكانياتها ، بفضل عناية إلهية تشرف بمحبة على ازدهار العالم .

الخطيئة الاصلية

كثير من المسيحيين ينظرون اليوم الى هذه الرواية نظرة اشمئزاز . يجب ، ولا شك ، ألاّ نعود نتصوّر «الخطيئة الاصلية» بحسب صياغتها التقليدية ، بل ، ان أردنا ان نحدّدها تحديداً دقيقاً ، وجب علينا أن نستعين بكثير من أهل الاختصاص ، بالاضافة الى المفسّر الكتابي ، كالاختصاصي بعلم المتحجّرات والاختصاصي بعلم الانسان والفيلسوف وغيرهم .

والملاحظات التالية لا تستهدف إلاّ التفسير الكتابي :

– ان فنّ هذه الرواية الاولى لا يُجيز لنا أن نأوّل هذه الفقرة تأويلاً حرفياً ، اذ ان الصور ليست سوى وسيلة لِنَقل الرسالة .

– ان القسم الاول من الرواية تحليل للتجربة بوجه عام ، ولا يستهدف احدى الخطايا بوجه خاص .

– ان العقاب نفسه – العذاب والموت – يُنظَر اليه من وجهة نظر التاريخ الديني فقط ، بدون أيّة صلة بحياتنا الفيزيولوجية (لان طبيعتنا البشرية هي التي تقودنا في الواقع الى الموت) .

فما هو إذاً مضمون الرسالة ؟

١) طبيعة الخطيئة : استقلالية عن الله ، ولكنها أيضاً وخاصةً مخالفة لدعوتنا كبشر . وهي ، بسعيها الى الاستقلال التام ، فعل كبرياء .

٢) لا يستطيع الانسان ان «يكتمل» إلاّ في حرّيّة مقرَّبة كلّها لله ، تدلّه على ما هو الخير وما هو الشرّ بالنسبة اليه . ولا يستطيع الانسان أن يجد ، خارجاً عن هذه الطريق ، سعادته الحقيقية .

٣) منذ الساعة التي يصبح الانسان فيها خاطئاً ، يفقد وحدته الجوهرية ويحرّر في نفسه قوى متعادية (حساسية وعقل) ، ويفقد أيضاً تلك الوحدة التي كان المفروض أن تسود جميع البشر (البغض والحرب) .

٤) الوعد بالمشيح بوجه محجوب .

خلق العالم والخطيئة الاصلية في الوحي اليهودي والمسيحي

التفكير السابق يبقى ناقصاً، إن لم تستوفِ هذه الفصول الاحد عشر الاولى من سفر التكوين قيمتها الحقيقية بالنسبة الى مجمل الوحي الكتابي.

لمّا أتى يسوع الى عالمنا، كانت هذه الفصول في مستهلّ العهد القديم. كانت تفسّر دعوة ابراهيم (في البشرية المنغمسة في الوثنية، اختار الله رجلاً وهب له نعمة الايمان) وتُلقي ضوءاً لامعاً على دعوة اسرائيل (كان عدم أمانة اسرائيل لمتطلّبات العهد هو الذي يجلب عليه الشرور).

ولمّا أضاف الكتّاب المسيحيون الى الكتاب المقدس اليهودي العهد الجديد، أُلقي على تلك الفصول ضوء جديد بفضل المسيح وسرّ الفداء:

- المسيح هو نموذج لتحقيق المثال الاعلى الذي عرضه الله على الانسان، فإن يسوع، خلافاً للانسان الذي عصى الله، أطاع حتى الموت على الصليب.
- يُصبح العذاب والموت بعد اليوم وسائل فداء، وهما سيزولان يومَ يتمّ تدبير الله الخلاصي.
- تنتقم المرأة من قوى الشرّ عند موت يسوع على الصليب.

ملاحظة: منذ الآن، من المفيد أن تقرأ الفصول الاولى من رسالة بولس الى أهل رومة (حيث يدلي بولس بتفسيره المسيحي لخطيئة العالم).

٢. سيرة الآباء (تك ١٢ - ٥٠)

كانت هناك تقاليد قديمة جداً موضوعها أجداد الشعب المختار. لا بدّ من التسليم بحقيقة جوهر الاحداث التي ترويها. فالمدن والشعوب المذكورة يعرفها علم الآثار، والاوضاع الاقتصادية والقانونية توافق الالف الثاني الذي عاش فيه الآباء. وصيغة الروايات صيغة شعبية، وأحياناً ملحمية. وقد أراد الراوي هنا وهنا أن يشرح أحد الاسماء، أو أن يفسّر سبب عداوة لإحدى العشائر المجاورة. ويبقى لوجهة النظر التعليمية مكان الصدارة: هذا شأن **المواعد** التي وعدها الله للآباء.

كان الآباء رعاةً شبه بَدو، يعيشون تحت الخيمة. كانوا يربّون الغنم فيطوفون أرض كنعان، ولكنهم كانوا يفضّلون الإقامة في نواحي النقب، بالقرب من حبرون.

كان إلههم ايل، وهو أعظم آلهة البلاد الساميّة الغربية. فأصبح الإله الواحد في فكر ابراهيم، عند سيره نحو الايمان التوحيدي. لكن هذا لم يكن يمنع أعضاء العشيرة من الظنّ ان هناك آلهة أخرى. وهذا الإيمان التوحيدي عند ابراهيم هو خطوة أولى في الاتّجاه نحو ايمان موسى والانبياء. وكانت العبادة تتضمّن ذبح الحيوانات والمسح بالزيت، وكانت الصلاة لا تزال مُغرضة.

كان الآباء يتجنّبون كل عبادة منافية للاخلاق، ولكنهم كانوا بعيدين عن الكمال، فلا يمكننا أن نجعل منهم مسيحيين قبل وجود هذا اللفظ.

١. دعوة ابراهيم

دعا الله ابراهيم الى الايمان، من دون أن يستحق هذه النعمة، لانه كان وثنياً، ووعده ثلاثة مواعد :أرضاً وذرية وبركة خاصة.

١٢ [١] وقالَ الرَّبُّ لِأَبْرام: «اِنطَلِقْ مِن أَرضِكَ وعَشيرَتِكَ وبَيتِ أَبيكَ،

إِلى الأَرضِ الَّتي أُريكَ. ٢وأَنا أَجعَلُكَ أُمَّةً كَبيرة وأُبارِكُكَ وأُعَظِّمُ ٱسمَكَ وتَكُونُ بَرَكَة. ٣وأُبارِكُ مُبارِكيكَ، وأَلعَنُ لاعِنيكَ ويَتَبارَكُ بِكَ جَميعُ عَشائِرِ الأَرض»[٣٤].

٤فٱنطَلَقَ أَبْرامُ كما قالَ له الرَّبّ، ومَضى معَه لُوط. وكانَ أَبْرامُ ٱبنَ خَمْسٍ وسَبْعينَ سَنَةً، حينَ خَرَجَ مِن حاران. ٥فأَخَذَ أَبْرامُ سارايَ ٱمرَأَتَه ولُوطاً ٱبنَ أَخيه وجَميعَ أَمْوالِهِما الَّتي ٱقتَنَيا والنُّفوسَ الَّتي ٱمتَلَكاها في حاران، وخَرَجوا لِيَمْضوا إِلى أَرضِ كَنْعان، وأَتَوا أَرضَ كَنْعان.

٦فٱجْتازَ أَبْرامُ في الأَرضِ إِلى مَوضِعِ شَكيم، إِلى بَلُّوطَةِ مُورة، والكَنْعانِيُّونَ حينَئِذٍ في الأَرض. ٧فتَراءى الرَّبُّ لِأَبْرامَ وقال: «لِنَسلِكَ أُعْطي هذه الأَرض». فبَنى هُناكَ مَذبَحاً لِلرَّبِّ الَّذي تَجَلَّى لَه. ٨ثُمَّ ٱنتَقَلَ مِن هُناكَ إِلى الجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيتَ إِيل وضَرَبَ خَيمَتَه، وغَرْبِيَّهُ بَيْتَ إِيل وشَرْقِيَّهُ عايُ، وبَنى هُناكَ مَذبَحاً لِلرَّبّ ودَعا بِٱسْمِ الرَّبّ. ٩ثُمَّ رَحَلَ أَبْرامُ رَحيلاً مُتَوالِياً نَحوَ النَّقَب.

٢. ابراهيم ولوط يفترقان

ان حياة الرعاة تثير النقاش في المراعي. فافترقت عشائر ابراهيم ولوط تجنّباً لقيام الخلافات بينهما. ولهذه المناسبة، جدّد الله لإبراهيم وعده بأرض كنعان.

١٣ ٢وكان أَبْرامُ غَنِيًّا جِدًّا بِالماشِيَةِ والفِضَّةِ والذَّهب.

٥وكانَ أَيضاً لِلُوطِ السَّائِرِ مع أَبْرامَ غَنَمٌ وبَقَرٌ وخِيام. ٦فلم يَحتَمِلْ ضِيقُ الأَرضِ أَن يُقيما فيها معاً، لِأَنَّ مالَهُما كانَ كَثيراً، فلَم يُمكِنْهُما

(٣٤) البركة أُمنية سعادة يُطلب الى الله أن يجعلها حقيقة.

المُقامُ مَعاً، [٧]فكانَت خُصومةٌ بَينَ رُعاةِ ماشِيَةِ أَبْرام ورُعاةِ ماشِيَةِ لُوط (والكَنْعانِيُّونَ والفَرزِيُّونَ حينَئِذٍ مُقيمونَ في الأَرض). [٨]فقالَ أَبْرامُ لِلُوط: «لا تَكُنْ خُصومَةٌ بَيْني وبَينَكَ، ولا بَينَ رُعاتي ورُعاتِكَ، فنَحنُ إِخْوَة(٣٥). [٩]أَلَيسَتِ الأَرضُ كُلُّها أَمامَكَ؟ تَنَحَّ عَنِّي، إِمَّا إِلى اليَسارِ فأَذهَبَ إِلى اليَمين، وإِمَّا الى اليَمينِ فأَذهَبَ إِلى اليَسار».

[١٠]فرفَعَ لُوطٌ عَيْنَيه ورأَى كُلَّ سَهْلِ الأُردُنّ، فإِذا كُلُّه سِقْيٌ(٣٦)، وكانت، قَبلَ أَن دَمَّرَ الرَّبُّ سَدومَ وعَمورة، كَجَنَّةِ الرَّبّ، مِثْلَ أَرضِ مِصْرَ وأَنتَ آتٍ نَحوَ صُوعَر. [١١]فآختارَ لُوطٌ لِنَفْسِه كُلَّ سَهْلِ الأُردُنّ، ورَحَلَ إِلى المَشرِق، وفارَقَ كُلُّ واحِدٍ أَخاه: [١٢]فأَقامَ أَبْرامُ في أَرضِ كَنْعانَ وأَقامَ لُوطٌ في مُدُنِ السَّهْل وخَيَّم حتَّى سَدوم. [١٣]وأَهْلُ سَدومَ أَشْرارٌ خاطِئُونَ إِلى الرَّبِّ جِدًّا.

[١٤]وقالَ الرَّبُّ لِأَبْرام، بَعدَما فارَقَه لُوط: «اِرفَعْ عَينَيكَ وآنظُرْ مِنَ المَكانِ الَّذي أَنتَ فيه شَمالاً وجَنوباً وشَرْقاً وغَرْباً: [١٥]إِنَّ كُلَّ الأَرضِ الَّتي تَراها لَكَ أُعْطيها ولِنَسلِكَ لِلأَبَد. [١٦]وأَجعَلُ نَسلَكَ كَتُرابِ الأَرض، حتَّى إِن أَمكَنَ أَحداً أَن يُحصِيَ تُرابَ الأَرض، فنَسلُكَ أَيضاً يُحصى. [١٧]قُمْ فآمْشِ في الأَرضِ طُولِها وعَرْضِها، فإِنِّي لَكَ أُعْطيها». [١٨]فآنتَقَلَ أَبْرامُ بِخِيامِه وجاءَ فأَقامَ في بَلُّوطِ مَمْرا الَّتي بِحَبْرون وبَنى هُناكَ مَذبَحاً لِلرَّبّ.

(٣٥) أخ هنا بمعنى «ابن أخ».
(٣٦) في نظر الكاتب، لم يكن في ذلك الزمن القديم من بحر ميت يقع اليوم في مكان سدوم وعمورة.

٣ . عند عودة ابراهيم من حملة أنقذ فيها ابن أخيه لوطاً ، لقي أحد ملوك الناحية ، ملكيصادق ، فأعطاه العُشر من غنائمه . فقرَّب ملكيصادق لله العليّ ذبيحة خبز وخمر . ولذلك حُفظ ذكره كصورة للمسيح في سرّ الافخارستيا . إقرأ المزمور ١١٠ حيث يصوِّر ملكيصادق بصورة المشيح ، واقرأ الفصل السابع من الرسالة الى العبرانيين ، التي تطبّقه على كهنوت المسيح .

١٤ [١١]وأَخَذَ الظَّافِرونَ جَميعَ أَمْوالِ سَدومَ وعَمورة وكُلَّ مَؤُونَتِهم ومَضَوا .

[١٢]وأَخذوا لُوطَ آبنَ أَخي أَبْرام وأَمْوالَه ومَضَوا، وكانَ مُقيمًا في سَدوم. [١٣]فجاءَ مَن أَفلَتَ وأَخبرَ أَبْرامَ العِبْرانيّ ، وهو مُقيمٌ عِندَ بلُّوطِ مَمْرا الأَمورِيّ ، أَخي أَشْكولَ وعانِر ، وهُم حُلَفاءُ أَبْرام . [١٤]فلَمَّا سَمِعَ أَبْرامُ أَنَّ أَخاه قد أُسِر ، جَنَّد رِجالَه المُدَرَّبينَ المَولودينَ في بَيتِه ، وعدَدُهُم ثَلاثُ مِئةٍ وثَمانِيَةَ عشَرَ ، وجَدَّ في إِثْرِهِم حَتَّى دان . [١٥]وتَفرَّقَ عَلَيهِم لَيلاً هو ورِجالُه ، فَضَرَبَهم وتَعَقَّبَهم حتَّى حُوبَةَ الَّتي في شَمالِ دِمَشق . [١٦]فآستَرجَعَ جَميعَ الأَمْوال وآستَرَدَّ لُوطاً أَخاه وأَمْوالَه والنِّساءَ والقَوم .

[١٧]وعِندَ رُجوعِ أَبْرامَ، بَعدَ أَن كَسَرَ كَدُرْلاعُومَرَ والمُلوكَ الَّذينَ معَه ، خَرَجَ مَلِكُ سَدومَ لِمُلاقاتِه إِلى وادي شَوَى (وهو وادي المَلِك) . [١٨]وأَخرَجَ مَلْكيصادَق ، مَلِكُ شَليم ، خُبزاً وخَمْراً ، لِأَنَّه كانَ كاهِناً للهِ العَلِيّ . [١٩]وبارَكَ أَبْرامَ وقال :

«على أَبْرامَ بَرَكَةُ اللهِ العَلِيّ خالِقِ السَّمواتِ والأَرض
[٢٠]وتبارَكَ اللهُ العَلِيّ الَّذي أَسلَمَ أَعداءَكَ إِلى يَدَيكَ» .
وأَعْطاه أَبرامُ العُشْرَ مِن كُلِّ شَيء .

٤ .عهد الله مع ابراهيم

اتّكل ابراهيم على إلٰهه، ليحقّق تلك الدعوة الى الإيمان. وقد تجسّمت هذه العلاقات الشخصية أولاً بـ«عَهْد».

١٥ ١بَعدَ هٰذه الأَحْداث كانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى أَبْرامَ في الرُّؤيا قائلاً:

«لا تَخَفْ يا أَبْرام. أَنا تُرسٌ لَكَ، وأَجرُكَ عَظيمٌ جِدًّا».

٢فقالَ أَبْرام: «أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، إِنَّكَ لَم تَرزُقْني نَسْلاً، فهُوَذا رَبيبُ بَيتي يَرِثُني». ٤فإِذا بِكَلِمَةِ الرَّبِّ إِليه قائلاً: «لن يَرِثَكَ هذا، بل من يَخرُجُ مِن أَحْشائِكَ هو يَرِثُكَ». ٥ثُمَّ أَخرَجَه إِلى خارِجٍ وقال: «أُنْظُرْ إِلى السَّماء وأَحْصِ الكواكِبَ إِنِ آستَطَعتَ أَن تُحصِيَها»، ٦وقالَ له: هكذا يَكونُ نَسْلُكَ». فآمَنَ بِالرَّبّ، فحَسِبَ لَه ذلك بِرًّا[٣٧].

٧وقالَ له: «أَنا الرَّبُّ الَّذي أَخرجَكَ مِن أُورِ الكَلْدانِيِّين لِأُعطِيَكَ هذه الأَرضَ مِيراثاً لَكَ». ٨فقالَ: «أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، بِماذا أَعلَمُ أَنِّي أَرِثُها؟». ٩فقالَ لَه: «خُذْ لي عِجلَةً في سَنَتِها الثَّالِثة وعَنزَةً في سَنَتِها الثَّالِثة وكَبْشاً في سَنَتِه الثَّالِثة ويَمامَةً وجوزَلاً». ١٠فأَخَذَ لَه جَميعَ هذه وشطَرَها أَنْصافاً[٣٨]، ثُمَّ جَعَلَ كُلَّ شَطْرٍ قُبالَةَ الآخر، والطَّائرانِ لم يَشطُرْهُما.

١٢ولَمَّا صارَتِ الشَّمسُ إِلى المَغيب، وَقَعَ سُباتٌ عَميقٌ على أَبْرام، فإِذا بِرُعبِ ظُلمَةٍ شَديدةٍ قد وَقَعَ علَيه.

(٣٧) ان دعوة ابراهيم الى الايمان هي نعمة من الله، لكن تلبية هذه الدعوة بأمانة هي استحقاق يحسبه الله له ويجعله «بارًّا».

(٣٨) حركة رمزية: كان المتعاهدان يقبلان أن يُقطَّعا قِطَعاً إن أَخلفا بالتزامهما.

[١٧]فلَمَّا غابَتِ الشَّمسُ وخَيَّمَ الظَّلام ، إذا بِتَنُّورِ دُخانٍ ومِشعَلِ نارٍ[(٣٩)] يَسيرانِ بَينَ تِلكَ القِطَع . [١٨]في ذٰلك اليَوم قَطَعَ الرَّبُّ معَ أَبْرامَ عَهْداً قائلاً :

«لِنَسلِكَ أُعْطي هذه الأَرض» .

٥. مولد اسماعيل

كان الله قد وعد ابراهيم بنسل كثير. ولمَّا كانت ساره عاقراً، اتّخذ ابراهيم، بحسب عادات ذلك الزمن، احدى إماء امرأته، هاجر، زوجةً ثانية له. فولدت له ابناً سمَّاه اسماعيل. وبدا له أن الوعد الإلهي قد تحقَّق.

١٦ [١]وأَمَّا سارايُ آمرَأَةُ أَبْرام، فلَم تَلِدْ لَه. وكانَت لَها خادِمةٌ مِصرِيَّةٌ آسمُها هاجَر. [٢]فقالَت ساراي لِأَبْرام: «هُوَذا قد حَبَسَني الرَّبُّ عنِ الوِلادة، فآدخُلْ على خادِمَتي، لَعَلَّ بَيتي يُبْنى مِنْها». فسَمِعَ أَبْرامُ لِقَولِ ساراي.

[٣]فبَعدَ عَشْرِ سِنينَ مِن إِقامةِ أَبْرامَ في أَرضِ كَنْعان، أَخَذَت ساراي آمرَأَتُه هاجَرَ المِصرِيَّةَ خادِمَتَها فأَعطَتها لِأَبْرامَ زَوجِها لِتَكونَ لَه زَوجَةً. [٤]فدَخَلَ على هاجَر فحَمَلَت. فلَمَّا رَأَت أَنَّها قد حَمَلَت، هانَت سَيِّدَتُها في عَينَيها. [٥]فقالَت ساراي لأَبْرام: «ظُلْمي علَيكَ! إِنِّي وَضَعتُ خادِمَتي في حِضنِكَ، فلَمَّا رَأَت أَنَّها قد حَمَلَت هُنتُ في عَينَيها. لِيَحكُمِ الرَّبُّ بَيني وبَينَكَ». [٦]فقالَ أَبْرامُ لِساراي: «هذِه خادِمَتُكِ في يَدِكِ، فآصنَعي بِها ما يَحسُنُ في عَينَيكِ». فأَذَلَّتْها ساراي، فهَرَبَت من وَجهِها.

(٣٩) رمز يمثّل الله. لا يمرّ ابراهيم في وسط الضحايا، لان الله وحده يهب العهد.

[٧]فوجَدَها مَلاكُ الرَّبِّ[(٤٠)] عِندَ عَينِ ماءٍ في البَرِّيَّة ، عَينِ الماءِ الَّتي في طَريقِ شور . [٨]فقال : «يا هاجَر ، خادِمَةَ ساراي ، مِن أَينَ جِئتِ وإِلى أَينَ تَذهَبين ؟» . قالت : «إِنِّي هارِبَةٌ مِن وَجهِ ساراي سَيِّدَتي» . [٩]فقالَ لَها ملاكُ الرَّبّ : «اِرْجِعي إِلى سَيِّدَتِكِ وتَذَلَّلي تَحتَ يَدَيها» . [١٠]وقالَ لَها مَلاكُ الرَّبّ : «لأُكَثِّرَنَّ نَسلَكِ تَكْثيراً حتَّى لا يُحصى لِكَثرَتِه» . [١١]وقالَ لَها مَلاكُ الرَّبّ :

«ها أَنتِ حامِلٌ وستَلِدينَ آبناً وتُسَمِّينَه إِسْماعيل
لِأَنَّ الرَّبَّ قد سَمِعَ[(٤١)] صَوتَ شَقائكِ .
[١٢]ويَكونُ حِماراً وَحْشِيًّا بَشَرِيًّا يَدُه على الجَميع ويَدُ الجَميعِ علَيه
وفي وَجهِ جَميعِ إِخوَتِه يَسكُن» .

[١٥]ووَلَدَت هاجَرُ لِأَبْرامَ آبناً ، فسَمَّى أَبْرامُ آبنَه الَّذي وَلَدَته هاجَرُ إِسْماعيل . [١٦]وكانَ أَبْرامُ آبنَ سِتٍّ وثَمانينَ سَنَةً حينَ وَلَدَت هاجَرُ إِسْماعيلَ لِأَبْرام .

٦. العهد والختان

هذه الرواية الجديدة للعهد بين الله وابراهيم تضيف أمراً هاماً : علامة هذا العهد هي الختان . يضيف الكاتب ان الله يطلب من ابراهيم فعل ايمان جديداً . ستلد سارة ابناً بالرغم من شيخوختها .

١٧ [١]ولَمَّا كانَ أَبْرامُ آبنَ تِسْعٍ وتِسعينَ سَنَةً ، تَراءى لَه الرَّبُّ وقالَ له :

(٤٠) «ملاك الرب» عبارة أدبية تعني «الرب» .
(٤١) اشتقاق شعبي . اسماعيل يعني «الله سَمِع» .

«أنا اللهُ القدير، فسِرْ أمامي وكُنْ كامِلاً. [٢]سأَجعَلُ عَهْدي بَيني وبَينَكَ وسأُكَثِّرُكَ جِدًّا جِدًّا». [٣]فسقَطَ أَبْرامُ على وَجهِه.

[٤]وخاطَبَه اللهُ قائلاً: [١]«ها أَنا أَجعَلُ عَهْدي معَكَ، فتَصيرُ أَبا عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الأُمَم. [٥]ولا يَكونُ آسمُكَ أَبْرامَ بَعدَ اليَوم، بل يَكونُ آسمُكَ إِبراهيم، لِأَنِّي جَعَلتُكَ أَبا عَدَدٍ كَبيرٍ مِنَ الأُمَم. [٦]وسأُنميكَ جِدًّا جِدًّا وأَجعَلُكَ أُمَماً، ومُلوكٌ مِنكَ يَخرُجون.

[٩]وقالَ اللهُ لِإِبْراهيم: «وأَنتَ فآحفَظْ عَهْدي، أَنتَ ونَسْلُكَ مِن بَعدِكَ مَدى أَجْيالِهِم. [١٠]هذا هو عَهْدي الَّذي تَحفَظونَه بَيني وبَينَكم وبَينَ نَسلِكَ من بَعدِكَ: يُختَنُ كُلُّ ذَكَرٍ مِنكُم. [١١]فتُختَنونَ في لَحمِ قُلفَتِكم، ويَكونُ ذلك عَلامَةَ عَهْدٍ بَيني وبَينَكم. [١٢]وآبنَ ثَمانِيَةِ أَيَّامٍ يُختَنُ كُلُّ ذَكَرٍ مِنكُم مِن جيلٍ إِلى جيل، سَواءٌ أَكانَ مَولوداً في البَيت أَم مُشْتَرًى بِالفِضَّة مِن كُلِّ غَريبٍ لَيسَ مِن نَسلِكَ. [١٣]يُختَنُ المَولودُ في بَيتِكَ والمُشْتَرى بِفِضَّتِكَ، فيَكونُ عَهْدي في أَجسادِكم عَهْداً أَبَدِيًّا.

[١٥]وقالَ اللهُ لِإِبراهيم: «ساراي آمرَأَتُكَ لا تُسَمِّها ساراي، بل سَمِّها سارة. [١٦]وأَنا أُبارِكُها وأَرزُقُكَ مِنها آبناً وأُبارِكُها فتَصيرَ أُمَماً، ومُلوكُ شُعوبٍ مِنها يَخرُجون». [١٧]فسقَطَ إِبْراهيمُ على وَجهِه وضَحِكَ وقالَ في قَلبِه: «أَلِآبنِ مِئةِ سَنَةٍ يُولَدُ وَلَد، أَم سارةُ، وهي آبنَةُ تِسعينَ سَنَةً، تَلِد؟». فقالَ إِبراهيمُ لله: «لَو أَنَّ إِسْماعيلَ يَحيا أَمامَ وَجهِكَ!»(٤٢). [١٩]فقالَ الله: «بل سارةُ آمرَأَتُكَ سَتَلِدُ لَكَ آبناً وسَمِّهِ إِسحق، وأُقيمُ عَهْدي معَه،

(٤٢) يخشى ابراهيم أن يموت اسماعيل.

عَهْداً أَبَدِيًّا، لِأَكونَ لَه إِلهاً ولِنَسلِه مِن بَعدِه. [٢٠] وأَمَّا إِسْماعيلُ فقَد سَمِعتُ قَولَكَ فيه. وهاءَنَذا أُبارِكُه وأُنَمِّيه وأُكَثِّرُه جِدًّا جِدًّا، ويَلِدُ اَثنَي عَشَرَ رَئيساً(٤٣)، وأَجعَلُه أُمَّةً عظيمة. [٢١] غَيرَ أَنَّ عَهْدي أُقيمُه معَ إِسْحقَ الَّذي تَلِدُه لَكَ سارةُ في مِثلِ هذا الوَقتِ مِنَ السَّنَةِ المُقبِلة». [٢٢] فلَمَّا اَنتَهى اللهُ مِن مُخاطَبَةِ إِبْراهيم، اِرْتَفَعَ عنه.

٧. طريقة أخرى لوصف الالفة بين الله وابراهيم: الضيافة

١٨ [١] وتَراءى الرَّبُّ لَه عِندَ بَلُّوطِ مَمْرا(٤٤)، وهو جالسٌ بِبابِ الخَيمَة، عِندَ اَحتِدادِ النَّهار. [٢] فرفَعَ عَينَيه ونَظَرَ، فإِذا ثَلاثَةُ رِجالٍ واقِفونَ بِالقُربِ مِنه. فلَمَّا رَآهُم، بادرَ إِلى لِقائِهم مِن بابِ الخَيمَة وسَجَدَ إِلى الأَرض. [٣] وقال: «سَيِّدي، إِن نِلتُ حُظْوَةً في عَينَيكَ، فلا تَجُزْ عن عَبدِكَ، [٤] فيُقَدَّمَ لكم قَليلٌ مِنَ الماء فتَغسِلونَ أَرجُلَكم وتَستَريحونَ تَحتَ الشَّجَرَة، [٥] وأُقَدِّمُ كِسرَةَ خُبْزٍ فتُسنِدونَ بِها قُلوبَكم ثُمَّ تَمضونَ بَعدَ ذلك، فإِنَّكم لِذلِك جُزتُم بِعَبدِكم». قالوا: «اِفعَلْ كما قُلتَ».

[٦] فأَسرَعَ إِبراهيمُ إِلى الخَيمَةِ إِلى سارةَ وقال: «هَلُمِّي بِثَلاثَةِ أَصْواعٍ مِنَ السَّميدِ النَّاعِم فاَعجِنيها واَصنَعيها فَطائر». [٧] وبادَرَ إِبْراهيمُ الى البَقَر، فأَخَذَ عِجلاً رَخصاً طَيِّباً وسَلَّمَه إِلى الخادِم فأَسرَعَ في إِعْدادِه. [٨] ثُمَّ أَخَذَ لَبَناً وحَليباً والعِجْلَ الَّذي أَعَدَّه وجَعَلَ ذلك بَينَ أَيْديهِم وهو واقِفٌ بِالقُربِ مِنهم تَحتَ الشَّجرة، فأَكلوا.

(٤٣) إضافة غامضة المعنى.
(٤٤) جوار حبرون.

[٩]ثُمَّ قالوا لَه : «أَينَ سارةُ ٱمرَأَتُكَ ؟» قال : «هي في الخَيمة» . [١٠]قال : «سأَعودُ إِلَيكَ في مِثْلِ هذا الوَقْت ، ويَكونُ لِسارَة ٱمرَأَتِكَ ٱبنٌ» . وكانَت سارةُ تَتَسمَّعُ عِندَ بابِ الخَيمَةِ الَّذي وَراءَه . [١١]وكانَ إِبْراهيمُ وسارةُ شَيخَينِ طاعِنَينِ في السِّنّ ، وقَدِ ٱنقَطَعَ عن سارةَ ما يَجْري لِلنِّساء . [١٢]فضَحِكَت سارةُ في نَفسِها قائلَةً : «أَبَعْدَ هَرَمي أَعرِفُ اللَّذَّةَ ، وسَيِّدي قد شاخ ؟» [١٣]فقالَ الرَّبُّ لإِبْراهيم : «ما بالُ سارةَ قد ضَحِكَت قائلَةً : أَحَقاً أَلِدُ وقَد شِخْتُ ؟ [١٤]هَل مِن أَمْرٍ يُعجِزُ الرَّبّ ؟ في مِثْلِ هذا الوَقْتِ أَعودُ إِلَيكَ ويَكونُ لِسارةَ ٱبنٌ» . [١٥]فأَنكَرَت سارةُ قائلة : «لم أَضحَكْ» ، ذلك بأَنَّها خافَت . فقال : «لا ، بل ضَحِكْتِ» .

٨. وصف أخير للالفة بين ابراهيم والله

نوع من المساومة ، نكتشف من خلالها صلاة تشفّع رائعة .

[١٦]ثُمَّ قامَ الرِّجالُ مِن هُناكَ وٱتَّجَهوا نَحوَ سَدوم ، ومَضى إِبْراهيمُ مَعَهم لِيُشَيِّعَهم . [١٧]فقالَ الرَّبّ(٤٥) : «أَأَكتُمُ عن إِبْراهيمَ ما أَنا صانِعُه ، [١٨]وإِبْراهيمُ سيَصيرُ أُمَّةً كبيرةً مُقتَدِرةً وتَتَبارَكُ بِه أُمَمُ الأَرضِ كلُّها ؟ [١٩]وقدِ ٱختَرتُه لِيُوصِيَ بَنيه وبَيتَه مِن بَعدِه بِأَن يَحفَظوا طَريقَ الرَّبِّ لِيَعمَلوا بِالبِرِّ والعَدْل ، حتَّى يُنجِزَ الرَّبُّ لإِبْراهيمَ ما وَعَدَه بِه» . [٢٠]فقالَ الرَّبّ : «إِنَّ الصُّراخَ على سَدومَ وعَمورَةَ قدِ ٱشتَدَّ وخَطيئَتَهم قد ثَقُلَت جِدًّا . [٢١]أَنزِلُ وأَرى هَل فَعَلوا أم لا بِحَسَبِ ما بَلَغَني مِن صُراخٍ علَيها ، فأَعلَم» .

(٤٥) شخصان من هؤلاء الاشخاص الغامضين الثلاثة يسمَّيان رَجُلين في الآية ٢٢. أمّا الثالث فيُدلّ عليه باسم «الرب» في المشهد كله .

[٢٢]وآنصَرَفَ الرَّجُلانِ مِن هُناكَ ومَضَيا نَحوَ سَدوم، وبَقِيَ إِبْراهيمُ واقِفاً أَمامَ الرَّبّ. [٢٣]فتَقَدَّمَ إِبْراهيمُ وقال: «أَحَقًّا تُهلِكُ البارَّ مع الشِّرِّير؟ [٢٤]لعلَّه يُوجَدُ خَمْسونَ بارًّا في المدينة، أَحَقًّا تُهلِكُها ولا تَصْفَحُ عَنها مِن أَجلِ الخَمْسينَ بارًّا الَّذينَ فيها؟ [٢٥]حاشَ لَكَ أَن تَصنَعَ مِثلَ هذا: أَن تُميتَ البارَّ مع الشِّرِّير، فيَكونُ البارُّ كالشِّرِّير. حاشَ لَكَ! أَدَيَّانُ الأَرضِ كُلِّها لا يَدينُ بِالعَدْل؟». [٢٦]فقالَ الرَّبّ: «إِن وجَدتُ في سَدومَ خَمْسينَ بارًّا في المَدينة، فإِنِّي أَصْفَحُ عن المَكانِ كُلِّه مِن أَجلِهم».

[٢٧]فأَجابَ إِبْراهيمُ وقال: «قد أَقدَمتُ على الكلامِ مع سَيِّدي، وأَنا تُرابٌ ورَماد. [٢٨]لَرُبَّما نَقَصَ الخَمْسونَ بارًّا خَمْسَةً، أَفَتُهلِكُ المَدينةَ كُلَّها بِسَبَبِ الخَمْسَة؟» [٢٩]فقال: «لا أُهلِكُها، إِن وَجَدتُ هُناكَ خَمسَةً وأَربَعين». ثُمَّ عادَ أَيضاً وكَلَّمَه فقال: «لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ أَربَعون». فقال: «لا أَفعَلُ مِن أَجْلِ الأَرْبَعين».

[٣٠]قالَ إِبْراهيم: «لا يَغضَبْ سَيِّدي أَن أَتَكَلَّم: لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ ثَلاثون». فقال: «لا أَفعَل، إِن وَجَدتُ هُناكَ ثَلاثين». [٣١]قال: «قد أَقدَمتُ على الكَلامِ مع سَيِّدي: لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ عِشْرون». قال: «لا أُهلِكُ مِن أَجْلِ العِشْرين». [٣٢]فقال: «لا يَغضَبْ سَيِّدي، أَن أَتَكَلَّمَ أَيضاً هذه المَرَّةَ الأَخيرة: لَرُبَّما وُجِدَ هُناكَ عَشَرَة». قال: «لا أُهلِكُ مِن أَجْلِ العَشَرَة».

[٣٣]ومَضى الرَّبُّ عِندَما آنْتَهى مِنَ الكَلامِ معَ إِبْراهيم، ورَجَعَ إِبْراهيمُ إِلى مَكانِه.

٩. تدمير سدوم

ان الرب هو اله بارّ، يكافئ ايمان ابراهيم، ولكنه يعاقب سوء سلوك سكّان سدوم وعمورة. كان لوط «بارًا»، فنال الخلاص.

١٩ [١٥]فلَمَّا طَلَعَ الفَجْر، أَلَحَّ المَلاكانِ على لُوطٍ قائِلَين: «قُمْ فخُذِ آمرَأَتَكَ وآبنَتَيكَ المَوجودَتَينِ هُنا، لِئَلاَّ تَهلِكَ بِعِقابِ المَدينة». [١٦]فتَرَدَّدَ لُوط، فأَمسَكَ الرَّجُلانِ بِيَدِهِ وبِيَدِ آمرَأَتِه وآبنَتَيه، لِشَفَقَةِ الرَّبِّ علَيه، وأَخْرَجاه ووَضَعاه خارِجَ المَدينة.

[١٧]فلَمَّا أَخْرَجاهم إِلى خارِجٍ قالا: «أُنْجُ بِنَفسِكَ. لا تَلتَفِتْ إِلى وَرائِكَ ولا تَقِفْ في السَّهلِ كُلِّه، وآنْجُ إِلى الجَبَلِ لِئَلاَّ تَهلِك». [١٨]فقالَ لَهُما لُوط: «لا، أَرْجوكَ، يا سيِّدي. [١٩]إِنَّ عَبدَكَ قد نالَ حُظْوَةً في عَينَيكَ، وعَظُمَت رَحمَتُكَ الَّتي صَنَعتَها إِلَيَّ بِإِبْقائِكَ على حَياتي. إِنِّي لا أَستَطيعُ النَّجاةَ إِلى الجَبَلِ دونَ أَن يَلحَقَ بِيَ الشَّرُّ فأَموت. [٢٠]ها إِنَّ هذه المَدينةَ قَريبَةٌ لِلْهَرَبِ إِلَيْها، وهي صَغيرة، فدَعْني أَنْجو إِلَيها - أَلَيسَت صَغيرة؟ - فتَحْيا نَفْسي». [٢١]فقالَ لَه: «هاءَنذا قد أَكرَمتُ وَجهَكَ في هذا الأَمرِ أَيضاً بِأَن لا أَقلِبَ المَدينةَ الَّتي ذَكَرتَها. [٢٢]أَسرِعْ بِالنَّجاةِ إِلى هُناكَ، فإِنِّي لا أَستَطيعُ أَن أَعمَلَ شَيئاً إِلى أَن تَصيرَ إِلَيها». لِذلكَ سُمِّيَتِ المَدينةُ صُوعَر.

[٢٣]ولَمَّا أَشرَقَتِ الشَّمسُ على الأَرض، دَخَلَ لُوطٌ صُوعَر. [٢٤]وأَمطَرَ الرَّبُّ على سَدومَ وعَمورةَ كِبْريتاً وناراً مِنَ السَّمَوات، [٢٥]وقلَبَ تِلكَ المُدُنَ وكُلَّ السَّهْلِ وجَميعَ سُكَّانِ المُدُنِ ونَباتَ الأَرض. [٢٦]فآلتَفَتَتِ آمرَأَةُ لُوطٍ إِلى وَرائِها فصارَت نُصْبَ مِلْح.

[٢٧]فبَكَّرَ إِبْراهيمُ إِلى المَكانِ الَّذي وَقَفَ فيه أَمامَ الرَّبّ ، [٢٨]وتَطَلَّعَ إِلى جِهَةِ سَدومَ وعَمورةَ وأَرضِ السَّهْلِ كُلِّها ونَظَرَ، فإِذا دُخانُ الأَرضِ صاعِدٌ كَدُخانِ الأَتّون .

[٢٩]ولَمَّا أَهلَكَ اللهُ مُدُنَ السَّهْلِ ، ذَكَرَ اللهُ إِبْراهيم فَآنتَشَلَ لوطاً مِن وَسَطِ الكارِثة ، حينَ قَلَبَ المُدُنَ الَّتي كانَ لُوطٌ مُقيماً فيها .

١٠. مكافأة الايمان : مولد اسحق

الموعد يتحقّق . لكن الضعف البشري يبقى ، فإن حسد سارة لن يعرف الحدّ .

٢١ [١]وآفتَقَدَ الرَّبُّ سارةَ كما قال ، وصَنَعَ الرَّبُّ إِلى سارةَ كما قال . [٢]فحَمَلَت سارةُ ووَلَدَت لإِبْراهيمَ آبناً في شَيخوخَتِه في الوَقتِ الَّذي وَعَدَ اللهُ بِه . [٣]فسمَّى إِبْراهيمُ آبنَه المَولودَ له ، الَّذي وَلَدَته لَه سارة ، إِسحق . [٤]وخَتَنَ إِبْراهيمُ إِسحق آبنَه ، وهو آبنُ ثَمانِيَةِ أَيَّام ، بِحَسَبِ ما أَمَرَه اللهُ بِه . [٥]وكانَ إِبْراهيمُ آبنَ مِئَةِ سَنَةٍ حينَ وُلِدَ لَه إِسحقُ آبنُه . [٦]وقالَت سارة : «جَعَلَ اللهُ لي ما يُضحِكُ[٤٦] ، فكُلُّ من سَمِعَ بِذلك يَضحَكُ بِشَأني» . [٧]وقالَت :

«مَن كانَ يَقولُ لِإِبْراهيم : إِنَّ سارة سَتُرضِعُ البَنين !
فقد وَلَدتُ آبناً لِشَيخوخَتِه» .

[٨]وكَبِرَ الوَلَدُ وفُطِم ، وأَقامَ إِبْراهيمُ مَأدُبةً عَظيمةً في يَومِ فِطامِ إِسحق . [٩]ورَأَت سارةُ آبنَ هاجَرَ المِصرِيَّةِ الَّذي وَلَدَته لِإِبْراهيمَ يَلعَبُ مع آبنِها إِسحق . [١٠]فقالَت لِإِبْراهيم : «أُطرُدْ هذه الخادِمةَ وآبنَها ، فإِنَّ آبنَ هذه

(٤٦) اشتقاق شعبي هنا أيضاً . اسم اسحق يعني «الله ابتسم» .

الجارِيَةِ لَن يَرِثَ مع آبْني إِسحق». [١١]فساءَ هذا الكَلامُ جِدًّا في عَينَي إِبْراهيمَ بِشَأْنِ آبنِه. [١٢]فقالَ اللهُ لإِبراهيم: «لا يَسُؤْ في عَينَيكَ أَمْرُ الصَّبِيِّ وأَمْرُ خادِمَتِكَ. مَهْما قالَت لَكَ سارة، فآسمَعْ لِقَولِها، لِأَنَّه بِإِسحقَ يَكونُ لَكَ نَسْلٌ بِآسمِكَ. [١٣]وأَمَّا آبنُ الخادِمَة، فهو أَيضاً أَجعَلُه أُمَّةً عظيمةً، لِأَنَّه نَسلُكَ». [١٤]فبَكَّرَ إِبْراهيمُ في الصَّباحِ وأَخَذَ خُبزاً وقِربَةَ ماء فأَعطاهُما هاجَر وجَعَلَ الوَلَدَ على كَتِفِها، وصَرَفَها.

فمَضَت وتاهَت في بَرِّيَّةِ بِئرَ سَبْع. [١٥]ونَفِدَ الماءُ مِنَ القِربَة، فطَرَحَتِ الوَلَدَ تَحتَ بَعضِ الشِّيح. [١٦]ومَضَت فَجَلَسَت تُجاهَه على بُعدِ رَميَةِ قَوس، لِأَنَّها قالَت: «لا رأَيتُ مَوتَ الوَلَد!». فجَلَسَت تُجاهَه، ورَفَعَت صَوتَها وبَكَت.

[١٧]وسَمِعَ اللهُ صَوتَ الصَّبِيّ، فنادى مَلاكُ الرَّبِّ هاجَرَ مِنَ السَّماءِ وقالَ لها: «ما لَكِ يا هاجَر؟ لا تخافي، فإِنَّ اللهَ قد سَمِعَ صَوتَ الصَّبِيِّ حَيثُ هو. [١٨]قومي فخُذي الصَّبِيَّ وشُدِّي علَيه يَدَكِ، فإِنِّي جاعِلُه أُمَّةً عظيمة». [١٩]وفَتَحَ اللهُ عَينَيها فرأَت بِئرَ ماءٍ، فمَضَت ومَلأَتِ القِرْبَةَ ماءً وسَقَتِ الصَّبِيّ.

[٢٠]وكانَ اللهُ معَ الصَّبِيِّ حتَّى كَبِرَ فأَقامَ بِالبَرِّيَّة وكانَ رامِياً بِالقوس. [٢١]وأَقامَ بِبَرِّيَّةِ فاران، واتَّخَذَت لَه أُمُّه آمرَأَةً مِن أَرضِ مِصْر[٤٧].

١١. ذروة ايمان ابراهيم: تقريب اسحٰق ذبيحةً

في ذلك الزمان، كانت الذبائح البشرية شائعة. فظنّ ابراهيم أن أروع ذبيحة

(٤٧) اسماعيل هو جدّ العرب بحسب التقليد.

يمكنه أن يقرّبها لله هي ابنه الوحيد. ولكن، ماذا يصبح الوعد بنسل كثير؟ في مثل هذه الاحوال يتفوّق الايمان على إمكانيات الانسان الظاهرة. لكن الله لا يقبل هذه الذبيحة، بل يجدّد لإبراهيم ما سبق أن وعده به.

٢٢ [١]وكانَ بَعدَ هذه الأَحْداثِ أَنَّ اللهَ آمتَحَنَ إِبْراهيمَ فقالَ له: «يا إِبْراهيم». قالَ: «هاءَنَذا». [٢]قال: «خُذِ آبنَكَ وحيدَكَ الَّذي تُحِبُّه، إِسحق، وآمضِ إِلى أَرضِ الموريَّا وأَصعِدْه هُناكَ مُحرَقَةً على أَحَدِ الجِبالِ الَّذي أُريكَ».

[٣]فبَكَّرَ إِبْراهيمُ في الصَّباحِ وشَدَّ على حِمارِه وأَخَذَ معَه آثنَينِ مِن خَدَمِه وإِسحٰقَ آبنَه وشقَّقَ حَطَباً لِلمُحرَقَة، وقامَ ومَضى إِلى المَكانِ الَّذي أَراه اللهُ إِيَّاه. [٤]وفي اليَومِ الثالِث، رَفَعَ إِبْراهيمُ عَينَيه فرأَى المَكانَ مِن بَعيد. [٥]فقالَ إِبْراهيمُ لِخادِمَيه: «أُمكُثا أَنتُما هٰهُنا معَ الحِمار، وأَنا والصَّبِيُّ نَمْضي إِلى هُناكَ فَنَسجُدُ ونَعودُ إِلَيكُما».

[٦]وأَخَذَ إِبْراهيمُ حَطَبَ المُحرَقَة وجَعَلَه على إِسحقَ آبنِه، وأَخَذَ بِيَدِه النَّارَ والسِّكِّين وذَهَبا كِلاهُما معاً. [٧]فكَلَّمَ إِسحقُ إِبْراهيمَ أَباه قال: «يا أَبَتِ». قال: «هاءَنذا»، يا بُنَيَّ». قال: «هذه النَّارُ والحَطَب، فأَينَ الحَمَلُ لِلمُحرَقة؟» [٨]فقالَ إِبْراهيم: «اللهُ يَرَى لِنَفْسِه الحَمَلَ لِلمُحرَقةِ، يا بُنَيَّ» ومَضَيا كِلاهُما معاً.

[٩]فلَمَّا وَصَلا إِلى المَكانِ الَّذي أَراه اللهُ إِيَّاه، بَنى إِبْراهيمُ هُناكَ المَذبَح ورتَّبَ الحَطَب ورَبَطَ إِسحقَ آبنَه وجَعَلَه على المَذبَحِ فَوقَ الحَطَب. [١٠]ومَدَّ إِبْراهيمُ يَدَه فأَخَذَ السِّكِّينَ لِيَذبَحَ آبنَه.

[١١]فناداه مَلاكُ الرَّبِّ مِنَ السَّماءِ قائِلاً: «إِبْراهيمُ إِبْراهيمُ!» قال:

«هاءَنذا». [١٢] قال: «لا تَمُدَّ يَدَكَ إلى الصَّبِيّ ولا تَفْعَلْ بِه شَيئاً، فإِنِّي الآنَ عَرَفتُ أَنَّكَ مُتَّقٍ لله، فلم تُمْسِكْ عنِّي آبنَكَ وَحيدَكَ». [١٣] فرَفَعَ إِبْراهيمُ عَينَيه ونَظَر، فإِذا بِكَبشٍ واحِدٍ عالِقٍ بِقَرنَيه في دَغَل. فعَمَدَ إِبْراهيمُ إِلى الكَبْشِ وأَخَذَه وأَصعَدَه مُحرَقَةً بَدَلَ آبنِه.

[١٥] ونادى مَلاكُ الرَّبِّ إِبْراهيمَ ثانِيَةً مِنَ السَّماءِ [١٦] وقال: «بِنَفْسي حلَفْتُ، يَقولُ الرَّبّ، بِمَا أَنَّكَ فَعَلتَ هذا الأَمرَ ولَم تُمسِكْ عنِّي آبنَكَ وَحيدَكَ، [١٧] لَأُبارِكَنَّكَ وأُكَثِّرَنَّ نَسلَكَ كنُجومِ السَّماء وكالرَّملِ الَّذي على شاطِئِ البحر، ويَرِثُ نَسلُكَ مُدُنَ أَعدائِه[٤٨]، [١٨] ويَتَبارَكُ بِنَسلِكَ جَميعُ أُمَمِ الأَرض، لأَنَّكَ سَمِعتَ قَولي».

[١٩] ثُمَّ رَجَعَ إِبْراهيمُ إِلى خادِمَيه، فقاموا ومَضَوا مَعاً إِلى بِئرَ سَبْع، وأَقامَ إِبْراهيمُ في بِئرَ سَبْع.

١٢. موت سارة

اشترى ابراهيم مغارة مكفيلة ليدفن فيها سارة، فحصل على حقّ في أرض الميعاد.

٢٣ [١] وكانَت سِنو عُمْرِ سارةَ مِئَةً وسَبْعاً وعِشْرينَ سَنَة. [٢] وماتت سارةُ في قِرْيَةَ أَربَع، وهي حَبْرون، في أَرضِ كَنْعان. فأَقبَلَ إِبْراهيمُ يَندُبُ سارةَ ويَبْكيها.

[٣] وقامَ إِبْراهيمُ مِن أَمامِ مَيتِه وكَلَّمَ بَني حِثٍّ [٤] قائلاً: «أَنا نَزيلٌ ومُقيمٌ عِندكم. أَعْطوني مِلْكَ قَبْرٍ عِندكم فأَدفِنَ مَيتي مِن أَمامِ وَجْهي».

(٤٨) كانت عبارة «سيّد باب مدينة» تعني تملّك تلك المدينة. فوراثة باب الاعداء كانت تعني السيطرة عليهم.

[١٧]فحَقْلُ عَفْرونَ الَّذي في المَكْفيلةِ الَّتي تُجاهَ مَمْرا، الحَقْلُ والمغارَةُ الَّتي فيه، وكُلُّ ما فيه من الشَّجَر بِجَميعِ حُدودِه المُحيطَةِ بِه، [١٨]ذلِكَ كُلُّه أَصبَحَ مِلْكاً لِإِبْراهيمَ بِمَشهَدِ بَني حِثّ وكُلِّ مَن دَخَلَ بابَ مَدينَتِه. [١٩]وبَعدَ ذلك، دَفَنَ إِبْراهيمُ سارةَ آمرَأَتَه في مَغارةِ حَقْلِ المَكْفيلة تُجاهَ مَمْرا، وهي حَبْرون، في أَرْضِ كَنْعان.

١٣. زواج اسحق

٢٤ [١]وشاخَ إِبْراهيمُ وطَعَنَ في السِّنّ، وكانَ الرَّبُّ قد بارَكَ إِبْراهيمَ في كلِّ شَيء. [٢]وقالَ إِبْراهيمُ لِأَقدَمِ خُدَّامِ بَيتِه، المُوَلَّى على جَميعِ ما لَه: «ضَعْ يَدَكَ تَحتَ فَخِذي(٤٩)، [٣]فأَستَحلِفَكَ بِالرَّبِّ، إِلهِ السَّماءِ وإِلهِ الأَرض، أَن لا تَأخُذَ زَوجَةً لِآبْني مِن بَناتِ الكَنْعانِيِّينَ الَّذينَ أَنا مُقيمٌ في وَسْطِهِم، [٤]بل إِلى أَرْضي وإِلى عشيرتي تَذهَبُ وتأخُذُ زَوجَةً لِآبْني إِسحٰق». [٥]فقالَ لَه الخادِم: «لَعَلَّ المَرأَةَ لا تُريدُ أَن تَتبَعَني إِلى هذه الأَرض، فهَل أَرُدُّ آبنَكَ إِلى الأَرضِ الَّتي خَرجتَ مِنها؟» [٦]فقالَ لَه إِبْراهيم: «إِيَّاكَ أَن تَرُدَّ آبْني إِلى هُناكَ. [٧]إِنَّ الرَّبَّ، إِلهَ السَّماءِ وإِلهَ الأَرض، الَّذي أَخَذَني مِن بَيتِ أَبي ومِن مَسقَطِ رأسي، والَّذي كَلَّمَني والَّذي أَقسَمَ لي قائِلاً: لِنَسلِكَ أُعطي هذه الأَرض، هو يُرسِلُ مَلاكَه أَمامَكَ فتَأخُذُ زَوجَةً لِآبْني مِن هُناك. [٨]وإِن لم تُرِدِ المَرأَةُ أَن تَتبَعَكَ، فأَنتَ بَريءٌ مِن قَسَمي هذا. أَمَّا آبْني فلا تَرجِعْ بِه إِلى هُناكَ». [٩]فوَضَعَ الخادِمُ يَدَه تَحتَ فَخِذِ سَيِّدِه وحلَفَ له على ذلك.

(٤٩) حركة قديمة كانت ترافق أداء القَسَم.

[١٠]وأَخَذَ الخادِمُ عَشَرَةَ جِمالٍ مِن جِمالِ سَيِّدِه ومضى، وفي يَدِه مِن خَيراتِ سَيِّدِه كُلِّها، وقامَ ومضى إِلى أَرامِ النَّهرَين، إِلى مَدينةِ ناحور. [١١]فأَناخَ الجِمالَ خارِجَ المَدينة، بِالقُربِ مِن بِئرِ الماء، عِندَ المَساء، وَقتَ خُروجِ المُستَقِيات. [١٢]وقال: «أَيُّها الرَّبّ، إِلهُ سَيِّدي إِبْراهيم، يَسِّرْ لِيَ اليَومَ وآصنَعْ رَحمَةً إِلى سَيِّدي إِبْراهيم! [١٣]هاءَنذا واقِفٌ بِالقُربِ مِن عَينِ الماء، وبَناتُ أَهْلِ المَدينةِ خارِجاتٌ لِيَستَقينَ ماءً. [١٤]فَلْيَكُنْ أَنَّ الفَتاةَ الَّتي أَقولُ لَها: أَميلي جَرَّتَكِ حتَّى أَشرَب، فتَقول: اِشْرَبْ، وأَنا أَسْقي جِمالَكَ أَيضاً، تَكونُ هي الَّتي عَيَّنتَها لِعَبدِكَ إِسحق، وبِذلك أَعلَمُ أَنَّكَ صَنَعتَ رَحمَةً إِلى سَيِّدي».

[١٥]فكانَ قَبلَ الانتِهاءِ مِن كَلامِه أَن خَرَجَت رِفقَةُ الَّتي وُلِدَت لِبَتوئيل، اِبْنِ مِلْكَة، اِمْرَأَةِ ناحور، أَخي إِبْراهيم، وجَرَّتُها على كَتِفِها. [١٦]وكانَتِ الفَتاةُ جَميلَةَ المَنظَرِ جِدًّا، عَذْراءَ لم يَعرِفْها رَجُل. فنَزَلَت إِلى العَين وملأَت جَرَّتَها وصَعِدَت. [١٧]فأَسرَعَ الخادِمُ إِلى لِقائِها وقال: اِسْقيني قليلاً مِن ماءِ جَرَّتِكِ». [١٨]فقالت: «اِشْرَبْ يا سَيِّدي»، وأَسرَعَت فأَنزَلَت جَرَّتَها على يَدِها وسَقَته. [١٩]ولَمَّا آنتَهَت مِن سَقْيِه، قالت: «أَستَقي لِجمالِكَ أَيضاً حتَّى تَنتَهِيَ مِنَ الشُّرْب». [٢٠]وأَسرَعَت وأَفرَغَت جَرَّتَها في المَسْقاة وأَسرَعَت أَيضاً إِلى البِئرِ لِتَستَقِيَ، فآستَقَت لِجَميعِ جِمالِه. [٢١]وبَقِيَ الرَّجُلُ مُتَأَمِّلاً إِيَّاها صامِتاً، لِيَعلَمَ هَل أَنجَحَ اللهُ طَريقَه أَم لا.

[٢٢]فلَمَّا فَرَغَتِ الجِمالُ مِن شُرْبِها، أَخَذَ الرَّجُلُ حَلقَةَ أَنْفٍ مِن ذَهَب

وَزْنُها نِصْفُ مِثْقال[٥٠] وسِوارَينِ لِيَدَيها وَزْنُهما عَشَرَةُ مَثاقيلِ ذَهَب، [٢٣]وقال: «بِنْتُ مَن أَنتِ؟ أَخْبِريني هل في بَيتِ أَبيكِ مَوضِعٌ نَبيتُ فيه؟» [٢٤]فقالَت لَه: «أَنا آبنَةُ بَتوئيلَ آبنِ مِلْكَةَ الَّذي وَلَدَته لِناحور». [٢٥]وقالت لَه: «عِندَنا كَثيرٌ مِنَ التِّبنِ والعَلَف ومَوضِعٌ لِلمَبيتِ أَيضاً». [٢٦]فآنحَنى وسَجَدَ لِلرَّبّ، [٢٧]وقال: «تَبارَكَ الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدي إِبْراهيمَ الَّذي لم يَقْطَعْ رَحمَتَه ووَفاءَه عن سَيِّدي وهَداني في طَريقي إِلى بَيتِ أَخي سَيِّدي».

[٢٨]فرَكَضَتِ الفَتاةُ وأَخبَرَت بَيتَ أُمِّها بِهذِه الأُمور. [٢٩]وكانَ لِرِفقَةَ أَخٌ آسمُه لابان، فرَكَضَ لابانُ إِلى الرَّجُلِ، إِلى العَينِ، خارِجاً. [٣٠]وكانَ أَنَّه، إِذ رأَى الحَلَقَةَ والسِّوارَينِ في يَدَي أُختِه وسَمِعَ كَلامَ رِفْقَةَ أُخْتِه قائِلةً: كذا خاطَبَني الرَّجُل، ذَهَبَ إِلَيه، فإِذا هو واقِفٌ مع الجِمالِ عِندَ العَين. [٣١]فقال: «أُدخُلْ، يا مُبارَكَ الرَّبّ، لِماذا تَقِفُ خارِجاً، فإِنِّي قد هَيَّأتُ البَيتَ وموضِعاً لِلجِمال». [٣٢]وأَدخَلَ الرَّجُلَ إِلى البَيت وحَلَّ عنِ الجِمال وطَرَحَ لَها تِبْناً وعَلَفاً، وأَعطى الرَّجُلَ ماءً لِيَغسِلَ رِجْلَيه وأَرجُلَ القَوم الَّذينَ معَه.

[٣٣]ثُمَّ وُضِعَ الطَّعامُ أَمامَه لِيأكُل، فقال: «لا آكُلُ حتَّى أَقولَ ما عِنْدي». فقالَ لَه لابان: «قُلْ». [٣٤]قالَ: «أَنا خادِمُ إِبْراهيم، [٣٥]والرَّبُّ قد بارَكَ سَيِّدي جِدًّا فصارَ غَنِيًّا: رزَقَه غَنَماً وبَقَراً وفِضَّةً وذَهَباً وخَدَماً وخادِماتٍ وجِمالاً وحَميراً. [٣٦]ووَلَدَت سارةُ آمرَأَةُ سَيِّدي آبناً لِسَيِّدي،

(٥٠) المثقال = ٤،١١ غرام. وكان يُستعمل أيضاً في المساومات النقدية.

بَعدَ أَن شاخَت ، فأعْطاه جَميعَ ما له . [٣٧]وقدِ آستَحلَفَني سَيِّدي قائلاً : لا تأخُذْ لِآبنِيَ آمرَأَةً مِن بَناتِ الكَنْعانيّينَ الَّذينَ أَنا مُقيمٌ بِأَرضِهِم ، [٣٨]بل إِلى بَيتِ أَبي وإِلى عَشيرَتي تَذهَبُ وتأخُذُ آمرَأَةً لِآبْني . [٣٩]فقُلتُ لِسَيِّدي : لَعَلَّ المَرأَةَ لا تَتبَعُني . [٤٠]فقالَ لي : إِنَّ الرَّبَّ الَّذي سِرتُ أَمامَه يُرسِلُ مَلاكَه مَعَكَ ويُنجِحُ طريقَكَ، فتَأخُذُ آمرَأَةً لِآبْني مِن عَشيرَتي ومِن بَيتِ أَبي . [٤١]حينَئِذٍ تَبرَأُ مِن دُعائي عَلَيكَ ، لِأَنَّكَ تَكونُ قد ذَهبتَ إِلى عَشيرَتي . وإِن هُم لم يُعْطوكَ، كُنتَ بَريئاً مِن دُعائي عليكَ. [٤٢]فجِئتُ اليَومَ إِلى العَينِ فقُلتُ : أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدي إِبْراهيم ، إِن كُنتَ تُنجِحُ طَريقِيَ الَّذي أَنا سائِرٌ فيه ، [٤٣]فهاءَنَذا واقِفٌ على عَينِ الماء . فالفَتاةُ الَّتي تَخرُجُ لِتَستَقِيَ، فأَقولُ لَها : اِسْقيني قَليلاً مِنَ الماءِ مِن جَرَّتِكِ، [٤٤]فتَقولُ لي : اِشْرَبْ، وأَنا أَستَقي لِجِمالِكَ أَيضاً ، تَكونُ هيَ المَرأَةَ الَّتي عَيَّنَها الرَّبُّ لِآبنِ سَيِّدي . [٤٥]وقَبلَ أَن أَنتَهِيَ مِنَ الكَلامِ في قَلْبي ، إِذا بِرِفقَةَ خارِجةٌ وجَرَّتُها على كَتِفِها ، فنَزَلَت إِلى العَينِ وآستَقَت . فقُلتُ لها : اِسْقيني . [٤٦]فأَسرَعَت وأَنزَلَت جَرَّتَها وقالَت : اِشْرَبْ ، وأَنا أَسْقي جِمالَكَ أَيضاً . فشَرِبتُ ، وسَقَتِ الجِمالَ أَيضاً . [٤٧]فسأَلْتُها وقُلتُ : بِنتُ مَن أَنتِ ؟ فقالَت : بِنتُ بَتوئيلَ بْنِ ناحورَ الَّذي وَلَدَته لَه مِلْكَة . فجَعَلتُ الحَلَقَةَ في أَنفِها والسِّوارَينِ في يَدَيها . [٤٨]وآرتَمَيتُ إِلى الأَرضِ وسَجَدتُ لِلرَّبِّ وبارَكْتُ الرَّبَّ إِلهَ سَيِّدي إِبْراهيمَ الَّذي هَداني طريقاً صالِحاً لِآخُذَ آبنَةَ أَخي سَيِّدي لِآبنِه . [٤٩]والآن إِن كُنتُم صانِعينَ رَحمَةً ووَفاءً إِلى سَيِّدي ، فأَعلِموني بِذٰلِكَ، وإِلاَّ فأَعلِموني لِكَي أَتَّجِهَ يَميناً أَو يَساراً» .

[٥٠]فأَجابَه لابانُ وبَتوئيلُ وقالا : «إِنَّ الأَمرَ صادِرٌ مِن عِندِ الرَّبّ ، فلَيس

لَنا أَن نُكَلِّمَكَ فيه بِشَرٍّ أَو خَير. ⁵¹هذه رِفقَةُ أَمامَكَ، خُذْها وآمْضِ فتَكونَ آمرَأَةً لِآبنِ سَيِّدِكَ، كما قالَ الرَّبّ». ⁵²فلَمَّا سَمِعَ خادِمُ إِبْراهيمَ كَلامَهم، سَجَدَ لِلرَّبِّ إِلى الأَرض، ⁵³وأَخرَجَ الخادِمُ حِلى فِضَّةٍ وحِلى ذَهَبٍ وثِياباً وأَعْطاها رِفْقَة، وهَدايا قَدَّمَها لِأَخيها وأُمِّها.

⁵⁴وأَكَلوا وشَرِبوا هو والقَومُ الَّذينَ معَه وباتوا. ثُمَّ نَهَضوا صَباحاً، فقال: «اِصْرِفوني إِلى سَيِّدي». ⁵⁵فقالَ أَخوها وأُمُّها: «تَبْقى الفَتاةُ عِندَنا أَيَّاماً ولَو عَشَرَة، وبَعدَ ذلك تَمْضي». ⁵⁶فقالَ لهم: «لا تُؤَخِّروني، والرَّبُّ قد أَنجَحَ طَريقي. إِصْرِفوني فأَمْضِيَ إِلى سَيِّدي». ⁵⁷فقالوا: «نَدْعو الفَتاةَ ونَسأَلُها ماذا تَقول».

⁵⁸فدَعَوا رِفقَةَ وقالوا لها: «هَل تَذهَبينَ مع هذا الرَّجُل؟» قالَت: «أَذهَب». ⁵⁹فصَرَفوا رِفْقَةَ أُختَهم وحاضِنَتَها وخادِمَ إِبْراهيمَ ورِجالَه. ⁶⁰وباركوا رِفقَةَ(٥١) وقالوا لَها:

«أَنتِ أُختُنا فَكوني أُلوفَ رِبْوات ولْيَرِثْ نَسلُكِ مُدُنَ مُبغِضيه».

⁶¹وقامَت رِفقَةُ وجَواريها فرَكِبنَ الجِمالَ ومَضَينَ مع الرَّجُل، وأَخَذَ الخادِمُ رِفقَةَ ومضى.

⁶²وكانَ إِسحقُ قد رَجَعَ مِن بِئرِ الحَيِّ الرَّائِيّ، وكانَ مُقيماً بِأَرضِ النَّقَب. ⁶³وخَرَجَ إِسحقُ إِلى الحَقْلِ لِلتَّنَزُّهِ عِندَ المَساء. فرَفَعَ عَينَيه ونَظَر، فإِذا جِمالٌ مُقبِلَة. ⁶⁴ورَفَعَت رِفقَةُ عَينَيها فرَأَت إِسحق فقَفَزت عنِ

(٥١) البركة أُمنية سعادة. لفظها يؤدي الى فعاليتها، فلا يمكن أن تُسحب.

الجَمَل، [٦٥]وقالَت لِلخادِم: «مَن هذا الرَّجُلُ القادِمُ في الحَقلِ لِلِقائِنا؟» فقال الخادم: «هو سَيِّدي». فأَخَذَتِ الحِجابَ واحتَجَبَت به.

[٦٦]ثُمَّ أَخبَرَ الخادمُ إِسحقَ بِجَميعِ الأُمورِ الَّتي صَنعَها. [٦٧]فأَدخَلَ إِسحقُ رِفقَةَ إِلى خَيمَةِ أُمِه سارةَ وأَخَذَ رِفقَة، فصارَت لَه زَوجَةً وأَحَبَّها، وتعَزَّى إِسحقُ عن أُمِّه.

١٤. انتقال المواعد إلى يعقوب

تزوَّج إسحق من رفقة، فولدت له ابنَين: عيسو ويعقوب. لكن يعقوب سلَب من أخيه البكر بركة أبيه، بفضل تدخّل أمّه. ولمَّا اطَّلع اسحق على كذبة يعقوب، أبقى بركته. فإن الغاية من هذه الرواية هي الحط من قيمة بني أدوم الذين كانوا يُعَدُّون خلف عيسو.

٢٧ [١]وحَدَثَ، لَمَّا شاخَ إِسحقُ وكَلَّت عَيناه عنِ النَّظَر، أَنَّه دَعا عِيسوَ آبنَه الأَكبَرَ وقالَ له: «يا بُنَيَّ». قالَ: «لَبَّيكَ». [٢]فقال: «هاءَنذا قد شِخْتُ ولا أَعلَمُ يَومَ مَوتي. [٣]والآن خُذْ عُدَّتَكَ وجَعبَتَكَ وقَوسَكَ، وآخرُجْ إِلى الحَقْل وصِدْ لي صَيداً، [٤]وأَعِدْ لي أَلْواناً طَيِّبَةً كَما أُحِبّ، وآئتِني بِه فآكُل، لِكَي تُبارِكَكَ نَفْسي قَبلَ أَن أَموت». [٥]وكانَت رِفقَةُ سامِعةً حينَ كَلَّمَ إِسحقُ عِيسوَ آبنَه. فمَضى عِيسو إِلى الحَقْلِ لِيَصيدَ صَيداً ويَأتِيَ به.

[٦]فكَلَّمَت رِفقَةُ يَعقوبَ آبنَها قائلَةً: «إِنِّي قد سَمِعتُ أَباكَ يُكَلِّمُ عِيسوَ أَخاكَ قائلاً: [٧]إِئتِني بِصَيدٍ وأَعِدْ لي أَلْواناً طَيِّبَةً فآكُلَ مِنها وأُبارِكَكَ أَمامَ الرَّبِّ قَبلَ مَوتي. [٨]والآنَ يا بُنَيَّ، اِسمَعْ لِقَولي في ما آمُرُكَ بِه: [٩]اِمْضِ

إلى الغَنَم وخُذْ لي مِن هُناكَ جديَين مِنَ المَعزِ جَيِّدَين، فأُعِدَّهُما ألواناً طَيِّبَةً لِأبيكَ كما يُحِبّ، [١٠]فتَأتي بِها أباكَ ويأكُل، لِكَي يُبارِكَكَ قَبلَ مَوتِه».

[١١]فقالَ يَعقوبُ لِرِفقَةَ أُمِّه: «عيسو أَخي رَجُلٌ أَشعَر وأنا رَجُلٌ أَملَس. [١٢]فلَعَلَّ أَبي يَجُسُّني فأَكونَ في عَينَيه كالسَّاخِرِ مِنه، وأَجلُبَ على نَفْسي لَعنَةً لا بَرَكَة». [١٣]قالَت لَه أُمُّه: «عَلَيَّ لَعنَتُكَ يا بُنَيَّ، إِنَّمَا ٱسمَعْ لِقَولي وآمضِ وخُذْ لي ذلك». [١٤]فمَضى وأَخَذَ ذلك وأَتى بِه أُمَّه فأَعَدَّته أُمُّه أَلْواناً طَيِّبَةً، على ما يُحِبُّ أَبوه. [١٥]وأَخَذَت رِفقَةُ ثِيابَ عِيسوَ ٱبنِها الأَكبَرِ الفاخِرَةَ الَّتي عِندَها في البَيت فأَلبَسَتْها يَعْقوبَ ٱبنَها الأَصغَر، [١٦]وكَسَت يَدَيه ومَلاسةَ عُنُقِه بِجِلْدِ المَعِز، [١٧]وأَعْطَت يَعقوبَ ٱبنَها ما صَنَعَته مِنَ الأَلْوانِ الطَيِّبَةِ والخُبْز.

[١٨]فدَخَلَ على أَبيه وقال: «يا أَبتِ». قال: «لَبَّيكَ، مَن أَنتَ يا بُنَيَّ؟». [١٩]فقالَ يَعْقوبُ لِأَبيه: «أَنا عِيسو بِكرُكَ قد صَنَعتُ كَما أَمَرتَني. قُمْ فٱجْلِسْ وكُلْ مِن صَيدي، لِكَي تُبارِكَني نَفْسُكَ». [٢٠]فقالَ إِسحقُ لآبْنِه: «ما أَسرَعَ ما أَصَبتَ، يا بُنَيَّ». قال: «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قد يَسَّرَ لي». [٢١]فقالَ إِسحقُ لِيَعْقوب: «تَقَدَّمْ حَتَّى أَجُسَّكَ يا بُنَيَّ، لِأَعلَمَ هل أَنتَ ٱبْني عِيسو أَم لا».

[٢٢]فتَقَدَّمَ يَعْقوبُ إِلى إِسحقَ أَبيه، فجَسَّه وقال: «الصَوتُ صَوتُ يَعْقوب، ولٰكِنَّ اليَدَينِ يَدا عِيسو». [٢٣]ولَم يَعرِفْه، لِأَنَّ يَدَيه كانَتا مُشعِرَتَينِ كَيَدَي عِيسوَ أَخيه، فبارَكَه. [٢٤]وقال: «هل أَنتَ ٱبْني عِيسو؟» قال: «أَنا هو». [٢٥]فقال: قَدِّمْ لي حَتَّى آكُلَ مِن صَيدِ ٱبْني، لِكَي تُبارِكَكَ نَفْسي». فقَدَّمَ لَه فأَكَل، وأَتاه بِخَمرٍ فشَرِب. [٢٦]ثُمَّ قالَ له

إِسحقُ أبوه: «تَقَدَّمْ قَبِّلْني يا بُنَيَّ». [٢٧] فتَقَدَّمَ وقَبَّلَه، فاشتَمَّ رائِحَةَ ثِيابِه وبارَكَه وقال:

«ها هيَ ذِه رائِحَةُ ٱبْني كرائِحَةِ حَقْلٍ قد بارَكَه الرَّبّ.
[٢٨] يعطيكَ اللهُ مِن نَدى السَّماءِ ومِن دَسَمِ الأَرض
ويُكَثِّرُ لَكَ الحِنطَةَ والنَّبيذ
[٢٩] وتَخدُمُكَ الشُّعوبُ وتَسجُدُ لَكَ الأُمَم.
سَيِّداً تَكونُ لِإِخوَتِكَ ولَكَ بَنو أُمِّكَ يَسجُدون.
لاعِنُكَ مَلْعونٌ ومُبارِكُكَ مُبارَك»

[٣٠] فلَمَّا ٱنتَهى إِسحقُ مِن بَرَكَتِه لِيَعْقوب وخَرَجَ يَعْقوبُ مِن أَمامِ إِسحقَ أَبيه، إِذا عِيسو أَخوه قد أَقْبَلَ مِن صَيدِه. [٣١] فأَعَدَّ هو أَيضاً أَلْواناً طَيِّبَةً وأَتى بِها أَباه وقالَ لِأَبيه: «لِيَقُمْ أَبي ويأكُلْ مِن صَيدِ ٱبْنِه، لِكَي تُبارِكَني نَفْسُكَ»، [٣٢] فقالَ له إِسحقُ أَبوه: «مَن أَنتَ؟» قال: «أَنا ٱبنُكَ بِكْرُكَ عِيسو». [٣٣] فٱرتَعَشَ إِسحقُ ٱرتِعاشاً شَديداً جِدًّا وقال: «فمَن إِذاً ذاكَ الَّذي صادَ صَيداً فأَتاني بِه؟ فقَد أَكَلتُ مِن كُلِّه، قَبلَ أَن تَجيءَ، وبارَكتُه، نَعَم! مُبارَكاً يَكون». [٣٤] فلَمَّا سَمِعَ عيسو كَلامَ أَبيه، صَرَخَ صَرخَةً عَظيمةً ومُرَّةً جِدًّا، وقالَ لِأَبيه: «بارِكْني أَنا أيضاً يا أَبَتِ». [٣٥] فقال: «قد جاءَ أَخوكَ بِمَكْرٍ وأَخَذَ بَرَكَتَكَ». [٣٦] فقال: «أَلِأَنَّه سُمِّيَ يَعْقوبَ قد تَعَقَّبَني مَرَّتَين: أَخَذَ بِكرِيَّتي، وهاهوَذا الآنَ أَخَذَ بَرَكَتي». ثُمَّ قال: أَما أَبقَيتَ لي بَرَكَةً؟». [٣٧] فأَجابَ إِسحقُ وقالَ لِعيسو: «هاءَنَذا قد جَعَلتُه سَيِّداً لَكَ وَوَهَبتُ لَه جَميعَ إِخوَتِه خَدَماً، وبالحِنطَةِ والنَّبيذِ أَمدَدتُه، فماذا أَصنَعُ لَكَ يا بُنَيَّ؟» [٣٨] فقالَ عِيسو لِأَبيه: «أَبَرَكَةٌ واحِدَةٌ

لَكَ يا أَبَتِ ؟ بارِكْني أَنا أَيضاً يا أَبَتِ» . وبَقِيَ إِسحقُ صامِتاً ، ورَفَعَ عِيسو صَوتَه وبَكى . ٣٩فأَجابَه إِسحقُ أَبوه وقالَ له :

«بِمَعزِلٍ عن دَسَمِ الأَرضِ يَكونُ مَسكِنُكَ
وعن طَلِّ السَّماءِ الَّذي مِن عَلُ .
٤٠بِسَيفِكَ تَعيش وأَخاكَ تَخدُم
ويَكونُ أَنَّكَ ، إِذا قَوِيتَ ، تَكسِرُ نِيرَه عن عُنُقِكَ» .

٤١وحَقَدَ عِيسو على يَعْقوبَ بِسَبَبِ البَرَكَةِ الَّتي بارَكَه أَبوه بِها ، وقال عِيسو في قَلبِه : «قد قَرُبَت أَيَّامُ حُزْنِ أَبي فأَقتُلُ يَعْقوبَ أَخي» . ٤٢فأُخبِرَت رِفقَةُ بِكَلامِ عِيسوَ آبنِها الأَكبَر ، فبَعَثَت وآستَدعَت يَعْقوبَ آبنَها الأَصغَر ، وقالَت له : «هُوَذا عيسو أَخوكَ مُنتَقِمٌ مِنكَ بِالقَتْل . ٤٣والآنَ ، يا بُنَيِّ ، اِسْمَعْ لِقَولي : قُمْ فآهرُبْ إِلى لابانَ أَخي في حاران ، ٤٤وأَقِمْ عِندَه أَيَّاماً قَلائِل ، حتَّى يَتَحَوَّلَ عنكَ غَيظُ أَخيك . ٤٥فإِذا تَحَوَّلَ غَضَبُ أَخيكَ عنكَ ونَسِيَ ما فَعَلتَ بِه ، بَعَثتُ فأَخَذتُكَ مِن هُناكَ ، فلِماذا أُصبِحُ ثَكْلى في يَومٍ واحِد ؟» .

١٥. حلم يعقوب في بيت ايل

خشي يعقوب حقد أخيه ، فذهب الى حاران ، حيث يقيم قسم من أسرته ، وحيث سيتزوّج من ليئة وراحيل الواحدة بعد الاخرى . وتوقّف ، وهو سائر ، في بيت ايل ، وبات فيها . ورأى في نومه رؤية الهية ، جُدِّدت في أثنائها المواعد القديمة التي وُعد بها ابراهيم .

٢٨ [١]فدَعا إسحقُ يَعْقوبَ وبارَكه وأَوصاه قائلاً له : «لا تأخُذِ آمرَأَةً مِن بَناتِ كَنْعان . [٢]قُمْ فآمْضِ إلى فدَّانَ أَرام ، الى بَيتِ بَتوئيلَ أَبي أُمِّكَ ، وتَزَوَّجْ بِآمرَأَةٍ مِن هُناك ، من بَناتِ لابانَ خالِكَ . [٣]واللهُ القَديرُ يُبارِكُكَ ويُنْميكَ ويُكَثِّرُكَ وتَكونُ جَماعةَ شُعوب . [٤]ويُعْطيكَ بَرَكَةَ إِبْراهيمَ، لَكَ ولِنَسلِكَ معَكَ ، لِتَرِثَ أَرضَ غُربَتِكَ الَّتي وَهَبَها اللهُ لإِبْراهيم» . [٥]وأَرسَلَ إِسحقُ يَعْقوب فمَضى إلى فَدَّانَ أَرام ، إِلى لابانَ بْنِ بَتوئيلَ الأَراميّ ، أَخي رِفقَةَ أُمِّ يَعْقوبَ وعيسو.

[١٠]وخَرَجَ يَعْقوبُ مِن بِئرَ سَبْعَ ومضى إِلى حاران . [١١]وآتَّفَقَ أَنَّه وَجَدَ مَكاناً باتَ فيه ، لِأَنَّ الشَّمسَ قد غابَت . فأَخَذَ بَعضَ حِجارةِ المَكان فوَضَعَه تَحتَ رَأسِه ونامَ في ذلك المَكان . [١٢]وحَلَمَ حُلماً ، فإِذا سُلَّمٌ مُنتَصِبٌ على الأَرض ورأسُه يُلامِسُ السَّماء ، وإذا مَلائِكَةُ اللهِ صاعِدونَ نازِلونَ علَيه ، [١٣]وإذا الرَّبُّ واقِفٌ بِالقُربِ مِن يَعْقوب ، فقال : «أَنا الرَّبُّ إِلهُ إِبْراهيمَ أَبيكَ وإِلهُ إِسحق . إِنَّ الأَرضَ الَّتي أَنتَ نائِمٌ عليها ، لَكَ أُعْطيها ولِنَسلِكَ ، [١٤]ويَكونُ نَسلُكَ كتُرابِ الأَرض ، فتَنتَشِرُ غَرْباً وشَرْقاً وشَمالاً وجَنوباً ، ويَتَبارَكُ بِكَ وبِنَسلِكَ جَميعُ عَشائِرِ الأَرض . [١٥]وها أَنا مَعكَ ، أَحفَظُكَ حَيثُما آتَّجَهتَ ، وسأَرُدُّكَ إلى هذه الأَرض ، فإِنِّي لا أَترُكُكَ حتَّى أَعمَلَ بِما كَلَّمتُكَ بِه» . [١٦]فآستَيقَظَ يَعْقوبُ مِن نَومِه وقال : «حَقًّا ، إِنَّ الرَّبَّ في هذا المَكان ، وأَنا لم أَعلَمْ» . [١٧]فخافَ وقال : «ما أَرهَبَ هذا المكان ! ما هذا إِلاَّ بَيتُ الله ! هذا بابُ السَّماء !» [١٨]ثُمَّ بَكَّرَ يَعْقوبُ في الصَّباح وأَخَذَ الحَجَرَ الَّذي وَضَعَه تَحتَ رأسِه وأَقامَه نُصُباً

وصبَّ على رأسِ الحَجَرِ زَيتاً . [١٩] وسمَّى ذلك المكانَ بَيتَ إِيل[(٥٢)] ، وكانَ آسمُ المَدينةِ أَوَّلاً لُوز .

[٢٠] ونَذَرَ يَعْقوبُ نَذْراً قائلاً : «إِن كانَ اللهُ معي وحَفِظَني في هذا الطَّريقِ الَّذي أَنا سالِكُه ، ورَزَقَني خُبْزاً آكُلُه وثَوباً أَلبَسُه ، [٢١] ورَجَعتُ سالِماً إِلى بَيتِ أَبي ، يَكونُ الرَّبُّ لي إِلهاً ، [٢٢] وهذا الحَجَرُ الَّذي جَعَلتُه نُصُباً يَكونُ بَيتاً لله ، وكُلُّ ما تَرزُقُني إِيَّاه فإِنِّي أُؤَدِّي لَكَ عُشرَه» .

١٦. مصارعة الله

عاد يعقوب إلى كنعان . وفي احدى الليالي ، صارعه أحد الرجال . ولمَّا عرف يعقوب أنه الله ، أرغمه على مباركته . والغاية من هذا النص هي الدلالة على اصل كلمة «اسرائيل» ، وكان تفسيرها الشعبي : «قويّ على الله» . وهناك أيضاً شرح لتحريم أكْل عِرق النَّسا .

٣٢ [٢٣] وقامَ في تِلكَ اللَّيلَة فأَخَذَ آمرَأَتَيه وخادِمَتَيه وبَنيه الأَحَدَ عَشَر فعَبَرَ مَخاضةَ يَبُّوق . [٢٤] أَخَذَهم وعَبَّرَهمُ الوادي وعَبَّرَ ما كانَ لَه . [٢٥] وبَقِيَ يَعْقوبُ وَحدَه .

[٢٦] فصارَعَه رَجُلٌ إِلى طُلوعِ الفَجْر . ورأَى أَنَّه لا يَقدِرُ علَيه ، فلَمَسَ حُقَّ وَرِكِه ، فآنخَلَعَ حُقُّ وَرِكِ يَعْقوبَ في مُصارَعَتِه لَه . [٢٧] وقال : «إِصرِفْني ، لِأَنَّه قد طَلَعَ الفَجْر» . فقالَ يَعْقوب : «لا أَصرِفُكَ أَو تُبارِكَني» . [٢٨] فقالَ له : «ما آسمُكَ ؟» قالَ : «يَعْقوب» . [٢٩] قال : «لا يَكونُ آسمُكَ يَعْقوبَ فيما بَعْد ، بل إِسْرائيل ، لِأَنَّكَ صارَعتَ اللهَ والنَّاسَ

(٥٢) بيت ايل = بيت الله .

فغَلَبتَ». [٣٠] وسأَلَه يَعقوبُ قال: «عَرِّفْني آسمَكَ». فقال: «لِمَ سُؤَالُكَ عنِ آسْمي؟»، وبارَكَه هُناك.

[٣١] وسمَّى يَعْقوبُ المَكانَ فَنوئيلَ قائِلاً: «إِنِّي رأَيتُ اللهَ وَجْهاً إِلى وَجْه، ونَجَت نَفْسي». [٣٢] وأَشرَقَت لَه الشَّمسُ عِندَ عُبورِه فَنوئيل، وهو يَعرُجُ مِن وَرِكِه. [٣٣] ولِذلِكَ لا يَأكُلُ بَنو إِسْرائيلَ عِرْقَ النَّسا الَّذي في حُقِّ الوَرِكِ إِلى هذا اليَوم، لأَنَّه لَمَسَ حُقَّ وَرِكِ يَعْقوبَ على عِرْقِ النَّسا.

١٧. سيرة يوسف واقامة عشيرة يعقوب في مصر

سيُخرج موسى بني اسرائيل من مصر ويقودهم الى سيناء. ولكن، كيف نزلوا الى أرض النيل؟ هذا ما ترويه لنا سيرة يوسف الحِكمية. إليك نصوصاً اخترناها.

رجل الاحلام

٣٧ [٢] لَمَّا كانَ يوسفُ آبنَ سَبْعَ عَشرَةَ سَنَةً وكانَ يَرْعى الغَنَمَ مع إِخْوَتِه - وهو شابٌ - مع بَني بِلْهَةَ وبَني زِلْفَة، اِمرأَتَي أَبيه، أَخبَرَ يوسفُ أَباهم عنهُم خَبَراً شَنيعاً.

[٣] وكانَ إِسْرائيلُ يُحِبُّ يوسفَ على جَميعِ بَنيه لِأَنَّه آبنُ شَيخوخَتِه، فصَنَعَ له قَميصاً مُوشًّى. [٤] ورأَى إِخوَتُه أَنَّ أَباه يُحِبُّه على جَميعِ إِخْوَتِه، فأَبغَضوه ولم يَستَطيعوا أَن يُكَلِّموه بِمَوَدَّة.

[٥] ورأَى يوسفُ حُلْماً فأَخبَرَ بِه إِخْوَتَه، فآزدادوا بُغْضاً لَه. [٦] قال لهم: «إِسمَعوا هذا الحُلْمَ الَّذي رَأَيتُه: [٧] رَأَيتُ كأَنَّنا نَحزِمُ حُزَماً في الحَقل، فإِذا حُزْمَتي وَقَفَت ثُمَّ آنتَصَبَت فأَحاطَت حُزَمُكم بِحُزْمَتي وسَجَدَت لَها». [٨] فقالَ لَه إِخْوَتُه: «أَتُراكَ تَملُكُ علَينا أَو تَتَسَلَّطُ علَينا؟» وآزدادوا أَيضاً

بُغْضاً لَه بِسَبَبِ أَحْلامِه وأَقْوالِه. [٩] ورأَى أَيضاً حُلماً آخَر، فقَصَّه على إخوَتِه وقال: «رأَيتُ حُلماً أَيضاً كأَنَّ الشَّمسَ والقَمَرَ وأَحَدَ عَشَرَ كَوكَباً ساجِدةٌ لي». [١٠] ولَمَّا قَصَّه على أَبيه وإِخوَتِه، وَبَّخَه أَبوه وقالَ لَه: «ما هذا الحُلْمُ الَّذي رَأَيتَه؟ أَتُرانا نأتي أَنا وأُمُّكَ وإخوَتُكَ فنَسجُدُ لَكَ إِلى الأَرض؟» [١١] فحَسَدَه إِخْوَتُه، وأَمَّا أَبوه فكانَ يَحفَظُ هذا الأَمْر.

[١٢] ومَضى إخوَتُه لِيَرعَوا غَنَمَ أَبيهم عِندَ شَكيم. [١٣] فقالَ إِسْرائيلُ لِيوسُف: «أَلا يَرْعى إِخوَتُكَ عِندَ شَكيم؟ هَلُمَّ أُرسِلُكَ إِلَيهم». قالَ له: «لَبَّيكَ». [١٤] فقالَ له: «اِمْضِ فٱفتَقِدْ سَلامةَ إِخوَتِكَ وسَلامةَ الغَنَم، وٱئتِني بالخَبَر». وأَرسَلَه مِن وادي حَبْرون، فأَتى يوسفُ شَكيم.

[١٥] فصادَفَه رَجُلٌ وهو تائِهٌ في الحَقْل، فسأَلَه الرَّجُلُ قائلاً: «عمَّا تَبحَث؟» [١٦] قال: «أَبحَثُ عن إِخوَتي، أَخبِرْني أَينَ يَرعَون». [١٧] فقالَ الرَّجُل: «قد رَحَلوا مِن ههُنا، وقد سَمِعتُهم يَقولون: نَمْضي إِلى دوتائين». فمَضى يوسفُ في إِثْرِ إِخوَتِه فوَجَدَهم في دوتائين.

[١٨] فلَمَّا رأَوه عن بُعْدٍ قَبلَ أَن يَقتَرِبَ مِنْهم، تآمَروا علَيه لِيُميتوه. [١٩] قالَ بَعضُهم لِبَعْض: «ها هُوَذا صاحِبُ الأَحْلامِ مُقبِل. [٢٠] والآن تَعالَوا نَقتُلُه ونَطرَحُه في إِحْدى الآبار ونقولُ إِنَّ وَحْشاً ٱفتَرَسَه، ونَرى ما يَكونُ مِن أَحْلامِه».

[٢١] فسَمِعَ رَأُوبين، فَخلَّصَه من أَيْديهم قائلاً: «لا نَقتُلْ نَفْساً». [٢٢] وقالَ لَهم رأُوبين: «لا تَسفِكوا دَماً، اِطْرَحوه في هذه البِئرِ الَّتي في الحَقْل ولا تُلْقوا أَيدِيَكم علَيه»، ومُرادُه أَن يُخَلِّصَه مِن أَيديهِم ويَرُدَّه إِلى أَبيه. [٢٣] فلَمَّا وَصَلَ يوسفُ إِلى إِخوَتِه، نَزَعوا عنه قَميصَه، القَميصَ

المُوَشَّى الَّذي علَيه. [٢٤]وأَخَذوه وطَرَحوه في البِئر، وكانَتِ البِئرُ فارِغَةً لا ماءَ فيها. [٢٥]ثُمَّ جَلَسوا يَأكُلون.

ورَفَعوا عُيونَهم ونَظَروا، فإِذا بِقافِلَةٍ مِنَ الإِسْماعيلِيِّينَ مُقْبِلَةٌ مِن جِلْعاد، وجِمالُهم مُحَمَّلَةٌ صَمْغَ قَتادٍ وبَلَساناً ولاذَناً، وهم سائِرونَ لِيَنزِلوا بِها إِلى مِصْر. [٢٦]فقالَ يَهوذا لإِخوَتِه: «ما الفائِدَةُ مِن أَن نَقْتُلَ أَخانا ونُخفِيَ دَمَه؟ [٢٧]تَعالَوا نَبيعُه لِلإِسْماعيلِيِّين(٥٣)، ولا تَكُنْ أَيدينا علَيه لِأَنَّه أَخونا ولَحمُنا». فسَمِعَ لَه إِخوَتُه.

[٢٨]فمَرَّ قَومٌ مِديَنِيُّونَ تُجَّار فآنتَشَلوا يوسفَ وأَصعَدوه مِنَ البِئر وباعوه لِلإِسْماعيلِيِّينَ بِعِشْرينَ مِنَ الفِضَّة، فأَتَوا بِيُوسفَ إِلى مِصْر. [٢٩]ورَجَعَ رأُوبينُ إِلى البِئْر فإِذا يوسفُ لَيسَ في البِئرِ فمَزَّقَ ثِيابَه. [٣٠]ورَجَعَ إِلى إِخوَتِه وقال: «الوَلَدُ لَيسَ مَوجوداً، وأَنا إِلى أَينَ أَمْضي؟».

[٣١]فأَخَذوا قَميصَ يوسُف وذَبَحوا تَيساً مِنَ المَعِزِ وغَمَسوا القَميصَ في الدَم. [٣٢]وبَعَثوا بالقَميصِ المُوَشَّى وأَوصَلوه إِلى أَبيهِم وقالوا: «وَجَدْنا هذا. أُنظُرْ: أَقَميصُ آبنِكَ هو أَم لا؟». [٣٣]فنَظَرَ إِلَيه وقال: «هو قَميصُ آبْني. وَحشٌ ضارٍ أَكَلَه. اِفْتُرِسَ يوسفُ آفتِراساً». [٣٤]ومَزَّقَ يَعْقوبُ ثِيابَه وشَدَّ مِسْحاً على حَقْوَيه وحَزِنَ على آبنِهِ أَيَّاماً كَثيرة. [٣٥]وقامَ جَميعُ بَنيه وجَميعُ بَناتِه يُعَزُّونَه، فأَبى أَن يَتَعَزَّى وقال: «إِنِّي أَنزِلُ حَزيناً إِلى آبني، إِلى مَثْوى الأَموات»، وبَكى عَلَيه أَبوه.

(٥٣) كان الاسماعيليون في ذلك الزمان قوّاد قوافل في الصحراء. وكانت ديانتهم تقارب ديانة آباء اسرائيل.

يوسف في مصر

[٣٦]وباعَه المِديَنيُّونَ في مِصْرَ لِفوطيفار، خَصِيٍّ فِرْعَونَ ورَئيسِ الحَرَس.

٣٩ [٢]وكانَ الرَّبُّ مع يوسف، فكانَ رَجُلاً ناجِحاً، وأَقامَ بِبَيتِ سَيِّدِه المِصرِيّ. [٣]ورأَى سَيِّدُه أَنَّ الرَّبَّ معَه وأَنَّ جَميعَ ما يَعمَلُه يُنجِحُه الرَّبُّ في يَدِه. [٤]فنالَ يوسفُ حُظوَةً في عينَيه وخَدَمَه. فأَقامَه على بَيتِه، وكُلُّ ما كانَ لَه جَعَلَه في يَدِه. وكانَ يُوسفُ حَسَنَ الهَيئَةِ وجَميلَ المَنظَر.

[٧]وكانَ بَعدَ هذه الأَحْداثِ أَنَّ آمرَأَةَ سَيِّدِه طَمَحَت عَينُها إلى يوسف.

[١١]فآتّفَقَ في بَعضِ الأَيَّامِ أَنَّه دَخَلَ البَيتَ لِيَقومَ بِعَمَلِه، ولَم يَكُنْ هُناكَ في البَيتِ أَحَدٌ مِن أَهْلِه. [١٢]فأَمسَكَت بِثَوبِه قائِلَةً: «ضاجِعْني». فتَرَكَ ثَوبَه بِيَدِها وفرَّ هارِباً إِلى خارِج. [١٣]فلَمَّا رأَت أَنَّه قد تَرَكَ ثَوبَه بِيَدِها وهَرَبَ إِلى الخارِج، [١٤]صاحَت بِأَهْلِ بَيتِها وقالَت لَهم: «أُنْظُروا! لقَد جاءَنا بِرَجُلٍ عِبْرانِيٍّ لِيَتَلاعَبَ بِنا. أَتاني لِيُضاجِعَني، فصَرَختُ بِصَوتٍ عالٍ. [١٥]فلَمَّا سَمِعَني قد رَفَعتُ صَوتي وصَرَختُ، تَرَكَ ثَوبَه بِجانِبِي وفَرَّ هارِباً إِلى خارِج».

[١٦]ووَضَعَت ثَوبَه بِجانِبِها حتَّى قَدِمَ سَيِّدُه إِلى بَيتِه. [١٧]فكَلَّمَته بِمِثْلِ هذا الكَلام وقالَت: «أَتاني الخادِمُ العِبْرانِيُّ الَّذي جِئتَنا بِه لِيَتَلاعَبَ بي. [١٨]وكانَ، عِنْدَما رَفَعتُ صَوتي وصَرَختُ، أَنَّه تَرَكَ ثَوبَه بِجانِبِي وهَرَبَ إِلى خارِج». [١٩]فلَمَّا سَمِعَ سَيِّدُه كَلامَ آمرَأَتِه الَّذي أَخبَرَته بِه قائِلَةً: «كَذا صَنَعَ بي خادِمُكَ»، غَضِبَ علَيه غَضَباً، [٢٠]فأَخَذَ يُوسفَ سَيِّدُه وجَعَلَه في السِّجْن، حَيثُ كانَ سُجَناءُ المَلِكِ مَسْجونين.

فكانَ هُناكَ في السِّجن. [٢١] وكانَ الرَّبُّ مع يوسف وأَمالَ إِلَيه رَحمَتَه، وأَنالَه حُظوَةً في عَينَي رئيسِ السِّجن. [٢٢] فجَعَلَ رَئيسُ السِّجْنِ في يَدِ يوسفَ جَميعَ السُّجناءِ الَّذينَ في السِّجْن، وكُلُّ ما كانوا يَصنَعونَه هُناكَ كانَ هو يُدَبِّرُه. [٢٣] ولَم يَكُنْ رَئيسُ السِّجْنِ يَهتَمُّ بِشَيءٍ مِمَّا تَحتَ يَدِ يُوسف، لِأَنَّ الرَّبَّ كانَ معَه، ومَهْما صَنَعَ كانَ الرَّبُّ يُنجِحُه.

أَحلام فرعون

٤١ [١] وكانَ بَعدَ مُضِيِّ سَنَتَينِ مِنَ الزَّمانِ أَنَّ فِرعَونَ رأَى حُلماً، إِذ هو واقِفٌ عِندَ النِّيل. [٢] فإِذا بِسَبْعِ بَقَراتٍ صاعِدَةٌ مِنه وهي حِسانُ المَنظَرِ وسِمانُ الأَبدان، فرَعَت في مَنبِتِ القَصَب، [٣] وبِسَبْعِ بَقَراتٍ أُخَرَ صاعِدَةٌ وراءَها مِنَ النِّيل وهي قِباحُ المَنظَرِ وهَزيلَةُ الأَبدان، فوَقَفَت بِجانِبِ البَقَرات الأُخَرِ على شاطِئِ النِّيل. فأَكَلَتِ البَقَراتُ القِباحُ المَنظَرِ الهَزيلَةُ الأَبْدانِ السَّبْعَ البَقَراتِ الحِسانَ المَنظَرِ السِّمان. واَستَيقَظَ فِرعَون.

[٥] ثُمَّ نامَ فحَلَمَ ثانِيَةً وإِذا بِسَبْعِ سَنابِلَ قد نَبَتَت في ساقٍ واحِدَة، وهي سِمانٌ جَيِّدة، [٦] وبِسَبْعِ سَنابِلَ هَزيلةٍ قد لَفَحَتها الرِّيحُ الشَّرقِيَّة نَبَتَت وراءَها. [٧] فاَبتَلَعَتِ السَّنابِلُ الهزيلَةُ السَّبْعَ السَّنابِلَ السَّمينةَ المُمتَلِئَة. واَستَيقَظَ فِرعونُ، فإِذا هو حُلْم.

[٨] فلَمَّا كانَ الصَّباح، اِضطَرَبَت نَفْسُه، فأَرسَلَ ودَعا جَميعَ سَحَرَةِ مِصْر وجَميعَ حُكَمائِها. فقَصَّ فِرعَونُ علَيهِم حُلْمَه فلَم يَكُنْ مَن يُفَسِّرُه لِفِرعَون. [٩] فكَلَّمَ رَئيسُ السُّقاةِ فِرعَونَ وقال: «إِنِّي أَعتَرِفُ اليَومَ بِأَخْطائي. [١٠] إِنَّ فِرعَونَ كانَ قد سَخِطَ على عَبدَيه، فأَوقَفَني في بَيتِ

رَئيسِ الحرَسِ، أَنا ورَئيسَ الخبَّازين. [١١]فرَأَينا كِلانا حُلْماً في لَيلَةٍ واحِدة ولِكُلٍّ حُلْمٍ تَفْسيرُه. [١٢]وكانَ معَنا هُناك شابٌّ عِبْرانِيٌّ، خادِمٌ لِرَئيسِ الحرَسِ، فقَصَصْنا علَيه ففَسَّرَ لَنا حُلْمَينا، فَسَّرَ لِكُلٍّ واحِدٍ مِنَّا حُلْمَه. [١٣]وكمَا فَسَّرَ لَنا كان: فرَدَّني المَلِكُ إِلى وَظيفَتي وذاكَ علَّقَه».

[١٤]فأَرسَلَ فِرعَونُ ودَعا يوسف، فأَسرَعوا به مِنَ السِّجْن. فَحَلَقَ ذَقنَه وأَبدَلَ ثِيابَه ودَخَلَ على فِرعَون. [١٥]فقالَ فِرعَونُ لِيُوسف: «قد رَأَيتُ حُلْماً، ولم يَكُنْ مَن يُفَسِّرُه، وقَد سَمِعتُ عَنكَ أَنَّكَ إِذا سَمِعتَ حُلْماً تُفَسِّرُه». [١٦]فأَجابَ يوسفُ فِرعَونَ وقال: «لا أَنا، بَلِ اللهُ يُجيبُ فِرعَونَ الجَوابَ السَّليم»...

يوسف يفسّر أحلام فرعون

[٢٥]فقالَ يوسفُ لِفِرعَون: «حُلْمُ فِرعَونَ واحِد: ما سَيَصنَعُه اللهُ أَخبَرَ بِه فِرعَون. [٢٦]السَّبْعُ البَقَراتُ الجَيِّدةُ هي سَبْعُ سِنين، والسَّبْعُ السَّنابِلُ الجَيِّدَةُ هي سَبْعُ سِنين: هو حُلْمٌ واحِد. [٢٧]والسَّبْعُ البَقَراتُ الهَزيلةُ القِباحُ الصَّاعِدَةُ وراءَها هي سَبْعُ سِنين، والسَّبْعُ السَّنابِلُ الهَزيلَةُ الَّتي لَفَحَتها الرِّيحُ الشَّرقِيَّة تَكونُ سَبْعَ سِني مَجاعة. [٢٨]هو الكَلامُ الَّذي قُلتُه لِفِرعَونَ، إِنَّ اللهَ كَشَفَ لِفِرعَونَ ما هو صانِعُه: [٢٩]ها هي سَبْعُ سِنينَ آتِيَةٌ فيها شِبَعٌ عَظيمٌ في كُلِّ أَرضِ مِصر، [٣٠]تَأتي مِن بَعدِها سَبْعُ سِني مَجاعة، فيُنْسى كُلُّ الشِّبَعِ في أَرضِ مِصْر وتُتلِفُ المجاعةُ هذه الأَرض، [٣١]فلا يَعودُ يُعرَف ما هو الشِّبَعُ في هذه الأَرض بِسَبَبِ المجاعةِ الآتِيَةِ بَعدَه لِأَنَّها ستَكونُ شَديدةً جِدًّا. [٣٢]وأَمَّا تَكرارُ الحُلْمِ على فِرعَونَ مَرَّتَين، فلأَنَّ الأَمرَ مُقَرَّرٌ من لَدُنِ الله، وسيَصنَعُه عاجِلاً.

[٣٣]والآن ، لِيبحَثْ فِرعَونُ عن رَجُلٍ فَهيمٍ حَكيمٍ يُقيمُه على أَرضِ مِصْر ، [٣٤]ولْيَسْعَ فِرعَونُ ويُوَكِّلْ وُكلاءَ على هٰذه الأَرض ويَأخُذْ خُمْسَ غَلَّةِ أَرضِ مِصْرَ في سَبْعِ سِنِي الشِّبَع ، وَلْيَجْمَعوا كُلَّ طَعامِ سِني الخَيرِ الآتِيَة [٣٥]ويَخزُنوا قَمحَها تَحتَ يَدِ فِرعَونَ طَعاماً في المُدُنِ ويَحفَظوه . [٣٦]فيَكونُ الطَّعامُ مَؤونَةً لِهٰذه الأَرض لِسَبْعِ سِني المَجاعةِ الَّتي ستَكونُ في أَرضِ مِصْر ، فلا تَفْنى هذه الأَرضُ بِالمَجاعة» .

[٣٧]فحَسُنَ الكَلامُ في عَينَي فِرعَون وعَيني حاشِيَتِه كُلِّها . [٣٨]فقالَ فِرعَونُ لِحاشِيَته : «هل نَجِدُ مِثْلَ هذا رَجُلاً فيه رُوحُ الله ؟» [٣٩]وقالَ فِرعَونُ لِيُوسف : «بَعدَما ما أَعلَمَكَ اللهُ هذا كُلَّه ، فلَيسَ هُناكَ فَهيمٌ حَكيمٌ مِثْلُكَ [٤٠]أَنتَ تَكونُ على بَيتي وإِلى كَلِمَتِكَ يَنْقادُ كُلُّ شَعْبي ، ولا أَكون أَعظَمَ مِنكَ إِلاَّ بِالعَرْش» . [٤١]وقالَ فِرعَونُ لِيُوسف : «أُنظُرْ : قد أَقَمتُكَ عل كُلِّ أَرضِ مِصْر» . [٤٢]ونَزَعَ خاتَمَه مِن يَدِه وجعَلَه في يَدِ يوسف ، وأَلبَسَه ثِيابَ كَتَّانٍ ناعِم وجَعَلَ طَوقَ الذَّهَبِ في عُنُقِه ، [٤٣]وأَركَبَه مَركَبَتَه الثَّانِيَة ، ونادَوا أَمامَه : «اِحذَرْ» . وهكذا أَقامَه على كُلِّ أَرضِ مِصْر .

[٤٤]وقالَ فِرعَونُ لِيُوسف : «أَنا فِرعَون ، بِدونِكَ لا يَرفَعُ أَحَدٌ يَدَه ولا رِجلَه في كُلِّ أَرضِ مِصْر» .

يوسف أمام اخوته

نزل بنو يعقوب الى مصر وقصدوا مَن أقامه فرعون على كل أرض مصر ، وهو أخوهم . عرفهم يوسف وباعهم قمحاً ، لكنه امتحنهم بشتّى الطرق .

[٤٦]وكانَ يوسفُ آبنَ ثَلاثينَ سَنَةً ، حينَ مَثَلَ أَمامَ فِرعَونَ، مَلِكِ مِصْر . وخَرَجَ يوسفُ من أَمامِه وتَجَوَّلَ في أَرضِ مِصْرَ كُلِّها . [٤٧]ثُمَّ أَخرجَتِ

الأَرضُ في سَبعِ سِني الشِّبَعِ أَكْداساً أَكْداساً. [٤٨]فجَمَعَ كُلَّ غِلالِ السَّبْعِ السِّنينَ الَّتي كانَ فيها الشِّبَعُ في أَرضِ مِصْر وجَعَلَها طَعاماً في المُدُن، جاعِلاً في كُلِّ مَدينَةٍ غِلالَ ما حَولَها مِنَ الحُقول. [٤٩]فخَزَنَ يوسفُ مِنَ القَمْحِ ما يُعادِلُ رَمْلَ البَحْرِ كَثرةً، حَتَّى أَهمَلَ إِحصاءَه، لِأَنَّه لم يَكُنْ يُحْصى.

[٥٠]ووُلِدَ لِيُوسفَ آبْنانِ قَبلَ أَن تأتيَ سَنَةُ المَجاعة، وهُما اللَّذانِ وَلَدَتْهُما أَسْنات، بِنْتُ فوطيفارَع، كاهِنِ أُون. [٥١]فسَمَّى يوسفُ البِكْرَ مَنَسَّى، قائِلاً: «إِنَّ اللهَ قد أَنْساني كُلَّ عَنائي وبَيتَ أَبي كُلَّه». [٥٢]وسَمَّى الثَّاني أَفْرائيم، قائلاً: «إِنَّ اللهَ قد أَنْماني في أَرضِ شَقائي».

[٥٣]وآنتَهَت سَبْعُ سِني الشِّبَعِ الَّذي كانَ في أَرضِ مِصْر، [٥٤]وبدأت سَبْعُ سِني المَجاعةِ تأتي كَما قالَ يوسف. فكانَت مَجاعةٌ في جَميعِ الأَراضي، وأَمَّا كُلُّ أَرضِ مِصْرَ فكانَ فيها خُبْزٌ. [٥٥]فلَمَّا جاعَت كُلُّ أَرضِ مِصْر، صَرَخَ الشَّعبُ إِلى فِرعَونَ لِأَجلِ الخُبْز. فقالَ فِرعَونُ لِجَميعِ المِصرِيِّين: «اِذْهَبوا إِلى يوسف، فما يَقُلْه لَكُم فآصنَعوه». [٥٦]وكانَتِ المَجاعةُ على كُلِّ وَجهِ الأَرض. ففَتَحَ يوسفُ كُلَّ ما أُودِعَ، فباعَ لِلمِصرِيِّين. وآشتَدَّتِ المَجاعةُ في أَرضِ مِصْر. [٥٧]وقَدِمَ أَهْلُ الأَرضِ بِأَسْرِها إِلى مِصْرَ لِيَشتَرُوا حَبًّا مِن يوسف، لِأَنَّ المَجاعَةَ كانَت شَديدةً في الأَرضِ كُلِّها.

٤٢ [١]فلَمَّا عَلِمَ يَعْقوبُ أَنَّ الحَبَّ مَوجودٌ في مِصْر، قالَ لِبَنيه: «ما بالُكم تَنظُرونَ بَعضُكم إِلى بَعض؟» [٢]وقال: «إِنِّي قد سَمِعتُ أَنَّ الحَبَّ مَوجودٌ في مِصْر، فآنزِلوا إِلى هُناكَ وآشتَروا لَنا حَبًّا فنَحْيا ولا نَموت».

٣فنَزَلَ عَشَرَةٌ مِن إخوَةِ يوسفَ لِيَشتَروا قَمْحاً مِن مِصْر ، ٤وأَمَّا بَنْيامين ، أَخو يوسف ، فلَم يُرسِلْه يَعْقوبُ مع إِخوَتِه ، لِأَنَّه قال : «يُخْشى أَن يَلحَقَه سوء» .

٥وأَتى بَنو إِسْرائيلَ في مَن أَتى لِيَشتَروا حَبًّا ، لِأَنَّ المَجاعةَ كانَت في أَرضِ كَنْعان . ٦وكانَ يوسفُ هو المُسَلَّطُ على تِلكَ الأَرض والبائِعُ حَبًّا لِكُلِّ شَعْبِ تِلكَ الأَرض . فجاءَ إِخوَتُه وسَجَدوا لَه بِوُجوهِهم إِلى الأَرض . ٧ولَمَّا رأَى يوسفُ إِخوَتَه عَرَفَهم ، ولكِنَّه تَنَكَّرَ لَهم وكَلَّمَهم بِقَساوةٍ وقالَ لهم : «مِن أَينَ قَدِمتُم ؟» قالوا : «مِن أَرضِ كَنْعان ، لِنَشتَرِيَ طَعاماً» .

٨وعَرَفَ يوسفُ إِخوَتَه ، وأَمَّا هُم فلَم يَعرِفوه . ٩فتَذَكَّرَ يوسفُ الأَحْلامَ الَّتي حَلَمَها بِهِم ، فقالَ لَهم : «أَنتُم جَواسيس ، إِنَّما جِئتُم لِتَرَوا ثُغورَ هذه الأَرض» .

١٨وفي اليَومِ الثَّالِث قالَ لَهم يوسف : «إِصنَعوا هذا فتَحْيَوا ، لِأَنِّي أَتَّقي الله . ١٩إِن كُنتُم مُستَقيمين ، فأَخٌ واحِدٌ مِنكُم يُسجَنُ في سِجنِكم . أَمَّا أَنتُم فاذهَبوا وخُذوا حَبًّا لِبُيوتِكمُ الجائِعَة ، ٢٠وأتوا بِأَخيكُمُ الصَّغيرِ إِلَيَّ لِيَتَحقَّقَ كَلامُكم ولا تَموتوا» . فصَنَعوا كذلك . ٢١وقالَ بَعضُهم لِبَعض : «إِنَّنا حَقًّا مُذنِبونَ إِلى أَخينا : رأَينا نَفسَه في شِدَّةٍ عِندَما استَرحَمَنا فلَم نَسمَعْ لَه . لِذلِك نالَتْنا هذه الشِّدَّة» . ٢٢فأَجابَهم رأُوبينَ قائلاً : «أَلَم أَقُلْ لكم : لا تَخطَأُوا إِلى الوَلَد ، وأَنتُم لم تَسمَعوا ، لِذلِك يُطالَبُ الآنَ بِدَمِه» . ٢٣ولم يَكونوا يَعلَمونَ أَنَّ يوسفَ يَفهَمُ ذلك ، إِذ كانَ هُناكَ تُرجُمانٌ بَينَه وبَينَهم . ٢٤فتَحَوَّلَ عنهُم وبَكى .

نزول عشيرة يعقوب الى مصر

وأخيراً عرَّف يوسف نفسه لإخوته وغفر لهم. فاستدعى الى مصر عشيرة أبيه يعقوب وأقامها في أرض جاسان.

[١٨] فتَقَدَّمَ إِلَيه يَهوذا وقال: «يا سَيِّدي، أَرْجو أَن يَقولَ عَبْدُكَ كَلِمَةً على مِسمَعِ سَيِّدي، ولا تَغْضَبْ على عَبدِكَ، فإِنَّكَ مِثلُ فِرعَون. [١٩] كانَ سَيِّدي قد سَأَلَ عَبيدَه قائِلاً: هل لكم أَبٌ أَو أَخ؟ [٢٠] فقُلْنا لِسَيِّدي: لَنا أَبٌ شَيخ، ولَه آبنُ شَيخوخةٍ صَغير قد ماتَ أَخوه وبَقِيَ هو وَحدَه لِأُمِّه، وأَبوه يُحِبُّه. [٢١] فقُلتَ لِعَبيدِكَ: اِنزِلوا بِه إِلَيَّ لِأُلقِيَ نَظَري علَيه. [٢٢] فقُلْنا لِسَيِّدي: لا يَقدِرُ الفَتى أَن يَترُكَ أَباه، وإِن تَرَكَه يَموتُ أَبوه. [٢٣] فقُلتَ لِعَبيدِك: إِن لم يَنزِلْ أَخوكمُ الصَّغيرُ مَعَكم فلا تَعودونَ تَرَونَ وَجْهي. [٢٤] فكانَ لَمَّا صَعِدْنا إِلى عَبْدِكَ أَبي، أَنَّنا أَخبَرْناه بِكَلامِ سَيِّدي. [٢٥] وقالَ أَبونا: اِرجِعوا فآشْتَروا لَنا قَليلاً مِنَ الطَّعام. [٢٦] فقُلْنا: لا نَقدِرُ أَن نَنزِل. أَمَّا إِن كانَ أَخونا الصَّغيرُ مَعَنا فنَنزِل، لِأَنَّنا لا نَقدِرُ أَن نَرى وَجهَ الرَّجُل، ما لم يَكُنْ أَخونا الصَّغيرُ معَنا. [٢٧] فقالَ لنا عَبدُكَ أَبي: أَنتُم تَعلَمونَ أَنَّ آمرَأَتي وَلَدَت لِيَ آبنَين، [٢٨] فخَرَجَ أَحَدُهُما مِن عِنْدي فقُلتُ: إِنَّه قَدِ آفتُرِسَ وإِلى الآنَ لم أَرَه. [٢٩] فإِن أَخَذتُم هذا أَيضاً مِن أَمامي فأَصابَه سُوءٌ، أَنزَلتُم شَيبَتي بِالشَّقاءِ الى مَثْوى الأَموات.

٤٥ [١] فلم يَستَطِعْ يوسفُ أَن يَملِكَ نَفْسَه أَمامَ جَميعِ القائِمينَ عِندَه، فصَرَخ: «أَخرِجوا جَميعَ القَومِ مِن عِنْدي». فلَم يَبْقَ عِندَه أَحَدٌ، حينَ عَرَّفَ نَفْسَه إِلى إِخوتِه. [٢] فأَطلَقَ صَوتَه بالبُكاء، فسَمِعَته مِصرُ وسَمِعَه بَيتُ فِرعَون.

[٣]وقالَ يوسفُ لإِخوَتِه : «أنا يوسف . ألا يَزالُ أَبي حَيًّا ؟» فلم يَستَطِع إِخوَتُه أَن يُجيبوه ، لِأَنَّهمُ ٱرتَعَدوا أَمامَه . [٤]فقالَ يوسفُ لإِخوَتِه : «تَقَدَّموا إِلَيَّ» فتَقَدَّموا . فقال : «أَنا يوسفُ أَخوكمُ الَّذي بِعتُموه لِلمصريِّين . [٥]والآن فلا تَكتَئِبوا ولا تَغضَبوا لِأَنَّكم بِعتُموني هُنا ، فإِنَّ اللهَ قد أَرسَلَني أَمامَكم لِأُحيِيَكم . [٦]وقد مَضَت سَنَتا مَجاعةٍ في وَسَطِ الأَرض ، وبَقِيَت خَمْسُ سِنينَ دونَ حَرْثٍ ولا حِصاد . [٧]فأَرسَلَني اللهُ قُدَّامَكم لِيَجعَلَ لكم بَقِيَّةً في هذه الأَرض ولِيُحيِيَكم ، لِنَجاةٍ عظيمة . [٨]فالآن لم تُرسِلوني أَنتُم إِلى هٰهُنا ، بَلِ اللهُ أَرسَلَني وهو قد صَيَّرَني كأَبٍ لِفِرعَون وكسَيِّدٍ على بَيتِه كُلِّه وكمُتَسَلِّطٍ على كُلِّ أَرضِ مِصْر .

[٩]فأَسرِعوا وٱصعَدوا إِلى أَبي وقولوا لَه : «كَذا قالَ ٱبنُكَ يوسف : قد جَعَلَني اللهُ سَيِّداً لِجَميعِ المِصريِّين ، فٱنزِلْ إِلَيَّ ولا تُبطِئْ . [١٣]فأَخبِروا أَبي بِكُلِّ مَجْدي في مِصْر وبِكُلِّ ما رأَيتُموه ، وأَسرِعوا فٱنزِلوا بِأَبي إِلى ههُنا» ...

٤٦ [١]فرَحَلَ إِسْرائيلُ بِكُلِّ ما لَه حَتَّى جاءَ بِئْرَ سَبْع ، فذَبَحَ ذَبائِحَ لِإِلهِ أَبيه إِسحق . [٢]فكَلَّمَ اللهُ إِسْرائيلَ في رُؤَى لَيلِيَّةٍ وقال : «يَعْقوب ، يَعْقوب !» . قال : «لَبَّيكَ» . [٣]قال : «أَنا اللهُ ، إِلهُ أَبيكَ . لا تَخَفْ أَن تَنزِلَ إِلى مِصْر ، فإِنِّي سأَجعَلُكَ هُناكَ أُمَّةً عظيمة . [٤]أَنا أَنزِلُ معَكَ إِلى مِصْر ، وأَنا أُصعِدُكَ مِنْها ، ويوسفُ هو الَّذي يُغمِضُ عَينَيك» . [٥]فقامَ يَعْقوبُ مِن بِئْرِ سَبْع ، وحَمَلَ بَنو إِسْرائيلَ يَعْقوبَ أَباهم وأَطْفالَهم ونِساءَهم على العَجَلاتِ الَّتي بَعَثَ بِها فِرعَونُ لِتَحمِلَه .

[٦]وأَخَذوا ماشِيَتَهم ومُقْتَنَياتِهِم الَّتي ٱقتَنَوها في أَرضِ كَنْعان ، وقَدِموا

إلى مِصْر ، يَعْقوبُ وكُلُّ ذُرِّيَّتِه معَه : [٧]بَنوه وبَنو بَنيه وبَناتُه وبَناتُ بَنيه وسائِرُ ذُرِّيَّتِه جاء بِهم معَه إلى مِصْر .

[٢٨]فأَرسَلَ يَعْقوبُ يَهوذا قُدَّامَه إلى يوسف ، لِيَدُلَّه على أَرضِ جاسان . ثُمَّ جاؤُوا أَرضَ جاسان . [٢٩]فشَدَّ يوسفُ على مَركَبتِه وصَعِدَ لِيُلاقِيَ إسْرائيلَ أَباه في جاسان . فلَمَّا ظَهَرَ لَه أَلْقى بِنَفْسِه على عُنُقِه وبَكى على عُنُقِه طَويلاً . [٣٠]فقالَ إِسْرائيلُ لِيُوسف : «دَعْني أَموتُ الآن ، بَعدَما رأَيتُ وَجهَكَ ، لِأَنَّكَ لا تَزالُ حَيًّا» .

١٨. وفاة يعقوب ويوسف

٤٩ [١]ثُمَّ دَعا يَعْقوبُ بَنيه وقال[٥٤] : «اِجتَمِعوا لِأُنبِئَكم بِما يَكونُ لكم في لاحِقِ الأَيَّام .

[٢]اِجتَمِعوا وأَصْغوا يا بَني يَعْقوب أَصْغوا إلى إسْرائيلَ أَبيكم .

[٨]يَهوذا ، إِيَّاكَ يَحمَدُ إِخوَتُكَ .

يَدُكَ على رَقبَةِ أَعْدائِكَ ، يَسجُدُ لَكَ بَنو أَبيكَ .

يَهوذا شِبْلُ أَسَدٍ، مِنَ الِافتِراسِ صَعِدتَ يا بُنَيَّ .

جَثَمَ ورَبَضَ كَالأَسَدِ واللَّبُؤَة ، فمَن ذا يُقيمُه ؟

[١٠]لا يَزولُ الصَّولَجانُ مِن يَهوذا ولا عَصا القِيادَةِ مِن بَينِ قَدَميه

إِلى أَن يأتِيَ صاحِبُها وتُطيعَه الشُّعوب . . .

[٢٩]وأوصاهُم يَعْقوبُ وقالَ لَهم : «أَنا مُنضَمٌّ إِلى أَجدادي . فادْفِنوني

(٥٤) نصّ «بركات يعقوب» لاحق للاحداث بكثير (زمن داود ؟) ، لكن بعض عناصره هي سابقة للحكم الملكي . والصيغة المتّخذة هي صيغة الاقوال النبوية .

مع آبائي في المَغارةِ الَّتي في حَقْلِ عَفْرونَ الحِثِّيّ ، [٣٠]المَغارةِ الَّتي في حَقْلِ المَكْفيلة ، بِإزاءِ مَمْرا ، في أَرضِ كَنْعان ، والَّتي آشتَراها إِبْراهيمُ مع الحَقْلِ من عَفْرونَ الحِثِّيّ ، مِلكَ قَبْرٍ . [٣١]هُناكَ دُفِنَ إِبْراهيمُ وسارةُ آمرَأَتُه ، وهُناكَ دُفِنَ إِسْحقُ ورِفقَةُ آمرَأَتُه ، وهُناكَ دَفَنتُ لَيئَة .

٥٠ [١]فلَمَّا رأَى إِخوَةُ يوسفَ أَن قد ماتَ أَبوهم ، قالوا : «لَعَلَّ يوسفَ يَحقِدُ علَينا ويُكافِئُنا على الشَّرِّ الَّذي فَعَلْناه به» . [١٦]فأَرسَلوا مَن قالَ لِيُوسف : «إِنَّ أَباكَ أَوصانا قَبلَ مَوتِه وقال : [١٧]«كَذا تَقولونَ لِيُوسف : أَرْجو أن تَغفِرَ لِإِخوَتِكَ ذَنبَهم وخَطيئَتَهم ، فقَد فَعَلوا بِكَ سوءاً . والآن أَسأَلُكَ أَن تَصفَحَ عن ذَنْبِ عَبيدِ إِلهِ أَبيكَ» . فبَكى يوسفُ حينَ قيلَ لَه ذلك .

[١٨]وجاءَ إِخوَتُه أَيضاً فارتَمَوا أَمامَه وقالوا : «ها نَحنُ عَبيدٌ لَكَ» . [١٩]فقالَ لَهم يوسف : «لا تَخافوا . أَلَعَلِّي أَنا مَكانَ الله ؟ [٢٠]أَنتُم نَوَيتُم عَلَيَّ شَرًّا ، واللهُ نَوى بِه خَيراً ، لِكَي يَصنَعَ ما تَرونَه اليَوم لِيَهَبَ الحَياةَ لِشَعبٍ كَثير . والآن لا تَخافوا : أَنا أَعولُكم أَنتُم وعِيالكم» . [٢١]وعَزَّاهم وخاطَبَ قُلوبَهم .

[٢٢]وأَقامَ يوسفُ بِمِصْرَ هو وبَيتُ أَبيه . وعاشَ يوسفُ مِئَةً وعَشْرَ سِنين . [٢٣]ورأَى يوسفُ مِن بَني أَفْرائيمَ الجيلَ الثَّالِث ، وقَد وُلِدَ أَيضاً على رُكبَتَيه بَنو ماكيرَ بْنِ مَنَسَّى . [٢٤]وقالَ يوسفُ لِإِخوَتِه : «هاءَنَذا أَموت ، واللهُ سيَفتَقِدُكم ويُصعِدُكم مِن هذه الأَرضِ إِلى الأَرضِ الَّتي أَقسَمَ علَيها لِإِبْراهيمَ وإِسْحقَ ويَعْقوب . [٢٥]وآستَحلَفَ يوسفُ بَني إِسْرائيلَ وقال : «إِنَّ اللهَ سيَفتَقِدُكم ، فأَصعِدوا عِظامي مِن ههُنا» .

[٢٦] وماتَ يوسفُ وهو ٱبنُ مِئَةٍ وعَشْرِ سِنين. فحَنَّطوه وجُعِلَ في تابوتٍ بِمِصْر.

قراءة لبني جيلنا

في سيرة الآباء هذه، كَرَّ التقليد معزَّة خاصة لإبراهيم ويوسف.
بنو جيلنا مدعوّون اليوم الى التأمُّل في إيمان ابراهيم:
الايمان عطية مجّانية، ولكنه في الوقت نفسه، دعوة الى الاسهام مع الله.
ليس الايمان جامداً، بل هو حركة تتّجه الى الذروة.
الايمان مغامرة تتّضح كلّما عشناها في يقين الله.
الايمان لا يُزيل نقائص المؤمن، بل يتّخذها ليحوّلها.
قد يؤدّي الايمان الى انقطاعات (مكانية أو شخصية) على الصعيد البشري.
لكن دعوة ابراهيم لا تجعل منه انساناً غريباً عن زمنه، فهو يتأثّر بحضارة زمنه ونقائصها.
أمَّا دعوة الله، فانها تبقى حرَّة على الاطلاق، ولا ترتبط بأية حتمية. هذا شأن حق البكرية.
وفي سيرة يوسف، يستخلص بنو جيلنا عبرة كبيرة، وهي ان الله لا يترك الذين يتكلّمون عليه، وانه يستطيع، وهو القدير، أن يقلب الى الخير أفجع الاحداث في الظاهر. كان يوسف مُبغضاً من إخوته، فأصبح أداة تدبير الله الخلاصي. وبفضله أقامت عشيرة يعقوب في مصر. وسرّ الفداء يواصل طريقه.

سِفرُ الخُروج

ينقسم السفر الثاني من التوراة الى قسمَين رئيسيَين : الاول ، وهو تاريخي ، يروي الخروج من مصر والسير الى سيناء والعهد (١ - ٢٤) ، والثاني ، وهو تشريعي ، يحتوي على الاحكام الطقسية المختصة بمقدس البرّيّة النقّال (٢٥ - ٤٠) .

١) من الراجح أن الاحداث المروية وقعت في القرن الثالث عشر ق . م .، وأن مضايقة العبرانيين بلغت ذروتها على عهد الفرعون رعمسيس الثاني ، وأن الخروج من مصر كان على عهد خليفته منفتاح .

يقوم موسى بالدور الاهم . هناك معلومات عن أسرته وتربيته ودعوته ومقابلاته للفرعون . وتُختم إقامة العبرانيّين في مصر بضربات مصر العشر وبالاحتفال بالفصح .

أمّا السير في البرية ، فهو مناسبة ينتهزها الكاتب ليذكر تدخّلات خلاصية من قبل الله . ففي عهد سيناء يشدّد على تجلّي مجد الله وعلى دور الوسيط الذي يقوم به موسى . ابتداءً من اليوم ، خُلق شعب اسرائيل ، وأصبح تابوت العهد مَقدِس الشعب الجديد ، وانبثقت الليترجية عن الحياة الدينية التي تجري فيه .

٢) في القسم الثاني ، تتعلّق الاحكام الطقسية بالمقدِس النقّال : خيمة الموعد وتابوت العهد . لها أهمية كبرى ، ولكن لا ننسى أنهم كانوا يجهلون الكثير عن تلك الحقبة التاريخية ، فكانوا ينسبون الى الامور القديمة عناصر متأخّرة تعود الى هيكل أورشليم .

لا بدّ من الملاحظة التالية المختصة **بالفن الادبي** : كثيراً ما تتّسم الروايات بالطابع الملحمي (عبور البحر الاحمر مثلاً) . أراد الكاتب أن يجيد في سرد الاحداث التي رافقت نشأة شعب اسرائيل وتدخّل الله القدير الى جانبه ، أفما كان عليه أن يستخدم إنشاءً يختلف كل الاختلاف عن إنشاء محضر بسيط ؟ ولا ننسى أيضاً أننا لسنا هنا

أمام «ذكريات» موسى ، بل أمام نتيجة تفكير طويل قام به التقليد في الوثائق القديمة المتعلّقة بوقائع الخروج من مصر وشخصياته . والى جانب كل ذلك ، كان من الصعب على الكاتب أن يعبّر بالكلام عن عمل الله اللامنظور ، فلجأ الى الرموز (ولا سيّما النار والبروق) والكلمات («مجد الله») . كان التقليد متأثّراً بعقلية زَمن معيَّن ، فلم يحاول أن يميّز ، في عمل موسى ، بين ما يعود اليه وما يجب نسبته الى الله . ولذلك وردت في هذا السفر عبارة «قال الله لموسى» أكثر من أربعين مرّة . وإذا أضفنا ان التقليد أراد أن يجد ، منذ ذلك الحين ، النشاط الكهنوتي الذي انفرد به سبط لاوي ، وأن عناصر تشريعية حديثة أُلحقت بالنصوص الاصلية ، أدركنا أنه يجب علينا أن نقرأ سفر الخروج ، لا قراءة كتاب تاريخ عصري ، بل في وجهة نظر التقليد اليهودي وكعرضٍ ديني يُراد به إبراز خلاص الله لشعبه .

موضوع سفر الخروج

الى الحدث التاريخي أُضيف موضوع روحي يتخلّل العهد القديم كله ، ويظهر أيضاً عند القديس بولس (١ قور ١٠) وعند كاتب الرسالة إلى العبرانيّين ، ويبرز أخيراً في رتبة بيرمون الفصح المسيحية .

١. الأحداث

١. أوضاع العبرانيّين في مصر في أيام موسى

ان سلالة الهِكْسُس الساميّة ، التي رَحَّبت في الماضي بعشيرة يعقوب ، حلَّت محلّها سلالة أخرى لا تحب هؤلاء الغرباء . فكانت تسخّرهم في أعمال البناء وتحاول أن تقضي عليهم .

١ [٨]وقامَ مَلِكٌ جَديدٌ(١) على مِصرَ لم يَعرِفْ يُوسُف . [٩]فقالَ لِشَعْبِه : «ها إِنَّ شَعْبَ بَني إِسْرائيلَ أَكثَرُ وأَعظَمُ مِنَّا . [١٠]تَعالَوا نَحتالُ عَلَيهم كَيلا يَكثُروا ، فيَكونَ أَنَّهم ، إِذا وَقَعَت حَرْبٌ ، يَنضَمُّونَ إِلى أَعدائِنا ويُحارِبونَنا

(١) فرعون غير ساميّ، قد يكون رعمسيس الثاني .

ويَصعَدونَ مِن هذه الأَرض» . [١١]فأَقاموا علَيهِم وُكَلاءَ تَسْخير لِكَي يُذِلُّوهم بأَثْقالِهِم . فبَنَوا لِفِرعَونَ مَدينَتَي خَزْنٍ وهُما فِيتوم ورَعَمْسيس [١٢]وكانوا كُلَّما أَذَلُّوهم يَكثُرونَ ويَنتَشِرون ، حتَّى تَخَوَّفوا مِن وَجهِ بَني إِسرائيل . [١٣]فآستَخدَمَ المِصرِيُّونَ بَني إِسْرائيلَ بِقَسوَة ، [١٤]وأَذاقوهُمُ الأَمَرَّين بِعَمَلٍ شاقٍّ بِالطِّينِ واللَّبِنِ وسائِرِ الأَعمالِ في الحَقْل ، وكُلُّ ما عَمِلوه عن يَدِهِم كانَ بِقَسْوَة .

[١٥]وكَلَّمَ مَلِكُ مِصْرَ قابِلَتَي العِبرانِيَّاتِ اللَّتَينِ آسمُ إِحداهُما شِفْرَة والأُخرى فُوعة[١٦] وقال : «إِذا ولَّدتُما العِبْرانِيَّات ، فآنظُرا إِلى جِنْسِ المَولود ، فإِن كانَ آبنٌ فأَميتوه ، وإِن كانَتِ آبنَةٌ فلْتَحْيا» . [١٧]لكِنَّ القابِلَتَينِ خافَتا الله ولَم تَصنَعا كَما قالَ لَهُما مَلِكُ مِصر ، فآستَبقَتا البَنينَ أَحْياءً . [١٨]فآستَدعى مَلِكُ مِصرَ القابِلَتَينِ وقالَ لَهُما : «لِماذا صَنَعتُما ذلك وآستَبقَيتُما البَنينَ أَحْياءً» [١٩]فقالَتا لِفِرعَون : «إِنَّ العِبرانِيَّاتِ لَسْنَ كالنِّساءِ المِصرِيَّات ، فَهُنَّ قَوِيَّاتٌ يَلِدْنَ قَبلَ أن تَدخُلَ عَلَيهِنَّ القابِلة» . [٢٠]وأَحسَنَ اللهُ إِلى القابِلَتَين وكَثُرَ الشَّعبُ وعَظُمَ جِدًّا . [٢١]وخافَتِ القابِلَتانِ الله ، فرَزَقَهما أَولاداً .

[٢٢]فأَمَرَ فِرعَونُ كُلَّ شَعبِه قائلاً : «كُلُّ آبنٍ يُولَدُ لَهم فآطرَحوه في النِّيل ، وكُلُّ آبنَةٍ فآستَبْقوها» .

٢. وفي وقت لاحق ، رووا عن مولد موسى أموراً غريبة . ما يجب أن نحتفظ منها أنه نجا من الموت ورُبّي تربية الكَتَبَة . ويمكننا أن نضيف ، فيما يتعلّق بالمستقبل ، انه كان متمسّكاً ببني ذريته وأنه هرب إلى البرّيّة واتّخذ امرأة من بين القينيين .

٢ [١]ومَضى رَجُلٌ مِن آلِ لاوي فتَزَوَّجَ بِابنَةِ لاوي . [٢]فحَمَلَتِ المَرأَةُ

وولَدَتِ آبناً . ولمّا رأَت أَنَّه جَميل ، أَخفَته ثَلاثَةَ أَشهُر . [٣]ولَمَّا لم تَستَطِعْ أَن تُخفِيَه بَعدُ، أَخَذَت لَه سَلَّةً مِنَ البَرْدِيّ وطَلَتها بالحُمَرِ والزِّفْت ، وجَعَلَتِ الوَلَدَ فيها ووضَعَتها بَينَ القَصَبِ على حافَةِ النَّهر . [٤]ووَقَفَت أُختُه مِن بَعيد لِتَعلَمَ ما يَحدُثُ لَه(٢) .

[٥]فنَزَلَتِ آبنَةُ فِرعونَ إِلى النِّيلِ لِتَغتَسِل ، وكانت وصائِفُها يَتَمَشَّينَ على شاطِئِ النِّيل . فرَأَتِ السَّلَّةَ بَينَ القَصَب ، فأَرسَلَت خادِمَتَها فأَخَذَتها . [٦]وفَتَحَتها ورَأَتِ الوَلَد ، فإِذا هو صَبِيٌّ يَبْكي . فأَشفَقَت علَيه وقالَت : «هذا مِن أَولادِ العِبرانِيِّين» . [٧]فقالَت أُختُه لِآبنَةِ فِرعَون : «هَل أَذهَبُ وأَدْعو لَكِ مُرضِعاً مِنَ العِبرانِيَّاتِ تُرضِعُ لَكِ الوَلَد ؟» فقالَت لَها آبنَةُ فِرعَون : «اِذهَبي» . فذَهَبَتِ الفَتاةُ ودَعَت أُمَّ الوَلَد . [٩]فقالَت لَها آبنَةُ فِرعَون : «اِذهَبي بِهذا الوَلَد فأَرضِعيه لي ، وأَنا أُعْطيكِ أُجرَتَكِ» . فأَخَذَتِ المَرأَةُ الوَلَدَ وأَرضَعَته . [١٠]ولَمَّا كَبِرَ الوَلَد ، جاءَت بِه آبنَةَ فِرعَون ، فأَصبَحَ لَها آبناً ، وسَمَّته موسى وقالَت : «لِأَنِّي آنتَشَلتُه مِنَ الماء»(٣) .

[١١]وكانَ في تِلكَ الأَيَّام ، لَمَّا كَبِرَ موسى ، أَنَّه خَرَجَ إِلى إِخوَتِه ورأَى أَثْقالَهم ، ورَأَى رَجُلاً مِصرِيًّا يَضرِبُ رَجُلاً عِبْرانِيًّا مِن إِخوَتِه . [١٢]فآلتَفَتَ إِلى هُنا وهُناك فلَم يَرَ أَحداً فقَتَلَ المِصرِيَّ وطَمَرَه في الرَّمْل . [١٣]ثُمَّ خَرَجَ في اليَومِ الثَّاني ، فإِذا بِرَجُلَينِ عِبْرانيَّينِ يَتَخاصمان ، فقالَ لِلمُعتَدي : «لِماذا تَضرِبُ قَريبكَ ؟» [١٤]فقال : «مَن أَقامَكَ رَئيساً وقاضِياً علَينا ؟ أَتُريدُ أَن

(٢) هذه الفقرة ، ذات الطابع الفلكلوري ، ليست من الفن التاريخي الخالص ، بل تنتمي الى الفن الادبي المستعمل في طفولة الشخصيات البارزة .

(٣) اشتقاق شعبي : في اللغة المصرية ، الكلمة تعني «الطفل» .

تَقتُلَني كَما قَتَلتَ المِصريّ؟» فخافَ موسى وقالَ في نفسِه: «إذَن لَقَد عُرِفَ الخبَر». وسَمِعَ فِرعَونُ بِهذا الخبَر، فطَلَبَ أن يَقتُلَ موسى، فهَرَبَ موسى مِن وَجهِ فِرعَونَ وآنطَلَقَ إلى أَرضِ مِديَن(٤) وجَلَسَ عِندَ البِئْر.

[١٦]وكانَ لِكاهِنِ مِديَنَ سَبْعُ بَنات، فجِئنَ وآستَقَينَ ومَلأنَ المَساقِيَ لِيَسْقينَ غَنَمَ أَبيهِنَّ. [١٧]فجاءَ الرُّعاةُ وطَرَدوهُنَّ. فقامَ موسى وأَنجَدَهُنَّ وسقى غَنَمَهُنَّ. [١٨]فلَمَّا جِئنَ رَعوئيلَ(٥) أَباهُنَّ قال: «لِماذا أَسرَعتُنَّ في المَجيءِ اليَوم؟» [١٩]فقُلنَ: «إنَّ رَجُلاً مِصرِيًّا خَلَّصَنا مِن أَيدي الرُّعاة، وآستَقَى أَيضاً لَنا وسَقى الغَنَم». [٢٠]فقالَ لِبَناتِه: «وأَينَ هو؟ لِمَ تَرَكتُنَّ الرَّجُل؟ أُدْعونَه لِيَأكُلَ طَعاماً». [٢١]فقَبِلَ موسى أَن يُقيمَ عِندَ الرَّجُل، فزَوَّجَه صِفُّورَةَ آبنَتَه. [٢٢]فوَلَدَتِ آبناً فسَمَّاه جِرْشوم لِأَنَّه قال: «كُنتُ نَزيلاً في أَرضٍ غَريبة(٦)».

٣. الله يدعو موسى الى إخراج العبرانيين من مصر

في سيناء، رأى موسى الرؤيا التي يُقال لها «العلّيقة المشتعلة». فأطلعه الله على دعوته، وبدّد شيئاً فشيئاً اعتراضاته وأولاه سلطات يصوّرها الكاتب بصور تثير الاعجاب.

الرسالة

٣ [١]وكانَ موسى يَرْعى غَنَمَ يِتْرُوَ حَميه، كاهِنِ مِدْيَن. فساقَ الغَنَمَ إِلى

(٤) راجع ٢٨/٣٧
(٥) حمو موسى أكثر شهرة باسم يترو.
(٦) اشتقاق شعبي: الكلمة تعني «الغريب».

ما وراءَ البَرِّيَّة ، وٱنتهى إِلى جَبَلِ اللهِ حُوريب . ٢فتَراءى لَه مَلاكُ الرَّبِّ(٧) في لَهيبِ نارٍ مِن وَسَطِ عُلَّيقَة . فنَظَرَ فإِذا العُلَّيقَةُ تَشتَعِلُ بِالنَّارِ وهيَ لا تَحتَرِق . ٣فقالَ موسى في نَفْسِه : «أَدورُ وأَنظُرُ هذا المَنظَرَ العَظيم ولِماذا لا تَحتَرِقُ العُلَّيقَة» . ٤ورأَى الرَّبُّ أَنَّه قد دارَ لِيَرى . فناداه اللهُ مِن وَسَطِ العُلَّيقَةِ وقال : «موسى موسى» . قال : «لَبَّيكَ» . قال : «لا تَدْنُ إِلى ههُنا . إِخلَعْ نَعلَيكَ مِن رِجلَيكَ ، فإِنَّ المكانَ الَّذي أنتَ قائمٌ فيه أَرضٌ مُقَدَّسَة»(٨) . ٦وقال : «أَنا إِلهُ أَبيكَ ، إِلهُ إِبْراهيم وإِلهُ إِسحق وإِلهُ يَعْقوب» . فسَتَرَ موسى وَجهَه لِأَنَّه خافَ أَن ينظُرَ إِلى الله .

٧فقالَ الرَّبّ : «إِنِّي قد رَأَيتُ مَذَلَّةَ شَعْبي الَّذي بِمِصْر ، وسَمِعتُ صُراخَه بِسَبَبِ مُسَخِّريه ، وعَلِمتُ بِآلامِه ، ٨فنَزَلتُ لِأُنقِذَه مِن أَيدي المِصرِيِّين وأُصعِدَه مِن هذه الأَرضِ إِلى أَرضٍ طَيِّبَة واسِعة ، إِلى أَرضٍ تَدُرُّ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً ، إِلى مَكانِ الكَنْعانِيِّينَ . ١٠فالآن ، اِذهَبْ ! أُرسِلُكَ إِلى فِرعَون . أَخرِجْ شَعْبي بَني إِسْرائيلَ من مِصر» .

١١فقالَ موسى لله : «مَن أَنا حَتَّى أَذهَبَ إِلى فِرعَونَ وأُخرِجَ بني إِسرائيلَ من مِصر؟» ١٢قال : «أَنا أَكونُ معَكَ(٩) ، وهذه علامةٌ لكَ على

(٧) ملاك الرب ، بمعنى الرب نفسه .
(٨) كلمة «مقدَّس» تعني «مفصول» . والارض مقدَّسة هنا لان الله فيها : الله هو الآخر . في وقت لاحق ، ستقوم القداسة على المستوى الاخلاقي ، فيكون الله منفصلاً عن النجاسة (اش ٦) .
(٩) تأتي هذه العبارة على لسان الله ، حين يوجّه الكلام الى شخص يعهد إليه بمهمة تتعلّق بشعب الله .

أَنِّي أنا أَرسَلتُكَ : إِذا أَخرَجتَ الشَّعبَ مِن مِصر ، تَعبُدونَ اللهَ على هذا الجَبَل» .

[١٣]فقالَ موسى لله : «ها أَنا ذاهِبٌ إِلى بَني إِسْرائيل ، فأَقولُ لَهم : إِلهُ آبائِكُم أَرسَلَني إِلَيكم ، فإِن قالوا لي : ما ٱسمُه ، فماذا أَقولُ لهم ؟» [١٤]فقالَ اللهُ لِموسى : «أَنا هو مَن هو»[(١٠)] . وقال : «كَذا تَقولُ لِبَني إِسْرائيل : أَنا هو أَرسَلَني إِلَيكم» . [١٥]وقالَ اللهُ لِموسى ثانِيةً : «كَذا تَقولُ لِبَني إِسْرائيل : الرَّبُّ إِلهُ آبائِكُم ، إِلهُ إِبْراهيم وإِلهُ إِسحق وإِلهُ يَعْقوب أَرسَلَني إِلَيكم . هذا ٱسْمي لِلأَبَد وهذا ذِكْري مِن جيلٍ إِلى جيل» .

٤ [١]فأَجابَ موسى وقال : «وإِن لم يُصَدِّقوني ولَم يَسمَعوا لِقَولي ، بل قالوا : لم يَتَراءَ لَكَ الرَّبّ ؟» [٢]فقالَ لَه الرَّبّ : «ما هذا الَّذي في يَدِكَ ؟» قال : «عصاً» . [٣]قال : «أَلقِها على الأَرض» . فأَلْقاها على الأَرض ، فصارَت حَيَّةً ، فهَرَبَ موسى مِن وَجهِها . [٤]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «مُدَّ يَدَكَ وأَمسِكْ بِذَنَبِها» . فمَدَّ يَدَه وأَمسَكَ بِها ، فعادَت عَصاً في يَدِه .

[٦]وقالَ لَه الرَّبُّ أَيضاً : «أَدخِلْ يَدَكَ في عُبِّكَ» . فأَدخَلَ يَدَه في عُبِّه ، ثُمَّ أَخرَجَها ، فإِذا يَدُه بَرْصاءُ كالثَّلج . [٧]فقال : «رُدَّ يَدَكَ إِلى عُبِّكَ» . فرَدَّ يَدَه إِلى عُبِّه ، ثُمَّ أَخرَجَها مِن عُبِّه ، فعادَت كَسائِرِ جَسَدِه . [٨]قال : «فإِن لَم يُصَدِّقوكَ ولَم يَستَمِعوا لِصَوتِ الآيةِ الأُولى يُصَدِّقونَ صَوتَ الآيةِ الأُخرى»[(١١)] .

(١٠) أو «أنا هو ما هو» (أي لا يستطيع أحد أن يعرفني) .

(١١) لا بدّ من تفسير هذه العلامات بحسب الفنّ الادبي ، فالكاتب يريد أن يُظهر أن قدرة موسى أعظم من قدرة سَحرة فرعون .

[١٠]فقالَ موسى لِلرَّبّ : «العَفوَ يا رَبّ ، إِنِّي لَستُ رَجُلَ كَلامٍ في الأَمْسِ ولا في أَوَّلِ أَمْس ، ولا مُذْ خاطَبتَ عَبدَكَ، لِأَنِّي ثَقيلُ الفَمِ وثَقيلُ اللِّسان» . [١١]فقالَ لَه الرَّبّ : «مَنِ الَّذي جَعَلَ لِلإِنْسانِ فَماً أَو مَنِ الَّذي يَجعَلُ الإِنسانَ أَخرَسَ أَو أَصَمَّ أَو بَصيراً أَو أَعْمى ؟ أَلَيسَ هو أَنا الرَّبّ ؟ [١٢]والآن فَآذهَبْ ، فإِنِّي أَكونُ مع فَمِكَ وأُعَلِّمُكَ ما تَتَكَلَّمُ بِه» .

[١٣]قال : «العَفْوَ يا رَبّ ، أَرسِلْ مَن تُريدُ أَن تُرسِلَه» . [١٤]فآتَّقَدَ غَضَبُ الرَّبِّ على موسى .

٤. ذهاب موسى الى مصر وفشله الاول لدى فرعون

اغتنم موسى فرصة تغيير في الحكم وربّما فرصة تغييرات هامّة في إدارة شؤون البلاد ، فعاد الى مصر . ومثل أمام فرعون ، ولكنه لم يبالِ بكلامه وصرفه ، لا بل زاد على تسخير العبرانيّين ، فاحتجُّوا على موسى وقاوموه .

٤ [١٨]فذَهَبَ موسى ورَجَعَ إِلى يِتْرُوَ حَمِيه وقالَ له : «دَعْني أَذهَبُ وأَرجِعُ إِلى إِخوَتي الَّذينَ بِمِصر ، لِأَرى هل هُم على قَيدِ الحَياة» . فقالَ يِتْرو لِموسى : «اِذهَبْ بِسَلام» .

[٢٧]وقالَ الرَّبُّ لِهارون : «اِذهَبْ لِلِقاءِ موسى في البَرِّيَّة» . فذَهَبَ ولَقِيَه في جَبَلِ الله ، فقَبَّلَه . [٢٨]فأَخبَرَ موسى هارونَ بِكَلامِ الرَّبِّ الَّذي أَرسَلَه وجَميعِ الآياتِ الَّتي أَمَرَه بِها . [٢٩]فذَهَبَ موسى وهارون وجَمَعا جَميعَ شُيوخِ بَني إِسْرائيل ، [٣٠]وخاطَبَهم هارونُ بِجَميعِ الكَلامِ الَّذي كَلَّمَ الرَّبُّ بِه موسى ، وصَنَعَ الآياتِ على عُيونِ الشَّعْب . [٣١]فآمَنَ الشَّعْبُ وفَهِمَ أَنَّ الرَّبَّ قدِ آفتَقَدَ بَني إِسْرائيلَ ورأَى مَذَلَّتَهم ، وجَثَوا لَه ساجِدين .

٥ [١]وبَعدَ ذلك ذَهَبَ موسى وهارونُ وقالا لِفِرعون : «كَذا قالَ الرَّبُّ إِلهُ

إِسْرائيل: أَطلِقْ شَعْبي لِكَي يُعَيِّدَ لي في البَرِّيَّة». [٢]فقالَ فِرعَون: «مَن هوَ الرَّبُّ فأَسمَعَ لِقَوله وأُطلِقَ إِسْرائيل؟ لا أَعرِفُ الرَّبَّ[١٢]، وأَمَّا إِسْرائيلُ فلَن أُطلِقَه». [٣]قالا: «إِلهُ العِبرانيِّينَ وافانا، فدَعْنا نَذهَبْ مَسيرةَ ثَلاثةِ أَيَّام في البَرِّيَّة ونَذبَحُ لِلرَّبِّ إِلهِنا، لِئَلاَّ يُصيبَنا بِطاعونٍ أَو سَيف». [٤]فقالَ لَهما مَلِكُ مِصر: «لِماذا يا موسى وهارونُ تُعَطِّلانِ الشَّعبَ عن أَعمالِه؟ اِذهَبوا إِلى سُخْراتِكم».

[٦]وأَمَرَ فِرعَونُ في ذلك اليَومِ مُسَخِّري الشَّعبِ وكَتَبَتَه قائلاً: [٧]«لا تُعْطوا الشَّعبَ تِبناً[١٣] بَعدَ اليَومِ لِيَصنَعوا اللَّبِنَ كما في الأَمْسِ وفي أَوَّلِ أَمْس، بل لِيَذْهَبوا هم ويَجمَعوا لِأَنفُسِهم تِبْناً. [٨]ومِقْدارُ اللَّبِنِ الَّذي كانوا يَصنَعونَه في الأَمْسِ وفي أَوَّلِ أَمْسِ آفرِضوه علَيهم ولا تُنقِصوا منه شيئاً، فإِنَّهم كَسالى، ولِذلك هُم يَصرُخونَ ويَقولون: لِنَذهَبْ ونَذبَحْ لِإِلهِنا. [٩]لِيَثقُلِ العَمَلُ على أُولئِكَ النَّاس، فيَشتَغِلوا بِه ولا يَلتَفِتوا إِلى كَلامِ الكَذِب» . . .

[١٩]فنظَرَ كَتَبَةُ بَني إِسْرائيلَ إِلَيهم بِشَرّ، قائِلينَ لَهم: «لا تُنقِصوا مِن لَبِنِكم شيئاً، بل فَريضةُ كُلِّ يَومٍ في يَومِها». [٢٠]وصادَفوا موسى وهارون، وهُما واقِفانِ لِلِقائِهم عِندَ خُروجِهم مِن عِندِ فِرعَون. [٢١]فقالوا لَهما: «لِيَنظُرِ الرَّبُّ إِلَيكما ويَحكُمْ! لقَد كَرَّهتُمانا إِلى فِرعَونَ وحاشِيَتِه وجَعَلتُما في أَيديهم سَيفاً لِيَقتُلونا». [٢٢]فرَجَعَ موسى إِلى الرَّبِّ وقال: «يا

(١٢) لا يعترف فرعون هنا بإله اسرائيل، لكنه، حينما تنزل الضربات بمصر، سيضطر الى الاعتراف بوجوده وحضوره المخلّص. فالقدرة الإلهية توجّه الانسان نحو الايمان.

(١٣) كانت إضافة التبن الى الطين تزيد اللَّبِن صلابة.

ربّ ، لِماذا أَسَأتَ إلى هذا الشَّعْب ؟ لِماذا أَرسَلتَني ؟ [٢٣]فإنِّي مُنذُ دَخَلتُ على فِرعَونَ لِأَتَكَلَّمَ بِاسمِكَ ، أَساءَ إلى هٰذا الشَّعْب ، وأَنتَ لم تُنقِذْ شَعبَك» .

٦ [١]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «الآنَ تَرى ما أَصنَعُ بِفِرعَون . فإنَّ يَداً قَوِيَّةً تُجْبِرُه على إِطْلاقِهم ويَداً قَوِيَّةً تُجبِرُه على طَردِهم» .

٥. الضربات التي أنزلت بمصر

يسمّون بهٰذا الاسم ظواهر طبيعية جرت في ظروف خاصة جداً حتى انها شكّلت علامات لقدرة الله المطلقة . وبدت ثانياً عقاباً على قساوة قلب فرعون . ولقد نظّم الكاتب مصادره هنا ليصل الى رقم عشرة ، فضلاً عن انه صوَّر هذه الظواهر في انشاء ملحمي ينسجم مع طابعها الخارق .

الماء المنقلب دماً

٧ [١٤]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «قد ثَقُلَ قَلبُ فِرعون(١٤) وأَبى أَن يُطلِقَ الشَّعْب . [١٥]فآذهَبْ إلى فِرعَونَ في الصَّباح ، فإنَّه يَخرُجُ إلى الماء . فقِفْ لِلِقائِه على شاطِئِ النِّيل ، والعَصا الَّتي آنقَلَبَت حَيَّةً خُذْها بِيَدِكَ . [١٦]وقُلْ لَه : الرَّبُّ إِلٰهُ العِبرانِيِّينَ أَرسَلَني إِلَيكَ قائلاً : أَطلِقْ شَعْبي لِيَعبُدَني في البَرِّيَّة ، وها إِنَّكَ إلى الآنَ لم تَسْمَعْ. [١٧]كذا قالَ الرَّبّ : بِهذا تَعلَمُ أَنِّي أَنا الرَّبّ : ها أَنا ضارِبٌ بِالعَصا الَّتي بِيَدي على المِياهِ الَّتي في النِّيل ، فتنقَلِبُ دَماً . [١٨]والسَّمَكُ الَّذي في النَّهرِ يَموت ، فيُنتِنُ النِّيلُ ولا يَستَطيعُ المِصرِيُّونَ أَن يَشرَبوا ماءَ النِّيل» .

(١٤) القساوة حالة رفض عادي لله ، تجعل الانسان ينغلق شيئاً فشيئاً عن الله .

١٩ثُمَّ قالَ الرَّبُّ لِموسى: «قُلْ لِهارون: خُذْ عَصاكَ ومُدَّ يَدَكَ على مِياهِ المِصرِيِّينَ وأَنهارِهم وقَنَواتِهم وأَحواضِهم وسائِرِ خَزَّاناتِ مِياهِهم، فتَصيرَ دَماً ويَكونَ دَمٌ في كُلِّ أَرضِ مِصْر، حَتَّى في الأَشجارِ والحِجارة». ٢٠ففعَلَ كَذلِكَ موسى وهارونُ كَما أَمَرَ الرَّبّ: رفَعَ العَصا وضَرَبَ الماءَ الَّذي في النِّيلِ أَمامَ عَينَي فِرعَونَ وكُلِّ حاشِيَتِه، فآنقَلَبَ كلُّ الماءِ الَّذي في النِّيلِ دَماً، ٢١والسَّمَكُ الَّذي في النِّيلِ ماتَ، وأَنتَنَ النِّيلُ فلَم يَستَطِعِ المِصرِيُّونَ أَن يَشرَبوا مِن ماءِ النِّيل، وكانَ الدَمُ في كُلِّ أَرضِ مِصْر. ٢٢فصَنَعَ كَذلِكَ سَحَرَةُ مِصرَ بِسِحرِهم، فتقَسَّى قَلبُ فِرعَونَ ولم يَسمَعْ لَهما، كما قالَ الرَّبّ. ٢٣ثُمَّ آنصَرَفَ فِرعَونُ ودَخَلَ بَيتَه ولم يأبَهْ لِذلك أَيضاً. ٢٤وحَفَرَ جَميعُ المِصرِيِّينَ حَواليِ النِّيلِ لِيَشرَبوا ماءً، إِذ لم يَكونوا يَستَطيعونَ أَن يَشرَبوا مِن ماءِ النِّيل.

الجراد

١٠ ١وقالَ الرَّبُّ لِموسى: «أُدخُلْ على فِرعَون، فإِنِّي قد ثَقَّلتُ قَلبَه وقُلوبَ حاشِيَتِه، لِكَي أَصنَعَ آياتي هذه بَينَهم، ٢ولِكَي تَقُصَّ على مِسمَعِ آبنِكَ وآبنِ آبنِكَ كَيفَ سَخِرتُ بالمِصرِيِّين وأَيَّ آياتٍ صَنَعتُ بَينَهم، ولِكَي تَعلَموا أَنِّي أنا الرَّبّ»(١٥). ٣فذَهَبَ موسى وهارونُ إِلى فِرعَونَ وقالا لَه: «كَذا قالَ الرَّبُّ، إِلهُ العِبرانِيِّين: إِلى متى تأبى أَن تَتَواضَعَ أَمامي؟ أَطلِقْ شَعْبي لِيَعبُدَني. ٤وإِن أَبيتَ أَن تُطلِقَ شَعْبي، فها أَنا آتي بِالجَرادِ غَداً على أَرضِكَ، ٥فيُغَطِّي وَجهَ الأَرض، حتَّى لا يَقدِرَ أَحَدٌ أَن

(١٥) من شأن هذه العلامات أن تحمل بني اسرائيل أيضاً على الايمان.

يَراها، ويأكُلُ البَقِيَّةَ الباقِيَةَ الَّتي سَلِمَت مِنَ البَرَد، ويأكُلُ كُلَّ الشَّجَرِ النابِتِ لَكم في الحَقْل، [٦] ويَملأُ بُيوتَكَ وبُيوتَ جَميعِ حاشِيَتِكَ وبُيوتَ جَميعِ المِصرِيِّين، ما لم يَرَ مِثلَه آباؤُكَ ولا آباءُ آبائِكَ مِن يَومِ وُجودِهِم على الأَرضِ إِلى هذا اليَوم». ثُمَّ أَدارَ وَجهَه وخَرَجَ مِن عِندِ فِرعَون. [٧] فقالَ لِفِرعَونَ حاشِيَتُه: «إِلى متى يَكونُ هذا فَخًا لَنا؟ أَطلِقِ النَّاسَ لِيَعبُدوا الرَّبَّ إِلهَهُم. أَلَم تَعْلَمْ حتَّى الآنَ أَنَّ مِصرَ قد هَلَكَت؟».

[٨] فرُدَّ موسى وهارونُ إِلى فِرعَون، فقالَ لَهما: «اِذهَبوا فَاعبُدوا الرَّبَّ إِلهَكم. ولكِن مَن ومَن يَذهَب؟» [٩] قالَ موسى: «نَذهَبُ بِفِتْيانِنا وشُيوخِنا وبَنينا وبَناتِنا وغَنَمِنا وبَقَرِنا، لِأَنَّ لَنا عيداً لِلرَّبّ». [١٠] فقالَ لَهما: «لِيَكُنِ الرَّبُّ معَكُم، كَما أَنا مُطلِقُكم ومُطلِقُ عِيالِكم أَيضاً. أُنظُروا كَيفَ أَنَّ الشَّرَّ بادٍ على وُجوهِكم. [١١] لن يَكونَ كذلك، بلِ اذْهَبوا أَنتُمُ الرِّجال فَاعبُدوا الرَّبّ، فهذا ما تَطلُبونَه». وطُرِدوا مِن أَمامِ فِرعَون.

[١٢] فقالَ الرَّبُّ لِموسى: «مُدَّ يَدَكَ على أَرضِ مِصر لِيَأتِيَ الجَرادُ فيَصعَدَ إِلى أَرضِ مِصر ويأكُلَ كُلَّ عُشْبِ الأَرض، كُلَّ ما تَرَكه البَرَد». [١٣] فمَدَّ موسى عَصاه على أَرضِ مِصْر، فساقَ الرَّبُّ ريحاً شرقِيَّةً على الأَرضِ طَوالَ ذلك اليَومِ وطَوالَ اللَّيل، وعِندَ الصُّبحِ حَمَلَتِ الرِّيحُ الشَّرقِيَّةُ الجَراد.

[١٤] فصَعِدَ الجَرادُ إِلى أَرضِ مِصرَ كُلِّها واستَقَرَّ على أَراضي مِصرَ كُلِّها، حتَّى لم يَكُنْ قَبلَه جَرادٌ مِثلُه ولا يَكونُ بَعدَه كذلك. [١٥] فغَطَّى كُلَّ وَجهِ الأَرض، حتَّى أَظلَمَتِ الأَرض، وأَكَلَ كُلَّ عُشْبِها وكُلَّ ما

تَرَكَه البَرَدُ مِن ثَمَرِ الشَّجر ، حتَّى لم يَبْقَ شَيءٌ مِنَ الخُضرَةِ في الشَّجَرِ ولا في عُشْبِ الحَقْلِ في أَرضِ مِصْرَ كُلِّها .

[16] فأَسرَعَ فِرعونُ وآستَدْعى موسى وهارونَ وقال : «قد خَطِئتُ إِلى الرَّبِّ إِلٰهِكُما وإِلَيكُما . [17] والآن فآصْفَحا عن ذَنْبي هٰذه المَرَّةَ أَيضاً وآبتَهِلا إِلى الرَّبِّ إِلٰهِكُما لِيَرفَعَ عَنِّي هذا المَوت فقَط» . [18] فخَرَجَ موسى مِن عِندِ فِرعونَ وآبتَهَلَ إِلى الرَّبّ . [19] فحَوَّلَ الرَّبُّ الرِّيحَ إِلى ريحٍ غَربِيَّةٍ شَديدَةٍ جِدًّا ، فحَمَلَتِ الجَرادَ وطَرَحَته في بَحرِ القَصَب ، ولم يَبقَ جَرادَةٌ واحِدَةٌ في جَميعِ أَراضي مِصْر . [20] وقَسَّى الرَّبُّ(١٦) قَلْبَ فِرعَون ، فلَم يُطلِقْ بَني إِسْرائيل .

٦. رتبة الفصح الطقسية

ستكون الضربة العاشرة أشدّ الضربات ، فيضطر فرعون في هذه المرّة الى إلقاء السلاح . وفي انتظار ذلك «العبور» الالهي ، سيجتمع العبرانيون ويتناولون طعاماً وكأنهم سائرون في الطريق . تلك هي رتبة الفصح الطقسية ، وسترتبط فيما بعد بالخروج من مصر . وعلى عهد يوشيّا ، سيجمعون بين رتبة ذَبح الحَمَل ورتبة الخبز الفطير . وعلى هذه الرتبة الطقسية سيُدخل المسيح رتبة الافخارستيا .

١١ [10] صَنَعَ موسى وهارونُ هذه الخَوارِقَ كُلَّها أَمامَ فِرعَون ، وقَسَّى الرَّبُّ قَلبَه ، فلم يُطلِقْ بَني إِسْرائيلَ مِن أَرضِه .

١٢ [1] وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ في أَرضِ مِصرَ قائلاً : [2] «هذا الشَّهرُ

(١٦) تُنسب القساوة الى الله بسبب قدرته .

يَكونُ لكم رَأسَ الشُّهور، وهو لكم أَوَّلُ شُهورِ السَّنة[١٧]. ٣كَلِّما جَماعةَ إِسْرائيلَ كُلَّها ومُراهُم أَن يَتَّخِذوا لَهم، في العاشِرِ مِن هذا الشَّهر، كُلُّ واحِدٍ حَمَلاً بِحَسَبِ بُيوتِ الآباء، لِكُلِّ بَيتٍ حَمَلاً. ٤فإن كانَ أَهْلُ البَيتِ أَقَلَّ مِن أَن يأكُلا حَمَلاً، فلْيَأخُذوه هُم وجارُهُم القَريبُ مِن مَنزِلِهم بِحَسَبِ عَدَدِ النُّفوس، فَيكونُ الحَمَلُ بِحَسَبِ ما يأكُلُ كُلُّ واحِد. ٥حَمَلٌ تامٌّ ذَكَرٌ حَولِيٌّ يَكونُ لَكم، مِنَ الضَّأنِ أَوِ المَعِزِ تأخُذونَه. ٦ويَبْقى مَحْفوظاً عِندَكم إِلى اليَومِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِن هذا الشَّهر، فيَطبُخُه كُلُّ جُمْهورِ جماعةِ إِسْرائيلَ بَينَ الغُروبَين. ٧ويأخُذونَ مِن دَمِه ويَجعَلونَه على قائِمَتَيِ الباب وعارِضَتِه على البُيوتِ الَّتي يأكُلونَه فيها، ٨ويأكُلونَ لَحمَه في تِلكَ اللَّيلةِ مَشوِيًّا على النَّار، بِأَرغِفَةِ فَطيرٍ معَ أَعْشابٍ مُرَّةٍ يأكُلونَه. ٩لا تأكُلوا شَيئاً مِنه نِيئاً ولا مَسْلوقاً بِالماء، بل مَشوِيًّا على نارٍ مع رأسِه وأَكارِعِه وجَوفِه. ١٠ولا تُبقوا شَيئاً مِنه إِلى الصَّباح، فإِن بَقِيَ شيءٌ مِنه إِلى الصَّباح، فأَحرِقوه بِالنَّار. ١١وهكذا تأكُلونَه: تَكونُ أَحقاؤُكم مَشْدودةً ونِعالُكم في أَرجُلِكُم وعِصِيُّكم في أَيديكُم، وتأكُلونه على عَجَلٍ فإِنَّه فِصحٌ لِلرَّبّ.

٧. الضربة العاشرة، والخروج من مصر

لم يأذن فرعون للعبرانيين في الذهاب إلاَّ لان المحنة نزلت بأبكار مصر. ولذلك سيذكِّر عيد الفصح للأبد بأن الله خلَّص شعبه من عبودية مصر.

٣٧ثُمَّ رَحَلَ بَنو إِسْرائيلَ مِن رَعَمْسيسَ إِلى سُكُّوت بِنَحوِ سِتِّ مِئَةِ

(١٧) دورة السنة الطقسية تبتدئ في الربيع، بشهر نيسان أو أبيب. وفي الرابع عشر من هذا الشهر (البَدْر)، يبتدئ الفصح.

أَلفِ ماشٍ مِنَ الرِّجال ، ما عدا العِيال . [٣٨] وصَعِدَ أَيضاً معَهم خَليطٌ كَثيرٌ وغَنَمٌ وبَقَرٌ ومَواشٍ وافِرةٌ جِدًّا . [٣٩] فخَبَزوا العَجينَ الَّذي خَرَجوا بِه من مِصرَ أَرغِفَةَ فَطير ، إِذْ لم يَكُنْ قدِ آختَمَر ، لِأَنَّهم طُردوا مِن مِصْرَ، ولم يَستَطيعوا أَن يَتأَخَّروا ، حتَّى إِنَّهم لم يُعِدُّوا لِأَنْفُسِهِم زاداً(١٨) . [٤٠] وكانَت إِقامةُ بَني إِسْرائيلَ بِمِصرَ أَربَعَ مِئَةٍ وثَلاثينَ سَنَة(١٩) . [٤١] وكانَ ، عِندَ آنقِضاءِ الأَربَعِ مِئَةٍ والثَّلاثينَ، في ذٰلك اليَومِ عَينِه ، أَن خَرَجَت جَميعُ جُيوشِ الرَّبِّ مِن أَرضِ مِصْر . [٤٢] كانَت لَيلَةَ سَهَرٍ لِلرَّبّ ، لِإِخراجِهِم مِن مِصْر. فلَيلَةُ السَّهَرِ هذه يَحفَظُها لِلرَّبِّ بَنو إِسْرائيلَ جَميعُهم مَدى أَجْيالِهِم .

ان الاحتفال بالفصح هو تأوين الحدث الذي يمثّله الخروج من مصر . فليس الامر مجرّد ذكرى سنوية ، بل هو تاريخ حاضر دائماً أبداً .

١٣

[١] وكلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : [٢] «قَدِّسْ لي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فاتِحِ رَحِمٍ مِن بَني إِسْرائيل ، مِنَ النَّاسِ والبَهائِم ، إِنَّه لي» .

[٣] فقالَ موسى لِلشَّعْب : «أُذكُرْ ذلك اليَومَ الَّذي خَرَجتُم فيه مِن مِصْر ، مِن دارِ العُبودِيَّة ، لِأَنَّ الرَّبَّ أَخرَجَكم بِيَدٍ قَوِيَّةٍ مِن هُناك ، فلا يُؤكَلْ خَمير . [٤] اليَومَ الَّذي أَنتُم خارِجونَ فيه هو في شَهرِ أَبيب . [٨] وتُخبِرُ آبنَكَ في ذلك اليَومِ قائلاً : هذا لِسَبَبِ ما صَنَعَ الرَّبُّ إِلَيَّ حينَ خَرَجتُ مِن مِصْر .

(١٨) المراد بهذا النص أن يفسّر لماذا كانوا يستعملون الخبز الفطير في عيد الفصح .
(١٩) رقم يجب ألاّ يُعدّ مطلقاً .

٨. رتبة فِداء الابكار

تذكاراً للضربة العاشرة، التي أَنقذ فيها أبكار العبرانيين، اعتقدوا في اسرائيل بأن الابكار مِلك لله. فإن أراد الوالدون أن يبقى أبكارهم في الحياة العادية، وجب عليهم أن يفدوهم. وهكذا فإن عيد تقدمة يسوع الى الهيكل (٢ شباط (فبراير) يذكّر بأن والدَي يسوع رضخوا لتلك العادة.

[١١]وإذا أَدخَلَكَ الرَّبُّ أَرضَ الكَنْعانِيِّين، كما أَقسَمَ لَكَ ولآبائِكَ، وأَعطاكَ إِيَّاها، [١٢]تَعزِلُ لِلرَّبِّ كُلَّ فاتِحِ رَحِمٍ وكُلَّ أَوَّلِ نِتاجٍ مِنَ البَهائِمِ الَّتي لَكَ: الذُّكورُ لِلرَّبّ. [١٣]وأَمَّا بِكرُ الحِمارِ فتَفْديه بشاة، وإِن لم تَفدِه فتَكسِرُ قَفا عُنُقِه. وكُلُّ بِكرٍ مِن بَنيكَ تَفْديه. [١٤]وإذا سأَلَكَ ابنُكَ غداً قائلاً: ما هذا؟، تَقولُ لَه: بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخرَجَنا الرَّبُّ مِن مِصرَ، مِن دارِ العُبودِيَّة. [١٥]ولَمَّا تَصَلَّبَ فِرعَونُ عن إِطْلاقِنا، قَتَلَ الرَّبُّ كُلَّ بِكْرٍ في أَرض مِصْر، مِن بِكْرِ الإِنسانِ إِلى بِكْرِ البَهيمة، ولِذلك أَنا أَذبَحُ لِلرَّبِّ كُلَّ فاتِحِ رَحِمٍ مِنَ الذُّكور، وكُلُّ بِكْرٍ مِن بَنِيَّ أَفْديه.

السير الى سيناء

٩. الله يهدي شعبه في البرّيّة

لا نعرف معرفة أكيدة خطّ سير العبرانيين. يرجّح أنهم توجّهوا الى سيناء سالكين أطول الطرق وآمنها، فاضطرّوا الى عبور البُحيرات المرَّة. ان حضور الله بينهم يُرمز اليه هنا بعمود الغمام والنار

[١٧]ولَمَّا أَطلَقَ فِرعَونُ الشَّعْب، لم يُسَيِّرْهمُ اللهُ في طَريقِ أَرضِ الفَلِسطينيِّين، مع أَنَّه قَريب، لِأَنَّ اللهَ قالَ: «لَعَلَّ الشَّعبَ يَندَم، إِذا رأَى حَرْباً، فيَرجِعُ إِلى مِصْر». [١٨]فحَوَّلَ اللهُ الشَّعبَ إِلى طَريقِ بَرِّيَّةِ بَحرِ القَصَب، وصَعِدَ بنو إِسْرائيلَ مِن أَرضِ مِصرَ مُسَلَّحين. [١٩]وأَخَذَ موسى

عِظامَ يوسُفَ معَه، لِأَنَّ يُوسُفَ كان قدِ ٱستَحلَفَ بَني إِسْرائيلَ قائلاً: «إِنَّ اللهَ سيَفتَقِدُكم، فتُصعِدونَ عِظامي مِن ههُنا معَكم».

[٢٠]ثُمَّ رَحَلوا مِن سُكُّوت وخَيَّموا في إيتام في طَرَفِ البَرِّيَّة.

[٢١]وكانَ الرَّبُّ يَسيرُ أَمامَهم نَهاراً في عَمودٍ مِن غَمامٍ لِيَهدِيَهمُ الطَّريق، ولَيلاً في عَمودٍ مِن نارٍ لِيُضيءَ لَهم، لِكَي يَسيروا نَهاراً ولَيلاً. [٢٢]ولم يَبرَحْ عَمودُ الغَمامِ نَهاراً وعَمودُ النَّارِ لَيلاً مِن أَمامِ الشَّعْب.

١٠. عبور البحر الاحمر

عند وصولهم الى البحيرات المرَّة، أظهر الله قدرته، وقام موسى بدور الرئيس للمرَّة الاولى. نرانا هنا أمام مجموعة ظروف صادرة عن العناية الالهية. ان الريح الشرقية تمكن من عبور هذا الخليج الضيّق، لكن الله هو الذي ألقى الفرس وراكبه في المياه. وفي وقت لاحق، رأى التقليد المسيحي في هذا الحدث رمزاً للمعمودية.

١٤ [٥]فلَمَّا أُخبِرَ مَلِكُ مِصرَ أَنَّ الشَّعبَ قد هَرَب، تَغَيَّرَ قَلبُهُ وقُلوبُ حاشِيَتِه علَيه وقالوا: «ماذا صَنَعْنا، فأَطلَقْنا إِسْرائيلَ مِن خِدمَتِنا؟» [٦]فشَدَّ مَركَبَتَه وأَخَذَ قَومَه معه. [٧]وأَخَذَ سِتَّ مِئَةِ مَركَبَةٍ مُمْتازَةٍ وجَميعَ مَراكِبِ مِصْر، وعلى كُلٍّ مِنها ضُبَّاط. [٨]وقَسَّى الرَّبُّ قَلبَ فِرعَون، مَلِكِ مِصْر، فجَدَّ في إِثْرِ بَني إِسْرائيل، وبَنو إِسْرائيلَ خارِجونَ بِيَدٍ عالِيَة. [٩]وجَدَّ المِصرِيُّونَ في إِثرِهِم فأَدرَكهم خَيلُ فِرعَونَ كُلُّه ومَراكِبُه وفُرسانُه وجَيشُه، وهم مُخَيِّمونَ على البَحرِ عِندَ فَمِ الحيروت، أَمامَ بَعْلَ صَفون. [١٠]ولَمَّا قَرُبَ فِرعَون، رَفَعَ بَنو إِسْرائيلَ عُيونَهم، فإِذا المِصرِيُّونَ ساعونَ وَراءَهم، فخافوا جِدًّا، وصَرَخَ بَنو إِسْرائيلَ إِلى الرَّبّ، [١١]وقالوا لِموسى: «أَمِن عَدَمِ القُبورِ بِمِصرَ أَتَيتَ بِنا لِنَموتَ في البَرِّيَّة؟ ماذا صَنَعتَ بِنا فأَخرَجتَنا مِن مِصر؟ [١٢]أَلَيسَ هذا ما كَلَّمناكَ بِه في مِصرَ قائلين: دَعْنا نَخدُمُ المِصرِيِّين،

فإِنَّه خَيرٌ لَنا أَن نَخدُمَ المِصرِيِّينَ مِن أَن نَموتَ في البَرِّيَّة ؟» [١٣] فقالَ موسى لِلشَّعْب : «لا تَخافوا ، أُصمُدوا تُعايِنوا الخَلاصَ الَّذي يُجْريه الرَّبُّ اليَومَ لكم ، فإِنَّكم كما تَرَونَ المِصرِيِّينَ اليَومَ، لَن تَعودوا تَرَونَهم لِلأَبَد . [١٤] الرَّبُّ يُحارِبُ عنكُم وأَنتُم هادِئون» .

[١٥] فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «ما بالُكَ تَصرُخُ إِلَيَّ ؟ مُرْ بَني إِسْرائيلَ أَن يَرحَلوا . [١٦] وأَنتَ آرفَعْ عَصاكَ ومُدَّ يَدَكَ على البَحرِ(٢٠) فشُقَّه ، فيَدخُلُ بَنو إِسْرائيلَ في وَسَطِه على اليَبَس . [١٧] وها أَنا مُقَسٍّ قُلوبَ المِصرِيِّين ، فيَدخُلونَ وَراءَهم ، وأُمَجَّدُ على حِسابِ فِرعَونَ وكُلِّ جَيشِه ومَراكِبِه وفُرسانِه . [١٨] فيَعلَمُ المِصرِيُّونَ أَنَّني أَنا الرَّبّ ، إِذا مُجِّدتُ على حِسابِ فِرعَونَ ومَراكِبِه وفُرسانِه» .

[١٩] فآنتَقَلَ مَلاكُ الرَّبِّ السَّائِرُ أَمامَ عَسكَرِ إِسْرائيل ، فسارَ وَراءَهم ، وآنتَقَلَ عَمودُ الغَمامِ مِن أَمامِهم فوَقَفَ وَراءَهم ، [٢٠] ودَخَلَ بَينَ عَسكَرِ المِصرِيِّينَ وعَسكَرِ إِسْرائيل ، فكانَ الغَمامُ مُظلِماً مِن هُنا وكانَ مِن هُناكَ يُنيرُ اللَّيل ، فلَم يَقتَرِبْ أَحَدُ الفَريقَينِ مِنَ الآخَرِ طَوالَ اللَّيل . [٢١] ومَدَّ موسى يَدَه على البَحر ، فَدَفَعَ الرَّبُّ البَحرَ بِريحٍ شَرقِيَّةٍ شَديدةٍ طَوالَ اللَّيل ، حتَّى جَعَلَ البَحرَ جافًّا ، وقدِ آنشَقَّتِ المِياه . [٢٢] ودَخَلَ بَنو إِسْرائيلَ في وَسَطِ البَحرِ على اليَبَس ، والمِياهُ لَهم سورٌ عن يَمينِهم وعن يَسارِهم .

(٢٠) في هذا النصّ توفيق بين ثلاث وثائق : الاولى تنسب عبور البحر الى حركة عجائبية قام بها موسى (العصا : في الآية ١٦) ، والثانية تنسبه الى عمل الله المباشر (ملاك الرب : في الآية ٢٠) ، والثالثة تنسبه الى علّة ثانية طبيعية (ريح شرقية : في الآية ٢١) . فيُقال إن في ذلك علامة : فإن عبور بني إسرائيل البحر الاحمر بقيادة موسى هو علامة لقدرة الله . أمّا انشقاق المياه فليس هو سوى أسلوب أدبي .

[٢٣]وجَدَّ المِصريُّونَ في إثرِهم ، ودخَلَ وَراءَهم جَميعُ خَيلِ فِرعَونَ ومَراكِبُه وفُرسانُه إلى وَسَطِ البَحر . [٢٤]وكانَ في هَجعَةِ الصُّبْحِ أَنَّ الرَّبَّ تَطَلَّعَ إلى عَسكَرِ المِصريِّين . [٢٥]وعَطَّلَ دَواليبَ المَراكِب فساقوها بِمَشَقَّة . فقالَ المِصريُّون : «لِنَهرُبْ مِن وَجهِ إسْرائيل ، لِأَنَّ الرَّبَّ يُقاتِلُ عنهُمُ المِصريِّين» . [٢٦]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «مُدَّ يَدَكَ على البَحر ، فتَرتَدَّ المِياهُ على المِصريِّين ، على مَراكِبِهم وفُرْسانِهم» . [٢٧]فمَدَّ موسى يَدَه على البَحر ، فآرتَدَّ البَحرُ عِندَ آنبِثاقِ الصُّبْحِ إلى ما كانَ علَيه ، والمِصريُّونَ هارِبونَ نَحوَه . فدَحَرَ الرَّبُّ المِصريِّينَ في وَسَطِ البَحر . [٢٨]ورَجَعَتِ المِياهُ فغَطَّت مَراكِبَ جَيشِ فِرعَونَ كُلِّه وفُرسانَه الدّاخِلينَ وَراءَهم في البَحر ، ولَم يَبقَ مِنهم أَحَد . [٢٩]وسار بَنو إسْرائيلَ على اليَبَسِ في وَسَطِ البَحر ، والمِياهُ لَهم سورٌ عن يَمينِهم وعن يَسارِهم . [٣٠]وفي ذلك اليَومِ خَلَّصَ الرَّبُّ إسْرائيلَ مِن أَيدي المِصريِّين ، ورأى إسْرائيلُ المِصريِّينَ أَمْواتاً على شاطِئِ البَحر . [٣١]وشاهَدَ إسْرائيلُ المُعجِزَةَ العَظيمةَ الَّتي صَنَعَها الرَّبُّ بِالمِصريِّين . فخافَ الشَّعبُ الرَّبَّ وآمَنوا به وبموسى عَبدِه .

١٥ [٢٠]ثُمَّ أَخَذَت مَريَمُ النَّبِيَّةُ ، أُختُ هارون ، الدُّفَّ في يَدِها ، وخَرَجَتِ النِّساءُ كُلُّهُنَّ وَراءَها بِالدُّفوفِ والرَّقْص . [٢١]فجاوَبَتهُنَّ مَريَم :

«أَنشِدوا لِلرَّبِّ فإِنَّه تَعَظَّمَ تَعظيماً .

الفَرَسُ وراكِبُه في البَحرِ أَلْقاهما» .

١٩. الله يغذّي ويُروي شعبه

تذمّر العبرانيون على موسى وهارون ، فأعطى الله شعبه مأكلاً ومشرباً . نتبّه بوجه

خاص إلى المَنّ والماء الخارج من الصخرة ، وهما يُنبئان بالافخارستيا (راجع ١ قور ١٠/ ٤) .

[٢]فتَذَمَّرَت جَماعةُ بَني إِسْرائيلَ كُلُّها على موسى وهارونَ في البَرِّيَّة . [٣]وقالَ لَهما بَنو إِسْرائيل : «لَيتَنا مُتْنا بِيَدِ الرَّبِّ في أَرضِ مِصرَ، حَيثُ كُنَّا نَجلِسُ عِندَ قِدْرِ اللَّحمِ ونأكُلُ مِنَ الطَّعامِ شِبعَنا ، في حينِ أَنَّكما أَخرَجتُمانا إِلى هذه البَرِّيَّةِ لِتُميتا هذا الجُمهورَ كُلَّه بِالجوع» .

[٤]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «ها أَنا مُمطِرٌ لكم خُبزاً مِنَ السَّماء . فيَخرُجُ الشَّعبُ ويَلتَقِطُه طَعامَ كَلِّ يَومٍ في يَومِه ، لِكَي أَمتَحِنَهم ، أَيَسلُكونَ على شَريعَتي أم لا . [٥]فإِذا كانَ اليَومُ السَّادِس وأَعَدُّوا ما يأتونَ به ، يَكونُ ضِعفَ ما يَلتَقِطونَه في كُلِّ يَوم» .

[٦]فقالَ موسى وهارونُ لِبَني إِسْرائيلَ كُلِّهم : «في المَساءِ تَعلَمونَ أَنَّ الرَّبَّ هو الَّذي أَخرَجَكم مِن أَرضِ مِصْر ، [٧]وفي الصَّباحِ تَرَونَ مَجدَ الرَّبّ ، لِأَنَّه سَمِعَ تَذَمُّركم علَيه . وأَمَّا نَحنُ فَمَن حَتَّى تَتَذَمَّروا علَينا ؟»

[٩]وقالَ موسى لِهارون : «قُلْ لِجماعةِ بَني إِسرائيلَ كُلِّها : تَقَدَّموا أَمامَ الرَّبّ ، لِأَنَّه قد سَمِعَ تَذَمُّركم» . [١٠]فبَينما كانَ هارونُ يُكَلِّمُ جَماعَةَ بَني إِسْرائيلَ كُلِّها ، اِلتَفَتوا نَحوَ البَرِّيَّة ، فإِذا مَجدُ الرَّبِّ قد ظَهَرَ في الغَمام .

[١١]فَكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : [١٢]«إِنِّي قد سَمِعتُ تَذَمُّرَ بَني إِسْرائيل ، فكَلِّمْهم قائلاً : بَينَ الغُروبَينِ تأكُلونَ لَحماً وفي الصَّباحِ تَشبَعونَ خُبزاً ، وتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبُّ إِلهُكم» . [١٣]فلَمَّا كانَ المَساء ، صَعِدَتِ السَّلْوى فغَطَّتِ المُخَيَّم ، وفي الصَّباحِ كانت طَبَقَةٌ مِنَ النَّدى حَوالَي المُخَيَّم . [١٤]ولَمَّا تَصَعَّدَت طَبَقَةُ النَّدى ، إِذا على وَجهِ البَرِّيَّةِ شَيءٌ دَقيقٌ مُحبَّب ، دَقيقٌ كالصَّقيعِ على الأَرض . [١٥]فلَمَّا رآه بَنو إِسْرائيل ، قالَ بَعضُهم لِبَعض :

«مَن هو»، لِأَنَّهم لم يَعلَموا ما هو. فقالَ لَهم موسى: «هوَ الخُبزُ الَّذي أَعطاكم إِيَّاه الرَّبُّ مَأكلاً.

[٣١]وأَطلَقَ علَيه بَيتُ إِسْرائيلَ آسمَ المَنّ، وهو كَبِزْرِ الكُزبَرَةِ أَبيَضَ، وطَعمُه كقَطائِفَ بالعَسَل(٢١).

[٣٥]وأَكَلَ بَنو إِسْرائيلَ المَنَّ أَربَعينَ سَنَةً، إِلى أَن وَصَلوا إِلى أَرضٍ عامِرة، أَكَلوا المَنَّ إِلى حينَ وَصَلوا إِلى حُدودِ أَرضِ كَنْعان. [٣٦]وكانَ العُمِرُ عُشْرَ الإِيفَة.

١٧ [١]ثُمَّ رَحَلَت جَماعةُ بَني إِسرائيلَ كُلُّها مِن بَرِّيَّةِ سين مَرحَلَةً مَرحَلَة على حَسَبِ أَمرِ الرَّبّ، وَخَيَّموا في رَفيديم. ولَم يَكُنْ هُناكَ ماءٌ يَشرَبُه الشَّعْب. [٢]فخاصَمَ الشَّعبُ موسى وقال: «أَعْطونا ماءً نَشرَبُه». فقالَ لَهم موسى: «لِماذا تُخاصِمونَني ولِماذا تُجَرِّبونَ الرَّبّ؟» [٣]وعَطِشَ هُناكَ الشَّعبُ إِلى الماء وتَذَمَّرَ على موسى وقال: «لِماذا أَصعَدتَنا مِن مِصرَ؟ أَلِتَقتُلَني أَنا وبَنِيَّ ومَواشِيَّ بِالعَطَش؟» [٤]فصَرَخَ موسى إِلى الرَّبِّ قائلاً: «ماذا أَصنَعُ إِلى هذا الشَّعْب؟ قَليلاً ويَرجُمُني». [٥]فقالَ الرَّبُّ لِموسى: «مُرَّ أَمامَ الشَّعْب وخُذْ مَعكَ مِن شُيوخِ إِسْرائيلَ وعصاكَ الَّتي ضَرَبتَ بِها النَّهر، خُذْها بِيَدِكَ وآذهَبْ. [٦]ها أَنا قائِمٌ أَمامَكَ هُناكَ على الصَّخرَةِ (في حوريب)، فتَضرِبُ الصَّخرَة، فإِنَّه يَخرُجُ مِنها ماءٌ فيَشرَبُ الشَّعْب». ففَعَلَ موسى كذلكَ على مَشهَدِ شُيوخِ إِسْرائيل. [٧]وسَمَّى ذلكَ المَكانَ

(٢١) إفراز الطرفاء، فإنه يتجمّد في الهواء فيصلح طعاماً.

«مَسَّة ومَريبة» بِسَبَبِ مُخاصَمةِ بَني إِسْرائيلَ وتَجرِبَتِهم لِلرَّبِّ قائلين: «هَلِ الرَّبُّ في وَسْطِنا أَم لا؟».

١٢. موسى الشفيع

ليس موسى قائداً حربياً ولا يحارب هو. لكنه، اذا هوجم، سأل الله أن يحمي اسرائيل.

[٨]وجاءَ العَمالِقَةُ فحارَبوا إِسْرائيلَ في رَفيديم. [٩]فقالَ موسى لِيَشوع: «اِختَرْ لَنا رِجالاً وآخرُجْ لِمُحارَبةِ العَمالِقَة، وغَداً أَنا أَقِفُ على رأسِ التَّلِّ وعَصا اللهِ في يَدي» [١٠]ففَعَلَ يَشوعُ كَما قالَ لَه موسى في أَمرِ مُحارَبةِ العَمالِقَة. أَمَّا موسى وهارونُ وحُور فصَعِدوا إِلى رَأسِ التَّلّ. [١١]فكانَ، إذا رَفَعَ موسى يَدَه، يَغلِبُ بَنو إِسْرائيل، وإِذا حَطَّها، تَغلِبُ العَمالِقَة. [١٢]ولَمَّا ثَقُلَت يَدا موسى، أَخَذا حَجَراً وجَعلاه تَحتَه. فجَلَسَ علَيه وأَسنَدَ هارونُ وحُورُ يَدَيه، أَحَدُهما مِن هُنا والآخَرُ مِن هُناك.

فكانَت يَداه ثابِتَتَينِ إِلى مَغيبِ الشَّمْس. [١٣]فهَزَمَ يَشوعُ عَماليقَ وقَومَه بِحَدِّ السَّيف.

١٣. موسى المنظِّم

سمع موسى من حَميه يترو ما نصحه به، فأخذ ينظّم الجموع التي يقودها في البرّيّة. وهو قاضٍ وكاهن قبل كل شيء.

١٨ [١]وسَمِعَ يِتْرو، كاهِنُ مِدْيَنَ وحَمو موسى، بِكُلِّ ما صَنَعَ اللهُ إِلى موسى وإِلى إِسْرائيلَ شَعبِه، كَيفَ أَنَّ الرَّبَّ أَخرَجَ إِسْرائيلَ مِن مِصْر. [٢]فأَخَذَ يِتْرو، حَمو موسى، صِفُّورةَ، آمرأَة موسى، بَعدَما صَرَفَها، [٣]وآبنَيها اللَّذَينِ آسمُ أَحَدِهِما جِرْشوم، وأَتى إِلَيه في البَرِّيَّة، حَيثُ كانَ

مُخَيِّماً عِندَ جَبَلِ الله. [٦]وأَبلَغَ موسى: «أَنا حَماكَ يِترو قادِمٌ إِلَيكَ، وآمرَأَتُكَ وآبْناها معَها». [٧]فخَرَجَ لِلِقاءِ حَمِيه، وسَجَدَ وقَبَّلَه وسأَلَ كُلَّ واحِدٍ مِنهما عن سَلامةِ صاحِبِه، ودَخَلا الخَيمَة. [٨]وقَصَّ موسى على حَميه كُلَّ ما صَنَعَ الرَّبُّ بِفِرعَونَ والمِصرِيِّينَ بِسَبَبِ إِسْرائيل، وكُلَّ ما نالَهم مِنَ المَشَقَّةِ في الطريق، وكَيفَ أَنقَذَهمُ الرَّبّ. [٩]فسُرَّ يِترو بِكُلِّ الخَيرِ الَّذي صَنَعَه الرَّبُّ إِلى إِسْرائيل، عِندَما أَنقَذَهم مِن أَيدي المِصرِيِّين. [١٠]وقالَ يِترو: «تَبارَكَ الرَّبُّ الَّذي أَنقَذَكم مِن أَيدي المِصرِيِّينَ ومِن يَدِ فِرعَون. [١١]الآنَ عَلِمتُ أَنَّ الرَّبَّ عَظيمٌ فَوقَ جَميعِ الآلِهَة، في الأَمرِ نَفسِه الَّذي طَغى بِه المِصرِيُّونَ علَيهم».

[١٢]ثُمَّ أَخَذَ يِترو، حَمو موسى، مُحرَقَةً وذَبائِحَ لله. وجاءَ هارونُ وجَميعُ شُيوخِ إِسْرائيلَ لِيأكُلوا مع حَمي موسى أَمامَ الله.

[١٣]ولَمَّا كانَ الغَد، جَلَسَ موسى لِيَقْضِيَ لِلشَّعْب، فوقَفَ الشَّعبُ قُربَه مِنَ الصَّباحِ وحَتَّى المَساء. [١٤]فلَمَّا رأَى حَمو موسى كُلَّ ما يَصنَعُ لِلشَّعْب، قال: «ما هذا الَّذي تَصنَعُه لِلشَّعْب، وما بالُكَ جالِساً وَحدَكَ وكُلُّ الشَّعبِ واقِفٌ أَمامَكَ مِنَ الصَّباحِ حتَّى المَساء؟» [١٥]فقالَ موسى لِحَميه: «إِنَّ الشَّعبَ يأتي إِلَيَّ لِيستَشيرَ الله. [١٦]فإِذا كانَت لَه قَضِيَّة، يأتيني فأَقضي بَينَ الرَّجُلِ وصاحِبِه، وأُعَرِّفُهم فَرائِضَ اللهِ وشَرائِعَه». [١٧]فقالَ لِموسى حَموه: «لَيسَ ما تَصنَعُه بِحَسَن. [١٨]فإِنَّكَ، ولا شَكَّ، تُنهِكُ نَفسَكَ كَثيراً أَنتَ وهذا الشَّعبَ الَّذي مَعَكَ أَيضاً، لِأَنَّ هذا الأَمرَ فَوقَ طاقَتِكَ، ولا تَستَطيعُ أَن تَتَوَلاَّه وَحدَكَ. [١٩]والآنَ آسمَعْ مِنِّي ما أَنصَحُكَ بِه، فيَكونَ اللهُ معَكَ. كُنْ أَنتَ لِلشَّعبِ أَمامَ الله وتَرفَعُ أَنتَ

القَضايا إِلَيه. [٢٠]وتُنبِّهُهم إِلى الفَرائِضِ والشَّرائِع، وتُعَرِّفُهمُ الطَّريقَ الَّذي يَسلُكونَه والعَمَلَ الَّذي يَعمَلونَه. [٢١]وأَنتَ فآختَرْ مِن كُلِّ الشَّعبِ أُناساً مَهَرَةً أَتْقِياءَ للهِ أَهلاً لِلثِّقَةِ يَكرَهونَ الكَسْب. وتُقيمُهم علَيهم رُؤَساءَ أَلفٍ ومِئَةٍ وخَمْسينَ وعَشَرَة. [٢٢]فيَقْضونَ لِلشَّعبِ في كُلِّ وَقْتٍ ويَرفَعونَ إِلَيكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ هامَّة، وكُلُّ قَضِيَّةٍ صَغيرةٍ هُم يَقْضونَ فيها. وخَفِّفْ عن نَفْسِكَ، وهم يَحمِلونَ معَكَ. [٢٣]فإِن أَنتَ فَعَلتَ هكذا وأَمَرَكَ اللهُ بِأَمرٍ، أَمكَنَكَ الثَّباتَ، وهذا الشَّعبُ كُلُّه يَنصَرِفُ إِلى مُقامِه بِسَلام».

[٢٤]فسَمِعَ موسى لِقَولِ حَميه وفَعَلَ كُلَّ ما قالَ لَه. [٢٥]فآختارَ موسى أُناساً مَهَرَةً مِن كُلِّ إِسْرائيل، فأَقامَهم رُؤَساءَ على الشَّعْب: رُؤَساءَ أَلْفٍ ومِئَةٍ وخَمْسينَ وعَشَرَة. [٢٦]فكانوا يَقْضونَ لِلشَّعبِ في كُلِّ وَقت، وكُلُّ قَضِيَّةٍ عَويصةٍ يَرفَعونَها إِلى موسى، وكُلُّ قَضِيَّةٍ صغيرةٍ يَقْضونَ هُم فيها. [٢٧]ثُمَّ صَرَفَ موسى حَماه، فذَهَبَ إِلى أَرضِه.

العَهْد

١٤. عهد سيناء

عهد سيناء هو الحدث الرئيسي في تاريخ اسرائيل. أنشأ شعب اسرائيل وضمن وحدته. هذا التدخّل الالهي حدث تاريخي يمكن تأريخه والتحقّق منه، وهو نعمة أيضاً، لانه بادرة مجانية من قِبَله. يُظهر دعوة هذا الشعب الجديد، وهي السهر على التوحيد في عالم ذلك الزمان. وهو يبشّر خاصة بالعهد الجديد، كما أن موسى هو صورة سابقة للمسيح (عب ٣/٢). وان قبول العهد ومتطلّباته يشكّل فعل إرادة يُلزم المستقبل، ولو احتاج الى تجديد أكثر من مرة على مرّ تاريخ اسرائيل. والانبياء هم الذين سيقومون بهذا الدور.

١٩ [١]وفي الشَّهرِ الثَّالِثِ لِخُروجِ بَني إِسْرائيلَ مِن أَرضِ مِصْر، في ذلك

اليَوم، وَصَلوا إِلى بَرِّيَّةِ سيناء. [٢]ورَحَلوا مِن رَفيديم ووَصَلوا إِلى بَرِّيَّةِ سيناء فخيَّموا في البَرِّيَّة. هُناكَ خَيَّمَ إِسْرائيلُ تُجاهَ الجبَل.

[٣]وصَعِدَ موسى إِلى الله، فناداه الرَّبُّ مِنَ الجبَلِ قائلاً: «كَذا تقولُ لِآلِ يَعْقوب وتُخبِرُ بَني إِسْرائيل: [٤]قد رأَيتُم ما صَنَعتُ بالمِصرِيِّين وكَيفَ حَمَلتُكم على أَجنِحَةِ العِقْبان وأَتيتُ بِكُم إِلَيَّ. [٥]والآن، إِن سَمِعتُم سَماعاً لِصَوتي وحَفِظتُم عَهْدي، فإِنَّكم تَكونونَ لي خاصَّةً مِن بَينِ جَميعِ الشُّعوب، لأَنَّ الأَرضَ كُلَّها لي. [٦]وأَنتُم تَكونونَ لي مَملكةً مِنَ الكَهَنَة وأُمَّةً مُقَدَّسة[٢٢]. هَا هو الكَلامُ الَّذي تَقولُه لِبَني إِسْرائيل». [٧]فجاءَ موسى ودَعا شُيوخَ الشَّعب وجَعَلَ أَمامَهم هذا الكَلامَ كُلَّه، كَمَا أَمَرَه الرَّبّ. [٨]فأَجابَ كُلُّ الشَّعبِ وقال: «كُلُّ ما تَكَلَّمَ الرَّبُّ بِه نَعمَلُه». فنَقَلَ موسى كَلامَ الشَّعبِ إِلى الرَّبّ.

[٩]وقالَ الرَّبُّ لِموسى: «ها أَنا آتٍ إِلَيكَ في كَثافةِ الغَمام لِكَي يَسمَعَ مُخاطَبَتي لَكَ ويُؤمِنَ بِكَ لِلأَبَد». فأَخبَرَ موسى الرَّبَّ بكَلامِ الشَّعب.

[١٠]وقالَ الرَّبُّ لِموسى: «اِذهَبْ إِلى الشَّعبِ وقَدِّسْه اليَومَ وغَداً، ولْيَغسِلوا ثِيابَهم، [١١]ويَكونوا مُستَعِدِّينَ لِليَومِ الثَّالث، فإِنَّه في اليَومِ الثَّالِثِ يَنزِلُ الرَّبُّ أَمامَ الشَّعبِ كُلِّه على جَبَلِ سيناء. [١٢]وضَعْ حَدًّا لِلشَّعبِ مِن حَوالَيهِ وقُلْ لَهم: اِحذَروا أَن تَصعَدوا الجبَلَ أَو تَمَسُّوا طَرَفَه، فإِنَّ كُلَّ مَن

(٢٢) مقابلَ ما يقتضيه العهد (حفظ الوصايا العشر والشريعة)، يعد الله اسرائيل بثلاثة وعود: سيكون اسرائيل شعب الله المفضَّل، وشعباً مقدّساً بإيمانه وعبادته، وشعباً كهنوتياً لانه يعمل كوسيط بين الإله الحق وسائر البشرية.

مَسَّ الجَبَلَ يُقتَلُ قَتْلاً. [١٣]لا تَمَسُّه يَدٌ، وإلاَّ يُرجَمُ رَجْماً أَو يُرْمى بِالسِّهام، بَهيمَةً كانَ أَو إِنْساناً، ولا يَحْيا. وحينَ يُنفَخُ في البوق يَصعَدونَ الجَبَل».

[١٤]فنَزَلَ موسى مِنَ الجَبَلِ إِلى الشَّعبِ وقَدَّسَه، وغَسَلوا ثِيابَهم. [١٥]وقالَ لِلشَّعب: «كونوا مُستَعِدِّينَ لِليَومِ الثَّالِث(٢٣)، ولا تَقرَبوا آمرَأَةً».

[١٦]وحَدَثَ في اليَومِ الثَّالِثِ عِندَ الصَّباحِ أَنْ كانَت رُعودٌ وبُروقٌ وغَمامٌ كَثيفٌ على الجَبَل وصَوتُ بوقٍ شَديدٌ جِدًّا، فآرتَعَدَ الشَّعبُ كُلُّهُ الَّذي في المُخَيَّم. [١٧]فأَخرَجَ موسى الشَّعبَ مِنَ المُخَيَّم لِمُلاقاةِ الله، فوَقَفوا أَسفَلَ الجَبَل، [١٨]وجَبَلُ سيناءَ مُدَخِّنٌ كُلُّه، لِأَنَّ الرَّبَّ نَزَلَ عَلَيه في النَّار، فآرتَفَعَ دُخانُه كدُخانِ الأَتُّون وآهتَزَّ الجَبَلُ كُلُّه جِدًّا. [١٩]وكانَ صَوتُ البوقِ آخِذاً في الآشتِدادِ جِدًّا، وموسى يَتَكَلَّم واللهُ يُجيبُه في الرَّعْد. [٢٠]ونَزَلَ الرَّبُّ على جَبَلِ سيناءَ إِلى رأسِ الجَبَل. ونادى الرَّبُّ موسى إِلى رأسِ الجَبَل، فصَعِدَ.

١٥. الوصايا العشر

مجموعة عشر وصايا تأثّر بها تشريع اسرائيل كله. تؤكّد ان الله واحد وروحي. وتستند، في شأن ما بقي، الى الاخلاقية الطبيعية، ولا سيّما الى فضيلة العَدل. وستبقى سارية المفعول عند مجيء المسيح. ولكن الوحي المسيحي ومتطلّباته سيتفوّق عليها تفوّقاً كبيراً.

٢٠ [١]وتَكَلَّمَ اللهُ بِهذا الكَلامِ كُلِّه قائلاً: [٢]«أَنا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذي أَخرَجَكَ مِن أَرضِ مِصرَ، مِن دارِ العُبودِيَّة.

(٢٣) لا بدّ للإنسان، إن أراد الاتصال بالله، أن يتطهّر. فالإسرائيلي في سيناء يطهّر ثيابه، والمسيحي يقبل سرّ التوبة.

[٣]لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخرى تُجاهي .
[٤]لا تَصنَعْ لَكَ مَنْحوتاً ولا صورةَ شَيءٍ مِمَّا في السَّماءِ مِن فَوقُ ولا مِمَّا في الأَرضِ من أَسفَلُ، ولا مِمَّا في المِياهِ مِن تَحتِ الأَرض .
[٥]لا تَسجُدْ لَها ولا تَعبُدْها ، لِأَنِّي أَنا الرَّبُّ إِلٰهُكَ إِلهٌ غَيور[٢٤] .
[٧]لا تَلفُظِ آسمَ الرَّبِّ إِلٰهِكَ باطِلاً
لِأَنَّ الرَّبَّ لا يُبَرِّئُ الَّذي يَلفُظُ آسمَه باطِلاً[٢٥] .
[٨]أُذكُرْ يَومَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَه . [٩]في سِتَّةِ أَيَّامٍ تَعمَلُ وتَصنَعُ أَعمالَكَ كلَّها . [١٠]واليَومُ السَّابِعُ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ ، فلا تَصنَعْ فيه عَمَلاً أَنتَ وآبنُكَ وآبنَتُكَ وخادِمُكَ وخادِمَتُكَ وبَهيمَتُكَ ونَزيلُكَ الَّذي في داخِلِ أَبوابِكَ، [١١]لِأَنَّ الرَّبَّ في سِتَّةِ أَيَّامٍ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ والبَحرَ وكُلَّ ما فيها، وفي اليَومِ السَّابِعِ آستَراح ، ولِذلك بارَكَ الرَّبُّ يَومَ السَّبتِ وقدَّسَه .
[١٢]أَكرِمْ أَباكَ وأُمَّكَ ، لِكَي تَطولَ أَيَّامُكَ
في الأَرضِ الَّتي يُعطيكَ الرَّبُّ إِلٰهُك إِيَّاها .
[١٣]لا تَقتُلْ
[١٤]لا تَزْنِ
[١٥]لا تَسرِقْ
[١٦]لا تَشهَدْ على قَريبِكَ شَهادةَ زور
[١٧]لا تَشتَهِ بَيتَ قَريبِكَ : لا تَشتَهِ آمرَأَةَ قَريبِكَ ولا خادِمَه ولا خادِمَتَه

(٢٤) ان الله لا يقبل أن يكون له شريك .
(٢٥) «باطلاً» ، أي لقول الكذب .

ولا ثَورَه ولا حِمارَه ولا شَيئاً مِمَّا لِقَريبِكَ» .

[١٨]وكان الشَّعبُ كُلُّه يَرى الرُّعودَ والبُروقَ وصَوتَ البوقِ والجَبَلَ يُدَخِّن. فلَمَّا رأَى الشَّعبُ ذلكَ آرتاعَ ووَقَفَ على بُعْد.

١٦. قَطْع العهد

نزل موسى من الجبل مرّة أخرى. وهذه المرّة سيثبّت العهد. في هذا النص الرائع، رُتبتان في قَطْع العهد: الرشّ بدم الذبائح، وطعام المشاركة.

٢٤ [٤]فكَتَبَ موسى جَميعَ كَلامِ الرَّبّ، وبَكَّرَ في الصَّباحِ وبَنى مَذبَحاً في أَسفَلِ الجَبَل، وآثنَي عَشَرَ نُصُباً لِأَسباطِ إِسْرائيلَ الاِثنَي عَشَر. [٥]وأَرسَلَ شُبَّانَ بَني إِسْرائيلَ فأَصعَدوا مُحرَقاتٍ وذَبَحوا ذَبائِحَ سَلامِيَّةً مِنَ العُجولِ لِلرَّبّ. [٦]فأَخَذَ موسى نِصْفَ الدَّمِ وجَعَلَه في طُسوت ورَشَّ النِّصفَ الآخَرَ على المَذبَح. [٧]وأَخَذَ كِتابَ العَهْدِ فتَلا على مَسامِعِ الشَّعْبِ فقال: «كُلُّ ما تَكَلَّمَ الرَّبُّ بِه نَفعَلُه ونَسمَعُه». فأَخَذَ موسى الدَّمَ ورَشَّه على الشَّعبِ وقال: «هُوَذا دَمُ العَهدِ الَّذي قَطَعَه الرَّبُّ معَكم على جَميعِ هذه الأَقْوال»(٢٦).

[٩]ثُمَّ صَعِدَ موسى وهارون وناداب وأَبيهو وسَبْعونَ مِن شُيوخِ إِسْرائيل، [١٠]فرَأَوا إِلهَ إِسْرائيلَ وتَحتَ رِجلَيه شِبْهُ صُنعٍ بَلاطِ سفيرٍ أَشبَهَ بِالسَّماءِ نَفسِها نَقاءً(٢٧). [١١]وعلى أَعيانِ بَني إِسْرائيلَ هؤُلاءِ لم يَمُدَّ يَدَه، فرأَوُا اللهَ وأَكَلوا وشَرِبوا.

(٢٦) قارِن هذا النصّ بصيغة التقديس في العهد الجديد (متى ٢٦/٢٨ مثلاً).
(٢٧) نجد عناصر هذه الرؤيا في سفر حزقيال (١/٢٦) وفي رؤيا القديس يوحنا ٤/٢-٣).

والعهد يرافقه تشريع لا يزال بدائياً في أيام موسى. ويبدو موسى في ألفة غير عادية مع الله.

[١٢] وقالَ الرَّبُّ لِموسى: «اِصعَدْ إِلَيَّ إِلى الجبَل وأَقِمْ هُنا حَتَّى أُعطِيَكَ لَوحَيِ الحِجارةِ والشَّريعَةَ والوَصِيَّةَ الَّتي كَتَبتُها لِتَعْليمِهم». [١٥] وصَعِدَ موسى الجبَل.

فغَطَّى الغَمامُ الجبَل. [١٦] وحَلَّ مَجدُ الرَّبِّ على جَبَلِ سيناء، وغَطَّاه الغَمامُ سِتَّةَ أَيَّام، وفي اليَومِ السَّابِعِ دعا الرَّبُّ موسى مِن وَسَطِ الغَمام. [١٧] وكانَ مَنظَرُ مَجدِ الرَّبِّ كَنارٍ آكِلةٍ في رَأسِ الجَبَل أَمامَ عُيونِ بَني إِسْرائيل. [١٨] فدَخَلَ موسى في وَسَطِ الغَمامِ وصَعِدَ الجَبَل.

لئلاّ نحطّم وحدة الروايات التالية، نُدرج هنا بعض أسطر من الفصل ٣٤، فهي تابع للنص السابق.

[٢٨] وأَقامَ موسى هُناكَ عِندَ الرَّبِّ أَربَعينَ يوماً وأَربَعينَ لَيلَةً، لا يأكُلُ خُبزاً ولا يَشرَبُ ماءً، فكَتَبَ على اللَّوحَينِ كَلامَ العَهْد، الكَلِماتِ العَشْر.

[٢٩] ولَمَّا نَزَلَ موسى مِن جَبَلِ سيناء، ولَوحا الشَّهادةِ في يَدِهِ عِندَ نُزولِه مِنَ الجَبَل، لم يَكُنْ يَعلَمُ أَنَّ بَشَرَةَ وَجهِه قد صارَت مُشِعَّةً مِن مُخاطَبَةِ الرَّبِّ لَه، [٣٠] فرأَى هارونُ وجَميعُ بَني إِسْرائيلَ موسى، فإِذا بَشَرَةُ وَجهِه مُشِعَّة، فخافوا أَن يَقتَرِبوا مِنه. [٣١] فدَعاهم موسى، فرَجَعَ إِلَيه هارونُ وجَميعُ زُعماءِ الجَماعة، فكَلَّمَهم. [٣٢] وبَعدَ ذلك، اِقتَرَبَ سائِرُ بَني إِسْرائيل، فأَمَرَهم بِكُلِّ ما كَلَّمَه الرَّبُّ بِه في جَبَلِ سيناء. [٣٣] ولَمَّا انتَهى موسى مِن مُخاطَبَتِهم، جَعَلَ على وَجهِه حِجاباً. [٣٤] وكانَ موسى، عِندَ دُخولِه أَمامَ الرَّبِّ لِيُكَلِّمَه، يَرفَعُ الحِجابَ إِلى أَن يَخرُج، ثُمَّ يَخرُجُ ويُكَلِّمُ

بَني إِسْرائيلَ بِما أُمِرَ بِه . [٣٥] فكانَ بنو إِسْرائيلَ يَرونَ أَنَّ بَشَرَةَ وَجهِ موسى مُشِعَّة ، فيَرُدُّ الحِجابَ على وَجهِه إِلى وَقتِ دُخولِه لِمُخاطَبَةِ الرَّبّ .

١٧. مخالفة العهد : عجل الذهب

كان بنو اسرائيل الذين في سَفح سيناء لا يفوق إدراكهم مستوى الامور المادية . وسيصعب عليهم دائماً أن يرتفعوا الى فكرة إله روحي . وتظهر غرائزهم الصحيحة في حادثة عجل الذهب . وفي هذه المناسبة ، يظهر موسى في دوره المؤثّر ، دور الوسيط .

٣٢ [١] ورأَى الشَّعبُ أَنَّ موسى قد تَأَخَّرَ في النُّزولِ مِنَ الجَبَلِ ، فاجتَمَعَ الشَّعبُ على هارونَ وقالوا له : «قُمْ فاصنَعْ لَنا آلِهَةً تَسيرُ أَمامَنا ، فإِنَّ موسى ، ذلكَ الرَّجُلَ الَّذي أَصعَدَنا مِن أَرضِ مِصْر ، لا نَعلَمُ ماذا أَصابَه» . [٢] فقالَ لَهم هارون : «اِنزِعوا حَلَقاتِ الذَّهَبِ الَّتي في آذانِ نِسائِكُم وبَنيكُم وبَناتِكُم ، وأتوني بِها» . [٣] فنَزَعَ كُلُّ الشَّعبِ حَلَقاتِ الذَّهَبِ الَّتي في آذانِهم ، وأَتَوا بِها هارون . [٤] فأَخَذَها وصَبَّها في قالَب ، وصَنَعَها عِجْلاً مَسْبوكاً . فقالوا : «هذِه آلِهَتُكَ ، يا إِسْرائيل ، الَّتي أَصعَدَتكَ مِن أَرضِ مِصْر» [٥] فلَمَّا رأَى هارونُ ذلك ، بَنى مَذبَحاً أَمامَ العِجْلِ ونادى قائلاً : «غَداً عيدٌ لِلرَّبّ» .

[٦] فبَكَّروا في الغَدِ وأَصعَدوا مُحرَقاتٍ وقَرَّبوا ذَبائِحَ سَلامِيَّة ، وجَلَسَ الشَّعبُ يَأكُلُ ويَشرَب ، ثُمَّ قامَ يَلعَب .

[٧] فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «هَلُمَّ آنزِلْ، فقَد فَسَدَ شَعبُكَ الَّذي أَصعَدتَه مِن أَرضِ مِصْر ، [٨] فسُرْعانَ ما حادوا عنِ الطَّريقِ الَّذي أَمَرتُهم به ، وصَنَعوا لأَنفُسِهم عِجْلاً مَسْبوكاً ، فسَجَدوا لَه وذَبَحوا لَه وقالوا : هذه آلِهَتُكَ، يا إِسْرائيلُ ، الَّتي أَصعَدَتكَ من أَرضِ مِصْر» . [٩] وقالَ الرَّبُّ لِموسى : «قد

رأَيتُ هذا الشَّعْب، فإِذا هو شَعْبٌ قاسي الرِّقاب. [١٠]والآنَ دَعْني، لِيَضطَرِمْ غَضَبي علَيهم فأُفْنيهِم، وأَمَّا أَنتَ فأَجعَلُكَ أُمَّةً عَظيمة».

[١١]فآستَرْضى موسى الرَّبَّ إِلهَه وقال: «يا ربّ، لِمَ يَضطَرِمُ غَضَبُكَ على شَعبِكَ الَّذي أَخرَجتَه مِن مِصرَ بِقُوَّةٍ عَظيمةٍ ويَدٍ قَديرة؟ [١٢]ولِم يَتَكَلَّمُ المِصرِيُّونَ قائِلينَ: إِنَّه أَخرَجَهم مِن ههنا بِمَكْرٍ لِيَقتُلَهم في الجِبال ويُفنِيَهم عن وَجْهِ الأَرض؟ اِرجِعْ عَنِ آضطِرامِ غَضَبِكَ وآعدِلْ عنِ الإِساءَةِ الى شَعبِكَ. [١٣]وآذْكُرْ إِبْراهيمَ وإِسحقَ وإِسْرائيلَ عَبيدَكَ الَّذينَ أَقسَمتَ لَهم بِنَفسِكَ وقُلتَ لَهم: إِنِّي أُكَثِّرُ نَسلَكُم كنُجومِ السَّماء، وكُلُّ الأَرضِ الَّتي تَكَلَّمتُ علَيها سأُعْطيها لِنَسلِكُم فيَرِثونَها لِلأَبَد».

[١٤]فعَدَلَ الرَّبُّ عنِ الإِساءَةِ الَّتي قالَ إِنَّه يُنزِلُها بِشَعبِه.

[١٥]ثُمَّ أَدارَ موسى وَجهَه ونَزَلَ مِنَ الجَبَلِ ولَوحا الشَّهادةِ في يَدِه[٢٨]، لَوحانِ مَكْتوبانِ على وَجهَيهِما، مِن هُنا ومن هُناكَ كانا مَكْتوبَين. [١٦]واللَّوحانِ هُما صُنعُ الله، والكِتابةُ هي كِتابةُ اللهِ مَنْقوشةً في اللَّوحَين[٢٩].

[١٧]وسَمِعَ يشوعُ صَوتَ الشَّعبِ في هُتافِهِم، فقالَ لِموسى: «صَوتُ حَرْبٍ في المُخَيَّم». [١٨]فقالَ موسى:

«لَيسَ هذا صوتَ هُتافِ النَّصْر ولا صَوتَ هُتافِ الهَزيمة
بل صَوتَ أُنْشودَةٍ أَنا سامِع»

(٢٨) لوحا الشهادة: لوحان يشهدان على حضور الله وعمله في وسط شعبه.
(٢٩) للدلالة على أن الشريعة تأتي من الله، يصوّرون الله بصورة كاتب ينقش كلام الوصايا العشر في لوح من حجر بريشة معدنية.

[١٩] فلَمَّا آقترَبَ مِنَ المُخَيَّم، رأَى العِجْلَ والرَّقْصَ، فآضطَرَمَ غَضَبُ موسى فَرمى بِاللَوحَينِ مِن يَدَيه وحَطَّمَهما في أَسفَلِ الجبَل. [٢٠] ثُمَّ أَخذَ العِجْلَ الَّذي صَنعوه، فأَحرَقَه بِالنَّارِ وسَحَقَه حتَّى صارَ كالغُبار، وذَرَّاه على وَجهِ الماء وأَسْقى بَني إِسْرائيل. [٢١] وقالَ موسى لِهارون: «ماذا صَنَعَ بِكَ هذا الشَّعْبُ حتَّى جَلَبتَ علَيهِم خَطيئةً عظيمة؟» [٢٢] قالَ هارون: «لا يَضطَرِمْ غَضَبُ سَيِّدي، أَنتَ عارِفٌ أَنَّ الشَّعبَ شِرِّير، [٢٣] فقالَ لي: إِصنَعْ لَنا آلِهَةً تَسيرُ أَمامَنا، فإِنَّ موسى، ذلكَ الرَّجُلَ الَّذي أَصعَدَنا مِن أَرضِ مِصْر، لا نَعلَمُ ماذا أَصابَه. [٢٤] فقُلتُ لَهم: مَن لَه ذَهَبٌ فلْيَنزِعْه. فأَتوني بِه فأَلقَيتُه في النَّار فخَرَجَ هذا العِجْل».

[٢٥] ولَمَّا رأَى موسى أَنَّ الشَّعبَ لا عِنانَ لَه لِأَنَّ هارونَ كانَ قد أَرْخى لَه العِنانَ فعَرَّضَه لِلسُّخرِيَّةِ بَينَ أَعْدائِه، [٢٦] وَقَفَ موسى على بابِ المُخَيَّم وقال: «إِلَيَّ مَن هو لِلرَّبّ». فآجتَمَعَ إِلَيه جَميعُ بَني لاوي. [٢٧] فقالَ لَهم: «كَذا قالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل: لِيَتَقَلَّدْ كُلُّ واحِدٍ سَيفَه، وآذهَبوا وآرجِعوا مِن بابٍ إِلى بابٍ في المُخَيَّم، ولْيَقتُلِ الواحِدُ أَخاه والآخَرُ صاحِبَه وقَريبَه»(٣٠). [٢٨] ففَعَلَ بَنو لاوي كما أَمَرَ موسى، فسَقَطَ مِنَ الشَّعبِ في ذلكَ اليَومِ نَحوُ ثَلاثةِ آلافِ رَجُل.

[٣٠] ولَمَّا كانَ الغَد، قالَ موسى لِلشَّعْب: «قد خَطِئتُم خطيئةً عَظيمة، والآنَ أَصعَدُ إِلى الرَّبّ، لَعَلِّي أُكَفِّرُ عن خَطيئَتِكم». [٣١] ورَجَعَ موسى إِلى الرَّبِّ وقال: «آهِ! يا رَبّ، قد خَطِئَ هذا الشَّعبُ خَطيئَةً عَظيمة، وصَنَعَ

(٣٠) الله محبة، فلا يمكن أن يكون قد أمر بهذا التقتيل.

لِنَفْسِه آلِهَةً مِن ذَهَب. [٣٢]والآنَ إِن غَفَرتَ خَطيئَتَه... وإلاَّ فامحُني مِن كِتابِكَ الَّذي كَتَبتَه»[(٣١)]. [٣٣]فقالَ الرَّبُّ لِموسى: «الَّذي خَطِئَ إِلَيَّ إِيَّاه أَمْحو مِن كِتابي. [٣٤]والآنَ اذهَبْ وقُدِ الشَّعبَ إلى حَيثُ قُلتُ لَكَ. هُوَذا مَلاكي يَسيرُ أَمامَكَ، وفي يَومِ عِقابي أُعاقِبُه بِخَطيئَتِه».

١٨. موسى يخاطب الله

هنا أيضاً يلتفت نظرنا الى ألفة موسى مع الله في ما يسمّيه الكاتب كلاماً «وجهاً الى وجه». والصلاة الثانية تذكر «حظوة الله».

٣٣ [٧]وأَخذ موسى الخَيمة فنَصَبَها لَه خارِجَ المُخَيَّم، بَعيداً عنِ المُخَيَّم، وسَمَّاها خَيمةَ المَوعِد. فكانَ كُلُّ طالِبٍ لِلرَّبِّ يَخرُجُ إِلى خَيمةِ المَوعِدِ الَّتي في خارِجِ المُخَيَّم. [٨]وكانَ موسى، إِذا خَرَجَ إِلى الخَيمة، يَقومُ الشَّعبُ كُلُّه ويَقِفُ كُلُّ واحِدٍ على بابِ خَيمَتِه ويَنظُرُ إِلى موسى حتَّى يَدخُلَ الخَيمة. [٩]وكانَ موسى، إِذا دَخَلَ الخَيمة، يَنزِلُ عَمودُ الغَمامِ ويَقِفُ على بابِ الخَيمة، وكانَ يُكَلِّمُ الرَّبُّ موسى. [١٠]وكانَ، إِذا رأَى كُلُّ الشَّعبِ عَمودَ الغَمامِ واقِفاً على بابِ الخَيمَة، يَقومُ بِأَجمَعِه ويَسجُدُ كُلُّ واحِدٍ على بابِ خيمَتِه، [١١]ويُكَلِّمُ الرَّبُّ موسى وَجهاً إِلى وَجْه، كَما يُكَلِّمُ المَرءُ صَديقَه. وإِذا رَجَعَ إِلى المُخَيَّم، كانَ مساعِدُه يَشوعُ بنُ نونٍ الفَتى لا يَبرَحُ مِن داخِلِ الخَيمَة.

[١٢]وقالَ موسى لِلرَّبّ: «أُنظُر، قد قُلتَ لي: أَصعِدْ هذا الشَّعْب، ولم

(٣١) كان السامي يتصوّر الله يكتب في كتاب أسماء جميع الناس الاء. فالامّحاء يعني الموت.

تُعَرِّفْني مَن تُرسِلُ معي ، وأَنتَ قد قُلتَ : إِنِّي عَرَفتُكَ بِٱسمِكَ ونلتَ حُظوَةً في عَينَيَّ . [١٣]فالآن ، إن كُنتُ قد نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ، فعَرِّفْني طَرِيقَكَ لِكَي أَعرِفَكَ فأَنالَ حُظوَةً في عَينَيكَ. أُنظُرْ، إِنَّ هذه الأُمَّةَ هي شَعبُكَ» . [١٤]فقالَ الرَّبّ : «وَجْهي[(٣٢)] يَسيرُ أَمامَكَ وأُريحُكَ» . [١٥]قال : «إِن لم يَسِرْ وجهُكَ، فلا تُصعِدْنا مِن ههُنا ، [١٦]فإِنَّه بِماذا يُعرَفُ أَنِّي نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ أَنا وشَعبُكَ ؟ أَلَيسَ بِسَيرِكَ معَنا ، فنَمْتازَ أَنا وشَعبُكَ عن كُلِّ شَعبٍ على وَجهِ الأَرض ؟» [١٧]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «حتَّى هذا الَّذي قُلتَه أَفعَلُه ، لِأَنَّكَ قد نِلتَ حُظوَةً في عَينَيَّ وعَرَفتُكَ بٱسمِكَ» .

١٩. إليك صفحة من أروع صفحات العهد القديم . اراد موسى أن يزداد معرفة لذلك الذي دعاه فبيَّن الله عجز الإنسان عن معرفته كما هو ، لكنه قَبل أن يكشف عن نفسه لموسى الى حدٍ ما . رحمته وعدله أهم ما في هذا الكشف ، لكن هذا الكشف جزئي ، ولا بدّ أن يكتمل في وقت لاحق (راجع ، في القرن السادس ، حزقيال ١٨/ ٢-٤) .

٣٣ [١٨]قالَ موسى : «أَرِني مَجدَكَ» . [١٩]قال : «أَمُرُّ بِكُلِّ حُسْني أَمامَكَ وأُنادي بِٱسمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ، وأَصفَحُ عَمَّن أَصفَح وأَرحَمُ مَن أَرحَم»[(٣٣)]. «أَمَّا وَجْهي فلا تَستَطيعُ أَن تَراه لِأَنَّه لا يَراني الإِنسانُ ويَحْيا» . [٢١]وقالَ الرَّبّ : «هُوَذا مَكانٌ بِجانِبي ، قِفْ على الصَّخرَة ، [٢٢]فيَكونُ ، إِذا مَرَّ مَجْدي ، أَنِّي أَجعَلُكَ في حُفرَةِ الصَّخرَة وأُظَلِّلُكَ بِيَدي حَتَّى أَمُرَّ ، [٢٣]ثُمَّ أَرفَعُ يدي فتَرى ظَهْري ، وأَما وَجْهي فلا يُرى» .

(٣٢) وجهي = أنا .
(٣٣) حرية الله المطلقة في العطاء .

٣٤ [٥]فنَزَلَ الرَّبُّ في الغَمام ووَقَفَ معَه هُناكَ.

ونادى موسى بآسمِ الرَّبّ. [٦]ومَرَّ الرَّبُّ قُدَّامَه فنادى: «الرَّبُّ الرَّبّ! إلهٌ رَحيمٌ ورؤُوف، طَويلُ الأَناةِ كَثيرُ الرَّحمَةِ والوَفاء، [٧]يَحفَظُ الرَّحمة لأُلوف، ويَحتَمِلُ الإِثمَ والمَعصِيَةَ والخَطيئَة، ولكنَّه لا يَترُكُ دونَ عِقابٍ شَيئاً، فيَفتَقِدُ إِثْمَ الآباءِ في البَنينَ وفي بَني البَنينَ إلى الجيلِ الثَّالِثِ والرَّابِع». [٨]فأَسرَعَ موسى وآنحَنى إلى الأَرضِ ساجداً، [٩]وقال: «إِن نِلْتُ حَقًّا حُظوَةً في عَينَيكَ، يا رَبّ، فلْيَسِرِ الرَّبُّ إِذاً في وَسْطِنا، لِأَنَّه شَعبٌ قاسي الرِّقاب. فآغفِرْ إِثمَنا وخَطيئَتَنا وآتَّخِذْنا مِراثاً لَكَ».

٢. القسم التشريعي

١. كتاب العهد

من الارجح ان موسى هو صاحب مجمل التدابير التالية. ولا شك أنها حُرِّرت في أيام تحضير اسرائيل في سهول موآب. فيما يلي أحكام المذبح والاحكام المتعلّقة بالقتل والضربات والجروح والسرقات وأحكام أخرى في العلاقات الاجتماعية.

٢٠ [٢٢]فقالَ الرَّبُّ لِموسى: «كَذا تَقولُ لِبَني إِسْرائيل: قد رأَيتُم أَنِّي مِنَ السَّماءِ خاطَبتُكم. [٢٣]لا تَصنَعونَ آلِهَة مِن فِضَّة إلى جانِبي، وآلِهَةَ مِن ذَهَبٍ لا تَصنَعونَ لكم.

[٢٤]مَذبَحاً مِن تُرابٍ تَصنَعُ لي وتَذبَحُ علَيه مُحرَقاتِكَ وذَبائِحَكَ السَّلامِيَّةَ مِن غَنَمِكَ وبَقَرِكَ. في كُلِّ مَوضِعٍ أَذكُرُ فيه آسمي آتيكَ

وأُبارِكُكَ. [٢٥]وإِن صَنَعتَ لي مَذبَحاً مِن حِجارة، فلا تَبْنيه بِالحَجَرِ المَنْحوت، فإِنَّكَ إِن رَفَعتَ حَديدَكَ علَيها دَنَّستَها(٣٤).

٢١ [١٢]مَن ضَرَبَ إِنْساناً فماتَ، فلْيُقتَلْ قَتْلاً. [١٣]فإِن لم يَتَرَصَّدْه، بل أَوقَعَه اللهُ في يَدِه، فسأُحَدِّدُ لَكَ مَكاناً يَهرُبُ إِلَيه. [١٤]وإِذا جارَ رَجلٌ على قَريبِه فقَتَلَه مَكراً، فمِن عِندِ مَذبَحي تأخُذُه لِيُقتَل.

[١٥]ومَن ضَرَبَ أَباه أَو أُمَّه، فلْيُقتَلْ قَتلاً.

[١٨]وإِذا تَخاصَمَ رَجُلانِ فَضَرَبَ أَحَدُهُما الآخَرَ بِحَجَرٍ أَو لَكْمَة، فلَم يَمُتْ بل لَزِمَ الفِراش، [١٩]فإِن قامَ ومشى خارِجاً على عُكَّازِه، كان الضَّارِبُ بَراءً. غَيرَ أَنَّه يُعطيه تَعْويضَ تَعَطُّلِه ويُنفِقُ على عِلاجه.

[٢٢]وإِذا تَخاصَمَ أُناسٌ فَصَدَموا آمرَأَةً حامِلاً فسَقَطَ الجَنينُ ولم يَتَأَتَّ ضَرَر، فلْيَدفَعِ الصَّادِمُ غَرامةً كَما يَعْرِضُ علَيه زَوجُ المرأة، ويُؤَدِّيها عن يَدِ القُضاة. [٢٣]وإِن تأَتَّى ضَرَر، تَدفَعُ نَفْساً بِنَفْس، [٢٤]وعَيناً بِعَين وسِنًّا بِسِنّ ويَداً بِيَد ورِجْلاً بِرِجْل، [٢٥]وحَرْقاً بِحَرْق وجُرْحاً بِجُرْح ورَضًّا بِرَضّ.

٢٢ السَّارِقُ يَرُدُّ ما سَرَقَه. وإِن لم يَكُنْ لَه شَيءٌ، فلْيُبَعْ لِرَدِّ ما سَرَقَه. [٣]وإِن وُجِدَتِ السَّرِقَةُ في يَدِه حَيَّةً مِن ثَورٍ أَو حِمارٍ أَو شاة، فلْيُعَوِّضْ بَدَلَ الواحِدِ آثنَين.

[٢٠]والنَّزِيلُ فلا تَظلِمْه ولا تضايِقه، فإِنَّكم كُنتُم نُزَلاءَ في أَرضِ مِصر. [٢١]ولا تُسِيءْ إِلى أَرمَلَةٍ ولا يَتيم، [٢٢]فإِن أَسَأْتَ إِلَيهِما إِساءَةً وصَرَخَ إِلَيَّ

(٣٤) تكون الاشياء أقرب الى وضعها كمخلوقات الله، ان لم تعمل فيها أداة الانسان. فهي أجدر بأن تُستعمل في العبادة.

صُراخاً، فإنِّي أُصغي إلى صُراخِه، [٢٣]فيَحتَدُّ غَضَبي وأقتُلُكم بِالسَّيف، فتَصيرُ نِساءُكم أرامِلَ وبَنوكم يَتامى.

[٢٤]إذا أقرَضتَ فِضَّةً لِأَحَدٍ مِن شَعْبي، لِفَقيرٍ عِندَكَ، فلا تَكُنْ له كالمُرابي، ولا تَفرِضوا علَيه رِبًى.

[٢٥]إذا آستَرهَنتَ رِداءَ قَريبِكَ، فعِندَ مَغيبِ الشَّمْسِ رُدَّه إِلَيه، [٢٦]لِأَنَّه سِترُه الوَحيد وكِساءُ جِلدِه، ففيمَ يَنام؟ فإِن هو صَرَخَ إِلَيَّ آستَجَبتُ له لِأَنِّي رَؤُوف.

٢. أحكام طقسية

إن الكتّاب الملهمين تصوّروا تابوت العهد وخيمة الموعد وكثيراً من الامور الطقسية على صورة هيكل سليمان الذي بُني بعد الخروج من مصر بثلاثة قرون. ولذلك، نهمل هنا سائر الاحكام الطقسية ونقتصر على ذكر شريعة راحة السبت.

٣٥ [١]ثُمَّ جَمَعَ موسى جَماعةَ بَني إِسْرائيلَ كُلَّها وقالَ لَهم: «هذه هي الأُمورُ الَّتي أَمَرَ الرَّبُّ أَن تَصْنَعوها: [٢]في سِتَّةِ أَيَّام يُعمَلُ العَمَل، واليَومُ السَّابِعُ يَكونُ لكم مُقَدَّساً، سَبْتَ راحةٍ لِلرَّبّ. كُلُّ مَن عَمِلَ فيه عَمَلاً يُقتَل. [٣]لا تُشعِلوا ناراً في جَميعِ مَساكِنِكم يَومَ السَّبت».

٣. الله حاضر في وسط شعبه

أصبح إسرائيل شعب الله. قطع عهداً معه، فصار من حقّه بعد اليوم أن يحتمي بالله. وسيبقى الله حاضراً في وسط اسرائيل.

٤٠ [١٧]وكانَ أَنَّه في الشَّهْرِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنةِ الثَّانِيَةِ في اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ نُصِبَ المَسكِن. [١٨]نَصَبَه موسى فوَضَعَ قَواعِدَه وجَعَلَ علَيها أَلْواحَه ووَضَعَ عَوارِضَه وأَقامَ أَعمِدَتَه. [١٩]ثُمَّ مَدَّ الخَيمَةَ فَوقَ المَسكِن ووَضَعَ

غِطاءَ الخَيمةِ عليه مِن فَوقُ، كما أَمَرَه الرَّبّ . [٢٠]ثُمَّ أَخَذَ الشَّهادةَ فوَضَعَها في التَّابوت وجَعَلَ عليه القَضيبَين، ووَضَعَ الكَفَّارةَ على التَّابوت مِن فَوق . [٢١]ثُمَّ أَتى بِالتَّابوتِ إِلى المَسكِن ووَضَعَ الحِجابَ السَّاتِر فسَتَرَ تابوتَ الشَّهادة، كما أَمَرَه الرَّبّ .

[٣٦]وكانَ، إِذا آرتَفَعَ الغَمامُ عنِ المَسكِن، يَرحَلُ بَنو إِسْرائيلَ في جَميعِ مَراحِلِهم، [٣٧]وإِذا لم يَرتَفِع، لَم يَرحَلوا إِلى يَومِ آرتِفاعِه، [٣٨]لأَنَّ غَمامَ الرَّبِّ كانَ على المَسكِنِ نَهاراً، وكانَتِ النَّارُ في الغَمامِ لَيلاً، على مَشهَدِ جَميعِ بَيتِ إِسْرائيلَ في جَميعِ مَراحِلِهم .

قراءة لبني جيلنا

هذا السفر غنيّ بما يغذّي تفكير المسيحي . فالخروج من مصر والدخول الى أرض الميعاد هما صورة سابقة لا يمكننا أن نهملها . فعلى المسيحي أن **يجاهد** كل يوم ليوقف عبودية الخطيئة التي تترصّده وأحياناً تُرهقه . ومثاله الاعلى هو الدخول الى أرض الميعاد الحقيقية أي الالفة مع الله، وهي حالة مؤقتة وسريعة الزوال في هذه الدنيا، ونهائية لا تعود الى الوراء بعد هذه الحياة .

وكما أن السير في البرّيّة يمهّد الى الدخول النهائي الى أرض الميعاد، كذلك يرى المسيحي أن **حياته الحارة** تمثّل بذلك السير الطويل، حيث يتناوب الفرح والالم، والامانة والتمرّد .

وفي الوقت نفسه، يأتيه سفر الخروج باليقين من **حضور الله الفعّال** في طريقنا، من حضور خلاصي، يتمّ فيه فداء المسيح يوماً بعد يوم، بتأييد الروح القدس .

يمكننا أيضاً، ولا شك، أن نتوقّف عند شخصية موسى، لنتأمّل في بعض وجوهها : دعوته ورسالته وحياته الروحية وشأنه في تاريخ الخلاص وميزته النبوية ومكانته في العهد الجديد .

سِفرُ الأحبار

هذا السِفر الثالث من التوراة هو سِفر طقسي قبل كل شيء، كما يدل عليه اسمه. عند العودة من الجلاء، قام بعض الكهنة بتجميع عناصر قديمة جدًّا وأضافوا اليها ما أضافوا، ووجّهوها نحو قداسة شعب إسرائيل. يمهّد هذا السفر، من خلال العهد القديم، الى الليترجية المسيحية.

ليس فيه تصميم بالمعنى الدقيق، ومع ذلك فهناك أربعة عناصر أساسية:

- أنواع الذبائح: ١-٧
- أصل الكهنة وتكريسهم: ٨-١٠
- أحكام الطهارة الشرعية: ١١-١٦
- شريعة القداسة: ١٧-٢٦
- مُلحق: ٢٧

١. أنواع الذبائح

نذكر منها اثنتَين: المحرقة والذبيحة السلامية. في المحرقة، تُحرق الضحية كلّها للدلالة على الهبة التامّة لله. وفي الذبيحة السلامية، تقرَّب لله أجزاء الضحية الشحمية، والباقي يأكله المقرِّب وعائلته وأصدقاؤه. وفي ذلك رسم أوّلي لذبيحة القربان المسيحية.

وان كانت الضحية حيواناً، فهذا يعني أن مادة الذبيحة يجب اتّخاذها من خيرات الجماعة. والحيوان يذكّر هنا بأنه كان أثمن الخيرات في المجتمع الرعوي.

١ [١]ودعا الرَّبُّ موسى وخاطَبَه مِن خَيمةِ المَوعِدِ قائلاً: [٢]«كَلِّمْ بَني

إسْرائيلَ وقُلْ لَهم : أَيُّ إنسانٍ مِنكم قَرَّبَ قُرْباناً لِلرَّبِّ مِنَ البَهائم ، فمِنَ البَقَرِ والغَنَمِ تُقَرِّبونَ قُرْبانَكم .

[٣]إن كانَ قُربانُه مُحرَقَةً مِنَ البَقَر ، فذَكَراً تامًّا يُقَرِّبُه عِندَ بابِ خَيمةِ المَوعِد ، يُقَرِّبُه لِلرِّضى عنه أَمامَ الرَّبّ . [٤]ويَضَعُ يَدَه على رأسِ المُحرَقَة ، فيُرْضى عنها تَكْفيراً عنه . [٥]ويَذبَحُ العِجْلَ أَمامَ الرَّبِّ ، فيُقَرِّبُ بَنو هارونَ الكَهَنَةُ الدَّمَ ويَرُشُّونه على المَذبَحِ الّذي عِندَ بابِ خَيمَةِ المَوعِدِ مِن حَولِه . [٦]ويَسلَخُ المُحرَقَةَ ويُقَطِّعُها بِحَسَبِ قِطَعِها . [٧]ويَجعَلُ بَنو هارونَ الكاهِنِ ناراً على المَذبَحِ ويُرَتِّبونَ علَيها حَطَباً . [٨]ويُرَتِّبُ بَنو هارونَ الكَهَنَةُ القِطَعَ والرَّأسَ والشَّحْمَ على الحَطَبِ الَّذي على النَّارِ الَّتي على المَذبَح . [٩]وأَمَّا أَمْعاؤُه وأَكارِعُه فيَغسِلُها بِالماء ويُحرِقُ الكاهِنُ الكُلَّ على المَذبَحِ مُحرَقَةً بِالنَّار رائِحَةَ رِضًى لِلرَّبّ .

٣ [١]وإن كانَ قُرْبانُه ذَبيحةً سَلامِيَّةً مِنَ البَقَرِ، ذَكَراً أَو أُنْثى ، فتامًّا يُقَرِّبُه أَمامَ الرَّبّ . [٢]ويَضَعُ يَدَه على رأسِ قُرْبانِه ويَذبَحُه عِندَ بابِ خَيمَةِ المَوعِد ، ويَرُشُّ بَنو هارونَ الكَهَنَةُ الدَّمَ على المَذبَحِ مِن حَولِه[(١)] . ويُقَرِّبُ مِنَ الذَّبيحَةِ السَّلامِيَّةِ تَقدِمَةً بِالنَّارِ لِلرَّبّ : الشَّحْمَ المُغَطِّيَ لِلأَمْعاء وسائِرَ الشَّحْمِ الَّذي على الأَمْعاء، [٤]والكُلْيَتَينِ والشَّحْمَ الَّذي علَيهِما عِنْدَ الخاصِرَتَين ، ويَنزِعُ زِيادةَ الكَبِدِ مع الكُلْيَتَين . [٥]ويُحرِقُ ذلك بَنو هارونَ على المَذبَح ، على المُحرَقةِ الَّتي فَوقَ الحَطَبِ الَّذي على النَّار ، تَقدِمَةً بِالنَّار ، رائِحةَ رِضًى لِلرَّبّ .

(١) تقوم الذبيحة في جوهرها على هذه الحركة .

٢. أصل الكاهن وتكريسه

ان سفر الاحبار يُرقي الكهنوت التأسيسي الى موسى. فقبل موسى، كان رئيس الجماعة العائلية أو القبلية هو الذي يقوم بالوظائف الكهنوتية. فانتقلت هذه الخدمة الى أناس اختصاصيين، وهم أعضاء سبط لاوي. والفقرة التالية تُرقي الى موسى تكريس عظيم الكهنة، كما كان عند العودة من الجلاء.

٨ [١]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٢]«خُذْ هارونَ وبَنيه معَه والثِّيابَ وزَيتَ المِسحَةِ وعِجْلَ ذَبيحةِ الخَطيئَة والكَبشَينِ وسَلَّةَ الفَطير. [٣]وآجمَعْ كُلَّ الجَماعةِ إِلى بابِ خَيمَةِ المَوعِد».

[٤]فعَمِلَ موسى كَما أَمَرَ الرَّبّ. فآجتَمَعَتِ الجَماعةُ إِلى بابِ خَيمَةِ المَوعِد. [٥]فقالَ لَهم موسى: «هذا ما أَمَرَ الرَّبُّ بِعَمَلِه».

[٦]وقَدَّمَ موسى هارونَ وبَنيه وغَسَلَهم بِالماء. [٧]ثُمَّ جَعَلَ علَيه القَميص وشَدَّه بِالزُّنَّار وأَلبَسَه الجُبَّةَ وجَعَلَ علَيه الأَفود وزنَّرَه بِوِشاحِ الأَفود وشَدَّه بِه. [٨]ووَضَعَ علَيه الصُّدرَة وجَعَلَ فيها الأُوريم والتُّوميم. [٩]ووَضَعَ العِمامَةَ على رأسِه ووَضَعَ علَيها مِن مُقَدَّمِها زَهرَةَ الذَّهَب، تاجَ القُدْس، كما أَمَرَ الرَّبُّ موسى.

[١٠]وأَخَذَ موسى زَيتَ المِسْحَة، ومَسَحَ المَسكِنَ وكُلَّ ما فيه وقَدَّسَه. [١١]ورَشَّ منه على المَذبَحِ سَبْعَ مَرَّات، ومَسَحَ المَذبَحَ وجَميعَ آنِيَتِه والمِغسَلَ وقاعِدَتَه لِتَقْديسِها. [١٢]وصَبَّ مِن زَيتِ المِسْحَةِ على رأسِ هارون ومَسَحَه لِتَقْديسِه.

[١٣]ثُمَّ قدَّمَ موسى بَني هارون وأَلبَسَهم أَقمِصَةً وشَدَّهم بِزَنانير وعَصَبَ لهم قَلانِس، كَما أَمَرَ الرَّبُّ موسى.

٣. أحكام الطهارة الشرعية

ان الطهارة، كما فهمها المشترع القديم، هي ما يمكّن من التقرّب من الله وتأدية العبادة له، من حيث القربان ومن حيث المقرِّب. أخذ الكاتب بعين الاعتبار تحريمات قديمة جداً، وأدخلها في وديعة وحي اسرائيل، فذكر أغمض المجالات التي يعمل فيها الله، سيّد الخصب، والتي تتطرّق الى مصادر الحياة: الطعام (الحيوانات الطاهرة والنجسة)، ونجاسات الجلد (البرص والورم)، والولادة، والسيلان الجنسي. والى جانب ذلك، يضمّ هذا القسم من السفر بعض الاطّهارات، وعيد التكفير حيث تكفَّر تلك النجاسات كلها.

الحيوانات الطاهرة والنجسة

١١ [١] وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ وقالَ لَهما: [٢] «خاطِبا بَني إِسْرائيلَ وقولا لَهم: هذه هي الحَيَواناتُ الَّتي تأكُلونَها مِن جَميعِ البَهائِمِ الَّتي على الأَرض: [٣] كُلُّ ذي حافِرٍ مَشْقوقٍ إِلى ظِفْرَينِ وهو يَجتَرُّ مِنَ البَهائِم، فإِيَّاه تأكُلون. [٤] وأَمَّا هذه، فمع أَنَّها مِنَ المُجتَرَّاتِ أَو مِن ذَواتِ الحَوافِرِ المَشْقوقة، فلا تأكُلونَها: الجَمَل، فإِنَّه يَجتَرّ ولكِنَّه غَيرُ مَشْقوقِ الحافِر، فهو نَجِسٌ لكم، [٦] والأَرنَب، فإِنَّها تَجتَرّ(٢)، ولكِنَّها غَيرُ مَشقوقةِ الحافِر، فهي نَجِسَةٌ لكم، [٧] والخِنْزير، فإِنَّه مَشْقوقُ الحافِر ولكِنَّه لا يَجتَرّ، فهو نَجِسٌ لكم. [٨] لا تأكُلوا شَيئاً مِن لَحمِها، ولا تَمَسُّوا جِيَفَها، فإِنَّها نَجِسَةٌ لَكم(٣).

(٢) تصنيف الارنب في المجترّات تصنيف غير علمي، فإنهم كانوا يحكمون بحسب الظواهر.

(٣) راجع رسل ١٠.

البَرَص

١٣ [١]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ قائلاً: [٢]«أَيُّ إِنْسانٍ كانَ في جِلْدِ بَدَنِه وَرَمٌ أَو قُوباءُ أَو لُمعَةٌ تؤولُ في جِلْدِ بَدَنِه إِلى إِصابة بَرَص، فلْيُؤتَ بِه إِلى هارونَ الكاهِن أَو إِلى واحِدٍ مِن بَنيه الكَهَنَة.

[٤٥]والأَبرَصُ الَّذي بِه إِصابة تكونُ ثِيابُه مُمَزَّقَةً وشَعرُه مَهْدولاً ويَتَلَثَّمُ على شَفَتَيه ويُنادي: نَجِس، نَجِس. [٤٦]ما دامَت فيه الإِصابة، يَكونُ نَجِساً، إِنَّه نَجِس. فلْيُقِمْ مُنفَرِداً، وفي خارِجِ المُخَيَّمِ يَكونُ مُقامُه(٤).

١٤ [١]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٢]«هذه تَكونُ شَريعةَ الأَبرَصِ في يَومِ اطِّهارِه: يُؤتى بِه إِلى الكاهِن، [٣]فيَخرُجُ الكاهِنُ إِلى خارِجِ المُخَيَّم. فإِذا رأَى الكاهِنُ أَنَّ الأَبرَصَ قد بَرِئَ مِن إِصابةِ البَرَص، [٤]يأمُرُ أَن يُؤخَذَ لِلمُطَّهِرِ عُصْفورانِ حَيَّانِ طاهِران وَعودُ أَرْزٍ وقِرمِزٌ وزُوفى. [٥]ويأمُرُ الكاهِنُ فيُذبَحُ أَحَدُ العُصْفورَيْنِ في إِناءِ خَزَفٍ على ماءٍ حَيّ. [٦]ويأخُذُ العُصْفورَ الحَيَّ وعُودَ الأَرْزِ والقِرمِزَ والزُّوفى، ويَغمِسُ هذه مع العُصْفورِ الحَيِّ في دَمِ العُصْفورِ المَذْبوحِ على الماءِ الجاري. [٧]ويَرُشُّ على المُطَّهِرِ مِنَ البَرَصِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ويُطَهِّرُه ويُطلِقُ العُصْفورَ الحَيَّ في البَرِّيَّة(٥). [٨]ثُمَّ يَغسِلُ المُطَّهِرُ ثِيابَه ويَحلِقُ جَميعَ شَعَرِه ويَغتَسِلُ بِالماءِ فيَطهُر. وبَعدَ ذلك يَدخُلُ المُخَيَّمَ ويُقيمُ في خارِجِ خَيمَتِه سَبعَةَ أَيَّام. [٩]وفي اليَومِ السَّابِعِ يَحلِقُ جَميعَ شَعَرِه:

(٤) قارن هذه الآية بـ لو ١٧/١١-١٤.

(٥) من الواضح ان الدين الإسرائيلي قد تبنَّى رُتباً وثنية تعود الى ما قبل موسى، وأضفى عليها معنىً جديداً بفضل إيمانه بإله شخصي متعالٍ.

رأسَه ولِحيَتَه وحَواجِبَ عَينَيه، وجَميعُ شَعَرِه يَحلِقُه، ويَغسِلُ ثِيابَه ويَستَحِمُّ بِالماءِ فيَطهُر.

[١٠]وفي اليَومِ الثَّامِن يأخُذُ حَمَلَينِ تامَّين ورِخلَةً حَولِيَّةً تامَّة وثَلاثَةَ أَعْشارٍ مِنَ السَّميذ، تَقدِمةً مَلْتوتةً بِزَيت، ولُجَّ زَيت. [١١]ويُقيمُ الكاهِنُ المُطَهِّرُ الرَّجُلَ المُطَّهِرَ وما أَتى بِه أَمامَ الرَّبِّ عِندَ بابِ خَيمَةِ المَوعِد. [١٢]ويأخُذُ الكاهِنُ أَحَدَ الحَمَلَينِ لِيُقَرِّبَه ذَبيحةَ إِثْمٍ مع لُجِّ الزَّيت، ويُحَرِّكُهما تَحْريكاً أَمامَ الرَّبّ. [١٣]ويَذبَحُ الحَمَلَ في المَوضِعِ الَّذي تُذبَحُ فيه ذَبيحةُ الخَطيئةِ والمُحرَقةُ في مَوضِعِ القُدْس، لأَنَّ ذَبيحَةَ الإِثْمِ هي لِلكاهِنِ كذَبيحةِ الخَطيئَة: إِنَّها قُدْسُ أَقْداس. [١٤]ثُمَّ يأخُذُ مِن دَمِ ذَبيحَةِ الإِثْمِ ويَجعَلُه على شَحمَةِ أُذُنِ المُطَّهِرِ اليُمْنى وعلى إِبْهامِ يَدِه اليُمْنى وإِبْهامِ رِجْلِه اليُمْنى. [١٥]ويأخُذُ الكاهِنُ مِن لُجِّ الزَّيت ويَصُبُّه في راحتِه اليُسْرى. [١٦]ثُمَّ يَغمِسُ إِصبَعَه اليُمْنى في الزَّيتِ الَّذي في راحتِه اليُسْرى ويَرُشُّ مِنه بِإِصبَعِه سَبعَ مَرَّاتٍ أَمامَ الرَّبّ. [١٧]ثُمَّ يأخُذُ مِمَّا بَقِيَ مِنَ الزَّيتِ في راحتِه ويَضَعُه على شَحمَةِ أُذُنِ المُطَّهِرِ اليُمْنى وعلى إِبْهامِ يَدِه اليُمْنى وعلى إِبْهامِ رِجلِه اليُمْنى، فَضلاً عن دَمِ ذَبيحةِ الإِثْم. [١٨]والباقي مِنَ الزَّيتِ في راحةِ الكاهِنِ يَصُبُّه على رأسِ المُطَّهِرِ ويُكَفِّرُ عنه أَمامَ الرَّبّ.

عيد التكفير

١٦ [١]وقالَ الرَّبّ لِموسى: «مُرْ هارونَ أَخاكَ بِأَن لا يَدخُلَ القُدْسَ في كُلِّ وَقتٍ إِلى داخِلِ الحِجاب، إِلى أَمامِ الكَفَّارةِ الَّتي على التَّابوت، لِئَلاَّ يَموت، فإِنِّي مُتَراءٍ في الغَمامِ فَوقَ الكَفَّارة.

[٣]بِهذا يَدخُلُ هارونُ القُدْس: بِعِجْلٍ مِنَ البَقَرِ لِذَبيحةِ الخَطيئَة وبِكَبْشٍ لِلمُحرَقَة. [٤]ويَلبَسُ قَميصاً مِن كَتَّانٍ مُقَدَّساً، ويَكونُ على بَدَنِه سَراويلاتٌ مِن كَتَّان، ويَتَمَنطَقُ بِزُنَّارٍ من كَتَّان، ويَتَعَمَّمُ بِعِمامةٍ مِن كَتَّان: إِنَّها ثِيابٌ مُقدَّسة، يَغسِلُ بَدَنَه بِماءٍ ويَلبَسُها.

[٥]ويأخُذُ مِن عِندِ جَماعةِ بَني إِسْرائيلَ تَيسَينِ مِنَ المَعَزِ لِذَبيحةِ الخَطيئَة وكَبْشاً لِلمُحرَقَة. [٦]فيُقَرِّبُ هارونُ عِجلَ ذَبيحةِ الخَطيئَةِ الَّتي علَيه ويُكَفِّرُ عن نَفْسِه وعن بَيتِه. [٧]ثُمَّ يأخُذُ التَّيسَينِ ويُقيمُهما أَمامَ الرَّبّ عِندَ بابِ خَيمَةِ المَوعِد. [٨]ويُلْقي هارونُ علَيهما قُرعَتَين، إِحْداهما لِلرَّبّ والأُخْرى لِعَزازيل(٦). [٩]ويُقَرِّبُ هارونُ التَّيسَ الَّذي وَقَعَت علَيه القُرعَةُ لِلرَّبّ، ويَصنَعُه ذَبيحةَ خَطيئَة. [١٠]والتَّيسُ الَّذي وَقَعَت علَيه قُرعةُ عَزازيل يُقيمُه حَيًّا أَمامَ الرَّبّ، لِيُكَفِّرَ عَلَيه ويُرسِلَه إِلى عزازيلَ في البَرِّيَّة.

[٢٠]فإِذا ٱنتهى مِنَ التَّكْفيرِ عنِ القُدْسِ وعَن خَيمةِ المَوعِدِ وعنِ المَذبَح، يُقَدِّمُ التَّيسَ الحَيّ، [٢١]ويَضَعُ هارونُ يَدَيه على رأسِه ويَعتَرِفُ علَيه بِجَميعِ آثامِ بَني إِسْرائيلَ ومَعاصيهم وخَطاياهم، ويَضَعُها على رأسِ التَّيس، ثُمَّ يُرسِلُه إِلى البَرِّيَّةِ بِيَدِ رَجُلٍ مُعَدٍّ لَه. [٢٢]فيَحمِلُ التَّيسُ جَميعَ آثامِهم إِلى أَرضٍ قاحِلة، فيُطلِقُ التَّيسَ في البَرِّيَّة.

[٢٣]ثُمَّ يَدخُلُ هارونُ خَيمةَ المَوعِد ويَنزِعُ الثِّيابَ الكَتَّانَ الَّتي لَبِسَها عِندَ

(٦) عزازيل: شيطان كان يسكن البراري. من الراجح أنهم كانوا يقرّبون له ذبيحة ليُبعدوه عن الجماعة. لكن اللاهوت اليهوي حوّل تلك العادة الشعبية: فمنذ اليوم، الرب هو الذي يمحو خطايا اسرائيل، غير أن الاعتقاد بعزازيل لم يزل: فإليه يُرسَل تيس المحرقة، حاملاً بوجه رمزي جميع خطايا الشعب.

دُخولِه القُدْس ويَدَعُها هُناك . [٢٤]ثُمَّ يَغسِلُ بَدَنَه بِالماءِ في مَوضِعٍ مُقَدَّس ، ويَلبَسُ ثِيابَه ويَخرُجُ فيُقَرِّبُ مُحرَقَتَه ومُحرَقَةَ الشَّعبِ ويُكَفِّرُ عن نَفْسِه وعنِ الشَّعْب . [٢٥]وأَمَّا شَحْمُ ذَبيحَةِ الخَطيئَة فيُحرِقُه على المَذبَح .

٤. شريعة القداسة

شريعة القداسة تُكمل شريعة الطهارة. مهما كلّف الامر، على الاسرائيلي ألاّ يدنّس اسم الرب، فهو مقدّس، بل عليه أن يشارك في قداسته. والطريق الرئيسية الى ذلك هي الليترجية، لا بل بعض القواعد المسلكية أيضاً. وسيعمل الانبياء على روحنة هذه النظرة القديمة التي كانت تعرّض لإعطاء الاولوية، لا للاستعدادات الباطنية، بل الى الطقس الخارجي.

قاعدة الايمان

١٩ [١]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٢]«مُرْ كُلَّ جَماعةِ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: كونوا قِدِّيسين، لأَنِّي أَنا الرَّبَّ إِلهَكم قُدُّوس. [٤]لا تَلتَفِتوا إِلى الآلِهَةِ المَعْدومة، وآلِهَةً مَسْبوكةً لا تَصنَعوا لَكم: أَنا الرَّبُّ إِلهُكم.

المحبة الاخوية

[٩]وإِذا حَصَدتُم حَصيدَ أَرضِكم، فلا تَذْهَبْ في الحِصادِ إِلى أَطرافِ حَقلِكَ، ولُقاطَ حَصيدِكِ لا تَلْقُطْ. [١٠] ولا تَعُدْ إِلى فَضَلاتِ كَرمِكَ، ولُقاطَ كَرمِكَ لا تَلْقُطْ، بلِ اتْرُكْ ذلِكَ لِلمِسْكينِ والنَّزيل، أَنا الرَّبُّ إِلهُكم.

[١١]لا تَسرِقوا ولا تَكذِبوا ولا يَخدَعْ أَحَدٌ قَريبَه. [١٢]ولا تَحلِفوا بِآسْمي

كَذِباً، فتُدَنِّسَ اسمَ إلهِكَ: أنا الرَّبّ. [١٣]لا تَظْلِمْ قَريبَكَ ولا تَسلِبْه، ولا تُبِتْ أُجرَةَ الأجيرِ عِندَكَ إلى الغَد. [١٤]لا تَلعَنِ الأَصَمّ، وأَمامَ الأَعْمى لا تَضَعْ مَعثَرَةً، واتَّقِ إلهَكَ: أنا الرَّبّ.

[١٥]لا تَجوروا في الحُكْم، ولا تُحابِ وَجهَ الفقير ولا تُكرِمْ وَجهَ العَظيم، بَل بِالعَدْلِ تَحكُمُ لِقَريبِكَ. [١٦]ولا تَسعَ بِالنَّميمَةِ بَينَ شَعبِكَ، ولا تُطالِبْ بِدَمِ قَريبِكَ(٧): أَنا الرَّبّ. [١٧]لا تُبغِضْ أَخاكَ في قَلبِكَ، بل عاتِب قَريبَكَ عِتاباً، فلا تَحمِلَ خَطيئَةً بِسَبَبِه. [١٨]لا تَنْتَقِمْ ولا تَحقِدْ على أَبْناءِ شَعبِكَ، وأَحْبِبْ قَريبَكَ حُبَّكَ لِنَفسِكَ(٨): أَنا الرَّبّ.

قداسة الكهنوت

٢١ [١٦]وخاطَبَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [١٧]«كَلِّمْ هارونَ وقُلْ لَه: أَيُّ رَجُلٍ مِن نَسلِكَ مدى أَجْيالِهم كانَ بِه عَيبٌ، فلا يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ طَعامَ إِلهه، [١٨]فإِنَّ كُلَّ رَجُلٍ بِه عَيبٌ لا يَتَقَدَّمْ: الأَعْمى والأَعرَجُ والمُشَوَّهُ وسَقيمُ البِنيَة، [١٩]والَّذي بِه كَسْرُ رِجْلٍ أَو كَسْرُ يَدٍ، [٢٠]والأَحدَبُ والضَّامِرُ والَّذي في عينَيه بَياض، والأَجرَبُ ومَن به القوباءُ ومَرضوضُ الخُصْيَة. [٢١]كُلُّ رَجُلٍ بِه عَيبٌ مِن نَسْلِ هارونَ الكاهِن لا يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ

(٧) تهمة كاذبة قد تستوجب الموت.
(٨) عرف العهد القديم المحبة الاخوية. لكن هوية القريب كانت محصورة في الذين يربطهم عهد موسى. أمّا المسيحي، فإنه لا يضع حداً لهذه المحبة، لان العهد الجديد يشمل الناس أجمعين.

الذَّبائِحَ بِالنَّارِ لِلرَّبّ : إِنَّه بِه عَيْب ، فلا يَتَقَدَّمْ لِيُقَرِّبَ طَعامَ إِلٰهِه[٩] . فلا يُدَنِّسْ مَقادِسي ، لأَنِّي أَنا الرَّبُّ مُقَدِّسُهم» .

الأعياد السنوية

٢٣ ١وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : ٤هذه مَواسِمُ الرَّبّ ، المَحافِلُ المُقَدَّسةُ الَّتي تَدْعونَهم إِلَيها في أَوقاتِها :

٥في الشَّهرِ الأَوَّلِ في اليَومِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنه ، بَينَ الغُروبَين ، فِصحٌ لِلرَّبّ . ٦وفي اليَومِ الخامِسَ عَشَرَ مِن هذا الشَّهْر ، عيدُ الفَطيرِ لِلرَّبّ[١٠] : سَبعَةَ أَيَّامٍ تأكُلونَ فَطيراً . ٧في اليَومِ الأَوَّل ، يَكونُ لكم مَحفِلٌ مُقَدَّس ، فلا تَعمَلوا فيه عَمَلَ خِدْمَة . ٨وسَبعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبونَ فيها ذَبيحةً بِالنَّارِ لِلرَّبّ ، وفي اليَومِ السَّابعِ مَحفِلٌ مُقَدَّس ، فلا تَعمَلوا فيه عَمَلَ خِدْمَة» .

٩وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : ١٠«مُرْ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم : إِذا دَخَلتُمُ الأَرضَ الَّتي أَنا مُعْطيكم إِيَّاها وحَصَدتُم حَصيدَها ، فأتوا بِحُزمَةِ باكورةِ حَصيدِكم إِلى الكاهِن . ١١فيُحَرِّكُها أَمامَ الرَّبِّ لِلرِّضى عنكم ، في غَدِ السَّبتِ يُحَرِّكُها الكاهِن .

١٥واحسُبوا لكم مِن غَدِ السَّبت ، مِن يَومِ إِتْيانِكم بِحُزمةِ التَّحْريك ، سَبعَةَ أَسابيعَ تامّة . ١٦إِلى غَدِ السَّبتِ السَّابع ، تَحسُبونَ خَمسينَ يَوماً ، ثُمَّ

(٩) كل ما يخالف السلامة الطبيعية يجرح نظر الله ، وهو الذي خلق الإنسان على وجه معيَّن . فالكاهن المشوَّه يدنّس الهيكل .

(١٠) نرى من هذا التمييز أنهم كانوا (حتى عهد يوشيا) يفصلون بين تقريب الحمل وتقريب بواكير الحصاد .

تُقَرِّبونَ تَقدِمةً جَديدةً لِلرَّبّ(١١) . ٢٧«أَمَّا العاشِرُ من الشَّهرِ السَّابِع هذا، فهو يَومُ التَّكْفير، يَكونُ لكم مَحفِلاً مُقَدَّساً تُذَلِّلونَ فيه أَنفُسَكم وتُقَرِّبونَ ذَبيحةً بِالنَّارِ لِلرَّبّ.

في اليَومِ الخامِسَ عَشَرَ مِن هذا الشَّهرِ السَّابع، عيدُ الأَكْواخِ سَبعَةَ أَيَّام لِلرَّبّ(١٢). ٣٥في اليَومِ الأَوَّلِ مَحفِلٌ مُقَدَّس، فلا تَعمَلوا فيه عَمَلَ خِدمَة. ٣٦سَبعَةَ أَيَّامٍ تُقَرِّبونَ ذَبيحةً بِالنَّارِ لِلرَّبّ، وفي اليَومِ الثَّامِن، يَكونُ لكم مَحفِلٌ مُقَدَّس، تُقَرِّبونَ فيه ذَبيحةً بِالنَّارِ لِلرَّبّ: إِنَّه مَحفِلُ العيد، فلا تَعمَلوا فيه عَمَلَ خِدمَة.

٣٧هذه مَواسِمُ الرَّبِّ الَّتي تَدعونَ بِها إِلى مَحافِلَ مُقَدَّسة، وتُقَرِّبونَ فيها ذَبائِحَ بِالنَّارِ لِلرَّبّ، مِن مُحرَقةٍ وتَقدِمَةٍ وذَبيحةٍ وسَكيب، فَريضَةَ كُلِّ يَومٍ في يَومه، ٣٨ما خلا سُبوتَ الرَّبّ وما خلا عَطاياكم وجَميعَ نُذورِكم وهِباتِكمُ الَّتي تُقَدِّمونَها لِلرَّبّ.

السنة السبتية

٢٥ ١وخاطَبَ الرَّبُّ موسى في جَبَلِ سيناءَ قائلا: ٢«كَلِّمْ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: إِذا دَخَلتُمُ الأَرضَ الَّتي أَنا مُعطيكُم إِيَّاها، فلْتَستَرِحِ الأَرضُ سَبتاً لِلرَّبّ. ٣سِتَّ سِنينَ تَزرَعُ حَقلَكَ، وسِتَّ سِنينَ تَقضِبُ كَرْمَكَ، وتَجمَعُ غِلالَهما، ٤وفي السَّنَةِ السَّابِعة، يَكونُ لِلأَرضِ سَبْتُ راحةٍ، سَبْتٌ

(١١) عيد الاسابيع أو الحصاد. ويسمَّى أيضاً «العنصرة».
(١٢) عيد الاكواخ.

لِلرَّبّ ، فلا تَزرَعْ حَقلَكَ ولا تَقْضِبْ كَرمَكَ(١٣) ، ٥وخِلفَةَ حَصيدِكِ لا تَحصِدْ ، وعِنَبَ كَرمِكَ غَيرِ المَقضوبِ لا تَقطِفْ ، لأَنَّها سَنَةُ راحةٍ لِلأَرض . ٦ولْيَكُنْ سَبتُ الأَرضِ طَعاماً لَكَ ولِخادِمِكَ وخادِمَتِكَ وأَجيرِكَ وضَيفِكَ المُقيمينَ معَكَ ، ٧وتَكونُ جَميعُ غَلاَّتِها طَعاماً لِبَهائِمِكَ ولِلوُحوشِ الَّتي في أَرضِكَ .

٨واَحسُبْ لَكَ سَبعَةَ أَسابيعَ مِنَ السِّنين ، أي سَبعَ مَرَّاتٍ سَبْعَ سِنين ، فتَكونُ لَكَ أَيَّامُ أَسابيعِ السِّنينَ السَّبعةِ تِسعاً وأَربَعينَ سَنَة . ٩واَنفُخْ في بُوق الهُتافِ في اليَومِ العاشِرِ مِنَ الشَّهرِ السَّابع ، في يَومِ التَّكْفيرِ تَنفُخونَ في البوقِ في أَرضِكم كُلِّها . ١٠وقَدِّسوا سَنةَ الخَمْسين ونادوا بِإِعْتاقٍ في الأَرضِ لِجَميعِ أَهْلِها ، فتَكونَ لكم يوبيلاً ، فتَرجِعوا كُلٌّ واحِدٍ إِلى مِلكِه وتَعودوا كُلُّ واحِدٍ إِلى عَشيرَتِه . ١١سَنَةُ الخَمْسينَ تَكونُ لكم يُوبيلاً ، فلا تَزرَعوا فيها ولا تَحصِدوا خِلفَةَ زَرعِكم ولا تَقطِفوا ثَمَرَ كَرمِكم غيرِ المَقْضوب . ١٢إِنَّها يوبيل ، فتَكونُ لكم مُقَدَّسة ، ومِن غِلالِ الحُقولِ تأكُلون .

١٣وفي سَنةِ اليوبيلِ هذه تَرجِعونَ كُلٌّ واحِدٍ إِلى مِلكِه . ١٤إِذا بِعْتُم لأَقرِبائِكم أَوِ اَشتَرَيتُم مِنهم ، فلا يَظلِمِ الواحِدُ مِنكُم أَخاه . ١٥بِحَسَبِ عَدَدِ السِّنينَ مِن بَعدِ سَنةِ اليوبيلِ تَشتَري مِن قَريبِكَ ، وبِحَسَبِ سِني الغَلَّةِ يَبيعُكَ . ١٦بِحَسَبِ كَثرَةِ السِّنينَ تُكَثِّرُ له الثَّمَن وبِحَسَبِ قِلَّتِها تُقَلِّلُه ،

(١٣) سنة سبتية . ضرورة زراعية قدّستها الشريعة .

لأنَّه إنَّما يَبيعُك عَدَداً مِنَ الغِلال . [١٧]فلا يَظْلِمْ أَحَدُكم قَريبَه ، بلِ اَتَّقِ إِلهَكَ : إِنِّي أَنا الرَّبُّ إِلهُكم .

تنتهي شريعة القداسة بفكرة العهد الأساسية : فالامانة أو عدم الامانة له يؤدي الى المكافأة أو العقاب .

٢٦ [٣]إِن سِرتُم على فَرائِضي وحَفِظتُم وَصايايَ وعَمِلتُم بِها ، [٤]أَنزَلتُ أَمطارَكم في أَوانِها وأَخرَجَتِ الأَرضُ غِلالَها وأَخرَجَ شَجَرُ الحَقْلِ ثَمَرَه ، واتَّصَلَ الدِّراسُ بِالقِطافِ واتَّصَلَ القِطافُ بِالزَّرْع ، وأَكَلتُم طَعامَكم شِبَعاً وأَقَمتُم في أَرضِكم آمِنين .

[١٤]وإِن لم تَسمَعوا لي ولم تَعمَلوا بِجَميعِ هذه الوَصايا ، [١٥]ونَبَذتُم فَرائِضي وسَئِمَت نُفوسُكم مِن أَحْكامي ، فلَم تَعمَلوا بِجَميعِ وَصايايَ ونَقَضتُم عَهْدي ، [١٦]فهذا ما أَصنَعُ بِكم أَنا أَيضاً : أُسَلِّطُ علَيكم رُعْباً وضَنًى وحُمَّى تُفْني العَينَينِ وتُرهِقُ النَّفْس ، وتَزرَعونَ زَرعَكم باطِلاً فيأكُلُه أَعْداؤُكم . [١٧]وأَنقَلِبُ عليكم فتَنهَزِمونَ مِن وُجوهِ أَعْدائِكم ، ويَتَسَلَّطُ علَيكم مُبغِضوكم ، وتَفِرُّونَ ولَيسَ مِن مُطارِدٍ لكم .

قراءة لبني جيلنا

من السهل أن ننقل هذا السفر من عالم العهد القديم الى عالم المسيحية : هناك ، قبل كل شيء ، **دعوة المسيحي الى الكهنوت** . يبلغ الكهنوت كماله في المسيح ، والكهنة - ويقابلهم اللاويون في الشريعة القديمة - يشاركون في وظيفة الكاهن الاوحد . والمسيحي ، بالعماد والميرون ، يشارك هو أيضاً في وظيفة المسيح الكهنوتية .

والى جانب ذلك ، فالمسيحي مدعوّ الى **القداسة** ، لا الى القداسة السلبية والطقسية ، بل الى طهارة الضمير ، لا الى الامتناع عن كل خطيئة فقط ، بل الى المشاركة في كيان الله نفسه : «اختارنا ، قبل إنشاء العالم ، لنكون عنده قدّيسين بلا عيب» (اف ١/٤) .

سِفرُ العَدَد

يعود اسم السفر الرابع من التوراة الى المعلومات العددية التي كثُرت فيه. وهو يحتوي على رواية **الاحداث** التي جرت ما بين الإقامة في سيناء والإقامة في سهول موآب. وفي هذا الإطار التاريخي ورد عدد من **الشرائع والعادات** الطقسية. ويظهر فيه الشعب المختار بمظهر جماعة يسهر عليها اللاويون.

١. بعض الاحكام الطقسية

١. دور اللاويين ونظامهم

في التقليد الكهنوتي، يحلّ اللاويون محلّ الابكار الذين هم شرعاً مِلك الربّ، منذ الخروج من مصر. انهم مكرَّسون له، فعليهم أن يطّهروا من كل نجاسة.

١ [٤٨]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٤٩]«وأَمَّا سِبطُ لاوي، فلا تَعُدَّهم ولا تُحصِهم مع بَني إِسْرائيل. [٥٠]وأَنتَ فوَكِّلِ اللاوِيِّينَ بِمَسكِنِ الشَّهادَةِ وجَميعِ أَمتِعَتِه وكُلِّ ما لَه، وهُم يَحمِلونَ المَسكِنَ وجَميعَ أَمتِعَتِه، وهُم يَخدِمونَه ويُخَيِّمونَ حَوالَيه. [٥١]فإِذا رَحَلَ المَسكِن، فاللاوِيُّونَ يُفكِّكونَه، وإِذا خَيَّمَ فهُم يَنصِبونَه، وأَيُّ أَحَدٍ غَيرُهم تَقَدَّمَ مِنه يُقتَل. [٥٢]ويُخَيِّمُ بنو إِسْرائيلَ كُلُّ واحِدٍ مِنهم في مُخَيَّمِه وعِندَ رايَتِه بِحَسَبِ جُيوشِهم.

٥٣والَّلاوِيُّونَ يُخَيِّمونَ حَوالَى مَسكِنِ الشَّهادة ، لِكَيلا يَحِلَّ الغَضَبُ على جَماعَةِ بَني إِسْرائيل ، ويَقومُ اللاَّوِيُّون بِخِدمَةِ مَسكِنِ الشَّهادة» .
٥٤فعَمِلَ بنو إِسْرائيلَ بِكُلِّ ما أَمَرَ الرَّبُّ بِه موسى ، هكذا عَمِلوا .

٣ ١١وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : ١٢«إِنِّي قد أَخَذتُ اللاَّوِيِّينَ مِن بَني إِسْرائيلَ بَدَلَ كُلِّ بِكْرٍ فاتِحِ رَحِمٍ مِن بَني إِسْرائيل ، فيَكونَ اللاَّوِيُّونَ لي . ١٣لأَنَّ كُلَّ بِكْرٍ هو لي ، لأَنَّه يَومَ ضَرَبتُ كُلَّ بِكْرٍ في أَرضِ مِصْر ، قَدَّستُ لي كُلَّ بِكْرٍ في إِسْرائيل ، مِنَ البَشَرِ والبَهائِم ، إِنَّهم لي : أَنا الرَّبّ» .

٢. النذير وأحكامه

النذير إنسان مكرّس . يذكر النصّ التالي ثلاث علامات لهذا التكريس : عدم قصّ الشعر ، والامساك عن الشراب المُسكر ، والابتعاد عن كل جثّة . وأحياناً ما يكون للنذير عمل معيَّن : لشمشون محاربة الفلسطينيين ، وليوحنا المعمدان التبشير بالمسيح .

٦ ١وخاطَبَ الرَّبُّ موسى قائلاً : ٢«كَلِّمْ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم : أَيُّ رَجُلٍ أَوِ آمرَأَةٍ أَرادَ أَن يَنذُرَ نَذْرَ النَّذيرِ لِلرَّبّ . ٣فليَمتَنِعْ عنِ الخَمْرِ والمُسكِر ولا يَشرَبْ خَلَّ خَمْرٍ وخَلَّ مُسكِر ، ولا يَشرَبْ أَيَّ عَصيرٍ مِنَ العِنَب ، ولا يأكُلْ عِنَباً رَطْباً ولا يابِساً ، ٤ولا يأكُلْ طَوالَ أَيَّامِ نَذرِه مِن كُلِّ ما يُصنَعُ مِن جَفنَةِ الخَمرِ ، مِنَ الحُبَبِ إِلى القِشْر . ٥وطَوالَ أَيَّامِ نَذْرِه لا تَمُرَّ موسى بِرأسِه ، ويَكونُ مُقَدَّساً إِلى أَن تَتِمَّ الأَيَّامُ الَّتي نَذَرَ فيها نَذْرَ النَّذيرِ لِلرَّبّ ، ويُرَبِّي خُصَلَ شَعَرِ رأسِه . ٦وطَوالَ أَيَّامِ نَذْرِه لِلرَّبِّ لا يَدْخُلْ على جُثَّةِ مَيت : ٧ولا يَتَنَجَّسْ لا بِأَبيه ولا بأُمِّه أَو أَخيه أَو أُختِه عِندَ مَوتِهم ، لأَنَّ نَذْرَ إِلهِه على رأسِه . ٨إِنَّه كُلَّ أَيَّامِ نَذْرِه مُقَدَّسٌ لِلرَّبّ .

٩فإن ماتَ عِندَه مَيتٌ فَجأَةً على بَغتَةٍ وتَنَجَّسَ رأسُه وهو النَّذير، فلْيَحْلِقْ رأسَه في يَومِ طُهْرِه، في اليَومِ السَّابعِ يَحلِقُه. ١٠وفي اليَومِ الثَّامِن يأتي بِزَوجَي يَمامٍ أَو فَرخَي حَمامٍ إِلى الكاهن، إِلى بابِ خَيمةِ المَوعِد، ١١فيَصنَعُ الكاهِنُ أَحَدَهما ذَبيحةَ خَطيئَة والآخَرَ مُحرَقة، ويُكَفِّرُ عنه ما خَطِئَ بِه بِالقُربِ مِنَ المَيْت، ويُقَدِّسُ رأسَه في ذلك اليَوم. ١٢فيَنذُرُ لِلرَّبِّ أَيَّامَ نَذْرِه، ويأتي بِحَمَلٍ حَولِيٍّ ذَبيحةَ إِثْمٍ، وتَسقُطُ الأَيَّامُ السَّابِقَة، فقَد تَنَجَّسَ نَذْرُه.

١٣وهذه شَريعةُ النَّذير: يُؤتى بِه، يَومَ تَتِمُّ أَيَّامُ نَذرِه، إِلى بابِ خَيمةِ المَوعِد. ١٤فيُقَرِّبُ قُرْبانَه لِلرَّبّ: حَمَلاً حَولِيًّا تامًّا لِلمُحرَقَة، ونَعجَةً حَولِيَّةً تامَّةً لِذَبيحةِ الخَطيئَة، وكَبْشاً تامًّا لِلذَبيحةِ السَّلامِيَّة، ١٥وسَلَّةَ فَطيرٍ مِن سَميذ، أَقراصَ فَطيرٍ مَلْتوتةٍ بِزَيت، ورُقاقاتِ فَطيرٍ مَدْهونةٍ بِزَيت، وتَقدِمَتَها وسُكُبَها. ١٦فيُقَدِّمُها الكاهِنُ أَمامَ الرَّبّ.

٢١تِلكَ شَريعةُ مَن نَذَرَ أَن يَكونَ نَذيراً. ذلك قُرْبانُه لِلرَّبِّ في شأنِ نَذْرِه، فَضْلاً عَمَّا يَكونُ في يَدِه، وبِحَسَبِ نَذرِه الَّذي نَذَرَه يَعمَلُ على حَسَبِ شَريعَةِ نَذْرِه»[١].

٢٢وخاطَبَ الرَّبُّ موسى قائلاً: ٢٣«وكَلِّمْ هارونَ وبَنيه وقُلْ لَهم: كذا تُبارِكونَ بَني إِسْرائيلَ فتَقولونَ لَهم: ٢٤يُبارِكُكَ الرَّبُّ ويَحفَظُكَ، ٢٥ويُضيءُ الرَّبُّ بِوَجهِه عَلَيكَ ويَرحَمُكَ، ٢٦ويَرفَعُ الرَّبُّ وَجهَه نَحوَكَ ويَمنَحُكَ السَّلام! ٢٧فيَجعَلونَ آسمي على بَني إِسْرائيل، وأَنا أُبارِكُهُم».

(١) هكذا يفسّرون ما ورد في سيرة شمشون وصموئيل ويوحنا المعمدان، وما فعل القديس بولس في رسل ٢١.

٢. الأَحداث

آ) من سيناء الى قادش

ان الاحداث التي جرت في هذه المسافة تلقي ضوءاً على ثلاثة أمور: حالة تمرّد الجيل الذي خرج من مصر، وحضور الله **الدائم**، الذي «يخلّص» شعبه من جميع المصاعب التي يواجهها، وموقف موسى الذي يعمل، لا كرئيس فقط، بل كوسيط.

١. مغادرة سيناء

١٠ [٣٣]فرَحَلوا مِن جَبَلِ الرَّبِّ مَسيرةَ ثَلاثةِ أَيَّام، وتابوتُ عَهدِ الرَّبِّ سائرٌ أَمامَهم مَسيرةَ ثَلاثَةِ أَيَّام، لِيَبحَثَ لَهم عَن مَكانِ آستِراحة، [٣٤]وغَمامُ الرَّبِّ فَوقَهم ناراً عِندَ رَحيلِهم مِنَ المُخَيَّم. [٣٥]وكانَ موسى، عِندَ رَحيلِ التَّابوتِ، يَقول:

«قُمْ يا رَبُّ، فيَتَبَدَّدَ أَعداؤُكَ
ويَهرُبَ مُبغِضوكَ مِن أَمامِ وَجهِكَ».

[٣٦]وعِندَ حَطِّ التَّابوتِ يَقول:

«عُدْ يا رَبُّ إِلى رِبْواتِ أُلوفِ إِسْرائيل».

٢. تمرّدات الشعب الاولى

صعُب على الجيل الذي اعتاد عبودية مصر أن يقبل تقشّفات الحياة في البرية، وكان إيمانه بإله العهد غير كامل.

١١ [٤]وآشتَهى الخَليطُ الَّذي فيما بَينَهم شَهوَةً، وعادَ بَنو إِسْرائيلَ أَنفُسُهم إِلى البُكاءِ وقالوا: «مَن يُطعِمُنا لَحْماً؟ [٥]فإِنَّنا نَذكُرُ السَّمَكَ الَّذي

كُنَّا نأكُلُه في مِصرَ مَجّاناً والقِثّاءَ والبِطّيخَ والكُرّاثَ والبَصَلَ والثُّوم. [٦]والآنَ فأَحْلاقُنا جافَّة، ولا شَيءَ أَمامَ عُيونِنا غيرَ المَنّ».

[٧]وكانَ المَنُّ كبِزْرِ الكُزبُرَة، ومَنظَرُه مَنظَرُ المُقْل[(٢)]. [٨]وكانَ الشَّعبُ يَتَفَرَّقُ فيَلتَقِطُه ويَطحَنُه بِالرَّحى أَو يَدُقُّه في الهاوَن ويَطبُخُه في القِدْرِ ويَصنَعُه فَطائِر، وكانَ طَعْمُه كَطَعْمِ قَطائِفَ بِزَيت. [٩]وكانَ عِندَ نُزولِ النَّدى على المُخَيَّمِ لَيلاً يَنزِلُ المَنُّ علَيه.

٣. تشفّع موسى وجواب الرب

ثقُل على موسى القيام بدوره كرئيس، وكادت عزيمته أن تخور. فأجاب الرب على وَجهَين: أقام سبعين من الشيوخ لمؤازرة موسى في مهمته، وأرسل أسراب سَلْوى. أكل الشعب بنهم طيوراً أفسدها الحرّ، فلقي كثير منهم عقاب تمرّدهم.

[١٠]فلَمَّا سَمِعَ موسى الشَّعبَ يَبْكونَ كُلُّ واحِدٍ في عَشيرَتِه وعلى بابِ خَيمَتِه، وقد غَضِبَ الرَّبُّ جِدًّا، ساءَ ذلك موسى. [١١]فقالَ موسى لِلرَّبّ: «لِمَ أَسأتَ إِلى عَبدِكَ، ولِمَ لَم أَنَلْ حُظوَةً في عَينَيكَ، حتَّى أَلقَيتَ عَلَيَّ عِبْءَ هذا الشَّعبِ كُلِّه؟ [١٢]أَلَعَلِّي أَنا حَمَلتُ هذا الشَّعبَ كُلَّه، أَم لَعَلِّي وَلَدتُه حتَّى تَقولَ لي: اِحمِلْه في حِضنِكَ، كما تَحمِلُ الحاضِنُ الرَّضيعَ، إِلى الأَرضِ الَّتي أَقسَمتَ لآبائِه علَيها؟ [١٣]مِن أَينَ لي لَحْمٌ أُعْطيه لِهذا الشَّعْبِ كُلِّه، فإِنَّه يَبْكي لَدَيَّ ويَقول: أَعطِنا لَحْماً فنأكُلَه. [١٤]لا أُطيقُ أَن أَحمِلَ هذا الشَّعبَ كُلَّه وَحْدي، لأَنَّه ثَقيلٌ عَلَيَّ. [١٥]والآنَ فإِن

(٢) صَمغ معطَّر.

كُنتَ فاعِلاً بي هكذا ، فاَقتُلْني ، أَسأَلُكَ ، اَقتُلْني إِن نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ ، ولا أَرى بَلِيَّتي» .

[١٦] فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «اِجمَعْ لي سَبْعينَ رَجُلاً مِن شُيوخِ إِسْرائيلَ الَّذينَ تَعلَمُ أَنَّهم شُيوخُ الشَّعْبِ وكَتَبَتُهم ، وخُذْهم إِلى خَيمةِ المَوعِد ، فيَقِفوا هُناكَ مَعَكَ. [١٧] فأَنزِلُ أَنا وأَتَكَلَّمُ معَكَ هُناكَ وآخُذُ مِنَ الرُّوحِ الَّذي علَيكَ وأُحِلُّه عليهم ، فيَحمِلونَ معَكَ عِبْءَ الشَّعبِ ولا تَحمِلُه أَنتَ وَحدَكَ. [١٨] وقُلْ لِلشَّعْبِ : تَقَدَّسْ لِلْغَد ، فستأكُلُ لَحْماً لأَنَّكَ بَكَيتَ على مَسامِعِ الرَّبِّ وقُلتَ : مَن يُطعِمُنا لَحْماً فقَد كُنَّا بِخَيرٍ في مِصْر . فالرَّبُّ يُعْطيكَ لَحْماً فتأكُل ، [١٩] لا يوماً تأكُلُ ولا يومَينِ ولا خَمسَةَ أَيَّام ولا عَشَرَةَ أَيَّامٍ ولا عِشْرينَ يَوماً ، [٢٠] بل شَهراً كامِلاً ، إِلى أَن يَخرُجَ مِن أَنفِكَ وتَتَقَزَّزَ مِنه ، لأَنَّكَ نَبَذتَ الرَّبَّ الَّذي في وَسْطِكَ وبَكَيتَ في وَجهِه وقُلتَ : لِمَ خَرَجْنا مِن مِصْر ؟»

[٢١] فقالَ موسى : «إِنَّ الشَّعبَ الَّذي أَنا في وَسْطِه هو سِتُّ مِئَةِ أَلْفِ راجِلٍ ، وأَنتَ قُلتَ : إِنِّي أُعْطيه لَحْماً يأكُلُه شَهراً كامِلاً . [٢٢] أَفيُذبَحُ له غَنَمٌ وبَقَرٌ فيَكْفِيَه ؟ أَو يُجمَعُ لَه سَمَكُ البَحرِ كُلُّه فيَكْفِيَه ؟» [٢٣] فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «أَيَدُ الرَّبِّ تَقصُرُ الآنَ عن ذلك ؟ الآنَ تَرى هَل يَتِمُّ لَكَ كَلامي أَم لا» .

[٢٤] فخَرَجَ موسى وأَخبَرَ الشَّعبَ بِكَلامِ الرَّبّ ، وجَمَعَ سَبْعينَ رَجُلاً مِن شُيوخِ الشَّعبِ وأَقامَهم حَوالَي الخَيمة . [٢٥] فنَزَلَ الرَّبُّ في الغَمام وخاطَبَ موسى ، وأَخَذَ مِنَ الرُّوحِ الَّذي علَيه وأَحَلَّه على الرِّجالِ السَّبعين ، أَي

الشُّيوخ. فَلمَّا آستقَرَّ الرُّوحُ علَيهم، تَنَبَّأُوا، إلاَّ أنَّهم لم يَستَمِرُّوا[٣].
[٢٦]وبَقِيَ رَجُلانِ في المُخَيَّم، اِسمُ أَحَدِهما أَلْداد وآسْمُ الثَّاني مَيداد. فآستَقَرَّ الرُّوحُ علَيهما لأَنَّهما كانا مِنَ المُسَجَّلينَ في اللاَّئِحَة، ولكِنَّهما لم يَخرُجا إِلى الخَيمة، فتَنَبَّآ في المُخَيَّم. [٢٧]فأَسرَعَ فتًى وأَخبَرَ موسى وقال: «إِنَّ أَلْدادَ ومَيدادَ يَتَنَبَّآنِ في المُخَيَّم». [٢٨]فأَجابَ يَشوعُ بنُ نون، وهو مُساعِدُ موسى مُنذُ حَداثَتِه، وقال: «يا سَيِّدي، يا موسى، اِمْنَعْهما». [٢٩]فقالَ لَه موسى: «أَلَعَلَّكَ تَغارُ أَنتَ لي؟ لَيتَ كُلَّ شَعبِ الرَّبِّ أَنبِياءُ بِإِحْلالِ الرَّبِّ روحَه علَيهم»[٤]. [٣٠]ثُمَّ عادَ موسى إِلى المُخَيَّم، هو وشُيوخُ إِسْرائيل.
[٣١]وهَبَّت ريحٌ مِن لَدُنِ الرَّبّ، فساقَت سَلْوى[٥] مِنَ البَحرِ وأَلْقَته على المُخَيَّمِ على مَسيرةِ يَومٍ مِن هُنا ويَومٍ مِن هُناكَ حَوالَيِ المُخَيَّم، على نَحوِ ذِراعَينِ عن وَجهِ الأَرض[٦]. [٣٢]فأَقامَ الشَّعبُ يَومَه كُلَّه ولَيلَتَه وغَدَه يَجمَعُ السَّلْوى. فجَمَعَ أَقَلُّه عَشرَةَ أَحْمار، فسَطَحَها لَه حَوالَيِ المُخَيَّم. [٣٣]وبَينَما اللَّحمُ لا يَزالُ بَينَ أَسْنانِه قَبلَ أَن يَمضَغَه، إِذ غَضِبَ الرَّبُّ على الشَّعْب، فضَرَبَه الرَّبُّ ضَربَةً شَديدةً جِدًّا.

(٣) يبدو أن الروح هنا هو النعمة الإلهية المرتبطة بوظيفة من وظائف إدارة شؤون الشعب المختار. وهذه الموهبة ترتبط في النصّ بعطية نبويّة مؤقّتة.
(٤) سترد هذه الامنية في وقت لاحق في أحد أقوال يوئيل (يوء ٣)، ويبدأ تحقيقها يوم العنصرة المسيحية الاولى.
(٥) تمرّ السلوى في الربيع، وهي تحطّ على الارض اذا خارت قواها.
(٦) = ٩٠ سنتمتراً. مبالغة واضحة.

٤. تذمّر مريم وهارون

لم يأتِ نكران الجميل من الجموع فقط، فإن المقرَّبين من موسى أيضاً أخذوا يحسدونه. لا شك أننا أمام منافسة بين أسرته وأسرة امرأته. لننتبهْ الى ما قيل في موسى والى معرفته لله.

١٢ [١]وتَكَلَّمَت مَريَمُ وهارونُ في موسى بِسَبَبِ المَرأَةِ الحَبَشِيَّةِ الَّتي تَزَوَّجها، لأَنَّه كانَ قدِ آتَّخذَ آمرَأَةً حَبَشِيَّة. [٢]وقالا: «تُرى أَبموسى وَحدَه تَكَلَّمَ الرَّبّ؟ أَلَم يَتَكَلَّمْ بِنا أَيضاً؟» فسَمِعَ الرَّبّ. [٣]وكانَ موسى رَجُلاً مُتَواضِعاً جِدًّا أَكثَرَ مِن جَميعِ النَّاسِ الَّذينَ على وَجهِ الأَرض.

[٤]فقالَ الرَّبُّ فَجأَةً لِموسى وهارونَ ومَريم: «أُخرُجوا ثَلاثَتُكم إِلى خَيمَةِ المَوعِد». فخَرَجوا ثَلاثَتُهم. [٥]فنَزَلَ الرَّبُّ في عَمودِ غَمام ووَقَفَ على بابِ الخَيمَة ونادى هارونَ ومَريم. فخَرَجا كِلاهُما. [٦]فقال: «اِسمَعا كَلامي

إِنْ يكُنْ فيكم نَبِيٌّ
فبالرُّؤيا أَتَعَرَّفُ إِلَيه، أَنا الرَّبّ وفي حُلْمٍ أُخاطِبُه.
[٧]وأَمَّا عَبْدي موسى فلَيسَ هكذا، بل هو على كُلِّ بَيتي مُؤتَمَن.
[٨]فماً إِلى فَمٍ أُخاطِبُه وعِياناً لا بِأَلْغاز، وصورةَ الرَّبِّ يُعايِن
فلِماذا لم تَهابا أَن تَتَكَلَّما في عَبْدي موسى؟» [٩]وغَضِبَ الرَّبُّ علَيهما ومضى، [١٠]وآبتَعَدَ الغَمامُ عَنِ الخَيمة. وإِذا بِمَريَمَ بَرْصاءُ كالثَّلْج. وآلتَفَتَ هارونُ إِلى مَريَم، فإِذا هي بَرْصاء.

٥. موسى لا يحقد

تشفّع موسى لاخته ونال شفاءها.

[١١]فقالَ هارونُ لِموسى: «يا سَيِّدي، لا تُحَمِّلْنا الخَطيئَةَ الَّتي جُنِنّا

بِآرتِكابِها ، [١٢]ولا تَبْقَ هذه كالمَيتِ عِندَ خُروجِه مِن رَحِمِ أُمِّه ، وقَد تأكَّلَ نِصْفُ جِسْمِه» .
[١٣]فصَرَخَ موسى إلى الرَّبِّ قائِلاً : «أَللَّهُمَّ آشفِها» . [١٤]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «لو أَنَّ أَباها بَصَقَ في وَجهِها ، أَما تَستَحْيي سَبعَةَ أَيَّام ؟ فلْتُحجَزْ سَبعَةَ أَيَّامٍ خارِجَ المُخَيَّم ، وبَعدَ ذلك تُرجَع» . [١٥]فحُجِزَت مَريَمُ خارِجَ المُخَيَّمِ سَبعَةَ أَيَّام ، ولم يَرحَلِ الشَّعبُ حتَّى أُرجِعَت مَريَم .

ب) قادش

يبدو أن بني إسرائيل أقاموا نحو ثلاثين سنة في واحة قادش . في أول الامر ، أرسل موسى يستطلع في جهة بئر سبع ، للدخول إلى أرض كنعان من الجنوب . لكن الشعب ، لمَّا سمع ما أخبره معظم المستطلعين ، تمرَّد وهدَّد موسى بالقتل وأراد العودة الى مصر . ففهم موسى ان هذا الجيل غير قادر على تحقيق الفتح المنشود ، وان عليه أن ينتظر زواله . لقد جُمعت في قادش عدد من التقاليد المتعلّقة بالإقامة في البرية . ويبدو أن موسى أخذ في ذلك الزمن يضع التشريع الذي يحمل اسمه .

٦. استطلاع في جهة حبرون

١٣ [١]فكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً : [٢]«أَرسِلْ رِجالاً يَستَطلِعونَ أَرضَ كَنْعانَ الَّتي أَنا مُعْطيها لِبَني إِسْرائيل» [١٧]فأَرسَلَهم موسى لِيَستَطلِعوا أَرضَ كَنْعان وقالَ لهم : «اِصعَدوا مِنَ النَّقَب ، تَصعَدونَ مِنَ الجَبَل ، [١٨]فتَرَوُا الأَرضَ كيفَ هي ، والشَّعبَ المُقيمَ بِها أَقَوِيٌّ هو أَم ضَعيف ، أَقَليلٌ هو أَم كَثير ، [١٩]وكَيفَ الأَرضُ الَّتي هو ساكِنُها أَجَيِّدَةٌ هي أَم رَديئة ، وما المُدُنُ الَّتي هو ساكِنُها أَمُخَيَّماتٌ هي أَم حُصون ، [٢٠]وكَيفَ الأَرضُ، أَمُخصِبَةٌ أَم عَقيمَة ؟ أَفيها شَجَرٌ أَم لا ؟ وتَشَدَّدوا وخُذوا مِن ثَمَرِها» . وكانَت إِذ ذاكَ أَيَّامُ بَواكيرِ العِنَب .

[٢١]فصَعِدوا وآستَطلَعوا الأَرضَ [٢٣]ثُمَّ وَصَلوا إِلى وادي أَشْكول، وقَطَعوا هُناكَ غُصْناً بِعُنْقودٍ واحِدٍ مِنَ العِنَب، وحَمَله رَجُلانِ بِقَضيب مع شَيءٍ مِنَ الرُّمَّانِ والتِّين.

[٢٥]وعادوا مِن آستِطلاعِ الأَرضِ بَعدَ أَربَعينَ يوماً. [٢٦]وساروا حتَّى جاءُوا موسى وهارونَ وجَماعةَ بَني إِسرائيلَ كُلِّها، في بَرِّيَّةِ فاران، في قادِش، وقدَّموا لَهما ولِكُلِّ الجَماعةِ تَقْريراً، وأَروهم ثَمَرَ الأَرض. [٢٧]وقَصُّوا عليَه وقالوا: «قد دَخَلنا إِلى الأَرضِ الَّتي أَرسَلتَنا إِلَيها، فإِذا هي بِالحَقيقَةِ تَدُرُّ لَبَناً حليباً وعَسَلاً، وهذا ثَمَرُها. [٢٨]غَيرَ أَنَّ الشَّعبَ السَّاكِنَ فيها قَوِيٌّ والمُدُنَ مُحَصَّنَةٌ عَظيمةٌ جِدًّا، ورأَينا هُناكَ بَني عَناق. [٢٩]عَماليقُ مُقيمٌ بِأَرضِ النَّقَب، والحِثِّيُّ واليَبوسِيُّ والأَمورِيُّ مُقيمونَ بِالجَبَل، والكَنْعانِيُّ مُقيمٌ عِندَ البَحْرِ وعلى ضَفَّةِ الأُردُنّ».

[٣٠]وأَسكَتَ كالِبُ الشَّعبَ أَمامَ موسى قائلاً: «نَصْعَدُ ونَمتَلِكُ الأَرضَ فإِنَّنا قادِرونَ علَيها». [٣١]وأَمَّا الرِّجالُ الَّذينَ صَعِدوا معَه فقالوا: «لا نَقدِرُ أَن نَخرُجَ على هذا الشَّعْب، لأَنَّه أَقْوى مِنَّا». [٣٢]وشَنَّعوا أَمامَ بَني إِسْرائيل على الأَرضِ الَّتي آستَطلَعوها وقالوا: «الأَرضُ الَّتي مَرَرنا بِها لِنَستَطلِعَها هي أَرضٌ تأكُلُ أَهلَها، وكُلُّ الشَّعبِ الَّذي رأَيناه فيها أُناسٌ طِوالُ القامات. [٣٣]وقد رأَينا هُناكَ مِنَ الجَبابِرَةِ جَبابِرَةَ بَني عَناق، فكُنَّا في عُيونِنا كالجَراد، وكذلك كُنَّا في عُيونِهم».

٧. التمرّد الكبير

١٤ [١]فرَفَعَتِ الجَماعَةُ كُلُّها صَوتَها وصَرَخَت، وبَكى الشَّعبُ في تِلكَ

اللَّيلَة . [٢]وتَذَمَّرَ على موسى وهارونَ جَميعُ بَني إِسْرائيل ، وقالَت لَهما الجماعةُ كُلُّها : «يا لَيتَنا مُتْنا في أَرضِ مِصْر ! يا لَيتَنا مُتْنا في هذه البَرِّيَّة ! [٣]لِماذا أَتى الرَّبُّ بِنا إِلى هذه الأَرضِ حَتَّى نَسقُطَ تَحتَ السَّيفِ وتَصيرَ نِساؤُنا وأَطْفالُنا غَنيمةً ؟ أَليسَ خَيراً لَنا أَن نَعودَ إِلى مِصْر ؟» [٤]وقالَ بَعضُهم لِبَعض : «لِنُقِمْ رَئيساً ونَعُدْ إِلى مِصْر» .

[٥]فسَقَطَ موسى وهارونُ على وَجهَيهِما أَمامَ جُمْهورِ جَماعةِ بَني إِسْرائيلَ كُلِّه . [٦]وأَمَّا يَشوعُ بنُ نونٍ وكالِبُ بنُ يَفُنَّا مِمَّن آستَطلَعوا الأَرض ، فمَزَّقا ثِيابَهما ، [٧]وكَلَّما جَماعةَ بَني إِسْرائيلَ كُلَّها قائِلينَ : «إِنَّ الأَرضَ الَّتي مَرَرنا بِها لِنَستَطلِعَها أَرضٌ جَيِّدَةٌ جِدًّا جِدًّا . [٨]فإِن كانَ الرَّبُّ راضِياً عنَّا ، فإِنَّه يُدخِلُنا إِلى هذه الأَرض ويَهَبُها لَنا أَرضاً تَدُرُّ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً . [٩]لكِن على الرَّبِّ لا تَتَمَرَّدوا ، ولا تَخافوا شَعبَ هذه الأَرض ، فإِنَّه طَعامٌ لَنا وقد زالَ عنه ظِلُّ حِمايَتِه ، والرَّبُّ معَنا فلا تخافوه» .

٨. تشفُّع جديد لموسى

بعد غضب الله ، تدخّل موسى مرة ثانية وحصل على المغفرة . لن يموت إلاّ الجواسيس الذين أثاروا الشعب على موسى . لكن موسى قرّر ألاّ يحاول فتح أرض الميعاد ، قبل أن يدرك جيل جديد سنّ البلوغ : فمن هنا السنون الاربعون في البرية . يمكننا ، في هذا الحوار الذي تخيَّله الكاتب الملهَم ، أن نتصوّر ذلك الصراع الباطني الذي قام في نفس موسى : من جهة الرغبة في العدول ، ومن جهة أخرى كرم النفس الذي يقبل الالم .

[١٠]فقالَتِ الجَماعةُ كُلُّها : «لِيُرجَما بِالحِجارة» . فَظَهَرَ مَجدُ الرَّبِّ في خَيمَةِ المَوعِدِ لِجَميعِ بَني إِسْرائيل . [١١]وقالَ الرَّبُّ لِموسى : «إِلى مَتى يَستَهينُ بي هذا الشَّعْب ، وإِلى مَتى لا يُؤمِنُ بي بِالرَّغْمِ مِن جَميعِ الآياتِ

الَّتي صَنَعتُها في وَسْطِه؟ [١٢]هاءَنَذا أَضرِبُه بِالوَباء وأَقْضي علَيه، وأَجعَلُك أَنتَ أُمَّةً أَعظَمَ وأَكثَرَ مِنه».

[١٣]فقالَ موسى لِلرَّبّ: «لقد سَمِعَ المِصرِيُّونَ أَنَّكَ أَصعَدتَ هذا الشَّعبَ مِن بَينِهم بِقُوَّتِكَ، [١٤]فأَخبَروا بِذلك أَهْلَ هذه الأَرض، وسَمِعوا أَيضاً أَنَّكَ، يا ربّ، في وَسْطِ هذا الشَّعبِ الَّذي تَراءَيتَ لَه، يا ربّ، وَجهاً لِوَجْه، وأَنَّ غَمامَكَ مُقيمٌ فوقَهم وأَنَّكَ سائِرٌ أَمامَهم بِعَمودِ غَمامٍ نَهاراً وبِعَمودِ نارٍ لَيلاً. [١٥]فإِذا أَمَتَّ هذا الشَّعبَ كَرَجُلٍ واحِد، تَحَدَّثَ الأُمَمُ الَّتي سَمِعَت بِأَخبارِكَ هذه قائلةً: [١٦]لأَنَّ الرَّبَّ لم يَستَطِعْ أَن يُدخِلَ هذا الشَّعبَ إِلى الأَرضِ الَّتي أَقسَمَ لَه علَيها، ذَبحَه في البَرِّيَّة. [١٧]والآن لِتَعظُمْ قُوَّةُ الرَّب، كَما تَكَلَّمتَ قائلاً: [١٨]إِنَّ الرَّبَّ طَويلُ الأَناةِ كَثيرُ الرَّحمَة يَحتَمِلُ الإِثْمَ والمَعصِية، لكِنَّه لا يَتَغاضى عن شَيء، بل يُعاقِبُ إِثْمَ الآباءِ في البَنينَ إِلى الجيلِ الثَّالِثِ والرَّابع. [١٩]فآغفِرْ إِثْمَ هذا الشَّعبِ بِحَسَبِ عَظيمِ رَحمَتِكَ، كَما آحتَمَلتَ هذا الشَّعبَ مِن مِصرَ إِلى ههُنا».

[٢٠]فقالَ الرَّبّ: «قد غَفَرتُ بِحَسَبِ قَولِكَ، [٢١]ولكِن - حَيٌّ أَنا! ومَجدُ الرَّبِّ يَملأُ الأَرضَ كُلَّها - [٢٢]إِنَّ جَميعَ الرِّجالِ الَّذينَ رَأَوا مَجْدي وآياتي الَّتي صَنَعتُها في مِصرَ وفي البَرِّيَّة، وجَرَّبوني عَشْرَ مَرَّات، ولم يَسمَعوا لِقَولي، [٢٣]لَن يَرَوا الأَرضَ الَّتي أَقسَمتُ علَيها لآبائِهم، وكُلُّ مَنِ آستَهانَ بي لن يَراها. [٢٤]وأَمَّا عَبدي كالِب، فبِما أَنَّه كانَ لَه روحٌ آخَر، وأَحسَنَ الانقِيادَ لي، فإِيَّاه أُدخِلُ الأَرضَ الَّتي أَتاها ونَسْلُه يَرِثُها. [٢٥]والآنَ فالعَمالِيقِيُّ والكَنْعانِيُّ مُقيمانِ في الغَور، فآرتَدُّوا في الغَد وآرحَلوا إِلى البَرِّيَّةِ نَحوَ بَحرِ القَصَب».

[٢٦]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ قائِلاً: [٢٧]«إلى مَتى هذه الجَماعةُ الشِّرِّيرَةُ المُتَذَمِّرَةُ علَيَّ . . .؟ فلَقَد سَمِعتُ تَذَمُّرَ بَني إسْرائيلَ الَّذي تَذَمَّروه علَيَّ. [٢٨]فقُلْ لَهم: حَيٌّ أَنا - يَقولُ الرَّبّ - لأَصنَعَنَّ بِكُم كما تَكَلَّمتُم على مَسامعي. [٢٩]في هذه البَرِّيَّةِ تَسقُطُ جُثَثُكم، كُلُّ المُحصَينَ مِنكم بِحَسَبِ عَدَدِكم، مِنِ آبنِ عِشْرينَ سَنَةً فصاعِداً، أَنتُمُ الَّذينَ تَذَمَّروا علَيَّ. [٣٠]لن تَدخُلوا الأَرضَ الَّتي رَفَعتُ يَدي مُقسِماً أَن أُسكِنَكم فيها، إلاَّ كالِبَ بنَ يَفُنَّا ويَشوعَ بنَ نون. [٣١]وأَطْفالُكمُ الَّذينَ قُلتُم إِنَّهم يَصيرون غَنيمةً، إيَّاهم أُدخِلُ الأَرضَ الَّتي رَذَلتُموها، وهُم سَيَعرِفونَها. [٣٢]وأَمَّا جُثَثُكم أَنتُم فسَتَسقُطُ في هذه البَرِّيَّة. [٣٣]وبَنوكم يَكونونَ رُعاةً في البَرِّيَّةِ أَربَعينَ سَنَةً ويَحمِلونَ زِناكم إلى أَن تَفْنى جُثَثُكم فيها. [٣٤]بِعَدَدِ الأَيَّامِ الَّتي آستَطلَعتُمُ الأَرضَ فيها، وهي أَربَعونَ يوماً، كُلُّ يَوم بِسَنَة، تَحمِلونَ آثامَكم أَربَعينَ سَنةً فتَعرِفونَ عَدائي. [٣٥]أَنا الرَّبُّ قد تَكَلَّمتُ، ذلك ما أَصنَعُ بِكُلِّ هذه الجَماعةِ الشِّرِّيرَةِ المُتَحالِفَةِ علَيَّ: إِنَّهم في هذه البَرِّيَّةِ يَفنَون وههُنا يَموتون».

[٣٦]أَمَّا الرِّجالُ الَّذينَ أَرسَلَهم موسى لِيَستَطلِعوا الأَرضَ ورَجَعوا وجَعَلوا الجَماعةَ كُلَّها تَتَذَمَّرُ علَيه بِتَشنيعِهم على الأَرض، [٣٧]فماتَ أُولئِكَ الرِّجالُ المُشَنِّعونَ على الأَرضِ بِضَربَةٍ أَمامَ الرَّبّ. [٣٨]وأَمَّا يَشوعُ بنُ نون وكالِبُ بنُ يَفُنَّا وهُما مِنَ الرِّجالِ الَّذينَ مَضَوا فآستَطلَعوا الأَرض، فبَقِيا على قَيدِ الحَياة.

٩. ندامة الشعب الباطلة

لَمَّا عاد بنو إسرائيل الى السكينة ، أرادوا محاولة الدخول إلى الأرض. ولكن، فات الاوان ،لان سكان تلك الأرض أخذوا حذرهم. فكانت محاولتهم فاشلة.

[٣٩]ولَمَّا كَلَّمَ موسى بِهذا الكَلامِ جَميعَ بَني إِسْرائيل ، حَزِنَ الشَّعبُ حُزْناً شَديداً. [٤٠]ثُمَّ بَكَّروا في الغَداة وصَعِدوا إلى رأسِ الجَبَلِ وقالوا : «ها نَحنُ صاعِدونَ إلى المَكانِ الَّذي ذَكَرَه الرَّبّ ، فقَد خَطِئنا». [٤١]فقالَ موسى : «لِماذا تَتَعَدَّونَ أَمرَ الرَّبّ ؟ فلا نَجاحَ في ذلك. [٤٢]لا تَصعَدوا ، فإِنَّ الرَّبَّ لَيسَ معَكم ، فلا تَنهَزِموا أَمامَ أَعدائِكم. [٤٣]فإِنَّ العَماليقيَّ والكَنْعانِيَّ هُناكَ أَمامَكم ، فتَسقُطونَ بِالسَّيف ، وأَنتُم قدِ آرتَدَدتُم عنِ الرَّبّ ، فلا يَكونُ الرَّبُّ معَكم». [٤٤]لكِنَّهم تَجاسَروا على الصُّعودِ إلى رأسِ الجَبَل ، وتابوتُ عَهدِ الرَّبِّ وموسى لم يَبرَحا مِن وَسَطِ المُخَيَّم. [٤٥]فنَزَلَ العَماليقِيُّ والكَنْعانِيُّ المُقيمانِ بِذلِكَ الجَبَل فضَرَباهم وحَطَّماهم إِلى حُرمَة.

ج) من قادش الى سهول موآب

بعد ثلاثين سنة ، كان جيل جديد على أكمل استعداد. فحان أوان الدخول الى أرض الميعاد. ولمّا كان الامر مستحيلاً من الجنوب ، سيحاول موسى من الشرق. ولكن ، لا بدّ من دور دورة طويلة. فتكون فرصة لفتح عبرالاردن.

١٠. الشعب يتذمّر مرّة أخرى

موسى يستلهم الله فيستخدم معارفه ليكتشف عين ماء ويُروي بني إسرائيل.

٢٠ [١]ووَصَلَ بَنو إسرائيلَ، الجَماعةُ كُلُّها ، إِلى بَرِّيَّةِ صينَ في الشَّهرِ الأَوَّل ، فأَقامَ الشَّعبُ بِقادِش ، وماتَت هُناكَ مَريَمُ ودُفِنَت هُناك. [٢]ولم

يَكُنْ لِلجماعةِ ماء، فاجتَمَعوا على موسى وهارون. [٣]وخاصَمَ الشَّعبُ موسى وقالوا: «يا ليتَ أرواحَنا فاضت عِندَما فاضت أرواحُ إخوَتِنا أمامَ الرَّبّ! [٤]لِماذا جِئتُما بِجماعَةِ الرَّبِّ إلى هذه البَرِّيَّةِ لِنَموتَ هُهُنا وماشِيَتُنا؟ [٥]ولِماذا أصعَدتُمانا مِن مِصرَ فجِئتُما بنا إلى هذا المَكانِ المَشؤُوم، مَكانٍ لا زَرْعَ فيه ولا تينَ ولا كَرمَة ولا رُمَّانَ ولا ماءَ لِلشُّرْب»

[٦]فأَقبَلَ موسى وهارونُ مِن أَمامِ الجَماعةِ إلى بابِ خَيمةِ المَوعِد، فسَقَطا على وَجهَيهِما، فتَجَلَّى لَهما مَجدُ الرَّبّ. [٧]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٨]«خُذِ العَصا واجمَعِ الجَماعةَ أَنتَ وهارونُ أخوكَ، ومُرا الصَّخرَةَ على عُيونِهِم أن تُعطِيَ مِياهَها. وبَعدَ أن تُخرِجَ لَهُمُ المِياهَ مِنَ الصَّخرَة، تَسْقي الجَماعَة وماشِيَتَهم».

[٩]فأَخَذَ موسى العَصا مِن أمامِ الرَّبّ، كما أَمَرَه، [١٠]وجَمَعَ موسى وهارونُ الجَماعةَ أَمامَ الصَّخرَةِ وقالَ لَهم: «اِسمَعوا أَيُّها المُتَمَرِّدون، أَنُخرِجُ لكم مِن هذه الصَخرَةِ ماءً؟» [١١]ورَفَعَ موسى يَدَه وضَرَبَ الصَّخرَة بِعَصاه مَرَّتَين، فخَرَجَ ماءٌ كَثير، فشَرِبَ مِنه الجَماعةُ وماشِيَتُهم.

[١٢]فقالَ الرَّبُّ لِموسى وهارون: «بِما أَنَّكما لم تُؤمِنا بي ولم تُقَدِّساني[٧] على عُيونِ بَني إسْرائيل، لِذلك لن تُدخِلا أَنتُما هذه الجَماعةَ إلى الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها إيَّاها». [١٣]هذا هو ماءُ مَريبةَ الَّذي خاصَمَ بَنو إسْرائيلَ الرَّبَّ علَيه، فأَظهَرَ فيه قَداسَتَه.

(٧) قدَّس الله يعني جعله في مرتبة على حدة، وبالتالي آمن به ايماناً كاملاً. ان النصّ، وهو نصّ منقّح، لا يمكّن من التأكيد ان موسى لم يدخل الى أرض الميعاد لانه ضرب الصخرة مرّتين.

١١. أدوم يرفض المرور لإسرائيل

بالرغم من وعد موسى، يخشى أدوم أن تُنزل جموع بني إسرائيل الغفيرة أضراراً جسيمة عند مرورها. فاضطرّ موسى الى النزول حتى البحر الاحمر والدوران حول الجبل.

[١٤] أَرسَلَ موسى رُسُلاً مِن قادِشَ إِلى مَلِكِ أَدومَ قائلاً: «هكذا قالَ أَخوكَ إِسْرائيل: قد عَلِمتَ بِجَميعِ ما نالَنا مِنَ المَشَقَّة، [١٥] وأَنَّ آباءَنا نَزَلوا إِلى مِصْر، فأَقَمْنا بِمِصرَ أَيَّاماً كثيرة، فأَساءَ المِصرِيُّونَ إِلَينا وإِلى آبائِنا. [١٦] فصَرَخْنا إِلى الرَّبّ، فسَمِعَ صَوتَنا وأَرسَلَ ملاكاً وأَخرَجَنا مِن مِصْر، وها نَحنُ في قادِش، وهِيَ مَدينةٌ في طَرَفِ حُدودِكَ. [١٧] دَعْنا نَمُرَّ في أَرضِكَ، ونَحنُ لن نَمُرَّ بِحَقْلٍ ولا كَرْمٍ، ولَن نَشرَبَ ماءَ بِئْرٍ. لكِنَّنا نَسيرُ في طَريقِ المَلِك[(٨)]، ولن نَميلَ يَمنَةً ولا يَسرَةً، إِلى أَن نَعبُرَ حُدودَكَ». [١٨] فقالَ لَه أَدوم: «لن تَمُرَّ بي، وإِلاَّ خَرَجتُ علَيكَ بِالسَّيف». [١٩] فقالَ لَه بَنو إِسْرائيل: نَصعَدُ في وَسَطِ الطَّريق، وإِن شَرِبْنا مِن مائِكَ أَنا وماشِيَتي، دَفعتُ إِلَيكَ ثَمَنَه: ولَيسَ الأَمرُ إِلاَّ أَن أَمُرَّ على أَقْدامي». [٢٠] فقال: «لَن تَمُرَّ». وخَرَجَ أَدومُ علَيهم بِشَعبٍ كَثيرٍ ويَدٍ قَوِيَّة. [٢١] وأَبى أَدومُ أَن يَدَعَ إِسْرائيلَ يَمُرُّ في حُدودِه، فتَحَوَّلَ إِسْرائيلُ عنه.

١٢. موت هارون

يبيِّن التقليد الكهنوتي في هذه الفقرة كيف أن الكهنة ينتمون الى العازار بن هارون.

[٢٢] ورَحَلَ بَنو إِسْرائيلَ مِن قادِش ووَصَلوا بِكُلِّ جَماعَتِهم إِلى جَبَلِ هور. [٢٣] فكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ في جَبَلِ هورٍ عِندَ حُدودِ أَرضِ أَدومَ

(٨) الطريق المُباشِر.

يَكُنْ لِلجماعةِ ماء، فاجتَمَعوا على موسى وهارون. [٣]وخاصَمَ الشَّعبُ موسى وقالوا: «يا ليتَ أرواحَنا فاضت عِندَما فاضت أرواحُ إخوَتِنا أمامَ الرَّبّ! [٤]لِماذا جِئتُما بِجَماعَةِ الرَّبِّ إلى هذه البَرِّيَّةِ لِنَموتَ ههُنا وماشِيَتُنا؟ [٥]ولِماذا أصعَدتُمانا مِن مِصرَ فجِئتُما بنا إلى هذا المَكانِ المَشؤُوم، مَكانٍ لا زَرْعَ فيه ولا تينَ ولا كَرمَةَ ولا رُمَّانَ ولا ماءَ لِلشُّرْب»

[٦]فأَقبَلَ موسى وهارونُ مِن أمامِ الجَماعةِ إلى بابِ خَيمةِ المَوعِد، فسَقَطا على وَجهَيهِما، فتَجَلَّى لَهما مَجدُ الرَّبّ. [٧]وكَلَّمَ الرَّبُّ موسى قائلاً: [٨]«خُذِ العَصا واجمَعِ الجَماعةَ أَنتَ وهارونُ أخوكَ، ومُرا الصَّخرَةَ على عُيونِهِم أَن تُعطِيَ مِياهَها. وبَعدَ أَن تُخرِجَ لَهُمُ المِياهَ مِنَ الصَّخرَة، تَسْقي الجَماعَة وماشِيَتَهم».

[٩]فأَخَذَ موسى العَصا مِن أَمامِ الرَّبِّ، كما أَمَرَه، [١٠]وجَمَعَ موسى وهارونُ الجَماعةَ أَمامَ الصَّخرَةِ وقالَ لَهم: «اِسمَعوا أَيُّها المُتَمَرِّدون، أَنُخرِجُ لكم مِن هذه الصَخرَةِ ماءً؟» [١١]ورَفَعَ موسى يَدَه وضَرَبَ الصَّخرَة بِعَصاه مَرَّتَين، فخَرَجَ ماءٌ كَثير، فشَرِبَ مِنه الجَماعةُ وماشِيَتُهم.

[١٢]فقالَ الرَّبُّ لِموسى وهارون: «بِما أَنَّكما لم تُؤمِنا بي ولم تُقَدِّساني(٧) على عُيونِ بَني إِسْرائيل، لِذلك لن تُدخِلا أَنتُما هذه الجَماعةَ إلى الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها إِيَّاها». [١٣]هذا هو ماءُ مَريبةَ الَّذي خاصَمَ بَنو إِسْرائيلَ الرَّبَّ علَيه، فأَظهَرَ فيه قَداسَتَه.

(٧) قدَّس الله يعني جعله في مرتبة على حدة، وبالتالي آمن به ايماناً كاملاً. ان النصّ، وهو نصّ منقَّح، لا يمكّن من التأكيد ان موسى لم يدخل الى أرض الميعاد لانه ضرب الصخرة مرّتين.

١١. أدوم يرفض المرور لإسرائيل

بالرغم من وعد موسى، يخشى أدوم أن تُنزل جموع بني إسرائيل الغفيرة أضراراً جسيمة عند مرورها. فاضطرّ موسى الى النزول حتى البحر الاحمر والدوران حول الجبل.

[١٤]أَرسَلَ موسى رُسُلاً مِن قادِشَ إِلى مَلِكِ أَدومَ قائلاً: «هكذا قالَ أَخوكَ إِسْرائيل: قد عَلِمتَ بِجَميعِ ما نالَنا مِنَ المَشَقَّة، [١٥]وأَنَّ آباءَنا نَزَلوا إِلى مِصْر، فأَقَمْنا بِمِصرَ أَيَّاماً كثيرة، فأَساءَ المِصرِيُّونَ إِلَينا وإِلى آبائِنا. [١٦]فصَرَخْنا إِلى الرَّبّ، فسَمِعَ صَوتَنا وأَرسَلَ ملاكاً وأَخرَجَنا مِن مِصْر، وها نَحنُ في قادِش، وهيَ مَدينةٌ في طَرَفِ حُدودِكَ. [١٧]دَعْنا نَمُرُّ في أَرضِكَ، ونَحنُ لن نَمُرَّ بِحَقْلٍ ولا كَرْمٍ، ولَن نَشرَبَ ماءَ بِئْرٍ. لكِنَّنا نَسيرُ في طَريقِ المَلِك[٨]، ولن نَميلَ يَمنَةً ولا يَسرَةً، إِلى أَن نَعبُرَ حُدودَكَ». [١٨]فقالَ لَه أَدوم: «لن تَمُرَّ بي، وإِلاَّ خَرَجتُ عليكَ بِالسَّيف». [١٩]فقالَ لَه بَنو إِسْرائيل: نَصعَدُ في وَسَطِ الطَّريق، وإِن شَرِبْنا مِن مائِكَ أَنا وماشِيَتي، دَفعتُ إِلَيكَ ثَمَنَه: ولَيسَ الأَمرُ إِلاَّ أَن أَمُرَّ على أَقْدامي». [٢٠]فقال: «لَن تَمُرَّ». وخَرَجَ أَدومُ علَيهم بِشَعبٍ كَثيرٍ ويَدٍ قَوِيَّة. [٢١]وأَبى أَدومُ أَن يَدَعَ إِسْرائيلَ يَمُرُّ في حُدودِه، فتَحَوَّلَ إِسْرائيلُ عنه.

١٢. موت هارون

يبيِّن التقليد الكهنوتي في هذه الفقرة كيف أن الكهنة ينتمون الى العازار بن هارون.

[٢٢]ورَحَلَ بَنو إِسْرائيلَ مِن قادِش ووَصَلوا بِكُلِّ جَماعَتِهم إِلى جَبَلِ هور. [٢٣]فكَلَّمَ الرَّبُّ موسى وهارونَ في جَبَلِ هورٍ عِندَ حُدودِ أَرضِ أَدومَ

(٨) الطريق المُباشِر.

قائلاً: [٢٤]«سَيَنضَمُّ هارونُ إلى قَومِه، لأَنَّه لن يَدخُلَ الأَرضَ الَّتي أَعطَيتُها لِبَني إِسْرائيل، بِما أَنَّكما تَمَرَّدتُما على أَمْري عِندَ ماءِ مَريبة. [٢٥]خُذْ هارونَ وأَلِعازارَ آبنَه وأَصْعِدْهما جَبَلَ هور، [٢٦]وآنزِعْ عن هارونَ ثيابَه وأَلْبِسْها أَلِعازارَ آبنَه، فإِنَّ هارونَ سَيَنضَمُّ إلى قَومِه ويَموتُ هُناك».

[٢٧]فصَنَعَ موسى كما أَمَرَه الرَّبّ، فصَعِدوا جَبَلَ هورٍ على مَرأى الجَماعةِ كُلِّها. [٢٨]ونَزَعَ موسى ثِيابَ هارون وأَلبَسَها أَلِعازارَ آبنَه. وماتَ هارونُ هُناكَ في رأسِ الجَبَل، ونَزَلَ موسى وأَلِعازارُ مِنَ الجَبَل. [٢٩]فلَمَّا رأَتِ الجَماعةُ كُلُّها أَنَّ هارونَ قد فاضَت روحُه، بَكى علَيه جَميعُ بَيتِ إِسْرائيلَ ثَلاثينَ يَوماً.

١٣. الحية النحاسية

كما أن السلوى الفاسدة كانت عقاباً من العناية الإلهية، كذلك تكون الحيات اللاذعة.

٢١ [١]وسَمِعَ الكَنعانِيُّ، مَلِكُ عَرادَ المُقيمُ بِالنَّقَب، أَنَّ إِسْرائيلَ قد جاءَ على طَريقِ أَتاريم، فقاتَلَه وأَسَرَ مِنه أَسْرى. [٢]فنَذَرَ إِسْرائيلُ نَذْراً لِلرَّبِّ وقال: «إِن أَسلَمتَ هؤُلاءِ القَومَ إلى يَدَيَّ، لأُحَرِّمَنَّ مُدُنَهم». [٣]فسَمِعَ الرَّبُّ صَوتَ إِسْرائيلَ، وأَسلَمَ إِلَيه الكَنعانِيِّينَ، فحَرَّمَهم هُم ومُدُنَهم، فسُمِّيَ ذلك المَكانُ حُرمَة.

[٤]ثُمَّ رَحَلوا مِن جَبَلِ هور، على طَريقِ بَحرِ القَصَب، لِيَدوروا مِن حَولِ أَرضِ أَدوم، فنَفَدَ صَبرُ الشَّعبِ في الطَّريق. [٥]وتَكَلَّمَ الشَّعبُ على اللهِ وعلى موسى وقالوا: «لِماذا أَصعَدتَنا مِن مِصرَ لِنَموتَ في البَرِّيَّة؟ فإِنَّه لَيسَ لَنا خُبزٌ ولا ماءٌ، وقد سَئِمَت نُفوسُنا هذا الطَّعامَ الزَّهيد».

[٦]فأَرسَلَ الرَّبُّ على الشَّعبِ الحَيّاتِ اللاَّذِعة ، فلَدَغَتِ الشَّعبَ وماتَ قَومٌ كَثيرونَ مِن إِسْرائيل. [٧]فأَقبَلَ الشَّعبُ على موسى وقالوا : «قد خَطِئنا ، إِذ تَكَلَّمْنا على الرَّبِّ وعلَيكَ ، فصَلِّ إِلى الرَّبِّ فيُزيلَ عَنَّا الحَيَّات» . فصَلَّى موسى لأَجلِ الشَّعْب . [٨]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «اِصنَعْ لَكَ حَيَّةً وآجعَلْها على سارِيَة ، فكُلُّ لَديغ يَنظُرُ إِلَيها يَحْيا» . [٩]فصَنَعَ موسى حَيَّةً مِن نُحاس وجَعَلَها على سارِيَة . فكانَ أَيُّ إِنْسانٍ لَدَغَته حَيَّةٌ ونَظَرَ إِلى الحَيَّةِ النُّحاسِيَّةِ يَحْيا .

١٤. فتح أرض موآب

وصل بنو إسرائيل الى شرق البحر الاحمر. وبعد أن استولوا على أرض الامورِيين ، خيَّموا في سهول موآب . فخاف الملك واستنجد ببلعام العرَّاف . ولكن هذا الاستنجاد لم يُجدِ نفعاً ، فحاول بالزنى ان يُبعد الضرر عن هذا الاحتلال .

فتح أرض الاموريين وباشان

[٢١]وأَرسَلَ إِسْرائيلُ رُسُلاً إِلى سِيحون ، مَلِكِ الأَمورِيِّينَ ، قائلاً : [٢٢]«دَعْني أَمُرُّ بِأَرضِكَ، ونَحنُ لا نَميلُ إِلى حَقْلٍ ولا كَرْم، ولا نَشرَبُ ماءَ بِئرٍ ، وإِنَّما نَسيرُ في طَريقِ المَلِك ، إِلى أَن نَعبُرَ حُدودَكَ» . [٢٣]فلَم يَدَعْ سِيحونُ إِسْرائيلَ يَمُرُّ بِحُدودِه ، وجَمَعَ سِيحونُ جَميعَ قَومِه وخَرَجَ لِلِقاءِ إِسْرائيلَ في البَرِّيَّة ، ووَصَلَ إِلى ياهَص ، وحارَبَ إِسْرائيل . [٢٤]فضَرَبَه إِسْرائيلُ بِحَدِّ السَّيف ، ووَرِثَ أَرضَه مِن أَرْنونَ إِلى يَبُّوق ، إِلى بَني عَمُّون ، لأَنَّ حُدودَ بَني عَمُّونَ كانَت عَزيزة .

[٣٣]ثُمَّ تَحَوَّلوا وصَعِدوا في طَريقِ باشان ، فخَرَجَ عوجٌ ، مَلِكُ باشانَ ، لِلِقائِهم ، هو وجَميعُ قَومِه لِلحَربِ في أَذْرَعي . [٣٤]فقالَ الرَّبُّ لِموسى : «لا

تَخَفْ مِنه ، فإنِّي قد أَسلَمتُه إلى يَدِكَ هو وجَميعَ قَومِه وأَرضَه ، تَصنَعُ بِه كما صَنَعتَ بِسِيحونَ، مَلِكِ الأَمورِيِّينَ، المُقيمِ بِحَشْبون» . [٣٥]فضَرَبوه هو وبَنيه وجَميعَ قَومِه ، حتَّى لم يَبْقَ له ناجٍ ، ووَرِثوا أَرضَه .

في سهول موآب

٢٢ [١]ثُمَّ رَحَلَ بَنو إسْرائيل ، فخَيَّموا في عَرَبَةَ موآبَ الَّتي عِبْرَ أُردُنِّ أَريحا .

[٢]ورأَى بالاقُ بنُ صِفُّورَ كُلَّ ما صَنَعَ إِسْرائيلُ بِالأَمورِيِّين . [٣]فخافَ موآبُ بِسَبَبِ هذا الشَّعبِ جِدًّا ، لأَنَّه كانَ كَثيراً ، وآرتَعَبَ بِسَبَبِ بَني إِسْرائيل . [٤]فقالَ موآبُ لِشُيوخِ مِديَن : «الآنَ تَرْعى هذه الجَماعةُ كُلَّ ما حَوالَينا ، كَما يَرْعى الثَّورُ خِصبَ الحُقول» .

وكانَ بالاقُ بنُ صِفُّورَ مَلِكاً لِموآبَ في ذلك الوَقْت . [٥]فأَرسَلَ رُسُلاً إِلى بِلْعامَ بنِ بَعور ، إِلى فاتورَ الَّتي على النَّهرِ(٩) في أَرضِ بَني عَمّو ، لِيَستَدْعوه . وقالَ له : «هُوَذا شَعبٌ قد خَرَجَ مِن مِصْر ، فغَطَّى وَجهَ الأَرض ، وهو مُقيمٌ قُبالَتي . [٦]فالآنَ تعالَ فآلْعَنْ لي هذا الشَّعْب ، لأَنَّه أَقْوى مِنِّي ، لَعَلِّي أَستَطيعُ أَن أَضرِبَه وأَطرُدَه مِنَ الأَرض . لأَنِّي أَعلَمُ أَنَّ مَن تُبارِكُه يَكونُ مُبارَكاً ومن تَلعَنُه يَكونُ مَلْعوناً» .

[١٨]فأَجابَ بِلْعامُ مُرسَلي بالاقَ وقالَ لَهم : «لَو أَعْطاني بالاقُ مِلْءَ بَيتِه فِضَّةً وذَهَباً ، لم أَستَطِعْ أَن أَتَجاوَزَ أَمرَ الرَّبِّ إِلهي فأَعمَلَ شَيئاً صَغيراً أَو

(٩) الفرات .

كَبيراً. ١٩ والآنَ آمكُثوا أَنتُم أَيضاً هذه اللَّيلَةَ هُنا، فأَعلَمَ ما يَعودُ الرَّبُّ فيُكَلِّمُني بِه». ٢٠ فأَتى اللهُ بِلْعامَ لَيلاً وقالَ لَه: «إِن كانَ هؤُلاءِ النَّاسُ جاؤُوا لِيَدعوكَ، فقُمْ وآمضِ معَهم. لكِنِّ الأَمرَ الَّذي أَقولُه لَكَ إِيَّاه تصنَعُ فَقَط». ٢١ فقامَ بِلْعامُ في الصَّباح ووَضَعَ البَرذَعَةَ على أَتانِه ومَضى مع رُؤَساءِ موآب.

٢٢ فغَضِبَ اللهُ لِمُضِيِّه[(١٠)] ووَقَفَ ملاكُ الرَّبِّ في الطَّريقِ لِيُقاوِمَه[(١١)]، وهو راكِبٌ على أَتانِه ومعَه خادِماه. ٢٣ فرَأَتِ الأَتانُ ملاكَ الرَّبِّ واقِفاً في الطَّريق، وسَيفُه مُجَرَّدٌ بِيَدِه، فمالَت عنِ الطَّريقِ وسارَت في الحُقول. فَضَرَبَها بِلْعامُ لِيَرُدَّها إِلى الطَّريق.

٢٤ فوَقَفَ ملاكُ الرَّبِّ في مَضيقٍ بَينَ الكُروم، وكانَ حائِطٌ مِن هُنا وحائِطٌ مِن هُناك. ٢٥ فلَمَّا رَأَتِ الأَتانُ مَلاكَ الرَّبّ، اِلتَصَقَت بِالحائِطِ فضَغَطَت على رِجْلِ بِلْعامَ بِالحائط، فعادَ إِلى ضَرْبِها.

٢٦ ثُمَّ عادَ مَلاكُ الرَّبِّ فجازَ ووَقَفَ في مَوضِعٍ ضَيِّقٍ لا سَبيلَ فيه لِلتَّحَوُّلِ يَمنَةً أَو يَسرَةً. ٢٧ فلَمَّا رَأَتِ الأَتانُ مَلاكَ الرَّبّ، رَبَضَت تَحتَ بِلْعام، فغَضِبَ بِلْعامُ وضَرَبَ الأَتانَ بِالعَصا. ٢٨ ففَتَحَ الرَّبُّ فَمَ الأَتانِ فقالَت لِبِلْعام: «ماذا صَنَعتُ بِكَ حتَّى ضَرَبْتَني ثَلاثَ مَرَّات» ٢٩ فقالَ

(١٠) في الآية ٢٢، تبتدئ رواية من مصدر آخر، فمن هنا التعارض مع ما سبق: هناك دعا الله بلعام الى الذهاب، وهنا غضب لان العرّاف لم ينطلق. وهذه الرواية اليهوية، الشعبية الطابع، تجعل الحيوانات تتكلّم، كما في تك ٣.

(١١) حرفياً: «ليكون شيطانه». كلمة شيطان تعني في الاصل «الخصم». أمّا «ملاك الربّ»، الوارد ذكره في الرواية كلها، فليس هو كائناً شخصياً، بل لفظاً خيالياً للتعبير عن النشاط الإلهي.

بِلْعامُ لِلأَتان: «لأَنَّكِ سَخِرتِ مِنِّي، ولَو كانَ في يَدي سَيفٌ لكُنتُ قَتَلتُكِ على الفَور». [٣٠]فقالَتِ الأَتانُ لِبِلْعام: «أَلَستُ أَنا أَتانَكَ الَّتي رَكِبتَها مُنذُ كُنتَ إِلى اليَوم؟ هَل عَوَّدتُكَ أَن أَصنَعَ بِكَ كذا؟» قالَ «لا».

[٣١]فكَشَفَ الرَّبُّ عن بَصَرِ بِلْعام، فرَأَى مَلاكَ الرَّبِّ واقِفاً في الطَّريق، وسَيفُه مُجَرَّدٌ بِيَدِه، فانحَنى ساجِداً على وَجهِه. [٣٢]فقالَ لَه مَلاكُ الرَّب: «لِماذا ضَرَبتَ أَتانَكَ ثَلاثَ مَرَّات؟ فهاءَنذا خَرَجتُ ووَقَفتُ مُقاوِماً، لأَنَّ الطَّريقَ مَسْدود. [٣٣]فرَأَتني الأَتانُ فمالَت مِن أَمامي ثَلاثَ مَرَّات، ولَو لم تَمِلْ عَنِّي لَقَتَلتُكَ على الفَورِ وأَبقَيتُها». [٣٤]فقالَ بِلْعامُ لِمَلاكِ الرَّبّ: «قد خَطِئتُ لأَنِّي لم أَعلَمْ أَنَّكَ واقِفٌ تُجاهي في الطَّريق. والآنَ فإِن ساءَ في عَينَيكَ فإِنِّي أَرجِع». [٣٥]فقالَ مَلاكُ الرَّبِّ لِبِلْعام: «اِمْضِ مع النَّاس، والقَولُ الَّذي أَقولُه لَكَ إِيَّاه تَقولُ فقَط». فمَضى بِلْعامُ مع رُؤَساءِ بالاق.

٢٤ [١]ورأَى بِلْعامُ أَنَّه يَحسُنُ في عَينَيِ الرَّبِّ أَن يُبارِكَ إِسْرائيل، فلم يَمضِ كالمَرَّتَينِ الأُولَيَينِ في طَلَبِ التَّكَهُّنات، بل تَوَجَّهَ إِلى البَرِّيَّة. [٢]ورَفَعَ بِلْعامُ عَينَيه ورأَى إِسْرائيلَ مُخَيِّماً بِحَسَبِ أَسْباطِه. فنَزَلَ عليه رُوحُ الله. [٣]فأَنشَدَ قَصيدَتَه وقال:

«كَلامُ بِلْعامَ بنِ بَعور كَلامُ الرَّجُلِ الثَّاقِبِ النَّظَر
[٤]كَلامُ مَن سَمِعَ أَقوالَ الله، مَن رأَى ما يُريه القَدير
مَن يَقَعُ فتَنفَتِحُ عَيناه.
[٥]ما أَجمَلَ خِيامَكَ يا يَعْقوب ومَساكِنَكَ يا إِسْرائيل.
[٦]مُنبَسِطَةٌ كأَودِيَة وكَجَنَّاتٍ على نَهْر
كَعودِ نَدٍّ غَرَسَها الرَّبّ وكأَرزٍ على مِياه.

٩جَثَمَ ورَبَضَ كأَسَدٍ وكلَبُؤَةٍ فمَن ذا يُقيمُه؟
مُبارِكُكَ مُبارَكٌ ولاعِنُكَ مَلْعون».

١٠فغَضِبَ بالاقُ على بِلْعام وصَفَّقَ بِكَفَّيه وقالَ بالاقُ لِبِلْعام: «إِنَّما دَعَوتُك لِتَلعَنَ أَعْدائي، فإِذا بِكَ قد بارَكتَهم ثَلاثَ مَرَّات[١٢]. ١١فآنصَرِفِ الآنَ إِلى مَوضِعِكَ. كُنتُ قد قُلتُ إِنِّي أُكرِمُكَ، فإِذا بِالرَّبِّ قد مَنَعَ عنكَ الإِكرام». ١٢فقالَ بِلْعامُ لِبالاق: «أَلَم أَقُلْ لِرُسُلِكَ الَّذينَ أَرسَلتَهم إِلَيَّ: ١٣لو أَعْطاني بالاقُ مِلْءَ بَيتِه فِضَّةً وذَهَباً لم أَستَطِعْ أَن أَتَجاوزَ أَمرَ الرَّبّ، فأَعمَلَ حَسَنَةً أَو سَيِّئَةً مِنْ تِلقاءِ نَفْسي، وإِنَّما ما يَقولُه الرَّبُّ إِيَّاه أَقول؟ ١٥ثُمَّ أَنشَدَ قَصيدَتَه وقال:

١٦كَلامُ مَن سَمِعَ أَقوالَ الله ومَن عَرَفَ مَعرِفَةَ العَلِيّ
ومن يَرى ما يُريه القَدير ومَن يَقَعُ فَتَنفَتِحُ عَيناه.
١٧أَراه وليسَ في الحاضِر، أُبصِرُه وليس مِن قَريب.
يَخرُجُ كَوكَبٌ مِن يَعْقوب ويَقومُ صَولَجان[١٣] مِن إِسْرائيل

٢٥ثُمَّ قامَ بِلْعامُ فآنصَرَفَ راجِعاً إِلى مَنزِلِه، ومضى بالاقُ أيضاً في سَبيلِه.

١٥. يشوع خليفة موسى

فكَّر موسى في خلافته. والله هو الذي عيَّن يشوع، كما سيعيِّن القضاة وشاول

(١٢) أُهمل القولان النبويان السابقان.
(١٣) الكوكب يُخبر بمولد أحد الملوك، والصولجان رمز الملكية. فالمقصود هنا هو الحكم المَلَكي الداودي. رأى القديس متى في هذا النصّ إنباءاً بعيداً بالمسيح.

وداود، وبسبب هذا التعيين من قِبَل الله، يسمَّى هؤلاء الرؤساء «مَوهوبين»، خلافاً للرؤساء المنتخبين، كالملوك. لكن الله يعمل بطريقة غير مباشرة، مستخدماً لتعيينهم، إمَّا أناساً آخرين، وإمَّا الظروف نفسها.

٢٧ [١٥] فكَلَّمَ موسى الرَّبَّ قائِلاً: [١٦] «لِيُوكِّلِ الرَّبُّ، إِلهُ أَرْواحِ كُلِّ بَشَر، رَجُلاً على الجَماعة، [١٧] يَخرُجُ أَمامَهم ويَدخُلُ أَمامَهم ويُخرِجُهم ويُدخِلُهم، لِئَلاَّ تَبْقى جَماعةُ الرَّبِّ كَغَنَمٍ لا راعِيَ لَها». [١٨] فقالَ الرَّبُّ لِموسى: «خُذْ لَكَ يَشوعَ بنَ نون، فإِنَّه رَجُلٌ فيه رُوح، وضَعْ يَدَكَ علَيه، [١٩] وأَوقِفْه أَمامَ أَلِعازارَ الكاهِنِ والجَماعةِ كُلِّها، وأَوصِه بِحَضرَتِهم، [٢٠] وٱجعَلْ علَيه مِن مَهابَتِكَ، لِكَي تَسمَعَ لَه جَماعةُ بَني إِسْرائيلَ كُلُّها. [٢١] يَقِفُ أَمامَ أَلِعازارَ الكاهِن، فيَطلُبُ لَه قَضاءَ الأُوريم أَمامَ الرَّبّ، فبِأَمرِه يَخرُجون وبِأَمرِه يَدخُلون، هو وجَميعُ بَني إِسْرائيلَ معَه وكُلُّ الجَماعة».

[٢٢] وفَعَلَ موسى كما أَمَرَه الرَّبّ، فأَخَذَ يَشوعَ وأَوقَفَه أَمامَ أَلِعازارَ الكاهِنِ وكُلِّ الجَماعة. [٢٣] ووَضَعَ علَيه يَدَيه وأَوصاه، كما قالَ الرَّبُّ على لِسانِ موسى.

قراءة لبني جيلنا

في ختام قراءة سفر العدد، يحسن بالمسيحي أن يلتفت نحو شخصية موسى، مضيفاً إلى ذلك ما ورد في موسى في سفر الخروج. ويمكنه أن يتأمَّل، إمَّا في دوره كرئيس أو في طبيعة علاقاته مع الإله الذي دعاه.

الرئيس في القيام بمهمة فريدة. يراه في عزلته وتجرّده، في القيام بعمل خارق اتّسمت فيه أقواله وأعماله بطابع نبوي ممتاز: فإن أقوال موسى هي وحي (الوصايا العشر مثلاً)، وإنجازاته الكثيرة هي عمل إلهي (العهد مثلاً).

ليست **حياة موسى الشخصية** أقلَّ عِبَراً. إليك أهمّ جوانبها: السجود للمتعالي، والقبول المتواضع لعمل هو، قبل كل شيء، عمل الله، والرغبة في معرفة الله كما

هو، والالفة الخاصة مع الله، والصبر على حسد المقرَّبين إليه وعلى نكران جميل الذين أنقذهم من عبودية مصر، وأخيراً قبول التضحية الكبرى، وهي أن يقوم غيره بمهمة إدخال الشعب إلى أرض الميعاد، ذلك الشعب الذي قاده الى سهول موآب.

ويستطيع المسيحي أن ينتقل الى العهد الجديد. ففي الإنجيل تلميحات كثيرة الى موسى (راجع مشهد التجلّي على الجبل). ويحسن به أن يتوقَّف طويلاً على المقارنة بين موسى والمسيح، الواردة في الرسالة إلى العبرانيّين (٣/١-٦).

ليس موسى سوى وسيط متواضع، لكنه نبيّ العهد القديم، وصورة سابقة للمسيح.

سِفرُ تثنيَة الاشتِراع

أُطلق على السفر الخامس من التوراة اسم «تثنية الاشتراع»، لان فيه تكراراً للشريعة التي سبق الكلام عليها.

يظهر هذا السفر بمظهر وحدة متشعّبة. في الاصل، مجموعات شرائع قريبة جداً من تشريع موسى، حافظ اللاويون عليها بعناية كبرى، ودُمجت في وقت لاحق في خُطَب نُسبت الى موسى، تذكّرنا بأهمّ أحداث الخروج من مصر وبأوائل الفتح. وهذه الخطب تفيدنا عن **مغزى الشرائع اللاهوتي** ومعنى الاحداث المرويّة الديني. وتنتهي جميعها بعد خراب أورشليم، وهذا ما يفسّر وجود بعض الافكار العائدة الى الحقبة الملكية. ورد أن الفصول ٥ إلى ٢٩ عُثر عليها في ٦٢١ في أثناء أعمال ترميم قاموا بها في هيكل أورشليم. وفي زمن الجلاء، سيحرّر أحد الكتّاب تاريخاً لإسرائيل، ينطلق من يشوع وينتهي بنهاية الحكم الملكي، في ضوء سفر تثنية الاشتراع.

١. خطبة موسى الاولى

١. التضحية المطلوبة من موسى

طلب موسى الى الله أن يدخله إلى أرض الميعاد، فرُفضت له هذه النعمة بسبب عدم أمانة بني إسرائيل.

٣ [٢٣]وتَضَرَّعتُ إِلى الرَّبِّ في ذلك الوَقتِ قائلاً: [٢٤]أَيُّها الرَّبُّ الإِله، قدِ ٱبتَدَأتَ أَن تُرِيَ عَبدَكَ عَظَمَتَكَ ويَدَكَ القَوِيَّة، فمَن هو الإِلهُ في السَّماءِ

والأَرضِ الَّذي يَصنَعُ مِثلَ أَعْمالِكَ وجَبَروتِكَ؟ [٢٥]دَعْني أَعبُرُ فأرى الأَرضَ الطَّيِّبَةَ الَّتي في عِبرِ الأُردُنّ، وأَرى هذا الجَبَلَ الطَّيِّبَ ولُبْنان. [٢٦]ولكِن غَضِبَ الرَّبُّ عَلَيَّ بِسَبَبِكم ولَم يَسمَعْ لي، بل قالَ لِيَ الرَّبّ: كفاك! لا تَزِدْ في الكَلامِ معي في هذا الأَمْر، [٢٧]لكِنِ آصعَدْ إِلى قِمَّةِ الفِسْجَة وآرفَعْ عَينَيكَ غَرْباً وشَمالاً وجَنوباً وشَرْقاً، وآنظُرْ بِعَيْنَيكَ، لأَنَّكَ لن تَعبُرَ هذا الأُردُنّ. [٢٨]ومُرْ يَشوعَ وشَدِّدْه وقَوِّه، فإِنَّه هو يَعبُرُ أَمامَ هذا الشَّعبِ ويورِثُه الأَرضَ الَّتي تَراها.

٢. روحية الله ومتطلّباتها

في جبل سيناء، لم يُرِ الله نفسه، لانه كائن روحي. ولذلك، يجب أَلاّ نمثّله بشكل صورة منحوتة.

٤ [٩]إِنَّما تنَبَّهْ وآحفَظْ نَفسَكَ جِدًّا، كَيلا تَنْسى الأُمورَ الَّتي رَأَتْها عَيناكَ ولا تَبتَعِدَ عن قَلبِكَ كُلَّ أَيَّامِ حَياتِكَ، بل عَلِّمْها بَنيكَ وبَني بَنيكَ. [١٠]يَومَ وَقَفتَ أَمامَ الرَّبِّ إِلهِكَ في حوريب، حينَ قالَ لِيَ الرَّبّ: اِجْمَعْ لِيَ الشَّعْبَ حتَّى أُسمِعَه كَلامي، لِكَي يَتَعَلَّموا أَن يَخافوني طولَ الأَيَّامِ الَّتي يَعيشونَها على الأَرضِ ويُعَلِّموا بَنيهم ذلك، [١١]اِقتَرَبتُم ووَقَفتُم أَسفَلَ الجَبَل، والجَبَلُ مُشتَعِلٌ بِالنَّارِ إِلى كَبِدِ السَّماء وعلَيه ظَلامٌ وغَيمٌ وغَمامٌ مُظلِم. [١٢]فكَلَّمَكمُ الرَّبُّ مِن وَسَطِ النَّار، فكُنتُم تَسمَعونَ صَوتَ الكَلام ولم تَرَوا صورَةً، بل كانَ هُناكَ صَوتٌ فقَط. [١٣]وأَوحى بِعَهدِه الَّذي أَمَرَكم أَن تَعمَلوا به، أَيِ الكَلِماتِ العَشْرِ الَّتي كَتَبَها على لَوحَينِ مِن حَجَر. [١٤]وأَمَرَني الرَّبُّ في ذلك الوَقتِ بِأَن أُعَلِّمَكم فَرائِضَ وأَحْكاماً تَعمَلونَ بِها في الأَرضِ الَّتي أَنتُم عابِرونَ إِلَيها لِتَرِثوها.

[15]فَتَنَبَّهوا لِأَنفُسِكم جِدًّا، فإِنَّكم لم تَرَوا صورَةً ما يَومَ كَلَّمَكمُ الرَّبُّ في حوريب مِن وَسَطِ النَّار، [16]لِئَلاَّ تَفسُدوا وتَصنَعوا لكم تِمْثالاً مَنْحوتاً على شَكْلِ صورةٍ ما مِن ذَكَرٍ أَو أُنْثى، [17]أَو شكْلِ شَيءٍ مِنَ البَهائِمِ الَّتي على الأَرض، أَو شَكْلِ طائِرٍ ذي جَناحٍ مِمَّا يَطيرُ في السَّماء، [18]أَو شَكْلِ شَيءٍ مِمَّا يَدِبُّ على الأَرض، أَو شَكْلِ شَيءٍ مِنَ السَّمَكِ مِمَّا في الماءِ تَحتَ الأَرض، [19]وكَيلا تَرفَعَ عَينَيكَ إِلى السَّماء فتَرى الشَّمسَ والقَمَرَ والكَواكِب، جَميعَ قُوَّاتِ السَّماء، مِمَّا جَعَلَه الرَّبُّ إِلهُك نَصيباً لِجَميعِ الشُّعوبِ الَّتي تَحتَ السَّماء فتُجتَذَبَ وتَسجُدَ لَها وتَعبُدَها. [20]وأَنتُم قد أَخَذَكمُ الرَّبُّ وأَخرَجَكم مِن أَتُّونِ الحَديدِ مِن مِصْر، لِتَكونوا لَه شَعبَ ميراثٍ كما في هذا اليَوم.

٣. عظمة الاختيار الإلهي

إسرائيل هو الوحيد الذي اختاره الله، وتمتّع بحمايته وورث أرض الميعاد.

[1]والآن يا إِسْرائيل، اِسمَعِ الفَرائِضَ والأَحْكامَ الَّتي أُعَلِّمُكم إِيَّاها لِتَعمَلوا بِها، لِكَي تَحيَوا وتَدخُلوا وتَرِثوا الأَرضَ الَّتي يُعطيكمُ الرَّبُّ إِلهُ آبائِكم إِيَّاها. [2]لا تَزيدوا كَلِمةً على ما آمُرُكم بِه ولا تَنقُصوا مِنه، حافِظينَ وَصايا الرَّبِّ إِلهِكمُ الَّتي أَنا أُوصيكُم بِها. [5]أُنظُرْ: إِنِّي قد علَّمتُكم فرائِضَ وأَحْكاماً كما أَمَرَني الرَّبُّ إِلهي، لِتَعمَلوا بِها في وَسَطِ الأَرضِ الَّتي أَنتُم داخِلونَ إِلَيها لِتَرِثوها. [6]فآحفَظوها وآعلَموا بِها، فإِنَّها حِكمَتُكم وفَهمُكم أَمامَ عُيونِ الشُّعوب الَّتي، إِذا سَمِعتَ بِهذه الفَرائِض، تقول: لا شَكَّ أَنَّ هذه الأُمَّةَ العَظيمةَ هي شَعبٌ حَكيمٌ فَهيم. [7]لِأَنَّه أَيَّةُ أُمَّةٍ عَظيمةٍ لَها آلِهَةٌ قَريبةٌ مِنها كالرَّبِّ إِلهِنا في كُلِّ ما نَدْعوه [8]وأَيَّةُ أُمَّةٍ

عَظيمةٍ لَها فَرائِضُ وأَحْكامٌ بارَّةٌ ككُلِّ هذه الشَّريعةِ الَّتي أَضَعُها اليَومَ أَمامَكم ؟

[٣٢] والآن فسَلْ عنِ الأيَّامِ الأُولى الَّتي كانت مِن قَبْلِكَ، مُنذُ يَومَ خَلَقَ الرَّبُّ الإِنْسانَ على الأَرض، مِن أَقْصى السَّماءِ إِلى أَقْصاها : هل كانَ مِثْلُ هذا الأَمرِ العَظيمِ أَو هل سُمِعَ بِمِثْلِه ؟ [٣٣] وهل سَمِعَ شَعبٌ صَوتَ إِلهٍ يَتَكَلَّمُ مِن وَسَطِ النَّار، كما سَمِعتَ أَنتَ، وبَقِيَ على قَيدِ الحَياة، [٣٤] أَو هل حاوَلَ إِلهٌ أَن يَأتِيَ ويَتَّخِذَ لَه أُمَّةً من وَسْطِ أُمَّةٍ بِتَجارِبَ وآياتٍ وخَوارِقَ وحُروبٍ ويَدٍ قَوِيَّةٍ وذِراعٍ مَبْسوطةٍ ومَخاوِفَ عَظيمة، مثلِ كُلِّ ما صَنَعَ لكمُ الرَّبُّ إِلهُكم بِمِصرَ أَمامَ عَينَيكَ ؟

[٣٥] فقَد أُريتَ ذلك لِتَعلَمَ أَنَّ الرَّبَّ هو الإِله وأَن لَيسَ آخَرُ سِواه. [٣٦] مِنَ السَّماءِ أَسمَعَكَ صَوتَه لِيُؤَدِّبَكَ، وعلى الأَرضِ أَراكَ نارَه العَظيمة، ومِن وَسَطِ النَّارِ سَمِعتَ كَلامَه. [٣٧] وذلك أَنَّه أَحَبَّ آباءَكَ وآختارَ نَسلَهم مِن بَعدِهم وأَخرَجَكَ بِحَضرَتِه وبِقُوَّتِه العَظيمة مِن مِصرَ، [٣٨] لِيَطرُدَ أُمَماً أَعظَمَ وأَقْوى مِنكَ مِن أَمامِ وَجهِكَ، ويُدخِلَكَ أَرضَهم ويُعطِيَكَ إِيَّاها ميراثاً كما هي اليَوم.

[٣٩] فاَعلَمِ اليَومَ ورَدِّدْ في قَلبِكَ أَنَّ الرَّبَّ هو الإِلهُ في السَّماءِ مِن فَوقُ وفي الأَرضِ مِن تَحتُ وأَنْ لَيسَ سِواه. [٤٠] وآحفَظْ فَرائِضَه ووَصاياه الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَومَ، لِكَي تُصيبَ خَيراً أَنتَ وبَنوكَ مِن بَعدِكَ ولِكَي تُطيلَ أَيَّامَكَ في الأَرضِ الَّتي يُعْطيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِيَّاها جَميعَ الأَيَّام».

٢. خطبة موسى الثانية

١. السبت

تبتدئ هذه المجموعة الجديدة بالوصايا العشر (صيغة أطول). إليك ما يختصّ بالسبت.

٥ [١٢]اِحفَظْ يَومَ السَّبتِ لِتُقَدِّسَه، كما أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلٰهُكَ. [١٣]سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعمَلُ وتَصنَعُ جَميعَ أَعمالِكَ. [١٤]واليَومُ السَّابِعُ سَبتٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِكَ، فلا تَصنَعْ فيه عَمَلاً، أَنتَ وآبنُكَ وآبنَتُكَ وخادِمُكَ وخادِمَتُكَ وثَورُكَ وحِمارُكَ وجَميعُ بَهائِمِكَ ونَزيلُكَ الَّذي في داخِلِ مُدُنِكَ، لِكَي يَستَريحَ خادِمُكَ وخادِمَتُكَ مِثْلَكَ. [١٥]وآذكُرْ أَنَّكَ كُنتَ عَبداً في أَرضِ مِصر، فأَخرَجَكَ الرَّبُّ إِلٰهُكَ مِن هُناكَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وذِراعٍ مَبسوطة، ولِذلِكَ أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلٰهُكَ بِأَن تَحفَظَ يَومَ السَّبْت.

٢. محبة الله

يجب أَلاَّ يكون الخوف الشعور الوحيد الذي يشعر به الإسرائيلي نحو إلٰهه، بل عليه أن يحبّه من صميم قلبه.

٦ [١]وهذه هي الوَصِيَّةُ والفَرائِضُ والأَحكامُ الَّتي أَمَرَني الرَّبُّ إِلٰهُكم أَن أُعَلِّمَكم إِيَّاها لِتَعمَلوا بِها في الأَرضِ الَّتي أَنتُم عابِرونَ إِلَيها لِتَرِثوها، [٢]لِكَي تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلٰهَكَ، حافِظاً جَميعَ فَرائِضِه ووَصاياه الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها، أَنتَ وآبنُكَ وآبنُ آبنِكَ طولَ أَيَّامِ حَياتِكَ، ولِكَي تَطولَ أَيَّامُكَ[١].

(١) يختلف السبب عمّا هو في سفر العدد.

فٱسمَعْ يا إِسْرائيلُ وٱحرِصْ أَن تَعمَلَ ما تُصيبُ بِه خيراً وما تَكثُرونَ بِه جِدًّا ، كما قالَ لَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبائِكَ ، في أَرضٍ تَدُرُّ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً .

٤ اِسمَعْ يا إِسْرائيل[٢] : إِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا هو رَبٌّ واحِد . ٥ فأَحبِبِ الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وكُلِّ نَفسِكَ وكُلِّ قُوَّتِكَ . ٦ ولْتَكُنْ هذه الكَلِماتُ الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَومَ في قَلبِكَ . ٧ ورَدِّدْها على بَنيكَ وكَلِّمْهم بِها ، إِذا جَلَستَ في بَيتِكَ وإِذا مَشَيتَ في الطَّريق وإِذا نِمْتَ وقُمْتَ . ٨ وٱعقِدْها عَلامةً على يَدِكَ ، ولْتَكُنْ عَصائِبَ بَينَ عَينَيكَ . ٩ وٱكتُبْها على دَعائِمِ أَبْوابِ بَيتِكَ .

١٠ وإِذا أَدخَلَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلى الأَرضِ الَّتي أَقسَمَ لِآبائِكَ إِبْراهيمَ وإِسحقَ ويَعْقوبَ أَن يُعطِيَكَ إِيَّاها مُدُناً عَظيمةً حَسنةً لم تَبنِها ، ١١ وبُيوتاً مَمْلوءَةً كُلَّ خَيرٍ لم تَملأْها ، وآباراً مَحْفورَةً لم تَحفِرْها ، وكُروماً وزَيتوناً لم تَغرِسْها : وإِذا أَكَلتَ وشَبِعتَ ، ١٢ فٱحذَرْ أَن تَنْسى الرَّبَّ الَّذي أَخرَجَكَ مِن أَرضِ مِصْر ، مِن دارِ العُبودِيَّة ، ١٣ بلِ الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقي وإِيَّاه تعبُدُ وبِٱسمِه تَحلِف .

٣. ليست محبة إسرائيل لإلهه إلاَّ معاملة بالمثل ، فإن الله أحبّ إسرائيل ، وهذه المحبة هي الدافع الوحيد الى اختيار شعب الله .

٧ ٧ لا لِأَنَّكم أَكثَرُ مِن جَميعِ الشُّعوبِ تَعَلَّقَ الرَّبُّ بِحُبِّكم وٱختارَكم ، فأَنتُم أَقَلُّ مِن جَميعِ الشُّعوب ، ٨ بل لِمَحَبَّةِ الرَّبِّ لكم[٣] ومُحافَظَتِه على

(٢) هذه الفقرة جزء من صلاة اليهود اليومية .
(٣) سبب الاختيار هو محبة الله .

القَسَمِ الَّذي أَقْسمَ بِه لِآبائِكم أخرَجَكُمُ الرَّبُّ بِيَدٍ قَوِيَّة وفَداكَ مِن دارِ العُبودِيَّة، مِن يَدِ فِرعَون، مَلِكِ مِصْر. [٩] فَآعلَمْ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هو اللهُ الإِلهُ الأَمينُ الحافِظُ العَهدَ والرَّحمَةَ لِمُحِبِّيه وحافِظِي وَصاياه إِلى أَلْفِ جيل، [١٠] والمُكافِئُ مُبْغِضيه في نُفوسِهم لِيُهلِكَهم ولا يَتَأَخَّرُ عن مُجازاةِ مُبغِضِه في نَفْسِه.

٤. امتحان البرّيّة

أذلّ الله شعبه في البرّيّة، مبيّناً له أنه يحتاج إلى إلهه للحصول على طعامه. وبينما كان يسدّ جميع حاجاته، كان يمتحنه: فهل يكون إسرائيل أميناً أم ينسى إلهه؟ وفي الوقت نفسه، كان إسرائيل يمتحن الله بتذمّره، أي أنه كان يتحدّاه بتمرّده أو عصيانه. يدلّ مطلع هذه الفقرة على ان خضوع إسرائيل لله لا يُنظر إليه من ناحية الخبز فقط، بل فيما يختصّ بالطعام الروحي أيضاً، أي بالشريعة.

٨ [١] اِحرِصوا أَن تَعمَلوا بِكُلِّ الوَصِيَّةِ الَّتي آمُرُكَ بِها اليَومَ، لِكَي تَحْيَوا وتَكثُروا وتَدخُلوا وتَرِثوا الأَرضَ الَّتي أَقسَمَ الرَّبُّ علَيها لِآبائِكم. [٢] وآذكُرْ كُلَّ الطَّريقِ الَّتي سَيَّرَكَ فيها الرَّبُّ إِلٰهُكَ في البَرِّيَّةِ هذه السِّنينَ الأَربَعين، لِيُذَلِّلَكَ ويَمتَحِنَكَ فيَعرِفَ ما في قَلبِكَ هل تَحفَظُ وَصاياه أَم لا. [٣] فذَلَّلَكَ وأَجاعَكَ وأَطعَمَكَ المَنَّ الَّذي لم تَعرِفْه أَنتَ ولا عَرَفَه آباؤُكَ، لِكَي يُعْلِمَكَ أَنَّه لا بِالخُبْزِ وَحدَه يَحْيا الإِنْسان، بل بِكُلِّ ما يَخرُجُ مِن فَمِ الرَّبِّ يَحْيا الإِنْسان(٤). [٤] ثَوبُكَ لم يَبْلَ علَيكَ، ورِجلُكَ لم تَتَوَرَّمْ في هذه السِّنينَ الأَربَعين.

(٤) اذكرْ تجربة يسوع في البرية: فهو يلخّص اختبار اسرائيل في الحقل الروحي.

٥فاعلَمْ في قَلبِكَ أَنَّه كما يُؤَدِّبُ الرَّجُلُ ابنَه يُؤَدِّبُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ ٦فاحفَظْ وَصايا الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَسيرَ في سُبُلِه وتَتَّقِيَه.

٧فإِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ مُدخِلُكَ أَرضاً طَيِّبَة، أَرضاً ذاتَ سُيولِ ماءٍ وعُيونٍ وغِمارٍ تَتَفَجَّرُ في الوادي والجَبَل، ٨أَرضَ حِنطَةٍ وشَعيرٍ وكَرْمٍ وتينٍ ورُمَّان، أَرضَ زَيتٍ وعَسَل، ٩أَرضاً لا تأكُلُ فيها خُبزَكَ بِتَقْتير، ولا يُعوِزُكَ فيها شيءٌ، أَرضاً حِجارَتُها حَديد ومِن جِبالِها تَقلَعُ النُّحاس. ١٠فتأكُلُ وتَشبَعُ وتُبارِكُ الرَّبَّ إِلهَكَ لِأَجلِ الأَرضِ الطَّيِّبَةِ التي أَعْطاكَ إِيَّاها.

١١تَنَبَّهْ لِئَلاَّ تَنْسى الرَّبَّ إِلهَكَ، غيرَ حافِظٍ لِوَصاياه وأَحْكامِه وفَرائِضِه الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَوم، ١٢مَخافةَ أَنَّكَ، إِذا أَكَلتَ وشَبِعتَ وبَنَيتَ بُيوتاً جَميلةً وسَكَنتَها ١٣وكَثُرَ بَقَرُكَ وغَنَمُكَ وفِضَّتُكَ وذَهَبُكَ وكُلُّ ما لَكَ، ١٤يَشمَخُ قَلبُكَ فتَنْسى الرَّبَّ إِلهَكَ الَّذي أَخرَجَكَ مِن أَرضِ مِصْر، مِن دارِ العُبودِيَّة، ١٥والَّذي سَيَّرَكَ في البَرِّيَّةِ العَظيمةِ الرَّهيبَة، حَيثُ الحَيَّاتُ اللاَّدِغةُ والعَقارِبُ والعَطَش، وحَيثُ لا ماءَ فَجَّرَ لَكَ الماءَ مِن صَخرَةِ الصَّوَّان، ١٦وأَطعَمَكَ في البَرِّيَّةِ المَنَّ الَّذي لم يَعرِفْه آباؤُكَ، لِيُذَلِّلَكَ ويَمتَحِنَكَ، لِيُحسِنَ إِلَيكَ في آخِرَتِكَ، ١٧ولِئَلاَّ تَقولَ في قَلبِكَ: إِنَّ قُوَّتي وقُدرَةَ يَدي صَنَعتا لي هذه الثَّروَة. ١٨بل تَذكُرُ الرَّبَّ إِلهَكَ، فإِنَّه هو الَّذي يُعْطيكَ قُوَّةً لِتَصنَعَ بِها الثَّروَة، لِكَي يُثَبِّتَ عَهدَه الَّذي أَقسَمَ بِه لِآبائِكَ كما في هذا اليَوم. ١٩وإِن نَسيتَ الرَّبَّ إِلهَكَ وسِرتَ وَراءَ آلِهَةٍ أُخْرى وعَبَدتَها وسَجَدتَ لَها، فأَنا شاهِدٌ علَيكُمُ اليَومَ بأَنَّكم تَهلِكونَ هَلاكاً.

٥. الحثّ على الطاعة

كيف يُظهر الإسرائيلي تلك المحبة المطلوبة منه؟ بالطاعة. وبذلك يكون مِلكَ الله بكل كيانه.

١٠ [١٢]والآنَ يا إسْرائيل، ما الَّذي يَطلبُهُ مِنكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إلاَّ أن تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ سائِراً في جَميعِ طُرُقِه ومُحِبًّا إيّاه، وعابِداً الرَّبَّ إِلهَكَ بِكُلِّ قَلبِكَ وكُلِّ نَفسِكَ، [١٣]وحافِظاً وَصاياه وفَرائِضَه الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَومَ، لِكَي تُصيبَ خيراً.

[١٤]إِنَّ لِلرَّبِّ إِلهِكَ السَّمواتِ وسَمَواتِ السَّمواتِ والأَرضَ وكُلَّ ما فيها. [١٥]لكِنَّه تَعلَّقَ بِآبائِكَ مُحِبًّا إِيَّاهم وآختارَ نَسلَهم مِن بَعدِهم، أي أَنتُم، مِن بَينِ الشُّعوبِ كُلِّها إِلى مِثلِ هذا اليَوم. [١٦]فآختِنوا قُلَفَ قلوبِكم، ولا تُقَسُّوا رِقابَكم بَعدَ اليَوم(٥)، [١٧]لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكم هو إِلهُ الآلِهَةِ ورَبُّ الأَرْباب، الإِلهُ العَظيمُ الجَبَّارُ الرَّهيبُ الَّذي لا يُحابي الوُجوهَ ولا يَقبَلُ رِشوَة، [١٨]مُنصِفُ اليَتيمِ والأَرمَلَة ومُحِبُّ النَّزيل، يُعْطيه طَعاماً وكُسوَةً. ([١٩]فأَحِبُّوا النَّزيل، فإِنَّكم كُنتُم نُزَلاءَ في أَرضِ مِصْر). [٢٠]الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقي، وإِيَّاه تَعبُد، وبِه تَتَعَلَّق، وبِآسمِه تَحلِف. [٢١]هو تَسبِحَتُكَ، وهو إِلهُكَ الَّذي صَنَعَ لَكَ تِلكَ العَظائِمَ والأُمورَ الرَّهيبَةَ الَّتي رأَتْها عَيناكَ. [٢٢]في سَبْعينَ نَفْساً نَزَلَ آباؤُكَ إِلى مِصْر(٦)، وأَمَّا الآنَ فقَد صَيَّرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ مِثلَ نُجومِ السَّماءِ كَثرَةً.

(٥) ختَن القلب يعني فتحه لنعمة الله، وقسّى الرقبة يعني عصى.
(٦) عدد المتحدّرين من يعقوب والآتين الى مصر، بحسب خر ١.

١١ [١٨]فٱجعَلوا كَلِماتي هذه في قُلوبِكم وفي نُفوسِكم، وٱعقِدوها عَلامةً على أَيديكم، ولْتَكُنْ عَصائِبَ بَينَ عُيونِكم.

[٢٦]أُنظُرْ: إِنِّي جاعِلٌ أَمامَكمُ اليومَ بَركةً ولَعنَة: [٢٧]البَركةَ إِن سَمِعتُم لِوَصايا الرَّبِّ إِلهِكمُ الَّتي أَنا آمُرُكم بِها اليَوم، [٢٨]واللَّعنَةَ إِن لم تَسمَعوا لِوَصايا الرَّبِّ إِلهِكم وٱبتَعَدتُم عنِ الطَّريقِ الَّتي أَنا مُوصيكم بِها اليَومَ، لِتَسيروا وَراءَ آلِهَةٍ أُخْرى لم تَعرِفوها.

٣. تشريع دينيّ

١. شريعة وحدة مكان العبادة

لمحاربة العبادات الكنعانية التي كانت تُفسد المعابد الإقليمية الصغيرة، أُقِرَّ مبدأ حصر العبادة في مكان واحد: فلن يكون إلاَّ معبد واحد، في أورشليم، وهو الذي أراده داود والذي فيه تابوت العهد. وهذا من أهم النقاط التي تناولها إصلاح الملك يوشيّا.

١٢ [٥]أَلمَكانُ الَّذي يَختارُه الرَّبُّ إِلهُكم مِن أَسْباطِكم كُلِّها لِيَجعَلَ فيه ٱسمَه ويَسكُنَ فيه، إِيَّاه تَلتَمِسون وإِلى هُناكَ تُقبِل. [٦]فتأتونَ إِلَيه بِمُحرَقاتِكم وذَبائِحِكم وأَعشارِكم وتَقادِمِ أَيديكم ونُذورِكم وتَقادِمِكمُ الطَّوعِيَّة وأَبْكارِ بَقَرِكم وغَنَمِكم. [٧]وتأكُلونَ هُناكَ أَمامَ الرَّبِّ إِلهِكم وتَفرَحونَ بِكُلِّ ما ٱكتَسَبَته أَيديكم أَنتُم وأَهلُ بُيوتِكم، مِمَّا بارَكَكَ فيه الرَّبُّ إِلهُكَ.

٢. شريعة المَلِك

لا بدّ من اختيار المَلِك من داخل الشعب المختار. يوصى أن يكون سيّد نفسه فيما يختصّ باستعمال القوّة، والنساء، والفضّة والذهب، والتواضع، وحفظ الشريعة.

١٧ [١٤] إذا دَخَلتَ الأَرضَ الَّتي يُعْطيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِيَّاها ووَرِثتَها وسَكَنتَ فيها، فقُلتَ: أُقيمُ عليَّ مَلِكاً كسائِرِ الأُمَمِ الَّتي مِن حَولي، [١٥] فأَقِمْ علَيكَ مَلِكاً، مَن يَخْتارُه الرَّبُّ إِلهُكَ. مِن بَينِ إِخوَتِكَ تُقيمُ علَيكَ مَلِكاً، ولا يَحِلُّ لَكَ أَن تُقيمَ علَيكَ رَجُلاً غَريباً لَيسَ بِأَخيكَ.

[١٦] لكِن لا يُكثِرْ لِنَفْسِهِ مِنَ الخَيل، ولا يَرُدَّ الشَّعبَ إِلى مِصرَ لِيُكثِرَ مِنَ الخَيل، فقَد قالَ لكُمُ الرَّبُّ: لا تَعودوا إِلى الرَّجوعِ في هذه الطَّريق. [١٧] ولا يُكثِرْ لِنَفسِه مِنَ النِّساء، لِئَلاَّ يَحيدَ قَلبُه(٧)، ولا يُبالِغْ في الإِكْثارِ مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَب. [١٨] ومَتى جَلَسَ على عَرْشِ مُلكِه، فلْيَنسَخْ لَه نُسْخَةً مِن هذه الشَّريعةِ في سِفْرٍ مِن عِندِ الكَهَنَةِ واللاَّوِيِّين. [١٩] ولْتَكُنْ عِندَه، يَقرأُ فيها كُلَّ أَيَّامِ حَياتِه، لِكَي يَتَعَلَّمَ كَيفَ يَتَّقي الرَّبَّ إِلهَه حافِظاً كَلامَ الشَّريعةِ كُلَّه وهذه الفَرائِضَ لِيَعمَلَ بِها. [٢٠] لِئَلاَّ يَشمَخَ قَلبُه على إِخوَتِه ولِئَلاَّ يَحيدَ عنِ الوَصِيَّةِ يَمنَةً أَو يَسرَةً، ولِكَي يُطيلَ أَيَّامَه على مَملَكَتِه، هو وبَنوه، في وَسْطِ إِسرائيل.

٣. أحكام في الانبياء

يُردّ زمن المؤسسة النبوية، كالمؤسسة الملكية، الى عهد موسى. ويُعرف النبي الحقيقي من علامَتَين: المطابقة للتعليم التقليدي وتحقيق النبوات.

١٨ [١٥] يُقيمُ لَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَبِيًّا مِثْلي مِن وَسْطِكَ، مِن إِخوَتِكَ، فلَه تَسْمَعونَ، [١٦] وَفقاً لِكُلِّ ما سَأَلتَه الرَّبَّ إِلهَكَ في حوريب، في يَومِ الاِجْتِماعِ، قائلاً: لَن أُواصِلَ سَماعَ صَوتِ الرَّبِّ إِلهي ولَن أَرى بَعدَ الآنَ

(٧) تلميح الى عهد سليمان.

هذه النَّارَ العَظيمة، لِئَلاَّ أَموت. [١٧]فقالَ لِيَ الرَّبّ: قد أَحسَنوا فيما قالوا. [١٨]سأُقيمُ لَهم نَبِيًّا مِن وَسْطِ إِخوَتِهم مِثلَكَ، وأَجعَلُ كلامي في فَمِه، فيُخاطِبُهم بِكُلِّ ما آمُرُه بِه. [١٩]وأَيُّ رَجُلٍ لم يَسمَعْ كَلامي الَّذي يَتَكَلَّمُ بِه بِآسْمي، فإِنِّي أُحاسِبُه علَيه. [٢٠]ولكن أَيُّ نَبِيٍّ آعتَدَّ بِنَفْسِه فقالَ بِآسْمي قَولاً لم آمُرْه أَن يَقولَه، أَو تَكَلَّمَ بِآسمِ آلِهَةٍ أُخْرى، فلْيُقتَلْ ذلك النَّبِيّ.

[٢١]فإِن قُلتَ في قَلبِكَ: كَيفَ نَعرِفُ القَولَ الَّذي لم يَقُلْه الرَّبّ [٢٢]فإِن تَكَلَّمَ النَّبِيُّ بِآسمِ الرَّبِّ ولم يَتِمَّ كَلامُه ولم يَحدُثْ، فذلك الكَلامُ لم يَتَكَلَّمْ بِه الرَّبّ، بل لِلاَعتِدادِ بِنَفْسِه تَكَلَّمَ بِه النَّبِيُّ، فلا تَهَبْه(٨).

٤. شريعة أخي الزوج

الغاية من هذه الشريعة الحيلولة دون انقراض الاسرة أو زوال ما تملكه. لِنذكرْ قصة راعوت، والسؤال الذي طرحه الصدّوقيون على يسوع (متى ٢٢/٢٣).

٢٥ [٥]إِذا أَقامَ أَخوانِ معاً، ثُمَّ ماتَ أَحَدُهما ولَيسَ لَه آبنٌ، فلا تَصِرِ آمرَأَةُ المَيتِ الى خارِجٍ، لِرَجُلٍ غَريب، بل أَخو رَجُلِها يَدخُلُ علَيها ويَتَّخِذُها آمرَأَةً لَه، وهو يَقومُ نَحوَها بواجِبِه كأَخي الرَّجُل. [٦]ويَكونُ البِكْرُ الَّذي تَلِدُه منه هو الَّذي يَحمِلُ آسمَ أَخيه المَيت. فلا يُمْحَى آسمُه مِن إِسْرائيل. [٧]فإِن لم يَرضَ الرَّجُلُ أَن يَتَّخِذَ آمرَأَةَ أَخيه، فلْتَصعَدِ آمرَأَةُ أَخيه إِلى بابِ المَدينَةِ إِلى الشُّيوخ، وتَقُلْ: قد أَبى أَخو زَوجي أَن يُقيمَ لِأَخيه آسماً في إِسْرائيل، ولَم يَرْضَني زَوجَةً. [٨]فيَستَدعيه شُيوخُ مَدينَتِه

(٨) راجع ار ٢٨.

ويُكَلِّمونَه في ذلك . فإن أَصرَّ وقال : إِنِّي لا أَرْضى أَن أَتَّخِذَها ، [٩] تَتَقَدَّمُ إِلَيه آمرَأَةُ أَخيه بِحَضرَةِ الشُّيوخ وتَخلَعُ نَعلَه مِن رِجلِه ، وتَبصُقُ في وَجهِه وتُجيبُه قائِلةً : هكذا يُصنَعُ بِالرَّجُلِ الَّذي لا يَبْني بَيتَ أَخيه . [١٠] فيُدْعى في إِسْرائيلَ بَيتَ المَخْلوعِ النَّعْل .

٥. قانون ايمان اسرائيلي قديم

يذكر سفر تثنية الاشتراع ، في كلامه على بواكير محاصيل الارض ، نصًّا من أقدم النصوص الكتابية . إنه فعل إيمان بالإله المخلّص .

٢٦ [١] وإِذا دَخَلتَ الأَرضَ الَّتي يُعْطيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِيَّاها ميراثاً فوَرِثتَها وسَكَنتَ فيها ، [٢] فخُذْ مِن بَواكيرِ كُلِّ ثَمَرِ الأَرضِ الَّذي تُخرِجُه من أَرضِكَ الَّتي يُعْطيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِيَّاها ، وضَعْه في سَلَّة ، وآمضِ إِلى المَكانِ الَّذي يَخْتارُه الرَّبُّ إِلهُكَ لِيُحِلَّ فيه آسمَه ، [٣] وأْتِ إِلى الكاهِنِ الَّذي يَكونُ في تِلكَ الأَيَّامِ وقُلْ له : أُعلِنُ اليَومَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ أَنِّي قد دَخَلتُ الأَرضَ الَّتي أَقسَمَ الرَّبُّ لِآبائنا أَن يُعطِيَنا إِيَّاها . [٤] فيأخُذُ الكاهِنُ السَّلَّةَ مِن يَدِكَ فيَضَعُها أَمامَ مَذبَحِ الرَّبِّ إِلهِكَ .

[٥] ثُمَّ تَتَكَلَّمُ فتَقولُ أَمامَ الرَّبِّ إِلهِكَ : إِنَّ أَبي كانَ آرامِيًّا تائِهاً ، فنَزَلَ الى مِصرَ وأَقامَ هُناكَ مع رِجالٍ قَلائِل ، فصارَ هُناكَ أُمَّةً عَظيمَةً قَوِيَّةً كثيرة . [٦] فأَساءَ إِلَينا المِصرِيُّونَ وأَذَلُّونا وفَرَضوا عَلَينا عَمَلاً شاقًّا . [٧] فصَرَخْنا إِلى الرَّبِّ إِلهِ آبائِنا ، فسَمِعَ الرَّبُّ صَوتَنا ورأَى ذُلَّنا وعَناءَنا وظُلْمَنا ، [٨] فأَخرَجَنا الرَّبُّ مِن مِصرَ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ وذِراعٍ مَبْسوطةٍ وخَوفٍ عَظيم وآياتٍ وخَوارِق . [٩] وأَوصَلَنا إِلى هذا المَكانِ وأَعْطانا هذه الأَرضَ، أَرضاً

تَدُرُّ لَبَناً حَليبًا وعَسَلاً. [١٠]والآن هاءَنَذا آتٍ بِبَواكيرَ ثَمَرِ الأَرضِ الَّتي أَعْطَيتَني إِيَّاها يا ربّ.

[١٦]في هذا اليَومِ يأمُرُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ أَن تَعمَلَ بِهذه الفَرائِضِ والأَحْكام، فآحفَظْها وآعمَلْ بِها بِكُلِّ قَلبِكَ وكُلِّ نَفسِكَ. [١٧]إِنَّكَ قد طَلَبتَ إِلى الرَّبِّ اليَومَ أن يَكونَ لَكَ إِلهاً وأَن تَسيرَ في سُبُلِه وتَحفَظَ فَرائِضَه ووَصاياه وأَحْكامَه وتَسمَعَ لِصَوته. [١٨]وطَلَبَ مِنكَ الرَّبُّ اليَوم أَن تَكونَ له شَعْباً خاصًّا، كما قالَ لَكَ، لِكَي تَحفَظَ جَميعَ وَصاياه، [١٩]وأَن يَجعَلَكَ فَوقَ جَميعِ الأُمَمِ الَّتي خَلَقَها مَجداً وآسماً وبَهاءً، وتَكونَ شَعباً مُقَدَّساً لِلرَّبِّ إِلهكَ، كما قال.

٤. خطبة موسى الثالثة

الخاتمة: الشريعة وكلمة الله

ان كون كلمة الله (الشريعة) في متناول الإنسان وبوجه مجسَّد هو تمهيد بعيد للوحي بالاقنوم الثاني من الثالوث الاقدس، بل هو مطلب يفرض نفسه على اختيار الانسان.

٣٠ إِنَّ الرَّبَّ يَرجِعُ فيُسَرُّ بِكَ لِلخَيرِ كما سُرَّ له بِآبائِكَ، [١٠]إِذا سَمِعتَ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهكَ حافِظاً وَصاياه وفَرائِضَه المَكْتوبةَ في سِفْرِ هذه الشَّريعة، عِندَما تَرجِعُ إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ مِن كُلِّ قَلبِكَ ومِن كُلِّ نَفسِكَ.

[١١]إِنَّ هذه الوَصِيَّةَ الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَومَ لَيسَت فَوقَ طاقَتِكَ ولا بَعيدةً مِنك. [١٢]لا هيَ في السَّماءِ فتَقول: مَن يَصعَدُ لَنا إِلى السَّماءِ فيَتَناوَلُها لَنا ويُسمِعُنا إِيَّاها فنَعمَلَ بِها؟ [١٣]ولا هِيَ عَبرَ البَحرِ فتَقول: مَن

يَعبُرُ لَنا البَحرَ فيَتَناوَلُها لَنا ويُسمِعُنا إِيَّاها فنَعمَلَ بِها ؟ [١٤]بلِ الكَلِمَةُ قَريبَةٌ مِنكَ جِدًّا، في فَمِكَ وفي قَلبِكَ لِتعمَلَ بِها .

[١٥]أُنظُرْ ! إِنِّي قد جَعَلتُ اليَومَ أَمامَكَ الحَياةَ والخَير ، والمَوتَ والشَّرّ . [١٦]إِذا سَمِعتَ إِلى وَصايا الرَّبِّ إِلهِك الَّتي أَنا آمُرُكَ بِها اليَوم ، مُحِبًّا الرَّبَّ إِلهَكَ وسائِراً في سُبُلِه وحافِظًا وَصاياه وفَرائِضَه وأَحكامَه ، تَحْيا وتَكثُرُ ويُبارِكُكَ الرَّبُّ إِلهُكَ في الأَرضِ الَّتي أَنتَ داخِلٌ إِلَيها لِتَرِثَها . [١٧]وإِنْ تَحَوَّلَ قَلبُكَ ولم تَسمَعْ وآبتَعَدتَ وسَجَدتَ لِآلِهَةٍ أُخرى وعَبَدتَها ، [١٨]فقد أُعلِنُ لكُمُ اليَومَ أَنَّكُم تهلِكونَ هَلاكاً ولا تُطيلونَ أَيَّامَكم في الأَرضِ الَّتي أَنتَ عابِرٌ الأُردُنَّ لِتَدخُلَها وتَرِثَها . [١٩]وقد أَشهَدتُ عَلَيكُمُ اليَومَ السَّماءَ والأَرضَ بِأَنِّي قد جَعَلتُ أَمامَكُمُ الحَياةَ والموت ، البَرَكَةَ واللَّعنَة . فآختَرِ الحَياةَ لِكَي تَحْيا أَنتَ ونَسلُكَ ، [٢٠]مُحِبًّا الرَّبَّ إِلهَكَ وسامِعاً لِصَوتِه ومُتَعَلِّقاً بِه ، لِأَنَّ بِه حَياتَكَ وطولَ أَيَّامِكَ ، فتُقيمُ في الأَرضِ الَّتي أَقسَمَ الرَّبُّ لِآبائِكَ إِبْراهيمَ وإِسحقَ ويَعقوبَ أَن يُعْطِيَهم إِيَّاها» .

انتهاء التوراة

وفاة الرئيس

في نهاية التوراة ، يشدَّد على عظمة الرئيس . فيبقى موسى رجل العهد والوسيط والرئيس، وهو ، في كل ذلك ، صورة للوسيط الآخر ، للمسيح (راجع عب ٣/١-٦) .

٣١ [١]ومضى موسى وكَلَّمَ إِسْرائيلَ كُلَّه بِهذا الكَلام ، وقالَ لَه : [٢]«أَنا اليَومَ آبنُ مِئَةٍ وعِشْرينَ سَنَة ، فلم أَعُدْ أَستَطيعُ الخُروجَ والدُّخول ، وقد قالَ لِيَ الرَّبّ : إِنَّكَ لن تَعبُرَ هذا الأُردُنّ . [٣]فالرَّبُّ إِلهُكَ يَعبُرُ أَمامَكَ ، وهو

يُبيدُ تِلكَ الأُمَمَ مِن أمامِكَ فتَرِثُها، ويَشوعُ هو يَعبُرُ أمامَكَ، كما قالَ الرَّبّ. [٤] ويَصنَعُ الرَّبُّ بِها كما صَنَعَ بِسيحونَ وعوج، مَلِكَي الأَمورِيِّينَ، وبأَرضِهما وأَبادَهما. [٥] فيُسلِمُها الرَّبُّ إلى أَيدِيكم فتَصنَعونَ بِها بِحَسَبِ كُلِّ الوَصِيَّةِ الَّتي أَوصَيتُكم بِها. [٦] فتَشَدَّدوا وتَشَجَّعوا ولا تَخافوا ولا تَرتَعِدوا أَمامَها، فإِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ هو السائِرُ معَكَ ولا يُهمِلُكَ ولا يَترُكُكَ».

[٧] ثُمَّ دعا موسى يَشوعَ وقالَ لَه أَمامَ عُيونِ إِسْرائيلَ كُلِّه: «تَشَدَّدْ وتَشَجَّعْ، فإِنَّكَ أَنتَ تُدخِلُ هذا الشَّعبَ الأَرضَ الَّتي أَقْسَمَ الرَّبُّ لِآبائِهم أَن يُعطِيَهم إِيَّاها، وأنت تُورِثُهم إِيَّاها. [٨] والرَّبُّ هو السائِرُ أَمامَكَ، وهو يَكونُ معَكَ ولا يُهمِلُكَ ولا يَترُكُكَ، فلا تَخَفْ ولا تَفزَعْ».

٣٤

[١] ثُمَّ صَعِدَ موسى مِن بَرِّيَّةِ موآب، إِلى جَبَلِ نَبو، إِلى قِمَّةِ الفِسْجَة، تُجاهَ أَريحا. فأَراه الرَّبُّ الأَرضَ كُلَّها: مِن جِلْعادَ إِلى دان، [٢] نَفْتالِيَ كُلَّها وأَرضَ أَفْرائيمَ ومَنَسَّى، وأَرضَ يَهوذا كُلَّها، إِلى البَحرِ الغَرْبِيّ، [٣] والنَّقَبَ وناحِيَةَ وادي أَريحا، مَدينَةِ النَّخل، إِلى صوعَر. وقالَ لَه الرَّبّ: «هذه هيَ الأَرضُ الَّتي أَقسَمتُ لِإِبْراهيمَ وإِسحقَ ويَعْقوبَ قائِلاً: لِنَسْلِكَ أُعْطيها. قد أَرَيتُكَ إِيَّاها بِعَينَيكَ، ولكِنَّكَ إِلى هُناكَ لا تَعبُر».

[٥] فماتَ هُناكَ موسى، عَبدُ الرَّبِّ، في أَرضِ موآب، بِأَمرِ الرَّبّ. [٦] ودَفَنَه(٩) في الوادي في أَرضِ موآب، تُجاهَ بَيتِ فَغور. ولم يَعرِفْ أَحَدٌ

(٩) الفاعل هو الرب.

قَبرَه إلى يَومِنا هذا. [٧]وكانَ موسى آبنَ مِئَةٍ وعِشْرينَ سَنةً، حينَ ماتَ، ولم يَكِلَّ بَصَرُه ولم تَذهَبْ نَضرَتُه. [٨]فبَكى بَنو إِسْرائيلَ على موسى، في بَرِّيَّةِ موآب، ثَلاثينَ يَوماً، إِلى أَنِ آنقَضَت أَيامُ الحُزنِ على موسى.

[١٠]ولم يَقُم مِن بَعدُ في إِسْرائيلَ نَبِيٌّ كموسى الَّذي عَرَفَه الرَّبُّ وَجْهاً لِوَجْه، [١١]في جَميعِ الآياتِ والخَوارِقِ الَّتي أَرسَلَه الرَّبُّ لِيَصنَعَها في أَرضِ مِصرَ بِفِرعونَ وجَميعِ رِجالِه وكُلِّ أَرضِه، [١٢]وفي كُلِّ يَدٍ قَوِيَّة وكُلِّ مخافةٍ عَظيمةٍ صَنَعَها موسى على عُيونِ إِسْرائيلَ كُلِّه.

قراءة لبني جيلنا

يظهر سفر تثنية الاشتراع لبني جيلنا بمظهر سفر يختلف كل الاختلاف عن الاسفار السابقة. لا يزال هناك، لاول وهلة، مجموعات أحكام، ترافقها في هذه المرة خُطب طويلة. لكن الوحي قطع مسافة، وأحداث التاريخ كانت موضوع تأمل، وأفكاراً موجَّهة برزت، في ضوء تعليم الانبياء.

أولاً **مجّانية الاختيار**. قال الله لإرميا: «قبل أن أُصوِّركَ في البطن، عرفتك» (ار ١/٥). هذا شأن اسرائيل، فإذا كان الشعب «المختار»، فمن دون أي استحقاق من قبله: ««لا لأنكم أكثر من جميع الشعوب تعلّق الربُّ بحبّكم واختاركم، فأنتم أقلّ من جميع الشعوب، بل لمحبّة الرب لكم...».

يحسن بالمسيحي أن يرجع الى نفسه، حتى، اذا عرف ما أكثر الذين لا إيمان لهم حوله، قدَّر ما أعظم هذه النعمة المجّانية التي وُهبت له. وهذا شأن الراهبة والكاهن وجميع الذين لهم دعوة خاصة في الكنيسة: «**لمحبّة الربّ لك**» ويحسن به أن يردّد قول القديس بولس في مطلع رسالته إلى أهل أفسس: «اختارنا قبل إنشاء العالم، لنكون عنده قدّيسين بلا عيب في المحبة» (اف ١/٤).

لكنَّ ميزة هذا السفر هي **المحبة**: «أحبب الربّ إلهك من كل قلبك». سبق لهوشع أن صوَّر علاقات الله مع إسرائيل بملامح حب طبيعي بين زوجين. انه تشبيه غير وافٍ غير أنه يُظهر ذلك التعلّق والهبة الكاملة والامانة التي تتّسم بها تلك المحبة.

إسرائيل موجّه نحو تلك **الامانة**، التي لن يزال الله يطالبه بها، مع أنها شاقة جداً: «هذا برّنا، أن نحفظ ونمارس جميع تلك الوصايا».

سيقول القديس يوحنا في وقت لاحق إن الله محبة، وسيصرّح القديس بولس بأن محبة الله أُفيضت في قلوبنا بهبة من الروح القدس. مسافة طويلة قد قُطعت. لكن وصية تثنية الاشتراع هذه موجّهة الى بني جيلنا، كما كانت موجّهة الى اليهودي. ولا تقل أمانتهم صعوبة عن أمانته. «لا تتّبعوا آلهة أخرى...». لقد تغيَّرت أسماء تلك الآلهة، لكن السهولة التي يعرضونها علينا لا تزال مُشبعة بالاوهام.

أجل، من تلك المحبة لله لا ينتظر المسيحي أولاً، كما كان يفعل الإسرائيلي، بركات مادية: أولاداً وحنطة وزيتاً وماشية. لكن تأكيد تثنية الاشتراع يبقى صحيحاً في جوهره، ولو وجبت روحنته: «فرض الرب علينا أن نحفظ جميع هذه الاحكام، ... لنكون سعداء دائماً أبداً ونحيا كما أعطانا حتى الآن». تكمن سعادة المسيحي في تلك الامانة لله، ولقد قال القديس بولس: «الحياة عندي هي المسيح» (فل ١/ ٢١).

أسفارُ التّاريخ

مدخل الى اسفار التاريخ

تحتوي كتب التاريخ على

١) أسفار الانبياء الاوَّلين، وهي تروي لنا تاريخ اسرائيل من زمن يشوع الى خراب هيكل أورشليم (٥٨٦)

٢) أسفار العودة من الجلاء، وهي تضيف الى ملخَّص الحقبة السابقة لمحة خاطفة الى عودة المجلوّين وعرضاً للإصلاحات الدينية التي قام بها نحميا وعزرا

٣) أسفار اضطهاد انطيوخس ابيفانيوس

- روايات ذات مغزى أدبي
- روايات الاضطهاد.

سيقسَّم مجمل الوقائع التاريخية الداخلة في هذا القسم على الوجه التالي:

١) تاريخ الفتوحات (يشوع والقضاة)

٢) تاريخ الحكم الملكي (صموئيل والملوك، وملحق: راعوت)

٣) التفكير اللاهوتي في هذا التاريخ (الاخبار)

٤) تاريخ جماعة العودة من الجلاء (نحميا وعزرا)

٥) المجمل الادبي المتعلّق باضطهاد أنطيوخس ابيفانيوس (المكابيون وطوبيا ويهوديت وأستير ودانيال)

سِفرُ يَشوع

من الناحية التاريخية ، يتبع هذا السفر أسفار التوراة : فالإسرائيليّون ، بعد وصولهم الى سهول موآب ، عبروا الاردن بقيادة يشوع وباشروا فتح أرض الميعاد ، ووزّعوها على الاسباط .

تحتوي هذه الروايات على جوهر حقيقي ، لكن طابعها الملحمي يدعونا الى عدم التمسّك بجميع تفاصيلها .

يفيد هذا السفر بأن الخلاص أكيد : فإن الله يخلّص شعبه من الكنعانيين كما خلّصه فيما مضى من المصريين .

١. فتح أرض الميعاد

بعد أن أعدّ الله شعباً له مع الآباء وأنشأه في سيناء ، أراد أن يعطيه أرض الميعاد .

١. يشوع يخلف موسى

يعد الله يشوع بأن يكون معه ، كما كان مع موسى .

١ [١] وكانَ بَعدَ وَفاةِ موسى ، عَبدِ الرَّبّ ، أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشوعَ بنَ نون ، مُساعِدَ موسى ، قائِلاً : [٢] «إِنَّ موسى عَبْدي قد مات ، فقُمِ الآنَ وٱعبُرِ الأُردُنَّ هذا ، أَنتَ وكُلُّ هذا الشَّعْب ، إِلى الأَرضِ الَّتي أَنا مُعْطيها لِبَني إِسْرائيل . [٣] كُلُّ مَكانٍ تَطَأُه أَخامِصُ أَقْدامِكم لكم أَعطَيتُه ، كما قُلتُ

لِموسى ، [٥]فلا يَقِفُ أَحَدٌ أَمامَكَ طولَ أَيَّامِ حَياتِكَ. كما كُنتُ مع موسى أَكونُ مَعَكَ[(١)] ، لا أُهمِلُكَ ولا أَترُكُكَ.

[٦]تَشَدَّدْ وتَشَجَّعْ، فإِنَّكَ أَنتَ تورِثُ هذا الشَّعبَ الأَرضَ الَّتي أَقسَمتُ لِآبائِه أَن أُعطِيَهم إِيَّاها .

٢. عبور الاردن والدخول الى كنعان

٣ [١]فبَكَّرَ يَشوعُ في الصَّباح ، ورَحَلَ مِن شِطِّيم ، وأَقبَلَ إِلى الأُردُنِّ هو وجَميعُ بَني إِسْرائيل ، وباتوا هُناكَ قَبلَ أَن يَعبُروا . [٢]وكانَ بَعدَ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ أَن عَبَرَ الكَتَبَةُ في وَسَطِ المُخَيَّم ، [٣]وأَمَروا الشَّعبَ قائلين : «إِذا رأَيتُم تابوتَ عَهدِ الرَّبِّ إِلهِكم والكَهَنَةَ اللاَّوِيِّينَ يَحمِلونَه ، فآرحَلوا مِن مَكانِكم وآتَّبعوه . [٤]ولكِن ، لِيَكُنْ بَينَكم وبَينَه نَحوُ أَلفَي ذِراعٍ مِنَ المَسافة[(٢)] ، ولا تَدْنوا مِنه[(٣)] . وذلك لِتَعرِفوا الطَّريقَ الَّتي تَسيرونَ فيها ، لِأَنَّكم لم تَسلُكوها بِالأَمْسِ فما قَبلُ» . [٥]وقالَ يَشوعُ لِلشَّعْب : «تَقَدَّسوا[(٤)] ، لِأَنَّ الرَّبَّ في غَدٍ يَصنَعُ في وَسْطِكم عَجائب» . [٦]وكَلَّمَ يَشوعُ الكَهَنَةَ قائِلاً :

(١) يتّصل عمل يشوع بعمل موسى . اسم يشوع واسم يسوع شيء واحد ، ويعني «الله يخلّص» . ويشوع هو «صورة» ليسوع .
(٢) ألفا ذراع = نحو ٩٠٠ متر .
(٣) نتذكّر دعوة موسى : «لا تقتربْ . . .» . فتابوت العهد مقدّس كأرض سيناء .
(٤) كونوا في الاستعداد الداخلي اللازم لقبول تجلّي الحضور الإلهي .

«إِحمِلوا تابوتَ العَهْدِ وآعبُروا أَمامَ الشَّعْب». فحَمَلوا تابوتَ العَهْدِ وساروا أَمامَ الشَّعْب.

[7]فقالَ الرَّبُّ لِيَشوع: «في هذا اليَومِ أَبدأُ بِتَعْظيمِكَ في عُيونِ إِسْرائيلَ كُلِّه، حتَّى يَعلَمَ أَنِّي كما كُنتُ مع موسى أَكونُ معَكَ. [8]وأَنتَ فمُرِ الكَهَنَةَ حامِلي تابوتِ العَهْدِ قائِلاً: إِذا وَصَلتُم إِلى ضَفَّةِ مِياهِ الأُردُنّ، فقِفوا في الأُردُنّ». [9]وقالَ يَشوعُ لِبَني إِسْرائيل: «اِقتَرِبوا وآسمَعوا كَلامَ الرَّبِّ إِلهِكم». [10]وقالَ يَشوع: «بِهذا تَعلَمونَ أَنَّ اللهَ الحَيَّ هو في وَسْطِكم وأَنَّه يَطرُدُ مِن وَجهِكُمُ الكَنعانِيَّ والحِثِّيَّ والحُوِّيَّ والفَرِزِّيَّ والجِرجاشِيَّ والأَمورِيَّ واليَبوسِيّ. [11]هوَذا تابوتُ عَهدِ رَبِّ الأَرْضِ كُلِّها عابِرٌ قُدَّامَكم في الأُردُنّ. [12]والآنَ فخُذوا لكُمُ آثنَي عَشَرَ رَجُلاً مِن أَسْباطِ إِسْرائيل، مِن كُلِّ سِبطٍ رَجُلاً. [13]ويَكونُ عِندَ وَضعِ أَخامِصِ أَقْدامِ الكَهَنَة، حامِلي تابوتِ عَهدِ الرَّبِّ، سَيِّدِ الأَرضِ كُلِّها، في مِياهِ الأُردُنّ، أَنَّ مِياهَ الأُردُنِّ تَنفَلِق، والمِياهَ المُنحَدِرَةَ مِن عالِيَةِ النَّهرِ تَقِفُ كُتلَةً واحِدة».

[14]فلَمَّا رَحَلَ الشَّعبُ مِن خِيامِه لِيَعْبُرَ الأُردُنّ، كانَ الكَهَنَةُ حامِلينَ تابوتَ العَهْدِ قُدَّامَ الشَّعْب. [15]فلَمَّا وَصَلَ حامِلو التَّابوتِ إِلى الأُردُنّ ووَطِئَت أَقْدامُ الكَهَنَةِ، حامِلي التَّابوت، ضَفَّةَ المِياه - والأُردُنُّ طافِحٌ مِن جَميعِ شُطوطِه كُلَّ أَيَّامِ الحِصاد - [16]وَقَفَ الماءُ المُنحَدِرُ مِن عالِيَةِ النَّهر، وقامَ كُتلَةً واحِدَة، على مسافةٍ كَبيرَةٍ عِندَ مَدينَةِ أَدامَ بِالقُربِ مِن صَرْتان، والماءُ المُنحَدِرُ إِلى بَحرِ عَرَبَة، بَحرِ المِلْح، اِنقَطَعَ تَماماً، وعَبَرَ الشَّعبُ قُبالَةَ أَريحا. [17]فوَقَفَ الكَهَنَةُ، حامِلو تابوتِ عَهدِ الرَّبّ، على اليَبَسِ في

وَسَطِ الأُرْدُنِّ راسِخين، وكُلُّ إِسْرائيلَ عابِرٌ على اليَبَس، حتَّى ٱنتَهَتِ الأُمَّةُ كُلُّها مِن عُبورِ الأُرْدُنّ(٥).

٤ [١]وكانَ لَمَّا ٱنتَهَتِ الأُمَّةُ كُلُّها مِن عُبورِ الأُرْدُنِّ أَنَّ الرَّبَّ كَلَّمَ يَشوعَ قائِلاً: «[٢]خُذوا لكم مِنَ الشَّعبِ ٱثنَي عَشَرَ رَجُلاً، مِن كُلِّ سِبطٍ رَجُلاً، [٣]ومُروهم قائلين: اِرفَعوا مِن ههُنا، مِن وَسَطِ الأُرْدُنّ، مِن مَوقِفِ أَرجُلِ الكَهَنَة، اِثنَي عَشَرَ حَجَراً، وٱعبُروا بِها وضَعوها في المَبيتِ الَّذي تَبيتونَ فيه اللَّيلَة». [٤]فدَعا يشوعُ الاثنَي عَشَرَ رَجُلاً الَّذينَ عَيَّنَهم مِن بَني إِسْرائيل، مِن كُلِّ سِبطٍ رَجُلاً، [٥]وقالَ لَهم يَشوع: «اُعبُروا قُدَّامَ تابوتِ الرَّبِّ إِلهِكم إِلى وَسَطِ الأُرْدُنّ، وٱرفَعوا كُلُّ رَجُلٍ مِنكم حَجَراً واحِداً على كَتِفِه، بِعَدَدِ أَسْباطِ بَني إِسْرائيل، [٦]لِيَكونَ ذلك عَلامَةً في وَسْطِكم. فإِذا سأَلَكم غَداً بَنوكم وقالوا: ما هذه الحِجارةُ لكم؟، [٧]تَقولونَ لَهم: إِنَّ مِياهَ الأُرْدُنِّ قدِ ٱنفَلَقَت أَمامَ تابوتِ عَهدِ الرَّبّ. عِندَ عُبورِه الأُرْدُنّ، اِنفَلَقَت مِياهُ الأُرْدُنّ. فتَكونُ هذه الحِجارَةُ ذِكراً لِبَني إِسْرائيلَ لِلأَبَد». فصَنَعَ كذلك بَنو إِسْرائيلَ على حَسَبِ ما أَمَرَهم يَشوع.

[١٩]وكانَ صُعودُ الشَّعبِ مِنَ الأُرْدُنِّ في اليَومِ العاشِرِ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّل، فخَيَّموا في الجِلْجال، في الحُدودِ الشَّرقِيَّةِ مِن أَريحا.

مع الدخول الى كنعان، تبتدئ رتبة الختان ويُحتفَل بالفصح الاول.

٥ [٢]في ذلك الزَّمان، قالَ الرَّبُّ لِيَشوع: «إِصنَعْ لَكَ سَكاكِينَ مِن

(٥) ان الطابع «الخلاصي» الذي يتّسم به هذا الحدث يبقى تاماً، ولو كنّا أمام انزلاق أرضي، كما جرى في ١٢٦٧.

صَوَّان ، وعُدْ إِلى خَتْنِ بَني إِسْرائيلَ مَرَّةً أُخْرى» . [٣]فصَنَع يَشوعُ سَكاكينَ مِن صَوَّان ، وخَتَنَ بَني إِسْرائيلَ على تَلِّ القُلَف .

[٨]ولَمَّا آنتَهَتِ الأُمَّةُ كُلُّها مِنَ الاختِتان ، أَقاموا مَكانَهم في المُخَيَّمِ إِلى أَن بَرِئوا . [٩]فقالَ الرَّبُّ لِيَشوع : «اليومَ رَفَعتُ عارَ المِصرِيِّينَ عنكُم» . فدُعِيَ ذلك المَكانُ الجِلْجالَ إِلى هذا اليَوم .

[١٠]وخَيَّمَ بَنو إِسْرائيلَ بِالجِلْجال ، وأَقاموا الفِصْحَ في اليَومِ الرابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ مساءً في سَهْلِ أَريحا . [١١]وأَكَلوا مِن غَلَّةِ الأَرضِ في الغَدِ بَعدَ الفِصْح : فَطيراً وفَريكاً ، في ذلك اليَومِ عَينِه . [١٢]فآنقَطَعَ المَنُّ مِنَ الغَد ، مُنذُ أَكَلوا مِن غَلَّةِ الأَرض[٦] ، فلَم يَكُنْ لِبَني إِسْرائيلَ مَنٌّ بَعدَ ذلك ، وأَكَلوا مِن غَلَّةِ أَرضِ كَنْعانَ في تِلكَ السَّنَة .

٣. الاستيلاء على رأس جسر أريحا

أراد يشوع أن يكون له موقع ثابت ما وراء الاردن ، فاختار أريحا . تتّسم الرواية بثقة تامة بالله (تطواف تابوت العهد) . يجوز الاعتقاد بأن هذا الشعور الديني رافق جهوداً بشرية بذلها يشوع (حَفْر خنادق الخ) .

٦ [١]وكانَت أَريحا مُغلَقَةً مُقفَلَةً بِسَبَبِ بَني إِسْرائيل ، ولم يَكُنْ أَحَدٌ يَخرُجُ مِنها ولا أَحَدٌ يَدخُلُها . [٢]فقالَ الرَّبُّ لِيَشوع : «أُنظُرْ ! إِنِّي قد أَسلَمتُ أَريحا ومَلِكَها إِلى يَدِكَ ، وهم مُحارِبونَ بَواسِل . [٣]تَطوفونَ حَولَ المَدينة ، جَميعُ رِجالِ القِتال ، مَرَّةً واحِدَة . هكذا تفعَلونَ سِتَّةَ أَيَّام . [٤]ويَحمِلُ سَبعةُ كَهَنَةٍ سَبعَةَ أَبواقٍ مِن قُرونِ الكِباشِ أَمامَ التَّابوت ، وفي

(٦) توقّف المَنّ يدل على نهاية حقبة تاريخية ، فالخروج من مصر قد انتهى .

اليَومِ السَّابعِ تَطوفونَ حَولَ المَدينةِ سَبعَ مَرَّات، ويَنفُخُ الكَهَنَةُ في الأَبواق. ٥ويَكونُ إِذا آمتَدَّ صَوتُ قَرنِ الكَبْش، إِذا سَمِعتُم صَوتَ البوق، أَنَّ كُلَّ الشَّعبِ يَهتِفُ هُتافاً شَديداً، فيَسقُطُ سورُ المَدينةِ في مَكانِه، فيَصعَدُ الشَّعبُ، كُلُّ واحِدٍ على وَجهِه.

٨فكانَ كما قالَ يَشوعُ لِلشَّعْب: سارَ سَبعَةُ كَهَنَةٍ حامِلينَ سَبعَةَ أَبواقٍ من قُرونِ الكِباشِ أَمامَ الرَّبّ، وعَبَروا ونَفَخوا في الأَبْواق، وتابوتُ عَهدِ الرَّبِّ سائِرٌ وَراءَهم، ٩والمُسَلَّحونَ سائِرونَ قُدَّامَ الكَهَنَةِ النَّافِخينَ في الأَبْواق، والمُؤَخَّرَةُ سائِرَةٌ وَراءَ التَّابوت، تَمْشي وتَنفُخُ في الأَبْواق.

١٠وأَمَرَ يَشوعُ الشَّعبَ قائِلاً: «لا تَهتِفوا ولا تُسمِعوا أَصواتَكم، ولا يَخرُجْ مِن أَفْواهِكم كَلِمَةٌ إِلى يَومِ أَقولُ لَكم: اِهتِفوا، فتَهتِفون».

١١فطافَ تابوتُ الرَّبِّ حَولَ المَدينةِ مَرَّةً واحِدة، ثُمَّ عادوا إِلى المُخَيَّم، وباتوا في المُخَيَّم. ١٢ثُمَّ بَكَّرَ يَشوعُ في الصَّباح، وحَمَلَ الكَهَنَةُ تابوتَ الرَّبّ، ١٣والسَّبعَةُ الكَهَنَةُ، حامِلو سَبعةِ أَبْواقٍ مِن قُرونِ الكِباشِ قُدَّامَ تابوتِ الرَّبّ، يَسيرونَ ويَنفُخونَ في الأَبْواق، والمُسَلَّحونَ سائِرونَ أَمامَهم، والمُؤَخَّرةُ سائِرةٌ وَراءَ تابوتِ الرَّبّ، تَمْشي وتَنفُخُ في الأَبواق.

١٤في اليَومِ الثَّاني، طافوا حَولَ المَدينَةِ مَرَّةً واحِدَة، ثُمَّ عادوا إِلى المُخَيَّم. وفَعَلوا كذلك سِتَّةَ أَيَّام. ١٥ولَمَّا كانَ اليَومُ السَّابِع، بَكَّروا عِندَ طُلوعِ الفَجْر، وطافوا حَولَ المَدينةِ على هذا المِنْوالِ سَبعَ مَرَّات. في ذلكَ اليَومِ فقَط طافوا حَولَ المَدينةِ سَبعَ مَرَّات. ١٦فلَمَّا كانَتِ المَرَّةُ السَّابِعة، نَفَخَ الكَهَنَةُ في الأَبْواق. فقالَ يَشوعُ لِلشَّعْب: «اِهتِفوا، فقَد أَسلَمَ الرَّبُّ المَدينَةَ إِلَيكم.

[١٧] ولْتَكُنِ المَدينَةُ بِكُلِّ ما فيها مُحَرَّمةً(٧) لِلرَّبّ ، ولكِنَّ راحابَ الزَّانِيَةَ تَحْيا وجَميعَ مَن معَها في بَيتِها ، لِأَنَّها أَخفَتِ الرَّسولَينِ اللَّذَينِ بَعَثْناهُما . [١٨] أَمَّا أَنتُم فآحذَروا المُحَرَّمَ لِئَلاَّ تَستَهوِيَكمُ الشَّهوَةُ فتأخُذوا شَيئاً مِنَ المُحَرَّم ، فتَجعَلوا مُخَيَّمَ إِسْرائيلَ مُحَرَّماً وتَجلُبوا لَه النَّحْس . [١٩] وكُلُّ فِضَّةٍ وذَهَبٍ وآنِيَةِ نُحاسٍ أَو حَديد ، فهو قُدسٌ لِلرَّبّ ، يَدخُلُ خِزانَةَ الرَّبّ» .

[٢٠] فهَتَفَ الشَّعبُ ونَفَخَ في الأَبْواق ، فكانَ عِندَ سَماعِ الشَّعبِ صَوتَ البوق أَنَّ الشَّعبَ هَتَفَ هُتافاً شَديداً ، فسَقَطَ السُّورُ في مَكانِه . فصَعِدَ الشَّعبُ إِلى المَدينَة ، كُلُّ واحِدٍ على وَجهِه ، وآستَولَوا على المَدينَة . [٢١] وحَرَّموا كُلَّ ما في المَدينةِ مِنَ الرَّجُلِ وحَتَّى آلمَرأَة ، ومِنَ الشَّابِّ وحَتَّى الشَّيخ ، حتَّى البَقَرَ والغَنَمَ والحَمير ، فقَتَلوهم بِحَدِّ السَّيف .

٤. العهد المقطوع بين اسرائيل وبني جبعون

بعد الاستيلاء على أريحا ، كان دور العيّ . فخاف سكّان جبعون واستطاعوا بالاحتيال أن ينجوا من التحريم .

٥. معركة جبعون

هوجم بنو جبعون من قِبل تحالف كنعاني ، فاستنجدوا بيشوع الذي أصبح حليفهم .

١٠ [٦] فأَرسَلَ أَهلُ جِبْعونَ إِلى يَشوع ، إِلى المُخَيَّم بِالجِلْجال ، قائلين : «لا تَرفَعْ يَدَكَ عن عَبيدِكَ ، بَلِ آصعَدْ إِلَينا عاجلاً فخَلِّصْنا وآنصُرْنا ، فإِنَّه قد تَجَمَّعَ علَينا جَميعُ مُلوكِ الأَمورِيِّين ، سُكَّانُ الجَبَل» . فصَعِدَ يَشوعُ مِنَ

(٧) التحريم عمل من أعمال الحرب المقدسة ، يُلزم بعدم الاستفادة من أي غنيمة : تُقتل الكائنات الحية ، ويُقدَّم المعدن الثمين لمعبد الإله .

الجِلْجال، هو وجَميعُ المُحارِبينَ البَواسِلِ معَه وكُلُّ رِجالِ القِتال. [٨]فقالَ الرَّبُّ لِيَشوع: «لا تَخَفْ مِنهم، فإِنِّي قد أَسلَمتُهم إِلى يَدِكَ، فلا يَقِفُ أَحَدٌ مِنْهم في وَجْهِكَ». [٩]فزَحَفَ إِلَيهم يَشوعُ بَغتَةً، وكانَ قد قَضى اللَّيلَ كُلَّه صاعِداً مِنَ الجِلْجال.

[١٠]فهَزَمَهمُ الرَّبُّ أَمامَ إِسْرائيل، وضَرَبَهم ضَربةً شَديدةً في جِبْعون، وطارَدَهم في طريقِ عَقَبَةِ بَيتَ حورون، وضَرَبَهم حَتَّى عَزيقةَ وحَتَّى مَقِّيدة. [١١]وفيما هم مُنهَزِمونَ مِن أَمامِ إِسْرائيل، وهم في مُنحَدَرِ بَيتَ حورون، رمَاهُمُ الرَّبُّ بِحِجارةٍ ضَخْمَةٍ مِنَ السَّماءِ حَتَّى عَزيقةَ فماتوا، وكانَ الَّذينَ ماتوا بِحِجارَةِ البَرَدِ أَكثَرَ مِنَ الَّذينَ قَتَلَهم بَنو إِسْرائيلَ بِالسَّيف. [١٢]حينَئِذٍ كَلَّمَ يَشوعُ الرَّبَّ، يَومَ أَسلَمَ الرَّبُّ الأَمورِيِّينَ بَينَ أَيدي بني إِسْرائيل، فقالَ أَمامَ عُيونِ إِسْرائيل:

«يا شَمسُ، قِفي على جِبْعون
ويا قَمَرُ على وادي أَيَّالون»

[١٣]فوَقَفَتِ الشَّمسُ وثَبَتَ القَمَر، إِلى أَنِ آنتَقَمَتِ الأُمَّةُ مِن أَعْدائِها(٨)، أَوَلَيسَ ذلك مَكْتوباً في سِفر المُستَقيم؟(٩) فوَقَفَتِ الشَّمْسُ في كَبِدِ السَّماء، وأَبطَأَت عنِ الغُروبِ نَحوَ يَومٍ كامِل. [١٤]ولم يَكُنْ مِثلُ ذلك اليَومِ قَبلَه ولا بَعدَه سَمِعَ فيه الرَّبُّ لِصَوتِ إِنْسان، لِأَنَّ الرَّبَّ قاتَلَ عن إِسْرائيل. [١٥]ثُمَّ رَجَعَ يَشوعُ وكُلُّ إِسْرائيلَ معَه إِلى مُخَيَّمِ الجِلْجال.

(٨) مقطع ملحمي. يجب ألاَّ نفهمه بحرفيته. يشوع لم «يوقف الشمس».
(٩) مجموعة شعرية.

٢. توزيع أرض الميعاد

لقد كان فتح أرض الميعاد أبطأ بكثير ممَّا يُستخلَص من سفر يشوع. ففي عهد شاول، لم يكن قد تمَّ. ولذلك فالتوزيع الوارد ذكره في القسم الثاني من السِفر هو بالاحرى توجيه مثالي أكثر مما هو حقيقة. يذكر الكاتب فيه المدن الرئيسية والحدود، في شرق الاردن وفي غربه. نكتفي هنا باختيار ما ورد في مَسْح الأرض لاسباط عبر الأردن وانشاء مدن الملجأ ومدن اللاويين.

١. مَسْح الارض في عِبر الاردن

١٨ [١]واَجتَمَعَت جَماعةُ بَني إِسْرائيلَ كُلُّها في شيلو، ونَصَبوا هُناكَ خَيمَةَ المَوعِد[١٠]، وأُخضِعَتِ الأَرضُ قُدَّامَهم. [٢]وبَقِيَ مِن بَني إِسْرائيلَ سَبعَةُ أَسْباطٍ لم تَنَلْ ميراثَها. [٣]فقالَ يَشوعُ لِبَني إِسْرائيلَ: «إِلى مَتى أَنتُم مُتَهامِلونَ عنِ الدُّخولِ لِاَمتِلاكِ الأَرضِ الَّتي أَعْطاكُم إِيَّاها الرَّبُّ إِلهُ آبائِكم؟ [٤]خُذوا لكم مِن كُلِّ سِبطٍ ثَلاثَةَ رِجال، فأُرسِلَهم فيَنهَضونَ ويَسيرونَ في الأَرضِ ويَمْسحونَها بِحَسَبِ ميراثِهم، ثُمَّ يَرجِعونَ إِلَيَّ. [٥]يُقَسِّمونَها سَبعَةَ أَقْسام، فيُقيمُ يَهوذا في أَرضِه جَنوباً، وبَيتُ يوسُفَ في أَرضِهِم شَمالاً. [٦]وأَنتُم تَمسَحونَ الأَرضَ سَبعَةَ أَنصِبَة، وتَعودونَ إِلَيَّ بِهذا المَسْحِ إِلى ههُنا، حَتَّى أُلقِيَ لَكُمُ القُرعَةَ أَمامَ الرَّبِّ إِلهِنا. [٧]فإِنَّ اللاَّوِيِّينَ لَيسَ لَهم نَصيبٌ بَينَكم، لِأَنَّ كَهَنوتَ الرَّبِّ هو ميراثُهم. وأَمَّا جادٌ ورَأُوبينُ ونِصفُ سِبطِ مَنَسَّى، فقد أَخَذوا في شَرقيِّ عِبرِ الأُردُنِّ ميراثَهمُ الَّذي أَعْطاهم إِيَّاه موسى، عَبدُ الرَّبّ».

[٨]فقامَ القَومُ ومَضَوا وأَوصى يَشوعُ الذَّاهِبينَ لِمَسْحِ الأَرضِ قائِلاً:

(١٠) مركز إسرائيل الديني ليس هو إذاً الجلجال، بل شيلو.

«أُمْضوا فسيروا في الأَرضِ وآمْسَحوها، وعودوا إِلَيَّ حتَّى أُلقِيَ القُرعَةَ بَينَكم ههُنا أَمامَ الرَّبِّ في شيلو». [9] فمَضى القَومُ وجالوا في الأَرضِ ومَسَحوها، بِحَسَبِ المُدُن، سَبعَةَ أَقْسامٍ في كِتابٍ وعادوا إِلى يَشوعَ، إِلى المُخَيَّمِ في شيلو. [10] فأَلْقى لَهم يَشوعُ القُرعَةَ في شيلو أَمامَ الرَّبّ، ووَزَّعَ هُناكَ الأَرضَ على بَني إِسْرائيلَ بِحَسَبِ أَنصِبَتِهم.

٢. مدن الملجأ

المقصود بهذه المدن أن يكون هناك ملجأ للقاتل بغير قصد.

٢٠ [1] وخاطَبَ الرَّبُّ يَشوعَ قائِلاً: [2] «كَلِّمْ بَني إِسْرائيلَ وقُلْ لَهم: إِجعَلوا لكم مُدُنَ المَلجَإِ الَّتي كَلَّمتُكم بِها على لِسانِ موسى، [3] حتَّى يَهرُبَ إِلَيها كُلُّ قاتِلٍ قَتَلَ نَفْساً سَهْواً بِغَيرِ قَصْد، فتَكونَ لكم مَلجَأً مِنَ المُنتَقِمِ لِلدَّم. [4] يَهرُبُ القاتِلُ إِلى واحِدَةٍ مِن هذه المُدُن، ويَقِفُ بِمَدخَلِ بابِ المَدينة، ويَتَكَلَّمُ على مسامِعِ شُيوخِها في شَأْنِه، فيَضُمُّونَه إِلَيهم في المَدينة، ويُعْطونَه مَكاناً فيُقيمُ معَهم. [5] فإِذا طارَدَه المُنتَقِمُ لِلدَّم، فلا يُسلِمونَ القاتِلَ إِلى يَدِه، لِأَنَّه قَتَلَ قَريبَه بِغَيرِ قَصْدٍ ولم يَكُنْ مُبغِضاً لَه مِن أَمسِ فما قَبلُ. [7] ويُقيمُ في تِلكَ المَدينةِ إِلى حينِ وقُوفِه أَمامَ الجَماعةِ لِلمُحاكمة (إِلى أن يَموتَ عَظيمُ الكَهَنَةِ الَّذي يَكونُ في تِلكَ الأَيَّام[11]. فحينَئِذٍ يَعودُ القاتِلُ إِلى مَدينَتِه وأَهلِه، إِلى المَدينةِ الَّتي هَرَبَ مِنها)».

(١١) كان موت عظيم الكهنة مناسبة لنوع من العفو العام.

٣. مدن اللاويين

بما أن سبط لاوي مكرَّس لله ، فلا ميراث له . لكن للاويين حقاً في الإقامة في بعض المدن وفي بعض المراعي .

٢١ [١]وتَقَدَّمَ رُؤَساءُ آباءِ اللاوِيِّينَ إلى أَلِعازارَ الكاهِنِ وإلى يَشوعَ بنِ نونٍ ورُؤَساءِ الآباءِ في أَسْباطِ بَني إِسْرائيل ، [٢]وكَلَّموهم في شيلو ، في أَرضِ كَنْعان ، قائِلين : «إِنَّ الرَّبَّ قد أَمَرَ على لِسانِ موسى بِأَن نُعْطى مُدُناً لِلسُّكْنى مع مَراعيها لِبَهائِمِنا» . [٣]فأَعطى بَنو إِسْرائيلَ اللاوِيِّينَ مِن ميراثِهم ، على حَسَبِ أَمرِ الرَّبّ ، هذه المُدُنَ ومَراعِيَها .

٣. تجديد العهد في شكيم

قبل أن يموت يشوع ، دعا الاسباط الى شكيم . من الراجح أن انضمّ إليهم بعض المجموعات التي لم تشارك في الخروج من مصر وبالتالي ليست من الشعب المختار من الناحية الدينية . وبعد أن ذكر يشوع كيف أن الرب اختار اسرائيل وخلّصه ، دعا الحاضرين الى الاختيار بين إله موسى والآلهة الوثنية . اختارت الجماعة الربَّ فجُدِّد العهد . سيحافظ الرباط الديني بعد اليوم على وحدة وثيقة بين جميع أولئك الناس المدعوّين الى تاريخ مضطرب جداً ، وهذه الوحدة ، حتى بعد الانشقاق ، ستبقى المثال الاعلى عند الجميع .

٢٤ [١]وجَمَعَ يَشوعُ جَميعَ أَسْباطِ إِسْرائيلَ في شكيم [(١٢)] ، وٱستَدْعى شُيوخَ إِسْرائيلَ ورُؤَساءَهم وقُضاتَهم وكَتَبَتَهم ، فمَثَلوا أَمامَ الرَّبّ . [٢]فقالَ يَشوعُ لِكُلِّ الشَّعْب : «هكذا قالَ الرَّبُّ ، إِلهُ إِسْرائيل : في

(١٢) لا شك أنهم اختاروا شكيم بسبب موقعها المركزي ونظراً إلى الذكريات الدينية العائدة إليها . فلقد نصب إبراهيم فيها مذبحاً ، وطلب يعقوب في هذا المكان الانفصال عن الاصنام البيتية .

عِبرِ النَّهْرِ سَكَنَ آباؤُكم مِن قَديم ، تارَحُ أَبو إِبْراهيمَ وأَبو ناحور ، وعَبَدوا آلِهَةً أُخْرى(١٣) . فأَخَذتُ إِبْراهيمَ أباكم مِن عِبرِ النَّهْرِ(١٤) ، وسَيَّرتُه في كُلِّ أَرضِ كَنْعان ، وكَثَّرتُ نَسلَه ورَزَقتُه إِسحق. ٤ورزَقتُ إِسحقَ يَعْقوبَ وعيسو ، وأَعطَيتُ عيسُوَ جَبَلَ سِعيرَ لِيَرِثَه ، ويَعْقوبُ وبَنوه نَزَلوا إِلى مِصْر. ٥فأَرسَلتُ موسى وهارون ، وضَرَبتُ مِصرَ بِما فَعَلتُ في وَسْطِها ، وبَعدَ هذا أَخرَجتُكم. ٦فأَخرَجتُ آباءَكم مِن مِصْر ، ودَخَلتُمُ البَحْرَ، فطارَدَ المِصرِيُّونَ آباءَكم بِالمَركَباتِ والفُرْسانِ إِلى بَحرِ القَصَب . ٧فصَرَخوا إِلى الرَّبّ ، فجَعَلَ بَينَهم وبَينَ المِصرِيِّينَ ظُلمَة ، ثُمَّ رَدَّ البَحرَ علَيهم فغطَّاهم . وقد رَأَت عُيونُكم ما فَعلتُ في مِصْرَ، وأَقَمتُم بِالبَرِّيَّةِ أَيَّاماً كَثيرة . ٨ثُمَّ دَخَلتُ بِكم أَرضَ الأَمورِيِّينَ السَّاكِنينَ في عِبرِ الأُردُنّ ، فحارَبوكم فأَسلَمتُهم إِلى أَيديكم ووَرِثتُم أَرضَهم واستأصَلتُهم مِن أَمامِكم . ٩فقامَ بالاقُ بنُ صِفُّور ، مَلِكُ موآب ، وحارَبَ إِسْرائيل ، وأَرسَلَ فدَعا بِلْعامَ بنَ بَعور لِيَلعَنَكم . ١٠فأَبَيتُ أَن أَسمعَ لِبِلْعام ، فبارَكَكم وأَنقَذْتُكم مِن يَدِه .

١١ثُمَّ عَبَرتُمُ الأُردُنَّ ووَصَلتُم إِلى أَريحا ، فحارَبَكم أَهلُ أَريحا ، الأَمورِيُّونَ والفَرِزِّيُّونَ والكَنْعانِيُّونَ والحِثِّيُّونَ والجِرجاشِيُّونَ والحُوِّيُّونَ واليَبوسِيُّون ، فأَسلَمتُهم إِلى أَيديكم . ١٢وأَرسَلتُ قُدَّامكمُ الزَّنابير ، فطَرَدتُ مَلِكَي الأَمورِيِّينَ مِن أَمامِكم ، لا بِسَيفِكَ ولا بِقَوسِك . ١٣وأَعطَيتُكم أَرضاً لم تَتعَبْ فيها ومُدُناً لم تَبنِها ، فأَقَمتُم بها ، وكُروماً

(١٣) كان إبراهيم وثنياً ، قبل أن يُدعى إلى الإيمان .
(١٤) عِبري مشتقّة من «عِبْر» ، أي ما وراء .

وزَيتوناً لم تَغرِسوها ، وأَنتُم تَأكُلونَها(١٥) .

١٤ والآنَ آتَّقوا الرَّبَّ وآعبُدوه بِكَمالٍ ووَفاء ، وأَبعِدوا الآلِهَةَ الَّتي عَبَدَها آباؤُكم في عِبرِ النَّهرِ وفي مِصْرَ ، وآعبُدوا الرَّبّ . ١٥ وإِن ساءَ في أَعيُنِكم أَن تَعبُدوا الرَّبّ ، فآخْتاروا(١٦) لكمُ اليَومَ مَن تَعبُدون : إِمَّا الآلِهَةَ الَّتي عَبَدَها آباؤُكم في عِبرِ النَّهْرِ ، أَو آلِهَةَ الأَمورِيِّينَ الَّذينَ أَنتُم مُقيمونَ بِأَرضِهم . أَمَّا أَنا وبَيتي فنَعبُدُ الرَّبّ» .

١٦ فأَجابَ الشَّعْبُ وقال : «حاشَ لَنا أَن نَترُكَ الرَّبَّ ونَعبُدَ آلِهَةً أُخْرى ، ١٧ لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنا هو الَّذي أَصعَدَنا ، نَحنُ وآباءَنا ، مِن أَرضِ مِصْر ، مِن دارِ العُبودِيَّة ، والَّذي صَنَعَ أَمامَ عُيونِنا تِلكَ الآياتِ العَظيمَة ، وحَفِظَنا في كُلِّ الطَّريقِ الَّذي سَلَكْناه وبَينَ جَميعِ الشُّعوبِ الَّتي عَبَرْنا في وَسْطِها . ١٨ وقد طَرَدَ الرَّبُّ مِن أَمامِنا جَميعَ الشُّعوبِ والأَمورِيِّينَ السَّاكِنينَ في الأَرْض . فنَحنُ أَيضاً نَعبُدُ الرَّبَّ لِأَنَّه إِلهُنا» .

١٩ فقالَ يَشوعُ لِلشَّعْب : «لا تَستَطيعونَ أَن تَعبُدوا الرَّبَّ ، لِأَنَّه إِلهٌ قُدُّوس ، إِلهٌ غَيور ، لا يَصبِرُ على مَعاصيكم وخَطاياكم ، ٢٠ لِأَنَّكم ، إِذا تَرَكتُمُ الرَّبَّ وعَبَدتُم آلِهَةً غَريبة ، يَنقَلِبُ علَيكم ويُسيءُ إِلَيكم ويُفْنيكم ، بَعدَ ما كانَ قد أَحسَنَ إِلَيكم» .

٢١ فقالَ الشَّعبُ لِيَشوع : «كَلاَّ ، بلِ الرَّبَّ نَعبُد» . ٢٢ فقالَ يَشوعُ لِلشَّعْب : «أَنتُم شُهودٌ على أَنفُسِكم أَنَّكم قدِ آختَرتُم لِأَنفُسِكُمُ الرَّبَّ

(١٥) في هذا الملخَّص الرائع لتاريخ اسرائيل من إبراهيم الى يشوع ، يرى المفسّرون ، ولا سيّما في الخاتمة ، طابع تثنية الاشتراع .

(١٦) كل حياة دينية عميقة تفترض الاختيار .

لِتَعْبُدوه» . فقالوا : «نَحنُ شُهود» . [٢٣]فقال : «والآنَ أَبعِدوا الآلِهَةَ الغَريبَةَ الَّتي في وَسْطِكم[(١٧)] ، وأَميلوا قُلوبَكم إِلى الرَّبِّ ، إِلهِ إِسْرائيل» . [٢٤]فقالَ الشَّعبُ لِيَشوع : «الرَّبَّ إِلهَنا نَعبُد ولِصَوتِه نَسْمَع» .

[٢٥]فقَطَعَ يَشوعُ لِلشَّعبِ عَهداً في ذلك اليَوم ، وجَعَلَ لَهم فَريضةً وحُكْماً في شَكيم . [٢٦]وكَتَبَ يَشوعُ هذا الكَلامَ في سِفرِ توراةِ الله ، وأَخَذَ حَجَراً كبيراً ونَصَبَه هُناكَ تَحتَ البَلُّوطَةِ الَّتي عِندَ مَقدِسِ الرَّبّ . [٢٧]وقالَ يَشوعُ لِكُلِّ الشَّعْب : «هذا الحَجَرُ يَكونُ شاهِداً علَينا ، لِأَنَّه قد سَمِعَ جَميعَ أَقوالِ الرَّبِّ الَّتي كَلَّمَنا بها ، فيَكونُ علَيكم شاهِداً ، لِئَلاَّ تُنكِروا إِلهَكم» . [٢٨]ثُمَّ صَرَفَ يَشوعُ الشَّعبَ ، كُلَّ واحِدٍ إِلى ميراثِه .

[٢٩]وكانَ بَعدَ هٰذه الأَحداثِ أن ماتَ يَشوعُ بنُ نون ، عَبدُ الرَّبّ ، وهو آبنُ مِئَةٍ وعَشْرِ سِنين .

[٣٢]وعِظامُ يوسُفَ الَّتي أَصعَدَها بَنو إِسْرائيلَ مِن مِصرَ دَفَنوها في شَكيم[(١٨)] ، في قِطعَةِ الحَقلِ الَّذي آشتَراه يَعْقوبُ مِن بَني حَمور ، أَبي شَكيم ، بِمِئَةِ قَسيطة ، وصارَت عِظامُ يوسُفَ ميراثاً لِبَنيه .

(١٧) فهناك إذاً مجموعات تميل إلى التواطؤ مع الوثنية .

(١٨) راجع مشهد السامرية في الإنجيل الرابع (يو ٤/٥) .

سِفر القُضَاة

يروي لنا هذا السِفر عدداً من الاحداث تلي حقبة يشوع (١١٨٠ – ١٠٣٥). تحاول الاسباط فتح الاراضي التي عُيِّنت لكل واحد منها. لكن عند الكنعانيين سلاحاً يجعلهم أسياد السهول. فلم يستطع الاسرائيليون أن يحتلّوا سوى الاراضي الجبلية. فمن هنا التقسيم **السياسي** الذي يمتاز به مطلع هذه الحقبة التاريخية. وفي وقت لاحق، تقوم محاولات لإعادة الوحدة، وتسير الاسباط نحو الحكم الملكي والى عهد شاول.

ولهذه الحقبة أهمية كبرى للشعب المختار في الحقل **الاجتماعي والديني**. فبعد أن كان بنو إسرائيل بدواً، أخذوا يستقرّون وينصرفون إلى الزراعة. وسيأخذون ذلك عن الكنعانيين. ومن هنا العلاقات الدائمة معهم والقرانات المختلطة التي نتجت عنها. والى جانب ذلك، فإن الديانة الكنعانية كانت توافق نزعات بني إسرائيل الفطرية، من دين الخِصب، وأخلاقية متساهلة جداً، وتمثيل حِسّي للإله. ولذلك لا يظهر التوحيد المشدَّد في هذه الحقبة إلاّ قليلاً.

أَمّا السِفر نفسه، فإنه قليل «التركيب». فهو يحتوي خاصة على قصص تُروى في صيغة شعبية أو ملحمية. وسيقوم محرِّر من محرِّري تثنية الاشتراع ويعرض العِبَر اللاهوتية التي تُستخلص من كل هذه الامور.

١. نظرة عامة الى هذه الحقبة

منذ مطلع السِفر، يُلفَت نظرنا الى ان هذه الحقبة كانت حافلة بالنكبات على الصعيد الديني: فلقد ترك اسرائيل التوحيد وعبد الآلهة الكنعانية. ويفسّر المحرّر النكبات السياسية – هجمات الكنعانيين والبدو – كعقاب على عدم الامانة لله.

٢ [٧]عَبَدَ الشَّعبُ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامِ يَشوعَ وكُلَّ أَيَّامِ الشُّيوخِ الَّذينَ آمتَدَّت أَيَّامُهم إِلى ما بَعدَ يَشوع، ورأَوا كُلَّ أَعْمالِ الرَّبِّ العَظيمةِ الَّتي صَنَعَها إِلى إِسْرائيل. [٨]وتُوُفِّيَ يَشوعُ بنُ نون، عَبدِ الرَّبّ، وهو آبنُ مِئَةٍ وعَشرِ سِنين. [٩]ودُفِنَ في أَرضِ ميراثِه في تِمنَةَ حارسَ، في جَبَلِ أَفْرائيم، إِلى شَمالِ جَبَلِ جاعَش. [١٠]وآنضَمَّ ذلك الجيلُ كُلُّه إِلى آبائِه، ونَشَأَ مِن بَعدِه جيلٌ آخَرُ لا يَعرِفُ الرَّبَّ ولا ما صَنَعَ إِلى إِسْرائيل.

[١١]ففَعَلَ بَنو إِسْرائيلَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ وعَبَدوا البَعْل(١). [١٢]وتَركوا الرَّبَّ، إِلهَ آبائِهِم، الَّذي أَخرَجَهم مِن أَرضِ مِصرَ، وتَبِعوا(٢) آلِهَةً أُخْرى مِن آلِهَةِ الشُّعوبِ الَّتي حَولَهم وسَجَدوا لَها فأَسخَطوا الرَّبّ. [١٣]وتَرَكوا الرَّبَّ وعَبدوا البَعلَ والعَشْتاروت(٣). [١٤]وغَضِبَ الرَّبُّ على إِسْرائيلَ فأَسلَمَهم إِلى أَيدي السَّالِبينَ فسَلَبوهم، وباعَهم إِلى أَيدي أَعْدائِهِم الَّذينَ حَولَهم، ولم يَقدِروا بَعدَ ذلك أَن يَثبُتوا أَمامَ أَعْدائهم. [١٥]فكانوا حَيثُما خَرَجوا تَكونُ يَدُ الرَّبِّ علَيهم لِلشَّرّ، كما قالَ لَهمُ الرَّبّ، وكما أَقسَمَ الرَّبُّ لَهم، فضاقَ بِهِمِ الأَمرُ جِدًّا.

[١٦]فأَقامَ الرَّبُّ علَيهم قُضاة(٤)، فخَلَّصوهم مِن أَيدي السَّالِبين.

(١) ان البعل، الى جانب العشتاروت، هو أساس الآلهة الكنعانية. يعني اسمه «السيّد»، وهو إله العاصفة وإله الخِصب. كانت عبادته شعبية جداً. وفي صيغة الجمع، يعني اسمه «الآلهة».

(٢) حرفياً: «ساروا وراء».

(٣) العشتاروت، يقابلها في أشور عشتار، إلاهة الحب.

(٤) «القاضي» رئيس أقامه الله في ذلك الزمان للمحافظة على تراث اسرائيل القومي والديني.

[١٧]ولكِن لِقُضاتِهم أَيضاً لم يَسمَعوا، بل زَنَوا[(٥)] باتِّباعِهم آلِهَةً أُخْرى وسَجَدوا لَها، وسُرْعانَ ما حادوا عنِ الطَّريقِ الَّتي سَلَكها آباؤُهم طائعينَ وَصايا الرَّبّ، ولم يَصنَعوا مِثلَهم. [١٨]فلَمَّا أَقامَ الرَّبُّ علَيهم قُضاة، كانَ الرَّبُّ مع القاضي. فكانَ يُخَلِّصُهم مِن أَيدي أَعْدائِهم كُلَّ أَيَّامِ القاضي، لِأَنَّ الرَّبَّ رَئِفَ بأَنينِهم مِن ظالِميهم ومُضايِقيهم[(٦)]. [١٩]وإِذا ماتَ القاضي، كانوا يَرجِعونَ إِلى الفَسادِ أَكثَرَ مِن آبائِهم بِاتِّباعِهم آلِهَةً أُخْرى لِيَعبُدوها ويَسجُدوا لَها، ولم يَكُفُّوا عن مُمارَساتِهم وقَساوَةِ طَريقِهم.

[٢٠]فغَضِبَ الرَّبُّ على إِسْرائيلَ وقال: «بِما أَنَّ هذه الأُمَّةَ تَعَدَّت عَهْدِيَ الَّذي أَوصَيتُ به آباءَها ولم تَسمَعْ لِصَوتي، [٢١]فلا أَعودُ أَنا أَيضاً أَطرُدُ أَحَداً مِن أَمامِها، مِنَ الأُمَمِ الَّتي تَرَكَها يَشوعُ عِندَ وفاتِه، [٢٢]لِأَمتَحِنَ بِها إِسْرائيلَ فأَعلَمَ هل يَحفَظونَ طَريقَ الرَّبّ ويَسلُكونَها كما حَفِظَها آباؤُهم، أَم لا». [٢٣]فتَرَكَ الرَّبُّ تِلكَ الأُمَمَ ولم يَطرُدْها سَريعاً، ولم يُسلِمْها إِلى يَدِ يَشوع.

٢. قصص عن القضاة

القضاة هم في جوهرهم «مخلِّصون». أَقامهم الله رؤساء، فخلَّصوا، لا وجود الشعب المختار فقط، بل مثاله الاعلى. وبذلك كانوا صوراً للمسيح المخلّص.

(٥) «زَنَوا» بالمعنى الديني، أي كان قليل الامانة لله في أمر الإيمان.

(٦) عَرض ديني للاحداث في إطار ثنائي الوزن: اهمال فعقاب، وندامة فخلاص.

١. دبورة

كانت نبيّة تجري الحكم باسم الرب. فأقنعت أحداً من سبط نفتالي، وهو باراق، بمحاربة الكنعانيين ورئيسهم سيسرا.

٤ ١وعادَ بَنو إِسْرائيلَ فصَنَعوا الشَّرَّ في عَينَي الرَّبِّ بَعدَ مَوتِ أَهود(٧). ٢فباعَهمُ الرَّبُّ إِلى يَدِ يابين، مَلِكِ كَنْعانَ، الَّذي كانَ مَلِكاً بِحاصور. وكانَ قائدُ جَيشِه سيسَرا، وهو مُقيمٌ بِحَروشَتِ الأُمَم. ٣فصَرَخَ بَنو إِسْرائيلَ إِلى الرَّبّ، لِأَنَّه كانَت له تِسعُ مِئَةِ مَركَبةٍ مِن حَديد(٨)، وقد ضَيَّقَ على بَني إِسْرائيلَ بِشِدَّةٍ عِشْرينَ سَنَة.

٤وكانَت دَبورةُ، وهي نَبِيَّةٌ وزَوجَةُ لَفيدوت، مُتَوَلِّيَةً قَضاءَ بَني إِسْرائيلَ في ذلك الزَّمان. ٥وكانَت تَجلِسُ تَحتَ نَخْلَةِ دَبورَة، بَينَ الرَّامةِ وبَيتَ إِيل، في جَبَلِ أَفْرائيم، وكانَ بَنو إِسْرائيلَ يَصعَدونَ إِلَيها لِتَقضِيَ لَهم. ٦فأَرسَلَت ودَعَت باراقَ بنَ أَبينوعَم، مِن قادَشَ نَفتالي، وقالَت له: «أَلَيسَ أَنَّ الرَّبَّ إِلهَ إِسْرائيلَ قد أَمَرَ أَن: آمْضِ وجَنِّدْ في جَبَلِ تابور وخُذْ معَكَ عَشَرَةَ آلافِ رَجُلٍ مِن بَني نَفْتالي ومِن بَني زَبولون؟ ٧وأَنا أَستَدرِجُ إِلَيكَ سيسَرا، قائِدَ جَيشِ يابينَ ومَركَباتِه وجُندَه إِلى نَهرِ قيشون(٩)، وأُسلِمُه إِلى يَدِكَ». ٨فقالَ لَها باراق: «إِن أَنتِ آنطَلَقتِ معي آنطَلَقتُ، وإِن لم تَنطَلِقي فلا أَنطَلِق». ٩فقالَت لَه: «أَنطَلِقُ مَعكَ، غَيرَ أَنَّه لا يَكونُ لَكَ فَخْرٌ في الطَّريقِ الَّذي أَنتَ سالِكُه، فإِنَّ الرَّبَّ إِلى يَدِ آمرَأَةٍ

(٧) قاضٍ آخر، ورد ذكره فيما سبق.
(٨) تلك المركبات، وهي بمثابة مصفَّحات ذلك الزمان، كانت تمكّن الكنعانيّين من السيطرة على السهول.
(٩) سَيل في سهل يزرَعيل.

يُسلِمُ سيسَرا». وقامَت دَبورةُ فانطَلَقَت مع باراقَ إلى قادَش. [١٠]ودَعا باراقُ زَبولونَ ونَفْتالِيَ إلى قادَش وصَعِدَ ووَراءَه عَشَرَةُ آلافِ رَجُل، وصَعِدَت دَبورةُ معَه.

[١٢]فأُخبِرَ سيسَرا أَنَّ باراقَ بنَ أَبينوعَمَ صَعِدَ إلى جَبَلِ تابور. [١٣]فاستَدْعى سيسَرا جَميعَ مَركَباتِه، وهيَ تِسعُ مِئَةِ مَركَبةٍ مِن حَديد، وكُلَّ الشَّعبِ الَّذي عِندَه مِن حَروشَتِ الأُمَمِ إلى نَهرِ قيشون. [١٤]فقالَت دَبورةُ لِباراق: «قُمْ، فإِنَّ الرَّبَّ يُسلِمُ اليَومَ سيسَرا إلى يَدَيكَ، وهُوَذا الرَّبُّ يَخرُجُ أَمامَكَ». فنَزَلَ باراقُ مِن جَبَلِ تابور، ووَراءَه عَشَرَةُ آلافِ رَجُل. [١٥]وأَلْقى الرَّبُّ رُعباً على سيسَرا وجَميعِ مَركَباتِه، وقَتَلَ جَميعَ جَيشِه بِحَدِّ السَّيفِ أَمامَ باراق. فتَرَجَّلَ سيسَرا عن مَركَبَتِه وهَرَبَ راجِلاً. [١٦]فطارَدَ باراقُ مَركَباتِه وجَيشَه إلى حَروشَتِ الأُمَم، وسَقَطَ كُلُّ مَن كانَ في جَيشِه بِحَدِّ السَّيف، ولم يَبْقَ مِنهم باقٍ(١٠).

[١٧]وهَرَبَ سيسَرا راجلاً نَحوَ خَيمَةِ ياعيل، امرَأَةِ حابَرَ القَينِيّ، لِأَنَّه كانَت مُسالَمَةٌ بَينَ يابين، مَلِكِ حاصور، وآلِ حابَرَ القَينِيّ. [١٨]فخَرَجَت ياعيلُ لِاستِقْبالِ سيسَرا وقالَت له: «مِلْ يا سَيِّدي، مِلْ إِلَيَّ ولا تَخَفْ». فمالَ إِلَيها ودَخَلَ خَيمَتَها، فغَطَّته بِغِطاء. [١٩]فقالَ لَها: «اِسْقيني قَليلاً مِنَ الماء، فإِنِّي عَطْشان». ففَتَحَت زِقَّ اللَّبَنِ وسَقَته، ثُمَّ غَطَّته. [٢٠]فقالَ لَها: «قِفي على بابِ الخَيمَة، فإِن أَتاكِ أَحَدٌ وسأَلَكِ: أَههُنا أَحَد فقولي: لا». [٢١]لكِنَّ ياعيلَ، امرَأَةَ حابَر، أَخَذَت وَتَداً مِن أَوتادِ الخَيمَة، وأَخَذَتِ

(١٠) مبالغة لا تؤخذ على حرفيتها.

المِطرَقَةَ بِيَدِها وسارَت إِلَيه بِهُدوء وضَرَبَتِ الوَتَدَ في صُدغِه حتَّى آنغَرَزَ في الأَرْض، وكانَ نائِماً مُنهَكاً فمات، [٢٢]وإِذا بِباراق يُطارِدُ سيسَرا، فخَرَجَت ياعيلُ لِآستِقْبالِه وقالَت لَه: «تَعالَ، أُرِكَ الرَّجُلَ الَّذي أَنتَ طالِبُه». فدَخَلَ فإِذا بِسيسرا ساقِطٌ مَيتاً والوَتَدُ في صُدْغِه.

٢. جدعون

كان جدعون ابن مزارع، وكان أبوه اسرائيلياً قليل التقوى صادق العزيمة. دعا الله جدعون ليحارب بني مِديَن. ولمَّا كان هَيَّاباً، طلب «آية».

٦ [٣٦]وقالَ جِدْعُونُ لله: «إِن كُنتَ مُخَلِّصَ بَني إِسْرائيلَ عن يدي، كما قُلتَ، [٣٧]فهاءَنَذا واضِعٌ جُزازَ صوفٍ في البَيدَر. فإِذا سَقَطَ النَّدى على الجُزازِ وَحدَه، وعلى سائِرِ الأَرضِ جَفاف، عَلِمتُ أَنَّكَ تُخَلِّصُ إِسْرائيلَ عن يَدي، كما قُلتَ». [٣٨]فكانَ كذلك. وبَكَّرَ في الغَد، فعَصَرَ الجُزاز، فخَرَجَ مِنه مِنَ النَّدى مِلءُ كوبِ ماء. [٣٩]فقالَ جِدْعُونُ لله: «لا تَغضَبْ علَيَّ، فأَتَكَلَّمَ ثانِيَةً أَيضاً وأُجَرِّبَ مَرَّةً أُخرى فَقَط بِالجُزاز: لِيَكُنْ على الجُزازِ وَحدَه جَفاف وعلى سائِرِ الأَرضِ نَدى». [٤٠]فصَنَعَ الرَّبُّ كذلك في تِلكَ اللَّيلَة، فكانَ على الجُزازِ وَحدَه جَفافٌ وعلى سائِرِ الأَرضِ نَدى.

يتألّف جيش جدعون من أناس ذوي عزم وشجاعة، من مغاوير يفاجئون أعداءهم.

٧ [١]فبَكَّرَ يَرُبَّعلُ، وهو جِدْعُون، وجَميعُ القَومِ الَّذينَ معَه، وعَسكَروا في عَينَ حَرود، وكانَ مُعَسكَرُ مِديَنَ إِلى الشَّمال، نَحوَ تَلِّ المورةِ في

السَّهْل. [٢]فقالَ الرَّبُّ لجِدْعُون: «إنَّ القَومَ الَّذينَ مَعَكَ هم أَكثَرُ مِن أَن أُسلِمَ مِديَنَ إلى أَيديهم، فيَفتَخِرَ عليَّ إسْرائيلُ ويقول: يَدي خَلَّصَتني. [٣]فالآنَ نادِ على مسامِعِ الشَّعبِ وقُلْ: مَن كانَ خائِفاً مُرتَعِشاً، فلْيَرجِعْ ويَنصَرِفْ مِن جَبَلِ جِلْعاد». فرَجَعَ مِنَ الشَّعبِ آثْنانِ وعِشرونَ أَلفاً، وبَقِيَ معَه عَشَرَةُ آلاف.

[٤]فقالَ الرَّبُّ لجِدْعُون: «إنَّ الشَّعبَ لا يَزالُ كَثيراً، فأَنزِلْهم إلى الماء وأَنا أُمَحِّصُهم هُناكَ مِن أَجلِكَ. فالَّذي أَقولُ لَكَ: هذا يَنطَلِقُ معَكَ، فذلك يَنطَلِقُ مَعَكَ، وكُلُّ مَن قُلتُ لكَ: هذا لا يَنطَلِقُ مَعَكَ، فهو لا يَنطَلِق». [٥]فأَنزَلَ الشَّعبَ إلى الماء. فقالَ الرَّبُّ لجِدْعُون: «كُلُّ مَن وَلَغَ في الماءِ بِلِسانِه كما يَلَغُ الكَلْب، فأَقِمْه جانباً، وكَذا كُلُّ مَن جَثا على رُكبَتَيه لِيَشرَب». [٦]فكانَ عَدَدُ مَن وَلَغَ في الماءِ مِن راحَتِه إلى فَمِه ثَلاثَ مِئَةِ رَجُل، وسائِرُ الشَّعبِ أَجمعُ جَثَوا على رُكَبِهم لِيَشرَبوا. [٧]فقالَ الرَّبُّ لِجِدْعُون: «بِهؤُلاءِ الثَّلاثِ مِئَةِ رَجُلٍ، الَّذينَ وَلَغوا، أُخَلِّصُكم وأُسلِمُ مِديَنَ إلى يَدِكَ. وأَمَّا سائِرُ القَوم، فلْيَرجِعْ كُلُّ واحِدٍ إلى مَكانِه». [٨]فأَخَذَ القَومُ زاداً في أَيديهم وأَخَذوا أَبْواقَهم. وأَمَّا سائِرُ بَني إسْرائيل، فصَرَفَهم كُلَّ واحِدٍ إلى خَيمَتِه، وأَخَذَ الثَّلاثَ مِئَةِ رَجُل. وكانَ مُعَسكَرُ مِديَنَ دونَهم في السَّهْل.

[١٦]وقَسَمَ الثَّلاثَ مِئَةِ رَجُلٍ إلى ثَلاثِ فِرَق، وجَعَلَ أَبْواقاً في أَيديهم كُلِّهم وجِراراً فارِغَةً في داخِلِها مَشاعِل، [١٧]وقالَ لَهم: «كَما تَرَونَني أَصنَع، فآصنَعوا أَنتُم أَيضاً. وهاءَنذا واصِلٌ إلى طَرَفِ المُعَسكَر، فيَكونُ أَنَّكم تَصنَعونَ كما أَصنَع. [١٨]ومَتى نَفَختُ في البوقِ أَنا وكُلُّ مَن مَعي،

فآنفُخوا في الأَبواقِ أَنتُم أَيضاً حَولَ المُعسكَرِ كُلِّه وقولوا: لِلرَّبِّ ولِجِدْعون».

[١٩]ووَصَلَ جِدْعونُ والرِّجالُ المِئَةُ الَّذينَ معَه إِلى طَرَفِ المُعسكَرِ في أَوَّلِ الهَجيعِ الأَوسَط، وكانوا إِذ ذاكَ قد بَدَّلوا الحُرَّاس، فنَفَخوا في الأَبْواقِ وحَطَّموا الجِرارَ الَّتي في أَيديهم. [٢٠]ونَفَخَتِ الفِرَقُ الثَّلاثُ في الأَبْواق، وضَرَبوا الجِرارَ وأَخَذوا المَشاعِلَ بِأَيديهِمِ اليُسرى والأَبواقَ بِأَيديهمِ اليُمْنى لِيَنفُخوا فيها وهَتَفوا: «السَّيفُ لِلرَّبِّ ولِجِدْعون[(١١)]». [٢١]ووَقَفَ كُلُّ رَجُلٍ في مَكانِه حَولَ المُعسكَر. ورَكَضَ عَسكَرُ مِديَنَ كُلُّه وصَرَخوا وهَرَبوا. [٢٢]ونَفَخَ الثَّلاثُ مِئَةٍ في الأَبْواق، فجَعَلَ الرَّبُّ كُلَّ واحِدٍ يُوَجِّه سَيفَه إِلى صاحِبِه في المُعسكَرِ كُلِّه[(١٢)]. فهَرَبَ العَسكَرُ إِلى بَيتِ شِطَّة، إِلى صَريرة حَتَّى آنتَهَوا إِلى جانِبِ آبَلَ مَحولَةَ الَّتي عِندَ طَبَّات.

بعد أن أحرز جدعون نصراً رائعاً، عرضوا عليه أن يكون ملكاً، ولكن الوقت لم يحِن، فرفض رفضاً قاطعاً.

٨ [٢٢]وقالَ رِجالُ إِسْرائيلَ لِجِدْعون: «تَسَلَّطْ علَينا، أَنتَ وآبنُكَ وآبنُ آبنِكَ، لِأَنَّكَ خَلَّصتَنا مِن أَيدي مِديَن». [٢٣]فقالَ لَهم جِدْعون: «لا أَنا أَتَسَلَّطُ علَيكم ولا آبْني يَتَسَلَّطُ علَيكم، بلِ الرَّبُّ هو يَتَسَلَّطُ علَيكم»[(١٣)].

(١١) لترويع الاعداء، ولتعريف نفوسهم أيضاً.
(١٢) كانت مشاعل بني إسرائيل تبهر بني مِديَن، فكانوا يقتلون بعضهم بعضاً.
(١٣) قد يختلط بهذه النظرة الإيمانية نظرة سياسية صحيحة.

٣. أبيملك

هذه المرَّة، قامت المَلَكيَة في منطقة شكيم، ولكنها ستزول بعد ثلاثة سنوات.

٤. يفتاح

لم يكن يفتاح إلاً زعيمٍ لصوص، فاختاروه لمحاربة الاموريين. فهزمهم بعد أن نذر النذر الذي جعل منه رجلاً شهيراً.

١١ [٢٩]وكانَ روحُ الرَّبِّ على يَفْتاح[(١٤)]، فعَبَرَ جِلْعادَ ومَنَسَّى ومَرَّ بِمِصفاةِ جِلْعاد، ومِن مِصفاةِ جِلْعادَ عَبَرَ إِلى بَني عَمُّون. [٣٠]ونَذَرَ يَفتاحُ نَذراً لِلرَّبِّ وقال: «إِن أَسلَمتَ بَني عَمُّونَ إِلى يَدي، [٣١]فكُلُّ خارِجٍ يَخرُجُ مِن بابِ بَيتي إِلى لِقائي، حينَ عَودَتي بِسَلامٍ مِن عِندِ بَني عَمُّون، يَكونُ لِلرَّبِّ فأُصعِدُه مُحرَقَةً»[(١٥)]. [٣٢]وعَبَرَ يَفْتاحُ إِلى بَني عَمُّونَ لِيُحارِبَهم، فأَسلَمَهمُ الرَّبُّ إِلى يَدِه. [٣٣]فضَرَبَهم مِن عَروعيرَ إِلى مَدخَلِ مِنِّيت (عِشْرينَ مَدينة) وإِلى آبَلَ كَراميم، ضَربَةً عَظيمةً جِدًّا، فذَلَّ بَنو عَمُّونَ أَمامَ بَني إِسْرائيل.

[٣٤]وعادَ يَفْتاحُ إِلى المِصْفاةِ إِلى بَيتِه، فإِذا ٱبنَتُه خارِجَةٌ لِلِقائِه بِالدُّفوفِ والرَّقْصِ، وهي وَحيدَةٌ لَه، ولم يَكُنْ لَه ٱبنٌ أَوِ ٱبنَةٌ سِواها. [٣٥]فلَمَّا رَآها، مَزَّقَ ثِيابَه وقال: «آه، يا ٱبنَتي، قد صَرَعتِني صَرعاً وصِرتِ مِن جُملَةِ مَن أَشْقاني، لِأَنِّي فَتَحتُ فَمي أَمامَ الرَّبّ، ولا أَستَطيعُ أَن أَتَراجَع»[(١٦)]. [٣٦]فقالَت لَه: «يا أَبَتِ، قد فَتَحتَ فَمَكَ أَمامَ الرَّبّ، فٱصنَعْ بي بِحَسَبِ

(١٤) يُعدّ روح الربّ متّخذاً شكل أناس يحاربون الى جانب اسرائيل.

(١٥) كانت الشريعة الموسوية تحرّم الذبائح البشرية، لكن بني إسرائيل قرّبوها مدة طويلة، متأثرين بالدين الكنعانيّ.

(١٦) كان النذر لا يقبل الرجوع.

ما خَرَجَ مِن فَمِكَ، بَعدَما آنتَقَمَ لَكَ الرَّبُّ مِن أَعْدائِكَ بَني عَمُّون». [٣٧] ثُمَّ قالَت لِأَبيها: «لِيُصنَعْ لي هذا الطَّلَب: أَمهِلْني شَهرَينِ فأَنطَلِقَ وأَتيهَ في الجِبالِ وأَبْكي بَتولِيَّتي، أَنا وصَديقاتي». [٣٨] فقال: «اِذهَبي»، وصَرَفَها شَهرَين. فآنطَلَقَت هي وصَديقاتُها وبَكَت بَتولِيَّتَها على الجِبال. [٣٩] وكانَ، عِندَ نِهايَةِ الشَّهرَين، أَنَّها رَجَعَت إِلى أَبيها، فأَتَمَّ بِها النَّذرَ الَّذي نَذَره(١٧).

٥. شمشون

كُرِّسَ شمشون لله ليحارب الفلسطينيّين. لكنه كان ضعيف القلب، فتعلّق قلبه بعدّة نساء فلسطينيات على التوالي، وهذا ما كان سبب هلاكه. ولكنه كان شديد الايمان فندم ومات في انتفاضة إخلاص لدعوته.

١٣ [١] وعادَ بَنو إِسْرائيلَ فصَنَعوا الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ. فأَسلَمهمُ الرَّبُّ إِلى يَدِ الفَلِسطينِيِّينَ(١٨) أَربَعينَ سَنَة. [٢] وكانَ رَجُلٌ مِن صُرْعَة، مِن عَشيرةِ دانٍ آسمُه مَنوح، وكانَتِ آمرَأَتُه عاقِراً لا تَلِد. [٣] فتَراءَى مَلاكُ الرَّبِّ لِلمَرأَةِ وقالَ لَها: «إِنَّكِ عاقِرٌ لم تَلِدي، ولكِنَّكِ ستَحمِلينَ وتَلِدينَ آبناً. [٤] فآنتَبِهي الآنَ ولا تَشرَبي خَمراً ولا مُسكِراً، ولا تَأكُلي شَيئاً نَجِساً، [٥] لِأَنَّكِ ستَحمِلينَ وتَلِدينَ آبناً لا يَعْلو رأسَه موسًى، لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَكونُ

(١٧) فقد قرّب يفتاح ابنته ذبيحةً.

(١٨) جاء الفلسطينيّون - وهم شعب غير ساميّ - من بحر إيجيه وأقاموا في القرن الثاني عشر في جانب أرض كنعان وأطلقوا اسمهم على الارض (فلسطين). ولقد تغلغلوا شيئاً فشيئاً الى داخل الارض. وبفضل سلاحهم الحديديّ تغلّبوا بسهولة على بني إسرائيل، لا بل عرّضوا وجودهم للخطر في حقبة من الزمن.

نَذيراً[١٩] للهِ مِنَ البَطْن، وهو يَبدأُ بِخَلاصِ إِسْرائيلَ مِن يَدِ الفَلِسطينِيِّين». ٦فجاءَتِ المَرأَةُ وكَلَّمَت زَوجَها وقالَت لَه: «جاءَني رَجُلُ الله، ومَنظَرُه كمَنظَرِ مَلاكِ الله، لَه هَيبَةٌ عَظيمة، وأَنا لم أَسأَلْه مِن أَينَ هو، وهو لم يُخبِرني بِآسمِه. ٧وقالَ لي: إِنَّكِ ستَحمِلينَ وتَلِدينَ آبناً. فلا تَشرَبي الآنَ خَمراً ولا مُسكِراً ولا تأكُلي شَيئاً نَجِساً، لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَكونُ نَذيراً للهِ مِنَ البَطنِ إِلى يَومِ وَفاتِه».

٢٤وَوَلَدَتِ المَرأَةُ آبناً وسَمَّته شِمْشون. وكَبِرَ الصَّبِيُّ وبارَكَه الرَّبّ. ٢٥وبَدَأَ رُوحُ الرَّبِّ يُحَرِّكُه في مُعَسكَرِ دان، بَينَ صُرعَةَ وأَشْتاؤُول.

شمشون ودليلة

١٦ ٤وكانَ بَعدَ ذلك أَنَّ شِمشونَ أَحَبَّ آمرَأَةً في وادي سوريقَ آسمُها دَليلة[٢٠]. ٥فصَعِدَ إِلَيها أَقْطابُ الفَلِسطينِيِّينَ وقالوا لَها. «أَغْريه وآنظُري أَينَ تَكمُنُ قُوَّتُه العَظيمة[٢١]، وكَيفَ نَتَمَكَّنُ مِنه فنوثِقَه ونُسَيطِرَ عليه، ونَحنُ نَدفَعُ إِلَيكِ كُلٌّ مِنَّا أَلفاً ومِئَةً مِنَ الفِضَّة».

٦فقالَت دَليلةُ لِشِمْشون: «أَخبِرْني أَينَ تَكمُنُ قُوَّتُكَ العَظيمة وبماذا توثَقُ لِيُسَيطَرَ علَيكَ» ٧فقالَ لَها شِمْشون: «إِذا أَوثَقوني بِسَبعَةِ حِبالٍ طَريئَةٍ لم تَجِفَّ بَعدُ، فإِنِّي أَضعُفُ وأَصيرُ كواحِدٍ مِنَ النَّاس». ٨فجاءَها

(١٩) النذير إنسان مكرَّس لله. والغاية هنا هي محاربة الفلسطينيين. أمَّا العلامات الخارجية لهذا التكريس فهي الامساك عن المُسكرات وإعفاء الشعر

(٢٠) فلسطينية هي أيضاً.

(٢١) كانوا يعتقدون بأن شمشون يتمتّع بقوة تفوق الطبيعة، على غرار كثير من بني اسرائيل، وبأن التغلّب عليها كان ممكناً بالسحر.

أقطابُ الفَلِسطينِيِّينَ بِسَبعَةِ حِبالٍ طَريئَةٍ لم تَجِفَّ بَعدُ، فأَوثَقَته بِها، [٩]والكَمينُ رابِضٌ عِندَها في المُخدَع. ثُمَّ قالَت لَه: «الفَلِسطينِيُّونَ عَليكَ، يا شِمْشون». فقَطَّعَ الحِبالَ كما يُقطَعُ خَيطُ المُشاقَةِ إِذا أُحرِقَ بِالنَّار. ولم يُعلَمْ أَينَ تَكمُنُ قُوَّتُه.

[١٠]فقالَت لَه دَليلَة: «قد خَدَعتَني وكَذَبتَ عَلَيَّ، فأَخبِرْني الآنَ بِماذا توثَق». [١١]فقالَ لَها: «إِن أَوثَقوني بِحِبالٍ جَديدةٍ لم تُستَعمَلْ قَطّ، فإِنِّي أَضعُفُ وأَصيرُ كواحِدٍ مِنَ النَّاس». [١٢]فأَخَذَت دَليلَةُ حِبالاً جَديدةً وشَدَّته بِها وقالَت لَه: «الفَلِسطِينِيُّونَ عليكَ، يا شِمْشون»، والكَمينُ رابِضٌ في المُخدَع. فقَطَّعَ الحِبالَ عن ذِراعَيه، كما يُقطَعُ الخَيط.

[١٣]فقالَت دَليلَةُ لِشِمْشون: «إِلى الآنَ خَدَعتَني وكَذَبتَ عَلَيَّ، فأَخبِرْني بماذا توثَق». فقالَ لَها: «إِذا ضَفَرتِ سَبعَ خُصَلِ رَأسي مع السَّدى، وغَرَستِها بِالوَتَدِ في الحائِط، فإِنِّي أَضعُفُ وأَصيرُ كواحِدٍ مِنَ النَّاس». [١٤]وبَينَما هو راقِد، أَخَذَت دَليلَةُ خُصَلَ رَأسِه السَّبعَ وضَفَرَتها مع السَّدى وغَرَستها بِوَتَدِ النَّولِ وقالَت: «الفَلِسطينِيُّونَ عليكَ، يا شِمْشون». فاستَيقَظَ مِن نَومِه وقَلَعَ وَتَدَ النَّولِ والسَّدى.

[١٥]فقالَت لَه: «كَيفَ تَقولُ: إِنِّي أُحِبُّكِ، وقَلبُكَ لَيسَ معي، وهذه ثَلاثُ مَرَّاتٍ وأَنتَ تَخدَعُني ولم تُخبِرْني أَينَ تَكمُنُ قُوَّتُكَ العَظيمة». [١٦]ولَمَّا كانَت تُضايِقُه بِكَلامِها كُلَّ يَومٍ وتُزعِجُه، ضاقَت نَفْسه حَتَّى المَوت. [١٧]فأَطلَعَها على كُلِّ ما في قَلبِه وقالَ لَها: «لم يَعلُ رَأْسي موسًى، لِأَنِّي نَذيرٌ للهِ مِن بَطنِ أُمِّي. فإِن حُلِقَ رأسي، فارَقَتني قُوَّتي وضَعُفتُ وصِرتُ كواحِدٍ مِنَ النَّاس». [١٨]ورَأَت دَليلَةُ أَنَّه قد أَطلَعَها على

كُلِّ ما في قَلبِه ، فأَرسَلَت ودَعَت أَقْطابَ الفَلِسطينِيِّينَ وقالَت : «اِصعَدوا هذه المَرَّة ، فإِنَّه قد أَطلَعَني على كُلِّ ما في قَلبِه» . فصَعِدَ إِلَيها أَقْطابُ الفَلِسطينِيِّين ، والفِضَّةُ بِيدهم . [١٩] فنَوَّمَته على رُكبَتَيها ودَعَت رَجُلاً ، فحَلَقَ سَبعَ خُصَلِ رأسِه . وأَخَذَت تُسَيطِرُ علَيه ، وقد فارَقَته قُوَّتُه . [٢٠] وقالَت لَه : «الفَلِسطينِيُّونَ عَلَيكَ يا شِمْشون» . فٱستَيقَظَ مِن نَومِه وقالَ في نَفْسِه : «أَنْجو كما كُنتُ أَصنَعُ كُلَّ مَرَّةٍ وأَتَخَلَّص» ، وهو لا يَعلَمُ أَنَّ الرَّبّ قد فارَقَه . [٢١] فقَبَضَ علَيه الفَلِسطينِيُّون وفَقَأُوا عَينَيه ونَزَلوا بِه إِلى غَزَّة ، وأَوثَقوه بِسِلسِلَتَينِ مِن نُحاس . وكانَ يُديرُ الرَّحى في السِّجْن .

موت شمشون

[٢٢] وأَخَذَ شَعَرُ رَأسِه يَنبُتُ بَعدَ أَن حُلِق(٢٢) . [٢٣] وأَمَّا أَقطابُ الفَلِسطينِيِّين ، فٱجتَمَعوا لِيَذبَحوا ذَبيحةً عَظيمةً لِداجون(٢٣) إِلهِهم فَرَحاً ، وقالوا : «قد أَسلَمَ إِلهُنا عَدُوَّنا إِلى أَيدينا» . [٢٤] ولَمَّا رَآه الشَّعبُ ، سَبَّحوا إِلهَهم لِأَنَّهم قالوا : «قد أَسلَمَ إِلهُنا إِلى أَيدينا عَدُوَّنا ومُخَرِّبَ أَرضِنا ، الَّذي كَثَّرَ قَتْلانا» .

[٢٥] فلَمَّا طابَت نُفوسُهم قالوا : «هَلُمَّ بِشِمْشون ، فيُسَلِّينا» . فدَعَوا شِمْشونَ مِنَ السِّجنِ ، فسَلاَّهم ، وأَقاموه بَينَ الأَعمِدَة . [٢٦] فقالَ شِمْشون

(٢٢) سيرة شمشون هي من الفنّ الشعبي . اعتقد كثير من معاصريه بأن قوته تكمن في شعره . فإن قُصّ ، فقدها (الآية ٢٠) ، وان عاد فنبت ، عادت إليه . لو كان الامر على ذلك ، لكانت النتيجة سحرية .

(٢٣) إله الاموريّين . يومَ يُستولى على تابوت العهد ، سيضعونه في هيكله .

لِلصَّبيِّ الآخِذِ بِيَده: «دَعْني أَلمُسُ الأَعمِدَةَ القائِمَ علَيها البَيتُ حَتَّى أَتَّكِئَ علَيها». [٢٧] وكانَ البَيتُ غاصًّا بالرِّجالِ والنِّساء، وكانَ هُناكَ جَميعُ أَقْطابِ الفَلِسطينِيِّين، وعلى السَّطْحِ(٢٤) نَحوُ ثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ يَتَفَرَّجونَ على شِمْشونَ وهو يُسَلِّيهم. [٢٨] فدَعا شِمْشونُ الرَّبَّ وقال: «أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، أُذكُرْني وشَدِّدْني هذه المَرَّةَ أَيضاً(٢٥)، يا أَللهُ، لِأَنتَقِمَ لِعَينَيَّ مِنَ الفَلِسطينِيِّينَ انتِقاماً واحِداً»(٢٦). [٢٩] ثُمَّ تَلَمَّسَ شِمْشونُ العَمودَينِ اللَّذَينِ في الوَسَط، والقائِمِ علَيهما البَيت. واتَّكأَ علَيهما، آخِذاً أَحَدَهما بِيَمينِه والآخَرَ بِشِمالِه، [٣٠] وقال: «لِتَمُت نَفْسي مع الفَلِسطينِيِّين». ودَفَعَ بِشِدَّة، فسَقَطَ البَيتُ على الأَقْطابِ وعلى كُلِّ الشَّعبِ الَّذي في البَيت. فكانَ المَوتى الَّذينَ قَتَلَهم في مَوتِه أَكثَرَ مِنَ الَّذينَ قَتَلَهم في حَياتِه. [٣١] فنَزَلَ إِخوَتُه وكُلُّ بَيتِ أَبيه، فحَمَلوه وصَعِدوا بِه ودَفَنوه بَينَ صُرعَةَ وأَشْتاؤُول، في قَبرِ مَنوحَ أَبيه. وكانَ قد تَوَلَّى القَضاءَ في إِسْرائيلَ عِشْرينَ سَنَة(٢٧).

قراءة لبني جيلنا

نلاحظ بوجه عام أن مجمل المسيحيين لم يقرأوا هذَين السفرين (يشوع والقضاة) إلاَّ قليلاً، فإن أسلوبهما الانشائي لا يستهوي القارئ: ذلك بأن التاريخ في السفر الاول خليط من الوقائع الحالية ومن التحقيقات المستقبلية، يحيِّر القارئ العصري،

(٢٤) سقف مسطَّح.
(٢٥) يظهر من ذلك ان قوة شمشون لم تكن مرتبطة ارتباطاً ضرورياً بشعره، بل كانت عطية من الله.
(٢٦) كانت هذه الرغبة في الانتقام أمراً عادياً في ذلك الزمان.
(٢٧) ما زال شمشون في الكتاب المقدّس رمز إسرائيل.

وبأن الروايات في السفر الثاني تبدو وكأنها «بطاقات» لم يُعمل فيها. ولعلَّ غياب وجوه بارزة، كموسى وداود، يفسّر مثل قلّة الاكتراث هذه.

ومع ذلك، يبدو أنهما لا يخلوانِ من الفائدة. فتلك الصعوبة التي واجهها الاسرائيلي في مقاومته حضارة وثنية جذّابة، ليبقى أميناً للعهد الذي قطعه سابقاً في شيء من الحماسة، أليست تشبه **الصعوبة** التي يشعر بها المسيحي **ليبقى أميناً للإيمان**، في عالم كثيراً ما يجهل الله ولا يريد أن يفكّر إلاَّ في الإنسان؟

والى جانب ذلك، فإن السِفرَين يفيداننا عن **مشقّة التدرّب على الحرية**. لم يُخلق الانسان لكي يسلّم مصيره إلى أناس آخرين، ولو كانوا عظماء كموسى، بل عليه في آخر الامر أن يمسك بيده زمام مستقبله وأن يقوم بالخيارات اللازمة.

لكن المسيحي يلاحظ في الوقت نفسه كيف **أن الله لا يزال أميناً لمواعده** ويخلّص الإنسان الذي يضع فيه ثقته. من خلالِ نظرة المحرِّر اللاهوتية (إهمال فعقاب، وندامة فخلاص)، يحسن بالمسيحي أن يفكّر في الجرح البليغ الذي تُحدثه الخطيئة وفي المغفرة التي لا يتردّد الله في منحها للإنسان الذي يندم على خطيئته.

وهناك بوجه خاص **سيطرة الله المطلقة** على الاحداث، فهي تبقى اليوم، كما كانت فيما مضى، أحد عناصر رجائنا.

وأخيراً، نلاحظ مرة أخرى أن أدوات الله ليست حتماً على جانب كبير من القداسة. فإن جدعون ينتمي الى أسرة تتواطأ مع العبادات الكنعانية، ويفتاح هو زعيم عصابة. لكن الله يستخدم أولئك **الناس غير الكاملين** ليحقّق خلاصه.

سِفرُ راعُوث

سفر راعوث كتيّب يروي هجرة احدى عائلات بيت لحم إلى أرض موآب. تزوّج الابنان فيها من موآبيّتين، احداهما، راعوث، جاءت فسكنت بيت لحم، وتزوّجت من بوعز فأصبحت أمّ جدّ داود.

من الراجح أن تأليف هذا السفر تمَّ في حوالى السنة ٤٥٠. واذا وُضع، في الترجمة السبعينية واللاتينية الشائعة، بين سِفر القضاة وسِفرَي صموئيل، فبسبب مطلعه، على ما يبدو، وهو: «كان في أيّام حُكم القضاة...». ولقد حافظنا على هذا المكان، لا لان النص يروي أحداثاً جرت في زمن القضاة فحسب، بل لان هذا السفر ينبئ بشخص داود الذي سيرد ذكره في سفرَي صموئيل.

يبدو أن جوهر الرواية تاريخي، وقد فتح سبيلاً لبعض التوسّع الادبي. يمكننا أن نكتشف فيه حثاً على الثقة، لان الله يحمي دائماً مَن يجعل ثقته به. لكنَّ هدف الكاتب المباشر يبدو غير ذلك: انه ردّ فعل على تحريم الزواج من نساء غريبات، ومحاولة لتفسير شريعة أخي الزوج تفسيراً أوسع (تث ٢٥/٥).

تبنّى القديس متى ما في هذا السِفر من مغزى شمولي فأدخل راعوث في نسب المسيح.

١. قدوم راعوث إلى بيت لحم مع نُعمي

١ [١] كانَ في أَيَّامِ حُكمِ القُضاةِ مَجاعةٌ في الأَرض. فمضى رَجُلٌ مِن بَيتَ لَحمِ يَهوذا، لِيَنزِلَ في حُقولِ موآب، هو وزَوجَتُه وآبْناه. [٢] وكانَ

آسمُ الرَّجُلِ أَليمَلِك، وآسْمُ زَوجَتِه نُعْمي[١]، وآسْما آبنَيهِما مَحْلون وكِلْيون، وهم أَفراتِيُّونَ مِن بَيتَ لَحمِ يَهوذا. فأَتَوا حُقولَ موآب وأَقاموا هُناك.

[٣]فتُوُفِّيَ أَليمَلِك، زَوجُ نُعْمي، وبَقِيَت هي وآبْناها. [٤]فآتَّخَذا لَهما آمرَأَتَينِ موآبِيَّتَين، اِسمُ الواحِدَةِ عُرفَة وآسمُ الأُخْرى راعوت[٢]، وأَقاما هُناكَ نَحوَ عَشرِ سِنين. [٥]ثُمَّ ماتا هُما أيضاً، مَحْلون وكِلْيون، وبَقِيَتِ المَرأَةُ بَعدَ مَوتِ آبنَيها وزَوجِها. [٦]فقامَت هي وكَنَّتاها ورَجَعَت مِن حُقولِ موآب، لِأَنَّها سَمِعَت، وهي في حُقولِ موآب، أَنَّ الرَّبَّ قدِ آفتَقَدَ شَعبَه لِيَرزُقَهم طَعاماً. [٧]وخَرَجَت بِكَنَّتَيها مِنَ المكانِ الَّذي كانَت فيه وسَلَكْنَ الطَّريقَ راجِعاتٍ إِلى أَرضِ يَهوذا.

[٨]وقالَت نُعْمي لِكَنَّتَيها: «إِنصَرِفا أَنتُما وآرجِعا كُلٌّ واحِدَةٍ إِلى بَيتِ أُمِّها، ولْيَصنَعِ الرَّبُّ إِلَيكما رَحمَةً، كما صَنَعتُما إِلى الَّذينَ ماتوا وإِلَيَّ. [٩]ولْيُيَسِّرْ لكما الرَّبُّ أَن تَجِدا راحةً كُلٌّ واحِدَةٍ في بَيتِ زَوجِها». ثُمَّ قَبَّلَتهما فرَفَعَتا صَوتَيهما وبَكَتا. [١٠]وقالَتا لَها: «لا، بل نَرجعُ مَعَكِ إِلى شَعبِكِ». [١١]فقالَت لَهما نُعْمي: «إِرجِعا، يا آبنَتَيَّ، لِماذا تأتِيانِ مَعي؟».

[١٤]فرَفَعَتا صَوتَيهما وبَكَتا أَيضاً، وقَبَّلَت عُرفَةُ حَماتَها وعادَت إِلى شَعبِها. وأَمَّا راعوت، فلَم تُفارِقْها.

[١٥]فقالَت نُعْمي: «هذه سِلفَتُكِ قد رَجَعَت إِلى شَعبِها وآلِهَتِها،

(١) نُعْمي = ظريفتي.
(٢) راعوت = الصديقة.

فآرجِعي أَنتِ على أَثَرِ سِلفَتِكِ» . [١٦] فقالَت راعوت : «لا تُلِحِّي عليَّ أَن أَترُكَكِ وأَرجِعَ عَنكِ ، فإِنِّي

حَيثُما ذَهَبتِ أَذهَبْ وحَيثُما بِتِّ أَبِتْ
شَعبُكِ شَعْبي وإِلهُكِ إِلهي(٣)
[١٧] وحَيثُما تَموتي أَمُتْ وهُناكَ أُدفَن .
لِيَصنَعِ الرَّبُّ بي هكذا ولْيَزِدْ هكذا
إِن فَرَّقَ بيني وبَينَكِ غيرُ المَوت» .

[١٨] فلَمَّا رأَتها مُصِرَّةً على الذَّهابِ مَعَها ، كفَّت عن مُحادَثَتِها بِالأَمْر . [١٩] وذَهَبَتا كِلْتاهما حتَّى وَصَلتا إِلى بَيتَ لَحْم . وكانَ عِندَ وُصولِهما إِلى بَيتَ لَحْمَ أَنَّ المَدينَةَ كُلَّها تَحَرَّكت بِسَبَبِهما ، وقالَتِ النِّساء : «أَهذه نُعْمي ؟»

[٢٢] وهكذا رَجَعَت نُعْمي وراعوتُ المؤآبِيَّةُ كَنَّتُها معَها عائِدَةً مِن حُقولِ موآب ووَصَلَتا إِلى بَيتَ لَحْمَ في أَوَّلِ حِصادِ الشَّعير .

٢. راعوت تلتقط في حقول بوعز

٢ [١] وكانَ لِنُعْمِيَ قريبٌ لِزَوجها ، ثَرِيٌّ جِدًّا مِن عَشيرَةِ أَليمَلِك ، اِسمُه بوعَز . [٢] فقالَت راعوتُ المؤآبِيَّةُ لِنُعْمي : «دَعيني أَذهَبُ إِلى الحَقلِ لِأَلتَقِطَ سَنابِلَ وَراءَ مَن أَنالُ في عَينَيه حُظوَةً»(٤) . فقالَت لَها : «إِذهَبي يا آبنَتي» . [٣] فذَهَبَت ودَخَلَت حَقلاً فآلتَقَطَت وَراءَ الحَصَّادين . وآتَّفَقَ أَنَّه كانَ قِطعَةَ

(٣) تدخل راعوت في شعب الله ، وسيكون له مكان في أجداد المسيح .
(٤) أي : وراء من لا يردّني .

حَقلِ لِبوعَز، وهو مِن عَشيرَةِ أَليمَلِك. [٤] وإذا بِبوعَزَ قَد أَقبَلَ مِن بَيتَ لَحْم. فقالَ لِلحَصَّادين: «الرَّبُّ معَكم». فقالوا لَه: «بارَكَكَ الرَّبّ». [٥] فقالَ بوعَزُ لِخادِمِه القائِمِ على الحَصَّادين: «لِمَن هذه الفَتاة؟» [٦] فأَجابَ الخادِمُ القائِمُ على الحَصَّادينَ فقال: «هي فَتاةٌ موآبِيَّةٌ قد رَجَعَت مع نُعْمي مِن حُقولِ موآب، [٧] وقالَت: دَعوني أَلتَقِطُ وأَجمَعُ مِن بَينِ الحُزَمِ وَراءَ الحَصَّادين، وجاءَت وهي هُنا مُنذُ الصَّباحِ إِلى الآن، ولَم تَستَرِحْ إِلاَّ قَليلاً».

[٨] فقالَ بوعَزُ لِراعوت: «إِسمَعي يا آبنَتي، لا تَذهَبي تَلتَقِطينَ مِن حَقلٍ آخَر، ولا تَبتَعِدي مِن ههُنا، بل لازِمي خادِماتي ههُنا، [٩] وآجعَلي عَينَيكِ على الحَقلِ الَّذي يُحصَد، وآمْضي وَراءَهُنَّ، وقد أَمَرتُ خَدَمي أَن لا يَمَسُّوكِ بأَذًى. وإِذا عَطِشتِ، فآذهَبي إِلى الجِرارِ وآشرَبي مِمَّا آستَقاه الخَدَم». [١٠] وأَطرَقَت وسَجَدَت إِلى الأَرضِ وقالَت لَه: «كَيفَ نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ حَتَّى تَهتَمَّ بي وأَنا غَريبَة؟» [١١] فأَجابَ بوعَزُ وقالَ لَها: «قد أُخبِرتُ بِصَنيعِكِ مع حَماتِكِ بَعدَ وَفاةِ زَوجِكِ، وكَيفَ تَرَكتِ أَباكِ وأُمَّكِ وأَرضَ مَولِدِكِ، وجِئتِ إِلى شَعبٍ لم تَعرِفيه مِن أمسِ فما قَبْلُ. [١٢] جازاكِ الرَّبُّ على صُنعِكِ، ولْيَكُنْ أَجرُكِ كامِلاً مِن لَدُنِ الرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، الَّذي جِئتِ لِتَحتَمِي تَحتَ جَناحَيه». [١٣] فقالَت: «لَيتَني نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ، يا سَيِّدي، لِأَنَّكَ عَزَّيتَني وخاطَبتَ قَلبَ أَمَتِكَ، وأَنا لَستُ كإِحْدى جَواريك».

[١٤] ولَمَّا كانَ وقتُ الأَكْل، قالَ لَها بوعَز: «هَلُمِّي إِلى ههُنا وكُلي مِنَ الخُبزِ وآغمِسي لُقمَتَكِ في الخَلّ». فجَلَسَت بِجانِبِ الحَصَّادين، وجَعَلَ

لَها كومَةً مِنَ الفَريك ، فأَكَلَت وشَبِعَت ، وآستبقَت ما فَضَلَ عنها . [١٥]ثُمَّ قامَت لِتَلتَقِط ، فأَمَرَ بوعَزُ خَدَمَه وقالَ لَهم : «دَعوها تَلتَقِطُ حَتَّى مِن بَينِ الحُزَم ، ولا تَزجُروها . [١٦]وآسحَبوا لَها مِنَ الحُزَمِ ودَعوها تَلتَقِطُ ولا تُعَنِّفوها» . [١٧]فآلتَقَطَت في الحَقلِ إِلى المَساء ، ودَرَسَت ما لَقَطَت ، فكانَ نَحوَ إِيفَةِ شَعير(٥) .

[١٨]فحَمَلَته وعادَت إِلى المَدينَة ، وأَرَت حَماتَها ما آلتَقَطَت ، وأَخرَجَت وأَعطَتها ما فَضَلَ عَنها بَعدَ شِبَعِها . [١٩]فقالَت لَها حَماتُها : «أَينَ آلتَقَطتِ اليَومَ وأَينَ عَمِلتِ ؟ بورِكَ مَنِ آهتَمَّ بِكِ» . فأَخبَرَت حَماتَها بِالَّذي عَمِلَت عِندَه وقالَت : «اِسمُ الرَّجُلِ الَّذي عَمِلتُ عِندَه اليَومَ بوعَز» . [٢٠]فقالَت نُعْمي لِكَنَّتِها : «بارَكَه الرَّبُّ الَّذي لم تَنصَرِفْ رَحمَتُه عنِ الأَحْياءِ والأَمْوات» . ثُمَّ قالَت لَها نُعْمي : «إِنَّ الرَّجُلَ هو ذو قَرابَةٍ لَنا ، وهو مِن أَقرِبائِنا»(٦) . [٢١]فقالَت راعوتُ الموآبِيَّة : «إِنَّه قالَ لي أَيضاً : لازِمي خَدَمي حَتَّى يَفرُغوا مِن حِصادي كُلِّه» . [٢٢]فقالَت نُعْمي لِراعوتَ كَنَّتِها : «حَسَنٌ أَن تَخرُجي مع خادِماتِه ، يا آبنَتي ، لِئَلاَّ يُسيئوا إِلَيكِ في حَقلٍ آخَر» . [٢٣]فلازَمَت خادِماتِ بوعَزَ في الآلتِقاطِ حَتَّى آنتَهى حِصادُ الشَّعيرِ وحِصادُ الحِنطَة ، وأَقامَت مع حَماتِها .

٣. نعمي تمهّد لزواج راعوت

٣ [١]وقالَت لَها نُعْمي حَماتُها : «يا آبنَتي ، إِنِّي طالِبَةٌ لَكِ مكانَ راحةٍ

(٥) مكيال ٤٥ لتراً .

(٦) حرفياً : «جوئيل» أو «الفادي» . كان الـ«جوئيل» أحد الاقارب ، وكان عليه أن «يشتري» حقل راعوت أو يتزوّج هذه الارملة التي لا ولد لها .

لِيَكونَ لَكِ فيه خَير. [٢]والآن، أَلَيسَ بوعَزُ الَّذي كُنتِ مع خادِماتِه هو قَريبٌ لَنا، وها هُوَذا يُذَرِّي الشَّعيرَ في البَيدَرِ هذه اللَّيلَة؟ [٣]فآغتَسِلي وتَطَيَّبي وآلبَسي رِداءَكِ وآنزِلي إِلى البَيدَر، ولا تُعَرِّفي الرَّجُلَ نَفسَكِ حتَّى يَنتَهِيَ مِنَ الأَكْلِ والشُّرب. [٤]فإِذا آضطَجعَ، فعايِني المَوضِعَ الَّذي يَضطَجِعُ فيه، وآذْهَبي فآكشِفي جِهَةَ رِجلَيه وآضطَجِعي، وهو يُخبِرُكِ بِما يَنبَغي أَن تَصنَعي». [٥]فقالَت لَها: «كُلُّ ما قُلتِ لي أَصنَعُه».

[٦]ونَزَلَت إِلى البَيدَرِ وفَعَلَت كما أَمَرَتها حَماتُها. [٧]فأَكَلَ بوعَزُ وشَرِبَ وطابَت نَفْسُه وجاءَ لِيَضطَجِعَ عِندَ طَرَفِ كُدْسِ الحُبوب، وأَتَت إِلَيه خِلسَةً وكَشَفَت جِهَةَ رِجلَيه وآضطَجَعَت. [٨]وكانَ عِندَ آنتِصافِ اللَّيلِ أَنَّ الرَّجُلَ آرتَعَشَ وآلتَفَتَ، فإِذا بِآمرَأَةٍ مُضطَجِعَةٌ عِندَ رِجلَيه. [٩]فقال: «مَن أَنتِ؟» فقالَت: «أَنا راعوتُ أَمَتُكَ، فآبسُطْ ذَيلَ رِدائِكَ على أَمَتِكَ، لِأَنَّكَ ولِيّ»(٧). [١٠]فقال: «بارَكَكِ الرَّبُّ يا آبنَتي، لِأَنَّ أَمانَتَكِ الأَخيرَةَ(٨) خَيرٌ مِنَ الأُولى، إِذ لم تَسعَي وَراءَ الشُّبَّان، فُقَراءَ كانوا أَو أَغْنِياء. [١١]والآنَ لا تَخافي يا آبنَتي، ومَهما قُلتِ فأَنا أَفعَلُه لَكِ، فقَد عَلِمَ كُلُّ الشَّعْبِ في بابِ المَدينَةِ أَنَّكِ آمرَأَةٌ فاضِلَة. [١٢]نَعَم، إِنِّي قَريب، ولكِنَّ لَكِ قَريباً أَقرَبَ مِنِّي. [١٣]فبيتي لَيلَتَكِ هذه، وإِذا أَصبَحتِ فقَضى لَكِ حَقَّ القَرابة، فنِعِمَّا فلْيَفعَلْ، وإِن لم يَشَأْ أَن يَقضِيَ لَكِ حَقَّ القَرابة، فأَنا أَقْضيه لكِ. حَيٌّ الرَّبّ! فنامي حَتَّى تُصبِحي». [١٤]فرَقَدَت عِند

(٧) طلب زواج رسمي.

(٨) حبّ بنوي: فإن راعوت، بطلبها الى بوعز أن يتزوّج منها، تريد أن يكون لها ولد يكون، في نظر الشريعة، ابن أليملك.

رِجلَيه إِلى الصَّباح ، وقامَت قَبلَ أَن يَعرِفَ الإِنسانُ صاحِبَه . فإِنَّ بوعَزَ كانَ يَقولُ في نَفْسِه : لا يَعلَمْ أَحَدٌ أَنَّ تِلكَ المَرأَةَ جاءَت إِلى البَيدَر . [١٥]ثُمَّ قال : «هاتي الرِّداءَ الَّذي علَيكِ وأَمسِكيه» فأَمسَكَته ، فكالَ لَها فيه سِتَّةَ أَكْيالِ شَعيرٍ وجَعَلَها علَيها ، ثُمَّ عادَت إِلى المَدينة .

[١٦]وأَقبَلَت راعوتُ على حَماتِها فقالَت لَها : «ما وَراءَكِ يا آبنَتي ؟» فأَخبَرَتها بِكُلِّ ما صَنَعَ إِلَيها الرَّجُل ، [١٧]وقالَت : «أَعطاني هذه الأَكْيالَ السِّتَّةَ مِنَ الشَّعير ، لِأَنَّه قالَ لي : لن تَدخُلي على حَماتِكِ فارِغة» . [١٨]فقالَت لَها حَماتُها : «أُمكُثي يا آبنَتي ، حتَّى تَعلَمي كَيفَ يَتِمُّ الأَمْر ، لِأَنَّ الرَّجُلَ لا يَهدَأُ حتَّى يُتَمِّمَ الأَمرَ في هذا اليَوم» .

٤. بوعز يتزوّج من راعوت

٤ [١]وصَعِدَ بوعَزُ إِلى بابِ المَدينَةِ وجَلَسَ هُناك ، فإِذا بِالقَريبِ الَّذي تَكَلَّمَ عنه بوعَزُ عابِر . فقالَ لَه : «مِلْ يا فُلان وآجلِسْ ههُنا» . فمالَ وجَلَس . [٢]ثُمَّ أَتى بِعَشَرَةِ رِجالٍ مِن شُيوخِ المَدينَةِ وقالَ لَهم : «إِجلِسوا ههُنا» . فجَلَسوا . [٣]فقالَ لِلقَريب : «إِنَّ نُعْمِيَ الَّتي رَجَعَت مِن حُقولِ موآبَ تبيعُ حِصَّةَ حَقلِ أَليمَلِكَ أَخينا . [٤]فقُلتُ في نَفْسي : إِنِّي أُكاشِفُكَ بِذلِكَ وأَقولُ لَكَ : اِشترِ أَمامَ هؤُلاءِ الجالِسينَ وأَمامَ شُيوخِ شَعْبي . فإِن كُنتَ تُريدُ أَن تَفُكَّ ، فآفعَلْ ، وإِلاَّ فأَخبِرْني لِأَعلَم ، لِأَنَّه لَيسَ مَن يَفُكُّ غَيرَكَ وأَنا بَعدَكَ» . فقال : «أَنا أَفُكّ» . [٥]فقال بوعَز : «إِنَّكَ يَومَ تَشتَري الحَقلَ مِن نُعْمي تَشتَري أَيضاً راعوتَ الموآبِيَّة ، آمرَأَةَ المَيت[(٩)] ، لِتُقيمَ آسمَ المَيتِ على

(٩) راعوت هي شرعياً أرملة حَميها .

ميراثِه» . ٦ فقالَ القَريب : «لا أَستَطيعُ أَن أَفُكَّ لِنَفْسي لِئَلاَّ أُدَمِّرَ ميراثي ، ففُكَّ أَنتَ فِكاكي ، لِأَنِّي لا أَستطيعُ أَن أَفُكَّ» .

٧ وكانَتِ العادةُ قَديماً في إِسْرائيلَ في أَمرِ الفِكاكِ والمُبادَلَة، لِإِثباتِ كُلِّ أَمرٍ، أَن يَخلَعَ الرَّجُلُ نَعْلَه ويُعطِيَها لِصاحِبِه . كذا كانَت صورةُ الشَّهادةِ في إِسْرائيل(١٠) . ٨ فقالَ القَريبُ لِبوعَز: «إِشتَرِ أَنتَ لِنَفْسِكَ» ، وخَلَعَ نَعلَه .

٩ فقالَ بوعَزُ لِلشُّيوخِ ولِكُلِّ الشَّعْب : «أَنتُم شُهودٌ اليَومَ على أَنِّي اشتَريتُ كُلَّ ما لِأَليمَلِك وكُلَّ ما لِكِلْيون ومَحْلون مِن يَدِ نُعْمي . ١٠ وأَمَّا راعوتُ الموآبِيَّةُ، آمرَأَةُ مَحْلون ، فأَنتُم شُهودٌ على أَنِّي آشتَرَيتُها أَيضاً آمرَأَةً لي ، لِأُقيمَ آسمَ المَيتِ على ميراثِه فلا يَنقَرِضَ آسمُ المَيتِ مِن بَينِ إِخوَتِه ومِن بابِ مَدينَتِه . أَنتُم شُهودٌ اليَوم» . ١١ فقالَ كُلُّ الشَّعبِ الَّذي في بابِ المَدينَةِ والشُّيوخ : «نَحنُ شُهود . لِيَجعَلِ الرَّبُّ المَرأَةَ الدَّاخِلَةَ بَيتَكَ كراحيلَ ولَيئَةَ اللَّتَينِ بَنَتا كِلْتاهما بَيتَ إِسْرائيل .

فكُنْ صاحِبَ قُدرَةٍ في أَفراتَة وأَقِمْ لَكَ آسماً في بَيتَ لَحْم .

١٢ ولْيَكُنْ بَيتُكَ مِثلَ بَيتِ فارَص(١١) الَّذي وَلَدَته تامارُ لِيَهوذا ، بِفَضلِ النَّسلِ الَّذي يَرزُقُكَ الرَّبُّ مِن هذه الفَتاة !» .

١٣ فاتَّخَذَ بوعَزُ راعوت وصارَت زوجَةً له ، ودَخَلَ علَيها ، فرَزَقَها الرَّبُّ حَبَلاً ووَلَدَتِ آبناً . ١٤ فقالَتِ النِّساءُ لِنُعْمي : «تَبارَكَ الرَّبُّ الَّذي لم يُعدِمْكِ اليَومَ قَريباً يُذكَرُ آسمُه في إِسْرائيل ، ١٥ ويَكونُ لَكِ مُنعِشاً لِقَلبِكِ

(١٠) فالفعل هو إذاً رمز حق الملكية .

(١١) فارص : جد بوعز .

ومُعيلاً لِشَيبتِكِ ، لِأَنَّ كَنَّتَكِ الَّتي أَحَبَّتكِ قد وَلَدَته ، وهي خَيرٌ لَكِ من سَبعةِ بَنين» . [١٦]فأَخَذَت نُعْمي الصَّبِيَّ وجَعَلَته في حِجرِها وحَضَنَته[١٢] .
[١٧]وسَمَّته الجاراتُ بآسمٍ قائلات : «قد وُلِدَ لِنُعْمِي آبنٌ» ، ودَعَونَه عوبيد[١٣] ، وهو أبو يَسَّى ، أَبي داود .

(١٢) نُعْمي هي شرعياً أم عوبيد .
(١٣) عوبيد = عَبْد .

مدخل الى سِفرَي صموئيل

كان سِفرا صموئيل يؤلّفان في الاصل سفراً واحداً. فأجرى المترجمون اليونانيون للكتاب المقدس هذا التقسيم لاسباب تسهيلية.

كثير من الوثائق التي هي في أساس هذا المؤلَّف عبارة عن ذكريات معاصِرة، لا بل عن روايات شهود عيان. ولا نزال نشعر غالباً بنضارة هذه الروايات، ونستشف تعاطف البعض الاول والبعض الآخر، وقد اكتفى الكاتب بجمع تعاطفات متناقضة، دون الاهتمام بالتوفيق بينها في جوهرها. وكلّ ذلك جزء من تاريخ وضعه كُتَّاب تثنية الاشتراع وسبق ذكره.

يظهر هنا أمران جديدان من أمور الحقل التأسيسي، وهما الحكم الملكي والحركة النبوية. **والحكم الملكي** في اسرائيل هو حُكم إلهي، فليس المَلِك سوى قائم مقام الله لدى شعبه، وعليه أن يساعد على تحقيق العهد. ولكنه «المسيح» في الوقت نفسه، أي مكرَّس الرب، ويسمّونه «ابن الله» بالمعنى الواسع. أمَّا **الحركة النبوية**، فإنها ظهرت في مطلع الحكم النبوي، وما لبث الانبياء أن أخذوا يبلّغون كلمة الله، فأطلع ناتان داود على الموعد بالمشيح. إلاَّ أن سفرَي صموئيل لا يقتصران على عرض ما في هذه المؤسسة من وجه رفيع يتمثّل بصموئيل وبناتان وينبئ بأنبياء عصر الذهب، بل نجد فيهما نوعاً من الانبياء من المرتبة الدون، وجمعيّات واخوانيات سُمّي أعضاؤها «أبناء الانبياء»، مع أنهم لم يكونوا الى ذلك الحين سوى مرشَّحين للدعوة النبوية.

في هذَين السفرَين شخصيات من المرتبة الاولى: صموئيل، رجل الاتّصال بين عالَمين، وشاول، الملك المصاب بالضعف العصبي، وداود خاصةً، الملك النبي.

سِفر صموئيل الأوّل

يفيدنا هذا السفر كثيراً عن تاريخ الشعب الاسرائيلي . كان هذا الشعب على نقطة تحوّل ، وها اننا نتعرّف مباشرة الى تلك الشخصية التي وجّهته في ذلك الحين : صموئيل . إنّه آخِر القضاة (سيرته تختم تاريخ السفر السابق) ، ولكنه مؤسّس الحكم الملكي أيضاً . ولن ينتهي العالم الذي يفتتحه بإقامة شاول ملكاً إلاّ بخراب أورشليم والجلاء الى بابل (٥٨٦) . وهناك شاول ، وهو شخصية لا يزال في نظرنا على شيء من الغموض . لم يُبرز الكاتب دوره إلاّ بالنسبة الى صموئيل وداود اللذَين يغطّيان عليه الواحد بعد الآخر . تأثّر اختياره بشخصية صموئيل ، فحاول عبثاً أن يفلت من وصايته ورأى في داود منافساً لسلالته الناشئة وحاول إبعاده . كان مختلّ الطبع ومصاباً بقلقٍ شديد وبضعف عصبي هَذَياني ، فاتّخذ تدابير اعتباطية ودموية جعلت من هذا الملك المتدرّب رجلاً سيّئ الظنّ وجَلاّداً عند سنوح الفرصة ، وتعيساً جداً بوجه خاص . التقليد (ولا سيّما تقليد أسباط الشمال) حفظ له عطفاً خاصاً ، وداود أشاد بذكره بعد هزيمة جلبوع .

١. طفولة صموئيل ودعوته

١. مولد صموئيل

كانت حنّة من تلك النساء العواقر اللواتي وهب لهنّ الله القدير نعمة الخصب . وكانت سارة مثلاً آخر في أيام الآباء . أمّا مريم العذراء ، فإنها لم تكن عاقراً ، لكنها أصبحت أمّ المشيح بتدخّل خاص من الروح القدس .

١ [١]كانَ رَجُلٌ مِنَ الرَّامَتائيم، صوفِيٌّ مِن جَبَلِ أَفْرائيم، يُقالُ لَه أَلْقانَةُ آبنُ يَروحامَ بنِ أَليهُوَ بنِ توحُوَ بنِ صوفٍ الأَفْرائيميّ. [٢]وكانَت لَه آمرَأَتانِ(١)، اِسمُ إِحْداهُما حَنَّة، وآسمُ الأُخْرى فَنِنَّة. فرُزِقَت فَنِنَّةُ بَنين، وحَنَّةُ لم يَكُنْ لَها بَنون. [٣]وكانَ ذلكَ الرَّجُلُ يَصعَدُ مِن مَدينَتِه مِن سَنَةٍ إِلى سَنَةٍ(٢) لِيَسجُدَ ويَذبَحَ لِرَبِّ القُوَّاتِ(٣) في شيلو(٤). وكانَ هُناكَ آبْنا عالي، حُفْني وفِنْحاس، كاهِنَينِ لِلرَّبّ.

[٤]فلمَّا حانَ اليَومُ وذَبَحَ أَلْقانَة، أَعطى فَنِنَّةَ زَوجَتَه وجَميعَ بَنيها وبَناتِها حِصَصاً. [٥]وأَمَّا حَنَّةُ فأَعْطاها حِصَّةَ آثنَين، لِأَنَّه كانَ يُحِبُّ حَنَّة، ولكِنَّ الرَّبَّ كانَ قد حَبَسَ رَحِمَها(٥). [٦]وكانَت ضَرَّتُها تُغضِبُها لِتُثيرَ ثائِرَها، لِأَنَّ الرَّبَّ حَبَسَ رَحِمَها تَماماً. [٧]وهكذا كانَ يَحدُثُ سَنَةً بَعدَ سَنَةٍ عِندَ صُعودِها إِلى بَيتِ الرَّبّ. فكانَت تُغضِبُها، فتَبْكي ولا تَأكُل. [٨]فقالَ لَها أَلْقانَةُ زَوجُها: «يا حَنَّة، ما لَكِ باكِيَةً وما لَكِ لا تَأكُلين، ولِماذا يَكتَئِبُ قَلبُكِ؟ أَلَستُ أَنا خَيراً مِن عَشَرَةِ بَنين».

[٩]وقامَت حَنَّةُ، مِن بَعدِما أَكَلوا في شيلو وشَرِبوا، وكانَ عالي الكاهِنُ جالِساً على الكُرسِيِّ إِلى دِعامَةِ هَيكَلِ الرَّبّ. [١٠]فصَلَّت إِلى الرَّبِّ في مَرارَةِ نَفْسِها وبَكَت بُكاءً [١١]ونَذَرَت نَذْراً وقالَت: «يا رَبَّ القُوَّات، إِن

(١) كان تعدّد الزوجات، ولا سيّما الزواج بامرأتين، أمراً شائعاً في العهد القديم. وكانت الشريعة تسمح به.
(٢) في عيد الاكواخ.
(٣) إنه الإله الذي يرأس جيوش إسرائيل، بل القوّات السماوية أيضاً (الكواكب).
(٤) تقع شيلو اليوم في جنوب نابلوس. كان تابوت العهد قد نُقل اليها بُعيد عبور الاردن.
(٥) يُنسب العقر الى الله، كما يُنسب اليه الخصب.

أَنتَ نَظَرتَ إِلى بُؤسِ أَمَتِكَ وذَكَرتَني ولم تَنسَ أَمَتَكَ وأَعطيتَ أَمَتَكَ مَولوداً ذَكَراً، أُعطِه لِلرَّبِّ لِكُلِّ أَيَّامِ حَياتِه، ولا يَعْلو رَأسَه موسىً»[٦].

[١٢] فلَمَّا أَكثَرَت مِن صَلاتِها أَمامَ الرَّبّ، وكانَ عالي يُراقِبُ فَمَها، [١٣] وحَنَّةُ تَتَكَلَّمُ في قَلبِها[٧]، وشَفَتاها فَقَط تَتَحرَّكان، ولكِن لا يُسمَعُ صَوتُها، ظَنَّها عالي سَكْرى. [١٤] فقالَ لَها عالي: «إِلى متى أَنتِ سَكْرى؟ أَفيقي مِن خَمرِكِ». [١٥] فأَجابَت حَنَّةُ وقالَت: «كَلاَّ يا سَيِّدي، ولكِنِّي آمرَأَةٌ مَكْروبَةُ النَّفس، ولَم أَشْرَبْ خَمراً ولا مُسكِراً، ولكِنِّي أَسكُبُ نَفْسي أَمامَ الرَّبّ. [١٦] فلا تُنزِلْ أَمَتَكَ مَنزِلَةَ آبنَةٍ لا خَيرَ فيها[٨]، لِأَنِّي إِنَّما تَكَلَّمتُ إِلى الآنَ مِن شِدَّةِ ما بي مِنَ القَلَقِ والغَيظ». [١٧] فأَجابَها عالي قائِلاً: «إِمْضي بِسَلام، وإِلهُ إِسْرائيلَ يُعطِيكِ بُغيَتَكِ الَّتي آلتَمَستِها مِن لَدُنْه». [١٨] فقالَت: «لِتَنَلْ أَمَتُكَ حُظوَةً في عَينَيكَ». ومَضَتِ المَرأَةُ في سَبيلِها وأَكَلَت، ولَم يَعُدْ وَجهُها كما كان.

[١٩] وبَكَّروا في الصَّباح، وسَجَدوا أَمامَ الرَّبّ، ورَجَعوا ذاهِبينَ إِلى مَنزِلِهم بِالرَّامَة. وعَرَفَ أَلْقانَةُ حَنَّةَ زَوجَتَه، وذَكَرَها الرَّبّ. [٢٠] فكانَ في آنقِضاءِ الأَيَّامِ أَنَّ حَنَّةَ حَمَلَت وَوَلَدَتِ آبناً، فدَعَته صَموئيل، لِأَنَّها قالَت: «مِنَ الرَّبِّ آلتَمَستُه»[٩].

[٢٤] فلَمَّا فَطَمَته، صَعِدَت بِه، ومَعَها ثَورٌ آبنُ ثَلاثِ سَنَوات، وإِيفَةٌ مِن

(٦) بما أن الكلام يقتصر على الشعر الطويل، ولا يشمل شرب المُسكرات، فلا يمكن التأكيد على أن صموئيل كان «نذيراً».

(٧) كانوا يصلّون عادةً بصوت عالٍ.

(٨) حرفياً: «ابنة بليعال».

(٩) اشتقاق جِناسي، فالاحرى أن يكون المعنى «اسم ايل» (اسم الله).

دَقيق، وزِقُّ خَمْر، وجاءت بِه إِلى الرَّبِّ في شيلو، وكانَ الصَّبِيُّ لا يَزالُ طِفلاً. [٢٥] فذَبَحوا الثَّورَ وقَدَّموا الصَّبِيَّ إِلى عالي. [٢٦] وقالَت: «يا سَيِّدي، حَيَّةٌ نَفسُكَ! أَنا المَرأَةُ الَّتي وَقَفَتْ لَدَيكَ هٰهُنا تُصَلِّي إِلى الرَّبّ. [٢٧] إِنِّي لِأَجلِ هذا الصَّبِيِّ صَلَّيتُ، فأَعطانِيَ الرَّبُّ بُغيَتِي الَّتي سَأَلتُها مِن لَدُنه. [٢٨] ولِأَجلِ ذلك وَهَبتُه لِلرَّبّ، فيَكونُ عارِيَةً كُلَّ أَيَّامِ حَياتِه». وسَجَدوا هُناكَ لِلرَّبّ.

٢ [١] وصَلَّت حَنَّةُ فقالَت:

إِبتَهَجَ قَلْبي بِالرَّبّ(١٠) وآرتَفَعَ رَأسي(١١) بِالرَّبّ
وآتَّسَعَ فَمي على أَعْدائي لِأَنِّي قد فَرِحتُ بِخَلاصِكَ.
[٢] لا قُدُّوسَ مِثلُ الرَّبّ
لِأَنَّه لَيسَ أَحَدٌ سِواكَ ولَيسَ صَخرَةٌ(١٢) كإِلهِنا.
[٣] لا تُكثِروا مِن كَلامِ التَّشامُخِ ولا تَخرُجْ وَقاحَةٌ مِن أَفْواهِكم
لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ عَليمٌ وازِنُ الأَعْمال.
[٤] كُسِرَت قِسِيُّ المُقتَدِرين وتَسَربَلَ المُتَعَثِّرونَ بِالقُوَّة.
[٥] الشَّباعى آجَروا أَنفُسَهم بِالخُبزِ والجِياعُ كَفُّوا عنِ العَمَل
حتَّى إِنَّ العاقِرَ وَلَدَت سَبعَةً(١٣) والكَثيرةَ البَنينَ ذَبِلَت.
[٦] الرَّبُّ يُميتُ ويُحْيي، يُحدِرُ إِلى مَثْوى الأَمواتِ ويُصعِدُ مِنه.

(١٠) نرى في هذه القصيدة كثيراً من تعابير «نشيد مريم العذراء».
(١١) حرفياً: «قَرْني»، رمز القوّة.
(١٢) كثيراً ما يوصف الله بالصخرة.
(١٣) بسبب هذا التلميح، جُعل هذا النشيد على لسان حنة.

[٧]الرَّبُّ يُفقِرُ ويُغْني ، يَضَعُ ويَرفَع .
[٨]يُنهِض المِسْكينَ عنِ التُّراب ، يُقيمُ الفَقيرَ مِنَ المَزبَلة
لِيُجلِسَه معَ العُظَماء ويورِثَه عَرشَ المَجد(١٤)
لِأَنَّ لِلرَّبِّ أَعمِدَةَ الأَرض(١٥) وقد وَضَعَ علَيها الدُّنيا .
[٩]يَحفَظُ أَقْدامَ أَصْفِيائِه والأَشْرارُ في الظَّلامِ يَزولون
لِأَنَّه لا يَغلِبُ إِنْسانٌ بِقُوَّتِه .
[١٠]مُخاصِمو الرَّبِّ يَنكَسِرون وعلى كُلٍّ مِنهم يُرعِدُ مِنَ السَّماء .
الرَّبُّ يَدينُ أَقاصِيَ الأَرْض .
يَهَبُ عِزَّةً لِمَلِكِه(١٦) ويَرفَعُ رَأسَ مَسيحِه» .
[١١]ثُمَّ مَضى أَلْقانةُ إِلى الرَّامة ، إِلى مَنزِلِه . وأَمَّا الصَّبِيُّ فكانَ يَخدِمُ الرَّبَّ أَمامَ عالِيَ الكاهِن .

٢. صموئيل في شيلو

كُرِّس صموئيل لخدمة الله ، فقضى صباه بالقرب من تابوت العهد في شيلو .

[١٨]وكانَ صَموئيلُ يَخدِمُ أَمامَ الرَّبّ ، وهو صَبِيّ . وكانَ مُتَمَنطِقاً بِأَفودٍ(١٧) مِن كَتَّان . [١٩]وكانَت أُمُّه تَصنَعُ لَه جُبَّةً صَغيرةً وتأتيه بِها مِن سَنَةٍ إِلى سَنَةٍ عِندَ صُعودِها مع زَوجِها لِيَذبَحَ الذَّبيحَةَ السَّنَوِيَّة . [٢٠]فيُبارِكُ

(١٤) هذا نشيد إكراماً لـ«فقراء الرب» ، كـ«نشيد مريم العذراء» .
(١٥) كانوا يتصوّرون الارض عائمةً على الماء ومثبّتة بأعمدة (راجع أعمدة هرقول) .
(١٦) فالكلام هو على قصيدة مشيحية .
(١٧) لهذه الكلمة هنا معنى يختلف عن معناها في سفر القضاة : يُقصد بها هنا لباساً كهنوتياً هو مئزر من كتان .

عالي أَلقانَةَ وزَوجَتَه قائلاً: «يَرزُقُكَ الرَّبُّ نَسْلاً مِن هذه المَرأَةِ بَدَلَ ما وَهَبَت لِلرَّبّ».
[٢٦]أَمَّا صَموئيلُ الصَّبِيُّ، فكانَ يَتَسامى في القامَةِ والحُظوَةِ عِندَ اللهِ والنَّاس.

٣. دعوة صموئيل

انها لدعوة نبوية. كُلّف صموئيل بإنباء عظيم الكهنة عالي بالحكم على أسرته بسبب سوء سلوك أبنائه.

٣ [١]وأَمَّا صَموئيلُ الصَّبِيُّ فكانَ يَخدِمُ الرَّبَّ بَينَ يَدَي عالي. وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ نادِرَةً في تِلكَ الأَيَّام، ولم تَكُنِ الرُّؤَى مُتَواتِرة. [٢]وكانَ في تِلكَ الأَيَّامِ أَنَّ عالِيَ كانَ راقِداً في غُرفَتِه، وكانَت عَيناه قَدِ ٱبتَدَأَتا تَكِلاَّن، فلَم يَكُنْ يَستَطيعُ أَن يُبصِر. [٣]وكانَ مِصْباحُ اللهِ لم يَنطَفِئْ بَعدُ، وصَموئيلُ راقِدٌ في هَيكَلِ الرَّبِّ حَيثُ تابوتُ الله. [٤]فدَعا الرَّبُّ صَموئيل، فقال: «هاءَنَذا». [٥]ورَكَضَ إِلى عالِيَ وقال: «هاءَنَذا، إِنَّكَ دَعَوتَني». فقالَ لَه: «لم أَدعُكَ، إِرجِعْ فنَمْ». فرَجَعَ ونام. [٦]فعادَ الرَّبُّ ودَعا صَموئيلَ أيضاً. فقامَ صَموئيلُ وذَهَبَ إِلى عالِيَ وقالَ: «هاءَنَذا، إِنَّكَ دَعَوتَني». فقالَ لَه: «لم أَدعُكَ، يا بُنَيَّ، إِرجِعْ فنَم». [٧]ولم يَكُنْ صَموئيلُ يَعرِفُ الرَّبَّ بَعدُ، ولم يَكُنْ بَعدُ قد أُعلِنَ لَه كَلامُ الرَّبّ. [٨]فعادَ الرَّبُّ ودَعا صَموئيلَ ثالِثَةً. فقامَ وذَهَبَ إِلى عالِيَ [٩]وقالَ: «هاءَنَذا، إِنَّكَ دَعَوتَني». فأَدرَكَ عالي أَنَّ الرَّبَّ هو الَّذي يَدْعو الصَّبِيّ. فقالَ عالي لِصَموئيل: «إِذْهَبْ فنَمْ، وإِن دَعاكَ أَيضاً، فقُلْ: تَكَلَّمْ، يا رَبّ، فإِنَّ عَبدَكَ يَسمَع». فذَهَبَ صَموئيلُ ونامَ في مَكانِه.

[١٠] فجاءَ الرَّبُّ ووَقَفَ ودَعا كالمَرّاتِ الأُولى : «صَموئيل ، صَموئيل» . فقالَ صَموئيل : «تَكلَّمْ ، فإِنَّ عَبدَكَ يَسمَع» . [١١] فقالَ الرَّبُّ لِصَموئيل : «إِنِّي صانِعٌ في إِسْرائيلَ أَمراً كُلُّ مَن سَمِعَ بِه تَطِنُّ أُذُناه . [١٢] في ذلِكَ اليَومِ أُتِمُّ على عالِيَ كُلَّ ما تَكلَّمتُ بِه على بَيتِه[١٨] مِنَ البِدايَةِ وحتَّى النِّهايَة . [١٣] فقَد أَنبَأتُه بِأَنِّي أَحكُمُ على بَيتِه لِلأَبَد ، بِسَبَبِ الإِثمِ الَّذي يَعلَمُ أَنَّ بَنيه لَعَنوا بِه الله ، فلم يَردَعْهم . [١٤] ولِذلك أَقسَمتُ على بَيتِ عالِيَ أَنَّه لا يُكَفَّرُ إِثمُ بَيتِ عالِيَ بِذَبيحةٍ أَو تَقدِمَةٍ لِلأَبَد» .

[١٥] وبَقِيَ صَموئيلُ راقِداً إِلى الصَّباح . ثُمَّ فَتَحَ أَبْوابَ بَيتِ الرَّبّ[١٩] ، وخافَ صَموئيلُ أَن يَقُصَّ الرُّؤيا على عالي . [١٦] فدعا عالي صَموئيلَ وقال : «يا صَموئيلُ آبْني» . فقالَ صَموئيل : «هاءَنَذا» . [١٧] فقال : «ما الكَلامُ الَّذي كَلَّمَكَ بِه ؟ لا تَكتُمْني . كَذا يَصنَعُ اللهُ بِكَ وكَذا يَزيد ، إِن كَتَمتَني كَلِمَةً مِن كُلِّ ما كَلَّمَكَ بِه» . [١٨] فأَخبَرَه صَموئيلُ بِكُلِّ الكَلام ، ولم يَكتُمْه شَيئاً . فقال عالي : «هو الرَّبّ ، فما حَسُنَ في عَينَيه فلْيَفعَلْ»[٢٠] .

[١٩] وكَبِرَ صَموئيل ، وكانَ الرَّبُّ معَه ، ولم يَدَعْ شَيئاً مِن كُلِّ كَلامِه يسقُطُ على الأَرض . [٢٠] وعَلِمَ كُلُّ إِسْرائيل ، مِن دانَ إِلى بِئرَ سَبْع ، أَنَّ صَموئيلَ قدِ آئتَمَنه الرَّبُّ نَبِيًّا[٢١] .

(١٨) سبق أن تكلّم هذا السِفر على سوء سلوك بني عالي ، ولا سيّما في القيام بأعمالهم الكهنوتية .

(١٩) كان صموئيل يقوم في شيلو بوظيفة قندلفت .

(٢٠) ننتبه إلى إيمان عالي ، فهو رائع .

(٢١) دعوة صموئيل نداء الى رسالة نبوية (إنشاء الحكم الملكي جزء منها) .

٢. تابوت العهد عند الفلسطينيين

رافق تابوت العهد بني إسرائيل في البرية، ثم أقام في شيلو، حيث كان صموئيل الصبي في خدمته. كان هذا التابوت حِرزاً للشعب الاسرائيلي، فقام بدور هام في مقاومة الفلسطينيين.

١. الاستيلاء على تابوت العهد

كان بنو اسرائيل يظنون أن تابوت العهد يحميهم تلقائياً من الهزيمة وها ان الفلسطينيين استولوا عليه.

٤ [١] وكانَ كَلامُ صَموئيلَ إِلى كُلِّ إِسْرائيل.

وخَرَجَ إِسْرائيلُ على الفَلِسطينيِّينَ لِلحَرْب. فعَسكَروا عِندَ أَبانَ هاعيزَر، وعَسكَرَ الفَلِسطينِيُّونَ في أَفيق(٢٢). [٢] واصطَفَّ الفَلِسطينِيُّون بِإزاءِ إِسْرائيل، واتَّسَعَ القِتال، فانكَسَرَ إِسْرائيلُ أَمامَ الفَلِسطينيِّين، فقَتَلوا مِنَ الصَّفِّ وفي البَرِّيَّةِ نَحوَ أَربَعَةِ آلافِ رَجُل. [٣] فرَجَعَ الشَّعبُ إِلى المُعَسكَر. فقالَت شُيوخُ إِسْرائيل: «لِماذا هَزَمَنا الرَّبُّ أَمامَ الفَلِسطينيِّين؟ فلْنَأخُذْ لَنا مِن شيلو تابوتَ عَهدِ الرَّبّ، فيَكونَ في وَسْطِنا لِيُخَلِّصَنا مِن يَدِ أَعْدائِنا». [٤] فأَرسَلَ الشَّعبُ إِلى شيلو وحَمَلوا مِن هُناكَ تابوتَ عَهدِ رَبِّ القُوَّاتِ الجالِسِ على الكَروبين(٢٣). وكانَ هُناكَ ٱبْنا عالي، حُفْني وفِنْحاس، مع تابوتِ عَهدِ الله. [٥] فلَمَّا وَصَلَ تابوتُ عَهدِ الرَّبِّ إِلى المُعَسكَر، هَتَفَ كُلُّ إِسْرائيلَ هُتافاً شَديداً حتَّى ٱرتَجَّتِ الأَرض(٢٤).

(٢٢) كانت هاتان المدينتان تقعان في جنوب شكيم الى الشرق.

(٢٣) كروبان منبسطا الجناحَين كانا الواحد قبالة الآخر فوق تابوت العهد. وكانوا يعتقدون بأن الله يستريح عليهما.

(٢٤) نداء حربي إكراماً للربّ.

[٦]وسَمِعَ الفَلِسطينِيُّونَ صَوتَ الهُتاف، فقالوا: «ما هذا الصَّوت، هذا الهُتافُ العَظيمُ في مُعَسكَرِ العِبْرانِيِّين؟» فعَلِموا أَنَّ تابوتَ الرَّبِّ وَصَلَ إِلى المُعَسكَر(٢٥). [٧]فخافَ الفَلِسطينِيُّونَ وقالوا: «إِنَّ اللهَ قد وَصَلَ إِلى المُعَسكَر»، وقالوا: «الوَيلُ لَنا! إِنَّه لم يَكُنْ مِثلُ هذا الأَمرِ مِن أَمسِ فما قَبلُ. [٨]الوَيلُ لَنا! مَن يُنقِذُنا مِن يَدِ أُولئِكَ الآلِهَةِ القادِرين؟ إِنَّهم هُمُ الآلِهَةُ الَّذينَ ضَرَبوا مِصرَ كُلَّ ضَربَةٍ في البَرِّيَّة. [٩]تَشَدَّدوا يا أَهلَ فَلِسْطين، وكونوا رِجالاً كَيلا تُستَعبَدوا لِلعِبْرانِيِّين، كما آستُعبِدوا هم لكم، فكونوا رِجالاً وقاتِلوا». [١٠]وقاتَلَ الفَلِسطينِيُّون، فآنكَسَرَ إِسْرائيلُ وهَرَبَ كُلُّ واحِدٍ إِلى خَيمَتِه. وكانَت ضَربَةٌ شَديدةٌ جِدًّا، فسَقَطَ مِن إِسْرائيلَ ثَلاثونَ أَلفاً مِنَ الرَّجَّالَة. [١١]وأُخِذَ تابوتُ الله، وقُتِلَ آبْنا عالي، حُفْني وفِنْحاس.

٢. تابوت العهد كارثة للفلسطينيين

في رواية ظريفة، يبرهن الكاتب عن تفوّق الرب على آلهة الفلسطينيين، فمن تابوت العهد خرجت قوة هائلة لم يستطيعوا مقاومتها.

٥ [١]فأَمَّا الفَلِسطينِيُّون، فأَخَذوا تابوتَ اللهِ ومَضَوا بِهِ مِن أَبانَ هاعيزَرَ إِلى أَشْدود(٢٦). [٢]ثُمَّ أَخَذَ الفَلِسطينِيُّونَ تابوتَ الله، وأَدخَلوه بَيتَ داجون، وأَقاموه بِقُربِ داجون(٢٧). [٣]وبَكَّرَ الأَشْدودِيُّونَ مِنَ الغَد، فإِذا بِداجونَ مُلْقًى على وَجهِه على الأَرضِ أَمامَ تابوتِ الرَّبّ. فأَخَذوا داجونَ ورَدُّوه

(٢٥) تابوت العهد علامة الحضور الإلٰهي.
(٢٦) احدى المدن الفلسطينية العشر.
(٢٧) إله الخصب، وكان مكرّماً جداً عند الفلسطينيّين.

إِلى مَكانِه. [٤]ثُمَّ بَكَّروا في صَباحِ الغَد، فإِذا بِداجونَ مُلْقًى على وَجهِه على الأَرضِ أَمامَ تابوتِ الرَّبّ، ورَأسُ داجونَ وكَفَّاه مَقْطوعَةٌ عِندَ عَتَبَةِ الباب. وبَقِيَ جِذعُه وَحدَه في مَكانِه. [٥]لِذلك لا يَدوسُ كَهَنَةُ داجونَ وجَميعُ الدَّاخِلينَ بَيتَ داجونَ عَتَبَةَ بابِ داجونَ في أَشْدودَ إِلى هذا اليَوم.

[٦]وثَقُلَت يَدُ الرَّبِّ على الأَشْدودِيِّين، فدَمَّرَهم. [٧]فلَمَّا رَأَى أَهلُ أَشْدودَ ذلك، قالوا: «لا يَلبَثْ تابوتُ إِلهِ إِسْرائيلَ عِندَنا، لِأَنَّ يَدَه قاسِيَةٌ علَينا وعلى داجونَ إِلهِنا». [٨]فأَرسَلوا وجَمَعوا إِلَيهم كُلَّ أَقْطابِ الفَلِسطينِيِّينَ وقالوا: «ماذا نَصنَعُ بِتابوتِ إِلهِ إِسْرائيلَ» «لِيُنْقَلْ تابوتُ إِلهِ إِسْرائيلَ إِلى جَتّ»[٢٨]. فنَقَلوا تابوتَ إِلهِ إِسْرائيل. [٩]وكانَ مِن بَعدِ ما نَقَلوه أَنَّ يَدَ الرَّبِّ كانَت على المَدينَةِ بِآضطِرابٍ شَديدٍ جِدًّا، وضَرَبَ أَهلَ المَدينَةِ مِنَ الصَّغيرِ إِلى الكَبير.

[١٠]ثُمَّ أَرسَلوا تابوتَ اللهِ إِلى عَقْرون. فكانَ عِندَ وُصولِ تابوتِ اللهِ إِلى عَقْرون أَن صَرَخَ أَهلُ عَقْرونَ وقالوا: «قد أَتَوني بِتابوتِ إِلهِ إِسْرائيلَ لِيَقتُلَني أَنا وشَعْبي». [١١]وأَرسَلوا وجَمَعوا كُلَّ أَقْطابِ الفَلِسطينِيِّينَ وقالوا: «أَرسِلوا تابوتَ إِلهِ إِسْرائيل، ورُدُّوه إِلى مَكانِه، لِئَلاَّ يَقتُلَني أَنا وشَعْبي، لِأَنَّ آضطِرابَ المَوتِ حَلَّ في المَدينَةِ كُلِّها». وكانَت يَدُ اللهِ هُناكَ ثَقيلَةً جِدًّا.

(٢٨) مدينة أخرى من المدن العشر. وعقرون كذلك.

٣. تابوت العهد يعود إلى إسرائيل

فعزم الفلسطينيون على إعادة تابوت العهد، لكنهم وضعوه تحت الرقابة، بالقرب من الحدود.

٦ [١]وكانَ تابوتُ الرَّبِّ في بِلادِ فَلِسْطِينَ سَبعَةَ أَشهُر. [٢]فدَعا الفَلِسطينِيُّونَ الكَهَنَةَ والعرَّافينَ وقالوا: «ماذا نَصنَعُ بِتابوتِ الرَّبّ؟ أَخبِرونا كَيفَ نُرسِلُه إِلى مَكانِه» [٣]وقالوا: «إِن أَرسَلتُم تابوتَ إِلهِ إِسْرائيل، فلا تُرسِلوه فارِغاً، بل أَدُّوا لَه ذَبيحَةَ إِثْمٍ، فتَبرَأُونَ وتَعلَمونَ لِماذا لم تَكُفَّ يَدُه عنكم». [٤]فقالوا: «ما ذَبيحةُ الإِثْمِ الَّتي نُؤَدِّيها لَه؟» قالوا: «على عَدَدِ أَقْطابِ الفَلِسطينِيِّين، خَمسَةُ بَواسيرَ مِن ذَهَب وخَمسُ فِئْرانٍ مِن ذَهَب، لِأَنَّ ضَربَةً واحِدَةً نالَتْكم جميعاً، أَنتُم وأَقْطابَكم. [٧]والآنَ فآصنَعوا مَركَبَةً جَديدة، وخُذوا بَقَرَتَينِ مُرضِعَينِ لم يَعْلُهما نير، وشُدُّوا البَقَرَتَينِ إِلى المَركَبَة، ورُدُّوا عِجلَيهِما مِن وَرائِهما إِلى البَيت. [٨]وخُذوا تابوتَ الرَّبِّ وآجعَلوه على المَركَبَة. وأَدَواتُ الذَّهَبِ الَّتي تُؤَدُّونَها لَه ذَبيحَةَ إِثمٍ، اِجعَلوها في صُنْدوقٍ بِجانِبِه، وأَطلِقوه فيَذهَب. [٩]وآنظُروا، فإِن صَعِدَ في طَريقِ أَرضِه جِهَةَ بَيتَ شَمْس، يَكونُ هو الَّذي أَنزَلَ بِنا هذه الكارِثَةَ الشَّديدة، وإِلاَّ عَلِمْنا أَن لَيسَت يَدُه هي الَّتي ضَرَبَتنا، وإِنَّما كانَ ذلكَ آتِّفاقاً».

[١٠]ففَعَلَ القَومُ كذلك، وأَخَذوا بَقَرَتَينِ مُرضِعَين، وشَدُّوهما إِلى المَركَبَة، وحَبَسوا عِجلَيهِما في البَيت، [١١]ووَضَعوا تابوتَ الرَّبِّ على المَركَبَة مع الصُّندوقِ والفِئْرانِ الذَّهَبِيَّةِ وأَمثِلَةِ بَواسيرِهم. [١٢]فتَوَجَّهَتِ البَقَرَتانِ رأساً على طَريقِ بَيتَ شَمْس، وكانَتا تَسيرانِ على الطَّريقِ نَفسِه،

وهما تَخورانِ في مَسيرِهما، ولم تَحيدا يَمنَةً ولا يَسرَةً، وأَقْطابُ الفَلِسطينِيِّينَ يَسيرونَ وَراءَهما إلى حُدودِ بَيتَ شَمْس.

[١٣]وكانَ أَهلُ بَيتَ شَمْسَ يَحصُدونَ حِصادَ الحِنطَةِ في السَّهْل، فرَفَعوا عُيونَهم وأَبصَروا التَّابوتَ، ففَرِحوا لِرُؤيَتِه. [١٤]وأَتَتِ المَركَبَةُ حَقلَ يَشوعَ الَّذي مِن بَيتَ شَمْس، ووَقَفَت هُناكَ. وكانَ هُناكَ حَجَرٌ كَبير فَشَقَّقوا خَشَبَ المَركَبَة، وأَصعَدوا البَقَرَتَينِ مُحرَقَةً لِلرَّبّ. [١٥]وكانَ اللاَّوِيُّون قد أَنزَلوا تابوتَ الرَّبِّ والصُّندوقَ الَّذي معَه والَّذي فيه الأَدَواتُ الذَّهَبِيَّة، ووَضَعوه على الحَجَرِ الكَبير. فأَصعَدَ أَهلُ بَيتَ شَمسَ مُحرَقاتٍ وذَبَحوا في ذلك اليَومِ ذَبائِحَ لِلرَّبّ. [١٦]وأَمَّا أَقْطابُ الفَلِسطينِيِّينَ الخَمسَة، فرَأَوا ورَجَعوا مِن يَومِهم إلى عَقْرون. [١٩]وضَرَبَ الرَّبُّ أَهلَ بَيتَ شَمْس، لِأَنَّهم نَظَروا إِلى ما في تابوتِ الرَّبّ، وقَتَلَ مِنَ الشَّعبِ سَبْعينَ رَجُلاً، وكانوا خَمْسينَ أَلفَ رَجُل. فحَزِنَ الشَّعبُ، لِأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعبَ هذه الضَّربَةَ الشَّديدة.

[٢٠]وقالَ أَهلُ بَيتَ شَمْس: «مَنِ الَّذي يَقدِرُ أَن يَقِفَ أَمامَ الرَّبِّ الإِلهِ القُدُّوسِ هذا [(٢٩)] وإِلى مَن يَصعَدُ بَعيداً عنَّا؟» وأَرسَلوا رُسُلاً إِلى سُكَّانِ قِريَةَ يَعاريم[(٣٠)] وقالوا: «قد رَدَّ الفَلِسطينِيُّونَ تابوتَ الرَّبّ، فآنزِلوا وأَصعِدوه إِلَيكم».

(٢٩) جميع هذه الروايات تُظهر قداسة الربّ.

(٣٠) مدينة من مدن جبعون، تقع على حدود سبطَي يهوذا وبنيامين.

٧ [١]فأتى أَهلُ قِريَةَ يَعارِيم، وأَصعَدوا تابوتَ الرَّبِّ وأَدخَلوه بَيتَ أَبينادابَ في الأَكَمَة، وقَدَّسوا أَلِعازارَ آبنَه لِأَجلِ حِراسَةِ تابوتِ الرَّبّ.

٣. سَعْي صموئيل

١. القاضي: محاربة الفلسطينيين.

سعي صموئيل كسائر القضاة. مارس سعيه ضدّ الفلسطينيين، وأجرى الحكم وهو يتنقّل.

[٢]وكانَ، مُذْ يَومَ أَقامَ تابوتُ الرَّبِّ في قِريَةَ يَعارِيم، أَن طالَتِ الأَيَّامُ ومَضَت عِشْرونَ سَنَة، وتاقَ كُلُّ بَيتِ إِسْرائيلَ إِلى الرَّبّ. [٣]فكَلَّمَ صَموئيلُ بَيتَ إِسْرائيلَ كُلَّه وقالَ لَهم: «إِن كُنتُم راجِعينَ إِلى الرَّبِّ مِن كُلِّ قُلوبِكم، فأَبعِدوا الآلِهَةَ الغَريبَةَ والعَشْتاروتَ مِن بَينِكم، وثَبِّتوا قُلوبَكم في الرَّبّ، وآعبُدوه وَحدَه فيُنقِذَكم مِن يَدِ الفَلِسطينِيِّينَ». [٤]فأَبعَدَ بَنو إِسْرائيلَ عنهمُ البَعلَ والعَشْتاروت، وعَبَدوا الرَّبَّ وَحدَه.

[٥]فقالَ صَموئيل: «اُحشُدوا كُلَّ إِسْرائيلَ إِلى المِصْفاة، فأُصَلِّيَ لِأَجلِكم إِلى الرَّبّ». [٦]فآجتَمَعوا في المِصْفاة، وآستَقَوا ماءً وصَبُّوه أَمامَ الرَّبّ(٣١)، وصاموا في ذلك اليَومِ وقالوا هُناك: «قد خَطِئْنا إِلى الرَّبّ». وقضى صَموئيلُ لِبَني إِسْرائيلَ في المِصْفاة.

[٧]وسَمِعَ الفَلِسطينِيُّونَ أَنَّ بَني إِسْرائيلَ قدِ آجتَمَعوا في المِصْفاة. فصَعِدَ أَقْطابُ الفَلِسطينِيِّينَ على إِسْرائيل. فلَمَّا سَمِعَ بَنو إِسْرائيل، خافوا مِنَ

(٣١) لتطهير الارض من نجاسة عبادة الاوثان.

الفَلِسطينِيِّين. ^٨^وقالَ بَنو إِسْرائيلَ لِصَموئيل: «لا تَكُفَّ عنِ الصُّراخِ لِأَجلِنا إِلى الرَّبِّ إِلهِنا لِيُخَلِّصَنا مِن يَدِ الفَلِسطينِيِّين». ^٩^فأَخَذَ صَموئيلُ حَمَلاً رَضيعاً وأَصعَدَه مُحرَقَةً كامِلَةً لِلرَّبّ، وصَرَخَ صَموئيلُ إِلى الرَّبِّ لِأَجلِ إِسْرائيل، فآستَجابَ لَه الرَّبّ. ^١٠^وكان أَنَّه، بَينَما صَموئيلُ يُصعِدُ المُحرَقَة، تَقَدَّمَ الفَلِسطينِيُّونَ لِمُحارَبَةِ إِسْرائيل، فأَرعَدَ الرَّبُّ بِصَوتٍ عَظيمٍ في ذلك اليَومِ على الفَلِسطينِيِّينَ وهَزَمَهم فآنكَسَروا أَمامَ إِسْرائيلَ. ^١١^فخَرَجَ رِجالُ إِسْرائيلَ مِنَ المِصْفاة، وطارَدوا الفَلِسطينِيِّينَ وضَرَبوهم إِلى ما تَحتَ بَيتَ كار.

^١٥^وتَوَلَّى صَموئيلُ قَضاءَ إِسْرائيلَ كُلَّ أَيَّامِ حَياتِه. ^١٦^وكانَ يَذهَبُ في كُلِّ سَنَةٍ ويَطوفُ في بَيتَ إِيلَ والجِلْجالِ والمِصْفاة، ويَقْضي لِإِسْرائيلَ في جَميعِ تِلكَ الأَماكِن، ^١٧^ثُمَّ يَرجِعُ إِلى الرَّامة، لِأَنَّ بَيتَه كانَ هُناك، وكانَ يَقْضي فيها لِإِسْرائيل. وبَنى هُناكَ مَذبَحاً للرَّبّ.

٢. النبي: تأسيس الحكم الملكي

نبلغ هنا ذروة تطوّر اسرائيل السياسي، الذي بدأ بالدخول إلى الارض المقدّسة. على عهد القضاة، احتشدت قوات الاسباط وكانت تزداد يوماً بعد يوم، وكاد هذا الاحتشاد أن يصبح دائماً أمام خطر الفلسطينيين المستمرّ. لذلك، توارى صموئيل، ولكن شاول ما زال رئيساً اختاره الله وكرّسه، ومن هنا واجباته نحو الشعب المختار.

٨ ^١^ولَمَّا شاخَ صَموئيل، أَقامَ آبنَيه قاضِيَين لِإِسْرائيل. ^٢^وكانَ آسمُ آبنِه البِكْرِ يوئيل، وآسمُ الثَّاني أَبِيَّا، وكانا قاضِيَينِ في بِئرَ سَبْع. ^٣^ولم يَسِرِ آبْناه في سُبُلِه، ولكِنَّهما مالا إِلى الكَسْبِ وقَبِلا الرَّشوَةَ وحَرَّفا الحَقّ،

[٤]فاجتَمَعَ شُيوخُ إسْرائيلَ كُلُّهم وأتَوا صَموئيلَ في الرَّامة، [٥]وقالوا لَه: «إنَّكَ قد شِختَ، وابناكَ لا يَسيرانِ في سُبُلِكَ. فأَقِمِ الآنَ علَينا مَلِكاً يَقْضي بَينَنا كسائِرِ الأُمَم»(٣٢). [٦]فساءَ هذا الكَلامُ في عَينَي صَموئيل، إذ قالوا: «أَقِمْ علَينا مَلِكاً يَقْضي بَينَنا». فصَلَّى صَموئيلُ إلى الرَّبّ. [٧]فقالَ الرَّبُّ لِصَموئيل: «اِسمَعْ لِكَلامِ الشَّعْبِ في كُلِّ ما يَقولونَ لَكَ، فإنَّهم لم يَنبُذوكَ أَنتَ، بل نَبَذوني أَنا مِن مُلْكي علَيهم. [٨]إنَّهم بِحَسَبِ جَميعِ أَعمالِهمِ الَّتي عَمِلوها مُنذُ يَومَ أَصعَدتُهم مِن مِصرَ إلى هذا اليَوم، وتَركِهِم لي وعِبادَتِهم لِآلِهَةٍ أُخْرى، هكذا يَصنَعونَ معكَ أَنتَ أَيضاً. [٩]فآسمَعِ الآنَ لِقَولِهم، ولكِن أَشهِدْ علَيهم وأَخبِرْهم بِأَحْكامِ المَلِكِ الَّذي يَملِكُ علَيهم».

[١٠]فنَقَلَ صَموئيلُ جَميعَ كَلِماتِ الرَّبِّ إلى الشَّعبِ الَّذي طَلَبَ مِنه مَلِكاً، [١١]وقال: «هذه أَحْكامُ المَلِكِ الَّذي يَملِكُ علَيكم: يَأخُذُ بَنيكم ويَخُصُّهم بِنَفْسِه لِمَركَبَتِه وخَيلِه، فيَركُضونَ أَمامَ مَركَبَتِه. [١٢]ويَخُصُّهم بِنَفْسِه كرُؤَساءِ أَلْفٍ ورُؤَساءِ خَمْسينَ لِحَرْثِه وحِصادِه وصُنعِ أَدَواتِ حَربِه وأَدَواتِ مَركَبَتِه. [١٣]ويَتَّخِذُ بَناتِكم عطَّاراتٍ وطَبَّاخاتٍ وخبَّازات، [١٤]ويأخُذُ أَفضَلَ حُقولِكم وكُرومِكم وزَيتونِكم ويُعْطيها لِعَبيدِه. [١٥]ويَأخُذُ عُشوراً مِن زَرعِكم وكُرومِكم ويُعْطيها لِخِصْيانِه وعَبيدِه. [١٦]ويَأخُذُ أَفضَلَ خُدَّامِكم وخادِماتِكم وشبَّانِكم، ويأخُذُ حَميرَكم، ويَستَخدِمُهم في أَعْمالِه. [١٧]ويُعَشِّرُ غَنَمَكم وأَنتُم تَكونونَ لَه عَبيداً.

(٣٢) هذا ما لا يسلّم به صموئيل، فليس إسرائيل شعباً «كسائر الشعوب».

[18] فتَصرُخونَ في ذلك اليَومِ بِسَبَبِ مَلِكِكُم الَّذي آختَرتُموه لِأَنفُسِكم، فلا يُجيبُكمُ الرَّبُّ في ذلك اليَوم».

[19] فأَبى الشَّعبُ أَن يَسمَعَ لِكَلامِ صَموئيلَ وقال: «كَلاَّ، بل يَملِكُ علَينا مَلِك، [20] ونَكونُ نَحنُ كسائِرِ الأُمَم، فيَقْضي لَنا مَلِكُنا، ويَخرُجُ أَمامَنا ويُحارِبُ حُروبَنا». [21] فسَمِعَ صَموئيلُ كَلامَ الشَّعبِ كُلَّه، ورَدَّدَه على مسامِعِ الرَّبّ. [22] فقالَ الرَّبُّ لِصَموئيل: «اِسمَعْ لِكَلامِهم ووَلِّ علَيهم مَلِكاً». فقالَ صَموئيلُ لِرجالِ إِسْرائيل: «اِذهَبوا كُلُّ واحِدٍ إِلى مَدينَتِه».

٩ [1] وكانَ رَجُلٌ من بَنْيامينَ آسمُه قيسُ بنُ أَبيئيلَ بنِ صرورَ بنِ بَكورَتَ آبنِ أَفيحَ بنِ رَجُلٍ مِن بَنْيامينَ ثَرِيٌّ جِدًّا. [2] وكانَ لَه آبنٌ اسمُه شاوُل، شابٌّ جَميل، لم يَكُنْ في بَني إِسْرائيلَ رَجُلٌ أَجمَلُ مِنه. وكانَ يَزيدُ طولاً على كُلِّ الشَّعبِ من كَتِفِه فما فَوق.

[3] فضَلَّت أُتُنُ قِيس، أَبي شاوُل، فقالَ قيسٌ لِشاوُلَ آبنِه: «خُذْ معَكَ واحِداً مِنَ الخَدَم، وقُمْ فسِرْ في طَلَبِ الأُتُن». [4] فجازَ جَبَلَ أَفْرائيم، وعَبَرَ إِلى أَرضِ شَليشة، فلم يَجِداها. فعَبَرا في أَرضِ شَعْليم، فلَم تَكُنْ هُناك، فجازَ إِلى أَرضِ بَنْيامين، فلم يَجِداها. [5] فلَمَّا أَتَيا أَرضَ صوف، قالَ شاوُلُ لِخادِمِه الَّذي معَه: «تَعالَ نَرجِع، لَعَلَّ أَبي قد أَهمَلَ الأُتُنَ وقَلِقَ في أَمرِنا». [6] فقالَ لَه خادِمُه: «هُوَذا الآنَ رَجُلُ اللهِ في هذه المَدينة، وهو رَجُلٌ مُكَرَّم، وكُلُّ ما يَقولُه يَتِمّ. فلْنَذهَبِ الآنَ إِلَيه لَعَلَّه يَدُلُّنا على طَريقِنا الَّذي نَسلُكه».

[١٤]فصَعِدا إِلى المَدينَة، وفيما هما داخِلانِ في وَسَطِ المَدينَة، إِذا صَموئيلُ قد صادَفَهما، وهو خارِجٌ لِيَصعَدَ إِلى المَشرَف[٣٣].

[١٧]فلَمَّا رأى صَموئيلُ شاوُلَ قالَ لَه الرَّبّ: «هُوَذا الرَّجُلُ الَّذي كَلَّمتُكَ عنه. هذا يَحكُمُ شَعْبي». [١٨]فدَنا شاوُلُ مِن صَموئيلَ وهو في وَسَطِ الباب وقال: «أَخبِرْني، أَينَ بَيتُ الرَّائي؟»[٣٤] [١٩]فأَجابَ صَموئيلُ وقالَ لِشاوُل: «أَنا هو الرَّائي، فآصعَدْ أَمامي إِلى المَشرَف، وكُلا اليَومَ معي وفي الغَدِ أَصرِفُكَ وأُنبِئُكَ بِكُلِّ ما في قَلبِك. [٢٠]فأَمَّا الأُتُنُ الَّتي ضَلَّت لَكَ مُنذُ ثَلاثَةِ أَيَّام، فلا تَجعَلْ بَالَكَ علَيها، لِأَنَّها قد وُجِدَت».

[٢٥]ثُمَّ نَزَلوا مِنَ المَشرَفِ إِلى المَدينةِ، وَتكَلَّمَ صَموئيلُ مع شاوُلَ على السَّطح.

[٢٦]وبَكَّروا عِندَ طُلوعِ الفَجْر، فدَعا صَموئيلُ شاوُلَ الَّذي كان على السَّطْحِ وقالَ له: «قُمْ فأَصرِفَكَ». فقامَ شاوُلُ وخَرَجَ هو وصَموئيلُ معاً إِلى الخارِج. [٢٧]فبَينما هما نازِلانِ عِندَ طَرَفِ المَدينَة، قالَ صَموئيلُ لِشاوُل: «مُرِ الخادِمَ أَن يَتَقَدَّم»، ففَعل، «وقِفْ أَنتَ الآنَ فأُسمِعَكَ كَلامَ الله».

١٠ [١]فأَخَذَ صَموئيلُ قارورَةَ الزَّيتِ وصَبَّ على رأسِه وقَبَّلَه وقال: «أَما أَنَّ الرَّبَّ قد مَسَحَكَ قائِداً على ميراثِه؟[٣٥] [٢]فإِذا فارَقتَني اليَومَ، تُصادِفُ رَجُلَينِ عِندَ قَبرِ راحيلَ في حُدودِ بَنْيامينَ، في صَلْصَح، فيَقولانِ لَكَ: قد

(٣٣) المشرف هو معبد كنعاني، حلّت فيه عبادة الربّ محلّ عبادة البعل.
(٣٤) «الرائي»، مرادف لـ«النبي».
(٣٥) المسحة تسم الملك بطابع مقدّس.

وُجِدَتِ الأُتُنُ الَّتي خَرَجتَ في طَلَبِها. ثُمَّ تَصِلُ إِلى جَبْعِ الله، حَيثُ مَركَزٌ أَماميٌّ للفَلِسطينيِّين، فيكونُ، عِندَ دُخولِكَ المَدينةَ مِن هُناكَ، أَنَّكَ تَلْقى مَجموعةً مِنَ الأَنبياءِ نازِلينَ مِنَ المَشرَف، وقُدَّامَهم عيدانٌ ودُفوفٌ ومَزاميرُ وكِنَّارات، وهم يَتَنَبَّأُون(٣٦). ٦فيَنقَضُّ علَيكَ روحُ الرَّبّ، وتَتَنَبَّأُ أَنت(٣٧) معَهم وتَصيرُ رَجُلاً آخَر. ٧فإِذا وَرَدَت علَيكَ هذه الآيات، فآصنَعْ ما تَجِدُه يَدُكَ، لِأَنَّ اللهُ معَكَ.

١٠ووَصَلوا إِلى جَبْعَ، فإِذا المَجْموعَةُ مِنَ الأَنبِياءِ قدِ آستَقبَلوه، فآنقَضَّ علَيه روحُ اللهِ فتَنَبَّأَ في وَسْطِهم.

١٣ولَمَّا آنتَهى مِنَ التَّنَبُّؤ، جاءَ إِلى المَشرَف.

١١ ١٥فمضى الشَّعْبُ كُلُّه إِلى الجِلْجال، ومَلَّكوا هُناكَ شاوُلَ أَمامَ الرَّبِّ في الجِلْجال، وذَبَحوا هُناكَ ذَبائِحَ سَلامِيَّةً أَمامَ الرَّبّ. وفَرِحَ شاوُلُ ورِجالُ إِسْرائيلَ كُلُّهم فَرَحاً عَظيماً.

١٢ ١ثُمَّ قالَ صَموئيلُ لِكُلِّ إِسْرائيلَ: «ها قد سَمِعتُ لِكَلامِكم في كُلِّ ما قُلتُم لي وأَقَمتُ علَيكم مَلِكاً. ٢فهذا الآنَ مَلِكُكم يَسيرُ أَمامَكم. فأَمَّا أَنا فقد شِختُ وشِبتُ، وهؤُلاءِ بَنِيَّ مَعَكم، وأَنا قد سِرتُ أَمامَكم مُنذُ صِبايَ إِلى اليَوم(٣٨).

(٣٦) يدور الكلام هنا على فئة خاصة من الانبياء، كانوا يستخدمون آلات الطرب والرقص للحصول على جذب مصطنع. أمّا كبار الانبياء الذين عاشوا في العصر الذهبي، فإنهم من نوعية دينية مختلفة.

(٣٧) هذا النوع من التنبؤ مُعدٍ.

(٣٨) ما يلي يشكّل تأدية حساب يقوم بها صموئيل للشعب. وبعد ذلك، يعتزل مهمة القاضي.

٤. رَذْل شاول

١. شاول وخطأه الاول : ذبيحة الجلجال

لا نرى هنا كيف أخطأ شاول ، فإنه قد خضع لامر صموئيل ، وكان من الطبيعي أن يقرّب الملك ذبيحة .

١٣ [٣]فضَرَبَ يوناتانُ عَميدَ الفَلِسطينِيِّنَ في جَبْع ، وسَمِعَ أَهْلُ فَلِسطينَ ذلك . ونَفَخَ شاوُلُ في البوقِ في الأَرضِ كُلِّها وقال : «لِيَسمَعِ العِبْرانِيُّون» . [٤]فسَمِعَ كُلُّ إِسْرائيل ، وقيلَ لَه إِنَّ شاوُلَ قد ضَرَبَ عَميدَ الفَلِسطينِيِّينَ وإِنَّ الفَلِسطينِيِّينَ أَخَذوا يَمقُتونَ إِسْرائيل . فآستُدعِيَ الشَّعْبُ وَراءَ شاوُلَ في الجِلْجال . [٥]وآجتَمَعَ الفَلِسطينِيُّونَ لِمُحارَبَةِ إِسْرائيل ، وكانَ هُناكَ ثَلاثونَ أَلفَ مَركَبَةٍ وسِتَّةُ آلافٍ مِنَ الفُرسانِ وشَعبٌ مِثلُ الرَّملِ الَّذي على ساحِلِ البَحرِ كَثرَةً ، وصَعِدوا وعَسكَروا في مِكْماش ، شَرقِيَّ بيتَ آوِن .

وكانَ شاوُلُ لا يَزالُ مُقيماً في الجِلْجال ، والشَّعْبُ كُلُّه يَرتَعِدُ وَراءَه . [٨]فمَكَثَ سَبعَةَ أَيَّامٍ بِحَسَبِ ميعادِ صَموئيل ، فلم يَأتِ صَموئيلُ إِلى الجِلْجال ، وتَفَرَّقَ الشَّعبُ عن شاوُل . [٩]فقالَ شاوُل : «قَدِّموا لِيَ المُحرَقَةَ والذَّبائِحَ السَّلامِيَّة» ، وأَصعَدَ المُحرَقَة . [١٠]فلَمَّا آنتَهى مِن إِصْعادِ المُحرَقَة ، إِذا صَموئيلُ قد أَقبَل . فخَرَجَ شاوُلُ لِلِقائِه والتَّسْليم علَيه . [١١]فقالَ صَموئيل : «ماذا فَعَلتَ ؟» فقالَ شاوُل : «رَأَيتُ الشَّعبَ يَتَفَرَّقُ عنِّي ، وأَنتَ لم تأتِ في أَيَّامِ الميعاد ، والفَلِسطينِيُّونَ مُجتَمِعونَ في مِكْماش ، [١٢]فقُلتُ في نَفْسي : الآنَ يَنزِلُ الفَلِسطينِيُّونَ علَيَّ إِلى الجِلْجال ، ولم أَستَرضِ وَجهَ الرَّبّ ، فأَكرَهتُ نَفْسي وأَصعَدتُ المُحرَقَة» . [١٣]فقالَ صَموئيلُ لِشاوُل :

«إِنَّكَ بِحَماقةٍ فَعَلتَ، لِأَنَّكَ لم تَحفَظْ وَصِيَّةَ الرَّبِّ إِلهِكَ الَّتي أَوصاكَ بها، ولَولا ذلك لَكانَ الرَّبُّ قد أَقَرَّ مُلكَكَ على إِسْرائيلَ لِلأَبَد. [14]وأَمَّا الآن، فلا يَثبُتُ مُلكُكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ قدِ آخْتارَ لَه رَجُلاً على حَسَبِ قَلبِه[(39)]، وأَقامَه قائِداً على شَعبِه، لِأَنَّكَ لم تَحفَظْ ما أَوصاكَ الرَّبُّ بِه». [15]وقامَ صَموئيلُ وصَعِدَ مِنَ الجِلْجال لِيَمضِيَ في سَبيلِه. وصَعِدَ بَقِيَّةُ الشَّعبِ وَراءَ شاوُلَ لِمُلاقاةِ الشَّعبِ المُحارِب، وذَهَبَ مِنَ الجِلْجالِ إِلى جَبْعَ بَنْيامين.

٢. شاول وخطأه الثاني: موقفه من العمالقة

لم يقم شاول بتدمير كامل للغنيمة، بل سعى وراء الشعبية بإرضائه الشعب. فهناك إذاً عصيان لله، لا لانه استفاد من الغنيمة، بل لانه رفض طريقة تمجيد الله التي اختارها صموئيل. فهناك بالتالي تناقض بين السلطة السياسية والسلطة الدينية فمن هنا تشدّد صموئيل وتفسير اختيار داود.

١٥ [1]وقالَ صَموئيلُ لِشاوُل: «أَنا الَّذي أَرسَلَني الرَّبُّ لِأَمسَحَكَ مَلِكاً على شَعبِه، على إِسْرائيل. فآسمَعِ الآنَ قَولَ الرَّبّ. [2]هكذا يَقولُ رَبُّ القُوَّات: سأَفتَقِدُ عَماليقَ لِما صَنَعَ بِإِسْرائيل، حينَ وَقَفَ لَه في الطَّريق، عِندَ صُعودِه مِن مِصْر. [3]فهَلُمَّ الآنَ وآضرِبْ عَماليق، وحَرِّمْ كُلَّ ما لَهم[(40)]، ولا تُبقِ علَيه، بل أَمِتِ الرِّجالَ والنِّساءَ والأَولادَ وحتَّى الرُّضَّعَ والبَقَرَ والغَنَمَ والإِبلَ والحَمير».

(٣٩) المقصود هو داود.
(٤٠) التحريم عمل من أعمال الحرب المقدّسة، يُلزِم بعدم الاستفادة من أية غنيمة: تُقتل الكائنات الحية، ويقدَّم المعدن الثمين لمعبد الإله.

[٤]فنادى شاوُلُ الشَّعْبَ وٱستعرَضَهم في طَلائيم، فكانوا مِئتَي أَلفِ راجِلٍ وعَشَرَةَ آلافِ رَجُلٍ مِن يَهوذا . [٥]فزَحَفَ شاوُلُ على مَدينَةِ عَماليق، وكَمَنَ في الوادي.

[٧]وضَرَبَ شاوُلُ عَماليق، مِن حَويلَةَ إِلى شورَ الَّتي شَرقِيَّ مِصْر، [٨]وأَخَذَ أَجاجَ، مَلِكَ عَماليقَ، حَيًّا، وحَرَّمَ شَعبَه أَجمَعَ بِحَدِّ السَّيف. [٩]وأَبْقى شاوُلُ والشَّعبُ على أَجاجَ وعلى خِيارِ الغَنَمِ والبَقَرِ وكُلِّ سَمينٍ والحُمْلانِ وكُلِّ ما كانَ جَيِّداً، وأَبَوا أَن يُحَرِّموها، ولكِن كُلُّ ما كانَ حَقيراً هَزيلاً حَرَّموه.

[١٠]فكانَ كَلامُ الرَّبِّ إِلى صَموئيلَ قائلاً: [١١]«إِنِّي قد نَدِمتُ على إِقامَتي شاوُلَ مَلِكاً، لِأَنَّه ٱرتَدَّ عن ٱتِّباعي ولم يَعمَلْ بِأَمْري». فغَضِبَ صَموئيلُ وصَرَخَ إِلى الرَّبِّ كُلَّ لَيلِه.

[١٢]ثُمَّ بَكَّرَ صَموئيلُ في الصَّباحِ لِلِقاءِ شاوُل. فأُخبِرَ صَموئيلُ وقيلَ لَه: «إِنَّ شاوُلَ قد ذَهَبَ إِلى الكَرمَل[٤١]، وهُوَذا قد نَصَبَ لِنَفسِه نُصُباً، وٱنثَنى وعَبَرَ نازِلاً إِلى الجِلْجال». [١٣]فلَمَّا وَصَلَ صَموئيلُ إِلى شاوُل، قالَ لَه شاوُل: «عليكَ بَرَكَةُ الرَّبّ. إِنِّي قد عَمِلتُ بِأَمرِ الرَّبّ». [١٤]قالَ صَموئيل: «فما هذا الصَّوت صَوتُ الغَنَم الَّذي في أُذُنَيَّ، وصَوتُ البَقَرِ الَّذي أَنا سامِعُه؟» [١٥]قالَ شاوُل: «قد أَتَوا بها مِنَ العَمالِقَة، لِأَنَّ الشَّعبَ قد أَبقَوا على خِيارِ الغَنَمِ والبَقَر، لِيَذبَحوا لِلرَّبِّ إِلهِكَ، والباقي حَرَّمناه»...

(٤١) في جنوب حبرون.

[٢٤]فقالَ شاوُلُ لِصَموئيل : «قد خَطِئتُ مُتَعَدِّياً أَمرَ الرَّبِّ وكَلامَكَ، لِأَنِّي خِفتُ مِنَ الشَّعب، وسَمِعتُ لِكَلامِه[٤٢]. [٢٥]فآغفِرِ الآنَ خَطيئَتي وآرجِعْ معي فأَسجُدَ لِلرَّبّ» . [٢٦]فقالَ صَموئيلُ لِشاوُل : «لا أَرجِعُ معَكَ، لِأَنَّكَ نَبَذتَ كَلامَ الرَّبّ، وقد نَبَذَكَ الرَّبُّ كَمَلِكٍ على إِسْرائيل»[٤٣].

[٣٤]ثُمَّ آنصَرَفَ صَموئيلُ إِلى الرَّامة، وصَعِدَ شاوُلُ إِلى بَيتِه، إِلى جَبْعَ شاوُل. [٣٥]ولم يَعُدْ صَموئيلُ يَرى شاوُلَ إِلى يَومِ وَفاتِه.

٥. نزول داود إلى الساحة

١. داود عازف شاب

هناك تقليد يصف لنا داود عازفاً شاباً موهوباً، يعزف على الكنّارة فيُريح الملك.

١٦ [١]وقالَ الرَّبُّ لِصَموئيل : «إِلى مَتى تَحزَنُ على شاوُل، وأَنا قد نَبَذتُه كَمَلِكٍ على إِسْرائيل؟ فآملأْ قَرنَكَ زَيتاً وتَعالَ أُرسِلُكَ إِلى يَسَّى مِن بَيتَ لَحْم، لِأَنِّي قدِ آختَرتُ لي مِن بَنيه مَلِكاً» . [٢]فقالَ صَموئيل : «كَيفَ أَذهَب؟ فإِن سَمِعَ شاوُل، يَقتُلُني» . فقالَ الرَّبّ : «خُذْ معَكَ عِجلَةً مِنَ البَقَرِ وقُلْ : إِنِّي جِئتُ لِأَذبَحَ ذَبيحةً لِلرَّبّ. [٣]وآدعُ يَسَّى إِلى الذَّبيحة، وأَنا أُعلِمُكَ ماذا تَصنَع، وآمسَحْ لِيَ الَّذي أُسَمِّيه لَكَ» .

[٤]ففَعَلَ صَموئيلُ كما أَمَرَه الرَّبّ، وأَتى بَيتَ لَحْم. فآرتَعَشَ شُيوخُ المَدينَةِ عِندَ لِقائِه وقالوا : «أَلِسَلامٍ قُدومُكَ؟» [٥]فقال : «لِسَلامٍ قَدِمتُ،

(٤٢) هذا السبب الوجيه لعصيان شاول.

(٤٣) تبدو العقوبة صارمة. يعترف شاول بخطإه ويطلب المغفرة. وفي وقت لاحق، ارتكب ملوك آخرون جرائم أكبر من جريمته، ومع ذلك لم تُقطع السلالة في يهوذا. في هذا الامر سرّ الاختيار والرذل.

لِأَذبَحَ لِلرَّبّ . فقَدِّسوا أَنفُسَكم وتَعالَوا معي إِلى الذَّبيحَة» . وقَدَّسَ يَسَّى وبَنيه ودَعاهم إِلى الذَّبيحة .

[٦] فلَمَّا أَتَوه ، رأَى أَليآب ، فقالَ في نَفسِه : «لا شَكَّ أَنَّ أَمامَ الرَّبِّ مَسيحَه» . [٧] فقالَ الرَّبُّ لِصَموئيل : «لا تُراعِ مَنظَرَه وطول قامَتِه ، فإِنِّي قد نَبَذتُه ، لِأَنَّ الرَّبَّ لا يَنظُرُ كما يَنظُرُ الإِنْسانَ ، فإِنَّ الإِنْسانَ إِنَّما يَنظُرُ إِلى الظَّواهِر ، وأَمَّا الرَّبُّ فإِنَّه يَنظُرُ إِلى القَلْب» . [٨] ثُمَّ دعا يَسَّى أَبيناداب ، وأَجازَه أَمامَ صَموئيل . فقال : «وهذا أَيضاً لم يَختَرْه الرَّبّ» . [٩] ثُمَّ أَجاز يَسَّى شَمَّة ، فقال : «وهذا أَيضاً لم يَختَرْه الرَّبّ» . [١٠] فأَجازَ يَسَّى سَبعَةَ بَنيه أَمامَ صَموئيل ، فقالَ صَموئيلُ لِيَسَّى : «لم يَختَرِ الرَّبُّ مِن هؤُلاء» . [١١] ثُمَّ قالَ صَموئيلُ لِيَسَّى : «أَهؤُلاءِ جَميعُ الفِتْيان ؟» فقالَ لَه : «قد بَقِيَ الصَّغير ، وهو يَرْعى الغَنَم» . فقالَ صَموئيلُ لِيَسَّى : «أَرسِلْ فجِئْنا بِه ، لِأَنَّنا لا نَجلِسُ إِلى الطَّعامِ حتَّى يأتِيَ إِلى ههُنا» . [١٢] فأَرسَلَ وأَتى بِه ، وكانَ أَصهَبَ جَميلَ العَينَينِ وَسيمَ المَنظَر . فقالَ الرَّبّ : «قُمْ فآمسَحْه ، لِأَنَّ هذا هو» . [١٣] فأَخَذَ صَموئيلُ قَرنَ الزَّيتِ ، ومَسَحَه في وَسْطِ إِخوَتِه ، فآنقَضَّ روحُ الرَّبِّ على داودَ مِن ذلكَ اليَومِ فصاعِداً ، وقامَ صَموئيلُ وآنصَرَفَ إِلى الرَّامة .

[١٤] وفارَقَ روحُ الرَّبِّ شاوُل ، ورَوَّعَه روحٌ شِرِّيرٌ مِن لَدُنِ الرَّبّ(٤٤) . [١٥] فقالَ لِشاوُلَ حاشِيَتُه : «هُوَذا روحٌ شِرِّيرٌ مِن لَدُنِ اللهِ يُرَوِّعُك . [١٦] فلْيَأمُرْ

(٤٤) روح الرب ليس هو بالروح القدس الذي سيوصى به في العهد الجديد . فالمقصود بالاحرى هو استعداد باطني خاصّ يمكّن الإنسان من القيام بالاعمال الخارقة ، لصالح شعب الله عادةً . أمَّا الروح الشرير الوارد ذكره هنا فهو بالاحرى حالة باطنية تُترجَم

سَيِّدُنا حاشِيَتَه الَّذينَ أَمامَه أَن يَبحَثوا عن رَجُلٍ يُحسِنُ العَزفَ على الكِنَّارة[٤٥] ، حتَّى إِذا آعتَراكَ الرُّوحُ الشِّرِّيرُ مِن لَدُنِ الله ، يَعزِفُ بِيَدِه فتَتَحسَّنُ حالَتُكَ» . ١٧فقالَ شاوُلُ لِحاشِيَتِه : «أُنظُروا لي رَجُلاً يُحسِنُ العَزفَ وأْتوني به» . ١٨فأَجابَ واحِدٌ مِنَ الحاشِيَةِ وقال : «رَأَيتُ آبناً لِيَسَّى مِن بَيتَ لَحمَ يُحسِنُ العَزْف ، وهو ذو بأسٍ ومُحارِبٌ باسِل ، فَصيحُ الكَلام حَسَنُ المَنظَر ، والرَّبُّ معَه»[٤٦] . ١٩فأَرسَلَ شاوُلُ رُسُلاً إِلى يَسَّى وقالَ لَه : «أَرسِلْ إِلَيَّ داوُدَ آبنَكَ الَّذي مع الغَنَم» . ٢٠فأَخَذَ يَسَّى حِماراً وحَمَّلَ علَيه خُبزاً وزِقَّ خَمْرٍ وجَدياً مِنَ المَعِز ، وأَرسَلَ ذلك بِيَدِ داوُدَ آبنِه إِلى شاوُل . ٢١فأَتى داوُدُ إِلى شاوُل ، ومَثَلَ أَمامَه ، فأَحَبَّه حُبًّا شَديداً ، وكانَ لَه حامِلَ سِلاح . ٢٢وأَرسَلَ شاوُلُ إِلى يَسَّى وقال : «لِيَبْقَ داوُدُ لَدَيَّ ، لِأَنَّه قد نالَ حُظوَةً في عَينَيَّ» . ٢٣وكان ، إِذا آعتَرى شاوُلَ الرُّوحُ مِن لَدُنِ الله ، يأخُذُ داوُدُ الكِنَّارةَ ويَعزِفُ بِيَده ، فيَستَريحُ شاوُلُ وتَتَحسَّنُ حالَتُه ، ويُفارِقُه الرُّوحُ الشِّرِّير .

٢. تحدّي جوليات

سيُحسَم الموقف عن طريق مبارزة بين أحد الفلسطينيين وأحد الإسرائيليين .

١٧ ١وجَمَعَ الفَلِسطينِيُّونَ قُوَّاتِهم لِلحَرْب ، وآجتَمَعوا في سوكُوَ الَّتي لِيَهوذا ، وعَسكَروا بَينَ سوكو وعَزيقَةَ في أَفَسَ دَمِّيم . ٢وآجتَمَعَ شاوُلُ

برغبات قَتْل عجز شاول عن السيطرة عليها . ويُقال ان هذا الروح يأتي من الله ، لان قدرة الله لا يحول دونها شيء .

(٤٥) أو «القيثارة» .

(٤٦) «الرب معه» = يوفَّق في كل شيء .

ورِجالُ إسْرائيل، وعَسكَروا عِندَ وادي البُطمَة وآصطَفُّوا لمُحارَبةِ الفَلِسطينيِّين. [٣]ووَقَفَ الفَلِسطينيُّونَ على جَبَلٍ مِن ههُنا، ووَقَفَ إسْرائيلُ على جَبَلٍ مِن هُناك، وبَينَهمُ الوادي.

[٤]فخَرَجَ رَجُلٌ مُبارِزٌ مِن صُفوفِ الفَلِسطينيِّينَ آسمُه جُلْياتُ مِن جَتّ. وكانَ طولُه سِتَّ أذرُعٍ وشِبراً[٤٧]، [٥]وعلى رَأسِه خوذَةٌ مِن نُحاس. وكانَ لابِساً دِرعاً حَرشَفِيَّة، ووَزنُ الدِّرعِ خَمسَةُ آلافِ مِثْقالِ نُحاس[٤٨]، وعلى رِجلَيه ساقانِ مِن نُحاس، وبَينَ كَتِفَيه مِزْراقٌ مِن نُحاس، [٧]وقناةُ رُمحِه كمِطْوى النَّسَّاج، ووَزنُ سِنانِ رُمحِه سِتُّ مِئَةِ مِثْقالِ حَديد[٤٩]. وكانَ يَتَقَدَّمُه رَجُلٌ يَحمِلُ تُرسَه.

[٨]فوَقَفَ ونادى صُفوفَ إسْرائيلَ وقال لَهم: «لِماذا تَخرُجونَ لِلآصْطِفافِ في الحَرْب؟ أَلَستُ أنا الفَلِسطينِيَّ وأَنتُمْ عَبيدَ شاوُل؟ فآختاروا لكم رَجُلاً يُنازِلُني. [٩]فإنِ آستَطاعَ أَن يُحارِبَني وقَتَلَني، صِرْنا لكم عَبيداً. وإن ظَفِرتُ أنا به وقَتَلتُه، تَصيرونَ لَنا عَبيداً وتَخدُمونَنا». [١٠]وأَضافَ الفَلِسطينيّ: «إنِّي أُعَيِّرُ اليَومَ صُفوفَ إسْرائيلَ! هاتوا لي رَجُلاً لِنَتَقاتَلَ مَعاً». [١١]فسَمِعَ شاوُلُ وكُلُّ إسْرائيلَ كَلامَ الفَلِسطينيِّ هذا، ففَزِعوا وخافوا خوفاً شَديداً.

(٤٧) نحو ٢،٧٠ متر.

(٤٨) نحو ٥٠ كلغ.

(٤٩) نحو ٦ كلغ. هذه الرواية هي من الفن الملحمي. فلا يجب أخذ هذه الارقام على حرفيتها.

٣. داود راعٍ شاب

هناك تقليد ثانٍ يجعل من داود راعياً أتى بطعام الى إخوته المنخرطين في جيش شاول. وهذه الفقرة تقطع قصة جوليات، قبل أن تُستأنف في وقت لاحق.

[١٢] وكانَ داوُدُ ابنَ ذلك الرَّجُلِ الأَفْراتِيِّ مِن بَيتَ لَحمِ يَهوذا الَّذي آسمُه يَسَّى، وكانَ لَه ثَمانِيَةُ بَنين، وكانَ الرَّجُلُ على عَهدِ شاوُلَ قد شاخَ وتَقَدَّمَ في السِّنِّ بَينَ النَّاس. [١٣] وإِنَّ ثَلاثَةً مِن بَنيه الكِبارِ مَضَوا وتَبِعوا شاوُلَ إِلى الحَرْب. [١٧] فقالَ يَسَّى لِداوُدَ آبنِه: «خُذْ لإِخوَتِكَ إِيفَةً مِن هذا الفَريك وهذه الأَرغِفَةَ العَشَرَة، وهَلُمَّ إِلى إِخوَتِكَ في المُعَسكَر. [١٨] وخُذْ قِطَعَ الجُبنِ العَشرَ هذه لِقائِدِ الأَلْف، وآفتَقِدْ إِخْوَتَكَ هل هم بِخَير، وخُذْ مِنهُم عُرْبوناً، [١٩] وهم وشاوُلُ وجَميعُ رِجالِ إِسْرائيلَ في وادي البُطمَةِ يُقاتِلونَ الفَلِسطينِيِّين».

[٢٠] فبَكَّرَ داوُدُ في الصَّباح، ووَكَلَ الغَنَمَ إِلى مَن يَسهَرُ علَيها، وحَمَّلَ ومضى، كما أَمَرَه يَسَّى، ووَصَلَ إِلى المُعَسكَر، وكانَ الجَيشُ يَخرُجُ لِلاَصطِفافِ ويَهتِفُ لِلحَرْب.

٤. مبارزة داود وجُليات

رواية ملحمية تبرز فيها قدرة إله إسرائيل، القادر على نَصرِ صبي ضعيف.

[٢٢] فتَرَكَ داوُدُ الأَمتِعَةَ الَّتي معَه في يَدِ حافِظِ الأَمتِعَة، وعَدا إِلى الصَّفّ، وأَتى وسأَلَ عن سَلامَةِ إِخوَتِه.

[٢٣] وبَينَما هو يُكَلِّمُهم، إِذا الرَّجُلُ المُبارِزُ المُسَمَّى جُلْياتَ الفَلِسطينِيَّ مِن جَتَّ قد صَعِدَ مِن صَفِّ الفَلِسطينِيِّين، وتَكَلَّمَ بِذلِكَ الكَلامِ نَفسِه. فسَمِعَه داوُد. [٢٤] فلَمَّا رَأَى جَميعُ رِجالِ إِسْرائيلَ ذلك الرَّجُل، هَرَبوا مِن وَجهِه وخافوا خَوفاً شَديداً. [٢٥] وقالَ رِجالُ إِسْرائيل: «أَرَأَيتُم هذا الرَّجُلَ

الصَّاعِد؟ إنَّما هو صاعِدٌ لِيُعَيِّرَ إسْرائيل. مَن قَتَلَه يُغْنيه المَلِكُ غِنًى عَظيماً ويُزَوِّجه آبنَتَه ويُعْفي بَيتَ أَبيه مِن كُلِّ جِزْيَةٍ في إسْرائيل».

[٣٢]فقالَ داوُدُ لِشاوُل: «لا تَخُرْ عَزيمةُ أَحَدٍ بِسَبَبِه، فإِنَّ عَبدَكَ يَمْضي فيُحارِبُ هذا الفَلِسطينِيّ». [٣٣]فقالَ شاوُلُ لِداوُد: «لا تَقدِرُ على مُلاقاةِ هذا الفَلِسطينيِّ ومُقاتَلَتِه، لِأَنَّكَ أَنتَ وَلَدٌ وهو رَجُلُ حَربٍ مُنذُ صِباه».

[٣٤]فقالَ داوُدُ لِشاوُل: «كانَ عَبدُكَ يَرْعى غَنَمَ أَبيه، فكانَ يأتي أَسَدٌ وتارَةً دُبٌّ ويَخطَفُ شاةً مِنَ القَطيع. [٣٥]فكُنتُ أَخرُجُ وَراءَه وأَضرِبُه وأُنقِذُها مِن فَمِه. واذا وَثَبَ علَيَّ، أَخَذتُ بِذَقنِه وضَرَبتُه فقَتَلتُه. [٣٦]فقَد قَتَلَ عَبدُكَ أَسَداً ودُبًّا، وسَيَكونُ هذا الفَلِسطينيُّ الأَقلَفُ مِثلَ واحِدٍ مِنهما، لِأَنَّه عَيَّرَ صُفوفَ اللهِ الحَيّ»(٥٠). [٣٧]وأَضافَ داود: «إِنَّ الرَّبَّ الَّذي أَنقَذَني مِن يَدِ الأَسَدِ والدُّبِّ هو يُنقِذُني مِن يَدِ هذا الفَلِسطينِيّ». فقالَ شاوُلُ لِداوُد: «إِمضِ ولْيَكُنِ الرَّبُّ معَكَ». [٣٨]وأَلبَسَ شاوُلُ داوُدَ ثِيابَه، وجَعَلَ على رَأسِه خوذَةً مِن نُحاسٍ وأَلبَسَه دِرعاً. [٣٩]وتَقَلَّدَ داوُدُ سَيفَه فَوقَ ثِيابِه وحاوَلَ أَن يَمشِيَ، لِأَنَّه لم يَكُنْ قد جَرَّب. فقالَ داوُدُ لِشاوُل: «لا أَستَطيعُ أَن أَمشِيَ بِهذِه، لِأَنِّي لم أَكُنْ قد جَرَّبتُها». ونَزَعَها داوُدُ عنه.

[٤٠]ثُمَّ أَخَذَ عَصاه بِيَدِه وآنتَقى خَمسَةَ حِجارَةٍ مُلْسٍ مِن الوادي ووَضَعَها في جَيبِ كيسِ الرَّاعي الَّذي لَه، ومِقْلاعُه بِيَدِه، وتَقَدَّمَ مِنَ الفَلِسطينيّ. [٤١]فجاءَ الفَلِسطينِيُّ وآقتَرَبَ مِن داوُد، يَتَقَدَّمُه الرَّجُلُ الحامِلُ

(٥٠) كل هذه الرواية تدل على ان داود قتل جليات، لانه بارزه باسم إله إسرائيل.

تُرسَه . ٤٢وتَطَلَّعَ الفَلِسطينِيُّ ورأَى داودَ ، فٱحتَقَرَه ، لِأَنَّه كانَ وَلَداً (أَصهَب[٥١] جَميلَ المَنظَر) . ٤٣فقالَ الفَلِسطينِيُّ لِداوُد : «أَكَلبٌ أَنا حتَّى تأتِيَني بِالعِصِيّ ؟» ولَعَنَ الفَلِسطينِيُّ داوُدَ بِآلِهَتِه . ٤٤ثُمَّ قالَ الفَلِسطينِيُّ لِداوُد : «هَلُمَّ فأَجعَلُ لَحمَكَ لِطُيورِ السَّماء وبَهائِمِ الحُقول» . ٤٥فقالَ داوُدُ لِلفَلِسطينيّ : «أَنتَ تأتيني بِالسَّيفِ والرُّمحِ والمِزْراق ، وأَنا آتيكَ بِٱسمِ رَبِّ القُوَّات ، إِلهِ صُفوفِ إِسْرائيلَ الَّذي أَنتَ عَيَّرتَه . ٤٦في هذا اليَومِ يُسلِمُكَ الرَّبُّ إِلى يَدي فأَقتُلُكَ وأَفصِلُ رَأسَكَ عنكَ ، وأَجعَلُ اليَومَ جُثَثَ جَيشِ الفَلِسطينِيِّينَ لِطُيورِ السَّماءِ ووُحوشِ الأَرْض ، حتَّى تَعلَمَ الأَرضُ كُلُّها أَنَّ لِإِسْرائيلَ إِلهاً ، ٤٧وتَعلَمَ هذه الجَماعةُ كُلُّها أَن لَيسَ بِالسَّيفِ والرُّمحِ يُخَلِّصُ الرَّبّ ، لِأَنَّ لِلرَّبِّ القِتال ، وهو يُسلِمُكم إِلى أَيدينا»[٥٢] .

٤٨وكانَ ، لَمَّا نَهَضَ الفَلِسطينِيُّ وذَهَبَ وتَقَدَّمَ لِمُلاقاةِ داوُد ، أَنَّ داوُدَ أَسرَعَ ورَكَضَ نَحوَ صَفِّ القِتالِ لِمُلاقاةِ الفَلِسطينيّ . ٤٩ومَدَّ داوُدُ يَدَه إِلى الكيس ، وأَخَذَ مِنه حَجَراً وقَذَفَ بِالمِقلاع ، فضَرَبَ الفَلِسطينيَّ في جَبهَتِه ، وٱنغَرَزَ الحَجَرُ في جَبهَتِه ، فسَقَطَ على وَجهِه على الأَرْض[٥٣] . ٥٠وٱنتَصَرَ داوُدُ على الفَلِسطينيِّ بِالمِقْلاعِ والحَجَر ، وضَرَبَ الفَلِسطينيَّ وقَتَلَه ، ولم يَكُنْ في يَدِ داوُدَ سَيف . ٥١فرَكَضَ داوُدُ ووَقَفَ على الفَلِسطينيّ ، وأَخَذَ سَيفَه وٱستَلَّه مِن غِمدِه وقَتَلَه ، وقَطَعَ بِه رَأسَه .

فلَمَّا رأَى الفَلِسطينِيُّونَ أَنَّ بَطَلَهم قد قُتِلَ ، هَرَبوا . ٥٢وقامَ رِجالُ

(٥١) كان داود أشقر ، وهذا أمر نادر عند الساميين .

(٥٢) هذه هي عِبرة النصر الدينية .

(٥٣) داود دوَّخ جليات أولاً ، ثم قتله .

إِسْرائيلَ ويَهوذا وهَتَفوا وطارَدوا الفَلِسطينِيِّين ، حتَّى آنتَهَوا إِلى الوادي وإِلى أَبوابِ عَقْرون ، وسَقَطَ قَتْلى الفَلِسطينِيِّينَ في طريقِ شَعَرَئيمَ إِلى جَتَّ وإِلى عَقْرون .

٥. الصداقة بين داود ويوناتان

ان صداقة ابن شاول لداود مشهورة ، وهي تضفي على هذه الرواية الحربية طابع حنان صافٍ .

[٥٧] لَمَّا رَجَعَ داوُدُ مِن قَتلِه الفَلِسطينيّ ، أَخَذَه أَبْنيرُ وأَدخَلَه على شاوُل ، ورَأسُ الفَلِسطينيِّ بِيَدِه .

١٨ [١] ولمَّا آنتَهى داوُدُ مِن كَلامِه مع شاوُل ، تَعَلَّقَت نَفسُ يوناتانَ بِنَفْسِ داوُد ، وأَحبَّه يوناتانُ حُبَّه لِنَفْسِه . [٢] وأَمسَكَه شاوُلُ في ذلكَ اليَوم ، ولم يَدَعْه يَرجِعُ إِلى بَيتِ أَبيه . [٣] وقَطَعَ يوناتانُ مع داوُدَ عَهداً ، لِأَنَّه أَحَبَّه حُبَّه لِنَفْسِه . [٤] وخَلَعَ يوناتانُ الرِّداءَ الَّذي علَيه ووَهَبَه لِداوُدَ مع سائِرِ ثِيابِه ، حتَّى سَيفَه وقَوسَه وحِمالَتَه . [٥] وكانَ داوُدُ يَخرُجُ حَيثُما أَرسَلَه شاوُل ويَتَصَرَّفُ بِحِكمَة . فأَقامَه شاوُلُ على رِجالِ الحَرْب ، وحَظِيَ في عُيونِ الشَّعْبِ كُلِّه وعُيونِ ضُبَّاطِ شاوُلَ أَيضاً .

٦. شاول يحسد داود

١. نقطة الانطلاق

سبق لنا ان اطّلعنا على بدء مرض الملك . لا شك أن طبعه كان يعرّضه لذلك . لكن رَذْله من قبل صموئيل عجّل سَير ذلك المرض . فسيحذر بعد اليوم من كل خصم ممكن ويكون ردّ فعله عنيفاً .

[٦] وكان، عِندَ وُصولِهِم حينَ رَجَعَ داوُدُ مِن قَتلِ الفَلِسطينيّ، أَن خَرَجَتِ النِّساءُ مِن جَميعِ مُدُنِ إِسْرائيل، وهُنَّ يُغَنِّينَ ويَرقُصنَ بِدُفوفِ وهُتافاتِ آبتِهاجٍ ومُثَلَّثاتٍ في آستِقْبالِ شاوُلَ المَلِك. [٧] فأَنشَدَتِ النِّساءُ الرَّاقِصاتُ وقُلنَ: «قَتَلَ شاوُلُ أُلوفَه وداوُدُ رِبْواتِه». [٨] فغَضِبَ شاوُلُ غَضَباً شَديداً وساءَ ذلك الكَلامُ في عَينَيه وقال: «جُعِلَ لِداوُدَ رِبْوات، وأَمَّا لي فجُعِلَ أُلوف، فلم يَبْقَ لَه إِلاَّ المَملَكَة». [٩] وأَخَذَ شاوُلُ يَنظُرُ إِلى داوُدَ بِعَينِ الشَّرِّ مِن ذلِكَ اليَومِ فصاعِداً. وصارَ شاوُلُ عَدُوًّا لداوُد كُلَّ الأَيَّام.

٢. محاولات قَتْل

لكن ضعف شاول العصبي ازداد شيئاً فشيئاً وظهر بمظهر حَنَق قاتل على هذا الشاب الذي يوفَّق في كل شيء.

٣. وداع داود ليوناتان

يبدو أن يوناتان شعر بأن المستقبل سيكون لصالح صديقه. ومع ذلك، فليس هناك أي حسد، بل شهامة رائعة.

٢٠ [١١] فقالَ يوناتانُ لِداوُد: «هَلُمَّ نَخرُجُ إِلى الحَقْل»، وخَرَجا كِلاهُما إِلى الحَقْل، [١٢] وقالَ يوناتانُ لِداوُد: «والرَّبُّ إِلهِ إِسْرائيل، سأَستَكشِفُ أَبي بَعدَ غَدٍ في مِثلِ هذه السَّاعة، فإِن كانَ لِداوُدَ خَيرٌ ولم أُرسِلْ حينَئِذٍ وأُكاشِفْكَ، [١٣] فليَصنَعِ الرَّبُّ كَذا بِيوناتانَ وكَذا يَزيد. وإِن حَسُنَ لِأَبي أَن يُسيءَ إِلَيكَ، فإِنِّي أُكاشِفُكَ وأُطلِقُكَ، فتَنصَرِفُ بِسَلام، ولْيَكُنِ الرَّبُّ مَعَكَ كما كانَ مع أَبي. [١٤] وإِن بَقيتُ حَيًّا، أَفلا تَصنَعُ إِلَيَّ رَحمَةَ الرَّبِّ لِكَي لا أَموت! [١٥] فلا تَقطَعْ رَحمَتَكَ عن بَيتي أَبَداً، حتَّى إِذا أَبادَ الرَّبُّ

كُلَّ واحِدٍ مِن أَعْداءِ داوُدَ عن وَجهِ الأَرْض»(٥٤) . ١٦وهكذا عاهَدَ يوناتانُ بَيتَ داوُدَ وقال : «يُطالِبُ الرَّبُّ أَعْداءَ داوُد» . ١٧وطَلَبَ يوناتانُ من داوُدَ أَن يَحلِفَ لَه ثانِيَةً بِسَبَبِ حُبِّه لَه ، لِأَنَّه أَحبَّه حُبَّه لِنَفْسِه .
٤١وٱرتَمى داوُدُ على وَجهِه إِلى الأَرضِ وسَجَدَ ثَلاثَ مَرَّات ، وقَبَّلَ كُلٌّ مِنهما صاحِبَه ، وبَكى كُلٌّ مِنهما إِلى صاحِبِه ، وكانَ بُكاءُ داوُدَ أَشَدّ .
٤٢وقالَ يوناتانُ لِداود : «إِذهَبْ بِسَلام ! إِنَّنا قد حَلَفْنا كِلانا بِٱسمِ الرَّبِّ وقُلْنا : لِيَكُنِ الرَّبُّ بَيني وبَينَكَ ، وبَينَ ذُرِّيَّتي وذُرِّيَتِكَ لِلأَبَد» .

٢١ ١فقامَ داوُدُ وذَهَب ، وأَمَّا يوناتانُ فعادَ إِلى المَدينَة .

٤. داود رئيس عصابة

اضطُرَّ داود إلى الهرب الى برية يهوذا . شهرته جمعت حوله ، لا أعضاء أسرته فقط ، بل أناساً يعانون المصاعب أيضاً أو غير راضين ، سيؤلّفون نواة جيشه في المستقبل . أمَّا خطّته ، فستقوم على العيش على حساب السكان وعلى التهرّب من الملك ، علماً بأنه سيعَدّ شخصه مقدَّساً طول حياته . وسيُضطرّ إلى اللجوء إلى الفلسطينيين ، لكنه سيتمكّن من عدم محاربة بني إسرائيل .

٢٤ ١وصَعِدَ داوُدُ مِن هُناكَ وأَقامَ في مَلاجِئِ عَينَ جَدْي(٥٥) . ٢فلَمَّا رَجَعَ شاوُلُ مِن مُطارَدَةِ الفَلِسطينِيِّين ، أُخبِرَ وقيلَ لَه : «هُوَذا داوُدُ في بَرِّيَّةِ عَينَ جَدْيَ» . ٣فأَخَذَ شاوُلُ ثَلاثَةَ آلافِ رَجُلٍ مُنتَخَبينَ مِن جَميعِ

(٥٤) رأى يوناتان أن جنون أبيه ما زال يزداد وان نجم داود ما زال يطلع ، فأحسَّ بما سيكون المستقبل . لم يتمرّد قلبه ، بل اكتفى بأن يطلب الى داود أن يعامل أسرته معاملة عادلة ، باسم صداقتهما المتبادلة . هذا مشهد رائع جداً .
(٥٥) مكان يقع على شاطئ البحر الميت .

إسْرائيل ، وسارَ في طَلَبِ داوُدَ ورِجالِه عِندَ صُخورِ الوُعول . [٤] ووَصَلَ إِلى حَظائِرِ الغَنَمِ الَّتي في الطَّريق . وكانَت هُناكَ مَغارَة ، فدَخَلَ شاوُلُ المَغارَةَ لحاجَةٍ له[٥٦] . وكانَ داوُدُ ورِجالُه جالِسينَ في باطِنِ المَغارَة . [٥] فقالَ لِداوُدَ رِجالُه : «هذا هو اليَومُ الَّذي قالَ لَكَ الرَّبُّ فيه : هاءَنَذا أُسلِمُ عَدُوَّكَ إِلى يَدِكَ، فتَصنَعُ بِه ما حَسُنَ في عَينَيكَ» . فقامَ داوُدُ وقَطَعَ طَرَفَ رِداءِ شاوُلَ خُفيَةً . [٦] وبَعدَ ذلك ، خَفَقَ قَلبُ داوُدَ لِقَطعِه طَرَفَ رداءِ شاوُل . [٧] وقالَ لِرِجالِه : «حاشَ لي بِالرَّبِّ أن أَصنَعَ هذا الأَمرَ بِسَيِّدي مَسيحِ الرَّبّ ، وأَرفَعَ علَيه يدي ، لِأَنَّه مَسيحُ الرَّبّ[٥٧] . [٨] ورَدَعَ رِجالَه بِهذا الكَلام ، ولم يَدَعْهم يَهجُمونَ على شاوُل . ثُمَّ قامَ شاوُل وخَرَجَ مِنَ المَغارَةِ وسارَ في سَبيلِه . [٩] فقامَ داوُدُ بَعدَ ذلك وخَرَجَ مِنَ المَغارَةِ ونادى شاوُلَ وقال : «يا سَيِّدي المَلِك» . فَٱلتَفَتَ شاوُلُ إِلى خَلفِه . فَٱرتَمى داوُدُ على وَجهِه إِلى الأَرضِ ساجِداً . [١٠] وقالَ داوُدُ لِشاوُل : «لِماذا تَسمَعُ كَلامَ النَّاسِ القائِلينَ إِنَّ داوُدَ يَطلُبُ أَذاك ؟ [١١] قد رَأَت عَيناكَ اليَومَ أَنَّ الرَّبَّ قد أَسلَمَكَ اليَومَ إِلى يَدي في المَغارَة ، وقد أُشيرَ عَلَيَّ بأَن أَقتُلَكَ. لكِنَّ عَيني أَشفَقَت عَليكَ ، وقُلتُ : لا أَرفَعُ يَدي على سَيِّدي لِأَنَّه مَسيحُ الرَّبّ . [١٢] فَٱنظُرْ يا أَبي ، أُنظُر طَرَفَ رِدائِكَ في يَدي . فمِن كَوني قَطَعتُ طَرَفَ رِدائِكَ ولم أَقتُلْكَ ، اِعلَمْ وَٱنظُرْ أَن لَيسَ في يَدي شَرٌّ ولا مَعصِيَةٌ ولَم أَخطَأْ إِلَيكَ ، وأَنتَ تَتَصَيَّدُ نَفْسي لِتَأخُذَها . [١٣] فلْيَحكُمِ الرَّبُّ بَيني

(٥٦) لحاجة طبيعية .

(٥٧) يحترم داود احتراماً مقدَّساً ما للملك من طابع مقدَّس. ومع ذلك ، لا يُستبعد أن تختلط السياسة بالدين .

وبينَكَ ، والرَّبُّ يَنتَقِمُ لي مِنكَ. وأَمَّا يَدي فلا تَكونُ علَيكَ. [١٥] وَراءَ مَن خَرَجَ مَلِكُ إِسْرائيل ووَراءَ مَن أَنتَ مُطارِد؟ وَراءَ كَلبٍ مَيتٍ وبُرْغوثٍ واحِد؟ فلْيَكُنِ الرَّبُّ دَيَّاناً ولْيَحكُمْ بَيني وبَينَكَ ، ولْيَنظُرْ ويُدافِعْ عن قَضِيَّتي ويُنصِفْني مِن يَدِكَ» .

[١٧] فلَمَّا ٱنتَهى داوُدُ مِن كَلامِه هذا لِشاوُل ، قالَ شاوُل : «أَهذا صَوتُكَ يا ٱبني داوُد ؟» ورَفَعَ شاوُلُ صَوتَه وبَكى(٥٨) . [١٨] ثُمَّ قالَ لِداوُد : «أَنتَ أَبَرُّ مِنِّي ، لِأَنَّكَ جَزَيتَني خَيراً وأَنا جَزَيتُكَ شَرًّا . [١٩] ولقد أَظهرتَ اليَومَ أَنَّكَ صَنَعتَ إِلَيَّ خَيراً ، لِأَنَّ الرَّبَّ قد أَسلَمَني إِلى يَدِكَ ولم تَقتُلْني . [٢٠] وإِذا تَمكَّنَ المَرءُ مِن عَدُوِّه ، فهَل يُطلِقُ سَبيلَه بِخَير ؟ فجَزاكَ الرَّبُّ خَيراً لِما صَنَعتَ اليَومَ معي . [٢١] ولقَد عَلِمتُ الآنَ أَنَّكَ سَتَصيرُ مَلِكاً ويَثبُتُ في يَدِكَ مُلكُ إِسْرائيل . [٢٢] فٱحلِفْ لِيَ الآنَ بِالرَّبِّ أَنَّكَ لا تَقرِضُ ذُرِّيَّتي مِن بَعْدي ولا تُبيدُ ٱسْمي مِن بَيتِ أَبي» . [٢٣] فحَلَفَ داوُدُ لِشاوُل(٥٩) ، وٱنصَرَفَ شاوُلُ إِلى بَيتِه ، وصَعِدَ داوُدُ ورِجالُه إِلى المَلاجِئ .

٢٦ [٢] فقامَ شاوُلُ ونَزَلَ إِلى بَرِّيَّةِ زيف ومعَه ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ مِنَ المُخْتارينَ في إِسْرائيل ، لِيَطلُبَ داوُدَ في بَرِّيَّةِ زيف . [٧] فأَتى داوُدُ وأَبيشايُ إِلى الشَّعبِ لَيلاً ، فإِذا بِشاوُلَ مُضطَجِعٌ في وَسَطِ المُعَسكَرِ وهو نائِم ورُمحُه مَغْروزٌ في الأَرضِ عِندَ رأسِه ، وأَبْنيرُ والشَّعبُ راقِدونَ حَولَه .

[٨] فقالَ أَبيشايَ لِداوُد : «قد أَسلَمَ اللهُ اليَومَ عَدُوَّكَ إِلى يَدِكَ ، فدَعْني

(٥٨) فَترَة وعي .
(٥٩) ما يطلبه شاول هو ما طالب به ابنه يوناتان . قبل داود بعدم الانتقام .

أَطعَنُه بِهذا الرُّمْح إِلى الأَرضِ طَعنَةً واحِدَةً ولا أُثَنِّي علَيه» . [٩] فقالَ داوُدُ لِأَبيشاي : «لا تَقتُلْه ، فمَنِ الَّذي يَمُدُّ يَدَه إِلى مَسيحِ الرَّبِّ ويَكونُ بَريئاً ؟» [١٢] وأَخَذَ داوُدُ الرُّمحَ وجَرَّةَ الماءِ مِن عِندِ رأسِ شاوُلَ وآنصَرَفا ، ولم يَكُنْ مِن ناظِرٍ ولا عارِفٍ ولا مُستَيقِظ ، لِأَنَّهم كانوا جميعُهم نائِمين ، إِذ إِنَّ سُباتَ الرَّبِّ العَميقَ وَقَعَ عَلَيهم .

[١٣] وآجْتازَ داوُدُ إِلى العِبْرِ ووَقَفَ على قِمَّةِ الجَبَلِ مِن بُعدٍ ، والمَسافَةُ بَينَهم بَعيدة . [٢٢] فقال : «هذا رُمحُ المَلِك ، فلْيَعْبُرْ أَحَدُ الخُدَّامِ ويَأخُذْه . [٢٣] سيُكافِئُ الرَّبُّ كُلَّ واحِدٍ بِحَسَبِ بِرِّه وأَمانَتِه ، فقَد أَسلَمَكَ الرَّبُّ اليَومَ إِلى يَدي ، ولم أَشأْ أَن أَمُدَّ يَدي إِلى مَسيحِ الرَّبّ» .

٢٧ [١] وقالَ داوُدُ في قَلبِه : «إِنِّي سَأَهلِكُ يَوماً بِيَدِ شاوُل ، فلا شَيءَ خَيرٌ لي مِن أَن أَفِرَّ فِراراً إِلى أَرضِ فَلِسطين ، فيَكُفُّ عنِّي ولا يَعودُ يَطلُبُني في أَرضِ إِسْرائيلَ كُلِّها وأَنْجو بِنَفْسي مِن يَدِه»[٦٠] . فقامَ داوُدُ وعَبَرَ هو والسِّتُّ مِئَةِ رَجُلٍ الَّذينَ معَه إِلى آكيشَ بنِ ماعوك ، مَلِكِ جَتّ .

٧. وفاة شاول

معركة جلبوع

لم يقف بنو إسرائيل في وجه الهجوم الفلسطيني . فقُتل أبناء شاول الثلاثة ، وجُرح هو فسقط على سيفه ومات .

(٦٠) تخلّص داود من شاول ، لكنّ سيده الجديد كان يستطيع إرغامه على محاربةَ إسرائيل . المهارة والحظ ساعداه على النجاة من هذا الخطر .

٣١ ١وكانَ الفَلِسطينِيُّونَ يُقاتِلونَ إِسْرائيل. فآنهَزَمَ رِجالُ إِسْرائيلَ من وَجهِ الفَلِسطينِيِّينَ وسَقَطوا قَتْلى في جَبَلِ الجِلْبوع. ٢فضَيَّقَ الفَلِسطينِيُّونَ على شاوُلَ وبَنيه، وقَتَلَ الفَلِسطينِيُّونَ يوناتانَ وأَبيناداب ومَلْكيشوع، بني شاوُل. ٣وآشتَدَّ القِتالُ على شاوُل، فأَدرَكَه الرُّماةُ بِالقِسِيِّ وأَثخَنوه بِالجِراح. ٤فقالَ شاوُلُ لِحامِلِ سِلاحِه: «إِستَلَّ سَيفَكَ وآطعَنِّي بِه لِئَلاَّ يَأتِيَ هؤُلاءِ القُلفُ ويَطعَنوني ويُشَنِّعوا فِيَّ». فأَبى حامِلُ سِلاحِه، لِأَنَّه خافَ خَوفاً شَديداً. فأَخَذَ شاوُلُ سَيفَه وسَقَطَ علَيه. ٥ولَمَّا رأَى حامِلُ سِلاحِه أَن قد ماتَ شاوُل، سَقَطَ هو أَيضاً على سَيفِه وماتَ معَه. ٦فماتَ شاوُلُ وثَلاثَةُ بَنيه وحامِلُ سِلاحِه وجَميعُ رِجالِه معاً في ذلِكَ اليَوم.

٨وفي الغَدِ أَتى الفَلِسطينِيُّونَ لِيَسلُبوا القَتْلى، فوَجَدوا شاوُلَ وثَلاثَةَ بَنيهِ صَرْعى في جَبَلِ الجِلْبوع. ٩فقَطَعوا رَأسَه ونَزَعوا سِلاحَه وأَرسَلوا يُبَشِّرونَ في أَرضِ الفَلِسطينِيِّينَ في كُلِّ جِهَة، في بيوتِ أَصْنامِهم وفي الشَّعْب. ١٠ووَضَعوا سِلاحَه في بَيتِ عَشْتاروت، وعَلَّقوا جُثَّتَه على سورِ بَيتَ شان.

١١وسَمِعَ أَهلُ يابيشَ جِلْعادَ بِما صَنَعَ الفَلِسطينِيُّونَ بشاوُل. ١٢فنَهَضَ كُلُّ ذي بَأسٍ وساروا اللَّيلَ كُلَّه، وأَخَذوا جُثَّةَ شاوُلَ وجُثَثَ بَنيه عن سورِ بَيتَ شان، وأَتَوا بِها إِلى يابيش، وأَحرَقوها هُناكَ. ١٣وأَخَذوا عِظامَهم ودَفَنوها تَحتَ الطَّرْفاءِ الَّتي في يابيش، وصاموا سَبعَةَ أَيَّام(٦١).

(٦١) إقراراً بما فعله شاول من أجلهم.

قراءة لبني جيلنا

ان المسيحي ، عند قراءته سفر صموئيل الاول ، يتساءل عن **الدعوة** . فلماذا دعا الله شاول إلى الحكم الملكي ، علماً بأنه سيبعده عنه بعد ذلك ؟ ولماذا لم يبدأ الله بداود مباشرة ؟ مع المحافظة على ما في الاختيار الإلهي من **سر** ، ومع تأكيد **مجانية** كل دعوة ، لا بدّ من أخذ **القوانين الطبيعية** بعين الاعتبار في الوقت نفسه . لم يكن صموئيل من مؤيّدي الحكم الملكي ، لانه كان يعدّه عدم عرفان جميل لله . لكن التطوّر التاريخي الذي عاشه شعب إسرائيل حمله على إنشاء مثل هذه المؤسسة ، فاستخدمها مدة أربعة قرون ونصف . ولهذه القوانين التاريخية دور في إنشاء سلالة من السلالات، ولا عجب أن تكون البداية قد اتّسمت ببعض التردّد . فقد ظهر **داود** رئيساً شاباً ربح الاجماع عليه شيئاً فشيئاً ، في حين ان أسرة شاول هلك معظمها وان أبناءها الذين ما زالوا على قيد الحياة لم يكونوا من حجم داود . لا تَنْسَ ان صموئيل تخلّى في آخر الامر عن شاول ، في حين انه استفاد ، بفضل ناتان ، من تأييد الانبياء .

فمن خلال جميع تلك التقلّبات البشرية أيّد الله دعوة داود وخلفه إلى الحكم الملكي : «سيعظّمك الربّ ويبني لك بيتاً» .

سِفرُ صَموئيل الثّاني

يُفتتح هذا السفر بأمر غير عادي، وهو ان رثاء داود لشاول يعود بالاحرى الى سفر صموئيل الاول. وليس ذلك إلاً نتيجة التقسيم القديم التي سبق ذكره.

سنجد هنا أيضاً، كما قلنا في المدخل الى سفر صموئيل الاول، روايات صادرة عن شهود عيان، تولي مجمل السفر قيمة تاريخية كبيرة.

الشخصية الرئيسية في هذا السفر هي **داود**، وسيأتي ذكره، لا في الكلام على غيره، بل في حدّ ذاته. رأى فيه التقليد مَلِكاً «بحسب قلب الله»، مَلِكاً أحسن المحافظة على سيادة الله في البنيات الزمنية. لكن هذا التقليد رضي بأن يرى فيه أيضاً رجلاً ضعيفاً، غير قادرٍ على تحطيم الدسائس التي دُبِّرت على بيته. كان داود شخصية خفيفة الظلّ، تُحسن انتهاز المناسبات، وتتحلّى بتقوى أصيلة لم تغب عنها السياسة، وكان مخلصاً في صداقاته وقادراً على اكتساب أروع المودّات، وكان تارة محارباً لا يُغلب، وتارةً فنّاناً رقيق الحساسية. وفي هذا الكائن البشري بتناقضاته، سيودِع الله **الوعد الكبير**، فسيأتي يوم تسمع فيه مريم العذراء يُقال في الذي سيولَد منها: «يوليه الربّ الإله عرش أبيه داود».

١. بعد موت شاول على الفور

١. داود يؤدّي التحية إكراماً لشاول

١ [١]وكانَ بَعدَ مَوتِ شاوُلَ أَنَّ داوُدَ رَجَعَ مِن ضَربِ العَمالِقَة، فمَكَثَ يَومَينِ في صِقْلاج. [٢]ولَمَّا كانَ اليَومُ الثَّالِث، إذا بِرَجُلٍ قد أَقبَلَ مِنَ

المُعَسكَرِ مِن عِندِ شاوُل ، وثِيابُه مُمَزَّقَةٌ وعلى رَأسِه تُراب . فلَمَّا وَصَلَ إِلى داوُد ، اِرْتمى على الأَرضِ وسَجَدَ لَه [٣] فقالَ لَه داوُد : «مِن أَينَ أَقبَلتَ ؟» قال : «نَجَوتُ بِنَفْسي مِن مُعَسكَرِ إِسْرائيل» . [٤] فقالَ لَه داوُد : «ما الخَبَر ؟ أَعلِمْني» . قال : «اِنهَزَمَ الشَّعبُ مِنَ القِتال ، وسَقَطَ مِنَ الشَّعبِ كَثيرونَ وماتوا ، وشاوُلُ ويوناتانُ آبنُه قد ماتا أَيضاً» .

[١٧] ورَثى داوُدُ شاوُلَ ويوناتانَ آبنَه بِقَصيدَةِ الرِّثاءِ هذه . [١٨] وأَمَرَ بِأَن تُعَلَّمَ لِبَني يَهوذا . هي قَصيدةُ القَوسِ المَكْتوبَةُ في سِفرِ المُستَقيم .

[١٩] بَهاءُ إِسْرائيلَ قَتيلٌ على رَوابيكَ . كَيفَ سَقَطَتِ الأَبْطال ؟
[٢٠] في جَتَّ لا تُخبِروا وفي أَسْواقِ أَشْقَلونَ لا تُبَشِّروا
لِئَلاَّ تَفرَحَ بَناتُ الفَلِسطينيِّينَ وتَبتَهِجَ بَناتُ القُلْف .
[٢١] يا جِبالَ الجِلْبوعِ لا يَكُنْ علَيْكم نَدًى ولا مَطَرٌ ولا حُقولٌ خَصيبة
لأَنَّ هُناكَ تَلَطَّخَ تُرسُ الأَبْطال .
تُرسُ شاوُلَ لم يُمسَحْ بِدُهْنٍ [٢٢] بل بِدَمِ القَتْلى وشَحمِ الأَبْطال .
قَوسُ يوناتانَ لم يَرجِعْ إِلى الوَراء وسَيفُ شاوُلَ لم يَرتَدَّ خائِباً .
[٢٣] شاوُلُ ويوناتانُ مَحْبوبان عَزيزان
في حَياتِهما وفي مَماتِهما لم يَفتَرِقا .
أَسرَعُ مِنَ العِقْبانِ وأَشَدُّ مِنَ الأُسود .
[٢٤] يا بَناتَ إِسْرائيل ، إِبْكينَ على شاوُل
كانَ يَكْسوكُنَّ القِرمِزَ زينَةً وبِحُلِيِّ الذَّهَبِ يَزيدُ ثِيابَكُنَّ بَهاءً .
[٢٥] كيفَ سَقَطَتِ الأَبطالُ في وَسَطِ القِتال ؟
يوناتانُ قَتيلٌ على رَوابيكَ .

[٢٦]قد ضاقَ صَدْري عليكَ يا أخي يوناتان
لقَد كُنتَ عَزيزاً عليَّ جِدًّا
وكانَ حُبُّكَ عِندي أعجَبَ مِن حُبِّ النِّساء.
[٢٧]كَيفَ سَقَطَتِ الأَبْطال وبادَت آلاتُ الحَرْب؟

٢. داود يُمسَح مَلكاً على يهوذا في حَبرون.

كان شاول من سبط بنيامين. أمَّا سبط يهوذا فكان فخوراً بداود، فرفض ملكاً من بيت شاول ومسح ابن يسَّى.

٢ [١]وكانَ بَعدَ ذلك أَنَّ داوُدَ سأَلَ الرَّبَّ فقال: «أَأَصعَدُ إِلى إِحْدى مُدُنِ يَهوذا؟» فقالَ لَه الرَّبّ: «اِصْعَدْ». فقالَ داوُد: «إِلى أَينَ أَصعَد؟» قال: «إِلى حَبْرون». [٢]فصَعِدَ داوُدُ إِلى هُناكَ مع كِلْتا آمرَأَتَيه أَحينوعَمَ اليِزرَعيلِيَّة وأَبيجائيلَ، آمرَأَةِ نابالَ الكَرمَلِيّ. [٣]وأَصعَدَ داوُدُ الرِّجالَ الَّذينَ معَه، كُلَّ واحِدٍ بِبَيتِه، فأَقاموا في مُدُنِ حَبْرون. [٤]وأَتى رِجالُ يَهوذا ومَسَحوا هُنالِكَ داوُدَ مَلِكاً على بيتِ يَهوذا.

٢. داود مَلِك شعب الله كلّه

١. داود يُمسَح ملكاً على يهوذا واسرائيل في حبرون

في أعقاب مفاوضات خاصة مع شيوخ أسباط الشمال، داود يُختار ويُمسَح ملكاً للمرة الثانية، فيصبح ملكاً على يهوذا وإسرائيل.

٥ [١]وأَقبَلَ جَميعُ أَسباطِ إِسْرائيلَ إِلى داوُدَ في حَبْرون، وتَكَلَّموا قائلين: «هُوَذا نَحنُ عَظمُكَ ولَحمُكَ. [٢]حينَ كانَ شاوُلُ علَينا مَلِكاً أَمسِ فما قَبلُ كُنتَ أَنتَ تُخرِجُ وتُدخِلُ إِسْرائيل، وقد قالَ لَكَ الرَّبّ: أَنتَ تَرْعى

شَعْبي إسْرائيل، وأَنتَ تَكونُ قائِداً لإِسْرائيل». [٣]وأَقبَلَ جَميعُ شُيوخِ إسْرائيلَ إلى المَلِكِ في حَبْرون. فقَطَعَ المَلِكُ داوُدُ معَهم عَهداً في حَبْرونَ أَمامَ الرَّبّ، ومَسَحوا داوُدَ مَلِكاً على إسْرائيل[١].

[٤]وكانَ داوُدُ آبنَ ثَلاثينَ سَنَةً يومَ مَلَك، ومَلَكَ أَربَعينَ سَنَة. [٥]مَلَكَ في حَبْرونَ على يَهوذا سَبعَ سِنينَ وسِتَّةَ أَشهُر، ومَلَكَ في أُورَشَليمَ ثَلاثاً وثَلاثينَ سَنَةً على كُلِّ إسْرائيلَ ويَهوذا.

٢. الاستيلاء على أورشليم

لا يليق بداود أن تبقى حبرون عاصمة له، لانها في الجنوب البعيد، ويحتاج إلى مدينة لا ماضي لها. فوقع اختياره على أورشليم، مدينة اليبوسيين، على حدود يهوذا وبنيامين.

[٦]وزَحَفَ المَلِكُ ورِجالُه على أُورَشَليم، على اليَبوسِيِّينَ سُكَّانِ تِلكَ الأَرض. فكَلَّموا داوُدَ وقالوا: «إِنَّكَ لا تَدخُلُ إِلى ههُنا، فحَتَّى العُمْيانُ والعُرجُ يَصُدُّونَكَ»، (أي: لا يَدخُلُ داوُدُ إِلى ههُنا). [٧]لكِنَّ داوُدَ أَخَذَ حِصنَ صِهْيون، وهو مَدينَةُ داوُد[٢]. [٨]وقالَ داوُدُ في ذلك اليَوم: «كُلُّ مَن يَضرِبُ اليَبوسِيّ، فلْيَبلُغْ مِنَ القَناةِ[٣] إِلى أُولئِكَ العُرجِ والعُمْيانِ الَّذينَ يُبغِضونَ نَفْسَ داوُد». فلِذلِكَ يَقولون: «لا يَدخُلُ البَيتَ أَعْمى ولا

(١) ملكَ داود على الشمال والجنوب، وشخصه يضمن وحدتهما.
(٢) في أورشليم تلاَّن. والتلّ الذي أقام فيه داود هو التلِ الشرقي في قسمه الجنوبي.
(٣) أغلب الظنّ أن القناة المذكورة هي النفق الذي كان يمكن المحاصَرين من الانحدار الى منبع جيحون. وكانوا، إذا صعدوا مجراه، ينفذون إلى المدينة. ويوآب هو الذي حقّق هذه المأثرة.

أَعْرَج» . ٩ وأَقامَ داوُدُ في الحِصنِ وسَمَّاه مَدينةَ داوُد ، وبَنى داوُدُ حَولَه مِن مِلُّوَ فداخِلاً . ١٠ وكانَ داوُدُ لا يَزالُ يَتَعاظَم ، والرَّبُّ إِلهُ القُوَّاتِ معَه .

٣. نقل تابوت العهد إلى أورشليم

قام داود بعمل عبقريّ ، حين جعل من أورشليم ، بعد أن نقل إليها تابوت العهد ، عاصمةً دينية وسياسية في آن واحد . فوجد في هذا العمل مبدأ وحدة ساعده على خلط جميع أولئك الناس الذين كانوا يتحاربون في الماضي القريب .

٦ ١ وعادَ داوُدُ وجَمَعَ كُلَّ المُنتَخَبينَ في إِسْرائيل ، وكانوا ثَلاثينَ أَلْفًا . ٢ ونَهَضَ داوُدُ وَمضى بِكُلِّ الشَّعبِ الَّذي معَه مِن بَعلَةَ يَهوذا(٤) ، لِيُصعِدوا مِن هُناكَ تابوتَ اللهِ الَّذي يُدْعى الِاسم ، آسمَ رَبِّ القُوَّاتِ ، الجالِسِ على الكَروبين . ٣ فجَعَلوا تابوتَ اللهِ على عَجَلةٍ جَديدة ، وحَمَلوه مِن بَيتِ أَبيناداب الَّذي في الأَكَمَة ، وكانَ عُزَّا وأَحْيو ، آبْنا أَبيناداب ، يَقودانِ العَجَلةَ ٤ مع تابوتِ الله ، وكانَ أَحْيو يَسيرُ أَمامَ التَّابوت . ٥ وكانَ داوُدُ وكُلُّ بَيتِ إِسْرائيلَ يَلعَبون(٥) أَمامَ الرَّبِّ بِكُلِّ آلةٍ مِنَ السَّرْوِ بِالكِنَّاراتِ والعيدانِ والدُّفوفِ والجُنوكِ والصُّنوج . ٦ فلَمَّا وَصَلوا إِلى بَيدَرِ نَكون ، مَدَّ عُزَّا يَدَه إِلى تابوتِ اللهِ فأَمسَكَه ، لِأَنَّ الثِّيرانَ كانت قد تَعَثَّرَت . ٧ فآشتَدَّ غَضَبُ الرَّبِّ على عُزَّا ، وضَرَبَه اللهُ هُناكَ بِسَبَبِ هَفوَتِه ، فماتَ هُناكَ عِندَ تابوتِ الله(٦) . فغَضِبَ داوُدُ من هُجومِ الرَّبِّ على عُزَّا ،

(٤) اسم قرية يعاريم القديم .

(٥) رقص ديني .

(٦) معنى مادّي جداً للمقدّس ، فالنية لا قيمة لها في هذا المعنى . ان تابوت العهد لا يُمسّ ، فمَن لَمَسه يرتكب تدنيساً يُطلق ردّ فعل تلقائياً من القوة الإلهية التي فيه .

ولِذلك دُعِيَ ذلك المكانُ فرآصَ عُزًّا إِلى هذا اليَوم .

[٩] وخافَ داوُدُ مِنَ الرَّبِّ في ذلك اليَومِ وقال : «كَيفَ يَنزِلُ تابوتُ الرَّبِّ عِندي ؟» [١٠] ولَم يَشَأْ داوُدُ أَن يُمالَ إِلَيه بِتابوتِ الرَّبِّ إِلى مَدينَةِ داوُد . فأَخَذَه داوُدُ إِلى بَيتِ عوبيدَ أَدومَ الجَتِّيّ . [١١] فبَقِيَ تابوتُ الرَّبِّ في بَيتِ عوبيدَ أَدومَ الجَتِّيِّ ثَلاثَةَ أَشهُر، فبارَكَ الرَّبُّ عوبيدَ أَدومَ وكُلَّ بَيتِه .

[١٢] فأُخبِرَ المَلِكُ داوُدُ وقيلَ لَه إِنَّ الرَّبَّ قد بارَكَ عوبيدَ أَدومَ وكُلَّ ما لَه بِسَبَبِ تابوتِ الله . [(٧)] فمَضى داوُدُ وأَصعَدَ تابوتَ اللهِ بِفَرَحٍ مِن بَيتِ عوبيدَ أَدومَ إِلى مَدينَةِ داود . [١٣] ولَمَّا خَطا حامِلو تابوتِ الرَّبِّ سِتَّ خَطَوات ، ذَبَحَ ثَوراً وعِجْلاً مُسَمَّناً . [١٤] وكانَ داوُدُ يَرقُصُ ويَدورُ على نَفسِه بِكُلِّ قُوَّتِه أَمامَ الرَّبّ ، وكانَ داوُدُ مُتَمَنطِقاً بِأَفودٍ مِن كَتَّان[(٨)] .

[١٥] وأَصعَدَ داوُدُ وكُلُّ بَيتِ إِسْرائيلَ تابوتَ الرَّبِّ بِالهُتافِ وصَوتِ البوق .

[١٦] ولَمَّا دَخَلَ تابوتُ الرَّبِّ مَدينَةَ داوُد ، أَطَلَّت ميكالُ آبنَةُ شاوُلَ مِنَ النَّافِذَة ، ورأَتِ المَلِكَ داوُدَ يَطفِرُ ويَرقُصُ أَمامَ الرَّبّ ، فآزدَرَته في قَلبِها .

[١٧] وأَدخَلوا تابوتَ الرَّبِّ وأَقاموه في مَكانِه ، في وَسَطِ الخَيمَةِ الَّتي نَصَبَها لَه داوُد ، وأَصعَدَ داوُدُ مُحرَقاتٍ أَمامَ الرَّبِّ وذَبائِحَ سَلامِيَّة . [١٨] ولَمَّا آنتَهى داوُدُ مِن إِصْعادِ المُحرَقاتِ والذَّبائِحِ السَّلامِيَّة ، بارَكَ الشَّعبَ بِآسمِ رَبِّ القُوَّات . [١٩] ووَزَّعَ على كُلِّ الشَّعبِ ، على كُلِّ جُمْهورِ إِسْرائيل ، رِجالاً

(٧) كان موت عُزًّا قد وَلَّد مخافة في قلب داود . أَمَّا الآن فان البركة التي نالها عوبيد من الرب تحثّه على تحقيق مشروعه القديم .

(٨) ارتدى داود ثوباً كهنوتياً . وسيتصرّف قريباً ككاهن ، فيذبح ويبارك .

ونِساءً، لِكُلٍّ واحِدٍ رَغيفَ خُبْزٍ وكَعكَةَ بَلَحٍ وقُرْصَ زَبيب، وآنصَرَفَ الشَّعبُ كُلُّ واحِدٍ إِلى بَيتِه.

[٢٠] ورَجَعَ داوُدُ لِيُبارِكَ بَيتَه، فخَرَجَت زَوجَتُه ميكالُ آبنَةُ شاوُلَ لِلِقاءِ داوُد، وقالَت: «ما أَمجَدَ مَلِكَ إِسْرائيلَ اليَومَ، حَيثُ تَعَرَّى اليَومَ في عُيونِ إِماءِ عَبيدِه، كما يَتَعَرَّى أَحَدُ الَّذينَ لا خَيرَ فيهم!» [٢١] فقالَ داوُدُ لِميكال: «إِنَّما كانَ ذلكَ أَمامَ الرَّبِّ الَّذي آختارَني على أَبيكِ وعلى كُلِّ بَيتِه[٩]، لِيُقيمَني رَئيساً على شَعبِ الرَّبِّ على إِسْرائيل. لِذلك لَعِبتُ أَمامَ الرَّبّ. [٢٢] ولقَد أَتَصاغَرُ دونَ ذلك وأَكونُ دَنيئاً في عَينَي نَفْسي. ولكِنَّني أَتَمَجَّدُ في عُيونِ تِلكَ الإِماءِ الَّتي ذَكَرتِها». [٢٣] ولم تَلِدْ ميكالُ آبنَةُ شاوُلَ وَلَداً إِلى يَومَ ماتَت[١٠].

٤. نبوءة ناتان الكبرى

تمنّى داود أن يبني هيكلاً للرب. لكن ناتان رأى أن الوقت لم يأتِ، فوعده، من قبل الله، بسلالة تبقى للابد.

٧ [١] ولَمَّا سَكَنَ المَلِكُ في بَيتِه وأَراحَه الرَّبُّ مِن كُلِّ الجِهاتِ مِن جَميعِ أَعْدائِه، [٢] قالَ المَلِكُ لِناتانَ النَّبِيّ: «أُنظُرْ! إِنِّي ساكِنٌ في بَيتٍ مِن أَرزٍ، وتابوتُ الرَّبِّ ساكِنٌ في داخِلِ الخَيمَة». [٣] فقالَ ناتانُ لِلمَلِك: «إِمْضِ فآصنَعْ كُلَّ ما في قَلبِكَ، لِأَنَّ الرَّبَّ مَعَكَ». [٤] فكانَ كلامُ الرَّبِّ في تِلكَ

(٩) أتى الجواب لاذعاً، كما كان النداء عنيفاً.
(١٠) هذا المشهد يزيد في انفصال الزوجين.

اللَّيلَةِ إِلى ناتانَ قائلاً : [٥] «اِذهَبْ فقُلْ لِعَبْدي داوُد : هكذا يَقولُ الرَّبّ ، أَأَنتَ تَبْني لي بَيتاً لِسُكْناي ؟ [٦] إِنِّي لم أَسكُنْ بَيتاً مُذ يَومَ أَصعَدتُ بَني إِسْرائيلَ مِن مِصرَ إِلى هذا اليَوم ، بل كُنتُ أَسيرُ في خَيمَةٍ وفي مَسكِن . [٧] فهَل تَكَلَّمتُ في مَسيري مع جَميعِ بَني إِسْرائيلَ بِكَلِمَةٍ مع أَحَدِ قُضاةِ إِسْرائيلَ مِمَّن أَمَرتُه أَن يَرْعى إِسْرائيلَ شَعْبي قائِلاً : لِماذا لم تَبْنوا لي بَيْتاً مِنَ الأَرْز ؟(١١) [٨] فقُلِ الآنَ لِعَبْدي داوُد : هكذا يَقولُ رَبُّ القُوَّات : إِنِّي أَخَذتُكَ مِنَ المَرْعى مِن وَراءِ الغَنَم ، لِتَكونَ رَئيساً على شَعْبي إِسْرائيل . [٩] وكُنتُ معكَ حَيثُما سِرتَ، وقَرَضتُ جَميعَ أَعدائِكَ مِن أَمامِكَ، وسأُقيمُ لَكَ آسماً عَظيماً كأَسْماءِ العُظَماءِ الَّذينَ في الأَرْض ، [١٠] وأَجعَلُ مَكاناً لِشَعْبي إِسْرائيل ، وأَغرِسُه فيَستَقِرُّ في مَكانِه ولا يَضطَرِبُ مِن بَعدُ، ولا يَعودُ بَنو الإِثمِ يُذِلُّونَه كما كانَ مِن قَبلُ، [١١] مِن يَومَ أَقَمتُ قُضاةً على شَعْبي إِسْرائيل . وسأُريحُكَ مِن جَميعِ أَعْدائِكَ . وقد أَخبَرَكَ الرَّبُّ أَنَّه سيُقيمُ لَكَ بَيتاً(١٢) . [١٢] واذا تَمَّت أَيَّامُكَ وآضطَجَعتَ مع آبائِكَ، أُقيمُ مَن يَخلُفُكَ مِن نَسلِكَ الَّذي يَخرُجُ مِن صُلبِكَ، (وأُثَبِّتُ مُلكَه(١٣) . [١٣] فهو يَبْني بَيتاً لِآسْمي) ، وأَنا أُثَبِّتُ عَرشَ مُلكِه لِلأَبَد . [١٤] أَنا أَكونُ لَه أَباً وهو يَكونُ لِيَ آبناً . وإِذا أَثِمَ أُؤَدِّبُه بِقَضيبِ النَّاسِ وبِضَرَباتِ بَني البَشَر . [١٥] وأَمَّا رَحمَتي فلا تُنزَعُ عنه ، كما نَزَعتُها عن شاوُلَ الَّذي أَبعَدتُه مِن أَمامِ وَجهِكَ . [١٦] بل يَكونُ بَيتُكَ ومُلكُكَ ثابِتَينِ لِلأَبَدِ أَمامَ وَجهِكَ

(١١) نشعر بأن ناتان يفضّل حياة الترحال في البرية .

(١٢) جناس في معنى «بيت» المزدوج . سيقيم الله «بيتاً» ، أي سلالة ، لداود .

(١٣) يبدو أن هذه الآية ، التي تستهدف سليمان ، أُضيفت في وقت لاحق .

وعَرشُكَ يَكونُ راسِخاً لِلأَبَد»(١٤) . ١٧فكَلَّمَ ناتانُ داوُدَ بِهذا الكَلامِ كُلِّه وهذه الرُّؤيا كُلِّها .

١٨فدَخَلَ المَلِكُ داوُدُ وجَلَسَ أَمامَ الرَّبِّ وقال : «مَن أَنا ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، وما بَيتي حَتَّى بَلَغتَ بي إِلى هٰهُنا ؟ ١٩وقَلَّ هذا في عَينَيكَ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، فتَكَلَّمتَ أَيضاً إِلى بَيتِ عَبدِكَ في أَمرِ المُستَقبَلِ البَعيد . تِلكَ سُنَّةُ الإِنْسان ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ . ٢٠فماذا يَعودُ داوُدُ يُكَلِّمُكَ، وأَنتَ قد عَرَفتَ عَبدَكَ ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ؟ ٢١فمِن أَجلِ كَلِمَتِكَ وبِحَسَبِ قَلبِكَ عَمِلتَ هذا العَمَلَ العَظيمَ كُلَّه لِتُعلِمَ عَبدَكَ. ٢٢لِذلك قد عَظُمتَ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، لِأَنَّه لا مَثيلَ لَكَ ولا إِلهَ سِواكَ ، في كُلِّ ما سَمِعْناه بآذانِنا . ٢٣وأَيَّةُ أُمَّةٍ مِثلُ شَعبِكَ إِسْرائيل ؟ أَفي الأَرضِ أُمَّةٌ أُخْرى سارَ الله لِيَفتَدِيَها لِنَفْسِه شَعباً ويَجعَلَ لَها ٱسماً ويَعمَلَ لَكُم ذلك العَمَلَ العَظيمَ ولِأَرضِكَ هذه الأَعمالَ الرَّهيبَةَ بِسَبَبِ شَعبِكَ الَّذي ٱفتَدَيتَه لِنَفسِكَ مِن مِصْرَ مِنَ الأُمَمِ ومِن آلِهَتِها ؟ ٢٤وثَبَّتَّ لِنَفسِكَ شَعبَكَ إِسْرائيلَ شَعباً لَكَ لِلأَبَد ، وأَنتَ ، يا رَبُّ ، صِرتَ لَه إِلهاً . ٢٥والآنَ أَيُّها الرَّبُّ الإِله ، أَقِمْ لِلأَبَدِ الكَلامَ الَّذي تَكَلَّمتَ بِه عن عَبدِكَ وعن بَيتِه ، وآفعَلْ كما قُلتَ ، ٢٦لِيَعظُمَ ٱسمُكَ لِلأَبَدِ ويُقال : رَبُّ القُوَّاتِ إِلهٌ على إِسْرائيل ، فيَكونَ بَيتُ عَبدِكَ داوُد ثابِتاً أَمامَكَ ، ٢٧لِأَنَّكَ أَنتَ ، يا رَبَّ القُوَّات ، إِلهَ إِسْرائيل ، أَوصَيتَ إِلى عَبدِكَ قائِلاً : أَبْني لَكَ بَيتاً . لِذلِك تَشَجَّعَ قلبُ عَبدِكَ لِيُصَلِّيَ إِلَيكَ هذه الصَّلاة . ٢٨والآنَ ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، أَنتَ هو

(١٤) المراد بالوعد هو خلود السلالة .

الله ، وكَلامُكَ حَقّ ، وقد وَعَدتَ عَبدَكَ بِهذا الخَير . [٢٩]فالآنَ تَعَطَّفْ وبارِكْ بَيتَ عَبدِكَ لِيَكونَ أَمامَكَ لِلأَبَد[(١٥)] ، لِأَنَّكَ ، أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، تَكَلَّمتَ ، ومِن بَرَكَتِكَ يُبارَكُ بَيتُ عَبدِكَ لِلأَبَد» .

٥. خطيئة داود

ما زال داود إنساناً ، وكان يجد في سلطته الملكية ما يمكّنه من إرضاء غرائزه . فانساق الى تملُّك امرأة أحد قُوّاد جيشه والى قتله . فجاء ناتان يوبّخ داود على خطيئته المزدوجة . ندم داود ونال الغفران .

١١ [١]ولَمَّا كانَ مَدارُ السَّنَة[(١٦)] في وَقتِ خُروجِ المُلوكِ إِلى الحَرْب ، أَرسَلَ داوُدُ يوآبَ وضُبَّاطَه معَه وكُلَّ إِسْرائيل ، فأَهلَكوا بَني عَمُّون وحاصَروا رَبَّة . وأَمَّا داوُدُ فبَقِيَ في أُورَشَليم .

[٢]وكانَ عِندَ المَساءِ أَنَّ داوُدَ قامَ عن سَريرِه وتَمَشَّى على سَطحِ بَيتِ المَلِك ، فرَأَى عنِ السَّطحِ آمرَأَةً تَستَحِمُّ ، وكانَتِ المَرأَةُ جَميلةً جِدًّا . [٣]فأَرسَلَ داوُدُ وسَأَلَ عنِ المَرأَة ، فقيلَ لَه : «إِنَّها بَتْشابَعُ بِنتُ أَليعامَ ، آمرَأَةُ أُورِيَّا الحِثِّيّ» . [٤]فأَرسَلَ داوُدُ رُسُلاً وأَخَذَها ، فأَتَت إِلَيه فضاجَعَها . وكانت قد تَطَهَّرَت مِن نَجاسَتِها ، ورَجَعَت إِلى بَيتِها . [٥]وحَمَلَتِ المَرأَةُ فأَرسَلَت وأَخبَرَت داوُدَ وقالَت : «إِنَّني حامِل» .

[٦]فأَرسَلَ داوُدُ إِلى يوآبَ قائِلاً : «أَرسِلْ إِلَيَّ أُورِيَّا الحِثِّيّ» . فأَرسَلَ يوآبُ أُورِيَّا إِلى داوُد . [٧]فجاءَه أُورِيَّا ، فاْستَخبَرَه داوُدُ عن سَلامَةِ يوآبَ والشَّعبِ وعنِ الحَرْب . [٨]ثُمَّ قالَ داوُدُ لِأُورِيَّا : «إِنزِلْ إِلى بَيتِكَ وآغسِلْ

(١٥) في هذا القسم من التسبيح ، يشدّد داود على خلود السلالة .

(١٦) عند الاعتدال الربيعي .

رِجلَيكَ» . فخَرَجَ أُورِيَّا مِن بَيتِ المَلِك ، وحُمِلَت وَراءَه هَدِيَّةٌ مِن عِندِ المَلِك . [٩] لكِنَّ أُورِيَّا آضطَجَعَ على بابِ بَيتِ المَلِكِ مع جَميعِ خَدَمِ سَيِّدِه ، ولم يَنزِلْ إِلى بَيتِه[(١٧)] .

[١٠] وأُخبِرَ داوُدُ أَنَّ أُورِيَّا لم يَنزِلْ إِلى بَيتِه . فقالَ داوُدُ لِأُورِيَّا : «أَما جِئتَ مِنَ السَّفَر ؟ فما بالُكَ لم تَنزِلْ إِلى بَيتِكَ ؟» [١١] فقالَ أُورِيَّا لِداوُد : «إِنَّ التَّابوتَ وإِسْرائيلَ ويَهوذا مُقيمونَ في الأَكْواخ ، ويوآبَ سَيِّدي وضُبَّاطَ سَيِّدي مُعَسكِرونَ على وَجهِ الحُقول ، وأَنا أَدخُلُ بَيتي وآكُلُ وأَشرَبُ وأُضاجِعُ آمرَأَتي ؟ لا ، وحَياتِكَ وحَياةِ نَفْسِكَ ، إِنِّي لا أَفعَلُ هذا» . [١٢] فقالَ داوُدُ لِأُورِيَّا : «أُمكُثِ اليَومَ ، وغَداً أَصرِفُكَ» . فبَقِيَ أُورِيَّا في أُورَشَليمَ ذلك اليَوم . [١٣] وفي الغَدِ دَعاه داوُد ، فأَكَلَ بَينَ يَدَيه وشَرِبَ ، وأَسكَرَه . وخَرَجَ مَساءً فآضطَجَعَ في سَريرِه مع خَدَمِ سَيِّدِه ، وإِلى بَيتِه لم يَنزِلْ .

[١٤] فلَمَّا كانَ الصَّباح ، كَتَبَ داوُدُ إِلى يوآبَ كِتاباً وأَرسَلَه بِيَدِ أُورِيَّا . [١٥] وكَتَبَ في الكِتابِ قائلاً : «ضَعوا أُورِيَّا حَيثُ يَكونُ القِتالُ شَديداً ، وآنصَرِفوا مِن وَرائِه ، فيُضرَبَ ويَموت[(١٨)] . [١٦] فكانَ في حِصارِ يوآبَ لِلمَدينَةِ أَنَّه جَعَلَ أُورِيَّا في المَكانِ الَّذي عَلِمَ أَنَّ فيه رِجالَ البَأس . [١٧] فخَرَجَ رِجالُ المَدينَةِ وحارَبوا يوآب ، فسَقَطَ مِنَ الشَّعبِ رِجالِ داوُد ، وماتَ أُورِيَّا الحِثِّيُّ أَيضاً .

(١٧) كان الامساك الجنسي واجباً في الحرب . ولعلَّ أوريَّا قد اطَّلع على ما جرى .
(١٨) كانت الجريمة الحلّ المنطقي.

[١٨]فأَرسَلَ يوآبُ وأَخبَرَ داوُدَ بِكُلِّ ما كانَ مِن أَمرِ الحَرْب . [١٩]وأَمَرَ يوآبُ الرَّسولَ وقالَ لَه : «إِذا آنتَهَيتَ مِن كَلامِكَ مع المَلِكِ عن كُلِّ ما كانَ مِن أَمرِ الحَرْب ، [٢٠]فإِذا ثارَ غَضَبُ المَلِكِ وقالَ لَك : لِمَ دَنَوتُم مِنَ المَدينَةِ لِتُحارِبوا؟ أَما تَعلَمونَ أَنَّهم يَرْمونَ مِن فَوقِ السُّور؟ [٢١]مَن قَتَلَ أَبيمَلِكَ بنَ يَرُبَّعْل؟ أَلَيسَ أَنَّ آمرَأَةً رَمَته بِقِطعَةِ رَحًى مِن فَوقِ السُّورِ فماتَ في تاباص؟ فلِماذا دَنَوتُم مِنَ السُّور؟ فقُلْ : إِنَّ عَبدَكَ أُورِيَّا الحِثِّيَّ أَيضاً قد مات» .

[٢٢]فمَضى الرَّسولُ ووَصَلَ وأَخبَرَ داوُدَ بِكُلِّ ما أَرسَلَه فيه يوآب . [٢٣]وقالَ الرَّسولُ لِداوُد : «قد قَوِيَ علَينا القَومُ وخَرَجوا إِلَينا إِلى الحُقول ، فدَحَرناهم إِلى مَدخَلِ الباب . [٢٤]فرَمى الرُّماةُ رِجالَكَ مِن فَوقِ السُّور ، فماتَ بعضُ رِجالِ المَلِك ، وماتَ أَيضاً عَبدُكَ أُورِيَّا الحِثِّيّ» . [٢٥]فقالَ داوُدُ لِلرَّسول : «كَذا تَقولُ لِيوآب : لا يَسُؤْ ذلك في عَينَيكَ، لِأَنَّ السَّيفَ يأكُلُ هذا وذاك . شَدِّدْ قِتالَكَ على المَدينَةِ ودَمِّرْها ، وأَنتَ شَجِّعْه» .

[٢٦]وسَمِعَتِ آمرَأَةُ أُورِيَّا أَنَّ أُورِيَّا زَوجَها قد مات ، فناحَت على زَوجِها . [٢٧]ولَمَّا تَمَّت أَيَّامُ مَناحَتِها ، أَرسَلَ داوُدُ وضَمَّها إِلى بَيتِه . فكانَت زَوجَةً لَه ووَلَدَت لَه آبناً . وساءَ ما صَنَعَه داوُدُ في عَينَيِ الرَّبّ .

١٢ [١]فأَرسَلَ الرَّبُّ ناتانَ إِلى داوُد ، فأَتاه وقالَ له[١٩] :

«كانَ رَجُلانِ في إِحْدى المُدُن أَحَدُهما غَنِيٌّ والآخَرُ فَقير
[٢]وكانَ لِلغَنِيِّ غَنَمٌ وبَقَرٌ كَثيرةٌ جِدًّا .

(١٩) هذا مَثَل.

[٣]والفَقيرُ لم يَكُنْ لَه غَيرُ نَعجَةٍ وَحيدَةٍ صَغيرةٍ قدِ ٱشتَراها وربَّاها وكَبِرَت معَه ومع بَنيه.
تأكُلُ مِن لُقمَتِه وتَشرَبُ مِن كأسِه وتَرقُدُ في حِضنِه. وكانَت عِندَه كٱبنَتِه.
[٤]فنَزَلَ بِالرَّجُلِ الغَنِيِّ ضَيفٌ، فضَنَّ أَن يأخُذَ مِن غَنَمِه وبَقَرِه لِيُهَيِّئَ لِلمُسافِرِ النَّازِلِ بِه.
فأَخَذَ نَعجَةَ الرَّجُلِ الفَقير وهَيَّأَها لِلرَّجُلِ النَّازِلِ بِه».
[٥]فٱشتَدَّ غَضَبُ داوُدَ على الرَّجُلِ وقالَ لِناتان: «حَيٌّ الرَّبّ! إِنَّ الرَّجُلَ الَّذي صَنَعَ هذا يَستَوجِبُ المَوت. [٦]يَرُدُّ عِوَضَ النَّعجَةِ أَربَعاً جَزاءَ أَنَّه فَعَلَ هذا الأَمرَ ولم يُشفِقْ». [٧]فقالَ ناتانُ لِداوُد: «أَنتَ هو الرَّجُل. هكَذا قالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل: إِنِّي مَسَحتُكَ مَلِكاً على إِسْرائيل، وأَنقَذتُكَ مِن يَدِ شاوُل، [٨]وأَعطَيتُكَ بَيتَ سَيِّدِكَ، ونِساءُ سَيِّدِكَ أَسلَمتُهُنَّ إِلى حِضنِكَ، وأَعطَيتُكَ بَيتَ إِسْرائيلَ ويَهوذا. وإِن كانَ ذلك قَليلاً، فإِنِّي أَزيدُكَ كَذا وكَذا. [٩]فَلِماذا ٱزدَرَيتَ الرَّبَّ فٱرتَكَبتَ الشَّرَّ في عَينَيه؟ قد ضَرَبتَ أُورِيَّا الحِثِّيَّ بِالسَّيفِ وأَخَذتَ ٱمرَأَتَه ٱمرَأَةً لَكَ، وإِيَّاه قَتَلتَ بِسَيفِ بَني عَمُّون.
[١٠]والآنَ فلا يُفارِقُ السَّيفُ بَيتَكَ لِلأَبَد، لِأَنَّكَ ٱزدَرَيتَني وأَخَذتَ ٱمرَأَةَ أُورِيَّا الحِثِّيِّ لِتَكونَ ٱمرَأَةً لَكَ.
[١١]هكَذا قالَ الرَّبّ: إِنِّي مُثيرٌ عَليكَ الشَّرَّ مِن بَيتِكَ، وسآخُذُ نِساءَكَ أَمامَكَ وأُسلِمُهُنَّ إِلى قَريبِكَ، فيُضاجِعُ نِساءَكَ أَمامَ هذه الشَّمْس. [١٢]أَنتَ فَعَلتَ ذلك سِرًّا، وأَنا أَفعَلُ هذا الأَمرَ أَمامَ كُلِّ إِسْرائيلَ وأَمامَ الشَّمْس».
[١٣]فقالَ داوُدُ لِناتان: «قد خَطِئتُ إِلى الرَّبّ». فقالَ ناتانُ لِداود: «إِنَّ

الرَّبَّ أَيضاً قد نَقَلَ خَطيئَتَكَ عنكَ، فلا تَموت. [١٤]ولكِن، إِذ إِنَّكَ بِهذا الأَمرِ أَهَنتَ الرَّبَّ إِهانَةً شَديدة(٢٠)، فالِآبنُ الَّذي يولَدُ لَكَ يَموتُ مَوتاً».
[١٥]وآنصَرَفَ ناتانُ إِلى بَيتِه.

وضَرَبَ الرَّبُّ الوَلَدَ الَّذي وَلَدَته آمرَأَةُ أُورِيَّا لِداوُدَ حتَّى مَرِض. [١٦]فتَضَرَّعَ داوُدُ إِلى اللهِ مِن أَجلِ الوَلَد، وصامَ داوُدُ ودَخَلَ بَيتَه وباتَ مُضطَجِعاً على الأَرض. [١٧]فقامَ إِلَيه شُيوخُ بَيتِه لِيُقيموه عنِ الأَرضِ فأَبى ولم يَأكُلْ معَهم طَعاماً. [١٨]فلَمَّا كانَ اليَومُ السَّابِع، ماتَ الصَّبِيّ. فخافَ حاشِيَةُ داوُدَ أَن يُخبِروه بِمَوتِه، لِأَنَّهم قالوا في أَنفُسِهم: «حينَ كانَ الصَّبِيُّ حَيًّا، كُنَّا نُكَلِّمُه فلا يَسمَعُ لِكَلامِنا، فكَيفَ نَقولُ لَه: ماتَ الصَّبِيّ، فيَصنَعُ شَرًّا». [١٩]ورأَى داوُدُ حاشِيَتَه يَتَهامَسون، ففَطِنَ داوُدُ أَنَّ الصَّبِيَّ قد مات. فقالَ داوُدُ لِحاشِيَتِه: «هل ماتَ الصَّبِيّ». فقالوا: «قد مات».

[٢٠]فنَهَضَ داوُدُ عنِ الأَرضِ وآغتَسَلَ وتَطَيَّبَ وغَيَّرَ ثِيابَه، ودَخَلَ بَيتَ الرَّبِّ فسَجَد. ورَجَعَ إِلى بَيتِه وطَلَب، فوَضَعوا لَه طَعاماً فأَكَل. [٢١]فقالَ لَه حاشِيَتُه: «ما هذا الأَمرُ الَّذي صَنَعتَ فإِنَّكَ، لَمَّا كانَ الصَّبِيُّ حَيًّا، صُمتَ وبَكَيتَ. فلَمَّا مات، قُمتَ وأَكَلتَ طَعاماً». [٢٢]فقال: «لَمَّا كانَ الصَّبِيُّ حَيًّا، صُمتُ وبَكَيتُ، لِأَنِّي قُلتُ في نَفْسي: مَن يعلَم؟ قد يَرحَمُني الرَّبُّ ويَحْيا الصَّبِيّ. [٢٣]وأَمَّا الآنَ وقد مات، فلِماذا أَصوم؟ أَفأَستَطيعُ أَن أَرُدَّه بَعدُ؟ أَنا أَصيرُ إِلَيه وهو لا يَرجِعُ إِلَيَّ»(٢١).

(٢٠) لأن داود هو ملك، فمسؤوليته أكبر. لكنه يعترف بذنبه، فيغفر الله له.
(٢١) هذا الرجل كلّه رشد، وتقواه خالية من الاعتبارات الحقوقية.

٣. دسائس في قصر داود

١. مولد سليمان

من بين جميع أبناء داود، سليمان هو الذي يخلفه، ولكن بعد كم من الدسائس!

[٢٤] وعَزَّى داوُدُ بَتْشابَعَ آمرَأَتَه ودَخَلَ علَيها وضاجَعَها، فوَلَدَتِ آبناً فدَعَته سُلَيمان. وأَحَبَّه الرَّبّ، [٢٥] فأَرسَلَ على لِسانِ ناتانَ النَّبِيِّ وسَمَّاه يَديدِيا لِأَجلِ الرَّبّ(٢٢).

٢. مقتل عمّون

كانت خلافة داود عادةً من نصيب أمنون، ابنه البكر. لكنه اغتصب تامار أخته التي من أمّه، فكانت أول مأساة.

٣. دسيسة أبشالوم

حصل يوآب، قائد جيش داود، على أن يستدعي الملك ابنه أبشالوم، وحصل بعد سنتين على أن يغفر له. فأصبح أبشالوم وليّ العهد، ولكنه لم يصبر إلى أن يموت أبوه، فتمرّد عليه.

٤. هرب داود

لكن داود استعمل خطّة بارعة فغادر أورشليم. بقي قسم كبيرٍ من الجيش الى جانبه، لكن بعض الناس استغلّوا المحنة التي مرّ بها وأوسعوه توبيخاً. أمّا أبشالوم، فقد أُشير عليه مشورة غير صائبة بالانتظار، فتمكّن داود من عبور نهر الاردن، وتمكّن يوآب من تنظيم جيشه. وكانت النتيجة ان هُزم أنصار أبشالوم وقُتل هو بيد يوآب نفسه، خلافاً لما أمر به داود.

(٢٢) يعني هذا الاسم: «محبوب من الله». أحبّه الله وتركه يعيش، على عكس الآخر الذي أماته.

٥. عودة داود

تمالك داود عن ألمه، وما لبث أن عاد إلى أورشليم. والذين شتموا الملك أتوا مستغفرين، فغفر لهم موقّتاً. واستعادت المملكة هدوءها.

٤. ملحق: الإحصاء والطاعون

أُضيف، في آخر سِفرَي صموئيل، حدثان هامّان: الحدث المذكور هنا هو الإحصاء الذي أمر به داود لمزيد من الدقة في الاحوال الإدارية. إلاّ أن هذا الإحصاء عُدَّ خطيئة: لانه كان يتمّ عن قلّة ثقة بالله ويدل على تصرّف مَلِك مُطلَق. فالطاعون الذي جاء بعد الإحصاء رُبط به وعُدَّ عقوبة. نلاحظ هنا مرة أخرى ما أعمق إيمان داود.

٢٤ [١]وعادَ غَضَبُ الرَّبِّ فآحتَدَمَ على إسْرائيل، فحَرَّضَ علَيهم داوُدَ قائلاً: «إذهَبْ فأَحصِ إسْرائيلَ ويَهوذا»[(٢٣)]، [٢]فقالَ المَلِكُ لِيوآبَ، قائِدِ الجَيشِ، الَّذي معَه: «طُفْ في جَميعِ أَسْباطِ إسْرائيل، مِن دانَ إلى بِئرَ سَبْع، وأَحْصوا الشَّعْبَ، لِكَي أَعلَمَ عَدَدَ الشَّعْب»[(٢٤)]. [٣]فقالَ يوآبُ لِلمَلِك: «لِيَزِدِ الرَّبُّ إِلهُكَ الشَّعبَ أَمْثالَه مِئَةَ ضِعْف، وعَينا سَيِّدي المَلِكِ ناظِرَتان. وأَمَّا سَيِّدي المَلِكُ فماذا يُريدُ بِهذا الأَمْر؟»[(٢٥)] [٤]لكِنَّ كَلامَ المَلِكِ تَغَلَّبَ على يوآبَ وعلى قُوَّادُ الجَيْش. فخَرَجَ يوآبُ وقُوَّادِ الجَيشِ مِن عِندِ المَلِكِ لِيُحصوا شَعْب إسْرائيل.

(٢٣) لا يبدو داود هنا مسؤولاً، بل منفّذاً لامر الله. لكن طريقة التعبير هذه تعود الى أنهم كانوا ينسبون كل شيء الى الله.

(٢٤) يريد داود أن يضع إطاراً إدارياً وعسكرياً دقيقاً.

(٢٥) عارض يوآب والرؤساء العسكريون هذه الفكرة، لانها مسّ بحرية الاسباط. فهم يخشون قيام تمرّد، ولا سيّما من قبل أسباط إسرائيل.

^٨^ولمَّا طافوا في تِلكَ الأَرضِ كُلِّها، رَجَعوا إِلى أُرَشَليمَ بَعدَ تِسعَةِ أَشهُرٍ وعِشْرينَ يَوماً. ^٩^فرَفَعَ يوآبُ أَرْقامَ إِحْصاءِ الشَّعْبِ إِلى المَلِك، فكانَ مَجْموعُ إِسْرائيلَ ثَمانِيَ مِئَةِ أَلفِ رَجُلٍ مُحارِبٍ مُستَلِّ سَيف، ومَجْموعُ رِجالِ يَهوذا خَمسَ مِئَةِ أَلفِ رَجُل[٢٦].

^١٠^فخَفَقَ قَلبُ داوُدَ مِن بَعدِ إِحْصاءِ الشَّعْب، وقالَ داوُدُ لِلرَّبّ: «قَد خَطِئتُ خَطيئَةً كَبيرة[٢٧] فيما صَنَعتُ، والآنَ يا رَبِّ آغفِرْ إِثْمَ عَبدِكَ، لِأَنِّي بِحَماقَةٍ عَظيمةٍ تَصَرَّفتُ». ^١١^فلَمَّا نَهَضَ داوُدُ في الصَّباح، كانَ كَلامُ الرَّبِّ إِلى جادِ النَّبِيّ، رائي داود، قائِلاً ^١٢^«إِمضِ فقُلْ لِداوُد: هكذا يَقولُ الرَّبّ: إِنِّي عارِضٌ عَليكَ ثَلاثاً، فآختَرْ لِنَفسِكَ واحِدَةً مِنها، فأُنزِلَها بِكَ» ^١٣^فأَتى جادٌ إِلى داوُدَ وأَخبَرَه وقالَ لَه: «أَتأتي عَلَيكَ سَبعُ سِني مَجاعةٍ في أَرضِكَ، أَم تَهرُبُ أَمامَ أَعْدائِكَ ثَلاثَةَ أَشهُرٍ وهم في إِثرِكَ، أَم يَكونُ ثَلاثَةَ أَيَّامِ طاعونٍ في أَرضِكَ؟ ففَكِّرِ الآنَ وآنظُرْ فيما أُجيبُ بِه مُرسِلي مِنَ الكَلام». ^١٤^فقالَ داوُدُ لِجاد: «قد ضاقَ بِيَ الأَمرُ كَثيراً، فلنَقَعْ في يَدِ الرَّبِّ، لِأَنَّ مَراحِمَه كَثيرة، ولا أَقَعَ في يَدِ النَّاس»[٢٨].

^١٥^فبَعَثَ الرَّبُّ الطَّاعونَ في إِسْرائيلَ مِنَ الصَّباحِ إِلى الميعاد، فماتَ مِنَ الشَّعبِ مِن دانَ إِلى بِئرَ سَبْعَ سَبْعونَ أَلفَ رَجُل. ^١٦^وبَسَطَ المَلاكُ[٢٩] يَدَهُ على أُورَشَليمَ لِيُدَمِّرَها. فنَدِمَ الرَّبُّ على الشَّرِّ وقالَ لِلمَلاكِ المُهلِكِ

(٢٦) أرقام مبالَغ فيها.

(٢٧) خطئ الى الله لسببَين: قلّة ثقة به، مع أنه ما زال يخلّص شعبه بالتجنيد الاختياري، ومسّ بجلاله، لانه قادر أن يكثّر أو يقلّل، كما يشاء، أعضاء شعبه.

(٢٨) هل في ذلك إشارة إلى الايام التي كان يهرب فيها أمام شاول؟

(٢٩) منفّذ العقاب الإلهي هو «الملاك المبيد» (راجع ضربة مصر العاشرة).

الشَّعْب : «كفى ! فكُفَّ الآنَ يَدَكَ» . وكانَ مَلاكُ الرَّبِّ عِندَ بَيدَرِ أَرَونا اليَبوسِيّ . [١٧]ورأَى داوُدُ المَلاكَ الَّذي كانَ يَضرِبُ الشَّعْبَ فقالَ لِلرَّبّ : «أَنا الَذي خَطِئتُ وأَنا الَّذي فَعَلتُ السُّوء ، وأَمَّا أُولئِكَ الخِراف ، فماذا فَعَلوا ؟ فلتَكُنْ عليَّ يَدُكَ وعلى بَيتِ أَبي»[٣٠] .

[١٨]فأتى جادٌ في ذلك اليَومِ إِلى داوُدَ وقالَ له : «إِصعَدْ فأَقِمْ مَذبَحاً لِلرَّبِّ في بَيدَرِ أَرَونا اليَبوسِيّ» . [١٩]فصَعِدَ داوُدُ كما قالَ جادٌ بِحَسَبِ أَمرِ الرَّبّ . [٢٠]ونَظَرَ أَرَونا فرَأَى المَلِكَ ورِجالَه آتينَ إِلَيه ، فخَرَجَ أَرَونا وسَجَدَ لِلمَلِكِ بِوَجهِه إِلى الأَرض . [٢١]وقالَ أَرَونا : «لِماذا جاءَ سَيِّدِيَ المَلِكُ إِلى عَبدِه ؟» فقالَ داوُد : «لِأَشتَرِيَ مِنكَ البَيدَر ، لِكَي أَبنِيَ فيه مَذبَحاً لِلرَّبّ ، فتَكُفَّ الضَّربَةُ عنِ الشَّعْب» . [٢٢]فقالَ أَرَونا لِداوُد : «لِيَأخُذْ سَيِّدِيَ المَلِكُ ويُصْعِدْ ما يَحسُنُ في عَينَيه : هُوَذا البَقَرُ لِلمُحرَقَة ، والنَّوارِجُ وأَدَواتُ البَقَرِ تَكونُ حَطَباً . [٢٣]وهذا كُلُّه ، أَيُّها المَلِك ، يُقَدِّمُه أَرَونا لِلمَلِك» . وأَضافَ أَرَونا فقالَ لِلمَلِك : «الرَّبُّ إِلهُكَ يَرْضى عنكَ» .

[٢٤]فقالَ المَلِكُ لِأَرَونا : «كَلاَّ ، بل أَشتَري مِنكَ بِثَمَن . فلَستُ أُصعِدُ لِلرَّبِّ إِلهي مُحرَقاتٍ مَجَّانِيَّة» . فاشتَرى داوُدُ البَيدَرَ والبَقَرَ بِخَمْسينَ مِثْقالاً مِنَ الفِضَّة . [٢٥]وبَنى هُناكَ داوُدُ مَذبَحاً لِلرَّبّ ، وأَصعَدَ مُحرَقاتٍ وذَبائِحَ سَلامِيَّة . فعَطَفَ الرَّبُّ على تِلكَ الأَرض ، وكَفَّتِ الضَّربَةُ عن إِسْرائيل .

(٣٠) رضي داود بأن يعاقَب هو نفسه . في «بيت أبي» تلميح إلى المكافأة الجَماعية (العائلية هنا) .

قراءة لبني جيلنا

ان سِفرَي صموئيل يوجّهان أنظارنا نحو فكرة **المملكة**. فضلاً عن أن سلالة داود تُؤتَمن على الوعد المشيحي، سيرتبط هذا الوعد مدة أربعة قرون بمؤسسة سياسية عرضية، هي مملكة وحُكم ملكي. وسيكون الإنجيل إعلانَ بشرى، وهي تحقيق **ملكوت الله**. والحال أن مفهوم المملكة السياسي في نظر الإنسان العصري هو مفهوم أوشك أن يزول.

كيف نقيم صلةً مقبولة بين مملكة داود وما نزال نسمّيه إلى اليوم ملكوت الله؟ يتمّ ذلك بالتشديد على ما في **تاريخ** العهد القديم من **طابع نبوي**. فكما أن الارض التي وُعد بها الآباء وفتحها يشوع أصبحت **الارض المقدّسة** (حزقيال وزكريا)، ريثما تصبح ميراث المسيحيين السماوي، وكما أن عاصمة داود صارت في وقت لاحق «**المدينة المقدّسة**»، إلى اليوم الذي ورد في الليترجية المسيحية ان أورشليم هي المدينة السماوية المؤلّفة من حجارة حيّة نحتها الإزميل الإلهي، كذلك ستتّسم فكرة المملكة بطابع روحي، فيعتقدون بأن مُلك الله سيمتدّ إلى العالم كله، حيث تضمّ الطبيعة صوتها إلى صوت الإنسان ليرفعا التمجيد الى الله (المزامير ٩٦-٩٨). ومتى جاء المسيح، سيعبّر في أمثاله عن تشعّب تلك الحقيقة السامية، سواء أدار الكلام على نفس المؤمن، أم على جماعة كنيسة الارض أو السماء.

مدخل الى سِفْرَي الملوك

كان سِفْرا الملوك يؤلّفان في الاصل، شأن سِفرَي صموئيل، سفراً واحِداً. وهذه الصفة المميِّزة تفسّر ما في نهاية سفر الملوك الاول من ثُغرة تقطع رواية مُلْك أَحَزْيا. وبالإضافة الى ذلك، كان سفرا الملوك التابع المنطقي لسِفرَي صموئيل (فالترجمة اللاتينية الشائعة تسمّيها: أسفار الملوك الاول والثاني والثالث والرابع)، وهذا ما يفسّر نَقْل نهاية مُلْك داود الى مطلع سفر الملوك الاول.

ليس هناك شخصيات رئيسية تُضفي على كلٍ من السفرَين وجهاً خاصاً، كما الامر هو في سِفرَي صموئيل (صموئيل وداود)، ولذلك فضّلوا أن يُلحقوا السفرَين الواحد بالآخر.

ان الحقبة الزمنية التي يدور الكلام عليها في هذين السفرَين تبتدئ بموت داود وتنتهي بالجلاء الاخير الى بابل (حوالى ٩٧٥-٥٨١).

يستخدم الكتّاب مقتطفات من المحفوظات والحوليات الرسمية، وهم يذكرون مصادرهم. لا يُكثرون من الروايات ذات الطابع الشعبي. فلا خوف من التعويل على أقوالهم.

ولكن لا نَنْسَ ان هذا التاريخ موجَّه نحو تعليم ديني. فالمحرِّر ينظر الى كل من الملوك، لا بالنسبة الى سياسته، بل بالنسبة الى موقفه من عبادة الاوثان. فإن رفضها وشجّع عبادة الرب في هيكل أورشليم وحده، كان ملكاً صالحاً، وإلاَّ انهال عليه بالتوبيخ. ولان الشعب الاسرائيلي لم يكن أميناً، نزل به العقاب، أي خراب المملكتين والجلاء إلى أشّور وبابل.

وأخيراً سنجِد في هذَين السفرَين روايات جزئية - أو دورات - عن نشاط بعض الانبياء: ايليّا وأليشاع وميخا وأشعيا وإرميا.

سِفرُ الملوكِ الأوّل

١. خلافة سليمان

١. دسائس ناتان

كان ناتان النبي يؤيّد سليمان، فابتكر، مع المحظيّة السابقة بَتْشابع، تمثيلية من شأنها أن تؤثّر في الملك العجوز.

١ [١١]فكَلَّمَ ناتانُ بَتْشابَعَ أُمَّ سُلَيمانَ قائِلاً: «أَما سَمِعتِ أَنَّ أدونِيَّا آبنَ حَجِّيتَ قد مَلَك، ولَم يَعلَمْ بِذلك سَيِّدُنا داوُد؟ [١٢]فالآنَ تَعالَي أُشِرْ علَيكِ مَشورَةً تُنَجِّينَ بِها نَفْسَكِ ونَفسَ سُلَيمانَ آبنِكِ: [١٣]إِذهَبي وآدخُلي على المَلِكِ داوُدَ وقولي لَه: أَلَيسَ أَنَّكَ أَنتَ، يا سَيِّديَ المَلِك، قد حَلَفتَ لِأَمَتِكَ قائِلاً: إِنَّ سُلَيمانَ آبنَكِ هو يَملِكُ مِن بَعْدي وهو يَجلِسُ على عَرْشي، فلِماذا مَلَكَ أَدونِيَّا؟ [١٤]وبَينَما تَكونينَ أَنتِ هُناكَ في الكَلامِ مع المَلِك، آتي أَنا في إِثرِكِ وأُؤَيِّدُ كَلامَكِ».

[١٥]فدَخَلَت بَتْشابَعُ على المَلِكِ في المُخدَع (وكانَ المَلِكُ قد شاخَ جِدًّا، وكانَت أَبيشاجُ الشُّونَمِيَّةُ تَخدِمُ المَلِك). [١٦]فآنحَنَت بَتْشابَعُ ساجِدَةً لِلمَلِك فقالَ لَها المَلِك: «ما شَأنُكِ؟» [١٧]فقالَت لَه: «يا سَيِّدي، إِنَّكَ

كُنتَ قد حَلَفتَ بِالرَّبِّ إِلهِكَ لِأَمَتِكَ قائلاً: إِنَّ سُلَيمانَ آبنَكِ هو يَملِكُ مِن بَعْدي وهو يَجلِسُ على عَرْشي. [١٨]والآنَ هُوَذا أدونِيَّا قد مَلَكَ، وأَنتَ، يا سَيِّديَ المَلِك، لم تَعلَم. [١٩]وقد ذَبَحَ كَثيراً مِنَ البَقَرِ والعُجولِ المُسَمَّنَةِ والغَنَم. ودَعا جَميعَ بَني المَلِكِ وأَبياتارَ الكاهِنَ ويوآبَ قائِدَ الجَيش. وأَمَّا سُلَيمانُ عَبدُكَ فلَم يَدْعُه. [٢٠]والآنَ، يا سَيِّديَ المَلِك، فإِنَّ عُيونَ إِسْرائيلَ كُلِّه نَحوَكَ، حتَّى تُعلِمَهم مَن يَجلِسُ على عَرشِ سَيِّدِيَ المَلِكِ من بَعْدِه[١]. [٢١]فيَكونُ، إِذا آضَّجعَ سَيِّدِيَ المَلِكُ مع آبائه، أَنِّي أَنا وآبْني سُلَيمانَ نَكونُ مُذنِبين».

[٢٢]وفيما هي تَتَكَلَّمُ مع المَلِك، إِذ وَصَلَ ناتانُ النَّبِيّ. [٢٣]فأَخبَروا المَلِكَ وقالوا لَه: «هُوَذا ناتانُ النَّبِيّ». فدَخَلَ إِلى حَضرَةِ المَلِكِ وسَجَدَ لِلمَلِكِ بِوَجهِه إِلى الأَرْض. [٢٤]وقالَ ناتان: «يا سَيِّدِيَ المَلِك، أَأَنتَ قُلتَ: إِنَّ أَدونِيَّا يَملِكُ مِن بَعْدي وهو يَجلِسُ على عَرْشي؟ [٢٥]فإِنَّه قد نَزَلَ اليَومَ وذَبَحَ مِنَ البَقَرِ والعُجولِ المُسَمَّنَةِ والغَنَمِ شَيئاً كَثيراً، ودَعا جَميعَ بَني المَلِكِ وقُوَّادَ الجَيشِ وأَبياتارَ الكاهِن، وها هم يأكُلونَ ويَشرَبونَ أَمامَه ويقولون: لِيَحْيَ المَلِكُ أَدونِيَّا! [٢٦]وأَمَّا أَنا عَبدُكَ وصادوقُ الكاهِنُ وبَنايا آبنُ يوياداعَ وسُلَيمانُ عَبدُكَ فلَم يَدعُنا. [٢٧]فهَل مِن قِبَلِ سَيِّدِي المَلِكِ كانَ هذا الأَمْرُ، ولَم تُعلِمْ عَبيدَكَ مَن يَجلِسُ على عَرشِ سَيِّدِيَ المَلِكِ مِن بَعْدِه؟».

[٢٨]فأَجابَ المَلِكُ داوُدُ وقال: «أُدْعوا لي بَتْشابَع». فدَخَلَت إِلى

(١) ينتظر الرأي العام أن يعيّن داود خليفته.

حَضرَةِ المَلِكِ ووَقَفَت أَمامَ المَلِك . [٢٩]فحَلَفَ المَلِكُ وقال : «حَيٌّ الرَّبُّ الَّذي آفتَدى نَفْسي مِن كُلِّ ضيق ! [٣٠]إِنِّي كما حَلَفتُ لَكِ بِالرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيلَ وقُلتُ : إِنَّ سُلَيمانَ آبنَكِ هو يَملِكُ من بَعْدي وهو يَجلِسُ مَكاني على عَرْشي ، كذلك أَفعَلُ هذا اليَوم» . [٣١]فآنحَنَت بَتْشابَعُ بِوَجهِها إِلى الأَرضِ لِلمَلِكِ وقالَت : «لِيَحْيَ سَيِّدي المَلِكُ داوُدُ لِلأَبَد !» .

٢. تتويج سليمان

نجحت الحيلة ، ذلك بأن داود رأى أن أدونيا يريد أن يغتصب المُلك ، فقام بردّ فعل ، مُعلناً أن خليفته هو سليمان وآمراً بإعداد التتويج .

[٣٢]وقالَ المَلِكُ داوُد : «أُدْعوا لي صادوقَ الكاهِنَ وناتانَ النَّبِيَّ وبَنايا بنَ يوياداع» . فدَخَلوا إِلى حَضرَةِ المَلِك . [٣٣]فقالَ المَلِكُ لَهم : «خُذوا معَكم خَدَمَ سَيِّدِكم وأَركِبوا سُلَيمانَ آبْني على بَغلَتي وآنزِلوا بِه إِلى جيحون ، [٣٤]ولْيَمْسَحْه هُناكَ صادوقُ الكاهِنُ وناتانُ النَّبِيُّ مَلِكاً على إِسْرائيل ، وآنفُخوا بِالبوقِ وقولوا : لِيَحْيَ المَلِكُ سُلَيمان . [٣٥]وآصعَدوا وَراءَه ، فيَأتِيَ ويَجلِسَ على عَرْشي ، وهو يَملِكُ مَكاني ، فإِنَّه هو الَّذي أَوصَيتُ أَن يَكونَ قائداً على إِسْرائيلَ ويَهوذا»(٢) . [٣٦]فأَجابَ بَنايا بنُ يوياداعَ المَلِكَ وقال : «آمين ! فلْيَتَكَلَّمْ هكذا الرَّبُّ إِلهُ سَيِّدِيَ المَلِك ، [٣٧]وكما كانَ الرَّبُّ مع سَيِّدِيَ المَلِك ، فلْيَكُنْ مع سُلَيمانَ أَيضاً ويَجعَلْ عَرشَه أَعظَمَ مِن عَرشِ سَيِّدِيَ المَلِكِ داوُد» .

[٣٨]فنَزَلَ صادوقُ الكاهِنُ وناتانُ النَّبِيُّ وبَنايا بنُ يوياداعَ والكَريتِيُّونَ والفَليتِيُّون ، وأَركَبوا سُلَيمانَ على بَغلَةِ المَلِكِ داوُد ، وذَهَبوا بِه إِلى

(٢) التتويج هو تأكيد على تعيين الملك .

جيحون(٣) . وأَخَذَ صادوقُ الكاهِنُ قَرنَ الزَّيتِ مِنَ الخَيمَةِ(٤) ومَسَحَ سُلَيمان ، فنَفَخوا بِالبوقِ ونادى كُلُّ الشَّعب : «لِيَحْيَ المَلِكُ سُلَيمان !» ٤٠وصَعِدَ كُلُّ الشَّعبِ وَراءَه ، وكانَ الشَّعبُ يَعزِفونَ بِالنَّاي ، ويَبتَهِجونَ آبتِهاجاً عَظيماً ، حتَّى تَصَدَّعَتِ الأَرضُ مِن أَصْواتهم .

٣. وصية داود وموته

أتت رغبات داود الاخيرة مزيجاً من العدل والاحتيال ، فهو يكافئ ويعاقب ، على مثال الله ، وفي الوقت نفسه يوطّد عرش ابنه . أجل ، داود أحبّ الله ، لكنه لم يكن مسيحياً .

٢ ١ولَمَّا دَنا يَومُ وَفاةِ داوُد ، أَوصى سُلَيمانَ آبنَه وقال : ٢«أَنا ذاهِبٌ في طَريقِ أَهلِ الأَرضِ كُلِّهم ، فتَشَدَّدْ وكُنْ رَجُلاً . ٣وآحفَظْ أَوامِرَ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَسيرَ في طَريقِه وتَحفَظَ فَرائِضَه ووَصاياه وأَحكامَه وشَهادَتَه ، على ما هو مَكْتوبٌ في شَريعَةِ موسى ، لِتَنجَحَ في كُلِّ ما تَعمَلُ وحَيثُما تَوَجَّهتَ ، ٤لِكَي يُحَقِّقُ الرَّبُّ كَلامَه الَّذي تَكَلَّمَ بِه عنِّي قائِلاً : إِن حَفِظَ بَنوكَ طَريقَهم وساروا أَمامي بِالحَقِّ مِن كُلِّ قُلوبِهم وكُلِّ نُفوسِهم ، لا يَنقَطِعُ لَكَ رَجُلٌ عن عَرشِ إِسْرائيل .

٥ثُمَّ إِنَّكَ تَعلَمُ ما صَنَعَ بي يوآبُ ابنُ صَروِيَة وما صَنَعَ بقائِدَي جُيوشِ إِسْرائيل ، أَبْنيرَ بنِ نيرٍ وعَماسا بنِ ياتَر ، إِذ إِنَّه قَتَلَهما وسَفَكَ دِماءَ الحَرْبِ في السِّلْم ، وجَعَلَ دِماءَ الحَربِ على زُنَّارِه الَّذي على حَقَوَيه وعلى نَعلَيه اللَّتَينِ بِرِجلَيه . ٦فآصنَعْ بِه بِحَسَبِ حِكمَتِكَ، ولا تَدَعْ شَيبَتَه تَنزِلُ بِسَلامٍ

(٣) عين تقع في وادي قِدرون .
(٤) الخيمة التي كانت تحتوي على تابوت العهد .

إِلى مَثْوى الأَمْوات. [٧]وأَمَّا بَنو بَرزِلاَّيَ الجِلْعادِيِّ فَاصنَعْ إِلَيهم رَحمَةً، ولْيَكونوا مِنَ الآكِلينَ على مائِدَتِكَ، لِأَنَّهم هكذا قاموا إِلى جانِبي عِندَ هَرَبي مِن وَجهِ أَبْشالومَ أَخيك. [٨]وعِندَكَ شِمْعي بنُ جيرا مِن بَني بَنْيامينَ مِن بَحوريم، وهو الَّذي لَعَنَني لَعنَةً شَنيعةً يَومَ ذَهَبتُ إِلى مَحْنائيم، ثُمَّ نَزَلَ لِلِقائي عِندَ الأُردُنّ، فحَلَفتُ لَه بِالرَّبِّ قائلاً: إِنِّي لا أَقتُلُكَ بِالسَّيف. [٩]والآنَ فلا تُبَرِّئْه، فإِنَّكَ رَجُلٌ حَكيم، فَاعلَمْ ما تَصنَعُ بِه، وأَنزِلْ شَيبَتَه بِالدَّمِ إِلى مَثْوى الأَمْوات».

[١٠]ثُمَّ اَضَّجَعَ داوُدُ مع آبائِه ودُفِنَ في مَدينَةِ داوُد. [١١]وكانَ عَدَدُ الأَيَّامِ الَّتي مَلَكَ فيها داوُدُ على إِسْرائيلَ أَربَعينَ سَنَة. مَلَكَ في حَبْرونَ سَبعَ سِنين، ومَلَكَ في أُورَشَليمَ ثَلاثاً وثَلاثينَ سَنَة.

[١٢]وجَلَسَ سُلَيمانُ على عَرشِ داوُدَ أَبيه، وتَوَطَّدَ مُلكُه جِدًّا.

٢. عَهد سليمان

١. حُلم سليمان في جبعون

اتّسم مطلع عهد سليمان بالحكمة، فلقد امتاز هذا الرجل بحسن تفهّمه لدوره كمَلِك. تلك الحكمة التمسها من الله، حين حجَّ الى جبعون.

٣ [٤]وذَهَبَ المَلِكُ إِلى جِبْعونَ لِيَذبَحَ هُناكَ، لِأَنَّها هي المَشرَفُ الأَعظَم، وأَصعَدَ سُلَيمانُ أَلفَ مُحرَقَةٍ على ذٰلِكَ المَذبَح. [٥]وفي جِبْعونَ تَراءَى الرَّبُّ لِسُلَيمانَ في الحُلْمِ(٥) لَيلاً وقالَ الله: «أُطْلُبْ ما تُريدُ أَن أُعطِيَكَ». [٦]فقالَ سُلَيمان: «أَنتَ صَنَعتَ إِلى عَبدِكَ داوُدَ أَبي رَحمَةً عَظيمةً بِحَسَبِ

(٥) الحُلم في الادب الكتابي وسيلة يستعملها الله ليوحي الى الإنسان.

سُلوكِه أَمامَكَ(٦) بالحَقِّ والبِرِّ وآستِقامةِ القَلبِ مَعَكَ، وحَفِظتَ لَه تِلكَ الرَّحمَةَ العَظيمة، وأَعطَيتَه آبناً يَجلِسُ على عَرشِه كما هو اليَوم. [٧]والآنَ أَيُّها الرَّبُّ إِلهي، أَنتَ مَلَّكتَ عَبدَكَ مَكانَ داوُدَ أَبي، وأَنا صَبِيٌّ صَغيرُ السِّنِّ، لا أَعرِفُ أَن أَخرُجَ وأَدخُل، [٨]وعَبدُكَ في وَسْطِ شَعبِكَ الَّذي آختَرتَه، شَعبٍ عَظيمٍ لا يُحصى ولا يُعَدُّ لِكَثرَتِه. [٩]فهَبْ عَبدَكَ قَلباً فَهيماً لِيَحكُمَ شَعبَكَ ويُميِّزَ بينَ الخَيرِ والشَّرّ، لِأَنَّه مَن يَقدِرُ أَن يَحكُمَ شَعبَكَ هذا الكَثير؟» [١٠]فحَسُنَ في عَينَيِ الرَّبِّ أن يكونَ سُليمانُ قد سَأَلَ هذا الأَمْر. [١١]فقالَ لَه الله: «بِما أَنَّكَ سَأَلتَ هذا الأَمرَ، ولم تَسأَلْ لَكَ أَيَّاماً كَثيرة، ولا سَأَلتَ لَكَ الغِنى، ولم تَطلُبْ نُفوسَ أَعْدائِكَ، بل سَأَلتَ لَكَ التَمْييزَ لإِجْراءِ الحُكْم، [١٢]فهاءَنَذا قد فَعَلتُ بِحَسَبِ كَلامِكَ. هاءَنَذا قد أَعطَيتُكَ قَلباً حَكيماً فَهيماً، حتَّى إِنَّه لم يَكُنْ قَبلَكَ مِثلُكَ ولا يَقومُ بَعدَكَ مِثلُكَ. [١٣]وحتَّى ما لَم تَسأَلْه قد أَعطَيتُكَ إِيَّاه مِنَ الغِنى والمَجْد، فلا يَكونُ رَجُلٌ مِثلُكَ في المُلوكِ كُلَّ أَيَّامِكَ. [١٤]وإِن أَنتَ سِرتَ في طَريقي حافِظاً فَرائضي ووَصايايَ، كما سارَ داوُدُ أَبوكَ، أُطيلُ أَيَّامَكَ». [١٥]فآستَيقَظَ سُلَيمان، فإِذا هو حُلْم. فجاءَ إِلى أُورَشَليمَ ووَقَفَ أَمامَ تابوتِ عَهدِ الرَّبّ، وأَصعَدَ مُحرَقاتٍ وقَرَّبَ ذَبائِحَ سَلامِيَّة، وأَقامَ مأدُبَةً لِجَميعِ حاشِيَتِه.

٢. حُكم سليمان

ظهرت تلك الحكمة بالحكم المشهور الذي يحمل اسمه. كانت قضيةً عسيرة الحلّ، أظهر فيها سليمان الحقيقة.

(٦) «سَلَكَ أمام أحد» تصرّف نحوه.

[١٦]حينَئذٍ جاءَت إِلى المَلِكِ آمرأَتانِ بَغِيَّان ، ووَقَفَتا بَينَ يَدَيه . [١٧]وقالَت إِحْداهما : «أَرْجوكَ يا سَيِّدي . إِنِّي وهذه المَرأَةُ مُقيمَتانِ في بَيتٍ واحِد . فوَلَدتُ وأَنا في البَيتِ معَها . [١٨]وفي ثالِثِ يَومٍ من وِلادَتي ، وَلَدَت هذه المَرأَةُ أَيضاً ، وكُنَّا معاً ، ولَيسَ معَنا غَريبٌ في البَيتِ غَيرُنا نَحنُ كِلتَيْنا في البَيت . [١٩]فمات آبنُ هذه المَرأةِ في اللَّيل ، لِأَنَّها آضَّجَعَت علَيه . [٢٠]فقامَت عِندَ نِصْفِ اللَّيل ، فأَخَذَتِ آبْني مِن جانِبي ، وكانَت أَمَتُكَ راقِدَة ، وأَضجَعَتِ آبني في حِضنِها ، وآبنُها الميتُ أَضجَعَته في حِضْني . [٢١]فلَمَّا قُمتُ في الصَّباحِ لِأُرضِعَ آبْني ، إِذا هو مَيت . فتَفَرَّستُ فيه في الصَّباح ، فإِذا هو لَيسَ بِآبْنِيَ الَّذي وَلَدتُه» . [٢٢]فقالَتِ المَرأَةُ الأُخْرى : «كَلاَّ ، بلِ الحَيُّ هو آبْني والمَيتُ هو آبنُكِ» . فقالَت تِلكَ : «لا ، بلِ آبنُكِ هو المَيتُ وآبني هو الحَيّ» . وكانَتا تَتَجادَلانِ هكذا أَمامَ المَلِك [٢٣]فقالَ المَلِك : «هذه تَقولُ : هذا آبنِيَ الحَيُّ وآبنُكِ المَيت ، وتِلكَ تَقول : لا ، بلِ آبنُكِ المَيتُ وآبْني الحَيّ» . [٢٤]فأَضافَ المَلِك : «علَيَّ بِسَيف» . فأَتَوا بِسَيفٍ إِلى أَمامِ المَلِك . [٢٥]فقالَ المَلِك : «أُشطُروا الوَلَدَ الحَيَّ شَطرَين ، وأَعْطوا الواحِدَةَ شَطراً والأُخْرى شَطراً» . [٢٦]فكَلَّمَتِ المَلِكَ المَرأَةُ الَّتي آبنُها الحَيّ ، لِأَنَّ أَحْشاءَها تَحَرَّكَت على آبنِها ، وقالَت : «أَرجوكَ يا سَيِّدي . أَعْطوها الوَلَدَ حَيًّا ولا تَقْتُلوه» . فقالَتِ الأُخْرى : «بل لا يَكونُ لي ولا لَكِ . أُشطُروه» . [٢٧]فأَجابَ المَلِكُ وقال : «أَعْطوا هذه الوَلَدَ الحَيَّ ولا تَقْتُلوه ، لِأَنَّها هي أُمُّه» . [٢٨]فسَمِعَ إِسْرائيلُ كُلُّه بِالحُكمِ الَّذي أَصدَرَه المَلِك ، فهابوا وَجهَ المَلِك ، لِأَنَّهم رَأَوا فيه حِكمَةَ اللهِ في إِجراءِ الحُكم .

٣. إدارة سليمان

واصل سليمان التطوير الذي باشره العهد السابق، فقسَّم مملكته إلى محافظات تموِّن المَلِك وبيته.

٤. بناء الهيكل

وفضلاً عن ذلك، عبّر عن تقواه لله ببناء هيكل أورشليم. كان داود قد جمع المواد وابتكر الليترجية، فأنجز سليمان كل ذلك.

٦ [١]وفي السَّنَةِ الأَربَعِ مِئَةٍ والثَّمانينَ لِخُروجِ بَني إِسْرائيلَ مِن أَرضِ مِصْر، وفي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِن مُلكِ سُلَيمانَ على إِسْرائيل، وفي شَهرِ زِيو وهو الشَّهرُ الثَّاني، بَنى سُلَيمانُ البَيتَ لِلرَّبّ(٧).

[١١]وكانَ كلامُ الرَّبِّ إِلى سُلَيمانَ قائِلاً: [١٢]«هذا البَيتُ الَّذي أَنتَ بانيه، إِن أَنتَ سِرتَ على فَرائِضي وعَمِلتَ بِأَحْكامي وحَفِظتَ جَميعَ وَصايايَ، سائِراً علَيها، فإِنِّي أُحَقِّقُ مَعَكَ كَلامِيَ الَّذي كَلَّمتُ بِه داوُدَ أَباك، [١٣]وأُقيمُ فيه في وَسْطِ بَني إِسْرائيل، ولا أَترُكُ شَعْبي إِسْرائيل».

[١٤]فبَنى سُلَيمانُ البَيتَ وأَكمَلَه(٨).

٨ [١]حينَئِذٍ جَمَعَ المَلِكُ سُلَيمانُ إِلَيه شُيوخَ إِسْرائيلَ وجَميعَ رُؤَساءِ الأَسْباطِ وعُظَماءَ آباءِ بَني إِسْرائيلَ في أُورَشَليم، لِيُصعِدوا تابوتَ عَهدِ

(٧) تاريخ اصطناعي. فالاولى أن يكون في حوالى ٩٧٠.

(٨) كان هيكل سليمان في وسط فِناء وكان يحتوي على غرفتَين يتقدّمهما دهليز. وكان هذا الدهليز ينفذ الى «القدس» (أو «هيكل») ومنه الى «قدس الاقداس» («دبير») وكان «القدس» يحتوي على مذبح البخور ومائدة الخبز المقدس وعشرة شمعدانات. وكان «قدس الاقداس» يحتوي على تابوت العهد مع لوحَي الشريعة. وفي خارجه بالقرب من الدهليز، كان مذبح المحرقات.

الرَّبِّ مِن مَدينَةِ داوُدَ الَّتي هي صِهْيون. [٢]فاجتَمَعَ إِلى سُلَيمانَ المَلِكِ جَميعُ رِجالِ إِسْرائيلَ في العيد[(٩)]، في شَهرِ الإِيتانيم وهو الشَّهرُ السَّابع. وجاءَ جَميعُ شُيوخِ إِسْرائيل، وحَمَلَ الكَهَنَةُ التَّابوت، [٤]وأَصعَدوا تابوتَ الرَّبِّ وخَيمَةَ المَوعِد، وكُلَّ أَمتِعَةِ القُدسِ الَّتي في الخَيمَةِ أَصعَدَها الكَهَنَةُ واللاَّوِيُّون. [٥]وكانَ المَلِكُ سُلَيمانُ وكُلُّ جماعَةِ إِسْرائيلَ الَّتي اجتَمَعَت إِلَيه أَمامَ التَّابوت يَذبَحونَ مِنَ الغَنَمِ والبَقَرِ ما لا يُحْصى ولا يُعَدُّ لِكَثْرَتِه.
[٦]وأَدخَلَ الكَهَنَةُ تابوتَ عَهدِ الرَّبِّ إِلى مَكانِه في مِحْرابِ البَيت، في قُدْسِ الأَقْداس، تَحتَ أَجنِحَةِ الكَروبَين، [٧]لِأَنَّ الكَروبَينِ كانا باسِطَينِ أَجنِحَتَهما على مَكانِ التَّابوت وكان الكَروبانِ يُظَلِّلانِ التَّابوتَ وقُضْبانَه مِن فَوقِه. [٩]ولَم يَكُنْ في التَّابوتِ إِلاَّ لَوحا الحَجَرِ اللَّذانِ وَضَعَهما فيه موسى في حوريب، حيثُ عاهَدَ الرَّبُّ بني إِسْرائيلَ عِندَ خُروجِهم مِن أَرضِ مِصْر.

[١٠]وكانَ، لَمَّا خَرَجَ الكَهَنَةُ مِنَ القُدْس، أَنَّ الغَمامَ[(١٠)] مَلأَ بَيتَ الرَّبّ. [١١]فلَم يَستَطِعِ الكَهَنَةُ أَن يَقِفوا لِلخِدمَةِ بِسَبَبِ الغَمام، لِأَنَّ مَجدَ الرَّبِّ قد مَلأَ بَيتَ الرَّبّ[(١١)]. [١٢]حينَئِذٍ قالَ سُلَيمان:

«قالَ الرَّبُّ إِنَّه يَسكُنُ في الغَيمِ المُظلِم
[١٣]وإِنِّي قد بَنَيتُ لَكَ بَيتَ بَهاء

(٩) عيد الاكواخ.
(١٠) يرافق الغمام وصف التجلّيات الإلهية، وهو يرمز الى حضور الله.
(١١) مجد الله هو بهاء حضوره.

مكاناً لِسُكْناكَ لِلأَبَد» .

[١٤]والتَفَتَ المَلِكُ وبارَكَ جَماعَةَ إِسْرائيلَ كُلَّها، وكانَت جَماعَةُ إِسْرائيلَ كُلُّها واقِفَة ، [١٥]وقال : «تَبارَكَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيلَ الَّذي تَكَلَّم بِفَمِه مع داوُدَ أَبي وأَتَمَّ بِيَدِه ما وَعَدَ بِه [١٦]مُنذُ يَومَ أَخرَجتُ شَعْبي إِسْرائيلَ مِن مِصرَ، لم أَختَرْ مَدينةً في جَميعِ أَسْباطِ إِسْرائيلَ لِيُبْنى فيها بَيتٌ يَكونُ آسْمي فيه ، بلِ آختَرتُ داوُدَ لِيَكونَ على رَأسِ شَعْبي إِسْرائيل . [١٧]وقد كانَ في قَلبِ داوُدَ أَبي أن يَبنِيَ بَيتاً لِآسم الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيل . [١٨]فقالَ الرَّبُّ لِداوُدَ أَبي : لِأَنَّه كان في قَلبِكَ أَن تَبنِيَ بَيتاً لِآسْمي ، فأَحسَنتَ حَيثُ كانَ ذلك في قَلبِكَ. [١٩]ولكِن لا تَبْني أَنتَ البَيت ، بلِ آبنُكَ الَّذي يَخرُجُ مِن صُلبِكَ هو يَبْني بَيتاً لِآسْمي . [٢٠]وقد أَتَمَّ الرَّبُّ القولَ الَّذي قالَه ، فقُمتُ أَنا مَكانَ داوُدَ أَبي وجَلَستُ على عَرشِ إِسْرائيل ، كما قالَ الرَّبّ ، وبَنَيتُ البَيتَ لِآسم الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيل . [٢١]وجَعَلتُ هُناكَ مَكاناً لِلتَّابوتِ الَّذي فيه عَهدُ الرَّبِّ الَّذي قَطَعَه لِآبائِنا ، حينَ أَخرَجَهم مِن أَرضِ مِصْر» .

[٢٢]ثُمَّ قامَ سُلَيمانُ أَمامَ مَذبَحِ الرَّبّ ، أَمامَ جَماعَةِ إِسْرائيلَ كُلِّها ، وبَسَطَ يَدَيه نَحوَ السَّماء ، [٢٣]وقال : «أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل ، لَيسَ إِلهٌ مِثلَكَ في السَّماءِ مِن فوقُ ولا في الأَرضِ مِن أَسفَل ، حافِظُ العَهدِ والرَّحمَةِ لِعَبيدِكَ الَّذينَ يَسلُكونَ أَمامَكَ بِكُلِّ قُلوبِهم ، [٢٤]الَّذي حَفِظَ لِعَبدِه داوُدَ أَبي ما كَلَّمَه بِه ، فتَكَلَّمَ بِفَمِه وأَتَمَّ بِيَدِه ما وَعَدَ به كما هو اليَوم . [٢٥]والآنَ، أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل ، اِحفَظْ لِعَبدِكَ داوُدَ أَبي ما كَلَّمتَه بِه قائِلاً : لا يَنقَطِعُ لَكَ رَجُلٌ من أَمامي يَجلِسُ على عَرشِ إِسْرائيل ، إِن

حَفِظَ بَنوكَ طَريقَهم سائرينَ أَمامي كما سِرتَ أَنتَ أَمامي(١٢).
٢٦والآن، يا إِلهَ إِسْرائيل، لِيَتَحقَّقْ قَولُكَ الَّذي كَلَّمتَ بِه عَبدَكَ داوُدَ أَبي. ٢٧فإِنَّه هل يَسكُنُ اللهُ حَقًّا على الأَرْض؟ إِنَّ السَموات وسَمَواتِ السَّمَواتِ لا تَسعُكَ، فكَيفَ يَسَعُكَ هذا البَيتُ الَّذي بَنَيتُه؟(١٣)
٢٨إِلتَفِتْ إِلى صَلاةِ عَبدِكَ وتَضَرُّعِه، أَيُّها الرَّبُّ إِلهي، وآسمَعِ الهُتافَ والصَّلاةَ اللَّذَينِ يُصَلِّي بِهما عَبدُكَ أَمامَكَ اليَوم. ٢٩لِتَكُنْ عَيناكَ مَفْتوحَتَينِ على هذا البَيتِ اللَّيلَ والنَّهار، على المَكانِ الَّذي قُلت: يَكونُ آسْمي فيه(١٤)، لِتَسمَعَ الصَّلاةَ الَّتي يُصَلِّيها عَبدُكَ نَحوَ هذا المَكان.

٣٠وآستَجِبْ تَضَرُّعَ عَبدِكَ وشَعبِكَ إِسْرائيل، إِذا صَلَّوا نَحوَ هذا المَكان، وآسمَعْ أَنتَ مِن مَكانِ سُكْناكَ في السَّماء، وإِذا سَمِعتَ فآغفِرْ.

٣٣وإِذا آنهَزَمَ شَعبُكَ إِسْرائيلُ أَمامَ أَعْدائِه بِسَبَبِ خَطيئَتِه إِلَيكَ، ورَجَعَ إِلَيكَ وآعتَرَفَ بِآسمِكَ وصَلَّى وتَضَرَّعَ إِلَيكَ في هذا البَيت، ٣٤فآسمَعْ أَنتَ مِنَ السَّماء، وآغفِرْ خَطيئَةَ شَعبِكَ إِسْرائيل، وأَرجِعْه إِلى الأَرضِ الَّتي أَعطَيتَ آباءَه إِيَّاها.

٤١وكذلكَ الغَريبُ الَّذي لَيسَ مِن شَعبِكَ إِسْرائيل، والآتي مِن أَرضٍ بَعيدةٍ من أَجلِ آسمِكَ، ٤٢لَسَماعِه بِآسمِكَ العَظيم ويَدِكَ القَديرة وذِراعِكَ المَبْسوطة، فيَأتي ويُصَلِّي نَحوَ هذا البَيت، ٤٣فآسمَعْ أَنتَ مِنَ

(١٢) نشعر هنا بالرغبة الشديدة في بقاء السلالة للابد.
(١٣) مجابهة بين مشكلة حضور الله وشموليته.
(١٤) لقد حُلَّ المشكل: فإن اسم الله، المعبِّر عن شخصه، هو الذي يسكن في الهيكل على وجه خاص.

السَّماءِ مِن مَكانِ سُكْناكَ، وآصنَعْ بِحَسَبِ كُلِّ ما يَدْعوكَ فيه الغريب لِيَعرِفَ جَميعُ شُعوبِ الأَرضِ آسمَكَ ويَتَّقوكَ مِثلَ شَعبِكَ إِسْرائيل، ويَعلَموا أَنَّ آسمَكَ قد أُطلِقَ على هذا البَيتِ الَّذي بَنيتُه.

٤٦ وإِذا خَطِئَ إِلَيكَ لِأَنَّه لَيسَ إِنْسانٌ لا يَخطَأ، وغَضِبتَ علَيه وأَسلَمتَه إِلى أَعدائه، وجَلاه جالوه إِلى أَرضِ أَعْداءٍ بَعيدةٍ أو قَريبة، ٤٧ ثُمَّ رَجَعَ إِلى نَفسِه في الأَرضِ الَّتي جُلِيَ إِلَيها، فتابَ وتَضَرَّعَ إِلَيكَ في أَرضِ جَلائِه وقال: قد خَطِئتُ، قد أَثِمتُ، قد أَسَأتُ، ٤٨ ورَجَعَ إِلَيكَ بِكُلِّ قَلبِه ونَفسِه في أَرضِ أَعدائِه الَّذينَ جَلَوه، وصَلَّى إِلَيكَ جِهَةَ أَرضِه الَّتي أَعطَيتَ آباءَه إِيَّاها والمَدينَةِ الَّتي آختَرتَها والبَيتِ الَّذي بَنيتُه لِآسمِكَ، ٤٩ فآسمَعْ مِنَ السَّماءِ، مَكانِ سُكْناكَ، صَلاتَه وتَضَرُّعَه وأَنْصِفْه. ٥٠ وآغفِرْ لِشَعبِكَ الَّذي خَطِئَ إِلَيكَ جَميعَ مَعصِياتِه الَّتي عَصاكَ بِها، وآتِه رَحمَةً مِن قِبَلِ الَّذينَ جَلَوه فيَرحَموه، ٥١ لِأَنَّه شَعبُكَ ومِيراثُكَ الَّذي أَخرَجتَه مِن مِصرَ مِن وَسَطِ أَتُّونِ الحَديد.

٥٢ لِتَكُنْ عَيناكَ مَفْتوحَتَينِ نَحوَ تَضَرُّعِ عَبدِكَ وتَضَرُّعِ شَعبِكَ إِسْرائيل، لِتَسمَعَ إِلَيه في كُلِّ ما يَدْعوكَ فيه، ٥٣ لِأَنَّكَ أَنتَ أَفرَدتَه لَكَ ميراثاً مِن بَينِ جَميعِ شُعوبِ الأَرض، كما تَكَلَّمتَ على لِسانِ موسى عَبدِكَ، حينَ أَخرَجتَ آباءَنا مِن مِصرَ، أَيُّها الرَّبُّ الإِله».

٥٤ فلَمَّا أَتَمَّ سُلَيمانُ الصَّلاةَ إِلى الرَّبِّ بِكُلِّ هذه الصَّلاةِ والتَّضَرُّع، قامَ مِن أَمامِ مَذبَحِ الرَّبّ، حَيثُ كانَ جاثِياً على رُكبَتَيه، ويَداه مَبسوطَتانِ نَحوَ السَّماء. ٥٥ ووَقَفَ وبارَكَ جَماعةَ إِسْرائيلَ كُلَّها بِصَوتٍ عالٍ وقال: ٥٦ «تَبارَكَ الرَّبُّ الَّذي وَهَبَ الرَّاحَةَ لِشَعبِه إِسْرائيلَ بِحَسَبِ كُلِّ ما تَكَلَّمَ

بِه ، ولم تَسقُطْ كَلِمَةٌ واحِدَةٌ مِن جَميعِ الأَقْوالِ الصَّالِحَةِ الَّتي قالَها على لِسانِ موسى عَبدِه . [٥٧]لِيَكُنِ الرَّبُّ إلهُنا معَنا ، كما كانَ مع آبائِنا ، ولا يَترُكْنا ولا يَهجُرْنا . [٥٨]وَليَمِلْ بِقُلوبِنا إِلَيه ، لِنَسيرَ في جَميعِ طُرُقِه ونَحفَظَ وَصاياه وفَرائِضَه وأَحْكامَه الَّتي أَمَرَ بِها آباءَنا . [٥٩]ولْتَكُنْ أَقْوالي هذهِ الَّتي تَضَرَّعتُ بِها إِلى الرَّبِّ قَريبَةً مِنَ الرَّبِّ إِلهِنا نَهاراً ولَيلاً ، لِيُنصِفَ عَبدَه وشَعبَه إِسْرائيل ، أَمرَ كُلِّ يومٍ في يَومِه ، [٦٠]لِتَعلَمَ جَميعُ شُعوبِ الأَرضِ أَنَّ الرَّبَّ هو الإِله ولَيسَ غَيرُه . [٦١]فلْتَكُنْ قُلوبُكم بِكامِلِها لِلرَّبِّ إِلهِنا لِتَسيروا في فَرائِضِه وتَحفَظوا وَصاياه كما أَنتُمُ اليَوم» .

[٦٢]كانَ المَلِكُ وجَميعُ إِسْرائيلَ معَه يَذبَحونَ ذَبائِحَ أَمامَ الرَّبّ . [٦٣]وذَبَحَ سُلَيمانَ ذَبائِحَ سَلامِيَّةً لِلرَّبّ ، اِثنَينِ وعِشْرينَ أَلفاً مِنَ البَقَر ومِئَةً وعِشْرينَ أَلْفاً مِنَ الغَنَم ، ودَشَّنَ المَلِكُ وجَميعُ بَني إِسْرائيلَ بَيتَ الرَّبّ . [٦٤]وفي ذلك اليَوم ، قَدَّسَ المَلِكُ وَسَطَ الدَّارِ الَّتي أَمامَ بَيتِ الرَّبّ ، لِأَنَّه قَرَّبَ المُحرَقَةَ والتَّقدِمَةَ وشُحومَ الذَّبائِحِ السَّلامِيَّةِ هُناكَ ، لِأَنَّ مَذبَحَ النُّحاسِ الَّذي كانَ أَمامَ الرَّبّ كانَ أَصغَرَ مِن أَن يَسَعَ المُحرَقاتِ والتَّقادِمَ وشُحومَ الذَّبائِحِ السَّلامِيَّة . [٦٥]وأَقامَ سُلَيمانُ العيدَ في ذلك الوَقت ، ومعَه إِسْرائيلُ كُلُّه جَماعَةٌ عَظيمة ، مِن مَدخَلِ حَماةَ إِلى وادي مِصْر ، أَمامَ الرَّبِّ إِلهِنا ، سَبعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ سَبْعَةَ أَيَّام ، أَي أَربَعَةَ عَشَرَ يَوماً . [٦٦]وفي اليَومِ الثَّامِن ، صَرَفَ الشَّعبَ ، فبارَكَ الشَّعبُ المَلِك ، وذَهَبَ إِلى خِيامِه فَرِحاً طَيِّبَ القَلْب ، بِسَبَبِ كُلِّ ما صَنَعَه الرَّبُّ مِنَ الخَيرِ لِداوُدَ عَبدِه ولإِسْرائيلَ شَعبِه .

٥. شُهرة سليمان

حفظ التقليد من سليمان ذكرى مَلِك حكيم ومُترِف، أثار إعجاب الملوك في عصره.

١٠ [١]وسَمِعَت مَلِكَةُ سَبأَ بِخَبَرِ سُلَيمانَ بِفَضلِ آسمِ الرَّبّ، فقَدِمَت لِتَختَبِرَه بِأَلْغاز. [٢]فدَخَلَت أُورَشَليمَ في مَوكِبٍ عَظيمٍ جِدًّا، مِن جِمالٍ مُحَمَّلَةٍ أَطْياباً وذَهَباً كَثيراً جِدًّا وحِجارةً كَريمة، وأَتَت سُلَيمانَ وكَلَّمَته بِكُلِّ ما كانَ في خاطِرِها. [٣]ففَسَّرَ لَها سُلَيمانُ جَميعَ أَسئِلَتِها، ولم يَخفَ على المَلِكِ شَيءٌ لم يُفَسِّرْه لَها. [٤]ورَأَت مَلِكَةُ سَبأَ كُلَّ حِكمَةِ سُلَيمانَ والبَيتَ الَّذي بَناه، [٥]وطَعامَ مائِدَتِه ومَسكِنَ مُوَظَّفيه وقِيامَ خُدَّامِه ولِباسَهم وسُقاتَه ومُحرَقاتِه الَّتي كانَ يُصعِدُها في بَيتِ الرَّبّ، فلَم يَبقَ فيها روح. [٦]وقالَت لِلمَلِك: «صَدَقَ الكَلامُ الَّذي سَمِعتُه في أَرْضي عن أَقْوالِكَ وعن حِكمَتِكَ، [٧]ولم أُصَدِّقْ ما قيلَ لي حَتَّى قَدِمتُ ورَأَيتُ بِعَينَيَّ، فإِذا بي لم أُخبَرْ بِالنِّصف، فقَد زِدتَ حِكمَةً وصَلاحاً على الخَبَرِ الَّذي سَمِعتُه. [٨]طوبى لِرِجالِكَ! وطوبى لِخُدَّامِكَ هؤُلاءِ القائمينَ دائِماً أَمامَكَ يَسمَعونَ حِكمَتَكَ! [٩]تَبارَكَ الرَّبُّ إِلٰهُكَ الَّذي رَضِيَ عنكَ وأَجلَسَكَ على عَرشِ إِسْرائيل، فإِنَّه بِسَبَبِ حُبِّ الرَّبِّ لإِسْرائيلَ لِلأَبَدِ أَقامَكَ مَلِكاً لِتُجرِيَ الحَقَّ والبِرّ».

[١٠]وأَعطَتِ المَلِكَ مِئَةً وعِشْرينَ قِنْطارَ ذَهَبٍ وأَطْياباً كَثيرَةً وحِجارةً كَريمة، ولم يَرِدْ مِن بَعدُ في الكَثرَةِ مِثلُ ذلك الطِّيبِ الَّذي وَهَبَته مَلِكَةُ سَبأَ لِلمَلِكِ سُلَيمان. [١١]وكذلِك فإِنَّ سُفُنَ حيرامَ الَّتي كانَت تَحمِلُ ذَهَباً مِن أُوفيرَ جاءَت مِن أُوفيرَ بِخَشَبِ صَندَلٍ كَثيرٍ جِدًّا وبِحِجارَةٍ كَريمة.

[١٢]فعَمِلَ المَلِكُ خَشَبَ الصَّندَلِ دَرابَزيناً لِبَيتِ الرَّبِّ وبَيتِ المَلِك، وكِنَّاراتٍ وعيداناً لِلمُغَنِّين، ولم يَرِدْ مِثْلُ ذلكَ الخَشَبِ الصَّندَلِ ولا رُئِيَ مِثلُه إِلى هذا اليَوم. [١٣]وأَعْطى المَلِكُ سُلَيمانُ مَلِكَةَ سَبَأَ كُلَّ ما عَبَّرَت عن رَغبَتِها فيه، فَوقَ ما أَعْطاها مِنَ العَطايا على حَسَبِ كَرَمِ المَلِكِ سُلَيمان. وٱنصَرَفَت وعادَت إِلى أَرضِها هي وحاشِيَتُها.

٦. مِساس بطهارة العبادة

كان النصف الثاني من العهد مختلفاً عن النصف الاول. أراد سليمان أن يظهر قدرته، فتزوّج العديد من النساء الغريبات، فأتَين بعباداتهنّ الوثنية. وبنى لها المعابد، لا بل يبدو أنه اشترك إلى حدٍّ ما في شعائرها الدينية.

١١ [١]وأَحَبَّ المَلِكُ سُلَيمانُ نِساءً غَريبَةً كَثيرةً مع ٱبنَةِ فِرعَون، مِنَ المُوآبِيَّاتِ والعَمُّونِيَّاتِ والأَدومِيَّاتِ والصَّيدونِيَّاتِ والحِثِّيَّات، [٢]مِنَ الأُمَمِ الَّتي قالَ الرَّبُّ لِبَني إِسْرائيلَ في شَأنِها: «لا تَذهَبوا إِلَيهم ولا يَذهَبوا إِلَيكم، فإِنَّهم يَستَميلونَ قُلوبَكم إِلى ٱتِّباعِ آلِهَتِهم». فتَعَلَّقَ بِهِنَّ سُلَيمانُ حُبًّا لَهُنَّ. [٣]وكانَ لَه سَبعُ مِئَةِ زَوجَةٍ وثَلاثُ مِئَةِ سُرِّيَّة، فأَزاغَت نِساؤُه قَلبَه. [٤]وكانَ في زَمَنِ شَيخوخَةِ سُلَيمانَ أَنَّ أَزواجَه ٱستَمَلنَ قَلبَه إِلى ٱتِّباعِ آلِهَةٍ أُخْرى، فلَم يَكُنْ قَلبُه مُخلِصاً لِلرَّبِّ إِلهِه، كما كانَ قَلبُ داوُدَ أَبيه. [٥]وتَبِعَ سُلَيمانُ عَشْتاروت، إِلاهَةَ الصَّيدونِيِّين، ومِلْكوم، قَبيحةَ بَني عَمُّون. [٦]وصَنَعَ سُلَيمانُ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ(١٥)، ولم يَتَّبِعِ الرَّبَّ اتِّباعاً تامًّا مِثلَ داوُدَ أَبيه. [٧]حينَئِذٍ بَنى سُلَيمانُ مَشرَفاً لِكاموش، قَبيحةِ

(١٥) ستتكرّر غالباً هذه العبارة فيما بعد.

موآب، في الجَبَلِ الَّذي شَرقِيَّ أُورَشَليم، ولِمولَك، قَبيحَةِ(١٦) بَني عَمُّون. ٨وكذلك صَنَعَ لِجَميعِ نِسائِه الغَريباتِ اللَّواتي كُنَّ يُحرِقنَ البَخورَ ويَذبَحنَ لِآلِهَتِهِنَّ.

٩فغَضِبَ الرَّبُّ على سُلَيمان، لِأَنَّ قَلبَه مالَ عنِ الرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، الَّذي تَراءَى لَه مَرَّتَين. ١٠وأَمَرَه في ذلك أَن لا يَتْبَعَ آلِهَةً أُخرى، فلَم يَحفَظْ ما أَمَرَه الرَّبُّ به. ١١فقالَ الرَّبُّ لِسُلَيمان: «بِما أَنَّ أَمرَكَ هذا، وأَنتَ لم تَحفَظْ عَهْدي وفَرائِضي الَّتي أَمَرتُكَ بِها، فسأَنتَزِعُ المُلكَ عنكَ وأُسَلِّمُه إِلى عَبدِكَ. ١٢إِلاَّ أَنِّي لا أَفعَلُ ذلك في أَيَّامِكَ نَظَراً لِداوُدَ أَبيكَ، بل مِن يَدِ آبنِكَ أَنتَزِعُه. ١٣ولا أَنتَزِعُ المُلكَ كُلَّه، ولكِن أُعْطي آبنَكَ سِبطاً واحِداً نَظَراً لِداوُدَ عَبْدي ونَظَراً لِأُورَشَليمَ الَّتي آختَرتُها».

٧. معارضة الانبياء

هذه التسرّبات الوثنية أثارت معارضة عنيفة من قِبَل الانبياء. فاستغلّ أحيًا الشيلوني ميل مملكة الشمال الى الانفصال وشجّع ياربعام على المقاومة. فكان ذلك أول إنذار بالانشقاق.

٣. الانشقاق

١. مصدر الانشقاق السياسي

رفض رحبعام، ابن سليمان وخليفته، أن يخفّف من نير أبيه الثقيل على الشعب. فكان انقسام الشعب الاسرائيلي الى مملكتَين كثيراً ما تعادَيَتا إلى زمن الجلاء.

١٢ ١ومَضى رَحَبْعامُ إِلى شَكيم، لِأَنَّه كانَ قدِ آجتَمَعَ إِسْرائيلُ

(١٦) القبيحة: الإله.

كُلُّه(١٧) في شَكيمَ لِيُمَلِّكَه . (٢وسَمِعَ يارُبْعامُ بنُ نَباط ، وهو لا يَزالُ في مِصرَ، لِأَنَّه كانَ قد هَرَبَ مِن وَجهِ سُلَيمانَ المَلِكِ وأَقامَ في مِصر . ٣فبَعَثوا إِلَيه ودَعَوه . فأَقبَلَ يارُبْعام ، هو وجَماعةُ إِسْرائيلَ كُلُّها) ، وخاطَبوا رَحَبْعامَ قائِلين : ٤«إِنَّ أَباكَ قد ثَقَّلَ نيرَنا ، وأَنتَ فخَفِّفِ الآنَ مِن عُبودِيَّةِ أَبيكَ الشَّاقَّةِ ونيرِه الثَّقيلِ الَّذي وَضَعَه علَينا فنَخدُمَك»(١٨) . ٥فقالَ لَهم : «أُمْضوا إِلى ثَلاثَةِ أَيَّام ، ثُمَّ عودوا إِلَيَّ» . فآنصَرَفَ الشَّعْب .

٦فشاوَرَ المَلِكُ رَحَبْعامُ الشُّيوخَ الَّذينَ كانوا يَقِفونَ أَمامَ سُلَيمانَ أَبيه في حَياتِه وقالَ لَهم : «بِماذا تُشيرونَ أَن أُجيبَ هذا الشَّعْب» ٧فأَجابوه قائلين : «إِن كُنتَ أَنتَ عَبداً لِهذا الشَّعبِ في هذا اليوم ، وخَدَمتَه وأَجَبتَه وكَلَّمتَه كَلاماً حَسَناً ، فإِنَّه يَكونُ لَكَ عَبداً كُلَّ الأَيَّام» . ٨فأَهمَلَ مَشورَةَ الشُّيوخِ الَّذينَ أَشاروا علَيه . وشاوَرَ الفِتْيانَ الَّذينَ نَشَأُوا معَه وكانوا يَقِفونَ أَمامَه ، ٩وقالَ لَهم : «ما الَّذي تُشيرونَ بِه أَنتُم علَيَّ أَن أُجيبَ هذا الشَّعبَ الَّذي كَلَّمَني قائِلاً : خَفِّفْ مِنَ النِّيرِ الَّذي وَضَعَه أَبوكَ علَينا» ؟ ١٠فكَلَّمَه الفِتْيانُ الَّذينَ نَشَأُوا معَه وقالوا : «قُلْ لِهذا الشَّعبِ الَّذي خاطَبَكَ قائِلاً : أَبوكَ ثَقَّلَ نيرَنا ، وأَنتَ فخَفِّفْ عَنَّا ، هكذا تَقولُ لَه : إِنَّ خِنصِري أَغلَظُ مِن مَتنِ أَبي . ١١والآنَ فإِنَّ أَبي حَمَّلَكم نيراً ثَقيلاً ، وأَنا أَزيدُ على نيرِكم . أَبي أَدَّبَكم بِالسِّياط ، وأَنا أُؤَدِّبُكم بِالعَقارِب» .

١٢وأَقبَلَ يارُبْعامُ وكُلُّ الشَّعبِ إِلى رَحَبْعامَ في اليَومِ الثَّالِث ، كما

(١٧) أي أسباط الشمال . كانت الغاية من اجتماع شكيم الطلب من رحبعام أن يخفّف من نير سليمان . فإن قبل ، نودي به ملكاً .
(١٨) التمرّد ممكن ، لكنه غير محتّم .

تَكَلَّمَ المَلِكُ حَيثُ قال: «عودوا إِلَيَّ في اليَومِ الثَّالِث». [١٣]فأَجابَ المَلِكُ الشَّعبَ بِكَلامٍ جافٍ وأَهمَلَ مَشورَةَ الشُّيوخِ الَّذينَ أَشاروا علَيه، [١٤]وأَجابَهم بِحَسَبِ مَشورَةِ الفِتْيانِ وقال: «إِنَّ أَبي ثَقَّلَ نيرَكم، وأَنا أَزيدُ على نيرِكم. أَبي أَدَّبَكم بِالسِّياط، وأَنا أُؤَدِّبُكم بِالعَقارِب». [١٥]ولَم يَسمَعِ المَلِكُ لِلشَّعْب، لِأَنَّ سَيرَ الأُمورِ كانَ مِن قِبَلِ الرَّبّ، لِيُتِمَّ كَلامَه الَّذي كَلَّمَ بِه يارُبْعامَ بنَ نَباطَ على لِسانِ أَحِيَّا الشِّيلونِيّ. [١٦]فلَمَّا رأَى إِسْرائيلُ كُلُّه أَنَّ المَلِكَ لم يَسمَعْ لَهم، أَجابَ الشَّعبُ المَلِكَ قائلين: «أَيُّ نَصيبٍ لَنا مع داوُد؟ ولَيسَ لَنا ميراثٌ مع آبنِ يَسَّى. إِلى خِيامِكَ يا إِسْرائيل! والآنَ فدَبِّرْ أَمرَ بَيتِكَ، يا داود!». ورَجَعَ إِسْرائيلُ إِلى خِيامِه. [١٧]فأَمَّا بَنو إِسْرائيلَ المُقيمونَ في مُدُنِ يَهوذا، فمَلَكَ علَيهم رَحَبْعام. [١٨]وأَرسَلَ المَلِكُ رَحَبْعامُ أَدورامَ المُوَكَّلَ على السُّخرَة، فرَجَمَه كُلُّ إِسْرائيلَ بِالحِجارَةِ فمات. فآضطُرَّ المَلِكُ رَحَبْعامُ إِلى الصُّعودِ على مَركَبَتِه لِيَهرُبَ إِلى أُورَشَليم. [١٩]وتَمَرَّدَ إِسْرائيلُ على بَيتِ داوُدَ إِلى هذا اليَوم.

[٢٠]وعِندَما سَمِعَ كُلُّ إِسْرائيلَ بِرُجوعِ يارُبْعام، أَرسَلوا فدَعَوه إِلى الجَماعة وأَقاموه مَلِكاً على كُلِّ إِسْرائيل، ولَم يَبقَ مِنهم تابِعاً لِبَيتِ داوُدَ إِلاَّ سِبطُ يَهوذا وَحدَه.

٢. الانشقاق الديني

خشي ياربعام أن تبقى أسباط الشمال على عادتها فتذهب الى هيكل أورشليم، وأن تستعيد الوحدة مع مملكة يهوذا في يوم من الايام، فأقام مكانَين للعبادة وضع فيهما عِجلَين من ذهب، رمزاً إلى الربّ.

[٢٦]وقالَ يارُبْعامُ في نَفسِه: «الآنَ يَرجِعُ المُلكُ إِلى بَيتِ داوُد. [٢٧]فإِذا

صَعِدَ هذا الشَّعبُ لِيَذبَحَ ذَبائِحَ في بَيتِ الرَّبِّ في أُورَشَليم، تَرجِعُ قُلوبُ هذا الشَّعبِ إِلى سَيِّدِها رَحَبْعام، مَلِكِ يَهوذا، فيَقتُلُني ويَرجِعُ إِلى رَحَبْعامَ مَلِكِ يَهوذا». [٢٨]فآستَشارَ المَلِكُ وعَمِلَ عِجلَينِ مِنَ الذَّهَب وقالَ لَهم: «كَثيرٌ علَيكم أَن تَصعَدوا إِلى أُورَشَليم. هذه آلِهَتُكَ، يا إِسْرائيلُ، الَّتي أَصعَدَتكَ مِن مِصْر»(١٩). [٢٩]وجَعَلَ أَحَدَهما في بَيتَ إِيل، والآخَرُ وَضَعَه في دان. [٣٠]فكانَ هذا الأَمرُ سَبَبَ خَطيئة(٢٠)، لِأَنَّ الشَّعبَ ذَهَبَ إِلى أَمام أَحَدِهما حتَّى إِلى دان. [٣١]وبَنى بَيتَ المَشارِف وأَقامَ كَهَنَةً مِن عامَّةِ الشَّعبِ لم يَكونوا مِن بَني لاوي. [٣٢]وأَقامَ يارُبْعامُ عيداً في الشَّهرِ الثَّامِن، في اليَومِ الخامِسَ عَشَرَ مِنَ الشَّهر، كالعيدِ الَّذي في يَهوذا(٢١)، وأَصعَدَ على المَذبَح، وكذلك عَمِلَ في بَيتَ إِيل وذَبَحَ لِلعِجلَينِ اللَّذَينِ عَمِلَهما، وأَقامَ في بَيتَ إِيلَ كَهَنَةَ المَشارِفِ الَّتي عَمِلَها.

١٣ [٣٣]وبَعدَ هذا الأَمْر، لم يَرتَدَّ يارُبْعامُ عن طَريقِه الفاسِد، وعادَ فأَقامَ كَهَنَةً مِن عامَّةِ الشَّعبِ، كَهَنَةَ مَشارِف، فمَن شاءَ كانَ يُكَرِّسُه فيَصيرُ مِن كَهَنَةِ المَشارِف. [٣٤]وكانَ ذلك سَبَبَ خَطيئةٍ لِبيتِ يارُبْعامَ وسَبَباً لِإِبادَتِه وآستِئْصالِه عن وَجهِ الأَرْض.

(١٩) ليس المقصود إلهاً وثنياً، بل تمثيل وثني أو وَثَن.
(٢٠) تحرّم الوصايا العشر تمثيل الرب على وجه محسوس.
(٢١) عيد الاكواخ.

٣. السامرة عاصمة مملكة الشمال

كانت مملكة الشمال(٢٢) تنقصها عاصمة، فأنشأها عُمري في مكان سُمّي السامرة.

١٦ [٢٣]في السَّنَةِ الحادِيَةِ والثَّلاثينَ لِآسا، مَلِكِ يَهوذا، مَلَكَ عُمْري على إِسْرائيلَ آثنَتَي عَشرَةَ سَنَة: مَلَكَ في تِرصَةَ سِتَّ سَنَوات، [٢٤]وآشتَرى جَبَلَ السَّامِرَةِ مِن شامَرَ بِقِنْطارَينِ مِنَ الفِضَّة، وبَنى على الجَبَل، ودَعا المَدينةَ الَّتي بَناها بِآسمِ شامَر، صاحِبِ جَبَلِ السَّامرة(٢٣). [٢٥]وصَنَعَ عُمْري الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ، وكانَ أَعظَمَ شَرًّا مِن كُلِّ مَن تَقَدَّمَه. [٢٦]وسارَ في جَميعِ طُرُقِ يارُبْعامَ بنِ نَباطَ وخَطاياه الَّتي جَعَلَ إِسْرائيلَ يَخطَأُها، لِإِسْخاطِ الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيلَ بأَباطيلِه.

٤. أَحآب وايليا

١. نظرة عامة على عهد أحآب

كان لاحآب، ابن عُمْري، علاقات متواصلة مع فينيقية، وتزوَّجَ ابنة ملك صيدون، إيزابَل المشهورة، فسعت، مدة العهد كله، الى تعزيز الوثنية في إسرائيل. لكنها صادفت في الطريق خصماً كبيراً، وهو إيليا.

وكانَت مُدَّةُ مُلكِ أحآبَ بنِ عُمْري على إِسْرائيلَ في السَّامِرَةِ آثنَتَينِ وعِشْرينَ سَنَة. [٣٠]وصَنَعَ أَحآبُ بنُ عُمْرِيَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبِّ أَكثَرَ مِن كُلِّ مَن تَقَدَّمَه. [٣١]ولم يَكفِه أَن سارَ في خَطايا يارُبْعامَ بنِ نَباط، فتَزَوَّجَ إِيزابَل، بِنتَ أَتبَعْل، مَلِكِ الصَّيدونِيِّين، وراحَ يَعبُدُ البَعلَ ويَسجُدُ لَه.

(٢٢) راجع الخريطة، في مطلع الكتاب.
(٢٣) في حوالى ٨٨٠.

[٣٢]وأَقامَ مَذبَحاً لِلبَعْلِ في بَيتِ البَعْلِ الَّذي بَناه في السَّامِرَة. [٣٣]وأَقامَ أحآبُ وَتَداً مُقَدَّساً(٢٤). وزادَ أحآبُ في إِسْخاطِ الرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، على كُلِّ مَن تَقَدَّمَه مِن مُلوكِ إِسْرائيل.

٢. الجفاف ومعجزة صَرْفَت

نشب اضطهاد عنيف ضدّ اليهويين المخلصين، فحدث جفاف كبير معاقبةً واستجابةً الى صلاة ايليا. وصعد ايليا نفسه الى أرض الصيدونيين، فأجرى معجزة لصالح احدى الارامل.

١٧ [١]فقالَ إِيلِيَّا التِّشبِيُّ مِن تِشبَةَ جِلْعادَ لِاحآب: «حَيٌّ الرَّبُّ، إِلهُ إِسْرائيلَ، الَّذي أَنا واقِفٌ أَمامَه! إِنَّه لا يَكونُ في هذه السِّنينَ نَدًى ولا مَطَرٌ إِلاَّ بِأَمْري»(٢٥).

[٢]وكانَ كَلامُ الرَّبِّ إِلَيه قائلاً: [٣]«إِمضِ مِن ههُنا وتَوَجَّهْ شَرقاً وتَوارَ عِند نَهرِ كَريت الَّذي شَرقِيَّ الأُردُنّ. [٤]فَتَشرَبُ مِنَ النَّهرِ، وقَد أَمَرتُ الغِرْبانَ أَن تُطعِمَكَ هُناكَ». [٥]فمَضَى وصَنَعَ بِحَسَبِ قَولِ الرَّبّ، وذَهَبَ فأَقامَ عِندَ نَهرِ كَريتَ الَّذي شَرقِيَّ الأُردُنّ. [٦]فكانَتِ الغِربانُ تَأتيه بِخُبزٍ ولَحمٍ في الصَّباح، وخُبزٍ ولَحمٍ في المَساء، وكانَ يَشرَبُ مِنَ النَّهْر.

[٧]وكانَ بَعدَ أَيَّامٍ أَنْ جَفَّ النَّهْرُ، لِأَنَّه لم يَنزِلْ على الأَرضِ مَطَر. [٨]فكانَ إِلَيه كَلامُ الرَّبِّ قائِلاً: [٩]«قُمْ وآمضِ إِلى صَرفَتَ الَّتي لِصَيدون، وأَقِمْ هُناكَ، فقَد أَمَرتُ هُناكَ آمرَأَةً أَرمَلَةً أَن تُطعِمَكَ». [١٠]فقامَ ومضى إِلى صَرفَت، ووَصَلَ إِلى بابِ المَدينة، فإِذا هُناكَ آمرَأَةٌ أَرمَلَةٌ تَجمَعُ حَطَباً.

(٢٤) كان يُغرَس هذا الوتد المقدّس في الارض في داخل الهياكل الكنعانية.
(٢٥) لم يُستعمَل مطلع الوثيقة عن إيليا.

فدَعاها وقال: «هاتي لي قَليلَ ماءٍ في إناءٍ لِأَشرَب». [١١] فتَوَجَّهَت لِتأخُذ، فناداها وقال: «هاتي لي كِسرَةَ خُبزٍ في يَدِكِ». [١٢] فقالَت: «حَيٌّ الرَّبُّ إِلٰهُكَ! إِنَّه لَيسَ عِنْدي رَغيفٌ إِلاَّ مِلءَ راحَةٍ دَقيقاً في الجَرَّةِ ويَسيراً مِنَ الزَّيتِ في القارورَة، وها أَنا أَجمَعُ عودَينِ مِنَ الحَطَبِ لِأَدخُلَ وأُعِدَّه لي ولِآبني ونَأكُلَه ثُمَّ نَموت». [١٣] فقالَ لَها إِيلِيَّا: «لا تَخافي! أُدخُلي فأَعِدِّي كما قُلتِ، ولكِن أَعِدِّي لي مِن ذلك أَوَّلاً قُرصاً صَغيراً وأتيني بِه، ثُمَّ أَعِدِّي لَكِ ولِآبنِكِ بَعدَئِذٍ. [١٤] فإِنَّه هكَذا قالَ الرَّبُّ إِلٰهُ إِسْرائيل: إِنَّ جَرَّةَ الدَّقيقِ لا تَفرُغ وقارورةَ الزَّيتِ لا تَنقُص، إِلى يَومِ يُرسِلُ الرَّبُّ مَطَراً على وَجهِ الأَرض».

[١٥] فمَضَت وأَعَدَّت كما قالَ إِيلِيَّا وأَكَلَت هي وهو وأَهلُ بَيتِها أَيَّاماً. [١٦] وجَرَّةُ الدَّقيقِ لم تَفرُغ وقارورَةُ الزَّيتِ لم تَنقُص، على حَسَبِ كَلامِ الرَّبِّ الَّذي تَكَلَّمَ بِه على لِسانِ إِيلِيَّا.

[١٧] وكانَ بَعدَ هذه الأَحْداثِ أَنَّ آبنَ المَرأَةِ صاحِبَةِ البَيتِ مَرِضَ، وكانَ مَرَضُهُ شَديداً جِدًّا حتَّى لم يَبْقَ فيه روح. [١٨] فقالَتِ المَرأَةُ لإِيلِيَّا: «ما لي ولَكَ يا رَجُلَ الله؟ أَتَيتَ إِلَيَّ لِتُذَكِّرَ بِذَنْبي وتُميتَ آبْني». [١٩] فقالَ لَها: «أَعْطِني آبنَكِ». وأَخَذَه مِن حِضنِها وأَصعَدَه إِلى العِلِّيَّةِ الَّتي هو نازِلٌ بِها وأَضجَعَه على سَريرِه. [٢٠] وصَرَخَ إِلى الرَّبِّ وقال: «أَيُّها الرَّبُّ إِلٰهي، أَإِلى الأَرمَلَةِ الَّتي أَنا نازِلٌ بِها تُسيءُ أَيضاً وتُميتُ آبنَها؟» [٢١] وآنبَسَطَ على الوَلَدِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وصَرَخَ إِلى الرَّبِّ وقال: «أَيُّها الرَّبُّ إِلٰهي، لِتَعُدْ روحُ الوَلَدِ إِلى جَوفِه». [٢٢] فسَمِعَ الرَّبُّ لِصَوتِ إِيلِيَّا وعادَت روحُ الوَلَدِ إِلى جَوفِه وعادَ إِلى الحَياة. [٢٣] فأَخَذَ إِيلِيَّا الوَلَدَ وأَنزَلَه مِنَ العِلِّيَّةِ إِلى البَيت، وسَلَّمَه

إِلى أُمِّه وقالَ إِيلِيَّا : «أُنظُري ، اِبنُكِ حَيّ» . [٢٤]فقالَتِ المَرأَةُ لإِيلِيَّا : «الآنَ عَلِمتُ أَنَّكَ رَجُلُ اللهِ وأَنَّ كَلامَ الرَّبِّ في فَمِكَ حَقّ» .

٣. ذبيحة الكرمل وانتهاء الجفاف

ما يريده ايليا هو أَلاَّ يوزّع بنو إسرائيل عبادتهم أو إيمانهم بين الرب والبعل. ولذلك ، لم يتردّد في إجراء معجزة مُبينة ستؤدّي الى اهتداء موفّق. وسيعود المطر وينزل مرّة أخرى استجابة الى طلب ايليا .

١٨ [٢٠]فأَرسَلَ أَحآبُ إِلى جَميعِ بَني إِسْرائيل وجَمَعَ الأَنبِياءَ إِلى جَبَلِ الكَرمَل ، [٢١]فتَقَدَّمَ إِيلِيَّا إِلى كُلِّ الشَّعبِ وقالَ : «إِلى مَتى أَنتُم تَعرُجونَ بَينَ الجانِبَينِ؟ إِن كانَ الرَّبُّ هو الإِلهَ فآتَّبِعوه ، وإِن كانَ البَعلُ إِيَّاه فآتَّبِعوه»(٢٦) . فلَم يُجِبْه الشَّعبُ بِكَلِمَة . [٢٢]فقالَ إِيلِيَّا لِلشَّعْب : «أَنا الآنَ وَحْدي بَقيتُ نَبِيًّا لِلرَّبّ ، وهؤُلاءِ أَنبِياءُ البَعلِ أَربَعُ مِئَةٍ وخَمْسونَ رَجُلاً . [٢٣]فلْيُؤتَ لَنا بِثَورَين ، فيَختاروا لَهم ثَوراً ، ثُمَّ يُقَطِّعوه ويَجعَلوه على الحَطَب ولا يَضَعوا ناراً ، وأَنا أَيضاً أُعِدُّ الثَّورَ الآخَرَ وأَجعَلُه على الحَطَبِ ولا أَضَعُ ناراً . [٢٤]ثُمَّ تَدْعونَ أَنتُم بِآسمِ آلِهَتِكم وأَنا أَدْعو بِآسمِ الرَّبّ ، والإِلهُ الَّذي يُجيبُ بِنارٍ فهُو الله»(٢٧) . فأَجابَ كُلُّ الشَّعبِ قائلاً : «الكَلامُ حَسَن» . [٢٥]فقالَ إِيلِيَّا لأَنبِياءِ البَعْل : «إِخْتاروا لكم ثَوراً وآفعَلوا أَوَّلاً لِأَنَّكم كَثيرون ، وآدْعوا بِآسمِ آلِهَتِكم ، ولكِن لا تَضَعوا ناراً» . [٢٦]فأَخَذوا الثَّورَ الَّذي أَعطوهم إِيَّاه وأَعَدُّوه ، ودَعَوا بِآسمِ البَعلِ مِنَ الصُّبحِ

(٢٦) قال الرب في سيناء : «أنا إله غيور» . فهو لا يقبل الشرك . لكن بني اسرائيل ميّالون إليه .
(٢٧) المسألة مسألة مُطلَقية : فالواحد إله ، والآخر ليس بإله . فالمقصود هو العودة إلى أصالة التوحيد .

إِلى الظُّهرِ، وهم يَقولون: «أَيُّها البَعْلُ، أَجِبْنا». فلَم يَكُنْ مِن صَوتٍ ولا مُجيب. وكانوا يَرقُصونَ حَولَ المَذبَحِ الَّذي كانَ قد صُنِع. [٢٧]فلَمَّا كانَ الظُّهرُ، سَخِرَ مِنهم إِيلِيَّا وقال: «اُصرُخوا بِصَوتٍ أَعْلى، فإِنَّه إِلٰه: فلَعَلَّه في شُغْلٍ أَو في خَلوَةٍ أَو في سَفَر، أَو لَعَلَّه نائِمٌ فيَستَيقِظ». [٢٨]فصَرَخوا بِصَوتٍ أَعْلى وخَدَّشوا أَنفُسَهم على حَسَبِ عادَتِهم بِالسُّيوفِ والرِّماح، حتَّى سالَت دِماؤُهُم علَيهم. [٢٩]وآنقَضى الظُّهْرُ وهم يَتَنَبَّأُونَ، إِلى أَن حانَ إِصعادُ التَّقدِمَة(٢٨)، ولَيسَ صَوتٌ ولا مُجيبٌ ولا مُصْغ.

[٣٠]فقالَ إِيلِيَّا لِكُلِّ الشَّعْب: «اِقتَرِبوا مِنِّي». فآقتَرَبَ كُلُّ الشَّعبِ مِنه. فرَمَّمَ مَذبَحَ الرَّبِّ الَّذي كانَ قد تَهَدَّم. [٣١]وأَخَذَ إِيلِيَّا آثنَي عَشَرَ حَجَراً، على عَدَدِ أَسْباطِ بَني يَعْقوبَ الَّذي كانَ كَلامُ الرَّبِّ إِلَيه قائِلاً: «إِسْرائيلَ يَكونُ آسمُك». [٣٢]وبَنى تِلكَ الحِجارَةَ مَذبَحاً على آسمِ الرَّبّ، وجَعَلَ حَولَ المَذبحِ قَناةً تَسَعُ مِكْيالَينِ مِنَ الحَبّ. [٣٣]ثُمَّ رَتَّبَ الحَطَبَ وقَطَّعَ الثَّورَ وجَعَلَه على الحَطَب، [٣٤]وقال: «إِمْلأُوا أَربَعَ جِرارٍ ماءً وصُبُّوا على المُحرَقَةِ وعلى الحَطَب». ثُمَّ قال: «ثَنُّوا»، فثَنَّوا. ثُمَّ قال: «ثَلِّثوا»، فثَلَّثوا. [٣٥]فجَرى الماءُ حَولَ المَذبَحِ وآمتَلأَتِ القَناةُ أَيضاً ماءً. [٣٦]فلَمَّا حانَ إِصْعادُ التَّقدِمَة، تَقَدَّمَ إِيلِيَّا النَّبِيُّ وقال: «أَيُّها الرَّبُّ، إِلٰهُ إِبْراهيمَ وإِسحقَ وإِسْرائيل، لِيُعلَمِ اليَومَ أَنَّكَ إِلٰهٌ في إِسْرائيلَ وأَنِّي أَنا عَبدُكَ وبِأَمرِكَ قد فَعَلتُ كُلَّ هذه الأُمور. [٣٧]أَجِبْني يا رَبِّ أَجِبْني، لِيَعلَمَ هذا الشَّعبُ أَنَّكَ، أَيُّها الرَّبُّ، أَنتَ الإِله، وأَنَّكَ أَنتَ رَدَدتَ قُلوبَهم إِلى الوَراء».

(٢٨) الساعة الرابعة بعد الظهر.

[٣٨] فهَبَطَت نارُ الرَّبِّ وأَكَلَتِ المُحرَقَةَ والحَطَبَ والحِجارَةَ والتُّراب ، حتَّى لَحِسَتِ الماءَ الَّذي في القَناة . [٣٩] فلَمَّا رأَى ذلك كُلُّ الشَّعبِ سَقَطوا على وُجوهِهِم وقالوا : «الرَّبُّ هو الإله ، الرَّبُّ هو الإِله»(٢٩) . [٤٠] فقالَ لَهم إيلِيَّا : «إقبِضوا على أَنبياءِ البَعلِ ولا يُفلِتْ مِنهم أَحَد» . فقَبَضوا علَيهم ، فأَنزَلَهم إيلِيَّا إلى نَهرِ قيشون وذَبَحهم هُناكَ(٣٠) .

[٤١] وقالَ إيلِيَّا لِأَحآب : «إصعَدْ وكُلْ وآشرَبْ ، فهُوَذا صَوتُ دَوِيِّ مَطَر» . [٤٢] فصَعِدَ أَحآبُ لِيَأكُلَ ويَشرَب . وصَعِدَ إيلِيَّا إلى رَأسِ الكَرمَل وآنحَنى إلى الأَرضِ وجَعَلَ وَجهَه بَينَ رُكبَتَيه . [٤٣] وقالَ لِخادِمِه : «إصعَدْ وتَطَلَّعْ نَحوَ البَحْر» . فصَعِدَ وتَطَلَّعَ وقال : «ما مِن شَيء» . فقالَ لَه : «إرجِعْ على سَبعِ مَرَّات» . [٤٤] فلَمَّا كانَ في السَّابِعَةِ قال : «ها غَيمٌ صَغيرٌ قَدرَ راحةِ رَجُلٍ، طالِعٌ مِنَ البَحْر» . فقالَ لَه : «إصعَدْ وقُلْ لِأَحآب : «شُدَّ وآنزِلْ لِئَلاَّ يَمنَعَكَ المَطَر» . [٤٥] وفي أَثناءِ ذلك آسوَدَّتِ السَّماءُ بِالغُيوم وهَبَّتِ الرِّياح وجاءَ مَطَرٌ عَظيم . فرَكِبَ أَحآبُ وسارَ إلى يِزرَعيل . [٤٦] وكانَت يَدُ الرَّبِّ مع إيلِيَّا ، فشَدَّ حَقوَيه وجَرى أَمامَ أَحآبَ حتَّى الوُصولِ إلى يِزرَعيل .

٤. ايليا يلتقي الله في سيناء

خاف ايليا من حِقد ايزابَل وشعر بحاجته الى تجديد قواه في ينابيع العهد ، فذهب الى سيناء ، والتقى الله هناك ، كما فعل موسى ، وعاد مكلَّفاً بمهمات جديدة .

(٢٩) ستدلّ المعجزة على أربعة أشياء : على أن الربّ هو الله الاوحد ، وان ايليا هو نبيّه المكلَّف برسالة ، وان الرب هو الذي يحوّل القلوب .

(٣٠) عمل وحشي ، يوافق عادات ذلك الزمن .

١٩ [١]وأَخبَرَ أَحآبُ إيزابَلَ بِكُلِّ ما صَنَعَه إِيلِيَّا وكَيفَ قَتَلَ جَميعَ الأَنبِياءِ بِالسَّيف. [٢]فأرسَلَت إيزابَلُ رَسولاً إِلى إِيلِيَّا وقالَت: «كَذا تَفعَلُ الآلِهَةُ بي وكَذا تَزيد، إِن لم أَجعَلْ نَفْسَكَ في مِثْلِ السَّاعةِ مِن غَدٍ كنَفْسِ واحِدٍ مِنهم». [٣]فخافَ وقامَ ومَضى لإِنقاذِ نَفْسِه(٣١)، ووَصَلَ إِلى بِئرَ سَبْعَ الَّتي لِيَهوذا وتَرَكَ خادِمَه هُناك. [٤]ثُمَّ تَقَدَّمَ في البَرِّيَّةِ مَسيرَةَ يَوم، حتَّى جاءَ وجَلَسَ تَحتَ رَتَمَة، والتَمَسَ المَوتَ لِنَفسِه وقال: «حَسْبي الآنَ يا رَبُّ، فخُذْ نَفْسي، فإِنِّي لَستُ خَيراً مِن آبائي». [٥]ثُمَّ آضَّجعَ ونامَ تَحتَ الرَّتَمَة. فإِذا بِمَلاكٍ قد لَمَسَه وقالَ لَه: «قُمْ فكُلْ». [٦]فنَظَرَ فإِذا عِندَ رَأسِه رَغيفٌ مَخْبوزٌ على الجَمْرِ وجَرَّةُ ماء. فأَكَلَ وشَرِبَ، ثُمَّ عادَ وآضَّجَعَ. [٧]فعاوَدَه مَلاكُ الرَّبِّ ثانِيَةً ولَمَسَه وقال: «قُمْ فكُلْ، فإِنَّ الطَّريقَ بَعيدةٌ أَمامَكَ». [٨]فقامَ وأَكَلَ وشَرِبَ وسارَ بِقُوَّةِ تِلكَ الأَكلَةِ أَربَعينَ يَوماً وأَربَعينَ لَيلَةً إِلى جَبَلِ اللهِ حوريب(٣٢).

[٩]ودَخَلَ المَغارَةَ هُناكَ وباتَ فيها. فإِذا بِكَلامِ الرَّبِّ إِلَيه يَقول: «ما بالُكَ هٰهُنا يا إِيلِيَّا؟» [١٠]فقال: «إِنِّي غِرتُ غَيرَةً لِلرَّبِّ، إِلٰهِ القُوَّات، لِأَنَّ بَني إِسْرائيلَ قد تَرَكوا عَهدَكَ وحَطَّموا مَذابِحَكَ وقَتَلوا أَنبِياءَكَ بِالسَّيف، وبَقيتُ أَنا وَحْدي، وقد طَلَبوا نَفْسي لِيَأخُذوها». [١١]فقالَ الرَّبّ: «أُخرُجْ وقِفْ على الجَبَلِ أَمامَ الرَّبّ». فإِذا الرَّبُّ عابِرٌ وريحٌ عَظيمةٌ وشَديدةٌ تُصَدِّعُ الجِبالَ وتُحَطِّمُ الصُّخورَ أَمامَ الرَّبّ. ولَم يَكُنِ الرَّبُّ في الرِّيح.

(٣١) ايليا يخاف، فان النبي يبقى إنساناً ضعيفاً.

(٣٢) حوريب وسيناء مترادفان. أتى ايليا الى مكان العهد الذي جعل من إسرائيل شعب الله، وقام بنوع من الانعكاف. المقارنة بسيرة موسى أمر طبيعي هنا.

وبَعدَ الرِّيحِ زِلْزالٌ، ولم يَكُنِ الرَّبُّ في الزِّلْزال. [١٢]وبَعدَ الزِّلْزالِ نارٌ، ولم يَكُنِ الرَّبُّ في النَّار. وبَعدَ النَّارِ صَوتُ نَسيمٍ لَطيف[(٣٣)]. [١٣]فلَمَّا سَمِعَ إِيلِيَّا، سَتَرَ وَجهَه بِردائِه وخَرَجَ ووَقَفَ بِمَدخَلِ المَغارة. فإِذا بِصَوتٍ إِلَيه يَقول: «ما بالُكَ هٰهُنا يا إِيلِيَّا؟» [١٤]فقال: «إِنِّي غِرتُ غَيرَةً لِلرَّبِّ، إِلٰهِ القُوَّات، لِأَنَّ بَني إِسْرائيلَ قد تَرَكوا عَهدَكَ، وقَوَّضوا مَذابِحَكَ وقَتَلوا أَنبِياءَكَ بِالسَّيف، وبَقيتُ أَنا وَحْدي، وقد طَلَبوا نَفْسي لِيأخُذوها».

[١٥]فقالَ لَه الرَّبّ: «إِمضِ فٱرجِعْ في طَريقِكَ نَحوَ بَرِّيَّةِ دِمَشق. فإِذا وَصَلتَ، فٱمسَحْ حَزائيلَ مَلِكاً على أَرام. [١٦]وٱمسَحْ ياهُوَ بنَ نِمْشِيَ مَلِكاً على إِسْرائيل، وٱمسَحْ أَليشاعَ بنَ شافاطَ مِن آبَلَ مَحولَةَ نَبِيًّا مَكانَكَ[(٣٤)].

٥. دعوة أَليشاع

رأى ايليا أن عمله سيبقى بعده، فاختار تلميذاً.

[١٩]فمَضى مِن هُناكَ فلَقِيَ أَليشاعَ بنَ شافاط، وهو يَحرُثُ وأَمامَه ٱثْنا عَشَرَ فَدَّانَ بَقَر، وهو مع الثَّاني عَشَر. فمَرَّ إِيلِيَّا نَحوَه ورَمى إِلَيه بِردائِه[(٣٥)]. فتَرَكَ البَقَرَ ورَكَضَ وَراءَ إِيلِيَّا وقالَ لَه: «دَعْني أُقَبِّلُ أَبي وأُمِّي، ثُمَّ أَسيرُ وَراءَكَ». فقالَ لَه: «إِذهَبْ راجِعاً، فماذا صَنَعتُ بِكَ؟» [٢١]فرَجَعَ مِن خَلفِه وأَخَذَ زَوجَينِ مِنَ البَقَرِ وذَبَحَها وطَبَخَ لَحمَهما على أَداةِ البَقَر وقَدَّمَ لِلشَّعبِ فأَكَل. ثُمَّ قامَ ومَضى مع إِيلِيَّا، وكانَ يَخدُمُه.

(٣٣) الريح العظيمة والزلزال والنسيم اللطيف تنبئ باقتراب الله.

(٣٤) لِلقاء الله نتيجة مباشرة: تمالك إيليا وشدّ الرحيل لمهمات جديدة.

(٣٥) الرداء يرمز الى الشخص. بذلك يشير ايليا الى حقّه كمعلّم، ويصبح اليشاع تلميذه.

سِفرُ المُلوكِ الثّاني

١. بعض أحداث تاريخ مملكة اسرائيل

١. أليشاع وجماعات الانبياء

٢ [1] وقَبلَ أَن يَرفَعَ الرَّبُّ إِيلِيَّا في العاصِفَةِ نَحوَ السَّماء، ذَهَبَ إِيلِيَّا مع أَليشاعَ مِنَ الجِلْجال. [2] فقالَ إِيلِيَّا لِأَليشاع: «أُمكُثْ ههُنا، فإِنَّ الرَّبَّ قد أَرسَلَني إِلى بَيتَ إِيل». فقالَ أَليشاع: «حَيٌّ الرَّبُّ وحَيَّةٌ نَفسُكَ! إِنِّي لا أُفارِقُكَ». ونَزَلا إِلى بَيتَ إِيل. [3] فخَرَجَ بَنو الأَنبِياءِ الَّذينَ في بَيتَ إِيلَ إِلى أَليشاعَ وقالوا لَه: «هَل عَلِمتَ أَنَّ الرَّبَّ في هذا اليَوم يَأخُذُ سَيِّدَكَ مِن فَوقِ رَأسِكَ؟» فقال: «نَعَم، قد عَلِمتُ أَنا أَيضاً، فٱسكُتوا». ثُمَّ قالَ لَه إِيلِيَّا: «يا أَليشاع، أُمكُثْ ههُنا، فإِنَّ الرَّبَّ قد أَرسَلَني إِلى أَريحا». فقال: «حَيٌّ الرَّبُّ وحَيَّةٌ نَفسُكَ! إِنِّي لا أُفارِقُكَ». ووَصَلا إِلى أَريحا. [5] فتَقَدَّمَ بَنو الأَنبِياءِ الَّذينَ في أَريحا إِلى أَليشاعَ وقالوا لَه: «هل عَلِمتَ أَنَّ الرَّبَّ في هذا اليَومِ يأخُذُ سَيِّدَكَ مِن فَوْقِ رأسِكَ؟» فقال: «نَعَم، قد عَلِمتُ أَنا أَيضاً، فٱسكُتوا». [6] ثُمَّ قالَ لَه إِيلِيَّا: «أُمكُثْ ههُنا، فإِنَّ الرَّبَّ

قد أَرسَلَني إِلى الأُردُنّ». فقال: «حَيٌّ الرَّبُّ وحَيَّةٌ نَفسُكَ! إِنِّي لا أُفارِقُكَ». وذَهَبا كِلاهما معاً.

[7]فذَهَبَ خَمْسونَ رَجُلاً مِن بَني الأَنبياءِ ووَقَفوا تُجاهَهما عن بُعْد، ووَقَفا هُما بِجانِبِ الأُردُنّ. [8]فأَخَذَ إِيلِيَّا رِداءَه ولَفَّه وضَرَبَ بِه المِياه، فآنفَلَقَت إِلى هُنا وهُناك، وعَبَرا كِلاهُما على اليَبَس. [9]فلَمَّا عَبَرا، قالَ إِيلِيَّا لِأَليشاع: «سَلْني ماذا أَصنَعُ لَكَ، قَبلَ أَن أُوخَذَ عنكَ» فقالَ أَليشاع: «لِيَكُنْ لي نَصيبُ آثنَينِ مِن روحِكَ علَيَّ». [10]قال: «قد سأَلتَ أَمراً عَسيراً: إِن أَنتَ رَأَيتَني عِندَما أُوخَذُ مِن عِندِكَ، يَكونُ لَكَ ذلك، وإِلاَّ فلا». [11]وفيما كانا سائِرَين، وهُما يَتَحادَثان، إِذا مَركَبَةٌ نارِيَّةٌ وخَيلٌ نارِيَّةٌ قد فَصَلَت بَينَهما. وصَعِدَ إِيلِيَّا في العاصِفَةِ نَحوَ السَّماء، [12]وأَليشاعُ ناظِرٌ وهو يَصرُخ: «يا أَبي، يا أَبي، يا مَركَبَةَ إِسْرائيلَ وفُرْسانَه!». ثُمَّ لم يَعُدْ يَراه. فأَمسَكَ ثِيابَه وشَقَّها شَطرَين. [13]ورَفَعَ رِداءَ إِيلِيَّا الَّذي كانَ قد سَقَطَ عنه، ورَجَعَ فوَقَفَ على شاطِئِ الأُردُنّ.

[14]وأَخَذَ رِداءَ إِيلِيَّا الَّذي كانَ قد سَقَطَ عنه وضَرَبَ بِه المِياهَ وقال: «أَينَ الرَّبُّ، إِلهُ إِيلِيَّا، هو أَيضاً؟» وعادَ فَضَرَبَ المِياهَ فآنفَلَقَت إِلى هُنا وهُناك، وعَبَرَ أَليشاع. [15]ورَآه بَنو الأَنبِياءِ الَّذينَ في أَريحا تُجاهَه، فقالوا: «قد حَلَّت روحُ إِيلِيَّا على أَليشاع». وأَتَوا لِلِقائِه وسَجَدوا لَه إِلى الأَرْض.

٢. أَليشاع والشونَميَّة

٤ [8]وكان في بَعضِ الأَيَّام أَنَّ أَليشاعَ مَرَّ بِشونَم. وكانَت هُناكَ آمرَأَةٌ غَنِيَّة، فأَمسَكَته لِيَأكُل. وأَخَذَ، كُلَّما مَرَّ، يَميلُ إِلى هُناكَ لِيَأكُل.

[٩]فقالَت لِزَوجِها: «قد عَلِمتُ أَنَّ هذا الَّذي يَمُرُّ بِنا دائِماً هو رَجُلُ اللهِ وقِدِّيس. [١٠]فلْنَبْنِ لَه عِلِّيَّةً صَغيرةً ونَجْعَلْ لَه فيها سَريراً ومائِدَةً وكُرسِيًّا ومَنارَةً، حتَّى، إِذا جاءَنا، يأوي إِلى هُناكَ». [١١]فجاءَ في بَعضِ الأَيَّامِ إِلى هُناكَ وأَوى إِلى العِلِّيَّةِ وآضطَجَعَ فيها. [١٢]وقالَ لِخادِمِه جيحَزي: «أُدعُ لي هذه الشُّونَمِيَّة». فدَعاها، فوَقَفَت بِالباب. [١٦]فقال: «إِنَّكِ، في مِثلِ هذا الوَقتِ مِنَ السَّنَةِ المُقبِلَة، ستَحضُنينَ آبناً». فقالَت: «لا يا سَيِّدي، يا رَجُلَ الله، لا تَكذِبْ على أَمَتِكَ». [١٧]ثُمَّ حَبِلَتِ المَرأَةُ ووَلَدَتِ آبناً في مِثلِ هذا الوَقتِ مِنَ السَّنَةِ التَّالِيَة، كما قالَ أَليشاع.

[١٨]وكَبِرَ الصَّبِيّ، فخَرَجَ ذاتَ يَومٍ إِلى أَبيه عِندَ الحَصَّادين. [١٩]فقالَ لأَبيه: «رَأْسي رَأْسي»! فقالَ أَبوه لِلخادِم: «إِحمِلْه إِلى أُمِّه». [٢٠]فحَمَلَه وذَهَبَ بِه إِلى أُمِّه. فبَقِيَ على رُكبَتَيها إِلى الظُّهرِ ومات. [٢١]فأَصعَدَته وأَضجَعَته على سَريرِ رَجُلِ الله، وأَغلَقَت علَيه وخَرَجَت.

[٣٢]فلَمَّا وَصَلَ أَليشاعُ إِلى البَيت، إِذا بِالصَّبِيِّ مَيتٌ مُضطَجِعٌ على سَريرِه. [٣٣]فدَخَلَ وأَغلَقَ البابَ علَيهِما وصَلَّى إِلى الرَّبّ. [٣٤]ثُمَّ صَعِدَ وآنبَسَطَ على الصَّبِيِّ وجَعَلَ فَمَه على فَمِه وعَينَيه على عَينَيه وكَفَّيه على كَفَّيه، وتَمَدَّدَ علَيه فسَخَنَ جَسَدُ الصَّبِيّ. [٣٥]ثُمَّ عادَ يَتَمَشَّى في البَيتِ تارةً إِلى هُنا وتارةً إِلى هُناك. وصَعِدَ وتَمَدَّدَ علَيه، فعَطَسَ الصَّبِيُّ سَبعَ مَرَّات، ثُمَّ فَتَحَ الصَّبِيُّ عَينَيه. [٣٦]فدَعا جيحَزي وقال: «أُدعُ هذه الشُّونَمِيَّة». فدَعاها فأَتت. فقال لَها: «خُذي آبنَكِ». [٣٧]فأَقبَلَت تَرتَمي على رِجلَيه وتَسجُدُ إِلى الأَرض. وأَخَذَتِ آبنَها ومَضَت.

٣. تكثير الارغفة

[٤٢] وإنَّ رَجُلاً وَصَلَ مِن بَعْلَ شَليشة، وأحضَرَ لِرَجُلِ اللهِ خُبزَ بَواكير، عِشْرينَ رَغيفاً مِنَ الشَّعيرِ وسُنبُلاً طَرِيئاً في جِرابِه. فقال: «أَعطِ القَومَ لِيَأكُلوا». [٤٣] فقالَ لَه خادِمُه: «ما هذا؟ أَأَضَعُ هذا أَمامَ مِئَةِ رَجُل؟» فقال: «أَعطِ القَومَ فيأكُلوا، لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ: إِنَّهم يأكُلونَ ويَفضُلُ عنهم». [٤٤] فوَضَعَ أَمامَهم، فأَكَلوا وفَضَلَ عنهم، كما قالَ الرَّبّ.

٤. أَليشاع وإبراء نعمان

٥ [١] وكانَ نَعْمان، رَئيسُ جَيشِ مَلِكِ أَرام، رَجُلاً عَظيماً عِندَ سَيِّدِه مُكَرَّماً لَدَيه، لِأَنَّه عن يَدِهِ أَعْطى الرَّبُّ نَصْراً لِأَرام(١). وكانَ الرَّجُلُ مُحارِباً باسِلاً، وكانَ أَبرَص(٢). [٢] وإنَّ أرامِيِّينَ خَرَجوا غازين، فسَبَوا مِن أَرضِ إِسْرائيلَ فَتاةً صَغيرة، وأَصبَحَت في خِدْمَةِ زَوْجَةِ نَعْمَان. [٣] فقالَت لِسَيِّدَتِها: «يا لَيتَ سَيِّدي حَضَرَ أَمامَ النَّبِيِّ الَّذي في السَّامِرة، فإِنَّه كانَ يَشْفيه مِن بَرَصِه». [٤] فذَهَبَ نَعْمانُ وأَخبَرَ سَيِّدَه وقال: «كَذا وكَذا قالَتِ الفَتاةُ الَّتي مِن أَرضِ إِسْرائيل». [٥] فقالَ مَلِكُ أَرام: «اِنْطَلِقْ ذاهِباً، وأَنا أُرسِلُ رِسالَةً إِلى مَلِكِ إِسْرائيل». فانطَلَقَ وأَخَذَ معَه عَشَرَةَ قَناطيرِ فِضَّةٍ وسِتَّةَ آلافِ مِثْقالِ ذَهَب وعَشرَ حُلَلٍ مِنَ الثِّياب. [٦] وسَلَّمَ إِلى مَلِكِ إِسْرائيلَ الرِّسالَةَ الَّتي يَقولُ فيها: «عِندَ وُصولِ رِسالَتي هذه إِلَيكَ، أُوَجِّهُ إِلَيكَ عَبْدي نَعْمانَ لِتَشفِيَه مِن بَرَصِه». [٧] فلَمَّا قَرَأَ مَلِكُ إِسْرائيلَ الرِّسالَة،

(١) الربّ هو إله الارض كلها.
(٢) كان لفظ البرص يشمل جميع الامراض الجلدية.

شَقَّ ثِيابَه وقال: «أَلَعَلّي أَنا اللهُ الَّذي يُميتُ ويُحْيي، حتَّى أَرسَلَ إِلَيَّ هذا أَن أَشفِيَ رَجُلاً مِن بَرَصِه؟ إِعلَموا وآنظُروا أَنَّ هذا إِنَّما يَتَحَرَّشُ بي».

[٨]فلَمَّا سَمِعَ أَليشاعُ، رَجُلُ الله، بِأَنَّ مَلِكَ إِسْرائيلَ قد مَزَّقَ ثِيابَه، أَرسَلَ إِلى المَلِكِ قائِلاً: «لِماذا مَزَّقتَ ثِيابَكَ؟ لِيَأتِ إِلَيَّ ولْيَعلَمْ أَنَّ في إِسْرائيلَ نَبِيًّا». [٩]فأَقبَلَ نَعْمانُ بِخَيلِه ومَركَباتِه، ووَقَفَ على بابِ بَيتِ أَليشاع. [١٠]فأَرسَلَ إِلَيه أَليشاعُ رَسولاً يقولُ لَه: «اِمضِ وآغتَسِلْ في الأُردُنِّ سَبعَ مَرَّات، فيَعودَ إِلَيكَ لَحْمُكَ وتَطهُر». [١١]فغَضِبَ نَعْمانُ ومَضى وهو يَقولُ في نَفسِه: «كُنتُ أَحسَبُ أَنَّه يَخرُجُ ويَقِفُ ويَدْعو بِآسمِ الرَّبِّ إِلهِه ويُحَرِّكُ يَدَه فَوقَ المَكانِ ويَشفِي البَرَص. [١٢]أَلَيسَ أَبانَةُ وفَرفَر، نَهْرا دِمَشق، خَيراً مِن جَميعِ مِياهِ إِسْرائيل؟ أَفلا أَغتَسِلُ فيهما وأَطهُر؟» وآنصَرَفَ راجِعاً وهو مُغضَب. [١٣]فتَقَدَّمَ إِلَيه خُدَّامُه وخاطَبوه وقالوا: «يا أَبي، لَو أَمَرَكَ النَّبِيُّ بِأَمرٍ عَظيم، أَما كُنتَ تَفعَلُه؟ فكَيفَ بِالأَحْرى وقد قالَ لَكَ: اِغْتَسِلْ وآطهُرْ». [١٤]فنَزَلَ وغَطَسَ في الأُردُنِّ سَبعَ مَرَّاتٍ، كما قالَ رَجُلُ الله، فعادَ لَحمُه كَلَحمِ صَبِيٍّ صَغيرٍ وطَهُر.

[١٥]فرَجَعَ إِلى رَجُلِ الله، هو وجَميعُ مَوكِبِه، وأَتى ووَقَفَ أَمامَه وقال: «هاءَنَذا قد عَلِمتُ أَن لَيسَ في الأَرضِ كُلِّها إِلهٌ إِلاَّ في إِسْرائيل. والآنَ فاَقبَلْ هَدِيَّةً مِن عَبدِكَ». [١٦]فقالَ أَليشاع: «حَيٌّ الرَّبُّ الَّذي أَنا واقِفٌ أَمامَه، إِنِّي لا أَقبَلُ شَيئاً». فأَلَحَّ عليه أَن يَأخُذ، فأَبى. [١٧]فقالَ نَعْمان: «حَسَن، إِنَّما يُعْطى عَبدُكَ حِملَ بَغلَينِ مِنَ التُّراب(٣)، فإِنَّه لا

(٣) الرب هو اسم الإله الحق، وشعب اسرائيل يعبده على وجه خاص. فأرضه مقدّسة إذاً ونعمان يأخذ قليلاً من ترابها ليتمكّن من نصب مذبح للرب في أرض وثنية.

يَعودُ عَبدُكَ يَصنَعُ مُحرَقَةً ولا ذَبيحَةً لِآلِهَةٍ أُخرى، بل لِلرَّبّ. [١٨] ولكِن عن هذا الأَمرِ فليَصفَحِ الرَّبُّ لِعَبدِكَ، وهو أنِّي، عِندَ دُخولِ سَيِّدي بَيتَ رِمُّونَ[٤] لِيَسجُدَ هُناكَ، وهو يَستَنِدُ على يَدي، أَسجُدُ في بَيتَ رِمُّون. فإِذا سَجَدتُ في بَيتَ رِمُّون[٥]، فليَصفَحِ الرَّبُّ عن عَبدِكَ مِن حَيثُ هذا الأَمرِ». [١٩] فقالَ لَه أَليشاع: «اِمضِ بِسَلام». فذَهَبَ عنه نَعْمانُ مَسافَةً مِنَ الأَرْض.

[٢٠] وقالَ جيحَزي، خادِمُ أَليشاع، رَجُلِ الله، في نَفْسِه: «إِنَّ سَيِّدي قد تَساهَلَ فأَبى أَن يَأخُذَ مِن يَدِ نَعمانَ الأَرامِيِّ هذا ما أَحضَرَه. حَيٌّ الرَّبّ! إِنِّي لَأَجْري وَراءَه وآخُذُ مِنه شَيئاً». [٢١] ومَضى جيحَزي وَراءَ نَعْمان. فرَآه نَعْمانُ جارِياً وَراءَه، فقَفَزَ مِنَ المَركَبَةِ لِآستِقْبالِه وقال: «أَسَلام؟» [٢٢] فقال: «سَلام. أَرسَلَني إِلَيكَ سَيِّدي قائلاً: إِنَّه في هذه السَّاعَةِ قد قَدِمَ إِلَيَّ فَتَيانِ مِن جَبَلِ أَفْرائيمَ مِن بَني الأَنبِياء، فأَعطِهما قِنْطاراً مِنَ الفِضَّةِ وحُلَّتَينِ مِنَ الثِّياب». [٢٣] فقالَ نَعْمان: «تَفَضَّلْ عَلَيَّ وخُذْ قِنْطارَين». وأَلَحَّ علَيه، وصَرَّ القِنْطارَينِ مِنَ الفِضَّةِ في كيسَينِ مع حُلَّتَينِ مِنَ الثِّياب، وسَلَّمَ ذلك إِلى آثنَينِ مِن خُدَّامِه. فحَمَلاه أَمامَه. [٢٤] فلَمَّا وَصَلا إِلى الرَّبوَة، أَخَذَ ذلك مِن أَيديهِما ووَضَعَه في البَيت وصَرَفَ الرَّجُلَينِ فآنصَرَفا.

[٢٥] ثُمَّ دَخَلَ وقامَ أَمامَ سَيِّدِه. فقالَ لَه أَليشاع: «مِن أَينَ يا جيحَزي؟»

(٤) اسم آخر للإله هَدَد، الذي يعبدونه في دمشق.
(٥) سيحافظ نعمان على الإيمان بالرب، لكن قواعد المجاملات ستفرض عليه القيام ببعض الحركات الوثنية الخارجية.

فقال: «ما مَضى عَبدُكَ إِلى هُنا ولا إِلى هُنا». [٢٦] فقالَ لَه: «أَلَم يَكُنْ قَلْبِي هُناكَ، حينَ نَزَلَ رَجُلٌ مِن مَركَبَتِه لِلِقائِكَ؟ أَهذا وَقتٌ لِأَخذِ الفِضَّةِ ولِأَخذِ ثِيابٍ وزَيتونٍ وكُروم وغَنَمٍ وبَقَرٍ وعَبيدٍ وإِماء؟ [٢٧] إِنَّ بَرَصَ نَعْمانَ يَعلَقُ بِكَ وبِنَسلِكَ لِلأَبَد». فخَرَجَ مِن أَمامِه وهو أَبرَصُ كالثَّلْج.

٥. الاستيلاء على السامرة

في ٧٢١، استولى سرجون على السامرة، بعد أن حاصرها ثلاث سنوات. وهكذا زالت مملكة الشمال، بعد أن عاشت قرنَين. وكان التشتت قد بدأ بالجلاء الى مصر، فاستمرَّ بالجلاء إلى أشّور.

١٧ [١] وفي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشرَةَ لِآحاز، مَلِكِ يَهوذا، مَلَكَ هوشَعُ بنُ إِيلَةَ في السَّامِرَةِ على إِسْرائيلَ تِسعَ سَنَوات [٢] وصَنَعَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ، ولكن لا كمُلوكِ إِسْرائيلَ الَّذينَ كانوا قَبْلَه.

[٣] وصَعِدَ علَيه شَلْمَنآسَر(٦)، مَلِكُ أَشُّور. فكانَ هوشَعُ عَبداً لَه، وكانَ يُؤَدِّي إِلَيه جِزيَة. [٤] وعَلِمَ مَلِكُ أَشُّورَ أَنَّ هوشَعَ مُتآمِرٌ علَيه، وقد أَرسَلَ رُسُلاً إِلى سوء، مَلِكِ مِصْر، ولَم يُؤَدِّ الجِزيَةَ إِلى مَلِكِ أَشُّور، كما كانَ يَفعَلُ كُلَّ سَنَة. فقَبَضَ علَيه مَلِكُ أَشُّور وجَعَلَه مُقَيَّداً في السِّجْن.

[٥] وصَعِدَ مَلِكُ أَشُّورَ على تِلكَ الأَرضِ كُلِّها، وصَعِدَ إِلى السَّامِرَةِ وحاصَرَها ثَلاثَ سَنَوات. [٦] وفي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِهوشَع، آستَولى مَلِكُ أَشُّورَ على السَّامِرَة(٧)، وجَلا إِسْرائيلَ إِلى أَشُّور(٨)، وأَسكَنَهم في حَلاحَ

(٦) شَلْمَنآسر الخامس (٧٢٦ - ٧٢٢).

(٧) في ٧٢١ المقصود هو الملك سرجون الثاني (٧٢١ - ٧٠٥).

(٨) فإن سكان مملكة الشمال عرفوا الجلاء اذاً. لا بدّ من التمييز بين هذا الجلاء والجلاء الى بابل.

وعلى الخابور، نَهرِ جوزان، وفي مُدُنِ ميدِيا.

٦. عِبرَة دينية في الاحداث

تُعدّ هذه الاحداث في الكتاب عقاباً من الله. فقد عاقب الله الخطيئة الاساسية، أي فسخ الوحدة، لكنه عاقب أيضاً المسّ من طهارة العبادة.

[٧]وكانَ ذلك لِأَنَّ بَني إِسْرائيلَ قد خَطِئوا إِلى الرَّبِّ إِلهِهِم الَّذي أَصعَدَهم مِن أَرضِ مِصْرَ، مِن تَحتِ يَدِ فِرعَون، مَلِكِ مِصْر، وعَبَدوا آلِهَةً أُخْرى. [٨]وساروا بِحَسَبِ مُمارَساتِ الأُمَمِ الَّتي طَرَدَها الرَّبُّ مِن وَجهِ بَني إِسْرائيل، وعلى ما صَنَعَه مُلوكُ إِسْرائيل. [٩]وعَمِلَ بَنو إِسْرائيلَ في الخَفاءِ أُموراً غَيرَ مُستَقيمةٍ في حَقِّ الرَّبِّ إِلهِهم، وبَنَوا لَهم مَشارِفَ في جَميعِ مُدُنِهم، مِن بُرجِ الحُرَّاسِ إِلى المَدينَةِ المُحَصَّنَة. [١٠]وأَقاموا لَهم أَنْصاباً وأَوتاداً مُقَدَّسَةً على كُلِّ أَكَمَةٍ عالِيَةٍ وتَحتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْراء. [١١]وأَحرَقوا البَخورَ هُناكَ على جَميعِ المَشارِفِ مِثلَ الأُمَمِ الَّتي جَلاها الرَّبُّ مِن وَجهِهم، وعَمِلوا أَعْمالاً سَيِّئَةً لِإِسْخاطِ الرَّبّ. [١٢]وعَبَدوا الأَصْنامَ القَذِرَةَ الَّتي قالَ لَهمُ الرَّبُّ فيها: «لا تَفعَلوا هذا الأَمْر».

[١٣]وكانَ الرَّبُّ قد أَشهَدَ على إِسْرائيلَ ويَهوذا، على أَلسِنَةِ جَميعِ الأَنبِياءِ وكُلِّ راءٍ، قائِلاً: «توبوا عن طُرُقِكُمُ السَّيِّئَة، وآحفَظوا وَصايايَ وفَرائِضي، على حَسَبِ كُلِّ الشَّريعَةِ الَّتي أَوصَيتُ بِها آباءَكم والَّتي بَلَّغتُكم إِيَّاها عن يَدِ عَبيدِيَ الأَنبِياء». [١٤]فلَم يَسمَعوا وصَلَّبوا رِقابَهم مِثلَ رِقابِ آبائِهِم الَّذينَ لم يُؤمِنوا بِالرَّبِّ إِلهِهم. [١٥]ونَبَذوا فَرائِضَه وعَهدَه الَّذي قَطَعه مع آبائِهِم والشَّهادةَ الَّتي أَشهَدَها علَيهم، وساروا وراءَ الباطِلِ وصاروا باطِلاً وَراءَ الأُمَمِ الَّتي حَولَهم، مِمَّا أَمَرَ الرَّبُّ أَن لا يَفعَلوا مِثلَها،

١٦وتَرَكوا جَميعَ وَصايا الرَّبِّ إلهِهم، وصَنَعوا لَهم عِجلَينِ مِنَ المَسْبوكات، وأَقاموا وَتَداً مُقَدَّساً، وسَجَدوا لِجَميعِ قُوَّاتِ السَّماء(٩)، وعَبَدوا البَعْل. ١٧وأَمَرُّوا بَنيهم وبَناتِهم بِالنَّار، وتَعاطَوا العِرافَةَ والفِراسة، وباعوا أَنفُسَهم لِعَمَلِ الشَّرِّ في عَينَيِ الرَّبِّ لإِسْخاطِه. ١٨فغَضِبَ الرَّبُّ غَضَباً شَديداً على إِسْرائيلَ وأَبعَدَه مِن وَجهِه.

٧. أصل السامريين

نقل الاشوريون سكّان السامرة وضاحيتها الى حاران في بلاد ما بين النهرين الغربية وأسكنوا مكانهم غرباء. فأخذ هؤلاء الغرباء يؤدون العبادة إلى الرب، إله البلاد، من دون أن يكفّوا عن السجود لآلهتهم. فأصبحت هذه الديانة الخليطة – أو التوفيقية – ديانة تلك المنطقة. فلكلمة «سامريين» معنى ديني دقيق.

٢٤وأَتى مَلِكُ أَشُّورَ بِقَومٍ مِن بابِلَ وكوتَ وعَوَّا وحَماةَ وسَفَرْوائيم، وأَسكَنَهم في مُدُنِ السَّامِرَةِ مَكانَ بَني إِسْرائيل(١٠)، فآحتَلُّوا السَّامِرَةَ وسَكَنوا مُدُنَها.

٢٥وكانَ أَنَّهم في بَدءِ إِقامَتِهم هُناكَ لم يَتَّقوا الرَّبّ، فأَرسَلَ الرَّبُّ علَيهم أُسوداً، فكانَت تَقتُلُ مِنهم. ٢٦فكَلَّموا مَلِكَ أَشُّورَ قائِلين: «إِنَّ الأُمَمَ الَّتي جَلَوتَها وأَسكَنتَها في مُدُنِ السَّامِرَةِ لا تَعرِفُ حُكمَ إِلهِ الأَرْض، فأَرسَلَ علَيها أُسوداً، فهي تَقتُلُها لِأَنَّها لا تَعرِفُ حُكمَ إِلهِ الأَرْض»(١١).

(٩) الكواكب.

(١٠) الغاية من ترحيل السكّان القضاء على الروح الوطنية.

(١١) الإله مرتبط بالارض قبل أن يكون مرتبطاً بسكانها (مفهوم البَعْل). وان أراد الإنسان أن يحصل على تأييد هذا الإله، وجب عليه أن يؤدّي له عبادة بحسب الطقوس التي أمر بها.

[٢٧]فأَمَرَ مَلِكُ أَشُّورَ وقال: «أَرسِلوا إِلَيها أَحَدَ الكَهَنَةِ الَّذينَ جَلَوتُهم مِن هُناكَ، فيَذهَبَ ويَسكُنَ هُناكَ ويُعَلِّمَها حُكمَ إِلهِ الأَرْض». [٢٨]فأَتى أَحَدُ الكَهَنَةِ الَّذينَ جلاهم مِنَ السَّامِرَة، وسَكَنَ في بَيتَ إِيل، وأَخَذَ يُعَلِّمُها كَيفَ يَتَّقي الرَّبّ.

[٢٩]فأَخَذَت كُلُّ أُمَّةٍ تَعمَلُ آلِهَتَها وتَضَعُها في بُيوتِ المَشارِفِ الَّتي عَمِلَها السَّامِرِيُّون، كُلُّ أُمَّةٍ في مُدُنِها الَّتي سَكَنَتها.

[٣٢]فكانوا يَتَّقونَ الرَّبَّ ويُقيمونَ لَهم مِن لَفيفِهم كَهَنَةَ مَشارِفَ يُقَرِّبونَ لَهم في بُيوتِ المَشارِف. [٣٣]وكانوا يَتَّقونَ الرَّبَّ ويَعبُدونَ آلِهَتَهم كعادَةِ الأُمَمِ الَّتي جَلَوها مِن بَينِهم.

٢. في يهوذا: حِزقِيّا وأشعيا النبيّ

١. نظرة عامة على عهد حِزقِيّا

هو أحد الملوك - ولَيسوا كُثُراً - الذين حصلوا على مديح المحرِّر، لانهم حاربوا الوثنية وأزالوا عبادة المشارف.

١٨ [١]وفي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِهوشَعَ بنِ إِيلَة، مَلِكِ إِسْرائيل، مَلَكَ حِزقِيّا بنُ آحاز، مَلِكِ يَهوذا. [٢]وكانَ ابنَ خَمسٍ وعِشْرينَ سَنَةً حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ تِسعاً وعِشْرينَ سَنَةً في أُورَشَليم. وآسمُ أُمِّه أَبي، بِنتُ زَكَرِيّا. [٣]وصَنَعَ القَويمَ في عَينَيِ الرَّبّ، كَكُلِّ ما صَنَعَ داوُدُ أَبوه(١٢). [٤]وهو الَّذي أَزالَ المَشارِفَ(١٣) وحَطَّمَ الأَنْصابَ وقَطَّعَ الأَوتادَ المُقَدَّسةَ وسَحَقَ حَيَّةَ النُّحاسِ

(١٢) في نظر الكاتب، داود هو مثال المَلِك حقاً.
(١٣) يصبح هيكل أورشليم مكان العبادة الوحيد.

الَّتي كانَ موسى قد صَنَعَها، لِأَنَّ بَني إِسْرائيلَ كانوا إِلى تِلكَ الأَيَّامِ يُحرِقونَ البَخورَ وسَمَّوها نَحُشْتان(١٤).

٥واتَّكَلَ على الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيل، ولم يَكُنْ بَعدَه مِثلُه في جَميعِ مُلوكِ يَهوذا ولا في الَّذينَ كانوا مِن قَبلِه. ٦واعتَصَمَ بِالرَّبّ ولم يَحِدْ عنِ السَّيرِ وَراءَه، وحَفِظَ وَصاياه الَّتي أَمَرَ بِها الرَّبُّ موسى. ٧وكانَ الرَّبُّ معَه، وحَيثُما تَوَجَّهَ، كانَ يَتَصَرَّفُ بِحِكمَة(١٥).

٢. اجتياح سنحاريب

بعد أن استولت جيوش أشور على السامرة، انحدرت الى الجنوب، فتوصَّلت الى فرض جزية على حِزقِيَّا وطلبت استسلام المدينة المقدّسة.

١٧وأَرسَلَ مَلِكُ أَشُّورَ قائدَ القُوَّادِ ورَئيسَ الخِصْيانِ ورَئيسَ السُّقاةِ مِن لاكيشَ إِلى المَلِكِ حِزقِيَّا في جَيشٍ عَظيم، إِلى أُورَشَليم. فصَعِدوا ووَصَلوا إِلى أُورَشَليم. ولَمَّا صَعِدوا ووَصَلوا، وَقَفوا عِندَ قَناةِ البِركَةِ العُلْيا الَّتي في طَريقِ حَقلِ القَصَّار. ١٨ونادَوُا المَلِك، فخَرَجَ إِلَيهم أَلْياقيمُ بنُ حِلقِيَّا، قَيِّمُ البَيت، وشَبنَةُ الكاتِب، ويوآحُ بنُ آسافَ المُدَوِّن. ١٩فقالَ لَهم رَئيسُ السُّقاة: «قولوا لِحِزقِيَّا: هكذا يَقولُ المَلِكُ الكَبير، مَلِكُ أَشُّور: ما هذا الِاتِّكالُ الَّذي اتَّكَلتَه؟ ٢٠قد قُلتَ في نَفسِكَ: إِنَّ مُجَرَّدَ كَلامِ شَفَتَينِ هو بِمَثابَةِ مَشورَةٍ وبَسالَةٍ لِخَوضِ الحَرْب. والآنَ فعَلى مَنِ اتَّكَلتَ حتَّى تَمَرَّدتَ علَيَّ؟ ٢١إِنَّكَ إِنَّما استَنَدتَ على عُكَّازِ هذه القَصَبَةِ

(١٤) يُراد بها، ولا شك، صورة، ولقد أزالها حزقيا لانهم كانوا يؤدّون لها عبادة كما للاصنام.

(١٥) سنرى أنه لا بدّ من التمييز في هذا القول.

المَرْضوضة ، أَي على مِصرَ الَّتي مَنِ آتَّكَأَ عليها نَشِبَت في كَفِّه وثَقَبَتْها . هكذا فِرعَونُ ، مَلِكُ مِصرَ ، لِجَميعِ الَّذينَ يَتَّكِلونَ عليه .

[٢٢]وإِن قُلتُم لي : إِنَّنا لم نَتَّكِلْ إِلاَّ على الرَّبِّ إِلهِنا ، أَفَلَيسَ هو الَّذي أَزالَ حِزقِيَّا مَشارِفَه ومَذابِحَه وقالَ لِيَهوذا ولِأُورَشَليم : قُدَّامَ هذا المَذبَحِ تَسجُدونَ في أُورَشَليم . [٢٣]والآنَ راهِنْ مع سَيِّدي ، مَلِكِ أَشُّور ، وأَنا أُعْطيكَ أَلْفَي فَرَسٍ ، إِنِ آستَطَعتَ أَن تَجِدَ لَها فُرْساناً . [٢٤]وكَيفَ لَكَ أَن تَرُدَّ وَجهَ قائِدٍ واحدٍ مِن صِغارِ ضُبَّاطِ سَيِّدي ، وتَتَّكِلَ على مِصرَ لِلحُصولِ على مَركَباتٍ وفُرْسان ؟ [٢٥]والآنَ أَتُراني بِدونِ مُوافَقَةِ الرَّبِّ صَعِدتُ على هذا المَكانِ لِأُدَمِّرَه ؟ فالرَّبُّ هو الَّذي قالَ لي : إِصعَدْ على هذِه الأَرضِ ودَمِّرْها» .

[٢٦]فقالَ أَلْياقيمُ بنُ حِلقِيَّا وشَبنَةُ ويوآحُ لِرَئيسِ السُّقاة : «كَلِّمْ عَبيدَكَ بِاللُّغَةِ الآرامِيَّة ، فإِنَّنا نَفهَمُها ، ولا تُكَلِّمْنا بِاليَهودِيَّة[(١٦)] على مَسامِعِ الشَّعبِ القائِمينَ على السُّور» . [٢٧]فقالَ لَهم رَئيسُ السُّقاة : «أَلَعَلَّه إِلى سَيِّدِكَ وإِلَيكَ أَرسَلَني سَيِّدي لِأَقولَ هذا الكَلام ؟ أَلَيس إِلى الرِّجالِ القائِمينَ على السُّورِ المُضطَرِّينَ إِلى أَكلِ بِرازِهم وشُربِ بَولِهم معَكم ؟»[(١٧)] .

[٢٨]ثُمَّ وَقَفَ رَئيسُ السُّقاةِ فنادى بِصَوتٍ عَظيمٍ بِاليَهودِيَّة ، وتَكَلَّمَ وقال : «إِسمَعوا كَلامَ المَلِكِ الكَبير ، مَلِكِ أَشُّور . [٢٩]هكذا قالَ المَلِك : لا

(١٦) كانت الآرامية قريبة من العبرية ، وكانت اللغة التي يتكلّمها البابليون . ولم تكن شائعة في الشعب ، بل عند المثقّفين .

(١٧) إن حوصرت المدينة .

يَخدَعْكُم حِزقِيَّا، لِأَنَّه لا يَقدِرُ أَن يُنقِذَكم مِن يَدَيَّ. [٣٠]ولا يَجعَلْكم حِزقِيَّا تَتَّكِلونَ على الرَّبِّ قائِلاً: الرَّبُّ يُنقِذُنا ولا تُسلَمُ هذه المَدينَةُ إِلى يَدِ مَلِكِ أَشُّور. [٣١]لا تَسمَعوا لِحِزقِيَّا، لِأَنَّه هكذا قالَ مَلِكُ أَشُّور: اِعقِدوا معي صُلْحاً وآخرُجوا إِلَيَّ وكُلوا كُلُّ واحِدٍ مِن كَرمِه ومن تينَتِه، وآشرَبوا كُلُّ واحِدٍ ماءَ بِئرِه، [٣٢]حتَّى آتِيَ وآخُذَكم إِلى أَرضٍ مِثلِ أَرضِكم، أَرضِ حِنطَةٍ وخَمرٍ، أَرضِ خُبزٍ وكُروم، أَرضِ زَيتٍ وعَسَل، لِتَعيشوا ولا تَموتوا[(١٨)]. فلا تَسمَعوا لِحِزقِيَّا، لِأَنَّه يُغريكم قائِلاً: الرَّبُّ يُنقِذُنا. [٣٣]أَلَعَلَّ آلِهَةَ الأُمَمِ أَنقَذوا كُلُّ واحِدٍ أَرضَه مِن يَدِ مَلِكِ أَشُّور؟ [٣٥]ومَن مِن جَميعِ آلِهَةِ البِلادِ أَنقَذَ أَرضَه مِن يَدي، حتَّى يُنقِذَ الرَّبُّ أُورَشَليمَ مِن يَدي؟».

[٣٦]فسَكَتَ الشَّعبُ ولَم يُجِبْه بِكَلِمَة، لِأَنَّ المَلِكَ أَمَرَ قائِلاً: «لا تُجيبوه». [٣٧]وعادَ أَلْياقيمُ بنُ حِلقِيَّا، قَيِّمُ البَيت، وشَبنَةُ الكاتِب، ويوآخُ بنُ آسافَ المُدَوِّن، إِلى حِزقِيَّا وثِيابُهم مُمَزَّقَة، وأَخبَروه بِكَلامِ رَئيسِ السُّقاة.

٣. تدخّل أشعيا

تساءل حزقيا ما العمل، واستشار أشعيا وأسلم أمره الى الله. فجاء قول النبي الرائع، الممتلئ من الايمان بقدرة الله. فتحقّقت النبوءة، وانصرف سنحاريب من دون أن يدخل المدينة.

١٩ [١]فلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ حِزقِيَّا، مَزَّقَ ثِيابَه ولَبِسَ مِسحاً ودَخَلَ بَيتَ الرَّبّ، [٢]وأَرسَلَ أَلْياقيمَ، قَيِّمَ البَيت، وشَبنَةَ الكاتِب، وشُيوخَ الكَهَنَة، لابِسينَ المُسوح، إِلى أَشَعْيا النَّبِيِّ آبنِ آموص. [٣]فقالوا لَه: «هكذا قالَ

(١٨) بالاستسلام والجلاء يمكن تجنّب تقتيل المنهزمين.

حِزقِيًّا: اليَومَ يَومُ الشِّدَّةِ والعِقاب، يَومُ الهَوان، وقَد بَلَغَتِ الأَجِنَّةُ فُرجَ الرَّحِم، ولا قُوَّةَ لِلوِلادة[١٩]. ٤فلَعَلَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَسمَعُ كُلَّ كَلامِ رَئيسِ السُّقاةِ الَّذي أَرسَلَه مَلِكُ أَشُّورَ سَيِّدُه لِيَشتِمَ الإِلهَ الحَيَّ، ولَعَلَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يُعاقِبُ الكَلامَ الَّذي سَمِعَه! فآرْفَعْ صَلاةً مِن أَجلِ البَقِيَّةِ[٢٠] الَّتي بَقِيَت».

٥فلَمَّا وَصَلَ خُدَّامُ المَلِكِ حِزقِيَّا إِلى أَشَعْيا، ٦قالَ لَهم أَشَعْيا: «هكذا تَقولونَ لِسَيِّدِكم: هكذا يَقولُ الرَّبّ: لا تَخَفْ بِسَبَبِ الكَلامِ الَّذي سَمِعتَه، مِمَّا جَدَّفَ بِه علَيَّ عَبيدُ مَلِكِ أَشُّور، ٧فإِنِّي أَجعَلُ فيه روحاً، فيَسمَعُ خَبَراً فيَرجِعُ إِلى أَرضِه، وأُسقِطُه بِالسَّيفِ في أَرضِه».

٨ورَجَعَ رَئيسُ السُّقاة، فوَجَدَ مَلِكَ أَشُّورَ يُقاتِلُ لِبنَة، لِأَنَّه سَمِعَ أَنَّه قد رَحَلَ مِن لاكيش. ٩ذلك أَنَّه سَمِعَ في شأنِ تِرْهاقَة، مَلِكِ كوش[٢١]، هذا الخَبَر: «قد خَرَجَ لِيُقاتِلَكَ».

فعادَ سَنْحاريبُ وأَرسَلَ رُسُلاً إِلى حِزقِيَّا يَقول: ١٠«هكذا تُكَلِّمونَ حِزقِيَّا، مَلِكَ يَهوذا، قائلين: لا يَخدَعْكَ إِلهُكَ الَّذي أَنتَ مُتَّكِلٌ علَيه قائلاً: إِنَّ أُورَشَليمَ لا تُسلَمُ إِلى يَدِ مَلِكِ أَشُّور. ١١فإِنَّكَ قد سَمِعتَ ما صَنَعَ مُلوكُ أَشُّورَ بِجَميعِ البُلْدانِ وكَيفَ حَرَّموها. أَفأَنتَ تَنجو؟

١٤فأَخَذَ حِزقِيَّا الرِّسالَةَ مِن يَدِ الرُّسُلِ فقَرَأَها. ثُمَّ صَعِدَ إِلى بَيتِ الرَّبّ وبَسَطَ الرِّسالَةَ قُدَّامَ الرَّبّ، ١٥وصَلَّى أَمامَ الرَّبِّ وقال: «أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ

(١٩) شعور بالضعف في موقف خطير.
(٢٠) البقية = المجموعة المخلصة للرب: موضوع وعظ عاموس وأشعيا.
(٢١) كوش = الحَبَشَة. إنه فرعون، ولكن من سلالة حَبَشية.

إِسْرائيل، الجالِسُ على الكَروبين، أَنتَ وَحدَكَ إِلهُ جَميعِ مَمالِكِ الأَرْض. أَنتَ صَنَعتَ السَّمواتِ والأَرْض. [١٦]أَمِلْ أُذُنَيكَ يا رَبِّ وأَصْغ. إِفْتَحْ يا رَبِّ عَينَيكَ وآنظُرْ وآستَمِعْ قَولَ سَنْحاريبَ الَّذي أَرسَلَ يَشتِمُ اللهَ الحَيّ. [١٧]حَقًّا، يا رَبّ، أَنَّ مُلوكَ أَشُّورَ قد دَمَّروا الأُمَمَ وأَراضِيَها، [١٨]وأَلقَوا آلِهَتَها في النَّار، لِأَنَّها لَيسَت بِآلِهَة، بل هي من صُنعِ أَيدي النَّاس، خَشَبٌ وحِجارَةٌ، فأَبادوها. [١٩]والآن، أَيُّها الرَّبُّ إِلهُنا، خَلِّصْنا مِن يَدَيه، لِتَعلَمَ مَمالِكُ الأَرضِ كُلُّها أَنَّكَ أَنتَ الرَّبُّ الإِلهُ وَحدَكَ».

[٢٠]فأَرسَلَ أَشَعْيا بنُ آموصَ إِلى حِزقِيَّا وقال: «هكذا يقولُ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل: ما صَلَّيتَه إِلَيَّ بِشَأنِ سَنْحاريب، مَلِكِ أَشُّور، قد سَمِعتُه. [٢١]هذا هو الكَلامُ الَّذي تَكَلَّمَ بِه الرَّبُّ علَيه:

اِحتَقَرَتكَ وسَخِرَت مِنكَ العَذْراءُ آبنَةُ صِهْيون
وهَزَّت رَأسَها وَراءَكَ بِنتُ أُورَشَليم.

[٢٢]مَن شَتَمتَ وعلى مَن جَدَّفتَ وعلى مَن رَفَعتَ صَوتَكَ
ورَفَعتَ عَينَيكَ إِلى العَلاء؟ على قُدُّوسِ إِسْرائيل!

[٢٣]على لِسانِ رُسُلِكَ شَتَمتَ السَّيِّدَ وقُلتَ:
بِرُكوبِ مَركَباتي صَعِدتُ إِلى رُؤُوسِ الجِبال وإِلى أَقْصى قِمَمِ لُبْنان
فقَطَعتُ أَرفَعَ أَرزِه وخِيارَ سَروِه
ودَخَلتُ أَقصى مَنزِلِه وشَجَرَ جَنَّتِه.

[٢٤]حَفَرتُ وشَرِبتُ مِياهاً غَريبَة
وجَفَّفتُ بِأَخامِصِ قَدَمَيَّ جَميعَ أَنيالِ مِصرَ

[٢٥]أَما سَمِعتَ أَنّي[٢٢] مِنَ القَديم صَنَعتُ ذلك
مُنذُ الأَيَّام القَديمةِ فَرَضتُه والآنَ حَقَّقتُه
لِتَحويلِ المُدُنِ المُحَصَّنةِ إِلى تِلالِ رَدْم .
[٢٦]سُكَّانُها قِصارُ الأَيدي ، مَذْعورونَ ومُخزَون
كَعُشبِ الحَقلِ يَكونون وكَخضِرِ المُروجِ وحَشيشِ السُّطوح
وكالمَلْفوحِ بِالرِّيحِ قَبلَ البُلوغ .
[٢٧]إِن قُمتَ أَو جَلَستَ ، إِن خَرَجتَ أَو دَخَلتَ
فأَنا عارِفٌ بِه وكذلك عِندَما تَغْتاظُ علَيَّ
[٢٨]فلِأَنَّكَ ٱغتَظتَ علَيَّ ولِأَنَّ وَقاحَتَكَ قدِ ٱرتَفَعَت إِلى أُذُنَيَّ
فأَنا جاعِلٌ خِزامَتي في أَنفِكَ ولِجامي في شَفَتَيك[٢٣]
وَرادُّكَ في الطَّريقِ الَّتي جِئتَ مِنها .

إِنَّه لا يَدخُلُ هذه المَدينة ولا يَرْمي إِلَيها سَهماً ولا يَتَقَدَّمُ علَيها بِتُرْسٍ ولا يَنصِبُ علَيها مَردوماً . [٣٣]لكِنَّ في الطَّريقِ الَّتي جاءَ مِنها يَرجِع وإِلى هذه المَدينةِ لا يَدخُل ، يَقولُ الرَّبّ . [٣٤]فأَحْمي هذه المَدينَة ، وأُخَلِّصُها بِسَبَبي وبِسَبَب داوُدَ عَبْدي» .

[٣٥]وكانَ في تِلكَ اللَّيلَةِ أَن خَرَجَ مَلاكُ الرَّبِّ[٢٤] وقَتَلَ مِن عَسكَرِ أَشُّورَ مِئَةَ أَلفٍ وخَمسَةً وثَمانينَ أَلفاً . فلَمَّا بَكَّروا صَباحاً ، إِذا هم جَميعاً جُثَثُ أَمْوات .

(٢٢) ان الله هو الذي يتكلّم هنا مرة أخرى .
(٢٣) كما لو كان حيواناً مروَّضاً .
(٢٤) الملاك المبيد . ورد عند هيرودوطِس ان المقصود هو طاعون أتت به الجُرذان .

[٣٦] فرَحَلَ سَنْحاريب ، مَلِكُ أَشُّور ، ومَضى راجِعاً وأَقامَ في نينَوى . [٣٧] وفيما هو ساجِدٌ في بَيتِ نِصْروكَ إِلهه ، قَتَلَه أَدْرَمَّلِكُ وشَرْآصَرُ آبْناه بِالسَّيف ، وهَرَبا إِلى أَرضِ أَراراط . ومَلَكَ آسَرحَدُّونُ آبنُه مَكانَه .

٣. إصلاح يوشيّا

١. نظرة عامّة على العهد

في شخص يوشيا نجد ملكاً آخر «صنع ما هو مَرضيّ عند الله» .

٢٢ [١] وكانَ يوشِيَّا آبنَ ثَماني سَنَواتٍ حينَ مَلَكَ، ومَلَكَ إِحْدى وثَلاثينَ سَنَةً في أُورَشَليم . وآسمُ أُمِّه يَديدة ، بِنتُ عَدايا ، مِن بُصْقَة . [٢] وصَنَعَ القَويمَ في عَينَيِ الرَّبّ ، وسارَ على جَميعِ طُرُقِ داوُدَ أَبيه ، ولم يَحِدْ عَنها يَمنَةً ولا يَسرَةً .

٢. العثور على تثنية الاشتراع

كان هذا العثور حدث العهد الديني . المقصود هو كتاب موسوي الجوهر ، لكنه استفاد من تعليم الأنبياء فيما بعد .

[٣] وفي السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشرَةَ لِلمَلِكِ يوشِيَّا ، أَرسَلَ المَلِكُ شافانَ بنَ أَصَلْيا آبنِ مَشُلاَّمَ الكاتِبَ إِلى بَيتِ الرَّبِّ قائلاً : [٤] «إِصعَدْ إِلى حِلقِيَّا عَظيمِ الكَهَنَة ، فيَحسُبُ الفِضَّةَ الَّتي أُتِيَ بِها إِلى بَيتِ الرَّبّ ، مِمَّا جَمَعَه حُرَّاسُ الأَعْتابِ مِنَ الشَّعْب ، [٥] وتُسَلَّمَ إِلى أَيدي مُتَوَلِّي العَمَلِ المُوَكَّلينَ في بَيتِ الرَّبّ ، فيَدفَعونَها إِلى المُتَوَلِّينَ العَمَلَ في بَيتِ الرَّبّ ، لِتَرْميمِ ما تَهَدَّمَ مِنَ البَيت ، [٦] إِلى النَّجّارينَ والبَنّائينَ ورافِعي الجُدْران ، ولِشِراءِ خَشَبٍ وحِجارَةٍ

مَنْحوتَةٍ لِتَرْميمِ البَيت، [٧]مِن غَيرِ أَن يُحاسِبوهم على الفِضَّةِ المُسَلَّمَةِ إِلى أَيديهم، لِأَنَّهم كانوا يَصنَعونَ بِالأَمانَة.

[٨]فقالَ حِلقِيَّا عَظيمُ الكَهَنَةِ لِشافانَ الكاتب: «إِنِّي وَجَدتُ سِفرَ الشَّريعَةِ في بَيتِ الرَّبّ»(٢٥). وسَلَّمَ حِلقِيَّا الكاهِنُ السِّفرَ إِلى شافان، فقَرَأَه. [٩]فذَهَبَ شافانُ الكاتِبُ إِلى المَلِكِ وعَرَضَ الأَمرَ على المَلِكِ وقال: «قد أَخَذَ رِجالُكَ الفِضَّةَ الَّتي وُجِدَت في البَيتِ وسَلَّموها إِلى أَيدي المُتَوَلِّينَ العَمَلَ المُوَكَّلينَ على بَيتِ الرَّبّ». [١٠]وأَخبَرَ شافانُ الكاتِبُ المَلِكَ وقال: «قد سَلَّمَني حِلقِيَّا الكاهِنُ سِفراً»، وقَرَأَه شافانُ أَمامَ المَلِك.

[١١]فلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ كَلامَ سِفرِ الشَّريعة، مَزَّقَ ثِيابَه [١٢]وأَمَرَ حِلقِيَّا الكاهِنَ وأَحيقامَ بنَ شافانَ وعَكْبورَ بنَ ميخا وشافانَ الكاتِبَ وعَسايا، وَزيرَ المَلِكِ، وقال: [١٣]«إِذهَبوا فَاستَشيروا الرَّبَّ لي ولِلشَّعبِ ولِكُلِّ يهوذا في أَمرِ كَلامِ هذا السِّفرِ الَّذي وُجِدَ، لِأَنَّه شَديدٌ غَضَبُ الرَّبِّ الَّذي اضطَرَمَ علَينا، إِذ إِنَّ آباءَنا لم يَسمَعوا لِكَلامِ هذا السِّفرِ فيَعمَلوا بِكُلِّ ما كُتِبَ في أَمرِنا».

٣. الاصلاح الديني

وَفقاً للتوجيهات الواردة في الكتاب الذي عُثر عليه، قام يوشيا بإصلاح كبير: فدكَّ المشارف ودمَّر الشعارات الوثنية وقتَّل كهنتها وطهَّر هيكل أورشليم. وامتدَّ الاصلاح إلى مملكة الشمال القديمة. أجل، عوَّق موت الملك هذا الاصلاح، ولكنّه وجَّه التقوى اليهودية بعد العودة من الجلاء.

(٢٥) يرجَّح أن السِفر قد أُخفي على عهد منسّى. وهذا السِفر هو سفر تثنية الاشتراع في قسمه الاساسي.

٢٣ [١]فأرسَلَ المَلِكُ فآجتَمَعَ إلَيه جَميعُ شُيوخِ يَهوذا وأُورَشَليم. [٢]وصَعِدَ المَلِكُ إلى بَيتِ الرَّبّ، وجَميعُ رِجالِ يَهوذا وجَميعُ سُكَّانِ أُورَشَليمَ معَه والكَهَنَةُ والأَنبياءُ وكُلُّ الشَّعبِ مِنَ الصَّغيرِ إلى الكَبير، فَتلا على مَسامِعِهم كُلَّ كَلامِ سِفرِ العَهدِ الَّذي وُجِدَ في بَيتِ الرَّبّ. [٣]وقامَ المَلِكُ على المِنبَر وقَطَعَ عَهداً أَمامَ الرَّبِّ على أَنَّهم يَتَّبِعونَ الرَّبَّ ويَحفَظونَ وَصاياه وشَهادَتَه وفَرائِضَه بِكُلِّ قُلوبِهم وكُلِّ نُفوسِهم، لِيُثَبِّتوا كَلامَ هذا العَهدِ المَكْتوبَ في هذا السِّفر. فآلتَزَمَ الشَّعبُ كُلُّه بِهذا العَهْد.

[٤]وأَمَرَ المَلِكُ حِلقِيَّا عَظيمَ الكَهَنَة وكَهَنَةَ الرُّتبَةِ الثَّانِيَةِ وحُرَّاسَ الأَعْتابِ أَن يُخرِجوا مِن هَيكَلِ الرَّبِّ جَميعَ الأَدَواتِ الَّتي كانَت قد صُنِعَت لِلبَعلِ والعَشْتاروتِ ولِجَميعِ قُوَّاتِ السَّماء. فأَحرَقَها في خارِجِ أُورَشَليمَ في حُقولِ قِدْرون، وحَمَلَ رَمادَها إلى بَيتَ إيل. [٥]وأَزالَ كَهَنَةَ الأَصْنامِ الَّذينَ أَقامَهم مُلوكُ يَهوذا لِيُحرِقوا البَخورَ على المَشارِفِ في مُدُنِ يَهوذا وحَوالى أُورَشَليم، والَّذينَ كانوا يُحرِقونَ البَخورَ لِلبَعلِ والشَّمسِ والقَمَرِ والأَبْراجِ ولِجَميعِ قُوَّاتِ السَّماء. [٦]وأَخرَجَ الوَتَدَ المُقَدَّسَ مِن بَيتِ الرَّبِّ إلى خارِجِ أُورَشَليم، إلى وادي قِدْرون. فأَحرَقَه في وادي قِدْرون، وسَحَقَه رَماداً وذَرَّى رَمادَه على قُبورِ عامَّةِ الشَّعْب(٢٦). [٧]وهَدَمَ بُيوتَ المَأبونينَ الَّتي في بَيتِ الرَّبّ، حَيثُ كانَتِ النِّساءُ يَنسُجنَ ثِياباً لِلْعَشْتاروت.

[٨]وآستَدْعى جَميعَ الكَهَنَةِ مِن مُدُنِ يَهوذا(٢٧) ونَزَعَ حُرمَةَ

(٢٦) في المقبرة العامة.
(٢٧) فرض الملك أن تكون أورشليم مكان العبادة الوحيد.

المَشارِفِ[٢٨] حَيثُ كانَ الكَهَنَةُ يُحرِقونَ البَخور، مِن جَبعَ إِلى بِئرَ سَبْع. وهَدَمَ مَشارِفَ الأَبْوابِ الَّتي عِندَ مَدخَلِ بابِ يَشوع، رَئيسِ المَدينة، الَّتي إِلى يَسارِ الدَّاخِلِ إِلى المَدينة. ٩على أَنَّ كَهَنَةَ المَشارِفِ لم يَكونوا يَصعَدونَ إِلى مَذبَحِ الرَّبِّ في أُورَشَليم، بل كانوا يأكُلونَ الفَطيرَ مع إِخوَتِهم[٢٩] ١٠ونَزَعَ حُرمَةَ توفَتَ الَّتي في وادي بني هِنُّوم[٣٠]، لِكَي لا يُمِرَّ أَحَدٌ آبنَه أَوِ آبنَتَه بِالنَّارِ لِمولَك. ١١وأَزالَ الخَيلَ الَّتي أَقامَها مُلوكُ يَهوذا لِلشَّمسِ مِن عِندِ مَدخَلِ بَيتِ الرَّبِّ لَدى مُخدَع نَتَنْمَلِكَ الخَصِيِّ الَّذي في الأَروِقَة، وأَحرَقَ مَركَباتِ الشَّمسِ بِالنَّار. ١٢ودَمَّرَ المَلِكُ المَذابِحَ الَّتي على سَطحِ عِلِّيَّةِ آحاز، والَّتي عَمِلَها مُلوكُ يَهوذا، والمَذابِحَ الَّتي صَنَعَها مَنَسَّى في دارَي بَيتِ الرَّبّ، وأَسرَعَ مِن هُناكَ وذَرَّى غُبارَها في وادي قِدْرون. ١٣ونَزَعَ المَلِكُ حُرمَةَ المَشارِفِ الَّتي تُجاهَ أُورَشَليمَ إِلى جَنوبِ جَبَلِ الخَرابِ[٣١] والَّتي بَناها سُلَيمانُ، مَلِكُ إِسْرائيل، لِعَشْتاروت، قَبيحَةِ الصَّيدونِيِّين، ولِكَموش، قَبيحَةِ الموآبِيِّين، ولِمِلْكوم، قَبيحَةِ بَني عَمُّون. ١٤وحَطَّمَ الأَنْصابَ، وقَطَّعَ الأَوتادَ المُقَدَّسَة[٣٢]، ومَلأَ أَماكِنَها مِن عِظامِ النَّاس[٣٣].

(٢٨) هي معابد ثانوية للرب، كانوا يمارسون فيها عبادة تداخلها عناصر وثنية.
(٢٩) كان اكليرس أورشليم يضعهم في مرتبة دون مرتبته.
(٣٠) جهنّم.
(٣١) يرجّح أنه جبل الزيتون.
(٣٢) كان هناك اذاً عبادات وثنية.
(٣٣) من أجل التدنيس.

[١٥]وقَوَّضَ المَذبَحَ الَّذي في بَيتَ إِيلَ[٣٤] في المَشرَف، والَّذي أَقامَه يارُبْعامُ بنُ نَباطَ الَّذي جَعَلَ إِسْرائيلَ يَخطَأ، ودَمَّرَ المَذبَحَ والمَشرَفَ جَميعاً، وأَحرَقَ المَشرَفَ وحَطَّمَه رَماداً وأَحرَقَ الوَتَدَ المُقَدَّس. [١٩]وأَزالَ يوشِيَّا جَميعَ بُيوتِ المشارِفِ الَّتي في مُدُنِ السَّامِرَةِ والَّتي بَناها مُلوكُ إِسْرائيلَ لِإِسْخاطِ الرَّبّ، وصَنَعَ بِها مِثلَما صَنَعَ في بَيتَ إِيل. [٢٠]وذَبَحَ جَميعَ كَهَنَةِ المَشارِفِ الَّتي هُناكَ على المَذابِح، وأَحرَقَ عِظامَ النَّاسِ علَيها، ورَجَعَ إِلى أُورَشَليم.

٤. الاحتفال بالفصح

أُقيم عيد الفصح الكبير في هذه السنة بحسب ما ورد في تثنية الاشتراع. لكنّ الرجوع إلى الله كان غير كامل وموقّت: ولم يعدل الله عن قرار العقاب.

[٢١]وأَمَرَ المَلِكُ كُلَّ الشَّعْبِ وقال: «أَقيموا فِصْحاً لِلرَّبِّ إِلهِكم، على ما هو مَكْتوبٌ في سِفرِ العَهدِ هذا». [٢٢]ولَم يَكُنْ قد أُقيمَ فِصحٌ مِثلُ هذا مُنذُ أَيَّامِ القُضاةِ الَّذينَ قَضَوا في إِسْرائيل، ولا في جَميعِ أَيَّامِ مُلوكِ إِسْرائيلَ ومُلوكِ يَهوذا. [٢٣]ولم يُقَمْ مِثلُ هذا الفِصْحِ لِلرَّبِ في أُورَشَليمَ إِلاَّ في السَّنَةِ الثَّامِنَةَ عَشرَةَ لِلمَلِكِ يوشِيَّا.

[٢٦]ومع ذلك، لم يَنثَنِ الرَّبُّ عنِ ٱضطِرامِ غَضَبِه الشَّديدِ الَّذي غَضِبَه على يَهوذا، بِسَبَبِ كُلِّ ما أَسخَطَه بِه مَنَسَّى. [٢٧]وقالَ الرَّبّ: «أُبعِدُ يَهوذا أَيضاً مِن وَجهي، كما أَبعَدتُ إِسْرائيل، وأَنبُذُ هذه المَدينَةَ أُورَشَليمَ الَّتي ٱختَرتُها والبَيتَ الَّذي قُلتُ فيه: يَكونُ ٱسْمي فيه».

(٣٤) في مملكة الشمال السابقة اذاً، التي مدَّ يوشيا سلطته إليها.

٤. نهاية مملكة يهوذا

١. الجلاء الاول الى بابل

مال نجم أشور بسرعة ، وحلّت بابل محلّها . وفي أورشليم ، نشأ حزب مؤيد لمصر لمحاربة الدولة الكبرى . وبالرغم من خضوع الملك يوياقيم في ٦٠١، تمرّد في ٥٩٧، فوصل نبوكدنصّر ملك بابل ، واستولى على المدينة ونظّم جلاءً أوّلاً .

٢٤ [٨]وكانَ يوياكينُ ٱبنَ ثَماني عَشرَةَ سَنَةً حينَ مَلَك ، ومَلَكَ ثَلاثَةَ أَشهُرٍ في أُورَشَليم . وٱسمُ أُمِّه نَحُشْتا ، بِنتُ أَلْناتان ، مِن أُورَشَليم . [٩]وصَنَعَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ ، على حَسَبِ كُلِّ ما صَنَعَ أَبوه .

[١٠]وفي ذلكَ الزَّمان صَعِدَ ضُبَّاطُ نَبوكَدْنَصَّر ، مَلِكِ بابِل ، إِلى أُورَشَليم ، ودَخلَتِ المَدينَةُ تَحتَ الحِصار . [١١]ووَصَلَ نَبوكَدْنَصَّر ، مَلِكُ بابِل ، إِلى المَدينَةِ فيما كانَ ضُبَّاطُه يُحاصِرونَها . [١٢]فخَرَجَ يوياكينُ، مَلِكُ يَهوذا ، إِلى مَلِكِ بابِل ، هو وأُمُّه وضُبَّاطُه وأَشْرافُه وخِصْيانُه . فأَخَذَه مَلِكُ بابِلَ في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِن مُلكِه .

[١٣]وأَخرَجَ مِن هُناكَ جَميعَ كُنوزِ بَيتِ الرَّبِّ وكُنوزِ بَيتِ المَلِك ، وحَطَّمَ جَميعَ آنِيَةِ الذَّهَبِ الَّتي عَمِلَها سُلَيمان ، مَلِكُ إِسْرائيل ، لِهَيكَلِ الرَّبّ ، كما قالَ الرَّبّ . [١٤]وجلا كُلَّ أُورَشَليمَ وجَميعَ الضُّبَّاطِ ورِجالِ الحَرب ، أي عَشَرَةَ آلافِ مَجلُوّ ، وجَلا أَيضاً جَميعَ الحَدَّادينَ والقَفَّالين ، ولَم يَبقَ إِلاَّ فُقَراءُ شَعبِ تِلكَ الأَرْض . [١٥]وجلا يوياكينَ المَلِكَ إِلى بابِل(٣٥) وأُمَّ المَلِكِ وأَزْواجَه وخِصْيانَه وكُلَّ عُظَماءِ تِلكَ الأَرْض ، أَخَذَهم

(٣٥) اذا تمرّدت أورشليم وتحمّلت في ٥٨٦ حصاراً دام ١٨ شهراً ، فذلك أن الجلاء الاول في ٥٩٧ لم يتجاوز الحد.

مِن أُورَشَليمَ إِلى بابِل، [١٦]وجَلا جَميعَ رِجالِ الحَربِ وهُم سَبعَةُ آلاف، والحَدَّادينَ والقَفَّالينَ وهم أَلفٌ، جَميعُهم أَبْطالٌ رِجالُ حَرْب، وأَخَذَهم مَلِكُ بابِلَ مَجلُوِّينَ إِلى بابِل.

[١٧]وأَقامَ مَلِكُ بابِلَ متَّنْيَه، عَمَّ يوياكين، مَلِكاً مَكانَه، وغَيَّرَ آسمَه إِلى صِدقِيَّا.

٢. خراب أورشليم

جرى تمرُّدٌ ثانٍ حمل الملك البابلي على العودة، مع العزم على التخلّص من المدينة. فنُهبت بعد ثمانية عشر شهراً وأُحرق الهيكل والبيوت وخُرقت الاسوار.

[١٨]وكانَ صِدقِيَّا آبنَ إِحْدى وعِشْرينَ سَنَةً حينَ مَلَك، ومَلَكَ إِحْدى عَشرَةَ سَنَةً في أُورَشَليم، وآسمُ أُمِّه حَموطال، بِنتُ إِرْمِيا، مِن لِبنَة. [١٩]وصَنَعَ الشَّرَّ في عَينَيِ الرَّبّ، بِحَسَبِ كُلِّ ما صَنَعَ يوياقيم. [٢٠]وكانَ ذلكَ بِسَبَبِ غَضَبِ الرَّبِّ على أُورَشَليمَ وعلى يَهوذا، حتَّى نَبَذَهم مِن وَجهِه. وتَمَرَّدَ صِدقِيَّا على مَلِكِ بابِل.

٢٥ [١]وفي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ مِن مُلكِه، في اليَومِ العاشِرِ مِنَ الشَّهرِ العاشِر، زَحَفَ نَبوكَدنَصَّر، مَلِكُ بابِل، هو وجَميعُ جُيوشِه على أُورَشَليم، وعَسْكَرَ عِندَها وبَنى حَولَها تَحْصينات. [٢]فصارَتِ المَدينَةُ تَحتَ الحِصارِ إِلى السَّنَةِ الحادِيَةَ عَشرَةَ لِلمَلِكِ صِدقِيَّا. [٣]وفي اليَومِ التَّاسِعِ مِنَ الشَّهرِ الرَّابع، اِشتَدَّ الجوعُ في المَدينَة، ولم يَبقَ خُبزٌ لِشَعبِ تِلكَ الأَرْض. [٤]فثَغَروا المَدينَة، وكانَ جَميعُ رِجالِ الحَربِ لَيلاً في طَريقِ البابِ الَّذي بَينَ السُّورَينِ، بِالقُربِ مِن بُستانِ المَلِك، بَينما كانَ الكَلْدانِيُّونَ يُحيطونَ

بِالمَدينة. وفي أَثْناءِ ذلك، ذَهَبَ المَلِكُ في طَريقِ العَرَبَة(٣٦). ٥فجَرَى جيشُ الكَلْدانِيِّينَ في إِثرِه، فأَدرَكوه في بَرِّيَّةِ أَريحا، وقد تَفرَّقَ عنه كُلُّ جَيشِه. ٦فقَبَضوا علَيه وأَصعَدوه إِلى مَلِكِ بابِلَ في رِبلَة، وتَلَوا علَيه الحُكْم. ٧وذَبَحوا بَني صِدقِيَّا أَمامَ عَينَيه. ثُمَّ فَقَأَ مَلِكُ بابِلَ عَينَي صِدقِيَّا وأَوثَقَه بِسِلسِلَتَينِ مِن نُحاس، وجاؤُوا بِه إِلى بابِل.

٣. الجلاء الثاني

ذهب إلى بابل نخبة السكّان والحِرَفيّون من أهل أورشليم والناحية المجاورة، ولم يبقَ هناك سوى الذين لا نفوذ لهم، أي الكرّامين والفلاّحين.

٨وفي الشَّهرِ الخامِس، في اليَومِ السَّابِعِ مِنَ الشَّهْر، في السَّنَةِ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ لِلمَلِكِ نَبوكَدنَصَّر، مَلِكِ بابِل، قَدِمَ نبوزرادان، رَئيسُ الحَرَس، ضابِطُ مَلِكِ بابِل، إِلى أُورَشَليم. ٩فأَحرَقَ بَيتَ الرَّبِّ وبَيتَ المَلِكِ وجَميعَ بُيوتِ أُورَشَليم، وأَحرَقَ بِالنَّارِ كُلَّ بَيتٍ لِلعُظَماء. ١٠وهَدَمَ كُلُّ جَيشِ الكَلْدانِيِّينَ الَّذينَ مع رَئيسِ الحَرَسِ أَسْوارَ أُورَشَليمَ مِمَّا حَولَها(٣٧). ١١وجَلا نَبوزَرادان، رَئيسُ الحَرَس، سائِرَ الشَّعبِ الَّذي بَقِيَ في المَدينَة، والهارِبينَ الَّذينَ هَرَبوا إِلى مَلِكِ بابِل وسائِرَ الجُمْهور. ١٢وتَرَكَ رَئيسُ الحَرَسِ، مِن فُقَراءِ الأَرضِ، الكَرَّامينَ والفَلاَّحين.

١٣وحَطَّمَ الكَلْدانِيُّونَ أَعمِدَةَ النُّحاسِ(٣٨) الَّتي في بَيتِ الرَّبِّ والقَواعِدَ وبَحرَ النُّحاسِ(٣٩) الَّذي في بَيتِ الرَّبّ، وحَمَلوا نُحاسَها إِلى

(٣٦) وادي الاردن.
(٣٧) فتح الجيش فيها ثُغَراً واسعة.
(٣٨) الاعمدة التي كانت منتصبة أمام دهليز الهيكل.
(٣٩) أعمدة الحوض المائي الكبير، المُعدّ لاطّهار الكهنة واللاويين.

بابِل. [١٤]وأَخذوا القُدورَ والمجارِفَ والمَقاريضَ والقِصاعَ وجَميعَ أَدَواتِ النُّحاسِ الَّتي كانوا يَخدِمونَ بِها. [١٥]وأَخَذَ رَئيسُ الحَرَسِ المجامِرَ والصِّحاف، ما كانَ مِنها ذَهَباً فالذَّهَب، وما كانَ مِنها فِضَّةً فالفِضَّة. [١٦]وأَمَّا العَمودانِ والبَحرُ والقَواعِدُ الَّتي صَنَعَها سُلَيمانُ لِبَيتِ الرَّبّ، فلَم يَكُنْ لِنُحاسِ هذه الأَواني مِن وَزْنٍ يُقَدَّر.

[١٨]وأَخَذَ رَئيسُ الحَرَسِ سَرايه، الكاهِنَ الأَوَّل، وصَفَنْيا، الكاهِنَ الثَّاني، وحُرَّاسَ الأَعْتابِ الثَّلاثَة. [١٩]وأَخَذَ مِنَ المَدينَةِ خَصِيًّا واحِداً، وهو الَّذي كان مُوَلًّى على رِجالِ الحَرْب، وخَمسَةَ رِجالٍ مِمَّن يُشاهِدونَ وَجهَ المَلِك، والَّذينَ وُجِدوا في المَدينَة، وكاتِبَ قائِدِ الجَيشِ الَّذي كانَ يُجَنِّدُ شَعبَ تِلكَ الأَرْض، وسِتِّينَ رَجُلاً مِن شَعْبِ تِلكَ الأَرضِ، الَّذينَ وُجِدوا في المَدينَة. [٢٠]أَخَذَهم نَبوزرادان، رَئيسُ الحَرَس، وساقَهم إِلى مَلِكِ بابِلَ في رِبلَة. [٢١]فضَرَبَهم مَلِكُ بابِل وقَتَلَهم في رِبلَة، في أَرضِ حَماة. وجُلِيَ يَهوذا مِن أَرضِه.

٤. مقتل الحاكم جَدَلْيا

أقام البابليون حاكماً في أرض يهوذا، فقتله بعض المقاومين، فهاجر الى مصر كثير من الباقين خوفاً من القَمْع. ستنتهي هذه القصة المأسوية بجلاء أخير. ويمكننا أن نقول ان عالماً قد اختفى.

[٢٢]وأَمَّا ما بَقِيَ مِنَ الشَّعبِ في أَرضِ يَهوذا، مِمَّن أَبْقاهم نَبوكَدْنَصَّر، مَلِكُ بابِل، فوَلَّى علَيهم جَدَلْيا بنَ أَحيقامَ بنِ شافان. [٢٣]فلَمَّا سَمِعَ جَميعُ رُؤَساءِ الجُيوشِ، هم ورِجالُهم، أَنَّ مَلِكَ بابِلَ قد وَلَّى جَدَلْيا، أَتَوا إِلى جَدَلْيا في المِصْفاة، وهم إِسْماعيلُ بنُ نَتَنْيَه ويوحانانُ بنُ قاريح وسَرايا بنُ

تَنْحومَتَ النَّطوفِيّ ويازَنْيا بنُ المَعكِيّ، هم ورِجالُهم. [٢٤] فحَلَفَ جَدَلْيا لَهم ولِرِجالِهم وقالَ لَهم: «لا تَخافوا مِن عُبودِيَّةِ الكَلْدانِيِّين. أُسكُنوا في هذه الأَرضِ وآخدُموا مَلِكَ بابِل، فيَكونَ لَكم خَيرٌ».

[٢٥] وفي الشَّهرِ السَّابِع، جاءَ إِسْماعيلُ بنُ نَتَنْيَه بنِ أَليشاماع، مِنَ النَّسلِ المَلَكِيّ، وعَشرَةُ رِجالٍ معَه وضَرَبوا جَدَلْيا فمات، وضَرَبوا اليَهودَ والكَلْدانِيِّينَ الَّذينَ معَه في المِصْفاة. [٢٦] فقامَ كُلُّ الشَّعبِ مِنَ الصَّغيرِ إِلى الكَبيرِ، وقُوَّادُ الجُيوش، وذَهَبوا إِلى مِصْرَ لِأَنَّهم خافوا مِن وَجهِ الكَلْدانِيِّين.

قراءة لبني جيلنا

بما أن المقصود هنا هو **تاريخ ديني المعنى**، فعليه يجب أن نركّز تفكيرنا. ليس هناك تاريخان، الواحد ديني والآخر غير ديني، بل هناك عمل إلهي يتمّ من خلال تاريخ. لكنّ للتاريخ الكتابي وجهاً خاصاً، فإن الله من خلاله يظهر ظهوراً أفضل. ان تاريخ بلاد ما بين النهرين ومصر وكنعان هو جزء من التدبير الإلهي، لكن الخلاص الذي يمنحه للإنسان هو أوضح بكثير في تاريخ اسرائيل.

ان تاريخ خلاص الانسان لا يزال الى اليوم يواصل سيره، لان الله لم يُنجز عمله. لكننا لا ندرك عمل الله إلاَّ على حقبات زمنية واسعة.

فكم بالاحرى، ان كان المقصود تاريخنا الشخصي. ان الله يعمل فيه، ولكن على وجه كثيراً ما يكون غير منظور. **حياتنا لا تنقسم** الى تاريخ دنيوي (مشاغلنا المادية) وتاريخ ديني (نشاطنا المسيحي)، بل هي واحدة كشخصنا. ومن خلال مشاغلنا المادية يأتي إلينا ملكوت الله على وجه أفضل.

وأخيراً، فإن تاريخ العالم الحالي، ان نظرنا إليه من هذه الناحية، هو تاريخ سير شعب الله.

سِفرا الأخبار الأوّل والثّاني

يشكّل هذان السفران عرضاً خاصاً لتاريخ الشعب الإسرائيلي، من نشأته إلى الجلاء. وسيُستكمَل في سِفرَي نحميا وعزرا اللذين سيحلاّن محلّه، مُهملَين حقبة الجلاء.

كاتب هذين السفرَين لاويّ وضعهما في القرن الثالث. استخدم أسفار التاريخ والانبياء التي كُتبت قبله، واستخدم أيضاً مصادر غير كتابية، ومراده أن يبيّن لليهود دعوتهم كشعب الله. يشدّد على شخصية داود الذي حقّق على عهده جماعة كان الله رئيسها الحقيقي. والمؤسّسة الكبرى القادرة على توجيه هذه الجماعة هي الكهنوت اللاوي.

مدخل الى سِفْري نَحَمْيا وعَزْرا

ان سفرَي نحميا وعزرا هما التابع الطبيعي لسفرَي الاخبار، وهما يرويان أولاً أحداث العودة من الجلاء، التي نستخلصها من سفرَي النبيَّين حجّاي وزكريا. ثم انهما يُطلعاننا على المهمَّتَين اللتَين قام بهما نحميا (٤٤٥ و ٤٢٥) وعزرا (٣٩٨). لكن الكاتب خلط أحياناً بين نشاط هذَين الشخصَين: ففي سِفر نحميا يرد ذكر قراءة الشريعة على لسان عزرا والرتبة التكفيرية التي نتجت عنها.

أمَّا كاتبهما فهو كاتب سفرَي الاخبار. فقد عاش اذاً في القرن الثالث. وفكره اللاهوتي هو واحد كذلك، وهو ان الشعب المختار مدعو الى تكوين جماعة يحكمها حكم إلهي ويكوّن أعضاؤها قدّيسين وتشرف على نشاطها الهيئة الكهنوتية بأسرها.

ملاحظة: يعتقد بعض المفسّرين بأن سفر عزرا يروي في مجمله أحداثاً جرت بعد التي وردت في سفر نحميا. وهذا هو السبب الذي حملنا على عكس الترتيب الكتابي التقليدي.

سِفرُ نَحَمْيا

١. مهمّة نحميا الاولى (٤٤٥)

١. تصل نحميا أخبار عن اورشليم

نحميا يهودي وُلد في المنفى. وكان في سوس يقوم بوظيفة ساقي الملك. وقد مضى نحو قرن على عودة القوافل الاولى الى فلسطين. كان نحميا رجلاً رصين التقوى بعيد التفكير في العمل. عزم على الذهاب إلى أورشليم، على اثر تلقّيه أخباراً مقلقة نقلها إليه أخوه وتدلّ على انحطاط في الحياة الدينية.

١ [١] كلامُ نَحَمْيا بنِ حَكَلْيا: في شَهرِ كِسْلو[(١)]، في السَّنَةِ العِشْرين[(٢)]، إذ كُنتُ في قَلعَةِ شوشَن، [٢] قَدِمَ حَناني، أَحَدُ إخوَتي، هو ورِجالٌ مِن يَهوذا، فآستَخبَرتُهم عنِ اليَهودِ الَّذينَ نَجَوا، مِمَّن بَقِيَ مِنَ الجَلاء، وعن أُورَشَليم. [٣] فقالوا لي: «إِنَّ البَقِيَّةَ الَّتي بَقِيَت مِنَ الجَلاءِ هُناكَ في البِلاد هي في شَقاءٍ شَديدٍ وعار، وإِنَّ سورَ أُورَشَليمَ مُتَهَدِّمٌ وأَبْوابَها قد أُحرِقَت

(١) الشهر التاسع من السنة البابلية: تشرين الثاني (نوفمبر)/كانون الاول (ديسمبر).
(٢) السنة العشرون لأَرتحشَشتا (٤٦٥ – ٤٢٥)، واذاً في ٤٤٦.

بِالنَّار»[٣]. فلَمَّا سَمِعتُ هذا الكَلام، جَلَستُ أَبْكي وأَنوح أَيَّاماً، وصُمتُ وصَلَّيتُ أَمامَ إِلهِ السَّموات.

٥وقُلتُ: «أَيُّها الرَّبّ، إِلهُ السَّموات، الإِلهُ الجَبَّارُ العَظيمُ الرَّهيب، الحافِظُ العَهدَ والرَّحمَةَ لِمُحِبِّيه وحافِظي وصاياه، ٦لِتَكُنْ أُذُناكَ مُصغِيَتَينِ وعَيناكَ ناظِرَتَينِ لِتَسمَعَ صَلاةَ عَبدِكَ الَّتي أُصَلِّيها اليَومَ أَمامَكَ نَهاراً ولَيلاً عن بَني إِسْرائيلَ عَبيدِكَ، مُعتَرِفاً بِخَطايا بَني إِسْرائيلَ الَّتي خَطِئْنا بِها إِلَيكَ فإِنِّي أَنا وبَيتُ أَبي قد خَطِئْنا. ٧لقَد أَسَأْنا إِساءَةً إِلَيكَ، ولم نَحفَظْ وَصاياكَ وفَرائِضَكَ وأَحكامَكَ الَّتي أَمَرتَ بِها موسى عَبدَكَ. ٨أُذكُرِ الكَلامَ الَّذي أَمَرتَ بِه موسى عَبدَكَ قائِلاً[٤]: إِن خالَفتُم فإِنِّي أُشَتِّتُكم بَينَ الشُّعوب، ٩وإِن رَجَعتُم إِلَيَّ وحَفِظتُم وَصايايَ وعَمِلتُم بِها، ولَو كانَ مَنفِيُّوكم[٥] في أَقْصى السَّماء، فإِنِّي أَجمَعُهم مِن هُناكَ وأَرُدُّهم إِلى المَكانِ الَّذي آختَرتُه لِأُقيمَ آسْمي فيه. ١٠فهؤُلاءِ عَبيدُكَ وشَعبُكَ الَّذينَ آفتَدَيتَهم بِقُدرَتِكَ العَظيمةِ ويَدِكَ العَزيزة. ١١يا رَبّ، فلتَكُنْ أُذُناكَ مُصغِيَتَينِ إِلى صَلاةِ عَبدِكَ وصَلَواتِ عَبيدِكَ الَّذينَ يَهوَونَ مَخافَةَ آسمِكَ، ووَفِّقْ عَبدَكَ اليَومَ وهَبْ لَه رَحمَةً في عَينِ هذا الرَّجُل». وكُنتُ إِذ ذاكَ ساقِيَ المَلِك.

(٣) لم يتغيّر شيء منذ ٥٨٦.

(٤) الصلاة مستوحاة من سِفر تثنية الاشتراع.

(٥) تث ٣٠/٢-٣.

٢. حصل نحميا من الملك على مهمة رسمية في أورشليم

كان يحتاج الى ترخيص من الملك، ليحقّق مشروعه، فحصل عليه. وسيبقى الملك اثنتي عشرة سنة من دون أن يرى ساقيه.

٢ [١]وفي شَهرِ نيسان[٦]، في السَّنَةِ العِشْرينَ لِأَرتَحْشَشْتا المَلِك[٧]، كانَ أَمامَه خَمْر، فأَخَذتُ الخَمرَ وناوَلتُ المَلِك، ولم أَكُن قَليلَ الحُظوَةِ لَدَيه. [٢]فقالَ لِيَ المَلِك: «ما بالُ وَجهِكَ مُكتَئِباً، وأَنتَ لَستَ بِمَريض؟ ما هذا إِلاَّ كآبَةُ قَلْب». فخِفتُ خَوفاً شَديداً [٣]وقُلتُ لِلمَلِك: «يَحْيا المَلِكُ لِلأَبَد. كَيفَ لا يَكونُ وَجْهي مُكتَئِباً، والمَدينَةُ، مَكانُ مَقابِرِ آبائي، قد خَرِبَت وأَبوابُها قد أُحرِقَت بِالنَّار؟». [٤]قالَ المَلِك: «فما بُغيَتُكَ؟». فصَلَّيتُ إِلى إِلهِ السَّماء، [٥]ثُمَّ قُلتُ لِلمَلِك: «إِذا حَسُنَ لَدى المَلِكِ وكانَ لِعَبْدِكَ حُظْوَةٌ أَمامَكَ، تُرسِلُني إِلى يَهوذا، إِلى مَدينَةِ مَقابِرِ آبائي، لِأُعيدَ بِناءَها». [٦]فقالَ لِيَ المَلِك، والمَلِكَةُ جالِسَةٌ إِلى جانِبِه: «إِلى مَتى يَكونُ سَفَرُكَ ومَتى تَعود؟»[٨]. وحَسُنَ لَدى المَلِكِ أَن يُرسِلَني، فضَرَبتُ لَه مَوعِداً. [٧]وقُلتُ لِلمَلِك: «إِن حَسُنَ لَدى المَلِك، فلْتُعْطَ لي رَسائِلُ إِلى الوُلاةِ في عِبرِ النَّهر، لِيَدَعوني أَجتازُ حتَّى أَصِلَ إِلى يَهوذا، [٨]ورِسالَةٌ إِلى آساف، حارِسِ غابِ المَلِك، لِيُعطِيَني خَشَباً لِعَوارِضِ أَبوابِ قَلعَةِ البَيتِ وأَسْوارِ المَدينَةِ والبَيتِ الَّذي سأُقيمُ فيه». فأَعْطاني المَلِك، لِأَنَّ يَدَ إِلهي الصَّالِحَةِ كانَت علَيَّ.

(٦) الشهر البابلي الاول آذار (مارس)/نيسان (ابريل).
(٧) في ٤٤٥ اذاً.
(٨) الملك حريص على عودة ساقيه بسرعة.

[٩]فذَهَبتُ إِلى الوُلاةِ في عِبرِ النَّهر، وسَلَّمتُ إِلَيهم رَسائِلَ المَلِك. وكانَ المَلِكُ قد أَرسَلَ معي ضُبَّاطاً مِنَ الجَيشِ وفُرْساناً. [١٠]فلَمَّا سَمِعَ سَنبَلَّطُ الحورونِيُّ وطوبِيَّا المُوَظَّفُ العَمُّونِيّ(٩)، اِستاءا آستِياءً شَديداً مِن أَنَّ رَجُلاً جاءَ يَبتَغي لِبَني إِسْرائيلَ خَيراً.

٣. نحميا يتفقّد أسوار أورشليم

لمَّا وصل نحميا إلى أورشليم، تفقّد المدينة ليلاً ليُخفي أمره. وكانت الثغر العديدة في الاسوار تضع مواطنيه تحت رحمة أعدائهم. فلكي تزدهر حياتهم الدينية في كلّ أمان، فلا بدّ من إعادة بناء الاسوار.

[١١]فوَصَلتُ إِلى أُورَشَليم، ومَكَثتُ هُناكَ ثَلاثَةَ أَيَّام. [١٢]ثُمَّ قُمتُ لَيلاً ومَعي نَفَرٌ قليل، ولَم أُكاشِفْ أَحَداً بِما أَلْقى إِلهي في قَلْبي أَن أَفعَلَه في أُورَشَليم. ولم تَكُنْ معي دابَّةٌ إِلاَّ الدَّابَّةُ الَّتي كُنتُ راكِبَها. [١٣]وخَرَجتُ لَيلاً مِن بابِ الوادي، نَحوَ عَينِ التِّنِّينِ وبابِ الزِّبْل(١٠)، وجَعَلتُ أَتَفَقَّدُ أَسوارَ أُورَشَليمَ المُتَهَدِّمةَ وأَبوابَها المُحتَرِقَةَ بِالنَّار. [١٤]ثُمَّ عَبَرتُ إِلى بابِ العَينِ وإِلى بِركَةِ المَلِك(١١)، فلَم يَكُنْ لِلدَّابَةِ الَّتي تَحْتي مَكانٌ تَجوزُ علَيه. [١٥]ثُمَّ صَعِدتُ مِن طَريقِ الوادي(١٢) لَيلاً وأَنا أَتَفَقَّدُ السُّور، وعُدتُ ودَخَلتُ مِن بابِ الوادي(١٣) ورَجَعتُ. [١٦]ولم يَعلَمِ الحُكَّامُ إِلى أَينَ ذَهَبتُ ولا ما أَنا فاعِل، ولا كُنتُ قد أَعلَمتُ اليَهودَ والكَهَنَةَ والأَشْرافَ والحُكَّامَ وسائِرَ

(٩) كان سنبلّط حاكم السامرة، ومن الراجح أن طوبيا كان أحد مستخدميه.
(١٠) في غرب المدينة وفي جنوبها الغربي.
(١١) في جنوب المدينة الشرقي.
(١٢) وادي قِدرون.
(١٣) في شمال المدينة الغربي.

المَسْؤولين. [١٧]فقلتُ لَهم: «إنَّكم تَرونَ ما نَحنُ فيه مِنَ الشَّقاء، كَيفَ خَرِبَت أُورَشَليمُ وآحتَرَقَت أَبْوابُها بِالنَّار، فهَلُمُّوا لِنَبنِيَ سورَ أُورَشَليم ولا نَكونَ عاراً بَعدَ اليَوم». [١٨]وأَعلَمتُهم أَنَّ يَدَ إِلهِي الصَّالِحَةَ علَيَّ ونَقَلتُ لَهم أَيضاً كَلامَ المَلِكِ الَّذي كَلَّمَني بِه. فقالوا: «لِنَنْهَضْ ونَبْنِ»، وشَدَّدوا أَيدِيَهم لِلخَير.

٤. الإقدام على إعادة بناء الاسوار

جمع نحميا الاعيان وكشف لهم اتّساع سلطاته. فبوشر العمل وسادت الاشغال بسرعة.

٣ [١]فقامَ أَلْياشيبُ عَظيمُ الكَهَنَةِ مع إِخوَتِه الكَهَنَة، وبَنَوا بابَ الغَنَم، وهم قَدَّسوه وأَقاموا مِصْراعَيه، وقَدَّسوه إِلى بُرجِ المِئَة، بُرج حَنَنْئيل. [٦]والبابُ العَتيقُ رَمَّمَه يوياداعُ بنُ فاسيحَ ومَشُلاَّمُ بنُ بَسودَيا، وهُما سَقَّفاه ورَكَّبا مِصْراعَيه وأَقفالَه ومَغاليقَه. [٣٨]فبَنَينا السُّورُ، وآتَّصَلَ السُّورُ كُلُّه إِلى نِصفِ عُلُوِّه، وكانَ لِلشَّعبِ عَزيمَةٌ في العَمَل.

٤ [١]ولَمَّا سَمِعَ سَنبَلَّطُ وطوبِيَّا والعَرَبُ والعَمُّونِيُّونَ والأَشْدودِيُّونَ بِأَنَّ أَسْوارَ أُورَشَليمَ قد تَقَدَّمَ تَرْميمُها وأَنْ قد أُخِذَ في سَدِّ الثُّلَم، غَضِبوا غَضَباً شَديداً، [٢]وتآمَروا كُلُّهم معاً على أَن يَأتوا ويُحارِبوا أُورَشَليمَ ويُنزِلوا بِها شَرًّا.

[٣]فصَلَّينا إِلى إِلهِنا وأَقَمْنا إِزاءَهم حُرَّاساً نَهاراً ولَيلاً حَذَراً مِنهم. [٤]وقالَ بَنو يَهوذا: «إِنَّ قُوَّةَ الحَمَّالينَ قد ضَعُفَت، والأَنقاضَ كَثيرَة، ولَيسَ في طاقَتِنا أَن نَبنِيَ السُّور». [٥]وقالَ أَعْداؤُنا: «لا يَعلَموا ولا يُبصِروا إِلاَّ

وقَد أَصبَحْنا في وَسْطِهم، فنَقتُلُهم ونُعَطِّلُ العَمَل». [٦]فجاءَ اليَهودُ المُقيمونَ بِجِوارِهم وأَنْذَرونا عَشرَ مَرَّاتٍ مِن جَميعِ الأَماكِنِ الَّتي هم فيها بِأَن نَعودَ مِن أُورَشَليمَ إِلَيهم. [٧]فأَقَمتُ الشَّعبَ في أَسفَلِ المَكانِ وَراءَ السُّورِ وعلى الأَماكِنِ المَكْشوفَة، أَقَمتُه على حَسَبِ عَشائِرِه، بِسُيوفِهم ورِماحِهم وقِسِيِّهم. [٨]ونَظَرتُ ونَهَضتُ وقُلتُ لِلأَشْرافِ والحُكَّامِ ولِسائِرِ الشَّعْب: «لا تَخافوهم، بلِ آذكُروا الرَّبَّ العَظيمَ الرَّهيب، وقاتِلوا عن إِخْوانِكم وبَنيكم وبَناتِكم ونِسائِكم وبُيوتِكم». [٩]ولَمَّا سَمِعَ أَعداؤُنا بِأَنَّنا قد أُعلِمْنا وأَنَّ اللهَ أَبطَلَ مَشورَتَهم، رَجَعْنا كُلُّنا إِلى السُّور، كُلُّ واحِدٍ إِلى عَمَلِه.

[١٠]ومِن ذٰلكَ اليَوم، كانَ النِّصفُ مِن رِجالي يَعمَلونَ العَمَل، والنِّصفُ الآخَرُ مُتَسَلِّحاً بالرِّماحِ والتُّروسِ والقِسِيِّ والدُّروع، وكانَ الرُّؤَساءُ وَراءَ كُلِّ بَيتِ يَهوذا [١١]الَّذي كانَ يَبْني السُّور. وكانَ حامِلو الأَثْقالِ يَحمِلونَ عامِلينَ بِاليَدِ الواحِدَة، وقد أَمسَكوا الحِرابَ بِاليَدِ الأُخْرى. [١٢]وكانَ كُلُّ واحِدٍ مِنَ البَنَّائينَ يَبْني، وهو مُتَقَلِّدٌ سَيفَه على حَقَوَيه، وكانَ النَّافِخُ في البوقِ معي. [١٣]فقُلتُ لِلأَشْرافِ والحُكَّامِ ولِسائِرِ الشَّعْب: «إِنَّ العَمَلَ عَظيمٌ مُتَّسِع، ونَحنُ مُتَفَرِّقونَ على السُّور، بَعيدونَ بَعضُنا عن بَعْض. [١٤]فالمَكانُ الذي تَسمَعونَ مِنه صَوتَ البوق، هُناكَ تَجتَمِعونَ إِلَينا. إِلٰهُنا يُقاتِلُ عَنَّا». [١٥]فكُنَّا نَعمَلُ العَمَل، وكانَ النِّصفُ يَحمِلُ الرِّماحَ مِن طُلوعِ الفَجرِ إِلى ظُهورِ النُّجوم. [١٦]وفي ذٰلكَ الوَقتِ، قُلتُ لِلشَّعبِ أَيضاً: «لِيَبِتْ كُلُّ واحِدٍ مع خادِمِه في وَسَطِ أُورَشَليم، لِيَكونوا لَنا في اللَّيلِ حَرَساً وفي النَّهارِ عُمَّالاً». [١٧]ولم أَكُن أَنا ولا

إِخْواني ولا رِجالي ولا الحَرَسُ الَّذينَ يَسيرونَ وَرائي نَنزِعُ ثِيابَنا واحِداً فواحِداً إِلاَّ لِلاَغتِسال .

٥. إنجاز الاسوار بالرغم من العقبات

٦ [١]ولَمَّا سَمِعَ سَنبَلَّطُ وطوبِيَّا وجاشَمُ العَرَبِيُّ وسائِرُ أَعْدائِنا بِأَنِّي قد أَعَدتُ بِناءَ السُّور ، ولم تَبْقَ فيه ثُلمَة ، مع أَنِّي لم أَكُنْ وَقتَئِذٍ قد رَكَّبتُ المَصاريعَ في الأَبْواب ، [٢]أَرسَلَ إِلَيَّ سَنبَلَّطُ وجاشَمُ يَقولان : «هَلُمَّ نَتَلاقَى مَعاً في كَفيرين ، في سَهلِ أُونو» ، وقَد أَضمَرا لِيَ السُّوء . [٣]فوَجَّهتُ إِلَيهما رُسُلاً وقُلتُ لَهما : «إِنِّي قائِمٌ بِعَمَلٍ كَبير ، فلا أَستَطيعُ النُّزول ، مَخافَةَ أَن يَتَعَطَّلَ العَمَلُ إِذا تَرَكتُه ونَزَلتُ إِلَيكما» . [٤]فأَرسَلا إِلَيَّ بِمِثْلِ ذلك أَربَعَ مَرَّات ، وأَجَبتُهم بِمِثلِ هذا . [٥]فَأَرسَلَ إِلَيَّ سَنبَلَّطُ بِمِثْلِ ذلك مَرَّةً خامِسَةً مع خادِمِه بِرِسالَةٍ مَفْتوحَةٍ في يَدِه ، [٦]مكْتوبٍ فيها : «قد سُمِعَ في الأُمَم ، وجاشَمُ يَقول ، إِنَّكَ أَنتَ واليَهودَ مُضمِرونَ التَّمَرُّد ، ولِذلك أَنتَ تَبْني السُّور ، لِتَكونَ مَلِكاً علَيها ، بِحَسَبِ ما رُوِيَ . [٧]بل قد أَقَمتَ أَنبِياءَ لِيُنادوا لَكَ في أُورَشَليمَ قائلين : «إِنَّ في يَهوذا مَلِكاً» . وهذا الكَلامُ سيُسمَعُ الآنَ عِندَ المَلِك ، فهَلُمَّ الآنَ لِنَتَشاوَرَ مَعاً» . [٨]فأَرسَلتُ إِلَيه قائِلاً : «لَيسَ الأَمرُ كما تَقول ، وإِنَّما هو كَلامٌ تَختَلِقُه أَنتَ من قَلبِكَ» . [٩]وكانوا جَميعاً يُخَوِّفونَنا قائلين : «إِنَّ أَيدِيَهم قد ضَعُفَت عنِ العَمَل ، فلَن يَتِمَّ» . فشَدِّدِ الآنَ يَدَيَّ .

[١٠]ثُمَّ دَخَلتُ بَيتَ شَمَعْيا بنِ دَلايا بنِ مَهيطَبْئيل ، وكانَ مَشْغولاً ، فقال : «لِنَجتَمِعْ في بَيتِ الله ، في داخِلِ الهَيكَل ، ونُغْلِقْ أَبْوابَ الهَيكَل ،

لِأَنَّهم آتونَ لِيَقتُلوكَ، إِنَّهم في اللَّيلِ يَأتونَ لِيَقتُلوكَ».

[١١] فقُلتُ: «أَرَجُلٌ مِثْلي يَهرُبُ ومِثْلي يَدخُلُ الهَيكَلَ فيَحيا؟ لا أَدخُل». [١٢] ثُمَّ تَحَقَّقتُ فإِذا إِنَّه لَيسَ اللهُ مُرسِلَه، بل إِنَّما هو نَطَقَ بِالنُّبُوَّةِ علَيَّ، لِأَنَّ طوبِيَّا وسَنبَلَّطَ قدِ آستأجَراه. [١٣] وإِنَّما آستُؤجِرَ لِكَي أَخافَ وأَفعَلَ هكذا وأَخطَأَ(١٤)، فيَكونَ ذلك لَدَيهما سُمعَةً قَبيحَةً لِيُعَيِّراني.

٧ [١] ولَمَّا بُنِيَ السُّور، ورَكَّبتُ المَصاريع، أُقيمَ البَوَّابونَ (والمُغَنُّونَ واللاَّوِيُّون). [٢] أَقَمتُ حَنانِيَ أَخي وحَنَنْيا، رَئيسَ القَلعَة، على أُورَشَليم، لِأَنَّه رَجُلٌ أَمينٌ وكانَ أَكثَرَ خَشيَةً للهِ مِن كَثيرين. [٣] وقُلتُ لَهما: «لا تُفتَحْ أَبوابُ أُورَشَليمَ إِلى أَن تَحْمى الشَّمْس، ولْتُغلَقِ الأَبوابُ وتُقفَلْ، والنَّاسُ واقِفون». وأَقَمتُ حُرَّاساً مِن سُكَّانِ أُورَشَليم، كُلَّ واحِدٍ في مَحرَسِه، وكُلَّ واحِدٍ قُبالَةَ بَيتِه.

٢. استطراد: عزرا يقرأ الشريعة

حين قدم عزرا إلى أورشليم في ٣٩٨، كان له هدف معيَّن، وهو حَمْل اليهود على حفظ شريعة موسى. فتمَّت قراءتها، ومن الراجح أنها كانت تُترجم على الفور إلى الآرامية، وهي اللغة الوحيدة التي يعرفها معظم خلف العائدين من الجلاء.

ولَمَّا كانَ الشَّهرُ السَّابع(١٥)، وبَنو إِسْرائيلَ في مُدُنِهم،

٨ [١] اِجتَمَعَ الشَّعبُ كُلُّه كرَجُلٍ واحِدٍ في السَّاحَةِ الَّتي أَمامَ بابِ

(١٤) خوفاً.

(١٥) شهر تشرين، تشرين الاول (اكتوبر) - تشرين الثاني (نوفمبر). هنا في منتصف تشرين الاول (اكتوبر). ٣٩٨.

المِياه(١٦) ، وتَكَلَّموا مع عَزْرا الكاتِبِ في إِحْضارِ سِفرِ شَرِيعَةِ موسى الَّتي أَمَرَ بِها الرَّبُّ إِسْرائيل. [٢]فأَحضَرَ عَزْرا الكاهِنُ الشَّريعَةَ أَمامَ الجَماعَةِ مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ وكُلِّ ذي فَهْم(١٧) ، لِيَسمَعَ في اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهرِ السَّابِع [٣]وقَرَأَ فيه في السَّاحَةِ الَّتي أَمامَ بابِ المِياه ، مِنَ الصُّبحِ إِلى نِصفِ النَّهار ، أَمامَ الرِّجالِ والنِّساءِ وكُلِّ ذي فَهم ، وآذانُ كُلِّ الشَّعبِ مُصغِيَةٌ إِلى سِفرِ الشَّريعة.

[٤]وقامَ عَزْرا الكاتِبُ على مِنبَرٍ مِن خَشَبٍ مَصْنوعٍ لِذلك ، وقامَ بِجانِبِه مَتِّثْيا وشامَعُ وعَنايا وأُورِيَّا وحِلقِيَّا ومَعَسْيا عن يَمينِه ، وفَدايا وميشائيلُ ومَلْكِيَّا وحَشومُ وحَشْبَدَّانَةُ وزَكَرِيَّا ومَشُلاَّمُ عن يَسارِه. [٥]وفَتَحَ عَزْرا السِّفرَ على عُيونِ كُلِّ الشَّعْب ، لِأَنَّه كانَ فَوقَ الشَّعبِ كُلِّه ، ولَمَّا فَتَحَه وَقَفَ الشَّعبُ كُلُّه. [٦]وبارَكَ عَزْرا الرَّبَّ الإِلهَ العَظيم ، فأَجابَ كُلُّ الشَّعْب : «آمين ، آمين» ، رافِعينَ أَيدِيَهم، وآرتَمَوا وسَجَدوا بِوُجوهِهم لِلرَّبِّ إِلى الأَرض.

[٩](ثُمَّ إِنَّ نَحَمْيا الَّذي هو التِّرْشاتا) وعَزْرا الكاهِنَ الكاتِبَ (واللاَّوِيِّينَ الَّذينَ كانوا يُعَلِّمونَ الشَّعْب) قالَ لِكُلِّ الشَّعْب : «هذا يَومٌ مُقَدَّسٌ لِلرَّبِّ إِلهِكم ، فلا تَنوحوا ولا تَبْكوا» ، وكانَ الشَّعبُ كُلُّه يَبْكي عِندَ سَماعِه كَلِماتِ الشَّريعَة. [١٠]وقالَ لَهم : «أُمْضوا كُلوا المُسَمَّنات ، وآشرَبوا الحُلْوَ، ووَزِّعوا حِصَصاً على الَّذينَ لم يُهَيَّأْ لَهم ، لِأَنَّه يَومٌ مُقَدَّسٌ لِرَبِّنا. فلا تَحزَنوا ، لِأَنَّ فَرَحَ الرَّبِّ حِصنُكم». [١١]وكانَ اللاَّوِيُّونَ يُسَكِّتونَ كُلَّ

(١٦) في شرق السور وفي جنوب الهيكل.
(١٧) لا شك ان المعنى «كل من كان في عمر الفَهْم».

الشَّعبِ قائلين: «اُسكُتوا، لِأَنَّه يَومٌ مُقَدَّس، ولا تَحزَنوا». [١٢]فٱنصَرَفَ كُلُّ الشَّعبِ لِيَأكُلَ ويَشرَبَ ويُوَزِّعَ حِصَصاً ويَفرَحَ فَرَحاً عَظيماً، لِأَنَّه فَهِمَ الكَلِماتِ الَّتي عَلَّموه إِيَّاها.

[١٣]وفي اليَومِ الثَّاني، اِجتَمَعَ رُؤَساءُ آباءِ كُلِّ الشَّعبِ والكَهَنَةُ واللاَّوِيُّونَ إِلى عَزْرا الكاتِب، لِيَتَفَهَّموا كَلِماتِ الشَّريعَة، [١٤]فوَجَدوا مَكْتوباً في الشَّريعَةِ الَّتي أَمَرَ الرَّبُّ بِها على لِسانِ موسى أَنْ لِيَسكُنْ بَنو إِسْرائيلَ الأَكْواخَ في عيدِ الشَّهرِ السَّابِع، [١٥]ولْيُسمِعوا ويُنادوا في جَميعِ مُدُنِهم وفي أُورَشَليمَ قائلين: «اُخرُجوا إِلى الجَبَل وَأتوا بِأَغْصانٍ مِنَ الزَّيتونِ والعُتمِ والآسِ والنَّخيلِ وأَغْصانِ أَشْجارٍ كَثيفةٍ لِصَنْعِ الأَكْواخ، كما هو مَكْتوب». [١٦]فخَرَجَ الشَّعبُ وأَتى بِالأَغْصانِ وصَنَعَ لَه أَكواخاً، كُلُّ واحِدٍ على سَطْحِه وفي دارِه وفي دورِ بَيتِ اللهِ وساحَةِ بابِ المِياهِ وساحَةِ بابِ أَفْرائيم. [١٧]وصَنَعَت كُلُّ الجَماعَةِ الَّتي عادَت مِنَ الجَلاءِ أَكواخاً وأَقامَت فيها. وكانَ مِن أَيَّامِ يَشوعَ بنِ نونٍ إِلى ذلك اليَومِ أَنَّ بَني إِسْرائيلَ لم يَعمَلوا مِثلَ ذلك، فكانَ فَرَحٌ عَظيمٌ جِدًّا.

[١٨]وكانوا يَقرَأُونَ في سِفرِ شَريعَةِ اللهِ كُلَّ يوم، مِنَ اليَومِ الأَوَّلِ إِلى اليَومِ الأَخير، وأَقاموا العيدَ سَبعَةَ أَيَّام، وفي اليَومِ الثامِنِ كانَ مَحفِلٌ على حَسَبِ ما رُسِم.

٣. مهمّة نحميا الثانية (٤٢٥)

١. عودة نحميا إلى أورشليم

بعد الانتهاء من الاستدراك، يعود المحرّر الى نحميا، فيذكر رجوعه الاول إلى سوس، ثم يتحدّث عن مهمته الثانية.

١٣ ٤وكانَ قَبلَ ذلك أَلْياشيبُ الكاهِنُ مُوَلًّى على غُرَفِ بَيتِ إِلهِنا، وكانَ ذا قَرابَةٍ لِطوبِيًّا. ٥فصَنَعَ لَه غُرفَةً كَبيرةً، حَيثُ كانَت مِن قَبلُ توضَعُ التَّقدِمَةُ والبَخورُ والآنِيَةُ وعُشورُ الحِنطَةِ والنَّبيذُ والزَّيت، ما كانَ مَفْروضاً لِلاَّوِيِّينَ والمُغَنِّينَ والبَوَّابين، وما كانَ يُقَدَّمُ لِلكَهَنَة(١٨). وفي هذه المُدَّةِ كُلِّها، لم أَكُنْ أَنا في أُورَشَليم، لِأَنِّي في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ والثَّلاثينَ لِأَرتَحشَشْتا(١٩)، مَلِكِ بابِل، ذَهَبتُ إِلى المَلِك.

٢. تصحيح الاخطاء المرتكبة الى قداسة الهيكل والكهنوت

سيقوم بعدة تصحيحات تهدف إلى إحياء فكرة القداسة التي هي قداسة شعب الله. فيجب ألاَّ يُستعمل الهيكل لاهداف دنيوية، ويجب أن ينصرف الكهنوت انصرافاً تاماً إلى مهامّه الطقسية.

وبَعدَ أَيَّامٍ آستَأْذَنتُ مِنَ المَلِك، ٧وعُدتُ إِلى أُورَشَليم، وعَلِمتُ بِالشَّرِّ الَّذي فَعَلَه أَلْياشيبُ لِصالِحِ طوبِيًّا، حَيثُ أَعَدَّ لَه غُرفَةً في دورِ بَيتِ الله. ٨فساءَني ذلك جِدًّا، وطَرَحتُ جَميعَ آنِيَةِ بَيتِ طوبِيًّا مِنَ الغُرفَةِ خارِجاً، ٩وأَمَرتُ فطَهَّرتُ الغُرَف، وأَعَدتُ إِلى هُناكَ آنِيَةَ بَيتِ اللهِ مع التَّقدِمَةِ والبَخور.

١٠وعَلِمتُ أَنَّ حِصَصَ اللاَّوِيينَ لم تُؤَدَّ وأَنَّ اللاَّوِيِّينَ والمُغَنِّينَ القائمينَ بِالخِدمَةِ قدِ آنصَرَفوا كُلُّ واحِدٍ إِلى حَقْلِه، ١١فوَبَّختُ الحُكَّامَ وقُلتُ: «لِمَ أُترُكُ بَيتَ الله؟». ثُمَّ جَمَعتُهم وأَقَمتُهم في مواضِعِهم. ١٢وأَتى كُلُّ يَهوذا بِعُشْرِ الحِنطَةِ والنَّبيذِ والزَّيتِ إِلى الخَزائِن.

(١٨) كان لطوبيا نوع من المستودع أو المكتب في توابع الهيكل.
(١٩) دامت مهمة نحميا اذاً ١٢ سنة.

[١٤]أُذكُرْني أَللَّهُمَّ لِهذا ، ولا تَمحُ مَبَرَّاتِيَ الَّتي صَنَعتُها إِلى بَيتِ إِلهي وفي خِدمَتِه .

٣. تصحيح الاخطاء الى راحة السبت

يجب مراعاة راحة السبت على وجه تام .

[١٥]وفي تِلكَ الأَيَّام ، رَأَيتُ في يَهوذا قَوماً يَدوسونَ في المَعاصِرِ في السَّبْت ، ويَأتونَ بِحُزَمٍ يَحمِلونَها على الحَميرِ وبِخَمْرٍ أَيضاً وعِنَبٍ وتينٍ وكُلِّ حِمْلٍ مِمَّا كانوا يأتونَ بِه إِلى أُورَشَليمَ في يَومِ السَّبْت ، فأَشهَدتُ علَيهم يَومَ بَيعِهمِ الطَّعام . [١٦]وكانَ الصُّورِيُّونَ المُقيمونَ في أُورَشَليمَ يَأتونَ بِالسَّمَكِ وكُلِّ نَوعٍ مِنَ المَبيعات ، ويَبيعونَ في يَومِ السَّبتِ لِبَني يَهوذا في أُورَشَليم . [١٧]فوَبَّختُ شُرَفاءَ يَهوذا وقُلتُ لَهم : «ما هذا الشَّرُّ الَّذي تَفعَلونَه فتُدَنِّسونَ يَومَ السَّبْت ؟ [١٨]أَلَم يَفعَلْ آباؤُكم هكذا ، فجَلَبَ إِلهُنا كُلَّ هذا الشَّرِّ علَينا وعلى هذه المَدينَة؟ وأَنتُم تَزيدونَ الغَضَبَ على إِسْرائيلَ بِتَدْنيسِكُم السَّبت ؟» . [١٩]ولَمَّا أَظلَمَت أَبْوابُ أُورَشَليمَ قَبلَ السَّبْت(٢٠) ، أَمَرتُ بِإِغْلاقِ المَصاريع ، وأَوصَيتُ بِأَن لا تُفتَحَ إِلاَّ بَعدَ السَّبْت ، وأَقَمتُ بَعضَ رِجالي على الأَبوابِ لِئَلاَّ يُدخَلَ بِحِمْلٍ في يَومِ السَّبْت . [٢٠]فباتَ التُّجّارُ وباعَةُ جَميعِ البَضائِعِ خارِجَ أُورَشَليمَ مَرَّةً أَو مَرَّتَين . [٢١]فأَشهَدتُ علَيهم وقُلتُ لَهم : «لِماذا تَبيتونَ أَمامَ السُّور؟ إِن عُدتُم ، فإِنِّي أُلْقي علَيكمُ الأَيدي» . فمِن ذلك الوَقْت ، لم يَعودوا يَأتونَ في السَّبْت . [٢٢]وأَمَرتُ اللاَّوِيِّينَ بِأَن يَتَطَهَّروا وَيأتوا ويَحرِسوا الأَبْواب ،

(٢٠) يبتدئ السبت في مساء الجمعة وينتهي في مساء السبت .

لِيُقَدِّسوا يَومَ السَّبْت . أُذْكُرْني أَللَّهُمَّ لِهذا أيضاً وآرحَمْني بِحَسَبِ كَثرَةِ رَحمَتِكَ .

٤. تصحيح الاخطاء الى قداسة الزواج

يجب على اليهود أن يمتنعوا على الإطلاق عن الزواج من النساء الغريبات للحفاظ على طهارة الدم ولتجنّب التسرّبات الوثنية .

[٢٣]وفي تِلكَ الأَيَّامِ أيضاً ، رَأَيتُ يَهوداً قد تَزَوَّجوا نِساءً أَشْدودِيَّاتٍ وعَمُّونِيَّاتٍ ومُوآبِيَّات ، [٢٤]وكانَ نِصفُ أَولادِهم يَتَكَلَّمونَ بِلُغَةِ أَشْدود ، ولم يَكونوا يُحسِنونَ التَّكَلُّمَ بِاليَهودِيَّة ، بل بِلِسانِ هذا أَو ذاكَ الشَّعْب . [٢٥]فوَبَّختُهم ولَعَنتُهم وضَرَبتُ مِنهم رِجالاً ونَتَفتُ شَعَرَهم ، وآستَحلَفتُهم بِاللهِ قائِلاً : «لا تُعْطوا بَناتِكم لِبَنيهم ولا تَأخُذوا بَناتِهم لِبَنيكم ولا لَكم . [٢٦]أَلَيسَ بِهذا خَطِئَ سُلَيمان ، مَلِكُ إِسْرائيل ، مع أَنَّه لم يَكُنْ في كَثيرٍ مِنَ الأُمَمِ مَلِكٌ مِثلُه وكانَ مَحْبوباً عِندَ الله ، وقد أَقامَه اللهُ مَلِكاً على كُلِّ إِسْرائيل ، فأَوقَعَته هو أَيضاً النِّساءُ الغَريباتُ في الخَطيئة ؟ [٢٧]أَوَنَسمَعُ في شأنِكم أنّكم تَفعَلونَ هذا الشَّرَّ العَظيمَ كُلَّه وتُخالِفونَ إِلهَنا بِتَزَوُّجِ النِّساءِ الغَريبات ؟» .

[٢٨]وكانَ واحِدٌ مِن بَني يوياداعَ بنِ أَلْياشيبَ عَظيمِ الكَهَنَةِ صِهراً لِسَنبَلَّطَ الحورونِيّ ، فطَرَدتُه مِن عِنْديْ[٢١] . [٢٩]أُذكُرْهم أَللَّهُمَّ لِأَنَّهم نَجَّسوا الكَهَنوتَ وعَهدَ الكَهَنوتِ واللاَّوِيِّين .

(٢١) سيؤدي ذلك في المستقبل الى بناء هيكل منشقّ على جبل جرزيم .

سِفرُ عَزْرا

١. أحداث العودة إلى الارض المقدّسة

١. مرسوم قورش (٥٣٨).

بعد أن استولى قورش على بابل ببضعة أشهر، أصدر قراراً يأذن لليهود المنفيين في العودة إلى فلسطين.

١ [١]وفي السَّنَةِ الأُولى لِقورُش[(١)]، مَلِكِ فارِس، لِكَي يَتِمَّ ما تَكَلَّمَ بِه الرَّبُّ على لِسانِ إِرمِيا[(٢)]، أَثارَ الرَّبُّ روحَ قورُش، مَلِكِ فارِس، فأَطلَقَ نِداءً في مَملَكَتِه كُلِّها وكِتاباتٍ أَيضاً، قائِلاً: [٢]«هكذا قالَ قورُش، مَلِكُ فارِس: جَميعُ مَمالِكِ الأَرضِ قد أَعْطانيها الرَّبُّ، إِلهُ السَّمَوات[(٣)]، وأَوصاني بِأَن أَبنِيَ لَه بَيتاً في أُورَشَليمَ الَّتي بِيَهوذا. [٣]فمَن كانَ مِنكُم مِن

(١) كان قورش فارسياً من قبيلة الارخمينيين. أصبح ملك الفُرس في ٥٥٠. وبعد أن هزم كريزُس، ملك ليديا، ارتدّ الى بابل واستولى عليها في خريف ٥٣٩. مَلَك حتى ٥٢٩. تُحسب أوّل سنة لعهده ابتداءً من ٥٣٨.

(٢) كان إرميا قد تنبأ بسبعين سنة (بأرقام مدوَّرة) في المنفى، ثم بالعودة الى فلسطين.

(٣) في الوثائق الرسمية، يمثّل الرب، بصفته إله السماء، بإله الفُرس الاعلى.

شَعبِه أجمَع، فإلهُه يَكونُ معَه، فليَصعَدْ إلى أُورَشَليمَ الَّتي في يَهوذا ويَبْنِ بَيتَ الرَّبِّ، إلهِ إسْرائيل، وهو الإلهُ الَّذي في أُورَشَليم. [٤]وكُلُّ مَن بَقِيَ في أَحَدِ الأَمكِنَةِ حَيثُ هو نَزيلٌ هُناكَ، فلْيَمُدَّه أَهلُ مَكانِه بِالفِضَّةِ والذَّهَبِ والمالِ والبَهائِم، فَضلاً عَمَّا يَتَبَرَّعونَ بِه لِبَيتِ اللهِ الَّذي في أُورَشَليم».

[٥]فقامَ رُؤَساءُ آباءِ يَهوذا وبَنْيامينَ والكَهَنَةُ واللاَّوِيُّون، مع كُلِّ مَن أَثارَ اللهُ روحَه، لِيَصعَدوا لِبناءِ بَيتِ الرَّبِّ الَّذي في أُورَشَليم. [٦]وكُلُّ مَنْ كانوا حَولَهم أَمَدُّوهم بآنِيَةٍ مِنَ الفِضَّةِ وبِالذَّهَبِ والمالِ والبَهائِمِ وأَشْياءَ ثَمينَة، فَضلاً عن كُلِّ ما تَبَرَّعوا بِه.

[٧]وأَخرَجَ المَلِكُ قورُشُ آنِيَةَ بَيتِ الرَّبِّ الَّتي كانَ نَبوكَدنَصَّرُ قد أَخرَجَها مِن أُورَشَليمَ ووَضَعَها في بَيتِ إِلهِه. [٨]أَخرَجَها قورُش، مَلِكُ فارِس، على يَدِ مِترَداتَ الخازِن، وعَدَّها لِشِشْبَصَّر، رَئيسِ يَهوذا. [٩]وهذا عَدَدُها: ثَلاثونَ طَستاً مِنَ الذَّهَب، وأَلفُ طَستٍ مِنَ الفِضَّة، وتِسعَةٌ وعِشْرونَ سِكِّيناً، [١٠]وثَلاثونَ كأساً مِنَ الذَّهَب، وأَلفُ كَأْسٍ مِنَ الفِضَّة، مِنها أَربعُ مِئَةٍ وعَشْرَةٌ مِن الرُّتبَةِ الثَّانِيَة، وأَلفٌ مِن آنِيَةٍ أُخْرى. [١١]فمَجموعُ آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ خمسَةُ آلافٍ وأَربَعُ مِئَةٍ، أَصعَدَها شِشْبَصَّرُ عِندَ إِصْعادِ أَهلِ الجَلاءِ مِن بابِلَ إِلى أُورَشَليم.

٢. إعادة بناء مذبح المحرقات

اهتمّ العائدون بما هو الاعجل فأعادوا بناء مذبح المحرقات.

٢ [٦٨]وإِنَّ بَعضَ رُؤَساءِ الآباء، لَمَّا وَصَلوا إِلى بَيتِ الرَّبِّ الَّذي في

أُورَشَليم، تَبرَّعوا لِبَيتِ اللهِ لِيُعيدوا بِناءَه في مَكانِه. [٦٩]فأَعطَوا، على حَسَبِ وُسْعِهم، لِخَزينَةِ العَمَل، واحِداً وسِتِّينَ أَلفَ دِرهَمٍ مِنَ الذَّهَب، وخَمسَةَ آلافِ مِناً مِنَ الفِضَّة، ومِئَةَ قَميصٍ لِلكَهَنَة.

[٧٠]فسَكَنَ الكَهَنَةُ واللاَّوِيُّونَ وبَعضٌ مِنَ الشَّعبِ والمُغَنُّونَ والبَوَّابونَ والنَّتينِيُّونَ(٤) في مُدُنِهم، وسائِرُ بَني إِسْرائيلَ في مُدُنِهم.

٣ [١]ولَمَّا كانَ الشَّهرُ السَّابع(٥)، وبَنو إِسْرائيلَ في مُدُنِهم، اِجتَمَعَ الشَّعبُ كرَجُلٍ واحِدٍ إِلى أُورَشَليم. [٢]فقامَ يَشوعُ(٦) بنُ يوصاداقَ وإِخوَتُه الكَهَنَةُ وزَرُبَّابَلُ(٧) بنُ شأَلْتيئيلَ وإِخوَتُه، وبَنَوا مَذبَحَ إِلهِ إِسْرائيلَ لِيُصعِدوا علَيه مُحْرَقاتٍ(٨)، كما كُتِبَ في شَريعَةِ موسى، رَجُلِ الله. [٣]وأَقاموا المَذبَحَ على قَواعِدِه، مع ما كانَ علَيهم مِنَ الذُّعْرِ مِن شُعوبِ الأَرض، وأَصعَدوا علَيه مُحرَقاتٍ لِلرَّبّ، مُحرَقاتِ الصَّباحِ والمَساء. [٤]وأَقاموا عيدَ الأَكْواخ، كما كُتِب، والمُحرَقَةَ اليَومِيَّةَ بِالعَدَدِ، على حَسَبِ ما رُسِم، أَمرَ كُلِّ يَومٍ في يَومِه، [٥]وبَعدَ ذلك أَقاموا المُحرَقَةَ الدَّائِمَةَ ومُحرَقاتِ رُؤُوسِ الشُّهورِ(٩) وجَميعِ أَعْيادِ الرَّبِّ المُقَدَّسَةِ وكُلِّ مَن تَبَرَّعَ لِلرَّبّ.

(٤) خَدَم مكرَسون للهيكل.
(٥) شهر تشرين.
(٦) أوّل عظماء الكهنة في الجماعة اليهودية عند العودة من الجلاء.
(٧) حاكم أورشليم عند العودة من الجلاء. كان حفيداً للملك يوياكين، ويبدو أنه حمل في شخصه آمال العائدين المشيحية.
(٨) المذبح ألزم من الهيكل، لانه يمكّن من تأدية العبادة على الفور.
(٩) رأس الشهر القمري. كان يوم بطالة، وكانوا يقرّبون فيه ذبائح رسمية.

٣. المعارضة لمشروع إعادة بناء الهيكل

حين دار الكلام على إعادة بناء الهيكل، جاء السامريون يقترحون على العائدين أن يتعاونوا معهم. لكنهم رفضوا.

[٦] مِنَ اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهرِ السَّابِعِ، اِبْتَدَأُوا يُصعِدونَ مُحرَقاتٍ لِلرَّبّ، وهَيكَلُ الرَّبِّ لم يَكُنْ قد أُسِّس.

[٧] وأَعطَوا فِضَّةً لِلنَّحَّاتينَ والنَّجَّارينَ وطَعاماً وشَراباً وزَيتاً لِلصَّيدونِيِّينَ والصُّورِيِّين، لِيَأتوا بِخَشَبِ الأَرزِ مِن لُبْنانَ إِلى بَحرِ يافا، بِموجِبِ إِذنِ قورُش، مَلِكِ فارِس، لَهم. [٨] وفي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِن وُصولِهم إِلى بَيتِ اللهِ في أُورَشَليمَ في الشَّهرِ الثَّاني، شَرَعَ زَرُبَّابَلُ بنُ شأَلْتيئيلَ ويَشوعُ بنُ يوصاداقَ وبَقِيَّةُ إِخوَتِهمِ الكَهَنَةِ واللاَّوِيِّينَ وكُلُّ مَن قَدِمَ مِنَ الجَلاءِ إِلى أُورَشَليم، شَرَعوا في العَمَلِ وأَقاموا اللاَّوِيِّينَ، مِن سِنِّ عِشْرينَ سَنَةً فما فَوق، لِلإِشْرافِ على عَمَلِ بَيتِ الرَّبّ. [٩] فقامَ يَشوعُ وبَنوه وإِخوَتُه وقَدْميئيلُ وبَنوه بَنو هودِيَّا كرَجُلٍ واحِدٍ لِلإِشْرافِ على عامِلي العَمَلِ في بَيتِ الله، وبَنو حينادادَ وبَنوهم وإِخوَتُهمُ اللاَّوِيُّون(١٠). [١٠] ولَمَّا أَسَّسَ البَنَّاؤُونَ هَيكَلَ الرَّبّ، قامَ الكَهَنَةُ في مَلابِسِهم، ومعَ الأَبْواقِ، واللاَّوِيُّونَ بَنو آسافَ بِالصُّنوج، لِيُسَبِّحوا الرَّبَّ بِحَسَبِ سُنَّةِ داوُد، مَلِكِ إِسْرائيل. [١١] ورَنَّموا بِالتَّسْبيحِ والحَمْدِ لِلرَّبِّ «فإِنَّه صالِح، فإِنَّ لِلأَبَدِ رَحمَتَه»(١١) على إِسْرائيل، وهَتَفَ كُلُّ الشَّعبِ هُتافاً عَظيماً، وهم يُسَبِّحونَ الرَّبَّ بِسَبَبِ تَأسيسِ بَيتِ الرَّبّ. [١٢] وإِنَّ كَثيرينَ مِنَ الكَهَنَةِ واللاَّوِيِّينَ ورُؤَساءِ

(١٠) يشدّد الكاتب على كل ما من شأنه أن يرفع شأن الكهنوت.

(١١) مأخوذ من المزمور ١٣٦.

الآباءِ والشُّيوخِ الَّذينَ كانوا قد رَأَوُا البَيتَ الأَوَّل، لَمَّا وُضِعَ أَساسُ هذا البَيتِ أَمامَ عُيونِهم، بَكَوا بِصَوتٍ عَظيم، وهَتَفَ كَثيرونَ بِالفَرَحِ، رافِعينَ أَصْواتَهم. [١٣]فلم يَستَطِعْ أَحَدٌ أَن يُميِّزَ صَوتَ هُتافِ الفَرَحِ مِن صَوتِ بُكاءِ الشَّعْب، لِأَنَّ الشَّعبَ كانَ يَهتِفُ هُتافاً عَظيماً، حتَّى كانَ الصَّوتُ يُسمَعُ مِن بَعيد.

٤ [١]وسَمِعَ أَعداءُ يَهوذا وبَنْيامينَ بِأَنَّ بَني الجَلاءِ يَبْنونَ هَيكَلاً لِلرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، [٢]فأَقبَلوا على زَرُبَّابَلَ ورُؤَساءِ الآباءِ وقالوا لَهم: «نَحنُ نَبْني معَكم، لِأَنَّنا نَلتَمِسُ إِلهَكم مِثلَكم، ونَحنُ نَذبَحُ لَه مِن أَيَّامِ أَسَرحَدُّون(١٢)، مَلِكِ أَشُّور، الَّذي أَصعَدَنا إِلى هُنا». [٣]فقالَ لَهم زَرُبَّابَلُ ويَشوعُ وسائِرُ رُؤَساءِ آباءِ إِسْرائيل: «لَيسَ لكم ولَنا أَن نَبنِيَ مَعاً بَيتاً لِإِلهِنا، بل نَحنُ نَبْني لِلرَّبِّ، إِلهِ إِسْرائيل، كما أَمَرَنا المَلِكُ قورُش، مَلِكُ فارِس». [٤]وكانَ شَعبُ تِلكَ الأَرضِ(١٣) يُخمِدونَ هِمَّةَ شَعبِ يَهوذا ويُرعِبونَهم لِلكَفِّ عنِ البِناء، [٥]وآستَأجَروا مُشيرينَ(١٤) ضِدَّهم لِإِبْطالِ مَشْروعِهِم جَميعَ أَيَّامِ قورُش، مَلِكِ فارِس، إِلى أَن مَلَكَ دارِيوس، مَلِكُ فارِس.

٤. تدخّل السلطات الفارسية

فكتب الموظّفون السامريون إلى سوس وتوصّلوا إلى إيقاف الاشغال.

(١٢) في عهد المَلِك منسّى في أورشليم.
(١٣) السامريّون.
(١٤) موظّفون فُرْس.

٧وفي أَيَّام أَرتَحْشَشْتا(١٥)، كَتَبَ بِشْلامُ ومِتْرَداتُ وطَبْئيلُ وسائِرُ زُمَلائِهم إِلى أَرتَحْشَشْتا، مَلِكِ فارِس. وكانَ خَطُّ الرِّسالَةِ بِالآرامِيَّة، ولُغَتُها الآرامِيَّة.

١١هذه نُسخَةُ الرِّسالَةِ الَّتي بَعَثوا بِها: «إِلى أَرتَحْشَشْتا المَلِك، مِن عَبيدِكَ القَومِ الَّذينَ في عِبْرِ النَّهْر. أَمَّا بَعْد. ١٢لِيَكُنْ مَعْلوماً لَدى المَلِكِ أَنَّ اليَهودَ الَّذينَ صَعِدوا مِن عِندِكَ إِلَينا وأَتَوا إِلى أُورَشَليم، ويَبْنونَ المَدينَةَ المُتَمَرِّدَة الشِّرِّيرَة، ويُرَمِّمونَ أَسْواراً، بَعدَ أَن أَحاطوا أَساسَها بِسور. ١٣لِيَكُنْ مَعْلوماً لَدى المَلِكِ أَنَّه، إِن بُنِيَت هٰذه المَدينَةُ ورُمِّمَت أَسْوارُها، لا يُؤَدُّونَ الخَراجَ ولا الجِزْيَةَ ولا الضَّريبَة، فيَلحَقُ ضَرَرٌ بِدَخْلِ المُلوك. ١٤وحَيثُ إِنَّنا نَأكُلُ مِلحَ القَصْر(١٦)، يَليقُ بِنا أَن نَرى إِهانَةً تُوَجَّهُ إِلى المَلِك، فأَرسَلْنا وأَعلَمْنا المَلِك، ١٥لِيُبحَثَ في كِتابِ ذِكْرَياتِ آبائِكَ فتَجِدَ في كِتابِ الذِّكْرَياتِ وتَعلَمَ أَنَّ هذه المَدينَةَ مَدينَةٌ مُتَمَرِّدَةٌ مُسيئَةٌ إِلى المُلوكِ والأَقاليم، وأَنَّهم قد أَثاروا فيها فِتَناً في قَديمِ الزَّمان، ولِذلِكَ خَرِبَت هذه المَدينَة. ١٦ونُعلِمُ المَلِكَ أَنَّه، إِن أُعيدَ بِناءُ هذه المَدينَةِ ورُمِّمَت أَسْوارُها، لا يَكونُ لَكَ نَصيبٌ في عِبرِ النَّهْرِ هذا».

١٧فأَرسَلَ المَلِكُ الجَوابَ يَقول: «إِلى رَحومَ الحاكِمِ وشِمْشايَ الكاتِبِ وسائِرِ زُمَلائِهِما السَّاكِنينَ في السَّامِرَةِ وسائِرِ الَّذينَ في عِبرِ النَّهْر، سَلام. أَمَّا بَعْد، ١٨فإِنَّ الرِّسالَةَ الَّتي بَعَثتُم بِها إِلَينا قد قُرِئَت أَمامَنا في تَرجَمَتِها. ١٩وقد أَمَرتُ فبُحِثَ ووُجِدَ أَنَّ هذه المَدينَةَ مِن قَديمِ الزَّمانِ قامَت على

(١٥) أَرتَحْشَشْتا الاول (٤٦٥-٤٢٥).
(١٦) = الملك يدفع لنا رواتب.

المُلوك، وكانَ فيها تَمَرُّدٌ وفِتْنَة. [٢٠]وقد كانَ على أُورَشَليمَ مُلوكٌ أَقوِياءُ تَسَلَّطوا على كُلِّ عِبرِ النَّهْر(١٧)، وأُدِّيَ لَهمُ الخَراجُ والجِزيَةُ والضَّريبَة. [٢١]فالآنَ أَصدِروا أَمراً بِكَفِّ هؤُلاءِ الرِّجال، فلا تُبْنى هذه المَدينَة، حتَّى يَصدُرَ أَمرٌ مِنِّي. [٢٢]واحذَروا أَن تَتَهاوَنوا في تَنْفيذِ هذا، لِئَلاَّ يَتَفاقَمَ الشَّرُّ لِأَذى المُلوك».

[٢٣]فلَمَّا تُلِيَت نُسخَةُ رِسالَةِ المَلِكِ أَرتَحْشَشْتا أَمامَ رحومَ وشِمْشايَ الكاتِبِ وزُمَلائِهما، بادَروا في الذَّهابِ إِلى أُرَشَليمَ إِلى اليَهود، وكَفُّوهم بِالعُنْفِ والقُوَّة.

[٢٤]فتَعَطَّلَ عَمَلُ بَيتِ اللهِ الَّذي في أُورَشَليم، وبَقِيَ مُتَوَقِّفاً إِلى السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِن مُلكِ دارِيوس، مَلكِ فارِس(١٨).

٥. استئناف الاشغال

أَلحَّ النبيّان حجّاي وزكريا، فاستُؤنفت الاشغال في ٥٢٠. فبعد الامعان في التحقيق، وُجد الترخيص الذي منحه قورش فيما مضى، وأُنجزت الاشغال.

٥ [١]فتَنَبَّأَ حَجَّايُ النَّبِيُّ وزَكَرِيَّا بنُ عِدُّوَ النَّبِيُّ لِليَهودِ الَّذينَ في يَهوذا وأُورَشَليم، بِآسمِ إِلهِ إِسْرائيلَ الَّذي علَيهم. [٢]فقامَ حينَئِذٍ زَرُبَّابَلُ بنُ شأَلْتيئيلَ ويَشوعُ بنُ يوصاداق، وشَرَعا في بِناءِ بَيتِ اللهِ الَّذي في أُورَشَليم، ومعَهما أَنبِياءُ اللهِ يُعاوِنونَهما. [٣]حينَئِذٍ جاءَهم تَتْنايُ، والي عِبرِ النَّهْر، وشَتَرَبُوْزنايُ وزُمَلاؤُهما وسَأَلوهما: «مَن أَذِنَ لكم في بِناءِ هذا

(١٧) مبالغة.
(١٨) داريوس الاول (٥٢٢-٤٨٥).

البَيتِ وتَرْميمِ هذه الخَشَبيَّة؟» . [4]فسأَلوهم عن أَسْماءِ الرِّجالِ القائِمينَ بِهذا البِناء . [5]وكانَت على شُيوخِ اليَهودِ عَينُ إِلهِهم ، فلَم يَكُفُّوهم ، رَيثَما يَرفَعونَ الأَمرَ إِلى دارِيوس ويأتِيَ على ذلك .

٦ [1]حينَئِذٍ أَصدَرَ دارِيوسُ المَلِكُ أَمراً ، فبُحِثَ في بَيتِ الخَزائِنِ حَيثُ كانَتِ المَحْفوظاتُ مَوضوعَةً في بابِل . [2]فوُجِدَ في أَحْمَتا ، في القَصْرِ الَّذي في بِلادِ ميدِيا ، سِفرٌ مَكْتوبٌ فيه هكذا : مُذَكِّرة : [3]في السَّنَةِ الأُولى لِقورُشَ المَلِك ، أَصدَرَ قورُشُ المَلِكُ أَمراً في حَقِّ بَيتِ اللهِ في أُورَشَليم ، أَن يُعادَ بِناءُ البَيتِ مَكاناً تُذبَحُ فيه ذَبائح ، ولْيُبقَ على أُسُسِه . يَكونُ عُلُوُّه سِتِّينَ ذِراعاً وعَرضُه سِتُّونَ ذِراعاً ، [4]وتَكونُ لَه ثَلاثَةُ صُفوفٍ مِن حِجارَةٍ ضَخمَة ، وصَفٌّ واحِدٌ مِن خَشَب ، والنَّفَقَةُ على بَيتِ المَلِك . [5]ولْتُرَدَّ أَيضاً آنِيَةُ بَيتِ اللهِ الذَّهَبُ والفِضَّةُ الَّتي أَخرَجَها نَبوكَدنَصَّرُ مِنَ الهَيكَلِ الَّذي في أُورَشَليمَ وذَهَبَ بِها إِلى بابِل ، تُرَدَّ وتُرجَعْ إِلى الهَيْكَلِ الَّذي في أُورَشَليمَ إِلى مَكانِها ، وتوضَعْ في بَيتِ الله .

[6]فالآن ، يا تَتْناي ، والي عِبرِ النَّهْر ، وشَتَرْبُزْناي وزُمَلاءَهما ، السُّفَراءَ الَّذينَ في عِبرِ النَّهْر ، اِبتَعِدوا مِن هُناكَ . [7]دَعوا والِيَ اليَهودِ وشُيوخَ اليَهودِ يَعمَلون ، ولْيُبْنَ بَيتُ اللهِ هذا في مَكانِه . [8]وقد صَدَرَ أَمرٌ مِنِّي بِما سَتَعمَلونَ مع شُيوخِ اليَهودِ هؤُلاءِ في بِناءِ بَيتِ اللهِ هذا . إِنَّه من مالِ المَلِك ، مِن خَراجِ عِبرِ النَّهر ، تُعْطى النَّفَقَةُ كامِلَةً لِهؤُلاءِ الرِّجالِ لِئَلاَّ يَتَعطَّلوا . [9]وما يَحْتاجونَ إِلَيه مِنَ العُجولِ والكِباشِ والحُمْلانِ لِمُحرَقاتِ إِلهِ السَّمَواتِ ومِنَ الحِنطَةِ والمِلحِ والخَمرِ والزَّيت ، بِحَسَبِ قَولِ الكَهَنَةِ الَّذينَ في أُورَشَليم ، فليُعْطَ لَهُم يَوماً فيَوماً بِلا تَقْصير ، [10]لِيُقَرِّبوا ذَبائِحَ رائِحَةِ رِضًى لِإِلهِ

السَّمَوات ، ويُصَلُّوا لِأَجلِ حَياةِ المَلِكِ وبَنيه . [١١]وقَد أَصدَرتُ أَمراً أَنَّ كُلَّ مَن يُخالِفُ هذا الأَمرَ تُقلَعُ عارِضَةٌ مِن بَيتِه وتُنصَبُ ويُعَلَّقُ عَلَيها مَصْلوباً ، ويَكونُ بَيتُه بِسَبَبِ ذلك مِوحِلاً . [١٢]واللهُ الَّذي أَحَلَّ آسمَه هُناكَ يُدَمِّرُ كُلَّ مَلِكٍ وشَعبٍ يَمُدُّ يَدَه لِلتَّعَدِّي على هذا الأَمرِ وهَدْمِ بَيتِ اللهِ هذا الَّذي في أُورَشَليم . انا دارِيوسَ قد أَمَرتُ ، فلْيُنَفَّذْ تَماماً» .

[١٣]ففَعَلَ تَتْناي ، والي عِبرِ النَّهْر ، وشَتَرَبُزْنايُ وزُمَلاؤُهما تَماماً بِحَسَبِ ما أَرسَلَ دارِيوسُ المَلِك . [١٤]وبَنى شُيوخُ اليَهودِ ونَجَحوا ، بِفَضلِ نُبُوَّةِ حَجَّايَ النَّبِيِّ وزَكَرِيَّا بنِ عِدُّو ، وأَكمَلوا البِناءَ على حَسَبِ أَمرِ إِلهِ إِسْرائيلَ وأَمرِ قورُشَ ودارِيوسَ وأَرتَحْشَشْتا ، مُلوكِ فارِس . [١٥]فأُنجِزَ هذا البَيتُ في اليَومِ الثَّالِثِ والعِشْرينَ مِن شَهرِ آذار ، مِنَ السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِن مُلكِ دارِيوسَ المَلِك[(١٩)] .

٦. تدشين الهيكل وفصح ٥١٥

في ٥١٥، تمّ تدشين الهيكل الجديد ، وبعد ذلك بقليل ، أُقيم عيد الفصح في احتفال وابتهاج نادرَين .

[١٦]ودَشَّنَ بَنو إِسْرائيلَ، الكَهَنَةُ واللاَّوِيُّونَ وسائِرُ بَني الجَلاءِ، بَيتَ اللهِ هذا بِفَرَح . [١٧]وقَرَّبوا ، عِندَ تَدْشينِ بَيتِ اللهِ هذا ، مِئَةَ ثَورٍ ومِئَتَي كَبشٍ وأَربَعَ مِئَةِ حَمَلٍ وتُيوسَ ذَبيحَةِ خَطيئَةٍ عن كُلِّ إِسْرائيل ، اِثْنَي عَشَرَ تَيساً ، على عَدَدِ أَسْباطِ إِسْرائيل . [١٨]وأَقاموا الكَهَنَةَ في فِرَقِهِم واللاَّوِيِّينَ في أَقْسامِهِم على خِدمَةِ اللهِ الَّتي في أُورَشَليم ، كما كُتِبَ في سِفرِ موسى .

(١٩) يوافق أول نيسان (أبريل) ٥١٥.

١١٩وأقامَ بَنو الجَلاءِ(٢٠) الفِصحَ في الرَّابعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل(٢١). ٢٠ولِأَنَّ بَني الجَلاءِ لم يَتَطَهَّروا جَميعاً، تَطَهَّرَ اللاَّوِيُّونَ كَرَجُلٍ واحِدٍ وذَبَحوا الفِصحَ لجَميعِ بَني الجَلاءِ ولإِخوَتِهم الكَهَنَةِ ولأَنفُسِهم. ٢١فأَكَلَه بَنو إِسْرائيلَ الَّذينَ رَجَعوا مِنَ الجَلاءِ وكُلُّ مَنِ آنضَمَّ إِلَيهم وأَعرَضَ عن نَجاسَةِ أُمَمِ الأَرضِ، لِآلْتِماسِ الرَّبِّ(٢٢) إِلهِ إِسْرائيل. ٢٢وأَقاموا عيدَ الفَطيرِ سَبعَةَ أَيَّامٍ بِفَرَح، لِأَنَّ الرَّبَّ فَرَّحَهم وأَمالَ قَلبَ مَلِكِ أَشُّورَ إِلَيهم، لِيُشَدِّدَ أَيدِيَهم في عَمَلِ بَيتِ اللهِ، إِلهِ إِسْرائيل.

٢. مهمّة عزرا

١. عزرا الكاتب

كان عزرا أحد الكتبة وهم أجداد علماء الشريعة الذين ورد ذكرهم في الإنجيل. يرجَّح أنه كان يشغل، في الديوان الفارسي، وظيفة رئيس مصلحة القضايا اليهودية.

٧ ١وكانَ بَعدَ هذه الأَحْداث، على عَهدِ أَرْتَحْشَشْتا، مَلِكِ فارِس(٢٣)، أَنَّ عَزْرا بنَ سَرايا بنِ عَزَرْيا بنِ حِلقِيَّا ٢بنِ شَلُّومَ بنِ صادوقَ بنِ أَحيطوبَ ٣ابنِ أَمَرْيا بنِ عَزَرْيا بنِ مَرايوتَ ٤بنِ زَرَحْيا بنِ عُزِّي بنِ بُقِّي ٥بنِ أَبيشوعَ ابنِ فِنْحاسَ بنِ أَلعازارَ بنِ هارونَ عَظيمِ الكَهَنَة(٢٤)، ٦صَعِدَ عَزْرا هذا مِن

(٢٠) تعبير ساميّ يعني المجلوّين.
(٢١) أُنجزت أشغال الهيكل في شهر آذار، الشهر الاخير للسنة. وتمَّ التدشين في الشهر التالي، الشهر الاول للسنة الجديدة شباط (فبراير/آذار (مارس).
(٢٢) تعبير نبوي: «التمسوا الربّ تحيَوا» (عاموس).
(٢٣) الراجح أنه ارتحششتا الثاني (٤٠٤-٣٥٨).
(٢٤) عزرا متحدّر اذاً من أصل كهنوتي.

بابِل، وهو كاتِبٌ ماهِرٌ في شَريعَةِ موسى(٢٥) الَّتي أَعْطاها الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل، فلَبَّى المَلِكُ كُلَّ ما طَلَبه، لِأَنَّ يَدَ الرَّبِّ إِلهِه كانَت علَيه. [٧]وصَعِدَ قَومٌ مِن بَني إِسْرائيلَ ومِنَ الكَهَنَةِ واللاَّوِيِّينَ والمُغَنِّينَ والبَوَّابينَ والتَّنينِيِّينَ إِلى أُورَشَليم، في السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِأَرْتَحْشَشْتا المَلِك. [٨]فوَصَلَ عَزْرا إِلى أُورَشَليمَ في الشَّهرِ الخامِس، في السَّنَةِ السَّابِعَةِ لِلمَلِك، [٩]لِأَنَّه في أَوَّلِ يَومٍ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل، كانَ بَدءُ الصُّعودِ مِن بابِل، وفي أَوَّلِ يَومٍ مِنَ الشَّهرِ الخامِس، وَصَلَ إِلى أُورَشَليم(٢٦)، لِأَنَّ يَدَ اللهِ الصَّالِحَةَ كانَت علَيه، [١٠]لِأَنَّ عَزْرا وَجَّه قَلبَه لِدَرسِ شَريعَةِ الرَّبِّ والعَمَلِ بها، وليُعَلِّمَ في إِسْرائيلَ الفَرائِضَ والأَحْكام.

٢. قرار ارتَحشَشتا

أراد عزرا أن يكون لخلف العائدين من الجلاء دستور مبنيّ على إيمانهم، فحصل من الملك الفارسي على قرار يجعل من شريعة موسى دستور الشعب اليهودي.

[١١]وهذه نُسخَةُ الرِّسالَةِ الَّتي أَعْطاها المَلِكُ أَرتَحْشَشْتا لِعَزرا الكاهِنِ الكاتِب، كاتِبِ كَلِماتِ وَصايا الرَّبِّ وفَرائِضِه لِإِسْرائيل:

[١٢]«مِن أَرتَحْشَشْتا، مَلِكِ المُلوك، إِلى عَزْرا الكاهِن، كاتِبِ شَريعَةِ إِلهِ السَّماء، سَلامٌ كامِل، أَمَّا بَعد. [١٣]إِنِّي أَصدَرتُ أَمراً أَنَّ كُلَّ مَن شاءَ في مَملَكَتي، مِن شَعبِ إِسْرائيلَ وكَهَنَتِه واللاَّوِيِّين، أَن يَرجِعَ إِلى أُورَشَليمَ معَكَ، فليَرجِعْ، [١٤]لِأَنَّكَ قد أُرسِلتَ مِن عِندِ المَلِكِ ومُشيريه السَّبعَة،

(٢٥) كاتب «سريع» في كتابة شريعة موسى. كان الكاتب بارعاً في نسخ الشريعة، فكان متضلّعاً منها ويحسن قراءتها وتفسيرها. وهذا ما يكون شأن الكتبة في أيام يسوع.\
(٢٦) منتصف تموز (يوليو) ٣٩٨.

لِتَتَفَقَّدَ يَهوذا وأُورَشَليمَ على حَسَبِ شَريعةِ إِلٰهِكَ الَّتي بِيَدِكَ [١٥]وتَأخُذَ الفِضَّةَ والذَّهَبَ اللَّذَينِ تَبَرَّعَ بِهِما المَلِكُ ومُشيروه لإِلٰهِ إِسْرائيلَ الَّذي مَسكِنُه في أُورَشَليم، [١٦]وكُلَّ ما تَجِدُه مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ في بِلادِ بابِلَ كُلِّها، مع تَبَرُّعاتِ الشَّعبِ والكَهَنَةِ المُتَبَرِّعينَ لِبَيتِ إِلٰهِهِم الَّذي في أُورَشَليم، [١٧]لِتَشتَرِيَ عاجِلاً بِهٰذِه الفِضَّةِ ثيراناً وكِباشاً وحُمْلاناً، مع تَقادِمِها وسُكُبِها، وتُقَرِّبَها على مَذبَحِ بَيتِ إِلٰهِكُمُ الَّذي في أُورَشَليم. [١٨]وكُلُّ ما حَسُنَ عِندَكَ وعِندَ إِخْوانِكَ أَن تَعمَلوه بِما يَفضُلُ مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَب، فاعمَلوه بِحَسَبِ مَشيئَةِ إِلٰهِكم.

[٢٥]وأَنتَ يا عَزْرا، بِحَسَبِ حِكمَةِ إِلٰهِكَ الَّتي معَكَ، أَقِمْ قُضاةً وحُكَّاماً يَقْضونَ بَينَ كُلِّ الشَّعبِ الَّذي في عِبرِ النَّهْرِ، مِن كُلِّ مَن يَعرِفُ شَريعَةَ إِلٰهِكَ، ومَن لا يَعرِفُها فعَلِّموه إِيَّاها. [٢٦]وكُلُّ مَن لا يَعمَلُ بِشَريعَةِ إِلٰهِكَ وشَريعَةِ المَلِك، فلْيُحكَمْ علَيه حُكماً شَديداً إِمَّا بِالمَوتِ أَو بِالنَّفيِ أَو بِغَرامَةِ مالٍ أَو بالحَبْس(٢٧).

[٢٧]فتَبارَكَ الرَّبُّ، إِلٰهُ آبائِنا، الَّذي أَلْقى مِثلَ هذا في قَلبِ المَلِكِ لِتَكْريمِ بَيتِ الرَّبِّ الَّذي في أُورَشَليم، [٢٨]وأَمالَ علَيَّ الرَّحمَةَ أَمامَ المَلِكِ ومُشيريه وجَميعِ رُؤَساءِ المَلِكِ المُقتَدِرين.

٣. رحلة عزرا

ذهب عزرا إلى فلسطين، ومعه قافلة من اليهود المؤمنين الذين كانوا مستوطنين في بلاد فارس.

(٢٧) اعتراف رسمي بأن شريعة موسى هي دستور اليهود.

٨ [٢٢]فإنِّي آستَحيَيتُ أَن أَطلُبَ مِنَ المَلِكِ جُنوداً وفُرْساناً لِيَحْموناً مِنَ العَدُوِّ في الطَّريق، لِأَنَّنا قُلْنا لِلمَلِكِ إِنَّ يَدَ إِلٰهِنا على جَميعِ طالِبيه لِلخَيرِ وبَأسَه وغَضَبَه على جَميعِ تارِكيه. [٢٣]فصُمْنا وطَلَبنا مِن إِلٰهِنا لِأَجلِ ذلك فآستَجابَنا.

[٢٤]ثُمَّ أَفرَدتُ آثنَي عَشَرَ مِن رُؤَساءِ الكَهَنَة، بِالإِضافَةِ إِلى شَرَبْيا وحَشَبْيا وعَشَرَةٍ مِن إِخوَتِهما، [٢٥]ووَزَنتُ لَهُمُ الفِضَّةَ والذَّهَبَ والآنِيَة، تَقدِمَةً لِبَيتِ إِلٰهِنا قَدَّمَها المَلِكُ ومُشيروه ورُؤَساؤُه وجَميعُ مَن وُجِدَ مِن بَني إِسْرائيل، [٢٦]ووَزَنتُ[(٢٨)] وسَلَّمتُ إِلى أَيديهم سِتَّ مِئَةٍ وخَمْسينَ قِنْطارَ فِضَّةٍ ومِئَةَ قِنْطارٍ مِن أَواني الفِضَّةِ ومِئَةَ قِنْطارٍ مِنَ الذَّهَب [٢٧]وعِشْرينَ قَصعَةً مِنَ الذَّهَبِ تُساوي أَلفَ دِرهَم وإِناءَينِ مِن نُحاسٍ مَصْقولٍ جَيِّدٍ ثَمينٍ كالذَّهَب. [٢٨]وقُلتُ لَهم: «أَنتُم مُقَدَّسونَ لِلرَّبّ، والآنِيَةُ مُقَدَّسَة، والفِضَّةُ والذَّهَبُ تَبَرُّعٌ لِلرَّبِّ إِلٰهِ آبائِكم. [٢٩]فآسهَروا وآحتَفِظوا بِها إِلى أَن تَزِنوها قُدَّامَ رُؤَساءِ الكَهَنَةِ واللاَّوِيِّينَ ورُؤَساءِ آباءِ إِسْرائيل، في أُورَشَليم، في غُرَفِ بَيتِ الرَّبّ».

في ذلك الوقت، [٣٥]قَدَّمَ بَنو الجَلاءِ القادِمونَ مِنَ الجَلاءِ مُحرَقاتٍ لِإِلٰهِ إِسْرائيل: اِثنَي عَشَرَ ثَوراً عن كُلِّ إِسْرائيل، وسِتَّةً وتِسْعينَ كَبْشاً، وآثنَينِ وسَبْعينَ حَمَلاً، وآثنَي عَشَرَ تَيسَ ذَبيحَةِ خَطيئَة، الكُلُّ مُحرَقَةً لِلرَّبّ. [٣٦]وسَلَّموا أَوامِرَ المَلِكِ إِلى مَرازِبَةِ المَلِكِ وحُكَّامِ عِبرِ النَّهر، فأَعانوا الشَّعبَ وبَيتَ الله.

(٢٨) كان النقد يوزَن.

٤. فسخ الزواجات مع الغريبات

عُني خاصة بفسخ الزواجات المعقودة مع نساء غريبات.

٩ [١]وبَعدَ أَن تَمَّت هذه الأُمور، أَقبَلَ الرُّؤَساءُ إِلَيَّ يَقولون: «إِنَّ شَعبَ إِسْرائيلَ وَالكَهَنَةَ واللاَّوِيِّينَ لم يَنفَصِلوا عن شُعوبِ الأَرضِ في شَأنِ قَبائِحِهم، أَي عنِ الكَنْعانِيِّينَ والحِثِّيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ واليَبوسِيِّينَ والعَمُّونِيِّينَ والموآبِيِّينَ والمِصرِيِّينَ والأَمورِيِّينَ، لِأَنَّهمُ آتَّخَذوا مِن بَناتِهم، لَهم ولِبَنيهم، فآختَلَطَ النَّسلُ المُقَدَّسُ بِشُعوبِ البِلاد، بل يَدُ الرُّؤَساءِ والعُظَماءِ كانَتِ الأُولى في هذه المُخالَفَة». [٣]فلَمَّا سَمِعتُ هذا الكَلام، مَزَّقتُ ثَوبي ورِدائي، ونَتَفتُ شَعرَ رَأسي ولِحيَتي، وجَلَستُ مُتَحَيِّراً. [٤]فآجتَمَعَ إِلَيَّ كُلُّ مَن آرتَعَدَ مِن كَلامِ إِلهِ إِسْرائيل، بِسَبَبِ مُخالَفَةِ أَهلِ الجَلاء، وجَلَستُ مُتَحَيِّراً إِلى تَقدِمَةِ المَساء. [٥]وعِندَ تَقدِمَةِ المَساء، خَرَجْتُ مِن إِعْيائي وجَثَوتُ على رُكبَتَيَّ بِثَوبي ورِدائي المُمَزَّقَين، وبَسَطتُ يَدَيَّ إِلى الرَّبِّ إِلهي، [٦]وقُلتُ: «أَللَّهُمَّ، إِنِّي لَمُستَحي خَجَلاً مِن أَن أَرفَعَ إِلَيكَ وَجْهي، يا إِلهي، لِأَنَّ ذُنوبَنا قد تَكاثَرَت على رُؤُوسِنا، وتَفاقَمَ إِثمُنا إِلى السَّمَوات. [٧]مِن أَيَّامِ آبائِنا نَحنُ في إِثْمٍ عَظيمٍ إِلى هذا اليَوم، وبِسَبَبِ ذُنوبِنا أُسلِمْنا، نَحنُ ومُلوكُنا وكَهَنَتُنا، إِلى أَيدي مُلوكِ الأَرضِ لِلسَّيفِ والأَسْرِ والنَّهْب، ولِخِزْيِ الوُجوهِ كما في هذا اليَوم. [٨]والآن، فمُنذُ لَحظَةٍ كانَت لَنا رَأفَةٌ مِن لَدُنِ الرَّبِّ إِلهِنا، لِيُبقِيَ لَنا ناجينَ ويُعطِيَنا مَلجَأً أَميناً في مَكانِ قُدسِه، فأَنارَ إِلهُنا عُيونَنا وأَعْطانا قَليلاً مِنَ الرَّاحَةِ في عُبودِيَّتِنا، [٩]لِأَنَّنا إِنَّما نَحنُ عَبيد، وفي عُبودِيَّتِنا لم يَترُكْنا إِلهُنا، بل أَمالَ علَينا رَحمَةَ مُلوكِ فارِس، لِيَهَبَ لَنا راحَةً حتَّى نُعيدَ بِناءَ بَيتِ إِلهِنا ونُرَمِّمَ خَرابَه،

ولِيُعطِيَنا سِياجاً في يَهوذا وأُورَشَليم. [١٠] والآنَ، يا إِلهَنا، ماذا نَقولُ بَعدَ هذا؟».

١٠ [١] وبَينَما عَزْرا يُصَلِّي ويَعتَرِفُ باكِياً، وهو مُنطَرِحٌ قُدَّامَ بَيتِ الله، اِجتَمَعَ إِلَيه مِن إِسْرائيلَ جَمعٌ كَثيرٌ جِدًّا مِنَ الرِّجالِ والنِّساءِ والأَولاد، لِأَنَّ الشَعبَ بَكى بُكاءً شَديداً. [٢] فتَكَلَّمَ شَكَنْيا بنُ يَحيئيلَ مِن بَني عَيلامَ وقالَ لِعَزرا: «إِنَّنا لقَد خالَفْنا إِلهَنا وأَخَذْنا نِساءً غريباتٍ مِن شُعوبِ البِلاد، غَيرَ أَنَّه مع ذلك لِإِسْرائيلَ الآنَ رَجاءٌ. [٣] لِنَقْطَعَنَّ الآنَ عَهداً مع إِلهِنا على تَسْريحِ جَميعِ النِّساءِ وأَولادِهِنَّ، جَرْياً على مَشورَةِ سَيِّدي والَّذينَ يَخشَونَ أَمرَ إِلهِنا، ولْيَكُنْ ذلك بِحَسَبِ الشَّريعة. [٤] قُمْ فإِنَّ الأَمرَ إِلَيكَ ونَحنُ معَكَ، فتَجَلَّدْ وآعْمَل». [٥] فقامَ عَزْرا وحَلَّفَ رُؤَساءَ الكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ وكُلَّ إِسْرائيلَ على أَن يَفعَلوا بِحَسَبِ هذا الكَلام، فحَلَفوا. [٦] وقامَ عَزْرا مِن أَمامِ بَيتِ الله، ودَخَلَ غُرفَةَ يوحانانَ بنِ أَلْياشيب، وباتَ هُناكَ، وهو لم يَأكُلْ خُبزاً ولم يَشرَبْ ماءً، لِأَنَّه كانَ يَنوحُ بِسَبَبِ مُخالَفَةِ بَني الجَلاء.

[٧] فأَطلَقوا نِداءً في يَهوذا وأُورَشَليم، إِلى جَميعِ بَني الجَلاء، أَن يَجتَمِعوا في أُورَشَليم، [٨] وأَنَّ كُلَّ مَن لا يَأتي في ثَلاثَةِ أَيَّام، على حَسَبِ مَشورَةِ الرُّؤَساءِ والشُّيوخ، تُحَرَّمُ كُلُّ أَموالِه ويُفصَلُ هو عن جَماعَةِ أَهلِ الجَلاء. [٩] فآجتَمَعَ رِجالُ يَهوذا وبَنْيامينَ كافَّةً في أُورَشَليمَ في ثَلاثَةِ أَيَّام، في الشَّهرِ التَّاسِع[٢٩]، في العِشْرينَ مِنَ الشَّهْر، وجَلَسَ كُلُّ الشَّعبِ في

(٢٩) شهر كِسْلو = مطلع كانون الاول (ديسمبر).

ساحَةِ بَيتِ اللهِ مُرتَعِدِينَ مِن هذا الأَمرِ ومِنَ الأَمْطار . [١٠] فقامَ عَزْرا الكاهِنُ وقال لَهم : «إِنَّكم قد خالَفتُم واتَّخَذتُم نِساءً غَريبات ، لِتَزيدوا في إثمِ إِسْرائيل . [١١] فاَحمَدوا الآنَ الرَّبَّ إِلهَ آبائِكم واَعمَلوا بِما يُرْضيه ، واَنفَصِلوا عن شُعوبِ الأَرضِ والنِّساءِ الغَريبات» . [١٢] فأَجابَتِ الجَماعَةُ بِأَسرِها وقالَت بِصَوتٍ عظيم : «حَسَن ، كما قُلتَ نَفعَل . [١٣] إِلاَّ أَنَّ الشَّعبَ كَثير ، والوَقتَ وَقتُ أَمْطار ، فلا طاقَةَ لَنا أَن نَقِفَ في الخارِج ، ولَيسَ العَمَلُ عَمَلَ يَومٍ أَوِ اَثنَين ، لِأَنَّ الَّذينَ عَصَوا في هذا الأَمرِ كَثيرون . [١٤] فلْيَقُمِ الآنَ رُؤَساؤُنا ولْيَعمَلوا بِاَسمِ الجَماعَةِ كُلِّها : وجَميعُ الَّذينَ اَتَّخَذوا نِساءً غَريباتٍ في مُدُنِنا فَلْيَأتوا في أَوقاتٍ مسمَّاة، ومَعَهم شُيوخُ كُلِّ مدينةٍ وقُضاتُها، حتَّى يُصرَفَ عنَّا غَضَبُ إِلهِنا بِسَبَبِ هذا الأَمرْ» . [١٦] ففَعَلَ بَنو الجَلاءِ كذلك ، وأَفرَدَ عَزْرا الكاهِنُ رُؤَساءَ الآباءِ بِحَسَبِ بُيوتِ آبائِهم ، وكُلُّهم مُسَمَّونَ بِأَسْمائِهم ، فجَلَسوا في اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهرِ العاشِرِ (٣٠) لِفَحصِ هذا الأَمْر . [١٧] واَنتَهَوا مِن جَميعِ الرِّجالِ الَّذينَ اَتَّخَذوا نِساءً غريباتٍ في اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل .

قراءة لبني جيلنا

بالرغم ممَّا في هذه الاسفار الاربعة من مظهر فظّ ، نجد فيهما فائدة أكيدة لا بدّ من استخلاصها .

ان فكرة ملكوت إلهي يجب تحقيقه ، التي نجدها في مجمل هذه الاسفار ، هي حقيقة مسيحية وعصرية في أساسها . أجل ، الموادّ تختلف ، لكن الهدف هو هو . فالعقبات التي تعترض طريق نحميا هي من صِنف آخر ، لكنها لا تختلف عن العقبات التي يجدها كل إنسان يريد أن يعمل لله في داخل المدينة العصرية . أجل ، لا يُطلَب

(٣٠) شهر تيبت = منتصف كانون الاول (ديسمبر) .

من المسيحي أن يبني أسواراً وينغلق على نفسه ، لكن المقصود لا يزال **مساعدة الاخوة على الاهتداء إلى الله** للتقدّم في خدمته .

وقد نقترب من طول موجة الكاتب الملهَم القديم ، حين يوجّه قرّاءه إلى القداسة . فالمسيحي الملتحق بالملكوت والمنضمّ إلى الكنيسة **ينذر نفسه للقداسة** ، شأن يهودي القرن الثالث ، لا بل أكثر منه . وهذه القداسة هي ، كما كانت ، انفصال عن الخطيئة والنجاسة ولكنها أصبحت اليوم مشاركة في كيان الله : «كونوا كاملين ، كما أن أباكم السماوي كامل» .

أدب اضطهاد

أسفار دانيال وطوبيا ويهوديت وأستير

خلال القرنَين اللذَين ولَيا مهمة عزرا في أورشليم (٣٩٨)، يصمت الكتاب المقدّس في شأن التاريخ اليهودي.

وعندئذٍ ظهر أدب بكل معنى الكلمة.

١. أدب نبوءة : دانيال.

٢. أدب تشجيع : طوبيا ويهوديت وأستير.

٣. أدب دفاع عن الدين: السِفر الاول والثاني لشهداء إسرائيل (١ و٢ مكّابيّون).

سِفرُ دانِيال

الكتاب

لسنا أمام قصّة بمعناها الحصري. وإذا وضعناه في رأس أدب الاضطهاد، فلأنّه أوّل المؤلّفات التي ظهرت في ذلك الزمن، ولانه يُدلي في مجمل تلك الحقبة التاريخية بحكم يوضّح الامور إلى حد بعيد.

قد يكون من أشدّ الكتب تعقيداً ومن أقلّها جاذبية بسبب أسلوبه، ولكنه من أغناها تعليماً.

يظهر تعقّده أولاً في المكان الذي يحتلّه في مجمل الاسفار المقدّسة. ففي كتابنا المقدّس التقليدي، يندرج بين «كبار الانبياء»، ويأتي بعد سفر حزقيال. أمّا في الكتاب المقدّس العبري، فنجده بصحبة سفرَي أستير وعزرا: فلم يكن يُعدّ مجرَّد سِفر نبوءة.

على كل حال، ان قارنّا بين النصّ نفسه في الكتاب المقدّس العبري وترجمته اليونانية السبعينية، لاحظنا ان هناك فرقاً كبيراً في الطول، لان القانون العبري لا يحتوي على بعض مقاطعه.

ولا بدّ من القول أخيراً إن النصّ الذي نقرأه بالعربية يقابله في النص الاصلي خليط من اللغات: العبرية والآرامية واليونانية.

الفن الادبي

نجد هنا أيضاً خليطاً غريباً. يمكننا أن نقسّم فنونه الادبية باختصار على الوجه التالي: قصّة تحمل على التقوى (١-٦)، وأسلوب رؤيوي (٧-١٠)، ونبوءة (١١-١٢)، ومدراش (١٤).

ولا يمكن على الإطلاق أن نكون هنا أمام قصّة حقيقية ، فإن الاشخاص والتسلسل الزمني توافق الحقيقة بوجه من الوجوه .

ويظهر الاسلوب الرؤيوي خاصة في وصف الرؤى وفي وجود ملاك يفسّرها . مهَّد له حزقيال ، فأصبح هنا فنًّا من الفنون الادبية ، وسيزدهر في الادب اليهودي لينتهي إلى السِفر الاخير من أسفار العهد الجديد ، وهو الرؤيا التي وضعها القديس يوحنا . وأحياناً ما يداخل الرؤيا عنصرُ نبوءة ، كما وَرد في الاسابيع السبعين (٩/ ٢٤) .

ولا بدّ أخيراً من الإشارة إلى أن القسم النبوي من الكتاب يظهر بمظهر غير مألوف : فلا يُقتَصَر فيه على موت المضطهِد أنطيوخس ابيفانيوس . بل نقع فيه على حكم في تاريخ الماضي . ذلك بأن الممالك الوثنية السابقة هي جزء من التدبير الإلهي الذي سيؤدّي إلى إحلال مملكته .

لكن تلك الاحداث الماضية تُذكر بطريقة تجعلنا نرى فيها مجرَّد رؤية مستقبلية .

التأليف

من هذا الخليط نستخلص خاتمة تبدو حتمية ، وهي أن الكتاب تمَّ تأليفه انطلاقاً من مقاطع سبق وضعها - المقطع الروائي - أضاف إليها الكاتب الرؤى . لا شك ان هذا الكاتب المجهول كان ذكياً وطريفاً ، فلقد نجح في توحيد مقاطع المجموعة وفي إتحافنا بمؤلَّف يحتلّ مكانة هامة في سير الوحي .

متى حرَّره ؟ لا يصعب الاهتداء إلى التاريخ ؟ ففي ١١/ ٤٠ نقطة انفصال : إلى هنا كان ذِكر الاحداث دقيقاً ومفصَّلاً في وصف الاضطهاد ، فأمسى فجأةً أقلّ دقّة بسبب عودة الكاتب إلى أسلوب الانبياء الاقدمين في التنبّؤ بموت انطيوخس ابيفانيوس . وبما أن موته كان في ١٦٤ وان الاضطهاد شُنَّ في ١٦٧، فلا شك أن الكتاب قد وُضع بين هذَين التاريخَين .

المحيط

كانت الساعة ساعة اتّخاذ مسؤوليات واختبار . حضارتان تتجابهان : الحضارة اليهودية من جهة ، وكانت تبدو أمانة لتقليد الآباء ، والحضارة اليونانية من جهة أخرى ، وكانت تبدو انفتاحاً على العالم .

منذ نحو ٤٠ سنة ، أَلمع السلوقيون في أنطاكية سورية إلى اليهود بفوائد العادات

اليونانية . ولكن النتيجة كانت ضئيلة جداً . فحلَّ العنف محلَّ اللباقة . ففي ١٦٨ ، أمر أنطيوخس ابيفانيوس بنقل مذبح البخور من قدس الهيكل . وفي ١٦٧ ، توقَّف تقريب الذبائح ، ونُصب تمثال زِفْس في وسط الهيكل ، وصدر أمر بعبادة الآلهة الوثنيين تحت طائلة الموت .

ومن ذلك الحين ، نشأ أدب لن يُراد به الدلالة على أن الحكمة اليهودية هي أسمى من مفاتن الحضارة الهلّينستية ، كما فعل في القرن السابق واضعا سفر الجامعة (٢٥٠) وسفر ابن سيراخ (٢٠٠) ، بل بَعْثُ الرجاء في قلوب المضطهَدين والدلالة لهم على أن ما صنعه الله في الماضي ضمان لخلاصهم في مستقبل لا يعلم به إلاَّ الله وحده .

فحين نقرأ تلك المختارات ، علينا ألاَّ ننسى خروج اليهود السلمي الى أدغال بريّة يهوذا ، ولا أوائل ذلك العصيان المفتوح الذي نظَّمته وأشرفت عليه أسرة متَّيا .

ان سفر دانيال سفر عمل ، بالرغم من الظواهر .

التعليم

فماذا سيكتشف في هذا المؤلَّف «مُوغِلو الله» ؟

هناك فكرة جوهرية ، وهي أن ملكوت الله لا يزال يواصل سيره ، من خلال اضطرابات التاريخ ومن خلال جميع آلام الساعة .

من أين جاء هذا اليقين ؟ يقول المحرِّر : «انظروا إلى الماضي ، فلقد رسم الله فيه تدبيره» . كان نبوكدنصر قديراً ، ومع ذلك خلّص الله دانيال الشاب من جبّ الاسود . وكذلك ، فإن جميع الممالك الوثنية التي خضع لها شعب الله منذ الجلاء لم تمنعه من البقاء حيًّا ، بل الملوك المقتدرون هم الذين ماتوا الواحد بعد الآخَر . وهذا ما سوف يكون شأنُ انطيوخس ابيفانيوس . وستزول تلك الممالك عاجلاً أو آجلاً لتترك المكان لمملكة الله وحدها ، المؤلَّفة من الذين قبلوا أن يتألَّموا في سبيله . ولن يؤخذ أيّ شيء في عين الاعتبار : لا خسارة الاموال وحتى لا فقدان الحياة ، فإن الابرار سيقومون لينتموا إلى تلك المملكة التي يحكم فيها شخص غامض يوليه الله سلطانه الخاص : ابن الإنسان .

نسمع منذ الآن تلك الكلمة التي سيقولها يسوع : «ثقوا ، فإني غلبتُ العالم» . ذلك بأن الكنيسة ستجسِّد على الارض تلك المملكة . وسيتوجَّب عليها أن تواجه مثل تلك العقبات ، فتحتاج هي أيضاً إلى الرجاء .

ولذلك يبدو سِفر دانيال قريباً جداً إلى الإنجيل . فإن التبشير بالملكوت هو أهم

مواضيع تبشير المسيح ، وإن اسم «ابن الإنسان» هو اللقب المشيحي الذي كثيراً ما دلّ به يسوع على نفسه ، وأخيراً ، أفليس هو صاحب «مملكة لا تزول للابد» ؟

١. روايات تحمل على التقوى

لسنا أمام قصة حقيقية . فالكاتب يفترض أن أميراً يهودياً يسمَّى دانيال جُلي إلى بابل في ٥٨٦. وتلقَّى تربية رجل مثقَّف في بلاط نبوكدنصَّر . لكنه جعل إخلاصه لإيمانه فوق هذا المنصب الرفيع .

١. دانيال في البلاط

تظهر أمانة دانيال ورفاقه أولاً في شأن الاحكام الغذائية .

١ [١]في السَّنةِ الثَّالِثَةِ مِن مُلكِ يوياقيم ، مَلِكِ يَهوذا ، أَتى نَبوكدنصَّر ، مَلكُ بابِل ، إلى أُورَشَليمَ وحاصَرَها . [٢]فأَسلَمَ الرَّبُّ إلى يَدِه يوياقيم ، مَلِكَ يَهوذا ، وبَعضَ آنِيَةِ بَيتِ الله ، فأَتى بِها إلى أَرضِ شِنْعار[(١)] ،وأَدخَلَ الآنِيَةَ إلى بَيتِ خِزانَةِ آلِهَتِه .

[٣]وأَمَرَ المَلِكُ أَشفَنَز ، رَئيسَ خِصْيانِه ، أَن يُحضِرَ مِن بَني إِسْرائيل ، مِنَ النَّسْلِ المَلَكِيِّ ومِنَ الأُمَراء ، [٤]فِتْياناً لا عَيبَ فيهم حِسانَ المَنظَر ، يَعقِلونَ كُلَّ حِكمَةٍ ويُدرِكونَ العِلْمَ ويَفقَهونَ المَعرِفَة ، مِمَّن يَكونونَ أَهلاً لِلوُقوفِ في قَصرِ المَلِكِ ولِتَعَلُّمِ أَدَبِ الكَلْدانِيِّينَ ولِسانِهم . [٥]وحَدَّدَ لَهمُ المَلِكُ حِصَّةَ كُلِّ يَومٍ في يَومِه مِن طَعامِ المَلِكِ ومِن خَمرِ شَرابِه ، لِكَي يُرَبَّوا ثَلاثَ سَنَوات ، وبَعدَ آنقِضائِها يَقِفونَ أَمامَ المَلِك . [٦]وكانَ بينَهم ، مِن بَني يَهوذا ، دانِيالُ وحَنَنْيا وميشائيلُ وعَزَرْيا . [٧]فجَعَلَ لَهم رئيسُ الخِصْيانِ

(١) في أرض بابل .

أَسْماءً: سَمَّى دانِيالَ بَلْشَصَّر، وحَنَنْيا شَدرَك، وميشائيلَ ميشَك، وعَزَرْيا عَبدَ نَجو.

[٨] وعَزَمَ دانِيالُ في قَلبه أَن لا يَتَنَجَّسَ بِطَعامِ المَلِكِ وخَمرِ شَرابِه. فسَأَلَ رَئيسَ الخِصْيانِ أَن لا يُكرِهَه على التَّنَجُّس[(٢)]. [٩] فأَنالَ اللهُ دانِيالَ نِعمَةً ورَحمَةً لَدى رَئيسِ الخِصْيان. [١٠] فقالَ رَئيسُ الخِصْيانِ لِدانِيال: «إِنِّي أَخافُ مِن سَيِّدي المَلِكِ الَّذي حَدَّدَ مَأكَلَكم ومَشرَبَكم، لِأَنَّه لِماذا يَرى وُجوهَكم أَنحَلَ مِن وُجوهِ الفِتْيانِ أَتْرابِكم، فتَجعَلوا على رَأسي جَريمَةً أَمامَ المَلِك؟» [١١] وقالَ دانِيالُ لِلحارِسِ الَّذي وَلاَّه رَئيسُ الخِصْيانِ على دانِيالَ وحَنَنْيا وميشائيلَ وعَزَرْيا: [١٢] «جَرِّبْ عَبيدَكَ عَشرَةَ أَيَّام، ولْنُعطَ بُقولاً فنَأكُلَها وماءً فنَشرَبَه. [١٣] ثُمَّ تَنظُرُ إِلى مَناظِرِنا وإِلى مَناظِرِ الفِتْيانِ الَّذينَ يَأكُلونَ مِن طَعامِ المَلِك، ثُمَّ آصنَعْ مع عَبيدِكَ بِحَسَبِ ما تَرى». [١٤] فسَمِعَ لَهم في هذا الأَمر وجَرَّبَهم عَشرَةَ أَيَّام. [١٥] وبَعدَ آنقِضاءِ الأَيَّامِ العَشَرَة، بَدَت مَناظِرُهم أَحسَنَ وأَسمَنَ مِن مَناظِرِ جَميعِ الفِتْيانِ الَّذينَ يَأكُلونَ مِن طَعامِ المَلِك. [١٦] فكانَ الحارِسُ يَرفَعُ طَعامَهم وخَمرَ شَرابِهم ويُعطيهم بُقولاً.

[١٧] وأَعْطى اللهُ أُولئِكَ الفِتْيانَ الأَربَعَةَ مَعرِفَةً وفَهماً في كُلِّ أَدَبٍ وحِكمَة. وكانَ دانِيالُ ذا فِطنَةٍ في جَميعِ الرُّؤَى والأَحْلام. [١٨] ولَمَّا تَمَّتِ الأَيَّامُ لإِحْضارِهم على حَسَبِ أَمرِ المَلِك، أَحضَرَهم رَئيسُ الخِصْيانِ أَمامَ نَبوكَدنَصَّر. [١٩] فتَكَلَّمَ المَلِكُ مَعَهم، فلَم يوجَدْ في جَميعِهم مِثلُ دانِيالَ

(٢) كان الاكل من الاطعمة التي تحرّمها الشريعة يشكّل جحوداً للدين.

وحَنَنْيا وميشائيلَ وعَزَرْيا، فكانوا يَقِفونَ أَمامَ المَلِك، [٢٠]وفي كُلِّ أَمرٍ مِن أُمورِ الحِكمَةِ والفِطنَة، مِمَّا سأَلَهم عنه المَلِك، وَجَدَهم يَفوقونَ بِعَشَرَةِ أَضْعافٍ جَميعَ السَّحَرَةِ والعَرَّافينَ الَّذينَ في مَملَكَتِه كُلِّها. [٢١]وبَقِيَ دانِيالُ هُناكَ إِلى السَّنَةِ الأُولى لِقُورُشَ المَلِك.

٢. حلم نبوكدنصَّر

كوفِئت أمانة دانيال بموهبة الحكمة، فهو وحده قادر على إخبار الملك بالحلم الذي رآه وبتفسيره.

٢ [١]وفي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِن مُلكِ نَبوكَدنَصَّر، حَلَمَ نَبوكَدنَصَّرُ أَحلاماً، فآضطَرَبَت نَفسُه وذَهَبَ عَنه نَومُه. [٢]فأَمَرَ المَلِكُ أَن يُدْعى السَّحَرَةُ والعَرَّافونَ والرُّقاةُ والكَلْدانِيُّونَ لِيُبَيِّنوا لِلمَلِكِ أَحْلامَه. [١٠]فأَجابَ الكَلْدانِيُّونَ أَمامَ المَلِكِ وقالوا: «لَيسَ على الأَرضِ إِنْسانٌ يَستَطيعُ أَن يُبَيِّنَ أَمرَ المَلِك، وما مِن مَلِكٍ عَظيمٍ ذي سُلْطانٍ سأَلَ ساحِراً أَو عَرَّافاً أَو كَلْدانِيًّا عن أَمرٍ مِثلِ هذا. [١١]والأَمرُ الَّذي سَأَلَ المَلِكُ عنه عَويص، ولا أَحَدٌ يُبَيِّنُه أَمامَ المَلِك، ما خَلا الآلِهَةَ الَّذينَ لا سُكْنى لَهم مع البَشَر».
[١٢]فعِندَ ذلك غَضِبَ المَلِكُ وحَنِقَ جِدًّا وأَمَرَ بِإِبادَةِ جَميعِ حُكَماءِ بابِل.
[١٩]حينَئِذٍ كُشِفَ السِّرُّ لِدانِيالَ في رُؤْيا لَيل، فبارَكَ دانِيالُ إِلهَ السَّماء، قائلاً:

[٢٣]إِيَّاكَ أَحمَدُ يا إِلهَ آبائي وإِيَّاكَ أُسَبِّح
لِأَنَّكَ وَهَبتَ لِيَ الحِكمَةَ والقُدرَة
وأَعلَمتَني ما سأَلْناكَ، إِذ أَعلَمتَنا أَمرَ المَلِك».

[٢٤]ثُمَّ دَخَلَ دانِيالُ على أَريوكَ الَّذي أَقامَه المَلِكُ على إِبادَةِ حُكَماءِ

بابِل وقالَ لَه : «لا تُبِدْ حُكَماءَ بابِل ، بل أَدخِلْني إِلى أَمامِ المَلِك ، فأُبَيِّنَ لِلمَلِكِ التَّفْسير» . [٢٥]حينئِذٍ بادَرَ أَرْيوكُ إِلى الدُّخولِ بِدانِيالَ إِلى أَمامِ المَلِكِ وقالَ لَه : «قد وَجَدتُ رَجُلاً من بَني يَهوذا المَجْلُوِّينَ يُعلِمُ المَلِكَ بالتَّفْسير» . [٢٦]فأَجابَ المَلِكُ وقالَ لِدانِيالَ الَّذي آسمُه بَلشَصَّر : «أَتَستَطيعُ أَنتَ أَن تُعلِمَني بِالحُلمِ الَّذي رَأَيتُه وتَفْسيرِه ؟» [٢٧]فأَجابَ دانِيالُ أَمامَ المَلِكِ وقال : «إِنَّ السِّرَّ الَّذي يَسأَلُ عنه المَلِكُ لا يَستَطيعُ الحُكَماءُ ولا العَرَّافونَ ولا السَّحَرَةُ ولا المُنَجِّمونَ أَن يُبَيِّنوه لِلمَلِك . [٢٨]لكِنَّ في السَّماءِ إِلهاً يَكشِفُ الأَسْرار ، وقد أَخبَرَ المَلِكَ نَبوكَدنَصَّر بِمَا سَيَكونُ في آخِرِ الأَيَّام . إِنَّ حُلمَكَ ورُؤيا رَأسِكَ على مَضجَعِكَ هو هذا :

[٢٩]«إِنَّكَ ، أَيُّها المَلِك ، قدِ آعتَرَتكَ ، وأَنتَ على مَضجَعِكَ ، أَفْكارٌ فيما سَيَكونُ مِن بَعدُ ، والَّذي يَكشِفُ الأَسْرارَ أَعلَمَكَ بِما سَيَكون . [٣٠]وهذا السِّرُّ قد كُشِفَ لي ، لا لِحِكمَةٍ فِيَّ أَكثَرَ مِمَّا في سائِرِ الأَحْياء . ولكن ، لِكَي يُعلَمَ المَلِكُ بِتَفْسيرِه وتَعلَمَ أَفكارَ قَلبِكَ .

[٣١]إِنَّكَ ، أَيُّها المَلِك ، كُنتَ تَنظُر ، فإِذا بِتِمْثالٍ عَظيم ، وكانَ هذا التِّمثالُ الكَبيرُ والكَثيرُ البَهاءِ واقِفاً أَمامَكَ ، وكانَ مَنظَرُه هائِلاً . [٣٢]وكانَ رَأسُ التِّمْثالِ مِن ذَهَبٍ خالِص ، وصَدرُه وذِراعاه مِن فِضَّة ، وبَطنُه وفَخِذاه مِن نُحاس ، [٣٣]وساقاه مِن حَديد ، وقَدَماه بَعضُهما مِن حَديدٍ وبَعضُهما الآخَرُ مِن خَزَف . [٣٤]وبَينَما أَنتَ ناظِر ، إِذِ آنفَصَلَ حَجَرٌ ، لا بِقُوَّةِ اليَدَين ، فضَرَبَ التِّمثالَ على قَدَمَيه اللَّتينِ مِن حَديدٍ وخَزَفٍ وسَحَقَهما . [٣٥]فآنسَحَقَ الحَديدُ والخَزَفُ والنُّحاسُ والفِضَّةُ والذَّهَبُ مَعاً ، وصارَت كَعُصافَةِ البَيدَرِ في الصَّيف ، فذَهَبَت بِها الرِّيح ، ولم يَبقَ لَها

أَثَر. أَمَّا الحَجَرُ الَّذي ضَرَبَ التِّمثال، فصارَ جَبَلاً كَبيراً ومَلأَ الأَرضَ كُلَّها.

[٣٦]هذا هو الحُلْم، أَمَّا تَفْسيرُه فنُخبِرُ بِه أَمامَ المَلِك. [٣٧]أَنت، أَيُّها المَلِك، مَلِكُ المُلوك، لِأَنَّ إِلهَ السَّماءِ آتاكَ المُلْكَ والقُدرَةَ والسُّلطانَ والمَجْد، [٣٨]وكُلَّ ما يَسكُنُه بَنو البَشَرِ ووُحوشُ البَرِّ وطُيورُ السَّماءِ جَعَلَه في يَدِكَ وسَلَّطَكَ على جَميعِه، فأَنتَ الرَّأسُ الَّذي مِن ذَهَب. [٣٩]وبَعدَكَ تَقومُ مَملَكَةٌ أُخْرى أَصغَرُ مِنكَ، ثُمَّ مَملَكَةٌ ثالِثَةٌ أُخْرى مِن نُحاس، فتَتَسَلَّطُ على الأَرْضِ كُلِّها، [٤٠]ثُمَّ مَملَكَةٌ رابِعَةٌ تَكونُ صُلبَةً كالحَديدِ يَسحَقُ ويَطحَنُ كُلَّ شَيء. فكَما أَنَّ الحَديدَ يُحَطِّم، فكذلك هي تَسحَقُ وتُحَطِّمُ تِلكَ المَمالِكَ جَميعاً. [٤١]وما رَأَيتَ مِن أَنَّ القَدَمَينِ بَعضُهما مِن خَزَفِ الفَخَّارِ وبَعضُهما الآخَرُ مِن حَديد، فهو أَنَّ المَملَكَة تَكونُ مُنقَسِمَةً، ويَكونُ فيها مِن قُوَّةِ الحَديد، كما رَأيتَ الحَديدَ مُختَلِطاً بِخَزَفٍ مِنَ الطِّين. [٤٢] فكَما أَنَّ القَدَمَينِ بَعضُهما مِن حَديدٍ وبَعضُهما مِن خَزَف، فكذلك يَكونُ بَعضُ المَملَكَةِ صُلْباً وبَعضُها الآخَرُ هَشًّا. [٤٣]وما رَأَيتَ مِن أَنَّ الحَديدَ مُختَلِطٌ بِخَزَفِ الطِّين، فهُو أَنَّهم يَختَلِطونَ بِزَرْعٍ بَشَرِيّ، ولكِن لا يَلتَحِمُ هذا بِذاك، كَما أَنَّ الحَديدَ لا يَختَلِطُ بِالخَزَف. [٤٤]وفي أَيَّامِ هؤُلاءِ المُلوك، يُقيمُ إِلهُ السَّماءِ مَملَكَةً لا تَنقَضُ لِلأَبَد، ومُلكُه لا يُترَكُ لِشَعبٍ آخَر، فتَسحَقُ وتُفْني جَميعَ تِلكَ المَمالِك، وهي تَثبُتُ لِلأَبَد، [٤٥]كما أَنَّكَ رَأَيتَ أَنَّ حَجَراً آنفَصَلَ عنِ الجَبَل، لا بِقُوَّةِ اليَدَين، فسَحَقَ الحَديدَ والنُّحاسَ والخَزَفَ والفِضَّةَ والذَّهَب. إِنَّ الإِلهَ العَظيمَ أَعلَمَ المَلِكَ بِما سيَكونُ بَعدَ ذلك. الحُلْمُ حَقٌّ وتَفْسيرُه صِدْق».

[٤٦] حينَئِذٍ سَقَطَ المَلِكُ نبوكَدنَصَّرُ على وَجهِه وسَجَدَ لِدانِيال، وأَمَرَ أَن تُقَرَّبَ لَه تَقدِمَةٌ وبَخورُ رِضًى. [٤٧] وأَجابَ المَلِكُ دانِيالَ وقالَ: «إِنَّ إِلهَكم هو إِلهُ الآلِهَةِ حَقًّا ورَبُّ المُلوكِ وكاشِفُ الأَسْرار، إِذ قَدِ ٱستَطَعتَ كَشفَ هذا السِّرّ».

٣. تمثال الذهب

يظهر ثبات الفتيان على وجه خاص في رفض عبادة الاوثان. نذكر هنا ان أنطيوخس ابيفانيوس كان قد أمر بنصب تمثال زِفْس في وسط هيكل أورشليم.

٣ [٨] حينَئِذٍ تَقَدَّمَ رِجالٌ كَلْدانِيُّونَ ووَشَوا بِاليَهود، [٩] وكَلَّموا نبوكَدنَصَّرَ المَلِكَ وقالوا: «حَيِيتَ أَيُّها المَلِكُ لِلأَبَد[٣]. [١٠] إِنَّكَ، أَيُّها المَلِك، قد أَصدَرتَ أَمْراً بِأَنَّ كُلَّ إِنْسانٍ يَسمَعُ صَوتَ القَرنِ والأُنْبوبِ والقيثارِ والوَنْجِ والسِّنْطيرِ[٤] والمِزْمارِ وسائِرِ أَنْواعِ المَعازِف، يَسقُطُ ساجِداً لِتِمْثالِ الذَّهَب، [١١] ومَن لا يَسْقُطْ ساجِداً يُلقَ في وَسَطِ أَتُّونِ نارٍ مُتَّقِدَة. [١٢] وإِنَّ مِنَ اليَهودِ رِجالاً وَلَّيتَهم على شُؤُونِ إِقْليمِ بابِل، وهُم شَدرَكُ وميشَكُ وعَبدَ نَجو، فهؤُلاءِ الرِّجالُ لم يَعبَأوا بِكَ، أَيُّها المَلِك، ولم يَعبُدوا آلِهَتَكَ، ولم يَسجُدوا لِتِمْثالِ الذَّهَبِ الَّذي نَصَبتَه»[٥].

[١٣] حينَئِذٍ أَمَرَ نَبوكَدنَصَّرُ بِغَضَبٍ وحَنَقٍ أَن يُؤتى بِشَدرَكَ وميشَكَ وعَبدَ نَجو، فأُتِيَ بِهم إِلى أَمامِ المَلِك. [١٤] فتَكَلَّمَ نَبوكَدنَصَّرُ وقالَ لَهم: «أَصَحيحٌ، يا شَدرَكُ وميشَكُ وعَبدَنَجو، أَنَّكم لا تَعبُدونَ آلِهَتي ولا

(٣) صيغة مألوفة للتحية.
(٤) الوَنْج: مثلَّث له أربعة أوتار. والسِّنطير: آلة طرب كالقانون أوتارها من نحاس.
(٥) أراد أنطيوخس ابيفانيوس أن يُسجد لتمثاله.

تَسجُدونَ لِتِمْثالِ الذَّهَبِ الَّذي نَصَبتُه؟ [١٥]فالآن، هل أنتُم مُستَعِدُّونَ، حينَما تَسمَعونَ صوتَ القَرنِ والأُنْبوبِ والقيثارِ والوَنْجِ والسِّنْطيرِ والمِزْمارِ وسائِرِ أَنواعِ المَعازف، لِأَن تَسقُطوا ساجِدينَ لِلتِّمْثالِ الَّذي صَنَعتُه؟ فإِن لم تَسجُدوا، تُلقَونَ مِن ساعَتِكم في وَسَطِ أَتُّونِ النَّارِ المُتَّقِدَة، ومَنِ الإِلهُ الَّذي يُنقِذُكم مِن يَدي؟».

[١٦]فأجابَ شَدرَكُ وميشَكُ وعَبدَنَجو وقالوا لِلمَلِكِ نَبوكَدنَصَّر: «لا حاجَةَ لَنا أَن نُجيبَكَ عن هذا الأَمْر. [١٧]وإِن كانَ إِلهُنا الَّذي نَعبُدُه قادِراً على إِنقاذِنا، فهُو يُنقِذُنا مِن أَتُّونِ النَّارِ المُتَّقِدَةِ ومن يَدِكَ أَيُّها المَلِك. [١٨]وإِن لم يُنقِذْنا، فلْيَكُنْ مَعْلوماً لَكَ، أَيُّها المَلِك، أَنَّنا لن نَعبُدَ آلِهَتَكَ ولا نَسجُدَ لِتِمْثالِ الذَّهَبِ الَّذي نَصَبتَه».

[١٩]حينَئِذٍ آمتَلأَ نَبوكَدنَصَّرُ غَضَباً وتَغَيَّرَ مَنظَرُ وَجهِه على شَدرَكَ وميشَكَ وعَبدَنَجو، فأَجابَ وأَمَرَ أَن يُحمى الأَتُّونُ سَبعَةَ أَضْعافٍ عَمَّا جَرَتِ العادَةُ بإِحمائِه. [٢٠]وأَمَرَ رِجالاً مُحارِبينَ بَواسِلَ مِن جَيشِه أَن يوثِقوا شَدرَكَ وميشَكَ وعَبدَنَجو، ويُلْقوهم في أَتُّونِ النَّارِ المُتَّقِدَة. [٢١]حينَئِذٍ أُوثِقَ هؤُلاءِ الرِّجالُ في سَراويلاتِهم وأَقمِصَتِهم وأَردِيَتِهم وأَلبِسَتِهم، وأُلْقوا في وَسَطِ أَتُّونِ النَّارِ المُتَّقِدَة.

٤. الإنقاذ من أتّون النار

لا يلبث فعل الإيمان أن يُكافأ، فان الله يخلّصهم من اللهيب.

[٤٦]ولم يَزَلْ خُدَّامُ المَلِكِ الَّذينَ أَلقَوهم في الأَتُّونِ يُذَكُّونَ النَّارَ بِالنَّفْطِ والزِّفْتِ والمُشاقةِ والزَّرَجون. [٤٧]فآرتَفَعَ اللَّهيبُ فَوقَ الأَتُّونِ تِسْعاً وأَربَعينَ

ذِراعاً[٦] . ٤٨وآنتَشَرَ وأَحرَقَ الَّذينَ صادَفَهم حَولَ الأَتُّونِ مِنَ الكَلْدانِيِّين . ٤٩لكِنَّ مَلاكَ الرَّبِّ نَزَلَ إِلى الأَتُّونِ مع عَزَرْيا وأَصحابِه وطَرَدَ لَهيبَ النَّارِ عنِ الأَتُّون ٥٠وجَعَلَ وَسَطَ الأَتُّونِ ما يُشبِهُ نَسيمَ النَّدى المُنعِش ، فلم تَمَسَّهمُ النَّارُ البَتَّةَ ولم تُصِبْهم بِأَذًى أَو ضَرَر .

٥١حينَئِذٍ أَخَذَ الثَّلاثَةُ بِفَمٍ واحِدٍ يُسَبِّحونَ اللهَ ويُمَجِّدونَه ويُبارِكونَه في الأَتُّونِ قائِلين :

٥٢«مُبارَكٌ أَنتَ أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ آبائِنا ، نَحمَدُكَ ونَرفَعُكَ إِلى الدُّهور
ومبارَكٌ آسمُ مَجدِكَ القُدُّوس ، نُسَبِّحُكَ ونَرفَعُكَ إِلى الدُّهور .

٩١حينَئِذٍ دَهِشَ نَبوكَدنَصَّرُ المَلِكُ وقامَ بِسُرعَةٍ وتَكَلَّمَ فقالَ لِعُظَمائِه : «أَلَم نَكُنْ أَلْقَينا ثَلاثَةَ رِجالٍ في وَسَطِ النَّارِ وهم موثَقون؟» فأَجابوا وقالوا لِلمَلِك : «بَلى أَيُّها المَلِك» . ٩٢فأَجابَ وقال : «إِنِّي أَرى أَربَعَةَ رِجالٍ مُطْلَقينَ يَتَمَشَّونَ في وَسَطِ النَّار ، ولَيسَ بِهم ضَرَر ، ومَنظَرُ الرَّابِعِ يُشبِهُ آبنَ الآلِهَة . ٩٣حينَئِذٍ آقتَرَبَ نَبوكَدنَصَّرُ إِلى بابِ أَتُّونِ النَّارِ المُتَّقِدَة وتَكَلَّمَ فقال : «يا شَدرَكُ وميشَكُ وعَبدَنَجو ، عَبيدَ اللهِ العَلِيّ ، أُخرُجوا وهَلُمُّوا» . فخَرَجَ شَدرَكُ وميشَكُ وعَبدَنَجو مِن وَسَطِ النَّار . ٩٤فآجتَمَعَ الأَقْطابُ والوُلاةُ والحُكَّامُ وعُظَماءُ المَلِك ، فرَأَوا أَنَّ النَّارَ لم تَقْوَ على أَجْسامِ هؤُلاءِ الرِّجال ، ولم يَحتَرِقْ شَعَرُ رُؤُوسِهم ، ولم تَتَغَيَّرْ سَراويلاتُهم ولم تَلزَمْهم رائِحَةُ النَّار . ٩٥فتَكَلَّمَ نَبوكَدنَصَّرُ وقال : «تَبارَكَ إِلهُ ش دَرَك وميشَك

(٦) نحو ٢٢ متراً .

وعَبدَنَجو الَّذي أَرسَلَ مَلاكَه وأَنقَذَ عَبيدَه الَّذينَ تَوَكَّلوا علَيه وخالَفوا أَمرَ المَلِك وبَذَلوا أَجْسامَهم، لِئَلاَّ يَعبُدوا ويَسجُدوا لإِلهٍ غَيرِ إِلهِهِم».

[٢٥] ووَقَفَ عَزَرْيا وفَتَحَ فاهُ في وَسَطِ النَّارِ وصَلَّى هكذا فقال:

[٢٦] «مُبارَكٌ أَنتَ أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ آبائِنا وحَميدٌ آسمُكَ ومُمَجَّدٌ أَبَدَ الدُّهور

[٣٤] فلا تَخذُلْنا لِلأَبَدِ لِأَجلِ آسمِكَ ولا تَنقُضْ عَهدَكَ

[٣٥] ولا تُحَوِّلْ رَحمَتَكَ عَنَّا

لِأَجلِ إِبْراهيمَ خَليلِكَ وإِسحقَ عَبدِكَ وإِسْرائيلَ قِدِّيسِك

[٣٦] الَّذينَ قُلتَ لَهم إِنَّكَ تُكَثِّرُ نَسلَهم كنُجومِ السَّماء

وكالرَّمْلِ الَّذي على شاطِئِ البَحْر.

[٣٧] فلَقَد أَصبَحْنا أَصغَرَ الأُمَمِ كُلِّها

ونَحنُ اليَومَ أَذِلاَّءُ في كُلِّ الأَرضِ بِسَبَبِ خَطايانا

[٣٨] ولَيسَ لنا في هذا الزَّمانِ رَئيسٌ ولا نَبِيٌّ ولا قائِد

ولا مُحرَقَةٌ ولا ذَبيحَةٌ ولا تَقدِمَةٌ ولا بَخور ولا مَكان

لِتَقْريبِ البَواكيرِ أَمامَكَ [٣٩] ولِنَيلِ رَحمَتِكَ.

ولٰكِنِ آقبَلْنا لِآنسِحاقِ نُفوسِنا وتَواضُعِ أَرْواحِنا.

[٤٠] كمُحرَقاتِ الكِباشِ والثِّيرانِ ورِبْواتِ الحُمْلانِ السِّمان.

فلْتَكُنْ هكذا ذَبيحَتُنا اليَومَ أَمامَكَ حَتَّى تُرضِيَكَ

ولْنَسِرْ وَراءَكَ حَتَّى النِّهايةِ فإِنَّه لا خِزْيَ لِلمُتَوَكِّلينَ علَيكَ.

[٤١] والآنَ فإِنَّنا نَتْبَعُكَ بِكُلِّ قُلوبِنا ونَتَّقيكَ ونَبتَغي وَجهَكَ

[٤٢] فلا تُخزِنا، بل عامِلْنا بِحَسَبِ رأفَتِكَ ووَفرَةِ رَحمَتِكَ

[٤٣] وأَنقِذْنا بِحَسَبِ عَجائِبِكَ وهَبِ المَجدَ أَيُّها الرَّبُّ لِآسمِكَ

٥. مأدبة بلشصَّر

استعمل بلشصَّر في مأدبةٍ آنية الذهب والفضّة التي أخرجها نبوكدنصَّر أبوه من هيكل أورشليم. وبسبب هذا التدنيس، أسلم الله إلى الفرس مملكة البابليين. كل ذلك يُروى لنا بطريقة مأسوية، فيما تظهر مرّة أخرى حكمة دانيال.

٥ [١]وأَقامَ بَلشَصَّرُ المَلِكُ مَأدُبَةً عَظيمةً لِأَلفٍ مِن عُظَمائِه، وشَرِبَ خَمراً أَمامَ الأَلْف. [٢]وبَينَما بَلشَصَّرُ يَذوقُ الخَمْرَ، أَمَرَ أَن يُؤتى بِآنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ الَّتي أَخرَجَها نَبوكَدنَصَّرُ أَبوه مِنَ الهَيكَلِ الَّذي بِأُورَشَليم، لِيَشرَبَ بِها المَلِكُ وعُظَماؤُه ونِساؤُه وسَرارِيُّه. [٣]فأُتِيَ بِآنِيَةِ الذَّهَبِ الَّتي أُخرِجَت مِن هَيكَلِ بَيتِ اللهِ الَّذي بِأُورَشَليم، وشَرِبَ بِها المَلِكُ وعُظَماؤُه ونِساؤُه وسَرارِيُّه، [٤]شَرِبوا خَمراً وسَبَّحوا آلِهَةَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ والنُّحاسِ والحَديدِ والخَشَبِ والحَجَر.

[٥]وفي تِلكَ السَّاعة، ظَهَرَت أَصابِعُ يَدِ إِنْسان، وكَتَبَت تُجاهَ المِصْباحِ على كِلْسِ حائِطِ قَصرِ المَلِك، والمَلِكُ يَرى طَرَفَ اليَدِ الَّتي تَكتُب. [٦]حينَئِذٍ تَغَيَّرَت سَحنَةُ المَلِك ورَوَّعَته هَواجِسُهُ وآنحَلَّت عُقَدُ وَسَطِه وآصطَكَّت رُكبَتاه. [٧]وصَرَخَ المَلِكُ بِصَوتٍ شَديدٍ أَن يُدخِلوا العَرَّافينَ والكَلْدانِيِّينَ والمُنَجِّمين، وتَكَلَّمَ المَلِكُ وقالَ لِحُكَماءِ بابِل: «كُلُّ مَن يَقرَأُ هذه الكِتابَةَ ويُبَيِّنُ تَفْسيرَها يَلبَسُ الأُرجُوان، ويَتَقَلَّدُ طَوقَ ذَهَبٍ في عُنُقِه، ويَكونُ الثَّالِثَ في سُلْطانِ المَملَكَة». [٨]فدَخَلَ جَميعُ حُكَماءِ المَلِك، فلَم يَستَطيعوا أَن يَقرَأُوا الكِتابة، ولا أَن يُعلِموا المَلِكَ بِتَفْسيرِها. [٩]حينَئِذٍ آشتَدَّ رَوعُ المَلِكِ بَلشَصَّر وتَغَيَّرَت سَحنَتُه وآضطَرَبَ عُظَماؤُه.

[١٠]وإِنَّ المَلِكَةَ، لِسَبَبِ كَلامِ المَلِكِ وعُظَمائِه، دَخَلَت بَيتَ المَأدُبَة، وتَكَلَّمَتِ المَلِكَةُ وقالَت: «أَيُّها المَلِك، حَيِيتَ لِلأَبَد! لا تُرَوِّعْكَ

هَواجِسُكَ ولا تتَغَيَّرْ سَحنَتُكَ. [11]إنَّ في مَملَكَتِكَ رَجُلاً فيه روحُ الآلِهَةِ القُدُّوسين، وفي أَيَّامِ أَبيكَ وُجِدَ فيه نورٌ وفَهمٌ وحِكمَةٌ كحِكمَةِ الآلِهَة. وقد أَقامَه المَلِكُ نبوكَدنَصَّرُ أَبوكَ رَئيسَ السَّحَرَةِ والعَرَّافينَ والكَلْدانِيِّينَ والمُنَجِّمينَ، [12]إذ وُجِدَ فيه روحٌ بارِعٌ وعِلمٌ وفَهمٌ في تَفْسيرِ الأَحْلامِ وفَكِّ الأَلْغازِ وحَلِّ العُقَد، وهو دانيالُ الَّذي سَمَّاه المَلِكُ بَلْشَصَّر. فلْيُدْعَ الآنَ دانِيال ويُبَيِّنِ التَّفْسير.

[13]فدُخِلَ بِدانِيالَ إِلى أَمامِ المَلِك. فتَكَلَّمَ المَلِكُ وقالَ لِدانِيال: «أَأَنتَ هو دانِيالُ مِن بَني يَهوذا المَجلُوِّينَ الَّذينَ أَتى بِهِم أَبي مِن يَهوذا؟ [14]فإِنِّي سَمِعتُ عَنكَ أَنَّ فيكَ روحَ الآلِهَة وأَنَّه وُجِدَ فيكَ نورٌ وفَهمٌ وحِكمَةٌ بارِعَة. [15]وقد دُخِلَ الآنَ إِلى أَمامي بِالحُكَماءِ والعَرَّافين، لِكَي يَقرَأُوا هذه الكِتابَةَ ويُعلِموني بِتَفْسيرِها، فلم يَستَطيعوا أَن يُبَيِّنوا تَفْسيرَ الكَلام. [16]وقد سَمِعتُ عَنكَ أَنَّكَ قادِرٌ على الإِتْيانِ بِالتَّفسيراتِ وحَلِّ العُقَد. فإِن قَدِرتَ أَن تَقرَأَ الكِتابَةَ وتُعلِمَني بِتَفْسيرِها، تَلبَسُ الأُرْجُوان، وتَتَقَلَّدُ طَوقَ الذَّهَبِ في عُنُقِكَ، وتَكونُ الثَّالِثَ في سُلْطانِ المَملَكَة».

[17]فأَجابَ دانِيالُ وقالَ أَمامَ المَلِك: «لِتَكُنْ عَطاياكَ لَكَ، وهَبْ هَداياكَ لِغَيري. أَمَّا الكِتابَةُ فأَقرَأُها لِلمَلِك، وأُعلِمُه بِتَفْسيرِها. [18]أَنتَ أَيُّها المَلِك، إِنَّ اللهَ العَلِيَّ آتى نبوكَدنَصَّرَ أَباكَ المُلْكَ والعَظَمَةَ والمَجدَ والبَهاء. [19]ولِلعَظَمَةِ الَّتي أُوتيها، كانَ كُلُّ شَعبٍ وأُمَّةٍ ولِسانٍ يَرتَعِدُ ويَفزَعُ أَمامَه، وكانَ يَقتُلُ مَن يَشاءُ ويَستَبْقي مَن يَشاء، ويَرفَعُ مَن يَشاءُ ويُذِلُّ مَن يَشاء. [20]فلَمَّا تَرَفَّعَ قَلبُه وقَسا روحُه حتَّى التَّعَجرُف، أُنزِلَ عن عَرشِ مُلكِه ونُزِعَ عنه مَجدُه.

[٢٢]وأَنتَ يا بَلشَصَّرُ ٱبنُه ، فإِنَّكَ ، مع عِلمِكَ بِكُلِّ ذلك ، لم تَضَعْ قَلبَكَ ، [٢٣]بل تَرَفَّعتَ على رَبِّ السَّماء ، وأُتِيَ إِلى أَمامِكَ بِآنِيَةِ بَيتِه ، وشَرِبتَ بِها خَمراً أَنتَ وعُظَماؤُكَ ونِساؤُكَ وسَرارِيُّكَ ، وسَبَّحتَ آلِهَةَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ والنُّحاسِ والحَديدِ والخَشَبِ والحَجَرِ الَّتي لا تُبصِرُ ولا تَسمَعُ ولا تَشعُرُ ولا تُعَظِّمُ اللهَ الَّذي في يَدِه نَسَمَتُكَ وعِندَه جَميعُ سُبُلِكَ . [٢٤]فلِذلِكَ أُرسِلَت مِن لَدُنْه كَفُّ تِلكَ اليَد ، ورُسِمَت هذه الكِتابة . [٢٥]وهذه هي الكِتابَةُ الَّتي رُسِمَت : «مَنا مَنا» ، «تَقِل» ، و«فَرْسين» . [٢٦]وهذا تَفْسيرُ الكَلام : «مَنا» أَي : أَحْصى اللهُ أَيَّامَ مُلكِكَ وأَنْهاها . [٢٧]«تَقِلْ» أَي : وُزِنتَ في الميزانِ فوُجِدتَ ناقِصاً . [٢٨]«فَرِس» أَي : قُسِمَت مَملَكَتُكَ وأُسلِمَت إِلى ميدِيا وفارِس» .

[٢٩]حينَئِذٍ أَمَرَ بَلشَصَّر ، فأُلبِسَ دانِيالُ الأُرجُوان ، وقُلِّدَ طَوقَ الذَّهَبِ في عُنُقِه ونودِيَ لَه بأَنَّه الثَّالِثُ في سُلْطانِ المَملَكَة . [٣٠]وفي تِلكَ اللَّيلَة ، قُتِلَ بَلشَصَّر ، مَلِكُ الكَلْدانِيِّين .

٦. دانيال في جب الاسود

مظهر آخر لقدرة الله ، فهو «يخلّص» مَن كانوا أُمناء له . ذلك بأن الوزراء والأقطاب التمسوا علّة على دانيال، فأقنعوا الملك داريوس بإصدار حكم بأن كل من طلب طلبًا الى إله او انسان إلاّ الى الملك يُلقى في جب الاسود. فرسم الملك الكتابة والأمر.

٦ [١١]فلَمَّا عَلِمَ دانِيالُ بِرَسمِ الكِتابَة ، دَخَلَ إِلى بَيتِه ، وكانَت نَوافِذُه مَفْتوحَةً في عُلِّيَتِه جِهَةَ أُورَشَليم . فكانَ يَجْثو على رُكْبَتَيه ثَلاثَ مَرَّاتٍ في اليَوم ، ويُصَلِّي للهِ ويَحمَدُه ، كما كانَ يَفعَلُ مِن قَبْلُ . [١٢]فبادَرَ أُولئِكَ

الرِّجالُ فوَجدوا دانِيالَ يَطلُبُ ويَتضَرَّعُ أمامَ إلهِه. [١٣]حينَئِذٍ ٱقتَرَبوا إلى المَلِكِ وتَكَلَّموا في أَمرِ المَلِكِ قائِلين: «أَلَم تَرسُمْ بِأَنَّ كُلَّ مَن يَطلُبُ شَيئاً إلى إلهٍ أَو إِنْسانٍ إلى ثَلاثينَ يوماً إِلاَّ إِلَيكَ، أَيُّها المَلِك، يُلْقى في جُبِّ الأُسود؟» فأَجابَ المَلِكُ وقال: «هذا حَقّ، كما هي شَريعَةُ ميدِيا وفارِسَ الَّتي لا تُنسَخ». [١٤]فأَجابوا وقالوا أَمامَ المَلِك: «إِنَّ دانِيالَ الَّذي من بَني يَهوذا المَجلُوِّينَ لم يَعبأْ بِكَ، أَيُّها المَلِك، ولا بِالأَمرِ الَّذي رَسَمتَه، بل ثَلاثَ مَرَّاتٍ في اليَومِ يَطلُبُ طَلَبَه». [١٥]فلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ هذا الكَلام، اِغتَمَّ جِدًّا وجَعَلَ ٱهتِمامَه أَن يُنقِذَ دانِيال، وٱجتَهَدَ في تَخْليصِه إلى غُروبِ الشَّمْس. [١٦]حينَئِذٍ بادَرَ أُولئِكَ الرِّجالُ إلى المَلِكِ وقالوا لِلمَلِك: «إِعلَمْ، أَيُّها المَلِك، أَنَّ شريعَةَ ميدِيا وفارِسَ هي أَنَّ كُلَّ أَمرٍ وحُكمٍ يُصدِرُه المَلِكُ لا يُغَيَّر».

[١٧]حينَئِذٍ أَمَرَ المَلِكُ فأُتِيَ بِدانيال، وأُلقِيَ في جُبِّ الأُسود. فتَكَلَّمَ المَلِكُ وقالَ لِدانِيال: «إِنَّ إِلهَكَ الَّذي تُواظِبُ على عِبادَتِه هو يُنقِذُكَ!». [١٨]وأُتِيَ بِحَجَرٍ فوُضِعَ على فَمِ الجُبّ، وخَتَمَه المَلِكُ بِخاتَمِه وخاتَمِ عُظَمائِه، لِئَلاَّ يَتَغَيَّرَ شَيءٌ في أَمرِ دانِيال. [١٩]ثُمَّ مَضى المَلِكُ إلى قَصرِه وباتَ صائِماً، ولم تُدخَل علَيه سَرارِيُّه، ونَفَرَ النَّومُ عنه. [٢٠]وفي الغَداةِ قامَ المَلِكُ عِندَ الفَجرِ وأَسرَعَ في الذَّهابِ إلى جُبِّ الأُسود. [٢١]ولَمَّا ٱقتَرَبَ المَلِكُ مِنَ الجُبّ، نادى دانِيالَ بِصَوتٍ حَزينٍ وخاطَبَه قائِلاً: «يا دانِيال، عَبدَ اللهِ الحَيّ، هلِ ٱستَطاعَ إِلهُكَ الَّذي تُواظِبُ على عِبادَتِه أَن يُنقِذَكَ مِنَ الأُسود؟» [٢٢]فأَجابَ دانيالُ المَلِكَ: «أَيُّها المَلِكُ، حَيِيتَ لِلأَبَد. [٢٣]إِنَّ إِلهي أَرسَلَ مَلاكَه فسَدَّ أَفواهَ الأُسود، فلم تُؤذِني، لِأَنِّي وُجِدتُ بَريئاً

أَمامَه، وأَمامَكَ أَيضاً، أَيُّها المَلِكُ، لم أَصنَعْ سوءًا». [٢٤]ففَرِحَ المَلِكُ بِه فَرَحاً عَظيماً، وأَمَرَ أَن يُخرَجَ دانِيالُ مِنَ الجُبّ. فأُخرِجَ دانِيالُ مِنَ الجُبّ، فلَم يوجَدْ فيه أَذًى لِأَنَّه تَوَكَّلَ على إِلهِه. [٢٥]ثُمَّ أَمَرَ المَلِك، فأُتِيَ بِأُولئِكَ الرِّجالِ الَّذينَ وَشَوا بِدانِيال، وأُلْقوا في جُبِّ الأُسود، هم وبَنوهم ونِساؤُهم، فلَم يَبلُغوا إِلى أَرضِ الجُبِّ حَتَّى تَسَلَّطَت علَيهِمِ الأُسودُ وحَطَّمَت جَميعَ عِظامِهم.

[٢٦]ثُمَّ كَتَبَ دارِيُوسُ المَلِكُ إِلى جَميعِ الشُّعوبِ والأُمَمِ والأَلسِنَةِ السَّاكِنينَ في الأَرضِ كُلِّها: «لكم وافِرُ السَّلام! [٢٧]لقد أَصدَرتُ أَمراً لِلنَّاسِ في كُلِّ سُلْطانِ مَملَكَتي أَن يَخافوا ويَرتَعِدوا في وَجهِ إِلهِ دانِيال:

لِأَنَّه هوَ الإِلهُ الحَيُّ القَيُّومُ لِلأَبَد.
ومُلكُه لا يَنقَرِض وسُلْطانُه إِلى المُنتَهى.

٢. الرؤى الكبرى

تشكّل الرؤى عنصراً من عناصر الفن الرؤيوي. ثم إنها تفسَّر على لسان بعض الملائكة. وقد يشكّل مضمونها نبوءة.

١. رؤيا الحيوانات الاربعة

تمثّل زوال الممالك الكبرى الاربع: بابل وميديا وفارس واليونانية المقدونية.

٧ [١]في السَّنَةِ الأُولى لِبَلشَصَّر، مَلِكِ بابِل، رَأَى دانِيالُ حُلْماً ورُؤَى رَأسِه على مَضجَعِه. فكَتَبَ الحُلْم. بَدءُ الكَلام. [٢]تَكَلَّمَ دانِيالُ وقال: «كُنتُ أَنظُرُ إِلى رُؤيايَ لَيلاً، فإِذا بِأَربَعِ رِياحِ السَّماءِ قد هَيَّجتِ البَحرَ الكَبير. [٣]فطَلَعَ مِنَ البَحرِ أَربَعَةُ حَيواناتٍ عَظيمَةٍ يَختَلِفُ بَعضُها عن

بَعْض. [٤] الأَوَّلُ[٧] مِثلُ الأَسَدِ ولَه جَناحا عُقاب. وبَينَما كُنتُ أَنظُر، إِذِ آقتُلِعَ جَناحاه، ثُمَّ آرتَفَعَ عنِ الأَرضِ وقامَ على رِجلَيه كإِنْسان، وأُوتِيَ قَلبَ إِنْسان. [٥] وإِذا بِحَيَوانٍ آخَرَ[٨] شَبيهٍ بِالدُّبّ. فقامَ على جَنْبٍ واحِد، وفي فَمِه ثَلاثُ أَضلُعٍ بَينَ أَسْنانِه. فقيلَ لَه: «قُمْ فكُلْ لَحماً كَثيراً». [٦] وبَعدَ ذلك، كُنتُ أَنظُر، فإِذا بِآخَرَ[٩] مِثلِ النَّمِر، ولَه أَربَعَةُ أَجنِحَةِ طائِرٍ على ظَهرِه. وكانَ لِلحَيَوانِ أَربَعَةُ رُؤُوس، وأُوتِيَ سُلْطاناً. [٧] وبَعدَ ذلك كُنتُ أَنظُرُ إِلى رؤيايَ لَيلاً، فإِذا بِحَيَوانٍ رابِعٍ[١٠] هائِلٍ مُريعٍ قَوِيٍّ جِدًّا، ولَه أَسْنانٌ كبيرَةٌ مِن حَديد. فكانَ يأكُلُ ويَسحَقُ ويَدوسُ الباقِيَ بِرِجلَيه، وهو يَختَلِفُ عن سائِرِ الحَيَواناتِ الَّتي قَبلَه، ولَه عَشرَةُ قُرون.

[٨] وكُنتُ أَتأَمَّلُ القُرون، فإِذا بِقَرنٍ آخَرَ صَغيرٍ قد طَلَعَ بَينَها، وقُلِعَت ثَلاثَةٌ مِنَ القُرونِ السَّابِقَةِ مِن أَمامِه، وإِذا بِعُيونٍ في هذا القَرْنِ كعُيونِ إِنْسانٍ وفَمٍ يَنطِقُ بِعَظائِم.

٢. رؤيا ابن الانسان

شخص غامض الهوية يأتي على الغمام ويبلغ الى «قديم الأيَّام» ويولى مُلكاً أبدياً.

[٩] وبَينَما كُنتُ أَنظُر، إِذ نُصِبَت عُروش فجَلَسَ قَديمُ الأَيَّام[١١]

(٧) بابل.
(٨) الميديون.
(٩) الفُرْس.
(١٠) الاسكندر. القرون العشرة تمثّل عشرة ملوك سلوقيين. والقرن الصغير يمثّل أنطيوخس ابيفانيوس.
(١١) الله. اللون الابيض يمثّل أزلية الله. والنار ترافق عادةً تجلّي الله.

وكانَ لِباسُه أبيَضَ كالثَّلْج وشَعَرُ رَأسِه كالصُّوفِ النَّقِيّ
وعَرشُه لَهيبَ نار وعَجَلاتُه ناراً مُضطَرِمَة.
[١٠]ومِن أمامِه يَجْري ويَخرُجُ نَهرٌ مِن نار
وتَخدُمُه أُلوفُ أُلوف وتَقِفُ بَينَ يَدَيه رِبْواتُ رِبْوات.
فجَلَسَ أَهلُ القَضاء وفُتِحَت أَسْفار[(١٢)].
[١١]وكُنتُ أَنظُرُ بِسَبَبِ صَوتِ الأَقوالِ العَظيمَةِ الَّتي يَتَكَلَّمُ بِها القَرْن. وبَينَما كُنتُ أَنظُر، إِذ قُتِلَ الحَيَوانُ وأُبيدَ جِسمُه وجُعِلَ وَقوداً لِلنَّار. [١٢]وأَمَّا باقي الحَيَوانات، فأُزيلَ سُلطانُها. لكِنَّها أُوتِيَت طولَ حَياةٍ إِلى زَمانٍ ووَقْت[(١٣)].
[١٣]وكُنتُ أَنظُرُ في رُؤيايَ لَيلاً
فإِذا بِمِثْلِ آبنِ إِنسان[(١٤)] آتٍ على غَمامِ السَّماء[(١٥)]
فبَلَغَ إِلى قَديمِ الأَيَّام وقُرِّبَ إِلى أَمامِه.
[١٤]وأُوتِيَ سُلْطاناً ومَجداً ومُلكاً
فجَميعُ الشُّعوبِ والأُمَمِ والأَلسِنَةِ يَعبُدونَه وسُلْطانُه سُلْطانٌ أَبَدِيٌّ لا يَزول ومُلكُه لا يَنقَرِض[(١٦)].

(١٢) تضمّ الاسفار السماوية سِفر أعمال كل إنسان وسِفر الحياة.
(١٣) مدَّة غير محدَّدة.
(١٤) سيرى الدين اليهودي في «ابن الانسان» شخص المشيح. وسيستعمل يسوع غالباً هذه العبارة للدلالة على نفسه
(١٥) ان الغمام، كالنار، هو عنصر أدبي من عناصر تجلّي الله.
(١٦) ملكوت الله.

٣. تفسير الرؤيا

تمثّل الحيوانات القوّات الوثنية التي يزيلها الله لكي يقيم مُلكه على جماعة «القدّيسين».

[١٥]فاَضطَرَبَت روحي أنا دانيالَ بِسَبَبِ ذلك ورَوَّعَني رُؤَى رَأسي. [١٦]فاَقتَرَبتُ إِلى أَحَدِ الواقِفينَ وسأَلتُه عن حَقيقَةِ ذلك كُلِّه، فأَخبَرَني وأَعلَمَني بِتَفْسيرِ الأُمور: [١٧]«وهو أَنَّ هذه الحَيَواناتِ الأَربَعَةَ العَظيمَةَ هي أَربَعَةُ مُلوكٍ يَقومونَ مِنَ الأَرْض، [١٨]وأَنَّ قِدِّيسي العَلِيِّ يأخُذونَ المُلْكَ ويَحوزونَه لِلأَبَدِ ولأَبَدِ الأَبَدين». [١٩]فرَغِبتُ في الاَطِّلاعِ على حَقيقَةِ الحَيَوانِ الرَّابِعِ الَّذي كانَ يَختَلِفُ عن سائِرِها وكانَ هائِلاً جِدًّا، والَّذي كانَت أَسْنانُه مِن حَديدٍ وأَظافيرُه مِن نُحاس، وقَد أَكَلَ وسَحَقَ وداسَ الباقِيَ بِرِجلَيه، [٢٠]وعلى حَقيقَةِ القُرونِ العَشَرَةِ الَّتي في رأسِه، وعلى حَقيقَةِ الآخَرِ الَّذي طَلَعَ فسَقَطَت مِن أَمامِه ثَلاثَة، ذلك القَرنِ الَّذي لَه عُيونٌ وفَمٌ يَتَكَلَّمُ بِعَظائِمَ ومَنظَرُه أَعظَمُ مِن أَصحابِه. [٢١]وكُنتُ أَنظُر، فإِذا بِهذا القَرنِ يُحارِبُ القِدِّيسين، فيَتَغَلَّبُ علَيهم، [٢٢]حَتَّى جاءَ قَديمُ الأَيَّام فأُنصِفَ قِدِّيسو العَلِيِّ، وبَلَغَ الزَّمانُ فنالَ القِدِّيسونَ المُلْك.

[٢٣]وهكذا قال:

«إِنَّ الحَيَوانَ الرَّابِعَ يَكونُ المَملَكَةَ الرَّابِعَةَ على الأَرْض
وتَختَلِفُ عن سائِرِ المَمالِك فتَأكُلُ الأَرضَ كُلَّها وتَدوسُها وتَسحَقُها.

[٢٤]والقُرونُ العَشَرَةُ الَّتي مِن هذه المَملَكَة هي عَشَرَةُ مُلوكٍ يَقومون(١٧)

(١٧) أسلاف أنطيوخس ابيفانيوس. أمَّا الملوك الثلاثة الوارد ذكرها في نهاية الآية، فإنهم يمثّلون خصوم أنطيوخس.

ويَقومُ بَعدَهم آخَر وهذا يَختَلِفُ عنِ الأَوَّلين ويُذِلُّ ثَلاثَةَ مُلوك .
[٢٥] ويَتَكَلَّمُ بِأَقْوالٍ ضِدَّ العَلِيّ ويَبتَلِي قِدِّيسي العَلِيّ
ويَنْوي أَن يُغَيِّرَ الأَزمِنَةَ والشَّريعَة
وسيُسلَمونَ إِلى يَدِه إِلى زَمانٍ وزمانَينِ ونِصفِ زَمان(١٨) .
[٢٦] ثُمَّ يَجلِسُ أَهلُ القَضاء فيُنزَعُ سُلْطانُه ويُدَمَّرُ ويُبادُ حتَّى المُنتَهى .
[٢٧] ويُعْطى المُلكُ والسُّلْطانُ وعَظَمَةُ المُلكِ تَحتَ السَّماءِ بِأَسرِها
لِشَعبِ قِدِّيسي العَلِيّ
وسيَكونُ مُلكُه مُلكاً أَبَدِيًّا ويَعبُدُه جَميعُ السَّلاطينِ ويُطيعونَه» .

٤. نبوءة الاسابيع السبعين

إنّها نبوءة أخيرية في جوهرها ، وهي ستحقَّق تحقُّقاً تامًّا في المسيح وكنيسته . وإذا صحّ أن مجملها يستهدف أولاً وقائع اضطهاد أنطيوخس ابيفانيوس ، يجب الاعتراف بأنَّ تفاصيلها يعسر علينا فهم معناها .

٩ [٣] فجَعَلتُ وَجْهي إِلى السَّيِّد الإِله ، لِٱلْتِماسِ وَجهِه في الصَّلاةِ والتَّضَرُّعاتِ بِالصَّومِ والمِسْحِ والرَّماد . [٤] وصَلَّيتُ إِلى الرَّبِّ إِلهي وٱعتَرَفتُ وقُلتُ :

«أَيُّها السَّيِّدُ الإِلهُ العَظيمُ الرَّهيب ، حافِظُ العَهدِ والرَّحمَةِ لِلَّذينَ يُحِبُّونَكَ ويَحفَظونَ وَصاياكَ ، [٥] إِنَّنا خَطِئنا وأَثِمْنا وٱرتَكَبْنا الشَّرَّ وتَمَرَّدْنا وحِدْنا عن وَصاياكَ وأَحْكامِكَ . [٦] ولم تَسمَعْ لِعَبيدِكَ الأَنبِياءِ الَّذينَ كَلَّموا بِٱسمِكَ مُلوكَنا ورُؤَساءَنا وآباءَنا وجَميعَ شَعْبِ الأَرْض . [٧] لَكَ البِرُّ أَيُّها

(١٨) تغيير الازمنة : السبت مثلاً . وتغيير الشريعة : الختان مثلاً . الزمن يوافق سنة . فنحن هنا أمام ثلاث سنوات ونصف ، وهي تشكل مدّة الاضطهاد (١٦٧–١٦٤) .

السَّيِّد، ولَنا خِزْيُ الوجوه، كما في هذا اليَومِ لِرجالِ يَهوذا وسُكَّانِ أُورَشَليمَ ولِجَميعِ إِسْرائيل، لِدانيهم وقاصيهم، في جَميعِ الأَراضي الَّتي دَفَعتَهم إِلَيها، بِسَبَبِ المُخالَفَةِ الَّتي خالفوكَ بِها. [٨]فلَنا أَيُّها السَّيِّدُ خِزْيُ الوُجوه ولِمُلوكِنا ورُؤَسائِنا وآبائِنا، لِأَنَّنا خَطِئنا إِلَيكَ، [٩]ولِلسَّيِّدِ إِلهِنا الرَّحمَةُ والمَغفِرَة، لِأَنَّنا تَمَرَّدْنا. [١٠]ولم نَسمَعْ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِنا فنَسلُكَ في شَرائِعِه الَّتي جعَلَها أَمامَنا على أَلسِنَةِ عَبيدِه الأَنبِياء. [١١]فتَعَدَّى جَميعُ إِسْرائيلَ شَريعَتَكَ وحادَ غَيرَ سامِعٍ لِصَوتِكَ. فآنصَبَّت علَينا اللَّعنَةُ والقَسَمُ المَكْتوبانِ في تَوراةِ موسى عَبدِ الله، لِأَنَّنا خَطِئْنا إِلَيه.

[١٢]فأَتَمَّ كَلامَه الَّذي تَكَلَّمَ بِه علَينا وعلى قُضاتِنا الَّذينَ قَضَوا لَنا، جالِباً علَينا شَرًّا عَظيماً، حتَّى لم يَحدُثْ تَحتَ السَّماءِ بِأَسرِها مِثلُ ما حَدَثَ في أُورَشَليم. [١٣]وكما كُتِبَ في شَريعَةِ موسى، نَزَلَ علَينا كُلُّ هذا الشَّرّ، ونَحنُ لم نَستَعطِفْ وَجهَ الرَّبِّ إِلهِنا، راجِعينَ عن آثامِنا وفاهِمينَ حَقَّكَ. [١٤]فسَهِرَ الرَّبُّ على الشَّرِّ وجَلَبَه علَينا، لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهَنا بارٌّ في جَميعِ أَعْمالِه الَّتي عَمِلَها، ونَحنُ لم نَسمَعْ لِصَوتِه، [١٥]والآنَ، أَيُّها السَّيِّدُ إِلهُنا الَّذي أَخرَجَ شَعبَه مِن أَرضِ مِصرَ بِيَدٍ قَديرة، وأَقامَ لَه آسماً كما في هذا اليَوم، إِنَّنا خَطِئْنا وآرتَكَبْنا الشَّرّ. [١٦]أَيُّها السَّيِّد، على حَسَبِ بِرِّكَ كُلِّه، لِيَنصَرِفْ غَضَبُكَ وسُخطُكَ على مَدينَتِكَ أُورَشَليم، جَبَلِ قُدسِكَ، فإِنَّه لِسَبَبِ خَطايانا وآثامِ آبائِنا صارَت أُورَشَليمُ وشَعبُكَ عاراً عِندَ جَميعِ الَّذينَ حَولَنا. [١٧]فالآنَ آسمَعْ، يا إِلهَنا، صَلاةَ عَبدِكَ وتَضَرُّعاتِه، وأَضِئْ بِوَجهِكَ على مَقدِسِكَ المُقفِرِ بِسَبَبِكَ، أَيُّها السَّيِّد. [١٨]أَمِلْ أُذُنَكَ يا إِلهي وآسمَعْ. إِفتَحْ عَينَيكَ وآنظُرْ دَمارَنا والمَدينَةَ الَّتي دُعِيَ

آسمُكَ علَيها ، فإِنَّنا لَسْنا لِأَجلِ أَعْمالِ بِرِّنا نُلْقي تَضَرُّعاتِنا أَمامَكَ ، بل لِأَجلِ مَراحِمِكَ الوافِرَة . [١٩] إِسمَعْ أَيُّها السَّيِّد ، إغفِرْ أَيُّها السَّيِّد ، أَصغِ وآعمَلْ أَيُّها السَّيِّد ، ولا تُبطِئْ، وذلك لِأَجلِكَ يا إِلهي ، لِأَنَّ آسمَكَ دُعِيَ على مَدينَتِكَ وعلى شَعبِكَ» .

[٢٠] وبَينَما كُنتُ أَتَكَلَّمُ وأُصَلِّي وأَعتَرِفُ بِخَطيئَتي وخَطيئَةِ شَعْبي إِسْرائيلَ وأُلْقي تَضَرُّعي أَمامَ الرَّبِّ إِلهي لِأَجلِ جَبَلِ قُدْسِ إِلهي ، [٢١] بَينَما كُنتُ أَتَكَلَّمُ بِالصَّلاة ، إِذا بِالرَّجُلِ جِبْرائيلَ ، الَّذي رَأَيتُه في الرُّؤيا في البَدْء ، قد طارَ سَريعاً(١٩) ووافاني في وَقتِ تَقدِمَةِ المَساء . [٢٢] وأَتى وتَكَلَّمَ مَعي وقال : «يا دانِيال ، إِنِّي خَرَجتُ الآنَ لِأُعلِمَكَ فتَفهَم . [٢٣] عِندَ بَدءِ تَضَرُّعاتِكَ ، خَرَجَت كَلِمَة ، وأَتَيتُ أَنا لِأُخبِرَكَ بِها ، لِأَنَّكَ رَجُلٌ عَزيزٌ على الله . فتَبَيَّنِ الكَلِمَةَ وآفهَمِ الرُّؤيا(٢٠) :

[٢٤] إِنَّ سَبْعينَ أُسْبوعاً حُدِّدَت(٢١) على شَعبِكَ وعلى مَدينَةِ قُدسِكَ
لِإِفْناءِ المَعصِيَةِ وإِزالَةِ الخَطيئَة
والتَّكْفيرِ عنِ الإِثْمِ والإِتْيانِ بِالبِرِّ الأَبَدِيّ
وخَتْمِ الرُّؤيا والنُّبوءَة ومَسْحِ قُدُّوسِ القُدُّوسين

(١٩) من هنا التمثيل الايقونوغرافي : الملاك له جناحان .
(٢٠) ان الملاك المرسَل لتفسير الرؤيا هو من أساليب الفن الرؤيوي .
(٢١) لا تَرَ في ذلك دقة حسابية .

٣. نبوءات الرجاء

تستهدف صعيدَين: صعيد الحال الحاضر وصعيد آخِر الازمنة. الاول يختصّ بموت انطيوخس ابيفانيوس، والثاني يثير مسألة القيامة الاخيرة. وهذه النبوءات يمهِّد لها برؤية ملائكة، كما في السابق.

١٠ [٢]في تِلكَ الأَيَّام، أَنا دانِيالُ كُنتُ حزيناً ثَلاثَةَ أَسابيعَ مِنَ الأَيَّام. [٣]فلم آكُلْ طَعاماً شَهِيًّا، ولم يَدْخُلْ فَمي لَحمٌ ولا خَمْر، ولَم أَدَّهِنْ بِدُهنٍ إلى تَمامِ ثَلاثَةِ أَسابيعِ الأَيَّام. [٤]وفي اليَومِ الرَّابعِ والعِشْرينَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل، إِذ كُنتُ على جانِبِ النَّهرِ الكَبيرِ الَّذي هو دِجْلَة. [٥]رَفَعتُ طَرْفي ونَظَرتُ، فإِذا بِرَجُلٍ لابِسٍ كَتَّاناً، يَشُدُّ وَسَطَه بِذَهَبٍ خالِصٍ مِن أُوفاز، [٦]وجِسمُه كالزَّبَرجَد(٢٢)، ووَجهُه كمَنظَرِ البَرْق، وعَيناه كمِشعَلَي نار، وذِراعاه ورِجْلاه كمَنظَرِ النُّحاسِ الصَّقيل، وصَوتُ أَقْوالِه كصَوتِ جُمْهور.

[٧]فرَأَيتُ الرُّؤيا أَنا دانِيالَ وَحْدي، والرِّجالُ الَّذينَ كانوا معي لم يَرَوُا الرُّؤيا، بل وَقَعَت رِعدَةٌ شَديدة، فهَرَبوا لِيَختَبِئوا. [٨]فبَقِيتُ أَنا وَحْدي ورَأَيتُ هذه الرُّؤيا العَظيمة، فلم تَبقَ فِيَّ قُوَّةٌ وتَحَوَّلَت نَضارَتي فِيَّ إِلى ذُبول، ولم أَملِكْ قُوَّةً.

[٩]وسَمِعتُ صَوتَ أَقْوالِ الرَّجُل، وعِندَ سَماعي صَوتَ أَقْوالِه، كُنتُ في سُباتٍ وأَنا على وَجْهي ووَجْهي مُلتَصِقٌ بِالتُّراب. [١٠]فإِذا بِيَدٍ لَمَسَتْني وأَقامَتني مُرتَعِشاً على رُكْبَتَيَّ وعلى كَفَّي يَدَيَّ. [١١]وقالَ لي: «يا دانِيال، أَيُّها الرَّجُلُ العَزيزُ على الله، إِفهَمِ الأَقْوالَ الَّتي أَنا أُكَلِّمُكَ بها، وآنتَصِبْ

(٢٢) نوع من الياقوت الاصفر.

حَيثُ أَنتَ واقِف، فإِنِّي الآنَ أُرسِلتُ إِلَيك». فعِندَما كَلَّمَني بِهذا الكَلام، اِنتَصَبتُ مُرتَعِداً. [١٢]فقالَ لي: «لا تَخَفْ يا دانِيال، فإِنَّكَ مِن أَوَّلِ يَومٍ وَجَّهتَ فيه قَلبَكَ لِلفَهْمِ ولإِذْلالِ نَفسِكَ أَمامَ إِلهِكَ، إستُجيبَ كَلامُكَ وأَتَيتُ أَنا بِسَبَبِ كَلامِكَ. [١٤]ثُمَّ أَتَيتُ لِأُبَيِّنَ لَكَ ما يَحدُثُ لِشَعبِكَ في الأَيَّامِ الأَخيرة، لِأَنَّ الرُّؤيا هي لِتِلكَ الأَيَّام».

١. موت أنطيوخس أبيفانيوس

ان مطلع هذه الفقرة استعراض يختصّ بتصرّفات المضطهِد حتى نحو ١٦٥، في حين أننا نرى أنفسنا، ابتداءً من الآية ٤٠، أمام نبوءة تختصّ بموت الملك.

١١ [٢٩]وعِندَما يَحينُ الوَقْت، يَعودُ إِلى الجَنوب، ولكِن لا تَكونُ الأَواخِرُ كالأَوائِل⁽٢٣⁾، [٣٠]لِأَنَّ سُفُنَ كِتِّيمَ تأتي علَيه، فتَخورُ عَزيمَته ويَرجِعُ ويَستَشيطُ على العَهدِ المُقَدَّس، فيَعمَل، ثُمَّ يَرجِعُ ويَلتَفِتُ إِلى تارِكي العَهدِ المُقَدَّس.

[٣١]وتَقومُ مِنه قِوًى وتُدَنِّسُ المَقدِسَ القَلعَةَ، وتُزيلُ المُحرَقَةَ الدَّائِمَةَ وتُقيمُ فيه شَناعَةَ الخَراب. [٣٢]وبالتَّمَلُّقاتِ يَحمِلُ مُخالِفي العَهدِ على النِّفاق. أَمَّا الشَّعبُ الَّذينَ يَعرِفونَ إِلهَهم، فيُشَدِّدونَ ويَعمَلون⁽٢٤⁾. [٣٣]والعُقَلاءُ مِنَ الشَّعبِ يُعَلِّمونَ كَثيرين، لكِنَّهم يَعثُرونَ تَحتَ السَّيفِ واللَّهيبِ والسَّبْيِ والنَّهبِ أَيَّاماً. [٣٤]وعِندَ تَعَثُّرِهم، يُنصَرونَ نُصرَةً يَسيرة، ويَنضَمُّ كَثيرونَ

(٢٣) حملة أخرى الى مصر، لكن الرومانيين أوقفوها فجأة.
(٢٤) المكابيّون.

إِلَيهم بِالخَدائِع. [٣٥]فيَعثُرُ بَعضُ العُقَلاءِ تَمْحيصاً لِبَعضِهم وتَنقِيَةً وتَبْييضاً إِلى وَقتِ النِّهاية، لِأَنَّه يَبْقى زَمانٌ إِلى الميعاد(٢٥).

[٣٦]ويَصنَعُ المَلِكُ كما يَشاء، ويَتَرَفَّعُ ويَتَعاظَمُ على كُلِّ إِله(٢٦)، ويَتَكَلَّمُ بِالغَرائِبِ على إِلهِ الآلِهَةِ ويَنجَح، إِلى أَن يَتِمَّ الغَضَب، لِأَنَّ ما قُضِيَ يَتِمّ. [٣٧]ولا يَعبَأُ بِآلِهَةِ آبائِه، ولا يَعبَأُ بِحَبيبِ النِّساءِ(٢٧) ولا بِإِلهٍ مِنَ الآلِهَة، لِأَنَّه يَتعاظَمُ على الجَميع.

[٤٠]وفي وَقتِ النِّهايَة، يَنطِحُه مَلِكُ الجَنوب، [٤٢]ويُلْقي يَدَه على الأَراضي، وأَرضُ مِصرَ لا تَنْجو. [٤٣]ويَستَولي على كُنوزِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وعلى جَميعِ نَفائِسِ مِصْر، ويَسيرُ اللِّيبِيُّونَ والكوشِيُّونَ في خُطاه. [٤٤]وتُفزِعُه أَخْبارٌ مِنَ الشَّرقِ والشَّمال، فيَخرُجُ بِحَنَقٍ شَديدٍ لِيُدَمِّرَ ويُفنِيَ كَثيرين. [٤٥]ويَنصِبُ خِيامَ قَصرِه بَينَ البِحارِ وجَبَلِ بَهاءِ القُدْس، ويَبلُغُ حَدَّه، ولَيسَ لَه مِن نَصير.

٢. القيامة داعٍ للرجاء

في آخِرِ الازمنة، من كانوا أمناء لله ينالون جزاءَهم. نحن هنا أَمام نص من أعظم نصوص العهد القديم في قيامة الجسد.

١٢ [١]وفي ذلكَ الزَّمان، يَقومُ ميكائيلُ الرَّئيسُ العَظيم، القائِمُ لَدى بَني شَعبِكَ، ويَكونُ وَقتُ ضِيقٍ لم يَكُنْ مُنذُ كانَت أُمَّةٌ إِلى ذلكَ الزَّمان.

(٢٥) لا تزال المقاومة صامدة.
(٢٦) سيتَّخذ لقب الإله الاعلى: زِفْس الاولمبي.
(٢٧) تموز.

وفي ذلك الزَّمانِ يَنْجو شَعبُكَ : كُلُّ مَن يوجَدُ مَكْتوباً في الكِتاب(٢٨) .
٢وكَثيرٌ مِنَ الرَّاقِدينَ في أَرضِ التُّرابِ يَستَيقِظون ، بَعضُهم لِلحَياةِ الأَبَدِيَّة ، وبَعضُهم لِلعارِ والرَّذلِ الأَبَديّ(٢٩) . ويُضيءُ العُقَلاءُ كَضِياءِ الجَلَد ، والَّذينَ جَعَلوا كَثيراً مِنَ النَّاسِ أَبْراراً كالكَواكِبِ أَبَدَ الدُّهور .
٤وأَنتَ ، يا دانِيال ، أَغلِقْ على الأَقْوال ، وآختِمْ على الكِتابِ إِلى وَقتِ النِّهاية . إِنَّ كَثيرينَ يَتيهونَ ويَزْدادُ الإِثْم» .
١٠إِنَّ كَثيرينَ يَتَنَقَّونَ ويَتَبَيَّضونَ ويُمَحَّصون ، والأَشرارُ يَرتَكِبونَ الشَّرّ ، ولا أَحَدَ مِنَ الأَشْرارِ يَفهَم . أَمَّا العُقَلاءُ فيَفهَمون . ١٣وأَنتَ آذهَبْ إِلى النِّهايَة ، وستَستَريحُ وتَقومُ لِنَيلِ نَصيبِكَ في نِهايَةِ الأَيَّام» .

٤. هجاء عبادة الاوثان

أضاف كاتب سفر دانيال قصّتين في ملحَق : الواحدة قصة سوسنّة تظهر فيها حكمة دانيال منذ صباه ، والاخرى دليل على عدم الآلهة الوثنيين . إليك مقتطفاً من هذه القصة الاخيرة .

بال والتنّين

يبرِّر رفض عبادة الاوثان بالدلالة على مَكْر الكهنة الوثنيين .

١٤ ١وآنضَمَّ المَلِكُ أَسْطُواجُ إِلى آبائِه ، وأَخَذَ قورُشُ الفارِسِيُّ مُلْكَه . ٢وكانَ دانِيالُ نَديماً لِلمَلِكِ ومُكَرَّماً فَوقَ جَميعِ أَصدِقائِه . ٣وكانَ لِأَهْلِ بابِلَ صَنَمٌ آسمُه بال(٣٠) ، وكانوا يُنفِقونَ لَه كُلَّ يَومٍ آثنَي عَشَرَ

(٢٨) سِفر الحياة (راجع الحاشية ١٢) .
(٢٩) راجع يو ٥/ ٢٩ .
(٣٠) اسم آخر لمردوك ، أكبر آلهة بابل .

إردَبًّا[٣١] مِنَ السَّميذ وأَربَعينَ شاةً وسِتَّةَ مَكاييلَ مِنَ الخَمْر. [٤] وكانَ المَلِكُ يَعبُدُه ويَذهَبُ كُلَّ يَومٍ فيَسجُدُ لَه. أَمَّا دانِيال، فكانَ يَسجُدُ لِإِلهِه. [٥] فقالَ لَه المَلِك: «لِماذا لا تَسجُدُ لِبال؟» فقال: «لِأَنِّي لا أَعبُدُ أَصْناماً صُنْعَ الأَيدي، بلِ الإِلهَ الحَيَّ، خالِقَ السَّمواتِ والأَرْض، والَّذي لَه سُلْطانٌ على كُلِّ بَشَر». [٦] فقالَ لَه المَلِك: «أَتَحسَبُ أَنَّ بالاً لَيسَ بِإِلهٍ حَيّ؟ أَوَلا تَرى كم يأكُلُ ويَشرَبُ كُلَّ يَوم؟» [٧] فقالَ دانِيالُ ضاحِكاً: «لا تَضِلَّ أَيُّها المَلِك، فإِنَّ هذا باطِنُه طِينٌ وظاهِرُه نُحاس، فلم يأكُلْ ولم يَشرَبْ قطّ». [٨] فغَضِبَ المَلِكُ ودَعا كَهَنَتَه وقالَ لَهم: «إِن لم تَقولوا لي مَنِ الَّذي يأكُلُ هذه المُؤُونَة، تَموتون. وإِن بَيَّنتُم أَنَّ بالاً يأكُلُها، يَموتُ دانِيال، لِأَنَّه جَدَّفَ على بال». [٩] فقالَ دانِيالُ لِلمَلِك: «لِيَكُنْ كما تَقول». وكانَ كَهَنَةُ بالٍ سَبْعينَ ما عدا النِّساءَ والأَولاد. [١٠] فأَتى المَلِكُ ودانِيالُ إِلى بَيتِ بال. [١١] فقالَ كَهَنَةُ بال: «ها إِنَّنا نَنصَرِفُ إِلى الخارِج، وأَنتَ، أَيُّها المَلِك، ضَعِ الأَطعِمَةَ وآمزُجِ الخَمرَ وضَعْها، ثُمَّ أَغلِقِ البابَ وآختِمْ علَيه بِخاتَمِكَ، وآرجِعْ في الغَد. فإِن لم تَجِدْ بالاً قد أَكَلَ كلَّ شَيء، فإِنَّنا نَموت، وإِلاَّ فيَموتُ دانِيالُ الَّذي آفتَرى علَينا». [١٢] وكانوا يَستَخِفُّونَ بِالأَمرِ، لِأَنَّهم كانوا قد صَنَعوا تَحتَ المائِدَةِ مَدخَلاً خَفِيًّا يَدخُلونَ مِنه دائِماً ويَذهَبونَ بِالمُؤُونة.

[١٣] فلَمَّا خَرَجوا، وَضَعَ المَلِكُ الأَطعِمَةَ لِبال. [١٤] فأَمَرَ دانِيالُ خُدَّامَه فأَتَوا بِرَمادٍ وذَرُّوه في الهَيكَلِ كُلِّه بِحَضرَةِ المَلِكِ وَحدَه. ثُمَّ خَرَجوا وأَغلَقوا البابَ وخَتَموا علَيه بِخاتَمِ المَلِكِ وآنصَرَفوا. [١٥] فلَمَّا كانَ اللَّيل،

(٣١) مكيال سعة: نحو ٤٠ لتراً.

دَخَلَ الكَهَنَةُ على عادَتِهِم، هُم ونِساؤُهم وأَولادُهم، وأَكلوا كُلَّ شَيءٍ وشَرِبوا.
[١٦]وبَكَّرَ المَلِكُ في الغَدِ ودانِيالُ معه. [١٧]وقالَ المَلِك: «أَسالِمَةٌ الخَواتيمُ يا دانِيال؟» قال: «سالِمَةٌ أَيُّها المَلِك». [١٨]ولَمَّا فُتِحَتِ الأَبْواب، نَظَرَ المَلِكُ إِلى المائِدة، فهَتَفَ بِأَعلى صَوتِه: «عَظيمٌ أَنتَ يا بال ولا مَكْرَ عِندَكَ». [١٩]فضَحِكَ دانِيالُ وأَمسَكَ المَلِكَ لِئَلاَّ يَدخُلَ إِلى الدَّاخِل، وقال: «أُنظُرْ إِلى البَلاطِ واَعرِفْ لِمَن هذه الآثار». [٢٠]فقالَ المَلِك: «إِنِّي أَرى آثارَ رِجالٍ ونِساءٍ وأَولاد». [٢١]وغَضِبَ المَلِك فقَبَضَ على الكَهَنَةِ ونِسائِهم وأَولادِهم، فأَرَوه الأَبْوابَ الخَفِيَّةَ الَّتي يَدخُلونَ مِنها ويأكُلونَ ما على المائِدة. [٢٢]فقَتَلَهمُ المَلِكُ وأَسلَمَ بالاً إِلى يَدِ دانِيال، فحَطَّمَه هو وهَيكَلَه.

أَدَب تشجيع

أسفار طوبيا ويهوديت وأَستير

هي أسفار تُستخدَم فيها عناصر تاريخية يُتوسَّع فيها وفقاً للفنون الادبية وتُستَخلص منها عِبَر دينية . يُسمَّى هذا النوع من القصص **مِدراشاً** .

فلا يحسن أن نبحث في كل من التفاصيل عن صورة للحقيقة ، بل يجب أن نرى دائماً ، من خلال بعض التوسُّع الادبي ، ما يقصده الكاتب .

وهذا القصد واضح ، وهو ايقان اليهود الذين يعانون من اضطهاد أنطيوخس ابيفانيوس بأن **محنتهم ستزول** وبأن الكلمة الفصل ستكون لله كما كانت فيما مضى .

لا نعرف مَن هم أصحاب هذه المؤلَّفات الثلاثة ، لكننا نستطيع أن نحدِّد تاريخها فنقول انها ترقى الى قبل منتصف القرن الثاني بقليل .

سِفرُ طوبيّا

فقد أبو طوبيا بصره فأرسل ابنه إلى بعيد يستردّ مبلغاً من المال كان قد أودعه عند أحد أصدقائه. رافقه في السفر دليل هو الملاك رفائيل. فتزوّج طوبيا في أثناء سفره من فتاة من قرابته، وأتى، بالإضافة إلى المال، بدواء ردَّ البصر لابيه.

في هذا الكتاب توجيه إلى الزواج ومعناه المسيحي، بغض النظر عمَّا فيه من عِبرة في الصدقة وتوجّه جديد في معنى المحنة.

١. المحنة

١. محنة والد طوبيا

جُلي والد طوبيا إلى أشّور في أيّام الاستيلاء على السامرة. فكان رجلاً ما زال يقوم بأعمال تقوى ومحبة. ومع ذلك، أصابته المحنة ففقد بصره.

١ [١]سِفرُ أَخبارِ طوبيتَ بنِ طوبيئيلَ بنِ حَنَنْئيلَ بنِ جَبَعْئيل، مِن نَسْلِ عَسائيل ومِن سِبْطِ نَفْتالي. [٢]في أَيَّامِ شَلْمَنْآسَر، مَلِكِ أَشُّور، جُلِيَ(١) مِن تِشْبَةَ في جَنوبِ قادَشَ نَفْتالي في الجَليلِ الأَعْلى فَوقَ حاصور وَراءَ شَمسِ الغُروبِ وإِلى شَمالِ صَفَت.

(١) المقصود هو الجلاء الذي جرى بعد الاستيلاء على السامرة عن يد سرجون في ٧٢١. إلاَّ أن المذكور هنا هو شَلْمَنْآسر، لا سرجون.

[٣]أنا طوبيتَ سَلَكْتُ سُبُلَ الحَقِّ وأَعْمالَ البِرِّ جميعَ أَيَّامِ حَياتي وتَصَدَّقتُ كَثيراً على إِخْوَتي وعلى بَني أُمَّتي الَّذينَ جُلوا معي إِلى نينَوى في بِلادِ أَشُّور. [٤]لَمَّا كُنتُ في بِلادي في أَرضِ إِسْرائيلَ وكُنتُ شابًّا، اِنفَصَلَ كُلُّ سِبْطِ نَفْتالي جَدِّي عن بَيتِ داوُدَ وعن أُورَشَليم، المَدينةِ المُخْتارةِ مِن بَينِ جَميعِ أَسْباطِ إِسْرائيلَ لِتَكون مَكانَ ذَبائِحِهم، وحَيثُ قُدِّسَ هَيكَلُ سُكْنى الله وبُنِيَ لِجَميعِ الأَجْيال. [٥]وكانَ جَميعُ إِخْوَتي وبَيتُ نَفْتالي جَدِّي يَذبَحونَ لِلْعِجلِ الَّذي صَنَعَه يارُبْعام، مَلِكُ إِسْرائيل، في دانَ على جَميعِ جِبالِ الجَليل.

[٦]أَمَّا أَنا فكَثيراً ما كُنتُ أَذهَبُ وَحْدي إِلى أُورَشَليمَ في الأَعْياد، بِحَسَبِ ما كُتِبَ في كُلِّ إِسْرائيلَ بِفَريضَةٍ أَبَدِيَّة. كُنتُ أُسرِعُ إِلى أُورَشَليمَ بِالبَواكيرِ والأَبْكارِ وعُشورِ الماشِيَةِ وأُولى جِزَزِ الخِراف، [٧]فأُقَدِّمُها لِلكَهَنَةِ بَني هارونَ مِن أَجْلِ المَذْبَح. وكُنتُ أُقَدِّمُ لِبَني لاوِيَ الخادِمينَ في أُورَشَليم عُشورَ الخَمْرِ والقَمْحِ والزَّيتونِ والرُّمَّانِ وسائِرِ الفَواكِه. وأَمَّا العُشورُ الثَّانِيَة فكُنتُ أُؤَدِّيها فِضَّةً مُدَّةَ سِتِّ سَنَواتٍ وأَمْضي فأُنفِقُها كُلَّ سَنَةٍ في أُورَشَليم. [٨]وكُنتُ أُقَدِّمُ العُشورَ الثَّالِثَةَ لِلْيَتامى والأَرامِلِ والنُّزَلاءِ المُقيمينَ مع بَني إِسْرائيل، أَذهَبُ بِها وأُقَدِّمُها لَهُم كُلَّ ثَلاثِ سَنَوات، فنأكُلُها بِحَسَبِ ما رُسِمَ بِشأنِها في الشَّريعَةِ الموسَوِيَّة وبِحَسَبِ ما أَوصَت بِه دَبورةُ أُمُّ حَنَنْئيلَ أَبينا، لِأَنَّ أَبي تَرَكَني يَتيماً بَعدَ مَوتِه. [٩]ولَمَّا صِرتُ رَجُلاً، اِتَّخَذتُ لِيَ آمرَأَةً مِنْ نَسْلِ قَرابَتِنا آسمُها حَنَّة، ووَلَدتُ مِنها آبْناً وسَمَّيتُه طوبِيَّا.

[١٠]وبَعدَ الجَلاءِ إِلى أَشُّور ولَمَّا جُليتُ أَنا أَيضاً، ذَهَبتُ إِلى نينَوى.

وكانَ جَميعُ إِخوَتي وبنو أُمَّتي يأكُلونَ مِن طَعامِ الأُمَم[٢] . [١١]أمَّا أَنا فكُنتُ أَصونُ نَفسي مِن أَكْلِ طَعامِ الأُمَم . [١٢]ولَمَّا كُنتُ أَذكُرُ اللهَ بِكُلِّ قَلْبي ، [١٣]آتاني العَلِيُّ حُظْوَةً لدى شَلْمَنْآسَر ، فكُنتُ أَتَسَوَّقُ لَه كُلَّ ما يَحتاجُ إِلَيه ، [١٤]فأَذهَبُ إِلى ميديا وأَتَسَوَّقُ لَه فيها حَتَّى وَفاتِه ، فأَودَعتُ جَبَعْئيل ، أَخا جَبْرِي في راجيسَ ميدِيا ، أَكْياساً مِنَ الفِضَّةِ تَبلُغُ عَشَرَةَ قَناطير .

[١٥]ولَمَّا ماتَ شَلْمَنْآسَر ومَلَكَ سَنْحاريبُ آبنُه مَكانَه[٣] فأُغلِقَت طُرُق ميدِيا ، لم أَعُدْ أَستَطيعُ الذَّهابَ إِلَيها . [١٦]في أَيَّامِ شَلْمَنْآسَر ، تَصَدَّقتُ كَثيراً على إِخوَتي بَني قَومي . [١٧]فكُنتُ أُقَدِّمُ خُبْزي لِلجِياع وثِياباً لِلْعُراة ، وإِذا رَأَيتُ أَحَداً مِن بَني أُمَّتي قد ماتَ وأُلقِيَ مِن وَراءِ أَسْوارِ نينَوى ، كُنتُ أَدفِنُه[٤] . [١٨]وإِذا قَتَلَ سَنْحاريبُ أَحداً عِندَ عَودَتِه هارِباً مِنَ اليَهودِيَّة ، في أَيَّامِ العِقابِ الَّذي أَنزَلَه بِهِ مَلِكُ السَّماءِ بِسَبَبِ التَّجاديفِ الَّتي فاهَ بها ، كُنتُ أَدفِنُه . لَقَد قَتَلَ في غَضَبِه كَثيراً مِن بَني إِسْرائيل . فكُنتُ أَسرِقُ جُثَثَهم وأَدفِنُها . وكانَ سَنْحاريبُ يَبحَثُ عَنها فلا يَجِدُها . [١٩]وقَدِمَ أَحَدُ سُكَّانِ نينَوى فأَخبَرَ المَلِكَ في شأني بِأَنِّي أَدفِنُها ، فآختَبَأتُ . ولَمَّا بَلَغَني أَنَّ المَلِكَ عالِمٌ بِأَمْري وأَنَّه يَسْعى لِقَتْلي ، هَرَبتُ خُفْيَةً . [٢٠]فآستَولى على كُلِّ ما هو لي ولم يُترَكْ لي شيءٌ إِلاَّ صُودِرَ لِبَيتِ المال ، عَدا حَنَّةَ آمْرَأَتي وطوبِيَّا آبني .

[٢١]ولم يَنقَضِ أَربَعونَ يَوماً حَتَّى قَتَلَ المَلِكَ آبناه وهَرَبا إِلى جِبالِ

(٢) كانت الشريعة تنصّ عن تحريمات غذائية .

(٣) يُهمل هنا اسم سرجون .

(٤) تقوى مبنية على الاعمال الصالحة .

أَرارات . فمَلَكَ آسَرحَدُّونُ ابنُه مَكانَه . ووَلَّى أَخيكارَ آبنَ أَخي عَنائيل على جَميعِ حِساباتِ مَملَكَتِه ، وكانَ لَه سُلْطانٌ على جَميعِ الشُّؤُونِ الإِدارِيَّة . [٢٢] فتَوَسَّطَ لي أَخيكار فعُدتُ إِلى نينَوى . ذلك بأَنَّ أَخيكارَ كانَ رَئيسَ السُّقاةِ وأَمينَ السِّرِّ ورَئيسَ الشُّؤُونِ الإِدارِيَّةِ والحِساباتِ على عَهْدِ سَنْحاريبَ مَلِكِ أَشُّور ، وقد ثَبَّتَه آسَرحَدُّونُ في مَناصِبِه . وكانَ آبنَ أَخي ومِن قَرابَتي .

٢ [١] وعلى عَهدِ آسَرحَدُّونَ المَلِك ، عُدتُ إِلى مَنزِلي ورُدَّت لي حَنَّةُ آمرَأَتي وطوبِيَّا آبني . وفي عيدِنا العَنْصَرَة (وهو عيدُ الأَسابيعِ المُقَدَّس) ، أُقيمَت لي مأدُبَةٌ فاخِرة ، وجَلَستُ لِلطَّعام [٢] وقُرِّبَت إِلَيَّ المائِدَة وجيءَ لي بِأَلْوانٍ كَثيرة . فقُلتُ لِطوبِيَّا آبني : «هَلُمَّ ، يا بُنَيَّ ، ومَن تَجِدُه فقيراً يَذكُرُ اللهَ بِكُلِّ قَلبِه بَينَ إِخوَتِنا المَجلُوِّينَ إِلى نينَوى ، فأْتِ بِه لِيُشارِكَني في الطَّعام . وها إِنِّي في آنتِظارِكَ ، يا بُنَيَّ ، إِلى أَن تعود» . [٣] فذَهَبَ طوبِيَّا يَبحَثُ عن فقيرٍ مِن إِخْوَتِنا . ولكِنَّه عادَ فقال : «أَبَتِ» . قُلتُ له : «نعم ، يا بُنَيَّ» . فأَجابَ فقال : «أَبَتِ ، ذُبِحَ واحِدٌ مِن أُمَّتِنا وأُلْقِيَ في السَّاحَةِ مَخْنوقاً» ، ولا يَزالُ هُناكَ . [٤] فوَثَبتُ تارِكاً العَشاءَ قَبلَ أَن أَذوقَ مِنه شَيئاً ، ورَفَعتُ الجُثَّةَ مِنَ السَّاحة ووَضَعتُها في إِحْدى الغُرَف ، إِلى أَن تَغيبَ الشَّمسُ فأَدفِنَها . [٥] ورَجَعتُ وآغتَسَلتُ وتَناوَلتُ الخُبزَ حَزيناً . [٦] فذَكَرتُ الكَلامَ الَّذي تَكَلَّمَ بِه عاموسُ النَّبِيُّ على بَيتَ إِيلَ حَيثُ قال :

«ستُحَوَّلُ أَعْيادُكم نَوحاً وجَميعُ أَناشيدِكم رِثاءً» .

[٧] فبَكَيتُ . ولَمَّا غَرَبَتِ الشَّمسُ ، ذَهَبتُ فحَفَرتُ حُفرَةً ودَفَنتُ الجُثَّة .
[٨] وكانَ جيراني يقولونَ ساخِرين : «لم يَعُدْ يَخاف ، فقَد سَبَقَ أَن سَعَوا

إلى قَتلِه بِسَبَبِ مِثلِ هذا الأَمرِ، فهَرَب خُفيَةً، وها هوذا يَعودُ إِلى دَفْنِ المَوتى».

[٩] وفي تِلكَ اللَّيلَةِ آغتَسَلتُ فدَخَلتُ ساحةَ داري ورَمَيتُ بِنَفْسي على طولِ حائِطِ الدَّارِ مكْشوفَ الوَجهِ لِشِدَّةِ الحَرّ [١٠] وغَيرَ عالِمٍ بِأَنَّ في الحائِطِ عَصافيرَ دُورِيَّةً فَوقي، فوَقَعَ ذَرْقُها في عَينَيَّ وهو سُخْنٌ فأَحدَثَ بُقَعاً بَيضاءَ، فذهبتُ إِلى الأَطِبَّاءِ لِمُعالجَتِها. وكُنتُ كُلَّما أَكثَروا مِن وَضْعِ المَراهِم، أَزدادُ عَمًى بِسَبَبِ البُقَعِ البيضاء، حَتَّى عَمِيتُ تَماماً. وبَقيتُ أَربَعَ سَنَواتٍ لا أُبصِرُ بِعَينَيَّ، فآغتَمَّ جَميعُ إِخوَتي لِأَمْري وأَعالَني أَحيكارُ مُدَّةَ سَنَتَين، قَبلَ أَن يَذهَبَ إِلى أَلِمايس.

[١١] وفي ذلكَ الزَّمان كانَت حَنَّةُ آمرَأَتي تَقومُ بِأَعمالٍ نِسائِيَّةٍ مَأجورة، [١٢] فتُرسِلُ الأَعْمالَ إِلى أَصحابِها وهم يَدفَعونَ لَها أُجرَتَها. وفي السَّابعِ مِن شُباط قَطَعَتِ السَّداةَ وأَرسَلَتِ القِطعَةَ إِلى أَصْحابِها فدَفَعوا لَها أُجرَتَها كامِلَةً وقَدَّموا لَها جَدْياً لِلْمائدة. [١٣] ولَمَّا دَخَلَت إِلَيَّ، أَخَذَ الجَدْيُ يَثْغو، فدَعَوتُها وقُلتُ: «مِن أَينَ هذا الجَدْيُ؟ فقَد يَكونُ مَسْروقاً، فرُدِّيه إِلى أَصْحابِه. فلا يَحِلُّ لَنا أَن نأكُلَ شَيئاً مَسْروقاً». [١٤] قالَت لي: «قُدِّمَ لي تَقدِمَةً فَوقَ أُجرَتي». لم أُصَدِّقْها، بل أَمَرتُها بِأَن تَرُدَّه إِلى أَصحابِه. وكُنتُ خَجِلاً مِن ذلك أَمامَها. حينَئِذٍ أَجابَت فقالَت لي: «أَينَ صَدَقاتُكَ؟ أَينَ أَعْمالُ بِرِّكَ؟ ما أَتاكَ مِنْها واضِح»

٣ [١] وآغتَمَّت نَفْسي فنُحتُ وبَكَيتُ وبَدَأتُ أُصَلِّي بِأَنين:

[٢] «عادِلٌ أَنتَ، يا ربّ وأَعْمالُك كُلُّها عادِلَة

وطُرُقُكَ كُلُّها رَحمَةٌ وحَقّ. أَنتَ تَدينُ العالَم.
[٣]فآذكُرْني الآنَ، يا ربُّ، وآنظُرْ إِلَيَّ ولا تُعاقِبْني على خَطاياي
ولا على جَهالاتي وجَهالاتِ آبائي. لِأَنَّنا خَطِئْنا إِلَيكَ
[٤]ولَم نُطِعْ وَصاياكَ. فأَسلَمتَنا إِلى النَّهْبِ والجَلاءِ والمَوت
إِلى الأُحْدوثَةِ والأُضْحوكَةِ والشَّتيمة
في جَميعِ الأُمَمِ الَّتي شَتَّتَنا بَينَها.
[٥]والآنَ فجَميعُ أَحْكامِكَ صادِقة.
إِذا عامَلتَني بِحَسَبِ خَطاياي وخَطايا آبائي
لِأَنَّنا لم نَعمَلْ بِوَصاياكَ ولَم نَسلُكْ بِحَقٍّ أَمامَكَ.
[٦]والآنَ فبِحَسَبِ ما يُرْضيكَ عامِلْني ومُرْ أَن تُستَرَدَّ روحي مِنِّي
لِكَي أَزولَ مِن وَجْهِ الأَرض فأُصبِحَ تُراباً.
فالمَوتُ لي خَيرٌ مِنَ الحَياة
لِأَنِّي سَمِعتُ شَتائِمَ كاذِبَة وبي غَمٌّ شديد.
يا رَبّ، مُرْ أَن أَنجُوَ مِن هذه الشِّدَّة.
دَعْني أَمْضي إِلى المُقامِ الأَبَديّ
ولا تُعرِضْ، يا ربّ، بِوَجْهِكَ عنِّي
فالمَوتُ لي خَيرٌ مِن مُشاهَدةِ ضيقٍ شَديدٍ في حَياتي(٥)
ومِن سَماعي الشَّتائم.

(٥) خارت عزيمة والد طوبيا.

٢. محنة سارة

كانت الفتاة لا تتوخّى في الزواج إلاّ العمل بمشيئة الله فيها. لكنها هي أيضاً عانت من المحنة الشديدة: فإن الازواج السبعة الذين تزوّجوها الواحد بعد الآخر ماتوا ليلة العُرس.

[٧] واتّفَقَ في ذلك اليَومِ عَينِه أَنَّ سارةَ، ٱبنَةَ رَعوئيلَ السَّاكِنِ في أَحْمَتا، مَدينةِ الميدِيِّين، سَمِعَت هي أَيضاً شَتائمَ مِن إِحْدى جَواري أَبيها، [٨] لِأَنَّه كانَ قد عُقِدَ لَها على سَبعَةِ رِجال، وكان أَزْموداوُس(٦)، الشَّيطانُ الخَبيث، يَقتُلُهم قَبلَ أَن يَدخُلوا علَيها بِحَسَبِ واجِباتِهِم الزَّوجِيَّة. فقالَت لَها الجارِيَة: «أَنتِ تَقتُلينَ أَزْواجَكِ! ها إِنَّه عُقِدَ لَكِ على سَبْعَةِ رِجال، ولم تُدعَي بِٱسمِ أَحَدِهم ولا مَرَّةً واحِدة! [٩] لماذا تُعَذِّبينَنا في شأنِ أَزْواجِكِ لِأَنَّهم ماتوا؟ إِلْحَقي بِهِم! لا رَأَينا لَكِ ٱبْناً ولا ٱبنَةً لِلأَبَد!». [١٠] في ذلك اليَومِ ٱغتَمَّت نَفسُها وبَكَت وصَعِدَت إِلى عُلِّيَّةِ أَبيها وأَرادَت أَن تَشنُقَ نَفْسَها. ثُمَّ عادت إِلى التَّفكيرِ فقالت: «لرُبَّما شَتَموا أَبي فقالوا لَه: رُزِقتَ ٱبنَةً مَحْبوبةً واحِدَةً فشَنَقَت نَفْسَها بِسَبَبِ مَصائِبِها. لا أُريدُ أَن أُنزِلَ شَيخوخَةَ أَبي في الغَمِّ إِلى مَثْوى الأَمْوات. فخَيرٌ لي أَلاَّ أَشنُقَ نَفْسي، بل أَسأَلُ الرَّبَّ أَن أَموتَ ولا أَسمَعَ الشَّتائِمَ بَعدَ اليَومِ في حَياتي». [١١] حينَئِذٍ مَدَّت يَدَيها نَحوَ النَّافِذَة وصَلَّت فقالَت:

«مُبارَكٌ أَنتَ، يا إِلهَ الرَّحْمة
ومُبارَكٌ ٱسمُكَ أَبَدَ الدُّهور ولْتُبارِكْكَ أَعْمالُكَ لِلأَبَد.
[١٢] إِلَيكَ أَرفَعُ الآنَ وَجْهي وعَينَيَّ.

(٦) شيطان الغضب، عند الفرس.

[13]مُرْه أَن أَنْجُوَ مِنَ الأَرض ولا أَسمَعَ الشَّتائِمَ بَعدَ اليَوم.
[14]إِنَّكَ، يا رَبُّ، عالِمٌ بِأَنِّي ما زِلْتُ مُنَزَّهةً عن كُلِّ دَنَسٍ مع رَجُل.
[15]لم أُدَنِّسِ آسْمي ولا آسْمَ أَبي في أَرضِ جَلائي.
إِنِّي وَحيدةٌ لِأَبي ولم يُرزَقْ وَلَداً آخَرَ يَرِثُه
ولَيسَ لَه أَخٌ ولا قَريبٌ أَحفَظُ نَفْسي لِأَكونَ زَوجةً له.
ها إِنِّي فَقَدتُ سَبعَةَ أَزْواج فلِماذا أَحْيا بَعدَ اليوم؟(٧)
وإِن لم تَشَأْ أَن تَقتُلَني، يا رَبّ، فآسمَعْ ما يُوجَّهُ إِلَيَّ مِنَ الشَّتائِمَ»
[16]في ذلكَ الحينِ آستُجيبَت صَلَواتُ الاِثْنَينِ أَمامَ مَجدِ الله، [17]فأُرسِلَ رافائيلُ لِيَشْفِيَ كِلا الاِثْنَين، لِيُزيلَ البُقَعَ البَيضاءَ عن عَينَي طوبيت فيَرى بِعَينَيه نورَ الله، ولِيُعطِيَ سارةَ آبنَةَ رَعوئيلَ زَوجةً لِطوبِيَّا بنِ طوبيت ويَطرُدَ عَنها أَزْموداوُسَ الشَّيطانَ الخَبيث. فمِن حَقِّ طوبِيَّا أَن تَكونَ لَه قَبلَ جَميعِ الَّذينَ يُريدونَ أَن يتَّخِذوها. في ذلكَ الحين، عادَ طوبيتُ من ساحةِ دارِه إِلى بَيتِه، وأَمَّا سارةُ آبنَةُ رَعوئيل فنَزَلَت مِنَ العُلِّيَّة.

٢. الخلاص

١. طوبيا يُرسله والده لاسترداد المال

في هذه الرحلة تبرز تدخّلات الله المتعاقبة.

٤ [1]في ذلكَ اليَوم، تَذَكَّرَ طوبيتُ المالَ الَّذي أَودَعَه جَبَعئيلَ في راجيسِ ميدِيا [2]وقالَ في قَلْبِه: «ها إِنِّي قد طَلَبتُ الموت، فلِمَ لا أَستَدْعي طوبِيَّا

(٧) هي أيضاً تتمنّى الموت، ولكن بوجه سطحيّ.

آبْني وأُطْلِعُه على ذلكَ المالِ قَبلَ أَن أَموت؟» [٣] فاستَدْعى طوبِيَّا آبنَه، فذَهَبَ إِلَيه، فقالَ له:

«إِذا مُتُّ، فآدفِنْ جَسَدي دَفْناً حَسَناً، وأَكرِمْ والِدَتَكَ ولا تَترُكْها جَميعَ أَيَّامِ حَياتِها، وآعمَلْ ما يَطيبُ لَها ولا تُحزِنْ نَفْسَها بأَيِّ أَمرٍ كان. [٤] أُذكُرْ، يا بُنَيَّ، المَخاطِرَ الَّتي تَعَرَّضَت لَها من أَجلِكَ وأَنتَ في أَحْشائِها. وإِذا ماتت، فآدفِنْها إِلى جانِبي في القَبْرِ نَفْسِه.

[٥] وآذكُرِ الرَّبَّ، يا بُنَيَّ، جَميعَ أَيَّامِكَ، ولا تَرْضَ بِأَن تَخطَأَ وتَتَعَدَّى وَصاياه. إِعمَل أَعْمالَ البِرِّ جَميعَ أَيَّام حَياتِكَ، ولا تَسلُكْ سُبُلَ الإِثْم، [٦] فإِن عَمِلتَ بالحَقّ، نَجَحتَ في أَعْمالِكَ، [٧] شأنَ الَّذينَ يَعمَلونَ بِالبِرّ.

تَصَدَّقْ مِن مالِكَ ولا تُحَوِّلْ وَجهَكَ عن فَقير، فوَجْهُ اللهِ لا يُحوَّلُ عنكَ. [٨] تَصَدَّقْ بِما عِندَكَ وبِحَسَبِ ما يَتَوفَّرُ لَكَ. إِن كانَ لَكَ كَثير فآبذُلْ كَثيراً، وإِن كانَ لكَ قَليل فآبذُلْ قليلاً، ولكِن لا تَخَفْ أَن تَتَصَدَّق. [٩] فإِنَّكَ تَدَّخِرُ لَكَ كَنْزاً حَسَناً إِلى يَومِ العَوَز. [١٠] لِأَنَّ الصَّدَقَة(٨) تُنقِذُ مِنَ المَوت ولا تَدَعُ النَّفْسَ تَصيرُ إِلى الظُّلْمَة. [١١] الصَّدَقَةُ تَقدِمةٌ حَسَنَةٌ لِجَميعِ صانِعيها أَمامَ العَلِيّ.

[١٢] إِحْذَرْ لِنَفسِكَ، يا بُنَيَّ، من كُلِّ فاحِشة، وقَبلَ كُلِّ شَيءٍ آتَّخِذِ آمرَأَةً مِن نَسْلِ آبائِكَ. لا تَتَّخِذِ آمرَأَةً غَريبةً لا تَكونُ مِن سِبْطِ أَبيكَ، لِأَنَّنا أَبْناءُ الأَنْبِياء. أُذكُرْ، يا بُنَيَّ، نُوحاً وإِبْراهيمَ وإِسحٰقَ ويَعْقوب، آباءَنا مُنذُ القِدَم، فإِنَّهم جَميعاً آتَّخذوا نِساءً من عِندِ إِخوَتِهم، فنالوا البَرَكَةَ في

(٨) مفاعيل الصدقة.

أَولادِهِم ، ونَسلُهُم يَرِثُ الأَرض . [١٣]والآنَ ، يا بُنَيَّ ، أَحِبَّ إِخوَتَكَ ولا تَستكبِرْ بِقَلبِكَ على إِخوَتِكَ ، على بَني أُمَّتِكَ وبَناتِها ، وآتَّخِذِ آمرَأَةً مِن بَينِهم ، فَفي الكِبْرِياءِ خَرابٌ واْضطِرابٌ كَثير ، وفي البِطالَةِ فَقْرٌ وعَوَزٌ شَديد ، لِأَنَّ البِطالةَ أُمُّ المَجاعة .

[١٤]أُجرَةُ كُلِّ إِنْسانٍ يَعمَل لا تَبِتْ عِندَكَ إِلى الغَد ، بلِ آدفَعْها لَه لِساعتِه ، وإِن عَمِلتَ للهِ تُكافَأ . كُنْ متيَقِّظاً ، يا بُنَيَّ ، في جَميعِ أَعْمالِكَ وكُنْ مُهَذَّباً في جَميعِ تَصَرُّفاتِكَ . [١٥]وكُلُّ ما تَكرَهُه لا تَفعَلْه بِأَحَدٍ مِنَ النَّاس . لا تَشرَبْ خَمْراً حتَّى السُّكْر ولا يُرافِقْكَ السُّكْرُ في طَريقِكَ .

[١٦]مِن خُبزِكَ أَعْطِ الجائِع ومِن ثِيابِكَ العُراة . مِن كُلِّ ما تَوَفَّرَ لَكَ تَصَدَّق ، وإِذا تَصَدَّقتَ فلا تَندَمْ عَينُكَ . [١٧]أَفِضْ خُبزَكَ على قُبورِ الأَبْرار ولا تُعْطِ الخاطِئين .

[١٨]إِلتَمِسْ مَشورةَ كُلِّ رَجُلٍ حَكيم ولا تَحتَقِرْ كُلَّ مَشورةٍ مُفيدة .

[١٩]بارِكِ الرَّبَّ إِلٰهَكَ في كُلِّ حين وآسأَلْه أَن تَكونَ طُرُقُكَ قَويمَةً وسُبُلُكَ ومَقاصِدُكَ في طَريقِ النَّجاح. فلَيسَتِ الفِطنَةُ لِكُلِّ أُمَّة ،لِأَنَّ الرَّبَّ هو الذي يُعْطيهِم الإِرادةَ الحَسَنة . وهو يَرفَعُ أَو يَحُطُّ مَن يَشاءُ إِلى أَعْماقِ مَثْوى الأَمْوات . والآن ، يا بُنَيَّ ، أُذكُرْ هٰذه الوَصايا ولا تَغِبْ عن قَلبِكَ .

[٢٠]والآن ، يا بُنَيَّ ، أُعلِمُكَ بأَنِّي أَودَعتُ جَبَعْئيلَ بنَ جَبْري عَشَرَةَ قناطيرَ مِنَ الفِضَّةِ في راجيسِ ميدِيا . [٢١]فلا تَخَفْ ، يا بُنَيَّ ، إِنِ آفتَقَرْنا . عِندَكَ خَيراتٌ كَثيرة ، إِن كُنتَ تَخافُ اللهَ وتَهرُبُ مِن كُلِّ خَطيئة وتَصنَعُ ما هو صالِحٌ أَمامَ الرَّبِّ إِلٰهِكَ» .

٢. وجد طوبيا مرافقاً

الملائكة يكلَّفون بمهمات، في نظر الكتاب المقدس. وفي هذا النص تجسيد منظور للعون الإلهي، هو من الفن الادبي الذي ينتمي إليه الكتاب. وهذا ما نسمّيه اليوم العناية الإلهية.

٥ [١]فأَجابَ طوبِيَّا وقالَ لِأَبيه طوبيت: «كُلُّ ما أَوصَيتَني بِه أَفعَلُه، يا أَبَتِ. [٢]ولكِن كَيفَ أَستَطيعُ أَن أَستَرِدَّ مِنه ذلكَ المال، وهو لا يَعرِفُني وأَنا لا أَعرِفُه؟ فما العَلامةُ الَّتي أَعْطيه إِيَّاها فيَعرِفَني ويُصَدِّقَني ويُعطِيَني المالَ؟ ثُمَّ إِنَّ الطُّرُق إِلى ميدِيا لا أَعرِفُها لِلذَّهابِ إِلَيها». [٣]فأَجابَ طوبيتُ وقالَ لِآبنِه طوبِيَّا: «وَقَّعَ لي على صَكٍّ ووَقَّعتُ لَه علَيه وشَطَرتُه شَطرَينِ لِيَكونَ لِكُلٍّ مِنَّا شَطْر. وأَخَذتُ شَطراً ووَضَعتُ الشَّطْرَ الآخَرَ مع المالِ. والآنَ فقَد مَضى عِشْرونَ سَنَةً مُنذُ أَن أَودَعتُ هذا المال. فآبحَثْ لَكَ، يا بُنَيَّ، عن رَجُلٍ أَمينٍ يُرافِقُكَ فنُعْطيه أُجرَةً إِلى أَن تَعود، وآستَرِدَّ ذلكَ المالَ مِن جَبَعْئيل».

[٤]فخَرَجَ طوبِيَّا يَبحَثُ عن رَجُلٍ يُرافِقُه إِلى ميدِيا ويَعرِفُ الطَّريق. وعِندَ خُروجِه وَجَدَ المَلاكَ رافائيلَ واقِفاً أَمامَه، ولَم يَعلَمْ بِأَنَّه مَلاكٌ مِن مَلائِكَةِ الله. [٥]فقالَ لَه: «مِن أَينَ أَنتَ، يا فَتًى؟». قال لَه: «مِن بَني إِسْرائيلَ إِخوَتِكَ، جِئتُ إِلى هُنا لِلعَمَل». قالَ له: «أَتَعرِفُ الطَّريقَ لِلذَّهابِ إِلى ميدِيا؟». [٦]قالَ لَه: «نَعَم، وكَثيراً ما كُنتُ فيها، ولي خِبرَةٌ ومَعرِفَةٌ بِجَميعِ الطُّرُق. ذَهَبتُ إِلى ميدِيا مِراراً ونَزَلتُ بِأَخينا جَبَعْئيلَ المُقيمِ بِراجيسِ ميدِيا. وتَبعُدُ أَحْمَتا عن راجيسَ مَسيرةَ يَومَين عادِيَّة. فإِنَّ راجيسَ تَقَعُ في الجَبَل». [٧]قالَ لَه طوبِيَّا: «إِنتَظِرْني، يا فَتًى، حتَّى أَدخُلَ

فأُخبرَ أَبي . فإنِّي أَحْتاجُ إلى أن تأتِيَ معي فأُعطِيَكَ أُجرَتَكَ» . [٨]قالَ لَه : «إنِّي أَنتَظِرُكَ ، ولكن لا تُبْطِئْ» .

فدَخَلَ طوبيَّا وأَخبَرَ أَباه طوبيتَ فقالَ لَه : «وَجَدتُ رَجُلاً مِن بَني إِسْرائيلَ إِخوَتِنا» . قالَ لَه : «أُدْعُ الرَّجُلَ لِأَعرِفَ مِن أَيِّ نَسْلٍ ومِن أَيِّ سِبْطٍ هو ، وهل هو أَمينٌ لِكَي يُرافِقَكَ ، يا بُنَيَّ» . [٩]فخَرَجَ طوبيَّا ودَعاه فقالَ لَه : «يا فَتًى ، أَبي يَدْعوكَ» . [١٠]فدَخَلَ إِلَيه ، فبادَرَه طوبيتُ السَّلام ، فقالَ لَه الرَّجُل : أَتَمَنَّى لَكَ كُلَّ خَيْر» . فأَجابَ طوبيتُ وقالَ لَه : «كيفَ لي أَن أَكونَ بِخَيرٍ وأَنا رَجُلٌ مَحْرومُ العَينَينِ لا أَرى نورَ السَّماء ، بل أُقيمُ في الظَّلامِ كالأَمْواتِ الَّذينَ لم يَعودوا يُشاهِدونَ النُّور . أَنا حَيٌّ بَينَ الأَمْوات ، أَسمَعُ أَصْواتَ النَّاسِ ولا أَراهم» . قالَ لَه : «طِبْ نَفْساً ، فعَن قَريبٍ تَنالُ الشِّفاءَ مِن لَدُنِ الله ، طِبْ نَفْساً» . قالَ لَه طوبيت : «إِنَّ آبْني طوبيَّا يُريدُ السَّفَرَ إِلى ميدِيا ، فهَل لَكَ أَن تُرافِقَه وتَقودَه ؟ إِنِّي أُعْطيكَ أُجرَتَكَ ، يا أَخي» . قالَ لَه : «في إِمْكاني أَن أُرافِقَه ، فإِنِّي أَعرِفُ جَميعَ الطُّرُق ، وكثيراً ما ذَهَبتُ إِلى ميدِيا ومَرَرتُ بِجَميع سُهولِها وجِبالِها ، وأَنا أَعرِفُ جَميعَ طُرُقِها» . [١١]قالَ لَه : «يا أَخي ، مِن أَيَّةِ عَشيرةٍ أَنتَ ومِن أَيِّ سِبْطٍ ؟ أَخْبِرْني ، يا أَخي» . [١٢]قالَ لَه : «ما الفائِدَةُ لَكَ مِن سِبْطي ؟» . قالَ لَه : «أُريدُ أَن أَعرِفَ بِالحَقيقَةِ آبنُ مَن أَنتَ ، يا أَخي ، وما آسمُكَ» . [١٣]قالَ لَه : «أَنا عَزَرْيا بنُ حَنَنْيا العَظيم ، أَحَدُ إِخوَتِكَ» . [١٤]قالَ لَه : «أَهلاً بِكَ سالِماً مُعافًى ، يا أَخي . لا تَغضَبْ عَلَيَّ ، يا أَخي ، لِأَنِّي أَرَدتُ مَعرِفَةَ الحَقيقَةِ عن عَشيرَتِكَ : فقَدِ آتَّفَقَ أَنَّكَ أَخٌ لي وأَنَّكَ مِن نَسَبٍ كَريمٍ صالِح . إِنِّي أَعرِفُ حَنَنْيا وناتانَ آبنَي سَمالِيا العَظيم . فقَد كانا يُرافِقاني

إلى أُورشَليم ويَسجُدانِ معي، ولَم يَضِلاَّ الطَّريق. إخوَتُك رِجالٌ صالِحون. إنَّكَ مِن أَصْلٍ كَريم، فأَهْلاً بِكَ سَعيداً».

[١٥]وقالَ لَه أيضاً: «أَدْفَعُ لَكَ دِرْهَماً في اليَومِ ومَعيشَتُكَ كَمَعيشَةِ ابني. [١٦]فرافِقِ ابْني، وأَنا أَزيدُ لَكَ الأُجرَة». قالَ لَه: «سأُرافِقُه، فلا تَخَفْ، فإِنَّنا نَذهَبُ سالِمَين ونَعودُ إِلَيكَ سالِمَين، لِأَنَّ الطَّريقَ آمِنَة». [١٧]قالَ لَه: «علَيكَ البَرَكَة، يا أَخي». ثُمَّ دَعا طوبيتُ ابنَه فقالَ لَه: «يا بُنَيَّ، أَعِدَّ ما يَلزَمُ لِلطَّريق واذهَبْ مع أَخيكَ، واللهُ الَّذي في السَّماءِ يَحفَظُكما هُناكَ ويَرُدُّكما إِلَيَّ سالِمَين، ومَلاكُه يُرافِقُكما بِحِمايَتِه، يا بُنَيَّ».

وخَرَجَ طوبيَّا لِلذَّهابِ في طَريقِه وقَبَّلَ أَباه وأُمَّه، فقالَ لَه طوبيت: «اِذْهَبْ سالِماً». [١٨]وبكَتْ أُمُّه وقالَت لِطوبيت: «لِماذا تُرسِلُ ولَدي؟ أَما هو عُكَّازُ شَيخوختِنا، وهو الَّذي يَدخُلُ ويَخرُجُ أَمامَنا؟ [١٩]يَجِبُ أَلَّا يُضافَ المالُ إِلى المال، بل أَن يَكونَ فِدْيةَ وَلَدِنا. [٢٠]كَفانا ما رَزَقَنا الرَّبُّ مِن عَيش». [٢١]قالَ لَها: «دَعي عَنكِ الهَمّ، فإِنَّ وَلَدَنا سيَذهَبُ سالِماً ويَعودُ إِلَينا سالِماً. وعَيناكِ ستُشاهِدانِ اليَومَ الَّذي يَعودُ فيه إِلَيكِ سالِماً. فدَعي عنكِ الهَمَّ ولا تَخافي علَيهما، يا أُختي. [٢٢]سيُرافِقُه مَلاكٌ صالِح ويَكونُ سَفَرُه ناجِحاً ويَعودُ سالِماً».

٦ [١]فكَفَّت عنِ البُكاء.

٣. صَيد سمكة عجيبة

يتحدَّث الكاتب هنا عن دواء عجيب المفعول.

[٢]وذَهَبَ الوَلَدُ والمَلاكُ معه، وذَهَبَ معه الكَلْبُ ورافَقَهما، وسارا

كِلاهُما . ولَمَّا كانتِ اللَّيلَةُ الأُولى ، باتا بِجانِبِ نَهْرِ دِجلَة . [٣]ونَزَلَ الوَلَدُ لِيَغسِلَ رِجلَيه في النَّهر ، فوَثَبَ حُوتٌ كَبيرٌ مِنَ الماء وأَرادَ أن يَبتَلِعَ رِجْلَه . فصَرَخَ الصَّبِيُّ ، [٤]فقالَ المَلاكُ لِلصَّبِيِّ : «أَمسِكْ بِالحوتِ وآقبِضْ علَيه» . فقَبَضَ الصَّبِيُّ على الحوتِ وجَرَّه إلى الأَرض . [٥]فقالَ لَه المَلاك : «شُقَّ الحوتَ وأَخرِجْ مَرارَتَه وقَلْبَه وكَبِدَه وضَعْها جانِباً وأَلْقِ بالأَحْشاء ، فمَرارَتُه وقَلْبُه وكَبِدُه دَواءٌ ناجع» . [٦]فَشَقَّ الصَّبِيُّ الحوتَ وجَمَعَ المَرارَةَ والقَلْبَ والكَبِد ، وشَوى شيئاً مِنَ الحوتِ وأَكَل وتَرَكَ البَقِيَّةَ لِلتَّمْليح . ثُمَّ سارا كلاهما معاً حتى آقتَرَبا مِن ميدِيا .

[٧]حينَئِذٍ سَأَلَ الصَّبِيُّ المَلاكَ فقالَ لَه : «يا عَزَرْيا أَخي ، ما هو الدَّواءُ الَّذي في قَلبِ الحوتِ وكَبِدِه ومَرارتِه» ؟ [٨]قالَ لَه : «أَمَّا قَلْبُ الحوتِ وكَبِدُه ، فتُصعِدُ دُخانَهما أَمامَ رَجُلٍ أَوِ آمرَأَةٍ يُعَذِّبُها شَيطان أَو رُوحٌ شِرِّير ، فيَهرُبُ كُلُّ حُضور ولا يَعودُ يُلازِمُهما أَبداً . [٩]وأَمَّا المَرارة ، فتَمسَحُ بِها عَينَيِ الإِنْسانِ الَّذي أُصيبَ بِبُقَعٍ بَيضاء وتَنفُخُ في البُقَعِ فتَبرَأُ عَيناه»(٩) .

٤. زواج طوبيا

في هذا النصّ مفهوم فائق الطبيعة للزواج ، ينبئ منذ اليوم بمثال الزوجَين المسيحيّين الاعلى .

[١٠]ولَمَّا دَخَلا ميدِيا وآقتَرَبا مِن أَحْمَتا ، [١١]قالَ رافائيلُ لِلصَّبِيِّ : «يا طوبِيَّا أَخي» . قالَ لَه : «هاءَنذا» . قالَ لَه : علَينا أَن نَبيتَ هذه اللَّيلَةَ في مَنزِلِ رَعوئيل ، وهو رَجُلٌ مِن قَرابَتِكَ ولَه آبنَةٌ آسمُها سارة ، [١٢]ولَيسَ لَه

(٩) هذه التدخينات كانت الدواء العاديّ لطرد الشيطان .

مِن آبنٍ ذَكَرٍ ولا آبنَةٍ سِوى سارة . وأَنتَ أَقرَبُ النَّاسِ إِلَيها ، فمِن حَقِّكَ أَن تُعْطى لَكَ قَبلَ سِواكَ ، ومِن حَقِّكَ أَيضاً أَن تَرِثَ جَميعَ أَمْوالِ أَبيها . وهي فتاةٌ رَصينةٌ باسِلةٌ جَميلَةٌ جِدًّا ، وأَبوها يُحِبُّها حُبًّا شَديداً . [١٣]مِن حَقِّكَ أَن تَتَزَوَّجَها . إِسْمَعْ لي ، يا أَخي ، فإِنِّي سأُكَلِّمُ الأَبَ عن آبنَتِه مُنذُ هذه اللَّيلَةَ لِكَي تَتَّخِذَها لكَ خَطيبة ، ومتى عُدْنا مِن راجيس نُقيمُ عُرسَها . وأَنا عالِمٌ بِأَنَّ رَعوئيلَ لا يَستَطيعُ أَن يَمنَعَكَ إِيَّاها ولا أَن يَخطُبَها الى رَجُلٍ آخَر ، وإلاَّ آستَحَقَّ المَوتَ بِحَسَبِ حُكْمِ كِتابِ موسى ، لِعِلْمِه بِأَنَّه مِن حَقِّكَ قَبلَ أَيِّ رَجُلٍ آخَر أَن تَتَزَوَّجَ آبنَتَه . فآسمَعْ لي ، يا أَخي ، ففي هذه اللَّيلَةِ نتكَلَّمُ في شَأنِ الفَتاة ونطلُبُها لَكَ . ومتى عُدْنا مِن راجيس نأخُذُها ونَذهَبُ بِها معَنا إِلى بَيتِكَ» .

[١٤]فأَجابَ طوبِيَّا وقالَ لِرافائيل : «يا عَزَرْيا أَخي ، سَمِعتُ أَنَّه قد عُقِدَ لها على سَبعَةِ رِجالٍ فماتوا في غُرفةِ العُرْس ، وكانوا يَموتونَ لَيلةَ دُخولِهِم علَيها . وسَمِعتُ أَيضاً مَن يَقولُ إِنَّ شَيطاناً كانَ يَقتُلُهم ، [١٥]فأَنا الآنَ خائف . إِنَّه لا يُسيءُ إِلَيها ، ولكِن إِذا أَرادَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ أَن يَقتَرِبَ مِنْها ، قَتَلَه . إِنِّي وَحيدٌ لِأَبي ، فأَخْشى أَن أَموتَ فأُنزِلَ إِلى القَبرِ حَياةَ أَبي وأُمِّي غَمًّا علَيَّ . ولَيسَ لَهُما آبنٌ آخَرُ لِيَدفِنَهُما» . [١٦]قالَ لَه : «أَلا تَذكُرُ وَصايا أَبيكَ ؟ فقَد أَوصاكَ بِأَن تَتَّخِذَ آمرَأَةً مِن بَيتِ أَبيكَ . فآسمَعِ الآنَ لي ، يا أَخي ، ولا تَحسِبْ لِهذا الشَّيطانِ حِساباً وخُذْها . وأَنا عالِمٌ بأَنَّها ستُزَفُّ إِلَيكَ آمرَأَةً هذه اللَّيلة . [١٧]ومتى تَدخُلُ إِلى غُرفةِ العُرْس ، تأخُذُ شَيئاً مِن كَبِدِ الحوتِ وقَلْبِه وتَضَعُه على جَمْرِ المِبخَرَة ، فتَنبَعِثُ الرَّائِحَةُ [١٨]فيَشُمُّها الشَّيطانُ فيَهرُب ، ولَن يَعودَ أَبداً إِلى الظُّهورِ حَولَ الفَتاة . وإِذا

أَوشَكتَ أَن تَخلُوَ بِها ، إِنْهَضا كِلاكُما فصَلِّيا وَآسأَلا رَبَّ السَّماء أَن تَحِلَّ علَيكُما رَحمَتُه وخَلاصُه . لا تَخَفْ، فهي نَصيبُكَ مُنذُ القِدَم وأَنتَ الَّذي سيُخَلِّصُها ، وستَذهَبُ معكَ، وأَعتَقِدُ أَنَّه سيكونُ لكَ مِنها أَولادٌ يَكونونَ لَكَ كالإِخوَة . فدَعْ عنكَ الهَمّ» . [١٩] ولَمَّا سَمِعَ طوبِيَّا كَلامَ رافائيل وعَلِمَ بِأَنَّ سارَةَ هي أُختٌ لَه مِن نَسْلِ أَبيه ، أَحبَّها حُبًّا شَديداً وعَلِقَ بِها قَلبُه .

٧ [١] ولَمَّا دَخَلا أَحْمَتا ، قالَ لَه طوبِيَّا : «يا عَزَرْيا أَخي ، إِذْهَبْ بي تَوًّا إِلى رَعوئيلَ أَخينا» . فذَهَبَ بِه إِلى بَيتِ رَعوئيل ، فوَجَداه جالِساً عِندَ بابِ الدَّار ، فبادَراه السَّلام ، فقالَ لَهُما : «أَلفَ سَلامٍ علَيكُما ، يا أَخَوَيَّ ، وأَهلاً بِكُما سالِمَين» . وأَدخَلَهما إِلى بَيتِه ، [٢] وقالَ لِعَدْناءَ آمرأَتِه : «ما أَشبَهَ هذا الفَتى بِطوبيتَ أَخي !» . [٣] فسأَلَتهُما عَدْناءُ وقالَت لَهُما : «مِن أَينَ أَنتُما ، يا أَخَوَيَّ» ؟ فقالا لَها : «نَحنُ مِن بني نَفْتالي المَجْلُوِّينَ إِلى نينَوى» . [٤] قالَت لَهما : «أَتَعرِفانِ طوبيتَ أَخانا ؟» قالا : «نَعرِفُه» . قالَت : «أَهو بِخَير» ؟ . [٥] قالا : «هو بِخَير وهو على قَيدِ الحَياة» . وأَضافَ طوبِيَّا : «هو أَبي» . [٦] فوَثَبَ إِلَيهِ رَعوئيلُ وقَبَّلَه وبَكى [٧] وقالَ لَه : «عَلَيكَ البَرَكَةُ ، يا بُنَيَّ ، فأَنتَ آبنُ أَبٍ صالِحٍ فاضِل . مِن أَشَدِّ المَصائبِ أَن يَفقِدَ البَصَرَ رَجُلٌ بارٌّ يُعْطي الصَّدَقات» . ثُمَّ أَلْقى بِنَفْسِه على عُنُقِ طوبِيَّا أَخيه وبَكى . [٨] وبَكَت علَيه عَدْناءُ آمرأَتُه ، وسارةُ آبنَتُهما أَيضاً . [٩] ثُمَّ ذَبَحَ كَبْشاً مِنَ القَطيع وآستَقبَلَهما آستِقْبالاً حارًّا .

وبَعدَ أَنِ آغتَسَلوا وآستَحَمُّوا وجَلَسوا لِلطَّعام ، قالَ طوبِيَّا لِرافائيل : «يا عَزَرْيا أَخي ، سَلْ رَعوئيلَ أَن يَزُفَّ إِلَيَّ سارةَ أُختي» . [١٠] وسَمِعَ رَعوئيلُ هذا الكلامَ فقالَ لِلفَتى : «كُلْ وآشرَبْ وتَمَتَّعْ بِهذه اللَّيلَة . فلَيسَ مِن حَقِّ

أَيِّ رَجُلٍ كانَ أَن يَتَّخِذَ سارةَ ٱبنَتي زَوجَةً سِواكَ يا أَخي ، كما أَنَّه لَيسَ لي أَيُّ سُلْطانٍ كانَ على أَن أَزُفَّها إِلى رَجُلٍ سِواك ، فأَنتَ أَقرَبُ النَّاسِ إِلَيَّ . وسأُطلِعُكَ ، يا بُنَيَّ ، على الحَقيقةِ كُلِّها . [١١]إِنِّي زَفَفتُها إِلى سَبعَةِ رِجالٍ مِن إِخوَتِنا ، فماتوا كُلُّهم لَيلةَ دُخولِهِم علَيها . والآن ، يا بُنَيَّ ، كُلْ وٱشرَبْ ، والرَّبُّ يَمنَحُكَ نِعمَتَه وسَلامَه» . قالَ طوبِيَّا : «لا آكُلُ ولا أَشرَبُ هٰهُنا ، ما لم تَتَّخِذْ قَراراً في أَمْري» . قالَ لَه رَعوئيل : «سأَفعَل . إِنَّها مَزْفوفةٌ إِلَيكَ بِحَسَبِ حُكْمِ كِتابِ موسى ، فالسَّماءُ حَكَمَت بِأَن تُزَفَّ إِلَيكَ . اِقبَلْ أُختَكَ ، فأَنتَ أَخوها مُنذُ الآن ، وهي أُختُكَ ، وهي مَزْفوفةٌ إِلَيكَ مُنذُ الآنَ ولِلأَبد . وفَّقَكما رَبُّ السَّماءِ في هذه اللَّيلة ، يا بُنَيَّ ، وأَنعَمَ علَيكما بِرَحمَتِه وسَلامِه» . [١٢]ثُمَّ دَعا رَعوئيلُ سارةَ ٱبنَتَه ، فأَتَت إِلَيه ، فأَخَذَها بِيَدِها وسَلَّمَها إِلَيه وقال : «إِقْبَلْها ، فهي تُزَفُّ إِلَيكَ ٱمرَأَةً بِحَسَبِ الشَّريعة وبِحَسَبِ الحُكْمِ الوارِدِ في كِتابِ موسى . خُذْها وعُدْ إِلى أَبيكَ سالِماً . أَوصَلَكم إِلهُ السَّماءِ بِسَلام !» . [١٣]ثُمَّ دَعا أُمَّها وطَلَبَ إِلَيها أَن تأتِيَ بِصَحيفة وكَتَبَ فيها عَقدَ الزَّواج ، زافًا إِيَّاها ٱمرَأَةً له بِحَسَبِ حُكْمِ شَريعةِ موسى .

[١٤]وبَعدَئِذٍ أَخَذوا يأكُلونَ ويَشرَبون . [١٥]ودعا رَعوئيلُ عَدْناءَ وقالَ لَها : «يا أُخْتي ، أَعِدِّي الغُرْفَةَ الأُخْرى وقودي إِلَيها سارة» . [١٦]فذَهَبَت تَفرُشُ الغُرْفةَ ، كما قالَ لها ، وقادَتْها إِلَيها ، وبَكَت علَيها ، ثُمَّ مَسَحَت دُموعَها وقالَت لَها : «تَشَجَّعي ، يا بُنَيَّة ، فرَبُّ السَّماءِ يُؤتيكِ فَرَحاً بَدَلَ الحُزْن ، تَشَجَّعي ، يا بُنَيَّة» . ثُمَّ خَرَجَت .

٨ [١]ولَمَّا ٱنتَهَوا مِنَ الأَكْلِ والشُّرْب ، أَرادوا أَن يَرْقُدوا . وذَهَبوا بِالفَتى

وأَدخَلوه إِلى الغُرْفة . [٢]وذَكَرَ طوبِيّا كَلامَ رافائيل فأَخرَجَ مِن كيسِه كَبِدَ الحوتِ وقَلْبَه ووَضَعَهما على جَمْرِ المِبْخَرة . [٣]فرَدَّت رائِحَةُ الحوتِ الشَّيطانَ فهَرَبَ في الجَوِّ إِلى نَواحي مِصْر . فمَضى رافائيلُ في إِثْرِه وشَكَلَه هُناكَ وأَوثَقَه مِن ساعتِه[(١٠)] .

[٤]وخَرَجوا فأَغلَقوا بابَ الغُرْفة . فنَهَضَ طوبِيّا مِنَ الفِراشِ وقالَ لِسارة : «قومي ، يا أُخْتي ، نُصَلِّي ، ولْنَبْتَهِلْ إِلى رَبِّنا ، لِكَي يُنعِمَ علينا بِالرَّحمَةِ والخَلاص» . [٥]فقامَت وأَخذا يُصَلِّيانِ فيَبتَهِلانِ لِكَي يُنعَمَ علَيهما بِالخَلاص ، وشرَعَ يقول :

«مُبارَكٌ أَنتَ ، يا إِلهَ آبائِنا ومُبارَكٌ آسمُكَ إِلى جَميعِ الأَجْيالِ الآتِيَة !
لِتُبارِكْكَ السَّمَواتُ وجَميعُ خَلائِقِكَ أَبَدَ الدُّهور !
[٦]أَنتَ صَنَعتَ آدم ، أَنتَ صَنَعتَ لَه عَوناً وسَنَداً حَوَّاءَ آمرأَتَه
ومِنهُما خَرَجَ الجِنسُ البَشَرِيّ .
وأَنتَ قُلتَ : لا يَحسُنُ أَن يَكونَ الإِنسانُ وَحدَه
فَلْنَصنَعْ لَه عَوناً يُناسِبُه .
[٧]والآن ، فلا مِن أَجلِ الزِّنى أَتَّخِذُ أُخْتي هذه زَوجَةً
بل في سَبيلِ الحَقّ .
إِقْضِ بِأَن تُنعِمَ عَلَيَّ وعلَيها بالرَّحمة وبِأَن نَشيخَ كِلانا معاً» .
[٨]وقالا بِصَوتٍ واحِد : «آمين ، آمين» ، [٩]ثُمَّ رَقَدا تلكَ اللَّيلة .
وكانَ أَنَّ رَعوئيلَ قامَ ودَعا إِليه الخَدَم فذَهَبوا يَحفِرونَ قَبْراً ، [١٠]لِأَنَّه

(١٠) نرى هنا ما في هذه الرواية من الطابع الخارق .

قالَ في نَفْسِه: «أَخْشى أَن يَموتَ فنَكونَ عُرضةً لِلسُّخرِيَّةِ والشَّتيمة». [١١]فلَمَّا آنتَهَوا مِن حَفْرِ القَبْر، عادَ رَعوئيلُ إِلى البَيت فدَعا آمرَأَته [١٢]وقال: «أَرسِلي واحِدَةً مِن جَوارِيكِ، ولْتَدخُلْ لِتَرى هلِ الفَتى حَيّ. فإِن ماتَ، دَفَنَّاه مِن دونِ أَن يَعلَمَ بِالأَمرِ أَحَدٌ مِنَ النَّاس». [١٣]فأَرسَلا الجارِيةَ، وأَضاءا القِنْديلَ وفَتَحا الباب، فدَخَلَتِ الجارِية، فوَجَدَتهُما مُضْجِعَينِ ونائمَينِ مَعاً نَوماً عَميقاً. [١٤]فخَرَجَتِ الجارِيةُ وأَخبَرَتهُما بِأَنَّه حَيٌّ وبِأَنَّه لَيسَ هُناكَ مِن سوء. [١٥]فبارَكَ رَعوئيلُ إِلهَ السَّماءِ وقال:

«مُبارَكٌ أَنتَ، أَللّٰهُمَّ، بِكُلِّ بَرَكَةٍ طاهِرة وَلْيُبارِكوكَ أَبَدَ الدُّهور!

[١٦]مُبارَكٌ أَنتَ لأَنَّكَ فَرَّحتَني فلم يكُنْ شَيءٌ مِمَّا تَوَقَّعتُه

بل إِنَّكَ عامَلْتَنا بِحَسَبِ رَحمَتِكَ الوافِرة.

[١٧]مُبارَكٌ أَنتَ لِأَنَّكَ رَحِمتَ الوَحيدَين.

فأَنعِمْ علَيهِما، يا ربّ، بِالرَّحمةِ والخَلاص

وأَتِمَّ حَياتَهُما في الفَرَحِ والنِّعمة».

[١٨]ثُمَّ أَمَرَ خَدَمَه بِرَدْمِ القَبْرِ قَبلَ طُلوعِ الفَجْر.

[١٩]وطَلَبَ إِلى آمرَأَتِه أَن تُعِدَّ قَدراً كَبيراً مِنَ الخُبْز. وذَهَبَ إِلى القَطيع فأَتى بِبَقَرَتَينِ وأَربَعةِ كِباش وأَمَرَ بِإِصلاحِها، وأَخذوا في إِعْدادِ ما يَلْزَم. [٢٠]ثُمَّ دعا طوبِيَّا فقالَ لَه: «طَوالَ أَربَعَةَ عَشَرَ يَوماً لا تتَحَرَّكْ مِن هُنا، بل تَبْقى لِتأكُلَ وتَشرَبَ عِنْدي وتُفرِجَ الغَمَّ عن نَفْسِ آبنَتي. [٢١]ثُمَّ خُذْ مِن هُنا نِصْفَ ما عِنْدي وعُدْ سالِماً إِلى أَبيكَ. وأَمَّا النِّصفُ الثَّاني فيَصيرُ لَكَ بَعدَ مَوتي ومَوتِ آمرَأَتي. تشَجَّع، يا بُنَيَّ، فأَنا أَبوكَ وعَدْناءُ أُمُّك، ونَحنُ معَكَ كما أَنَّنا مع أُختِكَ مِنَ الآنَ ولِلأَبَد. فتَشَجَّع، يا بُنَيَّ».

٥. طوبيا يستردّ الوديعة المالية

مفعول آخر من مفاعيل الحماية الالهية.

٩ [١] ودَعا طوبِيَّا رافائيلَ [٢] فقالَ لَه: «يا عَزَرْيا أَخي، خُذْ مَعَكَ أَربَعَةَ خُدَّامٍ وجَمَلَين وسافِرْ إِلى راجيس [٣] وآذهَبْ إِلى جَبَعْئيل فأَعْطِه الصَكَّ وآستَرِدَّ المال، وأْتِ بِجَبَعْئيلَ إِلى العُرْس. [٤] أَنتَ تعلَمُ أَنَّ أَبي يَحسُبُ الأَيَّام، فإِن أَبطَأتُ يَوماً واحِداً أَحزَنتُه كثيراً. [٥] وأَنتَ شاهِدٌ لِلقَسَمِ الَّذي أَقسَمَه رَعوئيل، ولا أَستَطيعُ أَن أَتجاهَلَ يَمينَه». فسافَرَ رافائيلُ إِلى راجيسِ ميدِيا ومعه الخُدَّامُ الأَربَعةُ والجَمَلان، وباتوا عِندَ جَبَعْئيل. ثُمَّ سَلَّمَ إِلَيه الصَّكَّ وأَخبَرَه بِأَنَّ طوبِيَّا بنَ طوبيتَ قد تَزَوَّجَ وبأَنَّه يَدْعوه إِلى العُرْس. فقامَ وعَدَّ لَهُ الأَكْياسَ مَخْتومَةً وحَمَّلوها على الجَمَلين. [٦] وبَكَّرا في الصَّباحِ فذَهَبا معاً إِلى العُرْس. ودَخَلا على رَعوئيل فوَجَدا طوبِيَّا جالِساً لِلطَّعام. فوَثَبَ وسَلَّمَ على جَبَعْئيل، فبَكى جَبَعْئيلُ وبارَكَه وقالَ له: «يا آبناً صالِحاً فاضِلاً لِأَبٍ صالِحٍ فاضِلٍ بارٍّ صانِعِ الصَّدَقات. وَهَبَ لك الرَّبُّ بَرَكَةَ السَّماء، لَكَ ولِآمرَأَتِك ولِأَبي آمرَأَتِكَ وأُمِّها! مُبارَكٌ الله، لِأَنِّي رأَيتُ صورةً حَيَّةً لِطوبيتَ آبنِ عَمِّي».

٦. عودة طوبيا وشفاء أبيه

بقي والد طوبيا أعمى مدة طويلة، لكنه كان على صواب، شأن ساره، في التمسك بالاتكال على الله.

١٠ [١] وكانَ طوبيتُ يَحسُبُ يَوماً بَعدَ يَومٍ عَدَدَ الأَيَّامِ الَّتي يَتِمُّ فيها الذَّهاب والَّتي يَتِمُّ فيها الإِياب. ولَمَّا آنقَضَت هذه الأَيَّام ولم يَحضَرِ آبنُه، [٢] قالَ في نَفْسِه: «لَرُبَّما عاقَه مانِعٌ هُناك، أَو لَرُبَّما ماتَ جَبَعْئيل ولَيسَ هُناك

مَن يُسَلِّمُ إِلَيه المال». [٣]فوَقَعَ في قَلَق. [٤]وكانت حَنَّةُ آمرَأَتُه تَقول: «هَلَكَ آبْني ولَم يَبْقَ بَينَ الأَحْياء!». وأَخَذَت تَبْكي وتَنوحُ على آبْنِها فتَقول: [٥]«الوَيلُ لي، يا وَلَدي، لِأَنِّي تَرَكتُكَ تُسافِر، أَنتَ نورَ عَينَيَّ». [٦]وكانَ طوبيتُ يَقولُ لَها: «أُسْكُتي ودعي عنكِ الهَمّ، يا أُخْتي، فهو سالم. لا شَكَّ أَن قد طَرَأَ علَيهما طارِئٌ هُناكَ، فالرَّجُلُ الَّذي رافَقَه في السَّفَرِ هو أَمين وهو مِن إِخوَتِنا. فلا تَقْلَقي علَيه، يا أُخْتي، فلَن يَلبَثَ أَن يَكونَ هُنا». [٧]قالَت له: «دَعْني ولا تَخْدَعْني، فلَقَد هَلَكَ وَلَدي». وكانَت كُلَّ يَومٍ تَخرُجُ مُسرِعةً فتُراقِبُ الطَّريقَ الَّتي ذَهَبَ فيها آبنُها، ولا تُصَدِّقُ أَحَداً مِنَ النَّاس. وبَعدَ غِيابِ الشَّمْس، كانَت تَدخُلُ فتَنوحُ وتَبْكي طَوالَ اللَّيل ولا يأخُذُها النُّعاس.

ولَمَّا آنقَضَت أَيَّامُ العُرْسِ الأَربَعَةَ عَشَرَ الَّتي حَلَفَ رَعوئيلُ بِأَن يُقيمَها لِآبنَتِه، دَخَلَ علَيه طوبِيَّا فقالَ لَه: «دَعْني أَرحَل، فأَنا أَعلَمُ بِأَنَّ أَبي وأُمِّي لا يَظُنَّانِ أَنَّهما سيَرانَني بَعدَ اليَوم. والآن فأَرجو، يا أَبَتِ، أَن تَدَعَني أَرحَلُ وأَعودُ إِلى أَبي. سَبَقَ أَن أَخبَرتُكَ بِأَيِّ حالٍ تَرَكتُه». [٨]قالَ رَعوئيلُ لِطوبِيَّا: «اِبْقَ، يا بُنَيَّ، اِبْقَ معي، وأَنا أُرسِلُ رُسُلاً إِلى طوبيتَ أَبيكَ فأُخبِرُه عَنكَ». [٩]قالَ له: «لا أَبَداً، أَرْجو أَن تَدَعَني أَرحَلُ مِن هُنا إِلى أَبي». [١٠]فقامَ رَعوئيلُ وسَلَّمَ إِلَيه سارةَ آمرأَتَه ونِصْفَ أَموالِه كُلِّها من خُدَّامٍ وجَوارٍ وبَقَرٍ وخِرافٍ وحَميرٍ وجِمالٍ وثِيابٍ وفِضَّةٍ وأَمتِعَة. [١١]فتَرَكَهما يَرحَلانِ سالِمَين، وسَلَّمَ على طوبِيَّا فقالَ لَه: «كُنْ سالِماً، يا بُنَيَّ، رافَقَتكَ السَّلامة! ووَفَّقَكما رَبُّ السَّماءِ أَنتَ وسارةَ آمرَأَتَكَ، عسى أَن أَرى أَولادَكما قَبلَ أَن أَموت!». [١٢]وقالَ لِسارةَ آبنَتِه: «اِذهَبي إِلى

حَمْوَيْكِ، فهُما مُنذُ الآنَ والِداكِ كاللَّذَين وَلَداكِ. إِذْهَبي بِسَلام، يا آبنَتي، ولَيتَني أَسمَعُ عَنكِ خَيْراً ما دُمتُ حَيًّا». ثُمَّ سَلَّمَ علَيهِما وتَركَهما يَرحَلان.

وقالَت عَدْناءُ لِطوبِيَّا: «يا وَلَدي وأَخي الحَبيب، أَعادَكَ الرَّبّ، ولَيتَني أَعيشُ حتَّى أَرى أَولادَكُما أَنتَ وسارةَ آبنَتي قَبلَ أَن أَموت، أَمامَ اللهِ أُسَلِّمُ إِلَيكَ آبنَتي وَديعةً، فلا تُحزِنْها جَميعَ أَيَّامِ حَياتِكَ. رافَقَتكَ السلامة، يا بُنَيَّ. مُنذُ الآنَ أَنا أُمُّكَ وسارةُ أُختُكَ. لَيتَنا نَتَنَعَّمُ جَميعاً كُلَّ يَومٍ مِن أَيَّامِ حَياتِنا!». ثُمَّ قَبَّلَتهُما وتَركَتهُما يَرحَلانِ سالِمَين.

[١٣] وآنصَرَفَ طوبِيَّا مِن عِندِ رَعوئيلَ سالِماً مَسْروراً وهو يُسَبِّحُ رَبَّ السَّماءِ والأَرض ومَلِكَ كُلِّ شَيء، لِأَنَّه أَنجَحَ سَفَرَهُ. وبارَكَ رَعوئيل وعَدْناءَ قائلاً: «أَسعَدَني اللهُ بِإِكرامِكُما جَميعَ أَيَّامِ حَياتي!».

١١ [١] ولَمَّا قَرُبوا مِن قَصْرِينَ، الَّتي تُجاهَ نينَوى، [٢] قالَ رافائيل: «أَنتَ تَعلَمُ كَيفَ تَرَكْنا أَباكَ. [٣] فلْنَسبِقِ آمرَأَتَكَ لِنُعِدَّ البَيت، رَيثَما يَصِلُ الآخَرون». [٤] فسارا كِلاهُما معاً (وكانَ رافائيلُ قد أَوصى طوبِيَّا بِأَن يأخُذَ المَرارة)، والكَلْبُ يَتبَعُهما.

[٥] وكانَت حَنَّةُ جالِسةً تُراقِبُ طَريقَ عَودةِ آبنِها. [٦] فشَعَرَت بِأَنَّه قادِمٌ فقالَت لِأَبيه: «هُوَذا آبنُكَ قادِمٌ ومعه الرَّجُلُ الَّذي رافَقَه». [٧] وقالَ رافائيلُ لِطوبِيَّا قَبلَ أَن يَصيرَ بِالقُرْبِ مِن أَبيه: «إِنِّي أَعلَمُ بِأَنَّ عَينَيه ستَنفَتِحان. [٨] فاطْلِ عَينَيه بِمَرارةِ الحوت، والدَّواءُ يَشُقُّ البُقَعَ البَيضاءَ ويُقَشِّرُها عن عَينَيه، فيُبصِرُ أَبوكَ ويَرى النور».

[٩] وأَسرَعَت حَنَّةُ وأَلقَت بِنَفْسِها على عُنُقِ ابنِها وقالَت لَه: «رأَيتُكَ، يا

وَلَدي. فلي بَعدَ الآنَ أَن أَموت»، وبَكَت. [١٠]وقامَ طوبيتُ ومَشى متعَثِّراً وخَرَجَ مِن بابِ الدَّار، وسارَ طوبِيَّا إِلى لِقائِه [١١]وبيَدِه مَرارةُ الحوت. ونَفَخَ في عَينَيه وأَمسَكَ بِه فقالَ لَه: «تشَجَّعْ، يا أَبَتِ». ثُمَّ طَلى عَينَيه بِالدَّواءِ وآنتَظَر. [١٢]وجَعَلَ بِكِلْتَي يَدَيه يُخرِجُ قِشْرَةً من أَطرافِ عَينَيه. [١٣]فأَلْقى أَبوه بِنَفْسِه على عُنُقِه [١٤]وبَكى ثُمَّ قال: «إِنِّي أَراكَ يا وَلَدي ونورَ عَينَيَّ». وأَضاف:

«مُبارَكٌ الله ومُبارَكٌ آسمُه العَظيم!

مُباركةٌ جَميعُ مَلائكتِه القِدّيسين!

مُبارَكٌ آسمُه العَظيمُ أَبَدَ الدُّهور!

[١٥]لِأَنَّه ضَرَبَني فَرحِمَني ولِأَنِّي أَرى طوبِيَّا آبْني».

ودَخَلَ طوبِيَّا إِلى البَيتِ مَسْروراً يُسَبِّحُ اللهَ بِأَعلى صَوتِه، وأَخبَرَ أَباه بِأَنَّ سَفَرَه قد نَجَحَ وبِأَنَّه قدِ آستَرَدَّ المالَ وآتَّخَذَ سارةَ آبنَةَ رَعوئيلَ آمرَأَةً، وأَنَّها واصِلة وقَد صارت بِالقُرْبِ مِن بابِ نينَوى.

[١٦]فخَرَجَ طوبيتُ يُسَبِّحُ اللهَ مَسْروراً إِلى لِقاءِ كَنَّتِه عِندَ بابِ نينَوى. ولَمَّا رآه أَهْلُ نينَوى يَمْشي ويَجولُ بِكامِلِ عافِيَتِه ومِن دونِ أَن يَقودَه أَحَدٌ مِنَ النَّاس، تَعَجَّبوا. [١٧]فآعتَرَفَ طوبيتُ أَمامَهم بِأَنَّ اللهَ قد أَنعَمَ علَيه بِرَحمَتِه ففَتَحَ عَينَيه. ودَنا طوبيتُ مِن سارةَ آمرَأَةِ آبنِه طوبِيَّا وبارَكَها وقالَ لَها: «أَهْلاً بكِ سالِمَةً، يا آبنَتي، ومُبارَكٌ إِلهُكِ الَّذي أَتى بِكِ إِلَينا، يا آبنَتي، ومُباركٌ أَبوكِ، ومُبارَكٌ طوبِيَّا آبْني، ومُباركةٌ أَنتِ، يا آبْنَتي. أُدخُلي إِلى بَيتِكِ سالِمَةً بِالبَرَكةِ والفَرَح، أُدخُلي، يا آبنَتي». وفي ذلكَ اليَومِ عَمَّ

الفَرَحُ جَميعَ اليَهودِ الَّذينَ في نينَوى. [١٨]وقَدِمَ أَحيكارُ ونادابُ آبْنا عَمِّه يُشارِكانِ طوبيتَ في الفَرَح.

٧. الملاك رفائيل يكشف عن هويته

هذا الفصل يلخّص تعليم المؤلِّف على كثافته ويدعو الى التسبيح. الصلاة والصوم والصدقة هي أساس التقوى في الدين اليهودي. يُنظر إلى العذاب، كما ألمح إليه سِفر أيوب، لا كعقاب، بل كمحنة للإيمان. وأخيراً، يبدو التفكير اللاهوتي في الملائكة في تمام ازدهاره.

١٢ [١]ولَمَّا تَمَّ العُرْس، دَعا طوبيتُ طوبيَّا آبنَه وقالَ لَه: «إهتَمَّ، يا بُنَيَّ، بِدَفعِ الأُجرَةِ لِلرَّجُلِ الَّذي رافَقَكَ وبِالإضافةِ علَيها». [٢]قالَ لَه: «يا أَبتِ، أَيَّ أُجرَةٍ أَدفَعُ لَه؟ لن أَكونَ خاسِراً حتَّى لو دَفَعتُ لَه نِصْفَ الأَموالِ الَّتي عادَ بِها معي. [٣]إِنَّه رَجَعَ بي سالِماً وأَبْرأَ آمرأَتي وعادَ بِالمالِ معي وشَفاكَ. فأَيَّ أُجرَةٍ أَدفَعُ له لِهذا أيضاً؟». [٤]قالَ لَه طوبيت: «مِنَ العَدْلِ، يا بُنَيَّ، أَن يأخُذَ نِصْفَ كُلِّ ما عادَ بِه». [٥]فدَعاه طوبيَّا وقالَ لَه: «خُذْ نِصْفَ ما عُدْتَ بِه أُجرَةً لَكَ وآمضِ سالِماً».

[٦]حينئذٍ آنفَرَدَ بِهِما رافائيلُ فقالَ لَهما: «بارِكا اللهَ وسَبِّحاه أَمامَ جَميعِ الأَحياءِ لِكُلِّ ما أَحسَنَ بِه إِلَيكُما. بارِكا وعَظِّما آسمَه. أَخبِرا جَميعَ النَّاسِ بِأَعْمالِ اللهِ بما يَجِبُ مِنَ الإِكْرام، ولا تَتَوانَيا في تَسْبيحِه. [٧]خَيرٌ أَن يُكتَمَ سِرُّ المَلِك، أَمَّا أَعْمالُ الله فلا بُدَّ مِن كَشْفِها والآعتِرافِ اللاَّئِقِ بِها. إِصْنَعا الخَير، لا يُصِبْكُما سُوء.

[٨]الصَّلاةُ مع الصَّومِ والصَّدَقةُ مع البِرِّ خَيرٌ مِنَ الغِنى مع الإِثْم. التَّصَدُّقُ خَيرٌ مِنِ آدِّخارِ الذَّهَب. [٩]الصَّدَقةُ تُنَجِّي مِنَ المَوت وهي تُطَهِّرُ

مِن كُلِّ خَطيئة. الَّذينَ يَتَصَدَّقونَ يَشبَعونَ مِنَ الحَياة. [١٠]أَمَّا الَّذينَ يرتَكِبونَ الخَطيئةَ والإِثْم فهُم أَعْداءُ أَنْفُسِهِم.

[١١]سأُخبِرُكُما بِالحَقيقَةِ كُلِّها ولَن أُخفِيَ عَلَيكما أَيَّ شَيءٍ كان. سَبَقَ أَن أَعلَنتُ فقلتُ لَكُما: «خَيرٌ أَن يُكتَمَ سِرُّ المَلِك، أَمَّا أَعْمالُ الله فلا بُدَّ مِنَ الاعتِرافِ بِها بما يَجِبُ مِنَ التَّمْجيد. [١٢]فحينَ كُنتَ تُصَلِّي أَنتَ وسارة، كُنتُ أَنا أَرفَعُ ذِكرَ صلاتِكُما إِلى حَضرَةِ مَجْدِ الرَّبّ، وكذلك حينَ كُنتَ تَدفِنُ المَوتى. [١٣]وحينَما لم تَتَوانَ في القِيامِ وتَركِ المائِدةِ والذَّهابِ لِدَفْنِ المَيْت، أُرسِلْتُ حينَئِذٍ إِلَيكَ لِأَمتَحِنَكَ[١١]. [١٤]وفي الوَقْتِ نَفْسِه أَرسَلَني اللهُ لِأَشفِيَكَ وأُبرِئَ سارةَ كَنَّتَكَ. [١٥]أَنا رافائيل، أَحَدُ المَلائِكَةِ السَّبعةِ[١٢] الواقِفينَ والدَّاخِلينَ في حَضرَةِ مَجْدِ الرَّبّ».

[١٦]فارتاعَ الاثْنانِ وسَقَطا على وَجهَيهِمَا مُرتَعِدَين. [١٧]فقال لَهُما: «لا تَخافا، علَيكما السَّلام. بارِكا اللهَ لِلأَبَد. [١٨]لَمَّا كُنتُ معكما، لم أَكُنْ بِفَضْلي أَنا، بل بِمَشيئَةِ الله. فبارِكاه هو طَوالَ الأَيَّام وسَبِّحاه. [١٩]كُنتُما تَرَونَني آكُل، ولم يَكُنْ ذلك إِلاَّ رُؤيةً تَرَيانِها. [٢٠]والآنَ فبارِكا الرَّبَّ على الأَرضِ واحمَدا الله. ها إِنِّي صاعِدٌ إِلى الَّذي أَرسَلَني. فدَوِّنا جَميعَ ما جَرى لَكُما». ثُمَّ صَعِدَ، [٢١]وأَمَّا هُمَا فنَهَضا ولم يَعُدْ بِإِمكانِهِما أَن يَرَياه. فكانا يُبارِكانِ اللهَ ويُسَبِّحانِه ويَحمَدانِه على جَميعِ تلكَ الأُمورِ العَظيمةِ الَّتي عَمِلَها، فقَد تَراءَى لَهُما مَلاكٌ من مَلائِكَةِ الله.

(١١) عِبرة من أكبر عِبَر هذا السِفر.

(١٢) أحد السبعة: علم اللاهوت المسيحي حفظ منهم ثلاثة: جبرائيل وميخائيل ورفائيل.

سِفرُ يهوديت

يتخيَّل الكاتب أن اليفانا، أحد قوّاد جيش نبوكدنصّر، اجتاح فلسطين، وأنه حاصرَ بيت فلوى. بدا انتصاره أكيداً في الظاهر. لكن امرأة بسيطة في حدّ ذاتها وقوية باتكالها على الله، يهوديت، قتلت القائد العدو وساهمت في انتصار المحاصَرين.

المسلكية الادبية التي قام عليها نشاط يهوديت هي مسلكية ذلك الزمن، فلا يجوز تقييمها بحسب مقاييس الأخلاقية المسيحية.

أمَّا العبرة التي كان اليهود المضطهَدون يستخلصونها، فهي أن أعداء الله، أيًّا كانت قدرتهم، خاسرون في النهاية.

١. قدرة أعداء الله المادية

١. مشاريع نبوكدنصّر

على الصعيد السياسي، أراد نبوكدنصّر أن يكون سيّد العالم، وعلى الصعيد الديني، أراد أن يُعترَف به إلهاً مطلقاً.

١ [١]كانَ ما كانَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ مِن مُلْكِ نَبوكَدنَصَّر الَّذي مَلَكَ على الأَشورِيِّينَ في نينَوى المَدينةِ العَظيمة(١)، وفي أَيَّامِ أَرْفَكْشادَ(٢) الَّذي

(١) لم يعرفه التاريخ.
(٢) لم يملك نبوكدنصَّر على نينوى.

مَلَكَ على الميدِيِّينَ في أَحْمَتا [٢] فبَنى حَولَها أَسْواراً مِن حِجارةٍ مَنحوتةٍ عَرضُها ثَلاثةُ أَذرُعٍ وطولُها سِتَّة، وجَعَلَ آرتِفاعَ السُّورِ سَبْعينَ ذِراعاً وعَرضَه خَمْسين، [٣] وشَيَّدَ على أَبْوابِها أَبْراجاً بِمائةِ ذِراع، وأَرْسى أُسُساً في عَرْضِ سِتِّينَ ذِراعاً، [٤] وجَعَلَ أَبْوابَها أَبْواباً يَبلُغُ آرتِفاعُها سَبْعينَ ذِراعاً وعَرْضُها أَرْبَعين، لِخُروجِ مُعظَمِ قُوَّاتِه وآستِعْراضِ مُشاتِه.

[٥] في تِلكَ الأَيَّامِ شَنَّ نَبوكَدْنَصَّرُ المَلِكُ حَرْباً على أَرْفَكْشادَ المَلِكِ في السَّهْلِ الكَبير وهو السَّهْلُ الَّذي في أَرضَ رَعاوى. [٦] فآنضَمَّ إِلَيه جَميعُ سُكَّانِ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة وجَميعُ السَّاكِنينَ على الفُراتِ ودِجلةَ ويادَسون وفي سُهولِ أَرْيوكَ مَلِكِ عَليم. فآجتَمَعَت أُمَمٌ كَثيرةٌ لِمُحارَبةِ بَني كَلْعود.

[٧] فأَوفَدَ نَبوكَدْنَصَّر، مَلِكُ أَشُّور، إِلى جَميعِ سُكَّانِ بِلادِ فارِس وجَميعِ سُكَّانِ النَّاحِيَةِ الغَربِيَّة وسُكَّانِ قيلِيقية ودِمَشْقَ ولُبْنان ولُبْنانَ الشَّرقِيِّ وجَميعِ سُكَّانِ السَّاحِل [٨] والَّذينَ مِن أُمَمِ الكَرمَل وجِلْعاد والجَليلِ الأَعْلى وسَهْلِ يِزْرَعيلَ الواسِع، [٩] وجَميعِ الَّذينَ مِنَ السَّامِرَةِ ومُدُنِها وعِبْرِ الأُردُنِّ إِلى أُورَشَليم وبَيتَ عَنوت وكِلُّود وقادِش ونَهْرِ مِصْرَ وتَحْفَنْحيس ورَعْمْسيس وأَرضِ جاسانَ كُلِّها، [١٠] إِلى ما وَراءَ صوعَن ونُوف وجَميعِ سُكَّانِ مِصْرَ إِلى حُدودِ الحَبَشة. [١١] وآستَهانَ جَميعُ سُكَّانِ الأَرضِ كُلِّها بِأَوامِرِ نَبوكَدْنَصَّرَ مَلِكِ أَشُّور ولَم يَنضَمُّوا إِلَيه لِلقِتال، لِأَنَّهم لم يَكونوا يَخافونَه، بل قاوَموه مُقاوَمَةَ رَجُلٍ واحِد، ورَدُّوا الرُّسُلَ فارِغي الأَيدي خَزايا الوُجوه. [١٢] فغَضِبَ نَبوكَدنَصَّرُ غَضَباً شَديداً على تِلكَ الأَرضِ كُلِّها وحَلَفَ بِعَرْشِه ومُلكِه لَيَنْتَقِمَنَّ من جَميعِ بِلادِ قيلِيقية والشَّامِ

وسورية ويُهلِكَنَّ أيضاً بِسَيفِه جَميعَ السَّاكِنينَ في أَرضِ موآب وبَني عَمُّون وكُلِّ اليَهودِيَّة وجَميعَ الَّذينَ في مِصْرَ إِلى حُدودِ البَحْرَين .

٢ [١] وفي السَّنةِ الثَّامِنةَ عَشْرَةَ واليَومِ الثَّاني والعِشْرينَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل دار الكَلامُ في بَيتِ نَبوكَدْنَصَّرَ مَلِكِ أَشُّورَ على الِانتِقامِ مِنَ الأَرضِ كُلِّها(٣) ، كما كانَ قد قال . [٢] فآستَدْعى جَميعَ ضُبَّاطِه وجَميعَ عُظَمائِه وعَقَدَ مَعَهُم مَشُورةً سِرِّيَّة وعَزَمَ بِلِسانِه على الشَّرِّ التَّامِّ في الأَرض ، [٣] فحَكَموا بِإِهلاكِ جَميعِ الَّذينَ لم يُطيعوا أَوامِرَ فَمِه .

[٤] وكانَ أَنَّ نَبوكَدْنَصَّرَ، مَلِكَ أَشُّور ، لَمَّا أَتَمَّ مَشورَتَه ، اِستَدْعى أَليفانا ، قائِدَ جَيشِه وثانِيَ رَجُلٍ بَعدَه ، وقالَ لَه : [٥] «هذا ما يَقولُه المَلِكُ العَظيم ، سَيِّدُ الأَرضِ كُلِّها : اِذهَبْ مِن عِنْدي وخُذْ مَعَكَ رِجالاً واثِقينَ مِن قُوَّتِهم ، نَحوَ مِائةٍ وعِشْرينَ أَلْفاً مِنَ المُشاةِ وعَدَداً كَبيراً مِنَ الأَفْراس مع آثنَي عَشَرَ أَلْفاً مِنَ الفُرْسان ، [٦] وآخرُجْ على الأَرضِ كُلِّها غَرْباً ، لِأَنَّهم لم يُطيعوا أَوامِرَ فمي ، [٧] وأَخبِرْهم بِأَن يُعِدُّوا الأَرضَ والماء ، فإِنِّي سأَخرُجُ علَيهِم في غَضَبي وسأُغَطِّي كُلَّ وَجهِ الأَرضِ بِأَقْدامِ جَيْشي وأُسلِمُهم إِلَيه لِلنَّهْب . [٨] وجَرحاهم تَملأُ الأَودِيَة ، وكُلُّ سَيلٍ ونَهْرٍ يَمتَلِئُ فيَفيضُ بِجُثَثِهم . [٩] وأَسوقُ أَسْرارهم إِلى أَقاصي الأَرضِ كُلِّها . [١٠] أَمَّا أَنتَ فآمضِ وآحتَلَّ لي كُلَّ أَرضِهم ، فيُسلِمونَ أَنفُسَهم إِلَيك فتَحفَظُهم لي إِلى يَومِ آتِّهامِهم . [١١] أَمَّا العُصاة ، فلا تُشْفِقْ علَيهم ، بل أَسلِمْهُم إِلى القَتْلِ والنَّهْبِ في كُلِّ أَرضِكَ . [١٢] بِحَياتي وبِعِزَّةِ مُلْكي ، لقد تَكَلَّمتُ وسأَفعَلُ

(٣) هدف سياسي .

ذلك بِيَدي. [١٣]وأَنتَ فَلا تُخالِفْ أيَّ أَمْرٍ مِن أَوامِرِ سَيِّدِكَ، بل نَفِّذْها تَنْفيذاً كما أَوصَيتُكَ بِه، ولا تُرجِئِ القِيامَ بها».

٢. الاجتياح الكبير

جمع قائده اليفانا جيشاً عظيماً وباشر الاستيلاء على بلدان العالم.

[١٤]وخَرَجَ أَليفانا من أَمامِ سَيِّدِه ودَعا جَميعَ الرُّؤَساءِ والقُوَّادِ والضُّبَّاطِ في جَيشِ أَشُّور [١٥]وأَحْصى نُخبَةَ الرِّجالِ لِلقِتال، كما أَمَرَه سَيِّدُه، نَحوَ مِائَةٍ وعِشْرينَ أَلْفَ رَجُلٍ وآثْنَي عَشَرَ أَلفَ فارِسٍ نَبَّال، [١٦]وصَفَّهم كَما يُصَفُّ الجُنودُ لِلقِتال. [١٧]وأَخَذَ عَدَداً كَبيراً جِدًّا مِنَ الجِمالِ والحَميرِ والبِغالِ لِحَمْلِ أَمتِعَتِهم وعَدَداً لا يُحْصى مِنَ الخِرافِ والبَقَرِ والمَعَزِ لِإِعاشَتِهم. [١٨]وأُعْطِيَ كُلُّ رَجُلٍ مَؤُونَةً كثيرةً وقَدْراً وافِراً جِدًّا مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ مِن بَيتِ المَلِك.

[١٩]ثُمَّ خَرَجَ هو وكُلُّ جَيشِه في حَملَةٍ لِيَسبِقوا نَبوكَدْنَصَّرَ المَلِك ويُغَطُّوا كُلَّ وَجهِ الأَرضِ إِلى الغَرْبِ بِمَركَباتِهم وفُرْسانِهم ونُخْبَةِ مُشاتِهم. [٢٠]ورافَقَهم خَليطٌ مِنَ النَّاسِ كَثيرٌ كالجَرادِ وكَرَمْلِ الأَرض، لا يُحْصى عَدَدُهم لِكَثرَتِهم.

[٢١]وخَرَجوا مِن نينَوى وساروا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ مُتَّجِهينَ إِلى سَهْلِ بَكْتيلة. وغادَروا بَكْتيلة وعَسكَروا بِالقُرْبِ مِنَ الجَبَلِ الَّذي إِلى شَمالِ قيليقيَةَ العُلْيا. [٢٢]وأَخَذَ كُلَّ جَيشِه، مِن مُشاةٍ وفُرْسانٍ ومَركَبات، ومَضى مِن هُناكَ إِلى النَّاحِيةِ الجَبَلِيَّة. [٢٣]وكَسَرَ فودَ ولُود ونَهَبَ جَميعَ بَني رَشيشَ وبَني إِسماعيلَ الَّذينَ حِيالَ البَرِّيَّة وجِهَةَ جَنوبِ كِلُّون. [٢٤]ثُمَّ سارَ

بِجانِبِ الفُرات وآجتازَ ما بَينَ النَّهرَينِ ودَمَّرَ جَميعَ المُدُنِ المُحَصَّنةِ الَّتي على سَيلِ عَبْرونة ووَصَلَ إِلى البَحر. [25]وآحتَلَّ بِلادَ قيليقِية وسَحَقَ جَميعَ الَّذينَ يُقاوِمونَه وجاءَ إِلى حُدودِ يافَتَ الَّتي إِلى الجَنوبِ حِيالَ دِيارِ العَرَب، [26]وطَوَّقَ جَميعَ بَني مِدْيَن وأَحرَقَ مُخَيَّماتِهِم ونَهَبَ حَظائِرَهم، [27]ونَزَلَ بعدَ ذلك إِلى سُهولِ دِمَشقَ في أَيَّامِ حِصادِ الحِنطَة فأَحرَقَ جَميعَ حُقولِهِم وأَسلَمَ قُطْعانَ الخِرافِ والبَقَرِ إِلى الإِبادَة، ونَهَبَ مُدُنَهم وأَتلَفَ سُهولَهم وضَرَبَ جَميعَ شُبَّانِهم بِحَدِّ السَّيف. [28]فوَقَعَ الخَوفُ والرِّعدَةُ على سُكَّانِ الشَّاطِئِ الَّذينَ في صَيدا وصور، وسُكَّانِ صورَ وعُكِّينا وجَميعِ سُكَّانِ يِمْناع، وخافَه السَّاكِنونَ في أَشْدودَ وأَشْقَلونَ خَوفاً شَديداً.

٣ [1]وأَرسَلوا إِلَيه رُسُلاً يَحمِلونَ كلامَ سَلام [2]ويَقولون: «ها إِنَّنا عَبيدُ نَبوكَدْنَصَّرَ المَلِكِ العَظيمِ بَينَ يَدَيكَ. فآعمَلْ بِنا كَما يَحسُنُ لَدَيكَ، [3]وها إِنَّ حَظائِرَنا وكُلَّ أَرضِنا وجَميعَ حُقولِ قَمحِنا وقُطْعانَ خِرافِنا وبَقَرِنا ومَرابِضَ مُخَيَّماتِنا بَينَ يَدَيكَ، فآعمَلْ بِها كَما يَطيبُ لَكَ. [4]وها إِنَّ مُدُنَنا أَيضاً والسَّاكِنينَ فيها عَبيدٌ لَكَ، فتَعالَ وآدخُلْها كَما يَروقُ في عَينَيكَ».
[5]ووَصَلَ الرِّجالُ إِلى أَليفانا وبَلَّغوهُ بِحَسَبِ هذا الكَلام.
[6]ثُمَّ نَزَلَ هو وجَيشُه إِلى الشَّاطِئِ وأَقامَ حَرَساً في المُدُنِ المُحَصَّنة وجَنَّدَ نُخبَةً مِنَ الرِّجالِ يُساعِدونَه. [7]فآستَقبَلَه هؤُلاءِ وكُلُّ النَّاحِيَةِ المُجاوِرَةِ لَهُم بِالأَكاليلِ وأَجْواقِ الرَّقْصِ والدُّفوف. [8]فدَمَّرَ جَميعَ مَعابِدِهم وقَطَّعَ غاباتِهِمِ المُقَدَّسة، فقَد عُهِدَ إِلَيهِ بِأَن يُبيدَ جَميعَ آلِهَةِ الأَرض لِكَي تَعبُدَ

الأُمَمُ جميعاً نبوكَدْنَصَّرَ وَحدَه وتَدعُوَه إلهاً(٤) جَميعُ أَلسِنَتِهم وأَجْناسِهِم .

[٩] ووَصَلَ أَمامَ يِزرَعيل بِالقُرْبِ مِن دُوتائينَ الَّتي قَبلَ سِلسِلَةِ جِبالِ اليَهودِيَّةِ الكَبيرة [١٠] وعَسكَروا ما بَينَ جَبْعَ وبَيتَ شان ، وأَقامَ هُناكَ طَوالَ شَهرٍ لِيَجمَعَ أَمتِعةَ جَيشِه كُلِّها .

٣. اليهود يخافون

تقدّمت اليفانا سمعة انتصاراته . وكان جيش اليهود ضعيفاً ، فظنّوا أنهم لن يستطيعوا المقاومة .

٤ [١] وسَمِعَ بَنو إِسْرائيلَ المُقيمونَ في اليَهودِيَّةِ بِكُلِّ ما صَنَعَه أَليفانا ، رَئيسُ قُوَّادِ نَبوكَدْنَصَّر مَلِكِ أَشُّور ، بالأُمَمِ وبِالطَّريقةِ الَّتي نَهَبَ بِها جَميعَ مَعابِدِها وأَسلَمَها إِلى الإِفْناء ، [٢] فخافوا خَوْفاً شَديداً جِدًّا مِن وَجهِه وآضطَرَبوا لِأَمرِ أُورَشَليم وهَيكَلِ الرَّبِّ إِلهِهِم . [٣] ذلك بِأَنَّهم صَعِدوا مِن جَلائِهِم مُنذُ عَهْدٍ قَريب ، وآجتَمَعَ مُنذُ قَليلٍ شَعبُ اليَهودِيَّةِ كلُّه وطُهِّرَتِ الأَدَواتُ والمَذبَحُ وَالبَيتُ بَعدَ تَدْنيسِها .

[٤] فأَرسَلوا رُسُلاً إِلى جَميعِ أَراضي السَّامِرة وكُونا وبَيتَ حُورون وبَلْمائين وأَريحا وكُوبا وعَزورا ووادي شَليم . [٥] وآحتَلُّوا جَميعَ رُؤُوسِ الجِبالِ العالية وسَوَّروا القُرى الَّتي فيها وتَزَوَّدوا آستِعْداداً لِلقِتال ، لِأَنَّ حُقولَهم حُصِدَت مُنذُ عَهْدٍ قَريب . [٦] وكانَ يُواكيمُ عَظيمَ الكَهَنَةِ في أُورَشَليمَ في تِلكَ الأَيَّام ، فكَتَبَ إِلى سُكَّانِ بَيتَ فَلْوى وبَيتَ مُسْتَيمَ اللَّتَينِ حِيالَ يِزْرَعيل وقُبالةَ السَّهلِ القَريبِ مِن دوتائين ، [٧] طالِباً إِلَيهِم أَن

(٤) هدف ديني . لنتذكَّرْ بأن أنطيوخس ابيفانيوس فرض على اليهود عبادة شخصه .

يَضبِطوا مَسالِكَ الجبَل، لِأَنَّ بِها يَتِمُّ الوُصولُ إِلى اليَهودِيَّة ولِأَنَّه مِنَ السَّهْلِ صَدُّ المُتَقَدِّمين، إِذ إِنَّ ضيقَ المَمَرِّ يَفرِضُ التَّقَدُّمَ آثنَينِ آثنَينِ فقط. [٨]ففَعَلَ بنو إِسْرائيلَ كَما رَسَمَ لَهم يُواكيمُ، عَظيمُ الكَهَنَة، ومَجلِسُ شُيوخِ شَعْبِ إِسْرائيلَ كلِّه الَّذي كانَ يَعقُدُ جَلَساتِه في أُورَشليم.

[٩]وصَرَخَ جَميعُ رِجالِ إِسْرائيلَ إِلى الرَّبِّ صُراخاً حارًّا جِدًّا، وذَلَّلوا أَنفُسَهم تَذليلاً شَديداً، [١٠]هُم ونِساؤُهم وأَولادُهم وقُطْعانُهم وجَميعُ النُّزَلاءِ مِن أُجَراءَ وعَبيد. [١١]وجَميعُ رِجالِ إِسْرائيلَ والنِّساءُ والأَولادُ المُقيمونَ في أُورَشليم سَجَدوا أَمامَ الهَيكَل وعَفَّروا رُؤُوسَهم بِالرَّماد وبَسَطوا مُسوحَهم أَمامَ الرَّبّ، [١٢]وغَطَّوا مَذبَحَ الرَّبِّ بِمِسْحٍ وصَرَخوا صُراخاً حارًّا إِلى إِلهِ إِسْرائيلَ بِصوتٍ واحِد، أَلاَّ يُسلِمَ أَطْفالَهم إِلى النَّهْبِ ونِساءَهم إِلى السَّبْيِ ومُدُنَ ميراثِهم إِلى الدَّمار والمَكانَ المُقَدَّسَ إِلى التَّدْنيس وإِلى شَماتِ الأُمَمِ المُهين. [١٣]فسَمِعَ الرَّبُّ أَصْواتَهم ونَظَرَ إِلى شِدَّتِهِم.

وكانَ الشَّعبُ يَصومُ أَيَّاماً كثيرةً في كُلِّ اليَهودِيَّةِ وأُورَشَليم أَمامَ المَكانِ المُقَدَّس، مَكانِ الرَّبِّ القَدير. [١٤]وكانَ يُواكيم، عظيمُ الكَهَنة، وجَميعُ القائِمينَ أمامَ الرَّبّ، وأَوسَاطُهم مَشْدودةٌ بِالمُسوح، يُقَرِّبونَ المُحرَقَةَ الدَّائِمة ونُذورَ الشَّعبِ وتَبَرُّعاتِه. [١٥]وكانَ الرَّمادُ على عَمائِمهم، وكانوا يَصرُخونَ إِلى الرَّبِّ بِكُلِّ قُوَّتِهم أَن يَفتَقِدَ بَيتَ إِسْرائيلَ بِأَجمَعِه.

٤. اليفانا يستخبر عن اليهود

أتاه غريب بمعلومات عن الشعب اليهودي: في كلّ مرة لم يكونوا أمناء لإلههم، هُزموا أمام أعدائهم، وفي كل مرة كانوا أمناء، لم يستطع أحد أن يهزمهم.

٥ [١]وأُخبِرَ أَليفانا، رَئيسُ قُوَّادِ جَيشِ أَشُّور، بِأَنَّ بني إِسْرائيلَ يستَعِدُّونَ لِلحَرْب وبِأَنَّهم سَدُّوا مَسالِكَ الجَبَل وسَوَّروا كلَّ رَأسِ جَبَلٍ عالٍ ووَضَعوا الحَواجِزَ في السُّهول. [٢]فغَضِبَ غَضَباً شَديداً وآستَدْعى جَميعَ رُؤَساءِ مُوآب وقُوَّادِ عَمُّون وجَميعَ رُؤَساءِ السَّاحِل، [٣]وقالَ لهم: «أَخبِروني، يا بَني كَنْعان، مَن هو ذلك الشَّعبُ المُقيمُ في النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة، وما هي المُدُنُ الَّتي يَسكُنُها، وما هو عَدَدُ جَيشِهم، وعلى أَيِّ شيءٍ تَقومُ قُدرَتُهم وقُوَّتُهم، ومَن هو المَلِكُ القائِمُ علَيهِم والقائِدُ لِقُوَّاتِهم، [٤]ولِماذا آستَهانوا بالمَجيءِ لِمُلاقاتي على خِلافِ ما صَنَعَ سُكَّانُ المَنطَقةِ الغَربِيَّة؟»(٥)

[٥]فأَجابَه أَحْيور، رَئيسُ بَني عَمُّونَ جَميعاً: «لِيَسمَعْ سَيِّدي كَلاماً من فَمِ عَبدِكَ فأُخبِرَكَ بِالحَقيقَةِ عن ذلك الشَّعبِ السَّاكِنِ في تِلكَ النَّاحِيَةَ الجَبَلِيَّة والمُقيمِ بِالقُربِ مِنكَ، ولا يَخرُجُ كَذِبٌ مِن فَمِ عَبدِكَ. [٦]إِنَّ هذا الشَّعبَ هو مِن نِسْلِ الكَلْدانِيِّين. [٧]أَقاموا أَوَّلاً فيما بَينَ النَّهْرَين، لِأَنَّهم أَبَوْا آتِّباعَ آلِهَةِ آبائِهِمِ المُقيمينَ بِأَرضِ الكَلْدانِيِّين. [٨]وخَرَجوا عن طَريقِ آبائِهِم وسَجَدوا لِإِلهِ السَّماء، لِلإِلهِ الَّذي عَرَفوه. فطُرِدوا مِن وَجهِ آلِهَتِهِم وهَرَبوا إِلى ما بَينَ النَّهرَين وأَقاموا هُناكَ أَيَّاماً كَثيرة. [٩]وأَمَرَهُم إِلهُهم أَن يَخرُجوا مِن مُقامِهِم ويَذهَبوا إِلى أَرضِ كَنْعان، فسَكَنوا هُناكَ وآمتَلأُوا ذَهَباً وفِضَّةً وكَثُرَت قُطْعانُهم جِدًّا، [١٠]ونَزَلوا إِلى مِصْر، لِأَنَّ المَجاعةَ عَمَّت وَجهَ أَرضِ كَنْعان، وأَقاموا هُناكَ فظَلُّوا على قَيدِ الحَياة وصاروا جُمْهوراً كبيراً وكانَ نَسلُهم لا يُحصى. [١١]فقاوَمَهم مَلِكُ مِصْر

(٥) تفاوت كبير بين قدرة أليفانا الهائلة والوسائل الحقيرة التي في يد اليهود.

وخَدَعَهم بِتَسْخيرِهم لِعَمَلِ اللَّبِنِ وأَذَلُّوهم وآستَعبَدوهم. [١٢]فصَرَخوا إِلى إِلهِهم، فضَرَبَ كُلَّ أَرضِ مِصْرَ ضَرَباتٍ لا عِلاجَ لَها. وطَرَدَهمُ المِصرِيُّونَ مِن وَجهِهم، [١٣]فجفَّفَ اللهُ البَحرَ الأَحمَرَ أَمامَهم [١٤]وقادَهم في طَريقِ سيناءَ وقادِشَ بَرْنِيع. فطَرَدوا جَميعَ سُكَّانِ البَرِّيَّة [١٥]وأَقاموا في أَرضِ الأَمورِيِّين وأَبادوا جَميعَ الحَشْبونِيِّينَ بِقُوَّتِهم. وبَعدَ أَن عَبَروا الأُردُنّ، اِستَولَوا على كُلِّ النَّاحِيَةِ الجبَلِيَّة [١٦]وطَرَدوا مِن وَجهِهِم الكَنْعانِيِّينَ والفَرِزِّيِّينَ واليَبوسِيِّينَ وشَكيمَ وجَميعَ الجِرْجاشِيِّين وأَقاموا هُناكَ أَيَّاماً كثيرة. [١٧]وما داموا لا يَخطَأُونَ إِلى إِلهِهم، كانَتِ الخَيراتُ مَعَهم، لِأَنَّه كان معَهم إِلهٌ يُبغِضُ الإِثْم. [١٨]ولَمَّا حادوا عنِ الطَّريقِ الَّذي رَسَمَه لَهم، أُبيدوا إِلى حَدٍّ بَعيدٍ في حُروبٍ عَديدة، وتَمَّ جَلاؤُهم إِلى أَرضٍ غيرِ أَرضِهم. ولم يَبقَ مِن هَيكَلِ إِلهِهم إِلاَّ الأَساس، وسَقَطَت مُدُنُهم في أَيدي خُصومِهم. [١٩]والآنَ فقَد تابوا إِلى إِلهِهم وصَعِدوا مِنَ الشَّتاتِ الَّذي تشتَّتوا فيه وآستَعادوا أُورَشَليم حَيثُ مَقدِسُهم وأَقاموا في النَّاحِيَةِ الجبَلِيَّة، فقَد كانَت غيرَ مأهولة. [٢٠]والآن، فإِن كانَت في هذا الشَّعبِ جَهالة وأَخطَأُوا إِلى إِلهِهم ورَأَينا أَنَّ عِندَهم سَبَبَ الضُّعْفِ هذا، نَصعَدُ ونُحارِبُهم. [٢١]وإِن لم يكُنْ إِثْمٌ في أُمَّتِهم، فلْيَعدِلْ سَيِّدي، لِئَلاَّ يُدافِعَ عَنهُم رَبُّهُم وإِلهُهم، فنَكونَ عُرضَةً لِتَعْييرِ الأَرضِ كُلِّها»(٦).

[٢٢]فلَمَّا آنتَهى أَحْيورُ مِن هذا الكَلام، تذَمَّرَ كُلُّ الشَّعبِ المُتَحلِّقِ حَولَ الخَيمة، وهَمَّ بِتَمزيقِه عُظَماءُ أَليفانا وجَميعُ سُكَّانِ السَّاحِلِ وموآب،

(٦) عرض تاريخي مُشبَع بكون الامانة لله تجعل الشعب اليهودي لا يُغلَب.

[٢٣]«لِأَنَّنا لا نَخافُ مِن بَني إِسْرائيل، فهذا شَعبٌ لا قُوَّةَ لَه ولا قُدرَةَ على قِتالٍ عَنيف. [٢٤]سنَصعَدُ إذاً، وستَلتَهِمُهم قُوَّاتُكَ آلتِهاماً، أَيُّها السَّيِّدُ أَليفانا».

٦ [١]ولَمَّا هَدَأَ ضَجيجُ الرِّجالِ المُتحلِّقينَ حَولَ المَجلِس، قالَ أَليفانا، رئيسُ قُوَّادِ جَيشِ أَشُّور، لِأَحْيورَ أَمامَ جُمْهورِ الغُرَباء ولِجَميعِ بَني موآب: [٢]«مَن أَنتَ، يا أَحْيور، ويا مُرتَزِقَةَ أَفرائيم، حَتَّى تنبَّأتَ لَنا كَما فَعلتَ اليَوم ورَدَدتَنا عن مُحارَبةِ نَسْلِ إِسْرائيل، لِأَنَّ إِلهَهم يُدافِعُ عَنهُم؟ مَن هو إِلهٌ إِلاَّ نَبوكَدْنَصَّر؟ فهو الَّذي يُرسِلُ قُوَّتَه ويُبيدُهم مِن وَجهِ الأَرض، ولا يُنَجِّيهِم إِلهُهم، [٣]بل نَحنُ عبيدَه نَضرِبُهم ضَربَنا لِرَجُلٍ واحد ولا يُقاوِمونَ قُوَّةَ أَفْراسِنا. [٤]فإِنَّنا نُحرِقُهم بَعضَهم بِبَعض، فتَسكَرُ جِبالُهم مِن دِمائِهم وتَمتَلِئُ سُهولُهم من أَمْواتِهم. لا تَثبُتُ أَمامَنا أَخامِصُ أَقدامِهم، بل يَهلِكونَ هَلاكاً، يَقولُ نَبوكَدْنَصَّرُ المَلِك، رَبُّ الأَرضِ كُلِّها. فإِنَّه قال، وكَلِماتُ أَقْوالِه لن تكونَ باطلة. [٥]أَمَّا أَنتَ، يا أَحْيور، يا مُرتَزِقَ عَمُّون، يا مَن فاهَ بِهذا الكَلامِ في يَومِ ذَنْبِه، لن تَرى وَجْهي بَعدَ اليَوم، حَتَّى أَنتَقِمَ مِن نَسْلِ الآتينَ مِن مِصْر. [٦]وحينَئِذٍ سَيفُ جَيشي ورُمْحُ خُدَّامي يَختَرِقانِ جَنبَيكَ، فتَسقُطُ بَينَ جَرْحاهُم مَتى أَعود. [٧]وسيَذهَبُ بِكَ رِجالي إِلى النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة ويَجعَلونَكَ في إِحْدى مُدُنِ المُنحَدَرات، [٨]ولن تَهلِكَ قَبلَ أَن تُستَأصَلَ معَهم. [٩]وبِما أَنَّكَ تَرجو في قَلبِكَ أَلاَّ يُقبَضَ علَيهِم، فلا يَسقُطْ وَجهُكَ. تَكلَّمتُ ولَن تَسقُطَ كَلِمَةٌ مِن كَلِماتي».

[١٠]وأَمَرَ أَليفانا خُدَّامَه القائمينَ في خَيمَتِه بِأَن يُمسِكوا أَحْيور ويَذهَبوا بِه إِلى بَيتَ فَلْوى ويُسلِموه إِلى أَيدي بَني إِسْرئيل. [١١]فأَمسَكَه خُدَّامُه

وقادوه خارِجَ المُعسكَرِ إلى السَّهْل، وذَهَبوا مِن وَسَطِ السَّهل نَحوَ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة، ووَصَلوا إِلى اليَنابيعِ الَّتي كانَت إِلى أَسفَلِ بَيتَ فَلْوى. [١٢] ولَمَّا رآهُم رِجالُ المَدينَةِ الواقِعَةِ على رأسِ الجَبَل، أَخَذوا أَسلِحَتَهم وخَرَجوا مِنَ المَدينةِ إِلى رأسِ الجَبَل، وجَميعُ الرِّجالِ الَّذينَ مَعَهم مَقاليعُ كانوا يَرْمونَهم بالحِجارة لِمَنعِهم مِنَ الصُّعود. [١٣] فتَسَلَّلوا في أَسفَلِ الجَبَلِ ورَبَطوا أَحْيور وتَركوه طَريحاً عند سَفحِ الجبَل، ورَجَعوا إِلى سَيِّدِهم.

[١٤] فنَزَلَ بَنو إِسْرائيلَ مِن مَدينَتِهم وأَتَوه وحَلُّوه وقادوه إِلى بَيتَ فَلْوى وقَدَّموه إِلى رُؤَساءِ مَدينَتِهم، [١٥] وكانوا في تِلكَ الأَيَّام عُزَيَّا بنَ مِيخا مِن سِبطِ شِمْعون وكَبْرى بنَ عُتْنيئيل وكَرْمي بنَ مَلْكيئيل. [١٦] فدَعَوا جَميعَ شُيوخِ المَدينة، وأَسرَعَ جَميعُ الشُّبَّانِ والنِّساءِ إِلى المَجلِس. وأَقاموا أَحْيورَ في وَسْطِ شَعبِهِم كُلِّه، فسَأَلَه عُزَيَّا عَمَّا جَرى. [١٧] فأَجابَ وأَخبَرَهم بِما قيلَ في مَجلِسِ أَليفانا وبِكُلِّ ما قالَه في رُؤَساءِ بَني أَشُّور وبِمَا فاهَ بِه أَليفانا مِن كَلامِ تَبَجُّح على بَيتِ إِسْرائيل. [١٨] فآرتَمى الشَّعبُ وسَجَدَ للهِ وصَرَخَ قائلاً: [١٩] «أَيُّها الرَّبّ، إِلهُ السَّماء، أُنظُرْ إِلى كِبرِيائِهم، وآرحَمْ تَذَلُّلَ نَسْلِنا، وآنظُرْ في هذا اليَوم إِلى وَجهِ المُقَدَّسينَ لَكَ». [٢٠] وشَدَّدوا عَزيمَةَ أَحْيور وأَثنَوا علَيه ثَناءً عَظيماً. [٢١] وذَهَبَ بِه عُزَيَّا مِنَ المَجلِسِ إِلى بَيتِه وأَقامَ مأدُبَةً لِلشُّيوخ. وآستَغاثوا بِإِلهِ إِسْرائيلَ ذلكَ اللَّيلَ كُلَّه.

٥. بيت فلوى على وشك الاستسلام

خاف المحاصَرون من المجاعة والتعذيب، ففضّلوا الاستسلام فوراً.

٧ [١] وفي الغَدِ أَمَرَ أَليفانا جَميعَ قُوَّاتِه وكُلَّ شَعبِه الَّذي آنضَمَّ إِليه لِمُناصَرَتِه

بِالرَّحيلِ والزَّحْفِ على بَيتَ فَلْوى وبِآحتِلالِ مُنحَدَراتِ النَّاحِيَةِ الجَبَلِيَّة وبِشَنِّ المَعرَكَةِ على بَني إِسْرائيل. [٢]وفي ذلك اليَومِ نَفسِه، رَحَلَ مِنهُم كُلُّ رَجُلِ حَرْب. وكانَ جَيشُ رِجالِ الحَرْبِ مِائةً وعِشْرينَ أَلفاً مِنَ المُشاة وآثنَي عَشَرَ أَلفاً مِنَ الفُرْسان، ما عَدا الأَمتِعةَ والرِّجالَ المُتَرَجِّلينَ المُنضَمِّينَ إِلَيهِم، فكانوا جَمْعاً غَفيراً جِدًّا. [٣]فعَسكَروا في الوَهدَةِ المُجاوِرةِ لِبَيتَ فَلْوى عِندَ عَينِ الماء، وآنتَشَروا في العُمْقِ مِن دوتانَ إِلى بَلْما، وفي الطُّولِ مِن بَيتَ فَلْوى إِلى قَليمونَ الَّتي قُبالةَ يِزْرَعيل. [٤]أَمَّا بنو إِسْرائيل، فلَمَّا رَأَوا كَثرَتَهم اِرتَعَدوا آرتِعاداً شَديداً وقالَ كُلُّ واحِدٍ لِقَريبِه: «والآن سيَجتَزُّ هٰؤلاءِ وَجهَ الأَرضِ كُلِّها، فلا الجِبالُ العالِية ولا الوِهادُ ولا الرَّوابي تَقِفُ أَمامَ قُوَّتِهم». [٥]ثُمَّ أَخَذَ كُلُّ واحِدٍ عُدَّتَه الحَربِيَّة وأَشعَلوا النِّيرانَ على أَبْراجِهم وظَلُّوا يَحرِسونَ طَوالَ تلكَ اللَّيلة.

[٦]وفي اليَومِ الثَّاني أَخرَجَ أَليفانا جَميعَ فُرسانِه في وَجهِ بَني إِسْرائيلَ الَّذينَ كانوا في بَيتَ فَلْوى. [٧]وفَحَصَ المُنحَدَراتِ المُؤَدِّيَةَ إِلى مَدينَتِهم وتفَقَّدَ كُلَّ عَينِ ماء وآحتَلَّها وجَعَلَ فيها مَواقِعَ مُقاتِلين، ورَجَعَ هو إِلى جَيشِه. [٨]فدَنا إِلَيه جَميعُ رُؤَساءِ بَني عيسو وجَميعُ قُوَّادِ شَعبِ موآب(٧) وقُوَّادُ السَّاحِلِ وقالوا: [٩]«لِيَسمَعْ سَيِّدُنا كَلِمةً، لِئَلاَّ تَقَعَ خَسائِرُ في جَيشِكَ. [١٠]فإِنَّ شَعبَ بَني إِسْرائيلَ هذا لا يَتَّكِلُ على رِماحِه، بل على عُلُوِّ الجِبالِ الَّتي يُقيمُ فيها. ولَيسَ مِنَ السَّهْلِ الصُّعودُ إِلى رُؤُوسِ جِبالِه. [١١]والآن، يا سيِّد، فلا تُقاتِلْهم كما يُقاتَلُ في مَعرَكةٍ مُنَظَّمة، فلا يَسقُطَ

(٧) أعداء تقليديون للشعب اليهودي.

مِن جَيشِكَ ولا رَجُلٌ واحِد. [١٢]إبْقَ في مُعَسكَرِكَ مُحافِظاً على جَميعِ رِجالِ جَيشِكَ، ولْيَستَولِ رِجالُكَ على عَينِ الماءِ الخارِجِ مِن سَفْحِ الجَبَل، [١٣]فمِن هُناكَ يَستَقي جَميعُ سُكَّانِ بَيتَ فَلْوى. والعَطَشُ يُهلِكُهم فيُسلِمون مَدينَتَهم. ونَحنُ وجَيشُنا نَصعَدُ إلى رُؤُوسِ الجِبالِ القَريبة ونُعَسكِرُ فيها كما في مَوقِعٍ أَماميّ، لِئَلاَّ يَخرُجَ أَيُّ رَجُلٍ مِنَ المَدينة. [١٤]فيَذوبونَ جوعاً هُم ونِساؤُهم وأَولادُهم، وقَبلَ أَن يُدرِكَهُمُ السَّيفُ يُصرَعونَ في شَوارِعِ مَدينَتِهم. [١٥]فتُكافِئُهم شَرَّ مُكافأَةٍ على عِصْيانِهم وعلى عَدَمِ الذَّهابِ لِمُلاقاةِ وَجهِكَ في سَلام».

[١٦]فحَسُنَ كلامُهم عِندَ أَليفانا وعِندَ جَميعِ ضُبَّاطِه، وأَمَرَ بِالعَمَلِ بِحَسَبِ قَولِهم. [١٧]فتَحَرَّكَ جَيشٌ مِن بَني عَمُّون ومَعَهم خَمْسَةُ آلافٍ مِن بَني أَشُّور وعَسكَروا في الوَهدَة واحتَلُّوا عُيونَ ماءِ بَني إِسْرائيلَ ويَنابيعَهم. [١٨]وصَعِدَ بَنو عيسو وبَنو عَمُّون وعَسكَروا في النَّاحيةِ الجَبَلِيَّة قُبالةَ دوتائين وأَرسَلوا أُناساً مِنهُم نَحوَ الجَنوبِ والشَّرقِ قُبالةَ أَغرَبيلَ الَّتي بِالقُربِ مِن خُوس عِندَ سَيلِ مُخْمور. وعَسكَرَت بَقِيَّةُ قُوَّاتِ الأَشُّوريينَ في السَّهْل فغَطَّت وَجهَ الأَرضِ كلِّه، وعَسكَرَت خِيَمُهم وأَمتِعَتُهم في كُتلَةٍ ضَخْمَة، فقد كانوا جَمعاً غَفيراً جِدًّا.

[١٩]وخارَت عَزيمَةُ بَني إِسْرائيل فصَرَخوا إِلى الرَّبِّ إِلهِهم، لِأَنَّ جَميعَ أَعْدائِهم طَوَّقوهم، ولم يَكُنْ هُناكَ سَبيلٌ إِلى الإِفْلاتِ مِن وَسْطِهم. [٢٠]وظَلَّ حَولَهم كُلُّ مُعَسكَرِ أَشُّور، مِن مُشاةٍ ومَركَباتٍ وفُرْسان، مُدَّةَ أَربَعَةٍ وثَلاثينَ يَوماً. فنَفِدَت لدى جَميعِ سُكَّانِ بَيتَ فَلْوى آنِيَةُ الماءِ جَميعُها، [٢١]وجَفَّتِ الآبار ولم يَكُنْ عِندَهم مِنَ الماءِ ما يُرْويهِم يَوماً

واحِداً ، لِأَنَّ ماءَ الشُّرْبِ كانَ يُقَنَّنُ علَيهم . [٢٢]وكانَ أَطفالُهم خائِري القِوى ، وكانَ النِّساءُ والشُّبَّانُ مَنْهوكينَ مِنَ العَطَش وكانوا يَسقُطونَ في شَوارِعِ المَدينة وفي مَمَرَّاتِ الأَبْواب ، فلم تَعُدْ فيهِم أَيَّةُ عَزيمة .

[٢٣]فآجتَمَعَ كُلُّ الشَّعبِ ، مِن شُبَّانٍ ونِساءٍ وأَولاد ، على عُزيَّا وعلى رُؤَساءِ المَدينة وصَرَخوا بِصَوتٍ عَظيمٍ فقالوا أَمامَ جَميعِ الشُّيوخ : [٢٤]«لِيَحكُمِ اللهُ بَينَكم وبَينَنا ، فقد أَلحَقْتُم بِنا ضَرَراً جَسيماً ، إِذ لم تُكَلِّموا بَني أَشُّورَ كَلامَ سَلام . [٢٥]والآن ، فإِنَّه لَيسَ لَنا مِن نَصير ، بل باعَنا اللهُ إِلى أَيديهِم لِنُصرَعَ أَمامَهم في عَطَشٍ وهَلاكٍ عَظيمَين . [٢٦]والآن فآدْعوهم وأَسلِموا المَدينةَ كُلَّها لِلنَّهْبِ إِلى شَعبِ أَليفانا وكُلِّ جَيشِه . [٢٧]فخَيرٌ لَنا أَن نكونَ غنيمَتَهم ، لِأَنَّنا نَصيرُ عَبيداً وتَحْيا نُفوسُنا ولا نَرى بِأَعيُنِنا أَطْفالَنا يَموتون ونِساءَنا وأَولادَنا يَلفِظونَ أَرْواحَهم . [٢٨]نَستَحلِفُكم بِالسَّماءِ والأَرضِ وبِإِلٰهِنا ورَبِّ آبائِنا الَّذي يُعاقِبُنا بِسَبَبِ خطايانا وخطايا آبائِنا ، أَن تَعمَلوا بِهذا الكَلامِ في هذا اليَومِ نَفسِه» . [٢٩]وآرتَفَعَ في وَسْطِ الجَماعَةِ كُلِّها نَحيبٌ شَديدٌ كنَحيبِ رَجُلٍ واحِد وصَرَخوا إِلى الرَّبِّ الإِلٰهِ بِصَوتٍ عَظيم . [٣٠]فقالَ لَهم عُزيَّا : «تَشَجَّعوا ، يا إِخوَتي ، لِنَصمُدْ خَمسةَ أَيَّامٍ أَيضاً يُحَوِّلُ فيها الرَّبُّ إِلٰهُنا رَحمَتَه إِلَينا ، فإِنَّه لن يَترُكَنا حتَّى النِّهاية . [٣١]وإِن مَضَت تِلكَ الأَيَّامُ ولم تأتِنا الإِغاثة ، عَمِلتُ بِقَولِكم» . [٣٢]وفرَّقَ الشَّعبَ كُلَّ واحِدٍ إِلى مَركَزِه ، فآنصَرَفوا إِلى أَسْوارِ مَدينَتِهم وأَبراجِها ، وأَرسَلوا النِّساءَ والأَولادَ إِلى بُيوتِهم . وكانوا بالمَدينَةِ في آنهِيارٍ شَديد .

٢. انتصار الضعف المستند الى الاتكال على الله

١. تدخّل يهوديت

أمرأة أرملة، جميلة وتقيّة، وتّخت حكّام بيت فلوى على قلّة ثقتهم بالله.

٨ [١]وفي تِلكَ الأَيَّام بَلَغَ الخَبَرُ يَهوديت، بِنتَ مَرارِيَ بنِ أَخْسَ بنِ يوسفَ بنِ عُزِّيئيلَ بنِ حِلْقِيَّا بنِ حَنَنْيا بنِ جِدعَونَ بنِ رافائيمَ بنِ أَحيطوبَ بنِ إِيلِيَّا بنِ حِلْقِيَّا بنِ أَليآبَ بنِ نَتَنائيلَ بنِ شلوميئيل بنِ صورِشَدَّايَ بنِ إِسْرائيل. [٢]وكان مَنَسَّى زَوجُها مِن سِبْطِها وعَشيرتِها، وقد ماتَ في أَيَّامِ حِصادِ الشَّعير، [٣]فإِنَّه كانَ يُراقِبُ رابِطي الحُزَمِ في السَّهْل، فوَقَعَ الحَرُّ الحارِقُ على رأسِه فلازَمَ الفِراشَ وماتَ في بَيتَ فَلْوى مَدينتِه. فدَفَنوه مع آبائِه في الحَقْلِ الَّذي بَينَ دوتائينَ وبَلَمون. [٤]وكانت يَهوديتُ مُتَرَمِّلَةً في بَيتِها مُنذُ ثَلاثِ سَنواتٍ وأَربعةِ أَشهُر. [٥]وكانَت قد هَيَّأَت لِنَفسِها عُلِّيَّةً على سَطحِ بَيتِها، وكانَت تَضَعُ مِسْحاً على وَسْطِها وتَرتَدي ثِيابَ تَرَمُّلِها. [٦]وكانَت تَصومُ جَميعَ أَيَّامِ تَرَمُّلِها، ما خَلا السُّبوتَ وعَشِيَّتَها ورُؤُوسَ الشُّهورِ وعَشِيَّتَها وأَعيادَ بَيتِ إِسْرائيلَ وأَفْراحَهم. [٧]وكانَت جَميلَةَ الطَّلعَةِ ظَريفَةَ الهَيئَةِ جِدًّا، وقد تَرَكَ لَها مَنَسَّى زوجُها ذَهَباً وفِضَّةً وخُدَّاماً وجَوارِيَ وقُطْعاناً وحُقولاً، وكانَت تُقيمُ في أَمْلاكِها. [٨]ولم يَكُنْ هُناكَ أَحَدٌ يَقولُ علَيها كلِمةَ سُوء، لِأَنَّها كانت تَتَّقي اللهَ كَثيراً.

[٩]وسَمِعَت كَلِماتِ الشَّعبِ السَّيِّئَةَ على الرَّئيس، لِأَنَّ عَزيمَتَهم خارَت بِسَبَبِ قِلَّةِ المِياه، وسَمِعَت أَيضاً يَهوديتُ جَميعَ الكلامِ الَّذي كَلَّمَهم بِه عُزَيَّا، إِذ أَقسَمَ لَهم بِتَسْليمِ المَدينةِ بَعدَ خَمسةِ أَيَّامٍ إِلى الأَشُّورِيِّين.

[١٠]فأرسَلَت وَصيفتَها القَيِّمةَ على جميعِ أَمْوالِها ودَعَت شُيوخَ مَدينتِها عُزَيَّا وكَرْبي وكَرْمي، [١١]فأتَوا إلَيها فقالَت لَهم: «اِسمَعوا لي، يا رُؤَساءَ السُّكَّانِ في بَيتَ فَلْوى، لَيسَ صائباً كَلامُكمُ الَّذي تَكلَّمتُم بِه أَمامَ الشَّعبِ في هذا اليَوم، فأَقسَمتُم ذلك اليَمينَ الَّذي أَدَّيتُموه بَينَ اللهِ وبَينَكم، فوَعَدتُم بِتَسْليمِ المَدينةِ إلى أعدائِنا، إن لم يُغِثْنا الرَّبُّ في الأَيَّامِ الخَمْسة. [١٢]والآن فمَن أَنتُم حتَّى جَرَّبتُمُ اللهَ في هذا اليَوم وأَقَمتُم أَنفُسَكم فَوقَ اللهِ في وَسْطِ البَشَر؟ [١٣]والآن فإِنَّكم تَمتَحِنونَ الرَّبَّ القَدير، فلَن تَفهَموا شَيئاً لِلأَبَد، [١٤]لِأَنَّكم لن تَكتَشِفوا أَعْماقَ قَلبِ الإنسان ولن تُدرِكوا أَفكارَ ذِهنِه. فكَيفَ تَهتَدونَ إلى اللهِ الَّذي صَنَعَ كُلَّ ذلك وتَفهَمونَ فِكرَه وتُدرِكونَ تَدبيرَه؟ لا، يا إِخوَتي، لا تُثيروا غَضَبَ الرَّبِّ إِلهِنا. [١٥]فإِن لم يَشَأْ أَن يُغيثَنا في الأَيَّامِ الخَمسَة، فله سُلْطانٌ بِه يَحمِينا في الأَيَّامِ الَّتي يَشاء أو يُبيدُنا أَمامَ أَعدائِنا. [١٦]أَمَّا أَنتُم فلا تَرتَهِنوا تَدابيرَ الرَّبِّ إِلهِنا، فإِنَّ اللهَ لَيسَ كالإِنْسانِ فيُهَدَّد ولا كآبنِ الإِنْسانِ فيُحتَكَم. [١٧]ولِذلك فَلْنَنتَظِرْ مِن لَدُنِه الخَلاص ولْنَستَغِثْ به فيُصغِيَ إلى صَوتِنا، إن حَسُنَ لَدَيه.

[١٨]فإِنَّه لم يَقُمْ في أَجْيالِنا ولا في أَيَّامِنا سِبطٌ أَو عَشيرةٌ أَو أَرضٌ أَو مَدينةٌ مِن عِندِنا تَسجُدُ لِآلِهَةٍ مِن صُنعِ الأَيدي، كما جَرى في الأَيَّامِ القَديمة، [١٩]فأُسلِمَ آباؤُنا إلى السَّيفِ والنَّهْب وسَقَطوا سُقوطاً عَظيماً أَمامَ أَعدائِنا. [٢٠]أَمَّا نحنُ فلم نَعرِفْ إِلهاً غيرَه. ولِذلك فإِنَّنا نَرجو أَنَّه لن يَزْدَرِينا ولَن يُعرِضَ عن نَسْلِنا.

[٢١]فإِن قُبِضَ علَينا قُبِضَ كذلك على اليَهودِيَّةِ كُلِّها ونُهِبَ مَكانُنا

المُقَدَّس وطالَبَ اللهُ دَمَنا بِتَدنيسِه [٢٢] وأَوقَعَ على رُؤُوسِنا بَينَ الأُمَم حَيثُ نَصيرُ عَبيداً مَقتَلَ إِخوَتِنا وجَلاءَ الأَرضِ ودَمارَ ميراثِنا ، وأَصبَحْنا مَعثَرَةً وعاراً أَمامَ مُمتَلِكينا . [٢٣] فإِنَّ عُبودِيَّتَنا لن تؤُولَ إِلى الحُظْوَة ، بل إِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا يُحوِّلُها إِلى هَوان . [٢٤] والآن ، يا إِخوَتي ، لِنُظهِرْ إِلى إِخوَتِنا أَنَّ نُفوسَهم مَنوطةٌ بِنا وأَنَّ المَكانَ المُقَدَّسَ والمَقدِسَ والمَذبَحَ مُعتَمِدَةٌ علَيكم .

[٢٥] وما عدا ذلك كلِّه ، فلْنَشكُرِ الرَّبَّ إِلهَنا الَّذي يَمتَحِنُنا كما آمتَحَنَ آباءَنا . [٢٦] أُذكُروا كُلَّ ما صَنَعَه إِلى إِبْراهيم وكمِ آمتَحَنَ إِسحق وكُلَّ ما جَرى لِيَعْقوبَ في ما بَينَ النَّهْرَينِ في سورِية ، حينَ كانَ يَرْعى خِرافَ لابانَ أَخي أُمِّه . [٢٧] فكَما أَنَّه آمتَحَنَهم بِالنَّار لِيَسبِرَ قُلوبَهم ، كذلك لن يَنتَقِمَ مِنَّا ، بلِ الرَّبُّ يُؤَدِّبُ الَّذينَ يَقتَرِبونَ مِنه إِنْذاراً لَهم» (٨) .

[٢٨] فقالَ لَها عُزَيَّا : «كُلُّ ما قُلتِه تَكَلَّمتِ بِه بِقَلْبٍ طَيِّب ، وما مِن أَحَدٍ يُعارِضُ كَلامَكِ ، [٢٩] لِأَنَّ حِكمَتَكِ لم تَظْهَرْ في هذا اليَومِ فَقَط ، بل مُنذُ أَوَّلِ أَيَّامِكِ عَرَفَ الشَّعبُ كُلُّه ذَكاءَكِ وحُسنَ ما يَتَصَوَّرُه قَلبُكِ . [٣٠] لكِنَّ الشَّعبَ عَطِشَ عَطَشاً شَديداً وأَرغَمَنا على العَمَلِ بِمَا وَعَدْنا بِه وعلى إِلْزامِ أَنْفُسِنا بِقَسَمٍ لن نَنقُضَه . [٣١] والآن فصَلِّي لِأَجلِنا ، فإِنَّكِ آمرَأَةٌ تَقِيَّة ، فيُرسِلَ الرَّبُّ مَطَراً يَملأُ آبارَنا ، فلا تَخورَ عَزائِمُنا بَعدَ اليَوم» .

[٣٢] فقالَت لَهم يَهوديت : «اِسمَعوا لي ، سأَصنَعُ عَمَلاً يَبلُغُ ذِكرُه بَني نَسلِنا مِن جيلٍ إِلى جيل . [٣٣] في هذه اللَّيلَة ، أَنتُم تَقِفونَ على الباب وأَنا أَخرُجُ مع وَصيفَتي ، وقَبلَ الأَيَّامِ الَّتي وَعَدتُم فيها بِتَسْليمِ المَدينةِ إِلى

(٨) من مفاعيل الالم الدوائية .

أَعْدائِنا ، يَفتَقِدُ الرَّبُّ إِسْرائيلَ عن يَدي . [٣٤]لا تَفحَصوا أَنتُم عن تَصَرُّفي ، لِأَنِّي لن أَقولَ لَكم شَيئاً قَبلَ أَن يَتِمَّ ما أَنا فاعِلَتُه» . [٣٥]فقالَ لَها عُزَيَّا والشَّيخان : «اِذْهَبي بِسَلام ، والرَّبُّ الإِلهُ يَتقَدَّمُكِ في الانتِقامِ مِن أَعدائِنا» . [٣٦]ثُمَّ غادَروا العُلِّيَّة وآنصَرَفوا إِلى مَراكِزِهم .

٢. صلاة يهوديت

٩ [١]وسَقَطَت يَهوديتُ على وَجهِها وأَلْقَت رَماداً على رأسِها وخَلَعَتِ المِسْحَ الَّذي كانَت تَرتَديه ، وكانتِ السَّاعةُ ساعةَ تَقدِمةِ بَخورِ ذلك المساءِ في بَيتِ اللهِ في أُورَشَليم . وصَرَخَت يَهوديتُ صُراخاً عَظيماً إِلى الرَّبِّ وقالَت :

[٢]«أَيُّها الرَّبُّ ، إِلهُ شِمْعونَ أَبي ، يا مَن سَلَّمَ إِلى يَدِه سَيفاً
لِيَنتَقِمَ مِن غُرَباءَ حَلُّوا إِزارَ عَذْراءَ لِعارِها
وعَرَّوا فَخذَها لِخِزْيِها ودَنَّسوا بَطنَها لِهَوانِها .
لِأَنَّكَ قُلتَ : لا يَكونُ كذلك . ولكِنَّهم فَعَلوا .
[٣]لِذلكَ أَسلَمتَ رُؤَساءَهم إِلى القَتْل
ومَضجَعُهمُ المَفْضوحُ بِخِداعِهم خُدِعَ حتَّى الدَّم .
وضَرَبتَ العَبيدَ إِلى جانِبِ المُقتَدِرين والمُقتَدِرينَ مع عَبيدِهم
[٤]وأَسلَمتَ نِساءَهم إِلى السَّبْيِ وبَناتِهم إِلى الجَلاء
وجَميعَ أَسْلابِهم إِلى اقْتِسامِ البَنينَ المَحْبوبينَ إِلَيكَ
الَّذينَ غارُوا غَيرَتَكَ ومَقَتوا نَجاسةَ دَمِهم وآستَغاثوا بِكَ .
اللَّهُمَّ ، يا إِلهي آستَجِبْني أَنا الأَرْمَلة

[٥]فأَنتَ صَنعتَ أَحْداثَ الماضي والحاضِرِ والمُستَقبَل
وقَدَّرتَ الحاضِرَ والمُستَقبَل وما قَدَّرتَه كان
[٦]وما أَرَدتَه كانَ فقال: «هاءَنذا».
فإِنَّ طُرُقَكَ جميعَها مُهَيَّأة وحُكْمَكَ حُكمٌ بصير.
[٧]ها إِنَّ الأَشُّورِيِّينَ قد تَباهَوا بِجَيشِهم وآفتَخَروا بأَفراسِهم وفُرْسانِهم
وتَكَبَّروا بِذِراعِ مُشاتِهم
وتَوَكَّلوا على التُّرْسِ والرُّمْحِ والقَوسِ والمِقْلاع
ولم يَعلَموا أَنَّكَ أَنتَ الرَّبُّ المُحَطِّمُ الحُروب
[٨]الرَّبُّ هو آسمُكَ
أَنتَ إِسحَقْ عُنفَهم بِقُدرَتِكَ وحَطِّمْ قُوَّتَهم بِغَضَبِكَ
لِأَنَّهم أَرادوا أَن يُدَنِّسوا مَكانَكَ المُقَدَّس
ويُنَجِّسوا خَيمَةَ راحةِ آسمِكَ المَجيد
ويَهدِموا بِالحَديدِ قَرنَ مَذبَحِكَ.
[٩]أُنظُرْ إِلى كِبريائِهِم وأَنزِلْ غَضَبَكَ على رُؤُوسِهِم
وآمنَحْ يَدي أَنا الأَرمَلَةَ القُوَّةَ الَّتي أَرتَقِبُها.
[١٠]إِضرِبْ بِشَفَتَيَّ الخادِعَتَينِ العَبدَ إِلى جانِبِ الرَّئيس
والرَّئيسَ إِلى جانِبِ خادِمِه
وآسحَق تَعَجرُفَهم بِيَدِ آمرَأَة.
[١١]لِأَنَّها لَيسَت قُوَّتُكَ بِالكَثرَة ولا قُدرَتُكَ بِالأَقوِياء
بل إِنَّكَ إِلهُ الوُضَعاء ومُغيثُ الصِّغار
ونَصيرُ الضُّعَفاء وحامي المُهمَلين ومُخلِّصُ اليائسين.

[١٢]نَعَم، نَعَم، يا إِلهَ أَبي وإِلهَ ميراثِ إِسْرائيل
رَبَّ السَّمَواتِ والأَرض وخالِقَ المِياه ومَلِكَ خَليقتِكَ كُلِّها
اِستَجِبْ لِصَلاتي
[١٣]وهَبْ لِكلامي الخادِعِ أَن يَجرَحَ ويُؤلِمَ
أُولئِكَ الَّذينَ دَبَّروا المُؤامراتِ القاسِية على عَهدِكَ وبَيتِكَ المُقدَّس
وقِمَّةِ صِهْيون والبَيتِ الَّذي يَملِكُه أَبناؤُكَ.
[١٤]وهَبْ لِكُلِّ أُمَّةٍ وكُلِّ عَشيرةٍ أَن تَعرِفَ أَنَّكَ أَنتَ الإِله
إِلهُ كُلِّ قُدرَةٍ وكُلِّ قُوَّة
وأَن لَيسَ لِنَسْلِ إِسْرائيلَ مِن حامٍ سِواكَ».

٣. يهوديت عند أليفانا

ذهبت يهوديت الى المراكز الامامية وطلبت مقابلة أَليفانا، وعرضت عليه تسليم المدينة.

١٠ [١]وكانَ لَمَّا كَفَّت مِن صُراخِها إِلى إِلهِ إِسْرائيل وآنتَهَت مِن هذا الكَلامِ كُلِّه [٢]أَنَّها قامَت من سُجودِها ودَعَت وصيفَتَها ونَزَلَت إِلى البَيتِ الَّذي كانَت تقضي فيه أَيَّامَ السَبتِ والأَعْياد. [٣]وأَلقَت عنها المِسْحَ الَّذي كانَت تَرتَديه وخَلَعَت ثِيابَ إِرْمالِها وآستَحَمَّت وآدَّهَنَت بِطيبٍ مُشبَعٍ بِالزَّيت وسَرَّحَت شَعرَ رَأْسِها وجَعَلَت عَليه عِصابةً ولَبِسَت ثِيابَ فَرَحِها الَّتي كانَت تَتَزَيَّنُ بِها في أَيَّامِ مَنَسَّى زَوجِها، [٤]وأَخَذَت حِذاءً لِرِجلَيها ولَبِسَتِ القَلائِدَ والأَساوِرَ والخَواتِمَ والحَلَقَ وكُلَّ زينَتِها وتَجَمَّلَت جِدًّا لِإِغْراءِ عَيونِ الرِّجالِ الَّذينَ يَنظُرونَ إِلَيها. [٥]وأَعطَت وَصيفَتَها زِقَّ خَمْرٍ

وإبْرِيقَ زَيت ، ومَلأَت خُرْجاً مِن فَطائِرِ دَقيقِ الشَّعيرِ والفَواكِهِ اليابِسة والأَرغِفَةِ الطَّاهِرَة ، وصَرَّت كُلَّ زادِها وسَلَّمَته إِلى وَصيفتِها [٦] وخَرَجَتا إِلى بابِ مَدينةِ بَيتَ فَلْوى ، فوجَدَتا عليه عُزَيَّا وشَيخَي المدينةِ كَرْبي وكَرْمي . [٧] فلَمَّا رَأَوها ورَأَوا وَجهَها وقد تَبَدَّلَ وثَوبَها وقد تَغَيَّر ، أُعجِبوا جِدًّا جِدًّا بِجَمالِها وقالوا لها :

[٨] «إِلهُ آبائِنا يَهَبُ لَكِ أَن تَنالي حُظوَةً وأَن تُحَقِّقي مَساعِيَكِ لِافتِخارِ بَني إِسْرائيل ورَفعِ شأنِ أُورَشَليم» .

[٩] فسَجَدَت يهوديتُ للهِ وقالَت لَهم : «مُروا أَن يُفتَحَ لي بابُ المَدينة فأَخرُجَ لِلقِيامِ بِما قُلتُموه لي» . فأَمَروا الشُّبَّانَ أَن يَفتَحوا لَها كَما قالَت ، [١٠] ففَعَلوا . وخَرَجَت يَهوديتُ مع وَصيفَتِها . ونَظَرَ إِلَيها رِجالُ المَدينةِ تَنزِلُ مِنَ الجَبَل وتَجتازُ الوَهدَة ، حتَّى تَوارَت عن بَصَرِهم .

[١١] وكانَتا تَسيرانِ تَوًّا في الوَهدَة ، فلَقِيَتها طَلائعُ الأَشُّورِيِّين ، [١٢] فأَمْسَكوها قائلين : «مِن أَيَّةِ جِهَةٍ أَنتِ؟ ومِن أَينَ جِئتِ؟ وإِلى أَينَ تَذهَبين؟ قالَت : «إِنِّي بِنْتٌ لِلعِبرانِيِّينَ وقَد هَرَبتُ من وَجهِهم، لِأَنَّهم أَوشَكوا ان يُسلِموا إِلَيكم غَنيمةً . [١٣] أَمَّا أَنا فإِنِّي ذاهِبةٌ إِلى أَمامِ أَليفانا رَئيسِ قُوَّادِ جَيشِكم لِأُخبِرَه بِكَلِماتِ حَقّ وأَدُلَّه أَمامَه على الطَّريقِ الَّذي يَسلُكُه لِلاَستيلاءِ على النَّاحِيةِ الجَبَلِيَّةِ كُلِّها ، فلا يَفقِدَ أَحَداً مِن رِجالِه ولا نَفْساً حَيَّة» . [١٤] ولَمَّا سَمِعَ الرِّجالُ كَلامَها وتَأَمَّلوا وَجهَها - وقد بَدا لَهم رائِعَ الجَمال - [١٥] قالوا لَها : «لَقَد خلَّصتِ نَفسَكِ بالإِسْراعِ في النُّزولِ إِلى سَيِّدِنا . والآن فتَعالَي إِلى خَيمَتِه وسيُرافِقُكِ أُناسٌ مِنَّا إِلى أَن يُسَلِّموكِ بَينَ يَدَيه . [١٦] وإِذا وَقَفتِ بِحَضرَتِه ، فلا يَضطَرِبْ قَلبُكِ ، بل أَعيدي

كَلامَكِ فيُحسِنَ إِلَيكِ» . [١٧] فآختاروا مِن بَينِهم مِائةَ رَجُلٍ آنضَمُّوا إِلَيها وإِلى وَصيفَتِها وذَهبوا بِهِما إِلى خَيمةِ أَليفانا .

[١٨] وحَدَثَ تَجَمهُرٌ في المُعَسكَرِ كُلِّه على أَثَرِ إِذاعَةِ خَبَرِ حُضورِها في جَميعِ الخِيَم ، وكانوا يأتونَ ويُحيطونَ بِها ، وهي واقِفَةٌ خارِجَ خَيمةِ أَليفانا إِلى أَن يُخبِروه بِأَمرِها . [١٩] وكانوا يُعجَبونَ بِجَمالِها ويُعجَبونَ بِبَني إِسْرائيلَ مِن أَجلِها ، فيَقولُ كُلُّ واحِدٍ لِقَريبِه : «مَن يَحتَقِرُ هذا الشَّعبَ الَّذي فيه مِثلُ هذه النِّساء؟ لا يَحسُنُ الإِبْقاءُ على أَيِّ رَجُلٍ مِنهُم ، فبِإِمكانِ الباقينَ أَن يَخدَعوا الأَرضَ كُلَّها» .

[٢٠] وخَرَجَ النَّائمونَ عِندَ أَليفانا وجَميعُ ضُبَّاطِه وأَدخَلوا يَهوديتَ إِلى الخَيمة . [٢١] وكانَ أَليفانا يَستَريحُ على سَريرِه تَحتَ ناموسِيَّةٍ مِن أُرجُوانٍ وذَهَبٍ وزُمُرُّدٍ تُرَصِّعُها حِجارَةٌ كَريمة . [٢٢] فأَخبَروه بِأَمرِها ، فخَرَجَ إِلى مَدخَلِ الخَيمة تتَقَدَّمُه مَشاعِلُ فِضَّة . [٢٣] فلَمَّا وَصَلَت يَهوديتُ أَمامَه وأَمامَ ضُبَّاطِه ، أُعجِبوا جَميعاً بِجَمالِ وَجهِها . فآرتَمَت أَمامَه وسَجَدَت لَه فأَنهَضَها خُدَّامُه .

١١ [١] فقالَ لَها أَليفانا : «تَشَجَّعي ، يا آمرَأَة ، ولا يَضطَرِبْ قَلبُكِ ، لِأَنِّي لم أُسِئْ قطّ إِلى إِنْسانٍ آختارَ أَن يَعمَلَ لِنَبوكَدْنَصَّر ، مَلِكِ الأَرضِ كُلِّها . [٢] وأَمَّا شَعبُكِ المُقيمُ في النَّاحِيةِ الجَبَلِيَّة ، فلَو لم يَستَهِنْ بي ، لَما رَفَعتُ رُمْحي علَيهِم . ولكِنَّه هو الَّذي فَعَلَ ذلك بِنَفسِه . [٣] والآن قولي لي لِماذا هَرَبتِ مِن عِندِه وأَتَيتِ إِلَينا ، فلَقَد أَتَيتِ لِلخَلاص . تشَجَّعي ، ففي هذه اللَّيلَةِ ستَحيَينَ، وكذلك فيمَا بَعد . [٤] فلَن يُضِرَّكِ أَحد ، بل يُحسِنونَ إِلَيكِ شأنَ عَبيدِ سَيِّدي نَبوكَدْنَصَّرَ المَلِك» .

[٥]فقالَت لَه يَهوديت : «تَقبَّلْ كَلامَ أَمَتِكَ ، ولْتَتَكَلَّمْ خادِمَتُكَ في حَضرَتِكَ ، ولا أُخبِرُ سَيِّدي بِالكَذِبِ في هذه اللَّيلة . [٦]وإِنِ آتَّبعتَ كَلامَ خادِمَتِكَ ، يُتِمُّ اللهُ عَمَلَه مَعَكَ ولا يُخفِقُ سَيِّدي في مَساعيه . [٧]لِيَحْيَ نَبوكَدْنَصَّر ، مَلِكُ الأَرضِ كُلِّها ، ولْتَحْيَ قُدرَتُه ، فهُو الَّذي أَرسَلَكَ لِتُؤَدِّبَ كُلَّ نَفْس ، لِأَنَّه لَيسَ النَّاسُ وَحدَهم يَعمَلونَ لَه عن يَدِكَ ، بل وُحوشُ البَرِّ والقُطْعانُ وطُيورُ السَّماءِ تَحيا بِكَ لِنَبوكَدْنَصَّرَ ولِكُلِّ بَيتِه .

[٨]فلَقَد سَمِعْنا بِحِكمَتِكَ وبِحِيَلِ نَفسِكَ ، ويُخبَرُ في الأَرضِ كُلِّها بأَنَّكَ وَحدَكَ صالِحٌ في المَملَكَةِ كُلِّها ومُقتَدِرٌ في العِلْم وعَجيبٌ في قِيادةِ الحَرْب . [٩]والخِطابُ الَّذي فاهَ بِه أَحْيورُ في مَجلِسِكَ قد سَمِعْنا كَلِماتِه ، لِأَنَّ رِجالَ بَيتَ فَلْوى قد أَبقَوا علَيه ، فأَخبَرَهم بِكُلِّ ما تَكَلَّمَ بِه لَدَيكَ . [١٠]فيا أَيُّها السَّيِّد ، لا تُهمِلْ خِطابَه ، بلِ آحفَظْه في قَلبِكَ ، لِأَنَّه حقّ . فلا يُعاقَبُ نَسلُنا ولا يَقْوى سَيفٌ علَيهِم ، إِن لم يَخطَأوا إِلى إِلهِهِم . [١١]والآن ، فلِئَلاَّ يَكونَ سَيِّدي مَنْبوذاً أَو فاشِلاً ، فالمَوتُ يَنقَضُّ علَيهِم وقَدِ آستَولَت علَيهِمِ الخَطيئَة ، تِلكَ الخَطيئَةُ الَّتي يُثيرونَ بِها غَضَبَ اللهِ كُلَّما آرتَكَبوا مُخالَفَة . [١٢]وبِما أَنَّ الطَّعامَ قد أَعوَزَهم وأَنَّ كُلَّ ماءٍ قد شَحَّ ، فقَد عَزَموا على تَعْويضِ أَنْفُسِهم مِنها بِقُطْعانِهم وقَرَّروا آستِعْمالَ كُلِّ ما نَهاهُم اللهُ في شَرائِعِه عن أَكْلِه . [١٣]وأَمَّا بَواكيرُ الحِنطَةِ وعُشورُ الخَمرِ والزَّيتِ الَّتي حافَظوا علَيها لِأَنَّهم كَرَّسوها لِلكَهَنَةِ القائمينَ في أُورَشَليمَ أَمامَ وَجهِ إِلهِنا ، فقَد حكَموا بِتَناوُلِها ، مع أَنَّه لا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنَ الشَّعبِ أَن يَلمُسَها بِيَدَيه . [١٤]وأَرسَلوا إِلى أُورَشَليم - لِأَنَّ السُّكَّانَ هُناكَ أَيضاً قد فَعَلوا مِثلَ ذلك - أُناساً يَنقُلونَ إِلَيهِمِ الإِعْفاءَ مِن قِبَلِ مَجلِسِ الشُّيوخ . [١٥]ويَكونُ ،

إذا ما بَلَغَهم هذا الإِعْفاءُ وعَمِلوا بِه ، أَنَّهم في ذلك اليَومِ يُسلَمونَ إِلَيكَ لِهَلاكِهم .

[١٦] وكذلك أَنا أَمَتَكَ ، لَمَّا عَلِمتُ بِكُلِّ ذلك ، هَرَبتُ مِن وَجهِهم ، وأَرسَلَني اللهُ لِأَعمَلَ مَعَكَ أَعْمالاً تَدهَشُ لَها الأَرضُ كُلُّها ، إِذا سَمِعَت بِها . [١٧] فإِنَّ أَمَتَكَ تَقِيَّةٌ تَخدُمُ لَيلَ نهارَ إِلهَ السَّماء . والآن سَأُقيمُ عِندَكَ ، يا سَيِّدي ، وستَخرُجُ أَمتُكَ لَيلاً إِلى الوادي وأُصَلِّي إِلى الله ، فيَقولُ لي متى يَرتَكِبونَ خَطاياهم ، [١٨] فأَجيءُ وأُخبِرُكَ ، فتَخرُجُ بِجَيشِكَ كُلِّه ، وما مِن أَحَدٍ مِنهم يَقِفُ أَمامَكَ . [١٩] وأَقودُكَ في وَسَطِ اليَهوديَّة ، إِلى أَن تَصِلَ أَمامَ أُورَشَليم ، وأَجعَلُ عَرشَكَ في وَسَطِها ، فتَسوقُهم كَخِرافٍ لا راعِيَ لَها ، ولا يَنبَحُ أَمامَكَ كَلْبٌ بِلِسانِه . قِيلَ لي كُلُّ ذلك بِحَسَبِ سابِقِ عِلْمي وأُعلِنَ لي وأُرسِلتُ لِأُخبِرَكَ بِه» .

[٢٠] وحَسُنَ هذا الكَلامُ لَدى أَليفانا ولَدى جَميعِ ضُبَّاطِه ، وأُعجِبوا بِحِكمَتِها وقالوا : [٢١] «لا مَثيلَ لِهذه المرأَةِ مِن أَقْصى الأَرضِ إِلى أَقْصاها في حُسْنِ الطَّلعَةِ وحِكمَةِ الكَلام» . [٢٢] وقالَ لَها أَليفانا : «أَحسَنَ اللهُ في إِرسالِكِ أَمامَ الشَّعب ، لِتكونَ القُدرَةُ في أَيدينا ويكونَ الهَلاكُ في الَّذينَ آستَهانوا بِسَيِّدي . [٢٣] والآن فأَنتِ حَسْناءُ في طَلعَتِكِ حاذِقَةٌ في كَلامِكِ . فإِن عَمِلتِ بِما قُلتِ ، يكونُ إِلهُكِ إِلهي ، وأَمَّا أَنتِ فتُقيمينَ في بَيتِ نَبوكَدْنَصَّرَ المَلِك وتكونينَ مَشهورةً في أَنحاءِ الأَرضِ كُلِّها» .

٤. مقتل أَليفانا

في أعقاب مأدبة تأثَّر فيها أَليفانا بالسُكْر ، قطعت يهوديت رأسه وعادت إلى المحاصَرين .

١٢ [١]ثُمَّ أَمَرَ بِإدخالِها إلى حَيثُ وُضِعَت آنِيَتُه الفِضّة، وأَوصى بِأَن تُطعَمَ مِن مأكولاتِه وتَشرَبَ مِن خَمرِه. [٢]فقالَت يهوديت: «لا آكُلُ مِنها، لِئَلاَّ يكونَ في ذلك سَبَبُ عَثرَة، بل يَكفيني ما أَتَيتُ بِه». [٣]قالَ لَها أَليفانا: «إِذا فَرَغَ الَّذي مَعكِ، مِن أَينَ نأتيكِ بِمِثلِ ذلك لِنُقَدِّمَه لَكِ؟ فلَيسَ عِندَنا أَحَدٌ مِن نَسلِكِ». [٤]قالَت لَه يهوديت: «تَحيا نَفْسُكَ، سَيِّدي، إِنَّ أَمتَكَ لا تَستَنفِدُ ما معي حَتَّى يَصنَعَ الرَّبُّ بِيَدي ما أَرادَه». [٥]وقادَها ضُبَّاطُ أَليفانا إِلى الخَيمة، فنامَت حَتَّى نِصفِ اللَّيل. ثُمَّ نَهَضَت عِندَ هَجيعِ الفَجر، [٦]وأَرسَلَت إِلى أَليفانا تَقول: «لِيأمُرْ سَيِّدي بأَن يُؤذَنَ إِلى أَمَتِه في الخروجِ لِلصَّلاة». [٧]فأَوصى أَليفانا حُرَّاسَه بِعَدَمِ التَّصَدِّي لَها. وبَقِيَت في المُعَسكَرِ ثَلاثَةَ أَيَّام. وكانَت تَخرُجُ لَيلاً إِلى وادي بَيتَ فَلْوى وتَغْتَسِلُ في المُعَسكَرِ في عَينِ الماء. [٨]وبَعدَ صُعودِها كانَت تَتَضَرَّعُ إِلى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيلَ أَن يُرشِدَ طَريقَها لِلنُّهوضِ بِبَني شَعبها. [٩]واذا عادَت طاهِرة، كانَت تُقيمُ في الخَيمة، إِلى أَن يُقَدَّمَ لَها طَعامُها عِندَ المَساء.

[١٠]وكانَ في اليَومِ الرَّابِعِ أَنَّ أَليفانا أَقامَ مأدُبةً لِضُبَّاطِه وَحدَهم، ولم يَدْعُ إِلَيها أَحداً مِن مُوَظَّفيه. [١١]وقالَ لِبوغا خَصِيِّه القائمِ على جَميعِ أَعْمالِه: «إِذهَبْ وأَقنِعِ المرأَةَ العِبرانِيَّةَ الَّتي عِندَكَ بِالمَجيءِ إِلَينا والأَكلِ والشُّربِ معَنا. [١٢]فإِنَّه عارٌ عِندَنا أَن نُخلِيَ سَبيلَ مِثلِ هذه المرأَةِ دُونَ أَن نُعاشِرَها. وإِن لم نَستَمِلْها سَخِرَت بِنا». [١٣]فخَرَجَ بوغا مِن وَجهِ أَليفانا ودَخَلَ إِلَيها فقال: «لا تَتَرَدَّدْ هذه الخادِمةُ الحَسْناءُ في المَجيءِ إِلى سَيِّدي لِتُكَرَّمَ أَمامَ وَجهِه وتَشْرَبَ مَعَنا خَمراً بِفَرَح فتُصبِحَ في هذا اليَوم كَآبنَةٍ مِن بَناتِ بَني أَشُّورَ اللَّواتي يُقِمنَ في بَيتِ نَبوكَدْنَصَّر». [١٤]قالَت لَه

يَهوديت : «ومَن أَنا حتَّى أُخالِفَ سَيِّدي؟ كُلُّ ما حَسُنَ في عَينَيه أَصنَعُه مُسرِعةً، ويكونُ ذلك فرَحاً لي حتَّى أَيَّامِ مَوتي».
[١٥]ثُمَّ قامَت وتزَيَّنَت بِمَلابِسِها وبِجميعِ زينَتِها النِّسائيَّة، ودَخَلَت وَصيفَتُها وفَرَشَت لَها على الأَرضِ تُجاهَ أَليفانا الجُزَزَ الَّتي حَصَلَت علَيها مِن بوغا لِآستِعمالِها اليَومِيِّ في الأَكلِ وهي مُتَّكِئَةٌ علَيها. [١٦]ثُمَّ دَخَلَت يَهوديتُ وآتَّكأَت، فشُغِفَ بِها قَلبُ أَليفانا وآضطَرَبَت نَفسُه وآشتَدَّت شَهوَتُه لِمُضاجَعَتِها. وكانَ يتَرَقَّبُ الفُرصةَ لِإِغوائِها مِن يومِ رآها. [١٧]فقالَ لَها أَليفانا: «اِشرَبي وشارِكينا في الفَرَح». [١٨]فقالَت يَهوديت: «أَشرَبُ، يا سَيِّدي، فقَد كَرُمَت عِندي الحَياةُ في هذا اليَومِ أَكثَرَ مِنها في جَميعِ أَيَّامِ حَياتي». [١٩]وتَناوَلَت ما كانَت قد هَيَّأَته وَصيفَتُها، فأَكَلَت وشَرِبَت بِحَضرَتِه. [٢٠]ففَرِحَ أَليفانا بِها وشَرِبَ مِنَ الخَمرِ شَيئاً كثيراً جِدًّا، أَكثَرَ مِمَّا شَرِبَ مِنها في يَومٍ واحِدٍ مُنذُ مَولِدِه.

١٣ [١]ولَمَّا كانَ المَساء، أَسرَعَ ضُبَّاطُه في الاِنصِراف. وأَغلَقَ بوغا الخَيمَةَ مِنَ الخارِج، وصَرَفَ الحاضِرينَ مِن وَجهِ سَيِّدِه فذَهَبوا إِلى مضاجِعِهم، لِأَنَّهم كانوا جَميعاً مُثقَلينَ مِنَ الإِفراطِ في الشُّرب. [٢]وتُرِكَت يَهوديتُ وَحدَها في الخَيمة، وكانَ أَليفانا مُستَلْقِياً على سريرِه لِأَنَّه كانَ سابِحاً في الخَمْر. [٣]فكانت يَهوديتُ قد أَمَرَت وصيفَتَها أَن تَقِفَ خارِجَ المُخدَع وتُراقِبَ خُروجَها، كما تَفعَلُ كُلَّ يوم، قائلةً إِنَّها ستَخرُجُ لِلصَّلاة، وكانَت قد قالَت لِبوغا أَيضاً هذا الكلام.
[٤]إِنصَرَفوا جميعاً مِن وَجهِه، ولم يُترَكْ أَحَدٌ في المُخدَعِ مِن صَغيرِهم إِلى كَبيرِهم. فوَقَفَت يَهوديتُ عِندَ سَريرِه وقالَت في نَفسِها :

«يا رَبّ ، يا إِلهَ كُلِّ قُوَّة
أُنظُرْ في هذِه السَّاعةِ إِلى أَعْمالِ يَدَيَّ لِرَفعِ شَأنِ أُورَشليم
[٥] فقَد حانَت ساعةُ العِنايَةِ بِميراثِكَ وتَحقيقِ ما عَزَمتُ علَيه
لِسَحقِ الأَعداءِ الَّذينَ قاموا علَينا» .

[٦] فدَنَت مِن عارِضَةِ السَّريرِ الَّتي عِندَ رَأسِ أَليفانا ونَزَعَت مِنها خَنجَرَه ، [٧] واَقتَرَبَت مِنَ السَّرير وأَخَذَت بِشَعرِ رأسِه وقالَت : «قَوِّني ، يا رَبّ ، يا إِلهَ إِسْرائيلَ، في هذا اليَوم» . [٨] ثُمَّ ضَرَبَت مَرَّتَينِ عُنُقَه بِكُلِّ قُوَّتِها فقَطَعَت رأسَه [٩] ودَحرَجَت جُثَّتَه عنِ السَّرير ونَزَعَتِ النَّاموسِيَّةَ عنِ الأَعمِدة . وخَرَجَت بَعدَ هُنَيهةٍ وناوَلَت وصيفَتَها رأسَ أَليفانا ، [١٠] فوَضَعَته في جُعبَتِها . وخَرَجَتا كِلْتاهما على عادَتِهما لِلصَّلاة ، واَجتازَتا المُعَسكَر ودارَتا في الوَهدَة وصَعِدَتا جَبَلَ بَيتَ فَلْوى ووَصَلَتا إِلى أَبْوابِها .

[١١] فنادَت يَهوديتُ عن بُعدٍ حُرَّاسَ الأَبْواب : «اِفتَحوا الباب ، فإِنَّ اللهَ إِلهَنا مَعنا لِيَعمَلَ قُوَّتَه في إِسْرائيلَ وقُدرَتَه على الأَعْداءِ، كما فَعَلَ اليَوم» . [١٢] فكانَ ، لَمَّا سَمِعَ رِجالُ المَدينةِ صَوتَها ، أَنَّهم أَسرَعوا في النُّزولِ إِلى أَبوابِ مَدينَتِهم ودعَوا شُيوخَ المَدينة . [١٣] وبادَروا جَميعاً من صَغيرِهم إِلى كَبيرِهم ، لِأَنَّ مَجيئَها كانَ يَبْدو لَهم أَمراً غَيرَ مُتوقَّع . وفَتَحوا الأَبْوابَ واَستَقبَلوهما وأَضرَموا ناراً لِلإِضاءَة واَجتَمَعوا حَولَها . [١٤] فقالَت لَهم بِأَعلى صَوتِها : «سَبِّحوا اللهَ سَبِّحوه ، سَبِّحوا اللهَ فإِنَّه لم يُحوِّلْ رَحمَتَه عن بَيتِ إِسْرائيل ، بل سَحَقَ أَعداءَنا بِيَدي في هذه اللَّيلَة» . [١٥] ثُمَّ أَخرَجَتِ الرَّأسَ مِنَ الجَعْبَة وأَرَتْهم إِيَّاه وقالَت لَهم : «هذا هو رأسُ أَليفانا رئيسُ قُوَّادِ جَيشِ أَشُّور ، وهذه هي النَّاموسِيَّةُ الَّتي كانَ مُضطَجِعاً تَحتَها

في سُكرِه. ضَرَبَه الرَّبُّ بِيَدِ آمرَأَة. [١٦]وحَيٌّ الرَّبُّ الَّذي حَفِظَني في الطَّريقِ الَّذي سلَكتُه، لِأَنَّ وَجْهي قد أَغْوى ذلك الرَّجُلَ لِهَلاكِه، ولم يَرتَكِبْ خَطيئةً معي لِنَجاسَتي وعاري». [١٧]فآستَولى على الشَّعبِ كُلِّه دَهَشٌ شَديد وجَثَوا فسَجَدوا للهِ وقالوا بِصَوتٍ واحِد: «مُبارَكٌ أَنتَ، يا إِلهَنا، فإِنَّكَ أَفنيتَ في هذا اليَومِ أَعْداءَ شَعبِكَ». [١٨]وقالَ لَها عُزَيَّا:

«بارَكَكِ، يا بُنَيَّة، الإِلهُ العَلِيّ
فَوقَ جَميعِ النِّساءِ اللَّواتي على الأَرض.
وتَبارَكَ الرَّبُّ الإِلهُ الَّذي خَلَقَ السَّمواتِ والأَرض
والَّذي هَداكِ لِضَربِ رأسِ قائِدِ أَعْدائِنا.
[١٩]فإِنَّ رَجاءَكِ لن يُفارِقَ قُلوبَ النَّاسِ الَّذينَ يَذكُرونَ قُوَّةَ اللهِ لِلأَبَد.
[٢٠]عسى اللهُ أَن يُرفَعَ شأنُكِ لِلأَبَد وأَن تُفتَقَدي بِإِحساناتِه
لِأَنَّكِ لم تُشفِقي على نَفسِكِ مِن أَجلِ مَذَلَّةِ نَسلِنا
بل تَدارَكتِ هَلاكَنا بِسَيرِكِ المُستَقيمِ أَمامَ إِلهِنا».
فأَجابَ الشَّعبُ كُلُّه: «آمين. آمين».

٥. انتصار اليهود

في اليوم التالي، بدأت المعركة، لكنّ جيش أشور، لمّا علم بموت قائده، تشتّت.

١٤ [١]وقالَت لَهم يَهوديت: «اِسمَعوا لي، يا إِخوَتي. خُذوا هذا الرَّأسَ وعَلِّقوه على شُرفَةِ أَسْوارِكم. [٢]ومتى بَزَغَ الفَجرُ وطَلَعَتِ الشَّمسُ على الأَرض، فلْيَأخُذْ كُلُّ واحِدٍ سِلاحَه ولْيَخرُجْ كُلُّ رَجُلٍ سَليمٍ إِلى خارِجِ المَدينة. وأَقيموا علَيهم قائداً كأَنَّكم نازِلونَ إِلى السَّهلِ نَحوَ مَركَزِ بَني

أَشُّورَ الأَماميّ ، ولكن لا تَنزِلوا . [٣]فيأخُذُ أُولئِكَ مُعَدَّاتِهم ويَذهَبونَ إِلى مُعَسكَرِهم ويوقِظونَ قُوَّادَ جَيشِ أَشُّور ، فيُسرِعونَ إِلى خَيمةِ أَليفانا فلا يَجِدونَه ، فيَستَولي علَيهِم الخَوفُ ويَهرُبونَ من وَجهِكم. [٤]أَمَّا أَنتُم وجَميعُ سُكَّانِ أَراضي إِسْرائيلَ كُلِّها ، فطارِدوهم وآصرَعوهم في طُرُقِهم .

[٥]وقَبلَ أَن تَفعَلوا ذلك ، آدْعوا إِلَيَّ أَحْيورَ الأَمُّونيَّ لِيَرى ويَعرِفَ الَّذي آستَهانَ بِبَيتِ إِسْرائيل وأَرسَلَه إِلَينا كما يُرسَلُ إِلى المَوت» . [٦]فدَعوا أَحْيورَ مِن بَيتِ عُزَيَّا . فأَتى ورأى رأسَ أَليفانا في يَدِ رَجُلٍ في جَماعَةِ الشَّعْب ، فسَقَطَ على وَجهِه وخارَت روحُه . [٧]ولَمَّا أَنهَضوه آرتَمى عِندَ قَدَمَي يَهوديت وسَجَدَ أَمامَها وقال :

«مُبارَكةٌ أَنتِ في خِيَمِ يَهوذا كُلِّها
وفي جَميعِ الأُمَم
فإِذا سَمِعَت آسمَكِ آرتَعَدَت .

[٨]والآن فأَخبِريني بِكُلِّ ما فَعَلتِ في هٰذِه الأَيَّام» . فأَخبَرَته يَهوديتُ في وَسْطِ الشَّعبِ كُلِّه بِكُلِّ ما فَعَلَت مِن يَومِ خُروجِها إِلى حينِ تَحَدُّثِها إِلَيهم . [٩]ولَمَّا آنتَهَت مِن كَلامِها ، هَتَفَ الشَّعبُ بِصَوتٍ عَظيم ومَلَاءَ مَدينَتَه بِصَوتِ الابتِهاج . [١٠]ورأَى أَحْيورُ كُلَّ ما فَعَلَ إِلٰهُ إِسْرائيل فآمَنَ بِاللهِ إِيماناً راسِخاً وخَتَنَ لَحْمَ قُلفَتِه فضُمَّ إِلى بَيتِ إِسْرائيلَ إِلى هذا اليَوم .

[١١]وعِندَ طُلوعِ الفَجْرِ ، علَّقوا رأسَ أَليفانا على الأَسْوار ، وأَخَذَ كُلُّ رَجُلٍ سِلاحَه وخَرَجوا زُمَراً إِلى مُنحَدَراتِ الجَبَل . [١٢]فلَمَّا رَآهُم بَنو أَشُّور ، أَرسَلوا رُسُلاً إِلى ضُبَّاطِهم ، فجاءَ هؤُلاءِ إِلى قُوَّادِهم وقُوَّادِ أُلوفِهم وجَميعِ رُؤَسائِهم . [١٣]فذَهَبوا إِلى خَيمةِ أَليفانا وقالوا لِلقَيِّمِ على جَميعِ

أُمورِه: «أَيقِظْ سَيِّدَنا، لِأَنَّ العَبيدَ اجتَرَأُوا على النُّزولِ إِلَينا لِمُحارَبَتِنا ومُرادُهم أَن يُفنَوا إِلى آخِرِهم». [14]فدَخَلَ بُوغا وقَرَعَ سِتارَ الخَيمَة، لِأَنَّه كانَ يَظُنُّ أَنَّه نائمٌ مع يَهوديت. [15]ولَمَّا لم يَسمَعْ أَحَداً، أَزاحَ السِّتارَ ودَخَلَ المَضجَع، فوَجَدَه مَطْروحاً على العَتَبَةِ مَيتاً ورأسَه مَفْصولاً عنه، [16]فصَرَخَ بِصَوتٍ عَظيمٍ ونحيبٍ وأَنينٍ وصُراخ شَديد ومَزَّقَ ثِيابَه. [17]ثُمَّ دَخَلَ الخَيمةَ الَّتي تُقيمُ فيها يهوديت فلم يَجِدْها. فأَسرَعَ إِلى الشَّعبِ وصَرَخَ: [18]«لقد غَدَرَ العَبيدُ غدراً، وآمرَأَةٌ واحِدةٌ مِنَ العِبرانِيِّينَ أَلقَتِ العارَ في بَيتِ نَبوكَدْنَصَّرَ المَلِك. فهُوَذا أَليفانا مَطْروحٌ على الأَرضِ ورأسُه لَيسَ علَيه». [19]فلَمَّا سَمِعَ قُوَّادُ جَيشِ أَشُّورَ هذا الكَلامَ كُلَّه، مَزَّقوا قُمْصانَهم، وآضطَرَبَت نُفوسُهمُ آضطِراباً شَديداً وآشتَدَّ صِياحُهم وصُراخُهم كثيراً في وَسَطِ المُعَسكَر.

١٥ [1]ولَمَّا سَمِعَ الَّذينَ كانوا في الخِيَم، دَهِشوا مِمَّا جَرى [2]ووَقَعَت علَيهِمِ الرِّعدَةُ والخَوف، ولم يَبقَ رَجُلٌ أَمامَ قَريبه، بل تَفَرَّقوا بِأَجمَعِهم وهَرَبوا في جَميعِ طُرُقِ السَّهلِ والنَّاحِيةِ الجَبَلِيَّة. [3]والمُعَسكِرونَ في النَّاحِيةِ الجَبَلِيَّةِ حَولَ بَيتَ فَلْوى ولَّوا هارِبينَ هم أيضاً. حينئذٍ تَفرَّقَ علَيهم جَميعُ المُحارِبينَ مِن بني إِسْرائيل.

٦. ثناء على يهوديت

تقبَّلت يهوديت تهاني المدينة كلها.

[8]وقَدِمَ عَظيمُ الكَهَنَةِ يُواكيم وشُيوخُ بَني إِسْرائيلَ السَّاكِنينَ في أُورَشَليم لِيُشاهِدوا ما صَنَعَ الرَّبُّ إِلى إِسْرائيلَ مِنَ الخَيرات ولِيَرَوا يَهوديتَ

ويُسَلِّموا علَيها. [٩]ولَمَّا دَخَلوا إِلَيها، بارَكوها جَميعُهم بِصَوتٍ واحِدٍ وقالوا لَها:

«أَنتِ مَجدُ أُورَشَليم! أَنتِ آعتِزازُ إِسْرائيلَ العَظيم!
أَنتِ فَخْرُ نَسلِنا العَظيم!
[١٠]صَنَعتِ كُلَّ ذلك بِيَدِكِ، أَحسَنتِ إِلى إِسْرائيل
فرَضِيَ اللهُ عَمَّا صَنَعتِ.
بارَكَكِ الرَّبُّ القَديرُ أَبَدَ [١١]الدُّهور!» وقالَ الشَّعبُ كُلُّه: «آمين».

٧. نشيد يهوديت

[١٤]وأَنشَدَت يَهوديتُ نَشيدَ الشُّكرِ هذا في كُلِّ إِسْرائيل، وجَهَرَ الشَّعبُ كُلُّه بِهذا النَّشيد. فقالَت يَهوديت:

١٦ [١]«أَنشِدوا لإِلهي بِالدُّفوف، رَنِّموا لِلرَّبِّ على الصُّنوج
إِنظِموا لَه المَزمورَ والنَّشيد، أَشيدوا وآدعوا بِآسمِه
[٢]لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ يَمحَقُ الحُروب
لِأَنَّه جَعَلَ مُعَسكَراتِه في وَسْطِ الشَّعْب
فأَنقَذَني مِن يَدِ مُضطَهِدِيَّ.
[٣]أَتى أَشُّورُ مِنَ الجِبالِ الشَّمالِيَّة، أَتى بِرِبْواتِ جَيشِه.
كَثرَتُهم سَدَّتِ الأَودِيَة وخُيولُهم غَطَّتِ التِّلال.
[٤]قالَ إِنَّه سَيَحرُقُ بِلادي ويَقتُلُ بِالسَّيفِ فِتْياني
ويَطرَحُ إِلى الأَرضِ رُضَعائي
ويَجعَلُ غَنيمةً مِن أَطْفالي ويَسْبي أَبْكاري.

٥الرَّبُّ القَديرُ رَدَّهم بِيَدِ آمرَأة .
٦فإِنَّ بَطَلَهم لم يَسقُطْ بِأَيدي الشُّبَّان
ولم يَبْطُشْ بِه بَنو طيطان ولا جبَابِرَةٌ طِوالٌ هَجَموا علَيه
بل يَهوديتُ آبنَةُ مَراري بِجَمالِ وَجهِها أَعجَزَته .
٧فقَد نَزَعَت ثَوبَ إِرْمالِها لِإِنْهاضِ المَحزونينَ في إِسْرائيل
ودَهَنَت وَجهَها بِالطِّيب
٨وعَصَبَت شَعرَها بِعِصابة ولَبِسَت حُلَّةً مِن كَتَّانٍ لِتَفتِنَه .
٩حِذاؤُها خَطَفَ بَصَرَه وجَمالُها أَسَرَ نَفْسَه
والخَنجَرُ قَطَعَ عُنُقَه .
١٠إِرتَعَدَ الفُرْسُ مِن جُرأَتِها وآضطَرَبَ الميدِيُّونَ مِن شَجاعَتِها .
١١حينَئِذٍ صَرَخَ مُتَواضِعِيَّ فَخافوا وصاحَ ضُعَفائي فآرتَعَدوا
ورَفَعوا صَوتَهم فوَلَّوا هارِبين
١٢بَنو نُسَيَّاتٍ طَعَنوهم وكأَولادٍ فارِّينَ إِلى العَدُوِّ جَرَحوهم
فهَلَكوا في مَعرَكَةِ لِرَبِّي .
١٣سأُرَنِّمُ لِإِلهي نَشيداً جَديداً . رَبِّي ، عَظيمٌ أَنتَ ومُمَجَّد
عَجيبٌ في القُوَّة ولا يَقْوى علَيكَ أَحَد .
١٤إِيَّاكَ فلتَعبُدْ خَليقَتُكَ بِأَسرِها لِأَنَّكَ أَنتَ قُلتَ فكانَت .
أَرسَلتَ رَوحَكَ فكُوِّنَت ولَيسَ مَن يُقاوِمُ صَوتَكَ .
١٥الجِبالُ تَهتَزُّ مِن أُسُسِها وتَختَلِطُ بِالمِياه
والصُّخورُ كالشَّمعِ تَذوبُ أَمامَ وَجهِكَ
والَّذينَ يَتَّقونَكَ تَكونُ عنهُم راضِياً .

[١٦]لِأَنَّ كُلَّ ذَبيحةٍ أَقَلُّ مِن أَن تكونَ رائِحةً ذَكِيَّة
وكُلَّ دُهْنٍ أَحقَرُ مِن أَن يَكونَ لَكَ مُحرَقَة .
ولكِنَّ الَّذي يَتَّقي الرَّبَّ كَبيرٌ في كُلِّ شَيء .
[١٧]الوَيلُ لِلأُمَمِ الَّتي تَقومُ على نَسْلي !
فالرَّبُّ القَديرُ يَنتَقِمُ مِنهُم في يَومِ الدَّينونة
يَجعَلُ النَّارَ والدُّودَ في لُحومِهم فيَبْكونَ أَلَماً الأَبَد» .

٨. شيخوخة يهوديت ووفاتها

[٢١]وبعد تِلكَ الأَيَّام ، رَجَعَ كُلُّ واحدٍ إِلى ميراثِه ، وآنصَرَفَت يَهوديتُ إِلى بَيتَ فَلْوى وأَقامَت في مِلكِها . وصارَت شَهيرةً في زَمَنِها في البَلَدِ كُلِّه [٢٢].اِشْتَهاها كَثيرٌ مِنَ الرِّجال ، ولَم يَعرِفْها رَجُلٌ مِنَ الرِّجالِ جَميعَ أَيَّامِ حَياتِها مُنذُ وَفاةِ زَوجِها مَنَسَّى وآنضِمامِه إِلى شَعبِه . [٢٣]وكانَت تَزْدادُ عَظَمةً كُلَّما طَعَنَت في السِّنّ ، وشاخَت في بَيتِ زَوجِها فبَلَغت مائةً وخَمسَ سِنين . وأَعتَقَت وصيفَتَها وتُوُفِّيَت في بَيتَ فَلْوى ، فدَفَنوها في مَغارَةِ زَوجِها مَنَسَّى . [٢٤]وناحَ علَيها بَيتُ إِسْرائيلَ سَبعَةَ أَيَّام . وقَبلَ وَفاتِها وَزَّعَت أَمْوالَها على جَميعِ أَقارِبِ زَوجِها مَنَسَّى وأَقارِبِ أُسرَتِها . [٢٥]ولم يَعُدْ هُناكَ مَن يُرعِبُ بَني إِسْرائيلَ في أَيَّامِ يَهوديت ولا بَعدَ مَوتِها سِنينَ كَثيرة .

سِفرُ أَسْتير

يروي الكاتب محاولة انتفاضة ضدّ اليهود في بلاد فارس. وكان للملك أحشورش امرأة من أصل يهودي، فأحبطت المؤامرة.

تصرَّف الكاتب بالتاريخ تصرّفاً واسعاً، ومع ذلك ألَّف رواية حَيَّة غنية بالصور.

خاتمة الكتاب مشبعة بفكرة الانتقام، وهي تفسّر، على الاقل، أصل الاحتفال بعيد الانصبة أو عيد فوريم.

نرى هنا، كما رأينا في سفر يهوديت، ان الله قادر دائماً على القضاء على أعدائه.

١. الملكة أَستير

١. حُكم مردكاي

كان مردكاي عمَّ استير، وكان يعمل في بلاط الملك أحشورش، فرأى الحُلم التالي:

١ [١ب] وكانَ في السَّنةِ الثَّانِيةِ مِن مُلكِ أَحْشورشَ العَظيم في اليَومِ الأَوَّلِ مِن نيسان أَنَّ مَرْدكايَ بنَ شِمْعي بنِ قِيشٍ مِن سِبطِ بَنْيامين رأى حُلْماً. [١ج] وكانَ يَهودِيًّا مُقيماً في مَدينةِ شوشَن، وكان رَجُلاً عَظيماً يَعمَلُ في بَلاطِ المَلِك. [١د] وكانَ مِن جُملَةِ أَهلِ الجَلاءِ الَّذينَ جَلاهم نَبوكَدنَصَّر، مَلِكُ بابِل، مِن أُورَشَليم مع يَكُنْيا، مَلِكِ يَهوذا.

[١ج]وهذا حُلْمُه: كانت هُناكَ أَصْواتٌ وضَوضاءُ ورُعودٌ وزَلازِلُ وآضطِرابٌ في الأَرض. [١ح]وإذا بِتِنِّينَينِ عَظيمَينِ يَتقَدَّمانِ مُتَهَيِّئَينِ كِلاهُمَا لِلقِتال، فأَطلَقا صُراخاً عظيماً، [١خ]وعِندَ صُراخِهِما آستَعَدَّت كُلُّ أُمَّةٍ لِلحَرب، لِمُحارَبةِ شَعبِ الأَبْرار. [١د]وكانَ ذلكَ اليَومُ يَومَ دَيجورٍ وظَلامٍ وشِدَّةٍ وضيقٍ وظُلمٍ وآضطِرابٍ عَظيمٍ على الأَرض. [١ذ]فآضطَرَبَ شَعبُ الأَبْرارِ كُلُّه خَوفاً مِن شُرورِهما، وآستَعَدُّوا لِلهَلاكِ ودَعَوا إِلى الله. [١ر]ومِن صُراخِهِم هذا، كَمِن يَنْبوعٍ صَغير، خَرَجَ نَهرٌ عَظيمٌ ومِياهٌ غَزيرة. [١ز]وأَشرَقَ نورٌ مع الشَّمْس، فآرتَفَعَ المُتَواضِعون وآفتَرَسوا الوُجَهاء.

[١س]ولَمَّا آستَيقَظَ مَردَكاي، بَعدَ أَن رأَى ذلك الحُلمَ وما قضى اللهُ أَن يَعمَلَه، حَفِظَه في قَلبِه وحاوَلَ أَن يَفهَمَ مَعْناه بِجَميعِ الطُّرُقِ إِلى اللَّيل.

[١ش]وآستَراحَ مَردَكايُ في البَلاطِ مع بِجْتانَ وتارَش، خَصِيَّيِ المَلِكِ وحاجِبَيِ البَلاط. [١ص]فسَمِعَ بِأَنَّهمَا يَكيدانِ المَكايِد، فتَقَصَّى ما يَهُمَّانِ بِفِعْلِه، فعَلِمَ أَنَّهمَا يُعِدَّانِ العِدَّةَ لِيَبسطِ أَيديهِما إِلى أَحْشورُشَ المَلِك، فأَطلَعَ المَلِكَ على ذلك. [١ض]فآستَجوَبَ المَلِكُ الخَصِيَّينِ فأَقَرَّا، فأَمَرَ بِقَتلِهِمَا. [١ط]وكَتَبَ المَلِكُ تِلكَ الأَحْداثَ لِلذِّكرى، وكَتَبَ مَردَكايُ أَيضاً في الأَحْداثِ نَفسِها. [١ظ]وأَمَرَ المَلِكُ مَرْدَكايَ أَن يَعمَلَ في البَلاط ووَهَبَ لَه هَدايا لِمَا فعَلَه. [١ع]وكانَت لِهامانَ بنِ هَمْداتا الأَجاجِيِّ كَرامةٌ عظيمةٌ لدى المَلِك، فأَرادَ أَن يُسيءَ إِلى مَردَكايَ وإِلى شَعبِه بِسَبَبِ خَصِيَّيِ المَلِك.

٢. الملكة وَشْتي تفقد حظوتها

فقدت الملكة وَشتي حظوتها، بعدما عَصَت أمراً من أوامر الملك.

[١]كانَ في أَيَّامِ أَحْشورُش، وهو أَحْشورُشُ الَّذي مَلَكَ مِنَ الهِنْدِ إِلى الحَبَشَةِ على مِئَةٍ وسَبعَةٍ وعِشْرينَ إِقْليماً، [٢]كانَ أَنَّ المَلِكَ أَحْشورُش، لَمَّا جَلَسَ في تِلكَ الأَيَّامِ على عَرشِ مُلكِه الَّذي في قَلعَةِ شوشَن، [٣]في السَّنَةِ الثَّالِثَةِ لِمُلكِه، أَقامَ مَأدُبَةً في حَضرَتِه لِجَميعِ رُؤَسائِه وحاشِيَتِه وقُوَّادِ جَيشِ فارِسَ وميديا والأَشْرافِ ورُؤَساءِ الأَقاليم، [٤]لِيُظهِرَ غِنَى مَملَكَتِه المَجيدة وبَهاءَ عَظَمَتِه الرَّائِعَة، ودامَتِ المَأدُبَةُ أَيَّاماً كَثيرة: مِئَةً وثَمانينَ يوماً.

[٥]ولَمَّا آنقَضَت تِلكَ الأَيَّام، أَقامَ المَلِكُ مَأدُبَةً لِكُلِّ الشَّعبِ الَّذي في قَلعَةِ شوشَن، مِن كَبيرِهم إِلى صَغيرِهم، دامَت سَبعَةَ أَيَّام، وكانَ ذلك في دارِ حَديقةِ قَصرِ المَلِك، [٦]حَيثُ كانَت سَتائِرُ بَيضاءُ ومِن أُرجُوانٍ بَنَفسَجِيّ مُعَلَّقَةً بِحِبالِ كَتَّانٍ ناعِمٍ وأُرجُوانٍ بِحَلَقاتِ فِضَّة وأَعمِدَةِ رُخامٍ أَبيَض، وأَسِرَّةٌ مِن ذَهَبٍ وفِضَّةٍ على بَلاطٍ مِن سُماقِيٍّ ورُخامٍ أَبيَضَ ودُرٍّ ورُخامٍ أَسوَد.

[٩]وأَقامَت وَشْتي المَلِكَةُ أَيضاً مَأدُبَةً لِلنِّساءِ في دارِ المُلكِ الَّتي لِلمَلِكِ أَحْشورُش. [١٠]وفي اليَومِ السَّابِع، لَمَّا طابَ قَلبُ المَلِكِ بِالخَمرِ، أَمَرَ مَهومانَ وبِزْتا وحَرْبوتا وبِجْتا وأَبَجْتا وزاتَرَ وكَركَسَ، وهُمُ الخِصْيانُ السَّبعَةُ الَّذينَ كانوا يَخدُمونَ أَمامَ أَحْشورُشَ المَلِك، [١١]بِأَن يأتوا بِوَشْتِيَ المَلِكَةِ إِلى أَمامِ المَلِكِ بِتاجِ المُلْكِ، لِيُرِيَ الشُّعوبَ والرُّؤَساءَ جَمالَها، لِأَنَّها كانَت حَسَنَةَ المَنْظَر. [١٢]فأَبَت وَشْتِي المَلِكَةُ أَن تَجيءَ بِأَمرِ المَلِكِ الَّذي نُقِلَ إِلَيها على لِسانِ خِصْيانِه. فغَضِبَ المَلِكُ جِدًّا وآضطَرَمَ غَضَبُه فيه. [١٣]فقالَ المَلِكُ لِلحُكَماءِ العارِفينَ بِالأَوقات - لِأَنَّه هكذا كانَ دَأبُ المَلِكِ مع جَميعِ العارِفينَ بِالسُّنَّةِ والشَّرْع. [١٤]وكانَ المُقَرَّبونَ إِلَيه كَرشَنا وشيتارَ

وأَدْماتا وتَرْشيشَ ومارَسَ ومَرْسَنا ومَموكان، سَبعَةَ رُؤَساءِ فارِسَ وميديا الَّذينِ يَرونَ وَجهَ المَلِكِ ويَجلِسونَ أَوَّلاً في المُلْك - [١٥] قالَ لَهم: «ماذا نَفعَلُ بِالمَلِكَةِ وَشْتِيَ بِحَسَبِ السُّنَّةِ، لِأَنَّها لم تَعمَلْ بِمَا أَمَرَ به المَلِكُ أَحْشورُشُ على لِسانِ الخِصْيان؟» [١٦] فقال مَموكانُ بِحَضرَةِ المَلِكِ والرُّؤَساء: «إِنَّ وَشْتِيَ المَلِكَةَ لم تُسِئْ إِلى المَلِكِ فَقَط، بل إِلى جَميعِ الرُّؤَساءِ وإِلى جَميعِ الشُّعوبِ الَّتي في جَميعِ أَقاليمِ المَلِكِ أَحْشورُش، [١٧] لِأَنَّ خَبَرَ المَلِكَةِ سيَنتَهي إِلى جَميعِ النِّساء، فيُحتَقَرُ أَزْواجُهُنَّ في عُيونِهِنَّ، إِذ يَقُلْنَ إِنَّ المَلِكَ أَحْشورُشَ أَمَرَ بِإِحضارِ وَشْتِيَ المَلِكَةِ إِلى أَمامِه، فلَم تأتِ. [١٨] ومِن هذا اليَومِ تُحَدِّثُ سَيِّداتُ فارِسَ وميدِيا اللَّواتي سَمِعنَ بِخَبَرِ المَلِكَةِ جميعَ رُؤَساءِ المَلِك، فيَكونُ هُناكَ الاحتِقارُ والسَّخَط. [١٩] فإِن حَسُنَ عِندَ المَلِك، فليُصدَرْ أَمْرٌ مِن لَدُنِه ولْيُدَوَّنْ في سُنَنِ فارِسَ وميدِيا، فلا يُنقَض: أَن لا تَدخُلَ وَشْتي إِلى أَمامِ المَلِكِ أَحْشورُش، ولْيُعطِ المَلِكُ مُلْكَها لِمَن هي خَيرٌ مِنها مِن صَواحِبِها، [٢٠] فيُعرَفَ أَمرُ المَلِكِ الَّذي يُجْريه في مَملَكَتِه كُلِّها وهي عَظيمة، فتُؤَدِّيَ جَميعُ النِّساءِ الإِكْرامَ لِأَزْواجِهِنَّ مِنَ الكَبيرِ إِلى الصَّغيرِ».

[٢١] فحَسُنَ الكَلامُ في أَعيُنِ المَلِكِ وَالرُّؤَساء، وفَعَلَ المَلِكُ بِحَسَبِ كَلامِ مَموكان. [٢٢] فبَعَثَ بِرَسائِلَ إِلى جَميعِ أَقاليمِ المُلْك، إِلى إِقْليمٍ فإِقْليمٍ بِكِتابَتِه، وإِلى شَعبٍ فشَعبٍ بِلِسانِهم: أَن يَكونَ كُلُّ رَجُلٍ سَيِّداً في بَيتِه وأَن يَتَكَلَّمَ بِلِسانِ شَعبه.

٣. اختيار أستير ملكة

أستير فتاة من أصل يهودي، وهي التي اختارها أحشورش ملكة تحلّ محلّ وَشتي.

٢ [١]وبَعدَ هذه الأَحْداث ، عِندَما سَكَنَ غَضَبُ المَلِكِ أَحْشورُش ، تَذَكَّرَ وَشْتِيَ وما فَعَلَت وما حُكِمَ بِه علَيها . [٢]وقالَ خَدَمُ المَلِكِ الَّذينَ يَخدِمونَه : «لِيُبحَثْ لِلمَلِكِ عن فَتَياتٍ أَبْكارٍ حِسانِ المَنظَر ، [٣]ولْيُقِمِ المَلِكُ وُكَلاءَ في جَميعِ أَقاليمِ مَملَكَتِه ، لِيَجمَعوا جَميعَ الأَبْكارِ الحِسانِ المَنظَرِ إِلى قَلعَةِ شَوشَن ، إِلى دارِ النِّساء ، تَحتَ يَدِ هَيجايَ ، خَصِيِّ المَلِك ، حارِسِ النِّساء ، ولْيُعطَينَ لَوازِمَ التَّجْميل . [٤]والفَتاةُ الَّتي تَحسُنُ في عَينَيِ المَلِك ، فلْتَملِكْ مَكانَ وَشْتي» . فحَسُنَ الكَلامُ في عَينَيِ المَلِك ، وفَعَلَ كذلك .

[٥]وكانَ في قَلعَةِ شوشَنَ رَجُلٌ يَهودِيٌّ آسمُه مَردَكايُ بنُ يائيرَ بنِ شِمْعِيَ بنِ قيش ، رَجُلٌ بَنْيامينِيٌّ [٦]كانَ قد جُليَ مِن أُورَشَليم ، مع أَهلِ الجَلاءِ الَّذينَ جُلوا مع يَكنُيا ، مَلِكِ يَهوذا ، الَّذي جَلاه نَبوكَدنَصَّر ، مَلِكُ بابِل . [٧]وكان مُرَبِّياً لِهَدَسَّةَ الَّتي هي أَسْتيرُ آبنَةُ عَمِّه ، إِذ لم يَكُنْ لَها أَبٌ ولا أُمّ ، والفَتاةُ جَميلَةُ الشَّكْلِ حَسَنَةُ المَنظَر . فلَمَّا ماتَ أَبوها وأُمُّها ، اِتَّخَذَها مَردَكايُ آبنَةً لَه .

[٨]فلَمَّا سُمِعَ بِأَمرِ المَلِكِ وحُكمِه ، وجُمِعَت فَتَياتٌ كَثيراتٌ إِلى قَلعَةِ شوشَن ، تَحتَ يَدِ هَيجاي ، أُخِذَ بِأَسْتيرَ إِلى بَيتِ المَلِك ، تَحتَ يَدِ هَيجاي ، حارِسِ النِّساء . [٩]فحَسُنَتِ الفَتاةُ في عَينَيه ونالَت حُظوَةً أَمامَه ، فعَجَّلَ لَوازِمَ تَجْميلِها وإِعالَتِها وجَعَلَ لَها الوَصيفاتِ السَّبعِ المُخْتاراتِ مِن بَيتِ المَلِك ، ونَقَلَها هي ووَصيفاتِها إِلى أَحسَنِ مَحَلٍّ في دارِ النِّساء . [١٠]ولم تُخبِرْ أَسْتيرُ بِشَعبِها وأَصْلِها ، لِأَنَّ مَردَكايَ أَوصاها بِأَن لا تُخبِرَ بِذلك . [١١]وكانَ مَردَكايُ يَتَمَشَّى كُلَّ يَومٍ أَمامَ فِناءِ دارِ النِّساء ، لِيَستَعلِمَ عن سَلامَةِ أَسْتيرَ وما يَحدُثُ لَها .

[١٢]وكانَ لِكُلِّ فَتاةٍ دَورٌ لِلدُّخولِ على المَلِكِ أَحْشورُش، وذلك بَعدَ مُضِيٍّ آثنَي عَشَرَ شَهراً علَيها بِحَسَبِ سُنَّةِ النِّساء، لِأَنَّها هكذا كانَت تَتِمُّ أَيَّامُ تَجْميلِهِنَّ: ستَّةَ أَشهُرٍ بِزَيتِ المُرِّ وسِتَّةَ أَشهُرٍ بِأَطْيابٍ وعُطورِ تَجْميلِ النِّساء. [١٣]وهكذا كانت تَدخُلُ الفَتاةُ على المَلِك، ومَهْما طَلَبَت يُعْطى لَها، فتَدخُلُ بِه مِن دارِ النِّساءِ إِلى دارِ المَلِك. [١٤]كانَت تَذهَبُ في المَساءِ وتَرجِعُ في الصَّباحِ إِلى دارِ النِّساءِ الثَّانِيَة، تَحتَ يد شَعَشْجاز، خَصِيِّ المَلِك، حارِسِ السَّرارِيّ، ثُمَّ لا تَعودُ تَدخُلُ على المَلِكِ إلاَّ عِندَ رَغبَةِ المَلِك، فتُدْعى بِآسمِها.

[١٥]فلَمَّا جاءَ دَورُ أَسْتير، بِنتِ أَبيجائيل، عَمِّ مَرْدَكايَ الَّذي كانَ قدِ آتَّخَذَها آبنَةً لَه، أَن تَدخُلَ على المَلِك، لم تَطلُبْ شَيئاً إِلاَّ ما قالَه هَيجاي، خَصِيُّ المَلِك، حارِسُ النِّساء، فإِنَّها كانَت تُبهِجُ عَينَي كُلِّ مَن رآها. [١٦]فأُخِذَ بِأَسْتيرَ إِلى المَلِكِ أَحشورُش، في دارِ مُلكِه، في الشَّهرِ العاشِرِ الَّذي هو شَهرُ طيبيت، في السَّنَةِ السَّابِعَةِ مِن مُلْكِه. [١٧]فأَحَبَّ المَلِكُ أَسْتيرَ على جَميعِ النِّساء ونالَت حُظْوَةً ورَحمَةً في عَينَيه أَكثَرَ مِن جَميعِ الأَبْكار، فوَضَعَ تاجَ المُلكِ على رأسِها وجَعَلَها مَلِكَةً مَكانَ وَشْتي.

[١٨]ثُمَّ أَقامَ المَلِكُ وَليمةً عَظيمةً لِجَميعِ رُؤَسائِه وحاشِيَتِه، ولِيمَةَ أَسْتير، وخَفَّفَ عن جَميعِ الأَقاليم، وأَعْطى عَطايا بِحَسَبِ كَرَمِ المَلِك.

٢. مردكاي وهامان

١. اكتشف مردكاي مؤامرة تُحاك على شخص الملك

بفضل هذا الاكتشاف، سيستحق مردكاي في وقت لاحق عرفان جميل الملك.

[٢١]وفي تِلكَ الأَيَّام، بَينَما كانَ مَردَكايُ جالِساً بِبابِ المَلِك(١)، اِضطَرَمَ غَيظُ بِجْتانَ وتارَش، خَصِيَّي المَلِك، وهُما آثْنانِ مِن حُرَّاسِ الأَعْتاب، وقَصَدا أَن يُلْقِيا أَيدِيَهما على المَلِكِ أَحْشورُش. [٢٢]فعَلِمَ مَردَكايُ بِالأَمْرِ وأَخبَرَ أَسْتيرَ المَلِكَة فأَخبَرَت أَسْتيرُ المَلِكَ بِآسمِ مَردَكاي. [٢٣]فحُقِّقَ في الأَمرِ فوُجِدَ كذلك، فعُلِّقا كِلاهما على خَشَبَة، ودُوِّنَ ذلك في سِفرِ أَخْبارِ الأَيَّام، في حَضرَةِ المَلِك.

٢. بغض هامان لمردكاي

كان مردكاي أبيًّا فكان يرفض الانحناء أمام هامان، الرجل المقرَّب إلى الملك. فغضب على مردكاي وقصد أن يقضي عليه.

٣ [١]وبَعدَ هذه الأَحْداث، عَظَّمَ المَلِكُ أَحشورُشُ هامانَ بنَ هَمْداتا الأَجاجِيّ(٢)، ورقَّاه وأَجلَسَه فَوقَ جَميعِ الرُّؤَساءِ الَّذينَ عِندَه. [٢]وكانَ جَميعُ خَدَمِ المَلِكِ الَّذينَ بِبابِ المَلِكِ يَجْثونَ ويَسجُدونَ لِهامان، لِأَنَّه هكذا أَمَرَ المَلِك. أَمَّا مَردَكاي فلَم يَكُنْ يَجْثو ولا يَسجُد. [٣]فقالَ لِمَردَكايَ خَدَمُ المَلِكِ الَّذينَ بِبابِ المَلِك: «لِماذا تتعَدَّى أَمرَ المَلِك؟». [٤]وكانوا يقولونَ لَه ذلك يَوماً فيَوماً ولا يَسمَعُ لَهم، فأَخبَروا هامانَ لِيَرَوا هل يَثبُتُ مَردَكايُ على قَولِه، لِأَنَّه كانَ قد أَخبَرَهم بِأَنَّه يَهودِيّ. [٥]فلَمَّا رأَى هامانُ أَنَّ مَردَكايَ لم يَجثُ ولم يَسجُدْ لَه، اِمْتَلأَ غَضَباً. [٦]وصغُرَ في عَينَيه أَن يُلقِيَ يَدَه على مَردَكايَ وَحدَه، لِأَنَّه كانَ قد أُخبِرَ بِشَعبِ

(١) كان مُلحقاً بالديوان الملكي.
(٢) أجاج احدى مناطق ميديا.

مَردَكاي، فقَصَدَ هامانُ أَن يُبيدَ جَميعَ اليَهودِ، شَعبِ مَردَكاي، الَّذينَ في كُلِّ مَملَكَةِ أَحْشورُش.

٣. أمر ملكي بإبادة اليهود

وبدا لهامان أن الطريقة للقضاء على مردكاي هي أمر ملكي بإبادة اليهود. فوعد الملك بمصادرات مثمرة جداً وحصل على موافقته.

[٧]وفي الشَّهرِ الأَوَّلِ الَّذي هو شَهرُ نيسان، في السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشرَةَ لِلمَلِكِ أَحْشورُش، أَلقَوا «فوراً»(٣)، أي قُرعَةً، أَمامَ هامان، لِيَومٍ فيَومٍ وشَهرٍ فشَهْرٍ، إِلى الشَّهرِ الثَّاني عَشَرَ الَّذي هو شَهرُ آذار. [٨]فقالَ هامانُ لِلمَلِكِ أَحْشورُش: «يوجَدُ شَعبٌ مُنتَشِرٌ فَريدٌ بَينَ الشُّعوبِ في جَميعِ أَقاليمِ مَملَكَتِكَ، سُنَنُهم تُخالِفُ سُنَنَ جَميعِ الشُّعوب، ولا يَحفَظونَ سُنَنَ المَلِك، فلا يُوافِقُ المَلِكُ أَن يَترُكَهم وشأنَهم. [٩]فإِن حَسُنَ عِندَ المَلِك، فلْيُكتَب أَمرٌ بِإِهْلاكِهم. وأَنا أَزِنُ عَشرَةَ آلافِ قِنْطارٍ مِنَ الفِضَّةِ لِمَن يَتَوَلَّونَ العَمَل، فتُحمَلُ إِلى خَزائِنِ المَلِك».

[١٠]فنَزَعَ المَلِكُ خاتَمَه من يَدِه ودَفَعَه إِلى هامانَ بنِ هَمْداتا الأَجاجِيِّ، مُضطَهِدِ اليَهود. [١١]وقالَ المَلِكُ لِهامان: «الفِضَّةُ لَكَ والشَّعبُ أَيضاً، تَفعَلُ بِهم كما يَحسُنُ عِندَكَ».

[١٢]فآستُدعِيَ كُتَّابُ المَلِكِ في اليَومِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الشَّهرِ الأَوَّل، وكُتِبَ بِحَسَبِ كُلِّ ما أَمَرَ بِه هامانُ إِلى أَقْطابِ المَلِكِ وإِلى الوُلاةِ الَّذينَ على إِقْليمٍ فإِقْليم، وإِلى رُؤَساءِ شَعبٍ فشَعْب، إِقْليمٍ فإِقْليم، بِحَسَبِ كِتابَتِه، وشَعبٍ فشَعْب، بِحَسَبِ لِسانِهم، كُتِبَ بآسمِ المَلِكِ أَحْشورُش

(٣) كلمة بابلية اشتُقّ منها عيد «فوريم» أو عيد «الانصية».

وخُتِمَ بِخاتَمِ المَلِك . [١٣]وبُعِثَ بِالرَّسائِلِ مع السُّعاةِ إِلى جَميعِ أَقاليمِ المَلِكِ في إِبادَةِ جَميعِ اليَهودِ وقَتلِهم وإِهْلاكِهم ، مِنَ الصَّبِيِّ إِلى الشَّيخ ، مع الأَطْفالِ والنِّساء ، في يَومٍ واحِد ، في الثَّالِثَ عَشَرَ من الشَّهرِ الثَّاني عَشَرَ، الَّذي هو شَهرُ آذار ، وفي سَلْبِ أَمْوالِهم .

[١٤]وأُرسِلَت نُسخَةٌ مِن هذه الرِّسالة لِتُصبِحَ سُنَّةً في كُلِّ إِقْليم ، ونُشِرَت في جَميعِ الشُّعوب ، حتَّى تَكونَ مُتَأَهِّبَةً لذلك اليَوم . [١٥]فخَرَجَ السُّعاةُ مُسرِعينَ بِحَسَبِ أَمرِ المَلِك ، وأُصدِرَ الحُكْمُ في قَلعَةِ شوشَن ، وجَلَسَ المَلِكُ وهامانُ لِلشَّراب . فأَمَّا مَدينةُ شوشَنَ فآضطَرَبَت .

٣. أَستير تخلّص شعبها

١. قرار أستير

بناءً على طلب مردكاي ، قرّرت أستير أن تقوم بمحاولة لدى الملك .

٤ [١]فلَمَّا عَلِمَ مَردَكايُ بِكُلِّ ما حَدَث ، مَزَّقَ ثِيابَه وأَلْقى عليه مِسْحاً ورَماداً[(٤)] ، وخَرَجَ إِلى وَسَطِ المَدينة ، وصَرَخَ صُراخاً عَظيماً مُرًّا . [٢]وجاءَ إِلى أَمامِ بابِ المَلِك ، إِذ لا يَدخُلُ أَحَدٌ بابَ المَلِكِ وهو لابِسٌ المِسْح .

[٤]فجاءَت وَصيفاتُ أَسْتيرَ وخِصْيانُها وأَخبَروها . فآغتَمَّتِ المَلِكَةُ جِدًّا ، وبَعَثَت بِكُسوَةٍ لِيُلبَسَها مَردَكاي ويُنزَعَ عنه مِسحُه ، فأَبى . [٥]فآستَدعَت أَسْتيرُ هَتاكَ ، أَحَدَ خِصْيانِ المَلِكِ الَّذي كانَ أَقامَه أَمامَها ، وأَرسَلَته إِلى مَردَكاي ، لِتَعْلَمَ ما كانَ ولِأَيِّ سَبَب .

(٤) علامات حزن .

[٦]فخَرَجَ هَتاكُ إلى مَردَكاي، إلى ساحةِ المَدينَةِ الَّتي أمامَ بابِ المَلِك. [٧]فأَخبَرَه مَردكايُ بِكُلِّ ما جرى لَه وبِمِقْدارِ الفِضَّةِ الَّذي وَعَدَ هامانُ بِوَزنِه لِخَزائِنِ المَلِكِ لإِبادَةِ اليَهود. [٨]وأَعْطاه نُسخَةَ رِسالةِ الحكمِ المُصدَرِ في شوشَنَ في إهلاكِ اليَهود، لِيُرِيَها لأَسْتيرَ ويُخبِرَها ويوصِيَها بِأَن تدخُلَ على المَلِك، لِتَتَضَرَّعَ إِلَيه وتَتَوَسَّلَ بَينَ يَدَيه من أَجْلِ شَعْبِها. «[٨ب]أُذكُري أَيَّامَ ضَعَتِكِ، كَيفَ أَطعَمتُكِ بِيَدي. فإِنَّ هامان، وهو الرَّجُلُ الثَّاني، أَشارَ على المَلِكِ بِقَتلِنا. [٨ج]فادْعي إلى الرَّبّ، وفاتِحي المَلِكَ في أَمرِنا وأَنقِذينا مِنَ الموت».

[٩]فجاءَ هَتاكُ وأَخبَرَ أَسْتيرَ بِكَلامِ مَردَكاي. [١٠]وتَكَلَّمَت أَسْتيرُ مع هَتاك، وأَوصَته أَن يَقولَ لِمَردَكاي: [١١]«إِنَّ جَميعَ خَدَمِ المَلِكِ وشُعوبِ أَقاليمِ المَلِكِ يَعلَمونَ أَنَّه أَيُّ رَجُلٍ أَو آمرَأَةٍ دَخَلَ على المَلِكِ إلى الدَّارِ الداخِلِيَّةِ مِن غَيرِ أَن يُدْعى، فالسُّنَّةُ فيه واحِدَة، وهي أَن يُقتَل، إِلاَّ مَن مَدَّ له المَلِكُ صَولَجانَ الذَّهَبِ فيَحْيا. وأَنا لم أُدْعَ لِلدُّخولِ على المَلِكِ مُنذُ ثَلاثينَ يوماً».

[١٢]فبَلَّغَ مَردَكايُ كَلامَ أَسْتير. [١٣]فقالَ مَردَكايُ لِيُجيبَ أَسْتير: «لا تَخالي في نَفسِكِ أَنَّكِ تَنجينَ في بَيتِ المَلِكِ دونَ جَميعِ اليهود، [١٤]لأَنَّه إِن لم تَزالي على السُّكوتِ في هذا الوَقْت، فسَيَكونُ فَرَجٌ وخَلاصٌ لِليَهودِ مِن مَكانٍ آخَر[٥]، وأَنتِ وبَيتُ أَبيكِ تَهلِكون. ومَن يَدْري لَعَلَّكِ لِمِثلِ هذا الوَقتِ وَصَلتِ إلى المُلْك».

(٥) يتجنّب الكاتب ذكر اسم الله.

[١٥]فقالَت أَسْتيرُ مُجيبَةً مَردَكاي : [١٦]«إِذْهَبْ وٱجمَعْ كُلَّ اليَهودِ الَّذينَ في شوشَن، وصوموا لِأَجْلي، ولا تأكُلوا ولا تَشرَبوا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لَيلاً ونَهاراً، وأنا ووَصيفاتي نَصومُ كذلك. ثُمَّ أَدخُلُ على المَلِكِ على خِلافِ السُّنَّة. فإِن هَلَكتُ فقَد هَلَكتُ». [١٧]فمَضى مَردَكايُ وفَعَلَ كُلَّ ما أَمَرَته بِه أَسْتير.

٢. صلاة مردكاي وصلاة أستير

[١٧ب]فتَضَرَّعَ إِلى الرَّبِّ مُتَذَكِّراً جَميعَ أَعْمالِ الرَّبِّ وقال :

[١٧ت]«يا رَبُّ، يا ربّ، أَيُّها المَلِكُ القَدير، كُلُّ شَيءٍ في سُلْطانِكَ
ولَيسَ مَن يُقاوِمُكَ في مَشيئَتِكَ أَن تُخَلِّصَ إِسْرائيل.

[١٧ث]فأَنتَ صَنَعتَ السَّماءَ والأَرض وكُلَّ العجائِبِ الَّتي تَحتَ السَّماء.
أَنتَ رَبُّ جَميعِ النَّاس ولَيسَ مَن يَقِفُ في وَجهِكَ أَنتَ الرَّبّ.

[١٧ج]أَنتَ تَعرِفُ كُلَّ شَيء أَنتَ تَعلَمُ، يا رَبّ، أَنِّي لا إِفْراطاً
ولا تَكبُّراً ولا زَهْواً فَعَلتُ هذا :
عَدَمُ السُّجودِ لِهامانَ المُتَكبِّر
فإِنَّه يَطيبُ لي أَن أُقَبِّلَ أَخمَصَ قَدَمَيه لِإِنقاذِ إِسْرائيل.

[١٧ح]لكِنِّي فَعَلتُ هذا لِكَيلا أَضَعَ مَجدَ إِنسانٍ فَوقَ مَجدِ الله
ولَن أَسجُدَ لِأَحَدٍ سِواكَ يا ربّ ولَن أَفعَلَ هذا تَكبُّراً.

[١٧خ]والآن أَيُّها الرَّبُّ الإِلهُ المَلِك إِلهُ إِبْراهيم
اِرْحَمْ شَعبَكَ لِأَنَّهم يَنظُرونَ إِلَينا لِكَي يُهلِكونا
ولِأَنَّهم رَغِبوا في إِبادَةِ ميراثِكَ الَّذي كانَ مُنذُ القِدَم.

[١٧د]لا تُهمِلْ نَصيبَكَ الَّذي ٱفتَدَيتَه لَكَ مِن أَرضِ مِصر.

[١٧ذ] إِستَجِبْ لِصلاتي وٱعطِفْ على نصيبِكَ وحَوِّلْ حُزنَنا إِلى فَرَح لِنَحْيا فنُرَنِّمَ لِاسمِكَ يا ربّ ولا تُهلِكْ أَفْواهَ الَّذينَ يسبِّحونَكَ».

[١٧ر] وكانَ إِسْرائيلُ كُلُّه يَصرُخُ بِكُلِّ قُوَّتِه لِأَنَّ مَوتَه كانَ نُصبَ عَينَيه.

[١٧ز] وإِنَّ أَستيرَ المَلِكةَ أَيضاً ٱلتَجأَت إِلى الرَّبِّ في خَطَرِ المَوتِ الَّذي ٱنقَضَّ علَيها. فخَلَعَت ثِيابَ مَجدِها ولَبِسَت ثِيابَ الشِّدَّةِ والحُزْن، وغَطَّت رأسَها بِالرَّمادِ والأَوساخ، بَدَلَ العُطورِ الفاخِرة، وذَلَّلَت جَسَدَها تَذليلاً، وجَميعُ المَواضِعِ الَّتي كانت تَفرَحُ فيها مِن قَبلُ مَلأَتها مِن شَعرِها الشَّعِث. وكانَت تُصَلِّي إِلى الرَّبِّ إِلهِ إِسْرائيلَ وتَقول:

[١٧س] «ايّها الرَّبُّ مَلِكُنا، أَنتَ الأَوحَد.
أَغِثْني أَنا الوَحيدة والَّتي لا نَصيرَ لَها سِواكَ
فإِنِّي أُخاطِرُ بِنَفْسي.

[١٧ش] لقد سَمِعتُ منذ مَولِدي في سِبطِ أَبي
أَنَّكَ، أَيُّها الرَّبُّ، اتَّخَذتَ إِسْرائيلَ مِن جَميعِ الأُمَم
وآباءَنا مِن جَميعِ أَجْدادِهم لِيكونوا لَكَ ميراثاً أَبَدِيًّا
وأَنَّكَ صَنَعتَ إِلَيهم كُلَّ ما قُلتَه.

[١٧ص] والآن فقَد أَخطَأنا إِلَيكَ فأَسلَمتَنا إِلى أَيدي أَعدائِنا
لِأَنَّنا أَكرَمْنا آلِهَتَهم.
أَنتَ عادِلٌ، يا رَبّ.

[١٧ض] والآن فلَم تَكفِهم مَرارةُ عَبودِيَّتِنا
بل وَضَعوا أَيدِيَهم في أَيدي أَوثانِهم لِإِبْطالِ ما قَضى بِه لِسانُكَ
وإِبادَةِ ميراثِكَ وسَدِّ أَفواهِ المُسَبِّحينَ لَكَ وإِطْفاءِ مَذبَحِكَ ومَجدِ بَيتِكَ

[١٧ط] وفَتح أَفْواهِ الأُمَمِ مَدحاً لِلأَوثانِ الباطلة
والإِعجابِ بِمَلِكٍ بَشَرِيٍّ لِلأَبَد .
[١٧ظ] لا تُسْلِمْ، يا رَبُّ ، صَولَجانَكَ إِلى الَّذينَ لا وُجودَ لَهم
ولا يَشمَتوا بِسُقوطِنا .
بل رُدَّ علَيهم مَشورَتَهم وأَنزِلْ بِأَوَّلِ مَن يُهاجِمُنا عِقاباً يَكونُ عِبرَةً .
[١٧ع] أُذكُرْ، يا ربّ، وأَظهِرْ نَفسَكَ في وَقتِ شِدَّتنا
وهَب لي ثِقَةً بالنَّفْس ، يا مَلِكَ الآلِهَة
ويا أَيُّها المُتَسَلِّطُ على كُلِّ سُلْطة .
[١٧غ] ضَعْ على لِساني كَلاماً مَوزوناً بِحَضرَةِ الأَسَد
وحَوِّلْ قلبَه إِلى بُغضِ مُحارِبِنا
لِيَقضِيَ علَيه وعلى المُتواطِئِينَ معَه .
[١٧ف] أَنقِذْنا بِيَدِكَ ، وأَغِثْني أَنا الوحيدةَ الَّتي لَيسَ لَها سِواكَ يا ربّ .
[١٧ق] إِنَّكَ تَعرِفُ كُلَّ شَيء وتعلَمُ بِأَنِّي أَبغَضتُ مَجدَ
الَّذينَ لا شَريعةَ لَهم
وبِأَنِّي أَكرَهُ مَضجَعَ القُلْفِ وجَميعِ الغُرَباء .
[١٧ك] أَنتَ عالِمٌ بحاجَتي وبِأَنِّي أَكرَهُ شارةَ عَظَمَتي
الَّتي على رَأسي أَيَّامَ ظُهوري
وأَمقُتُها مَقْتَ مِنديلِ الحائض ولا أَحمِلُها في أَيَّامِ راحتي .
[١٧ل] لم تأكُل أَمَتُكَ على مائِدَةِ هامان ولم أُحَبِّذْ مَأدُبَةَ المَلِك
وما شَرِبتُ خَمرَ السُّكُب .
[١٧م] لم تَفرَحْ أَمَتُكَ مِن يَومِ تَبَدُّلِ حالِها إِلى الآن

إلاَّ بِكَ أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ إِبْراهيم .
[١٧ن] أَيُّها الإِلهُ القادِرُ على كُلِّ شيء أَصْغِ إِلى صَوتِ اليائِسين
وأَنقِذْنا مِن أَيدي المُسيئين وأَنقِذْني مِن خوفي» .

٣. أستير عند الملك

مثّلت أستير مشهد الفُتون، فلبّى أحشورش جميع مطاليبها مُسبقاً. فطلبت مهلة .

٥ [١] وكانَ في اليَومِ الثَّالِثِ أَنَّها، لَمَّا كَفَّت عنِ الصَّلاة، نَزَعَت ثِيابَ العِبادَةِ وتَسَربَلَت بِمَجدِها . [١ب] ولَمَّا سطَعَت جَمالاً ودَعَت إِلى اللهِ الَّذي يَرى كُلَّ شَيءٍ ويُخَلِّص، أَخَذَتِ الوَصيفَتَين . فكانَت تَستَنِدُ إِلى إِحداهُما كأَنَّها مُستَرخِيَة، وأَمَّا الأُخرى فكانَت تَتبَعُ رافِعَةً لَها أَذْيالَها . وكانَت مُحمَرَّةً في أَوجِ جَمالِها، مُبتَسِمةَ الوَجهِ كالعاشِقَة . ولكِنَّ قَلبها كانَ مُنقَبِضاً مِنَ الخَوف . [١ت] فاَجتازَت جَميعَ الأَبْواب . ثُمَّ وَقَفَت أَمامَ المَلِك، وكانَ جالِساً على عَرشِ مُلكِه، مُرتَدِياً كُلَّ زينَةِ ظُهورِه، كُلُّه ذَهَبٌ وجَواهِر، وكانَ شَديدَ الرَّهبَة . [١ث] فرَفَعَ وَجهَه المُتَلالِئَ مَجداً وأَلْقى نَظرَةً وهو في أَشَدِّ غَضَبِه . فآنهارَتِ المَلِكَةُ وتَغَيَّرَ لَونُها مِنَ الضُّعْف وأَسنَدَت رأسَها إِلى رأسِ الوَصيفَةِ الَّتي كانت تَتَقَدَّمُها . [١ج] فحَوَّلَ اللهُ روحَ المَلِكِ إِلى اللِّين، فقَلِقَت نَفسُه ووَثَبَ عن عَرشِه وضَمَّها بِذِراعَيه حتَّى عادَت إِلى نَفسِها . وكانَ يُشَدِّدُ عَزيمَتَها بِكَلِماتٍ مُطَمئِنَة [١ح] فيَقولُ لَها : «ما بِكِ يا أَسْتير؟ أَنا أَخوكِ، أَنعِمي بالاً، لن تَموتي، فإِنَّما أَمرُنا يَسْري على عامَّةِ النَّاس . اِقتَرِبي» . [٢] فرَفَعَ صَولَجانَ الذَّهَب وجَعَلَه على عُنُقِها، ثُمَّ قَبَّلَها وقال : «كَلِّميني» . [٢ب] فقالَت لَه : «رأَيتُكَ، يا سَيِّدي، كأَنَّكَ مَلاكٌ مِن

مَلائِكَةِ الله ، فَاضطَرَبَ قَلْبي هَيبَةً مِن مَجدِكَ . لِأَنَّكَ عَجيبٌ ، يا سَيِّدي ، ووَجهُكَ كُلُّه رَوعَةٌ» . [٢]وفيما هي تَتَكَلَّم ، اِنهارَت مِن ضُعفها ، فَاضطَرَبَ المَلِكُ وكانَ جَميعُ حاشِيَتِه يُحاوِلونَ أَن يُشَدِّدوا عَزيمَتِها . [٣]فقالَ لَها المَلِك : «ما بِكِ يا أَسْتيرُ المَلِكَة وما بُغيَتُكِ ؟ ولَو كانَت نِصفَ المَملَكَة ، فإِنَّها تُعْطى لَكِ» . [٤]فأَجابَت أَسْتير : «إِن حَسُنَ عِندَ المَلِك ، فلْيَأْتِ المَلِكُ وهامانُ هذا اليَومَ إِلى المَأدُبَةِ الَّتي أَعدَدتُها لَه» . [٥]فقالَ المَلِك : «إِستَعجِلوا هامانَ لِيَفعَلَ كما قالَت أَسْتير» .

ثُمَّ جاءَ المَلِكُ وهامانُ إِلى المَأدُبَةِ الَّتي أَقامَتها أَسْتير . [٦]فقالَ المَلِكُ لِأَستيرَ أَثْناءَ المَأدُبَة : «ما بُغيَتُكِ فتُعطى لَكِ، وما طَلِبَتُكِ ؟ ولَو كانَ نِصفَ المَملَكَةِ فيُقْضى» . [٧]فأَجابَت أَسْتيرُ وقالَت : «هذه بُغيَتي وطَلَبي . . . [٨]إِن نِلتُ حُظوَةً في عَينَي المَلِك ، وإِن حَسُنَ عِندَ المَلِكِ أَن يُلَبِّيَ بُغيَتي ويَقضِيَ طَلَبي ، فلْيَأتِ المَلِكُ وهامانُ إِلى المَأدُبَةِ الَّتي أُقيمُها لَهُما غَداً ، فأَعمَلُ أَنا بِحَسَبِ أَمرِ المَلِك» .

٤. اذلال هامان

في هذه الاثناء ، أراد الملك أن يكافئ مردكاي على تدخله الماضي لإنقاذه ، فكان على هامان أن ينفّذ مراسم التكريم .

[٩]فخَرَجَ هامانُ ذلك اليَومَ فَرِحاً مَسْرورَ القَلْب . ولَمَّا رأَى هامانُ مَردَكايَ بِبابِ المَلِك وأَنَّه لم يَقُمْ لَه ولم يَتَحَرَّكْ ، اِمتَلأَ هامانُ غَيظاً على مَردَكاي . [١٠]إِلاَّ أَنَّ هامانَ ضَبَطَ نَفسَه وجاءَ إِلى بَيتِه وأَرسَلَ فأَحضَرَ أَصدِقاءَه وزَوجَتَه زارَش . [١١]وحَدَّثَهم هامانُ بِبَهجَةِ ثَروَتِه وكَثرَةِ بَنيه وكُلِّ ما عَظَّمَه بِه المَلِك ، وكَيفَ رَفَعَه على الرُّؤَساءِ وحاشِيَةِ المَلِك . [١٢]وأَضافَ

هامان : «وفَوقَ ذلك فإنَّ أَسْتيرَ المَلِكَةَ لم تُدخِلْ أَحَداً سِوايَ مع المَلِكِ إِلى المَأدُبَةِ الَّتي أَقامَتها ، وإِنِّي غداً مَدعُوٌّ أَيضاً إِلَيها مع المَلِكِ. [١٣] إِلاَّ أَنَّ هذا كُلَّه كلا شَيءٍ عِنْدي ، ما دُمتُ أَرى مَردَكايَ اليَهودِيَّ جالِساً بِبابِ المَلِك» . [١٤] فقالَت لَه زارَشُ زَوجَتُه وجَميعُ أَصدِقائِه : «لِتُصنَعْ خَشَبَةٌ آرتِفاعُها خَمْسونَ ذِراعاً ، وغَداً كَلِّم المَلِكَ فيُعَلَّقَ علَيها مَردَكاي ، ثُمَّ آدخُلْ مع المَلِكِ إِلى المَأدُبَةِ فَرِحاً» . فحَسُنَ القَولُ عِندَ هامان ، وصَنَعَ الخَشَبَة .

٦ [١] وفي تِلكَ اللَّيلَة ، أَرِقَ المَلِك ، فأَمَرَ أَن يُؤتى بِسِفرِ الذِّكرَيات ، أَي بِأَخْبارِ الأَيَّام ، وقُرِئَ أَمامَ المَلِك . [٢] فوُجِدَ مَكْتوباً أَنَّ مَردَكايَ كانَ قد أَخبَرَ عن بِجْتانا وتارَش ، خَصِيَّي المَلِك ، مِن حُرَّاسِ الأَعْتاب ، اللَّذَينِ قَصَدا أَن يُلقِيا أَيدِيَهما على المَلِكِ أَحْشورُش . [٣] فقالَ المَلِك : «ماذا صُنِعَ مِنَ الإِكرامِ والتَّعظيمِ لِمَردَكايَ لِأَجلِ هذا؟» فقالَ خَدَمُ المَلِكِ الَّذينَ يَخدِمونَه : «لم يُصنَعْ لَه شَيء» . [٤] فقالَ المَلِك : «مَن في الدَّار؟» وكانَ هامانُ قد جاءَ إِلى دارِ بَيتِ المَلِكِ الخارِجِيَّة ، لِيُكَلِّمَ المَلِكَ في تَعْليقِ مَردَكايَ على الخَشَبَةِ الَّتي أَعَدَّها لَه . [٥] فقالَ لِلمَلِكِ خَدَمُه : «هُوَذا هامانُ واقِفٌ في الدَّار» . فقالَ المَلِك : «لِيَدخُلْ» . [٦] فدَخَلَ هامان ، فقالَ لَه المَلِك : «ماذا يُصنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذي يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه؟» فقالَ هامانُ في نَفسِه : «مَن يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه أَكثَرَ مِنِّي؟» [٧] فقالَ هامانُ لِلمَلِك : «الرَّجُلُ الَّذي يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه ، [٨] يأتونَه بِثِيابِ المَلِكِ الَّتي يَلبَسُها المَلِك ، وبالفَرَسِ الَّذي يَركَبُه المَلِك ، ويوضَعُ تاجُ المَلِكِ على رَأسِه ، [٩] وتُسَلَّمُ الثِّيابُ والفَرَسُ إِلى يَدِ رَجُلٍ مِن رُؤَساءِ المَلِك ، مِنَ الأَشْراف ،

فيَلبَسُ الرَّجُلُ الَّذي يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه، ويُركَبُ على الفَرَسِ في ساحةِ المَدينَة، ويُنادى أَمامَه: هكذا يُصنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذي يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه». [١٠] فقالَ المَلِكُ لِهامان: «أَسْرِعْ وخُذِ الثِّيابَ والفَرَسَ، كما قُلتَ، وآصنَعْ هكذا لِمَردَكايَ اليَهودِيِّ الجالِسِ بِبابِ المَلِك، ولا تُهمِلْ كَلِمَةً مِن كُلِّ ما قُلتَه».

[١١] فأَخَذَ هامانُ الثِّيابَ والفَرَس، وأَلبَسَ مَردَكاي، وأَركَبَه الفَرَسَ في ساحَةِ المَدينة، ونادى أَمامَه: «هكذا يُصنَعُ لِلرَّجُلِ الَّذي يَرغَبُ المَلِكُ أَن يُكرِمَه». [١٢] ورَجَعَ مَردَكايُ إِلى بابِ المَلِك، وأَسرَعَ هامانُ إِلى بَيتِه حَزيناً مُغَطَّى الرَّأس. [١٣] وأَخبَرَ هامانُ زارَشَ زَوجَتَه وجَميعَ أَصدِقائِه بِكُلِّ ما جَرى لَه. فقالَ لَه مُستَشاروه وزارَشُ زَوجَتُه: «إِن كانَ مَردَكايُ الَّذي أَخَذتَ تَسقُطُ أَمامَه هو مِن نَسْلِ اليَهود، فلا تَقْوى علَيه، بل أَنتَ تَسقُطُ أَمامَه».

[١٤] وفيما هم يَتَكَلَّمونَ معَه، جاءَ خِصْيانُ المَلِك، وأَسرَعوا في الذَّهابِ بِهامانَ إِلى المَأدُبَةِ الَّتي أَعَدَّتها أَستير.

٥. أستير تحصل على خلاص شعبها

في أثناء مأدبة، اعترفت أستير بأن حياتها وحياة شعبها في خطر وبأن المسؤول هو هامان. فعُلِّق هامان من ساعته على الخشبة التي أعدَّها لمردكاي.

٧ [١] فجاءَ المَلِكُ وهامانُ إِلى المَأدُبَةِ مع أَستيرَ المَلِكَة. [٢] فقالَ المَلِكُ لِأَستيرَ أَيضاً في اليَومِ التَّالي أَثْناءَ المَأدُبَة: «ما بُغيَتُكِ، يا أَستيرُ المَلِكَة فتُعْطى لَكِ وما طَلِبَتُكِ؟ ولَو كانَ نِصفَ المَملَكَةِ فيُقْضى». [٣] فأَجابَت أَستيرُ المَلِكَةُ وقالَت: «إِن نِلتُ حُظوَةً في عَينَيكَ، أَيُّها المَلِك، وإِن حَسُنَ عِندَ المَلِك،

فلْتُهَبْ لي حياتي ، هذه هي بُغْيَتي ، وحَياةُ شَعْبي ، هذا هو طَلَبي ، [٤] لِأَنَّنا مَبيعونَ أَنا وشَعْبي لِلإبادَةِ والقَتْلِ والهَلاك . ولَو كُنَّا مَبيعينَ عَبيداً وإماءً ، لَكُنتُ سَكَتُّ . إلاَّ أَنَّ مُضطَهِدَنا لا يُعَوِّضُ الضَّرَرَ اللاَّحِقَ بالمَلِك» . [٥] فأَجابَ المَلِكُ أَحْشورُشُ وقالَ لِأَسْتيرَ المَلِكَة : «مَن هو وأَينَ ذاكَ الَّذي آرتَأى في قَلبِه أَن يَفعَلَ هكذا ؟» [٦] فقالَت أَسْتير : «الرَّجُلُ المُضطَهِدُ العَدُوُّ هو هامانُ هذا الشِّرِّير» . فآرتَعَدَ هامانُ أَمامَ المَلِكِ والمَلِكَة . [٧] وقامَ المَلِكُ مُغضَباً عنِ المَأدُبَةِ إِلى حَديقَةِ القَصْر . فبَقِيَ هامانُ لِيَتَوَسَّلَ عن نَفسِه إِلى أَسْتيرَ المَلِكَة ، لِأَنَّه رأَى أَنَّ الشَّرَّ قد تَمَّ علَيه مِن قِبَلِ المَلِك .

[٨] ثُمَّ رَجَعَ المَلِكُ مِن حَديقَةِ القَصْرِ إِلى بَيتِ المَأدُبَة ، وكانَ هامانُ قد انهارَ على السَّريرِ الَّذي علَيه أَسْتير . فقالَ المَلِك : «أَيَغتَصِبُ المَلِكَةَ أَيضاً عِنْدي في البَيت ؟» وما إِن خَرَجَت هذه الكَلِمَةُ مِن فَمِ المَلِك ، حَتَّى غَطَّوا وَجهَ هامان(٦) . [٩] فقالَ حَربونَة ، أَحَدُ الخِصْيان ، أَمامَ المَلِك : «ها إِنَّ الخَشَبَةَ الَّتي صَنَعَها هامانُ لِمَردَكاي ، الَّذي تَكَلَّمَ لِخَيرِ المَلِك ، مَنْصوبَةٌ في بَيتِ هامان ، اِرتِفاعُها خَمْسونَ ذِراعاً» . فقالَ المَلِك : «عَلِّقوه علَيها» . [١٠] فعَلَّقوا هامانَ على الخَشَبَةِ الَّتي أَعَدَّها لِمَردَكاي . وسَكَنَ غَضَبُ المَلِك .

٨ [٣] وعادَت أَسْتيرُ فتَكَلَّمَت أَمامَ المَلِك ، وآرتَمَت عِندَ قَدَمَيه وبَكَت وتَضَرَّعَت إِلَيه في إِزالَةِ الشَّرِّ الَّذي أَعَدَّه هامانُ الأَجاجِيّ والتَّدبيرِ الَّذي دَبَّرَه على اليَهود . [٤] فمَدَّ المَلِكُ صَولَجانَ الذَّهَبِ نَحوَ أَسْتير ، فقامَت أَسْتيرُ ووَقَفَت أَمامَ المَلِك ، [٥] وقالَت : «إِن حَسُنَ عِندَ المَلِكِ وإِن نِلتُ حُظوَةً في

(٦) كانوا يغطّون وجه الذين سيُعلَّقون على الخشبة .

عَينَيه واَستَقامَ الأَمرُ لَدى المَلِك ، وكَرُمتُ في عَينَيه ، فلْيُكتَبْ بأَن يُرجَعَ عنِ الرَّسائِلِ الخاصَّةِ بِتَدْبيرِ هامانَ بنِ هَمْداتا الأَجاجِيِّ الَّتي كَتَبَها في إِهْلاكِ اليَهودِ الَّذينَ في جَميعِ أَقاليمِ المَلِك . [٦]فإِنِّي كَيفَ أَقدِرُ أَن أَرى الشَّرَّ الَّذي يَنالُ شَعْبي ، وكَيفَ أَقدِرُ أَن أَرى هَلاكَ بَني قَومي ؟» .

[٧]فقالَ المَلِكُ أَحشورُشُ لِأَستيرَ المَلِكَةِ ولِمَردَكايَ اليَهودِيّ : «هاءَنَذا قد أَعطَيتُ أَستيرَ بَيتَ هامان . وأَمَّا هو فقَد عَلَّقوه على الخَشَبَة ، لِأَنَّه مَدَّ يَدَه على اليَهود . [٨]فاَكتُبا أَنتُما في أَمرِ اليَهودِ كما يَحسُنُ في أَعيُنِكما بِاَسمِ المَلِك ، واَختِما بِخاتَمِ المَلِك ، لِأَنَّ الكِتابَةَ المَكْتوبَةَ بِاَسمِ المَلِكِ والمَخْتومَةَ بِاَسمِ المَلِكِ لا رُجوعَ عنها» .

٩ [١]في الشَّهرِ الثَّاني عَشَر ، الَّذي هو شَهرُ آذار ، في اليَومِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، في اليَومِ الَّذي آنَ فيه تَنْفيذُ أَمرِ المَلِكِ وحُكمِه ، في اليَومِ الَّذي كانَ فيه أَعْداءُ اليَهودِ يَرْجونَ التَّسَلُّطَ علَيهم ، اَنقَلَبَ الوَضْعُ ، فكانَ لِليَهودِ التَّسَلُّطُ على مُبغِضيهم . [٢]إِجتَمَعَ اليَهودُ في مُدُنِهم ، في جَميعِ أَقاليمِ أَحشورُشَ المَلِك ، لِكَي يُلْقوا أَيدِيَهم على جَميعِ طالِبي الإِساءَةِ إِلَيهم ، فلَم يَقِفْ أَحَدٌ في وُجوهِهم ، لِأَنَّ خَوفَهم وَقَعَ على جَميعِ الشُّعوب . [٣]وكانَ جَميعُ رُؤَساءِ الأَقاليمِ والأَقْطابِ والوُلاةِ ووُكَلاءِ عَمَلِ المَلِكِ يُساعِدونَ اليَهود ، لِأَنَّ خَوفَ مَردَكايَ وَقَعَ علَيهم ، [٤]اذ كانَ مَردَكايُ عَظيماً في بَيتِ المَلِك ، وقد سارَ ذِكرُه في جَميعِ الأَقاليم ، لِأَنَّ مَردَكايَ كانَ لا يَزالُ يَتعاظَم .

٦. خاتمة طقسية : عيد فوريم

المراد بهذا العيد إحياء ذكرى الخلاص الذي منحه الله لليهود بواسطة أستير .

[17]فَعَلوا ذلك في اليَومِ الثَّالِثَ عَشَرَ مِن شَهرِ آذار ، وآستَراحوا في اليَومِ الرَّابِعَ عَشَرَ مِنه ، وجعَلوه يَومَ مَأدُبَةٍ وفَرَح . [18]وأَمَّا اليَهودُ الَّذينَ في شوشَن ، فإِنَّهمُ آجتَمَعوا في الثَّالِثَ عَشَرَ والرَّابِعَ عَشَرَ مِنه ، وآستَراحوا في الخامِسَ عَشَرَ مِنه ، وجعَلوه يَومَ مَأدُبَةٍ وفَرَح . [19]ولِذلك جعَلَ اليَهودُ الَّذينَ في القُرى ، السَّاكِنونَ مُدُناً غيرَ مُسَوَّرَة ، اليَومَ الرَّابِعَ عَشَرَ مِن شَهرِ آذارَ يَومَ فَرَحٍ ومَأدُبَة ، ويَومَ خَيرٍ وإِرسالِ حِصَصٍ مِن بَعضِهم إِلى بَعْض . [19ب]أَمَّا سُكَّانُ العَواصِم ، فإِنَّهم يَحتَفِلونَ أَيضاً بالخامِسَ عَشَرَ مِن آذارَ آحتِفالَهم بِيَومِ يُمنٍ وآبتِهاج ، فيَتَبادَلونَ إِرْسالَ الحِصَص(٧) .

[27]سَنَّ اليَهودُ وأَوجَبوا على أَنفُسِهم وعلى نَسلِهم وعلى كُلِّ مَن يَنضَمُّ إِلَيهم أَن لا يُبطَلَ تَعْييدُهم لِهذينِ اليَومَينِ بِحَسَبِ كِتابَتِهما وأَوقاتِهما كُلَّ سَنَة ، [28]وأَن يُذكَرَ هذانِ اليَومانِ ، ويُعَيَّدا في كُلِّ جيلٍ وكُلِّ عَشيرةٍ وكُلِّ إِقْليمٍ وكُلِّ مَدينة ، وأَنَّ يَومَي «فوريم» هذَينِ لا يُبطَلانِ مِن بَينِ اليهود ، ولا يُنسَخُ ذِكرُهما مِن نَسْلِهم .

(٧) كان عيد فوريم عيداً مدنياً . في نهاية اليوم الاول منه ، وكان يوم صوم ، كانوا يشعلون المصابيح . كان الربّانيون يجيزون الاكثار من الشرب .

مدخل

الى سِفرَي المكّابيِّين الاول والثاني

يرتبطان بأسفار **طوبيا ويهوديت وأَستير**، لانهما يتناولان اضطهاد انطيوخس ابيفانيوس (١٦٨) وخلفائه. لكن تلك الاسفار الثلاثة كثيراً ما أشعرتنا بالرجاء من خلال قصصها الروائية، في حين أن سفرَي المكّابيين يرويان لنا ما بذله اليهود من جهود للحصول على الحرية الدينية، ويحتويان على تفكير لاهوتي في التاريخ.

لا صلة بين السفرَين كالصلة التي وجدناها بين سفرَي **صموئيل** أو سفرَي **الملوك**، فهما متوازيان بالاحرى، وهناك بعض الاحداث رواها كل من الكاتبَين.

سِفرُ المكّابيّين الأوّل

يروي لنا الكاتب نشأة التمرّد اليهودي، والدور الذي قام به أبناء متتيا الثلاثة: يهوذا ويوناتان وسمعان (١٧٥ - ١٣٤). مجمل الوقائع المروية مطابق للواقع. لكنه يجوز لنا أن نقول اننا أمام تاريخ دفاعي، لان الرواية تهدف إلى رفع شأن التمرّد المكابيّ الذي يظهر بمظهر حرب مقدسة. من الراجح أن الكتاب أُلّف في أورشليم في حوالى السنة ١٠٠.

١. أوائل التمرّد

التمهيد: فتوحات الاسكندر

قضى الاسكندر على الدولة الفارسية وأنشأ امبراطورية يونانية مقدونية واسعة، امتدَّت من مصر الى الهند. ولقد ورث انطيوخس ابيفانيوس، مضطهد اليهود الاكبر، جزءًا من هذه الامبراطورية. ومن هنا التمهيد التالي:

١ [١]كان أَنَّ الإسكَندَرَ بنَ فيلِبُّسَ المَقْدونِيّ، بَعدَ أَن خَرَجَ مِن أَرضِ كِتّيم(١) وكَسَرَ دارِيوس، مَلِكَ فارِسَ وميدِيا، ومَلَكَ مَكانَه مُبتَدِئاً باليونان، [٢]شَنَّ حُروباً كَثيرةً وفَتَحَ حُصوناً وقَتَلَ مُلوكَ المِنطَقَة، [٣]واجتازَ إِلى أَقاصي الأَرض وسَلَبَ غَنائِمَ جُمْهورٍ مِنَ الأُمَم، وسَكَتَتِ الأَرضُ بَينَ

(١) قبرس أولاً، ثم بلدان أخرى، منها مقدونية.

يَدَيه، فتَرَفَّعَ في قَلبِه وتَشامَخ. [٤]وحَشَدَ جَيشاً قَوِيًّا جِدًّا وأَخضَعَ البِلادَ والأُمَمَ والسَّلاطين، فكانوا يَدفَعونَ لَه الجِزيَة. [٥]وبَعدَ ذلكَ لَزِمَ الفِراش وعَرَفَ أَنَّه يُشرِفُ على المَوت. [٦]فدَعا أَشْرافَ ضُبَّاطِه الَّذينَ تَرَبَّوا معَه مُنذُ الصِّبا، فقَسَمَ مَملَكَته بَينَهم وهو لا يَزالُ حيًّا(٢). [٧]وكانَ الإِسكَندَرُ قد مَلَكَ اَثنَتَي عَشرَةَ سَنَةً حينَ مات. [٨]فتَوَلَّى ضُبَّاطُه المُلكَ كُلٌّ واحِدٍ في مِنطَقَتِه. [٩]ولَبِسَ كُلٌّ مِنهُمُ التَّاجَ بَعدَ وَفاتِه، وكذلكَ بَنوهم مِن بَعدِهم سِنينَ كَثيرة، فأَكثَروا مِنَ الشُّرورِ في الأَرض.

١. أنطيوخس ابيفانيوس في أورشليم

في بدء الامر، ربما كانت الرغبة في المال الدافع الرئيسي الى نهب الهيكل.

[١٠]وخَرَجَ مِنهم عِرقٌ أَثيمٌ هو أَنطِيوخُسُ أَبيفانيوسُ بنُ أَنطِيوخُس المَلِك، وكانَ رَهينةً في روما، ثُمَّ مَلَكَ في السَّنَةِ المِئَةِ والسَّابِعَةِ والثَّلاثينَ مِن مَملَكَةِ اليونان(٣). [١١]وفي تِلكَ الأَيَّامِ خَرَجَ مِن إِسْرائيلَ أَبْناءٌ لا خَيرَ فيهم فأَغرَوا كَثيرينَ بِقَولِهم: «هَلُمُّوا نَعقِدُ عَهداً معَ الأُمَمِ الَّتي حَولَنا، فإِنَّنا مُنذُ اَنفَصَلنا عنهم لَحِقَتنا شُرورٌ كَثيرة»(٤). [١٢]فحَسُنَ الكَلامُ في عُيونِهم. [١٣]وبادَرَ بَعضٌ مِنَ الشَّعبِ وذَهَبوا إِلى المَلِك، فأَذِنَ لَهم أن

(٢) مختصر تاريخ. في الواقع، مات الاسكندر في ٣٢٣. وبعد صراعات كثيرة في ٢٨٠، بدت الامبراطورية منقسمة الى ثلاثة أقسام: مصر واللاَّجين، وآسية والسلوقيون، ومقدونية والانطيكونيون.

(٣) كان أنطيوخس الرابع أبيفانيوس السلوقي (١٧٥-١٦٣) مضطهد اليهود الاكبر. وكانت له امبراطورية مختلطة جداً. وكان يرى أن الحضارة اليونانية وحدها تصلح لان تكون خميرة وحدة. لكن اليهود كانوا متصلّبين.

(٤) مشكلة إنسانية: هل الدين اليهودي يتعارض والحضارة اليونانية؟

يَعمَلوا بِأَحكامِ الأُمَم. [١٤] فبَنَوا مُؤَسَّسةً رِياضِيَّةً بَدَنِيَّةً في أُورَشَليمَ على حَسَبِ سُنَنِ الأُمَم، [١٥] وعَمِلوا لِأَنفُسِهم قُلَفاً وآرتَدُّوا عنِ العَهدِ المُقَدَّس وآقتَرَنوا بِالأُمَم، وباعوا أَنفُسَهم لِعَمَلِ الشَّرّ.

[١٦] ولَمَّا آستَتَبَّ المُلكُ لِأَنطيوخُس، عَزَمَ على أَن يَكونَ مَلِكَ مِصرَ، لِيَملِكَ على كِلتا المَملَكَتَين. [١٧] فدَخَلَ مِصْرَ بِجَيشٍ عَظيمٍ ومَركَباتٍ وأَفْيالٍ وفُرْسانٍ وأُسْطولٍ عَظيم، [١٨] وشَنَّ الحَربَ على بَطْليمُسَ مَلِكِ مِصْر، فتَراجَعَ بَطْليمُسُ أَمامَ وَجهِه وهَرَب، وسَقَطَ جَرْحى كَثيرون. [١٩] فآستَولَوا على المُدُنِ الحَصينةِ بِأَرضِ مِصر، وسَلَبَ أَنطيوخُسُ غَنائِمَ أَرضِ مِصْر. [٢٠] ورَجَعَ أَنطيوخُسُ بَعدَما كَسَرَ مِصْرَ، وذلك في السَّنَةِ المِئَةِ والثَّالِثَةِ والأَربَعين(٥)، وصَعِدَ إِلى إِسْرائيلَ وإِلى أُورَشَليمَ بِجَيشٍ عَظيم.

[٢١] ودَخَلَ المَقدِسَ مُتَعَجرِفاً وأَخَذَ مَذبَحَ الذَّهَبِ ومَنارَةَ النُّور مع جَميعِ أَدَواتِها [٢٢] ومائِدَةَ التَّقدِمَةِ والأَباريقَ والكُؤُوسَ وقِصاعَ الذَّهَبِ والحِجابَ والأَكاليلَ والحِلْيَةَ الذَّهَبِيَّةَ الَّتي كانَت على واجِهَةِ الهَيكَلِ ونَزَعَ عَنها تَلْبيسَها كُلَّه. [٢٣] وأَخَذَ الفِضَّةَ والذَّهَبَ والآنِيَةَ النَّفيسَة، وأَخَذَ ما وَجَدَ مِنَ الكُنوزِ المَكْنونة(٦). [٢٤] أَخَذَ كُلَّ ذلك وآنصَرَفَ إِلى أَرضِه، وأَكثَرَ مِنَ القَتْلِ وتَكَلَّمَ بِتَعَجرُفٍ عَظيم.

[٢٩] وبَعدَ سَنَتَين(٧)، أَرسَلَ المَلِكُ رَئيسَ الجِزيَةِ إِلى مُدُنِ يَهوذا(٨)،

(٥) ١٦٩.
(٦) ١٦٨.
(٧) ١٦٧.
(٨) يبدو أنه كان رئيساً عسكرياً بالاحرى.

فوَفَدَ على أُورَشَليمَ في جَيشٍ عَظيم . [٣٠]وخاطَبَهم خِطابَ سَلامٍ مَكْراً فوَثِقوا بِه ، ثُمَّ هَجَمَ على المَدينةِ فَجأَةً وضَرَبَها ضَربَةً شَديدة وأَهلَكَ شَعباً كَثيراً مِن إسْرائيل . [٣١]وسَلَبَ غَنائِمَ المَدينة وأَحرَقَها بِالنَّارِ وهَدَمَ بُيوتَها وأَسْوارَها المُحيطَةَ بِها . [٣٢]وسَبَوُا النِّساءَ والأَولاد وآستَولَوا على المَواشي . [٣٣]وأَعادوا بِناءَ مَدينةِ داوُد ، فبَنَوا سوراً عَظيماً مَتيناً وبُروجاً حَصينة ، فصارَت قَلعَةً لَهم . [٣٤]وجَعَلوا هُناكَ أُمَّةً أَثيمةً مِن رِجالٍ لا خَيرَ فيهم ، فتَحَصَّنوا فيها . [٣٥]ووَضَعوا فيها السِّلاحَ والطَّعام ، وجَمَعوا غَنائِمَ أُورَشَليم ووَضَعوها هُناكَ وصارَت فخًّا عَظيماً .

[٣٦]وكانَ ذلك مَكمَناً لِلمَقدِس وخَصماً مُؤذِياً لِإِسْرائيلَ على الدَّوام(٩) .

[٣٧]فسَفَكوا الدَّمَ الزَّكِيَّ حَولَ المَقدِس ونَجَّسوا المَقدِس .

٢. الاضطهاد الرسمي

لم يكن المَلِك رجلاً يقبل ذلك الدين اليهودي الذي لا يعرف التساهل . فشنَّ اضطهاداً كان له هدف سياسيّ في بدء الامر : ذلك بأن اليهود ، ان قبلوا العادات اليونانية – بما فيها الدين – زادوا الامبراطورية وحدةً . وإلاّ ، طلب اليهود الحكم الذاتي للحصول على الاستقلال الديني .

[٤١]وكَتَبَ المَلِكُ أَنطِيوخُسُ إلى مَملَكَتِه كُلِّها(١٠) بِأَن يَكونوا جَميعاً شَعباً واحِداً [٤٢]ويَترُكوا كُلُّ واحِدٍ سُنَنَه ، فأَذعَنَتِ الأُمَمُ بِأَسرِها لِكَلامِ المَلِك . [٤٣]وكَثيرونَ مِن إِسْرائيلَ رَحَّبوا بِعِبادَتِه فذَبَحوا لِلأَصْنامِ وآستَباحوا

(٩) قلعة أورشليم هي التي آوت الحامية السورية حتى ١٤١. كانت مبنيّة في غرب الهيكل، على التلّة الغربية .

(١٠) خريف ١٦٧.

حُرمَةَ السَّبْت . ⁴⁴وأنفَذَ المَلِكُ كُتُباً عن أَيدي رُسُلٍ إِلى أُورَشَليمَ ومُدُنِ يَهوذا أن يَتبَعوا سُنَناً غَريبةً عن أَرضِهم ، ⁴⁵ويُبعِدوا المُحرَقاتِ والذَّبيحَةَ والسَّكيبَ عنِ المَقدِس ويستَبيحوا حُرمَةَ السُّبوتِ والأَعْياد ، ⁴⁶ويُنَجِّسوا المَقدِسَ والأَقْداس ، ⁴⁷ويَبْنوا مَذابِحَ وهَياكِلَ ومَعابِدَ لِلأَصْنام ويَذبَحوا الخَنازيرَ والحَيَواناتِ النَّجِسَة . ⁴⁸ويَترُكوا بَنيهم قُلْفاً ويُنَجِّسوا أَنفُسَهم بِكُلِّ نَجاسةٍ وقَبيحة ، ⁴⁹كَي يَنسَوُا الشَّريعة ويُغَيِّروا جَميعَ الأَحْكام . ⁵⁰ومَن لا يَعمَلْ بِمُقتَضى كَلامِ المَلِكِ يُقتَلْ(١١) . ⁵¹وكَتَبَ بِمِثْلِ هذا الكَلامِ كُلِّه إِلى مَملَكَتِه بِأَسرِها وأَقامَ مُراقِبينَ عَلى كُلِّ الشَّعْب ، وأَمَرَ مُدُنَ يَهوذا بِأَن يَذبَحوا(١٢) في كُلِّ مَدينة . ⁵²فآنضَمَّ إِلَيهم كَثيرونَ مِنَ الشَّعْب ، كُلُّ مَن نَبَذَ الشَّريعة ، فصَنعوا الشَّرَّ في تِلكَ الأَرض . ⁵³وأَلجَأُوا إِسْرائيلَ إِلى المَخابِئِ في كُلِّ مَكانٍ فَرُّوا إِلَيه .

⁵⁴وفي اليَومِ الخامِسَ عَشَرَ مِن كِسْلُو في السَّنةِ المِئَةِ والخامِسَةِ والأَربَعين(١٣) ، بَنى المَلِكُ شَناعَةَ الخَرابِ(١٤) على مَذبَحِ المُحرَقات ، وبَنَوا مَذابِحَ في مُدُنِ يَهوذا مِن كُلِّ ناحِيَة . ⁵⁵وكانوا يُحرِقونَ البَخورَ على أَبْوابِ البُيوتِ وفي السّاحات . ⁵⁶وما وَجَدوه مِن أَسْفارِ الشَّريعَةِ مَزَّقوه وأَحرَقوه بِالنَّار . ⁵⁷وكُلُّ مَن وُجِدَ عِندَه سِفرٌ مِنَ العَهدِ أَوِ اتَّبَعَ الشَّريعة ،

(١١) في ١٩٨، كان أنطيوخس الثالث قد منح اليهود الحرية الدينية . ولمّاَ أُلغي هذا الامتياز ، أصبحت ممارسة الشريعة اليهودية عمل معارضة سياسية .

(١٢) ذبائح وثنية .

(١٣) ٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٦٧ .

(١٤) شناعة الخراب = أمر شنيع . يُراد به تمثال زِفْس الاولمبي ، أو بالاحرى المذبح الذي نُصب إكراماً له في مكان مذبح المحرقات .

كانَ يُقتَلُ بِأَمرِ المَلِك. [٥٨] وكانوا يُعمِلونَ قوَّتَهم شهراً بَعدَ شَهرٍ في جَميعِ الإِسرائيلِيِّينَ المأْخوذينَ في المخالَفةِ في المُدُن. [٥٩] وفي اليَومِ الخامِسِ والعِشْرينَ مِن كُلِّ شَهْر، كانوا يَذبَحونَ على المَذبَحِ الَّذي فَوقَ مَذبَحِ المُحرَقات. [٦٠] وكانوا، بِمُقتَضى الأَمرِ الصَّادِر، يَقتُلونَ النِّساءَ اللَّواتي خَتَنَّ أَولادَهُنَّ، [٦١] ويُعَلِّقونَ أَطفالَهُنَّ في أَعْناقِهِنَّ، ويَقتُلونَ أَيضاً أَقارِبَهُنَّ والَّذينَ خَتَنوهم.

[٦٢] غَيرَ أَنَّ كَثيرينَ في إِسْرائيلَ صَمَدوا وصَمَّموا في أَنفُسِهم على أَن لا يَأكُلوا نَجِساً، [٦٣] وآرتَضَوا بِالموتِ لِئَلاَّ يَتَنَجَّسوا بِالأَطعِمةِ ولا يُدَنِّسوا العَهدَ المُقَدَّس، فماتوا. [٦٤] وحَلَّ على إِسْرائيلَ غَضَبٌ شَديدٌ جِدًّا.

٣. مقاومة متَّيا

كانت ردود الفعل متنوّعة. فهناك الجاحدون الراغبون في الاستفادة من منافع هذه الحضارة اللامعة. ومن جهة أخرى، هناك رد فعل ايمان لا يعرف المساومة، جاء من عائلة كهنوتية تقيم في الريف.

٢ [١] في تِلكَ الأَيَّام، قامَ مَتَّتْيا بنُ يوحَنَّا بنِ سِمْعان، وهو كاهِنٌ مِن بَني يوياريب، وخَرَجَ مِن أُورَشَليمَ وأَقامَ في مودَين. [٢] وكانَ لَه خَمسَةُ بَنين، وهم يوحَنَّا المُلَقَّبُ بِكَدِّيس، [٣] وسِمْعانُ الَّذي يُقال لَه الطَّسّي، [٤] ويَهوذا الَّذي يُقال لَه المَكَّابِيّ(١٥)، [٥] وأَلِعازارُ الَّذي يُقالُ لَه أَوَران، ويوناتانُ الَّذي يُقال لَه أَفُّوس. [٦] ولَمَّا رأَى ما يُصنَعُ مِنَ المُنكَراتِ في يَهوذا وأُورَشَليم، [٧] قال: «وَيلٌ لي! أَوُلِدتُ لِأَرى تَحْطيمَ شَعْبي وتَحْطيمَ المَدينةِ المُقَدَّسة،

(١٥) يُقال إن كلمة «مكّابي» تعني المطرقة، ولكن هذا المعنى غير أكيد.

وأَبْقى ههنا جالِساً والمَدينةُ تُسلَمُ إِلى أَيدي الأَعْداء ويُسلَمُ المَقدِسُ إِلى أَيدي الأَجانِب؟

٨أَمْسى هَيكَلُها كرَجُلٍ ذَليل

٩وأُخِذَت آنِيَةُ مَجدِها في السَّبْيِ

وقُتِلَ أَطْفالُها في السَّاحاتِ وفِتْيانُها بِسَيفِ العَدُوّ.

١٠أَيَّةُ أُمَّةٍ لم تَرِثْ مِن مُلْكِها ولم تَسلُبْ غَنائِمَها؟

١١جَميعُ حِلاها نُزِعَت عَنها والَّتي كانَت حُرَّةً صارَت أَمَةً.

١٢ها إِنَّ أَقْداسَنا وبَهاءَنا ومَجدَنا قد دُمِّرَت ودنَّسَتها الأُمَم.

١٣فلِمَ نَعيشُ بَعدَ اليَوم؟»

١٤ومَزَّقَ مَتَّتْيا وبَنوه ثِيابَهم وتَحَزَّموا بِالمُسوح وناحوا مَناحةً شَديدة.

١٥وإِنَّ الَّذينَ أَرسَلَهُمُ المَلِكُ لِيُجبِروا النَّاسَ على الآرتِدادِ قَدِموا إِلى مَدينةِ مُودَينَ لِيَذبَحوا. ١٦فأَقبَلَ علَيهم كَثيرونَ مِن إِسْرائيل، لكِنَّ مَتَّتْيا وبَنيه آجتَمَعوا على آنفِراد. ١٧فتَكَلَّمَ رُسُلُ المَلِكِ وخاطَبوا مَتَّتْيا قائِلين: «أَنتَ رَئيسٌ شَهيرٌ عَظيمٌ في هذه المَدينة، ومُعَزَّزٌ بِالبَنينَ والإِخوَة. ١٨فتَقَدَّمْ أَنتَ أَوَّلاً لِتَنْفيذِ أَمرِ المَلِك، كما فَعَلَتِ الأُمَمُ كُلُّها ورِجالُ يَهوذا ومَن بَقِيَ في أُورَشَليم، فتَكونَ أَنتَ وأَهلُ بَيتِكَ مِن أَصدِقاءِ المَلِك(١٦)، وتُكرَمَ أَنتَ وبَنوكَ بِالذَّهَبِ والفِضَّةِ والهَدايا الكَثيرة». ١٩فأَجابَ مَتَّتْيا بِصَوتٍ عَظيمٍ وقال: «إِنَّه وإِن أَطاعَتِ المَلِكَ جَميعُ الأُمَمِ الَّتي في دارِ مُلكِه وآرتَدَّ كُلُّ أَحَدٍ عن دينِ آبائِه ورَضِيَ بِأَوامِرِه، ٢٠فأَنا وبَنِيَّ وإِخوَتي

(١٦) «صديق الملك»: لقب شَرَف في البلاط السلوقي.

نَسيرُ على عَهدِ آبائنا . [٢١]فحاشى لَنا أَن نترُكَ الشَّريعةَ والأَحكام ! [٢٢]لَن نَسمَعَ لِكَلامِ المَلِك فنَحيدَ عن دينِنا يَمنَةً أَو يَسرَةً» . [٢٣]ولَمَّا آنتَهى مِن هذا الكَلام ، تَقَدَّمَ رَجُلٌ يَهودِيٌّ على عُيونِ جَميعِ الحاضِرينَ لِيَذبَحَ على المَذبَحِ الَّذي في مودَينَ كما يَقْضي أَمرُ المَلِك . [٢٤]فلَمَّا رأَى مَتَّتْيا ذلك ، ثارَت فيه الغَيرةُ وآرتَعَشَ حَقْواه ، وغَضِبَ تَحَمُّساً لِلشَّريعة ، فَوَثَبَ علَيه وقَتَلَه على المَذبَح(١٧) . [٢٥]وفي الوَقتِ نَفسِه قَتَلَ أَيضاً رَجُلَ المَلِكِ الَّذي كانَ يُجبِرُ على الذَّبْح ، وهَدَمَ المَذبَح . [٢٦]وغار لِلشَّريعةِ كما فَعَلَ فِنْحاسُ بِزِمْرِيَ بنِ سالو .

٤. تنظيم المقاومة

بعد ردّ فعل متتيا العنيف ، إليك مثلاً عن المقاومة السلبية . ولكن مثل هذه المقاومة لا يدوم . فما لبثت الحرب المقدسة أن تنظّمت في الادغال .

[٢٧]وصاحَ مَتَّتْيا في المَدينةِ بِصَوتٍ عَظيمٍ قائلاً : «مَن غارَ لِلشَّريعةِ وحافَظَ على العَهْد ، فلْيَخرُجْ وَرائي» . [٢٨]وهَرَبَ هو وبَنوه إِلى الجِبال ، وتَركوا في المَدينةِ كُلَّ ما لَهم .

[٢٩]حينَئِذٍ نَزَلَ كَثيرونَ إِلى البَرِّيَّةِ مِمَّن يَبتَغونَ العَدلَ والحَقّ(١٨) ، لِيُقيموا هُناكَ [٣٠]هم وبَنوهم ونِساؤُهم ومَواشيهم ، لِأَنَّ الشُّرورَ ثَقُلَت علَيهم . [٣١]فأُخبِرَ رِجالُ المَلِكِ والجُندُ الَّذينَ كانوا في أُورَشَليمَ في مَدينةِ داوُدَ بِأَنَّ رِجالاً مِنَ النَّاقِضينَ لِأَمرِ المَلِكِ قد نَزَلوا فآختَبَأُوا في البَرِّيَّة . [٣٢]فجَرى كَثيرونَ في أَعْقابِهم فأَدرَكوهم . وعَسكَروا تُجاهَهم واستَعَدُّوا

(١٧) ردّ فعل عنيف ، ينبئ بالحرب المقدّسة .
(١٨) سلوك مستقيم تمليه ممارسة الشريعة .

لِمحارَبَتِهم في يَومِ السَّبْت ، [٣٣]وقالوا لَهم : «حَسبُكُم ما فَعَلتُم ، فٱخرُجوا وٱعمَلوا بِما أَمَرَ المَلِكُ فتَحْيَوا» . [٣٤]فقالوا : «لا نَخرُجُ ولا نَعمَلُ بِما أَمَرَ المَلِكُ مِن ٱستِباحَةِ حُرمَةِ يَومِ السَّبْت»(١٩) . [٣٥]فشَنُّوا علَيهِمِ القِتالَ فَجأَةً ، [٣٦]فلَم يَرُدُّوا علَيهم ولا رَمَوهم بِحَجَرٍ ولا سَدُّوا مُختَبَآتِهم قائلين : [٣٧]«لِنَمُتْ جَميعاً في ٱستِقامَتِنا ، والسَّماءُ والأَرضُ شاهِدَتانِ لَنا بِأَنَّكم تُهلِكونَنا ظُلْماً» . [٣٨]فهَجَموا علَيهم في السَّبْت ، فهَلَكوا هم ونِساؤُهم وبَنوهم ومَواشيهم . وكانوا أَلفَ نَفْسٍ مِنَ النَّاس .

[٣٩]وأُخبِرَ مَتَّتْيا وأَصْحابُه بِالأَمْرِ ، فناحوا علَيهم نَوحاً شَديداً ، [٤٠]وقالَ بَعضُهم لِبَعض : «إِن فَعَلْنا كُلُّنا كما فَعَلَ إِخوَتُنا فلَم نُقاتِلِ الأُمَمَ عن نُفوسِنا وأَحْكامِنا ، لم يَلْبَثوا أَن يُبيدونا عنِ الأَرض» . [٤١]وٱتَّخَذوا في ذلك اليَومِ هذا القَرار : «كُلُّ رَجُلٍ أَتانا مُقاتِلاً يَومَ السَّبتِ نُقاتِلُه فلا نَموتُ جَميعاً كما ماتَ إِخوَتُنا في المُختَبَآت» .

[٤٢]حينئذٍ ٱجتَمَعَت إِلَيهم جَماعةُ الحَسيدِيِّين(٢٠) ، وهم ذَوو البَأسِ في إِسْرائيل وكُلُّ مَن تَطَوَّعَ في سَبيلِ الشَّريعة . [٤٣]وٱنضَمَّ إِلَيهم جَميعُ الَّذينَ فَرُّوا مِنَ الشَّرّ وأَصبَحوا سَنَداً لَهم . [٤٤]وأَلَّفوا جَيشاً وضَرَبوا الخاطِئينَ في غَضَبِهم ورِجالَ الإِثْمِ في حَنَقِهم . وفَرَّ الباقونَ إِلى الأُمَمِ طالِبينَ النَّجاة . [٤٥]ثُمَّ جالَ مَتَّتْيا وأَصْحابُه وهَدَموا المَذابِح [٤٦]وخَتَنوا بِالقُوَّةِ كُلَّ مَن

(١٩) يومَ السبت ، يحرَّم رفع أي حِمْل .

(٢٠) أي الاتقياء ، وهم مجموعة ستضم الفريسيين والاسينيين في وقت لاحق . هدفهم ممارسة الشريعة بحرارة . يؤيدون اليوم مقاومة متّيا ، لكنهم سيعارضون فيما بعد الحسمونيين .

وَجدوه في بِلادِ إِسْرائيلَ مِنَ الأَولادِ القُلْف. [٤٧]وطارَدوا ذَوي التَّعَجرُف، ونَجَحوا في عَمَلِ أَيديهم. [٤٨]وآنتزَعوا الشَّريعةَ مِن أَيدي الأُمَمِ وأَيدي المُلوك، ولم يَدَعوا لِلخاطِئِ أَيَّةَ قُوَّة.

٥. وفاة مَتَّيا

المناضل العجوز على عتبة الموت. ففي وصاياه الاخيرة لعائلته، يوزّع المهمات للنضال المنتظر.

[٤٩]وقارَبت أَيَّامُ متَّيا أَن يَموت، فقالَ لِبَنيه: «لقَدِ آشتَدَّ التَّعَجرُفُ والشَّتيمة وأَتى زَمانُ الِآنقِلابِ وآنفِجارِ الغَضَب. [٥٠]فالآنَ أَيُّها البَنون، غاروا لِلشَّريعة وآبذُلوا نُفوسَكم في سَبيلِ عَهدِ آبائِنا.

[٦١]وآعتَبِروا هكذا أَنَّ جَميعَ المُتَوَكِّلينَ علَيه مِن جيلٍ إِلى جيلٍ لا يَضعَفُون.

[٦٢]ولا تَخشَوا مِن كَلامِ الرَّجُلِ الخاطِئ
لِأَنَّ مَجدَه يَؤُولُ إِلى القَذَرِ والدُّود.
[٦٣]أَليومَ يُرفَعُ شَأنُه وغَداً لَيسَ لَه وجود
لِأَنَّه يَعودُ إِلى تُرابِه وتَتَلاشى مَقاصِدُه.
[٦٤]فأَنتُم أَيُّها البَنون
كونوا رِجالاً وتَمَسَّكوا بِالشَّريعة[٢١] فإِنَّكم بِها سَتُمَجَّدون.

[٥٦]وهُوَذا سِمْعانُ أَخوكم. إِنِّي أَعلَمُ أَنَّه رَجُلُ مَشورة، فآسمَعوا لَه كُلَّ الأَيَّام، ولْيَكُنْ لكم أَباً. [٦٦]أَمَّا يَهوذا المَكَّابِيُّ الشَّديدُ البَأسِ مُنذُ صِباه، فهو يَكونَ لكم رَئيسَ الجَيش ويَتَوَلَّى مُحارَبَةَ الشُّعوب.

(٢١) ممارسة الشريعة هي المتغلّبة في هذا السِفر.

[٦٧]وآجمَعوا إِلَيكم جَميعَ العامِلينَ بِالشَّريعة وآنتَقِموا لِشَعبِكمُ آنتِقاماً. [٦٨]كافِئوا الأُمَمَ مُكافأَةً وواظِبوا على وَصايا الشَّريعة». [٦٩]ثُمَّ بارَكَهم وآنضَمَّ إِلى آبائِه. [٧٠]وكانَت وَفاتُه في السَّنَةِ المِئَةِ والسَّادِسَةِ والأَربَعين[٢٢]، ودُفِنَ في قُبورِ آبائِه بِمودَين، وبَكى علَيه كُلُّ إِسْرائيلَ بُكاءً شَديداً.

٢. الحرب المقدسة ويهوذا المكّابي

١. يهوذا

ترك هذا الرجل ذكرى عجيبة في التقليد.

٣ [١]فقامَ مَكانَه يَهوذا آبنُه المُسَمَّى المكَّابِيّ، [٢]ونَصَرَه كُلُّ إِخوَتِه وجَميعُ الَّذينَ آنضَمُّوا إِلى أَبيه، وكانوا يُحارِبونَ حَربَ إِسْرائيلَ بِفَرَح.

[٣]بَسَطَ مَجدَ شَعبِه ولَبِسَ دِرعَه كَجَبَّار
وتَقَلَّدَ سِلاحَ القِتالِ وشَنَّ الحُروب وبِسَيفِه حَمى المُعَسكَر.
[٤]كانَ كالأَسَدِ في مَآثِرِه وكالشِّبْلِ الزَّائِرِ على فَريسَتِه.
[٥]تَعَقَّبَ الآثِمينَ في آثارِهم والَّذينَ يَفتِنونَ شَعبَه أَحرَقَهم بِالنَّار.
[٦]قُضِيَ على الآثِمينَ لِخَوفِهم مِنه وآضْطَرَبَ جَميعُ فَعَلَةِ الآثام
ونَجَحَ الخَلاصُ عن يَدِه.
[٧]أَذاقَ الأَمَرَّينِ لِمُلوكٍ كَثيرينَ وفَرَّحَ يَعْقوبَ بِأَعْمالِه.
فصارَ ذِكرُه مُبارَكاً أَبَدَ الدُّهور.

(٢٢) ١٦٦.

٢. انتصار يهوذا على ليسيّاس

بعد أن هُزم القوّاد السوريون في عمّاوس، قام ليسيّاس، الوصيّ على عرش سورية في غياب أنطيوخس، بشنّ القتال على يهوذا. فهُزم هو أيضاً وانصرف.

٤ ٢٨وفي السَّنةِ التَّاليةِ(٢٣)، جَمَعَ ليسِيَّاسُ سِتِّينَ أَلفَ راجِلٍ مُنتَخَبين وخَمسَةَ آلافِ فارِسٍ لِمُحاربةِ اليَهود. ٢٩فأَتَوا إِلى أَدوم، ثُمَّ عسكروا بِبَيتَ صور(٢٤)، فلاقاهُم يَهوذا في عَشرَةِ آلافِ رَجُل. ٣٠ولَمَّا رأَى ذلكَ الجَيشَ القَوِيَّ، صَلَّى فقال: «مُبارَكٌ أَنتَ يا مُخَلِّصَ إِسْرائيلَ الَّذي حَطَّمَ بَطْشَ الجَبَّارِ عن يَدِ عَبدِه داود، وأَسلَمَ مُعَسكَرَ الفَلِسطينِيِّينَ إِلى يَدِ يوناتانَ بنِ شاوُلَ وحامِلِ سِلاحِه، ٣١فأَقفِلْ كذلك على هذا الجَيشِ في أَيدي شَعبِكَ إِسْرائيل، ولْيَخزَوا مع جُنودِهم وفُرسانِهم. ٣٢أَحِلَّ علَيهِمِ الرِّعدَة، وأَذِبْ ثِقَتَهم بِقُوَّتِهم، ولْيَتَزَعزَعوا بِآنسِحاقِهم. ٣٣أَسقِطْهُم بِسَيفِ مُحِبِّيكَ، ولْيُسَبِّحْكَ بِالأَناشيدِ جَميعُ الَّذينَ يَعرِفونَ آسمَكَ». ٣٤ثُمَّ آلتَحَمَ القِتال، فسَقَطَ مِن جَيشِ ليسِيَّاسَ خَمسَةُ آلافِ رَجُلٍ، سَقَطوا أَمامَ اليَهود. ٣٥فلَمَّا رأَى ليسِيَّاسُ آنكِسارَ جَيشِه وبَسالَةَ جَيشِ يَهوذا وأَنَّهم مُستَعِدُّونَ بِشَجاعَتِهم إِمَّا لِلحَياةِ وإِمَّا لِلمَوت، ذَهَبَ إِلى أَنْطاكِيَة وجَمَعَ جَيشاً مِنَ الغُرَباء لِيَعودَ بِجَيشٍ أَكثَرَ إِلى اليَهودِيَّة.

٣. تطهير الهيكل

نجد هنا في العمل فكرة القداسة التي عرضها النبي حزقيال في أقواله قبل ذلك

(٢٣) ١٦٤.
(٢٤) على طريق حبرون.

بأربعة قرون. دُنّس الهيكل بالمذبح الوثني الذي نُصب فيه والذبائح التي قُرِّبت فيه للإله زِفس. فلم يعد صالحاً لأي استعمال ديني إلاّ اذا طُهِّر و«قُدِّس».

[٣٦] فقالَ يَهوذا وإِخوَتُه: «ها إِنَّ أَعْداءَنا قدِ ٱنسَحَقوا، فلْنَصعَدِ الآنَ لِتَطْهيرِ الأَقْداسِ وتَدْشينِها»(٢٥). [٣٧] فٱجتَمَعَ كُلُّ الجَيشِ وصَعِدوا إِلى جَبَلِ صِهْيون. [٣٨] فرَأَوُا المَقدِسَ مُقفِراً والمَذبَحَ مُنَجَّساً والأَبْوابَ مُحرَقَة، وقد طَلَعَ النَّباتُ في الأَفنِيَةِ كما يَطلَعُ في غابَةٍ أَو جَبَلٍ مِنَ الجِبال، والغُرَفَ مَهْدومة. [٣٩] فمَزَّقوا ثِيابَهم وناحوا نَوحاً عَظيماً وحَثَوا على رُؤُوسِهم رَماداً. [٤٠] وسَقَطوا بِوُجوهِهم على الأَرضِ ونَفَخوا في أَبواقِ الهُتافِ فصَرَخوا إِلى السَّماء.

[٤١] حينئذٍ أَوصى يَهوذا بَعضَ الرِّجالِ بِمُحارَبَةِ الَّذينَ في القَلعَة، رَيثَما يُطَهِّرُ الأَقْداس. [٤٢] وٱختارَ كَهَنَةً لا عَيبَ فيهم مِن ذَوي الغَيرَةِ على الشَّريعة، [٤٣] فطَهَّروا الأَقْداسَ وذَهَبوا بِالحِجارَةِ المُدَنَّسةِ إِلى مَكانٍ غير طاهِر.

[٤٤] ثُمَّ تَشاوَروا في أَمرِ مَذبَحِ المُحرَقاتِ المُدَنَّس، وتَساءَلوا ماذا يَصنَعونَ به. [٤٥] فخَطَرَت لَهم فِكرَةٌ صالِحَةٌ أَن يَهدِموه، لِئَلاَّ يَكونَ لَهم عاراً، وقد دَنَّسَته الأُمَم فهَدَموه. [٤٦] ووَضَعوا حِجارَتَه في جَبَلِ البَيتِ في مَكانٍ لائِق، إِلى أَن يأتِيَ نَبِيٌّ يُجيبُ عن أَمرِها. [٤٧] ثُمَّ أَخَذوا حِجارَةً غَيرَ مَنْحوتَة، وَفقاً لِلشَّريعة، وبَنَوُا المَذبَحَ الجَديدَ على رَسْمِ الأَوَّل. [٤٨] وأَعادوا بِناءَ الأَقْداسِ وداخِلَ البَيت وقَدَّسوا الأَفنِيَة. [٤٩] وصَنَعوا آنِيَةً مُقَدَّسَةً

(٢٥) العمل التام بالشريعة يفترض وجود الهيكل. فبعد أن دنَّسه الوثنيون، لا بدّ من تطهيره لاستئناف العبادة. من خلال هذا الكتاب كله، نشعر بأن هذا الامر هو من مشاغل «المقاومين» الكبرى.

جَديدة وأَدخَلوا المَنارَةَ ومَذبَحَ البَخورِ والمائِدَةَ إِلى الهَيكَل. ٥٠وبَخَّروا على المَذبَح وأَوقَدوا السُّرُجَ الَّتي على المَنارَة، فكانَت تُضيءُ في الهَيكَل. ٥١وجَعَلوا الخُبزَ على المائِدَة ونَشَروا السَّتائِرَ وأَتَمُّوا جَميعَ الأَعمالِ الَّتي عَمِلوها.

٥٢وبكَّروا في اليَومِ الخامِسِ والعِشْرينَ مِنَ الشَّهرِ التَّاسع، وهو كِسْلو، في السَّنَةِ المِئَةِ والثَّامِنَةِ والأَربَعين[٢٦]، ٥٣وقَدَّموا ذَبيحةً بِحَسَبِ الشَّريعةِ على مَذبَحِ المُحرَقاتِ الجَديدِ الَّذي صَنَعوه. ٥٤وفي مِثلِ الوَقتِ واليَومِ الَّذي فيه دَنَّسَته الأُمَم، في ذلك اليَومِ دُشِّنَ بِالأَناشيدِ والعيدانِ والكِنَّاراتِ والصُّنوج. ٥٥فجَثا كُلُّ الشَّعبِ وسَجَدَ وبارَك السَّماءَ الَّتي وَفَّقَته. ٥٦وأَتَمُّوا تَدْشينَ المَذْبَحِ في ثَمانِيَةِ أَيَّام وقَدَّموا المُحرَقاتِ بِفَرَحٍ وذَبَحوا ذَبيحَةَ السَّلامةِ والحَمْد. ٥٧وزَيَّنوا واجِهَةَ الهَيكَلِ بأَكاليلَ مِنَ الذَّهَبِ وبِشارات، وجَدَّدوا المَداخِلَ والغُرَفَ وجَعَلوا لَها أَبْواباً. ٥٨فكانَ عِندَ الشَّعبِ سُرورٌ عَظيمٌ جِدًّا وأُزيلَ تَعْييرُ الأُمَم. ٥٩ورَسَمَ يَهوذا وإِخوَتُه وجَماعةُ إِسْرائيلَ كُلُّها أَن يُعَيَّدَ لِتَدشينِ المَذبَحِ في وَقتِه سَنَةً فَسَنَةً مُدَّةَ ثَمانِيَةِ أَيَّامٍ مِنَ اليَومِ الخامِسِ والعِشْرينَ مِن شَهرِ كِسْلو بِسُرورٍ وٱبتِهاج[٢٧].

٦٠وفي ذلك الزَّمانِ بَنَوا على جَبَلِ صِهْيونَ مِن حَولِه أَسْواراً عالِيَةً وبُروجاً حَصينةً، لِئَلاَّ تَجيءَ الأُمَمُ وتَطَأَه كَما فَعَلَت مِن قَبلُ. ٦١وأَقامَ

(٢٦) ١٨ كانون الاول (ديسمبر) ١٦٤.
(٢٧) ورد في الإنجيل الرابع (يو ١٠/٢٢) ذكر عيد التجديد هذا أو عيد الانوار.

يَهوذا هُناكَ جَيشاً يَحرُسُه، وحَصَّنَ بَيتَ صور[٢٨]، حتَّى يَكونَ لِلشَّعبِ مَعقِلٌ تِلْقاءَ أَدوم.

٤. وفاة أنطيوخس أبيفانيوس

تقيِّم وفاة المضطهد بالنسبة إلى التفكير اللاهوتي التي هو أيضاً في أصل أسفار طوبيا ويهوديت وأستير.

٦ [١]وكانَ أَنطِيوخُسُ المَلِكُ يَجولُ في الأَقاليمِ العُلْيا، فسَمِعَ بِذِكرِ أَلِمايِس[٢٩]، وهي مَدينةٌ بِفارِس مَشْهورَةٌ بِأَمْوالِها مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَب، [٢]وأَنَّ فيها هَيكَلاً فيه كَثيرٌ مِنَ الأَموال وفيه أَسلِحَةُ الذَّهَبِ والدُّروعُ والأَسلِحَةُ الَّتي تَرَكَها هُناكَ الإِسكَندَرُ بنُ فيلِبُّس، المَلِكُ المَقْدونِيُّ الَّذي كانَ أَوَّلَ مَلِكٍ في بِلادِ اليونان. [٣]فأَتى وحاوَلَ أَن يأخُذَ المَدينةَ ويَنهَبَها، فلَم يَستَطِعْ لأَنَّ أَهلَ المَدينةِ كانوا قد عَلِموا بِالأَمْر، [٤]فقاوَموه وقاتَلوه، فهَرَبَ ومَضى مِن هُناكَ بِغَمٍّ شَديدٍ راجِعاً إِلى بابِل. [٥]وجاءَه، وهو في فارِس، مُخبِرٌ بِأَنَّ الجُيوشَ الَّتي سارَت إِلى أَرضِ يَهوذا قدِ آنكَسَرَت، [٦]وأَنَّ ليسِيَّاسَ قدِ آنهَزَمَ مِن وَجهِهم، وكانَ قد خَرَجَ علَيهم في جَيشٍ في غايَةِ القُوَّة، فتَعَزَّزوا بِالسِّلاحِ والذَّخائِرِ والغَنائِمِ الكَثيرةِ الَّتي أَخَذوها مِمَّن سَحَقوهم مِنَ الجُيوش. [٧]وهَدَموا الشَّناعَةَ الَّتي كانَ قد بَناها على المَذبَحِ في أُورَشَليم وحَوَّطوا المَقدِسَ بِالأَسوارِ الرَّفيعة، كما كانَ مِن قَبلُ، وفَعَلوا ذلك أَيضاً في بَيتَ صور، وهي مَدينَةٌ مِن مُدُنِ المَلِك. [٨]فلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ

(٢٨) بالقرب من الحدود.
(٢٩) أرض تحيط بشوشن.

بِهذا الخَبَر، بُهِتَ وٱضطَرَبَ ٱضطِراباً شَديداً، وٱنطَرَحَ على الفِراشِ وقد مَرِضَ مِنَ الغَمّ، لِأَنَّ الأَمرَ جرى على خِلافِ رَغبتِه. [٩]فلَبِثَ هُناكَ أَيَّاماً كَثيرةً لِأَنَّه تَجَدَّدَ فيه غَمٌّ شَديد وأَيقَنَ بِالمَوت. [١٠]فدَعا جَميعَ أَصدِقائِه وقالَ لَهم: «لَقَد شَرَدَ النَّومُ عن عَينَيَّ وسَقَطَ مِنَ قَلْبي الهَمّ. [١١]فقُلتُ في نَفْسي: إِلى أَيِّ حُزنٍ صِرتُ وما أَشَدَّ الِٱضطِرابَ الَّذي أَنا فيه، بَعدَ أَن كُنتُ مَسْروراً ومَحْبوباً في أَيَّامِ سُلْطاني! [١٢]أَمَّا الآن فإِنِّي أَتَذَكَّرُ المَساوِئَ الَّتي صَنَعتُها في أُورَشَليم وكَيفَ أَخَذتُ كُلَّ آنِيَةِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ الَّتي كانَت فيها، وأَرسَلتُ لِإِبادَةِ سُكَّانِ اليَهودِيَّةِ بِغَيرِ سَبَب. [١٣]فأَنا أَعلَمُ بِأَنِّي لِأَجلِ ذلك أَصابَتني هذه البَلايا، وها أَنا أَموتُ بِغَمٍّ شَديدٍ في أَرضٍ غَريبة»(٣٠).

[١٤]ثُمَّ دَعا فيلِبُّسُ أَحَدَ أَصدِقائِه وأَقامَه على جَميعِ مَملَكَتِه، [١٥]وسَلَّمَ إِلَيه تاجَه وحُلَّتَه وخاتَمَه، وأَوصاه بِإِرشادِ أَنطِيوخُسَ ٱبنِه وتَربِيَتِه لِلمُلْك. [١٦]وماتَ هُناكَ أَنطِيوخُسُ المَلِكُ في السَّنَةِ المِئَةِ والتَّاسِعَةِ والأَربَعين. [١٧]وعَلِمَ ليسِيَّاسُ أَنَّ المَلِكَ قد تُوُفِّيَ ومَلَّكَ مَكانَه ٱبنَه الَّذي رَبَّاه مُنذُ حَداثَتِه وسَمَّاه بِٱسمِ أَوباطور(٣١).

٥. وفاة أَلعازار (١٦٢)

حاول يهوذا القضاء على قلعة أورشليم، لكنه اضطُرّ إلى رفع الحصار للذهاب إلى محاربة الجيش السوري في جهة حبرون. العازار، شقيق يهوذا، وجد موتاً بطولياً في المعركة.

(٣٠) تفسير للكاتب.
(٣١) أنطيوخس الخامس اوباطور (١٦٣-١٦٢).

[١٨]وكانَ أَهلُ القَلعَةِ يَصُدُّونَ إِسْرائيلَ عن دُخولِ الأَقْداس، ويُحاوِلونَ الإِضرارَ بِهم مِن كُلِّ جانِبٍ وتأييدَ الوَثَنِيِّينَ. [١٩]فعَزَمَ يَهوذا على إِبادَتِهم وحَشَدَ كُلَّ الشَّعبِ لِمُحاصَرَتِهم. [٢٠]فآجتَمَعوا مَعاً وحاصَروهم سَنَةَ مِئَةٍ وخَمْسين(٣٢)، ونَصَبوا القَذّافاتِ والمَجانيق. [٢١]ولكِنَّ بَعضَ المُحاصَرينَ خَرَقوا الحِصار، وآنضَمَّ إِلَيهم نَفَرٌ كافِرونَ مِن إِسْرائيل، [٢٢]ومَضَوا إِلى المَلِكِ فقالوا لَه: «إِلى مَتى لا تُنصِفُنا ولا تَنتَقِمُ لإِخوَتِنا؟ [٢٣]إِنَّنا آرتَضَينا بِخِدمَةِ أَبيكَ والعَمَلِ بِأَوامِرِه وآتِّباعِ فَرائِضِه. [٢٤]ولِذلك أَبْناءُ شَعبِنا يَنفُرونَ مِنَّا، وكُلُّ مَن صادَفوه مِنَّا قَتَلوه ونَهَبوا أَمْلاكَنا. [٢٥]ولم يَكتَفوا بِمَدِّ أَيديهم علَينا، بل تَجاوَزوا إِلى جَميعِ بِلادِنا. [٢٦]وها إِنَّهم يُحاصِرونَ قَلعَةَ أُورَشَليم لِيَستَولوا علَيها، وحَصَّنوا مَقدِسَ بَيتَ صور. [٢٧]فإِن لم تُسرِعِ الآنَ وتُبادِرْهم، فسَيَصنَعونَ شَرًّا مِن ذلك، فلا تَقدِرُ أَن تَكُفَّهم».

[٢٨]فلَمَّا سَمِعَ المَلِكُ غَضِبَ وجَمَعَ كُلَّ أَصدِقائِه وقُوَّادَ جَيشِه ورُؤَساءَ الفُرْسان. [٢٩]وجاءَته مِن مَمالِكَ أُخْرى ومِن جُزُرِ البِحارِ جُنودٌ مُرتَزِقَة. [٣٠]وبَلَغَ عَدَدُ جُيوشِه مِئَةَ أَلفِ راجِلٍ وعِشْرينَ أَلفَ فارِسٍ وآثنَينِ وثَلاثينَ فيلاً مُدَرَّباً على الحَرْب. [٣١]فزَحَفوا مُجْتازينَ في أَدوم وحاصَروا بَيتَ صور وحارَبوا أَيَّاماً كثيرةً وصَنَعوا المَجانيق، ولكِنَّ الآخَرينَ خَرَجوا وأَحرَقوها بِالنَّارِ وقاتَلوا بِبَأس.

[٣٢]فسارَ يَهوذا عنِ القَلعَةِ وعَسكَرَ في بَيتَ زَكَرِيَّا(٣٣) تُجاهَ مُعَسكَرِ المَلِك. [٣٣]فبَكَّرَ المَلِكُ وأَطلَقَ جَيشَه دَفعَةً واحِدَةً في طَريقِ بَيتَ زَكَرِيَّا،

(٣٢) في ١٦٢.
(٣٣) في شمال بيت صور.

حَيثُ تأَهَّبَتِ الجُيوشُ لِلقِتال ونَفَخوا في الأَبْواق. [٣٤]وأَرَوُا الأَفْيالَ عَصيرَ العِنَبِ والتُّوتِ حَتَّى يُهَيِّجوها لِلقِتال. [٣٥]ثُمَّ وَزَّعوها على الفِرَق، فجَعَلوا عِندَ كُلِّ فيلٍ أَلفَ رَجُلٍ لابِسينَ الزُّرود وعلى رُؤُوسِهم خُوَذُ النُّحاس، وأَقاموا لِكُلِّ فيلٍ خَمسَ مِئَةِ فارِسٍ مُنتَخَبين. [٣٦]فكانَ أُولئِكَ حَيثُما وُجِدَ الفيلُ سَبَقوا إِلَيه، وحَيثُما ذَهَبَ ذَهَبوا معَه لا يُفارِقونَه. [٣٧]وكانَ على كُلِّ فيلٍ بُرجٌ حَصينٌ مِنَ الخَشَبِ يَحْميه، مُثَبَّتٌ بِالأَحزِمَة، وعلى البُرْجِ المُحارِبونَ الثَّلاثَةُ المُقاتِلونَ مِن على الأَفْيال، فَضلاً عنِ الفَيَّال. [٣٨]وجَعَلَ المَلِكُ سائِرَ الفُرْسانِ مِن هُنا ومِن هُناكَ على جانِبَيِ الجَيشِ يُضايِقونَ العَدُوَّ ويَستُرونَ الكَتائِب.

[٣٩]فلَمَّا لَمَعَتِ الشَّمسُ على تُروسِ الذَّهَبِ والنُّحاس، لَمَعَت بِها الجِبال وتَلألأَت كَمَشاعِلَ مِن نار. [٤٠]وآنتَشَرَ جَيشُ المَلِكِ قِسمٌ في أَعْلى الجِبال وقِسمٌ في السُّفوح، ومَشَوا بِرباطَةِ جَأشٍ وآنتِظام. [٤١]فآرتَعَدَ كُلُّ مَن سَمِعَ صُراخَ ذلك الجُمْهورِ وجَلَبَةَ زَحفِهم وقَعقَعَةَ سِلاحِهم، فإِنَّ الجَيشَ كانَ عَظيماً وقَوِيًّا جِدًّا. [٤٢]فتَقَدَّمَ يَهوذا وجَيشُه لِلمُبارَزة، فسَقَطَ مِن جَيشِ المَلِكِ سِتُّ مِئَةِ رَجُل. [٤٣]ورأَى أَلِعازارُ أَوأَرانُ واحِداً مِنَ الأَفْيالِ مُدَرَّعاً بِدُروعٍ مَلَكِيَّةٍ ويَفوقُ جَميعَ الأَفْيالِ جِسْماً، فظَنَّ أَنَّ علَيه المَلِك. [٤٤]فبَذَلَ نَفسَه لِيُخَلِّصَ شَعبَه ويُقيمَ لِنَفسِه آسماً مُخَلَّداً. [٤٥]وعَدا إِلَيه بِجُرأَةٍ في وَسْطِ الفِرقَة، يَقتُلُ يَمنَةً ويَسرَةً، فتَفَرَّقَ الأَعْداءُ عنه مِن هُنا ومِن هُناك. [٤٦]ودَخَلَ بَينَ قَوائِمِ الفيلِ حتَّى صارَ تَحتَه وقَتَلَه، فسَقَطَ علَيه الفيلُ إِلى الأَرضِ فماتَ مَكانَه. [٤٧]ولَمَّا رأَى اليَهودُ سَطوَةَ المُلْكِ وبَطشَ الجُيوشِ آرتَدُّوا عنهم.

٦. محالفة يهوذا لروما

منذ نحو نصف قرن، أخذ الرومانيون يتدخّلون في العالم اليوناني الشرقي. والتحالف مع الشعب اليهودي الصغير يشكل نقطة ارتكاز محتملة ضدّ السلوقيين.

٨ [١]وسَمِعَ يَهوذا بِٱسمِ الرُّومانِيِّينَ أَنَّهم رِجالٌ ذَوو بَأس ويَعطِفونَ على كُلِّ مَن يَنضَمُّ إِلَيهم، وكُلُّ مَن جاءَهم صادَقوه. [٢]وقُصَّت علَيه حُروبُهم وما قاموا بِه مِن مآثِرَ في قِتالِ الغالِيِّين(٣٤)، وأَنَّهم أَخضَعوهم وفَرضوا علَيهِم الجِزيَة، [٣]وما فَعَلوا في بِلادِ إِسْبانِيَة(٣٥) وٱستيلاؤُهم على مَعادِنِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ الَّتي هُناكَ، [٤]وأَنَّهمُ ٱستَولَوا على البَلَدِ كُلِّه بِفَضلِ فِطنَتِهم وطولِ أَناتِهم، مع أَنَّ ذلك البَلَدَ كانَ بَعيداً جِدًّا مِن دِيارِهم. وكانَ كذلكَ أَمرُ المُلوكِ الَّذينَ جاؤُوا مِن أَقاصي الأَرضِ وأَغاروا علَيهم، فقَد سَحَقوهم وضَرَبوهم ضَربَةً شَديدة. وأَمَّا سائِرُ المُلوكِ فإِنَّهم يَحمِلونَ إِلَيهِمِ الجِزيَةَ كُلَّ سَنَة. [٥]وقد سَحَقوا فيلِبُّسَ وفُرْساوُس(٣٦)، مَلِكَ كِتّيم، في الحَربِ وكُلَّ مَن قاتَلَهم وأَخضَعوهم. [٦]وسَحَقوا أَنطِيوخُسَ الكَبير، مَلِكَ آسيَة، الَّذي زَحَفَ لِقِتالِهم ومعَه مِئَةٌ وعِشْرونَ فيلاً وفُرْسانٌ ومَركَباتٌ وجَيشٌ كَثيرٌ جِدًّا، [٧]وقَبَضوا علَيه حَيًّا. وضَرَبوا علَيه وعلى الَّذينَ يَملِكونَ بَعدَه جِزيَةً كَبيرَةً ورَهائِنَ مِن وَقتٍ إِلى وَقْت. [٨]ونَزَعوا منه بلادَ الهِندِ وميدِيا ولودَ وخِيارَ بِلادِهم وأَعطَوها لِأُومينيسَ المَلِك. [٩]ولَمَّا هَمَّ اليونانِيُّونَ أَن يَسيروا لِمُقاتَلَتِهم، بَلَغَهم ذلك [١٠]فأَرسَلوا إِلَيهم قائِداً واحِداً

(٣٤) حرفياً «الغلاطيين». والمقصود هنا هم الغاليون الساكنون في شمال ايطاليا.
(٣٥) في أثناء الحرب القرطاجية الثانية.
(٣٦) ابن فيلبّس الخامس وآخر ملوك مقدونية (١٧٩-١٦٨).

وحارَبوهم، فسَقَطَ مِنهم قَتْلى كَثيرون، وسَبَوا نِساءَهم وأَولادَهم ونَهَبوهم وآستَولَوا على أَرضِهم وهَدَموا حُصونَهم وآستَعبَدوهم إِلى هذا اليَوم. [١١]وأَمَّا سائِرُ المَمالِكِ والجُزُرُ الَّتي قاوَمَتهم، فإِنَّهم دَمَّروها وآستَعبَدوا سُكَّانَها.

[١٢]ولكِنَّهم حَفِظوا المَوَدَّةَ لِأَولِيائِهم والَّذينَ آعتَمَدوا علَيهم. وتَسَلَّطوا على المُلوك، قَريبِهم وبَعيدِهم، وكُلُّ مَن سَمِعَ بِآسمِهم خافَهم. [١٣]ومَن أَرادوا مُؤَازَرَتَه وتَمْليكَه مَلَّكوه، ومَن أَرادوا خَلعَه خَلَعوه، فعَلا شأنُهم كَثيراً[٣٧]. [١٤]ومع ذلك كُلِّه، لم يَلبَسْ أَحَدٌ مِنهُمُ التَّاجَ ولا آرتَدى الأُرجُوانَ مُباهاةً بِه. [١٥]ووَضَعوا لَهم مَجلِسَ شُورى يَتَداوَلُ فيه كُلَّ يَومٍ ثَلاثُ مِئَةٍ وعِشْرونَ رَجُلاً، يَتَداولونَ على الدَّوامِ في أُمورِ الشَّعبِ لِلمُحافَظَةِ على نِظامِه. [١٦]وهم يُفَوِّضونَ سُلْطانَهم وسِيادَةَ أَرضِهم بِجُملَتِها كُلَّ سَنَةٍ إِلى رَجُلٍ واحِد[٣٨]، ويُطيعونَ جَميعاً هذا الواحِد، ولَيسَ فيهم حَسَدٌ ولا مُنافَسَة.

[١٧]فآختارَ يَهوذا أَوبولِمُسَ بنَ يوحَنَّا بنِ أَكُّوس وياسونَ بنَ أَلِعازَر، وأَرسَلَهما إِلى روما لِيَعقِدا مع الرومانِيِّينَ عَهدَ الصَّداقَةِ والتَّحالُف، [١٨]ويَرفَعا عنهمُ النِّير، لِأَنَّهم رَأَوا أَنَّ مَملَكَةَ اليونانِ قدِ آستَعبَدَت إِسْرائيلَ آستِعباداً. [١٩]فذَهَبا إِلى روما في سَفَرٍ طَويلٍ جِدًّا، ودَخَلا مَجلِسَ الشُّورى وتَكَلَّما وقالا: [٢٠]«إِنَّنا مُرسَلانِ إِلَيكم مِن قِبَلِ يَهوذا المَكَّابِيِّ وإِخوَتِه وجُمْهورِ اليَهودِ لِنَعقِدَ مَعَكم عَهدَ تَحالُفٍ وسَلام، ولِتَجعَلونا في

(٣٧) مختصر تاريخي مأخوذ من مصدر مؤيّد للرومانيين.
(٣٨) خطأ، لان القناصل كانوا اثنين.

عِدادِ حُلَفائِكم وأَصدِقائِكم» . [٢١]فحَسُنَ الأَمرُ لَدَيهم . [٢٢]وهذه نُسخَةُ الكِتابِ الَّذي دَوَّنوه على أَلْواحٍ مِن نُحاسٍ(٣٩) وأَرسَلوه إِلى أُورَشَليم ، حتَّى يَكونَ عِندَهم تَذْكارَ سَلامٍ وتَحالُف :

[٢٣]«الفَلاحُ لِلرُّومانِيِّينَ ولِأُمَّةِ اليَهودِ في البَحرِ والبَرِّ لِلأَبَد ، ولْيُبْعَدْ عنهمُ السَّيفُ والعَدُوّ ! [٢٤]إِذا قامَت حَربٌ ، في روما أَوَّلاً أَو عِندَ أَيٍّ كانَ مِن حُلَفائِها في كُلِّ آمتِدادِ سِيادَتِها ، [٢٥]فأُمَّةُ اليَهودِ تُحارِبُ معَها بِكُلِّ عَزمِها ، كما تَقتَضيه الحال ، [٢٦]ولَن يُعْطى المُعتَدونَ ولَن يُقَدَّمَ لَهم قَمحٌ ولا أَسلِحَةٌ ولا فِضَّةٌ ولا سُفُن . هكذا حَسُنَ لَدى الرُّومانِيِّين ، ويُحافِظونَ على هذه الِآلتِزاماتِ مِن دونِ أَن يأخُذوا شَيئاً . [٢٧]وكذلك فإِن وَقَعَت لِليَهودِ حَربٌ أَوَّلاً ، فالرُّومانِيُّونَ يُحارِبونَ مَعَهم بِكُلِّ عَزمِهم ، كما تَقتَضيه الحال . [٢٨]ولَن يُعْطى المُعتَدونَ قَمْحاً ولا أَسلِحَةً ولا فِضَّةً ولا سُفُناً . هكذا حَسُنَ لدى الرُّومانِيِّين . ويُحافِظونَ على آلتِزاماتِهم مِن دونِ غِشّ . [٢٩]على هذا الكَلامِ عاهَدَ الرُّومانِيُّونَ شَعبَ اليَهود . [٣٠]وإِذا شاءَ هؤُلاءِ أَو أُولئِكَ أَن يَزيدوا على هذا الكَلامِ أَو يُسقِطوا مِنه ، فيَفعَلونَ بِرِضاهم ، وكُلُّ ما زادوا أَو أَسقَطوا يَكونُ مُلزِماً(٤٠) .

[٣١]أَمَّا الشُّرورُ الَّتي أَنزَلَها بِهمِ المَلِكُ ديمِتْريوس ، فقَد كَتَبنا إِلَيه قائِلين : لِمَ ثَقَّلتَ النِّيرَ على أَصدِقائِنا وحُلَفائِنا اليَهود ؟ فإِن عادوا يَشْكونَكَ ، فسَنُنصِفُهم ونُقاتِلُكَ بَحراً وبَرّاً» .

(٣٩) الاصل وحده كان مدوَّناً على ألواح من نحاس .

(٤٠) معاهدة لم يَروِها المؤرّخون المعروفون . لكنها توافق سياسة مجلس الشيوخ في ذلك الزمان .

٧. وفاة يهوذا

لم يشأ البطل اليهودي أن يظهر جباناً، فوجد الموت في معركة غير متكافئة.

٩ [١]ولَمَّا سَمِعَ ديمِتريوس[(٤١)] بِأَنَّ نِكانورَ وجُيوشَه قد سَقَطوا في الحَرْب، عادَ فأَرسَلَ إلى أَرضِ يَهوذا بَكّيديسَ وأَلكيمُس[(٤٢)]، ومعَهما الجَناحُ الأَيمَن. [٢]فسارا في طَريقِ الجَليل وعَسكَرا عِندَ مِشاكوتَ بِأَربيل، فآستَولَيا علَيها وأَهلَكا نُفوساً كَثيرة. [٣]وفي الشَّهرِ الأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ المِئَةِ والثَّانِيَةِ والخَمْسين[(٤٣)]، عَسكَرا عِندَ أُورشَليم، [٤]ثُمَّ زَحَفا وآنطَلَقا إلى بِئرَ زَيت[(٤٤)] في عِشْرينَ أَلفَ راجِلٍ وأَلفَي فارِس. [٥]وكانَ يَهوذا قد عَسكَرَ في الفاسة ومعَه ثَلاثَةُ آلافِ رَجُلٍ مُنتَخَبين. [٦]فلَمَّا رَأَوا كَثرَةَ عَدَدِ الجُيوشِ خافوا خَوفاً شَديداً، فجَعَلَ كَثيرونَ يَنسَلُّونَ مِنَ المُعَسكَر، ولَم يَبقَ مِنهم إلاَّ ثَماني مِئَةِ رَجُل. [٧]ورأَى يَهوذا أَنَّ جَيشَه قدِ آنسَلَّ والحَربَ تُضايِقُه، فآنكَسَرَ قَلبُه لِأَنَّه لم يَبقَ لَه وَقتٌ لِجَمعِ رِجالِه، وآستَرخَت عَزيمَتُه. [٨]فقالَ لِمَن بَقِيَ معَه: «لِنَقُمْ ونَهجُمْ على خُصومِنا عَسى أَن نَقدِرَ على مُحارَبَتِهم». [٩]فصَرَفوه عن عَزمِه قائِلين: «لَيسَ في طاقَتِنا اليَومَ إلاَّ أَن نَنجُوَ بِنُفوسِنا ثُمَّ نَرجِعُ مع إِخوَتِنا ونُقاتِلُهم، فإِنَّنا عَدَدٌ قَليل». [١٠]فقالَ

(٤١) ديمتريوس الاول سوتير (١٦٢-١٥٠).

(٤٢) بكّيديس قائد سوري كان قد قضى على عدد كبير من الحسيديم. وأَلكيمُس عظيم كهنة كان قد أعطى رهناً لانطيوخس أبيفانيوس وساهم في اضطهاد اليهود المخلصين. مات على اثر ضربة دماغية في أيار (مايو) ١٥٩.

(٤٣) ايار (مايو) ١٦٠.

(٤٤) في شمال أورشليم.

يَهوذا: «حاشَ لي أَن أَفعَلَ مِثلَ ذلك وأَهرُبَ مِنهم. وإِن كانَ قد دَنا أَجَلُنا فلْنَموتَنَّ بِشَجاعةٍ عن إخوَتِنا ولا نُبقِيَنَّ على مَجدِنا وَصمَةً».

[١١]وخَرَجَ جَيشُ العَدُوِّ مِنَ المُعَسكَر ووَقَفوا بِإزائِهم، وآنقَسَمَتِ الفُرسانُ قِسمَين، وكانَ الرُّماةُ بِالمَقاليعِ والقِسِيِّ يَتَقَدَّمونَ الجَيش، وكانَت مُقَدِّمةُ الجَيشِ كُلُّها مِن ذَوي البأس. [١٢]وكانَ بَكِّيديسُ في الجَناحِ الأَيمَن، وتَقَدَّمَتِ الفِرقَةُ مِنَ الجانِبَينِ وهَتَفوا بِالأَبْواق. ونَفَخَ رِجالُ يَهوذا أَيضاً في الأَبْواق، [١٣]فآرتَجَّتِ الأَرضُ مِن جَلَبَةِ العَسكَرَين، وآلتَحَمَ القِتالُ مِنَ الصُّبحِ إِلى المَساء.

[١٤]ورَأَى يَهوذا أَنَّ بَكِّيديسَ وقُوَّةَ الجَيشِ في الجَناحِ الأَيمَن، وآجتَمَعَ حَولَ يَهوذا كُلُّ ذي قَلبٍ ثابِت. [١٥]فكَسَروا الجَناحَ الأَيمَنَ وتَعَقَّبوا إِثرَهم إِلى جَبَلِ حاصورا. [١٦]فلَمَّا رأَى رِجالُ الجَناحِ الأَيسَرِ آنكِسارَ الجَناحِ الأَيمَن، اِنقَلَبوا على آثارِ يَهوذا ومَن معَه. [١٧]فآشتَدَّ القِتالُ وسَقَطَ قَتْلى كَثيرونَ مِنَ الفَريقَين. [١٨]وسَقَطَ يَهوذا وهَرَبَ الباقون.

[١٩]فحَمَلَ يوناتانُ وسِمْعانُ يَهوذا أَخاهُما ودَفَناه في قَبرِ آبائِه في مُودَين. [٢٠]فبَكاه كُلُّ شَعبِ إِسْرائيلَ بُكاءً شَديداً ولَطَموا علَيه وناحوا أَيَّاماً كَثيرةً وقالوا: [٢١]«كَيفَ سَقَطَ البَطَلُ مُخَلِّصُ إِسْرائيل؟».

٣. نحو الحرية

١. اختيار يوناتان

حلَّ إخوة يهوذا محلّه. سنشعر بعد اليوم بشيء من الانتهازية السياسية، لكن الاندفاع الديني لا يزال قوياً.

[٢٣]وكانَ بَعْدَ وَفاةِ يَهوذا أَنَّ الأَشرارَ ظَهَروا في جَميعِ أَراضي إِسْرائيل، وأَنَّ فَعَلَةَ الإِثْمِ رَفَعوا رُؤُسَهم. [٢٤]وفي تِلكَ الأَيَّامِ حَدَثَت مَجاعةٌ شَديدةٌ جِدًّا، فآنضَمَّتِ البِلادُ إِلَيهم. [٢٥]فآختارَ بَكِّيديسُ الكَفَرَةَ مِنهم وأَقامَهم رُؤَساءَ على البِلاد. [٢٦]فكانوا يَبحَثونَ عن أَصدِقاءِ يَهوذا ويَقتَفونَ أَثَرَهم ويأتونَ بِهم إِلى بَكِّيديس، فيُعاقِبُهم ويَستَهزِئُ بِهم. [٢٧]فحَلَّ بِإِسْرائيلَ ضيقٌ شَديدٌ لم يحدُثْ مِثلُه مُنذُ لم يَظهَرْ فيهم نَبِيّ.

[٢٨]فآجتَمَعَ كُلُّ أَصدِقاءِ يَهوذا وقالوا لِيوناتان: [٢٩]«مُنذُ وَفاةِ يَهوذا أَخيكَ، لم يَقُمْ لَه مَثيلٌ يَخرُجُ على الأَعْداءِ وعلى بَكِّيديسَ والمُبغِضين لِأُمَّتِنا. [٣٠]فنَحنُ نَخْتارُكَ اليَومَ رَئيساً لَنا وقائِداً مَكانَه تُحارِبُ حَربَنا». [٣١]فقَبِلَ يوناتانُ القِيادَةَ في ذلك الوَقْتِ وحلَّ مَحَلَّ يَهوذا أَخيه.

٢. الاسكندر أبيفانيوس يقيم يوناتان عظيم كهنة وحاكماً على اليهودية

استغلّ يوناتان القتال القائم بين ديمتريوس الاول والاسكندر أبيفانيوس، فحصل على الاعتراف بالحياة الدينية اليهودية، كما حصل على تفويض السلطة المدنية والعسكرية.

١٠ [١٥]وسَمِعَ الإِسكَندَرُ المَلِكُ[٤٥] بِالوُعودِ الَّتي أَرسَلَها ديمِتريوسُ إِلى يوناتان، وحَدَّثوه أَيضاً بِما قامَ بِه هو وإِخوَتُه مِنَ الحُروبِ وأَعْمالِ البَأس وما كابَدوه مِنَ المَشَقَّات، [١٦]فقال: «أَنَجِدُ رَجُلاً يُماثِلُه؟ فلنَتَّخِذْه صَديقاً وحَليفاً». [١٧]وكَتَبَ كُتُباً وبَعَثَ إِلَيه بِها في هذا المَعْنى قائلاً: [١٨]«مِنَ المَلِكِ الإِسكَندَرِ إِلى أَخيه يوناتانَ سَلام. [١٩]لَقَد بَلَغنا عنكَ أَنَّكَ مُحارِبٌ

(٤٥) مطالب بخلافة أنطيوخس الخامس وخصم ديمتريوس الاول (١٥٠-١٤٥).

باسِلٌ وجَديرٌ بِأَن تَكونَ لَنا صَديقاً. [٢٠]فنَحنُ نُقيمُكَ اليَومَ عَظيمَ كَهَنَةِ في أُمَّتِكَ[٤٦]، ونُسَمِّيكَ صَديقَ المَلِك (وأَرسَلَ إِلَيه أُرجُواناً وتاجاً مِن ذَهَبٍ[٤٧]) لِكَي تَتَبَنَّى قَضِيَّتَنا وتَحفَظَ لَنا صَداقَتَكَ».

[٢١]فلَبِسَ يوناتانُ الحُلَّةَ المُقَدَّسةَ في الشَّهرِ السَّابعِ مِنَ السَّنَةِ المِئَةِ والسِّتِّين[٤٨]، في عيدِ الأَكْواخ، وجَمَعَ الجُيوشَ وصَنَعَ أَسلِحةً كَثيرة. [٦٥]وكَرَّمَه المَلِكُ فجَعَلَه مِن أَصدِقائِه الأَوَّلين[٤٩]، وأَقامَه قائِداً وحاكِماً. [٦٦]فعادَ يوناتانُ إِلى أُورَشَليمَ سالِماً مَسْروراً.

٣. مفاوضات مكمّلة مع ديمتريوس الثاني

بُلّغ عن يوناتان لدى ديمتريوس الثاني، فربح ثقة الملك الجديد وحصل على مكاسب واسعة: ضمّ أراضٍ واعفاء عن بعض الضرائب.

١١ [٢٤]وأَخَذَ مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ والحُلَلِ وسائِرِ الهَدايا شَيئاً كثيراً، وذَهَبَ إِلى المَلِكِ[٥٠] في بَطُلْمايِس، فنالَ حُظوَةً لَدَيه. [٢٧]وأَقَرَّه في الكَهَنوتِ الأَعظَمِ وفي كُلِّ ما كانَ لَه مِنَ الامتِيازات، وجَعَلَه من أَوَّلِ أَصدِقائِه. [٢٨]وسأَلَ يوناتانُ المَلِكَ أَن يُعفِيَ اليَهودِيَّةَ والأَقضِيَةَ الثَّلاثَةَ وأَرضَ السَّامِرَةِ مِن كُلِّ جِزيَة، ووَعَدَ بِثَلاثِ مِئَةِ قِنْطار. [٢٩]فرَضِيَ المَلِكُ وكَتَبَ لِيوناتان كُتُباً في ذلك كُلِّه، وهذه صورَتُها:

(٤٦) كان المنصب شاغراً منذ وفاة أَلْكيمس.

(٤٧) شارات لقب «صديق الملك»، لا بل عظماء الكهنة الهلّينيين أيضاً.

(٤٨) تشرين الاول (اكتوبر) ١٥٢.

(٤٩) بين رجال البلاط، كان «الاصدقاء الاوّلون» أرفع مرتبة من «أصدقاء الملك». وفي ١٤٧، أصبح يوناتان «من أقارب الملك».

(٥٠) يدور الكلام على ديمتريوس الثاني نكانور (١٤٥-١٤٠ و ١٢٩-١٢٥).

[٣٠]«مِن ديمِتريوسَ المَلِكِ إِلى يوناتانَ أَخيه وأُمَّةِ اليَهودِ سَلام. [٣١]نُسخَةُ الكِتابِ الَّذي كَتَبناه في شَأنِكم إِلى لَسْطانيسَ قَريبِنا، كَتَبنا بِها إِلَيكم أَيضاً لِتَقِفوا على مَضْمونِها: [٣٢]مِن ديمِتريوسَ المَلِكِ إِلى لَسْطانيسَ أَبيه سَلام. [٣٣]لقَد رأَينا أَن نُحسِنَ إِلى أُمَّةِ اليَهودِ أَصدِقائِنا المحافِظينَ على ما يُحَقُّ لَنا وَفاءً بِما سَبَقَ مِن بِرِّهم لَنا. [٣٤]فنُقِرُّ لَهم أَراضِيَ اليَهودِيَّةِ والأَقضِيَةِ الثَّلاثة، وهي أَفَيرَمةُ ولُدَّةُ والرَّامَتائيمُ الَّتي أُلحِقَت بِاليَهودِيَّةِ مِن أَرضِ السَّامِرَة، وجَميعَ تَوابِعِها(٥١)، فتَكونُ لِجَميعِ الَّذينَ يَذبَحونَ في أُورَشَليم، بَدَلَ الضَّرائِبِ المَلَكِيَّةِ الَّتي كانَ المَلِكُ يَستَخرِجُها مِنهم قَبْلاً في كُلِّ سَنَةٍ مِن مَحْصولاتِ الأَرضِ وثِمارِ الأَشجار. [٣٥]وأَمَّا سائِرُ ما يُحَقُّ لَنا مِنَ العُشورِ والضَّرائِبِ ووِهادِ المِلْحِ والأَكاليل، فقَد أَعفَيناهم مِنه جَميعاً(٥٢). [٣٦]ومِنَ الآنَ لا يُلْغى شَيءٌ مِن هذا الإِنْعامِ ما طالَ الزَّمان. [٣٧]فاعتَنوا الآنَ بِٱستِنساخِ هذا الكِتاب، ولْتُسَلَّمِ النُّسخَةُ إِلى يوناتان ولْتوضَعْ في الجَبَلِ المُقَدَّسِ في مَكانٍ مَشْهود».

٤. يوناتان يقع في أيدي أعدائه

كان يوناتان كثير الثقة، فوقع في الفخّ الذي نُصب له، وأُلقي في السجن. ولقد أُعدم بعد ذلك بقليل.

١٢

[٣٩]وحاوَلَ تَريفونُ(٥٣) أَن يَملِكَ على آسِيَة ويَلبَسَ التَّاجَ ويُلقِيَ يَدَه

(٥١) ازدياد الارض.
(٥٢) الإعفاء من الضرائب خاصّ بكل من الملوك ولا قيمة له إلاّ في عهده.
(٥٣) قائد الاسكندر بالاس. قتل ابنه أنطيوخس السادس وطالب بعرش سورية، تجاه ديمتريوس الثاني، ثم أنطيوخس السابع.

على أنطيوخس الملك . [٤٠] لكنه خشي أن يمنعه يوناتان ويحاربه ، فطلب سبيلاً لأن يقبض على يوناتان ويهلكه . فسار وأتى إلى بيت شان .

[٤١] فخرج يوناتان لملاقاته في أربعين ألف رجل منتخبين للقتال ، وأتى إلى بيت شان . [٤٢] فلما رأى تريفون أن يوناتان قد أقبل في جيش جرار ، لم يجسر أن يمد إليه يده . [٤٣] فاستقبله بإكرام وأوصى به جميع أصدقائه وأهدى إليه هدايا وأمر جيوشه بأن يطيعوه طاعتهم له نفسه . [٤٤] وقال ليوناتان : «لم ثقلت على هذا الشعب كله ، وليس بيننا حرب ؟ [٤٥] أطلقهم إلى بيوتهم وانتخب لك نفراً قليلاً يكونون معك ، وهلم معي إلى بطلمايس ، فأسلمها إليك هي وسائر الحصون ومن بقي من الجيوش وجميع الموظفين ، ثم أنصرف راجعاً لأني لهذا جئت» . [٤٦] فصدقه يوناتان وفعل كما قال له ، وأطلق الجيوش فانصرفوا إلى أرض يهوذا . [٤٧] واستبقى لنفسه ثلاثة آلاف رجل ، ترك ألفين منهم في الجليل وصحبه ألف . [٤٨] فلما دخل يوناتان بطلمايس ، أغلق أهل بطلمايس الأبواب وقبضوا عليه ، وقتلوا بالسيف جميع الذين دخلوا معه .

٤. اليهود يحصلون على استقلالهم السياسي والديني

١. سمعان يخلف يوناتان

كان سمعان آخر أبناء متتيا ، فخرج منتصراً من هذه الحرب التي دامت ربع قرن ، وكان الفضل لدبلوماسيته ، لا لسلاحه .

١٣ [١] وبلغ سمعان أن تريفون قد جمع جيشاً عظيماً ليذهب إلى أرض يهوذا ويدمرها . [٢] ورأى أن الشعب قد داخله الرعب والرعدة ، فصعد إلى

أُورَشَليم وجَمَعَ الشَّعبَ [٣] وشَجَّعَهم فقالَ لهم: «قد عَلِمتُم ما فَعَلتُ أَنا وإِخوَتي وأَهلُ بَيتِ أَبي مِن أَجلِ السُّنَنِ والأَقْداس، وما لَقينا مِنَ الحُروبِ والشَّدائِد. [٤] ولِذلك هَلَكَ إِخوَتي جَميعاً لِأَجلِ إِسرائيل، وبَقيتُ أَنا وَحْدي. [٥] فحاشَ لِيَ الآنَ أَن أَضَنَّ بِنَفْسي في كُلِّ وَقتِ ضيق! فإِنِّي لَستُ خَيراً مِن إِخوَتي. [٦] بل أَنتَقِمُ لِأُمَّتي ولِلأَقْداسِ ولِنِسائِنا وأَولادِنا، لِأَنَّ الأُمَمَ بِأَسرِها قدِ آجتَمَعَت لِتَدْميرِنا بُغْضاً». [٧] فلَمَّا سَمِعَ الشَّعبُ هذا الكَلامَ آنتَعَشَت أَرْواحُهم [٨] وأَجابوا بِصَوتٍ عَظيمٍ قائلين: «أَنتَ قائِدٌ لَنا(٥٤) مَكانَ يَهوذا ويوناتانَ أَخيكَ. [٩] فحارِبْ حَربَنا، ومَهْما قُلتَ لَنا فإِنَّنا نَفعَلُه». [١٠] فحَشَدَ جَميعَ رِجالِ القِتال وجَدَّ في إِتْمام أَسْوارِ أُورَشَليم وحَصَّنَها مِمَّا حَولَها. [١١] ثُمَّ وَجَّهَ يوناتانَ بنَ أَبْشالومَ إِلى يافا في عَدَدٍ وافٍ مِنَ الجَيش، فطَرَدَ الَّذينَ كانوا فيها وأَقامَ هُناك.

٢. سمعان عظيم كهنة ورئيس اليهود

أراد سمعان أن تُثبَّت المكاسب السابقة، فكتب إلى ديمتريوس الثاني وتلقَّى الجواب التالي:

[٣٦] «مِن ديمِتريوسَ المَلِكِ إِلى سِمْعانَ عَظيمِ الكَهَنَة(٥٥) وصَديقِ المُلوك، وإِلى الشُّيوخِ وشَعبِ اليَهودِ سَلام. [٣٧] قد وَصَلَ إِلَينا إِكليلُ الذَّهَبِ(٥٦) والسَّعَفُ الَّتي بَعَثتُم بِها إِلَينا، وفي عَزْمِنا أَن نَعقِدَ مَعَكم سِلْماً تامًّا ونَكتُبَ إِلى المُوَظَّفينَ أَن يَعْفوكم مِمَّا عَلَيكم. [٣٨] وكُلُّ ما رَسَمْنا

(٥٤) حرفياً: «دليل» و«إمام».
(٥٥) يعترَف له إذاً برتبة عظيم الكهنة، كما اعترُف بها ليوناتان فيما مضى.
(٥٦) ضريبة للملك متوجّبة على الدول الرعايا.

لكم يَبْقى مَرْسوماً، والحُصونُ الَّتي بَنَيْتُموها تَكونُ لكم. [٣٩]وكُلُّ ما فَرَطَ مِن هَفوَةٍ وخَطَإٍ إِلى هذا اليَومِ نَتَجاوَزُ عنه، والإِكْليلُ الَّذي لَنا عليكم وكُلُّ رَسْمٍ آخَرَ على أُورَشَليمَ نُعفيكم مِنْهما. [٤٠]وإِن كانَ فيكم أَهلٌ لِلاكتِتابِ في جُندِنا فلْيَكتَتِبوا، ولْيَكُنْ فيما بَينَنا سِلْم». [٤١]وفي السَّنَةِ المِئَةِ والسَّبْعين، خُلِعَ نيرُ الأُمَمِ عن إِسْرائيل(٥٧)، [٤٢]وبَدَأَ شَعبُ إِسْرائيلَ يَكتُبُ في توقيعِ الصُّكوكِ والعُقود: «في السَّنَةِ الأُولى لِسِمْعانَ عَظيمِ الكَهَنَة، قائِدِ اليَهودِ ورَئيسِهم».

١٤ [٤]فهَدَأَت أَرضُ يَهوذا كُلَّ أَيَّامِ سِمْعان. وسَعى إِلى خَيرِ أُمَّتِه
فطابَ لَهم سُلْطانُه ومَجدُه كُلَّ الأَيَّام.
[٥]وفَضلاً عن ذلك المَجدِ كُلِّه إِتَّخَذَ يافا مَرْسًى وفَتَحَ مَجازاً لِجُزُرِ البَحْر.

٣. مقتل سمعان

هلك آخِر أبناء متتيا ضحيّة خيانة صهره. أتى بعده الحشمونيون الذين لا يذكرهم نصّ الكتاب المقدس. فمدّة ١٦٠ سنة، لزم التاريخ الكتابي الصمت. ثم أتى يوحنا المعمدان، وأتى معه العهد الجديد.

١٦ [١١]وكانَ بَطْليمُسُ بنُ أَبوبَس قد أُقيمَ قائِداً في بُقعَةِ أَريحا، وكانَ عِندَه مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ شَيءٌ كثير، لِأَنَّه كانَ صِهرَ عَظيمِ الكَهَنَة. [١٢]فتَشامَخَ في قَلبِه وسَعى أَن يَستَوليَ على البِلاد، وقد نَوى الغَدرَ

(٥٧) ١٤٢. تاريخ الحكم الذاتي السياسي، أساس الحرية الدينية. سيدوم حتى ٦٣، تاريخ الاستيلاء على أورشليم عن يد بمبيوس.

بِسِمْعانَ وبَنيه حتَّى يُهلِكَهم. [١٤]وكانَ سِمْعانُ يَجولُ في مُدُنِ البِلاد، يَهتَمُّ بشُؤُونِها. فنَزَلَ إلى أَريحا هو ومَتَّيا ويَهوذا آبْناه في السَّنَةِ المِئَةِ والسَّابِعَةِ والسَّبْعين(٥٨)، في شهرِ شُباط. [١٥]فآستَقبَلَهمُ آبنُ أَبوبَسَ في حُصَينٍ كانَ قد بَناه يُقالُ لَه دوق، وهو يُضمِرُ لَهُمُ الغَدْر. وأَقامَ لَهم مأدُبَةً عَظيمةً وأَخْفى هُناكَ رِجالاً. [١٦]فلَمَّا سَكِرَ سِمْعانُ وبَنوه، قامَ بَطْليمُسُ ومَن معَه وأَخذوا سِلاحَهم ووَثَبوا على سِمْعانَ في قاعةِ المَأدُبَة، وقَتَلوه هو وآبنَيه وبَعضاً مِن خُدَّامِه. [١٧]وخانَ هٰكذا خِيانةً شَنيعةً وكافَأَ الخَيرَ بِالشَّرّ.

[١٨]ثُمَّ كَتَبَ بَطْليمُسُ بِذلك وأَرسَلَ إلى المَلِكِ أَن يُوَجِّه إِلَيه جَيشاً لِنَجدَتِه، فيُسَلِّمَ إِلَيه البِلادَ والمُدُن. [١٩]ووَجَّه قَوماً آخَرينَ إلى جازَرَ لإِهْلاكِ يوحَنَّا(٥٩)، وأَرسَلَ كُتُباً إِلى رُؤَساءِ الأُلوفِ أَن يأتوه حتَّى يُعطِيَهم فِضَّةً وذَهَباً وهَدايا. [٢٠]وأَرسَلَ آخَرينَ لِيَستَولوا على أُورَشَليمَ وجَبَلِ الهَيكل. [٢١]فسَبَقَ واحِدٌ وأَخبَرَ يوحَنَّا في جازَرَ بِهَلاكِ أَبيه وأَخَوَيه، وأَنَّ بَطْليمُسَ قد بَعَثَ مَن يَقتُلُه. [٢٢]فلَمَّا سَمِعَ ذلك بُهِتَ كَثيراً وقَبَضَ على الرِّجالِ الَّذينَ أَتَوا لِيَقتُلوه وقَتَلهم، لِعِلمِه أَنَّهم يُريدونَ إِهْلاكَه.

(٥٨) توفي سمعان في ١٣٤. بعد ذلك، حلّ الحسمونيون محل المكّابيين. الاسرة هي هي، لكن المثل الاعلى الديني سيزول تاركاً المجال للاطماع السياسية: لم تكن السلطة المدنية والسلطة الدينية صالحتين للرجل نفسه.

(٥٩) هو ابن ثالث لسمعان، يوحنا هرقانس.

سِفرُ المكابيّينَ الثاني

لا يتجاوز الكاتب في روايته زمن يهوذا المكابي ، لا بل يتقدّمه بقليل ، فيفيدنا عن النذير بالاضطهاد .

انّها لقصة مؤثّرة حقاً ، توخّى فيها الكاتب الوَقع ، الامر الذي دفعه أحياناً الى المبالغة في الارقام أو إلى إضفاء الطابع الخارق . فالسعي إلى التأثير الحسن يتغلّب على الدقة ، لان الكاتب يريد أن يبيّن كيف ان الله لا يزال يسهر على شعبه .

تعليم الكتاب حافل بالافكار ، فإلى جانب صلاة بسيطة جداً تدلّ على الالفة بين المؤمن والله ، يبيّن لنا أن الشهداء لم يضحّوا عبثاً بأموالهم وحياتهم ، لان الاموات سيقومون يوماً والابرار يكافأون . ومن هنا مشكلة المكافأة بنور جديد .

المؤلِّف ترجمة لكتاب حرَّره في حوالى ١٥٠ رجل يسمّى ياسون القيريني . يبدو أن هذا الملخَّص أُلِّف في حوالى ١٢٠ .

تمهيد

١ مِنَ الَّذينَ في أُورَشَليمَ واليَهودِيَّة ، والشُّيوخِ ويهوذا ، إِلى أَرِسْطوبولُس ، مُسْتَشارِ بَطْليمُسَ المَلِكِ والَّذي مِن ذُرِّيَّةِ الكَهَنَةِ المُسَحاء ، وإِلى اليَهودِ الَّذينَ في مِصرَ سَلامٌ وعافِيَة .

٢ [١٦]ولَمَّا كُنَّا مُزمِعينَ أَن نُعَيِّدَ عيدَ التَّطْهير ، فقَد كَتَبْنا إِلَيكم . وإِنَّكم تُحسِنونَ عَمَلاً ، إِذا عَيَّدتُم هذه الأَيَّام . [١٧]واللهُ الَّذي خَلَّصَ كُلَّ شَعبِه وردَّ إِلَيه كُلِّه الميراثَ والمُلْكَ والكَهَنوتَ والتَّقْديس ، [١٨]كمَا وَعَدَ في الشَّريعة ،

نَرْجو مِنه أَن يَرحَمَنا قَريباً ويَجمَعَنا مِمَّا تَحتَ السَّماءِ إِلى المَكانِ المُقَدَّس، فإِنَّه قد أَنقَذَنا مِن شُرورٍ جَسيمَة وطَهَّرَ المَكانَ المُقَدَّس.

[١٩] إِنَّ أَخْبارَ يَهوذا المَكَّابِيِّ وإِخوَتِه، وتَطْهيرَ المَقدِسِ العَظيم، وتَدْشينَ المَذبَح، [٢٠] والحُروبَ الَّتي وَقَعَت بَينَه وبَينَ أَنْطِيوخُس إِبيفانِيوسَ وآبنِهِ أَوباطور، [٢١] والآياتِ الَّتي ظَهَرَت مِنَ السَّماءِ لِصالِحِ البُسَلاءِ الَّذينَ حارَبوا عن دينِ اليَهود، حَتَّى إِنَّهم مع قِلَّتِهم نَهَبوا البِلادَ بِجُملَتِها وطَرَدوا جَماهيرَ الأَعاجِم، [٢٢] وآستَرَدُّوا المَقدِسَ الَّذي آشتَهَرَ ذِكرُه في المَسْكونَةِ بِأَسْرِها، وحَرَّروا المَدينَة، وأَحيَوُا الشَّرائِعَ الَّتي كادَت تُلْغى، لِأَنَّ الرَّبَّ وفَّقَهم بِكُلِّ رِفقِه، [٢٣] تِلكَ الأُمورَ الَّتي عرَضَها ياسونُ(١) القيرينيُّ في خَمسَةِ كُتُبٍ سنُحاوِلُ آختِصارَها في مُجَلَّدٍ واحِد. [٢٤] ولَمَّا رَأَينا كَثرَةَ الأَرْقامِ والصُّعوبَةَ الَّتي تَعتَرِضُ مَن أَرادَ الخَوضَ في أَخْبارِ التَّاريخِ لِغَزارةِ المَوادّ، [٢٥] كانَ مِن هَمِّنا أَن نُوَفِّرَ المُتعَةَ لِلمُطالِعِ والسُّهولَةَ لِلحافِظِ والفائِدَةَ لِلجَميع. [٢٦] فلَم يَكُنْ تَكَلُّفُنا هذا التَّلْخيصَ أَمراً سَهْلاً، بل تَمَّ بِالعَرَقِ والسَّهَر، [٢٧] كما أَنَّ الَّذي يُعِدُّ مأدُبَةً ويَبتَغي مَنفَعةَ النَّاسِ لا يَكونُ الأَمرُ علَيه سَهْلاً. غَيرَ أَنَّنا لِمَنفَعَةِ الكَثيرينَ سَنَتَحَمَّلُ هذا العَمَلَ الشَّاقَّ عن طيبَةِ نَفْس، [٢٨] تاركينَ التَّدْقيقَ في تَفاصيلِ كُلٍّ مِنَ الأَحداثِ لِأَهلِ التَّاريخ، ومُلتَزِمينَ التَّقَيُّدَ بِقَواعِدِ التَّلْخيص. [٢٩] فإِنَّه كَما يَنبَغي لِمَنْ يُهَندِسُ بَيتاً جَديداً أَن يَهتَمَّ بِمُجمَلِ البِناء، ولِمَن يَقومُ بِتَزْيينِه بِرُسوم مَدْهونَة أَن يُدَقِّقَ النَّظَرَ في ما يُناسِبُ قَواعِدَ التَّزْيين، فهكذا يَكونُ أَمْرُنا، على ما أَرى. [٣٠] فإِنَّ تَقَصِّيَ الأُمورِ والإِحاطَةَ بِالمَسائِلِ والبَحثَ عن جُزْءٍ فجُزْءٍ مِن شأنِ

(١) صيغة يشوع اليونانية. عاش هذا اليهودي الهلّيني في النصف الثاني للقرن الثاني ق.م.

مُصَنِّفِ التَّاريخ. [٣١] وأَمَّا المُلَخِّصُ فمُرَخَّصٌ لَه أَن يَسوقَ الحَديثَ بِإِيجاز. مع إِهْمالِ آستِنْفادِ المَوضوع.

[٣٢] فلْنَشرَعْ ههُنا في رِوايةِ الأَحْداث، مُقتَصِرينَ مِنَ التَّمْهيدِ على ما ذَكَرْناه، إِذ لَيسَ مِنَ الصَّوابِ أَن نُسهِبَ فيما قَبلَ التَّاريخ وأَن نُوجِزَ في التَّاريخ.

١. بعض وجوه الاضطهاد

١. هليودورس في هيكل أورشليم

الملك يأمر هليودورس بالاستيلاء على أموال هيكل أورشليم. لكنه فشل فشلاً تاماً. لان حرمة المقدس لا تُهتك.

٣ [٧] فقابَلَ أَبُلُّونِيوسُ المَلِكَ(٢) وأَعلَمَه بِالأَمْوالِ الَّتي وُصِفَت لَه، فآختارَ المَلِكُ هَلْيودورُس(٣)، قَيِّمَ المَصالِح، وأَرسَلَه وأَمَرَه بِجَلْبِ الأَمْوالِ المَذْكورة. [٨] فتَوَجَّهَ هَلْيودورُسُ لِساعَتِه، قاصِداً في الظَّاهِرِ تَفَقُّدَ مُدُنِ بِقاعِ سورِيَةَ وفينيقِيَة، وكانَ في الواقِعِ يَقصُدُ تَنفيذَ إِرادَةِ المَلِك. [٩] فلَمَّا قَدِمَ أُورَشَليم، أَحسَنَ عَظيمُ الكَهَنَة(٤) في المدينةِ آستِقْبالَه، ففاتَحَه بِما كُشِفَ، وصَرَّحَ لَه بِسَبَبِ قُدومِه، وسَأَلَه هل الأَمرُ في الحَقيقَةِ كَما ذُكِرَ لَه. [١٠] فذَكَرَ لَه عَظيمُ الكَهَنَةِ أَنَّ المالَ هو وَدائِعُ لِلأَرامِلِ واليَتامى، [١١] وأَنَّ

(٢) سلوقس الرابع فيلوباطور (١٨٧-١٧٥)، الاخ الكبير لانطيوخس أبيفانيوس.
(٣) رئيس ديوان سلوقس الرابع وموضع ثقته.
(٤) اونيَّا الثالث، الذي أثنى عليه سفر ابن سيراخ ثناءً عظيماً.

قِسْماً مِنه لِهِرْقانُسَ بنِ طوبِيَّا، أَحَدِ كِبارِ الأَشْراف، وأَنَّ الأَمرَ لَيسَ على ما وَشى بِه سِمعانُ الكافِر، وإِنَّما المالُ كُلُّه أَربَعُ مِئَةِ قِنْطارِ فِضَّةٍ ومِئَتا قِنْطارِ ذَهَب، [١٢]فلا يَجوزُ بِوَجهٍ مِنَ الوُجوهِ هَضْمُ حُقوقِ الَّذينَ آئتَمَنوا قَداسَةَ المَكانِ ومَهابَةَ وحُرمَةَ الهَيكَلِ المُكَرَّمِ في المَسْكونَةِ كُلِّها(٥).

[١٣]لكِنَّ هَلْيودورُس، بِناءً على أَمرِ المَلِك، أَصَرَّ على مُصادَرَةِ الأَموالِ إِلى خِزانَةِ المَلِك. [١٤]وعَيَّنَ يَوماً دَخَلَ فيه لِوَضعِ قائِمَةٍ عن هذه الأَمْوال. فسادَ كُلَّ المَدينَةِ ضيقٌ شَديد. [١٥]وآنطَرَحَ الكَهَنَةُ أَمامَ المَذبَحِ بِحُلَلِهم الكَهَنوتِيَّة، يَبتَهِلونَ إِلى السَّماءِ الَّتي سَنَّت في الوَدائِعِ أَن تُصانَ لِمُستَودِعيها. [١٦]وكانَ من رأَى وَجهَ عَظيمِ الكَهَنَةِ يَتَقَطَّرُ فُؤادُه، لِأَنَّ مَنظَرَه وآمتِقاعَ لَونِه كانا يُنبِئانِ بِما في نَفسِه مِنَ الضِّيق، [١٧]اذ كانَ الرَّجُلُ قد داخَلَه الرُّعبُ والقُشَعْريرة، فكانا يَدُلاَّنِ الَّذينَ يَنظُرونَ إِلَيه على ما في قَلبِه مِنَ الأَلَم. [١٨]وكانَ النَّاسُ يَتَبادَرونَ مِنَ البُيوتِ أَفْواجاً لِيُصَلُّوا صَلاةً عامَّةً، لِسَبَبِ العارِ الَّذي يُهَدِّدُ المَكانَ المُقَدَّس. [١٩]وكانَتِ النِّساءُ يَزدَحِمْنَ في الشَّوارِع، وهُنَّ مُتَحَزِّماتٌ بِالمُسوحِ تَحتَ ثَدِيِّهِنَّ، والفَتَياتُ المُلازِماتُ البُيوتَ يَركُضْنَ بَعْضُهُنَّ إِلى الأَبْواب، وبَعضُهُنَّ إِلى الأَسْوار، وغَيرُهُنَّ يَتَطَلَّعنَ مِنَ النَّوافِذ، [٢٠]وكُلُّهُنَّ باسِطاتٌ أَيدِيَهُنَّ إِلى السَّماءِ يَتَضَرَّعنَ بِالآبتِهال. [٢١]فكانَ إِعْياءُ الجُمْهورِ وآنتِظارُ عَظيمِ الكَهَنَة، وهو في ضيقٍ شَديد، مِمَّا يُثيرُ الشَّفَقَة. [٢٢]وكانوا يَتَضَرَّعونَ إِلى الرَّبِّ القَدير

(٥) لان هناك يهود في العالم المتمدّن.

أَن يَحفَظَ الوَدائِعَ سالِمَةً وفي أَمانٍ لِمُستَودِعيها . [٢٣]أَمَّا هَلْيودورُس ، فكانَ يُنَفِّذُ ما قُضِيَ بِه .

[٢٤]وحَضَرَ هُناكَ مع شُرَطِه عِندَ الخِزانَة ، فتَجَلَّى رَبُّ الأَرْواحِ وكُلِّ سُلْطانٍ تَجَلِّياً عَظيماً ، حتَّى إِنَّ جَميعَ الَّذينَ آجتَرَأُوا على الدُّخولِ صَرَعَتهم قُدرَةُ الله ، ففَقَدوا كُلَّ قُوَّةٍ وشَجاعة . [٢٥]وذلك بِأَنَّه ظَهَرَ لَهم فَرَسٌ عليه راكِبٌ مُخيفٌ وجهازُه فاخِر ، فوَثَبَ وهَدَّدَ هَلْيودورُسَ بِحَوافِرِه الأَمامِيَّة . وكانَت عُدَّةُ الرَّاكِبِ الحَربِيَّةِ كأَنَّها مِن ذَهَب . [٢٦]وتَراءَى أَيضاً لِهَلْيودورُسَ فَتيانِ عَجيبا القُوَّةِ رائِعا الجَمالِ حَسَنا اللِّباس ، فوَقَفا على جانِبَيه يَجلِدانِه جَلداً مُتواصِلاً ويوسِعانِه ضَرباً . [٢٧]فسَقَطَ لِساعَتِه على الأَرضِ وغَشِيَه ظَلامٌ كَثيف ، فرَفَعوه وجَعَلوه على مَحمِل ، [٢٨]فإِذا بِه ، بَعدَ أَن دَخَلَ الخِزانَةَ المَذْكورَةَ في مَوكِبٍ حافِلٍ وكُلِّ حَرَسِه ، قد أَصبَحَ مَحْمولاً وغَيرَ قادرٍ على الآستِعانَةِ بِنَفْسِه ، بِأَيدي أُناسٍ يَعتَرِفونَ عَلانِيَةً بِسِيادَةِ الله .

[٢٩]وبَينَما هو مَطْروحٌ بِالقُوَّةِ الإِلهِيَّة ، أَبكَمَ ، لا رَجاءَ لَه ولا خَلاص ، [٣٠]كانَ اليَهودُ يُبارِكونَ الرَّبَّ الَّذي مَجَّدَ مَكانَه المُقَدَّسَ تَمْجيداً رائِعاً ، وقدِ آمْتَلأَ المَقدِسُ آبتِهاجاً وتَهَلُّلاً ، إِذ تَجَلَّى فيه الرَّبُّ القَدير ، بَعدَ ما كانَ قُبَيلَ ذٰلك مَمْلوءًا خَوفاً وآضطِراباً . [٣١]وبادَرَ بَعضٌ مِن أَصْحابِ هَلْيودورُس وسَأَلوا أُونِيَّا أَن يَبتَهِلَ إِلى العَلِيِّ ويَمُنَّ بِالحَياةِ على مَن أَصبَحَ على آخِرِ رَمَق .

[٣٢]وخافَ عَظيمُ الكَهَنَةِ أَن يَتَّهِمَ المَلِكُ اليَهودَ بِمَكيدَةٍ كادوها لِهَلْيودورُس ، فقَدَّمَ ذَبيحَةً مِن أَجلِ خَلاصِ الرَّجُل . [٣٣]وبَينَما عَظيمُ

الكَهَنَةِ يُقَدِّمُ ذَبيحَةً لِلخَطيئَة ، عادَ الفَتَيانِ نَفسُهما فتَراءَيا لِهَلْيودورُسَ بِلِباسِهِما الأَوَّل ، ووَقَفا وقالا لَه : «عَلَيكَ بِجَزيلِ الشُّكرِ لِأُونِيَّا عَظيمِ الكَهَنَة ، فإِنَّ الرَّبَّ قد مَنَّ علَيكَ بِالحَياةِ مِن أَجلِه . [٣٤]وأَنتَ الَّذي جَلَدَته السَّماء ، أَخبِرِ الجَميعَ بِقُدرَةِ اللهِ العَظيمة» . قالا ذلك وغابا عنِ النَّظَر .

[٣٧]وسأَلَ المَلِكُ هَلْيودورُسَ مَن تُرى يَكونُ أَهلاً لِأَن يَعودَ فيُرسِلَه إِلى أُورَشَليم ، فقال : [٣٨]«إِن كانَ لَكَ عَدُوٌّ أَو صاحِبُ دَسيسَةٍ في المَملَكَة ، فأَرسِلْه إِلى هُناكَ ، فيَرجِعَ إِلَيكَ مَجْلوداً ، إِن نَجا . فإِنَّ في ذلك المَكانِ المُقَدَّسِ قُدرَةً إِلهِيَّةً حَقًّا ، [٣٩]لِأَنَّ الَّذي مَسكِنُه في السَّماءِ هو يَسهَرُ على هذا المَكانِ ويدافِعُ عنه ، فيَضرِبُ الَّذينَ يَقصِدونَه بِالشَّرِّ ويُهلِكُهم» . [٤٠]هذا ما كانَ مِن أمرِ هَلْيودورُسَ وحِمايَةِ الخِزانَة(٦) .

٢. دسائس لمنصب عظيم الكهنة

على عهد أنطيوخس أبيفانيوس ، كان منصب عظيم الكهنة في يده . والذين وصلوا إليه ، لم يكن لهم أيّ احترام لقداسة وظيفتهم ، لكن الله عاقبهم .

٤ [٧]وكانَ أَنَّه بَعدَ أَن فارَقَ سَلوقُسُ الحَياة ، وحَصَلَ أَنطيوخُسُ المُلَقَّبُ بِأَبيفانيوسَ على المُلْك ، حَصَلَ ياسون ، أَخو أُونِيَّا ، على الكَهَنوتِ الأَعظَمِ بِالتَّدْليس ، [٨]بَعدَ أَن قابَلَ المَلِكَ ووَعَدَه بِثَلاثِ مِئَةٍ وسِتِّينَ قِنْطارَ فِضَّةٍ وبِثَمانينَ قِنْطاراً مِن دَخْلٍ آخَر(٧) . [٩]وما عدا ذلك ضَمِنَ له مِئَةً وخَمْسينَ قِنْطاراً غَيرَها ، إِن رَخَّصَ لَه المَلِكُ في أَن يُقيمَ بِسُلطَتِه مُؤَسَّسَةً

(٦) الهدف في هذه الرواية دفاعي . ان تحمّس الكاتب للهيكل واضح في كل هذا السفر ، ويحمله على إفساح المجال للطابع الخارق .

(٧) ستكون رتبة عظيم الكهنة بعد اليوم في أيدي السلوقيين .

لِلرِّياضةِ البَدَنِيَّة[٨] ومُؤَسَّسَةً لِلمُراهِقين[٩]، وبأَن يُحصى أَنطاكِيُّو أُورَشَليم[١٠]. ١٠فأَجابَ المَلِكُ إِلى طَلَبِه، فآستَولى ياسونُ على الرِّئاسَة، وما لَبِثَ أَن صَرَفَ أَبناءَ جِنسِه إِلى نَمَطِ حَياةِ اليونانِيِّين. ١١وأَلْقى الإِعْفاءاتِ الَّتي أَنعَمَ بِها الملوكُ عن إِنْسانِيَّةٍ على اليَهود، عن يَدِ يوحَنَّا، أَبي أَوبولِمُسَ الَّذي قُلِّدَ السِّفارَةَ إِلى الرُّومانِيِّينَ في عَقدِ المُصادَقَةِ والتَّحالُف. وأَبطَلَ المُؤَسَّساتِ المَشْروعَة، وأَدخَلَ سُنَناً تُخالِفُ الشَّريعَة[١١]. ١٢وكانَ جِدَّ مَسْرورٍ بِإِقامَةِ مَدرَسَةٍ لِلرِّياضَةِ البَدَنِيَّة تَحتَ القَلعَة، وساقَ نُخبَةَ المُراهِقينَ فجَعَلَهم تَحتَ القُبَّعَة[١٢]. ١٣وتَمَكَّنَ المَيلُ إِلى نَمَطِ حَياةِ اليونانِيِّينَ والتَّخَلُّقُ بِأَخْلاقِ الغُرَباء، بِشِدَّةِ فُجورِ ياسونَ الَّذي هو كافِرٌ لا عَظيمُ كَهَنَة، ١٤حَتَّى إِنَّ الكَهَنَةَ لم يَعودوا يَحرِصونَ على خِدمَةِ المَذبَح، وآستَهانوا بِالهَيكَلِ وأَهمَلوا الذَّبائِح، لِيُسرِعوا إِلى الاَشتِراكِ في تَمارينِ المَيدانِ الَّتي تُحَرِّمُها الشَّريعَة، حالَ الإِعلانِ عن رَمْيِ القُرْص.

(٨) مكان مُعدّ للتمارين الرياضية. كان اليهود الامناء للشريعة يعارضون الملاعب، بسبب عُري المشاركين في التمارين.

(٩) منذ القرن الرابع، كانت الفتوّة تمارَس في المدن اليونانية، وكانت الفتوّات تضمّ شباباً في الثامن عشر إلى العشرين يستعدّون للخدمة العسكرية.

(١٠) نوع من الرابطة أُنشئ بتأييد من أنطيوخس لنشر العادات اليونانية.

(١١) هنا المشكل: لا تُرفَض الحضارة اليونانية إلاّ بقدر ما تتضمّن عادات تعارض الشريعة اليهودية.

(١٢) القبّعة هي قبّعة هِرمِس، إله المصارعات الرياضية. بمعنى «جعل أحداً تحت القبّعة»: جاء به الى التمارين الرياضية.

[١٨] ولمَّا جرَت في صورَ الألْعابُ الَّتي تَجْري كُلَّ أَربَعِ سَنَوات(١٣)، والمَلِكُ حاضِر، [١٩] أنفَذَ ياسونُ القَذِرُ رُسُلاً(١٤)، بِصِفَةِ أَنْطاكِيِّينَ مِن أُورَشَليم، ومعَهم ثَلاثُ مِئَةِ دِرهَم فِضَّةٍ لِذَبيحَةِ هَرَقليس. لكِنَّ هؤُلاءِ أَنفُسَهم طَلَبوا أَن لا تُنفَقَ على الذَّبيحَة، لِأَنَّ ذلك كانَ غَيرَ لائِق، بل تُنفَقُ على شَيءٍ آخَر. [٢٠] فالمالُ الَّذي كانَ، في قَصْدِ مُرسِلِه، لِذَبيحَةِ هَرَقليس، أُنفِقَ، بِسَعْيِ الَّذينَ حَمَلوه، على تَجْهيزِ السُّفُنِ الثُّلاثِيَّة.

[٣٠] وحَدَثَ بَعدَ ذلك أَنَّ أَهلَ طَرَسوسَ ومَلُّوَ تَمَرَّدوا، لِأَنَّهم جُعِلوا هِبَةً لِأَنْطِيوخيس، سُرِّيَّةِ المَلِك. [٣١] فبادَرَ المَلِكُ لِلبَتِّ في هذا الأَمر، وتَرَكَ مكانَه أَندَرونِكُس، أَحَدَ ذَوي المَناصِب. [٣٢] فرَأَى مَنَلاوُسُ أَنَّه قد أَصابَ فُرصَةً، فسَرَقَ مِنَ المَقدِسِ آنِيَةً مِنَ الذَّهَبِ أَهْدى بَعضَها إِلى أَندَرونِكُس، وباعَ بَعضَها في صورَ والمُدُنِ الَّتي بِجِوارِها. [٣٣] ولَمَّا تَيَقَّنَ أُونِيَّا مِن ذلك، لامَه علَيه، وكانَ قدِ آنصَرَفَ إِلى حِمًى بدَفْنَةَ، بِالقُرْبِ مِن أَنطاكِيَة(١٥). [٣٤] فَخلا مَنَلاوُسُ بِأَندُرونِكُس، وأَغْراه أَن يَقْتُلَ أُونِيَّا. فذَهَبَ أَندُرونِكُس إِلى أُونِيَّا وآعْتَمَدَ على المَكْرِ فَمَدَّ إِليه يُمْناه مُقسِماً وحَمَلَه على الخُروجِ مِن الحِمَى، وإِن بَقِيَ غَيرَ واثِق. ثُمَّ آغْتالَه مِن ساعَتِه(١٦)، ولم يَرْعَ لِلعَدلِ حُرمَةً. [٣٥] فوَقَعَ ذلك مَوقِعَ السُّخطِ عِندَ اليَهود، بل عِندَ كَثيرٍ مِن سائِرِ الأُمَم، وشَقَّ علَيهم قَتلُ هذا الرَّجُلِ ظُلْماً.

(١٣) إكراماً للمكار.
(١٤) موفَدين الى الالعاب.
(١٥) مشهورة بمعبد ابلُس.
(١٦) في صيف ١٧٠.

[٣٦]فلَمَّا رَجَعَ المَلِكُ مِن نَواحي قيليقِيَة، ذَهَبَ إلَيه يَهودُ المَدينَة، مع مَن يُشارِكونَهم مِنَ اليونانِيِّينَ في ٱستِنْكارِهم لِقَتْلِ أُونِيَّا بِغَيرِ حَقّ. [٣٧]فتَأَسَّفَ أَنطِيوخُسُ ورَقَّ شَفَقَةً وبَكى على حِكمَةِ ذلك المَفْقودِ وشِدَّةِ ٱعتِدالِه. [٣٨]وٱضطَرَمَ غَضَباً ونَزَعَ لِساعَتِه الأُرْجُوانَ عن أَنَدرونِكُس، ومَزَّقَ حُلَلَه وأَطافَه في المَدينَةِ كُلِّها، ثُمَّ أَبادَ ذلك القاتِلَ في المَكانِ الَّذي ٱرتَكَبَ فيه كُفْرَه على أُونِيَّا، فأَنزَلَ بِه الرَّبُّ العِقابَ الَّذي ٱستَوجَبَه.

٣. بدء اضطهاد أنطيوخس أبيفانيوس

قامت فتنة في أورشليم حملت أنطيوخس على الاعتقاد بأن اليهودية تمرَّدت عليه. فكان القمع هائلاً، لم يرحم الهيكل. وكان بعض الكهنة اليهود يؤيّدون هذا القمع. وسرعان ما أُنشئت عبادات وثنية وجرى اضطهاد رهيب، أراد الكاتب أن يُظهر معناه السماوي.

٥ [١١]فلَمَّا بَلَغَتِ المَلِكَ هذه الأَحْداثُ، اِستَنتَجَ أَنَّ اليَهودِيَّةَ ٱنتَفَضَت علَيه. فغادَرَ مِصرَ ثائِراً كالنَّمْرِ وأَخَذَ المَدينَةَ عَنوَةً. [١٢]وأَمَرَ الجُنودَ أَن يَقتُلوا بِغَيرِ رَحمَةٍ كُلَّ مَن صادَفوه ويَذبَحوا الَّذينَ يَصعَدونَ إِلى بُيوتِهم. [١٣]فكانَت مَجزَرَةُ الشُّبَّانِ والشُّيوخ، وإِبادَةُ النِّساءِ والأَولاد، وذَبْحُ الفَتَياتِ والأَطْفال. [١٤]فهَلَكَ ثَمانونَ أَلفَ نَفْسٍ في ثَلاثَةِ أَيَّام، مِنهم أَربَعونَ أَلفاً سَقَطوا في المَعرَكَة، وبيعَ مِنهم عَدَدٌ لَيسَ بِأَقَلَّ مِنَ القَتْلى(١٧).

[١٥]ولَم يَكتَفِ بِذلك، بلِ ٱجتَرَأَ على دُخولِ المَقدِسِ الَّذي هو أَقدَسُ مَكانٍ في الأَرضِ كُلِّها، وكانَ دَليلُه مَنلاوُسَ الخائِنَ لِلشَّريعَةِ والوَطَن.

(١٧) مبالغة.

[١٦]وأَخذَ الآنِيَةَ المُقدَّسةَ بِيَدَيه القَذِرَتَين، وقَبَضَ بِيَدَيه الدَّنِسَتَينِ على ما أَهْداه مُلوكٌ آخَرونَ لِتَحسينِ المَكانِ المُقدَّسِ ولِمَجدِه وكَرامَتِه.
[١٧]فتَشامَخَ أَنطيوخُسُ في نَفسِه، ولم يَفطَنْ إِلى أَنَّ السَّيِّدَ غَضِبَ إِلى حينٍ بِسَبَبِ خَطايا سُكَّانِ المَدينة. ولِذلك أُهمِلَ هذا المَكانُ المُقدَّس[(١٨)].
[١٨]ولَولا أَنَّهمُ آنهَمَكوا بِخَطايا كَثيرة، لَجُلِدَ هو أَيضاً حالَ دُخولِه ورُدِعَ عن جَسارَتِه، كَما جَرى لِهَلْيودورُسَ، الَّذي بَعَثَه سَلَوقُسُ المَلِكُ لِآفتِقادِ الخِزانَة. [١٩]ولكِنَّ الرَّبَّ لم يَختَرِ الأُمَّةَ لِأَجلِ المَكانِ المُقدَّس، بلِ المَكانَ المُقدَّسَ لِأَجلِ الأُمَّة[(١٩)]. [٢٠]ولِذلك، فبَعدَ أَنِ آشتَرَكَ المَكانُ المُقدَّسُ في مَصائِبِ الأُمَّة، عادَ فآشتَرَكَ في النِّعَم، وبَعدَما خُذِلَ عِندَ غَضَبِ القَدير، أُعيدَ إِلى كامِلِ مَجدِه، عِندَ تَصالُحِه مع السَّيِّدِ العَظيم.

٦ [١]وبَعدَ ذلك بِقَليل، أَرسَلَ المَلِكُ جيرونَ الأَثينِيَّ لِيُكرِهَ اليَهودَ على الآرتِدادِ عن شَريعةِ آبائِهم ولا يَتبَعوا شَرائِعَ الله، [٢]ولِيُدَنِّسَ هَيكَلَ أُورَشَليم ويَجعَلَه على آسمِ زَوسِ الأُولَمْبِيِّ، ويَجعَلَ هَيكَلَ جَرِزِّيمَ على آسمِ زَوسِ المِضْياف، وَفقاً لِما كانَ يَطلُبُه أَهلُ المَكان[(٢٠)]. [٣]وكانَ تَفَشِّي هذا الشَّرِّ شاقًّا وثَقيلاً حتَّى على الجَماهير. [٤]وكانَ الوَثَنِيُّونَ يَملأُونَ الهَيكَلَ عَهْراً وقُصوفاً، ويَلْهونَ مع الخَليلات ويضاجِعونَ النِّساءَ في الدُّورِ المُقدَّسة

(١٨) لم يستطع هليودورس الدخول الى الهيكل، وإذا دخل أنطيوخس، فذلك ان الله اذن في ذلك بسبب خطايا شعبه.
(١٩) عنصر من عناصر لاهوت الهيكل: فالمؤسسات ليست هي سوى وسيلة. وفي الوقت نفسه، لاهوت الاختيار.
(٢٠) السامريون.

ويُدخِلونَ إلَيها ما لا يَحِلّ. [٥]وكانَ المَذبَحُ مَملوءًا بالمُحَرَّماتِ الَّتي نَهَتِ الشَّرائِعُ عَنها. [٦]ولَم يَكُنْ لِأَحَدٍ أَن يُعَيِّدَ السَّبتَ ولا يَرْعى أَعْيادَ الآباء ولا يَعتَرِفَ بِأَنَّه يَهودِيُّ الأَصْل. [٧]وكانوا كُلَّ شَهرٍ، يَومَ ذِكْرى مَولِدِ المَلِك، يُساقونَ بِضَرورَةٍ مُرَّةٍ لِلاَشتِراكِ في المَأدُبَةِ الطَّقسِيَّة، وفي عيدِ ديونيسِيوس، يُضطَرُّونَ إِلى مُرافَقَةِ مَوكِبِه وعلَيهم أَكاليلُ مِنَ اللَّبْلاب. [٨]وصَدَرَ أَمرٌ إِلى المُدُنِ اليونانِيَّةِ المُجاوِرَة، بِإيعازٍ مِن أَهلِ بَطْلمايِس[٢١]، أَن يُعامِلوا اليَهودَ بِمِثلِ ذلك وبالاَشتِراكِ في المَأدُبَةِ الطَّقسِيَّة، [٩]وأَن يُذبَحَ مَن أَبى أَن يَتَّخِذَ السُّنَنَ اليونانِيَّة، فكانَ في إِمْكانِهِم أَن يَتَوَقَّعوا دُنُوَّ الكارِثَة.

[١٠]فإِنَّ آمرَأَتَينِ أُحضِرَتا لِأَنَّهما خَتَنَتا وَلَدَيهما. فعَلَّقوا طِفلَيهما على أَثْديهما وطافوا بِهما في المَدينَةِ عَلانِيَةً، ثُمَّ أَلقَوهما عنِ السُّور. [١١]ولجَأَ قَومٌ إِلى مَغاوِرَ كانَت بِالقُربِ مِنهم، لِلاَحتِفالِ بِالسَّبتِ سِرًّا، فوُشِيَ بِهم إِلى فيلِبُّس، فأَحرَقَهم بِالنَّارِ معاً، وهُم يَحتَرِزونَ مِن أَن يُدافِعوا عن أَنفُسِهم، إِجْلالاً لِهذا اليَومِ المُقَدَّس.

[١٢]وإِنِّي لَأَرْجو مِن مُطالِعي هذا السِّفْرِ أَن لا يَستَسلِموا إِلى خَوَرِ عَزائِمِهم بِسَبَبِ هذه الضَّرَبات[٢٢]، وأَن يَحسَبوا أَنَّ هذه الاَضطِهاداتِ لَيسَت لِهَلاكِ أُمَّتِنا، بل لِتَأديبِها.

[١٨]كانَ رَجُلٌ يُقالُ لَه أَلِعازارُ مِن مُتَقَدِّمي الكَتَبَة، طاعِنٌ في السِّنّ، رائِعُ الطَّلعَة، فأَكرَهوه على فَتْحِ فَمِه قَسْراً على أَكْلِ لَحْمِ الخِنْزير.

(٢١) عكّا في أيامنا.
(٢٢) لاهوت الاضطهاد.

[١٩]فآختارَ أَن يموتَ مَجيداً على أَن يَحْيا حَياةً نَجِسَة. مَشى طوعاً إِلى عَذابِ الدَّولَبَة، [٢٠]بَعدَ أَن قَذَفَ لَحمَ الخِنْزيرِ مِن فَمِه، كما يَليقُ بِمَن يَجرُؤُ على قَذْفِ ما لا يَحِلُّ ذَوقُه رَغبَةً في الحَياة. [٢١]فخَلا بِه المُشرِفونَ على هذه المَأدُبَةِ الطَّقسِيَّةِ الَّتي تُحَرِّمُها الشَّريعَة، لِما كانَ بَينَهم وبَينَه مِن قَديمِ المَعرِفَة، وجَعَلوا يَحُثُّونَه أَن يُؤتى بِما يَحِلُّ لَه تَناوُلُه مِنَ اللَّحْمِ مُهَيَّأً بِيَدِه، ويَتَظاهَرَ بِأَنَّه يَأكُلُ مِن لَحمِ الضَّحِيَّةِ الَّتي أَمَرَ بِها المَلِك، [٢٢]لِيَنجُوَ مِنَ المَوتِ إِذا فَعَلَ ذلك، ويَنالَ مِنهم مُعامَلَةً إِنسانِيَّةً نَظَراً إِلى صَداقَتِه القَديمَةِ لَهم. [٢٣]لكِنَّه عَزَمَ عَزْماً شَريفاً، جَديراً بِسِنِّه ومَكانَةِ شَيخوخَتِه وما بَلَغَ إِلَيه مِن جَلالِ المَشيب، وبِكَمالِ سيرَتِه الحَسَنَةِ مُنذُ حداثَتِه، ولا سِيَّما بِالشَّريعَةِ المُقَدَّسَةِ الإِلهِيَّة، وأَجابَ لِذلك طالِباً أَن يُرسَلَ عاجِلاً إِلى مَثْوى الأَموات، وقال: [٢٤]«لا يَليقُ بِسِنِّنا أَن نُراءِيَ، لِئَلاَّ يَظُنَّ كَثيرٌ مِنَ الشُّبَّانِ أَنَّ أَلِعازار، وهو آبنُ تِسْعينَ سَنَةً، قدِ آنحازَ إِلى مَذهَبِ الغُرَباء، [٢٥]ويَضِلُّوا هم أَيضاً بِسَبَبي وبِسَبَبِ رِيائي مِن أَجلِ حَياةٍ أَصبَحَت قَصيرَةً جِدًّا، فأَجلُبَ على شَيخوخَتي النَّجاسَةَ والفَضيحة. [٢٦]فإِنِّي ولَو نَجَوتُ الآنَ مِن عِقابِ البَشَر، لا أَفِرُّ مِن يَدَيِ القَدير، حَيًّا كُنتُ أَم مَيتاً. [٢٧]ولكِن إِن فارَقتُ الحَياةَ بِبَسالَة، فقَد وَفَيتُ بِحَقِّ شَيخوخَتي، [٢٨]وأَبقَيتُ لِلشُّبَّانِ قُدوَةَ بُطولَةٍ بِميتَةٍ حَسَنَةٍ طَوعِيَّةٍ وسَخِيَّةٍ في سَبيلِ الشَّرائِعِ الجَليلَةِ المُقَدَّسَة.

ولَمَّا قالَ هذا، سارَ مِن ساعَتِه إِلى عَذابِ الدَّولَبَة. [٢٩]فتَحَوَّلَ أُولئِكَ الَّذينَ أَبدَوا لَه الرَّأفَةَ قُبَيلَ ذلك إِلى العَداوَة، وقد بَدا لَهم كَلامُه جُنوناً. [٣٠]ولَمَّا أَشرَفَ على المَوتِ مِنَ الضَّرْبِ، تَنَهَّدَ وقال: «يَعلَمُ الرَّبُّ، وهو ذو

العِلمِ المُقَدَّس، أَنِّي، وأَنا قادِرٌ على التَّخَلُّصِ مِنَ المَوت، أُكابِدُ في جَسَدي عَذابَ الضَّربِ الأَليم، وأَمَّا في نَفْسي فإِنِّي أَحتَمِلُ ذلك مَسْروراً لِأَنِّي أَخافُ الله».

[٣١] وهكذا فارَقَ هذا الرَّجُلُ الحَياة، تارِكاً مَوتَه قُدوَةَ بُطولَةٍ وتَذْكارَ فَضيلة، لا لِلشُّبَّانِ فقَط، بل لِلأُمَّةِ بِأَسرِها.

٤. استشهاد الاخوة السبعة

في أثناء الاضطهاد، عُذِّب سبعة بنين مع أمّهم وأُعدموا. ينتهز الكاتب هذه الفرصة ليشدّد على إيمانهم بقيامة الاجساد.

٧ [١] وقُبِضَ أَيضاً على سَبعَةِ إِخوَةٍ مع أُمِّهم، فكانَ المَلِكُ يُريدُ أَن يُكرِهَهم على تَناوُلِ لَحمِ الخِنْزيرِ المُحَرَّم[(٢٣)]، فيُعَذِّبُهم بِالسِّياطِ وأَطْنابِ الثِّيران. [٢] وجَعَلَ أَحَدُهم نَفسَه لِسانَ حالِهم فقال: «ماذا تَبتَغي أَن تَسأَلَنا وأَن تَعرِفَ عَنَّا؟ إِنَّنا مُستَعِدُّونَ لِأَن نَموتَ ولا نُخالِفَ شَرائِعَ آبائِنا». [٣] فحَنِقَ المَلِكُ وأَمَرَ بِإِحْماءِ المَقالي والقُدور. [٤] ولَمَّا أُحمِيَت، أَمَرَ لِساعَتِه بِأَن يُقطَعَ لِسانُ الَّذي جَعَلَ نَفسَه لِسانَ حالِهم، وأَن يُسلَخَ جِلْدُ رأسِه وتُجدَعَ أَطْرافُه على عُيونِ إِخوَتِه وأُمِّه. [٥] ولَمَّا أَصبَحَ عاجِزاً تَماماً، أَمَرَ بِأَن يُدْنى مِنَ النَّار، وفيه رَمَقٌ مِنَ الحَياة، ويُقْلى. وفيما كانَ البُخارُ مُنتَشِراً مِنَ المِقْلاة، كانَ الآخَرونَ هم وأُمُّهم يَحُثُّ بَعضُهم بَعضاً أَن يُقدِموا على المَوتِ بِشَجاعة، قائِلين: [٦] «إِنَّ الرَّبَّ الإِلهَ ناظِر، وهو يَرأَفُ بِنا حَقًّا،

(٢٣) تذكّر هذه الرواية بالفنّ الخاص بسِيَر القديسين.

كما صَرَّحَ موسى في النَّشيدِ الَّذي يَشهَدُ أمامَ الجَميعِ بِقَولِه : وبِعَبيدِه يَرأَف»[٢٤] .

[٧]ولَمَّا فارَقَ الأَوَّلُ الحياةَ على هذا الوَجْه ، ساقوا الثَّانِيَ إِلى التَّعْذيب ، ونَزَعوا جِلدَ رَأسِه مع شَعَرِه ، ثُمَّ سَأَلوه : «هَل تَأكُلُ لَحمَ الخِنْزيرِ قَبلَ أن تُعاقَبَ في جَسَدِكَ عُضْواً عُضْواً ؟» [٨]فأَجابَ بِلُغَةِ آبائِه وقال : لا ، ولِذلك ذاقَ هو أَيضاً بَقِيَّةَ العَذابِ كالأَوَّل . [٩]وفيمَا كانَ على آخِرِ رَمَقٍ قال : «إِنَّكَ أَيُّها المُجرِمُ تَسلُبُنا الحَياةَ الدُّنيا ، ولكِنَّ مَلِكَ العالَم ، إِذا مُتْنا في سَبيلِ شَرائِعِه ، سيُقيمُنا لِحَياةٍ أَبَدِيَّة»[٢٥] .

[١٠]وبَعدَه عَذَّبوا الثَّالِث ، وأَمَروه فدَلَعَ لِسانَه لِساعَتِه وبَسَطَ يَدَيه بِقَلبٍ جَليد ، [١١]وقالَ بِشَجاعة : «إِنِّي مِنَ السَّماء أُوتيتُ هذه الأَعْضاء ، وفي سَبيلِ شَرائِعِها أَستَهينُ بِها ، ومِنها أَرجو أَن أَستَرِدَّها» . [١٢]فبُهِتَ المَلِكُ نَفسُه والَّذينَ مَعَه مِن بَسالَةِ ذلك الفَتى الَّذي لم يُبالِ بِالعَذابِ شَيئاً .

[١٣]ولَمَّا فارَقَ هذا الحَياة ، عَذَّبوا الرَّابِعَ ونَكَّلوا بِه بِمِثْلِ ذلك . [١٤]ولَمَّا أَشرَفَ على المَوتِ، قال : «خَيرٌ أَن يَموتَ الإِنسانُ بِأَيدي النَّاس ويَرجُوَ أَن يُقيمَه الله ، فلكَ أَنتَ لن تَكونَ قِيامَةٌ لِلحَياة»[٢٦] .

[١٥]ثُمَّ ساقوا الخامِسَ وعَذَّبوه . [١٦]فحَدَّقَ إِلى المَلِكِ وقال : «إِنَّكَ بِما

(٢٤) مأخوذ من الفصل ٣٢ من سفر تثنية الاشتراع .
(٢٥) في هذا الفصل ، عدة إشارات إلى الإيمان بالقيامة .
(٢٦) هذه القيامة للحياة محصورة في الناس الامناء لله .

لَكَ مِنَ السُّلطانِ على البَشَر ، مع أَنَّكَ قابِلُ الفَساد ، تَفعَلُ ما تَشاء . ولكِن لا تَظُنَّ اللهَ قد خَذَلَ ذُرِّيَّتنا . [١٧]إِصبِرْ قَليلاً فتَرى قُدرَتَه العَظيمة ، كيفَ يُعَذِّبُكَ أَنتَ ونَسلَكَ» .

[١٨]وبَعدَه ساقوا السَّادِس ، فلَمَّا أَشرَفَ على المَوتِ قال : «لا تَغتَرَّ بِالباطِل ، فإِنَّنا نَحنُ جَلَبْنا على أَنفُسِنا هذا العَذاب ، لِأَنَّنا خَطِئْنا إِلى إِلهِنا ، ولِذلك جَرى لَنا ما يَقْضي بِالعَجَب . [١٩]وأَمَّا أَنتَ فلا تَحسَبْ أَنَّكَ تَبْقى بلا عِقاب ، بَعدَ أَن أَقدَمتَ على مُحارَبَةِ الله» .

[٢٠]وكانَت أُمُّهم أَجدَرَهم جَميعاً بالإِعْجابِ والذِّكْرِ الحَميد ، فإِنَّها عايَنَت بَنيها السَّبعَةَ يَهلِكونَ في مُدَّةِ يَومٍ واحِد ، وصَبَرَت على ذلك بِشَجاعة ، بِسَبَبِ رَجائِها لِلرَّبّ . [٢١]وكانَت تُحَرِّضُ كُلاًّ مِنهم بِلُغَةِ آبائِها ، وهي مُمتَلِئَةٌ مِن المَشاعِرِ الشَّريفَة ، وقد أَضفت على كَلامِها الأُنثَوِيِّ بَسالَةً رُجولِيَّة ، فكانَت تَقولُ لَهم : [٢٢]«لَستُ أَعلَمُ كَيفَ نَشَأتُم في أَحْشائي ، ولا أَنا وَهَبتُكُمُ الرُّوحَ والحَياة ، ولا أَنا نَظَّمتُ عَناصِرَ كُلٍّ مِنكم . [٢٣]ولذلك فإِنَّ خالِقَ العالَم ، الَّذي جَبَلَ الجِنسَ البَشَرِيّ والَّذي هو أَصلُ كُلِّ شَيء(٢٧) ، سيُعيدُ إِلَيكم بِرَحمَتِه الرُّوحَ والحَياة ، لِأَنَّكم تَستَهينونَ الآنَ بِأَنفُسِكم في سَبيلِ شَرائِعِه» .

[٢٤]وظَنَّ أَنْطِيوخُسُ أَنَّه يَسخَرُ بِه ورأَى في هذا الكَلامِ إِهانَة ، فأَخَذَ يُحَرِّضُ بِالكَلامِ أَصغَرَهمُ الباقِيَ ، بل أَكَّدَ لَه بِالقَسَمِ أَنَّه يُغْنيه ويُسعِدُه ، إِذا تَرَكَ سُنَنَ آبائِه ، ويَتَّخِذُه صَديقاً لَه ويُقَلِّدُه المَناصِب . [٢٥]إِلاَّ أَنَّ الفَتى لم

(٢٧) قيامة الاجساد مبنيّة على قدرة الله .

يُصغِ لِذلك البتَّة ، فدَعا المَلِكُ أُمَّه وحَثَّها أَن تُشيرَ على الفَتى بِما يَؤُولُ إِلى خَلاصِه . [٢٦] وأَلَحَّ علَيها كَثيراً حَتَّى قَبِلَت بِإِقناعِ آبنِها . [٢٧] فآنحَنَت علَيه وآستَهزَأَت بِالطَّاغِيَةِ العَنيف ، وقالَت بِلُغَةِ آبائِها : «يا بُنَيَّ آرحَمْني أَنا الَّتي حَمَلَتكَ في أَحْشائِها تِسعَةَ أَشهُرٍ ، وأَرضَعَتكَ ثَلاثَ سَنَوات ، وعالَتكَ وبَلَّغَتكَ إِلى هذه السِّنّ ورَبَّتكَ . [٢٨] أَسأَلُكَ يا وَلَدي أَنِ آنظُرْ إِلى السَّماءِ والأَرض ، وإِذا رأَيتَ كُلَّ ما فيهِما ، فآعلَمْ أَنَّ اللهَ صَنَعَهما مِنَ العَدَم ، وأَنَّ جِنْسَ البَشَرِ هو كذلك . [٢٩] فلا تَخَفْ مِن هذا الجَلاَّد ، بل كُنْ جَديراً بِإِخوَتِكَ وآقبَلِ المَوتَ لِأَلْقاكَ مع إِخوَتِكَ بِالرَّحمَة» .

[٣٠] وما إِنِ آنتَهَت مِن كَلامِها حَتَّى قالَ الفَتى ، «ماذا أَنتُم مُنتَظِرون ؟ إِنِّي لا أُطيعُ أَمرَ المَلِك ، وإِنَّما أُطيعُ أَمرَ الشَّريعَةِ الَّتي أُلقِيَت إِلى آبائِنا عن يَدِ موسى[(٢٨)] . [٣١] وأَنتَ أَيُّها المُختَرِعُ كُلَّ شَرٍّ على العِبرانِيِّين ، إِنَّكَ لَن تَنجُوَ مِن يَدَيِ الله . [٣٢] فنَحنُ إِنَّما نَتأَلَّمُ مِن أَجلِ خَطايانا . [٣٣] وإِن سَخِطَ علَينا رَبُّنا الحَيُّ حيناً قَليلاً لِمُعاقَبَتِنا وَتأديبِنا ، فسيُصالِحُ عَبيدَه مِن بَعدُ . [٣٤] وأَمَّا أَنتَ أَيُّها الكافِر ، يا أَقذَرَ كُلِّ بَشَر ، فلا تَتَشامَخْ باطِلاً ولا تُعَلِّلِ النَّفسَ بِالآمالِ الكاذِبَة وتَرفَعْ يَدَكَ على عَبيدِه ، [٣٥] لِأَنَّكَ لم تَنجُ إِلى اليومِ مِن قَضاءِ اللهِ القَديرِ الرَّقيب . [٣٦] ولَقَد صَبَرَ إِخوَتُنا على أَلَمِ ساعَةٍ، سَعْياً لِحَياةٍ لا تَزول ، وسَقَطوا في سَبيلِ عَهدِ الله . وأَمَّا أَنتَ فسيَحِلُّ بِكَ ، بِقَضاءِ الله ، العِقابُ الَّذي تَستَوجِبُه بِكِبريائِكَ . [٣٧] وأَنا كإِخوَتي أَبذُلُ جَسَدي ونَفْسي في سَبيلِ شَرائِعِ آبائِنا ، وأَبتَهِلُ إِلى اللهِ أَن لا يُبطِئَ في تَوفيقِ أُمَّتِنا

(٢٨) بين فرائض المَلِك الوثني وفرائض شريعة موسى ، لا تردُّد .

وأَن يَحمِلَكَ، بالمِحَنِ والضَّرَبات، على الِاَعتِرافِ بِأَنَّه هو الإلهُ وَحدَه. [٣٨]عَسى أَن يَحِلَّ عَلَيَّ وعلى إِخوَتي غَضَبُ القَديرِ الَّذي ثارَ على أُمَّتِنا بِالعَدْل!»

[٣٩]فحَنِقَ المَلِكُ لِمَرارَةِ الِاَستِهْزاء فزادَه تَعْذيباً على إِخْوَتِه. [٤٠]وهكذا فارَقَ الفَتى الحَياةَ غَيرَ مُدَنَّس، وقد وَكَلَ إِلى الرَّبِّ كُلَّ أَمرِه. وفي آخِرِ الأَمرِ ماتَتِ الأُمُّ بَعدَ بَنيها.

٥. انتصارات يهوذا المَكابيّ العسكرية

٨ [١]وكانَ يَهوذا المَكَّابِيُّ ومَن معَه يَتَسَلَّلونَ إِلى القُرى ويَدْعونَ إِلَيهم أَبْناءَ جِنسِهم ويَضُمُّونَ إِلَيهِمِ الَّذينَ ثَبَتوا على دينِ اليَهود، حَتَّى جَمَعوا نَحوَ سِتَّةِ آلاف. [٢]وكانوا يَبتَهِلونَ إِلى الرَّبِّ أَن يَنظُرَ إِلى الشَّعبِ الَّذي أَصبَحَ يَدوسُه كُلُّ أَحَد، ويَعطِفَ على الهَيكَلِ الَّذي دَنَّسَه الكافِرون، [٣]ويَرحَمَ المَدينَةَ المُتَهَدِّمَة والَّتي أَشرَفَت على الزَّوال، ويُصغِيَ إِلى صَوتِ الدِّماءِ الصَّارِخَةِ إِلَيه، [٤]ويَذكُرَ إِهْلاكَ الأَطْفالِ الأَبْرِياءِ ظُلماً والتَّجاديفَ على آسمِه، ويُظهِرَ بُغضَه لِلشَّرّ.

[٥]ولَمَّا أَصبَحَ المَكَّابِيُّ على رأسِ جَيشٍ، لم تَعُدِ الأُمَمُ تَثبُتُ أَمامَه، إِذِ آستَحالَ سُخطُ الرَّبِّ إِلى رَحمَة. [٦]فجَعَلَ يُفاجِئُ المُدُنَ والقُرى ويُحرِقُها، حتَّى آستَولى على مَواقِعَ تُوافِقُه، هَزَمَ الأَعْداءَ الكَثيرين. [٧]وكانَ أَكثَرُ غاراتِه في جُنحِ اللَّيل، فذاعَ خَبَرُ شَجاعَتِه في كُلِّ مكان.

[٨]فلَمَّا رأَى فيلِبُّسُ أَنَّ هذا الرَّجُلَ آخِذٌ في التَّقَدُّمِ شيئاً فشَيئاً وأَنَّ آنتِصاراتِه تَتَزايَد، كَتَبَ إِلى بَطْليمُس، قائِدِ بِقاعِ سورِيَةَ وفينيقِيَة، يَسأَلُه

النَّجدَةَ لِشُؤُونِ المَلِك. [٩] فاختارَ لِساعَتِه نِكانورَ بنَ بَترُكلُس، مِن خَواصِّ أَصدِقاءِ المَلِك، وجَعَلَ تَحتَ يَدِه لا أَقَلَّ مِن عِشْرينَ أَلْفاً مِن مُختَلِفِ الأُمَم، لِيَستَأصِلَ ذُرِّيَّةَ اليَهودِ عن آخِرِهم.

[١٢] فبَلَغَ يَهوذا خَبَرُ قُدومِ نِكانور، فأَخبَرَ الَّذينَ معَه بِمَجيءِ الجَيش، [١٣] فهَرَبَ الخائِفونَ وقَليلو الإِيمانِ بِبِرِّ اللهِ وهاجَروا إِلى أَماكِنَ أُخْرى. [١٤] وباعَ الآخَرونَ كُلَّ ما كانَ باقِياً لَهم، وكانوا يَبتَهِلونَ إِلى الرَّبِّ أَن يُنقِذَ مِن نِكانورَ الكافِرِ مَن باعَهم قَبلَ المُلْتَقى، [١٥] وإِن لم يَكُنْ ذلكَ مِن أَجلِهم، فمِن أَجلِ العُهودِ المَقْطوعةِ مع آبائِهم وحُرمَةِ ٱسمِه العَظيمِ الَّذي أُطلِقَ علَيهم.

[١٦] فحَشَدَ المَكَّابِيُّ رِجالَه وهم سِتَّةُ آلاف، وحَرَّضَهم أَن لا يَرْتاعوا مِنَ الأَعْداء ولا يَخافوا مِن كَثرَةِ الأُمَمِ المُجتَمِعَةِ علَيهم ظُلماً، وأَن يُقاتِلوا بِبَأس، [١٧] جاعِلينَ نُصبَ عُيونِهمِ الإِهانَةَ الأَثيمَةَ الَّتي أَلحَقوها بِالمَكانِ المُقدَّس وما أَنزَلوه بِالمَدينَةِ مِن سوءِ المعامَلةِ والعار، مع القَضاءِ على سُنَنِ الآباء. [١٨] وقال: «إِنَّ هؤُلاءِ إِنَّما يَتوكَّلونَ على سِلاحِهم وأَعْمالِهمِ الجَريئة، وأَمَّا نَحنُ فنَتَوَكَّلُ على اللهِ القَديرِ الَّذي يَستَطيعُ بِإِيماءَةٍ واحِدَةٍ أَن يَصرَعَ الزَّاحِفينَ علينا، بلِ العالَمَ بِأَسرِه». [١٩] ثُمَّ ذَكَرَ لَهمُ النَّجَداتِ الَّتي أُمِدَّ بِها آباؤُهم، وما كانَ مِن إِبادَةِ المِئَةِ والخَمسَةِ والثَّمانينَ أَلفاً على عَهدِ سَنْحاريب.

[٢٣] ثُمَّ أَمَرَ عَزْرا أَن يَتْلُوَ علَيهمِ الكِتابَ المُقَدَّس، وجَعَلَ لَهم كَلِمَةَ السِّرّ «نَجدَةَ الله»، ثُمَّ ٱتَّخَذَ قِيادَةَ الكَتيبَةِ الأُولى وحَمَلَ على نِكانور. [٢٤] فأَيَّدَهم القَدير، فذَبَحوا مِنَ الأَعداءِ ما يَزيدُ على تِسعَةِ آلاف،

وجَرَحوا وجَدَعوا أَعْضاءَ مُعظَمِ جَيشِ نِكانور، وأَلجأُوا جَميعَ جُنودِه إِلى الهَرَب. [٢٨]ولَمَّا آنقَضى السَّبْت، وَزَّعوا على المُعَذَّبينَ والأَرامِلِ واليَتامى قِسماً مِنَ الغَنائم، وآقتَسَموا الباقِيَ بَينَهم وبَينَ أَولادِهم. [٢٩]وبَعدَما آنتَهَوا مِن ذلك، أَقاموا صَلاةً عامَّةً، سائِلينَ الرَّبَّ الرَّحيمَ أَن يَعودَ فيُصالِحَ عَبيدَه مُصالَحَةً تامَّة.

٢. عِبَر الاضطهاد الدينية

١. الله يعاقب المضطهِدين

ان نهاية أنطيوخس أبيفانيوس تُظهر قدرة الله التي أعملها بإنزال عقاب مثالي بمضطهد شعب الله.

٩ [١]واتَّفَقَ في ذلك الزَّمانِ أَنَّ أَنطِيوخُسَ عادَ مِن بِلادِ فارِسَ في حالةٍ يُرْثى لها. [٢]وكانَ قد زَحَفَ على مَدينةٍ آسمُها بَرْسابوليس، وشَرَعَ يَنهَبُ هَيكَلَها ويُضَيِّقُ الخِناقَ على المَدينة. فثارَتِ الجُموعُ ولَجأَت إِلى السِّلاحِ وهَزَمَته، فكانَ مِن أنطِيوخُسَ أَنَّه تَراجَعَ مُخجَلاً. [٣]ولَمَّا كانَ عِندَ أَحْمَتا بَلَغه ما جَرى لِنِكانورَ ورِجالِ طيموتاوُس. [٤]فغَضِبَ غَضَباً شَديداً وأَزمَعَ أَن يُحيلَ على اليَهودِ ما أَلحَقَه بِه الَّذينَ هَزَموه مِنَ الشَّرّ، فأَمَرَ سائِقَ مَركَبَتِه بِأَن يَجِدَّ في السَّيرِ بِغَيرِ تَوَقُّفٍ حَتَّى نِهايَةِ السَّفَر. ولكِنَّ قَضاءَ السَّماءِ كانَ يُرافِقُه، فإِنَّه قالَ في كِبرِيائِه: «لأَجعَلَنَّ مِن أُورَشَليمَ مَدفِناً لِليَهودِ، عِندَ وُصولي إِلَيها». [٥]لكِنَّ الرَّبَّ البَصيرَ بِكُلِّ شَيء، إِلهَ إِسْرائيل، ضَرَبَه ضَربَةً مُعضِلَةً غَيرَ مَنْظورة. فإِنَّه ما إِنِ آنتَهى مِن كلامِه ذاكَ حَتَّى أَخَذَه أَلَمٌ في أَحْشائِه لا دَواءَ لَه وعَذاباتٌ أَليمَةٌ في جَوفِه،

[٩]حَتَّى كانَتِ الدِّيدانُ تَنبَعُ مِن جَسَدِ ذلِكَ الكافِر، ولَحمُه يَتَساقَطُ، وهو حَيٌّ، بِالآلامِ والأَوجاع، وصارَ الجَيشُ كُلُّه يَتَكَرَّهُ نَتَنَ رائِحَتِه. [١٠]فبَعدَ ما كانَ، قُبيلَ ذلك، يُخَيَّلُ لَه أَنَّه يَمَسُّ كَواكِبَ السَّماء، لم يَكُنْ أَحَدٌ يَستَطيعُ حَملَه لِشِدَّةِ رائِحَتِه الَّتي لا تُطاق.

[١١]وعِندَئِذٍ، بَعدَما تَحَطَّمَ جِسمُه، أَخَذَ يَنزِلُ عن غَلْواءِ كِبرِيائِه، ويُدرِكُ الحَقيقة، اذ كانَتِ الأَوجاعُ تَتنازَعُه في كُلِّ حينٍ تَحتَ وَطأَةِ الجَلْدِ الإِلهي، [١٢]حَتَّى إِنَّه أَمْسى هو نَفسُه لا يُطيقُ نَتنَه، فقال: «حَقٌّ على الإِنسانِ أَن يَخضَعَ لله وأَن لا يَحسَبَ نَفسَه، وهو فانٍ، مُعادِلاً لِله». [١٣]وكانَ ذلك القَذِرُ يَتَضَرَّعُ إِلى السَّيِّد، لكِنَّ الرَّبَّ لم يَكُن لِيَرحَمَه مِن بَعدُ: [١٤]وَعَدَ بِأَن يَجعَلَ المَدينَةَ المُقَدَّسَةَ، الَّتي كانَ يُسرِعُ في الذَّهابِ إِلَيها لِيَمحُوَ آثارَها ويَجعَلَها مَدفِناً، مَدينةً حُرَّة، [١٥]وان يَجعَلَ اليَهودَ الَّذينَ كانَ قد قَضى علَيهم بِأَن لا يُدفَنوا، بل يُلقَوا مع أَطْفالِهم مَأكلاً لِلطُّيورِ والوُحوش، مُساوينَ جَميعاً لِلأَثينِيِّين، [١٦]وأَن يُزَيِّنَ بِأَفخَرِ التُّحَفِ ذلك الهَيكَلَ المُقَدَّسَ الَّذي كانَ قد نَهَبَه، وان يَرُدَّ جَميعَ الآنِيَةِ المُقَدَّسةِ أَضْعافاً، ويُؤَدِّيَ النَّفَقاتِ المَفْروضَةَ لِلذَّبائِحِ مِن دَخلِه الخاصّ، [١٧]وَوَعَدَ فَوقَ ذلك أَن يُصبِحَ هو نَفسُه يهودِيًّا ويَطوفَ كُلَّ مَعْمورٍ في الأَرضِ يُنادي بِقُدرَةِ الله.

[١٨]لكِنَّ آلامَه لم تَسكُنْ، لِأَنَّ قَضاءَ اللهِ البارِّ كانَ قد حَلَّ علَيه.

[٢٨]وهكذا فإِنَّ هذا السَّفَّاحَ المُجَدِّفَ الَّذي عانى آلاماً مُبَرِّحَةً شَبيهةً بِالَّتي أَنزَلَها بِالآخَرين قَضى نَحبَه وماتَ أَشْقى ميتةٍ على الجِبالِ في أَرضِ الغُربَة.

٢. الايمان بقيامة الاجساد

يرتبط هذا التعبير الجديد عن الايمان اليهودي بتقريب ذبيحة تكفير عن الاموات . يبدو أن قيامة الاجساد لا تنطبق هنا على المضطهدين .

١٢ [٣٢]وبَعدَ العيدِ المَعْروفِ بِعيدِ الخَمْسين ، أَغاروا على جُرجِيَّاس ، قائِدِ أَرضِ أَدوم . [٣٣]فخَرَجَ إِلَيهم في ثَلاثةِ آلافِ راجِلٍ وأَربَعِ مِئَةِ فارِس . [٣٤]واَقتَتَلَ الفَريقان ، وكانَ أَن سَقَطَ مِنَ اليَهودِ نَفَرٌ قَليل .

[٣٥]وكانَ فيهم فارِسٌ ذو بَأسٍ يُقالُ لَه دوسيتاوُس ، مِن رِجالِ بَكينور ، فأَمسَكَ جُرجِيَّاسَ وقَبَضَ على رِدائِه واَجتَذَبَه بِقُوَّة ، يُريدُ أَن يَأسِرَ ذلك اللَّعينَ حَيًّا . فَهَجَمَ علَيه فارِسٌ مِنَ الطَّراقِيِّينَ وَقَطَعَ كَتِفَه ، فَفَرَّ جُرجِيَّاسُ إِلى مَريشَة . [٣٦]وتَمادى القِتالُ بالَّذينَ مع أَشْدَرينَ حَتَّى كَلُّوا ، فدَعا يَهوذا الرَّبَّ لِيَكونَ حَليفَهم وقائِدَهم في القِتال . [٣٧]وجَعَلَ يَهْتِفُ بِالأَناشيدِ بِلِسانِ آبائِه ، ثُمَّ صَرَخَ ، ووَثَبَ على رِجالِ جُرجِيَّاسَ بَغْتَةً وهَزَمَهم .

[٣٨]ثُمَّ جَمَعَ يَهوذا جَيشَه وسارَ بِه إِلى مَدينةِ عَدُلاَّم(٢٩) . ولَمَّا كانَ اليَومُ السَّابع ، اِطَّهَروا بِحَسَبِ العادة واحتَفَلوا بالسَّبتِ هُناكَ . [٣٩]وفي الغَدِ جاؤُوا إِلى يهوذا - عِندَما كانَت تَقتَضيه الحاجَة - لِيَحمِلوا جُثَثَ القَتْلى ويَدفِنوهم مع ذَوي قرابَتِهم في مَقابِرِ آبائِهم . [٤٠]فوَجَدوا تَحتَ ثِيابِ كُلِّ واحِدٍ مِنَ القَتْلى أَشْياءَ مُكَرَّسَةً لِأَصْنامِ يَمنِيَّا(٣٠) ، مِمَّا تُحَرِّمُه الشَّريعَةُ على اليَهود . فتَبَيَّنَ لَهم جَميعاً أَنَّ ذلك كانَ سَبَبَ قَتْلِهم . [٤١]فبارَكوا كُلُّهم تَصَرُّفَ الرَّبِّ الدَّيَّانِ البَار ، الَّذي يَكشِفُ الخَفايا ، [٤٢]ثُمَّ أَخَذوا يُصَلُّونَ

(٢٩) عدلاَّم الوارد ذكره في سيرة داود .
(٣٠) تمائم مأخوذة من معابد الشاطئ الفلسطيني وباقية على غير حق عند الجند اليهود .

ويَبتَهِلونَ أَن تُمْحى تِلكَ الخَطيئَةُ المُرتَكَبةُ مَحواً تامًّا. ثُمَّ وَعَظَ يَهوذا الباسِلُ القَومَ أَن يَصونوا أَنفُسَهم مِنَ الخَطيئة، إِذ رَأَوا بِعُيونِهم ما حَدَثَ بِسَبَبِ خَطيئَةِ الَّذينَ سَقَطوا. [٤٣]ثُمَّ جَمَعَ مِنْ كُلِّ واحِدٍ تَقْدِمَةً، فبَلَغَ المَجْموعُ أَلْفَي دِرهَمٍ مِنَ الفِضَّة، فأَرسَلَها إِلى أُورَشَليمَ لِتُقَدَّمَ بها ذَبيحَةٌ عنِ الخَطيئَة. وكانَ عَمَلُه مِن أَحسَنِ الصَّنيعِ وأَسْماه على حَسَبِ فِكرَةِ قِيامَةِ المَوتى، [٤٤]لِأَنَّه لَو لَم يَكُنْ يَرْجو قِيامَةَ الَّذينَ سَقَطوا، لكانَت صَلاتُه مِن أَجلِ المَوتى أَمْراً سَخيفاً لا طائِلَ تَحتَه. [٤٥]وإِن عَدَّ أَنَّ الَّذينَ رَقَدوا بِالتَّقْوى قدِ ٱدُّخِرَ لَهم ثَوابٌ جَميل، كانَ في هذا فِكْرٌ مُقَدَّسٌ تَقَوِيّ. ولِهذا قَدَّمَ ذَبيحَةَ التَّكْفيرِ عنِ الأَمْوات، لِيُحَلُّوا مِنَ الخَطيئة(٣١).

٣. صلاة التشفّع

ان الاشخاص الذين عاشوا عيشة ألفة كبيرة مع الله يتدخّلون بعد موتهم لصالح الاحياء المُمتحَنين.

١٥ [٦]ورَفَعَ نِكانورُ رأسَه بِزَهْوٍ وصَلَف، وعَزَمَ على نَصْبِ تَذْكارٍ(٣٢) مُشْتَرَكٍ مِن أَسْلابِ يَهوذا وأَصْحابِه. [٧]وأَمَّا المَكَّابِيُّ فلَم يَزَلْ يَثِقُ كُلَّ الثِّقَةِ ويَأمَلُ كُلَّ الأَمَلِ أَنَّ الرَّبَّ سيُؤْتِيه النَّصْر. [٨]فحَرَّضَ أَصْحابَه على أَلاَّ يَخافوا مِن غارةِ الوَثَنِيِّين، بل يَذكُروا النَّجَداتِ الَّتي طالَ ما أُمِدُّوا بِها مِنَ السَّماء، ويَنتَظِروا الظَّفَرَ الَّذي سيُؤتَونَه الآنَ مِن عِندِ القَدير. [٩]ثُمَّ شَدَّدَ عَزائِمَهم بِالشَّريعَةِ والأَنبياء، وذَكَّرَهم بِالمَعارِكِ الَّتي قاموا بِها، حتَّى أَذْكى

(٣١) تأكيد جديد على الإيمان بالقيامة. ولكن هناك ضرورة لمحو خطايا الاموات، وبالتالي لذبيحة التكفير. في هذا النص عقيدة تشبه المفهوم المسيحي للمطهر.

(٣٢) مجموعة أسلحة الاعداء الذين سقطوا في المعركة.

حَماسَتَهم. [١٠]وبَعدَما آستَنهَضَ هِمَمَهم، شَرَحَ لَهم كَيفَ نَقَضَ الوَثَنِيُّونَ عُهودَهم وحَنِثوا بِأَيمانِهم.

[١١]وسَلَّحَ كُلاًّ مِنهم بِتَشْجيعِ كَلامِه الصَّالِحِ أَكثَرَ مِمَّا سَلَّحَهم بالتُّروسِ والرِّماح. ثُمَّ قَصَّ علَيهم نَوعاً مِنَ الرُّؤيا تَجَلَّت لَه في حُلمٍ جَديرٍ بِأَن يُصَدَّق، فشَرَحَ بِها صُدورَهم أَجمَعين. [١٢]وهذه هي الرُّؤيا، قال: «رَأَيتُ أُونِيَّا عَظيمَ الكَهَنَةِ السَّابِق، رَجُلَ الخَيرِ والصَّلاح، المُتَواضِعَ المَنْظَرِ الحَليمَ الأَخْلاق، صاحِبَ الأَقْوالِ الطَّريفة، المُواظِبَ مُنذُ صِباه على جَميعِ أَعْمالِ الفَضيلة، باسِطاً يَدَيه يُصَلّي مِن أَجلِ جَماعَةِ اليَهودِ بِأَسرِها(٣٣). [١٣]ثُمَّ تَراءَى كذلِكَ رَجُلٌ كَريمُ المَشيب، أَغَرُّ البَهاء، علَيه جَلالٌ عَجيبٌ سامٍ. [١٤]فتَكَلَّمَ أُونِيَّا وقال: «هذا مُحِبُّ الإِخوَة، المُكثِرُ مِنَ الصَّلَواتِ لِأَجلِ الشَّعْبِ(٣٤) والمَدينةِ المُقَدَّسة، إِرَمِيا، نَبِيُّ الله». [١٥]ثُمَّ إِنَّ إِرَمِيا مَدَّ يَمينَه وناوَلَ يَهوذا سَيفاً مِن ذَهَبٍ فقال: [١٦]«خُذْ هذا السَّيفَ المُقَدَّسَ هِبَةً مِن عِندِ الله، بِه تُحَطِّمُ الأَعْداء».

[٣٧]هذا ما تَمَّ مِن أَمرِ نِكانور. وبما أَنَّه مُنذُ تِلكَ الأَيَّامِ بَقِيَتِ المَدينَةُ في حَوزَةِ العِبْرانِيِّين، فأَنا أَيضاً أَجعَلُ هُنا خاتِمَةَ كَلامي. [٣٨]فإِن كُنتُ قد أَحسَنتُ التَّأليفَ ووُفِّقتُ مِنه، فذلك ما كُنتُ أَتَمَنَّى. وإِن كانَ ضَعيفاً ودونَ الوَسَط، فإِنِّي قد بَذَلْتُ وُسْعي. [٣٩]وكَما أَنَّ شُربَ الخَمرِ وَحدَها أَو شُربَ الماءِ وَحدَه مُضِرٌّ، وإِنَّما تَطيبُ الخَمرُ مَمزوجَةً بِالماء وتُعْطي لَذَّةً وطَرَباً، كذلك تَنميقُ الكَلامِ يُطرِبُ مَسامِعَ مُطالِعي السِّفر. إِنتَهى.

(٣٣) عظيم الكهنة اونيّا يتشفّع للامة اليهودية.
(٣٤) ارميا النبي معروف منذ ذلك الزمن.

قراءة لبني جيلنا

سيجد المسيحي في هذَين السِفرَين **داعي رجاء**. ذلك بأنه، ان ألقى نظرة الى العالم، لا شك أنه يرى الانسان ينمو نموًّا يخيَّل اليه أنه يتمّ خارجاً عن الله، لا بل ضدّ الله أحياناً. لكنه، ان أعار انتباهه، رأى ان ملكوت الله يتحقّق شيئاً فشيئاً. من الواضح أن الكميّة العددية تبدو صغيرة جداً، فما هم ٨٦٨ مليوناً من المسيحيين مقابل مليارَي وثني في العالم؟ لكن ملكوت الله يواصل سيره عى وجه غير منظور في قلوب الناس. ثم انهم، بالرغم من صمت الذين لا يريدون الاهتمام بالله، يسيرون على الطريق التي رسمها لهم ويحقّقون قصده. فالانسان، شاء أم أبى، يتقدّم نحو مصير لم يحدّده لنفسه.

اليوم، كما على عهد انطيوخس ابيفانيوس وكما في زمن رؤيا القديس يوحنا، ما يفسّر بطء الإنجازات الإلهية هو أن **الانسان حرّ** وأنّ فيه تنشأ قوى شريرة تسدّ الطريق. وفي إمكان المسيحي في أيامنا أن يراها تعمل حوله، لا بل في إمكانه أن يشعر بها في باطنه. وهذا ما يضفي على سفر دانيال طابع العصرية.

ويجب، بالعكس، ألاّ نبحث، في هذه الصفحات، عن رموز تنطبق على أشخاص أو أحداث من عالمنا.

وأخيراً لا بدّ للمسيحي أن يفكّر في ذلك السير، سير التاريخ الذي يشارك فيه. لا تزال الكنيسة تنتظر مجيء رأسها وربّها، وهي مشدودة الى **ذلك الانتظار الذي هو يقين**. واذا كان تلميذ المسيح سائراً على الطريق، فلانه يعلم بأن الهدف موجود وبأنه سيدركه.

أسفارُ الأَنْبِيَاء

مدخل عام إلى أسفار الأنبياء

يؤلّف الأنبياء مؤسّسة دينية من مؤسّسات الشعب الاسرائيلي ويُضفون عليه وجهاً مميَّزاً. فلقد أثَّروا في تاريخه، من صموئيل إلى زمن قريب من نشأة المسيحية. وكانوا يشعرون بأنهم يتلقّون كلمة من أحد آخَر، فيعجزون عن الاحتفاظ بها في باطنهم، لأنها لم تكن موجَّهة إليهم. لا شك أنها كانت تعمل فيهم وتؤسّس اختبارهم الروحي، لكنها كانت موجَّهة إلى بني جيلهم، الذين كثيراً ما كانوا يخونون الله ويُخلفون بعهده. وكانت تلك الكلمة التي يبلّغونها مرتبطة في عبارتها بوقائع الحياة اليومية، فتكلّم ناتان الى داود على زناه ببتشابع، ووبَّخ ايليا أحآب الملك على تواطئه مع ايزابَل في اغتصاب حقل نابوت، وقاوم أشعيا تحالف يهوذا مع أشّور. وكانت تلك المسائل مسائل عدل قبل كل شيء، لا في حقوق الرب فقط، لأن اسرائيل خاصّته، بل في حقوق المساكين أيضاً. وكان وجه الرب ينكشف شيئاً فشيئاً عن طريق تلك التحذيرات أو التوبيخات. انه الإله القدير، بل إله الأرض كلها أيضاً، انَّه الإله القدُّوس، بل الإله المحبة أيضاً. إنه الإله الذي يدين، بل الذي يغفر أيضاً. إنّه الإله المتسامي، بل الإله «القريب الى القلب» أيضاً. وأمام ذلك النور الذي كشف فيه الله عن نفسه شيئاً فشيئاً، شعر الأنبياء، على سبيل التباين، بخطيئة اسرائيل، من نكران جميل وظلم وحتى من خيانة، تشمل المجموعة والأفراد على السواء. ولذلك تناول حديثهم العقاب، بل التوبة أيضاً. واتّكلوا في آخر الأمر على قدرة الذي يخاطبهم ورحمته. فلقد توصّلوا الى اليقين بأن التدبير الإلهي سيتمّ ذات يوم وبأن التسبيح الذي يستحقّه الله سيرتفع، لا من إسرائيل فقط، ولا من البشرية فقط، بل من الطبيعة المادّيّة أيضاً، فيحلّ عندئذ ملكوت الله. لا شك أن الأنبياء كانوا متأصّلين في زمنهم وكانت لهم شخصية لا تغيّرها الرسالة. ولذلك، لا نجد في الملكوت تلك الأصداء الانجيلية المفعمة بالشمولية والمحبة. فأورشليم والهيكل لا يزالان أحياناً يحتلّان

مكان الصدارة. ونشعر هنا وهنا برغبة في الانتقام من الشعوب الظالمة، لكنَّ خطَّ الاتجاه قد أصبح واضحاً، وملامح وجه المشيح أخذت ترتسم ببطء. فإذا صمت صوت الأنبياء، يكون مجيء المسيح وكنيسته قد اقترب.

كثيراً ما دُوِّنت رسالة الأنبياء، وتمَّ ذلك تارةً عند اعلانها، وتارةً بعد وفاة النبي. فإمَّا أنها أُدرِجت في لحمة رواية تاريخية، وهذا ما جرى لناتان وأحِيَّا وصموئيل وايليا وأليشاع، وإمَّا أنها أُلِّفت مجموعة منفصلة، جُمعت فيها الأقوال بحسب الظروف، فتعاقبت نشراتها، وهذا ما جرى للأنبياء الكبار والصغار. وعندئذ نهتدي الى الفنّ الأدبي الخاص الذي استخدمه أولئك الملهَمون، وهو فن الأقوال النبوية، الذي يُستهلّ بالعبارة المعروفة: «قال الربّ الإله». وهذه الأقوال النبوية كثيراً ما تتخلَّلها تفاصيل تتعلّق بسيرة النبي: ففي نبوءة أشعيا وإرميا وحزقيال، نقع على رواية مفصَّلة عن الدعوة الى الرسالة النبوية، وأمَّا إرميا فإنه يُسرّ إلينا بالأزمات التي اجتازها. وأخيراً فهناك مجموعات خليطة، منها مجموعتا أشعيا وزكريا خاصة، فقد أضيفت فيها الى العناصر الأصلية أقوال نبوية متأخّرة.

وسيتناول بحثنا أسفار الأنبياء بحسب ترتيبها الزمني، لنرى على وجه أفضل كيف تابعت الرسالة سيرها على مرّ الأيام.

سفر عاموس

المحيط

عاموس هو أقدم الأنبياء الذين وصل الينا مجمل أقوالهم. ظهر في حوالى السنة ٧٥٠، أي بعد ايليا بنحو مائة سنة، ومارس خدمته الرسولية، كما مارسها ايليا، في مملكة الشمال. هذه المملكة لن تلبث أن تزول، ففي ٧٢١، سيضربها سرجون الثاني الأشّوري ضربة قاتلة. ذلك بأنه سيستولي على السامرة ويجلو سكانها ويُحلّ محلّهم مغلوبين آخرين يأتي بهم من مناطق يختلف بُعدها عن السّامرة. أمّا الآن، فكانت المملكة تتمتّع بمُلك يبدو باهراً، هو مُلك يارُبعام الثاني (٧٨٣ - ٧٤٣). انقضت ثلاثون سنة ومصائر اسرائيل بين يديه، فكان يذكر الناس بسليمان. وكانت المملكة في سلام، بعد إخضاع يهوذا وسورية وموآب وعبر الأردن. ذلك بأن أشّور كانت منشغلة بمشاكلها الداخلية عن التدخّل في فلسطين. ولذلك كانت الحياة الاقتصادية في أوج ازدهارها، فأدّت الى اغتناء الطبقات الميسورة. فكانوا يبنون البيوت ويُنفقون المال على تزيينها. وكانوا يُكثرون من إقامة المآدب وشرب الخمر على أنغام آلات الطرب، في حين أن أسفل جبل السامرة كان يأوي أكواخ البائسين الذين لا خبز لهم. فعلى هذا الترف المُدهش ارتفع احتجاج عاموس، وعلى المظالم التي كان الفقير يذهب ضحيّتها بدون انقطاع، سواء أكان في المحكمة أم في السوق. لكنّهم كانوا يخدِّرون ضمائرهم فيقرّبون لله - لِعجل بيت ايل! - سمان البهائم وفاخر التقادم، ولم يكن كل ذلك سوى عبادة خارجية وطقوس منفصلة كل الانفصال عن المشاعر الباطنية والحياة اليومية.

الانسان

عن عاموس لا نعرف إلاّ القليل. كان من سكّان تقُوَع، في جنوب اليهودية.

كان راعياً يمارس الانتجاع، وكان يحزّ ثمار الجُمّيز عند نضوجها. فعند قيامه بهذه الاعمال دعاه الله الى الرسالة النبوية. أمّا حقل خدمته الرسولية فكان مملكة الشمال، ولا سيّما هيكل بيت إيل، علماً بأن خدمته كانت قصيرة جداً ولم تتجاوز بعض أشهر، فلقد طرده كاهن بيت إيل، أماسيا. وعند ذلك لا نعود نراه.

يجوز القول بأن عاموس اكتشف الله مرّة ثانية. فالله هو للجميع، يدين الامم الوثنية والشعب المختار على السواء. ذلك بأنه حارسُ النظام الأخلاقي في العالم كله. سيأتي يوم العقاب، لان الكيل قد طفح: فهناك يكون النهب والدمار والتقتيل والجلاء. وسيكون ذلك اليوم «يوم الرب»، وهي عبارة ابتكرها عاموس، فدخلت بعده في الادب الكتابي وغير الكتابي. ولقد استعملها القديس بولس نفسه.

تبدو تلك الدينونة الإلهية دينونة لا ترحم. ولكن ماذا يكون من أمر العهد ومواعد الله القديمة؟ والى جانب ذلك، نسمع النداءات المتكرّرة الى التوبة، ترافقها المواعد المشدِّدة. ويتصوَّر عاموس تلك التوبة بصورة التماس لله، بصورة جوع وتعطّش الى كلمته. وعلى بني إسرائيل أن يستفيدوا من تلك الكلمة، ما دام عاموس يوزّعها عليهم، لأنها ستأتي ايام لا يجدون فيها نبيًّا في خدمتهم.

لكن عاموس، وإن كان يُنذر بالعقاب، يفترض أن بعضهم سيتوبون. فكما أنه ابتكر عبارة «يوم الرب»، ابتكر أيضاً عبارة «البقية» أو «البقية الباقية» للدلالة على حفنة التائبين. وستكون هذه البقية نخبةً يقوم عليها التجديد بعد العودة من الجلاء، نخبةً تفتح ثغرة في نظرية المسؤولية الجماعية والقومية: فالوحي يتابع سيره.

لا بل يلمح عاموس، في المستقبل البعيد، تجديداً قومياً، فيرى أن «كوخ داود الذي سقط» سيصبح مملكة راسخة يكون فيها الازدهار المادّي من نصيب جميع السكان.

مقدّمة

١ [١]كَلامُ عاموسَ الَّذي كانَ مِن مُرَبِّي الماشِيَةِ في تَقوع، مِمَّا رَآه على إِسْرائيلَ في أَيَّامِ عُزِّيَّا، مَلِكِ يَهوذا، وفي أَيَّامِ يارُبْعامَ بنِ يوآش، مَلِكِ إِسْرائيل، قَبلَ الزَّلزالِ بِسَنَتَين. [٢]قال: الرَّبُّ يَزأَرُ مِن صَهْيون ويَجهَرُ بِصَوتِه مِن أُورَشَليم فتَنتَحِبُ مَراعِي الرُّعاة ويَجِفُّ رَأسُ الكَرمَل.

١. أحكام

١. على جيران الشعب الإسرائيلي

جدير بالتنبيه إلى أن الأحكام تتناول أعمالاً تنافي الشريعة الطبيعية أو يعدّها الناس في ذلك الزمان مُنكرة.

على دمشق

[٣]هكذا قالَ الرَّبّ:
«بِسَبَبِ مَعاصي دِمَشقَ الثَّلاث وبِسَبَبِ الأَربَع
لا أَرجِعُ عن حُكْمي لِأَنَّهم داسوا جِلْعادَ بِنَوارِجَ مِن حَديد.
[٤]فَأُرسِلُ ناراً على بَيتِ حَزائيل فتَلتَهِمُ قُصورَ بَنهَدَد
[٥]وأَكسِرُ قُفْلَ دِمَشْق وأَستَأصِلُ السَّاكِنَ مِن بُقعَةَ آوِن
والقابِضَ على الصَّولَجانِ مِن بَيتَ عَدْن
ويُجْلى شَعبُ أَرامَ إِلى قير». قالَ الرَّبّ.

على بني عمّون

[١٣]هكذا قالَ الرَّبّ:
«بِسَبَبِ مَعاصي بَني عَمُّونَ الثَّلاث وبِسَبَبِ الأَربَع
لا أَرجعُ عن حُكْمي لِأَنَّهم شقُّوا حَوامِلَ جِلْعاد لِيُوَسِّعوا أَرضَهم.
[١٤]فأُضرِمُ ناراً في سورِ رَبَّة فتَلتَهِمُ قُصورَها
مع هُتافٍ في يَومِ القِتال وعاصِفَةٍ في يَومِ الزَّوبَعة
[١٥]ويَذهَبُ مَلِكُهم إِلى الجَلاء هو ورُؤَساؤُه مَعاً». قالَ الرَّبّ.

٢. على الشعب الاسرائيلي

يلمّح هنا الى المظالم والزنى المقدّس والى رفض كلمة الله. وإلى جانب ذلك، يذكِّر الله بإحساناته، وهذا ما يُظهر على وجه أفضل جسامة الخطايا.

٢ [٤]هكذا قالَ الرَّبّ:

«بِسَبَبِ معاصي يَهوذا الثَّلاث وبِسَبَبِ الأَربَع
لا أَرجعُ عن حُكْمي لِأَنَّهم نَبَذوا شَريعةَ الرَّبّ ولم يَحفَظوا فَرائِضَه
وأَضَلَّتهُم أَكاذيبُهمُ الَّتي سارَ وَراءَها آباؤُهم.
[٥]فأُرسِلُ ناراً على يَهوذا فتَلتَهِمُ قُصورَ أُورَشَليم».
[٦]هكذا قالَ الرَّبّ:
«بِسَبَبِ مَعاصي إِسْرائيلَ الثَّلاث وبِسَبَبِ الأَربَع
لا أَرجِعُ عن حُكْمي لِأَنَّهم باعوا البارَّ بِالفِضَّة والمِسْكينَ بِنَعلَين
[٧]لِأَنَّهم يَدوسونَ رُؤُوسَ الضُّعَفاءِ على تُرابِ الأَرْض
ويُحَرِّفونَ طَريقَ الوُضَعاء
ويَدخُلُ الرَّجُلُ وأَبوه على الصَبِيَّةِ الواحِدَة لِيُدَنِّسا اسمِيَ القُدُّوس.
[٩]وأَنا قَرَضتُ مِن وُجوهِهم الأَمورِيِّينَ
الَّذينَ مِثلُ قاماتِ الأَرزِ قاماتُهم وصَلابَتُهم كالبَلُّوط
وقَرَضتُ ثِمارَهم مِن فَوقُ وجُذورَهم مِن تَحتُ.
[١٠]وأَصعَدتُكم أَنا مِن أَرضِ مِصر وسِرتُ بِكُم في البَرِّيَّةِ أَربَعينَ سَنة
لِأُورِثَكم أَرضَ الأَمورِيِّين
[١١]وأَقَمتُ مِن بَنيكم أَنْبِياء ومِن شُبَّانِكم نُذَراء.
أَفَلَيسَ الأَمرُ كذلك يا بَنيَ إِسْرائيل»؟ يَقولُ الرَّبّ

[١٢]فسَقَيتُمُ النُّذَراءَ خَمراً وأَمرتُمُ الأَنبِياءَ قائِلين : لا تَتَنَبَّأُوا .
[١٣]هاءَنَذا أَسحَقُكُم في مَواضِعِكم كما تَسحَقُ العَجَلَةُ المَمْلوءَةُ حُزَماً
[١٤]فيَستَحيلُ الهَرَبُ على خَفيفِ القَدَم
والقَوِيُّ لا يُشَدِّدُ قُوَّتَه والبَطَلُ لا يُنقِذُ نَفْسَه
[١٥]والقابِضُ على القَوسِ لا يَثبُت
وخَفيفُ القَدَمِ لا يَنْجو وراكِبُ الخَيلِ لا يُنقِذُ نَفْسَه
[١٦]والشَّديدُ القَلبِ بَينَ الأَبْطالِ يَفِرُّ عُرْياناً في ذلك اليَوم»
يَقولُ الرَّبّ .

٢. إنذارات

١. الاختيار

الاختيار فكرة من أهمّ أفكار العهد القديم، ولا يتردّد عاموس في التذكير بها ليُظهر على وجه أفضل مطالب الله .

٣ [١]إِسمَعوا هذه الكَلِمَةَ الَّتي تَكَلَّمَ بِها الرَّبُّ علَيكم، يا بَني إِسْرائيل
على جَميعِ العَشيرَةِ الَّتي أَصعَدتُها مِن أرضِ مِصرَ، قائِلاً :
[٢]إِيَّاكم وَحدَكم عَرَفتُ[١] مِن بَينِ جَميعِ عَشائِرِ الأَرْض
فلِذلك سأُعاقِبُكُم على جَميعِ ذُنوبِكم

٢. الدعوة النبوية

فقرة رائعة للدلالة على العلاقة القائمة بين رسالة النبي وتدخّل الله الذي يبلّغ كلمته إلى نبيّه .

(١) عرف : بمعنى اختار .

[٣]أَيَسيرُ ٱثْنانِ مَعاً إن لم يَتَّفِقا ؟
[٤]أَيَزأَرُ الأَسَدُ في الغابَة ولَيسَ لَه فريسة
أَم يَجهَرُ الشِّبلُ بِصَوتِه مِن عَرينِه إِن لم يَأخُذْ شَيئاً ؟
[٥]أَيَسقُطُ العُصفورُ في الفَخِّ على الأَرضِ ولَيسَ هُناكَ مِن فَخّ
أَم يَرتَفِعُ الفَخُّ عن الأَرضِ ولم يُمسِكْ شَيئاً ؟
[٦]أَيُنفَخُ في البوقِ في المَدينة ولا يَرْتاعُ الشَّعْب
أَم يَكونُ في المَدينةِ شَرٌّ ولم يَفعَلْه الرَّبّ ؟
[٧]لِأَنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ لا يَفعَلُ شَيئاً ما لم يَكْشِفْ سِرَّه لِعَبيدِه الأَنْبِياء.
[٨]زَأَرَ الأَسَدُ فمَن لا يَخاف ؟ تَكَلَّمَ الرَّبُّ فمَن لا يَتَنَبَّأ ؟

٣. تهديدات لنساء السامرة

لانهنَّ دفعن أَزواجهنَّ إلى الترف والتنعُّم ، ولم يكترثن للبؤس الشديد ، سيقوم الله بمعاقبتهنَّ .

٤ [١]إِسمَعنَ هذه الكَلِمَةَ يا بَقَراتِ باشانَ [(٢)] اللَّواتي في جَبَلِ السَّامِرَة
الظَّالِماتِ لِلضُّعَفاء والسَّاحِقاتِ لِلمَساكين
والقائِلاتِ لِسادَتِهِنَّ : هاتوا فنَشرَب
[٢]أَقسَمَ السَّيِّدُ الرَّبُّ بقَداسَتِه قائِلاً :
ستَأتي علَيكُنَّ أَيَّامٌ تُرفَعنَ فيها بِالكَلاليب
ومَن يَأتي بَعدَكُنَّ بِشُصوصِ السَّمَك

(٢) قارِن هذا ب اش ٣: الرسالة هي هي ، لكن اللون يختلف ، لان النبي كائن حرّ ، لا إنسـان آلي .

[٣]فتَخرُجنَ مِنَ الثُّغَرِ كُلُّ واحِدَةٍ على وَجهِها
وتُطرَحْنَ إلى حَرْمون، يَقولُ الرَّبّ.
[١١]فقَلَبتُكم كما قَلَبَ اللهُ سَدومَ وعَمورة
فكُنتُم كَجَمرَةٍ مُنتَشَلَةٍ مِنَ الحَريق
ولم تَرجِعوا إلَيَّ، يَقولُ الرَّبّ.
[١٢]لِذلك هكذا أَصنَعُ بِكَ يا إِسْرائيل
وبما أَنِّي أَصنَعُ بِكَ هذا فٱستَعِدَّ لِلِقاءِ إِلهِكَ يا إِسْرائيل.

٤. التوبة التماس لله

اِلتماس الله والتماس الخير شيء واحد. هنا شرط الخلاص، ولا يستفيد منه إلاَّ «بقيّة».

٥ [١]إِسمَعوا هذه الكَلِمَةَ الَّتي أَنا منادٍ بِها علَيكم رِثاءً، يا بَيتَ إِسْرائيل:
[٢]قد سَقَطَت عَذْراءُ إِسْرائيل فلا تَعودُ تَقوم
قد طُرِحَت إلى أَرضِها فلَيس مَن يُنهِضُها.
[٣]لِأَنَّه هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ:
إِنَّ المَدينَةَ الَّتي تُخرِجُ أَلفاً تَبْقى على مِئَة
والَّتي تُخرِجُ مِئَةً تَبْقى على عَشَرَةٍ لِبَيتِ إِسْرائيل.
[٤]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبُّ لِبَيتِ إِسْرائيل: أُطلُبوني فتَحيَوا[(٣)]
[١٠]لقَد أَبغَضوا المُوَبِّخَ في الباب ومَقَتوا المُتَكَلِّمَ بِنَزاهة
[١١]لِذلك بِما أَنَّكم تَدوسونَ الضَّعيف وتَأخُذونَ مِنه حِمْلَ قَمْح

(٣) السعي لمعرفة مشيئة الله هو مسعى ديني أساسي.

فأَنتُمْ تَبْنونَ بُيوتاً مِن حَجَرٍ مَنْحوت ولا تَسكُنونَ فيها
وتَغرِسونَ كُروماً شَهِيَّةً ولا تَشرَبونَ خَمرَها .
[١٢]فإنِّي عالِمٌ بِمَعاصِيكُمُ الكَثيرة وخَطاياكُمُ العَظيمة
تُضايِقونَ البارَّ وتَرتَشون وتُحَرِّفونَ حَقَّ المَساكينِ في الباب .
[١٣]لِذلك يَسكُتُ العاقِلُ في هذا الزَّمان لِأَنَّه زَمانُ سوء .
[١٤]فاطلُبوا الخَيرَ لا الشَّرَّ لِتَحيَوا
فيَكونَ الرَّبُّ ، إِلهُ القُوَّاتِ معَكم كما قُلتُم[٤]
[١٥]أَبغِضوا الشَّرَّ وأَحِبُّوا الخَير وأَقيموا الحَقَّ في الباب
فعَسى الرَّبُّ إِلهُ القُوَّات أَن يَرأَفَ بِبَقِيَّةِ يوسف[٥] .
[١٦]لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ ، إِلهُ القُوَّات :
في جَميعِ السَّاحاتِ يَكونُ نُواح
وفي جَميعِ الشَّوارِعِ يُقالُ : وَيلٌ وَيل
ويُدْعى الحارِثُ إِلى الاِنتِحاب والعارِفونَ بِالنَّحيبِ إِلى النُّواح
[١٧]ويَكونُ في جَميعِ الكُرومِ نُواح
لِأَنِّي أَجوزُ في وَسطِكَ ، قالَ الرَّبّ .

٥. يوم الرب

هذا مطلع موضوع كتابي - يوم الرب - كُتب له التطوُّر . كان الناس يرون فيه

(٤) فليس الحكم نهائياً .

(٥) أوّل مرّة يستعمل أحد الانبياء هذا اللفظ ، وهو يدلّ على الناس الباقين في مدينة أو حتى في شعب كامل ، بعد ضربة من قبل الله . وسيميل المعنى في وقت لاحق الى النخبة الدينية .

الاعلان عن حدث ملائم. أَمَّا عاموس فإنّه يصرِّح بأنه سيكون يوم ظلمات وعقاب. لا شك ان في ذلك اشارة إلى قدوم الأشوريين (٧٢٢ - ٧٢١).

[١٨] وَيلٌ لِلتَّوَّاقينَ إِلى يَومِ الرَّبّ
ماذا يَكونُ لكم يَومُ الرَّبّ؟ يَكونُ ظُلمَةً لا نوراً.
[١٩] كإِنْسانٍ يَهرُبُ مِن وَجهِ الأَسَدِ فيَلْقاه الدُّبّ
فيَدخُلُ البَيتَ ويُسنِدُ يَدَه إِلى الحائِط فتَلدَغُه الحيَّة.
[٢٠] أَلَيسَ يَومُ الرَّبِّ ظُلمَةً لا نوراً؟ بل هو مُظلِمٌ لا ضِياءَ لَه.

٦. رفض الطقوس الشكلية

يرفض عاموس العبادة الخارجية المحض، ان لم تصحبها ممارسة العدالة الاجتماعية ومحبّة الآخرين.

[٢١] لَقَد أَبغَضتُ أَعْيادَكم ونَبَذتُها ولم تَطِبْ لِيَ آحتِفالاتُكم.
[٢٢] إِذا أَصعَدتُم لي مُحرَقات... وتَقادِمُكم لا أَرتَضي بِها
ولا أَتَطَلَّعُ إِلى الذَّبائحِ السَّلامِيَّةِ مِن مُسَمَّناتِكم.
[٢٣] أَبعِدْ عنِّي جَلَبَةَ أَناشيدِكَ فلا أَسمَعْ عَزفَ عيدانِكَ
[٢٤] بل لِيَجْرِ الحَقُّ كالمِياه والبِرُّ كنَهرٍ لا يَنقَطِع.
[٢٥] هل قَرَّبتُم لي ذَبائِحَ وتَقادِمَ أَربَعينَ سَنَةً في البَرِّيَّةِ[٦]
يا بَيتَ إِسْرائيل؟

٦ [١] وَيلٌ لِلمُطمَئِنِّينَ في صِهْيون والآمِنينَ في جَبَلِ السَّامِرَة
لِوُجَهاءِ أُولى الأُمَمِ الَّذينَ يَذهَبُ إِلَيهم بَيتُ إِسْرائيل!

(٦) يرى عاموس، على غرار هوشع، في الإقامة في البرية زمن أمانة لله. كانت العبادة قليلة، لكنها كانت تناسب مشاعر الإسرائيلي الصميمة.

[٤]يَضَّجِعونَ على أَسِرَّةٍ مِن عاج ويَنبَطِحونَ على أَرائِكِهم
ويأكُلونَ الحُمْلانَ مِنَ الغَنَم والعُجولَ المُخْتارَةَ مِنَ المَعلَف
[٥]ويَرتَجِلونَ على صَوتِ العود ومِثلَ داودَ يَختَرِعونَ آلاتِ الطَّرَب
[٦]ويَشرَبونَ الخَمرَ بِالكُؤُوس ويَدَّهِنونَ بِالأَدهانِ النَّفيسَة(٧)
ولا يَكتَئِبونَ لِآنكِسارِ يوسُف .
[٧]لِذلك يُجلَونَ الآنَ في رَأسِ المَجلُوِّين فيَزولُ فُجورُ المُنبَطِحين .

٣. الرؤى

١. الرؤيا الأولى : الجراد

تهديد نجح عاموس في إبعاده

٧ [١]هكذا أَرانِيَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِذا بِه يُكَوِّنُ جَراداً في بَدءِ طُلوعِ خِلفَةِ النَّبات ، وكانَتِ الخِلفَةُ الَّتي بَعدَ حَصادِ المَلِك . [٢]فلَمَّا فَرَغَ مِن أَكلِ عُشبِ الأَرضِ، قُلتُ : «أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ ، اِغفِرْه، فكَيفَ يَقومُ يَعْقوب ، فإِنَّه صَغير» ؟ [٣]فنَدِمَ الرَّبُّ على ذلك وقال : «لا يكون» .

٢. الرؤيا الثانية : الجفاف

نجح أيضاً عاموس في إبعاده

[٤]هكذا أَرانِيَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِذا بِالسَّيِّدِ الرَّبِّ يَدْعو إِلى المُحاكَمَةِ بِالنَّار ، فأَكَلَتِ الغَمرَ العَظيمَ وأَكَلَتِ الحُقول . [٥]فقُلتُ : أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ : «كُفَّ ، فكَيفَ يَقومُ يَعْقوب ، فإِنَّه صَغير» ؟ [٦]فنَدِمَ الرَّبُّ على ذلك وقالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : «وذلك أَيضاً لا يَكون» .

(٧) حياة الارستقرائية السامرية حوالى ٧٥٠.

٣. الرؤيا الثالثة: المِطْمار

هذه المرَّة، لم تنجح شفاعة النبي

[٧]هكذا أَراني: إذا بالسَّيِّدِ قد وَقَفَ عِندَ حائِطٍ مِنَ الفولاذ، وبِيَدِه مِطْمار. [٨]فقالَ لِيَ الرَّبّ: «ماذا أَنتَ راءٍ، يا عاموس»؟ فقُلتُ: «مِطْماراً». فقالَ السَّيِّد: «هاءَنَذا أَجعَلُ مِطْماراً في وَسْطِ شَعْبي إِسْرائيل، ولا أَعودُ أَعْفو عنه. [٩]فتُدَمَّرُ مَشارِفُ إِسحقَ وتُخَرَّبُ مَقادِسُ إِسْرائيل، وأَقومُ على بَيتِ يارُبْعامَ بِالسَّيف».

٤. طَرْد عاموس من بيت إيل

نرى هنا، على الطبيعة، التعارض بين كهنوت وظيفي يخشى أن تنتقص أرباحه، والعمل النبوي الذي يبلّغ بجرأة كلمة صادرة عن الله حقاً.

[١٠]فأَرسَلَ أَمَصْيا، كاهِنُ بَيتَ إِيلَ، إِلى يارُبْعام، مَلِكِ إِسْرائيل، قائِلاً: «إِنَّ عاموسَ يَتآمَرُ علَيكَ في وَسْطِ بَيتِ إِسْرائيل. لا تُطيقُ الأَرضُ آحتِمالَ جَميعِ كَلامِه، [١١]لأَنَّه هكذا قالَ عاموس! يارُبْعامُ بِالسَّيفِ يَموت، وإِسْرائيلُ يُجْلى عن أَرضِه جَلاءً». [١٢]وقالَ أَمَصْيا لِعاموس: «أَيُّها الرَّائي، إِنطَلِقْ وآهرُبْ إِلى أَرضِ يَهوذا، وكُلْ هُناكَ خُبزَكَ وتَنَبَّأْ هُناك[٨]. [١٣]وأَمَّا بَيتَ إِيل، فلا تَعُدْ تَتَنَبَّأُ فيها، لِأَنَّها مَقدِسُ المَلِكِ وبَيتٌ مِن بُيوتِ المُلْك». [١٤]فأَجابَ عاموسُ وقالَ لِأَمَصْيا: «إِنِّي لَستُ نَبِيًّا ولا آبنَ نَبِيّ[٩]، إِنَّما أَنا راعي بَقَرٍ وواخِزُ جُمَّيز. [١٥]فأَخَذَني الرَّبُّ مِن وَراءِ الغَنَمِ وقالَ لِيَ الرَّبّ: إِنطَلِقْ وتَنَبَّأْ لِشَعبي إِسْرائيل. [١٦]فالآنَ آسمَعْ كَلِمَةَ

(٨) يُرى عاموس في عداد الانبياء الموظَّفين.

(٩) كان «ابن النبي» عضواً من أعضاء جمعية إخوان يهوديين مخلصين، ينتظرون الدعوة النبوية. وجدناهم في أيام صموئيل.

الرَّبّ . أَنتَ تقول : لا تَتَنَبَّأ على إسْرائيل ، ولا تُفِضْ على بَيتِ إِسحق .
[١٧]لِذلك هكذا قالَ الرَّبّ :
إِنَّ آمرَأَتَكَ تَزْني في المَدينة وبَنيكَ وبَناتِكَ يَسقُطونَ بِالسَّيف
وأَرضَكَ تُقسَمُ بِالحَبْلِ وتَموتُ أَنتَ في أَرضٍ نَجِسَة
وإِسْرائيلُ يُجْلى عن أَرضِه جَلاءً» .

٥. الرؤيا الرابعة : سلّة الفواكه الصيفية

هذا هو الاعلان عن النهاية .

٨ [١]هكذا أَراني السَّيِّدُ الرَّبّ : إِذا بِسَلَّةِ فَواكِهَ صَيفِيَّة . [٢]فقال : «ماذا أَنتَ راءٍ يا عاموس» ؟ فقُلتُ : «سَلَّةَ فَواكِهَ صَيفِيَّة» . فقالَ لِيَ الرَّبّ :
«قد أَتَتِ النِّهايَةُ لِشَعْبي إسْرائيل فلا أَعودُ أَعْفو عَنه
[٣]فتَصيرُ أَغانِيُّ القَصرِ وَلْوالاً في ذلك اليَومِ ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ
وتَكثُرُ الجُثَثُ وتُلْقى في كُلِّ مَكانٍ بِصَمْت»

٦. تهديدات للمستغلّين

يكشف هذا القول بوضوح عن مظالم ذلك الزمن .
[٤]إِسمَعوا هذا يا دائِسي الفَقير لإِفناءِ وُضَعاءِ الأَرْض
[٥]قائلين : مَتى يَمْضي رأسُ الشَّهرِ(١٠) فنَبيعَ الحُبوب
والسَّبتُ فنُصَرِّفَ القَمْح
مُصَغِّرينَ الإِيفَةَ ومُكَبِّرينَ المِثْقال ومُستَعمِلينَ مَوازينَ غِشّ
[٦]مُشتَرينَ الضُّعَفاءَ بِالفِضَّة والفَقيرَ بِنَعلَين وبائِعينَ نُفايَةَ القَمْح ؟

(١٠) كان رأس الشهر القمري يوم بطالة .

[٧]أَقسَمَ الرَّبُّ بِفَخْرِ يَعقوب : لا أَنْسى عَمَلاً مِن أَعْمالِهم لِلأَبَد .
[٨]أَفَلا تَرجُفُ الأَرضُ بِسَبَبِ ذلك ويَنوحُ كُلُّ ساكِنٍ فيها ؟
تَطْمو كُلُّها كالنِّيل وتَطفَحُ ثُمَّ تَنخَفِضُ كنيلِ مِصْر .
[٩]ويَكونُ في ذلك اليَوم ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ
أَنِّي أُغَيِّبُ الشَّمسَ عِندَ الظَّهيرَة وأُعَتِّمُ الأَرضَ في رائِعَةِ النَّهار
[١٠]وأُحَوِّلُ أَعْيادَكم نَوحاً وجَميعَ أَناشيدِكم رِثاءً
وأَضَعُ المِسحَ على كُلِّ حَقْوٍ والقُرَعَ على كُلِّ رَأس
وأَجعَلُها كمَناحَةٍ على وَحيد ونِهايَتَها كيومٍ مَرير .

٧. جوع وتعطّش الى الكلمة

هذا القول تكملة للقول الذي سبق لنا أن قرأناه : «اطلبوني فتحيوا» .

[١١]ها إِنَّها ستَأتي أَيَّامٌ ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ
أُرسِلُ فيها الجوعَ على الأَرْض
لا الجوعَ إِلى الخُبزِ ولا العَطَشَ إِلى الماء
بل إِلى آستِماعِ كَلِمَةِ الرَّبّ .
[١٢]فيَمضونَ مُتَرَنِّحينَ من بَحرٍ إِلى بَحْر ومِنَ الشَّمالِ إِلى المَشرِق
ويَطوفونَ في طَلَبِ كَلِمَةِ الرَّبّ فلا يَجِدونَها .

٨. الرجاء

هذا النص المتأخّر في الزمن (٣٠٠؟) يعلن ، بمقارنات مادية ، عن تجديد الشعب الاسرائيلي في المستقبل .

٩ [١]رَأَيتُ السَّيِّدَ واقِفاً على المَذبَح ، فقال :
«إِضرِبْ تاجَ العَمود ولْتَرتَجِفِ الأَعْتاب

حَطِّمْها على رُؤُوسِهم جَميعاً وسأَقتُلُ بَقِيَّتَهم بِالسَّيف
فلا يَهرُبُ مِنهم هارِب ولا يَنْجو مِنهم ناجٍ
[٢] إِن خَرَقوا مَثْوى الأَمْوات فمِن هُناكَ تَأخُذُهم يَدي
أَو صَعِدوا إِلى السَّماء فمِن هُناكَ أُنزِلُهم
[٣] وإِنِ آختَبَأُوا في رَأسِ الكَرمَل فمِن هُناكَ أَبحَثُ فآخُذُهم
أَوِ آستَتَروا مِن أَمامِ عَينَيَّ في قَعرِ البَحر
فمِن هُناكَ آمُرُ الحَيَّةَ فتَلسَعُهم.
[٤] وإِن ذَهَبوا أَسْرى أَمامَ وُجوهِ أَعْدائِهم فهُناكَ آمُرُ السَّيفَ فيَقتُلُهم
وأَجعَلُ عَينَيَّ علَيهم لِلشَّرِّ لا للخَير.

[٧] أَلَستُم لي كبَني الكوشِيِّين، يا بَني إِسْرائيل، يَقولُ الرَّبّ؟ أَلَم أُصْعِدْ إِسْرائيلَ مِن أَرضِ مِصرَ، والفَلِسطينِيِّينَ مِن كَفْتور، وأَرامَ مِن قير؟ [٨] ها إِنَّ عَينَي السَّيِّدِ الرَّبِّ على المَملَكَةِ الخاطِئَة، فأُبيدُها عن وَجهِ الأَرْض، إِلاَّ أَنِّي لا أُبيدُ بَيتَ يَعْقوبَ إِبادَةً، يَقولُ الرَّبّ. [٩] فإِنِّي هاءَنَذا آمُرُ وأَهُزُّ بَيتَ إِسْرائيلَ في جَميعِ الأُمَمِ هَزَّ الحِنطَةِ في الغِرْبال، فلا تَسقُطُ حَصاةٌ على الأَرض، [١٠] وبالسَّيفِ يَموتُ جَميعُ خاطِئي شَعْبِيَ القائِلون: «إِنَّ الشَّرَّ لا يَقتَرِبُ ولا يُدرِكُنا».

[١١] في ذلك اليَومِ أُقيمُ كوخَ داوُدَ الَّذي سَقَط
وأَسُدُّ ثُلَمَه وأُقيمُ أَنْقاضَه وأُعيدُ بِناءَه
كما كانَ في الأَيَّامِ القَديمة
[١٢] لِكَي يَرِثوا بَقِيَّةَ أَدومَ وجَميعَ الأُمَمِ الَّتي أُطلِقَ آسْمي علَيها
يَقولُ الرَّبُّ الصَّانِعُ هذا.

[13]ها إِنَّها تَأتي أَيَّامٌ، يَقولُ الرَّبّ
يُدرِكُ فيها الحارِثُ الحاصِد ودائِسُ العِنَبِ باذِرَ الزَّرْع
وتَقطُرُ الجِبالُ نَبيذاً وتَسيلُ جَميعُ التِّلال(١١)
[14]وأَرُدُّ أَسْرى إِسْرائيل
فيَبْنونَ المُدُنَ المُخَرَّبَةَ ويَسكُنونَها
ويَغرِسونَ كُروماً ويَشرَبونَ مِن خَمرِها
ويُنشِئونَ جَنَّاتٍ ويأكُلونَ مِن ثَمَرِها
[15]وأَغرِسُهم على أَرضِهم
ولا يُقتَلَعونَ فيما بَعدُ مِن أَرضِهِمِ الَّتي أَعطَيتُهم إِيَّاها
قالَ الرَّبُّ إِلهُكَ.

قراءة لبني جيلنا

ان تعليم عاموس مليء بالدروس، وهو يتخطّى زمنه بكثير. ذلك بأن تلك النداءات المتكرّرة إلى التوبة لم توجّه إلى معاصريه فقط. فإلينا أيضاً يوجّه هَذا القول: «اطلبوا الله» لتحيوا، وإلينا يُطلب أن نتعطّش الى كلمته، سواء أكان المقصود كلمة الله في الكتاب المقدس أم في الأحداث. ليس اكتشاف الله أمراً سهلاً، ومع ذلك فان حياتنا المسيحية تتوقّف على هذا الاكتشاف.

صحيح أن عبارتَي «يوم الرب» و«البقية» تعودان إلى زمن غابر، لكن الحكم المرتبط بالعبارة الأولى وفعل الإيمان الذي تفترضه المشاركة في العبارة الثانية لا يزالان حاليَّين. فإن الله يدينني في كل لحظة، وايماني بالمسيح هو عمل دائم في حياتي اليومية.

هل يجب أن نضيف ان الازدهار الاقتصادي كثيراً ما ترافقه المظالم في معاملة

(١١) صور ازدهار مادّي، لا تؤخذ على حرفيتها.

الوضعاء، وأننا في ترفنا قد نستخدم طرقاً تسحق البائسين، وأن «عِباد الآب» لا يزالان إلى اليوم أولئك الذين «يعبدونه بالروح والحق» ؟

سِفْرُ هُوشَع

المحيط

هوشع هو من معاصري عاموس، وعلى مثاله مارس خدمته النبوية في مملكة الشمال. لكنه لم يعرف قط، أو إلاَّ قليلاً، الاستقرار السياسي الذي ساد في أيَّام ياربعام الثاني، بل شاهد مقتل سلسلة ملوك هم زكريَّا (٧٤٣) وشلّوم (٧٤٣) ومَنَحيم (٧٤٣ - ٧٣٢) وفقَحْيا (٧٣٨ - ٧٣٧) وفاقَح (٧٣٧ - ٧٣٢). ذلك بأنه، على ما يبدو، أعلن الكلمة من ٧٤٥ إلى ٧٣٠. فالمحيط الاجتماعي والاقتصادي والديني هو المحيط الذي وصفناه في كلامنا على عاموس. أمَّا من الناحية السياسية، فيجب الاشارة إلى الانطلاقة العجيبة التي عرفها أشّور في عهد تجلت فلآسر الثالث (٧٤٥ - ٧٢٧) وهي انطلاقة تختلف عن الفوضى التي عرفها الحكم الملَكي الإسرائيلي. وهذا ما يفسِّر انحطاط المملكة: ففي السنة ٧٣٢، ضُمَّ جزءها الشمالي الى مملكة نينوى، ريثما يتمّ الاستيلاء على السامرة، ولعلَّ هوشع لم يشاهده.

الانسان

إِنَّه رجل شديد الانفعال، يجمع بين العنف والحنان. كان من أبناء بئيري وكان ينتمي الى عائلة من البرجوازية الزراعية الثريَّة في مملكة إسرائيل. روى هو نفسه لنا ما جرى له من خَيبات أمل في حياته الزوجية. كان قد تزوَّج امرأة هام في حبِّها وأعطته ثلاثة أولاد. لكنها خانته بعد ذلك، لا بل انصرفت الى البغاء المقدَّس. ومع ذلك فما زال يحبّها، ولم تلبث هي أن شعرت بخيبة من حياتها الجديدة. فقامت ببعض المساعي لدى زوجها للعودة إلى الحياة الزوجية. فامتحنها قبل القبول. لكننا نشعر، من خلال المجموعة كلها، بأمل هوشع الذي لا حدّ له: سيعود حبّ الخِطبة القديم الى سابق ازدهاره.

الرسالة

ما يمتاز به هوشع (وهذا شأن حزقيال) هو أن تلك القصَّة الخاصة الأليمة لم تبقَ خارج خدمته النبوية، بل جعلها جزءًا منها. اكتشف، في ضوء الوحي، ان مغامرته هي علامة تدلّ على حبّه المُستَهزَأ به، بل على حبٍّ أيضاً ينتزع جميع العقبات. فكما أن هوشع تزوَّج جومَر وما زال يحبّها، كذلك اختار الله اسرائيل وجعل منه موضع حبّه. وعلى غرار امرأة النبي، لم يكن اسرائيل أميناً لله وبغى بانصرافه الى عبادة الأوثان. لكن حبّ الله لا يتزعزع ولا يدع الخيانة تصدُّه. لقد فهم هوشع أنه، إن لم يفقد هو الأمل في استعادة الحب القديم، يكون ذلك أيضاً شأن الشعب الإسرائيلي: فسيأتي يوم يتوب فيه ويكنّ لله الحب الذي يطالب الله به.

اكتشاف هام، فلقد ابتدأ الوحي بالله المحبة. من جهة الانسان، يُقال لنا ما هي طبيعة العاطفة التي يجب عليه أن يُبديها لإلهه: إنها الـ«حِسِد»، أي بذل النفس - بذل القلب - الذي يؤدّي القيام بنشاط مطابق لمشيئة الله.

سيكون الله مفهوماً في ضوء هذا الحب البشري، فتُقتبَس المفردات من هذا الحب. كان الآلهة الوثنيون يقبلون بسهولة أن يشاركهم آخرون في العبادة التي تؤدّى لهم من قِبَل الذين يؤمنون بهم. أمّا الرب، فهو يرفض ذلك رفضاً باتاً، لانه إله غيور. لنذكرْ نصّ سفر الخروج حيث وردت هذه العبارة: «لا تسجدْ لإله آخر، لان الربّ اسمه الغيور» (خر ٣٤/١٤).

سنعود فنجد موضوع الحب الزوجي هذا في رسالة إرميا وحزقيال وسفر التعزية، وسيدخل بعد ذلك الى العهد الجديد، لكن المسيح والكنيسة سيحلاّن محلّ الرب وإسرائيل.

ونجد أيضاً في رسالة هوشع ما سُمّي روحانية البرّيّة. يعتقد هوشع بأن خيانة إسرائيل تعود الى الافراط في الرفاهية المادية، ويعتقد بأن اسرائيل كان أميناً في البرية، لانه كان يعيش في التقشّف وقلّة الرفاهية. والنتيجة محتّمة: لا يعود الشعب الاسرائيلي فيجد إلهه إلاّ عن طريق التجرّد، ومن هنا العقاب الذي سيُنزله الله به. وحينئذ يكون الخلاص.

مدخل

١ [١] كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتي كانَت إِلى هوشَعَ بنِ بَئيري، في أَيَّامِ عُزِّيَّا ويوتام

وآحازَ وحِزقِيَّا ، مُلوكِ يَهوذا ، وفي أَيَّامِ يارُبْعامَ بنِ يوآش ، مَلِكِ إِسْرائيل .

١. زواج هوشع

انتبِهْ إلى الاسماء التي يُطلقها هوشع على أولاده ، فهي تدلّ على رسالته . لم يعد اسرائيل محبوباً من الله ولم يعد شعبَه : فهناك ظواهر انفساخ العهد .

[٢]بَدءُ كَلامِ الرَّبِّ بِلِسانِ هوشَع . قالَ الرَّبُّ لِهوشَع : «إِنطَلِقْ فاتَّخِذْ لَكَ آمرَأَةَ زِنًى[(١)] وأَولادَ زِنًى ، فإِنَّ الأَرضَ تَزْني زِنًى بِآرتِدادِها عنِ الرَّبّ» .

[٣]فآنطَلَقَ وآتَّخَذَ جومَر ، بِنتَ دِبْلائيم . فحَبِلَت ووَلَدَت لَه آبناً . [٤]فقالَ لَه الرَّبّ : «سَمِّه يِزرَعيل ، فإِنِّي بَعدَ قَليلٍ أُعاقِبُ بَيتَ ياهو[(٢)] على دِماءِ يِزرَعيل ، وأُزيلُ مُلكَ بَيتِ إِسْرائيل . [٥]وفي ذلك اليَومِ أَكسِرُ قَوسَ إِسْرائيلَ في وادي يِزرَعيل» .

[٦]ثُمَّ حَبِلَت ثانِيَةً ووَلَدَت بِنتاً ، فقالَ لَه الرَّبّ : «سَمِّها غَيرَ مَرْحومة ، فإِنِّي لا أَعودُ أَرحَمُ بَيتَ إِسْرائيل ، صافِحاً عنهم صَفْحاً . [٧]أَمَّا بَيتُ يَهوذا ، فأَرحَمُهم وأُخَلِّصُهم بِالرَّبِّ إِلهِهم ولا أُخَلِّصُهم بِالقَوسِ ولا بِالسَّيفِ ولا القِتالِ ولا الخَيلِ ولا الفُرْسان» .

[٨]ثُمَّ فَطَمَت غَيرَ مَرْحومَة ، وحَبِلَت ووَلَدَتِ آبناً . [٩]فقالَ الرَّبّ : «سَمِّه لَيسَ بِشَعْبي ، فإِنَّكم لَستُم بِشَعْبي وأَنا لا أَكُونُ لكم إِلهاً»[(٣)] .

(١) رمزية . عن كيفية تفسير هذه الحركة ، راجع المدخل .
(٢) ياهو قتل فيه خلف عُمري .
(٣) ان صيغة العهد النبوية يعبَّر عنها على الوجه التالي : «سأكون لكم إلهاً وتكونون لي شعباً» .

٢. مسيرة الحبّ الذي رُفض، ثم أعيد

هوشع هو الذي يتكلّم على امرأته، وفي الوقت نفسه هو الله الذي يشكو خيانة شعبه. سيعاقبه الله ويبعث في قلبه الندامة، فتعود أجواء «الخِطبة في الحبّ والرحمة». ويصبح اسرائيل، مرّة أخرى، الشعب المحبوب من الله.

٢ [٤]حاكِموا أُمَّكم، حاكِموا، فإنَّها لَيسَتِ آمرَأَتي ولا أَنا زوجها.

لِتَنزِعْ مِن وَجهِها زِناها ومِن بَينِ ثَدْيَيها فِسْقَها

[٥]وإلاَّ جَرَّدتُها عُرْيانة ورَدَدتُها كما كانَت يَومَ ميلادِها

وجَعَلتُها كالصَّحْراء وصَيَّرتُها كأَرضٍ قاحلة وأَمَتُّها بِالعَطَش

[٦]ولم أَرحَمْ بَنيها لِأَنَّهم بَنو زِنًى [٧]لأَنَّ أُمَّهم زَنَت

والَّتي حَبِلَت بِهم جلَبَت على نَفسِها العار

لِأَنَّها قالَت: أَنطَلِقُ وَراءَ عُشَّاقي

الَّذينَ يُعْطونَني خُبْزي ومائي[(٤)] وصوفي وكَتَّاني وزَيتي وشَرابي.

[٨]لِذٰلك هاءَنذا أَسُدُّ طَريقَكِ بِالشَّوك

وأُسَيِّجُه بِسِياج، فلا تَجِدُ سُبُلَها

[٩]فتَجْري وَراءَ عُشَّاقِها فلا تُدرِكُهم وتَطلُبُهم فلا تَجِدُهم

فتقول: أَنطَلِقُ وأَرجِعُ إِلى زَوجِيَ الأَوَّل

لِأَنِّي كُنتُ حينَئِذٍ خَيراً مِن الآن.

[١٠]إِنَّها لم تَعلَمْ أَنِّي أَنا أَعطَيتُها القَمحَ والنَّبيذَ والزَّيت

وأَكثَرتُ لَها الفِضَّةَ والذَّهَب فجَعَلوهما لِلبَعْل.

[١١]ولِذٰلك أَعودُ فآخُذُ قَمْحي في حينه ونَبيذي في أَوانِه

(٤) آلهة البعل الذين كانوا ينسبون إليهم خصب الارض.

وأَنزِعُ صوفي وكَتّاني اللَّذَينِ هُما لِسَترِ عَورَتِها .

[١٢] والآنَ أكشِفُ فاحِشَتَها على عُيونِ عُشّاقِها
ولا يُنقِذُها أَحَدٌ مِن يَدي .

[١٣] وأُبطِلُ كُلَّ فَرَحِها وأَعْيادِها ورُؤُوسِ شُهورِها وسُبوتِها
وكُلَّ آحتِفالاتِها

[١٤] وأُدَمِّرُ كَرمَتَها وتينَتَها مِمّا قالَت : هُما أُجرَتي أَعْطانيها عُشّاقي .
وأَجعَلُ مِنهما غابَةً فتَأكُلُهما وُحوشُ البَرِّيَّة .

[١٥] وأُعاقِبُها على أَيّامِ البَعْليمِ الَّذينَ أحرَقَتِ البَخورَ لَهم
وتَزَيَّنَت بِخَواتِمِها وحُلِيِّها وآنطَلَقَت وَراءَ عُشّاقِها ونسِيَتْني
يَقولُ الرَّبّ .

[١٦] لِذٰلك هاءَنَذا أَستَغْويها وآتي بِها إِلى البَرِّيَّة[٥] وأُخاطِبُ قَلبَها

[١٧] ومِن هُناكَ أَرُدُّ إِلَيها كُرومَها وأَجعَلُ مِن وادي عَكورَ[٦] بابَ رَجاء
فتُجيبُ هُناكَ كما في أَيّامِ صِباها وفي يَومِ صُعودِها مِن مِصْر .

[١٨] وفي ذلك اليَومِ، يَقولُ الرَّبّ ، تَدْعينَني «زوجي»
ولا تَدْعينَني بَعدَ ذلك «بَعْلي»[٧] .

[١٩] فإِنِّي أُزيلُ أَسماءَ البَعْليمِ مِن فَمِها فلا تُذكَرُ مِن بَعدُ بِأَسْمائِها .

[٢٠] وأَقطَعُ لَهم عَهداً في ذلك اليَوم مع وُحوشِ البَرِّيَّةِ وطُيورِ السَّماء
والحَيَواناتِ الَّتي تَدِبُّ على الأَرْض

(٥) نجد هنا روحانية البرية، كما وجدناها عند عاموس.

(٦) وادي عكور = وادي النحس.

(٧) الزوج كان بعل (= سيّد) المرأة التي اشتراها. هوشع يحظّر استعمال الكلمة.

وأَكسِرُ القَوسَ والسَّيفَ والحَربَ مِنَ الأَرْض وأُريحُهم في أَمان .
٢١وأَخطُبُكِ لي لِلأَبَد(٨)، أَخطُبُكِ بِالبِرِّ والحَقِّ والرَّأفَةِ(٩) والمَراحِم
٢٢وأَخطُبُكِ لي بِالأَمانَةِ، فتَعرِفينَ الرَّبّ .
٢٣ويَكونُ في ذلِكَ اليَومِ أَنِّي أُجيب ، يَقولُ الرَّبّ
أُجيبُ السَّموات ، وهُنَّ يُجِبنَ الأَرض
٢٤والأَرضُ تُجيبُ القَمحَ والنَّبيذَ والزَّيت وهُنَّ يُجِبنَ يِزرَعيل .
٢٥وأَزرَعُها لي في الأَرض وأَرحَمُ غَيرَ مَرْحومة
وأَقولُ لِلَيسَ بِشَعْبي : «أَنتَ شَعْبي» وهو يقول : «أَنتَ إِلهي»(١٠) .

٣ ١ثُمَّ قالَ لِيَ الرَّبّ : «إِنطَلِقْ أَيضاً وأَحبِبِ آمرَأَةً يُحِبُّها زَوجُها ، وهي فاسِقَة ، كما يُحِبُّ الرَّبُّ بَني إِسْرائيل ، وهم يَلتَفِتونَ إِلى آلِهَةٍ أُخْرى ويُحِبُّونَ أَقْراصَ الزَّبيب» . ٢فآشتَرَيتُها بِخَمسَةَ عَشَرَ مِنَ الفِضَّة وبِحُمِرِ ونِصفِ حُمِرٍ مِنَ الشَّعير . ٣وقُلتُ لَها : «إِنَّكِ تَبقَينَ لي أَيَّاماً كَثيرة ، ولا تَزْنينَ ولا تَكونينَ لِرَجُل ، وأَنا أَكونُ كذلِكَ مَعَكِ» ، ٤لِأَنَّ بَني إِسْرائيلَ يَبقَونَ أَيَّاماً كَثيرَةً لا مَلِكَ لَهم ولا رَئيسَ ولا ذَبيحَةَ ولا نُصُبَ ولا أَفودَ ولا ترافيم . ٥وبَعدَ ذلك يَرجِعُ بَنو إِسْرائيلَ ويَطلُبونَ الرَّبَّ إِلهَهم وداوُدَ مَلِكَهم ، ويَلتَفِتونَ بِهَيبَةٍ إِلى الرَّبِّ وجودَتِه في آخِرِ الأَيَّام .

(٨) بالمصالحة يعود حب الخِطبة .
(٩) الرأفة : في العبرية «حيسيد» . انها الرأفة في الامانة . لم نصل الى عبارة «الله محبة» التي وردت في رسالة يوحنا ، لكننا في الطريق إليها . لا يمكن الفصل بين الـ«حيسيد» ومعرفة الله الصحيحة .
(١٠) ان استعادة الامانة تؤدّي الى شبه تجديد العهد .

٣. يطالب الله شعبه بالمحبة قبل الذبائح

نجد هنا فكرة عاموس، وهكذا يكون عند سائر الانبياء: فالطقوس لا يكون لها أيّ معنى، ان لم تُترجَم ببذل النفس الباطني.

٤ [١] إسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يا بَني إِسْرائيل
فإِنَّ لِلرَّبِّ دَعْوًى على سُكَّانِ الأَرْض
إِذ لَيسَ في الأَرضِ حَقٌّ ولا رَحمَةٌ ولا مَعرِفَةٌ لله
[٢] بل قد فاضَتِ اللَّعنَةُ والكَذِبُ والقَتلُ والسَّرِقَةُ والزِّنى
والدِّماءُ تُلامِسُ الدِّماء.
[٣] لِذٰلك تَنوحُ الأَرضُ ويَذبُلُ كُلُّ ساكِنٍ فيها
مع وُحوشِ البَرِّيَّةِ وطُيورِ السَّماء
بل أَسماكُ البَحرِ أَيضاً تَزول.

٦ [١] هَلُمُّوا نَرجِعُ إِلى الرَّبّ لِأَنَّه هو آفتَرَسَ وهو يَشْفينا
هو ضَرَبَ وهو يَعصِبُ جِراحَنا.
[٢] بَعدَ يَومَينِ يُحْيينا وفي اليَومِ الثَّالِثِ يُقيمُنا(١١) فنَحْيا أَمامَه.
[٣] لِنَعلَمْ ونُتابِعْ مَعرِفَةَ الرَّبّ.
طُلوعُه ثابِتٌ كالفَجْرِ فسَيَأتي إِلَينا كالمَطَر
كمَطَرِ الرَّبيعِ الَّذي يَرْوي الأَرْض.
ماذا أَصنَعُ إِلَيكَ يا أَفْرائيم؟ ماذا أَصنَعُ إِلَيكَ يا يَهوذا؟
إِنَّ رَحمَتَكم كغَمامِ الصَّباح وكالنَّدى الَّذي يَزولُ باكِراً.

(١١) تدلّ العبارة على زمن قصير جداً. طُبّق هذا النص على قيامة المسيح.

[٥]لِذلك نَحتُّهم بِالأَنبِياء وقَتَلتُهم بِأَقوالِ فَمي .
وقَضائي يُشرِقُ كالنُّور .
[٦]فإِنَّما أُريدُ الرَّحمَةَ لا الذَّبيحة ، مَعرِفَةَ اللهِ أَكثَرَ مِنَ المُحرَقات .

٤. تهديدات بمعاقبة السامرة

[٤]نَصَبوا مُلوكاً ولكِن لا مِن قِبَلي وأَقاموا رُؤَساءَ وأَنا لم أَدْرِ
ومِن فِضَّتِهم وذَهَبِهم صَنَعوا لِأَنفُسِهم أَصْناماً لِآنقِراضِهم .
[٥]قد نُبِذَ عِجلُكِ أَيَّتُها السَّامِرَة وآضطَرَمَ غَضَبي علَيهم
فإِلى مَتى لا يُمكِنُهم أَن يَعودوا أَبرِياء؟
[٦]إِنَّه هو أَيضاً مِن إِسْرائيل
صَنَعَه صانِعٌ فلَيسَ بِإِله فإِنَّه سيَصيرُ شَظايا .
[٧]فلأَنَّهم يَزرَعونَ الرِّيحَ فسيَحصُدونَ الزَّوبَعة :
ساقٌ لا سُنبُلَ لَها ولا تُخرِجُ دَقيقاً
وإِن أَخرَجَت ، إِلتَهَمَه الغُرَباء .
[١١]حينَ أَكثَرَ أَفْرائيمُ مِنَ المَذابِحِ لِلخَطيئة صارَت لَه المَذابِحُ لِلخَطيئَة
[١٢]فلَو كَتَبتُ لَه الآلافَ مِن شَريعَتي لَحُسِبَت أَمراً غَريباً .
[١٣]أَمَّا الذَّبائِحُ المُقَدَّمَةُ لي فيَذبَحونَها ويَأكُلونَ لَحمَها
لكِنَّ الرَّبَّ لا يَرْضى عنها ، بل يَذكُرُ الآنَ ذَنبَهم
ويُعاقِبُهم على خَطاياهم : فإِنَّهم إِلى مِصرَ يَرجِعون .

٥. الإنباء بخراب السامرة

١٠ [١]إِنَّ إِسْرائيلَ كَرمَةٌ وافِرَة يُثمِرُ ثَمَراً لِنَفسِه .

وعلى حَسَبِ كَثرَةِ ثَمَرِه كَثَّرَ المَذابِح
وعلى حَسَبِ حُسنِ أَرضِه حَسَّنَ الأَنْصاب .
[٢]تَقَسَّمَت قُلوبُهم ، فالآنَ يُكَفِّرون
هو يُحَطِّمُ مَذابِحَهم ويُخَرِّبُ أَنْصابَهم .
[٣]فالآنَ يَقولون : «لَيسَ لَنا مَلِك
لِأَنَّنا لم نَخْشَ الرَّبّ فماذا يَصنَعُ لَنا المَلِك ؟»
[٤]تَكَلَّموا كَلاماً وأَقسَموا باطِلاً وقَطَعوا عَهداً
ويَنبُتُ الحَقُّ كَنَبتِ سُمٍّ على أَتْلامِ الحُقول .
[٥]على عِجلِ بيتَ آوِنَ يَرتَعِدُ سُكَّانُ السَّامِرَة
لِأَنَّ شَعبَه وكَهَنَتَه كانوا يَنوحونَ علَيه
فلْيَبتَهِجوا بِمَجدِه بَعدَ أَن نُفِيَ عنَّا .
[٦]فهو أَيضاً يُحمَلُ إِلى أَشُّورَ هَدِيَّةً لِلْمَلِكِ العَظيم
فيَنالُ أَفْرائيمُ عاراً ويَخجَلُ إِسْرائيلُ مِن دَسائِسِه .
[٧]السَّامِرَةُ دُمِّرَت ومَلِكُها كالقَشَّةِ على وَجهِ المِياه .
[٨]وستُدَمَّرُ مَشارِفُ آوِن ، خَطيئَةُ إِسْرائيلَ هذه
والشَّوكُ والحَسَكُ يَعلُوانِ مَذابِحَهم
فيَقولونَ لِلجِبالِ : «غَطِّينا» ، ولِلتِّلالِ : «أُسقُطي علَينا»[١٢] .

٦. محبّة الله لإسرائيل

لم يعد الكلام هنا على امرأة ، بل على ولد . أمَّا إرميا فسيجمع بين الاثنين .

(١٢) راجع لو ٢٣/٣٠.

١١ [١]لَمَّا كَانَ إِسْرائيلُ صَبِيًّا أَحبَبْتُه ومِن مِصرَ دَعَوتُ آبْني[١٣] .
[٢]يَدْعونَهم لكِنَّهم يُعرِضونَ عنهم ذابِحينَ لِلبَعلِ ومُحرِقينَ البَخور
[٣]أَنا دَرَّجتُ أَفْرائيمَ وحَمَلتُهم على ذِراعي
لكِنَّهم لم يَعلَموا أَنِّي آهتَمَمتُ بِهم .
[٤]بِحِبالِ البَشرِ، بِرَوابِطِ الحُبِّ آجتَذَبتُهم
وكُنتُ لَهم كمَن يَرفَعُ الرَّضيعَ إِلى وَجنَتَيه
وآنحَنَيتُ علَيه وأَطعَمتُه[١٤]
[٥]لن يَرجِعَ إِلى أَرضِ مِصْر وأَشُّورُ هو يَكونُ مَلِكَه .
وبما أَنَّهم أَبَوا أَن يَرجِعوا إِلَيَّ
[٦]سيَجولُ السَّيفُ في مُدُنِهم ويُفْني مَغاليقَها
ويَلتَهِمُهم بِسَبَبِ مَقاصِدِهم .
[٧]إِنَّ شَعْبي تَشَبَّثَ بِالِآرْتِدادِ عنِّي .
دَعَوه إِلى العَلاءِ وما مِن أَحَدٍ يَنهَض .
[٨]كَيفَ أَهجُرُكَ يا أَفْرائيم وكَيفَ أُسلِمُكَ يا إِسْرائيل؟
كَيفَ أُعامِلُكَ كأَدمَة وأُصَيِّرُكَ كصَبوئيم[١٥]
قدِ آنقَلَبَ فيَّ فُؤادي وآضطَرَمَت أَحْشائي
[٩]لا أُطلِقُ حِدَّةَ غَضَبي ولا أَعودُ إِلى تَدْميرِ أَفْرائيم
لِأَنِّي أَنا اللهُ لا إِنْسان والقُدُّوسُ في وَسْطِكَ فلَن آتِيَ ساخِطاً .

(١٣) مرَّة أخرى زمن البرية الغربي الرَعَوي . راجع كيف طبّق متى هذا النصّ (متى ٢/١٥) .
(١٤) تشابيه مأخوذة من حياة الريف .
(١٥) مدينتان من المدن الفلسطينية الخمس .

٧. الإنباء بتوبة إسرائيل

ان الأقوال التي تنتهي بها المجموعة تتّصل بالفصل الثاني وتنبئ بالإعفاء عن الشعب الإسرائيلي.

١٤ [٢]عُدْ، يا إِسْرائيلُ، إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ فإِنَّكَ بِذَنبِكَ عَثَرتَ.
[٣]خُذوا معَكم كَلاماً(١٦) وعودوا إِلى الرَّبّ قولوا له:
«إِرفَعْ كُلَّ ذَنْبٍ وآقبَلِ الخَير فنَنذُرُ شِفاهَنا بَدَلَ العُجول.
[٤]أَشُّورُ لا يُخَلِّصُنا ولا نَركَبُ الخَيل
ولا نَقولُ بَعدَ الآنَ لِصُنعِ أَيدينا: «إِلهَنا»
فيكِ يَجِدُ اليَتيمُ رَحمَةً.
[٥]أَشفيهِم مِنِ آرتِدادِهم(١٧) وأُحِبُّهم بِسَخاء.
[٦]أَكونُ لِإِسْرائيلَ كالنَّدى فيُزهِرُ كالسَّوسَنِ ويَغرِزُ جُذورَه كلُبْنان
[٧]وتَنتَشِرُ فُروعُه ويَكونُ بَهاؤُه كالزَّيتونِ ورائِحتُه كلُبْنان
[٨]فيَرجِعونَ لِيَجلِسوا في ظِلِّي ويُحيونَ الحِنطَة ويُزهِرونَ كالكَرمَة
فيَكونُ ذِكرُه كَخَمْرِ لُبْنان.
[٩]يا أَفْرائيمُ، ما لي ولِلأَوثانِ بَعدَ اليَوم؟
أَنا أُجيبُه وأَرْعاه، أَنا الَّذي كالسَّروَةِ الخَضْراء ومِنِّي يَخرُجُ ثَمَرُكِ.

قراءة لبني جيلنا

يعطف بنو جيلنا على ما يشعر به هوشع من ضيق وانفعال، وعلى الأمل الذي يحفظه في صميم قلبه. لكن كل ذلك يحملهم على التساؤل: أفيحبّنا الله هو أيضاً؟

(١٦) أقوال ندامة.
(١٧) ان الله هو الذي يُلقي الكلام.

أجل، لا نستطيع أن ننسب إليه مباشرةً ذلك الحب البشري الناقص، غير أنه، ان كان ذلك الحب عنده بذلاً تاماً للنفس، وان كان ذلك الحب البشري انعكاساً لحبه الإلهي، عندئذ نجد أنفسنا أمام حقيقة رهيبة.

ولكن، تجاه ذلك، لله مطلب معروف، وهو أن نلبّي محبته ببذل النفس التام. لا شك ان حساسيتنا لا تستفيد: فإن حبّ هوشع لله لم يكن على غرار حبه لامرأته، لكن هذا الجمع بين بذل النفس والاخلاص في الايمان وتقدمة الحياة لا يتجاوز مقدور الانسان، علماً بأن المسيحي يستفيد اليوم، الى جانب ذلك، من قدوة المسيح وقوّته، لا بل يشارك في محبّة الله «التي أفيضت في قلوبنا بالروح القدس الذي وُهب لنا».

سِفر أشعيا (اش ١ - ٣٩)

النبي

وُلد في أورشليم في حوالى السنة ٧٦٥، وكان من أوجه عائلات المملكة. تزوَّج فرُزق ابنَين على الأقلّ، وصل إلينا اسمهما، وكان هذان الاسمان، وفقاً للعادة الجارية في ذلك الزمن، رمزيَّين يرتبطان برسالة الأب النبوية: شآر ياشوب (ستعود بقيَّة) ومَهير شالالْ حاش (غنيمة سريعة ونَهْب قريب). كان ذا طبع أنيق وعلى جانب كبير من الثقافة، فكان شديد السيطرة على مشاعره. وكان كريماً، فقدَّم نفسه لله من دون تردّد للقيام بالخدمة النبوية. وكان ذكيًا، فتوصَّل شيئاً فشيئاً الى نظرة فلسفية دينية الى التاريخ والعالم. ودلَّ على حبّ عميق لوطنه الصغير، لكنه عاش هذا الحبّ في ضوء ايمانه، ولذلك غالباً ما قاوم سياسة آحاز الخارجية. وهناك أسطورة تقول بأنه مات في أثناء الاضطهاد الذي شنَّه الملك منسّى، وبأنه نُشر بين لَوحَين.

المحيط

مارس أشعيا رسالته النبوية مدَّة أربعين سنة (٧٤٠ - ٧٠٠) في مملكة يهوذا. فعرف في تلك الحقبة الزمنية أربعة ملوك: عُزِّيَّا (٧٨١ - ٧٤٠) ويوتام (٧٤٠ - ٧٣٦) وآحاز (٧٣٦ - ٧١٦) وحِزقِيًا (٧١٦ - ٧٨٦). وعلى عهد آحاز، نشبت الحرب السورية الافرائيمية. وفي ٧٣٥، تحالف الملك رصين في دمشق مع فاقح في السامرة على أشُور. ورفض آحاز الانضمام الى المتحالفَين، فأشهرا الحرب عليه. وعلى الفور استنجد ملك أورشليم بملك أشُور تجلت فلآسر الثالث فلبّى طلبه. فتمّ اجتياح سورية ومملكة السامرة. وبعد انهزام المتحالفَين، ضمَّ دمشق (٧٣٢) ومناطق اسرائيل الشمالية. لكنَّ مملكة يهوذا وقعت تحت الحكم الإقطاعي. وفي مطلع عهد حِزقِيًا، لم تتدخَّل أشُور في فلسطين، لكن المَلِك وقَّع، في ٧٠٣، اتِّفاقاً مع مصر، فكانت فرصة

انتهزها سنحاريب لإخضاع المرافئ الفينيقية ، ولمحاصرة أورشليم . لكنّه اضطُرَّ الى فكّ الحصار ، ففرض مع ذلك على المَلِك جزية باهظة (٧٠١) . وستبقى مملكة يهوذا بعد اليوم في فلك أشُّور .

والى جانب السامرة ، تدفّقت على أورشليم ، في مطلع خدمة أشعيا الرسولية ، موجة جديدة من عبادة الاوثان ، مَهّد اليها اقتصاد مزدهر ، بل موقف آحاز أيضاً ، فلقد قرَّب ابنه الملك ، على أملٍ أن يُبعد المتحالفَين (٧٣٥) . وفي هيكل المدينة المقدسة ، نزع مذبح المُحرقات وأحلَّ محلّه مذبحاً شبيهاً بمذبح تجلت فلآسر . ومن الراجح أنه ادخل الى الهيكل صورة بعض آلهة أشُّور .

ولكن ، في حوالى السنة ٧١٥، على عهد الملك حِزقِيّا ، نشاهد عودة الى صفاء الدين اليهوي : فإن الملك باشر إصلاحاً دينياً يعيد الى الهيكل سلامته . وفي الوقت نفسه ، قدم اكليرس مملكة الشمال إلى أورشليم ، بعد أن أمسى نشاطه مستحيلاً على أثر خراب السامرة ، وأتى اليها بتقاليده التاريخية والقانونية .

الكتاب

يضمّ الكتاب ، كما يظهر لنا ، ٦٦ فصلاً . لكن الفصول التسعة والثلاثين الأولى وحدها هي لنبيّ القرن الثامن ، وهي التي نبحث فيها الآن . أمّا الفصول الأخرى ، وهي أحدث عهداً ، فتُجعل في مكانها الزمني . ولماذا ضُمَّت الى الفصول السابقة ؟ هذه مشكلة لم يحلّها النقد الكتابي الى اليوم . تمَّ هذا الضمّ في وقت مبكر ، لأننا نجده في المخطوطات التي عُثر عليها في قمران .

ولقد انقلب ترتيب الأقوال النبوية رأساً على عقب ، فجاءت رواية دعوة النبي في الفصل السادس من المجموعة .

الرسالة

رسالة الكتاب كثيرة الوجوه : فهناك قداسة الله ومُلك الله والتزام الشعب الاسرائيلي بأن يكون له ايمان حيّ فعّال ، والإنباء بمجيء الملك المشيح الى أورشليم بصفتها مركز مملكته .

ان الاختبار الروحي الذي قام به النبي هو اختبار قداسة الله ، وهو يعي ، بالمقابل ، نجاسة الإنسان التي لا يُزيلها إلاّ الله وحده .

ورسالة النبي متّصلة بدعوته . فعلى الشعب الاسرائيلي أن يشارك في قداسة إلهه ، وهو كثيراً ما يسمّيه «قدُّوس اسرائيل» . فلا يمكن ان يحتمل الرب شيئاً من عبادة

الأوثان أو المظالم أو الافراط في الترف أو التحالف مع الغريب . ومن هنا توجيه التوبيخات واللعنات . لكن رجاء النبي يظهر في أحلك الساعات ، فأورشليم المنجّسة بعبادة الأوثان تخلفها أورشليم مركز البشرية الديني ، ومن الشعب غير الأمين تنبعث «بقيّة» ترضى بمُلك الله ، وتجاهَ ملك يهوذا المتخبّط بالوثنية ، يظهر ملك أمين لله على وجه تام ، وهو ال«عِمَّانوئيل» .

وهناك مفهوم جديد لله ، لم نجده لا في سفر عاموس ولا في سفر هوشع ، وهو مُلك الله . لا شك ان في ذلك تسمية جديدة لقدرة الله ، ولكن هذه القدرة كانت تظهر بمظهر حكم دينونة تصدر في الشعب الاسرائيلي وجيرانه ، في حين ان حُكم الله الملكي يستهدف الأرض كلها ، وأننا أمام فلسفة دينية للتاريخ تنطبق على العالم كله . فالله قادر على تحريك أقصى الشعوب وأقدر الملوك ، وهم يظنّون أنهم يعملون من تلقاء أنفسهم مع انهم في الواقع مجرّد أدوات في يد الرب . واذا انتهت مهمّتهم ، غابوا . ونشعر أيضاً بأننا امام مفارقة : فالذين استُخدموا لمعاقبة الشعب الاسرائيلي يُعاقَبون هم أيضاً لأنهم تجاسروا على التعرُّض لمختار الله .

ونلمح أيضاً تلاميذ النبي ، وهذا أمر يجب ربطه ب«البقية» التي ورد ذكرها في الكلام على عاموس . والمقصود بها هو نخبة روحية يتأصّل فيها شعب الله الجديد .

وهناك فضيلة تظهر في خط الاختيار الإلهي ، وهي الايمان . فهو الاستعداد الأهم الذي لا بدّ أن يكون في قلب كل إسرائيلي ، ولا سيّما في قلب المَلِك . فعلى الملك أن يضع دائماً نصب عينيه ذلك التثبُّت من حماية الله القديرة لشعبه ، وان ينبذ كل فكرة تحالُف مع الغريب ، مع مصر ومع أشور على السواء . فكان النبي نفسه ، يومَ كان سنحاريب يحاصر المدينة المقدسة ، يستخفّ بتهديداته ويؤكّد لحزقيّا أن الملك الأشوري ، الذي شتم قدّوس اسرائيل ، لن يلبث أن يعود في الطريق الذي أتى منه ، وهذا ما جرى .

١. وضع أورشليم الديني في حوالى ٧٣٥

على عهد يوتام (٧٤٠ – ٧٣٦) ، كان الوضع الاقتصادي مزدهراً ، وكان الترف في الطبقة الحاكمة لا مثيل له . لكن العلاقات التجارية مع الخارج أدَّت الى تفاقم عبادة الأوثان . ولذلك يتّسم مطلع خدمة أشعيا بطابع التوبيخات والتهديدات .

١. حصار ٧٣٥

نشبت الحرب السورية الأفرائيمية في ٧٣٥، وفضَّل الملك آحاز (٧٣٦ - ٧١٦)، بالرغم من حثّ النبيّ، التحالف مع أشّور على الاستنجاد بالرب. فكان العقاب بخراب البلد عن يد المتحالفَين وحصار أورشليم.

١ [٤]وَيلٌ لِلأُمَّةِ الخاطِئَة، الشَّعبِ المُثقَلِ بِالآثام
ذُرِّيَةِ أَشْرارٍ وبَنينَ فاسِدين.
إِنَّهم تَرَكوا الرَّبّ وآستَهانوا بِقُدُّوسِ إِسْرائيل(١)
وآرتَدُّوا على أَعْقابِهم.
[٥]عَلامَ تُضرَبونَ أَيضاً إِذا آزدَدتُم تَمَرُّداً؟
الرَّأسُ كُلُّه مَريض والقَلبُ كُلُّه سَقيم.
[٦]مِن أَخمَصِ القَدَمِ إِلى الرَّأسِ لا صِحَّةَ فيه
بل جُروحٌ ورُضوضٌ وقُروحٌ مَفْتوحة
لم تُعالَجْ ولم تُعصَبْ ولَم تُلَيَّنْ بِدُهْن.
[٧]أَرضُكم خَرابٌ ومُدُنُكم مُحرَقَةٌ بِالنَّار
وأَرضُكم يَأكُلُها الغُرَباءُ أَمامَكم والخَرابُ كتَدْميرِ الغُرَباء.
[٨]فبَقِيَت بِنتُ صِهْيونَ ككوخٍ في كَرْم
كمَبيتٍ في أَرضِ قِثَّاء، كمَدينَةٍ قد حوصِرَت.
[٩]لَولا أَنَّ رَبَّ القُوَّاتِ تَرَكَ لَنا بَقِيَّةً يَسيرة(٢)

(١) ان الله قدّوس: هذا عنصر هام في رسالة أشعيا. ومع ذلك، وبالرغم من هذا الانفصال، فإنه، اذا صحّ التعبير، خاصة الشعب المختار.

(٢) راجع المدخل الى عاموس.

لَصِرْنا مِثْلَ سَدومَ وأَشبَهْنا عَمورَة .

٢, طقوس وأخلاق

ان لم تكن الطقوس عبارة عن ايمان فعّال ، يرفضها الله . فلا بدَّ أولاً من «التدرّب على الاحسان . نجد هنا ما يعلّمه عاموس وهوشع .

[١٠]إسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يا قُوَّادَ سَدوم
أَصْغِ إِلى تَعْليمِ إِلهِنا يا شَعبَ عَمورَة .
[١١]ما فائِدَتي مِن كَثرَةِ ذَبائِحِكم ، يَقولُ الرَّبّ ؟
قد شَبِعتُ مِن مُحرَقاتِ الكِباشِ وشَحمِ المُسَمَّنات
وأَصبَحَ دَمُ الثِّيرانِ والحُمْلانِ والتُّيوسِ لا يُرْضيني .
[١٢]حينَ تَأتونَ لِتَحضُروا أَمامي
مَنِ الَّذي آلتَمَسَ هذه مِن أَيديكم حتَّى تَدوسوا دِياري ؟
[١٣]لا تَعودوا تأتوني بِتَقدِمَةٍ باطِلَة .
إِنَّما إِحراقُ البَخورِ قَبيحَةٌ لَدَيَّ .
رَأسُ الشَّهرِ والسَّبتُ والدَّعوةُ إِلى الحَفلِ لا أُطيقُها
إِنَّما هي إِثمٌ وآحتِفال .
[١٤]رُؤُوسُ شُهورِكم وأَعيادُكم كَرِهَتها نَفْسي
صارَت عَلَيَّ حِملاً وقد سَئِمتُ آحتِمالَها .
[١٥]فحينَ تَبسُطونَ أَيدِيَكم أَحجُبُ عَينَيَّ عنكم
وإِن أَكثَرتُم مِنَ الصَّلاةِ أَستَمِعُ لكم
لِأَنَّ أَيدِيَكم مَملوءَةٌ مِنَ الدِّماء .
[١٦]فآغتَسِلوا وتَطَهَّروا

وأَزيلوا شَرَّ أَعْمالِكم مِن أَمامِ عَينَيَّ وكُفُّوا عنِ الإساءَة
[١٧]تَعَلَّموا الإِحسانَ وآلتَمِسوا الحَقّ
قَوِّموا الظَّالِمَ وأَنصِفوا اليَتيمَ وحاموا عنِ الأَرمَلَة.
[١٨]تَعالَوا نَتَناقَش، يَقولُ الرَّبّ
لَو كانَت خَطاياكم كالقِرمِزِ تَبيَضُّ كالثَّلْج
ولو كانَت حَمْراءَ كالأُرجُوانِ تَصيرُ كالصُّوف.
[١٩]إِن شِئتُم أَن تَسمَعوا فإِنَّكم تأكُلونَ طَيِّباتِ الأَرض
[٢٠]وإِن أَبَيتُم وتَمَرَّدتُم فالسَّيفُ يأكُلُكم لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ قد تَكَلَّم.

٣. رؤيا شمولية

هذا القول النبوي، الذي نجده عند ميخا أيضاً، قد لا يكون لأشعيا. في تدفُّق موجة عبادة الأوثان على أورشليم، ينتفض أشعيا رجاءً: فستكون أورشليم ذات يوم مركز البشرية بعد بلوغها الإيمان بالإله الحق.

٢ [٢]ويَكونُ في آخرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيتِ الرَّبِّ
يُوَطَّدُ في رَأسِ الجِبالِ ويَرتَفِعُ فَوقَ التِّلال.
وتَجْري إِلَيه جَميعُ الأُمَم [٣]وتَنطَلِقُ شُعوبٌ كَثيرةٌ وتَقول:
هَلُمُّوا نَصعَدْ إِلى جَبَلِ الرَّبّ، إِلى بَيتِ إِلهِ يَعْقوب
وهو يُعَلِّمُنا طُرُقَه فنَسيرُ في سُبُلِه
لأَنَّها مِن صِهْيونَ تَخرُجُ الشَّريعَة ومِن أُورَشَليمَ كَلِمَةُ الرَّبّ.
[٤]ويَحكُمُ بَينَ الأُمَمِ ويَقْضي لِلشُّعوبِ الكَثيرة
فيَضرِبونَ سُيوفَهم سِكَكاً ورِماحَهم مَناجِل
فلا تَرفَعُ أُمَّةٌ على أُمَّةٍ سَيفاً ولا يَتَعَلَّمونَ الحَربَ بَعدَ ذلك.

[٥]هَلُمُّوا يا بَيتَ يَعْقوب ، لِنَسِرْ في نورِ الرَّبّ .

٤. سيحاكم الله رؤساء يهوذا (٧٣٥)

٣ [١]هُوَذا السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات[(٣)] يُزيلُ مِن أُورَشَليمَ ومِن يَهوذا
السَّنَدَ والرُّكنَ ، كُلَّ سَنَدِ خُبزٍ وكُلَّ سَنَدِ ماء
[٢]البَطَلَ ورَجُلَ الحَرْب ، القاضِيَ والنَّبِيَّ والعَرَّافَ والشَّيخ
[٣]قائِدَ الخَمْسينَ والوَجيه
والمُشيرَ والحكيمَ في الصَّنائع والخَبيرَ في الرُّقيَة .
[٤]وأَجعَلُ الصِّبْيانَ رُؤَساءَ لَهم وأَولادُ الشَّوارِعِ يَتَسَلَّطونَ علَيهم
[٥]ويَدفَعُ الشَّعبُ ، الواحِدُ مِنهمُ الآخَر والإنسانُ قَريبَه
ويَهجُمُ الصَّبِيُّ على الشَّيخ واللَّئيمُ على الكَريم .
[٦]حينَئِذٍ يُمسِكُ الإِنْسانُ أَخاه في بَيتِ أَبيه قائِلاً :
إِنَّ لَكَ رِداءً فكُنْ قائِداً لَنا وهذا الخَرابُ يَكونُ تَحتَ يَدِكَ .
[٧]فيُجيبُ في ذلك اليَومِ قائِلاً : لَستُ أَنا بِعاصِبِ جُروح .
لَيسَ في بَيتي خُبزٌ ولا رِداء فلا تَجعَلوني قائداً لِلشَّعْب
[٨]فإِنَّ أُورَشَليمَ عَثَرَت ويَهوذا سَقَطَت
لِأَنَّ أَلسِنَتَهم وأَفْعالَهم على الرَّبِّ تَحَدِّياً لِنَظَراتِ مَجدِه .
[٩]مُحاباةُ وُجوهِهم تَشهَدُ علَيهم
فإِنَّهم يُجاهِرونَ بِخَطيئَتِهم كسَدوم .
ولا يَستُرونَها ، فوَيلٌ لَهم ، فإِنَّهم جَلَبوا الشَّرَّ على أَنفُسِهم .

(٣) ربّ القوّات (أو صَبَؤوت) . المقصود هو القوّات السماوية ، أي الكواكب .

[10]قولوا في البارِّ إنَّه سَعيد لِأَنَّه يأكُلُ مِن ثَمَرَةِ أَفْعالِه .
[11]وَيلٌ لِلشِّرِّيرِ المُسيء فإِنَّ جَزاءَ يَدَيه يُؤدَّى إِلَيه .
[12]شَعْبي مُسَخِّروه يَسلُبونَه والمُرابونَ يَتَسَلَّطونَ علَيه .
يا شَعْبي ، إِنَّ مُرشِديكَ يُضِلُّونَكَ وقد أَفسَدوا سَبيلَ طُرُقِكَ .
[13]الرَّبُّ آنتَصَبَ لِلاتِّهام وقامَ لِيَدينَ الشُّعوب .
[14]الرَّبُّ يَدخُلُ في المُحاكَمَةِ مع شُيوخِ شَعبِه ورُؤَسائِهم :
«إِنَّكم أَنتُم أَتْلَفْتُمُ الكَرْمَ وسَلْبُ البائِسِ في بُيوتِكم .
[15]ما بالُكم تَسحَقونَ شَعْبي وتَسحَقونَ وُجوهَ المَساكين»؟
يقولُ السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات .

٥. تهديدات لنساء مجتمع أورشليم الرفيع (٧٣٦)

ليس الترف سيِّئاً في حد ذاته . ولكن ، إذا طُلب الترف للترف ، واذا تباهى الانسان به أمام بؤس الفقراء ، استوجب عقاب الله .

[16]ويَقولُ الرَّبّ : لِأَنَّ بَناتِ صِهْيونَ آختالَت فمَشَينَ مَمْدوداتِ الأَعْناق ، غامِزاتٍ بِالعُيون ، مَشَينَ وقارَبْنَ الخَطْوَ في مِشيَتِهِنَّ ، وجَلجَلْنَ بِخَلاخِلِ أَقْدامِهِنَّ ، [17]فسَيُصلِعُ السَّيِّدُ هاماتِ بَناتِ صِهْيون ، ويُعَرِّي الرَّبُّ رُؤُوسَهُنَّ . [18]في ذلك اليَوم ، يُزيلُ السَّيِّدُ زينَةَ الخَلاخِلِ والشُّموسِ والأَهِلَّة [19]والأَشْنافِ والأَساوِرِ والرُّعَلِ والعَصائب [20]والأَحْجالِ والسُّيورِ وآنِيَةِ الطِّيبِ والأَحْراز [21]والخَواتِمِ وحَلَقاتِ الأُنوف [22]والثِّيابِ الفاخِرَةِ والمَعاطِفِ والشَّالاتِ والأَكْياس [23]والمَرايا والأَقمِصَةِ والتِّيجانِ والأَردِيَة . [24]ويَكونُ لَهنَّ النَّتَنُ بَدَلَ الطِّيب ، والحَبلُ بَدَلَ الزُّنَّار ، والقَرَعُ بَدَلَ تَجْعيدِ الشَّعَر ، وحِزامُ المِسْحِ بَدَلَ الوِشاح ، والكَيُّ بَدَلَ الجَمال .

٦. قداسة مملكة الله المقبلة

في هذا القول المشيحي ، يلمح أشعيا قداسة تلك «البقيّة» التي تكلّم عليها عاموس والتي ستتمتع بحضور خاص لله .

٤ [٢]في ذلك اليَوم ، يَكونُ نَبتُ الرَّبِّ بَهاءً ومَجداً ، وثَمَرَةُ الأَرضِ فَخراً وزينةً لِمَن نَجا مِن إِسْرائيل . [٣]ومَن أُبقِيَ في صِهْيونَ وتُرِكَ في أُورَشَليم ، يُقال لَه قِدِّيس ، كُلُّ مَن كُتِبَ لِلحَياةِ في أُورَشَليم . [٤]وإِذا غَسَلَ السَّيِّدُ قَذَرَ بَناتِ صِهْيونَ، ونَظَّفَ دِماءَ أُورَشَليمَ مِن وَسَطِها بِرُوحِ القَضاءِ وروحِ الإِحْراق ، [٥]خَلَقَ الرَّبُّ على كُلِّ مَكانٍ في جَبَلِ صِهْيونَ وعلى مَحافِلِها غَماماً في النَّهارِ ودُخاناً ، وضِياءَ نارٍ مُلتَهِبَةٍ في اللَّيل . فيَكونُ على كُلِّ المَجدِ كَنَفٌ، [٦]وكوخٌ ظِلاًّ في النَّهارِ مِنَ الحَرّ ، ومُعتَصَماً وسِتراً مِنَ السَّيلِ والمَطَر .

٧. نشيد الكَرْم (٧٣٦)

ان صورة الكَرْم هي في أصل موضوع ينتهي إلى العهد الجديد (الكرّامون القتلة و«أنا الكرمة») . تمثّل الكرمة الشعب الاسرائيلي . ولمّا كان هذا الشعب غير أمين لدعوته ، فإن الله يهدّد برذله .

٥ [١]لأُنشِدَنَّ لِحَبيبي نَشيدَ مَحْبوبي لِكَرمِه .

كانَ لِحَبيبي كَرْمٌ في رابِيَةٍ خَصيبة

[٢]وقد قَلَّبَه وحَصَّاه وغَرَسَ فيه أَفضَلَ كَرمِه

وبَنى بُرجاً في وَسْطِه وحَفَرَ فيه مَعصَرَةً

وآنتَظَرَ أَن يُثمِرَ عِنَباً فأَثمَرَ حِصرِماً بَرِّيًّا .

[٣]فالآنَ يا سُكَّانَ أُورَشَليم ويا رِجالَ يَهوذا

أُحكُموا بَيني وبَينَ كَرْمي .
[٤]أَيُّ شَيءٍ يُصنَعُ لِلكَرْمِ ولَم أَصنَعْه لِكَرْمي ؟
فما بالِيَ آنتَظَرتُ أَن يُثمِرَ عِنَباً فأَثمَرَ حِصرِماً بَرِّيًّا ؟
[٥]فالآنَ لأُعلِمَنَّكم ما أَصنَعُ بِكَرْمي .
أُزيلُ سِياجَه فيَصيرُ مَرعًى وأَهدِمُ جِدارَه فيَصيرُ مَداساً
[٦]وأَجعلَهُ بوراً لا يُقضَبُ ولا تُقلَعُ أَعشابُه فيَطلُعُ فيه الحَسَكُ والشَّوك
وأُوصي الغُيومَ أَلاَّ تُمطِرَ علَيه مَطَراً .
[٧]لِأَنَّ كَرمَ رَبِّ القُوَّاتِ هو بَيتُ إِسْرائيل
وأُناسُ يَهوذا هم غَرْسُ نَعيمِه
وقدِ آنتَظَرَ الحَقَّ فإِذا سَفكُ الدِّماء والبِرَّ فإِذا الصُّراخ .
[٨]وَيلٌ لِلَّذينَ يَصِلونَ بَيتاً بِبَيت ويَقرِنونَ حَقلاً بِحَقْل
حتَّى لم يَبقَ أَيُّ مَكان ، فتَسكُنونَ وَحدكم في وَسَطِ الأَرض .
[٩]على مَسمَعٍ مِنِّي أَقسَمَ رَبُّ القُوَّات :
إِنَّ بُيوتاً كَثيرةً ستُخرَب ، عَظيمةً وجَميلةً مِنها تَبْقى بغَير ساكِن .
[١٠]فعَشَرَةُ فَدادينَ كَرماً تُخرِجُ بَثًّا واحِداً وبَذرُ عُمِرٍ يُخرِجُ إِيفَة .
[١١]وَيلٌ لِلقائِمينَ مِنَ الصَّباح في طَلَبِ المُسكِرات
المُتَأَخِّرينَ إِلى المَساء والخَمرُ تُلهِبُهم
[١٢]وفي مآدِبِهِم الكِنَّارَةُ والعودُ والدُّفُّ والمِزْمارُ والخَمْر
ولا يَلتَفِتونَ إِلى عَمَلِ الرَّبّ ولا يَرَونَ صُنعَ يَدَيه .
[١٣]لِذلك جُلِيَ شَعْبي لِعَدَمِ المَعرِفَة
وأَصبَحَ خاصَّتُه مِن أَهلِ المَجاعة

وَيَبِسَت عامَّتُه مِنَ العَطَش .

[١٧]وتَرْعى الحُمْلانُ كما في مَراعيها وأَطْلالُ المُترَفينَ يَلتَهِمُها الغُرَباء .

[١٨]وَيلٌ لِلَّذينَ يَجُرُّونَ الإثمَ بِحِبالِ الباطِلِ والخَطيئَةَ بِمِثْلِ أَمْراسِ المَركَبَة

[١٩]القائِلين : «لِيُبادِرْ ولْيُعَجِّلْ في عَمَلِه حتَّى نَرى
ولْيَقتَرِبْ ويَحضُرْ تَدبيرُ قُدُّوسِ إِسْرائيلَ حتَّى نَعلَم» .

[٢٠]وَيلٌ لِلقائِلينَ لِلشَّرِّ خيراً ولِلخَيرِ شَرًّا
الجاعِلينَ الظُّلمَةَ نوراً والنُّورَ ظُلمَة
الجاعِلينَ المُرَّ حُلْواً والحُلْوَ مُرًّا .

[٢١]وَيلٌ لِلَّذينَ هم حُكَماءُ في أَعيُنِ أَنفُسِهم عُقَلاءُ أَمامَ وُجوهِهم .

[٢٢]وَيلٌ لِلَّذينَ هم أَبْطالٌ في شُرْبِ الخَمْر
وذَوو بَأسٍ في مَزْجِ المُسكِرات

[٢٣]المُبَرِّئينَ الشِّرِّيرَ لِأَجلِ رَشوَة والحارِمينَ البارَّ بِرَّه .

[٢٤]فلِذلِك كما يَلتَهِمُ لَهيبُ النَّارِ القَشَّ وكما يَفْنى الحَشيشُ المُلتَهِب
يَكونُ أَصلُهم كالنَّتْن وبُرعُمُهم يَتَناثَرُ كالتُّراب
لِأَنَّهم نَبَذوا شَريعةَ رَبِّ القُوَّات وآستَهانوا بِكَلِمَةِ قُدُّوسِ إِسْرائيل .

٢. الأقوال المشيحية

تعود هذه السلسلة الجديدة من الأقوال الى الحقبة الزمنية نفسها ، وهي حقبة الحرب السورية الافرائيمية . نجد هنا أيضاً عند النبي نشوة رجاء تجاه عدم أمانة الملك آحاز . سنرى الأقوال الثلاثة الكبرى في المَلِك المشيح : العِمّانوئيل والولد المَلِك وشجرة يسّى . وفي رأسها رواية دعوة أشعيا ، وهي تنتهي بالإنباء بمصائب الحرب .

١. دعوة النبي (٧٤٠)

يرى النبي الله بالصور التي يحملها في نفسه : صُوَر ملك من ملوك ذلك الزمن ،

صور أولئك الكائنات التي كانت محفورة على غطاء تابوت العهد. والوحي الذي نزل على أشعيا هو الوحي بقداسة الله. هذه خطوة إلى الأمام: فمن الانفصال المادي يتم الانتقال الى الانفصال الأخلاقي (عدم نجاسة). وفضلاً عن ذلك، فانه وحدَه يستطيع أن يطهّر الانسان وينقله الى مستوى القداسة هذا.

وأمَّا ما يختصّ بِالدعوة بحصر المعنى، فلا بدّ من الاشارة الى عفوية الشاب وسخائه، («هاءنذا، أرسِلني») والى لطف الله، فهو يتردَّد، على ما يبدو، ليكون للذي اختاره أَجر التقدمة الشخصية.

ليست الغاية من الرسالة تقسِّي قلوب السامعين، بل يكتفي الله بإعلام أشعيا أنْ لا يتوقّع نجاح رسالته.

٦ [١]في السَّنَةِ الَّتي ماتَ فيها المَلِكُ عُزِّيَّا، رأيتُ السَّيِّدَ جالِساً على عَرشٍ عالٍ رَفيع، وأَذْيالُه تَملأُ الهَيكَل[(٤)]. [٢]مِن فَوقِه سَرافونَ[(٥)] قائمون، سِتَّةُ أَجنِحَةٍ لِكُلِّ واحِد، بِآثنَينِ يَستُرُ وَجهَه وبآثنَينِ يَستُرُ رِجلَيه[(٦)] وبآثنَينِ يَطير. [٣]وكانَ هذا يُنادي ذاكَ ويَقول: «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوس[(٧)]، رَبُّ القُوَّات، الأَرضُ كُلُّها مَمْلوءَةٌ مِن مَجدِه». [٤]فتَزَعزَعَت أُسُسُ الأَعْتابِ مِن صَوتِ المُنادي، وآمتَلأَ البَيتُ دُخاناً[(٨)]. [٥]فقُلتُ: «وَيلٌ لي، قد هَلَكتُ لِأَنِّي رَجُلٌ نَجِسُ الشَّفَتَين، وأَنا مُقيمٌ بَينَ شَعبٍ نَجِسِ الشِّفاه، وقَد رَأَت

(٤) على النبي أن يكون بالقرب من مذبح المحرقات. إنه يشاهد الرب في الرؤيا في قسم الهيكل المسمَّى القدس.

(٥) كائنات سماوية، تنتمي عناصرها التمثيلية الى الايقونوغرافية الاشورية.

(٦) تلطيف للدلالة على العورة.

(٧) الصفة المكرَّرة ثلاثاً تعادل أفعل التفضيل.

(٨) ما يعادل الغمام في سفر الخروج.

عَيناي المَلِكَ رَبَّ القُوَّات»(٩) . ٦ فطارَ إِلَيَّ أَحَدُ السَّرافين، وبِيَدِه جَمرَةٌ أَخَذَها بِمِلقَطٍ مِنَ المَذبَح ٧ ومَسَّ بِها فمي وقال: «ها إِنَّ هذه قد مَسَّت شَفَتَيكَ، فأُزيلَ إِثمُكَ وكُفِّرَت خَطيئَتُكَ»(١٠) . ٨ وسَمِعتُ صَوتَ السَّيِّدِ قائلاً: «مَن أُرسِل، ومَن يَنطَلِقُ لنا؟»(١١) فقُلتُ: «هاءَنذا فأَرسِلْني» .

٩ فقال: «إِذهَبْ وقُلْ لِهذا الشَّعْب:

اِسمَعوا سَماعاً ولا تَفهَموا وآنظُروا نَظَراً ولا تَعرِفوا

غَلِّظْ قَلبَ هذا الشَّعْب وثَقِّلْ أُذُنَيه وأَغمِضْ عَينَيه.

لِئَلاَّ يُبصِرَ بِعَينَيه ويَسمَعَ بِأُذُنَيه ويَفهَمَ بِقَلبِه ويَرجِعَ فيُشْفى»(١٢) .

١١ فقُلتُ: «إِلى مَتى أَيُّها السَّيِّد؟» فقال: «إِلى أَن تَصيرَ المُدُنُ خَراباً بِغَيرِ ساكِن، والبُيوتُ بِغَيرِ إِنْسان، والأَرضُ خَراباً مُقفِراً ١٢ ويُقصِيَ الرَّبُّ البَشَرَ وتَبْقى في الأَرضِ وَحشَةٌ عَظيمة. ١٣ وإِن بَقِيَ فيها العُشرُ مِن بَعدُ، فإِنَّها تَعودُ وتَصيرُ إِلى الدَّمار، ولٰكِن كالبُطمَةِ والبَلُّوطَةِ الَّتي، بَعدَ قطعِ أَغْصانِها، يَبْقى جِذعٌ، فيَكونُ جِذعُها زَرْعاً مُقَدَّساً»(١٣) .

(٩) ان التناقض بين نجاسة الإنسان وقداسة الله يمكّن من التدقيق في المعنى: فالله قدّوس لانه منفصل عن كل نجاسة.

(١٠) ان الله قادر على إزالة نجاسة الإنسان.

(١١) ان الله يوقظ الكرَم عند أشعيا، فإنَّه عفويّ الطبع.

(١٢) يُنسب الى الله تقسية قلوب السامعين، كما نرى ذلك في سفر الخروج. يجب أن نفهم هنا ان وعظ أشعيا سيلقى الفشل بسبب عدم تأهّب الشعب الإسرائيلي لقبول كلمة الله.

(١٣) ومن هنا لن تشمل التوبة إلاّ عدداً قليلاً: «البقية».

٢. يطلب أشعيا الى آحاز أن يؤمن بالرب

في ٧٥٠، نشبت الحرب السورية الافرائيمية، فحذَّر أشعيا الملك من كل تحالف مع الغريب، لان الايمان بالربّ يكفي.

٧ [١] وفي أيَّامِ آحازَ بنِ يوتامَ بنِ عُزِّيَّ، مَلِكِ يَهوذا، صَعِدَ رَصين، مَلِكُ أَرام، وفاقَحُ بنُ رَمَلْيا، مَلِكُ إِسرائيل، إِلى أُورَشَليمَ لِمُحارَبَتِها، فلَم يَقدِرا على مُحارَبَتِها. [٢] وأُخبِرَ بَيتُ داوُدَ وقيل: «إِنَّ أَرامَ قد حَلَّ في أَفْرائيم». فاَضطَرَبَ قَلبُه وقَلبُ شَعبِه اَضطِرابَ شَجَرِ الغابِ في وَجهِ الرِّيح.

[٣] فقالَ الرَّبُّ لِأَشَعْيا: «أُخرُجْ لِلِقاءِ آحاز، أَنتَ وشآرَ ياشوبُ(١٤) آبنُكَ، إِلى آخِرِ قَناةِ البِركَةِ العُلْيا، إِلى طَريقِ حَقلِ مُنَظِّفِ الثِّياب، [٤] وقُلْ لَه: تَنَبَّهْ وكُنْ هادِئاً، ولا تَخَفْ ولا يَضعُفْ قَلبُكَ مِن ذَنَبَي هاتَينِ الجَمرَتَينِ المُدَخِّنَتَين بِسَبَبِ اضطِرام غَضَبِ رَصين، مَلِكِ أَرام، وآبنِ رَمَلْيا. [٥] فإِنَّ أَرامَ وأَفْرائيمَ وآبنَ رَمَلْيا قد تآمَروا علَيكَ بِالسُّوءِ قائلين: [٦] لِنَصعَدْ على يَهوذا ونُرَوِّعْه ونُحَطِّمْه تَحتَنا ونُمَلِّكْ فيه آبنَ طابَئيل.

[٧] هكَذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: لا يَقومُ الأَمرُ ولا يَكون
[٨] لِأَنَّ رَأسَ أَرامَ هو دِمَشْق ورَأسَ دِمَشقَ هو رَصين
وبَعدَ خَمسٍ وسِتِّينَ سَنَة يُحَطَّمُ أَفْرائيمُ فلا يَبْقى شَعباً
[٩] ولِأَنَّ رَأسَ أَفْرائيمَ هو السَّامِرة ورَأسَ السَّامِرَةِ هو آبنُ رَمَلْيا
وأَنتُم إِن لم تُؤمِنوا فلَن تأمَنوا»(١٥).

(١٤) اسم رمزي يعني «ستعود بقية».
(١٥) الإيمان هنا هو فعل ثقة تامّة بالله.

٣. القول النبوي في العِمَّانوئيل (٧٣٥)

بدلَ أن يعمل الملك برأي النبي ، جرى على عادة وثنية وحشية : ذبح ابنه لمولك في وادي جهنَّم (راجع ١ مل ١٦/٣) . أمام عدم الامانة الفظيع هذا ، أنبأ أشعيا ، في مستقبل غير محدَّد ، مجيء ملك تكون امّه عذراء (توضيح في الترجمة السبعينية) ويكون مع الله في ألفة حميمة حتى إنه سيُسمَّى عِمَّانوئيل (=الله معنا) . لعلَّ أشعيا كان يقصد أيضاً مولد ابن آحاز ، حِزقِيَّا ، في وقت قريب ، لكن الانجيليين ، وبعدهم التقليد المسيحي كله ، لم يَرَوا فيه إلاَّ ميلاد المسيح .

[١٠] وعادَ الرَّبُّ فكَلَّمَ آحازَ قائِلاً : [١١] «سَلْ لِنَفسِكَ آيةً مِن عِندِ الرَّبِّ إلهِكَ ، سَلْها إمَّا في العُمْقِ وإمَّا في العَلاءِ مِن فَوق» . [١٢] فقالَ آحاز : «لا أَسأَلُ ولا أُجَرِّبُ الرَّبّ»(١٦) . [١٣] فقالَ أشَعْيا : «إِسمَعوا يا بَيتَ داوُد . أَقليلٌ عِندَكم أَن تُسئِموا النَّاسَ حتَّى تُسئِموا إِلهي أَيضاً؟ [١٤] فلِذلك يُؤتيكُمُ السَّيِّدُ نَفْسُه آيَةً : ها إِنَّ الصَّبِيَّةَ تَحمِلُ فتَلِدُ آبناً وتَدْعو آسمَه عِمَّانوئيل . [١٥] يَأكُلُ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً إِلى أَن يَعرِفَ أَن يَرذُلَ الشَّرِّ ويَختارَ الخَير ، [١٦] لِأَنَّه قَبلَ أَن يَعرِفَ الصَّبِيُّ أَن يَرذُلَ الشَّرّ ويَختارَ الخَير ، تُهجَرُ الأَرضُ الَّتي أَنتَ تَخافُ مَلِكَيها . [١٧] سيَجلُبُ الرَّبُّ علَيكَ وعلى شَعبكَ وعلى بَيتِ أَبيكَ أَيَّاماً لم تَأتِ مِن يَومَ آنفَصَلَ أَفْرائيمُ عن يَهوذا (مَلِكِ أَشُّور») .

٤. القول النبوي في الولد الملك (٧٣١)

عند اجتياح منطقة الشمال (سِبطَي زبولون ونفتالي) والجلاء الذي تلاه ، تطلَّع النبي ، في اتجاه العِمَّانوئيل ، الى ذلك الولد الذي ستكون مملكته مملكة فرح وسلام ، والذي سيجمع في شخصه فضائل شخصيات الشعب الاسرائيلي الكبرى .

(١٦) يرفض الملك عن رياء .

٨ [٢٣]لَيسَ لَيلٌ لِلَّتِي كانَت في الضِّيق[(١٧)].
في الزَّمانِ الأَوَّل أَذَلَّ أَرضَ زَبولونَ وأَرضَ نَفْتالي
وأَمَّا في الزَّمانِ الأَخيرِ فسيُمَجِّدُ طَريقَ البَحر
عِبرَ الأُردُنِّ، جَليلَ الأُمَم.

٩ [١]الشَّعبُ السَّائِرُ في الظُّلمَةِ أَبصَرَ نوراً عَظيماً
والمُقيمونَ في بُقعَةِ الظَّلامِ أَشرَقَ علَيهِمِ النُّور[(١٨)].
[٢]كَثَّرتَ لَه الأُمَّة، وَفَّرتَ لَها الفَرَح
يَفرَحونَ أَمامَكَ كالفَرَحِ في الحِصاد
كآبتِهاجِ الَّذينَ يَتَقاسَمونَ الغَنيمة
[٣]لِأَنَّ نيرَ ثِقْلِها وعَصا كَتِفِها وقَضيبَ مُسَخِّرِها
قد كسَّرتَها كما في يَومِ مِديَن
[٤]إِذ كُلُّ حِذاءٍ يُحدِثُ جَلَبَة وكُلُّ ثَوبٍ مُتَلَطِّخٍ بِالدِّماء
يَصيرانِ لِلحَرْقِ ووَقوداً لِلنَّار.
[٥]لِأَنَّه قد وُلِدَ لَنا وَلَدٌ وأُعطِيَ لَنا آبنٌ فصارَتِ الرِّئاسةُ على كَتِفِه
ودُعِيَ آسمُه عَجيباً مُشيراً إِلهاً جَبَّاراً، أَبا الأَبَدِ، رَئيسَ السَّلام[(١٩)]
[٦]لِنُمُوِّ الرِّئاسة ولِسَلامٍ لا آنقِضاءَ لَه على عَرشِ داوُدَ ومَملَكَتِه
لِيُقِرَّها ويُوَطِّدَها بِالحَقِّ والبِرِّ مِنَ الآنَ ولِلأَبَد
غَيرَةُ رَبِّ القُوَّاتِ تَصنَعُ هذا.

(١٧) بمناسبة حملة تجلت فلآسر الثالث في الجليل (٧٣٢).
(١٨) سيحقّق صبا المسيح في الجليل هذه النبوّة تحقيقاً تاماً.
(١٩) هذه الصفات تذكّرنا بالآباء وموسى وداود وسليمان.

٥. غضب الرب (٧٣٤)

[٧]السَّيِّدُ أَرسَلَ كَلِمَةً على يَعْقوب فوَقَعَت على إِسْرائيل .
[٨]فعَرَفها الشَّعبُ كُلُّه أَفْرائيمُ وسُكَّانُ السَّامِرَة
القائِلونَ بِزَهوٍ وقَلبٍ مُتَكَبِّر :
[٩]اللَّبِنُ تَساقَطَ فسنَبْني بِحِجارةٍ مَنْحوتة
الجُمَّيزُ قُطِعَ فسَنَعْتاضُ عنه بِالأَرْز .
[١٠]أَثارَ الرَّبُّ علَيه خُصومَ رَصين وحَرَّضَ أَعْداءَه :
[١١]أَرامَ مِنَ الشَّرقِ وفِلَسْطينَ مِنَ الغَرْب
فآلتَهَموا إِسْرائيلَ بِكُلِّ أَفْواهِهم .
مع هذا كُلِّه لم يَرتَدَّ غَضَبُه ولم تَزَلْ يَدُه مَمْدودة .
[١٢]فلَم يَتُبِ الشَّعبُ إِلى مَن ضَرَبَه ولم يَلتَمِسْ رَبَّ القُوَّات
[١٣]فقَطَعَ الرَّبُّ مِن إِسْرائيلَ الرَّأسَ والذَّنَب
السَّعَفَ والبَردِيَّ في يَومٍ واحِد .
[١٤](الشَّيخُ والوَجيهُ هو الرَّأس والنَّبِيُّ الَّذي يُعَلِّمُ بِالكَذِبِ هو الذَّنَب)
[١٥]والمُرشِدونَ لِهذا الشَّعبِ هم يُضِلُّونَه والمُرشَدونَ مِنه يُضَلُّون .
[١٦]فلِذلك لا يَرْضى السَّيِّدُ عن شُبَّانِه ولا يَرحَمُ أَيتامَهم ولا أَرامِلَهم
لِأَنَّهم جَميعاً كافِرونَ وفاعلو سوء وكُلُّ فَمٍ يَنطِقُ بِالحَماقة .
مع هذا كُلِّه لم يَرتَدَّ غَضَبُه ولم تَزَلْ يَدُه مَمْدودة .
[١٧]لِأَنَّ الشَّرَّ يُحرِقُ كالنَّار ، يَلتَهِمُ الحَسَكَ والشَّوك
ويُشعِلُ النَّارَ في أَدْغالِ الغابَة فيَتَصاعَدُ عَمودُ دُخان .
[١٨]بِغَضَبِ رَبِّ القُوَّاتِ آضطَرَمَتِ الأَرْض

فكانَ الشَّعبُ مِثلَ وَقودِ النَّار، لا يُشفِقُ واحِدٌ على أَخيه
[١٩]فيَقطَعُ عنِ اليَمينِ ولا يَزالُ جائِعاً ويَلتَهِمُ عنِ الشِّمالِ ولا يَشبَع.
يَلتَهِمُ كُلُّ واحِدٍ لَحمَ مُساعِدِه.
[٢٠]مَنَسَّى يَلتَهِمُ أَفْرائيم وأَفْرائيمُ يَلتَهِمُ مَنَسَّى
وكِلاهما يَقومانِ على يَهوذا.
مع هذا كُلِّه لم يَرتَدَّ غَضَبُه ولم تَزَلْ يَدُه مَمْدودة.

١٠ [١]وَيلٌ لِلَّذينَ يَشتَرِعونَ فَرائِضَ الإِثْم والَّذينَ يَكتُبونَ كِتابةَ الظُّلْم
[٢]لِيَرُدُّوا الضُّعَفاءَ عن إِجْراءِ الحُكْم ويَسلُبوا حَقَّ وُضَعاءِ شَعْبي
لِتَكونَ الأَرامِلُ غَنيمةً لَهم ويَنهَبوا اليَتامى.
[٣]فماذا تَصنَعونَ في يَومِ العِقاب وفي الهَلاكِ الآتي مِن بَعيد؟
وإِلى مَن تَلجَأُون لِلنَّجدَة وأَينَ تَترُكونَ ثَروَتَكم؟
[٤]ما لم يَنحَنوا بَينَ الأَسرى فإِنَّهم يَسقُطونَ بَينَ القَتْلى.
مع هذا كُلِّه لم يَرتَدَّ غَضَبُه ولم تَزَلْ يَدُه مَمْدودة.

٦. سيطرة الله المطلقة (٧٠١)

يُدرج هنا قول نبوي يدل على أن كبار الملوك لا يعملون من تلقاء أنفسهم، حين يعاقبون الشعب الاسرائيلي: فإنهم مجرد أدوات في يد الله الذي يحقّق مخطّطه في العالم.

[٥]وَيلٌ لِأَشُّورَ، قَضيبِ غَضَبي. إِنَّ سُخْطي عَصاً في أَيديهم.
[٦]على أُمَّةٍ كافِرَةٍ أَرسَلتُه وأَمَرتُه على شَعبٍ حَلَّ عليه غَضَبي
لِيَسلُبَ السَّلْبَ ويَنهَبَ النَّهْبَ ويَدوسَهم كوَحْلِ الشَّوارع.
[٧]لٰكِنَّه لم يَكُنْ يَرى هكذا ولا كانَ هذا فِكرَ قَلبِه

بلِ كان في قَلبِه أَن يُبيدَ ويَستَأصِلَ أُمَماً لا تُحْصى
[٨]لِأَنَّه كانَ يَقول: أَلَيسَ أُمَرائي جَميعُهم مُلوكاً؟
[٩]أَلَيسَ كَلْنو مِثْلَ كَركَميش وحَماةُ مِثلَ أَرفَد(٢٠)
والسَّامِرَةُ مِثلَ دِمَشْق؟
[١٠]كما أَصابَت يَدي مَمالِكَ الأَوثان
وفيها مَنْحوتاتٌ أَكثَرُ مِمَّا في أُورَشَليمَ والسَّامِرَة
[١١]وكما صَنَعتُ بِالسَّامِرَةِ وأَصْنامِها
أَفلا أَصنَعُ كذلك بِأُورَشَليمَ وأَصْنامِها؟

[١٢]ويَكونُ، بَعدَ آستِكْمالِ السَّيِّدِ عَمَلَه كُلَّه في جَبَلِ صِهْيونَ وفي أُورَشَليم، أَنِّي أُعاقِبُ ثَمَرَةَ قَلبِ مَلِكِ أَشُّورَ المُتَكَبِّرِ وآفتِخارَ عَينَيه الطَّامِحَتَين. [١٣]فإِنَّه قال:

بِقُوَّةِ يَدي عَمِلتُ وبِحِكمَتي لِأَنِّي فَطِن
فَنَقَلتُ حُدودَ الشُّعوبِ ونَهَبتُ كُنوزَهم
وأَخضَعتُ السُّكَّانَ كما يَفعَلُ ذو بَطْش
[١٤]وقد أَصابَت يَدي ثَروَةَ الشُّعوبِ مِثلَ عُشّ
وكَمَن يَجمَعُ البَيضَ المُهمَلَ أَنا جَمَعتُ الأَرضَ بِأَسرِها
ولم يَكُنْ مَن يُحَرِّكُ جَناحاً أَو يَفتَحُ فماً أَو يُزَقزِق.
[١٥]أَتَفتَخِرُ الفَأسُ على مَن يَقطَعُ بِها أَو يَتَكَبَّرُ المِنْشارُ على مَن يُحَرِّكُه
كأَنَّ القَضيبَ يُحَرِّكُ رافِعيه وكأَنَّ العَصا تَرفَعُ ما لَيسَ بِخَشَب؟

(٢٠) كَلْنو: في شمال سورية. كركميش: مدينة حثّيّة. حماة: مدينة على العاصي. أرفد: مدينة في سورية بالقرب من حلب.

[16]فلِذلك يُرسِلُ السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّاتِ على سِمانِه هُزالاً
وتَحتَ مَجدِه يَشتَعِلُ الحريقُ كحَريقِ نار.

٧. القول النبوي في شجرة يسّى (١٠٧)

هذا هو القول النبوي المشيحي الكبير. ربط أشعيا مرّة أخرى بين المشيحية والحكم الملكي الداودي، بحسب القول النبوي القديم الذي قاله ناتان (راجع ٢ صم ٧/٥ - ١٧)، علماً بأنّ يسّى هو والد داود. الى هذه الرؤيا يُضاف في شرح حِكَمي: صفات المَلِك المشيحي، التي سبق أن رُسمت في القول النبوي في الولد الملك، والتي ستصبح، في علم اللاهوت، مواهب الروح القدس، والميزة الجوهرية الخاصة بالزمن المشيحي، أي السلام، الذي يمتدّ من الانسان إلى الطبيعة.

١١ [1]ويَخرُجُ غُصنٌ مِن جِذعِ يَسَّى ويَنْمي فَرعٌ مِن أُصولِه
[2]ويَحِلُّ علَيه روحُ الرَّبّ، روحُ الحِكمَةِ والفَهْم، روحُ المَشورَةِ والقُوَّة
[3]ويوحي لَه تَقْوى الرَّبّ
فلا يَقْضي بِحَسَبِ رُؤيَةِ عَينَيه ولا يَحكُمُ بِحَسَبِ سَماعِ أُذُنَيه
[4]بل يَقْضي لِلضُّعَفاءِ بِالبِرّ ويَحكُمُ لِبائِسي الأَرضِ بِالِاستِقامة
ويَضرِبُ الأَرضَ بِقَضيبِ فَمِه ويُميتُ الشِّرِّيرَ بِنَفَسِ شَفَتَيه.
[5]ويَكونُ البِرُّ حِزامَ حَقْوَيه والأَمانَةُ حِزامَ خَصرِه
[6]فيَسكُنُ الذِّئبُ مع الحَمَل ويَربِضُ النَّمِرُ مع الجَدْيِ
ويَعلِفُ العِجلُ والشِّبلُ معاً وصَبِيٌّ صَغيرٌ يَسوقُهما
[7]تَرْعى البَقَرَةُ والدُّبُّ مَعاً ويَربِضُ أَولادُهما معاً
والأَسَدُ يَأكُلُ التِّبنَ كالثَّور
[8]ويَلعَبُ الرَّضيعُ على حُجرِ الأَفْعى

وَيَضَعُ الفَطيمُ يَدَه في جُحرِ الأَرقَم[٢١].
[٩]لا يُسيئونَ ولا يُفسِدونَ في كُلِّ جَبَلِ قُدْسي
لِأَنَّ الأَرضَ تَمتَلِئُ مِن مَعرِفَةِ الرَّبّ كما تَغمُرُ المِياهُ البَحْرَ.
[١٠]وفي ذلك اليَومِ أَصلُ يَسَّى القائِمُ رايَةً لِلشُّعوب
إِيَّاه تَلتَمِسُ الأُمَم ويَكونُ مَكانُ راحَتِه مَجداً.

٣. أقوال نبويّة على الشعوب الغريبة

قول نبوي على خراب بابل (في حوالى ٥٥٠)

ليس هذا القول من أشعيا، ومع ذلك ذُكر هنا بسبب الصور الرؤيوية المستعملة فيه والتي تُنبئ بالصور التي سيستعملها المسيح في شأن خراب أورشليم المقبل. انها صور تقليدية ليس لها أيّة قيمة تاريخية.

١٣ [٦]وَلوِلوا فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ قَريب
قادِمٌ قُدومَ اْجتِياحٍ مِن لَدُنِ القَدير.
[٧]فلِذلك تَستَرخي كُلُّ يَدٍ ويَذوبُ قَلبُ كُلِّ إِنْسان
[٨]فيَفزَعونَ ويَأخُذُهمُ الطَّلقُ والمَخاض ويَتَضَوَّرونَ كالَّتي تَلِد
ويَنظُرونَ بَعضُهم إِلى بَعضٍ مَبْهوتين ووجُوهُهم مِثلُ اللَّهيب.
[٩]هُوَذا يَومُ الرَّبِّ قد حَضَرَ قاسِياً[٢٢] يَومُ سُخطٍ وآضطِرامِ غَضَب
لِيَجعَلَ الأَرضَ خَراباً ويُبيدَ خَطَأَتَها مِنْها.

(٢١) للتعبير عن السلام المشيحي، يجمع أشعيا ألفاظاً تؤدّي الى صور غير مألوفة وتحمل على التفكير في حقيقة تقع ما وراء هذا العالم: ان الذئب لا يسكن مع الحَمَل، لكن استعمال مثل هذه العبارة تحمل على التفكير في سلام عجيب.

(٢٢) راجع عاموس ٥/١٨-٦/٧.

[10]لِأَنَّ كَواكِبَ السَّماءِ ونُجومَها لا تَبعَثُ نورَها
والشَّمسَ تُظلِمُ في طُلوعِها والقَمَرَ لا يُضيءُ بِنورِه[23].
[11]وأُعاقِبُ الدُّنيا بِشَرِّها والأَشْرارَ بِآثامِهم
وأَردَعُ صَلَفَ المُتَكَبِّرين وأَحُطُّ تَجَبُّرَ الطُّغاة.

٤. أقوال نبوية على الشعب الاسرائيلي

١. قول نبوي عى أورشليم (٧٠٥)

يذمّ النبي ابتهاج السكّان، بمناسبة الانتصار الذي أحرزه حِزقِيّا، علماً بأن سنحاريب سيحاصرهم عن قريب.

٢٢ [1]قَولٌ على وادي الرُّؤيا:

ما لَكِ قد صَعِدتِ كُلُّكِ إِلى السُّطوح؟
[2]أَيَّتُها المُمتَلِئَةُ جَلَبَةً، المَدينَةُ العَجَّاجَةُ، البَلدَةُ المُبتَهِجَة
لَيسَ قَتْلاكِ قَتلى السَّيف ولا مَوتى القِتال.
[3]جَميعُ قُوَّادِكِ هَرَبوا مَعاً وأُسِروا دونَ أَن يَرموا بِالقَوس
وأُسِرَ مَعاً كُلُّ مَن وُجِدوا وهم مُنهَزِمونَ بَعيداً.
[4]فلِذلك قُلت: «تَحَوَّلوا عنِّي فأَبكِيَ بُكاءً مُرًّا.
لا تُلِحُّوا في تَعزِيَتي عن دَمارِ بِنتِ شَعْبي».
[5]هُوَذا يَومُ هَزيمةٍ وآنسِحاقٍ وبَلبَلَةٍ مِن لَدُنِ رَبِّ القُوَّات.
في وادي الرُّؤيا قُوِّضَتِ الأَسْوار وصُرِخَ إِلى الجِبال.
[6]إِنَّ عَيلامَ قد حَمَلَ الجَعبَةَ في مَركباتِ بِرِجالٍ وفُرْسان

(٢٣) راجع متى ٢٤/٢٩.

وجَرَّدَ قيرُ التُّروس[٢٤] .
[٧]فنُخبَةُ أَودِيَتِكَ مَأْى بِالمَرَكَبات والفُرسانُ مُصطَفُّون أَمامَ الباب .
[٨]قد رُفِعَت حِمايةُ يَهوذا .
في ذلك اليَومِ ٱلتَفَتَّ إِلى سِلاحِ بَيتِ الغابة
[٩]ورأَيتُم ثُلَمَ مَدينَةِ داوُدَ قد تَكاثَرَت وجَمَعتُم مِياهَ البِركَةِ السُّفْلى
[١٠]وعَدَدتُم بُيوتَ أُورَشَليم وهَدَمتُمُ البُيوتَ لِتَحْصينِ السُّور
[١١]وصَنَعتُم بُحَيرةً بَينَ السُّورَينِ لِمِياهِ البِركَةِ العَتيقة[٢٥]
ولم تَلتَفِتوا إِلى الَّذي فَعَلَ ذلك
ولا نَظَرتُم إِلى الَّذي كَوَّنَه مِن زَمَنٍ بَعيد .
[١٢]في ذلك اليَومِ دَعا السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات
إِلى البُكاءِ والنَّحيب وحَلْقِ الشَّعَرِ والتَحَزُّمِ بِالمِسْح .
[١٣]وإِذا بِالفَرَحِ والسُّرور
وذَبحِ البَقَرِ ونَحرِ الغَنَم وأَكْلِ اللَّحمِ وشُربِ الخَمْر :
«لِنَأكُلْ ونَشرَبْ فإِنَّنا غَداً نَموت»
[١٤]فأَوحى إِلى أُذُني رَبُّ القُوَّات :
«لن يُكَفِّرَ عنكم هذا الإِثمُ حتَّى تَموتوا»، يَقولُ السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات .
[١٥]هكذا قالَ السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات :
اِذهَبْ فٱدخُلْ إِلى ذٰلك الوَكيل ، إِلى شَبْنا قَيِّمِ البَيت
[١٦]وقُلْ : «ما لَكَ هُنا ومَن لَكَ هنا حتَّى نَحَتَّ لَكَ قَبراً هُنا ؟»

(٢٤) كان في جيش سنحاريب بعض العيلاميين .
(٢٥) أعمال قام بها حِزقِيَّا (راجع ٢ مل ١٣/١٤ و٢٠/٢٠) .

أَيُّها النَّاحِتُ لَه قَبراً رَفيعاً، الحافِرُ في الصَّخرِ مَسكِناً لَه
[١٧]هُوَذا الرَّبُّ، يا رَجُلُ، يَقذِفُ بِكَ قَذفاً ويَقبِضُ علَيكَ قَبضاً.
[١٨]يُدَحرِجُكَ دَحرَجَةَ الكُرَةِ إِلى أَرضٍ واسِعَةِ الأَطْراف.
هُناكَ تَموتُ وهُناكَ تَكونُ مَركَباتُ مَجدِكَ يا عارَ بَيتِ سَيِّدِكَ
[١٩]وأَطرُدُكَ عن مَنصِبِكَ وعن مَقامِكَ تُخلَع.
[٢٠]وفي ذلك اليَومِ أَدْعو عَبْدي أَلْياقيمَ بنَ حِلقِيَّا
[٢١]وأُلبِسُه حُلَّتَكَ وأَشُدُّهُ بِزُنَّارِكَ وأَجعَلُ سُلْطانَكَ في يَدِه
فيَكونُ أَباً لِساكِني أُورَشَليمَ ولِبَيتِ يَهوذا
[٢٢]وأَجعَلُ مِفْتاحَ بَيتِ داوُدَ على كَتِفِه
يَفتَحُ فلا يُغلِقُ أَحَد ويُغلِقُ فلا يَفتَحُ أَحَد.

٢. قول نبوي على سكارى أفرائيم (٧٢٤)

٢٨ [١]وَيلٌ لِتاجِ كِبرِياءِ السَّكارى مِن أَفْرائيم
ولِلزَّهرَةِ الذَّاوِيَةِ، بَهاءِ فَخرِه، الَّتي على رَأسِ الوادي الخَصيب
وَيلٌ للمَصْروعينَ بِالخَمْر.
[٢]هُوَذا شَديدٌ قَوِيٌّ في خِدمَةِ السَّيِّد كإِعْصارِ ذي بَرَدٍ وزَوبَعَةٍ مُهلِكَة
كإِعْصارِ ذي مِياهٍ غَزيرةٍ طاغِيَة تَصرَعُ إِلى الأَرضِ صَرعاً عَنيفاً.
[٣]فتَدوسُه الأَقْدام، تاجُ كِبرِياءِ السَّكارى مِن أَفْرائيم
[٤]وتَكونُ الزَّهرَةُ الذَّاوِيَةُ، بَهاءُ فَخرِه، الَّتي على رَأسِ وادي السَّمان
كباكورَةِ التِّينِ قَبلَ الصَّيف يَراها الرَّائي فيَبتَلِعُها وهي في يَدِه.
[٥]في ذلك اليَومِ يَكونُ رَبُّ القُوَّاتِ تاجَ بَهاءٍ وإِكليلَ فَخرٍ لِبَقِيَّةِ شَعبِه

[٦]وروحَ عَدلٍ لِمَن يَجلِسُ لِلقَضاء
وبَأساً لِلَّذينَ يَرُدُّونَ القِتالَ إِلى الباب .

٣. على الكهنة وعلى الأنبياء الكذَّابين (٧١٣)

بهذا القول النبوي، يحتجّ أشعيا على الكهنة وعلى الأنبياء الكذابين الذين يسخرون منه في أثناء مآدب ذبائح سلامية .

[٧]وهؤُلاءِ أَيضاً ضَلُّوا بِالخَمْرِ وتاهوا بِالمُسكِر :
الكاهِنُ والنَّبِيُّ ضَلاَّ بِالمُسكِرِ وغَرِقا في الخَمْر .
تاها مِنَ المُسكِرِ وضَلاَّ في الرُّؤيا وتَرَنَّحا في آتِّخاذِ القَرار .
[٨]كُلُّ الموائِدِ آمتَلأَت مِنَ القَيءِ القَذِر فلم يَبْقَ مَكان .
[١٤]فآسمَعوا كَلامَ الرَّبِّ أَيُّها النَّاسُ السَّاخِرون
المُتَسَلِّطونَ على هذا الشَّعْبِ الَّذي في أُورَشَليم .
[١٥]قُلتُم : «قد قَطَعْنا عَهداً مع المَوت وعَقَدنا حِلْفاً مع مَثْوى الأَمْوات
فالسَّوطُ الطَّاغي إِذا عَبَرَ لا يَغْشانا
لِأَنَّنا جَعَلْنا الكَذِبَ مَلجأً لَنا وآستَتَرنا بِالبُهْتان» .
[١٦]لِذلك قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : ها إِنِّي واضِعٌ حَجَراً في صِهْيون
حَجَراً مُمتَحِناً، رَأسَ زاوِيَةٍ كَريماً أَساساً مُحكَماً
مَن آمَنَ به لَن يَتَزَعزَع .
[١٧]وأَجعَلُ مِنَ الحَقِّ حَبْلاً لِلقِياس ومِن البِرِّ مِقياسَ التَّسوِيَة .
أَمَّا مَلْجأُ الكَذِبِ فيَجرِفُه البَرَد وتَطْفو المِياهُ على مأواه .
[١٨]وعَهدُكم مع المَوتِ يُلْغى وحِلفُكم مع مَثْوى الأَمْواتِ لا يقوم
فالسَّوطُ الطَّاغي إِذا عَبَرَ يَدوسُكم .

[١٩]إذا عَبَرَ يَأخُذُكم لِأَنَّه يَعبُرُ صَباحاً فَصباحاً نَهاراً ولَيلاً
وتَلْقِينُ البَلاغِ وَحدَه يُخيف .
[٢٠]فالمَضجَعُ يَقصُرُ عنِ المُمتَدِّ علَيه والغِطاءُ يَضيقُ عنِ المُلتَفِّ بِه
[٢١]لِأَنَّه كما فَعَلَ في جَبَلِ فَراصيمَ يَقومُ الرَّبّ
وكما فَعَلَ في وادي جِبْعونَ يَغضَب
فيَعمَلُ عَمَلَه ، عَمَلَه الغَريب، ويَفعَلُ فِعلَه ، فِعلَه الخَفِيّ .
[٢٢]فلا تَكونوا الآنَ مِنَ السَّاخِرين لِئَلاَّ تَتَشَدَّدَ قُيودُكم
فإِنِّي سَمِعتُ بِحُكمٍ مُبرَمٍ مِن لَدُنِ السَّيِّدِ
رَبِّ القُوَّاتِ على الأَرضِ كُلِّها .

٤. قول نبوي على العبادة الخارجية المحض

٢٩ [١٣]فقالَ السَّيِّد :
بِما أَنَّ هذا الشَّعبَ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِفَمِه
ويُكرِمُني بِشَفَتَيه وقَلبُه بَعيدٌ مِنِّي[(٢٦)]
وبِما أَنَّ مَخافَتَه لي وَصِيَّةُ بَشَرٍ تَعَلَّمَها
[١٤]لِذلك هاءَنَذا أَعودُ فأَصنَعُ بِهذا الشَّعبِ عَجَباً عُجاباً
فحِكمَةُ حُكَمائِه تَزول وعَقْلُ عُقَلائِه يَحتَجِب .

٥. أقوال نبوية في الخلاص (٧٠٣)

سيصير الوضعاء والمساكين مفضَّلي الملكوت (راجع صَفَنْيا) .

[١٧]أَلَيسَ عَمَّا قَليلٍ يَتَحَوَّلُ لُبْنانُ جَنَّةً والجَنَّةُ تُحسَبُ غاباً ؟

(٢٦) راجع متى ١٥/٨.

[١٨] وفي ذلك اليَومِ يَسمَعُ الصُّمُّ أَقْوالَ الكِتاب
وتُبصِرُ عُيونُ العُمْيانِ بَعدَ الدَّيجورِ والظَّلام
[١٩] ويَزْدادُ البائِسونَ سُروراً بِالرَّبّ
ويَبتَهِجُ المَساكينُ مِنَ البَشَرِ بِقُدُّوسِ إِسْرائيل
[٢٠] لِأَنَّ الظَّالِمَ قدِ آنقَرَضَ والسَّاخِرَ قد فَنِيَ
وآستُؤصِلَ جَميعُ الَّذينَ يَسهَرونَ لِأَجلِ الإِثْم
[٢١] الَّذينَ يُجَرِّمونَ الإِنْسانَ بِسَبَبِ كَلِمَة
ويَنصِبونَ الفَخَّ لِمَن يَحكُمُ عِندَ الباب ويَستَميلونَ البارَّ بِأَباطيلِهم .
[٢٢] لِذلك هكذا قالَ لِبَيتِ يَعْقوبَ الرَّبُّ الَّذي آفتَدى إِبْراهيم :
إِنَّ يَعْقوبَ بَعدَ الآنَ لا يَخْزى ولا يَصفَرُّ وَجهُه
[٢٣] ولكِن مَتى رَأَى أَولادَه الَّذينَ هم أَعْمالُ يَدي في وَسَطِه
فإِنَّهم يُقَدِّسونَ آسْمي ويُقَدِّسونَ قُدُّوسَ يَعْقوب
ويَخشَونَ إِلهَ إِسْرائيل
[٢٤] والضَّالُّونَ بِالرُّوحِ يَعلَمونَ الفِطنَة والمُتَذَمِّرونَ يَتَلَقَّونَ التَّعْليم .
منذ اليوم تدوّي نَبَرات يوحنا في الرؤيا

٣٠ [١٨] لِذلك يَنتَظِرُ الرَّبُّ لِيَرحَمَكم ولِذلك يَتَعالى لِيَرأَفَ بِكم
لِأَنَّ الرَّبَّ إِلهُ عَدْلٍ لِجَميعِ الَّذينَ يَنتَظِرونَه .
[١٩] فيا شَعبَ صِهْيونَ السَّاكِنَ في أُورَشَليم ، لا تَبكِ بُكاءً
بل يَرحَمُكَ رَحمةً عِندَ صَوتِ صُراخِكَ
حالَما يَسمَعُكَ يَستَجيبُ لَكَ .

[٢٠]فيُعْطيكمُ السَّيِّدُ خُبزَ الضِّيقِ وماءَ الشِّدَّة
ولا يَتوارى مُعَلِّمُكَ بَعدَ اليوم، بل تَرى عَيناكَ مُعَلِّمَكَ
[٢١]وأُذُناكَ تَسْمَعانِ كَلِمَةَ قائِلٍ من وَرائِكَ:
هذا هو الطَّريقُ فآسلُكوه إذا يامَنتُم وإذا ياسَرتُم.
[٢٣]ويَرزُقُ مَطَرَه لِزَرعِكَ الَّذي تَزرَعُ بِه الأَرْض
والخُبزُ الَّذي مِن غَلَّةِ الأَرضِ يَكونُ دَسِماً سَميناً.
وفي ذلك اليَومِ تَرْعى ماشِيَتُكَ في مُروجٍ فَسيحة
[٢٤]والثِّيرانُ والجِحاشُ الَّتي تَحرُثُ الأَرض
تأكُلُ عَلَفاً مُمَلَّحاً مُذَرًّا بِالرَّنْشِ والمِذْرى.
[٢٥]ويَكونُ على كُلِّ جَبَلٍ شامِخ وكُلِّ تَلَّةٍ عالِيَة سواقٍ وجَداوِلُ مِياه
يَومَ القَتْلِ العَظيمِ حينَ تَسقُطُ الأَبْراج.
[٢٦]ويَصيرُ نورُ القَمَرِ كنورِ الشَّمْس
ونورُ الشَّمسِ يَصيرُ سَبعَةَ أَضْعافٍ كنورِ سَبعَةِ أَيَّام
يَومَ يَجبُرُ الرَّبُّ كَسرَ شَعبِه ويَشْفي جُرحَ ضَربَتِه.

٦. مَرض حِزقِيَّا

٣٨ [١]وفي تِلكَ الأَيَّامِ، مَرِضَ حِزقِيَّا مَرَضَ مَوت، فأَتى إِلَيه أَشَعْيا بنُ آموصَ النَّبِيُّ وقالَ له: «هكذا يَقولُ الرَّبّ: نَظِّمْ أُمورَ بَيتِكَ، لِأَنَّكَ تَموتُ ولا تَعيش». [٢]فحَوَّلَ حِزقِيَّا وَجهَه إِلى الحائِطِ وصَلَّى إِلى الرَّبِّ [٣]قائِلاً: «أُذكُرْ يا رَبِّ كَيفَ سِرتُ أَمامَكَ بِالحَقِّ وسَلامةِ القَلْب، وكَيفَ صَنَعتُ الخَيرَ في عَينَيكَ». وبَكى حِزقِيَّا بُكاءً شَديداً.

[٤]فكانَ كَلامُ الرَّبِّ إلى أَشَعْيا قائلاً : [٥]«إِذهَبْ وقُلْ لِحِزقِيَّا : هكذا قالَ الرَّبُّ ، إِلهُ داوُدَ أَبيكَ : إِنِّي قد سَمِعتُ صَلاتَكَ ورَأَيتُ دُموعَكَ، وهاءَنَذا أَزيدُكَ على أَيَّامِكَ خَمْسَ عَشرَةَ سَنَة ، [٦]وأُنقِذُكَ مِن يَدِ مَلِكِ أَشُّور ، أَنتَ وهذه المَدينة ، وأَحْمي هذه المَدينة ».

([٢١]وقالَ أَشَعْيا : «لِيُؤخَذْ قُرصُ تين ، ولْتُضَمَّدْ بِه القَرحَة ، فيَبرَأ» . [٢٢]وقالَ حِزقِيَّا : «ما الآيَةُ على أَنِّي سأَصعَدُ إِلى بَيتِ الرَّبّ ؟») . أَجابَ أَشَعْيا : [٧]«هذه آيَةٌ لَكَ مِن قِبَلِ الرَّبِّ على أَنَّ الرَّبَّ يُحَقِّقُ القَولَ الَّذي قالَه : [٨]هاءَنَذا أَرُدُّ الظِّلَّ مِنَ الدَّرَجاتِ الَّتي نَزَلَتها الشَّمسُ في دَرَجِ آحازَ عَشرَ دَرَجاتٍ إِلى الوَراء» . فَرجَعَتِ الشَّمسُ عَشْرَ دَرَجاتٍ كانَت قد نَزَلَتها .

٥. رؤيا أشعيا

جُمعت هنا ، على سبيل الاستثناء ، ثلاثة نصوص يرقى عهدها إلى ما بعد الجلاء ، ومن الافضل أن تُقرأ مع كتاب التعزية . في آخِر الازمنة ، سيحقّق الله تدبيره الخلاصي ويكافئ الذين كانوا أمناء له . نجد هنا نوعاً من التمهيد إلى الأدب الرؤيوي ، يصف الأحداث التي تجري خارج الزمن ، في «يوم الربّ» المشهور .

١. المأدبة المشيحية

تصوَّر مكافأة الأبرار بصور المأدبة يجب ألاَّ يؤخذ على حرفيته . ولا نَنْسَ مع ذلك أن يسوع روى مَثَل الوليمة (متى ٢٢) .

٢٥ [٦]وفي هذا الجَبَلِ سيَضَعُ رَبُّ القُوَّات
لِجَميعِ الشُّعوبِ مَأدُبَةَ مُسَمَّنات
مَأدُبَةَ خَمرَةٍ مُعتَّقَة ، مُسَمَّناتٍ ذاتِ مُخٍّ ونَبيذٍ مُرَوَّق .
[٧]ويُزيلُ مِن هذا الجَبَلِ وَجهَ الغِطاءِ المُغَطِّي جَميعَ الشُّعوب

والحِجابِ المُحَجِّبِ جَميعَ الأُمَم
[٨] ويُزيلُ المَوتَ على الدَّوام
ويَمسَحُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الدُّموعَ عن جَميعِ الوُجوه
ويَرفَعُ عارَ شَعبِه عن كُلِّ الأَرض، لِأَنَّ الرَّبَّ قد تَكَلَّم.
[٩] فيُقال في ذلك اليَوم: هُوَذا إِلهُنا الَّذي ٱنتَظَرْناه وهو يُخَلِّصُنا
هُوَذا الرَّبُّ الَّذي ٱنتَظَرْناه فلنَبتَهِجْ ونَفرَحْ بِخَلاصِه.
[١٠] لِأَنَّ يَدَ الرَّبِّ تَستَقِرُّ في هذا الجَبَل.

٢. الحياة الجديدة

ستكون يقظة إسرائيل القومية صورة للقيامة في آخر الازمنة.

٢٦ [١] في ذلك اليَومِ يُنشَدُ هذا النَّشيدُ في أَرضِ يَهوذا:
لَنا مَدينةٌ حَصينة
جَعَلَ لَنا خَلاصاً أَسْواراً ومِترَسة.
[٢] إِفتَحوا الأَبْوابَ ولْتَدخُلِ الأُمَّةُ البارَّةُ الحافِظَةُ لِلأَمانة.
[٤] تَوَكَّلوا على الرَّبِّ لِلأَبَد فإِنَّ الرَّبَّ هو صَخرَةُ الدُّهور.
[٥] لَقَد خَفَضَ السَّاكِنينَ في عَلاء وحَطَّ المَدينَةَ المَنيعَة
حَطَّها إِلى الأَرضِ وأَلصَقَها بِالتُّراب
[٦] فتَدوسُها الأَقْدام، قَدَما البائِسِ وخُطى الضُّعَفاء.
[٧] سَبيلُ البارِّ ٱستِقامة، تَشُقُّ لِلبارِّ طَريقاً مُستَقيمة.
[٨] في سَبيلِ أَحْكامِكَ يا رَبُّ ٱنتَظَرْناك

إلى آسمِكَ وذِكرِكَ آشتِياقُ النَّفْس.
[٩]نَفْسي في اللَّيلِ آشتاقَتْكَ وروحي في داخِلي تَبتَكِرُ إِلَيكَ
لِأَنَّه حينَ تَكونُ أَحكامُكَ في الأَرْض يَتَعَلَّمُ البِرَّ سُكَّانُ المَسْكونة.
[١٠]إِن أُعفِيَ عنِ الشِّرِّيرِ مِن دونِ أَن يَتَعَلَّمَ البِرّ
صَنَعَ الإِثْمَ في أَرضِ الآستِقامة ولَم يَرَ جَلالَ الرَّبّ.
[١١]أَيُّها الرَّبُّ، يَدُكَ مُرتَفِعَةٌ وهُم لا يَرَون
فلْيَرَوا غَيرَتَكَ على الشَّعبِ ولْيَخزَوا
ولْتَلتَهِمِ النَّارُ أَعْداءَكَ.
[١٢]يا رَبُّ، إِنَّكَ تُحِلُّ السَّلامَ لَنا لِأَنَّ كُلَّ أَعْمالِنا أَنتَ تَعمَلُها لَنا.
[١٣]أَيُّها الرَّبُّ إِلٰهُنا، تَسَلَّطَ علَينا أَرْبابٌ سِواك
لٰكِن آسمَكَ وَحدَكَ سنَذكُر.
[١٤]الأَمْواتُ لا يَحيَونَ والأَشْباحُ لا يَقومون
فإِنَّكَ قد عاقَبتَهم ودَمَّرتَهم وأَبَدتَ كُلَّ ذِكْرٍ لَهم.
[١٥]لٰكِنَّكَ أَنمَيتَ الأُمَّةَ يا رَبّ، أَنمَيتَ الأُمَّةَ وتَمَجَّدتَ.
أَبعَدتَ جَميعَ حُدودِ الأَرض.
[١٦]يا ربُّ، إِنَّهم في ضيقِهِم آلتَمَسوكَ
سَكَبوا شَكْواهم عِندَ تَأديبِكَ لَهم.
[١٩]ستَحْيا مَوتاكَ وتَقومُ جُثَثُهم
إِستَيقِظوا وهَلِّلوا يا سُكَّانَ التُّراب.
فإِنَّ نَداكَ نَدى النُّور وستَلِدُ الأَرضُ الأَشْباح.

٣. التجديد الاخيري

ستمتاز المملكة بالشباب والجمال والأمن والابتهاج.

٣٥ [١]لِتَفرَحِ البَرِّيَّةُ والقَفْرُ ولْتَبتَهِجِ البادِيَةُ وتُزهِرْ كالنَّرجِس

[٢]لِتُزهِرْ أزهارًا وتَبتَهِجِ ٱبتِهاجاً مع هُتاف.

قد أُوتِيَت مَجدَ لُبْنان وبَهاءَ الكَرمَلِ والشَّارون

فهم يَرَونَ مَجدَ الرَّبِّ وبَهاءَ إِلهِنا.

[٣]قَوُّوا الأَيدِيَ المُستَرخِيَة وشَدِّدوا الرُّكَبَ الواهِنَة.

[٤]قولوا لِفَزِعي القُلوب: «تَقَوَّوا ولا تَخافوا

هُوَذا إِلهُكم، النَّقمَةُ آتِيَة.

هذه مُكافَأَةُ الله. وهو يَأتي فيُخَلِّصُكم».

[٥]حينَئِذٍ تتَفَتَّحُ عُيونُ العُمْيان وآذانُ الصُّمِّ تَتَفَتَّح

[٦]وحينَئِذٍ يَقفِزُ الأَعرَجُ كالأَيِّل ويَهتِفُ لِسانُ الأَبكَم

فقَدِ ٱنفَجَرَتِ المِياهُ في البَرِّيَّة والأَنْهارُ في البادِيَة

[٧]الأَرضُ الحامِيَةُ تَنقَلِبُ غَديراً والمَعطَشَةُ يَنابيعَ مِياه

ويَكونُ مَأوى بَناتِ آوى الَّذي يَربِضنَ فيه

حَظيرةَ قَصَبٍ وبَرْدِيّ.

[٨]ويَكونُ هُناكَ مَسلَكٌ وطَريقٌ يُقالُ لَه الطَّريقُ المُقَدَّس

لا يَعبُرُ فيه نَجِس، بل إِنَّما هو لَهم.

مَن سَلَكَ هذا الطَّريق، حتَّى الجُهَّال، لا يَضِلّ.

[٩] يَكونُ هُناكَ أَسَدٌ ولا يَصعَدُ إِلَيه وَحشٌ مُفتَرِس ولا يُوجَدُ هُناك

بل يَسيرُ فيه المُخَلَّصون

[١٠] والَّذينَ فَداهُمُ الرَّبُّ يَرجِعون ويَأتونَ إِلى صِهْيونَ بِهُتاف
ويَكونُ على رُؤُوسِهم فَرَحٌ أَبَدِيّ
ويُرافِقُهمُ السُّرورُ والفَرَح وتَنهَزِمُ عَنهمُ الحَسرَةُ والتَّأَوُّه .

قراءة لبني جيلنا

يبدو أن فكرة القداسة ، وهي كانت شديدة التأثير في أشعيا ، من شأنها أن تستأثر بنا طوال مطالعة أقواله النبوية . لكن القداسة والانفصال عن النجاسة هما أمران قد يبدوان لنا سلبيَّين ، ومع ذلك فنحن هنا أمام مفهوم مقبول . فعلى المسيحي المعاصر ، الذي فقد الشعور بالخطيئة الى حد ما ، أن يتوقَّف عند هذا المفهوم . فإذا كان الله قدُّوساً ، فذلك بأنه نور كامل . لكن الانسان ينطوي على شيء من الظلام ، لا يعود الى نقصانه الأساسي فقط ، بل هو ثمرة إرادة غير أمينة لله وللدعوة المسيحية . وعلى المسيحي ، أمام الإله القدوس ، أن يعترف بأنه خاطئ .

وان فعل التواضع هذا سيكتمل بهذا الاقتناع الآخر ، وهو ان الله وحده قادر على تطهيره من خطيئته . إنه عمل من أعمال القدرة الإلهية ، يأتي على الصعيد الأخلاقي والروحي . ونرى هنا مقدَّم المخطَّط الذي وضعه الله ليفتدينا .

لا شك ان خاتمة أشعيا تنطبق على المسيحي . فما يريده الله هو أن نتجنَّب ، في نشاطنا البشري ، كل ما هو نجاسة ، وأن نقترب إلى أكبر حد من قداسة الله . وما ينقص هنا هو ذلك العنصر الايجابي الذي أتى به الوحي المسيحي ، وهو أن قداسة الانسان هي مشاركة في قداسة الله بالمسيح .

ان خدمة أشعيا النبوية تحقِّق مرحلة كبرى في تطوّر موضوع القداسة .

سِفرُ ميخا

المحيط

بلّغ ميخا كلمة الله على عهد الملكَين آحاز وحِزقِيّا (٧٣٥ - ٧١٥؟) . فالمحيط الذي عاش فيه هو محيط أشعيا (راجعه) .

الانسان

وُلد في مورَشْت ، وهي قرية تبعد عن حبرون نحو عشرين كيلومتراً . فهو اذاً من الريف كعاموس ، يرفض مثله العيش في المدن ويستعمل مثله لغة عنيفة أحياناً . لا نعرف شيئاً عن حياته ، ولم يأت بأي تفصيل عن دعوته ، مع أنه يؤكّدها بقوّة .

الرسالة

يندِّد بالمظالم ويحبّ المال ، كسائر الأنبياء الذين عاصرهم ، ولكن بشبهٍ أكبر لعاموس . وأمام تلك الأخطاء ، يكشف عن مطالب الله في عبارة تذكّرنا هذه المرّة بهوشع . وبعد توجيه التهديدات بالعقاب - ومنها بخراب السامرة - يأتي بصيص رجاء : فهو يتكلّم ، شأن عاموس ، على «البقية» ، ويتكلّم ، شأن أشعيا ، على المَلِك المشيح المسالم الذي يرفع شأن نَسَب داود وسلالته ، والذي يصوّره بملامح الراعي . ولعلّه يلمّح الى القول النبوي في العِمَّانوئيل الذي كان أشعيا قد أعلنه .

مدخل

١ [١] كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتي كانَت إِلى ميخا المورَشْتِيِّ في أَيَّامِ يوتامَ وآحازَ وحِزقِيَّا ، مُلوكِ يَهوذا ، مِمَّا رآه على السَّامِرَةِ وأُورَشَليم .

١. الإنباء بخراب السامرة

يُصوَّر هذا الخراب بصورة عمل يقوم به الله، وترافقه استعارات كونية. وسبب هذا الخراب يعود الى مملكة الشمال (انشقاق)، لكن أورشليم ليست منزَّهة عن الخطيئة (عبادة الأوثان).

[٢]إسمَعوا يا جَميعَ الشُّعوب وأَصْغي أَيَّتُها الأَرضُ ومِلؤُها
ولْيَكُنِ الرَّبُّ شاهِداً علَيكم، السَّيِّدُ مِن هَيكَلِ قُدسِه.
[٣]لِأَنَّه هُوَذا الرَّبُّ يَخرُجُ مِن مَكانِه ويَنزِلُ ويَطَأُ مَشارِفَ الأَرض.
[٤]فتَذوبُ الجِبالُ تَحتَه وتَنشَقُّ الأَودِيَة
كالشَّمعِ مِن أَمامِ النَّار وكالمِياهِ الَّتي تَجْري في مُنْحَدَر.
[٥]كُلُّ ذلك بِسَبَبِ مَعصِيَةِ يَعْقوب وخَطايا بَيتِ إِسْرائيل
وما مَعصِيَةُ يَعْقوب؟ أَلَيسَتِ السَّامِرَة(١)؟
وما مَشارِفُ يَهوذا؟ أَلَيسَت أُورَشَليم؟
[٦]سأَجعَلُ السَّامِرَةَ أَطْلالاً في الحَقْلِ ومَغارِسَ كُروم
وأُدَحرِجُ حِجارَتَها إِلى الوادي وأَكشِفُ عن أُسُسِها
[٧]فتُحَطَّمُ جَميعُ مَنْحوتاتِها وتُحرَقُ جَميعُ أُجورِها بِالنَّار
وأَجعَلُ جَميعَ أَصنامِها دَماراً لِأَنَّها جَمَعَتها مِن أُجرَةِ زانِية(٢)
فستَرجِعُ إِلى أُجرَةِ زانِيَة.

٢. ذمّ المظالم الاجتماعية والأنبياء الكذّابين

جُمعت هنا الأقوال النبوية التي تستهدف الطبقات الحاكمة والمسؤولين الدينيين، من المحتكرين والحاكمين والأنبياء الكذّابين والملوك والكهنة.

(١) الانشقاق. ان عُمري هو الذي أنشأ السامرة حوالى ٨٨٠.
(٢) كان في السامرة بقايا مقدّسات.

٢ [١]وَيلٌ لِلَّذينَ يُفكِّرونَ في الإِثْم ويَنْوونَ الشَّرَّ في مَضاجِعِهِم
ثُمَّ في نورِ الصَّباحِ يَصنَعونَه، إِذ هو في طاقَةِ أَيديهم.
[٢]يشتَهونَ حُقولاً فيغتَصِبونَها وبُيوتاً فيَستَولونَ عليها
ويَظلِمونَ الرَّجُلَ وبَيتَه والإِنْسانَ وميراثَه(٣).
[٣]لِذلك هكذا قالَ الرَّبّ: هاءَنَذا مُفكِّرٌ على هذه العَشيرةِ بِشَرّ
لا تُحَوِّلونَ عنه أَعْناقَكم ولا تَمْشونَ مُتَشامِخين، لِأَنَّه زَمانُ شَرّ.
[٤]في ذلك اليَومِ يُضرَبُ فيكم مَثَل
ويُناحُ نَوحاً ويُقال: لقَد دُمِّرنا تَدْميراً، وقد بادَلَ نَصيبَ شَعبِه.
فكَيفَ يَتَحَرَّكُ في ٱتِّجاهي لِكَي يُعيدَ حُقولَنا الَّتي يُقَسِّمُها؟
[٥]لِذلك لا يَكونُ لَكَ مَن يُلْقي الحَبْلَ في قُرعَةٍ في جَماعةِ الرَّبّ.

٣ [١]وأَقول: إِسمَعوا يا رُؤَساءَ يَعْقوب وقُوَّادَ بَيتِ إِسْرائيل:
أَما يَنبَغي لكم أن تَعرِفوا الحقّ؟
[٢]أَيُّها المُبغِضونَ الخَيرَ والمُحِبُّونَ الشَّرّ
النَّازِعونَ جُلودَهم عنهم ولُحومَهم عن عِظامِهم
[٣]الَّذينَ يَأكُلونَ لُحومَ شَعْبي ويَسلَخونَ جُلودَهم عنهم
ويُهَشِّمونَ عِظامَهم ويُقَطِّعونَهم كما في القِدْر
وكاللَّحمِ في وَسَطِ المِرجَل.
[٤]حينَئِذٍ يَصرُخونَ إِلى الرَّبِّ فلا يُجيبُهم
بل يَحجُبُ وَجهَه عنهم في ذلك الزَّمان لِأَنَّهم أَساءوا أَعْمالَهم.

(٣) استيلاء بسبب الديون.

[5] هكذا قالَ الرَّبُّ على الأنبياءِ الَّذينَ يُضِلُّونَ شَعْبي
ويَعَضُّونَ بِأَسنانِهم ويُنادونَ بِالسَّلام
ومَن لا يُلقِمُهم في أَفْواهِهم يَشُنُّونَ علَيه حَرباً مُقَدَّسة .
[6] لِذلك يَكونُ لكُمُ اللَّيلُ دونَ رؤيا والظُّلمَةُ دونَ عِرافة
وتَغرُبُ الشَّمسُ على الأنبياء ويُظلِمُ علَيهِمِ النَّهار
[7] فيَخْزى الرَّاؤونَ ويَخجَلُ العَرَّافون وجَميعُهم يُلَثِّمونَ شِفاهَهم
لِأَنَّه لَيسَ جَوابٌ مِنَ الله .
[8] لكِنِّي آمتَلأتُ قُوَّةً (بِرُوحِ الرَّبّ) وحَقًّا وبأساً
لِأُخبِرَ يَعْقوبَ بِمَعصِيَتِه وإِسْرائيلَ بِخَطيئَتِه .
[9] اِسمَعوا هذا يا رُؤَساءَ بَيتِ يَعْقوب وقُوَّادَ بَيتِ إِسْرائيل
الَّذينَ يَمقُتونَ الحَقّ ويُعَوِّجونَ كُلَّ آستِقامة
[10] الَّذينَ يَبْنونَ صِهْيونَ بِالدِّماء وأُورَشَليمَ بِالظُّلْم
[11] إِنَّما رُؤَساؤُها يَحكُمونَ بِالرَّشوَة وكَهَنَتُها يُعَلِّمونَ بِالأُجرَة
وأَنبِياؤُها يُمارِسونَ العِرافَةَ بالفِضَّة ويَعتَمِدونَ على الرَّبِّ قائِلين :
أَلَيسَ الرَّبُّ في وَسْطِنا فلا تَحِلُّ بِنا الشُّرور ؟
[12] لِذلك بِسَبَبِكم ستُحرَثُ صِهيونُ كَحَقل وتَصيرُ أُورَشَليمُ أَطْلالاً
وجَبَلُ البَيتِ مَشارِفَ غاب .

٣. المشيح الملك الراعي، المتحدّر من بيت لحم

بعد التهديدات ، هذا هو الرجاء. سبق أن وجدنا في أشعيا ما يختصّ بداود (الفصل ١١) ، وكذلك فكرة السلام (الفصل ٧). أَمَّا العَرْض الجديد فهو مأخوذ بالأحرى من صورة الراعي .

٥ [١]وأَنتِ يا بَيتَ لَحَمُ أَفْراتَة، إِنَّكِ أَصغَرُ عَشائِرِ يَهوذا
ولكِن مِنكِ يَخرُجُ لي مَن يَكونُ مُتَسَلِّطاً على إِسْرائيل
وأُصولُه مُنذُ القَديم، مُنذُ أَيَّامِ الأَزل.
[٢]لِذلك يَترُكُهم إِلى حينِ تَلِدُ الوالِدَة[٤]
فتَرجِعُ بَقِيَّةُ إِخوتِه إِلى بَني إِسْرائيل
[٣]ويَقِفُ ويَرْعى بِعِزَّةِ الرَّبّ وبِعَظَمَةِ آسمِ الرَّبِّ إِلهِه
فيَكونونَ ساكِنين لِأَنَّه حينَئِذٍ يَتَعاظَمُ إِلى أَقاصي الأَرض.
[٤]ويَكونُ هذا سَلاماً
وإِذا أَتى أَشُّورُ أَرضَنا ووَطِئَ قُصورَنا
نُقيمُ علَيه سَبعَةَ رُعاةٍ وثَمانِيَةَ أُمَراءِ بَشَر.
[٥]فيرعَونَ أَرضَ أَشُّورَ بِالحُسام وأَرضَ نِمْرودَ[٥] بِالسَّيفِ المَشْهور
ويُنقِذُ مِن أَشُّور، إِذا أَتى أَرضَنا ووَطِئَ حُدودَنا.

٤. شكوى الله والحوار مع النبي

ليس من حق اسرائيل أن يشكو من الله، فلقد غمره بإحساناته. فما هي مطالب الله؟ هل هي الإكثار من الذبائح؟ كلاَّ، بل ما سبق ان طلبه، أي العدل والمحبة والتواضع.

٦ [١]إِسمَعوا ما يَقولُ الرَّبّ:
قُمْ إِلى الدَّعْوى أَمامَ الجِبال ولْتَسمَعِ التِّلالُ صَوتَكَ
[٢]إِسمَعي أَيَّتُها الجِبالُ دَعْوى الرَّبّ ويا أُسُسَ الأَرضِ الخالِدَة

(٤) امّ المشيح. ان القسم الاول من الآية غامض المعنى.
(٥) بطل أسطوري من ما بين النهرين.

فإِنَّ لِلرَّبِّ دَعوًى مع شَعبِه وهو يُرافِعُ على إِسْرائيل .
[٣]يا شَعْبي ماذا صَنَعتُ بِكَ وبِمَ أَسأَمتُكَ ؟ أَجِبْني .
[٤]فإِنِّي أَصعَدتُكَ مِن أَرضِ مِصْر وآفتَدَيتُكَ مِن دارِ العُبودِيَّة
وأَرسَلتُ أَمامَكَ موسى وهارونَ ومَريَم .
[٥]يا شَعْبي آذكُرْ ما آئتَمَرَ بِه بالاقُ مَلِكُ مُوآب[(٦)]
وما أَجابَه بِلْعامُ بنُ بَعورَ مِن شِطِّيمَ إِلى الجِلْجال[(٧)]
لِكَي تَعلَمَ مَبَرّاتِ الرَّبّ
[٦]بِماذا أَتَقَدَّمُ إِلى الرَّبّ وأَنحَني للهِ العَلِيّ ؟
أَبِمُحرَقاتٍ أَتَقَدَّمُ إِلَيه وبِعُجولٍ حَولِيَّة ؟
[٧]أَيَرْضى الرَّبُّ بِأُلوفِ الكِباش ورِبْواتِ أَنْهارِ الزَّيت ؟
أَأَبذُلُ بِكْري عن مَعصِيَتي وثَمرَةَ بَطْني عن خَطيئَةِ نَفْسي ؟
[٨]قد بَيَّنَ لَكَ أَيُّها الإِنْسانُ ما هو صالِح وما يَطلُبُ مِنكَ الرَّبّ .
إِنَّما هو أَن تُجرِيَ الحُكْمَ وتُحِبَّ الرَّحمَة
وتَسيرَ بِتَواضُعٍ مع إِلهِكَ .
[٩]صَوتُ الرَّبِّ يُنادي المَدينة وذو حِكمَةٍ مَن يَهابُ آسمَكَ.
فآسمَعا أَيَّتُها العَشيرةُ ويا جَماعَةَ المَدينة
[١٠]أَلا تَزالُ في بَيتِ الشِّرِّيرِ كُنوزُ الشَّرّ والإِيفَةُ المُصَغَّرةُ المَلْعونة ؟
[١١]أَأَكونُ طاهِراً وعِنْدي ميزانُ الشَّرّ وكيسُ مَعاييرِ الغِشّ ؟
[١٢]إِنَّ أَغنِياءَها قدِ آمتَلأُوا عُنفاً وسُكَّانَها نَطَقوا بِالكَذِب

(٦) رجع عد ٢٢-٢٤.
(٧) في النص العبري ثغرة هنا. يدور الكلام على عبور الاردن.

وأَلسِنَتُهم في أَفْواهِهم ماكِرَة .
[١٣]فأَنا أَيضاً قد ضَرَبتُكَ ضَربةً مُعضِلة ودَمَّرتُكَ بِسَبَبِ خَطاياكَ
[١٤]فأَنتَ تَأكُلُ ولا تَشبَع وجوعُكَ في جَوفِكَ
وتَدَّخِرُ ولا تُخَلِّص وما خَلَّصتَه أُسلِمُه إِلى السَّيف .
[١٥]وأَنتَ تَزرَعُ ولا تَحصُد
وأَنتَ تَدوسُ الزَّيتونَ ولا تَدَّهِنُ بِالزَّيت
وتَدوسُ النَّبيذَ ولا تَشرَبُ الخَمْر .

٥. الاستنجاد الأخير برحمة الله

مزمور استغفار . يأتي هنا ذكر ابراهيم كما في نشيد مريم ، أي بصفته مؤتمناً على الموعد .

[٧]أَمَّا أَنا فأَتَرَقَّبُ الرَّبَّ وأَجعَلُ رَجائي في إِلهِ خَلاصي فيَسمَعُني إِلهي .
[٨]لا تَشمَتي بي يا عَدُوَّتي فإِنِّي إِذا سَقَطتُ أَقوم
وإِذا سَكَنتُ في الظَّلام يَكونُ الرَّبُّ نوراً لي .
[٩]إِنِّي أَحتَمِلُ سُخطَ الرَّبّ لِأَنِّي خَطِئتُ إِلَيه
إِلى أَن يُدافِعَ عن قَضِيَّتي ويُنصِفَني
فيُخرِجُني إِلى النُّورِ وأَرى بِرَّه .
[١٤]إِرعَ شَعبَكَ بِعَصاكَ ، غَنَمَ ميراثِكَ
السَّاكِنينَ وَحدَهم في الغابِ في وَسَطِ الجَنَّة
فلْيَرعَوا في باشانَ وجِلْعادَ كما في الأَيَّامِ القَديمة
[١٥]كما في أَيَّامِ خُروجِكَ مِن مِصْرَ أُريه العَجائِب
[١٨]مَن هو إِلهٌ مِثلُكَ حامِلٌ لِلآثام

وصافِحٌ عنِ المَعاصي لِبَقِيَّةِ ميراثِه
لا يُشَدِّدُ غَضَبه لِلأَبَد لأَنَّه يُحِبُّ الرَّحمة .
[١٩]سيَعودُ فيَرأفُ بِنا ويدوسُ آثامَنا
وتَطرَحُ في أَعْمَاقِ البَحرِ جَميعَ خَطاياهم .
[٢٠]تَمنَحُ يَعْقوبَ الصِّدْقَ وإِبْراهيمَ الرَّحمَة
كما أَقسَمتَ لِآبائِنا مُنذُ الأَيَّامِ القَديمة .

ملاحظة: ان رسالة ميخا لم تأتِ بعناصر مبتكرة بالنسبة الى العناصر التي وجدناها في أقوال الأنبياء السابقين، فنكتفي بالإحالة الى هذه الأقوال في أمر تطبيقها على بني جيلنا .

سِفْرُ صَفَنْيَا

المحيط

بين موت أشعيا وظهور صفنيا أكثر من نصف قرن. لم يَبْقَ إلاَّ مملكة يهوذا، وهي تخضع، منذ أيام سنحاريب، لحكم أشُّور. إلاَّ أن الأوضاع تغيَّرت فجأةً. كان آسَرحدُّون (٦٨١ - ٦٦٨) قد سار على سياسة الفتوحات التي مارسها أسلافه ووصل ظافراً الى مصر. وكان اسنفَّر (٦٦٨ - ٦٣٠) قد صنع كذلك فاستولى على طيبة في ٦٦٤، ثم قمع تمرُّداً قام في بابل، ونهب شوشَن. لكن الفاتح بقي في حالة الدفاع، منذ ٦٤٠، لمطالعة كتب خزانة كتبه الواسعة. وفي غضون ٢٥ سنة، تمَّ انهيار الدولة الأشورية: فلقد اتَّحد الكلدانيون والميديون وضربوها ضربة لم تنهض منها.

باشر صفنيا رسالته النبوية مدَّة قصور ملك أورشليم الجديد، يوشِيَّا (٦٤٠ - ٦٠٩)، بعد ٦٤٠ بقليل، وكانت النوادي السياسية في أورشليم تتوقَّع القيام بتجديد قومي للسنوات القريبة.

وتمنَّى صفَنْيا أن يتمّ الاصلاح الديني أيضاً. فعلى عهد الملكَين السابقَين منسَّى وعمُّون، حصلت الوثنية على حقّ المواطنية في أورشليم وحتى في الهيكل. فكانت عشتار، ملكة السماء، موضع عبادة حارّة من قِبَل النساء، وكانت الطقوس الاشورية تُمارَس على نطاق واسع في مقدس الرب، وكانوا يعبدون الإِله العمّوني مِلْكوم، وكانت هناك آثار باقية لعبادة البعل.

وكان الحسّ الأخلاقي في انحطاط، على غرار الحياة الدينية. ولا بدّ من الانتباه الى التشاؤم الذي نراه عند الأنبياء في ذلك الزمن، وعند إرميا أكثر ممَّا هو عند صفَنْيا. وحتى إن أخذنا بعين الاعتبار عنصر المزاج وما يمتاز به العمل النبوي، فهناك حقيقة لا

تزال قائمة ، علماً بأن سنوات الحكم الملكي الأخيرة كانت سنوات حالكة من جميع الوجوه .

الانسان

عن صفَنْيا ، كما عن الكثيرين من سائر الأنبياء ، لا نعرف أي شيء دقيق . فاعتقد بعض النقّاد بأنه من العائلة الملكية ، في حين أن بعضهم الآخر جعلوا منه عبداً في خدمة الهيكل .

الرسالة

أخذ صفَنْيا عن عاموس فكرة «يوم الرب» ، وعالجها بكثير من الاستعارات والتفخيم . لكن ابتكاره هو أنه جعل منها حدثاً واسعاً كالعالم . ومن الراجح أن أداة ذلك العقاب ستكون اجتياحاً غريباً ، قد يكون اجتياح الإسكوتيين .
وعن أشعيا أخذ فكرة الخطيئة ، لكنه توسَّع فيها بمعنى آخَر . كان نبيّ القرن الثامن قد رأى فيها نجاسة تتناول الإنسان . أمّا صفنيا فنظر إليها نظره الى شيء يصيب الله . كان أشعيا يستنكر كبرياء الانسان ويصرّح بأن «الانسان الزائل سيُذلَّل» في يوم الرب . أمّا صفَنْيا فإنه تعمَّق في هذه الفكرة وتصوَّر حالة الذين يتَّضعون طوعاً أمام الله ويخضعون لمشيئته ويسلِّمون أمرهم إليه . هم مساكين الرب . ويُعدُّ تفكير صفَنْيا مرحلة هامَّة في طريقة النظر الى الفقر . كان الفقراء قبله يؤلّفون فئة اجتماعية في داخل الشعب الاسرائيلي ، لكن هذه الفكرة تطوَّرت هنا على الصعيد الروحي . فالفقراء يتمتَّعون بسهولة أكبر للخضوع لله . فإذا ظُلموا ، رأوا فيه مدافعاً ، واذا كانوا في عَوَز ، شعروا بأنه وحده قادر على سدّ حاجاتهم . من هنا المضمون الاخلاقي الذي نجده في هذه الفكرة : اعتراف الإنسان ببؤسه وعبادة الله القدير ، والاستسلام لمشيئة الله . والنشيد الذي جعله لوقا على لسان مريم العذراء يدلّ على أنها من «مساكين الربّ» . وسيكون يسوع المسكين المثالي . ولكن ، والحالة هذه ، ستتضمَّن فكرة الفقر أصداءً أخيرية . ومع ذلك ، نشاهد عند صفنيا ، منذ اليوم ، إقامة مملكة يسود فيها السلام والتواضع .

مدخل

١ [١]كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتي كانَت إِلى صَفَنْيا بنِ كوشِيَ بنِ جَدَلْيا بنِ أَمَرْيا بنِ حِزقِيَّا في أَيَّامِ يوشِيَّا بنِ آمون، مَلِكِ يَهوذا:

١. تهديدات ودعوة إلى التوبة

١. ذمّ عبادة الاوثان

نرى هنا الأوضاع الدينية التي كانت فيها أورشليم في مطلع عهد يوشيا.

[٢]لأُزيلَنَّ كُلَّ شيءٍ زَوالاً عن وَجهِ الأَرضِ، يَقولُ الرَّبّ.
[٣]أُزيلُ البَشَرَ والبَهائِم
أُزيلُ طَيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البَحْرِ ومَعاثِرَ الأَشْرار
وأَستَأصِلُ البَشَرَ عن وَجهِ الأَرض، يَقولُ الرَّبّ.
[٤]وأَمُدُّ يَدي على يَهوذا وعلى جَميعِ سُكَّانِ أُورَشَليم
وأَستَأصِلُ مِن هذا المَكانِ بَقِيَّةَ البَعْل
وأَسْماءَ كَهَنَةِ الأَصْنام مع الكَهَنَة.
[٥]والَّذينَ يَسجُدونَ على السُّطوحِ لِقُوَّاتِ السَّماء(١)
والَّذينَ يَسجُدونَ يَحلِفونَ لِلرَّبّ ويَحلِفونَ بِمَلْكوم(٢)
[٦]والَّذينَ يَرتَدُّونَ عنِ الرَّبّ والَّذينَ لا يَطلُبونَ الرَّبَّ ولا يَلتَمِسونَه.
[٧]أُصمُتوا مِن وَجهِ السَّيِّدِ الرَّبّ فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ قَريب

(١) عبادة كواكب في أشُور.
(٢) إله بني عمُّون.

وقد أَعَدَّ الرَّبُّ ذَبيحَةً وقَدَّسَ مَدعُوِّيه(٣).

٢. يوم الرب

يوم غضب وشدّة يصيب الأرض كلها.

[١٤] قَريبٌ يَومُ الرَّبِّ العَظيم، قَريبٌ وسَريعٌ جِدًّا.
صَوتُ يَوم الرَّبِّ مُرٌّ. هُناكَ يَصرُخُ البَطَل.
[١٥] يَومُ حَنَقٍ ذٰلك اليَوم
يَومُ ضيقٍ وشِدَّة، يَومُ خَرابٍ ودَمار
يَومُ ظُلمَةٍ ودَيجور، يَومُ غَيمٍ وغَمامٍ مُظلِم.
[١٦] يَومُ بوقٍ وهُتافٍ على المُدُنِ الحَصينة
وعلى بُروجِ الزَّوايا الشَّامِخَة(٤).
[١٧] وأُضَيِّقُ على البَشَرِ فيَمْشونَ كالعُمْيان لِأَنَّهم خَطِئوا إِلى الرَّبّ
وتُسفَكُ دِماؤُهم كالتُّراب ولُحومُهم كالنُّفاية
[١٨] فلا تَقدِرُ فِضَّتُهم ولا ذَهَبُهم على إِنْقاذِهم.
في يَومِ غَضَبِ الرَّبِّ وبِنارِ غَيرَتِه ستُلتَهَمُ جَميعُ الأَرض
لِأَنَّه يُفْني إِفْناءً - وما أَهوَلَه - جَميعَ سُكَّانِ الأَرْض.

٣. دعوة إلى التواضع

يعود صفنيا إلى فكرة عاموس، حيث تفترض التوبة التماس الله، فيطلب أن يصطحب هذا الالتماس بالتواضع.

٢ [١] تَكَدَّسي تَكَدَّسي أَيَّتُها الأُمَّةُ الَّتي لا حَياءَ لَها

(٣) يصوِّر «يوم الربّ» بصورة ذبيحة يكون ضحاياها المقدّسة سكّان يهوذا.
(٤) الصورة نفسها عند عاموس.

[٢]قَبلَ أَن تُطرَدوا كالعُصافَةِ العابِرَةِ في يَومٍ واحِد
قَبلَ أَن يَحِلَّ بِكمُ اِضطِرامُ غَضَبِ الرَّبّ
(قَبلَ أَن يَحِلَّ بِكم يَومُ غَضَبِ الرَّبّ) .
[٣]إِلتَمِسوا الرَّبَّ يا جَميعَ وُضَعاءِ الأَرْض(٥) الَّذينَ نَفَّذوا حُكمَه
إِلتَمِسوا البِرَّ اِلتَمِسوا الضَّعَة فعَسى أَن تَستَتِروا في يَومِ غَضَبِ الرَّبّ .

٢. لعنة على أورشليم

١. ملعونة أورشليم لأنها رفضت الله

مرّةً أخرى يُلعَن كبار الموظَّفين والقضاة والأنبياء والكهنة ، لأنهم أبعدوا الله عن نشاطهم .

٣ [١]وَيلٌ لِلمُتَمَرِّدَةِ الدَّنِسَة ، المَدينَةِ الظَّالِمَة !
[٢]إِنَّها لم تَسمَعِ الصَّوتَ ولم تَقبَلِ التَّأديب
ولم تَتَّكِلْ على الرَّبّ ولم تَتَقَرَّبْ إِلى إِلهِها .
[٣]رُؤَساؤُها في وَسَطِها أُسودٌ زائِرة
وقُضاتُها ذِئابٌ في المَساء لا يُبقونَ شَيئاً إِلى الصَّباح
[٤]أَنبِياؤُها مُغامِرونَ خَوَنَة وكَهَنَتُها دَنَّسوا القُدسَ وتَعَدَّوُا الشَّريعَة .
[٥]الرَّبُّ بارٌّ في وَسَطِها لا يَرتَكِبُ ظُلماً
وصَباحاً فصَباحاً يُصدِرُ حُكمَه وعِندَ طُلوعِ النُّورِ لا يُقَصِّر
(أَمَّا الظَّالِمُ فلا يَعرِفُ الخَجَل) .

(٥) ينقل صفنيا الفقر من المستوى الاجتماعي الى المستوى الديني : يطابق بين الشعب المشيحي و«مساكين الرب» .

٢. العِبرة التي يجب استخلاصها

كان لا بدّ للكوارث الحاضرة والماضية أن تؤدّي إلى مخافة الله عند شعبه.

[٦] إستأصلتُ أُمَماً فدُمِّرَت بُروجُهمُ الَّتي في الزَّوايا
وخَرَّبتُ شَوارِعَهم فلَيسَ مِن عابِرٍ فيها
ودُمِّرَت مُدُنُهم فلَيسَ فيها إِنْسانٌ ولا ساكِنْ.
[٧] قُلتُ: «لَعَلَّكِ تَخشَينَني وتَقبَلينَ التَّأديب فلا يُستَأصَلُ مَسكِنُها»
وكُلَّما آفتَقَدتُها بَكَّروا وأَفسَدوا جَميعَ أَعْمالِهم.
[٨] لِذلك آنتَظِروني، يَقولُ الرَّبّ، إِلى يَومِ أَقومُ كشاهِد
لِأَنَّ حُكْمي هو أَن أَجمَعَ الأُمَم وأَحشُدَ المَمالِك
لِأَصُبَّ علَيهم حَنَقي، كُلَّ آضطِرامِ غَضَبي
(لِأَنَّ الأَرضَ كُلَّها ستُلتَهَمُ بنارِ غَيرَتي).

٣. مواعد تجديد

جوهر هذه الفقرة يستهدف «مساكين الرب» الذين سيؤلّفون البقية التي تكلَّم عليها عاموس. سيكونون اسرائيل المُقبل، بعد أن يُطهَّر ويصبح أميناً لله.

[٩] لِأَنِّي حينَئِذٍ أَجعَلُ لِلشُّعوبِ شَفَةً نَقِيَّة
لِيَدْعوا جَميعاً بِآسمِ الرَّبّ ولِيَعبُدوه كَتِفاً على كَتِف.
[١٠] مِن عِبرِ أَنْهارِ كوشَ المُتَضَرِّعونَ إِلَيَّ مع بَني شَتاتي
يُقَرِّبونَ لي تَقدِمَة.
[١١] في ذلك اليَومِ لا تَخجَلينَ مِن جَميعِ أَعْمالِكِ الَّتي عَصَيتِني بِها
لِأَنِّي حينَئِذٍ أَنزِعُ مِن وَسْطِكِ المُتَباهينَ المُتَكَبِّرين
فلا تَعودين تَتَشامَخينَ في جَبَلِ قُدْسي.

١٢وأُبْقي في وَسَطِكِ شَعْباً وَضيعاً فَقيراً
فتَعتَصِمُ بِآسمِ الرَّبِّ(٦) ١٣بَقِيَّةُ إِسْرائيل
لا يَرتَكِبونَ الظُّلمَ ولا يَنطِقونَ بالكَذِب
ولا يوجَدُ في أَفْواهِهم لِسانُ مَكْرٍ
لِأَنَّهم سيَرعَونَ ويَربِضون ولا أَحَدَ يُفزِعُهم.
١٨أبعَدتُ الشَّرَّ عنكِ لِئَلاَّ تَحمِلي العارَ مِن بَعدُ.
١٩هاءَنَذا أُبيدُ جَميعَ الَّذينَ يُذِلُّونَكِ في ذلك الزَّمان
وأُخَلِّصُ النَّعجةَ العَرْجاء وأَجمَعُ النِّعاجَ المَدْحورة
وأَجعَلُ لَهم حَمداً وآسماً في أَرضِ عارِهم كُلِّها.
٢٠في ذلك الزَّمانِ آتي بِكم. سيَكونُ الزَّمانَ الَّذي أَحشُرُكم فيه
لِأَنِّي سأَجعَلُ لكُمُ آسماً وحَمداً في جَميعِ شُعوبِ الأَرضِ
عِندَما أَرُدُّكم مِن جَلائِكم على عُيونِكم، قال الرَّبّ.

الخاتمة: الفرح

١٤هَلِّلي يا بِنتَ صِهْيون، إِهْتِفْ يا إِسْرائيل
إِفرَحي وتَهَلَّلي بِكُلِّ قَلبِكِ يا بِنتَ أُورَشَليم
١٥فقد أَلْغى الرَّبُّ الحُكمَ علَيكِ وأَبْعَدَ عَدُوَّكِ
في وَسَطِكِ مَلِكُ إِسْرائيلَ الرَّبّ فلا تَرَينَ شَرًّا مِن بَعدُ.
١٦في ذلِكَ اليَومِ يُقالُ لِأُورَشَليم:

(٦) كما ورد أعلاه: ٣/٢. يوضح الشرح مسبقاً طبيعة روح الفقر الذي سنجده في التطويبات.

«لا تَخافي ويا صِهْيونُ، لا تَستَرخِ يَداكِ
[١٧] في وَسَطِكِ الرَّبُّ إِلهُكِ الجَبَّارُ الَّذي يُخَلِّص
ويُسَرُّ بِكِ فَرَحاً ويُجَدِّدُكِ بِمَحَبَّتِه
ويَبتَهِجُ بِكِ بِالتَّهْليلِ [١٨] كما في أَيَّامِ العيد» .

قراءة لبني جيلنا

ان فِكرتَي الخطيئة والفقر هما مقدَّم للوحي ، ولا يسعنا أن نُهملهما .

• الخطيئة تصيب الله . الانسان العصري أكثر شعوراً بالضرر الذي تُلحقه الخطيئة به وبالآخرين . لكن بُعد الخطيئة الحقيقي هو صلتها بالله . فالخطيئة هي رفض لله ، لأن في كل خطيئة فعل كبرياء ، كما سيقول كاتب رواية الخطيئة الأصلية ، ذلك بأن الإنسان يظنّ أن في إمكانه أن يستغني عن الله .

• الفقر هو شعور باطني أكثر ممَّا هو حرمان مادي . لا شك أنه من الأسهل على المحروم من كل شيء أن يعترف بارتباطه بالله ، لكن الذي يعيش في البحبوحة لديه سُبل أخرى للشعور بذلك ، والحياة غالباً ما تذكّره به . ومع ذلك فلا شك أيضاً ان ذلك «الفقر» لا يُكتسَب إلاّ ببذل جهد طويل ، يستند الى قوة المسيح ونعمته .

سِفْرُ إرْمِيَا

المحيط

تنبَّأ إرمِيا من ٦٢٨ الى حوالي ٥٨٠. عاش في عهد يوشيَّا، على غرار صفَنْيا، ولكن من أوَّله الى آخره. وفضلاً عن ذلك، رأى نهاية الحكم الملكي الداودي: يوياقيم (٦٠٩ - ٥٩٨) ويوياكين (٥٩٨) وصِدقِيَّا (٥٩٨ - ٥٨٦). وفي الوقت نفسه تغيَّرت الساحة السياسية: انحطَّت أشّور فشُطبت للأبد من خريطة الأمم (الاستيلاء على نينوى في ٦١٢) وحلَّت بابل محلَّها. كانت أورشليم بين الدولة الجديدة ومصر، فأمست مجرَّد حجر في الشطرنج السياسي. وسُحقت الآن تحت السيطرة البابلية، فأخذت تحلم بالاستقلال. وبينما كان إرميا يحثّ على الخضوع، كان حزب «تحرير» يُشيد بالتحالف مع مصر. وفي السنة ٦٠١، وللمرَّة الأولى، جاء نبوكدنصَّر، ملك بابل (٦٠٤ - ٥٦٢)، فخضع له يوياقيم. وما ان انصرف ملك بابل حتى اندلعت الثورة، فعاد واستولى على المدينة المقدسة ونظَّم الجلاء الأول (٥٩٧). وبعد ذلك بقليل، نُظِّم تمرُّد أخير بتحريض من مصر، فكانت النهاية. بعد حصار دام ١٨ عشراً وتميَّز بالتدخّل من قبل مصر، دخل البابليون إلى أورشليم (٥٨٦). وذبحوا أبناء صِدقيَّا أمامه ثمَّ فقأوا عينيه وجرى بعد ذلك نهب البيوت والقصر والهيكل وتدميرها، وهُدمت جوانب من أسوار المدينة. وأخيراً، وفي قيظ شهر آب، سيق مجمل السكَّان إلى بابل. وبأمر من ملك بابل، أُطلق سراح إرميا. وكان جَدَلْيا يهودياً مناصراً لبابل، فأُقيم حاكماً على المنطقة، لكنه ما لبث أن قُتل، فأدَّى قتله إلى جلاء ثالث (٥٨٣؟). ولم يعرف إرميا هذا الجلاء الأخير، لان بعض اليهود رأوا أنهم متواطئون في مقتل الحاكم، فهربوا إلى مصر وأرغموا النبي على الفرار معهم.

هذا هو المحيط السياسي الذي عاش فيه إرميا . فالنبي شاهد نهاية الحكم الملكي الداودي . ومن الناحية الأخلاقية ، كان أكثر تشاؤماً من معاصره صفنيا . لكنه ، اذا صحَّ أنه انتقد اللاعدالة والظلم ، على غرار أسلافه ، يبدو من الأكيد أنه يلقي مسؤولية الانحطاط الأخلاقي على أكثر الطبقات الاجتماعية نفوذاً .

كان له ، على كل حال ، ما يغذّي به تشاؤمه . ففي بداية نشاطه النبوي ، سُرَّ بتأييد الاصلاح الذي أقدم عليه يوشيّا الفتى (٦٢٧) . وبعد ذلك بست سنوات ، تمَّ العثور على سفر تثنية الاشتراع في أثناء القيام بأشغال في الهيكل (٦٢١) . وبذلك عُزِّزت الحركة الإصلاحية ، فدُمِّرت المشارف وقُتل خَدَمُها . فاعتقد الناس بأن التجديد سيكون نهائياً . ولكن ، ويا للأسف ، مات الملك ، بعد نحو عشر سنين ، في معركة مجدُّو (٦٠٩) ، فعدَّ الشعب هذا الموت استنكاراً من قبل الله ، ان لم نقل عقاباً . وكان الانقلاب على ما سبق . ففي عهد يوياقيم ، استعادت العبادات الوثنية حظوتها . ولا شك ان صِدقِيّا كان يستشير إرميا ، لكنه كان أضعف من أن يأخذ بآرائه . كانت الجماهير تطالب بكلمة من الله ، ولكن شرط أن تماشي هذه الكلمة رغباتها . وكانت تكرِّم الهيكل ، ولكن كما يكرِّم الوثن . وكانت ممارسة الشريعة تُهمَل بوجه عام ، لا بل انحطَّ الحسّ الديني حتى ان بعضهم كانوا يفسّرون الكوارث القومية بأنها عقاب من الآلهة الوثنية !

الانسان

من هذه الناحية ، يُسهِّل عملنا ، فإن عناصر سيرة إرميا كثيرة بما يكفي ، لا بل نستفيد من إسراره ببعض حالاته النفسية . ولذلك نتوسَّع في المدخل والنصوص المستشهَد بها أكثر ممَّا توسَّعنا في درس سائر الأنبياء .

وُلد حوالى ٦٤٥ في أسرة كهنوتية بقرية عناتوت ، على بعد ٦ كيلومترات من أورشليم ، في حدود سبط بنيامين . دعاه الله الى القيام بالرسالة النبوية في ٦٢٨ . ويبدو أنه لم يكن صالحاً لذلك ، فإنه كان صبياً خجولاً ومعقَّداً . أراد ، على مثال أشعيا ، أن يقدِّم نفسه لله ، لكنه كان يخاف أن يقبل الله عَرضه . فسنجد دائماً في حياته النبوية تعارضاً بين حساسيته المتعطّشة إلى الحنان والاتّفاق مع جميع الناس والرسالة التي تقوم على التحطيم والتدمير . وأخيراً فإن تشاؤمه الفطري وعزلته الشخصية والمعارضة التي لقيها عند أكثر الناس ولَّدت فيه أزمات نستغرب عنفها ، ولكنها تقرِّبه إلينا . وكانت علاقاته مع الله حميمة جداً ، فقد كان يصلّي إليه ببساطة

ويناديه بدون مواربة. فيتأثّر تارةً بذكر الفرح الذي يشعر به في تبليغ كلمة الله، ويعنف تارة في لوم الله على تحميله إيّاه رسالة لم يكن صالحاً لها، ان لم نقل إنه يتساءَل في لحظة ألا يكون الله قد خدعه... من الراجح أنه أوشك ذات يوم أن ينسحب. لكن الله، بعد أن عامله بشيء من القساوة، وهبه دعوته مرّة ثانية (٦٠٠؟)، وكان قد تجاوز بقليل منتصف الطريق. في ذلك الوقت، ضُرب واُلقي القبض عليه في الهيكل وقُيِّد بسلاسل، وأحرق الملك صِدقِيّا سفر نبوءاته، وحارب التفاؤل الكاذب الذي أبداه النبي حننْيا. وكان عليه أيضاً ان يقاسي بعض الإهانات في أثناء حصار أورشليم (٥٨٧/٥٨٦): أن يُعدَّ فارًّا، في حين أنه كان يريد الذهاب إلى عائلته في مسألة تتعلّق بالميراث، وأن يُنزَل به الى قعر صهريج وَحلي وأن يتلقَّى تهديداً بالموت من بعض كبار الموظَّفين أو كبار الضبّاط. وقد أضاف الاستيلاء على أورشليم (٥٨٦) ألماً نفسياً بأن معاصريه اشتبهوا فيه لإطلاق سراحه، في حين أن قوافل المجلوّين كانوا يجرّون سلاسلهم الى بابل. وكأن ذلك لم يكن كافياً، فقد ذَهب به إلى مصر، بعد أن تجاوز الستّين، أناسٌ يطلبون إليه كلمة من قِبَل الله، مع أنهم كانوا يحترسون من الخضوع لها. كل ذلك يعني أنه سيموت عند ضفاف النيل، من دون أن يتمتّع بأي انتصار ظاهر، ومن دون أن يلقى أي سند غير سند أمين سره وصديقه باروك، ولا أي تأييد غير تأييد بعض الأشخاص القليلين الذين آمنوا برسالته.

ولكن الله كشف له عن نفسه من خلال ذلك العذاب المتواصل. فاستطاع أن يتخلّص عن طريق تلك المحن وبفضلها، كما جرى لهوشع من خلال حياته الزوجية، من الإفراط في ابتغاء نفسه، للتوصّل الى إيمان منقًّى تماماً، واكتشف، في الوقت نفسه، ما هو صميم طبيعة خدمة الله الحقيقية.

وهذا ما يفسّر لماذا كان لإرميا تأثير عميق في الأنبياء الذين جاءوا بعده، ولماذا عُدَّ أبا اليهودية الروحي ومهَّد للعهد الجديد المسيحي. وكما ان المجلوّين عاشوا في بابل من تعاليمه، كذلك انتظر اليهود، في أيام المسيح، عودته.

الرسالة

إن إرميا هو أحد الأنبياء الذين نلاحظ تواصل رسالتهم على أفضل وجه. حين نفتح مجموعة أقواله، قد نشعر لأوّل وهلة بأنه يكتفي بترديد أقوال أسلافه. فالفصل الثاني، وهو يروي مطلع خدمة إرميا النبوية، مميّز من هذه الناحية. نجد فيه موضوع الحب الزوجي، وهو موضوع عزيز على هوشع، وكذلك فكرة أمانته المرتبطة بحياة

البرّيّة. ونقع، بعد ذلك بقليل، على موضوع الكَرم الذي توسّع فيه أشعيا. والتهديدات من عبادة الأوثان هي أيضاً مجرَّد عودةٍ إلى تهديدات الأنبياء السابقين. وأخيراً، فإنّ التشديد على سموّ الله لا يضيف إلاّ القليل الى ما علّمه عاموس.

ومع ذلك، نرى ان شخصية إرميا تُثبَّت. سبق لأشعيا أن أظهر ان الملوك الوثنيين هم أدوات في يد الله. أمّا إرميا، فإنه يقول في نبوكدنصّر إنه «عبد». وبهذا المعنى يطالب بالخضوع لبابل. وسبق لصفَنْيا ان تكلّم على الخطيئة بصفتها تصيب الله. أمّا إرميا، فإنه يقول إنها مِقذف يرتدّ في آخر الأمر على الذين يرتكبونها. ويعتقد إرميا، خلافاً لما قاله عاموس، بأن التوبة أصبحت أمراً مستحيلاً.

وعن المشيحية الملكية، كما وجدناها في أقوال أشعيا، لم يُطل إرميا الكلام. وبدلَ الكلام على ساق الشجرة، يستعمل ارميا كلمة «أصل» (كُتب لهذه التسمية مستقبل على جانب من الاهمية) ويطلق عليه اسماً رمزياً لم يعد «عِمَّانويل» (الله معنا)، بل «الرب صِدقِنو» (= الرب برُّنا).

لكن ابتكار الرسالة هو في غير ذلك. كان إرميا سريع التأثُّر، فلم يَخْفَ عليه ما في المواقف البشرية من لاعدالة ظاهرة. وهو يتكلم، منذ مطلع خدمته النبوية، على قلّة نزاهة الأغنياء ويُنبئ بأن الله سيعاقبهم. وبعد ذلك بنحو خمس عشرة سنة، رأى أنه لم يتغيَّر شيء، فعرض لله مشكلة المكافأة. وانتقدته أسرته واضطهدته، فكان يتوقّع ان العقاب يُعيد الأمور الى نصابها، لكن «الكافرين يتمتّعون بالسلام»، في حين أنه هو، بعد أن خدم الرب على قدر إمكانه ولازم العزلة بسبب كلمة الله، لا يزال يتألّم، ولقد أمسى أضحوكة الآخرين! للمرّة الأولى تُطرح هذه المشكلة في العهد القديم.

وفي هذا المجال، أتى إرميا بحلّ من الحلول - فإن الله لم يكشف له عن الحلّ - ولكنّ هناك عنصراً جديداً. إلى ذلك الحين، كانت المكافأة جماعية وقومية، وكانوا يضربون هذا المثل: «الآباء أكلوا الحصرم، فأضرست أسنان البنين». غير أن الاعتراض جاء في أحد الأيام: ان كان الفرد غارقاً في المجموع، فما الفائدة في ممارسة الفضائل؟ لقد تطوَّر موقف إرميا في نهاية حياته من هذا الموضوع، فقال: «كل من أكل الحصرم، تُضرَس أسنانه». وسيتوسَّع تلميذه حزقيال في وجهة النظر هذه.

وهذه المشكلة، وهو لا يطرحها طرحاً نظرياً، بل يعيشها في شخصه، ترتبط ارتباطاً وثيقاً، في نظره، بهذه المشكلة الأخرى، وهي صلة الانسان بالله في حياته الدينية. إلى ذلك الحين، كانت هذه الحياة تقوم، في نظر الناس، على القيام ببعض الأعمال الخارجية، من طقسية وقانونية، كانت تساعد الإنسان على اتمام واجبه نحو

الله : فهناك الذبائح وأعياد الهيكل والختان وتأدية العُشر والقرابين. لكن النزعة السابقة كانت قد اشتدَّت في أيّام إرميا، فكانت الحياة الدينية منفصلة تماماً عن الحياة الأخلاقية، وأمسى الهيكل وثناً، وكان الناس يجدون فيه الأمان، حتى ولو كانوا قد سرقوا أو قتلوا أو زنوا أو أدّوا العبادة لآلهة وثنية. فكان ردّ فعل إرميا عنيفاً : تنبّأ بخراب الهيكل، وفي ذلك إشارة الى أن التديّن العميق غير مرتبط بأثر من الآثار، وإن كان أثرًا تركه سليمان. لكن النتيجة الفورية كانت مَنع النبي من الذهاب إلى الهيكل، وهو ألم يُضاف الى سائر الآلام. شعر إرميا بأن الحرمان من كل ليترجية خارجية لا تنال من انتمائه إلى الله، واكتشف بُعد الحياة الدينية الباطني : فليس العهد مجرَّد إعلان دُوِّن على حجر الوصايا العشر، بل هو، قبل كل شيء، علاقة شخصية بين الله والمؤمن. هو العهد الجديد الذي يظهر في الأفق. هذا هو أهم ما أَسهم فيه إرميا.

لكن ذلك الألم المتواصل وذلك الإخفاق التام، اللذَين ساعدا نفسه على استقصاء الامور وأنميا «الرحمة» التي طالب بها هوشع باسم الله، جعلا منه أباً ومعلّماً لـ«مساكين الرب» الذين تكلّم صفنيا عنهم. ومهما يكن من أمر دعوة إرميا المتكرّرة الى انتقام الله من أعدائه (انه ليس مسيحياً)، يبقى مثال البارّ الذي يتألّم في الزهد في النفس والحرمان من العزاء. ولذلك، سيقتبس سفر التعزية من أقواله كثيراً من الملامح لوصف العبد المتألّم.

مدخل

١ [١]كَلامُ إِرْمِيا بنِ حِلقِيَّا، مِنَ الكَهَنَةِ الَّذينَ في عَناتوتَ بِأَرضِ بَنْيامين، [٢]كانَت إِلَيه كَلِمَةُ الرَّبِّ في أَيَّامِ يوشِيَّا بنِ آمون، مَلِكِ يَهوذا، في السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشرَةَ مِن مُلكِه. [٣]ثُمَّ كانَت في أَيَّامِ يوياقيمَ بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، إِلى آخِرِ السَّنَةِ الحادِيَةَ عَشرَةَ لِصِدقِيَّا بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، إِلى جَلاءِ أُورَشَليمَ، في الشَّهرِ الخامِس.

١. دعوة إرميا وسعيه حتى العثور على سفر تـثنية الاشتراع

١. دعوة إرميا (٦٢٨)

يجدر الانتباه الى خوف الفتى ، فإن إيمانه غير كامل ، وهو يَعدّ هذه الدعوة قضية خاصّة به . وهذه الرسالة هي، في آن واحد ، سلبية وإيجابية . سيكون الله معه ، كما كان مع موسى ومع العذراء مريم .

[٤] فكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قائلاً : [٥] «قَبلَ أَن أُصَوِّرَكَ في البَطنِ عَرَفتُكَ
وقَبلَ أَن تَخرُجَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّستُكَ وجَعلتُكَ نَبِيًّا لِلأُمَم[١] .
[٦] فقُلتُ : «آهِ أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ .
هاءَنَذا لا أَعرِفُ أَن أَتَكَلَّمَ لِأَنِّي وَلَد» .
[٧] فقالَ لِيَ الرَّبّ : لا تَقُلْ : «إِنِّي وَلَد»
فإِنَّكَ لِكُلِّ ما أُرسِلُكَ لَه تَذهَب وكُلَّ ما آمُرُكَ بِه تَقول[٢] .
[٨] لا تَخَفْ مِن وُجوهِهم فإِنِّي مَعَكَ[٣] لِأُنقِذَكَ ، يَقولُ الرَّبّ.
[٩] ثُمَّ مَدَّ الرَّبُّ يَدَه ولَمَسَ فَمي وقالَ لِيَ الرَّبّ :
هاءَنَذا قد جَعَلتُ كَلامي في فَمِكَ .
[١٠] أُنظُر، إِنِّي أَقَمتُكَ اليَومَ على الأُمَمِ وعلى المَمالِك
لِتَقلَعَ وتَهدِم وتُهلِكَ وتَنقُض وتَبنِيَ وتَغرِس[٤] .
[١١] وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قائلاً : «ماذا أَنتَ ترى يا إِرميا ؟» فقُلتُ :

(١) ان الاختيار الإلهي هو خارجَ الزمان .
(٢) انه حَسَن الارادة ، ولكنه خوّيف . أمّا الله فهو كثير المطالب .
(٣) «إنّي معك» (راجع ٣/١١-٤/١٤) .
(٤) عمل تدمير وبناء .

«إنِّي راءٍ غُصنَ شَجرةٍ ساهِرَة» . [١٢]فقالَ لِيَ الرَّبّ : «قد أَحسَنتَ فيما رأَيتَ ، فإِنِّي أَنا ساهِرٌ[٥] على كَلِمَتي لِأَصنَعَها» .

[١٣]وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ ثانِيَةً قائلاً : «ماذا أَنتَ تَرى ؟» فقُلتُ : «إِنِّي أَرى قِدراً تَغْلي ووَجهُها مِن جِهَةِ الشَّمال» . [١٤]فقالَ لِيَ الرَّبّ :

مِنَ الشَّمالِ تَكونُ فاتِحَةُ الشَّرِّ على جَميعِ سُكَّانِ الأَرض
[١٥]لِأَنِّي هاءَنَذا داعٍ جَميعَ عَشائِرِ مَمالِكِ الشَّمال ، يَقولُ الرَّبّ
فيَأتونَ ويَنصِبُ كُلٌّ مِنهم عَرشَه عِندَ مَدخَلِ أَبوابِ أُورَشَليم
وعلى جَميعِ أَسْوارِها مِن حَولِها وعلى جَميعِ مُدُنِ يَهوذا .
[١٦]وأَتْلو علَيهم أَحْكامي على جَميعِ شَرِّهم لِأَنَّهم تَرَكوني
وأَحرَقوا البَخورَ لِآلِهَةٍ أُخْرى وسَجَدوا لِصُنعِ أَيديهم .
[١٧]وأَنتَ فاَشدُدْ حَقْوَيكَ وقُمْ وكَلِّمْهم بِكُلِّ ما آمُرُكَ بِه .
لا تَفزَعْ مِن وُجوهِهم وإِلاَّ أَفزَعتُكَ أَمامَهم .
[١٨]فإِنِّي هاءَنَذا قد جَعَلتُكَ اليَومَ مَدينَةً حَصينَةً وعَموداً مِن حَديد
وأَسْواراً مِن نُحاسٍ على كُلِّ الأَرض
على مُلوكِ يَهوذا ورُؤَسائِه وكَهَنَتِه وشَعبِ الأَرض
[١٩]فيُحارِبونَكَ ولا يَقوَونَ علَيكَ لِأَنِّي مَعَكَ ، يَقولُ الرَّبُّ ، لِأُنقِذَكَ .

٢. توبيخ يهوذا على عبادته للأوثان (٦٢٥)

في هذا الفصل نجد تواصل التعليم النبوي .

٢ [١]وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قائِلاً :

(٥) كلمة «شِقِد» تعني في آن واحد «سَهِرَ» و«شجرة اللوز» . جناس .

[٢]إذهَبْ واَصرُخْ على مَسامِعِ أُورَشَليمَ قائلاً :
هكذا قالَ الرَّبّ :
قد تَذَكَّرتُ لَكَ مَوَدَّةَ صِباكَ ، مَحَبَّةَ خِطبَتِكَ[٦]
لَمَّا كُنتَ تَسيرُ وَرائي في البَرِّيَّة في أَرضٍ لا زَرْعَ بِها .
[٣]كانَ إِسْرائيلُ قُدساً لِلرَّبّ وباكورَةَ غَلَّتِه .
كُلُّ الَّذينَ أَكَلوه أَثِموا وأَتى علَيهِمِ الشَّرُّ ، يَقولُ الرَّبّ .
[٤]إسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يا بَيتَ يَعْقوب ويا جَميعَ عَشائِرِ بَيتِ إِسْرائيل .
[٥]هكذا قالَ الرَّبّ : ماذا وَجَدَ فِيَّ آباؤُكم مِنَ الظُّلْم
حتَّى اَبتَعَدوا عنِّي وساروا وَراءَ الباطِلِ وصاروا باطِلاً[٧] ؟
[٦]ولم يَقولوا : «أَينَ الرَّبُّ الَّذي أَصعَدَنا مِن أرضِ مِصْر
وسارَ بِنا في البَرِّيَّة
في أَرضِ قِفارٍ وحُفَر، في أَرضٍ قاحِلَةٍ وظِلالِ مَوت
في أَرضٍ ما جاز فيها إِنْسان ولا سَكَنَها بَشَر ؟»
[٧]فقَد أَدخَلتُكم أَرضَ جِنان لِتَأكُلوا ثِمارَها وطَيِّباتِها
لكِنَّكم دَخَلتُم ونَجَّستُم أَرْضي وجَعلتُم ميراثي قَبيحَة .
[٨]الكَهَنَةُ لم يَقولوا : «أَينَ الرَّبّ ؟» وأَصْحابُ الشَّريعَةِ لم يَعرِفوني
والرُّعاةُ[٨] عَصَوني والأَنبِياءُ تَنَبَّأوا بِالبَعْل
وساروا وراءَ ما لا فائِدَةَ فيه .

(٦) موضوع الحب الزوجي (هوشع).
(٧) باطل = إشارة الى الآلهة الكاذبة.
(٨) الملوك والعظماء.

٩فلِذلك أَتَّهِمُكم، يَقولُ الرَّبّ وأَتَّهِمُ بَني بَنيكم.
١٠أُعبُروا إِلى جُزُرِ كِتِّيمَ[٩] وٱنظُروا
وأَرسِلوا إِلى قيدارَ[١٠] وتَبَيَّنوا مِن كَثَب
وٱنظُروا هل حَدَثَ مِثْلُ هذا.
١١هلِ استَبدَلَت أُمَّةٌ آلِهَتَها؟ مع أَنَّها لَيسَت بآلِهَة
أَمَّا شَعْبي فٱستَبدَلَ مَجدَه بِما لا فائِدَةَ فيه.
١٢تَعَجَّبي أَيَّتُها السَّمواتُ مِن هذا
وٱقشَعِرِّي وٱرتَعِبي جِدًّا، يَقولُ الرَّبّ:
١٣فإِنَّ شَعْبي صَنَعَ شَرَّين: تَرَكوني أَنا يَنْبوعَ المِياهِ الحَيَّة
وحَفَروا لِأَنفُسِهم آباراً، آباراً مُشَقَّقَةً لا تُمسِكُ الماء.
١٨والآنَ ما لَكِ وطَريقَ مِصْرَ لِتَشرَبي مِياهَ شيحور؟
وما لَكِ وطَريقَ أَشُورَ لِتَشرَبي مِياهَ النَّهْر[١١]؟
١٩إِنَّ شَرَّكِ يُؤَدِّبُكِ وٱرتِداداتِكِ تُبَكِّتُكِ
فٱعلَمي وٱنظُري أَنَّ تَركَكِ الرَّبَّ إِلهَكِ شَيءٌ سَيِّئٌ ومُرّ
وأَنَّ مَهابَتي لَيسَت فيكِ، يَقولُ السَّيِّدُ رَبُّ القُوَّات.
٢٠مُنذُ القِدَمِ كَسَرتِ نيرَكِ وقَطَعتِ رُبُطَكِ وقُلتِ: «لا أَخدُم»
فإِنَّكِ على كُلِّ تَلَّةٍ عالِيَة وتَحتَ كُلِّ شَجَرَةٍ خَضْراءَ
ٱضَّجَعتِ زانِيَة.

(٩) قبرس، وجزر بحر إيجي بتوسُّع.
(١٠) قبيلة بَدْو من عبر الاردن.
(١١) الفرات.

[٢١]وإنّي غَرَستُكِ أفضَلَ كَرمَةٍ[(١٢)] كُلُّها مِن زَرعٍ أصيل
فكَيفَ تَحَوَّلتِ لي إلى نَباتٍ بَرِّيٍّ وإلى كَرمَةٍ هَجينة ؟
[٢٢]إنَّكِ وإنِ آغتَسَلتِ بِالنَّطرون وأَكثَرتِ مِنَ الأَشْنان
لا تَزالينَ مُلَطَّخَةً بإِثمِكِ أَمامي، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ .
[٢٨]فأَينَ آلِهَتُكَ الَّذينَ صَنَعتَهم لَكَ ؟
فلْيَقوموا لَعَلَّهم يُخَلِّصونَكَ في وَقتِ بَلْواكَ
فإِنَّ آلِهَتَكَ يا يَهوذا هم على عَدَدِ مُدُنِكَ .
[٣١]أيُّها الجيل ، أُنظُروا إلى كَلِمَةِ الرَّبّ
هل كُنتُ قَفراً لإِسْرائيل أَم أَرضَ ظَلامٍ حالِك ؟
فما بالُ شَعْبي قال : «قد شَرَدْنا فلا نَعودُ نَأتي إِلَيكَ ؟»
[٣٢]أَتَنْسى العَذْراءُ حِليَتَها والعَروسُ زُنَّارَها ؟
أَمَّا شَعْبي فنَسِيَني أَيَّاماً لا تُحْصى .

٣. رؤيا أورشليم المشيحية (٥٨٦)

تدلّ هذه الفقرة على الانقلاب الذي طرأ على المجموعة ، فإن الفقرة ترقى الى عهد أحدث بكثير ، لكنها هامّة هنا ، فإن النبي يلمح اليوم الذي لن يكون فيه لعهد التابوت من وجود والذي يستعيد فيه الشعب الاسرائيلي وحدته .

٣ [١٤]إرجِعوا أَيُّها البَنونَ المُرتَدُّون ، يَقولُ الرَّبّ ، فإِنِّي سَيِّدٌ لكم ، فآخُذُكم واحِداً مِن مَدينَةٍ وآثنَينِ مِن عَشيرةٍ وآتي بِكم إلى صِهْيون ، [١٥]وأُعْطيكم رُعاةً على وَفقِ قَلْبي ، فيَرعَونَكم بِعِلمٍ وفِطنَة . [١٦]وحينَ

(١٢) موضوع الكَرْم (راجع اش ٥/١-٢٤).

تَكثُرونَ وتَنْمونَ في الأَرضِ في تِلكَ الأَيَّام، يَقولُ الرَّبّ، لا يَعودونَ يَقولون: «تابوتُ عَهدِ الرَّبّ[١٣]»، ولا يَخطُرُ لَهم بِبال، ولا يَذكُرونَه ولا يَفتَقِدونَه ولا يُصنَعُ غَيرُه مِن بَعدُ. [١٧]في ذلك الزَّمان، يَدْعونَ أُورَشَليمَ «عَرشَ الرَّبّ»، وتَجتَمِعُ إِلَيها كُلُّ الأُمَم بِآسمِ الرَّبّ في أُورَشَليم، ولا يَسيرونَ مِن بَعدُ على تَصَلُّبِ قُلوبِهمِ الشِّرِّيرة.

[١٨]في تِلكَ الأَيَّام، يَذهَبُ بَيتُ يَهوذا إِلى بَيتِ إِسْرائيل[١٤]، ويَأتونَ مَعاً مِن أَرضِ الشَّمالِ إِلى الأَرضِ الَّتي وَرَّثتُها لِآبائِكم.

٤. تهديد بالاجتياح (٦٢٥)

يرى إرميا عقاباً بشكل اجتياح: (شعب مجهول آتٍ من الشمال... في ٦٠٥. معركة كركميش). هم البابليون.

[٥]أَخبِروا في يَهوذا وأَسمِعوا في أُورَشَليم
تَكَلَّموا وآنفُخوا في البوقِ في الأَرض.
نادوا بِمِلءِ أَفْواهِكم وقولوا: إِجتَمِعوا فنَدخُلَ إِلى المُدُنِ الحَصينة.
[٦]إِرفَعوا الرَّايَةَ نَحوَ صِهْيون، أُهرُبوا ولا تَقِفوا
فإِنِّي جالِبٌ شَرًّا مِنَ الشَّمالِ وتَحْطيماً شَديداً.
[٧]طَلَعَ الأَسَدُ مِن دَغلِه ومُهلِكُ الأُمَم زَحَفَ وخَرَجَ مِن مَكانِه
لِيَجعَلَ أَرضَكَ دَماراً فتُخرَبُ مُدُنُكَ وتَبْقى مِن غَيرِ ساكِن.
[٨]لِذلك تَحَزَّموا بالمُسوحِ ونوحوا ووَلوِلوا

(١٣) أُحرق تابوت العهد مع الهيكل في ٥٨٦. (١٣) وكان عرشَ الرب. ولكن، بعد اليوم، أورشليم كلّها تحلّ محلّه.
(١٤) تجديد وحدة الشعب الإسرائيلي.

فإِنَّ آضطِرامَ غَضَبِ الرَّبِّ لم يَنصَرِفْ عنَّا .
[١٣]ها إِنَّه يَصعَدُ كغَمامٍ ومَركَباتُه كالزَّوبَعة
وخَيلُه أَخَفُّ مِن العُقْبان . وَيلٌ لَنا ، فلَقد دُمِّرْنا .
[١٤]إغسِلي مِنَ الشَّرِّ قَلبَكِ ، يا أُورَشَليمُ ، لِكَي تَخلُصي .
إِلى مَتى تَبيتُ في داخِلِكِ أَفكارُكِ الأَثيمة ؟
[١٩]وا أَحْشائي ، وا أَحشائي ، إِنِّي أَتَوَجَّع
وا جُدْرانَ قَلْبي ، إِنَّ قَلْبي يَجيشُ فِيَّ فلا أَسكُت !
لِأَنَّ نَفْسي قد سَمِعَت صوتَ البوقِ وهُتافَ القِتال .
[٢٠]قد نادوا بِتَحْطيمٍ على تَحْطيم لِأَنَّ الأَرضَ كُلَّها دُمِّرَت .
دُمِّرَت خِيامي بَغتَةً وجُلودي في لَحظَة .
[٢١]إلى مَتى أَرى الرَّايَةَ وأَسمَعُ صَوتَ البوق .
[٢٢]إِنَّ شَعْبي غَبِيٌّ وهم لا يَعرِفونَني
إِنَّما هم حَمْقى لا فَهمَ لَهم
هم ماهِرونَ بِالشَّرِّ ولا دِرايَةَ لَهم لِلخَير .
[٢٣]نَظَرتُ إِلى الأَرضِ فإِذا هي خاوِيَةٌ خالِية
وإِلى السَّمواتِ فلَم يكُنْ فيها مِن نور .
[٢٤]نَظَرتُ إِلى الجِبالِ فإِذا هي تَرتَجِف وجَميعُ التِّلالِ تَتزَعزَع .
[٢٥]نَظَرتُ فلم يَكُنْ إِنْسان وكُلُّ طُيورِ السَّماءِ قدِ آنهزَمَت .
[٢٦]نَظَرتُ فإِذا بالجَنَّةِ قد صارَت بَرِّيَّة
وجَميعُ مُدُنِها هُدِمَت مِن وَجهِ الرَّبّ ، مِن وَجهِ آضطِرامِ غَضَبِه .
[٢٧]فإِنَّه هكذا قالَ الرَّبّ : ستُدَمَّرُ الأَرضُ كُلُّها ، لكِنِّي لا أُفْنيها .

[٢٨] فلِذلك تَنوحُ الأَرضُ وتُظلِمُ السَّمواتُ مِن فَوق
لِأَنِّي قد تَكَلَّمتُ وعَزَمتُ فلا أَندَمُ ولا أَرجِعُ عنه .

٥. توبيخ يهوذا على تفشّي الظلم وفساد الاخلاق (٦٢٥).

يُطلق العنان هنا لتشاؤم إرميا. ولا بدّ من الانتباه الى اعتقاده بأن معرفة الله وشريعته هي أقرب إلى الوضع الطبيعي عند الطبقات الاجتماعية الرفيعة. وأخيراً، فإن كلمة الله هي نار في فم النبي.

٥ [١] طوفوا في شَوارِعِ أُورَشَليم
وآنظُروا وأَدرِكوا وفَتِّشوا في ساحاتِها
هل تَجِدونَ إِنساناً، هل يوجَدُ مَن يَعمَلُ لِلْحَقّ
ويَطلُبُ الأَمانَةَ فأَغْفِرَ لَها
[٢] فإِنَّهم، وإِن قالوا: «حَيٌّ الرَّبّ»، إِنَّما يَحلِفونَ زوراً.
[٣] أَيُّها الرَّبُّ، أَلَيسَت عَيناكَ على الأَمانة؟
قد ضَرَبتَهم فلَم يَشعُروا، أَفنَيتَهم فأَبَوا أَن يَقبَلوا التَّأديب
وصَلَّبوا وُجوهَهم أَكثَرَ مِن الصَّخر وأَبَوا أَن يَتوبوا.
[٤] فقُلتُ في نَفْسي: «إِنَّهم مَساكينُ حَمْقى
يَجهَلونَ طَريقَ الرَّبِّ وحَقَّ إِلهِنا
[٥] فأَذهَبُ إِلى العُظَماءِ وأُكَلِّمُهم
لِأَنَّهم يَعرِفونَ طَريقَ الرَّبِّ وحَقَّ إِلهِنا».
فإِذا هؤُلاءِ جَميعاً قد كَسَروا النِّيرَ وقَطَعوا الرُّبُط.
[٦] فلِذلكَ يَضرِبُهم أَسَدُ الغاب ويُدَمِّرُهم ذِئبُ القِفار
ويَسهَرُ النَّمِرُ حَولَ مُدُنِهم فكُلُّ مَن خَرَجَ مِنها يُفتَرَس

لِأَنَّ معاصِيَهم قد تَكاثَرَت وآرتِداداتِهم قد تَعاظَمَت
[٧]كَيفَ أَغفِرُ لَكِ وقد تَرَكَني بَنوكِ وحَلَفوا بِما لَيسَ إِلهاً
وحينَ أَشبَعتُهم فَسَقوا وإِلى بَيتِ الزَّانِيَةِ تَهافَتوا .
[٨]صاروا أَحصِنَةً مُغَلَّفَةً هائمة ، كُلٌّ يَصهَلُ على آمرَأَةِ قَريبِه .
[٩]أَفَلا أُعاقِبُ على هذه ، يَقولُ الرَّبّ
ولا تَنتَقِمُ نَفْسي مِن أُمَّةٍ مِثلِ هذه ؟
[١٢]جَحَدوا الرَّبَّ وقالوا : «لا وُجودَ لَه[(١٥)]
فلا يَنزِلُ بِنا شَرٌّ ولا نَرى سَيفاً ولا جوعاً .
[١٣]والأَنبِياءُ إِنَّما هم ريح والكَلِمَةُ لَيست فيهم
فَلْيَكُنْ ذلك نَصيبَهم» .
[١٤]لِذلك هكذا قالَ الرَّبُّ إِلهُ القُوَّات :
بِما أَنَّكم تَكَلَّمتُم بِهذا الكَلام
فهاءَنَذا أَجعَلُ كَلِماتي في فَمِكَ ناراً
وهذا الشَّعبَ حَطَباً فتَلتَهِمُه[(١٦)]
[٢٦]لِأَنَّه قد وُجِدَ بَينَ شَعْبي أَشْرار
يَرصُدونَ وهُم لاطِئونَ كالصَّيَّادين
قد نَصَبوا الفَخَّ فيَقتَنِصونَ النَّاس .
[٢٧]كالقَفَصِ المَمْلوءِ طُيوراً كذلك آمتَلأَت بُيوتُهم مِنَ الخِداع
فلِذلك عَظُموا وآغتَنَوا .

(١٥) ليس ذلك مجاهرة بالالحاد ، بل القول بأن الله لن يعاقب .
(١٦) يقارن ذلك برواية دعوته .

[٢٨] إِنَّهم سِمانٌ بَرّاقون وهم يَتَعَدَّونَ حُدودَ الشَّرّ
ولا يُنصِفونَ الحقَّ، حَقَّ اليَتيم ويَنجَحونَ
ولا يُجرونَ حُكمَ المَساكين.
[٢٩] أَعلى هذه لا أُعاقِبُ، يَقولُ الرَّبّ
ومِن أُمَّةٍ مِثلِ هذه لا تَنتَقِمُ نَفْسي؟

٦. ذمّ عبادة الهيكل عبادةً صنمية (٦٠٨)

راجع نتائج هذا التهجُّم، فهو سيكون حجر عثرة أمام جمهور الحُجَّاج

٧ [١] الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إِرميا مِن عِندِ الرَّبِّ قائلاً: [٢] «قِف بِبابِ بَيتِ الرَّبّ، ونادِ هُناكَ بِهذا الكلامِ، فتَقول: إِسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبِّ يا جَميعَ بَني يَهوذا الدَّاخِلينَ في هذه الأَبوابِ لِيَسجُدوا لِلرَّبّ: [٣] هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: أَصلِحوا طُرُقَكم وأَعْمالَكم، فأُسكِنَكم في هذا المَكان. [٤] لا تَتَّكِلوا على قَولِ الكَذِبِ قائلين: «هذا هَيكَلُ الرَّبِّ، هَيكَلُ الرَّبِّ، هَيكَلُ الرَّبّ». [٥] فإِنَّكم إِن أَصلَحتُم طُرُقَكم وأَعْمالَكم وأَجرَيتُمُ الحُكمَ بَينَ الإِنسانِ وقَريبِه، [٦] إِن لم تَظلِموا النَّزيلَ واليَتيمَ والأَرمَلَة، ولم تَسفِكوا الدَّمَ البَريءَ في هذا المَكان، ولم تَسيروا وَراءَ آلِهَةٍ أُخْرى لِشَرِّكم، [٧] فإِنِّي أُسكِنُكم في هذا المَكان، في الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها لِآبائِكم مِنَ الأَزَلِ إِلى الأَبَد. [٨] ها إِنَّكم تَتَّكِلونَ على كَلامِ الكَذِبِ الَّذي لا فائِدَةَ فيه. [٩] أَتَسرِقونَ وتَقتُلونَ وتَزْنونَ وتَحلِفونَ بِالزُّورِ وتُحرِقونَ البَخورَ لِلبَعلِ وتَسيرونَ وَراءَ آلِهَةٍ أُخْرى لم تَعرِفوها، [١٠] ثُمَّ تَأتونَ وتَقِفونَ أَمامي في هذا البَيتِ الَّذي دُعِيَ بِآسْمي، وتَقولون: «إِنَّنا مُنقَذون!» حتَّى

تَصنَعوا جَميعَ تِلكَ القَبائح؟ [١١]أفصارَ هٰذا البَيتُ الَّذي دُعِيَ بِٱسْمي مَغارةَ لُصوصٍ أَمامَ عُيونِكم؟[(١٧)] بل هذا ما رَأَيتُ أَنا، يَقولُ الرَّبّ.

[٢٥]مِن يَومَ خَرَجَ آباؤُكم مِن أَرضِ مِصرَ إِلى هذا اليَوم، ما زِلتُ أُرسِلُ إِلَيكُم جَميعَ عبيدِيَ الأَنبياءِ بِلا مَلَل[(١٨)]، [٢٦]فلَم يَسمَعوا لي ولم يُميلوا آذانَهم، بل صلَّبوا رِقابَهم، وزادوا في عَمَلِ الشَّرِّ على آبائِهم. [٢٧]فتُكَلِّمُهم بِهذه الكَلِماتِ كُلِّها فلا يَسمَعونَ لَكَ، وتَدْعوهم فلا يُجيبونَكَ. [٢٨]فتَقولُ لَهم: هذه هي الأُمَّةُ الَّتي لم تَسمَعْ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِها ولَم تَقبَلِ التَّأديب. قد ذَهَبَت عَنهُمُ الأَمانَةُ وٱنقَطَعَت عن أَفْواهِهم.

٢. وعظ إرميا بعد وفاة يوشيا، وأزمة في دعوته

١. للختان قيمة الى حدّ ما (٦٠٥)

لا قيمة لمؤسّسة من المؤسّسات إلاّ بالروح الذي يضعه فيها الذين يستخدمونها. سبق لإرميا أن عرض هذه الفكرة في كلامه على الهيكل. راجع أيضاً متى ٣/٩ وروم ٢/ ٢٥.

٩ [٢٤]ها إِنَّها تَأتي أَيَّامٌ، يَقولُ الرَّبّ، أُعاقِبُ فيها كُلَّ المَخْتونينَ في أَجْسادِهم: [٢٥]مِصرَ ويَهوذا وأَدومَ وبَني عَمُّونَ وموآب، وكُلَّ مَقْصوصي السَّوالِف[(١٩)]، السَّاكِنينَ في البَرِّيَّة، لِأَنَّ كُلَّ الأُمَمِ قُلْف، وكُلَّ بَيتِ إِسرائيلَ غُلْفُ القُلوب[(٢٠)].

(١٧) راجع متى ٢١/ ١٣.
(١٨) استمرار الحركة النبوية في إسرائيل.
(١٩) العرب.
(٢٠) ان ختان القلب يعادل التوبة (راجع روم ٢/ ٢٥-٢٩).

٢. إرميا يعاني الاضطهاد من قبل أسرته (٦٠٩)

كان إرميا قد أَيَّدَ الإصلاح الذي أقدم عليه الملك بعد العثور على سفر تثنية الاشتراع، فكان، ولا شك، موافقاً على إزالة مشرف عناتوت. فغضب عليه أبناء وطنه.

١١ [١٨]قد أَعلَمَني الرَّبُّ فعَلِمتُ. حينَئِذٍ أَرَيتَني أَعْمالَهم.

١٢ [٦]لِأَنَّه حتَّى إِخوَتُكَ وأَهلُ بَيتِ أَبيكَ هم أَيضاً غَدَروا بِكَ وصَرَخوا في إِثرِكَ بِمِلْءِ أَفْواهِهم، فلا تَأتَمِنْهم إِذا كَلَّموكَ بِالخَير.

١١ [١٩]وكُنتُ أَنا كَحَمَلٍ أَليفٍ يُساقُ إِلى الذَّبْح، ولم أَعلَمْ أَنَّهم فَكَّروا علَيَّ أَفْكاراً: «لِنُتلِفِ الشَّجَرَةَ مع ثَمَرِها ولْنَستَأصِلْه مِن أَرضِ الأَحْياء، ولا يُذكَرِ آسمُه مِن بَعدُ».

[٢٠]فيا رَبَّ القُوَّاتِ الحاكِمَ بِالبِرِّ الفاحِصَ الكُلى والقُلوب(٢١)
سأَرى آنتِقامَكَ مِنهم لِأَنِّي إِلَيكَ أَبَحتُ بِقَضِيَّتي.

[٢١]لِذلك هكذا قالَ الرَّبُّ على رِجالِ عناتوتَ الَّذينَ يَطلُبونَ نَفسَكَ قائلين: «لا تَتَنَبَّأْ بِآسمِ الرَّبّ، لِكَي لا تَموتَ بِأَيدينا». [٢٢]لِذلك هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: هاءَنَذا أُعاقِبُهم، فالشُّبَّانُ مِنهم يَموتونَ بِالسَّيف، وبَنوهم وبَناتُهم يَموتونَ بِالجوع، [٢٣]ولا تَكونُ مِنهم بَقِيَّة، لِأَنِّي أَجلُبُ شَرًّا على رِجالِ عناتوتَ في سَنَةِ مُعاقَبَتِهم.

٣. مشكلة سعادة الأشرار (٦٠٩)

كانت تلك المتاعب ثقيلة ولا شك، ولقد حملت النبي على طرح مشكلة المكافأة

(٢١) المشاعر والافكار.

على نفسه. وهكذا فللمرّة الأولى تُطرح في العهد القديم هذه المشكلة الأليمة. سُئل الله عنها فأجاب بقساوة وترك إرميا في الظلام.

١٢ [١]أبَرُّ أنتَ يا رَبُّ مِن أَن أتَّهِمَكَ
لَكِنِّي سأَتَكَلَّمُ معكَ بِما هو حَقّ.
لِماذا يَنجَحُ طَريقُ الأَشْرار ويَطمَئِنُّ جَميعُ الغادِرينَ غدراً؟
[٢]غَرَستَهم فتَأَصَّلوا ونَمَوا حتَّى أثمَروا.
أَنتَ قَريبٌ مِن أَفواهِهم وبَعيدٌ عن كُلاهم.
[٣]وأَنتَ يا رَبُّ قد عَرَفتَني ورَأَيتَني وآمتَحَنتَ قَلْبي لَدَيكَ.
إِفرِزْهِم كَغَنَمٍ لِلذَّبْح وخَصِّصهم لِيَومِ القَتْل.
[٤]إِلى مَتى تَنوحُ الأَرضُ ويَيبَسُ عُشبُ الحُقولِ كُلِّها؟
إِنَّها لِشَرِّ سُكَّانِها هَلَكَتِ البَهائِمُ والطُّيور.
لِأَنَّهم قالوا: لا يَرى مُستَقبَلَنا.
[٥]إِن كُنتَ جارَيتَ المُشاةَ فأَعيَوكَ فكَيفَ تُباري الخَيل؟
وإِن كُنتَ مُطمَئِنًّا في أَرضِ سَلام فكَيفَ تَفعَلُ في أَدْغالِ الأُردُنّ؟

٤. الحزام الذي تَلِف (٦٠٤)

١٣ [١]هكذا قالَ لِيَ الرَّبّ: «إِذهَبْ وآشتَرِ لَكَ حِزاماً مِن كَتَّان، وآشدُدْه على حَقْوَيكَ ولا تَضعْه في الماء». [٢]فآشتَرَيتُ الحِزامَ بِحَسَبِ كَلِمَةِ الرَّبّ، وشَدَدتُه على حَقْوَيَّ. [٣]فكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ ثانِيَةً قائِلاً: [٤]«خُذِ الحِزامَ الَّذي آشتَرَيتَه، الَّذي على حَقْوَيكَ، فقُمْ وآذهَبْ إِلى الفُرات، وأَخْفِه هُناكَ في نُخروبِ الصَّخْر». [٥]فذَهَبتُ وأَخفَيتُه عِندَ

الفُرات، كما أَمَرَني الرَّبّ. [٦]وبَعدَ أَيَّام كَثيرة، قالَ لِيَ الرَّبّ: «قُمْ فآذهَبْ إِلى الفُرات، وخُذْ مِن هُناكَ الحِزامَ الَّذي أَمَرتُكَ أَن تُخفِيَه هُناكَ». [٧]فذَهَبتُ إِلى الفُرات، وحَفَرتُ وأَخَذتُ الحِزامَ مِنَ المَوضِعِ الَّذي أَخفَيتُه فيه، فإِذا بِالحِزام قد تَلِف، فلم يَعُدْ يَصلُحُ لِشَيء. [٨]فصارَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٩]«هكَذا قالَ الرَّبّ: إِنِّي كذلك أُتلِفُ كِبرياءَ يَهوذا وكِبرياءَ أُورَشَليمَ العَظيمة. [١٠]وهذا الشَّعبُ الشِّرِّيرُ الَّذي يأبى أَن يَسمَعَ لِكَلامي، سائِراً على تَصَلُّبِ قَلْبه، ويَسيرُ وَراءَ آلِهَةٍ أُخْرى لِيَعبُدَها ويَسجُدَ لَها، يَكونُ مِثلَ هذا الحِزامِ الَّذي لم يَعُدْ يَصلُحُ لِشَيء. [١١]«فإِنَّه كما أَنَّ الحِزامَ يَلتَصِقُ بِحَقْوَيِ الإِنْسان، فكَذلك أَلصَقتُ بي جَميعَ بَيتِ إِسْرائيلَ وجَميعَ بَيتِ يَهوذا، يَقولُ الرَّبّ، لِيَكونوا لي شَعباً وآسماً وحَمداً وفَخراً، لكِنَّهم لم يَسمَعوا».

٥. صلاة أخرى لإرميا (؟٦٠٣)

ما أروع صلاة التشفّع هذه في بساطتها وتواضعها ورجائها.

١٤ [٧]إِن كانَت آثامُنا تَشهَدُ علَينا يا رَبُّ فلِأَجلِ آسمِكَ آفعَلْ
فإِنَّ آرتِداداتِنا قد كَثُرَت وإِلَيكَ خَطِئْنا.
[٨]يا رجاءَ إِسْرائيل ومُخَلِّصَه وَقتَ الضِّيق
لِماذا تَكونُ كنَزيلٍ في الأَرضِ وكمسافِرٍ يَميلُ إِلى مَبيت.
[٩]لِماذا تَكونُ كالرَّجُلِ المُتَحيِّر، كالجَبَّارِ الَّذي لا يَقدِرُ أَن يُخَلِّص
وأَنتَ فيما بَينَنا يا رَبّ وبِآسمِكَ دُعينا فلا تَتَخَلَّ عَنَّا.
[١٧]وتَقولُ لَهم هذا الكَلام:

لِتَذْرِفْ عَينايَ الدُّموعَ لَيلاً ونَهاراً ولا تَكُفَّا
فإِنَّ العَذْراءَ بِنتَ شَعْبي قد تَحَطَّمَت تَحْطيماً شَديداً
بِضَربَةٍ لا شِفاءَ مِنها .
[١٨]إن خَرَجتُ إِلى الحَقْلِ فإِذا القَتْلى بِالسَّيف
وإِن دَخَلتُ المَدينة فإِذا المُتَضَوِّرونَ جوعاً
فحَتَّى النَّبِيُّ والكاهِنُ طافا في الأَرضِ لا يَفهَمانِ شَيئاً .
[١٩]هل نَبَذتَ يَهوذا نَبْذاً وسَئِمَت نَفسُكَ صِهْيون ؟
ما بالُكَ ضَرَبتَنا فلا شِفاءَ لَنا ؟
إنتَظَرنا السَّلامَ فلا خَير، ووَقتَ الشِّفاءِ فإِذا الرُّعْب .
[٢٠]عَرَفْنا يا رَبُّ شَرَّنا وإِثمَ آبائِنا لِأَنَّنا إِلَيكَ خَطِئْنا .
[٢١]لا تَنبِذْنا لِأَجلِ آسمِكَ ولا تَستَخِفَّ بِعَرشِ مَجدِكَ[(٢٢)]
أُذكُرْ ولا تَنقُضْ عَهدَكَ مَعَنا .
[٢٢]هل بَينَ أَصْنامِ الأُمَمِ مَن يُمطِر أَم هلِ السَّمواتُ تَمنَحُ الرَّذاذ ؟
أَلَستَ أَنتَ الرَّبَّ إِلهَنا ؟
وإِيَّاكَ نَنتَظِرُ لِأَنَّكَ أَنتَ صَنَعتَ هذه جَميعَها .

٦. الله يجدّد دعوة نبيّه (٦٠٠)

أدّت المتاعب المتراكمة إلى أزمة في نفس إرميا. ولمّا أوشك على ترك رسالته، نادى الله فأنهضه بقوّة وجدّد له دعوته. ولكن لا بدّ من الانتباه الى التقدّم الذي أحرزه في الايمان بعد ٢٨ سنة: «ستصير كفمي».

١٥ [١٠]وَيلٌ لي يا أُمِّي لِأَنَّكِ وَلَدتِني

(٢٢) أورشليم.

رَجُلَ خِصامٍ ورَجُلَ نِزاعٍ لِلأَرضِ كُلِّها .
لم أُقرِضْ ولم يُقرِضْني أَحَد والكُلُّ يَلعَنُني .
[١١]قالَ الرَّبّ : إِنِّي مُقسِم : سأُحَرِّرُكَ لِخَيرِكَ
وأَجعَلُ العَدُوَّ يَتَضَرَّعُ إِلَيكَ في أَوانِ البَلْوى وأَوانِ الضِّيق
[١٥]إِنَّكَ يا رَبّ قد عَرَفتَني فآذكُرني وآفتَقِدْني
وآنتَقِمْ لي مِن مُضطَهِدِيَّ .
لا تَجعَلْني ضَحِيَّةً بِسَبَبِ طولِ أَناتِك.
اِعلَمْ أَنِّي آحتَمَلتُ العارَ لِأَجلِك .
[١٦]حينَ كانَت كَلِماتُكَ تَبلُغُ إِلَيَّ كُنتُ أَلتَهِمُها
فكانَت لي كَلِمَتُكَ سُروراً وفَرَحاً في قَلْبي
لِأَنِّي بِآسمِكَ دُعيتُ أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ القُوَّات .
[١٧]لم أَجلِسْ في جَماعةِ الضَّاحِكينَ مُمازِحاً
بل تَحتَ يَدِكَ جَلَستُ مُنفَرِداً لِأَنَّكَ مَلأتَني غَضَباً .
[١٨]لِماذا صارَ أَلَمي دائِماً وضَربَتي مُعضِلَةً تَأبى الشِّفاء؟
إِنَّكَ صِرتَ لي كيَنْبوعٍ كاذِب ، كمِياهٍ لا يُعتَمَدُ علَيها[٢٣] .
[١٩]لِذلك هكذا قالَ الرَّبّ : إِن رَجَعتَ أَرجَعتُكَ فتَقِفُ بَينَ يَدَيَّ
وإِن أَخرَجتَ النَّفيسَ مِنَ الخَسيسِ صِرتَ كفَمي
فهُم يَرجِعونَ إِلَيكَ وأَمَّا أَنتَ فلا تَرجِعُ إِلَيهم .

(٢٣) صورة لمجرى سواقي فلسطين، فهي كثيراً ما تكون ناشفة في الصيف ، فتمتلئ بسرعة عند هبوب العاصفة . يفكّر الانسان ان الماء سيجري ، لكن المجرى يعود ناشفاً بعد بضع ساعات. والمعنى هو التالي : أترى خدعني الله ؟

[٢٠] وسأجعَلُكَ تُجاهَ هذا الشَّعبِ سوراً مِن نُحاسٍ حَصيناً
فيُحارِبونَكَ ولا يَقدِرونَ علَيكَ
لِأَنِّي مَعَكَ لِأُخَلِّصَكَ وأُنقِذَكَ، يَقولُ الرَّبّ(٢٤).
[٢١] فسأُنقِذُكَ مِن أَيدي الأَشْرار وأَفتَديكَ مِن أَكُفِّ الظَّالِمين.

٧. إرميا آية (٦٤٠)

سيبقى النبي وحيداً، فلن يتزوّج ولن يشارك في الأحزان ولا في الأعياد. فيدلّ بذلك على أن ساعة العقاب قد اقتربت.

١٦ [١] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً: [٢] «لا تَتَّخِذْ لَكَ آمرَأَةً، ولا يَكُنْ لَكَ بَنونَ ولا بَناتٌ في هذا المَكان، [٣] فإِنَّه هكذا قالَ الرَّبُّ على البَنينَ والبَناتِ المَولودينَ في هذا المَكانِ وعلى أُمَّهاتِهم اللَّواتي وَلَدَتهم وآبائِهِمِ الَّذينَ وَلَدوهم في هذه الأَرض: [٤] إِنَّهم سيَموتونَ بِالأَمْراضِ ولا يُندَبونَ ولا يُدفَنون، بل يَكونونَ زِبلاً على وَجهِ الأَرض، ويَفنَونَ بِالسَّيفِ وبالجوع، وتَكونُ جُثَثُهم طَعاماً لِطُيورِ السَّماءِ وبَهائِمِ الأَرض.

[٥] فإِنَّه هكذا قالَ الرَّبّ: لا تَدخُلْ بَيتَ الحُزْن؟ ولا تَذهَبْ إِلَيه لِلنَّدْب، ولا تُعَزِّهم، فإِنِّي قد أَزَلتُ سَلامي عن هذا الشَّعب، يَقولُ الرَّبّ، ورَأفَتي ومَراحِمي، [٦] فيَموتُ الكِبارُ والصِّغارُ في هذه الأَرضِ ولا يُدفَنونَ ولا يُندَبون، ولا يُخَدِّشُ النَّاسُ أَنفُسَهم ولا يَحلِقونَ شَعرَهم لِأَجلِهم(٢٥)، [٧] ولا يَكسِرونَ خُبزاً في المَناحةِ تَعزِيَةً لَهم عنِ المَيْت، ولا يَسْقونَهم كأسَ السُّلْوانِ عن أَبٍ لَهم أَو أُمّ(٢٦).

(٢٤) الكلام نفسه في يوم الدعوة.
(٢٥) رُتَب مأتمية.

[٨]ولا تَدخُلْ بَيتَ المَأدُبَةِ لِتَجلِسَ معَهم وتَأكُلَ وتَشرَب ، [٩]فإنَّه هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات ، إلهُ إسْرائيل : هاءَنَذا مُبطِلٌ مِن هذا المَكانِ ، أمامَ عُيونِكم وفي أَيَّامِكم ، صَوتَ الطَّرَبِ وصَوتَ الفَرَح ، صَوتَ العَريسِ وصَوتَ العَروس .

٨. صلاة حِكَميَّة (٦٠٤)

١٧ [٥]هكذا قالَ الرَّبّ : مَلْعونٌ الرَّجُلُ الَّذي يَتَّكِلُ على البَشَر
ويَجعَلُ مِنَ اللَّحمِ ذِراعاً لَه وقَلبُه يَنصَرِفُ عنِ الرَّبّ .
[٦]فيَكونُ كالعَرعَرِ في البادِيَة فلا يَرى الخَيرَ إذا أَقبَل
بل يَسكُنُ الرَّمْضاءَ في البَرِّيَّة ، الأَرضَ المالِحَةَ الَّتي لا ساكِنَ فيها .
[٧]مُبارَكٌ الرَّجُلُ الَّذي يَتَّكِلُ على الرَّبّ ويَكونُ الرَّبُّ مُعتَمَدَه .
[٨]فيَكونُ كالشَّجَرَةِ المَغْروسَةِ على المِياه
تُرسِلُ أُصولَها إلى مَجْرى النَّهر فلا تَخافُ الحَرَّ إذا أَقبَل
بل يَبْقى وَرَقُها أَخضَر وفي سَنَةِ الجَفافِ لا خَوفَ علَيها
ولا تَكُفُّ عن إعطاءِ الثَّمَر .
[٩]القَلبُ أَخدَعُ كُلِّ شَيء وأَخبَثُه فمَن يَعرِفُه ؟
[١٠]أَنا الرَّبَّ أَفحَصُ القُلوبَ وأَمتَحِنُ الكُلى
فأَجْزي الإِنْسانَ بِحَسَبِ طُرُقِه وثَمَرِ أَعْمالِه .

(٢٦) مأدبة حُزن .

٩. إرميا عند الخزَّاف (٦٠٠)

هذا أحد الأمثال العملية الكثيرة التي سيقوم بها إرميا في أثناء خدمته النبوية. وهو يدل في آن واحد على حرية الله المطلقة وعلى عدله.

١٨ [١]الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إِرْمِيا مِن لَدُنِ الرَّبِّ قائلاً: [٢]«قُمْ وآنزِلْ إِلى بَيتِ الخَزَّاف، وهُناكَ أُسمِعُكَ كَلامي». [٣]فنَزَلتُ إِلى بَيتِ الخَزَّاف، فإِذا هو يَعمَلُ على المِخرَطَة، [٤]فوَقَعَ عُطلٌ في الإِناءِ الَّذي كانَ الخَزَّافُ يَصنَعُه مِنَ الطِّينِ في يَدِه، فعادَ وصَنَعَه إِناءً آخَرَ كما حَسُنَ في عَينَيه أَن يَصْنَعَه. [٥]فكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قائلاً: [٦]أَما أَستَطيعُ أَن أَصنَعَ بِكُم كهذا الخَزَّاف، يا بَيتَ إِسْرائيل، يَقولُ الرَّبّ؟ هُوَذا مَثَلُ الطِّينِ في يَدِ الخَزَّافِ مَثَلُكم في يَدي، يا بَيتَ إِسْرائيل. [٧]إِنِّي تارَةً أَتَكَلَّمُ على أُمَّةٍ وعلى مَملَكَةٍ لِأَقلَعَ وأَهدِمَ وأُهلِك، [٨]فإِن رَجَعَت تِلكَ الأُمَّةُ عن شَرِّها الَّذي بِسَبَبِه تَكَلَّمتُ علَيها، فإِنِّي أَندَمُ على الشَّرِّ الَّذي فَكَّرتُ في صُنعِه بِها، [٩]وتارَةً أَتَكَلَّمُ على أُمَّةٍ وعلى مَملَكَةٍ لِأَبنِيَ وأَغرِس، [١٠]فإِن صَنَعَتِ الشَّرَّ في عَينَيَّ ولم تَسمَعْ لِصَوتي، فإِنِّي أَندَمُ على الخَيرِ الَّذي قُلتُ إِنِّي أَصنَعُه إِلَيها. [١١]فالآنَ كَلِّمْ رِجالَ يَهوذا وسُكَّانَ أُورَشَليمَ قائِلاً: هكذا قالَ الرَّبّ: «هاءَنَذا أَنْوي علَيكم شَرًّا وأُفَكِّرُ علَيكم أَفْكاراً، فآرجِعوا كُلٌّ مِنكم عن طَريقِه الشِّرِّير، وأَصلِحوا طُرُقَكم وأَعْمالَكم». [١٢]فيَقولون: «قد يَئِسْنا، وإِنَّما نَسيرُ وَراءَ أَفْكارِنا، وكُلٌّ مِنَّا يَعملُ بِتَصَلُّبِ قَلبِه الشِّرِّير».

[١٨]فقالوا: «هَلُمُّوا نَتَآمَرُ على إِرْمِيا، فإِنَّ الشَّريعَةَ لا تَبيدُ بِلا كاهِن. ولا المَشورَةُ بِلا حَكيم، ولا الكَلِمَةُ بِلا نَبِيّ. هَلُمُّوا نَضرِبُه بِاللِّسانِ ولا

نُصْغي إِلى جَميعِ كَلِماتِه
[١٩]أَصْغِ أَنتَ يا رَبُّ إِلَيَّ وآسمَعْ أَصواتَ خُصومي.
[٢٠]أَيُجازى الخَيرُ بِالشَّرّ؟ فإِنَّهم حَفَروا حُفرَةً لِنَفْسي.
أُذْكُرْ أَنِّي وَقَفتُ أَمامَكَ
لِأَتَكَلَّمَ مِن أَجلِهم بِالخَير وأَصرِفَ عَنهم غَضَبَكَ.

١٠. الابريق المكسور (٦٠٠)

مثل عمليّ آخر. الإنباء واضح في هذه المرّة، فلا ينخدع أحد. لم يتأخّر ردّ فعل حرس الهيكل، لكن إرميا يكتفي بترداد رسالته وتوضيحها.

١٩ [١]هكذا قالَ الرَّبّ: إِذْهَبْ وآشتَرِ إِبْريقَ خَزَّاف، ومَعَكَ مِن شُيوخِ الشَّعبِ ومِن شُيوخِ الكَهَنَة، [٢]وآخرُجْ إِلى وادي آبنِ هِنُّومَ الَّذي عِندَ مَدخَلِ بابِ الفَخَّار، ونادِ هُناكَ بِالكَلامِ الَّذي أُكَلِّمُكَ بِه.

[١٠]ثُمَّ تَكسِرُ الإِبْريقَ على أَعيُنِ الرِّجالِ الذَّاهِبينَ مَعَكَ، [١١]وتَقولُ لَهم: هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: كذلِك أَكسِرُ هذا الشَّعبَ وهذه المَدينة، كما يُكسَرُ إِناءُ الخَزَّافِ الَّذي لا يُمكِنُ أَن يُجبَرَ مِن بَعدُ، ويَدفِنونَهم في توفَتَ لِأَنَّه لا مَكانَ لِلدَّفْن.

[١٤]وعادَ إِرمِيا مِن توفَتَ حَيثُ كانَ قد أَرسَلَه الرَّبُّ لِيَتَنَبَّأ، ووَقَفَ في فِناءِ بَيتِ الرَّبِّ وقالَ لِكُلِّ الشَّعْب: [١٥]«هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: هاءَنَذا أَجلُبُ على هذه المَدينَةِ وعلى جَميعِ تَوابِعِها كُلَّ الشَّرِّ الَّذي تَكَلَّمتُ بِه عَلَيها، لِأَنَّهم قَسَّوا رِقابَهم لِئَلاَّ يَسمَعوا لِكَلامي».

٢٠ [١]وإِنَّ الكاهِنَ فَشْحورَ بنَ إِمِّير، وهو الرَّئيسُ الأَوَّلُ في بَيتِ

الرَّبّ، سَمِعَ إرمِيا يَتَنَبَّأُ بِهذه الكَلِمات، [٢]فضَرَبَ فَشْحورُ إرمِيا النَّبِيّ، وجعَلَه في المِقطَرَةِ الَّتي بِباب بَنْيامينَ الأَعْلى الَّذي عِندَ بَيتِ الرَّبّ. [٣]وفي الغَدِ أَخرَجَ فَشْحورُ إرمِيا مِنَ المِقطَرَة. فقالَ لَه إرمِيا: «لَن يَدْعُوَ الرَّبُّ آسمَكَ فَشْحور، بل «هَولاً مِن كُلِّ جانِب»، [٤]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ: هاءَنَذا أُسلِمُكَ إِلى الهَول، أَنتَ وجَميعَ أَحِبَّائِكَ، فيَسقُطونَ بِسَيفِ أَعْدائِهم، وعَيناكَ تَريان، وأُسلِمُ يَهوذا كافَّةً إِلى يَدِ مَلِكِ بابِل، فيَجْلوهم إِلى بابِل ويَضرِبُهم بِالسَّيف. [٥]وأُسلِمُ كُلَّ ثَروَةِ هذه المَدينة وكُلَّ تَعَبِها وكُلَّ نَفائِسِها وكُلَّ كُنوزِ مُلوكِ يَهوذا إِلى أَيدي أَعْدائِها، فيَنهَبونَها ويَأخُذونَها ويَذهَبونَ بِها إِلى بابِل. [٦]وأَنتَ يا فَشْحورُ وجَميعُ سُكَّانِ بَيتِكَ تَمْضونَ إِلى الجلاء، وتَدخُلُ بابِل، وتَموتُ هُناكَ وتُدفَنُ هُناكَ أَنتَ وكُلُّ أَحِبَّائِكَ الَّذينَ تَنَبَّأتَ لَهم بِالكَذِب».

١١. تمرّد النبي في باطنه (٦٠٠)

نشعر هنا بالصراع الحميم بين الكلمة، وهي النار الملتهمة، ولكنها تولّد الألم عند إرميا، والحساسية الحيّة التي تبدو عاجزة عن المزيد من الاحتمال. سنلقى في سفر أيوب تمرّداً شبيهاً بهذا التمرّد.

[٧]قدِ استَغوَيتَني يا رَبُّ فآستُغْويتُ، قَبَضتَ علَيَّ فغَلَبتَ
صِرتُ ضُحكَةً كُلَّ النَّهار فكُلُّ واحِدٍ يَستَهزِئُ بي
[٨]لِأَنِّي كُلَّما تَكَلَّمتُ فإِنَّما أَصيحُ وأُنادي بِالعُنفِ والدَّمار
فصارَ لي كَلامُ الرَّبِّ عاراً وسُخرِيَّةً طولَ النَّهار.
[٩]فقُلتُ: لا أَذكُرُه ولا أَعودُ أَتَكَلَّمُ بِآسمِه
لكِنَّه كانَ في قَلْبي كنارٍ مُحرِقَةٍ قد حُبِسَت في عِظامي
فأَجهَدَني آحتِمالُها ولَم أَقْوَ على ذلك.

[١٠]سَمِعتُ النَّميمَةَ مِنَ الكَثيرين:
«الهَولَ مِن كُلِّ جانِب! اِشتَكوا فنَشتَكيَ علَيه»
أَصدِقائي الحَميمونَ كُلُّهم يَتَرَقَّبونَ سُقوطي:
«لَعَلَّه يُستَغْوى فنَقْوى علَيه ونَنتَقِمُ مِنه».
[١١]لكِنَّ الرَّبَّ معي كجَبَّارٍ مُخيف
فلِذلك يَسقُطُ مُضطَهِدِيَّ ولا يَقْوَون.
يَخزَونَ لِأَنَّهم لا يَنجَحون وخَجلُهم يَبْقى لِلأَبَدِ ولا يُنْسى.
[١٢]فيا رَبَّ القُوَّاتِ فاحِصَ البارّ وناظِرَ الكُلى والقُلوب
سأَرى آنتِقامَكَ مِنهم لِأَنِّي إِلَيكَ أَبَحتُ بِقَضِيَّتي.
[١٣]أَنشِدوا لِلرَّبِّ، سَبِّحوا الرَّبّ
لِأَنَّه أَنقَذَ نَفسَ المِسْكين مِن أَيدي فاعِلي الشَّرّ.
[١٤]مَلْعونٌ اليَومُ الَّذي وُلِدتُ فيه
اليَومُ الَّذي وَلَدَتني فيه أُمِّي لا يَكُن مُبارَكاً
[١٥]مَلْعونٌ الإِنْسانُ الَّذي بَشَّرَ أَبي قائِلاً:
«وُلِدَ لَكَ آبنٌ ذَكَر» وغَمَرَه بِالفَرَح
[١٦]ولْيَكُنْ ذلك الإِنْسانُ كالمُدُنِ الَّتي قَلَبَها الرَّبُّ ولم يَندَم
ولْيَسمَعِ الصُّراخَ في الصَّباح والهُتافَ عِندَ الظَّهيرَة
[١٧]لِأَنَّه لم يُمِتْني مِنَ الرَّحِم
حتَّى تَكونَ لي أُمِّي قَبراً ورَحِمُها حامِلاً لِلأَبَد.
[١٨]لِماذا خَرَجتُ مِنَ الرَّحِم لِأَرَى المَشَقَّةَ والحَسرَة
وتَفْنى أَيَّامي في الخِزْي؟

١٢. قول على يوياقيم (٦٠٥)

٢٢ [١]هكذا قالَ الرَّبّ : اِنزِلْ إِلى بَيتِ مَلِكِ يَهوذا ، وتَكَلَّمْ هُناكَ بِهذا الكَلام ، [٢]وقُلْ : اِسمَعْ كَلِمَةَ الرَّبّ ، يا مَلِكَ يَهوذا ، الجالِسَ على عَرشِ داود ، أَنتَ وعَبيدُكَ وشَعبُكَ الدَّاخِلونَ مِن هذه الأَبْواب . [٣]هكذا قالَ الرَّبّ : أَجْروا الحُكمَ والبِرَّ وأَنقِذوا المَسْلوبَ مِن يَدِ الظَّالِم ، ولا تَتَحاملوا على النَّزيلِ واليَتيم والأَرمَلَة ، ولا تُعَنِّفوهم ، ولا تَسفِكوا الدَّمَ الزَّكِيَّ في هذا المَكان . [٤]فإِنَّكم ، إِن عَمِلتُم بِهذا الكَلام ، فمُلوكٌ جالِسونَ على عَرشِ داوُد ، راكِبونَ على مَركَباتٍ وخَيل ، يَدخُلونَ مِن أَبْوابِ هذا البَيت ، هم وعَبيدُهم وشَعبُهم . [٥]وإِن لم تَسمَعوا هذا الكَلام ، فبِنَفْسي أَقسَمتُ ، يَقولُ الرَّبّ ، إِنَّ هذا البَيتَ يَكونُ خَراباً .

[١٣]وَيلٌ لِمَن يَبْني بَيتَه بِغَيرِ بِرّ وعُلِّيَّاتِه بِغَيرِ حَقّ
ويَستَخدِمُ قَريبَه بِلا أُجرَة ولا يُعْطيه ثَمَنَ عَمَلِه
[١٤]ويَقول : «أَبْني لي بَيتاً واسِعاً وعُلِّيَّاتٍ فَسيحة»
ففَتَحَ لِنَفْسِه النَّوافِذَ وسَقَّفَه بِالأَرزِ ودَهَنَه بِالأَحمَر
[١٥]أَيَكونُ مُلكُكَ بِأَن تُفاخِرَ بِالأَرْز ؟
أَما أَكَلَ أَبوكَ وشَرِب وأَجْرى الحَقَّ والبِرّ
وحينَئِذٍ طابَ لَه كُلُّ شَيء؟
[١٦]لَقَد أَجْرى الحُكمَ لِلْبائِسِ والمِسْكين وحينَئِذٍ كانَ كُلُّ شَيءٍ حَسَناً
أَلَيسَت هذه هي المَعرِفَةُ لي ؟ يَقولُ الرَّبّ .
[١٧]أَمَّا أَنتَ فإِنَّما عَيناكَ وقَلبُكَ على المَكاسِبِ
وسَفكِ الدَّمِ البَريء والظُّلمِ والعُنْفِ لِاَرتِكابِهما .

[١٨]لِذلك هكذا قالَ الرَّبُّ لِيوياقيمَ بنِ يوشِيَّا مَلكِ يَهوذا :
لا يَندُبونَه قائلين : «آهاً يا أَخي أو آهاً يا أُخْتي !»
ولا يَندُبونَه قائلين : «آهاً واسَيِّداه أو آهاً وا جَليلاه !»
[١٩]بل يُطمَرُ طَمرَ الحِمارِ مَجْروراً مَطْروحاً بَعيداً عن أَبْوابِ أُورَشَليم .

٣. إعداد المستقبَل

هذا هو النصّ الذي نشعر فيه بماذا تتمثّل دعوة إرميا : القَلْع والقَلْب ، والبناء والغَرْس .

١. الملك المشيح (٥٨٩)

سبق لميخا ان استخدم صورة الراعي للدلالة على المشيح . وارميا يعود الى هذه الصورة . وفي معالجة الموضوع ، ينبئ بما سنراه عند حزقيال . وفضلاً عن ذلك يسمّى المشيح باسم «الأصل» الذي سيصبح عند زكريا اسم علَم .

٢٣ [١]وَيلٌ لِلرُّعاةِ الَّذينَ يُبيدونَ ويُشَتِّتونَ غَنَمَ رَعِيَّتي ، يَقولُ الرَّبّ . [٢]لِذلِك هكذا تَكَلَّمَ الرَّبُّ ، إِلهُ إِسْرائيل ، على الرُّعاةِ الَّذينَ يَرعَونَ شَعْبي[(٢٧)] : إِنَّكم قد شَتَّتُّم غَنَمي وطَرَدتُموها ولم تَفتَقِدوها . فهاءَنَذا أَفتَقِدُ علَيكم شَرَّ أَعْمالِكُم ، يَقولُ الرَّبّ ، [٣]وأَجمَعُ بَقِيَّةَ غَنَمي مِن جَميعِ الأَراضي الَّتي طَرَدتُها إِلَيها ، وأَرُدُّها إِلى مَراعيها ، فتُثمِرُ وتَكثُر . [٤]وأُقيمُ علَيها رُعاةً يَرعَونَها ، فلا تَعودُ تَخافُ وتَفزَع ، ولا يَكونُ مِنها مَفْقود ، يَقولُ الرَّبّ .

[٥]ها إِنَّها ستأتي أَيَّامٌ ، يَقولُ الرَّبّ ، أُقيمُ فيها لِداوُدَ نَبْتاً بارًّا
ويَملِكُ مَلِكٌ يَتَصَرَّفُ بِفِطنَة ويُجرِي الحُكمَ والبِرَّ في الأَرض .

(٢٧) الملوك .

[٦] في أَيَّامِه يُخَلَّصُ يَهوذا ويَسكُن إِسْرائيلُ في أَمان.
والِاسمُ الَّذي سيُدْعى بِه هو «الرَّبُّ بِرُّنا».

[٧] لِذلك ها إِنَّها ستَأتي أَيَّام، يَقولُ الرَّبّ، لا يَقولونَ فيها مِن بَعدُ: «حَيٌّ الرَّبُّ الَّذي أَصعَدَ بَني إِسْرائيلَ مِن أَرضِ مِصْر»، [٨] بل: «حَيٌّ الرَّبُّ الَّذي أَصعَدَ ذُرِّيَّةَ بَيتِ إِسْرائيل، وأَتى بِهم مِن أَرضِ الشَّمالِ ومِن جَميعِ الأَراضي الَّتي دَفَعتُهم إِلَيها، فسَكَنوا في أَرضِهم».

٢. قفّتا التين (٥٩٣)

يفكّر إرميا في المستقبل وفي التجديد المُقبل. منذ ٥٩٧، يعيش مجلوُّون في بابل، وعليهم يعتمد. وفي الرؤيا، يرى إرميا في التّين الخبيث من ظلّوا في أورشليم يمارسون سياسة سيّئة، من دون أن يبالوا بالحياة الدينية.

٢٤ [١] أَرانِيَ الرَّبُّ قُفَّتَي تينٍ مَوضوعَتَينِ أَمامَ هَيكَلِ الرَّبّ، بَعدَ أَن جَلا نَبوكَدنَصَّر، مَلِكُ بابِل، يَكُنْيا بنَ يوياقيم، مَلِكَ يَهوذا، ورُؤَساءَ يَهوذا والحَدَّادينَ والقَفَّالينَ مِن أُورَشَليم، وأَتى بِهم إِلى بابِل. [٢] وكانَ في القُفَّةِ الأُولى تينٌ طَيِّبٌ جِدًّا كباكورَةِ التِّين، وفي القُفَّةِ الثَّانِيَةِ تينٌ خَبيثٌ جِدًّا لا يُمكِنُ أَكلُه مِن خَباثَتِه. [٣] فقالَ لِيَ الرَّبّ: «ماذا تَرى يا إِرميا؟» فقُلتُ: «تيناً، التِّينُ الطَّيِّبُ مِنه طَيِّبٌ جِدًّا، والخَبيثُ خَبيثٌ جِدًّا لا يُمكِنُ أَكلُه مِن خَباثَتِه». [٤] فكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً: [٥] هكذا قالَ الرَّبّ، إِلهُ إِسْرائيل: مِثْلَ هذا التِّينِ الطَّيِّبِ أَجعَلُ نَظَري إِلى مَجلُوِّي يَهوذا الَّذينَ أَرسَلتُهم مِن هذا المَكانِ إِلى أَرضِ الكَلْدانِيِّينَ لِخَيرِهم، [٦] وأَجعَلُ عَينَيَّ علَيهم لِخَيرِهم، وأُرجِعُهم إِلى هذه الأَرض، وأَبْنيهم ولا أَهدِمُهم، وأَغرِسُهم ولا أَقلَعُهم. [٧] وأُعطيهم قَلباً لِيَعرِفوا أَنِّي أَنا الرَّبّ، ويَكونونَ لي

شَعباً وأَكونُ أَنا لَهم إِلهاً(٢٨)، لِأَنَّهم يَرجِعونَ إِلَيَّ بِكُلِّ قُلوبِهم. [٨]أَمَّا التِّينُ الخَبيثُ الَّذي لا يُمكِنُ أَكلُه مِن خَباثَتِه، فهكَذا قالَ الرَّبّ: كذلك أَجعَلُ صِدقِيَّا، مَلِكَ يَهوذا، ورُؤَساءَه وبَقِيَّةَ أُورَشَليم، الَّذينَ بَقوا في هذه الأَرضِ والسَّاكِنينَ في أَرضِ مِصر(٢٩)، [٩]أَجعَلُهم مَوضِعَ رُعبٍ وبَلْوى لِجَميعِ مَمالِكِ الأَرض، وعاراً ومَثَلاً وأُحْدوثَةً ولَعنَةً في جَميعِ الأَماكِنِ الَّتي دَفَعتُهم إِلَيها. [١٠]وأُرسِلُ علَيهِم السَّيفَ والجوعَ والطَّاعونَ، حتَّى يَفنَوا في الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها لَهم ولِآبائِهم.

٣. الإنباء بمجيء نبوكدنصَّر (٦٠٥)

٢٥ [١]الكَلِمَةُ الَّتي كانت إِلى إِرميا على كُلِّ شَعبِ يَهوذا في السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِيوياقيمَ بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، (وهيَ السَّنَةُ الأُولى لِنَبوكَدنَصَّر، مَلِكِ بابل). [٢]تَكَلَّمَ بِها إِرميا النَّبِيُّ على كُلِّ شَعبِ يَهوذا وجَميعِ سُكَّانِ أُورَشَليم، قائِلاً:

[٣]مِنَ السَّنَةِ الثَّالِثَةَ عَشرَةَ لِيوشِيَّا بنِ آمون، مَلِكِ يَهوذا، إِلى هذا اليَوم، هذه هيَ الثَّالِثَةُ والعِشْرونَ الَّتي فيها كانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبّ، فكَلَّمتُكم بِلا مَلَل، (ولم تَسمَعوا. [٤]وقَد أَرسَلَ الرَّبُّ إِلَيكم كُلَّ عَبيدِه الأَنبِياء، فلَم تَسمَعوا ولَم تُميلوا آذانَكم لِتَسمَعوا). [٥]قُلتُ: إِرجِعوا كُلُّ واحِدٍ عن طَريقِه الشِّرِّيرِ وعن شَرِّ أَعْمالِكُم، فتَسكُنونَ في الأَرضِ الَّتي أَعْطاها الرَّبُّ لكم ولِآبائِكم مِنَ الأَزَلِ إِلى الأَبَد [٦](ولا تَسيروا وَراءَ آلِهَةٍ

(٢٨) صيغة العهد النبوية.

(٢٩) يرجَّح انهم يهوديون لجأوا الى مصر.

أُخْرى لِتَعْبُدوها وتَسجُدوا لَها، ولا تُسخِطوني بِصُنعِ أَيديكم فلا أُسيءَ إِلَيكم)، [٧]فلم تَسمَعوا لي (يَقولُ الرَّبّ، إِسْخاطاً لي بِصُنْعِ أيديكم لِبَلْواكم).

[٨]لِذلك هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: بِما أَنَّكم لم تَسمَعوا لِكَلامي، [٩]فهاءَنَذا أُرسِلُ وآخُذُ جَميعَ عَشائِرِ الشَّمال، (يَقولُ الربّ، حَولَ نَبوكَدنَصَّر، مَلِكِ بابِل، عَبْدي) وآتي بِها على هذه الأَرضِ وعلى جَميعِ سُكَّانِها (وعلى هذه الأُمَمِ مِن حَولِها) وأُحَرِّمُهم وأَجعَلُهم دَهَشاً وصَفيراً وأَخرِبَةً أَبَدِيَّة، [١٠]وأُزيلُ مِنهم صَوتَ الطَّرَبِ وصَوتَ الفَرَح، صَوتَ العَريسِ وصَوتَ العَروس، صَوتَ الرَّحى ونورَ السِّراج. [١١]وتَكونُ هذه الأَرضُ كُلُّها خَراباً ودَهَشاً، وتُستَعبَدُ هذه الأُمَمُ لِمَلِكِ بابِلَ سَبْعينَ سَنَة.

٤. قول على الهيكل (٦٠٨)

هذا القول جاء قبل الأقوال السابقة، يجب وصله بـ ١٤/٣ – ١٨ و٩/٢٤ – ٢٥ وهما يدلاّن على أنّ لتابوت العهد والختان قيمة محدودة. أمّا هنا فنحن أمام قول ثوروي فإن إرميا يصرّح بأن الله سيدمّر هيكل أورشليم. وبذلك يمهّد الى فكرة الهيكل الروحي الذي هو ناسوت المسيح.

٢٦ [٢]هكذا قالَ الرَّبّ: قِفْ في دارِ بَيتِ الرَّبّ، وتَكَلَّمْ على جَميعِ مُدُنِ يَهوذا القادِمَةِ لِلسُّجودِ في بَيتِ الرَّبّ، بِجَميعِ الكَلامِ الَّذي أَمَرتُكَ أَن تُكَلِّمَهم بِه ولا تُسقِطْ كَلِمَةً، [٣]لَعَلَّهم يَسمَعونَ ويَرجِعونَ، كُلٌّ مِنهم عن طَريقِه الشِّرِّير، فأَندَمَ على الشَّرِّ الَّذي أَنا نَوَيتُ أَن أَصنَعَه بهم بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمالِهم، [٤]وقُلْ لَهم: هكذا قالَ الرَّبّ: إِن لم تَسمَعوا لي فتَسيروا على شَريعَتيَ الَّتي جَعَلتُها أَمامَكم، [٥]وتَسمَعوا لِكَلامِ عَبيدِيَ الأَنبِياءِ

الَّذينَ أَرسَلتُهم إِلَيكم بِلا مَلَل ولَم تَسمَعوا لَهم، [٦] فإِنِّي أَجعَلُ هذا البَيتَ نَظيرَ شيلو[٣٠]، وأَجعَلُ هذه المَدينَةَ لَعنَةً لِجَميعِ أُمَمِ الأَرض.

[٧] فسَمِعَ الكَهَنَةُ والأَنبِياءُ وكُلُّ الشَّعبِ إِرميا يَتَكَلَّمُ بِهذا الكَلامِ في بَيتِ الرَّبّ. [٨] فلَمَّا فَرَغَ إِرميا مِنَ التَّكَلُّمِ بِجَميعِ ما أَمَرَه الرَّبُّ أَن يُكَلِّمَ بِه الشَّعبَ كُلَّه، قَبَضَ علَيه الكَهَنَةُ والأَنبِياءُ وكُلُّ الشَّعبِ وقالوا: «لَتموتَنَّ مَوتاً! [٩] لِماذا تَنَبَّأتَ بِآسمِ الرَّبِّ قائِلاً: إِنَّ هذا البَيتَ يَكونُ نَظيرَ شيلو وهذه المَدينةَ تَصيرُ خَراباً لا ساكِنَ فيها؟». وآجتَمَعَ الشَّعبُ كُلُّه على إِرميا في بَيتِ الرَّبّ. [١٠] فسَمِعَ رُؤَساءُ يَهوذا بِهذا الكَلام، فصَعِدوا من بَيتِ المَلِكِ إِلى بَيتِ الرَّبّ، وجَلَسوا[٣١] في مَدخَلِ بابِ الرَّبِّ الجَديد. [١١] فقالَ الكَهَنَةُ والأَنبِياءُ لِلرُّؤَساءِ ولِكُلِّ الشَّعب: «إِنَّ هذا الرَّجُلَ يَستَوجِبُ المَوت، لأَنَّه تَنَبَّأَ على هذه المَدينةِ كما سَمِعتُم بِآذانِكم». [١٢] فأَجابَ إِرميا جَميعَ الرُّؤَساءِ وكُلَّ الشَّعْبِ قائِلاً: «إِنَّ الرَّبَّ قد أَرسَلَني لِأَتَنَبَّأَ على هذا البَيتِ وعلى هذه المَدينَةِ بِجَميعِ الكَلامِ الَّذي سَمِعتُموه. [١٣] فالآنَ أَصلِحوا طُرُقَكم وأَعْمالَكم وآسمَعوا لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِكم، فيَندَمَ الرَّبُّ على الشَّرِّ الَّذي تَكَلَّمَ بِه عَلَيكم. [١٤] أَمَّا أَنا فهاءَنَذا في أَيديكم، فآصنَعوا بي كما يَصلُحُ ويَحسُنُ في أَعيُنِكم. [١٥] لكِنِ آعلَموا يَقيناً أَنَّكم، إِن قَتَلتُموني، تَجعَلونَ دَماً بَريئاً عَلَيكم وعلى هذه المَدينةِ وعلى سُكَّانِها، لِأَنَّ الرَّبَّ أَرسَلَني حَقًّا إِلَيكم لِأَتَكَلَّمَ على مَسامِعِكم بِهذا الكَلامِ كُلِّه».

(٣٠) كان تابوت العهد في شيلو على أيام صموئيل. لكن الفلسطينيين دمَّروا المقدس فيما بعد.

(٣١) لمحاكمة إرميا.

[١٦]فقالَ الرُّؤَساءُ وكُلُّ الشَّعبِ لِلكَهَنَةِ والأَنبِياء: «هذا الرَّجُلُ لا يَستَوجِبُ حُكمَ المَوت، لِأَنَّه بِآسمِ الرَّبِّ إِلهِنا كَلَّمَنا». [١٧]فقامَ رِجالٌ مِن شُيوخِ تِلكَ الأَرضِ وكَلَّموا كُلَّ جَماعةِ الشَّعبِ قائلين: [١٨]«إِنَّ ميخا المورَشْتِيَّ تَنَبَّأَ في أَيَّامِ حِزقِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، وكَلَّمَ كُلَّ شَعبِ يَهوذا قائِلاً:

هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: صِهْيونُ كحَقْلٍ تُحرَث
وأُورَشَليمُ أَطْلالاً تَصير، وجَبَلُ البَيتِ مَشارِفَ غاب[٣٢].

[١٩]أَفأَماتَه حِزقِيَّا، مَلِكُ يَهوذا وكُلُّ يَهوذا؟ أَما خَشِيَ الرَّبَّ وآستَرْضى وَجهَ الرَّبّ، فنَدِمَ الرَّبُّ على الشَّرِّ الَّذي تَكَلَّمَ بِه علَيهم؟ أَمَّا نَحنُ فإِنَّنا الجالِبونَ على نُفوسِنا شَرًّا عَظيماً»... وكانَ مع إِرْمِيا يَدُ أَحيقامَ بنَ شافان، لِئَلاَّ يُسلَمَ إِلى أَيدي الشَّعبِ فيَقتُلوه.

٥. مشادَّة مع حنَنْيا (٥٩٣)

في هذه الحادثة المأسوية، نشعر بألم من آلام النبي، وهو وجوب الإنباء بـ«البؤس والدمار»، في حين أن الآخرين يتباهون بوحي كاذب فيعلنون السعادة والنجاة.

٢٧ [١](في بَدْءِ مُلكِ يوياقيمَ بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، كانَت هذه الكَلِمَةُ إِلى إِرميا مِن لَدُنِ الرَّبِّ قائلاً):

[٢]هكذا قالَ لِيَ الرَّبّ: إِصنَعْ لَكَ رُبُطاً ونيراً وآجعَلْها على عُنُقِكَ، [٣]وأَرسِلْ بِها إِلى مَلِكِ أَدومَ ومَلِكِ موآبَ ومَلِكِ بَني عَمُّونَ ومَلِكِ صورَ ومَلِكِ صَيدون[٣٣]، بِأَيدي الرُّسُلِ القادِمينَ إِلى أُورَشَليم، إِلى صِدقِيَّا،

(٣٢) مي ٣/ ١٢.
(٣٣) شعوب كانت قد تحالفت على مصر وانضمّت اليها مملكة يهوذا. ان تدخّل إرميا له طابع سياسي، لان حكمه يعود إلى إيمانه.

مَلِكِ يَهوذا. ومُرْهم أَن يَقولوا لِسادَتِهم: «هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: هكذا تَقولونَ لِسادَتِكم: [٥]أَنا صَنَعتُ الأَرضَ والبَشَرَ والبَهائِمَ الَّتي على وَجهِ الأَرض، بِقُوَّتي العَظيمَةِ وبِذِراعِيَ المَبْسوطَة، وأَعطَيتُها لِمَن حَسُنَ في عَينَيَّ. [٦]والآنَ قد أَسلَمتُ أَنا جَميعَ هذه الأَراضي إِلى يَدِ نَبوكَدنَصَّر، مَلِكِ بابِل، عَبْدي، وأَعطَيتُه أَيضاً وُحوشَ الحَقْلِ لِتَخدِمَه، [٨]والأُمَّةُ والمَملَكَةُ الَّتي لا تَخدِمُ نَبوكَدنَصَّر، مَلِكَ بابِل، وكُلُّ مَن لا يَجعَلُ عُنُقَه تَحتَ نيرِ مَلِكِ بابِل، فإِنِّي أَفتَقِدُ تِلكَ الأُمَّةَ بِالسَّيفِ والجوعِ والطَّاعون، يَقولُ الرَّبّ، إِلى أَن أُفنِيَها بِيَدِه. [٩]فلا تَسمَعوا لِأَنبِيائِكم وعَرَّافيكم وحالِميكم ومُنَجِّميكم وسَحَرَتِكمُ الَّذينَ يُكَلِّمونَكم قائِلين: إِنَّكم لا تَخدِمونَ مَلِكَ بابِل. [١٠]فإِنَّهم إِنَّما يَتَنَبَّأُونَ لكم بِالكَذِب لِيُبعِدوكم عن أَرضِكم ولِأَدفَعَكم فتَهلِكوا. [١١]أَمَّا الأُمَّةُ الَّتي تَضَعُ عُنُقَها تَحتَ نيرِ مَلِكِ بابِلَ وتَخدِمُه، فإِنِّي أُقِرُّها في أَرضِها، يَقولُ الرَّبّ، فتَحرُثُها وتَسكُنُ فيها».

[١٢]وكَلَّمتُ صِدقِيَّا، مَلِكَ يَهوذا، بِكُلِّ هذا الكَلامِ قائِلاً: «ضَعوا أَعْناقَكم تَحتَ نيرِ مَلِكِ بابل، وآخدِموه مع شَعْبِه فتَحيَوا. [١٤]فلا تَسمَعوا لِكَلامِ الأَنبِياءِ الَّذينَ يُكَلِّمونَكم قائِلين: لا تَخدِموا مَلِكَ بابل، فإِنَّهم إِنَّما يَتَنَبَّأُونَ لكم بِالكَذِب، [١٥]لِأَنِّي لم أُرسِلْهم، يَقولُ الرَّبّ، وقد تَنَبَّأُوا بِآسمي كَذِباً، لِأَدفَعَكم فتَهلِكوا أَنتُم والأَنبِياءُ الَّذينَ تَنَبَّأُوا لكم».

[١٦]وكَلَّمتُ الكَهَنَةَ وكُلَّ هذا الشَّعبِ قائِلاً: «هكذا قالَ الرَّبّ: لا تَسمَعوا لِكَلامِ أَنبِيائِكمُ الَّذينَ يَتَنَبَّأُونَ لكم قائِلين: ها إِنَّ آنِيَةَ بَيتِ الرَّبِّ يُؤتى بِها مِن بابِلَ عن قَريب، فإِنَّهم إِنَّما يَتَنَبَّأُونَ لكم بِالكَذِب.

٢٨ [١]في هذه السَّنَة، في بَدْءِ مُلْكِ صِدقِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، في السَّنَةِ الرَّابِعَة، في الشَّهرِ الخامِس، كَلَّمَني حَنَنْيا بنُ عَزُّور، النَّبِيُّ الَّذي مِن جِبْعون، في بَيتِ الرَّبِّ أَمامَ الكَهَنَةِ وكُلِّ الشَّعبِ قائلاً: [٢]«هكذا قالَ رَبُّ القُوَّاتِ، إِلهُ إِسْرائيل: إِنِّي قد كَسَرتُ نيرَ مَلِكِ بابِل، [٣]وبَعدَ مُدَّةِ سَنَتَين، أُرجِعُ إِلى هذا المَكانِ كُلَّ آنِيَةِ بَيتِ الرَّبِّ الَّتي أَخَذَها نَبوكَدنَصَّر، مَلِكُ بابِل، مِن هذا المَكان، وذَهَبَ بِها إِلى بابِل، [٤]أُرجِعُ إِلى هذا المَكانِ يَكُنْيا بنَ يوياقيم، مَلِكَ يَهوذا، وكُلَّ مَجلُوِّي يَهوذا الَّذينَ ذَهَبوا إِلى بابِل، يَقولُ الرَّبّ، لِأَنِّي سأَكسِرُ نيرَ مَلِكِ بابِل».

[٥]فأَجابَ إِرميا النَّبِيُّ حنَنْيا النَّبِيَّ أَمامَ الكَهَنَةِ وأَمامَ كُلِّ الشَّعبِ الواقِفينَ في بَيتِ الرَّبّ، [٦]وقالَ إِرميا النَّبِيّ: «آمين! لِيَصنَعِ الرَّبُّ هكذا! لِيُتِمَّ الرَّبُّ كَلامَكَ الَّذي تَنَبَّأتَ بِه ويُرجِعْ آنِيَةَ بَيتِ الرَّبِّ وجَميعَ المَجلُوِّينَ مِن بابِلَ إِلى هذا المَكان. [٧]لكِنِ آسمَعْ هذه الكَلِمَةَ الَّتي أَتَكَلَّمُ بِها على مِسمَعَيكَ وعلى مَسامِعِ كُلِّ الشَّعْب: [٨]إِنَّ الأَنبِياءَ الَّذينَ كانوا قَبْلي وقَبلَكَ مُنذُ قَديمِ الزَّمَنِ تَنَبَّأُوا على أَراضٍ كَثيرةٍ ومَمالِكَ عَظيمةٍ بِالحَربِ والشَّرِّ والطَّاعون. [٩]أَمَّا النَّبِيُّ الَّذي تَنَبَّأَ بِالسَّلام، فعِندَما يَتِمُّ كَلامُ النَّبِيِّ يُعرَفُ أَنَّ ذلكَ النَّبِيَّ أَرسَلَه الرَّبُّ حَقًّا»[٣٤].

[١٠]فأَخَذَ حَنَنْيا النَّبِيُّ النِّيرَ عن عُنُقِ إِرمْيا النَّبِيِّ وكَسَرَه. [١١]وقالَ حَنَنْيا أَمامَ كُلِّ الشَّعْب: «هكذا قالَ الرَّبّ: كذلِكَ أَكسِرُ نيرَ نَبوكَدنَصَّر،

(٣٤) ان تحقيق النبوءة هو من مقاييس النبي الصادق. يقول إرميا، على ما يبدو، ان النبي لا يُنبئ إِلاَّ بالشؤم. ذلك بأنه يفترض أن النبي يعيش في زمن اضطراب كالزمن الذي عاش فيه، حيث تستحيل كل توبة.

مَلِكِ بابِل ، بَعدَ سَنَتَينِ مِنَ الزَّمانِ عن أَعناقِ جَميعِ الأُمَم» . وذَهَبَ إِرمِيا النَّبِيُّ في سَبيلِه .

[١٢] فكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى إِرمِيا ، بَعدَ أَن كَسَرَ حَنَنْيا النَّبِيُّ النِّيرَ عن عُنُقِ إِرمِيا النَّبِيِّ ، قائِلاً : [١٣] «إِذهَبْ وقُلْ لِحَنَنْيا : هكذا قالَ الرَّبّ : إِنَّكَ قد كَسَرتَ نيراً مِن خَشَب ، فستَصنَعُ عِوَضَها نيراً مِن حَديد ، [١٤] لِأَنَّه هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات ، إِلهُ إِسْرائيل : إِنِّي جَعَلتُ نيراً مِن حَديدٍ على أَعْناقِ جَميعِ هذه الأُمَم ، لِتَخدِمَ نَبوكَدنَصَّر ، مَلِكَ بابل ، (فتَخدِمُه وقد أَعطَيتُه أَيضاً وُحوشَ الحَقْل)» .

[١٥] فقالَ إِرمِيا لِحَنَنْيا النَّبِيّ : «إِسمَعْ يا حَنَنْيا ، إِنَّ الرَّبَّ لم يُرسِلْكَ ، وأَنتَ قد جَعَلتَ هذا الشَّعبَ يَعتَمِدُ على الكَذِب . [١٦] لِذلك هكذا قالَ الرَّبّ : هاءَنَذا أَنْفيكَ عن وَجهِ الأَرض ، فإِنَّكَ في هذه السَّنةِ تَموت (لِأَنَّكَ تَكَلَّمتَ بِالعِصْيانِ على الرَّبّ)» . [١٧] فماتَ حَنَنْيا النَّبِيُّ في تِلكَ السَّنَة ، في الشَّهرِ السَّابِع[٣٥] .

٦. رسالة إرميا إلى المجلوّين (٥٩٣)

كتب إرميا رسالة إلى مجلوّي بابل في أمر المستقبل. أوصاهم بأن يستقرُّوا ، وهذا ما يعني جلاءً طويلاً ، وأن ينموا ، فإن التجديد يفترض أن يكون العائدون كثيرين ، وحتى أن يدعوا لبابل ، تجنُّباً للكوارث التي قد تعرّض للخطر ازدهار المجلوّين. ويحسن بنا أن ننتبه إلى فكرة التوبة التي يقتبسها من أقوال عاموس (التماس الله) .

(٣٥) ان تحقيق هذه النبوءة دلّ على أن إرميا كان نبياً صادقاً ، لكن العلامة لم تكن مُكرهة .

٢٩ [١]هذا نَصُّ الكِتابِ الَّذي أَرسَلَ بِه إِرميا النَّبِيُّ مِن أُورَشَليمَ إِلى بَقِيَّةِ شُيوخِ الجَلاءِ وإِلى الكَهَنَةِ والأَنبِياءِ وإِلى كُلِّ الشَّعبِ الَّذي جَلاه نَبوكَدنَصَّرُ مِن أُورَشَليمَ إِلى بابِل.

[٤]«هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل، لِجَميعِ المَجْلُوِّينَ الَّذينَ جَلَوتُهم مِن أُورَشَليمَ إِلى بابِل: [٥]أُبْنوا بُيوتاً وآسكُنوا وآغرِسوا جَنائِنَ وكُلوا مِن ثَمَرِها. [٦]اتَّخِذوا نِساءً ولَدوا بَنينَ وبَناتٍ، وآتَّخِذوا لِأَبْنائِكم نِساءً وآجعَلوا بَناتِكم لِرِجال، ولْيَلِدْنَ بَنينَ وبَنات، وتَكاثَروا هُناكَ ولا تَقِلّوا.

[١٠]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ: عِندَ آنقِضاءِ سَبْعينَ سَنَةً في بابِل، أَفتَقِدُكم وأُتِمُّ لكم كَلِمَتي الصَّالِحَةَ بِإِرجاعِكم إِلى هذا المَكان، [١١]لِأَنِّي أَعلَمُ أَنَّ أَفْكارِيَ الَّتي أُفَكِّرُها في شَأنِكم، يَقولُ الرَّبّ، هي أَفْكارُ سَلامٍ لا بَلْوى، لِأَمنَحَكم بَقاءً ورَجاءً. [١٢]فتَدْعونَني وتَذهَبونَ وتُصَلُّونَ إِلَيَّ فأَستَمِعُ لَكم، [١٣]وتَلتَمِسونَني فتَجِدونَني، إِذا طَلَبتُموني بِكُلِّ قُلوبِكم، [١٤]وأَدَعُكم تَجِدونَني.

[١٦]فهكذا يَقولُ الرَّبُّ على المَلِكِ الجالِسِ على عَرشِ داوُدَ وعلى كُلِّ الشَّعبِ السَّاكِنِ في هذه المَدينَةِ مِن إِخوَتِكمُ الَّذينَ لم يَخرُجوا معَكم في الجَلاء، [١٧]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: هاءَنَذا أُرسِلُ علَيهِم السَّيفَ والجوعَ والطَّاعون، وأَجعَلُهم كَرديءِ التِّينِ الَّذي لا يُمكِنُ أَكلُه لِخَباثَتِه، [١٨]وأُطارِدُهم بِالسَّيفِ والجوعِ والطَّاعون، وأَجعَلُهم مَوضِعَ رُعبٍ في جَميعِ مَمالِكِ الأَرض ولَعنَةً ودَهَشاً وصَفيراً وعاراً عِندَ جَميعِ الأُمَمِ الَّتي دَفَعتُهم إِلَيها، [١٩]بِما أَنَّهم لم يَسمَعوا لِكَلامي، يَقولُ الرَّبّ، الَّذي

أَرسَلتُ بِه عَبيدِيَ الأنبِياءَ إِلَيهم بِلا مَلَل، وأَنتُم لم تَسمَعوا لَهم، يَقولُ الرَّبّ. [٢٠]وأَنتُم فآسمَعوا لِكَلامِ الرَّبِّ، يا جَميعَ المَجلُوِّينَ الَّذينَ أَرسَلتُهم مِن أُورَشَليمَ إِلى بابِل.

٧. الإنباء بإعادة اسرائيل الى الحياة (حوالى ٦١٠)

إن الأقوال التالية هي جزء من مجموعة يسمّيها بعضهم: كتاب التعزية. انها بوجه عام بلاغات سعادة وهناء للمستقبل. أمَّا القول الذي نحن بصدده، فإنه ينبئ بإعادة توحيد الشعب الاسرائيلي.

٣٠ [١]الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إِرمِيا مِن لَدُنِ الرَّبِّ قائلاً: [٢]هكذا قالَ الرَّبّ، إِلهُ إِسْرائيل: أُكتُبْ لَكَ جَميعَ الكَلِماتِ الَّتي كَلَّمتُكَ بِها في كِتاب.

[١٢]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ:
إِنَّ آنكِسارَكِ مُعضِلٌ وضَربَتَكِ لا شِفاءَ مِنها.
[١٣]لَيسَ مَن يُدافِعُ عن قَضِيَّتِكِ
ولا عِلاجَ لِقَرحِكِ ولا التِئامَ لِجُرحِكِ.
[١٤]جَميعُ مُحِبِّيكِ نَسوكِ ولم يَطلُبوكِ
لِأَنِّي ضَرَبتُكِ ضَربَ عَدُوٍّ تَأديباً قاسِياً
(بِسَبَبِ عِظَمِ إِثمِكِ وكَثرَةِ خَطاياكِ).
[١٥]لِماذا تَصرُخينَ مِنِ آنكِسارِكِ؟ وداؤُكِ مُعضِل.
بِسَبَبِ عِظَمِ إِثمِكِ وكَثرَةِ خَطاياكِ صَنَعتُ بِكِ ذلك.
هاءَنَذا أُعيدُ بِناءَ خِيامِ يَعْقوب وأَرحَمُ مَساكِنَه
وتُبْنى المَدينَةُ على تَلِّها ويُؤَسَّسُ القَصرُ على مَكانِه.

[١٩]ويَخرُجُ مِنهم نَشيدُ الشُّكْرِ وأَصواتُ الطَّرِبين
وأُكَثِّرُهم فلا يَقِلُّون وأُكرِمُهم فلا يَذِلُّون .
[٢٠]ويَكونُ بَنوه كما في قديمِ الزَّمَن
وجماعَتُه تَثبُتُ أَمامي وأُعاقِبُ جَميعَ مُضايِقيه
[٢١]ويَكونُ كبيرُه مِنه وسُلْطانُه يَخرُجُ مِن بَينِه وأُقَرِّبُه فيَدْنو إِلَيَّ
فإِنَّه مَن ذا الَّذي يَرهَنُ نَفْسَه بِدُنُوِّه إِلَيَّ يَقولُ الرَّبّ ؟
[٢٢]وتَكونونَ لي شَعباً وأَكونُ لكم إِلهاً .

٣١ [١]في ذلك الزَّمان ، يَقولُ الرَّبّ ، أَكونُ إِلهاً لِجَميعِ عَشائِرِ إِسْرائيل ، وهم يَكونونَ لي شَعباً . [٢]هكذا قالَ الرَّبّ :
إِنَّ شَعبَ النَّاجينَ مِنَ السَّيفِ قد نالَ حُظوَةً في البَرِّيَّة[٣٦]
وإِسْرائيلَ يَمْضي إِلى راحَتِه .
[٣]مِن بَعيدٍ تَراءَى لِيَ الرَّبّ .
أَحبَبْتُكِ حُبًّا أَبَدِيًّا فلِذلك آجتَذَبتُكِ بِرَحمَة
[٤]سأَبْنيكِ أَيضاً فتُبنَينَ يا عَذْراءَ إِسْرائيل
وتَتَزَيَّنينَ أَيضاً بِدُفوفِكِ وتَبرُزينَ في رَقصِ الطَّرِبين .
[٥]وتَغرِسينَ أَيضاً كُروماً في جِبالِ السَّامِرَة
(فيَغرِسُ الغارِسونَ ويأكُلونَ بَواكيرَها)
[٦]لِأَنَّه سيَكونُ يَومٌ يُنادي فيه الرُّقَباءُ في جَبَلِ أَفْرائيم :

(٣٦) موضوع الخروج الجديد من مصر. توسّع فيه أشعيا (اش ٤١).

«قوموا نَصعَدْ إلى صِهْيون إلى الرَّبِّ إلهِنا»(٣٧) .
٧لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ : هَلِّلوا لِيَعْقوبَ بِالفَرَح
وآهتِفوا لِرَأسِ الأُمَم . أَسمِعوا وسَبِّحوا وقولوا :
«خَلِّصْ أَيُّها الرَّبُّ شَعبَكَ ، بَقِيَّةَ إِسْرائيل» .
٨هاءَنَذا أُعيدُهم مِن أَرضِ الشَّمال
وأَجمَعُهم مِن أَطْرافِ الأَرض
وفيهِم الأَعْمى والأَعرَج، الحُبْلى والوالِدَةُ جَميعاً .
جَمعٌ عَظيمٌ يَرجِعُ إِلى هُنا .
٩يَأتونَ باكينَ وأَهْديهم مُتَضَرِّعين
وأُسَيِّرُهم إِلى مَجاري المِياهِ في طَريقٍ مُستَقيمٍ حَيثُ لا يَعثُرون
لِأَنِّي أَبٌ لِإِسْرائيلَ وأَفْرائيمُ بِكرٌ لي .
١٥هكذا قالَ الرَّبّ :
صَوتٌ سُمِعَ في الرَّامَة : نَدبٌ وبُكاءٌ مُرّ
راحيلُ تَبْكي على بَنيها وقد أَبَت أَن تَتَعَزَّى عن بَنيها
لِأَنَّهم زالوا عنِ الوجود .
١٦هكذا قالَ الرَّبّ :
كُفِّي صَوتَكِ عنِ البُكاء وعَينَيكِ عن ذَرْفِ الدُّموع
فإِنَّ لِعَمَلِكِ أَجراً ، يَقولُ الرَّبّ ، وإِنَّهم سيَرجِعونَ مِن أَرضِ العَدُوّ .
١٧مُستَقبَلُكِ رَجاءٌ ، يَقولُ الرَّبّ ، وسيَرجِعُ البَنونَ إِلى أَرضِهم .

(٣٧) ستصبح أورشليم المركز الوحيد لإسرائيل الديني .

[١٨] سَمِعتُ أَفْرائيمَ يَنتَحِبُ قائلاً:
أَدَّبْتني فتَأَدَّبتُ كالعِجلِ غَيرِ المُرَوَّض
أَرجِعْني فأَرجِعْ، فإِنَّكَ أَنتَ الرَّبُّ إِلهي.
[١٩] بَعدَ آرتِدادي نَدِمتُ وبَعدَ تَعَلُّمي صَفَقتُ على فَخِذي.
خَزيتُ وخَجِلتُ لِأَنِّي حَمَلتُ عارَ صِباي.
[٢٠] أَيكونُ أَفْرائيمُ آبناً لي عَزيزاً وَلَداً أَتنَعَّمُ بِه؟
فإِنِّي كُلَّما تَحَدَّثتُ عنه، لا أَنفَكُّ أَذكُرُه
فلِذلك آهتَزَّت لَه أَحْشائي. سأَرحَمُه رَحمَةً، يَقولُ الرَّبّ.
[٢١] إِنصِبي لكِ أَوتاداً، إِجعَلي لَكِ مَعالِم
وَجِّهي قَلبَكِ إِلى السَّبيلِ إِلى الطَّريقِ الَّذي سِرتِ فيه.
إِرجِعي يا عَذْراءَ إِسْرائيل، إِرجِعي إِلى مُدُنِكِ هذه.
[٢٢] إِلى مَتى أَنتِ زائِغَة، أَيَّتُها البِنتُ المُرتَدَّة؟
فإِنَّ الرَّبَّ قد خَلَقَ شَيئاً جَديداً في الأَرض:
أُنْثى تُحيطُ بِرَجُل.

[٢٧] ها إِنَّها تأتي أَيَّام، يَقولُ الرَّبّ، أَزرَعُ فيها بَيتَ إِسْرائيلَ وبَيتَ يَهوذا بِزَرعِ بَشَرٍ وبِزَرعِ بَهائم. [٢٨] وكما سَهِرتُ علَيهم لِأَقلَعَ وأَهدِمَ وأَنقُضَ وأُهلِكَ وأُسيءَ، كذلك أَسهَرُ علَيهم لِأَبنِيَ وأَغرِس، يَقولُ الرَّبّ.

٨. المكافأة الشخصية (٦١٠)

من المكافأة الجماعية - القومية والعائلية - ننتقل الى هذه المسؤولية الفردية.

[٢٩] في تِلكَ الأَيَّام، لا يُقالُ بَعدُ:

إِنَّ الآباءَ أَكَلوا الحِصرِمِ وأَسْنانَ البَنِينَ ضَرِسَت .
[٣٠]بل كُلُّ واحِدٍ بِإِثمِه يَموت
وكُلُّ إِنْسانٍ يأكُلُ الحِصرِمِ تَضرَسُ أَسْنانُه .

٩. العهد الجديد (٦١٠)

أصبح إرميا ، بعذابه ، الأداة الصالحة لذلك الوحي ، وبعد ان اكتشف من تلقاء نفسه التديّن الباطني ، طبّقه على الشعب الاسرائيلي . فهو «إتمام» العهد القديم .

[٣١]ها إِنَّها تَأتي أَيَّام ، يَقولُ الرَّبّ ، أَقطَعُ فيها مع بَيتِ إِسْرائيلَ (وبَيتِ يَهوذا) عَهداً جَديداً ، [٣٢]لا كالعَهدِ الَّذي قَطَعتُه مع آبائِهم ، يَومَ أَخَذتُ بِأَيديهِم لِأُخرِجَهم مِن أَرضِ مِصْرَ لِأَنَّهم نَقَضوا عَهْدي، مع أَنِّي كُنتُ سَيِّدَهم ، يَقولُ الرَّبّ . [٣٣]ولكِنَّ هذا العَهدَ الَّذي أَقطَعُه مع بَيتِ إِسْرائيلَ بَعدَ تِلكَ الأَيَّام ، يَقولُ الرَّبّ ، هو أَنِّي أَجعَلُ شَريعَتي في بَواطِنِهم وأَكتُبُها على قُلوبِهم[٣٨] ، وأَكونُ لَهم إِلهاً وهم يَكونونَ لي شَعباً . [٣٤]ولا يُعَلِّمُ بَعدُ كُلُّ واحِدٍ قَريبَه وكُلُّ واحِدٍ أَخاه قائِلاً : «اِعرِفِ الرَّبّ» ، لِأَنَّ جَميعَهم سيَعرِفونني[٣٩] مِن صَغيرِهم إِلى كَبيرِهم ، يَقولُ الرَّبّ ، لِأَنِّي سأَغفِرُ إِثمَهم ولن أَذكُرَ خَطيئَتَهم مِن بَعدُ[٤٠] .

[٣٥]هكذا قالَ الرَّبُّ

الجاعِلُ الشَّمسَ نوراً في النَّهار
وأَحكامَ القَمَرِ والكَواكِبِ نوراً في اللَّيل

(٣٨) سيرتدي العهد الجديد طابعاً باطنياً .
(٣٩) معرفة مباشرة ، يحلّ فيها روح الله محلّ النبي .
(٤٠) سيتوسّع حزقيال في عنصر الأطهار هذا (حز ٣٦/١٦-٣٦) .

الَّذي يُثيرُ البَحرَ فتَهدِرُ أَمْواجُه .
رَبُّ القُوَّاتِ ٱسْمُه .
[٣٦] إن زالَت هذه الأَحكامُ مِن أَمامي ، يَقولُ الرَّبّ
فذُرِّيَّةُ إِسْرائيلَ أَيضاً تَكُفُّ عن أَن تكونَ أُمَّةً لَدَيَّ جَميعَ الأَيَّام .
[٣٧] هكذا قالَ الرَّبّ :
إن أَمكَنَ أَن تُقاسَ السَّمَواتُ مِن فَوقُ
ويُفحَصَ عن أُسُسِ الأَرضِ مِن تَحتُ
فأَنا أَيضاً أَنبِذُ جَميعَ ذُرِّيَّةِ إِسْرائيل
بِسَبَبِ كُلِّ ما صَنَعوا ، يَقولُ الرَّبّ .

١٠. وعد آخر بالتجديد

٣٣ [٢] هكذا قالَ الرَّبُّ الَّذي يَصنَعُ ما يَقول ويُكَوِّنُه ويُثَبِّتُه ، الرَّبُّ ٱسمُه : [٧] أُرجِعُ أَسْرى يَهوذا وأَسْرى إِسْرائيل ، وأَبْنيهم كما في البَدْء ، [٨] وأُطَهِّرُهم مِن كُلِّ إِثمِهمِ الَّذي خَطِئوا بِه إِلَيَّ ، وأَغفِرُ كُلَّ ذُنوبِهمِ الَّتي خَطِئوا بِها إِلَيَّ وعَصَوني . [٩] وأُورَشَليمُ تَكونُ لِيَ ٱسمَ طَرَبٍ وتَسبِحَةً وٱفتِخاراً لَدى جَميعِ أُمَمِ الأَرضِ الَّتي تَسمَعُ بِكُلِّ الخَيرِ الَّذي أَصنَعُه إِلَيها ، فتَخافُ وتَرتَعِدُ بِسَبَبِ كُلِّ الخَيرِ وكُلِّ السَّلامِ اللَّذَينِ سأَصنَعُهما إِلَيها .

[١٠] هكذا قالَ الرَّبّ : سيُسمَعُ بَعدَ اليَومِ في هذا المَكانِ الَّذي أَنتُم قائِلونَ إِنَّه خَرابٌ ، لا إِنْسانَ فيه ولا بَهيمَة ، وفي مُدُنِ يَهوذا وفي شَوارِعِ أُورَشَليمَ المُدَمَّرَةِ الَّتي لا إِنْسانَ فيها ولا بَهيمة ، [١١] سيُسمَعُ صَوتُ الطَّرَبِ وصَوتُ الفَرَح. صَوتُ العَريسِ وصَوتُ العَروس ، أَصْواتُ القائِلين :

«إحمَدوا رَبَّ القُوَّات ، لِأَنَّ الرَّبَّ صالِحٌ، لِأَنَّ لِلأَبَدِ رَحمَتَه» ، وأَصْواتُ الَّذينَ يُقَدِّمونَ ذَبيحَةَ الشُّكْرِ في بَيتِ الرَّبّ ، لِأَنِّي أُرجِعُ أَسْرى تِلكَ الأَرضِ كما كانَت علَيه في البَدْءِ، قالَ الرَّبّ .

[١٢] هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات : سيَكونُ بَعدَ اليَومِ في هذا المَكانِ الخَرِب ، الَّذي لا إِنْسانَ فيه ولا بَهيمة ، وفي جَميعِ مُدُنِه ، مَراعي يُربِضُ فيها الرُّعاةُ غَنَمَهم . [١٣] وفي مُدُنِ الجَبَلِ ومُدُنِ السَّهلِ ومُدُنِ النَّقَب ، وفي أَرضِ بَنْيامينَ وما حَولَ أُورَشَليم ، وفي مُدُنِ يَهوذا ، تَمُرُّ الغَنَمُ بَعدَ اليَومِ تَحتَ يَدَيِ المُحْصي ، قالَ الرَّبّ .

[١٤] ها إِنَّها تَأتي أَيَّام ، يَقولُ الرَّبّ ، أُتِمُّ فيها الكَلامَ الصَّالِحَ الَّذي تَكَلَّمتُ بِه في شأنِ بَيتِ إِسْرائيلَ وبَيتِ يَهوذا :

[١٥] في تِلكَ الأَيَّامِ وذلك الزَّمان ، أُنبِتُ لِداوُدَ نَبتاً بارًّا
فيُجري الحكمَ والبِرَّ في الأَرض .
[١٦] في تِلكَ الأَيَّامِ يُخَلَّصُ يَهوذا وتَسكُنُ أُورَشَليمُ في الطُّمَأنينَة
ستُدْعى بِه : «الرَّبُّ بِرُّنا» .

[١٧] لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ : لا يَنقَطِعُ لِداوُدَ رَجُلٌ يَجلِسُ على عَرشِ بَيتِ إِسْرائيل ، [١٨] ولا يَنقَطِعُ لِلكَهَنَةِ اللاَّوِيِّينَ مِن أَمامي رَجُلٌ يُصعِدُ مُحرَقَةً ويُحرِقُ البَخورَ تَقدِمَةً ويَذبَحُ ذَبيحَةً كُلَّ الأَيَّام .

٤. تفاصيل عن حياته

ان الفقرة الأولى المذكورة وحدها يرقى عهدها الى مُلك يوياقيم . أَمَّا الباقي فقد يكون من قلم باروك ، وهو يروي الأحداث التي جرت ما بين حصار أورشليم حتى الذهاب الى مصر (كانون الثاني (يناير) ٥٨٧ – تشرين الأول (أكتوبر) ٥٨٦) .

١. إرميا والملك يوياقيم (٦٠٤)

كانت أقوال إرميا تعارض سياسة الملك، فكان مستاءً. والسِفر الذي أُحرق كان يحتوي على الأقوال التي قالها النبي منذ ٦٢٨. فأعاد باروك كتابة السِفر الذي أملاه عليه إرميا، وأكمله. هذا ما يمكن أن نسمّيه الطبعة الأولى للمجموعة.

٣٦ [١] وفي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِيوياقيمَ بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يهوذا، كانَ هذا الكَلامُ إِلى إِرمِيا مِن لَدُنِ الرَّبِّ قائِلاً: [٢] «خُذْ لَكَ سِفراً وآكتُبْ فيه كُلَّ الكَلامِ الَّذي كَلَّمتُكَ بِه على إِسْرائيلَ وعلى يَهوذا وعلى جَميعِ الأُمَم، مِن يَومَ كَلَّمتُكَ مِن أَيَّامِ يوشِيَّا إِلى هذا اليَوم، [٣] لَعَلَّ بَيتَ يَهوذا يَسمَعونَ بِكُلِّ الشَّرِّ الَّذي فكَّرتُ أَن أَصنَعَه بِهم فيَرجِعوا كُلُّ واحِدٍ عن طَريقِه الشِّرِّير، فأَغفِرَ إِثمَهم وخَطيئَتَهم». [٤] فدَعا إِرمِيا باروكَ بنَ نيرِيَّا، فكَتَبَ باروكُ في سِفرِ إِرمِيا كُلَّ كَلامِ الرَّبِّ الَّذي كَلَّمَه بِه.

[٥] وأَمَرَ إِرمِيا باروكَ قائِلاً: «هُناكَ ما يَمنَعُني، لا أَستَطيعُ الذَّهابَ إِلى بَيتِ الرَّبّ، [٦] فآذهَبْ أَنتَ وآقرَأْ في السِّفرِ الَّذي كَتَبتَه عن فَمي كَلامَ الرَّبِّ على مَسامِعِ الشَّعبِ في بَيتِ الرَّبِّ يَومَ الصَّوم، وآقرَأْه أَيضاً على مَسامِعِ جَميعِ بَني يَهوذا القادِمينَ مِن مُدُنِهم، [٧] لَعَلَّ تَضَرُّعَهم يَصِلُ إِلى أَمامِ الرَّبّ، ويَرجِعونَ كُلُّ واحِدٍ عن طَريقِهِ الشِّرِّير، فإِنَّ غَضَبَ الرَّبِّ وسُخطَه، الَّذي تَكَلَّمَ بِه على هذا الشَّعبِ، عَظيم».

[٩] وكانَ في السَّنَةِ الخامِسَةِ لِيوياقيمَ بنِ يوشِيَّا، مَلِكِ يهوذا، في الشَّهرِ التَّاسِع، قد نودِيَ بِصَومٍ أَمامَ الرَّبِّ لِكُلِّ شَعبِ أُورَشَليمَ وكُلِّ الشَّعبِ الآتي مِن مُدُنِ يَهوذا إِلى أُورَشَليم. [١٠] فقَرَأَ باروكُ في الكِتابِ كَلامَ إِرمِيا في بَيتِ الرَّبّ، في غُرفَةِ جَمَرْيا بنِ شافانَ الكاتِب، في الدَّارِ العُلْيا، عِندَ مَدخَلِ بابِ بَيتِ الرَّبِّ الجَديدِ على مَسامِعِ كُلِّ الشَّعْب.

[١١]فلَمَّا سَمِعَ ميخا بنُ جَمَرْيا بنِ شافانَ كُلَّ كَلامِ الرَّبِّ مِنَ الكِتاب، [١٢]نَزَلَ إلى بَيتِ المَلِك، إلى غُرفَةِ الكاتِب، فإذا بالرُّؤَساءِ كُلِّهم جالِسونَ هُناكَ: أَليشاماعَ الكاتِبِ ودَلايا بنِ شَمَعْيا وأَلْناتانَ بنِ عَكْبورَ وجَمَرْيا بنِ شافانَ وصِدقِيَّا بنِ حَنَنْيا وسائِرِ الرُّؤَساء، [١٣]فأَخبَرَهم ميخا بِكُلِّ الكَلامِ الَّذي سَمِعَه، عِندَما قَرَأَ باروكُ في الكِتابِ على مَسامِعِ الشَّعْب. [١٤]فأَرسَلَ جَميعُ الرُّؤَساءِ إلى باروكَ يَهودِيَ بنِ نَتَنْيا بنِ شَلَمْيا بنِ كوشِيَ قائِلاً: «خُذْ بِيَدِكَ السِّفرَ الَّذي قَرَأتَ فيه على مَسامِعِ الشَّعبِ وتَعالَ». فأَخَذَ باروكُ بنُ نيرِيَّا السِّفرَ بِيَدِه وذَهَبَ إِلَيهم. [١٥]فقالوا لَه: «اِجلِسْ وآقرَأْ ذلك على مَسامِعِنا». فقَرَأَ باروكُ على مَسامِعِهم. [١٦]فلَمَّا سَمِعوا كُلَّ هذا الكَلام، نَظَرَ بَعضُهم إلى بَعضٍ مُرتَعِشينَ وقالوا لِباروك: «لَنُخبِرَنَّ المَلِكَ بِكُلِّ هذا الكَلام». [١٧]وسأَلوا باروكَ قائِلين: «أَخبِرْنا كَيفَ كَتَبتَ كُلَّ هٰذا الكَلامِ عن فَمِه». [١٨]فقالَ لَهم باروك: «كانَ يُملي عليَّ كُلَّ هذا الكَلامِ عن لِسانِه، وأَنا أَخُطُّه في الكِتابِ بِالحِبْر». [١٩]فقالَ الرُّؤَساءُ لِباروك: «إذهَبْ وآختَبِئْ أَنتَ وإرمِيا، ولا يَعرِفْ أَحَدٌ أَينَ أَنتُما». [٢٠]وذَهَبوا إلى المَلِك، إلى الدَّار، بَعدَ أَن أَودَعوا السِّفرَ في غُرفَةِ أَليشاماعَ الكاتِب، وقَصُّوا كُلَّ الأَمرِ على مِسمَعَيِ المَلِك.

[٢١]فأَرسَلَ المَلِكُ يَهودِيَ لِيَأخُذَ السِّفرَ، فأَخَذَه مِن غُرفَةِ أَليشاماعَ الكاتِب، وقَرَأَه يَهودي على مِسمَعَيِ المَلِكِ ومَسامِعِ جَميعِ الرُّؤَساءِ الواقِفينَ لَدى المَلِك. [٢٢]وكانَ المَلِكُ جالِساً في بَيتِ مَشْتاه في الشَّهرِ التَّاسِع، والمَنقَلُ أَمامَه مُتَّقِد. [٢٣]فكُلَّما كانَ يَهودي يَقرَأُ ثَلاثَةَ أَعمِدَةٍ أَو أَربَعَة، كانَ المَلِكُ يَقُصُّها بِسِكِّينِ الكاتِب، ويُلْقيها في النَّارِ الَّتي في

المَنقَل، حتَّى فَنِيَ كُلُّ السِّفر في النَّارِ الَّتي في المَنقَل. [٢٤]ولم يَفزَعوا ولم يُمَزِّقوا ثِيابَهم، لا المَلِكُ ولا أَحَدٌ مِن حاشِيَتِه الَّذينَ سَمِعوا كُلَّ هذا الكَلام. [٢٥]وكانَ أَلْناتانُ ودَلايا وجَمَرْيا قد أَلَحُّوا على المَلِكِ بأَن لا يُحرَقَ السِّفْرُ، فلَم يَسمَعْ لَهم. [٢٦]ثُمَّ أَمَرَ المَلِكُ يَرَحمَئيلَ، آبنَ المَلِك، وسَرايا بنَ عَزْريئيلَ وشَلَمْيا بنَ عَبدَئيلَ أَن يَقبِضوا على باروكَ الكاتِبِ وإِرمِيا النَّبِيّ، فأَخْفاهما الرَّبّ.

[٢٧]وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى إِرمِيا، بَعدَ أَن أَحرَقَ المَلِكُ السِّفرَ والكَلامَ الَّذي كَتَبَه باروكُ عن فَمِ إِرمِيا قائِلاً: [٢٨]«عُدْ وخُذْ لَكَ سِفراً آخَر، وآكتُبْ فيه كُلَّ الكَلامِ الأَوَّلِ الَّذي كانَ في السِّفرِ الأَوَّلِ الَّذي أَحرَقَه يوياقيم، مَلِكُ يهوذا، [٢٩]وتَقولُ على يوياقيم، مَلِكِ يهوذا: هكذا قالَ الرَّبّ: إِنَّكَ قد أَحرَقتَ هذا السِّفرَ قائِلاً: لِماذا كَتَبتَ فيه وقُلتَ: لَيَأتِيَنَّ مَلِكُ بابِلَ ولَيُدَمِّرَنَّ هذه الأَرضَ ويُخْليها مِنَ النَّاسِ والبَهائِم. [٣٠]فلِذلك هكذا قالَ الرَّبُّ على يوياقيم، مَلِكِ يهوذا: إِنَّه لا يَكونُ لَه مَن يَجلِسُ على عَرشِ داوُد، وتَكونُ جُثَّتُه مَطْروحةً لِلحَرِّ في النَّهارِ والبَردِ في اللَّيل. [٣١]وأُعاقِبُه وأُعاقِبُ ذُرِّيَّتَه وعَبيدَه على إِثمِهم وأَجلُبُ علَيهم وعلى سُكَّانِ أُورَشَليمَ وعلى رِجالِ يَهوذا كُلَّ الشَّرِّ الَّذي تَكَلَّمتُ بِه علَيهم ولم يَسمَعوا».

[٣٢]فأَخَذَ إِرمِيا سِفراً آخَرَ وسَلَّمَه إِلى باروكَ بنِ نيرِيَّا الكاتِب، فكَتَبَ فيه عن لِسانِ إِرمِيا كُلَّ كَلامِ الكِتابِ الَّذي أَحرَقَه يوياقيم، مَلِكُ يَهوذا، بِالنَّار، وزيدَ عليه أَيضاً كَلامٌ كَثيرٌ مِثلُه.

٢. صِدقيًا يستشير إرميا (٥٨٧)

تمَّت هذه الاستشارة السرِّيَّة في ٥٨٧، حين زحف جيش مصري لنجدة أورشليم. حينئذ فكَّ نبوكدنصر الحصار وذهب لملاقاة المصريين. لكن هذا التدخل سيكون قصيراً، مع أنه ملأ المحاصرين أملاً.

٣٧ [٣]وأَرسَلَ المَلِكُ صِدقِيَّا يوكَلَ بنَ شَلَمْيا وصَفَنْيا بنَ مَعَسْيا الكاهِنَ إلى إِرمِيا النَّبِيِّ قائِلاً: «صَلِّ مِن أَجلِنا إِلى الرَّبِّ إِلهِنا». [٤]وكانَ إِرمِيا يَدخُلُ ويَخرُجُ بَينَ الشَّعْب، إِذ لم يَكونوا قد جَعَلوه في السِّجْن. [٥]وكانَ جَيشُ فِرعَونَ قد خَرَجَ مِن مِصْر، فسَمِعَ الكَلْدانِيُّونَ المُحاصِرونَ لِأُورَشَليمَ بِخَبَرِهم، فآنصَرَفوا عن أُورَشَليم.

[٦]فكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى إِرمِيا النَّبِيِّ قائِلاً: [٧]هكذا قالَ الرَّبّ، إِلهُ إِسْرائيل: هكذا تَقولونَ لِمَلِكِ يَهوذا الَّذي أَرسَلَكم إِلَيَّ لِتَسأَلوني: ها إِنَّ جَيشَ فِرعَونَ الَّذي خَرَجَ لِإِنجادِكم يَرجِعُ إِلى أَرضِه إِلى مِصْرَ، [٨]والكَلْدانِيِّينَ يَرجِعونَ ويُحارِبونَ هذه المَدينةَ ويأخُذونَها ويُحرِقونَها بِالنَّار. [٩]هكذا قالَ الرَّبّ: لا تَخدَعوا أَنفُسَكم قائلين: إِنَّ الكَلْدانِيِّينَ سيَذهَبونَ عَنَّا، فإِنَّهم لا يَذهَبون. [١٠]فإِنَّه، وإِن قَتَلتُم كُلَّ جَيشِ الكَلْدانِيِّينَ الَّذينَ يُحارِبونَكم وبَقِيَ مِنهم رِجالٌ قد طُعِنوا، هؤُلاءِ يَقومونَ، كُلُّ واحِدٍ في خَيمَتِه، ويُحرِقونَ هذه المَدينَةَ بِالنَّار.

٣. القبض على إرميا (٥٨٦)

كان رجال السياسة يعارضون إرميا معارضة شديدة ويطلبون موته، لكنه لم يكن محروماً من الأصدقاء النشيطين. وكان صِدقيا، بين إرميا وأولئك، عديم الإرادة.

[١١]ولَمَّا آنصَرَفَ جَيشُ الكَلْدانِيِّينَ عن أُورَشَليمَ بِسَبَبِ جَيشِ فِرعَون، [١٢]خَرَجَ إِرمِيا مِن أُورَشَليمَ لِيَذهَبَ إِلى أَرضِ بَنْيامينَ لِيَأخُذَ هُناكَ نَصيبَه

بَينَ الشَّعْب . [١٣] فلَمَّا وَصَلَ إلى باب بَنْيامين ، كانَ هُناكَ رَئيسُ المَحرَس ، وآسمُه يِرئِيَّا بنُ شَلَمْيا بنِ حَنَنْيا . فقَبَضَ على إِرمِيا النَّبِيِّ قائِلاً : «أَنتَ هارِبٌ إلى الكَلْدانِيِّين» . [١٤] فقالَ إرمِيا : «كَذِب ! لَستُ هارِباً إلى الكَلْدانِيِّين» . فلَم يَسمَعْ لَه يِرئِيَّا وقَبَضَ علَيه وأَتى بِه إلى الرُّؤَساء . [١٥] فسَخِطَ الرُّؤَساءُ على إرمِيا وضَرَبوه وحَبَسوه في بَيتِ يوناتانَ الكاتِب ، لِأَنَّهم جَعَلوا مِن ذلك البَيتِ سِجْناً . [١٦] فدَخَلَ إرمِيا إلى الجُبِّ المُقَبَّب ، وأَقامَ هُناكَ أَيَّاماً كَثيرة .

[١٧] ثُمَّ أَرسَلَ المَلِكُ صِدقِيَّا وأَخَذَه ، وسَأَلَه المَلِكُ في بَيتِه سَرًّا وقال : «هل مِن كَلِمَةٍ مِن لَدُنِ الرَّبّ ؟» فقالَ إرمِيا : «نَعَم» ، وأَضافَ : «إِنَّكَ ستُسَلَّمُ إلى يَدِ مَلِكِ بابِل» . [١٨] وقالَ إرمِيا لِلمَلِكِ صِدقِيَّا : «بِماذا خَطِئتُ إِلَيكَ وإلى رِجالِكَ وإلى هذا الشَّعبِ حتَّى أَلقَيتُموني في السِّجْن ؟ [١٩] وأَينَ أَنبِياؤُكمُ الَّذينَ تَنَبَّأُوا لَكم قائِلين : إِنَّ مَلِكَ بابِلَ لا يأتي علَيكم ولا على هذه الأَرض . [٢٠] والآنَ آسمَعْ يا سَيِّديَ المَلِك . لِيَصِلْ تَضَرُّعي إلى أَمامِكَ ، فلا تُعِدْني إلى بَيتِ يوناتانَ الكاتِب ، لِئَلاَّ أَموتَ هُناك» . [٢١] فأَمَرَ المَلِكُ صِدقِيَّا أَن يُحرَسَ إرمِيا في دارِ الحَرَس ، وأَن يُعْطى لَه رَغيفٌ مِنَ الخُبزِ كُلَّ يَومٍ مِن سوقِ الخَبَّازين ، إلى أَن يَنفَدَ الخُبزُ كُلُّه مِنَ المَدينة . فأَقامَ إرمِيا في دارِ الحَرَس .

٣٨ [١] وسَمِعَ شَفَطْيا بنُ مَتَّانَ وجَدَلْيا بنُ فَشْحورَ ويوكَلُ بنُ شَلَمْيا وفَشْحورُ بنُ مَلْكِيَّا الكَلامَ الَّذي كانَ إرمِيا يُكَلِّمُ بِه كُلَّ الشَّعبِ قائِلاً : [٢] «هكذا قالَ الرَّبّ : إِنَّ الَّذي يَبْقى في هذه المَدينَةِ يَموتُ بِالسَّيفِ والجوعِ والطَّاعون ، والَّذي يَخرُجُ إلى الكَلْدانِيِّينَ يَحيا وتَكونُ لَه نَفْسُه غَنيمَةً

فيَحْيا . [٣]هكذا قالَ الرَّبّ : إِنَّ هذه المَدينَةَ ستُسلَمُ إلى أَيدي جَيشِ مَلِكِ بابِل ، فيَأخُذُها» .

[٤]فقالَ الرُّؤَساءُ لِلمَلِك : «لِيُقتَلْ هذا الرَّجُل ، فإِنَّه إِنَّما يُرْخي أَيدِيَ رِجالِ القِتالِ الباقينَ في هذه المَدينةِ وأَيدِيَ كُلِّ الشَّعب ، حينَ يُكَلِّمُهم بهذا الكَلام ، لِأَنَّ هٰذا الرَّجُلَ لا يَطلُبُ لِهذا الشَّعبِ سَلاماً ، بل بَلْوَى» . [٥]فقالَ المَلِكُ صِدقِيَّا : «ها إِنَّه في أَيديكم ، لِأَنَّ المَلِكَ لا يَستَطيعُ معَكم شَيئاً» . [٦]فأَخَذوا إِرمِيا وأَلقَوه في جُبِّ مَلكِيَّا آبنِ المَلِكِ الَّذي في دارِ الحَرَس ، ودَلَّوا إِرمِيا بِحِبال . ولم يَكُنْ في الجُبِّ ماء ، بل وَحْلٌ فغاصَ إِرمِيا في الوَحْل .

[٧]فسَمِعَ عَبدَ مَلِكُ الكوشِيُّ ، أَحَدُ الخِصْيانِ ، وهو في بَيتِ المَلِك ، أَنَّهم جَعَلوا إِرمِيا في الجُبّ ، وكانَ المَلِكُ جالِساً بِبابِ بَنْيامين . [٨]فخَرَجَ عَبدَ مَلِكُ مِن بَيتِ المَلِك ، وكَلَّمَ المَلِكَ قائِلاً : [٩]«يا سَيِّدِيَ المَلِك ، إِنَّ أُولٰئِكَ الرِّجالَ قد أَساؤُوا في كُلِّ ما صَنَعوا بِإِرمِيا النَّبِيِّ الَّذي أَلقَوه في الجُبّ ، فهو يَموتُ جوعاً هُناك ، إِذ لم يَبْقَ في المَدينَةِ خُبْز» . [١٠]فأَمَرَ المَلِكُ عَبدَ مَلِكَ الكوشيَّ قائِلاً : «خُذْ مِن هُنا ثَلاثينَ رَجُلاً تَحتَ يَدِكَ وأَخرِجْ إِرمِيا النَّبِيَّ مِنَ الجُبِّ قَبلَ أَن يَموت» . [١١]فأَخَذَ عَبدَ مَلِكُ الرِّجالَ تَحتَ يَدِه ودَخَلَ إِلى بَيتِ المَلِك ، إِلى تَحتِ الخِزانَة ، وأَخَذَ مِن هُناكَ ثِياباً رَثَّةً وخِرَقاً بالِيَة ، ودَلَّاها إِلى إِرمِيا إِلى الجُبِّ بِحِبال . [١٢]وقالَ عَبدَ مَلِكُ الكوشِيُّ لِإِرمِيا : «ضَعِ الثِّيابَ الرَّثَّةَ والخِرَقَ البالِيَةَ تَحتَ إِبطَيكَ مِن تَحتِ الحِبال» . فصَنَعَ إِرمِيا كذلِك . [١٣]ورَفَعوا إِرمِيا بِالحِبال ، وأَخرَجوه مِنَ الجُبّ . وأَقامَ إِرمِيا في دارِ الحَرَس .

٤. استشارة الملك الاخيرة (٥٨٦)

أشار إرميا على الملك بالاستسلام. وكان الملك يخشى شيئاً واحداً، وهو أن يُعرف أنه قام بمساعٍ لدى النبي!

[١٤]ثُمَّ أَرسَلَ المَلِكُ صِدقِيَّا وأَخَذَ إِرمِيا النَّبِيَّ إِلَيه في المَدخَلِ الثَّالِثِ الَّذي في بَيتِ الرَّبّ، وقالَ المَلِكُ لِإِرمِيا: «أَسأَلُكَ عن أَمْرٍ، فلا تَكتُمْ عنِّي شَيئاً». [١٥]فقالَ إِرمِيا لِصِدقِيَّا: «إِن أَخبَرتُكَ، أَفلا تَقتُلُني قَتلاً؟ وإِن أَشَرتُ علَيكَ فلا تَسمَعُ لي». [١٦]فحَلَفَ المَلِكُ صِدقِيَّا لِإِرمِيا سِرًّا قائِلاً: «حَيٌّ الرَّبُّ الَّذي وَهَبَ لَنا هذه الحَياة، إِنِّي لا أَقتُلُكَ ولا أُسلِمُكَ إِلى أَيدي أُولئِكَ النَّاسِ الَّذينَ يَطلُبونَ نَفسَكَ». [١٧]فقالَ إِرمِيا لِصِدقِيَّا: «هكذا قالَ الرَّبّ، إِلهُ القُوَّات، إِن خَرَجتَ وأَسلَمتَ نَفسَكَ إِلى رُؤَساءِ مَلِكِ بابِل، تَحْيا نَفْسُكَ، وهذه المَدينَةُ لا تُحرَقُ بِالنَّار، وأَنتَ وأَهلُ بَيتِكَ تَحيَون. [١٨]ولكِن إِن لم تُسلِمْ نَفْسَكَ إِلى رُؤَساءِ مَلِكِ بابِل، فهذه المَدينةُ تُسلَمُ إِلى أَيدي الكَلْدانِيِّينَ فيُحرِقونَها بِالنَّار، وأَنتَ لا تُفلِتُ مِن أَيديهم». [١٩]فقالَ المَلِكُ صِدقِيَّا لِإِرمِيا: «إِنِّي أَخافُ مِنَ اليَهودِ الَّذينَ هَرَبوا إِلى الكَلْدانِيِّين، فلَقَد أُسلَمُ إِلى أَيديهم فيَسخَروا مِنِّي»... [٢٤]فقالَ صِدقِيَّا لِإِرمِيا: لا يَعلَمْ أَحَدٌ بِهذا الكَلامِ لِئَلاَّ تَموت. [٢٥]وإِذا سَمِعَ الرُّؤَساءُ بِأَنِّي كَلَّمتُكَ وأَتَوكَ وقالوا لَكَ: أَخبِرْنا ماذا قُلتَ لِلمَلِكِ وماذا قالَ لَكَ المَلِك، ولا تَكتُمْه عنَّا فلا نَقتُلَكَ، [٢٦]فقُلْ لَهم: «إِنِّي وَضَعتُ تَضَرُّعي أَمامَ المَلِكِ لِئَلاَّ يُعيدَني إِلى بَيتِ يوناتانَ لِأَموتَ هُناك».

[٢٧]فأَتى جَميعُ الرُّؤَساءِ إِلى إِرمِيا وسَأَلوه فأَخبَرَهم بِجَميعِ الكَلامِ الَّذي أَمَرَ بِه المَلِك، فتَرَكوه وشَأنَه لِأَنَّه لم يُسمَعْ مِنَ الحَديثِ شَيء.

[٢٨]وأَقامَ إِرمِيا في دارِ الحَرَسِ إِلى يَومَ أُخِذَت أُورَشَليم. وكانَ ذلك لَمَّا أُخِذَت أُورَشَليم.

٥. الاستيلاء على أورشليم (تموز (يوليو) ٥٨٦)

هذا تحقيق لاقوال إرميا، وهذا أيضاً نهاية عالِم: نهاية الحكم الملكي الاسرائيلي، ونهاية الهيكل والذبائح، والجلاء إلى البلد الغريب.

٣٩ [١]في السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِصِدقِيَّا، مَلِكِ يَهوذا، في الشَّهرِ العاشِر، أَتى نَبوكَدنَصَّر، مَلِكُ بابِل، وجَميعُ جَيشِه إِلى أُورَشَليمَ وحاصَروها، [٢]وفُتِحَتِ المَدينَةُ في السَّنَةِ الحادِيَةَ عَشرَةَ لِصِدقِيَّا، في الشَّهرِ الرَّابِع، في التَّاسِعِ مِنَ الشَّهْر.

[٤]فلَمَّا رَآهم صِدقِيَّا، مَلِكُ يَهوذا، وجَميعُ رِجالِ الحَرْب، هَرَبوا وخَرَجوا مِنَ المَدينَةِ لَيلاً، مِن طَريقِ بُسْتانِ المَلِكِ، مِنَ البابِ الَّذي بَينَ السُّورَين، وذَهَبَ صِدقِيَّا في طَريقِ العَرَبَة. [٥]فجَرى جَيشُ الكَلْدانِيِّينَ في إِثْرِهم، فأَدرَكوا صِدقِيَّا في بَرِّيَّةِ أَريحا، فأَخَذوه وأَصعَدوه إِلى نَبوكَدنَصَّر، مَلِكِ بابِل، في رِبلَةَ بِأَرضِ حَماة، فتَلا علَيه الحُكْم. [٦]وذَبَحَ مَلِكُ بابِلَ بَني صِدقِيَّا في رِبلَةَ أَمامَ عَينَيه، وذَبَحَ مَلِكُ بابِلَ جَميعَ أَشْرافِ يَهوذا، [٧]وفَقَأَ عَينَي صِدقِيَّا وأَوثَقَه بِسِلسِلَتَينِ مِن نُحاسٍ لِيَذهَبَ بِه إِلى بابِل. [٨]وأَحرَقَ الكَلْدانِيُّونَ بَيتَ المَلِكِ وبُيوتَ الشَّعبِ بِالنَّار، وهَدَموا أَسوارَ أُورَشَليم، [٩]وسائِرُ الشَّعبِ الَّذي بَقِيَ في المَدينَةِ والهارِبونَ الَّذينَ هَرَبوا إِلَيه وسائِرُ الشَّعبِ الَّذي بَقِيَ جَلاهم نَبوزَرادان، رَئيسُ الحَرَس، إِلى بابِل. [١٠]أَمَّا شَعبُ المَساكين، مِمَّن لم يَكُنْ لَهم شَيء، فتَرَكَهم

نَبوزَرادان ، رَئيسُ الحرَس ، في أَرضِ يَهوذا ، وأَعْطاهُم كُروماً وحُقولاً في ذلكَ اليَوم .

٦. مصير إرميا (٥٨٦)

كان النبي قد أيّد، في الواقع، الخضوع لبابل. فصدر أمر بإطلاق سراحه، ليكون، ولا شك، عنصر سلام.

[١١]وأَوصى نَبوكَدنَصَّر ، مَلِكُ بابِل ، نَبوزَرادان ، رَئيسَ الحرَس ، في إِرمِيا قائلاً : [١٢]«خُذْه وآجعَلْ عَينَيكَ علَيه ولا تَضَعْ بِه مِنَ الشَّرِّ شَيئاً ، بَلِ آعمَلْ لَه كما يَقولُ لَكَ» . [١٣]فأَرسَلَ نَبوزَرادان ، رَئيسُ الحرَس ، ونَبوشَزْبان ، رَئيسُ الخِصْيان ، ونِرجَلَ شَرْأَصَرُ الرَّبْماج وسائِرُ عُظَماءِ مَلِكِ بابِل ، [١٤]أَرسَلوا وأَخَذوا إِرمِيا مِن دارِ الحَرَس ، وسَلَّموه إِلى جَدَلْيا بنِ أَحيقامَ بنِ شافان ، لِيَذهَبَ بَه إِلى البَيت ، فأَقامَ بَينَ الشَّعْب .

٤٠ [١]الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إِرمِيا مِن لَدُنِ الرَّبّ ، بَعدَ أَن أَطلَقَه نَبوزَرادان ، رَئيسُ الحرَس ، مِنَ الرَّامة ، حينَ كانَ قد أَخَذَه مُكَبَّلاً بِالقُيودِ بَينَ جَميعِ مَجلُوِّي أُورَشَليمَ ويَهوذا الَّذينَ جُلوا إِلى بابِل .

[٢]أَخَذَ رَئيسُ الحَرَسِ إِرمِيا وقالَ لَه : «إِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ قد تَكَلَّمَ بِهذا الشَّرِّ على هذا المَكان ، [٣]وقد جَلَبَه وصَنَعَ الرَّبُّ كما قال ، لِأَنَّكم خَطِئتُم إِلى الرَّبّ ، ولم تَسمَعوا لِصَوتِه ، فتَمَّ علَيكم هذا الأَمْر . [٤]والآنَ هاءَنَذا قد حَلَلتُكَ اليَومَ مِنَ القُيودِ الَّتي على يَدِكَ ، فإِن حَسُنَ في عَينَيكَ أَن تأتِيَ مَعي إِلى بابِل ، فهَلُمَّ فإِنِّي أَجعَلُ عَينَيَّ علَيكَ ، وإِن ساءَ في عَينَيكَ أَن تأتِيَ مَعي إِلى بابِل ، فلا تَأتِ. أُنظُر ! إِنَّ الأَرضَ كُلَّها بَينَ يَدَيكَ، فحَيثُما حَسُنَ في عَينَيكَ ووافَقَكَ أَن تَذهَبَ فآذهَبْ» . [٥]ولم يَكُنْ قدِ آنصَرَف ،

فقالَ لَه : «إِنْصَرِفْ إِلى جَدَلْيا آبنِ أَحيقامَ بنِ شافانَ الَّذي وَلاَّه مَلِكُ بابِلَ على مُدُنِ يَهوذا ، وأَقِمْ معَه بَينَ الشَّعْب ، أَو فآذهَبْ حَيثُما وافَقَكَ أَن تَذهَب» . وأَعْطاه رَئيسُ الحَرَسِ زاداً وهَدِيَّةً وأَطلَقَه . [٦] فأَتى إِرمِيا إِلى جَدَلْيا[(٤١)] بنِ أَحيقامَ في المِصْفاة ، وأَقامَ مَعه بَينَ الشَّعبِ الباقي في الأَرض .

٧. مقتل جدَلْيا (أيلول (سبتمبر) ٥٨٦)

أقام البابليون جدليا والياً على اليهودية والسكّان القليلين الذين لم يُجلوا . لكنه ما لبث أن قُتل .

[٧] ولَمَّا سَمِعَ جَميعُ رُؤَساءِ الجُيوشِ الَّذينَ في الحُقول، هم ورِجالُهم ، أَنَّ مَلِكَ بابِلَ قد وَلَّى جَدَلْيا بنَ أَحيقامَ على تِلكَ الأَرضِ ووَكَلَ إِلَيه الرِّجالَ والنِّساءَ والأَطْفالَ ومَساكينَ الأَرض ، مِمَّن لم يُجْلَ إِلى بابِل ، [٨] أَتَوا جَدَلْيا في المِصْفاة ، [٩] فحَلَفَ جَدَلْيا بنُ أَحيقامَ بنِ شافانَ لَهم ولِرجالِهم قائِلاً : «لا تَخافوا مِن خِدمَةِ الكَلْدانِيِّين . أُسكُنوا في هذِه الأَرضِ وآخدِموا مَلِكَ بابِل ، فيَكونَ لَكم خَير . [١٠] هاءَنَذا ساكِنٌ في المِصْفاةِ لأَقِفَ أَمامَ الكَلْدانِيِّينَ الَّذينَ يَأتونَ إِلَينا . أَمَّا أَنتُم فاستَغِلُّوا الخَمرَ والفَواكِهَ والزَّيت ، وضَعوها في آنِيَتِكم ، وآسكُنوا في مُدُنِكمُ الَّتي أَخَذتُموها» .

[١١] وكذلك جَميعُ اليَهودِ الَّذينَ في موآبَ وبَينَ بَني عَمُّونَ وفي أَدوم ، والَّذينَ في كُلِّ الأَراضي ، لَمَّا سَمِعوا أَنَّ مَلِكَ بابِلَ قد تَرَكَ بَقِيَّةً لِيَهوذا ووَلَّى علَيهم جَدَلْيا بنَ أَحيقامَ بنِ شافان ، [١٢] رَجَعوا مِن جَميعِ الأَماكِنِ

(٤١) جَدَلْيا ، الذي سيصبح والياً ، صديق لإرميا .

الَّتي دُفِعوا إِلَيها ، وأَتَوا إِلى أَرضِ يَهوذا ، إِلى جَدَلْيا في المِصْفاة ، وٱستَغَلُّوا مِنَ الخَمرِ والفَواكِهِ شَيئاً كَثيراً جِدًّا .

[١٣]وإِنَّ يوحانانَ بنَ قاريحَ وجَميعَ قُوَّادِ الجُيوشِ الَّذينَ في الحُقولِ(٤٢) أَتَوا جَدَلْيا في المِصْفاةِ [١٤]وقالوا لَه : «هل عَلِمتَ أَنَّ بَعْليسَ ، مَلِكَ بَني عَمُّون ، قد أَرسَلَ إِسْماعيلَ بنَ نَتَنْيا لِيَقتُلَكَ ؟» . فلَم يُصَدِّقْهم جَدَلْيا بنُ أَحيقام .

٤١ [١]وفي الشَّهرِ السَّابِع ، جاءَ إِسْماعيلُ بنُ نَتَنْيا بنِ أَليشاماع ، مِنَ النَّسلِ المَلَكِيّ ، وبَعضُ عُظَماءِ المَلِكِ وعَشَرَةُ رِجالٍ معه إِلى جَدَلْيا بنِ أَحيقامَ في المِصْفاة ، وأَكَلوا مَعه طَعاماً في المِصْفاة . [٢]ثُمَّ قامَ إِسماعيلُ بنُ نَتَنْيا والعَشَرَةُ الرِّجالُ الَّذينَ معَه وضَرَبوا جَدَلْيا بنَ أَحيقامَ بنِ شافانَ بِالسَّيفِ وقَتَلوه ، وهو الَّذي وَلاَّه مَلِكُ بابِلَ على تِلكَ المِنطَقَة . [٣]وضَرَبَ إِسْماعيلُ جَميعَ اليَهودِ الَّذينَ كانوا معَه ، أَي مع جَدَلْيا في المِصْفاة ، والكَلْدانِيِّينَ الَّذينَ وُجدوا هُناكَ وكانوا رِجالَ حَرْب .

٨. إرميا يُرغم على الذهاب الى مصر (تشرين الأول (اكتوبر) ٥٨٦)

جدير بالذكر أن كلمة الله لا تأتي تلقائياً الى النبي ، بل انتظرها عشرة أيام .

٤٢ [١]وتَقَدَّمَ جَميعُ قُوَّادِ الجُيوشِ ويوحانانُ بنُ قاريح ويازَنْيا بنُ هوشَعْيا وكُلُّ الشَّعبِ مِنَ الصَّغيرِ إِلى الكَبير ، [٢]وقالوا لإِرمِيا النَّبِيّ : «لِيَصِلْ تَضَرُّعُنا إِلى حَضرَتِكَ ، وصَلِّ إِلى الرَّبِّ إِلهِكَ لأَجلِنا ولِأَجلِ كُلِّ هذِه

(٤٢) المقاومون الاخيرون .

البَقِيَّة ، فإِنَّنا بَقِينا قَليلاً مِن كَثير ، كما تَرانا عَيناكَ. [٣]ولْيُخبِرْنا الرَّبُّ إِلهُكَ بالطَّريقِ الَّذي نَسيرُ علَيه وبالأَمرِ الَّذي نَعمَلُه» . [٤]فقالَ لَهم إِرمِيا النَّبِيّ : «لقد سَمِعتُ. هاءَنذا أُصَلِّي إِلى الرَّبِّ إِلهِكم بِحَسَبِ كَلامِكم ، وكُلُّ الكَلامِ الَّذي يُجيبُكم بِه الرَّبُّ أُخبِرُكم بِه ولا أَكتُمُ عنكم شَيئاً» . [٥]فقالوا لإِرمِيا : «لِيَكُنِ الرَّبُّ شاهِدَ حَقٍّ وأَمانَةٍ علَينا ، إِن لم نَفْعَلْ بِحَسَبِ كُلِّ الكَلامِ الَّذي يُرسِلُكَ بِه الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَينا . [٦]إِن خَيراً وإِن شَرًّا ، فإِنَّنا نَسمَعُ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِنا الَّذي نَحنُ مُرسِلوكَ إِلَيه ، لِكَي يَكونَ لَنا خَيرٌ إِذا سَمِعْنا لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِنا» .

[٧]وبَعدَ عَشَرَةِ أَيَّام ، كانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى إِرمِيا . [٨]فدَعا يوحانانَ بنَ قاريحَ وجَميعَ قُوَّادِ الجُيوشِ الَّذينَ معَه وكُلَّ الشَّعْبِ مِنَ الصَّغيرِ إِلى الكَبير ، [٩]وقالَ لَهم : «هكذا قالَ الرَّبُّ ، إِلهُ إِسْرائيل ، الَّذي أَرسَلتُموني إِلَيه لِأَضَعَ تَضَرُّعَكم أَمامَه : [١٠]إِن سَكَنتُم في هذه الأَرض ، فأَنا أَبْنيكم ولا أَنقُضُ وأَغرِسُكم ولا أَقلَع ، لِأَنِّي قد نَدِمتُ على الشَّرِّ الَّذي صَنَعتُه بكم . [١١]لا تَخافوا مِن مَلِكِ بابِلَ الَّذي أَنتُم خائفونَ مِنه . لا تَخافوا مِنه يَقولُ الرَّبّ ، لِأَنِّي معَكم لِأُخَلِّصَكم وأُنقِذَكم مِن يَده . [١٢]فأُنيلُكم رَحمَةً فيَرحَمُكم ويُرجِعُكم إِلى أَرضِكم . [١٣]وإِن قُلتُم : لا نَسكُنُ في هذِه الأَرض ، ولم تَسمَعوا لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِكم ، [١٤]قائِلين : لا ، بل نَذهَبُ إِلى أَرضِ مِصرَ حَيثُ لا نَرى قِتالاً ولا نَسمَعُ صَوتَ بوقٍ ولا نَجوعُ إِلى خُبْزٍ فنُقيمُ هُناك ، [١٥]فآسمَعوا الآنَ كَلامَ الرَّبّ ، يا بَقِيَّةَ يَهوذا . هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات ، إِلهُ إِسرائيل : إِنْ صَمَّمتُم على الذَّهابِ إِلى مِصْرَ وذَهَبتُم لِتَنزِلوا هُناك ، [١٦]فالسَّيفُ الَّذي تَخافونَ مِنه يُدرِكُكم هُناكَ في أَرضِ

مِصْر، والجوعُ الَّذي تَخشَونَه يَتَعَقَّبُكُمْ هُناكَ في مِصرَ، وهُناكَ تَموتون».

٤٣ [١]ولَمَّا فَرَغَ إرميا مِن خِطابِه لِكُلِّ الشَّعبِ بِهذا الكَلامِ كُلِّه، كَلامِ الرَّبِّ إِلهِهم الَّذي أَرسَلَه بِه إِلهُهم إِلَيهم، [٢]قالَ عَزَرْيا بنُ هوشَعْيا ويوحانانُ بنُ قاريحَ وجَميعُ الرِّجالِ المُعتَدِّينَ بِأَنفُسِهم لإِرمِيا: «إِنَّكَ تَكَلَّمتَ بِالكَذِب، وَالرَّبُّ إِلهُنا لم يُرسِلْكَ قائِلاً: لا تَذهَبوا إِلى مِصْرَ لِتَنزِلوا هُناك. [٣]وإِنَّما حَرَّضَكَ باروكُ بنُ نيرِيَّا علَينا لِنُسلَمَ إِلى أَيدي الكَلْدانِيِّينَ ونُقتَلَ ونُجْلى إِلى بابِل».

٤٢ [١٩]قد قالَ لكمُ الرَّبّ: يا بَقِيَّةَ يَهوذا، لا تَذهَبوا إِلى مِصْر. فآعلَموا يَقيناً أَنِّي قد أَنذَرتُكمُ اليَوم، [٢٠]فإِنَّكم قد أَضلَلتُم أَنفُسَكم، حينَ أَرسَلتُموني إِلى الرَّبِّ إِلهِكم قائِلين: «صَلِّ إِلى الرَّبِّ إِلهِنا لأَجلِنا، وكُلُّ ما يَقولُه الرَّبُّ إِلهُنا أَخبِرْنا بِه فنَعمَلَه. [٢١]وقد أَخبَرتُكمُ اليَومَ فلَم تَسمَعوا لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِكم ولا لِشَيءٍ مِمَّا أَرسَلَني بِه إِلَيكم. [٢٢]فالآنَ آعلَموا يَقيناً أَنَّكم تَموتونَ بِالسَّيفِ والجوعِ والطَّاعون، في المَكانِ الَّذي أَرَدتُم أَن تَذهَبوا إِليه لِتَنزِلوا هُناك».

٤٣ [٤]ولَم يَسمَعْ يوحانانُ بنُ قاريحَ وجَميعُ قُوَّادِ الجُيوشِ وكُلُّ الشَّعبِ لِصَوتِ الرَّبِّ بِالإِقامةِ في أَرضِ يَهوذا. [٥]وأَخَذَ يوحانانُ بنُ قاريحَ وجَميعُ قُوَّادِ الجُيوشِ كُلَّ بَقِيَّةِ يَهوذا الَّذينَ رَجَعوا مِن بَينِ جَميعِ الأُمَمِ الَّتي دُفِعوا إِلَيها لِيُقيموا بِأَرضِ يَهوذا، [٦]الرِّجالَ والنِّساءَ والأَطْفالَ وبَناتِ المَلِكِ وسائِرَ النُّفوس، مِمَّن تَرَكَهم نَبوزَرادان، رَئيسُ الحَرَس، مع جَدَلْيا بنِ أَحيقامَ بنِ شافانَ وإِرمِيا النَّبِيَّ وباروكَ بنَ نيرِيَّا. [٧]وذَهَبوا إِلى أَرضِ مِصْر، إِذ لم

يَسمَعوا لِصَوتِ الرَّبّ، وآنتَهَوا إِلى تَحْفَنْحيس(٤٣).

الخاتمة: إخفاق إرميا الأخير

ان أولئك الناس فاسدون حقًّا. طلبوا كلمة من الله ولم يمتثلوا لها. واذا سمعوا كلام توبة، أجابوا بوعدٍ بالأمانة للآلهة الوثنية.

٤٤ [١] الكَلِمَةُ الَّتي كانَت إِلى إِرمِيا على جَميعِ اليَهودِ السَّاكِنينَ في أَرضِ مِصْر، الَّذينَ يَسكُنونَ مِجْدولَ وتَحْفَنْحيسَ ونوفَ وأَرضَ فَتْروس(٤٤)، قائلاً: لِماذا تَصنَعونَ هذا الشَّرَّ العَظيمَ بِأَنفُسِكم، لِيَنقَرِضَ مِنكُمُ الرَّجُلُ والمَرأَة، والوَلَدُ والرَّضيع، مِن بَينِ يَهوذا، حتَّى لا تَبْقى لكم بَقِيَّة، [٨] فتُسخِطوني بِأَعمالِ أَيديكم، مُحرِقينَ البَخورَ لِآلِهَةٍ أُخرى في أَرضِ مِصرَ الَّتي أَتَيتُموها لِتَنزِلوا هُناكَ وتَنقَرِضوا وتَصيروا لَعنَةً وعاراً في جَميعِ أُمَمِ الأَرض؟ [٩] أَنَسيتُم شُرورَ آبائِكم وشُرورَ مُلوكِ يَهوذا وشُرورَ نِسائِهم وشُرورَكم وشُرورَ نِسائِكُمُ الَّتي صُنِعَت في أَرضِ يَهوذا وفي شَوارِعِ أُورَشَليم؟ [١٠] فلم تَنسَحِقْ قُلوبُهم إِلى هذا اليَوم، ولم يَخشَوا، ولم يَسيروا على شَريعَتي وفَرائضي الَّتي جَعَلتُها أَمامَكم وأَمامَ آبائِكم.
[١١] فلِذلِك هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات، إِلهُ إِسْرائيل: هاءَنذا أَنقَلِبُ علَيكم لِلشَّرِّ ولِآنقِراضِ جَميعِ يهوذا، [١٢] وآخُذُ بَقِيَّةَ يَهوذا الَّذينَ عَزَموا على الذَّهابِ إِلى أَرضِ مِصرَ لِيَنزِلوا هُناك، وسيَفنَون جَميعاً في أَرضِ مِصرَ، ويَسقُطونَ بِالسَّيفِ والجوع، ويَفنَونَ مِنَ الصَّغيرِ إِلى الكَبير، ويَموتونَ بِالسَّيفِ والجوع، ويَصيرونَ دُعاءً علَيكم ودَهَشاً ولَعنَةً وعاراً. [١٤] ولا

(٤٣) إلى شرق دِلْتا النيل.
(٤٤) مجدول: بالقرب من تَحْفَنْحيس. نوف = ممفيس. فَتْروس = صعيد مصر.

يَكونُ باقٍ ولا شَريدٌ لِبَقِيَّةِ يَهوذا الَّذينَ ذَهَبوا إِلى أَرضِ مِصرَ لِيَنزِلوا هُناكَ ثُمَّ يَرجِعوا إِلى أَرضِ يَهوذا الَّتي تَطمَحُ نُفوسُهم إِلى الرُّجوعِ إِلَيها لِيَسكُنوا فيها، لِأَنَّه لا يَرجِعُ إِلاَّ بَقِيَّةٌ قَليلة.

[١٥] فأَجابَ إِرمِيا جَميعُ الرِّجالِ العارِفينَ أَنَّ نِساءَهم يُحرِقونَ البَخورَ لآلِهَةٍ أُخْرى، وجَميعُ النِّساءِ الواقِفاتِ في جَماعةٍ عَظيمة (وكُلُّ الشَّعبِ السَّاكِنِ في أَرضِ مِصرَ في فَتْروس)، قائلين: [١٦] «إِنَّ الكَلامَ الَّذي كَلَّمتَنا بِه بِٱسمِ الرَّبّ، لا نَسمَعُ لَكَ فيه، [١٧] بل نَعمَلُ بِحَسَبِ كُلِّ كَلامٍ يَخرُجُ مِن أَفْواهِنا، مُحرِقينَ البَخورَ لِمَلِكَةِ السَّماء[٤٥]، وساكِبينَ لَها سُكُباً، كما عَمِلْنا نَحنُ وآباؤُنا ومُلوكُنا ورُؤَساؤُنا في مُدُنِ يَهوذا وشوارِعِ أُورَشَليم، فشَبِعْنا خُبزاً وكُنَّا بِخَيرٍ ولم نَرَ شَرًّا. [١٨] ولكِن، مُنذُ أَهمَلْنا إِحْراقَ البَخورِ لِمَلِكَةِ السَّماءِ وسَكْبَ السُّكُبِ لَها، صِرْنا مُحْتاجينَ إِلى كُلِّ شيء، وفَنينا بِالسَّيفِ والجوع». [١٩] وقالَتِ النِّساء: «ونَحنُ، حينَ نُحرِقُ البَخورَ لِمَلِكَةِ السَّماءِ ونَسكُبُ لَها سُكُباً، أَبِدونِ عِلمِ رِجالِنا نَصنَعُ لَها أَقْراصاً تُمَثِّلُها ونَسكُبُ لَها سُكُباً؟».

[٢٠] فكَلَّمَ إِرمِيا كُلَّ الشَّعبِ، الرِّجالَ والنِّساءَ وسائِرَ الشَّعبِ الَّذينَ أَجابوه بِهذا الكَلام، قائِلاً: [٢١] «أَلَيسَ البَخورُ الَّذي أَحرَقتُموه في مُدُنِ يَهوذا وفي شَوارِعِ أُورَشَليم، أَنتُم وآباؤُكم ومُلوكُكم ورُؤَساؤُكم وشَعبُ هذه الأَرضِ هو الَّذي ذَكَرَه الرَّبُّ وخَطَرَ بِقَلبِه؟ [٢٢] فلَم يَستَطِعِ الرَّبُّ الِٱحتِمالَ بَعدَ ذلك بِسَبَبِ شَرِّ أَعْمالِكم وما صَنَعتُم مِنَ القَبائح، فصارَت

(٤٥) عشتار، إلهة بابل.

أَرضُكم خَراباً ودَهَشاً ولَعنَةً ، لا ساكِنَ فيها كما في هذا اليَوم .

١٠. ملحق : توقيع باروك

ان أمين سرّ إرميا وصديقه يختتم رواية الأحداث ، فيذكّر بكلمة لطيفة وجّهها اليه إرميا على عهد يوياقيم .

٤٥ [١] الكَلامُ الَّذي كَلَّمَ بِه إِرمِيا النَّبِيُّ باروكَ بنَ نيرِيَّا ، حينَ كَتَبَ هذا الكَلامَ في كِتابٍ عن فَمِ إِرمِيا ، في السَّنَةِ الرَّابِعَةِ لِيوياقيمَ بنِ يوشِيَّا ، مَلِكِ يَهوذا ، قائِلاً : [٢] هكذا قالَ الرَّبُّ ، إِلهُ إِسْرائيل ، فيكَ يا باروك . [٣] قد قُلتَ : وَيلٌ لي ، لِأَنَّ الرَّبَّ زادَني غَمًّا على أَلَمي . قد أَعيَيتُ مِن تَنَهُّدي ، ولَم أَجِدْ راحَة . [٤] هكذا تَقولُ لَه : هكذا قالَ الرَّبّ : هاءَنَذا ناقِضٌ ما بَنَيتُه وقالِعٌ ما غَرَستُه ، وذلك لِكُلِّ هذه الأَرض . [٥] وأَنتَ تَلتَمِسُ لِنَفسِكَ العَظائم؟ لا تَلتَمِسْها ، فإِنِّي هاءَنَذا جالِبٌ شَرًّا على كُلِّ بَشَر ، يَقولُ الرَّبّ . أَمَّا أَنتَ فأَهَبُ لَكَ نَفْسَكَ غَنيمةً في جَميعِ الأَماكِنِ الَّتي تُذهَبُ إِلَيها .

قراءة لبني جيلنا

إرميا قريب إلينا ، إرميا عزيز علينا . ما أثّر فيه ليس هو سموّ الله ، بل قُربَه بالأحرى . ولكنه شعر ، في الوقت نفسه ، بأنه الكائن الذي لا يقبل الجدال ، والذي يسحق صميم الانسان ليصنع لنفسه أداة مختارة . يا لَسرّ العمل الإلهي ، الذي يُفرغ الله من كل تجريد ليجعله حَيًّا ومحبًّا . ويا لسرّ هذا الإله الذي يبدو قاسياً لحساسيتنا والذي يستطيع ان يجتاز بنا من خلال «الليل» لبذهب بنا الى النور التام .

إرميا هو أحد منّا ، لأنه تألّم . ولم يفهم لماذا ، فبردت همّته . واتّهم الله : «أتراك خدعتني ؟» . انه قلَق الذي قرّب نفسه لله وعانى جميع أنواع الفشل ، فأخذ يتساءل هل الطريق الذي يسلكه هو الذي كان عليه ان يسلكه . وهناك أيضاً ، في عدم الادراك ، حيث يرفض الله إرسال نوره موقّتاً ، ايمان يتّسع شيئاً فشيئاً ، حتى إنه يبعث

فرحاً خالياً من الحساسية ، لكنه يتخطّى الألم . وفي ذلك الحين يكون الانسان مستعداً لتقبّل الكلمة الباطنة : فإن الله يتكلّم ويكشف عن نفسه .

إرميا يُعجب الانسان العصري ، لأنه لم يعرف الاعجاب المندهش بالمؤسَّسات . جرؤ على القول بأن الختان الخارجي لم يكن سوى عمل غير كافٍ ، وبأن الانسان يمكنه ان يستغني عن الهيكلِ وتابوت العهد ، وهذه الجرأة تُعَدّ أمراً نادراً . ولقد قاسى أمرّ الآلام بسبب ذلك ، فعظُم فضله . ولكنه أكّد ان الصلة الحقيقية بالله هي باطنية ، وهذا ما يُطمئن الذين يخشون الوقوع في الشكليات .

وأخيراً فان الأبتكار الذي أتى به هو توجيه روحي .

سِفْرُ نحوم

المحيط

هو المحيط الذي عاش فيه إرميا وصفنيا. لكن أورشليم لا تظهر هنا، بل يدور الكلام على نينوى فقط.

الانسان

لا نعرف عن نحوم إلاّ اسمه واسم مسقط رأسه القوش، الواقعة في جنوب فلسطين. إنه شديد الانفعال، ملؤه السرور بالانتقام.

الرسالة

نجد هنا رسالة الأنبياء القدماء، في نشيد الانتصار الخاصّ بسقوط نينوى القريب: فإن الله يعاقب جرائمها، لانه يدير تاريخ العالم ولا يترك أية خطيئة بدون عقاب. ولكنه أمين لعهده، فسيعيد «كرمة يعقوب وكرمة اسرائيل».

١. العدل الالهي

١. غضب الرب

أصبح هذا الموضوع تقليدياً عند الأنبياء. وهي أفضل مدخل الى الإنباء بخراب نينوى، ومع ذلك يبدو لنا الافق أوسع بكثير ويمتدّ الى تاريخ العالم كله.

١ [٢] الرَّبُّ إِلهٌ ومُنتَقِم، الرَّبُّ مُنتَقِمٌ وذو غَضَب.

الرَّبُّ مُنتَقِمٌ مِن خُصومِه وحاقِدٌ على أَعْدائِه.

[٣]الرَّبُّ طويلُ الأَناةِ وعَظيمُ القُوَّة ولا يَتَغاضى عن شَيء.
الرَّبُّ طريقُه في الزَّوبَعَةِ والعاصِفَة والغَمامُ غُبارُ قَدَمَيه.
[٤]يَزجُرُ البَحرَ فيُجَفِّفُه ويُنضِبُ جَميعَ الأَنْهار.
... قد ذَبَلَ باشانُ(١) والكَرمَل وذَبَلَ زَهَرُ لُبْنان.
[٥]تَزَلزَلَتِ الجِبالُ مِنه وذابَتِ التِّلال
وآرتَفَعَتِ الأَرضُ أَمامَه والدُّنْيا وجَميعُ ساكِنيها.
[٦]مَن يَقِفُ أَمامَ سُخطِه ومَن يُقاوِمُ آضطِرامَ غَضَبِه؟
قدِ آنصَبَّ حَنَقُه كالنَّار وتَحَطَّمَت مِنه الصُّخور.
[٧]الرَّبُّ صالِحٌ وحِصنٌ في يَومِ الضِّيق وعالِمٌ بِالمُعتَصِمينَ بِه
[٨]وإِن وافى الطُّوفان(٢)، يُفْني مقاوميه ويَتَعَقَّبُ أَعْداءَه في الظَّلام.

٢. خلاص يهوذا

هناك سلسلة أقوال تتناوب، وتستهدف تارةً خراب نينوى، وتارةً تجديد يهوذا، وهي تدل على عدل الرب وقدرته. إليك مثلاً في إعادة الشعب الاسرائيلي.

٢ [١]ها إِنَّ على الجبالِ قَدَمَي المُبَشِّر، المُسمِعِ بِالسَّلام
يا يَهوذا عَيِّدْ أَعْيادَكَ وأَوفِ نُذورَكَ
فإِنَّه لا يَعودُ مَن لا خَيرَ فيه(٣) إِلى المُرورِ بِكَ فقَدِ آنقَرَضَ كُلُّه.
[٣](فإِنَّ الرَّبَّ أَعادَ فَخرَ يَعقوب مِثلَ فَخْرِ إِسْرائيل
لِأَنَّ السَّالِبينَ سَلَبوهم وأَتلَفوا أَغْصانَهم).

(١) منطقة في عبر الاردن، مشهورة بغاباتها (سنديان باشان) ومروجها.
(٢) تلميح الى الطوفان.
(٣) تجسيد الشرّ. قد يكون هنا سنحاريب، ملك أَشّور (٧٠٤-٦٨١).

٢. خراب نينوى

١. هجوم البابليين

يعبّر نحوم عن الاستيلاء على نينوى بعنف ووفرة استعارات، حتى إنه، مهما قصُرت مجموعته، يُعَدّ نبيًا كبيراً في يهوذا.

[٢]قد صَعِدَ المُخَرِّبُ أمامَ وَجهِكِ
فاَحرُسي الحِصنَ واَرقُبي الطَّريق
وشُدِّي وَسْطَكِ واَجمَعي قُوَّتَكِ كُلَّها
[٤]تُروسُ أَبْطالِهم مُحمَرَّة والبَواسِلُ علَيهمِ القِرمِز
في يَومِ تَجْهيزِها فولاذُ المَركَباتِ نار وسَرْوُ الرِّماحِ يَهتَزّ.
[٥]تَهيجُ المَرَكَباتُ في الشَّوارِع وتَندَفِعُ في السَّاحات.
مَنظَرُها مِثلُ المَشاعِلِ وهي تَجْري كالبُروق.
[٦]يُنادي الأَبطالُ أَبْطالَهم فيَتَعَثَّرونَ في مَشيِهم
ويُسرِعونَ إِلى سورِها والآلَةُ الحامِيَةُ مُعدَّة
[٧]قدِ اَنفَتَحَت أَبوابُ الأَنْهار واَنْهارَ القَصْر.
[٨]يُخطَفُ تِمْثالُها ويُساق
وإماؤُها يَتَنَهَّدنَ كصَوتِ الحَمام ويَقرَعنَ صُدورَهُنَّ.
[١٢]أَينَ عَرينُ الأُسودِ ومَرْعى الأَشْبال حين كانَ الأَسَدُ يَذهَب
فتَبْقى اللَّبُؤَةُ وجِرْوُ الأَسَد ولا أَحَدَ يُفزِعُهما؟
[١٣]كانَ الأَسَدُ يَفتَرِسُ لِأَجلِ صِغارِه ويَخنُقُ لِلَبؤاتِه
ويَملأُ كُهوفَه فَريسةً وعَرائِنَه لُحوماً مُقَطَّعة.
[١٤]هاءَنَذا إِلَيكَ، يَقولُ رَبُّ القُوَّات، فأُحرِقُ مَركَباتِكِ دُخاناً

وَيأكُلُ السَّيفُ أَشْبالَكِ وأَستأصِلُ مِنَ الأَرضِ فَرائِسَكِ
ولا يُسمَعُ مِن بَعدُ صَوتُ رُسُلِكِ.

٢. نَدْب نينوى

٣ [١]وَيلٌ لِمَدينَةِ الدِّماء المُمتَلِئَةِ بِأَسرِها كَذِباً وخَطْفاً
والَّتي لا تُفارِقُها الفَرائِس!
[٢]هُوَذا صَوتُ السِّياط وصَوتُ آهتِزازِ الدَّواليب
والخَيلِ العادِيَةِ والمَرْكَباتِ الواثِبَة
[٣]وهُجومُ الفارِسِ ولَهيبُ السَّيف وبريقُ الرُّمْحِ وكَثرَةُ القَتْلى
وتَراكُمُ الجُثَثِ ولا نِهايَةَ لِلجِيَف، وهم يَعثُرونَ بِجِيَفِهم.
[٤]لِكَثرَةِ زِنى الزَّانِيَةِ الفاتِنَةِ الجَمالِ صاحِبَةِ السِّحْرِ
الَّتي تَبيعُ الأُمَمَ بِزِناها والعَشائِرَ بِسِحْرِها.
[٥]هاءَنَذا إِلَيكِ، يَقول رَبُّ القُوَّات
فأَرفَعُ ذُيولَ ثَوبِكِ على وَجهِكِ
وأُري الأُمَمَ عَورَتَكِ والمَمالِكَ هَوانَكَ.
[٦]وأَقذِفُكِ بِالأَقْذار وأَفضَحُكِ وأَجعَلُكِ عِبرَةً
[٧]فكُلُّ مَن يَراكِ يُعرِضُ عنكِ ويَقول:
قد دُمِّرَت نينَوى فمَن يَرْثي لَها ومِن أَينَ أَطلُبُ لَكِ مُعَزِّين؟
[١٢]جَميعُ حُصونِكِ أَشْجارُ تينٍ بِبَواكيرِها
إِنِ آنهَزَّت تَسقُطُ في فَمِ الآكِل.
[١٣]ها إِنَّ شَعبَكِ في داخِلِكِ نِساء

وأَبْوابُ أَرضِكِ تُفتَحُ فَتْحاً لِأَعْدائِكِ والنَّارُ ٱلتَهَمَت مَزاليجَكِ.
[١٤] إستَقي لَكِ مِياهاً لِلحِصار وحَصِّني قِلاعَكِ.
أُدخُلي في الوَحْلِ ودوسي في الطِّين وأَمسِكي قالَبَ التَّلْبين.
[١٥] هُناكَ تَلتَهِمُكِ النَّار ويَستَأصِلُكِ السَّيف ويَأكُلُكِ كالجُندُب.

قراءة لبني جيلنا

هذا السرور بالانتقام ليس شعوراً مسيحياً، بل هو وجه ذاتي من وجوه الروح الوطني القديم، حيث يختلط تحقيق مواعد الله اختلاطاً غريباً بالسرور الأناني بانسحاق العدو.

سِفرُ حَبَقُّوق

المحيط

هو المحيط الذي عاش فيه نحوم. يجب علينا مع ذلك، على ما يبدو، أن ننزل قليلاً، فإن بابل تسيطر بعد اليوم على الشرق الأدنى، ونينوى تغرق في النسيان.

الانسان

مجموعته تكاد أن لا تكون أطول من مجموعة نحوم. ولا نعرف عنه أكثر ممَّا نعرف عن نحوم. وقد يشابه إرميا في طريقة كلامه على الله.

رسالته

كتيّبه صغير، ومع ذلك نرى فيه عنصرَين على جانب من الأهمية. الأول اقتبسه من أقوال إرميا، وهو مشكلة الشر، لكنه وسَّعه على مستوى الشعوب. هناك حجر عثرة يكمن في سعادة الشرير، ولكنَّ هناك أيضاً حجر عثرة آخر مرتبط بالظروف، أي انتصار بابل، وهي أخبث بكثير من مملكة يهوذا. فلماذا يفعل الله ذلك؟ والعنصر الثاني هو جواب الله: يجب على البار أن يكون صبوراً وأن ينتظر تدخّل إلهه، لكنه على يقين من العيش بفضل أمانته. ان مشكلة الشر، سواء أكان فردياً أم جماعياً، لا تُحلّ (؟) إلاّ بمسعى من الإيمان.

١. انتصار بابل حجر عثرة

شكوى النبي وجواب الله

١ [٢] إلامَ يا رَبُّ أَستَغيثُ ولا تَسمَع

أَصرُخُ إِلَيكَ مِنَ العُنفِ ولا تُخَلِّص؟

[٣]لِماذا تُريني الإِثْمَ وتَجعَلُني أَنظُرُ إِلى الخَطيئة
والدَّمارُ والعُنْفُ أَمامي ويَحدُثُ الخِصامُ ويُقامُ النِّزاع ؟
[٤]لِذلكَ جَمَدَتِ الشَّريعة ولا يَبرُزُ الحَقُّ أَبَداً
لِأَنَّ الشِّرِّيرَ يُحاصِرُ البارّ فيَبرُزُ الحَقُّ مُعْوَجًّا .
[٥]أُنظُروا بَينَ الأُمَمِ وأَبصِروا ، تَعَجَّبوا وتَحَيَّروا
فإِنَّ عامِلاً يَعمَلُ في أَيَّامِكم لا تُصَدِّقونَ إِذا جاءَكمُ الخَبَر .
[٦]فهاءَنَذا أُثيرُ الكلدانِيِّين ، الأُمَّةَ المُرَّةَ المُندَفِعَة
الَّتي تَطوفُ رِحابَ الأَرْض لِتَمتَلِكَ مَساكِنَ لَيسَت لَها .
[٧]إِنَّها مَرْهوبةٌ هائِلة ومِنها يَبرُزُ حَقُّها وتَشامُخُها .
[٨]وخَيلُها أَخَفُّ مِنَ النَّمِر وأَسرَعُ مِنَ الذِّئابِ في المَساء
وفُرْسانُها يَثِبونَ ويَزحَفونَ مِن بَعيد
ويَطيرونَ كالعُقابِ المُنقَضِّ لِلافتِراس .
[٩]يأتونَ كُلُّهم لِلعُنْف ووُجوهُهم مُتَّجهةٌ إِلى الشَّرْق
فيَجمَعونَ الأَسْرى كالرَّمْل .
[١٠]إِنَّه يَهزَأُ مِنَ المُلوك ويَكونُ الزُّعَماءُ أُضْحوكةً لَه
ويَضحَكُ على كُلِّ حِصْنٍ ويَركُمُ تُراباً ويأخُذُه .
[١١]حينَئِذٍ يَمُرُّ كالرِّيحِ ويَعبُر أَثيمٌ يَجعَلُ مِن قُوَّتِه إِلٰهَه .
[١٢]أَلَستَ أَنتَ الرَّبَّ مُنذُ القِدَم ، إِلٰهي وقُدُّوسي فلا نَموت ؟
يا رَبِّ إِنَّكَ لِلحَقِّ جَعَلتَه[١]

(١) بابل أو إسرائيل : الآراء تختلف .

ولِلتَّأديبِ صَخرَةً أَسَّستَه .

[١٣]عَيناكَ أَطهَرُ مِن أَن تَرى الشَّرّ ولَستَ تُطيقُ النَّظَرَ إِلى الإِثْم .
فلِمَ تَنظُرُ إِلى الغادِرين
ولِمَ تَصمُتُ عِندَما يَبتَلِعُ الشِّرِّيرُ مَن هو أَبَرُّ مِنه ؟
[١٤]وتُعامِلُ البَشَرَ كسَمَكِ البَحْر كزَحَّافاتٍ لا قائِدَ لَها .
[١٥]إِنَّه[٢] يَرفَعُهم جَميعاً بِشِصِّه
ويَجُرُّهم بِشَبَكَتِه ويَجمَعُهم في شَرَكِه
فلِذلِكَ يَفرَحُ ويَبتَهِج
[١٦]ولِذلِكَ يَذبَحُ لِشَبَكَتِه ويُحرِقُ البَخورَ لِشَرَكِه
لِأَنَّه بِهِما سَمِنَ نَصيبُه ودَسِمَ طَعامُه .
[١٧]أَفَبِسَبَبِ ذٰلك يَستَلُّ سَيفَه ولا يَزالُ يَقتُلُ الأُمَمَ ولا يَرحَم .

٢ [١]على مَحرَسي أَقِف وعلى مَرصَدي أَنتَصِب
وأُراقِبُ لِأَرى ماذا يَقولُ لي وماذا يُجيبُ عن مُعاتَبَتي .
[٢]فأَجابَني الرَّبُّ وقال : أُكتُبِ الرُّؤْيا وآنقُشْها على الأَلْواح
حتَّى يُسرِعَ في قِراءَتِها .
[٣]فإِنَّها أَيضاً رُؤْيا لِلْميقات تَصْبو إِلى أَجَلِها ولا تَكذِب .
إِن أَبطَأَت فآنتَظِرْها فإِنَّها ستَأتي إِتْياناً ولا تَتَأَخَّر .
[٤]النَّفسُ غَيرُ المُستَقيمةِ غَيرُ أَمينَة . أَمَّا البارُّ فبِأَمانَتِه يَحْيا[٣] .

(٢) الجنديّ البابلي في الاجتياح .
(٣) سيكون البارّ في أمان ، بفضل أمانته لله (راجع روم ١/١٧) .

٢. اللعنات على بابل

١. الويل لمن يكدّس أموال الآخرين!

وَيلٌ لِلمُكثِرِ مِمَّا لَيسَ لَه (فإلى مَتى؟)
ولِلمُثَقِّلِ على نَفْسِه بِالرُّهون
[٧]أَلا يَقومُ بَغتَةً دائنوكَ ويَستَيقِظُ مَن يُطالِبونَكَ فتَكونَ لَهم نَهْباً.
[٨]وبِما أَنَّكَ سَلَبتَ أُمَماً كَثيرة فسيَسلُبُكَ جَميعُ بَقِيَّةِ الشُّعوب
بِسَبَبِ دِماءِ البَشَرِ والعُنفِ بالأَرْض
وبالمَدينَةِ وجَميعِ السَّاكِنينَ فيها.

٢. الويل لمن يأخذ أسلاب الظلم!

[٩]وَيلٌ لِلكاسِبِ المَكاسِبَ حَراماً لِبَيتِه
لِيَجعَلَ عُشَّه العُلُوّ ويَسلَمَ مِن قَبضَةِ الشَّرّ.
[١٠]إِنَّكَ تأْتَمِرُ لِخِزْيِ بَيتِكَ صارِعاً شُعوباً كَثيرة
وخَطِئتَ إِلى نَفْسِكَ.
[١١]فالحَجَرُ يَصرُخُ مِنَ الحائِط والعارِضَةُ تُجيبُه مِنَ الخَشَب.

٣. الويل لمن يقيمون سلطتهم في الدم!

[١٢]وَيْلٌ لِمَن يَبْني مَدينةً بِالدِّماء ويُؤَسِّسُ بَلدَةً بِالآثام.
[١٣]أَلَيسَ ذٰلك مِن عِندِ رَبِّ القُوَّات:
تَتعَبُ الشُّعوبُ لِلنَّار وتَجهَدَ الأُمَمُ لِلباطِل؟
[١٤]لِأَنَّ الأَرضَ ستَمتَلِئُ مِن مَعرِفَةِ مَجدِ الرَّبّ كما تَغمُرُ المِياهُ البَحْر.

٤. الويل لمن يَسْقي قريبه !

[١٥]وَيلٌ لِمَن يَسْقي قَريبَه مازِجاً مُسكِرَكَ حتَّى يُسكِرَه
لِيَنظُرَ إلى عَورَتِه .
[١٦]قد شَبِعتَ هَواناً بَدَلَ المَجْد
فآشرَبْ أَنتَ أَيضاً وآكشِفْ عن قُلفَتِكَ
فإِنَّ كأسَ يَمينِ الرَّبِّ تَنقَلِبُ علَيكَ
ويَنقَلِبُ العارُ على مَجدِكَ
[١٧]لِأَنَّ العُنفَ بِلُبنانَ يُغَطِّيكَ والفَتكَ بِالبَهائِمِ يُفزِعُكَ
بِسَبَبِ دِماءِ البَشَرِ والعُنفِ بِالأَرْض
وبِالمَدينَةِ وجَميعِ السَّاكِنينَ فيها .

٥. الويل لعُبَّاد الأوثان

[١٨]ماذا يَنفَعُ المَنْحوتُ حتَّى يَنحِتَه صانِعُه والمَسْبوكُ ، مُعَلِّمُ الكذب
حَتَّى يَتَّكِلَ علَيه صانِعُه فيَصنَعَ أَصْناماً بُكْماً ؟
[١٩]وَيلٌ لِمَن يَقولُ لِلخَشَبِ : آستَيقِظْ ولِلحَجَرِ الصَّامِت : تَنَبَّهْ
أَفي طاقَتِه أَن يُعَلِّم ؟
إِنَّما هو مَطلِيٌّ بِالذَّهَبِ والفِضَّة ولا روحَ في باطِنِه البَتَّة .
[٢٠]أَمَّا الرَّبُّ فهو في هَيكَلِ قُدسِه
فآسكُتي أَمامَ وَجهِه يا جَميعَ الأَرض .

٣. التثبُّت من تدخّل الله

٣ [١]صلاة حَبَقُّوقَ النَّبِيِّ على لَحنِ الرِّثاء .

[٢]يا رَبُّ سَمِعتُ بِسُمعَتِكَ فخِفتُ عَمَلَكَ في وَسَطِ السِّنينَ أَحْيِه
وفي وَسَطِ السِّنينَ تُعَرِّفُ بِه وفي الغَضَبِ آرحَمْ وآذكُرْ.
[١٢]إِنَّكَ بِسُخطٍ تَطَأُ الأَرْضَ وبِغَضَبٍ تَدوسُ الأُمَم.
[١٣]لقد خَرَجتَ لِخَلاصِ شَعبِكَ، لِخَلاصِ مَسيحِكَ[٤]
فهَشَّمتَ رأسَ بَيتِ الشِّرِّير مُعَرِّياً مِنَ الأَساسِ إِلى السَّقْف.
سِلاه[٥].
[١٤]طَعَنتَ بِسِهامِه رُؤُوسَ قُوَّادِه الهاجِمينَ كالزَّوبعةِ لِيُشَتِّتوني
الشَّامِتينَ كأَنَّهم يَلتَهِمونَ المِسْكينَ في الخُفْيَة.
[١٦]سَمِعتُ فخَفَقَت أَحْشائي ورَجَفَت شَفَتايَ مِنَ الصَّوت
ودَخَلَ النَّخَرُ عِظامي وآضطَربتُ في مَكاني
لِأَنِّي أَنتَظِرُ أَن يَقومَ يَومُ ضيقٍ على شَعبٍ يُهاجِمُنا.
[١٨]أَمَّا أَنا فأَتَهَلَّلُ بِالرَّبّ وأَبتَهِجُ بِإِلهِ خَلاصي.

(٤) الشعب الاسرائيلي.
(٥) سِلاه: علامة وقف، للاستعمال الطقسي.

سفر حزقيال

المحيط

رأى حزقيال نهاية الخراب الذي شاهد إرميا بدايته. ذلك بأن إرميا بقي في أورشليم، في حين أن أهل النفوذ جُلوا إلى بابل، ثم أُرغم على الذهاب إلى مصر حيث تُوفّي.

يرجَّح ان حزقيال كان في قافلة المجلوّين الاولى في السنة ٥٩٣. كان واحداً منهم فعاش عيشتهم ومات في بابل حوالى ٥٧٠.

فالمحيط الذي عاش فيه هو محيط المنفى. كان اليهود يقيمون، إمَّا في المدن، وإمَّا في الضواحي، ولا سيّما على جانب الاقنية (مز ١٣٧). وكان أكثرهم يتمتَّع بحرية حقيقية، لا بل يجوز لهم أن يشكّلوا مجموعات متجانسة، بإدارة رئيس مسؤول أمام السلطات البابلية. أول عمل انصرفوا اليه هو الزراعة، وفي وقت لاحق عملوا في الصناعة وحتى في المصارف. كانوا متساوين في البؤس عند وصولهم، ثم اختلفوا شيئاً فشيئاً في غنى بعضهم وفشل بعضهم الآخر، فعادت الطبقات الاجتماعية وتكوَّنت في المنفى.

كان المحيط متشعّباً. فاليهود الذين جُلوا في ٥٩٣ أقاموا موقَّتاً في بابل، متيقّنين بأن انتصار نبوكدنصر لن يدوم. فالمطلوب منهم أن ينتظروا، فلن يلبثوا أن يعودوا إلى فلسطين.

لكن قافلة جديدة أوفر عدداً، خلا منها الشيوخ والصغار (فلقد ماتوا في الطريق)، وصلت في أيلول (سبتمبر) ٥٨٦ الى ضفاف الفرات، وفي عيونهم رؤية المشاهد المخيفة التي عاينوها. وأكّدوا ما كان متوقَّعاً، وهو أن قد فُقد الامل، لان أورشليم زالت عن الوجود وهُدم حتى هيكل العليّ.

ففي وسط أولئك الرجال والنساء قام حزقيال بخدمته النبوية.

الانسان

كان ينتمي إلى أسرة كهنوتية، وكان هو نفسه كاهناً في أورشليم.

لم يكن شديد الحماسية كإرميا، بل كان بالاحرى شديد التوتر العصبي. والشلل الذي استولى عليه في حياته يدل على خلل في الاتّزان من هذه الناحية، وقال العلماء إنه تخشُّب.

ومع ذلك، فلقد قام هو أيضاً، على غرار إرميا، بالعديد من الاعمال الرمزية: فالاعمال الايمائية تمتاز عنده بقوّة التعبير. ونراه أحياناً يرنّم أقواله ويُخضعها للإيقاع بيديه ورجليه، ويرافقها بإحدى آلات الطرب. وعلى غرار هوشع، لا تنفصل حياته الشخصية الحميمة عن نشاطه النبوي. سنطالع أدناه رواية وفاة امرأته، علماً بأن هذه الوفاة ولَّدت عند النبي موقفاً غير مألوف، وهو آية للمجلوّين.

وعلى غرار معلّمه إرميا أيضاً، حُرم من التعزية إلاَّ القليل، مع أنه كان كريماً في عمله. ولكنه، خلافاً لسلفه، لم يعانِ على ما يبدو، من عُنف تجارب فتور الهمة. كان اسمه برنامجاً، فإن كلمة حزقيال تعني: «الله يقسّي». أنعم الله على نبيّه بالقوة والصبر: «اجعل جبهتك صلبة مثل الماس».

رسالته

ان نظرنا الى رسالته من ناحية الله، نُؤخذ بفكرة التعالي: ان الله كائن يفوق كل ما كان الانسان يستطيع أن يتصوَّره. لمَّا تراءى الله لحزقيال، يومَ دعاه، لم يستطع أن يتصوَّره إلاَّ بطريقة محيِّرة، يتجانب فيها عناصر متناقضة للتعبير عمَّا لا يعبَّر عنه. هذا شأن تلك المركبة التي تنقل الله والتي تتحرّك دواليبها الاربعة في آن واحد نحو الجهات الاربع: لا شك ان المركبة لا تستطيع أن تسير، ولكن هذه الصورة تساعدنا على التفكير في أن الله موجود في كل مكان في آن واحد. وهذا أيضاً شأن الدواليب التي فيها عيون على كل دائرتها، فإن ذلك يعني ان الله يرى ويعرف كل شيء في الوقت نفسه وفي أطراف العالم الاربعة!

وان نظرنا الى الذين تُوجَّه إليهم الرسالة، لفت نظَرنا الفاصل الّذي يشكّله وصول قافلة المجلوّين الثانية. علامَ يقوم هذا الفاصل؟

حتى السنة ٥٨٦، كان يستحيل على اليهود المقيمين في بابل ان يسلّموا بأن كل

شيء قد انتهى . كانوا ينطلقون من مفهوم صنمي للهيكل ، اي أنه لا يمكن ان يُهدم ، وإلاّ كان الله مخالفاً لمواعده ولم يكن القدير .

أمام هذه العقلية ، كان ردّ فعل حزقيال عنيفاً : أنبأ بأن الكارثة المقبلة هي عِقاب . أيُقال بأن الهيكل لا يُهدَم ؟ لكن الله قرف منه ، لانه مليء بعبادة أوثان لا تستطيع قداسة الله أن تتحمّلها . فهو مستعد لهجر الهيكل . ونرى حزقيال يومئ الى حصار أورشليم وهرب المحاصَرين والجلاء الجديد .

وحين روى القادمون الاحداث الهائلة التي جرت في ٥٨٦، تمَّ انقلاب شعر به النبي شعوراً حقيقياً . قال المجلوّون في أنفسهم : «لم يَبقَ للعمل أي مجال ، ولن نعود أبداً إلى الارض المقدّسة . لقد مات رجاؤنا» . ان الخطر الحاضر أكبر من الخطر السابق . فما وراء ولادة شعب جديد لله ، يجب أن يتساءل اليهودي : وهل بقاء اسرائيل أمر مضمون ؟

ولذلك نرى أثراً للحَدثَين في وعظ حزقيال ، ويتّضح لنا ان لون الرسالة يختلف .

فقبل ٥٨٦، يشدّد على المسؤولية الفردية : كل واحد مسؤول عن موقفه ، لا عن نشاط الذين سبقوه .

ولكنه يُشعِر في الوقت نفسه بأن وراء العقاب رجاءً . ذلك بأن الله لا ينسى عهده . وكيف التوفيق بين المواعد التي قُطعت في الماضي وما يقتضيه عدله ؟ عندئذ نرى مصدر ما علّمه القديس بولس في مجانيّة الخلاص التامّة : «لست من أجلكم أعمل هكذا ، يا بيت إسرائيل ، بل من أجل اسمي القدّوس الذي دنّستموه . . .» .

وبعد خراب الهيكل ، تابع النبي تطوّر العقول وأخذ يعظ الرجاء القائم على قدرة الله . إنها الرؤيا المشهورة التي شاهد النبي فيها «العظام اليابسة» والتي أعلن الله فيها بوضوح عودة اليهود الى فلسطين . إنّه في الحقيقة الإله «الذي يعد ويفي» .

لكن أولئك اليهود الذين سيعودون الى فلسطين ، يجب ألاّ يجدوا أنفسهم في الاوضاع السابقة . لن يُطلب اليهم أن يؤلّفوا دولة سياسية ، تخضع هذه المرّة للحكم الفارسي ، بل ان يشكلوا جماعة دينية تمتاز بمشاركة أعضائها في قداسة الله ، الحاضر بعد اليوم بوجه خاص في وسط شعبه المتجدِّد : «الله هنا» ، هذا هو اسم أورشليم الرمزي الجديد .

وكيف تتحقّق تلك القداسة الشخصية ؟ على الصعيد الخارجي ، بتنظيم إداري وطقسي يكون فيه للكهنوت مكان الصدارة . وعلى الصعيد الباطني ، بتحوّل في قلب كل عضو من أعضاء الشعب الإسرائيلي ، بفضل فيضٍ من روح الله .

توقّع النبي، على غرار العديد من أسلافه، مقاومة قوى الشرّ لتحقيق التدبير الإلهي. لكنه سكبه في إنشاء خاص يتأصّل فيه التيّار الادبي المسمّى «رؤيوي»، الذي سيستخدمه يوحنا الرسول في العهد الجديد.

وان نظرنا أخيراً إلى النبي نفسه بالنسبة إلى رسالته، اكتشفنا فكرة مسؤوليته. فللمرّة الاولى يظهر مفهوم «المسؤولية عن النفوس»: إنه «الحارس» الذي كلّفه الله بالسهر على إسرائيل.

١. الدعوة

عُرضت على النبي في رؤيا مزدوجة: رؤيا المركبة ورؤيا السِفر.

١. رؤيا المركبة

يحاول النبي، باستخدام عناصر اقتبسها من الصور البابلية، أن يُشعِر سامعيه بمعرفة تعالي الله التي أنعم عليه بها.

١ [١]في السَّنَةِ الثَّلاثين، في الشَّهرِ الرَّابع، في الخامِسِ مِنَ الشَّهْر، وأَنا بَينَ المَجلُوِّينَ على نَهرِ كَبار، اِنفَتَحَتِ السَّموات، فرَأَيتُ رؤًى إِلهِيَّة. [٢]في الخامِسِ مِنَ الشَّهْر، وهي السَّنَةُ الخامِسَةُ مِن جَلاءِ المَلِكِ يوياكين(١)، [٣]كانَت كَلِمَةُ الرَّبُّ إِلى حَزقِيالَ بنِ بوزِيَ الكاهِن، في أَرضِ الكَلْدانِيِّين، على نَهرِ كَبار، وكانَت علَيه هُناكَ يَدُ الرَّبّ.

[٤]فنَظَرتُ فإِذا بِريحٍ عاصِفٍ مُقبِلَةٌ مِنَ الشَّمال، وغَمامٍ عَظيمٍ ونارٍ مُتَواصِلَة، ولِلغَمامِ ضِياءٌ مِن حَولِه، ومِن وَسَطِها ما يُشبِهُ اللَّمَعانَ القِرمِزيَّ مِن وَسَطِ النَّار. [٥]ومِن وَسَطِها شِبهُ أَربَعَةِ حَيَوانات، وهذا مَنظَرُها: لَها هَيئَةُ بَشَر. [٦]ولِكُلٍّ واحِدٍ أَربَعَةُ وُجوه، ولِكُلٍّ واحِدٍ أَربَعَةُ أَجنِحَة، [٧]وأَرجُلُها أَرجُلٌ مُستَقيمة، وأَقْدامُ أَرجُلِها كقَدَمِ رِجلِ العِجْل،

(١) في ٥٩٣.

وهي تَبرُقُ مِثْلَ النُّحاسِ الصَّقيل. ٨ومِن تَحتِ أَجنِحَتِها أَيدي بَشَرٍ على أَربَعَةِ جَوانِبِها، وكذلِكَ وُجوهُها وأَجنِحَتُها لِأَربَعَتِها. ٩أَجنِحَتُها مُتَّصِلَةٌ واحِدٌ بِالآخَر. والحَيَواناتُ لا تَعْطِفُ حينَ تَسير، فكُلُّ واحِدٍ مِنها يَسيرُ أَمامَ وَجهِه. ١٠أَمَّا هَيئَةُ وُجوهِها فهو وَجهُ بَشَرٍ ووَجهُ أَسَدٍ عنِ اليَمينِ لِأَربَعَتِها، ووَجهُ ثَورٍ عنِ الشَّمالِ لِأَربَعَتِها، ووَجهُ عُقابٍ لِأَربَعَتِها. ١١وُجوهُها وأَجنِحَتُها مُنفَصِلَةٌ مِن فَوقُ، لِكُلِّ واحِدٍ جَناحانِ مُتَّصِلانِ أَحَدُهما بِالآخَر، وجَناحانِ يَستُرانِ أَجْسامَها. ١٢وكانَت تَسيرُ كُلُّ واحِدٍ مِنها أَمامَ وَجهِه، وإِلى حَيثُ الرُّوحُ يُوَجِّهُ السَّيرَ كانَت تَسير، ولا تَعطِفُ حينَ تَسير. ١٣أَمَّا هَيئَةُ الحَيَواناتِ فمَنظَرُها كَجَمراتِ نارٍ مُتَّقِدَة، كمَنظَرِ مَشاعِلَ وهي تَسيرُ بَينَ الحَيَوانات، ولِلنَّارِ ضِياء، ومِنَ النَّارِ يَخرُجُ بَرْق. ١٤والحَيَواناتُ تَجْري وتَرجِعُ ومَنظَرُها كالبَرْق.

١٥فنَظَرتُ الحَيَوانات، فإِذا بِدولابٍ واحِدٍ على الأَرضِ بِجانِبِ الحَيَواناتِ ذَواتِ الوُجوهِ الأَربَعَة. ١٦مَنظَرُ الدَّواليبِ وصُنعُها كلَمَعانِ الزَّبَرجَد، ولِأَربَعَتِها شَكلٌ واحِد، ومَنظَرُها وصُنعُها كأَنَّما كانَ الدُّولابُ في وَسَطِ الدُّولاب. ١٧فعِندَ سَيرِها تَسيرُ على جوانِبِها الأَربَعَة، ولا تَعطِفُ حينَ تَسير. ١٨أَمَّا دَوائِرُها فعالِيَةٌ وهائِلَة، ودَوائِرُها مَلأَى عُيوناً مِن حَولِها لِأَربَعَتِها[٢]. ٢٢وكانَ على رُؤُوسِ الحَيَواناتِ شِبهُ جَلَدٍ كلَمَعانِ البِلَّورِ الهائِل، مُنبَسِطٍ على رُؤُوسِها مِن فَوق، ٢٣وتَحتَ الجَلَدِ

(٢) هذه الكائنات الحية مأخوذة من الصور البابلية (راجع «كروبين» تابوت العرش). لقد رأى حزقيال تماثيلها في مدخل القصور في بابل. سنعود الى رؤية هذه الكائنات في رؤ ٤/٧.

أَجنِحَتُها مُستَقيمَةٌ الواحِدُ نَحوَ الآخَر(٣). لِكُلٍّ واحِدٍ آثْنانِ يَستُرانِ أَجْسامَها مِن جِهَة، ولِكُلِّ واحِدٍ آثْنانِ يَستُرانِها مِن جِهَةٍ أُخْرى.

[٢٤] وسَمِعتُ صَوتَ أَجنِحَتِها كصَوتِ مِياهٍ غَزيرَة، كصَوتِ القَدير. فعِندَ سَيرها كانَ صَوتُ جَلَبَةٍ كصَوتِ مُعَسكَر، وعِندَ وُقوفِها كانَت تُرْخي أَجنِحَتَها. [٢٥] وعِندَ وُقوفِها وهِي مُرخِيَةٌ أَجنِحَتَها، كانَ صَوتٌ مِن فَوقِ الجَلَدِ الَّذي على رُؤُوسِها.

[٢٦] وفَوقَ الجَلَدِ الَّذي على رُؤُوسِها كمَنظَرِ حَجَرِ اللاَّزَوَردِ في هَيئَةِ عَرش، وعلى هَيئَةِ العَرْشِ هَيئَةٌ كمَنظَرِ بَشَرٍ علَيه مِن فَوق.

[٢٧] ورَأَيتُ كَلَمَعانِ القِرمِز، كَمَنظَرِ نارٍ بِالقُربِ مِنه مُحيطاً به، مِمَّا يُشبِهُ وَسَطَه إِلى فَوق. ومِمَّا يُشبِهُ وَسَطَه إِلى تَحتُ رَأَيتُ كَمَنظَرِ نارٍ والضِّياءُ يُحيطُ بِه. [٢٨] وكانَ مَنظَرُ هذا الضِّياءِ مِن حَولِه مِثلَ مَنظَرِ قوسِ الغَمامِ في يَومِ مَطَر. هذا مَنظَرٌ يُشبِهُ مَجدَ الرَّبّ(٤). فنَظَرتُ وسَقَطتُ على وَجْهي وسَمِعتُ صَوتَ مُتَكَلِّم.

٢. رؤيا السفر

تدلّ هذه الرؤيا على معنى رسالة حزقيال، فهو سيُنبئ الاسرى، في القسم الاول من خدمته النبوية، بأن عقابَ الله محتَّم. وعندئذ تكون دعوة النبي ورسالته.

٢ [١] فقالَ لي: «يا آبنَ الإِنسان، قُمْ على قَدَمَيكَ فأَتَكَلَّمَ معَكَ». [٢] فدَخَلَ فِيَّ الرُّوح، لَمَّا تَكَلَّمَ معي وأَقامَني على قَدَمَيَّ وسَمِعتُ المُتَكَلِّمَ

(٣) تحمل عرش الرب.

(٤) «مجد» الله أو حضوره البهيّ يمثّل بشبح بشريّ لامع.

معي. [٣]فقالَ لي: «يا آبنَ الإنْسان[(٥)]، إنِّي مُرسِلُكَ إلى بَني إسْرائيل، إلى أُناسٍ مُتَمَرِّدينَ قد تَمَرَّدوا علَيَّ، فقَد عَصَوني هم وآباؤُهم إلى هذا اليَومِ نَفْسِه. [٤]فأُرسِلُكَ إلى البَنينَ الصِّلابِ الوُجوهِ القُساةِ القُلوب، فتَقولُ لَهم: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: [٥]سَواءٌ أَسَمِعوا أم لم يَسمَعوا، - فإنَّهم بَيتُ تَمَرُّد - سيَعلَمونَ أَنَّ بَينَهم نَبِيًّا[(٦)].

[٨]وأَنتَ يا آبنَ الإنسان، فآسمَعْ ما أُكَلِّمُكَ بِه، لا تَكُنْ تَمَرُّداً كبَيتِ التَمَرُّد. إفتَحْ فَمَكَ وكُلْ ما أُناوِلُكَ». [٩]فنَظَرتُ فإذا بِيَدٍ قد مُدَّت إِلَيَّ وإذا بِسِفرٍ فيها، [١٠]فنَشَرَه أَمامي، وهو مَكْتوبٌ فيه مِنَ الوَجهِ والظَّهْر، وقَد كُتِبَت فيه مَراثٍ ونُواحٌ ووَيْل.

٣ [١]فقالَ لي: «يا آبنَ الإنْسان، كُلْ ما أَنتَ واجِد، كُلْ هذا السِّفْرَ وآذهَبْ فكَلِّمْ بَيتَ إسْرائيل». [٢]ففَتَحتُ فَمي فأطعَمَني ذلك السِّفر، [٣]وقالَ لي: «يا آبنَ الإنْسان، أَطعِمْ جَوفَكَ وآمْلأْ أَحْشاءَكَ مِن هذا السِّفرِ الَّذي أَنا مُناوِلُكَ». فأَكَلتُه فصارَ في فَمي كالعَسَلِ حَلاوة[(٧)]. [٧]فأَمَّا بَيتُ إسْرائيلَ فيَأبَونَ أَن يَسمَعوا لَكَ، لِأَنَّهم يأبَونَ أَن يَسمَعوا لي، لِأَنَّ بَيتَ إسْرائيلَ بأَسرِهم صِلابُ الجِباهِ وقُساةُ القُلوب. [٨]هاءَنَذا قد جَعَلتُ وَجهَكَ صُلباً كوُجوهِهم وجَبهَتَكَ صُلبَةً كجِباهِهم. [٩]لقَد جَعَلتُ

(٥) عبارة خاصّة بحزقيال، استعملها دانيال أيضاً: يكون لها في هذه الحال معنىً مشيحيّ خاص. ومن هنا ان المسيح طبّقها على نفسه.
(٦) ينعم الله على كل إنسان بفرصة الوصول الى النور.
(٧) كلمة الله تجرح حساسية النبي، لكنها تهب له السلام الباطني أيضاً.

جَبهَتَكَ مِثلَ الماسِ وأَصلَبَ مِنَ الصَّوَّان ، فلا تَخَفْ مِنهم ولا تَرتَعِبْ مِن وُجوهِهم ، فإِنَّهم بَيتُ تَمَرُّد» .

[١٢] ثُمَّ رَفَعَني الرُّوح ، فسَمِعتُ خَلْفي صَوتَ جَلَبَةٍ عَظيمة : «تبارَكَ مَجدُ الرَّبِّ في مَكانِه» . [١٣] كانَ هذا الصَّوتُ صَوتَ أَجنِحَةِ الحَيَوانات المُقابِلَةِ الواحِدُ الآخَر ، وصَوتَ الدَّواليبِ معَها ، وصَوتَ جَلَبَةٍ عَظيمة . [١٤] ثُمَّ رَفَعَني الرُّوحُ وذَهَبَ بي ، فمَضَيتُ وأَنا في المَرارَةِ وفي غَيظِ روحي ، ويَدُ الرَّبِّ شَديدَةٌ عَلَيَّ . [١٥] فوَصَلتُ إِلى المَجلُوِّينَ في تَلِّ أَبيب ، إِلى السَّاكِنينَ على نَهرِ كَبار ، حَيثُ كانَت سُكْناهم ، فأَقَمتُ هُناكَ سَبعَةَ أَيَّامٍ وأَنا مَذْهوش بَينَهم .

٢. أقوال نبوية في العقوبات

هي أقوال نبويّة قالها حزقيال ما بين الجلاء الاول الى بابل (٥٩٧) وخراب أورشليم (٥٨٦) . تسودها فكرة المسؤولية .

١. شلل النبي علامة تدلّ على حصار أورشليم

[٢٢] وكانَت عَلَيَّ هُناكَ يَدُ الرَّبِّ وقالَ لي : «قُمْ فآخرُجْ إِلى السَّهلِ وهُناكَ أُكَلِّمُكَ» . [٢٣] فقُمتُ وخَرَجتُ إِلى السَّهْل ، فإِذا بِمَجدِ الرَّبِّ واقِفاً هُناكَ ، كالمَجدِ الَّذي رَأَيتُه على نَهرِ كَبار ، فسَقَطتُ على وَجْهي . [٢٤] فدَخَلَ فِيَّ الرُّوح وأَقامَني على قَدَمَيَّ وكَلَّمَني وقالَ لي : «إِمضِ وأَغْلِقْ علَيكَ في داخِلِ بَيتِكَ . [٢٥] وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسان ، ها إِنَّها تُجعَلُ علَيكَ قُيودٌ وتوثَقُ بِها ، فلا تَخرُجُ فيما بَينَهم . [٢٦] وأُلصِقُ لِسانَكَ بِحَنَكِكَ فتَكونُ أَبكَم ، ولا تَكونُ لَهم مُوَبِّخاً لِأَنَّهم بَيتُ تَمَرُّد . [٢٧] وحينَ أُكَلِّمُكَ أَفتَح

فَمَكَ فتَقولُ لَهم : هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : مَن أَرادَ أَن يَسمَعَ فلْيَسمَعْ، ومَن أَرادَ أَلاَّ يَسمَعَ فلا يَسمَعْ، فإِنَّهم بَيتُ تَمَرُّد» .

٤ [١]«وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسان ، فخُذْ لَكَ لَبِنَةً وآجعَلْها أَمامَكَ وآرسُمْ علَيها مَدينَةَ أُورَشَليم ، [٢]وأَقِمْ علَيها حِصاراً وآبنِ علَيها تَحْصيناتٍ وآركُمْ علَيها مِترَسَةً وأَقِمْ علَيها مُعَسكَراتٍ وآنصِبْ علَيها كِباشاً من حَولِها . [٣]وأَنتَ فخُذْ لَكَ صاجاً مِن حَديد ، وآجعَلْه سوراً مِن حَديدٍ بَينَكَ وبَينَ المَدينة ، وثَبِّتْ وَجهَكَ علَيها ، فتَصيرَ تَحتَ الحِصارِ فتُحاصِرُها . تِلكَ آيَةٌ لِبَيتِ إِسْرائيل .

[٤]وأَنتَ فاضَّجِعْ على جَنبِكَ الأَيسَر ، وآجعَلْ إِثمَ بَيتِ إِسْرائيلَ علَيه ، فعلى حَسَبِ عَدَدِ الأَيَّامِ الَّتي فيها تَضَّجِعُ علَيه تَحمِلُ إِثمَهم . [٥]وقد جَعَلتُ لَكَ عَدَدَ سِني إِثمِهم عَدَدَ أَيَّام : ثَلاثَ مِئَةٍ وتِسْعينَ يَوماً ، فتَحمِلُ فيها إِثمَ بَيتِ إِسْرائيل . [٦]وبَعدَ آنقِضائِها آضَّجِعْ ثانِيَةً على جَنبِكَ الأَيمَن ، فتَحمِلُ إِثمَ بَيتِ يَهوذا أَربَعينَ يَوماً ، فقَد جَعَلتُ لَكَ كُلَّ يَومٍ بِسَنَة . [٧]فثَبِّتْ وَجهَكَ على حِصارِ أُورَشَليمَ وذِراعُكَ مَكشوفَةٌ وتَنَبَّأْ علَيها . [٨]وهاءَنَذا قد جَعَلتُ عَلَيكَ قُيوداً ، فلا تَنقَلِبُ مِن جَنْبٍ إِلى جَنْب ، حتَّى تَنقَضِيَ أَيَّامُ حِصارِكَ .

٢. لحية النبي علامة تدلّ على مصير المحاصَرين

عمل إيمائي حقيقي يستهدف في هذه المرّة سكّان أورشليم .

٥ [١]«وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسان ، فخُذْ لَكَ سَيفاً ماضِياً كموسى حَلاَّق ، وأَمرِرْها على رَأسِكَ وعلى لِحيَتِكَ ، وخُذْ لَكَ ميزاناً تَزِنُ بِه الشَّعَرَ

وتُقَسِّمُه ، [٢] وأَحرِقْ بِالنَّارِ ثُلثاً مِنه في وَسَطِ المَدينَة ، على حَسَبِ آنقِضاءِ أَيَّامِ الحِصار ، وخُذْ ثُلثاً وآضرِبْ عليه بِالسَّيفِ فيما حَولَها ، وذَرَّ ثُلثاً لِلرِّيح ، وأَنا أَستَلُّ السَّيفَ وَراءَهم . [٣] وخُذْ مِن ذلك عدَداً قَليلاً وصُرَّه في ذَيلِكَ . [٤] وخُذْ مِنه(٨) أَيضاً وأَلقِه في وَسَطِ النَّار ، وأَحرِقْه بِالنَّار . مِن هُناكَ تَخرُجُ نارٌ على كُلِّ بَيتِ إِسْرائيل» .

[٥] هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هذه أُورَشَليمُ قد جَعَلتُها في وَسْطِ الأُمَمِ ومِن حَولِها البُلْدان ، [٦] فعَصَت أَحْكامي بِشَرِّها أَكثَرَ مِنَ الأُمَم ، وفَرائِضي أَكثَرَ مِنَ البُلْدانِ الَّتي مِن حَولِها ، لِأَنَّهم نَبَذوا أَحْكامي ولم يَسيروا على فَرائضي . [٧] لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : بِما أَنَّكم أَحدَثتُم جَلَبَةً أَكثَرَ مِنَ الأُمَمِ الَّتي مِن حَولِكم ولم تَسيروا على فَرائضي ولم تَعمَلوا بِحَسَبِ أَحْكامي ولا عَمِلتُم بِحَسَبِ أَحكامِ الأُمَمِ الَّتي مِن حَولِكم ، [٨] لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا علَيكِ وسأُجري أَحكاماً في وَسَطِكِ أَمامَ عُيونِ الأُمَم . [١١] حَيٌّ أَنا ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، بِما أَنَّكِ نَجَّستِ مَقدِسي بِجَميعِ أَقْذارِكِ وجَميعِ قَبائِحِكِ ، فأَنا أَيضاً أُمِرُّ الموسى ، ولا تَعطِفُ عَينيَ ولا أُشفِق . [١٢] فثُلثٌ مِنكِ يَموتونَ بِالطَّاعونِ ويَفنَونَ بِالجوعِ في وَسَطِكِ ، وثُلثٌ يَسقُطونَ بِالسَّيفِ مِن حَولِكِ ، وثُلثٌ أُذَرِّيهم لِكُلِّ ريح ، وأَستَلُّ السَّيفَ وَراءَهم ، [١٣] فيَتِمُّ غَضَبي وأُريحُ مِنهم وأَنتَقِم ، فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبَّ تَكَلَّمتُ في غَيرَتي حينَ أُتِمُّ غَضَبي فيهم .

(٨) الناجون من المجزرة .

٣. رؤيا يهجر الله الهيكل فيها

بسبب عبادة الاوثان التي تسيطر على الهيكل، يهجره الله. لكنه يتَّجه نحو الشرق، نحو بابل، حيث يُعاد تكوين الشعب الاسرائيلي.

٨ [١]في السَّنَةِ السَّادِسَة(٩)، في الشَّهرِ السَّادِس، في الخامِسِ مِنَ الشَّهْر، وأَنا جالِسٌ في بَيتي، وشُيوخُ يَهوذا جالِسونَ أَمامي، وَقَعَت علَيَّ هُناكَ يَدُ السَّيِّدِ الرَّبّ.

[٢]فنَظَرتُ فإِذا بِشِبهِ مَنظَرِ نار. من مَنظَرِ وَسَطِه إِلى الأَسفَلِ نار، ومِن وَسَطِه إِلى فَوقُ مِثلُ مَنظَرِ لَمَعانٍ كشُطوعِ القِرمِز. [٣]فأَرسَلَ شَكلَ يَدٍ وأَخَذَني بِناصِيَةِ رَأسي، ورَفَعَني الرُّوحُ بَينَ الأَرضِ والسَّماء، وأَتى بي إِلى أُورَشَليمَ في رُؤًى إِلهِيَّة، إِلى مَدخَلِ البابِ الدَّاخِلِيِّ المُتَّجِهِ نَحوَ الشَّمال، حَيثُ مَنصِبُ صَنَمِ الغَيرَةِ الحامِلِ على الغَيرَة(١٠)، [٤]فإِذا بِمَجدِ إِلهِ إِسْرائيلَ هُناكَ كالمَنظَرِ الَّذي رَأَيتُه في السَّهْل. [٥]فقالَ لي: «يا آبنَ الإِنْسان، اِرفَعْ عَينَيكَ نَحوَ طَريقِ الشَّمال، فرَفَعتُ عَينَيَّ نَحوَ طَريقِ الشَّمال فإِذا عن شَمالِ بابِ المَذبَحِ صَنَمُ الغَيرَةِ هذا في المَدخَل. [١٠]فدَخَلتُ ونظرتُ، فإِذا كُلُّ شَكْلٍ مِنَ الزَّحّافاتِ والبَهائِمِ القَذِرَةِ وجَميعُ قَذاراتِ بَيتِ إِسْرائيلَ مَرْسومةٌ على الحائِطِ على مُحيطِه، [١١]وقد وَقَفَ أَمامَها سَبْعونَ رَجُلاً مِن شُيوخِ بَيتِ إِسْرائيل، وفي وَسْطِهم يازَنْيا بنُ شافانَ واقِفاً، وكُلُّ واحِدٍ مِبخَرَتُه بِيَدِه، وقد صَعِدَت غَمامَةٌ عَطِرَةٌ مِنَ البَخور». [١٢]فقالَ لي: «أَرَأَيتَ، يا آبنَ الإِنْسانِ، ما يَصنَعُه شُيوخُ بَيتِ إِسْرائيلَ في

(٩) ٢٩٥.

(١٠) غيرة الله التي لا تحتمل عبادة الأوثان (خر ٢٠/٥).

الظَّلام ، كُلُّ واحِدٍ في مُخدَعِ مَنْحوتِه؟ فإِنَّهم يَقولون : الرَّبُّ لا يَرانا ، الرَّبُّ قد هَجَرَ الأَرض» . [١٣]وقالَ لي : «عُدْ تَرَ قَبائِحَ أَعظَمَ يَصنَعونَها» .

[١٤]ثُمَّ أَتى بي إِلى مَدخَلِ بابِ بَيتِ الرَّبِّ الَّذي هو جِهَةَ الشَّمال ، فإِذا هُناكَ بِنِساءٍ جالِساتٍ يَبْكينَ على تَمُّوز(١١) . [١٥]فقالَ لي : «أَرَأَيتَ يا آبنَ الإِنْسان؟ عُدْ تَرَ قَبائِحَ أَعظَمَ مِن هذه» . [١٦]ثُمَّ أَتى بي إِلى دارِ بَيتِ الرَّبِّ الدَّاخِلِيَّة ، فإِذا عِندَ مَدخَلِ هَيكَلِ الرَّبّ ، بَينَ الرِّواقِ والمَذبَح ، نَحوُ خَمسَةٍ وعِشرينَ رَجُلاً ظُهورُهم إِلى هَيكَلِ الرَّبِّ ووُجوهُهم نَحوَ الشَّرْق ، وهُم يَسجُدونَ لِلشَّمْسِ نَحوَ الشَّرْق . [١٧]فقال لي : «أَرَأَيتَ يا آبنَ الإِنْسان؟ أَقَليلٌ لِبَيتِ يَهوذا أَن يَصنَعوا مِنَ القَبائِحِ ما صَنَعوه هُنا؟ فإِنَّهم مَلأُوا الأَرضَ عُنفاً وعادوا يُسخِطونَني ، وها هم يُقَرِّبونَ الغُصنَ إِلى أُنوفِهم . [١٨]فأَنا أَيضاً أُعامِلُهم بِالغَضَب . لا تَعطِفُ عَيني ولا أُشفِق . وإِذا صَرَخوا على مِسمَعيَ بِصَوتٍ عَظيم ، فلا أَستَمِعُهم» .

٩ [١]وصَرَخَ على مِسمَعَيَّ بِصَوتٍ عَظيم قائلاً : «قدِ آقتَرَبَ عِقابُ المَدينَة ، وكُلُّ واحِدٍ أَداةُ تَدْميرِه بِيَدِه» . [٢]وإِذا بِسِتَّةِ رِجالٍ مُقبِلينَ مِن طَريقِ البابِ الأَعْلى المُتَّجِهِ نَحوَ الشَّمال ، وكُلُّ واحِدٍ أَداةُ تَحْطيمِه بِيَدِه ، وفي وَسْطِهم رَجُلٌ لابِسٌ كَتَّاناً ، وعلى وَسَطِه دَواةُ كاتِب . فدَخَلوا ووَقَفوا بِجانِبِ مَذبَحِ النُّحاس . [٣]فصَعِدَ مَجدُ إِلهِ إِسْرائيلَ عنِ الكَروبِ الَّذي كانَ علَيه ، إِلى عَتَبَةِ البَيت ، ونادى الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الكَتَّانَ الَّذي على وَسَطِه دَواةُ الكاتِب ، [٤]وقالَ لَه الرَّبّ : «إِجتَزْ في وَسَطِ المَدينَة ، في

(١١) الإله الأشوري البابلي للنبات الربيعي. كان اليونانيون يسمّونه أدونيس.

وَسَطِ أُورَشَليم، وٱرسُمْ صَليباً[١٢] على جِباهِ الرِّجالِ الَّذينَ يَتَنَهَّدونَ ويَنتَحِبونَ على كُلِّ القبائِحِ الَّتي صُنِعَت في وَسَطِها». ٥وقالَ لِأُولئِكَ على مَسمَعٍ مِنِّي: «إِجْتازوا في المَدينَةِ وَراءَه وٱضرِبوا. لا تَعْطِفْ عُيونُكم ولا تُشفِقوا. ٦أُقتُلوا الشَّيخَ والشَّابَّ والعَذراءَ والطِّفلَ والنِّساءَ حَتَّى الفَناء، ولكن كُلُّ مَن عَليه الصَّليبُ لا تَدْنوا منه. إِبتَدِئوا مِن مَقدِسي». فٱبتَدَأُوا مِنَ الرِّجالِ الشُّيوخِ الَّذينَ أَمامَ البَيت. ٧وقالَ لَهم: «نَجِّسوا البَيتَ وٱملأُوا الأَفنِيَةَ مِنَ القَتْلى. أُخرُجوا». فخَرَجوا وضَرَبوا في المَدينة.

٨وبَينَما كانوا يَضرِبون، بَقيتُ أَنا فسَقَطتُ على وَجْهي وصَرَختُ وقُلتُ: «آهِ أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، أَتُهلِكُ جَميعَ بَقِيَّةِ إِسْرائيلَ في صَبِّ غَضَبِكَ على أُورَشَليم؟» ٩فقالَ لي: «إِنَّ إِثمَ بَيتِ إِسْرائيلَ ويَهوذا عَظيمٌ جِدًّا جِدًّا، وقَدِ ٱمتَلأَتِ الأَرضُ دِماءً وٱمتَلأَتِ المَدينَةُ ٱنحِرافاً، لِأَنَّهم قالوا: إِنَّ الرَّبَّ قد هَجَرَ الأَرضَ وإِنَّ الرَّبَّ لا يَرى. ١٠فعَيني أَنا أَيضاً لا تَعطِفُ ولا أُشفِق، بل أَجعَلُ سُلوكَهم على رُؤُوسِهم».

١٠ ١ونَظَرتُ فإِذا على الجَلَدِ الَّذي على رُؤُوسِ الكَروبينَ مِثلُ حَجَرِ اللاَّزَوَرد، كَمَنْظَرِ هَيئَةِ عَرْشٍ قد تَراءى فَوقَهم ٢وكَلَّمَ الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الكَتَّانَ وقال: «أُدخُلْ في خِلالِ المَركَبَةِ تَحتَ الكَروب، وٱملأْ راحَتَيكَ جَمرَ نارٍ مِن بَينِ الكَروبين، وذَرَّ على المَدينة». فدَخَلَ أَمامَ عَينَيَّ.

٣وكانَ الكَروبونَ واقِفينَ عن يَمينِ البَيت، حينَ دَخَلَ الرَّجُل، والغَمامُ مالِئٌ الفِناءَ الداخِليّ، ٤وقدِ ٱرتَفَعَ مَجدُ الرَّبِّ عنِ الكَروبِ إِلى عَتَبَةِ

(١٢) حرف عبري بشكل صليب (راجع رؤ ٧/٢).

البَيت ، فآمتَلأَ البَيتُ مِنَ الغَمام وآمتَلأَ الفِناءُ مِن ضِياءِ مَجدِ الرَّبّ . [٥]وكانَ صَوتُ أَجنِحَةِ الكَروبينَ يُسمَعُ إِلى الفَناءِ الخارِجيّ كصَوتِ اللهِ القَديرِ حينَ يَتَكلَّم .

[٦]فلَمَّا أَمَرَ الرَّجُلَ اللاَّبِسَ الكَتَّانَ قائِلاً : «خُذْ ناراً مِن خِلالِ المَركَبَةِ مِن بَينِ الكَروبين» ، دَخَلَ الرَّجُلُ ووَقَفَ بِجانِبِ الدُّولاب ، [٧]فمَدَّ الكَروبُ يَدَه مِن بَينِ الكَروبينَ إِلى النَّارِ الَّتي بَينَ الكَروبين ، ورَفَعَ مِنها وجَعَلَ في راحَتَي اللاَّبِسِ الكَتَّان ، فأَخَذَ وخَرَجَ . [٨]فظَهَرَ في الكَروبينَ شَكلُ يَدِ بَشَرٍ تَحتَ أَجنِحَتِهم . [٩]ونَظَرتُ فإِذا بِأَربَعَةِ دَواليبَ بِجانِبِ الكَروبين ، بِجانِبِ كَروبٍ دولابٌ وبِجانِبِ كَروبٍ آخَرَ دولابٌ آخَر ، ومَنظَرُ الدَّواليبِ كَلَمَعانِ حَجَرِ الزَّبَرجَد . [١٠]أَمَّا مَنظَرُها فلأَربَعَتِها هَيئَةٌ واحِدَة ، كأَنَّما كانَ الدُّولابُ في وَسَطِ الدُّولاب . [١٥]ثُمَّ آرتَفَعَ الكَروبون . هذا هو الحَيَوانُ الَّذي رَأَيتُه عِندَ نَهرِ كَبار . [١٦]وعِندَ سَيرِ الكَروبين ، تَسيرُ الدَّواليبُ بِجانِبِهم ، وعِندَ رَفعِ الكَروبينَ أَجنِحَتَهم لِيَرتَفِعوا عنِ الأَرض ، لا تَعطِفُ الدَّواليبُ عن جانِبِهم ، [١٧]وعِندَ وُقوفِهم تَقِف ، وعِندَ آرتِفاعِهم تَرتَفِعُ معَهم ، لِأَنَّ روحَ الحَيَوانِ فيها .

[١٨]وخَرَجَ مَجدُ الرَّبِّ مِن على عَتَبَةِ البَيتِ ووَقَفَ على الكَروبين . [١٩]فرَفَعَ الكَروبونَ أَجنِحَتَهم وآرتَفَعوا عنِ الأَرضِ على عَينَيَّ ، وعِندَ خُروجِهم كانَتِ الدَّواليبُ معَهم ، ووَقَفوا عِندَ مَدخَلِ بابِ بَيتِ الرَّبِّ الشَّرقِيّ ، ومَجدُ إِلهِ إِسْرائيلَ علَيهم مِن فَوق . [٢٠]هذا هو الحَيَوانُ الَّذي رَأَيتُه تَحتَ إِلهِ إِسْرائيلَ عِندَ نَهرِ كَبار ، وعَلِمتُ أَنَّهم كَروبون . [٢١]لِكُلِّ واحِدٍ أَربَعَةُ وُجوه ، ولِكُلِّ واحِدٍ أَربَعَةُ أَجنِحَة ، وتَحتَ أَجنِحَتِهم شِبهُ

أَيدي بَشَر . [٢٢]أَمَّا هَيئَةُ وُجوهِهم فهي الوُجوهُ نَفسُها الَّتي رَأَيتُها على نَهرِ كَبار ، وكانَت هذه مَناظِرُهم وذَواتُهم . وكانَ كُلُّ واحِدٍ يَسيرُ لِوَجهِه .

١١ [٢٣]وصَعِدَ مَجدُ الرَّبِّ عن وَسَطِ المَدينَة ، ووَقَفَ على الجَبَلِ الَّذي عن شَرقِ المَدينَة[(١٣)] . [٢٤]ورَفَعَني الرُّوحُ وأَتى بي إِلى أَرضِ الكَلْدانِيِّين ، إِلى المَجلُوِّينَ في الرُّؤيا بِروحِ الله ، وصَعِدَت عَنِّي الرُّؤيا الَّتي رَأَيتُها . [٢٥]فكَلَّمتُ المَجلُوِّينَ بِجَميعِ أُمورِ الرَّبِّ الَّتي أَرانيها .

٤. متاع المجلوّ علامة تدل على مصير صِدقِيَّا

أعدّ حزقيال متاعه كمن يستعدّ للجلاء ، وترك بيته سراً في الليل . وهكذا صنع الملك صدقيا ، لكن البابليين لحقوا به .

١٢ [١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً : [٢]«يا آبنَ الإِنْسان ، أَنتَ ساكِنٌ في وَسْطِ بَيتِ تَمَرُّد ، لَهم عُيونٌ لِيَرَوا ولا يَرَون ، ولَهم آذانٌ لِيَسمَعوا ولا يَسمَعون ، لِأَنَّهم بَيتُ تَمَرُّد . [٣]وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسان ، فأَعِدَّ العُدَّةَ لِلجَلاء ، وآجلُ نَهاراً أَمامَ عُيونِهم ، اُجلُ عن مَكانِكَ إِلى مَكانٍ آخَرَ أَمامَ عُيونِهم ، لَعَلَّهم يَرَونَ أَنَّهم بَيتُ تَمَرُّد . [٤]وأَخرِجْ عُدَّتَكَ كعُدَّةِ جَلاءٍ نَهاراً أَمامَ عُيونِهم ، ثُمَّ تَخرُجُ أَنتَ مَساءً أَمامَ عُيونِهم خُروجَ جَلاء . [٥]أَمامَ عُيونِهم آنقُبْ لَكَ الحائِطَ وأَخرِجْ مِنه . [٦]وأَمامَ عُيونِهم آحمِلْ على كَتِفِكَ . أَخرِجْ في الظَّلام ، وغَطِّ وَجهَكَ ولا تَرَ الأَرض ، فإِنِّي جَعَلتُكَ آيَةً لِبَيتِ إِسْرائيل» .

[٧]فصَنَعتُ كما أُمِرتُ : أَخرَجتُ العُدَّةَ كعُدَّةِ جَلاءٍ نَهاراً ، وعِندَ

(١٣) جبل الزيتون .

المَساءِ نَقَبتُ الحائِطَ بِيَدي وأَخرَجتُ في الظَّلام، وحَمَلتُ على كَتِفي أَمامَ عُيونِهم.

[٨] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ في الصَّباحِ قائِلاً: [٩] «يا آبنَ الإِنْسان، أَلَم يَقُلْ لَكَ بَيتُ إِسْرائيل، بَيتُ التَّمَرُّد: ماذا تَصنَع؟ [١٠] فقُلْ لَهم: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: إِنَّ هذا القَولَ على الرَّئيسِ في أُورَشَليم وعلى جَميعِ بَيتِ إِسْرائيلَ الَّذينَ هم في وَسْطِهم. [١١] قُلْ: أَنا آيَةٌ لكم. إِنَّه كما صَنَعتُ، كذلك يُصنَعُ بِهم: يَذهَبونَ إِلى الجَلاءِ والأَسْر. [١٢] والرَّئيسُ الَّذي في وَسْطِهم يَحمِلُ على كَتِفِه في الظَّلامِ ويَخرُج، ويُنقَبُ الحائِطُ لِلإِخْراجِ مِنه، وهو يُغَطِّي وَجهَه، لِأَنَّه لا يَرى الأَرضَ بِعَينَيه. [١٣] وأَبسُطُ شَبَكَتي علَيه فيُؤخَذُ في أُحبولَتي، وآتي بِه إِلى بابِل، إِلى أَرضِ الكَلْدانِيِّينَ ولا يَراها ويَموتُ هُناكَ. [١٤] وجَميعُ الَّذينَ حَولَه، حَرَسُه وكُلُّ جُيوشِه، أُذَرِّيهم لِكُلِّ ريح، وأَستَلُّ السَّيفَ وَراءَهم، [١٥] فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ، حينَ أُشَتِّتُهم في الأُمَم وأُذَرِّيهم في الأَراضي. [١٦] وأُبْقي مِنهم نَفَراً مَعْدوداً مِنَ السَّيفِ والجوعِ والطَّاعون، لِكَي يُخبِروا بِجَميعِ قَبائِحِهم في الأُمَمِ الَّتي يأتونَ إِلَيها، فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ».

٥. ذمّ الانبياء الكذّابين

كانوا أكبر عقبة في وجه اسرائيل: كيف يمكن التمييز بين النبي الصادق والنبي الكاذب؟ وفضلاً عن ذلك، كانوا يُبقون سامعيهم في تفاؤل ظاهري (كالجِصّ في الحائط المصدَّع).

١٣ [١] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٢] «يا آبنَ الإِنْسان، تَنَبَّأْ على أَنبِياءِ إِسْرائيلَ الَّذينَ يَتَنَبَّأُون، وقُلْ لِلمُتَنَبِّئينَ مِن عِندِ أَنفُسِهم: إِسمَعوا كَلِمَةَ

الرَّبّ . [٣]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : وَيلٌ لِلأَنبياءِ الحَمْقى الَّذينَ يَسيرونَ وَراءَ روحِهم ولم يَرَوا شَيئاً . [٤]أَنبياؤُكَ يا إِسْرائيلُ كالثَّعالِبِ في الأَخرِبَة . [٥]لم تَصعَدوا إِلى الثُّلمَة ، ولم تُشَيِّدوا جِداراً لِبَيتِ إِسرائيل ، لِلثَّباتِ في القِتالِ في يَومِ الرَّبّ . [٦]باطِلَةٌ رُؤاهم وكاذِبَةٌ عِرافَتُهم ، همُ القائلون : «يَقولُ الرَّبّ» ، والرَّبُّ لم يُرسِلْهم ، والمُنتَظِرونَ أَن تَتِمَّ كَلِمَتُهم . [٧]أَما تَرَونَ رُؤيا باطِلَةً وتَنطِقونَ بِعِرافَةٍ كاذِبَة ، وأَنتُم تَقولون : «يَقولُ الرَّبّ» ، وأَنا لم أَتَكَلَّم ؟

[٨]لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : لِأَنَّكم تَكَلَّمتُم بِالباطِل ورَأَيتُم كَذِباً ، لِذلك هاءَنَذا عليكم ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، [٩]فتَكونُ يَدي على الأَنبِياءِ الَّذينَ رُؤياهمُ الباطِل ، وعِرافَتُهمُ الكَذِب ، فلا يَكونونَ في مَجلِسِ شَعْبي ، ولا يُكتَبونَ في كِتابِ بَيتِ إِسْرائيل ، ولا يَدخُلونَ أَرضَ إِسْرائيل ، فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا السَّيِّدُ الرَّبّ ، [١٠]لِأَنَّهم أَضَلُّوا شَعْبي بِقَولِهم : «سَلام» ، ولا سَلام ، فكانَ هو يَبْني حائِطاً وهم يُطَيِّنونَه بِالطِّلاء . [١١]قُلْ لِلمُطَيِّنينَ بِالطِّلاء : سيَسقُط . إِنَّه سيَكونُ مَطَرٌ مِدْرار ، أَمَّا أَنتِ أَيَّتُها الحِجارَة ، فسيَسقُطُ البَرَد وتَثورُ ريحٌ عاصِف ، [١٢]فلا يَلبَثُ الحائِطُ أَن يَسقُط . أَفَلا يُقالُ لكم : أَينَ الطِّلاءُ الَّذي طَيَّنتُم بِه ؟ [١٣]لِذلك هٰكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِنِّي أُثيرُ ريحاً عاصِفاً بِسُخْطي ومَطَراً مِدْراراً بِغَضَبي وحِجارَةَ بَرَدٍ بِسُخْطي لِلإِفْناء . [١٤]فأَهدِمُ الحائِطَ الَّذي طَيَّنتُموه بِالطِّلاء ، وأُلصِقُه بِالأَرضِ فيَنكَشِفُ أَساسُه(١٤) ويَسقُط ، وتَفنَونَ أَنتُم فيه ،

(١٤) التفاؤل الكاذب يزول أمام الحقيقة الرهيبة .

فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ .

[١٥] وإِذا أَتَمَمتُ غَضَبي على الحائِطِ وعلى مُطَيِّنيه بِالطِّلاء ، أَقولُ لَكم : أَينَ الحائِطُ وأَينَ مُطَيِّنوه [١٦] أَنبياءُ إِسْرائيلَ المُتَنَبِّئونَ على أُورَشَليم ، الرَّاؤُونَ لَها رُؤيا سَلام ، ولا سَلام ، يَقولُ السَّيِّد الرَّبّ .

[٢١] وأُمَزِّقُ مَناديلَكُنَّ ، وأُنقِذُ شَعْبي مِن أَيديكُنَّ ، فلا يَكونُ بَعدَ اليَومِ في أَيديكُنَّ لِلصَّيد ، فتَعلَمنَ أَنِّي أَنا الرَّبّ ، [٢٢] لِأَنَّكُنَّ كَسَرتُنَّ قَلبَ البارِّ بِالكَذِب ، وأَنا لم أُحزِنْه ، وشَدَّدتُنَّ يَدَي الشِّرِّير ، لِئَلاَّ يَرجِعَ عن طَريقِه الشِّرِّيرِ فيَحْيا . [٢٣] لِذلكَ لا تَرَينَ الباطِل ، ولا تَنطِقنَ بِالعِرافَةِ بَعدَ اليَوم ، وأُنقِذُ شَعْبي مِن أَيديكُنَّ ، فتَعلَمنَ أَنِّي أَنا الرَّبّ» .

٦. أمسى العقاب أمراً محتَّماً

ان النبي ، الذي سيؤكِّد المسؤولية الشخصية بقوة ، يبيِّن هنا كيف انها لا يمكن نقلها من أحد إلى آخر .

١٤ [١٢] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً : [١٣] «يا آبنَ الإِنْسان ، إِذا خَطِئَت إِلَيَّ أَرضٌ وخالَفَت مُخالَفَةً ، ومَدَدتُ يَدي علَيها وحَطَّمتُ مِنها سَنَدَ الخُبزِ وأَرسَلتُ علَيها الجوعَ وقَرَضتُ مِنها البَشَرَ والبَهائم ، [١٤] وكانَ فيها هؤُلاءِ الرِّجالُ الثَّلاثَة ، نوحٌ ودانيلُ وأَيُّوب ، لَكانوا بِبِرِّهم يُنقِذونَ أَنفُسَهم ، يَقولُ السَّيدُ الرَّبّ . [١٥] وإِن أَجزتُ في الأَرضِ وَحشاً ضارِياً فأَثكَلَها فصارَت مُقفِرَةً لا عابِرَ فيها بِسَبَبِ الوَحْش ، [١٦] وكانَ فيها هؤُلاءِ الرِّجالُ الثَّلاثَة ، فحَيٌّ أَنا ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، إِنَّهم لا يُنقِذونَ لَها بَنينَ ولا بَنات ، لكِن هم وَحدَهم يُنقَذون ، والأَرضُ تَصيرُ مُقفِرَة . [١٧] أَو إِذا جَلَبتُ سَيفاً على تِلكَ الأَرضِ وقُلتُ : لِيَجتَزِ السَّيفُ في الأَرض ،

وقَرَضتُ مِنها البَشَرَ والبَهائم، [١٨]وكانَ فيها هؤُلاءِ الرِّجالُ الثَّلاثَة، فحَيٌّ أَنا، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، إِنَّهم لا يُنقِذونَ لَها بَنينَ ولا بَنات، بل هم وَحدَهم يُنقَذون. [١٩]أَو إِذا أَرسَلتُ طاعوناً على تِلكَ الأَرضِ وصَبَبتُ غَضَبي علَيها بِالدَّمِ لِأَقرِضَ مِنها البَشَرَ والبَهائم، [٢٠]وكانَ فيها نوحٌ ودانيلُ وأَيّوب، فحَيٌّ أَنا، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، لا يُنقِذونَ لَها آبناً ولا آبنَةً، بل بِبِرِّهم يُنقِذونَ أَنفُسَهم(١٥).

[٢١]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: مع أَنِّي أَرسَلتُ أَحكامِيَ الأَربَعَةَ الشَّديدة، السَّيفَ والجوعَ والوَحشَ الضَّارِيَ والطَّعونَ على أُورَشَليمَ لِأَقرِضَ مِنها البَشَرَ والبَهائم، [٢٢]ها إِنَّه يَبْقى فيها ناجونَ بَنونَ وبَناتٌ يُخرَجون: ها إِنَّهم يَخرُجونَ إِلَيكم، فتَرونَ طَريقَهم وأَعْمالَهم، وتَتَعَزَّونَ عنِ الشَّرِّ الَّذي جَلَبتُه على أُورَشَليم، عن جَميعِ ما جَلَبتُه علَيها. [٢٣]وهم يُعَزُّونَكم حينَ تَرونَ طريقَهم وأَعْمالَهم، فتَعلَمونَ أَنِّي لم أَصنَعْ عَبَثاً كُلَّ ما صَنَعتُه فيها، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ».

٧. مثل الكَرْم العقيم

١٥ [١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً: [٢]«يا آبنَ الإِنْسان، بِماذا يَفضُلُ خَشَبُ الكَرمِ على كُلِّ خَشَبِ غُصْنٍ في أَشْجارِ الغابَة؟ [٣]أَيُؤخَذُ مِنه خَشَبٌ لِصُنعِ غَرَضٍ ما أَو يُؤخَذُ مِنه وَتِدٌ لِيُعَلَّقَ علَيه شَيءٌ ما؟ [٤]ها إِنَّه جُعِلَ مَأكَلاً لِلنَّار، فأَكَلَتِ النَّارُ طَرَفَيه وآحتَرَقَ وَسَطُه، أَفَيَصلُحُ لِغَرَضٍ

(١٥) الوحي يكشف شيئاً فشيئاً عن الحق، بالاتّجاه في مختلف الجهات. حقّق حزقيال تقدّماً حاسماً، لكن تعليمه لا يزال يحتاج الى تكملة.

ما؟ ٥ها إِنَّه، حينَ كانَ صَحيحاً، لم يُصنَعْ مِنه شَيءٌ ما، فبِالأَحْرى، بَعدَ أَن أَكَلَته النَّارُ وآحترَقَ، أَفيُصنَعُ مِنه بَعدَ ذلك غَرَضٌ ما؟ ٦لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: كخَشَبِ الكَرْمِ بَينَ أَشْجارِ الغابة، الَّذي جَعَلتُه مَأكَلاً لِلنَّار، كذلك جَعَلتُ سُكَّانَ أُورَشَليم. ٧فأَجعَلُ وَجْهي علَيهم حتَّى، إِذا خَرَجوا مِنَ النَّارِ، تَأكُلُهمُ النَّار، فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبُّ، حينَ أَجعَلُ وَجْهي علَيهم. ٨وأَجعَلُ الأَرضَ مُقفِرَةً لِأَنَّهم خالَفوا مُخالَفَةً، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ».

٨. قصة اسرائيل التمثيلية

تذكّرنا هذه الرواية، المليئة بالصور الطريفة الحيَّة، بسِفر هوشع. فإننا نجد فيها محبة الله، الصابرة والقوية، أمام خيانات اسرائيل.

١٦ ١وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: ٢«يا آبنَ الإِنْسان، أَخبِرْ أُورَشَليمَ بِقَبائِحِها، ٣وقُلْ: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِأُورَشَليم: أَصلُكِ ومَولِدُكِ مِن أَرضِ الكَنْعانِيِّين، وأَبوكِ أَمورِيٌّ وأُمُّكِ حِثِّيَّة. ٤أَمَّا مَولِدُكِ فإِنَّكِ يَومَ وُلِدتِ لم تُقطَعْ سُرَّتُكِ ولم تُغسَلي بِالماءِ تَنْظيفاً، ولَم تُمَلَّحي بِالمِلْح، ولم تُلَفِّي بِالقُمُط. ٥لم تَعطِفْ عَليكِ عَينٌ فيُصنَعَ لَكِ شَيءٌ مِن ذلكَ ويُشفَقَ علَيكِ، بل طُرِحتِ على وَجهِ الحَقْلِ قَرَفاً مِنكِ يَومَ وُلِدتِ.

٦فمَرَرتُ بِكِ ورَأَيتُكِ مُتَخَبِّطَةً بِدَمِكِ، فقُلتُ لَكِ في دَمِكِ: عيشي. ٧وجَعَلتُكِ رِبْواتٍ كنَبتِ الحَقْل، فنَمَيتِ وكَبِرتِ وبَلَغتِ سِنَّ ذُروَةِ الجَمال، فنَهَدَ ثَدْياكِ ونَبَتَ شَعَرُكِ، لكِنَّكِ كُنتِ عُرْيانَةً عُرْياً[١٦].

(١٦) قبل عهد سيناء.

^٨^فمَرَرتُ بِكِ ورأَيتُكِ، فإِذا زَمانُكِ زَمانُ الحُبّ، فبَسَطتُ ذَيلَ رِدائي علَيكِ وسَتَرتُ عَورَتَكِ، وأَقسَمتُ لَكِ ودَخَلتُ معَكِ في عَهْدٍ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، فصِرتِ لي. ^٩^فغَسَلتُكِ بالماءِ ونَظَّفتُ دَمَكِ الَّذي علَيكِ، ثُمَّ مَسَحتُكِ بِالزَّيت، ^١٠^وأَلبَستُكِ وَشْياً ونَعَلتُكِ بِجِلْدٍ ناعِم، وحَزَّمتُكِ بِالكَتَّانِ النَّاعِمِ وكَسَوتُكِ بِالحَرير، ^١١^وحَلَّيتُكِ بِالحُلِيّ، وجَعَلتُ أَساوِرَ في يَدَيكِ وطَوقاً في عُنُقِكِ. ^١٢^وجَعَلتُ حَلقَةً في أَنفِكِ وقُرطَينِ في أُذُنَيكِ وإِكْليلَ فَخرٍ على رَأسِكِ. ^١٣^فتَحَلَّيتِ بِالذَّهَبِ والفِضَّة، وكانَ مَلْبوسُكِ الكَتَّانَ النَّاعِمَ والحَريرَ والوَشْيَ، وأَكَلتِ السَّميذَ والعَسَلَ والزَّيت، وكُنتِ في مُنتَهى الجَمالِ حتَّى صَلَحتِ لِلمُلْك. ^١٤^فذاعَ آسمُكِ في الأُمَمِ لِجَمالِكِ، لِأَنَّه كانَ كامِلاً بِبَهائِيَ الَّذي جَعَلتُه علَيكِ^(١٧)^، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ.

^١٥^لكِنَّكِ اتَّكَلتِ على جَمالِكِ وزَنَيتِ بِما لَكِ مِنَ السُّمعَة، وسَكَبتِ فَواحِشَكِ على كُلِّ عابِرٍ قائِلَةً: لِيَكُنْ لَه ذلك. ^١٦^وأَخَذتِ مِن ثِيابِكِ فصَنَعتِ لَكِ مشارِفَ مُبَرقَشَة، وزَنَيتِ فيها، لا جَرى ذلك ولا حَصَل! ^١٧^وأَخَذتِ أَدَواتِ فَخرِكِ مِن ذَهَبي وفِضَّتِيَ الَّتي أَعطَيتُها لَكِ، فصَنَعتِ لكِ تَماثيلَ ذُكورٍ وزَنَيتِ بِها. ^١٨^وأَخَذتِ ثِيابَكِ المُوَشَّاةَ فكَسَوتِها وجَعَلتِ أَمامَها زَيتي وبَخوري. ^١٩^وخُبزِيَ الَّذي أَعطَيتُه لَكِ والسَّميذُ والزَّيتُ والعَسَلُ الَّذي أَطعَمتُكِ إِيَّاه جَعَلتِها أَمامَها رائِحَةَ رِضًى. ^٢٠^ما كانَ أَوهى قَلبَكِ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، حينَ فَعَلتِ هذا كُلَّه فِعلَ آمرَأَةٍ زانِيَةٍ سَليطة.

(١٧) جمال إسرائيل كله هبة من الله ونتيجة للعهد.

٣٥لِذلِكَ ، أَيَّتُها الزَّانِيَة ، اِسمَعي كَلِمَةَ الرَّبّ . ٣٦هٰكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِنِّي لِكَونِكِ أَنفَقتِ نُحاسَكِ وكَشَفتِ عَورَتَكِ في فَواحِشِكِ على مُحبِّيكِ وعلى جَميعِ قَذاراتِ قَبائِحِكِ، وبِسَبَبِ دِماءِ بَنيكِ الَّذينَ بَذَلتِهم لَها ، ٣٧لِذلِكَ هاءَنَذا أَجمَعُ جَميعَ مُحِبِّيكِ الَّذينَ لَذِذتِ لَهم وجَميعَ الَّذينَ أَحبَبتِهم ، مع جَميعِ الَّذينَ أَبغَضتِهم ، أَجمَعُهم علَيكِ مِن كُلِّ ناحِيَة ، وأَكشِفُ عَورَتَكِ لَهم ، فيَرَونَ عَورَتَكِ كُلَّها . ٣٨وأَحكُمُ علَيكِ بِمَا يُحكَمُ على الفاسِقاتِ وسافِكاتِ الدِّماء، وأَجعَلُكِ دَماً لِلغَضَبِ والغَيرَة . ٣٩وأُسلِمُكِ إِلى أَيديهم فيَنقُضونَ قُبَّتَكِ ويَهدِمونَ مُرتَفَعَكِ ، ويُجَرِّدونَكِ مِن ثِيابِكِ ويَأخُذونَ أَدَواتِ فَخرِكِ ويُغادِرونَكِ عُريانَةً عُرْياً ، ٤٢وأُريحُ غَضَبي منكِ وتَزولُ غَيرَتي عنكِ، فأَهدَأُ ولا أَسخَطُ بَعدَ اليَوم . ٤٣بِما أَنَّكِ لم تَذكُري أَيَّامَ صِباكِ ، بل أَسخَطتِني في جَميعِ هذه ، فأَنا أَيضاً أَجعَلُ سُلوكَكِ على رَأسِكِ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، أَلَم تُضيفي الفُجورَ إِلى جَميعِ قَبائِحِكِ ؟

٥٩لِأَنَّه هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِنِّي أَصنَعُ بِكِ كما صَنَعتِ ، إِذِ آزدَرَيتِ يَمينَ اللَّعنَةِ لِتَنقُضي العَهْد ، ٦٠وأَذكُرُ أَنا عَهْدي معكِ في أَيَّامِ صِباكِ ، وأُقيمُ لَكِ عَهداً أَبَدِيًّا(١٨) ، ٦١وتَذكُرينَ أَنتِ سُلوكَكِ وتَخجَلين ، حينَ تَقبَلينَ أَخواتِكِ اللَّواتي هُنَّ أَكبَرُ مِنكِ مع اللَّواتي هُنَّ أَصغَرُ مِنكِ ، وسأَجعَلُهنَّ لَكِ بَنات ، ولٰكِن مِن غَيرِ أَن أَلتَزِمَ بِعَهْدي معَكِ . ٦٢وأُقيمُ عَهْدي معَكِ فتَعلَمينَ أَنِّي أَنا الرَّبّ ، ٦٣لِكَي تَذكُري

(١٨) مجّانية المبادرة الإلٰهية .

فتَخزَي ولا تَفتَحي فَمَكِ بَعدَ اليَومِ بِسَبَبِ خَجَلِكِ، حينَ أَغفِرُ لَكِ جَميعَ ما فَعَلتِ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ».

٩. مثل العُقاب

بعد ان ذكّر النبي بخضوع أورشليم لنبوكدنصّر، بالرغم من الاستنجاد بمصر، ينبئ بحلول المملكة المشيحية.

١٧ [٣]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: إِنَّ العُقابَ العَظيم، ذا الجَناحَينِ العَظيمَين، الطَّويلَ القَوادِم، المُمتَلِئَ ريشاً، المُوَشَّى، قد أَتى لُبْنانَ وأَخَذَ ناصِيَةَ الأَرز، [٤]واَقتَطَعَ عالِيَ أَغْصانِه وأَتى بِها إِلى أَرضِ تُجَّار، ووَضَعها في مَدينةِ تُجَّار. [٥]وأَخَذَ بِزرَ الأَرضِ وجَعَلَه في حَقلِ زَرْعٍ وغَرَسَه كَنَبتِ الصَّفْصافِ على مِياهٍ غَزيرة، [٦]فنَبَتَ وصارَ كَرمَةً مُنتَشِرَةً مُتَواضِعَةَ القامة، لِكَي تَنعَطِفَ أَغْصانُها إِلَيه وتَكونَ أُصولُها تَحتَه. فصارَت كَرمَةً وأَنشَأَت شُعَباً وأَفرَخَت فُروعاً. [٧]وكانَ عُقابٌ آخَرُ عَظيم(١٩)، ذو جَناحَينِ عَظيمَين، كَثيرُ الرِّيش، فإِذا بِهذه الكَرمَةِ عَطَفَت أُصولَها إِلَيه ومَدَّت إِلَيه أَغْصانَها لِكَي يَسقِيَها خارِجَ الأَرضِ الَّتي غُرِسَت فيها. [٨]غُرِسَت في حَقلٍ جَيِّدٍ على مِياهٍ غَزيرَةٍ لِتُنبِتَ أَفْناناً وتَحمِلَ ثَمَراً وتَصيرَ كَرمَةً جَليلَة. [٩]قُلْ: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: أَتُراها تَنجَح؟ أَفَلا تُقلَعُ أُصولُها ويُقطَعُ ثَمَرُها فتَيبَسُ بَراعِمُها النَّابِتَة؟ إِنَّها تَيبَسُ ولا حاجَةَ إِلى ذِراعٍ عَظيمَةٍ أَو شَعبٍ كَثيرٍ لِنَزعِها عن أُصولِها. [١٠]أَفَتَنجَحُ وقَد غُرِسَت؟

(١٩) مصر.

أَفلا تَيبَسُ يُبْساً ، إِذا مَسَّتْها الرِّيحُ الشَّرقِيَّة ؟ إِنَّها لَتَيبَسُ في الأَرضِ الَّتي نَبتَت فيها» .

[١١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً : [١٢]«قُلْ لِبَيتِ التَّمَرُّد : أَلا تَعلَمونَ ما ذلك ؟ قُلْ : ها إِنَّ مَلِكَ بابِلَ قد أَتى أُورَشَليم ، وأَخَذَ مَلِكَها ورُؤَساءَها وأَتى بِهم إِلَيه إِلى بابِل ، [١٣]وأَخَذَ مِن زَرعِ المُلْكِ وقَطَعَ معَه عَهداً وأَدخَلَه في يَمينِ لَعنَة ، وأَخَذَ عُظَماءَ الأَرض ، [١٤]لِتَكونَ المَملَكَةُ مُتَواضِعَةً ولا تَطمَح ، بل تَحفَظَ عَهدَه وتَثبُت . [١٥]لكِنَّه[٢٠] تَمَرَّدَ علَيه بِإِرسالِه رُسُلَه إِلى مِصرَ لِيُعْطوه خَيلاً ورِجالاً كَثيرين . أَفالَّذي صَنَعَ ذلك يَنجَحُ ويُفلِت ؟ إِنَّه قد نَقَضَ العَهدَ ، أَفيُفلِت .

[١٩]لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : حَيٌّ أَنا ، إِنَّ يَمينَ لَعنَتي الَّتي آزدَراها وعَهدِيَ الَّذي نَقَضَه أَجعَلُهُما على رَأسِه ، [٢٠]وأَبسُطُ شَبَكَتي علَيه فيُؤخَذُ في أُحْبولَتي وآتي بِه إِلى بابِلَ وأُحاكِمُه هُناكَ على مُخالَفَتِه الَّتي خالَفَني بِها . [٢١]وجَميعُ مَلاجِئِه مع جَميعِ جُيوشِه يَسقُطونَ بِالسَّيف ، والباقونَ يُذَرَّونَ لِكُلِّ ريح ، فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبَّ تَكَلَّمتُ .

[٢٢]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : إِنِّي سآخُذُ مِن ناصِيَةِ الأَرزِ العالي لِأَغرِسَها . أَقتَطِعُ مِن عالي أَغْصانِه غُصْناً غَضًّا وأَغرِسُه أَنا على جَبَلٍ شامِخٍ شاهِق . [٢٣]في جَبَلِ إِسْرائيلَ العالي أَغرِسُه فيُنشِئُ أَفْناناً ويُثمِرُ ثَمَراً ويَصيرُ أَرزاً جَليلاً ، فيَأوي تَحتَه كُلُّ طائِر ، كُلُّ ذي جَناحٍ يَأوي في ظِلِّ أَغْصانِه . [٢٤]فتَعلَمُ جَميعُ أَشْجارِ الحُقولِ أَنِّي الرَّبَّ وَضَعتُ الشَّجَرَ المُرتَفِعَ

(٢٠) صِدقِيَّا .

ورَفَعتُ الشَّجَرَ الوَضيع ، وأَيْبَستُ الشَّجَرَ الرَّطبَ وأَنبَتُّ الشَّجَرَ اليابِس . أَنا الرَّبَّ قُلتُ وفَعَلتُ» .

١٠. المسؤولية الشخصية

يعود حزقيال الى الاعتراض الذي أدلى به إرميا ويستخلص منه النتيجة المحتَّمة ، لن يحمل الابن عواقب خطيئة أبيه . لا بدّ من الاشارة إلى الطريق الذي اجتازه في كيفية النظر إلى الخاطئ : لا يريد الله موته ، بل توبته .

١٨ [١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً : [٢]«ما بالُكم تَضرِبونَ هذا المَثَل على أَرضِ إِسْرائيلَ قائِلين : إِنَّ الآباءَ أَكَلوا الحِصرِم ، وأَسْنانَ البَنينَ ضَرِسَت . [٣]حَيٌّ أَنا ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، لا يَكونُ لَكم بَعدَ اليَومِ أَن تَضرِبوا هذا المَثَلَ في إِسْرائيل . [٤]إِنَّ جَميعَ النُّفوسِ هي لي . كَمَثَلِ نَفْسِ الآبِ كذلك نَفْسُ الابن ، كِلْتاهُما لي . النَّفْسُ الَّتي تَخطَأُ هي تَموت .

[٥]فالإِنْسانُ، إِذا كانَ بارًّا وأَجْرى الحَقَّ والبِرَّ [٦]ولَم يَأكُلْ على الجِبال ، ولَم يَرفَعْ عَينَيه إِلى قَذاراتِ بَيتِ إِسْرائيل ، ولَم يُنَجِّسِ آمرَأَةَ قَريبِه ، ولَم يَدنُ مِنِ آمرَأَةٍ طامِث ، [٧]ولم يظلِمْ أَحَداً ورَدَّ لِلمَديونِ رَهنَه ولم يَخْتَلِسْ خُلْسَةً ، وأَعْطى خُبزَه لِلجائِعِ وكَسا العُرْيانَ ثَوباً ، [٨]ولم يُعطِ بِالفائِدةِ ولَم يَأخُذْ رِبًى ، وكَفَّ يَدَه عنِ الإِثْم وأَجْرى قَضاءَ الحَقِّ بَينَ الإِنْسانِ والإِنْسان ، [٩]وسارَ على فَرائضي وحَفِظَ أَحْكامي لِلعَمَلِ بِها ، فبِما أَنَّه بارٌّ يَحْيا حَياةً ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ .

[١٠]فإِن وَلَدَ آبناً عَنيفاً سَفَّاكاً لِلدِّماءِ يَصنَعُ شَيئاً مِن ذلك ، [١١]وهو لم يَصنَعْ شَيئاً مِنه ، ويَأكُلُ على الجِبالِ ويُنَجِّسُ آمرَأَةَ قَريبِه [١٢]ويَظلِمُ البائِسَ والمِسْكينَ ويَختَلِسُ خُلسَةً ولا يَرُدُّ الرَّهنَ ويَرفَعُ عَينَيه إِلى القَذاراتِ

ويَصنَعُ القَبيحة ، [١٣] ويُعْطي بِالفائِدَةِ ويَأخُذُ رِبًى ، أَفَيَحيا ؟ إِنَّه لا يَحْيا ، بل بِما أَنَّه قد صَنَعَ جَميعَ تِلكَ القَبائِحِ ، يَموتُ مَوتاً ويَكونُ دَمُه علَيه . [١٩] فتَقولون : لِماذا لا يَحمِلُ الِآبنُ إِثمَ الأَب ؟ بِما أَنَّ الِآبنَ كانَ مُجرِياً الحَقَّ والبِرَّ وحافِظاً جَميعَ فَرائضي وعامِلاً بها ، فإِنَّه يَحْيا حَياةً . [٢٠] النَّفْسُ الَّتي تَخطَأُ هي تَموت . الِآبنُ لا يَحمِلُ إِثمَ الأَبِ والأَبُ لا يَحمِلُ إِثمَ الِآبْن . بِرُّ البارِّ علَيه يَكون ، وشَرُّ الشِّرِّيرِ علَيه يَكون .

[٢١] والشِّرِّيرُ ، إِذا رَجَعَ عن جَميعِ خَطاياه الَّتي صَنَعَها وحَفِظَ جَميعَ فرائضي وأَجْرى الحَقَّ والبِرّ ، فإِنَّه يَحْيا حَياةً ولا يَموت . [٢٢] جَميعُ مَعاصيه الَّتي صَنَعَها لا تُذكَرُ لَه ، وبِبِرِّه الَّذي صَنَعَه يَحْيا . [٢٣] أَلعَلَّ هَوايَ في مَوتِ الشِّرِّير ؟ يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ . أَلَيسَ في أَن يَتوبَ عن طُرُقِه فيَحْيا ؟

[٢٤] إِذا آرتَدَّ البارُّ عن بِرِّه وصَنَعَ الإِثمَ وعَمِلَ مِثلَ كُلِّ القَبائِحِ الَّتي يَعمَلُها الشِّرِّير ، أفيَحْيا ؟ بل كُلُّ بِرِّه الَّذي صَنَعَه لا يُذكَر ، وبِمُخالَفتِه الَّتي خالَفَها وخَطيئَتِه الَّتي خَطِئَها يَموت . [٢٥] فتَقولون : لَيسَ طَريقُ السَّيِّدِ بِمُستَقيم . إِسمَعوا يا بَيتَ إِسْرائيل : أَطَريقي غَيرُ مُستَقيم ؟ أَلَيسَت طُرُقُكم هي غَيرُ المُستَقيمة ؟ [٢٦] إِذا آرتَدَّ البارُّ عن بِرِّه وصَنَعَ الإِثْمَ وماتَ فيه ، فإِنَّه بإِثمِه الَّذي صَنَعَه يَموت . [٢٧] وإِذا رَجَعَ الشِّرِّيرُ عن شَرِّه الَّذي صَنَعَه وأَجْرى الحَقَّ والبِرّ ، فإِنَّه يُحْيِي نَفْسَه . [٢٨] إِنَه قد رَأى وتابَ عن جَميعِ مَعاصيه الَّتي صَنَعَها ، لِذلك يَحْيا حَياةً ولا يَموت . [٢٩] فيَقولُ بَيتُ إِسْرائيل : لَيسَ طَريقُ السَّيِّدِ بِمُستَقيم . أَطُرُقي غَيرُ مُستَقيمة ، يا بَيتَ إِسْرائيل ؟ أَلَيسَت طُرُقُكم هي غَيرُ المُستَقيمة ؟ [٣٠] فلِذلك أَدينُكم كُلَّ واحِدٍ بِحَسَبِ طَريقِه ، يا بَيتَ إِسْرائيل ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، فآرجِعوا

وأَعرِضوا عن جَميعِ مَعاصيكم ، فلا يَكونَ الإِثمُ مَعثَرَةً لكم . [٣١]إِنبِذوا عنكم جَميعَ مَعاصيكُمُ الَّتي عَصَيتُم بِها وآصنَعوا لَكم قَلباً جَديداً وروحاً جَديداً . فلِماذا تَموتونَ، يا بَيتَ إِسْرائيل ؟ [٣٢]فإِنَّه لَيسَ هَوايَ في مَوتِ مَن يَموت ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، فآرجِعوا وآحيَوا .

١١. مثل الكَرْم

تحسن المقارنة في معالجة هذا الموضوع بين حزقيال وهوشع وأشعيا وإرميا .

١٩ [١٠]أُمُّكَ كانَت تُشبِهُ الكَرمَة غُرِسَت على المِياه
فصارَت كَثيرَةَ الثِّمارِ والأَفْنان مِن غَزارَةِ المِياه
[١١]وصارَت لَها قُضبانٌ صُلْبَة ، صَوالِجَةٌ لِلسَّلاطين
وآرتَفَعَت قامَتُها بَينَ الغُيوم فنَظَروا إِلَيها لِآرتِفاعِها وكَثرَةِ أَغْصانِها .
[١٢]ثُمَّ إِنَّها قُلِعَت بِغَضَب وطُرِحَت على الأَرْض
فأَيبَسَتِ الرِّيحُ الشَّرقِيَّة[(٢١)] ثَمَرَتَها وكُسِّرَت قُضْبانُها الصُّلبَةُ
وآلتَهَمَتها النَّار .
[١٣]وهي الآنَ مَغْروسَةٌ في البَرِّيَّة في أَرضٍ قاحِلَةٍ عَطْشى .
[١٤]فخَرَجَ مِن غُصنِها نارٌ آلتَهَمَت ثَمَرَتَها
فلَم يَبْقَ فيها غُصنٌ صُلْب ، صَولَجانٌ لِلتَّسَلُّط .
هذا رِثاءٌ ، وكان لِلرِّثاء» .

(٢١) بابل .

١٢. قول نبوي في العِقاب

يصوِّر الرب حاملاً سيفاً مسنوناً يسلِّمه إلى البابليين لينفِّذوا به حكمه على أورشليم.

٢١ [١] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٢] «يا آبنَ الإِنْسان، اِجعَلْ وَجهَكَ نَحوَ اليَمين، وتَكَهَّنْ على الجَنوب، وتَنَبَّأْ على غابَةِ حَقلِ النَّقَب، [٣] وقُلْ لِغابَةِ النَّقَب: إِسمَعي كَلِمَةَ الرَّبّ. هكَذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: هاءَنَذا أُضرِمُ فيكِ ناراً، فتَلتَهِمُ فيكِ كُلَّ شَجَرٍ يابِس، ولا يُطفَأُ لَهيبُها المُشتَعِل، وتُحرَقُ بِها جَميعُ الوُجوهِ مِنَ النَّقَبِ إِلى الشَّمال، [٤] فيَرى كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنا الرَّبَّ أَوقَدتُها فلا تُطفَأ. [٥] فقُلتُ: آهِ أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ؟ ها إِنَّهم يَقولونَ لي: أَلَيسَ هو ضارِبَ الأَمْثال؟» [٦] وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٧] «يا آبنَ الإِنْسان، اِجعَلْ وَجهَكَ إِلى أُورَشَليم، وتَكَهَّنْ على المَقادِس، وتَنَبَّأْ على أَرضِ إِسْرائيل، [٨] وقُلْ لِأَرضِ إِسْرائيل: هكَذا قالَ الرَّبّ: هاءَنَذا علَيكِ فأُجَرِّدُ سَيفي مِن غِمدِه وأَقرِضُ مِنكِ البارَّ والشِّرِّير، [٩] لِأَنَّه لِأَقرِضَ مِنكِ البارَّ والشِّرِّيرَ يَتَجَرَّدُ سَيفي مِن غِمدِه على كُلِّ بَشَرٍ مِنَ النَّقَبِ إِلى الشَّمال، [١٠] فيَعلَمُ كُلُّ بَشَرٍ أَنِّي أَنا الرَّبَّ قد جَرَّدتُ سَيفي مِن غِمدِه فلا يَعودُ إِلَيه.

[١١] وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسانِ تَأَوَّهْ، بِظَهرٍ مَقْصومٍ وبِمَرارَةٍ تَأَوَّهْ أَمامَ عُيونِهم.
[١٢] فإِذا قالوا لَكَ: مِمَّا أَنتَ مُتَأَوِّه؟ فقُلْ: بِسَبَبِ خَبَرٍ آتٍ يَذوبُ كُلُّ قَلْبٍ وتَستَرْخي كُلُّ يَدٍ ويَني كُلُّ روحٍ وتَسيلُ كالماءِ كُلُّ رُكْبَة. هل إِنَّه قد أَتى وسيُحَقَّق، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ.

[١٣]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [١٤]«يا آبنَ الإِنْسان، تَنَبَّأْ وقُلْ: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: قُلْ:

السَّيفُ السَّيفُ قد حُدِّدَ وصُقِل

[١٥]قد حُدِّدَ لِيَذبَحَ ذَبحاً وصُقِلَ لِيَكونَ لَه بَريق.

(هل نَفرَحُ بِأَنَّ صَولَجانَ آبْني يَزدَري كُلَّ صَولَجان؟).

[١٦]أَعْطى الرَّبُّ السَّيفَ لِلصَّقْلِ حتَّى يُمسَكَ بِالكَفّ.

لقد حُدِّدَ هذا السَّيفُ وصُقِل لِيُجعَلَ في يَدِ القاتِل.

[١٧]أُصرُخْ ووَلْوِلْ يا آبنَ الإِنْسان فإِنَّه يَكونُ على شَعْبي

وعلى جَميعِ رُؤَساءِ إِسْرائيل.

يُسلَمونَ إِلى السَّيفِ مع شَعْبي، لِذلك آصفِقْ على فَخِذِكَ.

١٣. حزقيال علامة لإسرائيل، عند وفاة امرأته

تُوفِّيت آمرأة حزقيال فجأةً، فلم يلبس النبي الحداد. فتعجَّب الشعب، وعند ذلك شرح له حزقيال ما سيحدث عند خراب الهيكل.

٢٤ [١٥]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [١٦]«يا آبنَ الإِنْسان، هاءَنَذا آخُذُ عنكَ مُشْتَهى عَينَيكَ بِضَربَة، فلا تَندُبْ ولا تَبكِ ولا تَذرِفْ دَمعَة. [١٧]تَنَهَّدْ ساكِتاً ولا تُقِمْ مناحَةً على المَيت، بلِ آعصِبْ علَيكَ عِمامَتَكَ، وآجعَلْ حِذاءَكَ في رِجلَيكَ، ولا تُلَثِّمْ شارِبَيكَ، ولا تأكُلْ خُبزَ النَّاس». [١٨]فكَلَّمتُ الشَّعبَ في الصَّباح، وماتَتِ آمرَأَتي في المَساء، فصَنَعتُ في الصَّباحِ كما أُمِرتُ. [١٩]فقالَ لِيَ الشَّعْب: «أَلا تُخبِرُنا ما نَحنُ وهذا الَّذي أَنتَ صانِعُه؟». [٢٠]فقُلتُ لَهم: «قد كانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٢١]قُلْ لِبَيتِ إِسْرائيل: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: هاءَنَذا أُدَنِّسُ مَقدِسي، فَخرَ

عِزَّتِكم ومُشْتَهى عُيونِكم وشَوقَ نُفوسِكم ، وبَنوكم وبَناتُكمُ الَّذينَ تَركتُم يَسقُطونَ بِالسَّيف . [٢٢]فتَصنَعونَ كما صَنَعتُ : لا تُلَثِّمونَ الشَّارِبَينِ ولا تَأكُلونَ خُبزَ النَّاس ، [٢٣]وتَكونُ عَمائِمُكم على رُؤُوسِكم وأَحذِيَتُكم في أَرجُلِكم ، ولا تَندُبونَ ولا تَبكون ، بل تَتَعَفَّنونَ بِآثامِكم وتَئِنُّون كُلُّ واحِدٍ أَمامَ أَخيه . [٢٤]فيَكونُ حَزقِيالُ لكم آيَةً مِثلَ كُلِّ ما صَنَعَ تَصنَعون ، وحينَ يَقَعُ الأَمرُ تَعلَمونَ أَنِّي أَنا السَّيِّدُ الرَّبّ .

١٤. أقوال نبوية على صور

بعد ان كانت المدينة التجارية العظمى حليفة أورشليم ، تركتها . وتمَّ الاستيلاء عليها هي أيضاً في ٥٧٣.

٢٦ [١]وفي السَّنَةِ الحادِيَةَ عَشرَةَ، في الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْر ، كانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً : [٢]«يا آبنَ الإِنْسان ، بِمَا أَنَّ صورَ قالَت على أُورَشَليم : هَهْ، قدِ آنكَسَرَت مَصاريعُ الشُّعوبِ وتَحَوَّلَت إِلَيَّ ، فأَنا أَمتَلِئ ، أَمَّا هي فقد دُمِّرَت . [٣]لِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا علَيكِ يا صور ، فأُصعِدُ علَيكِ أُمَماً كَثيرة ، كما يُصعِدُ البَحرُ أَمواجَه ، [٤]فيُدَمِّرونَ أَسْوارَ صور ، ويَهدِمونَ بُروجَها ، وأَجْرُفُ تُرابَها ، وأَجعَلُها صَخراً عارِياً ، [٥]فتَصيرُ مَنشَراً لِلشِّباكِ في وَسَطِ البَحْر ، لِأَنِّي أَنا تَكَلَّمتُ ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، وتَكونُ نَهباً لِلأُمَم . [٦]وبَناتُها اللَّواتي في الحُقولِ يُقتَلنَ بِالسَّيف ، فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ .

٢٧ [٣]وقُلْ لِصورَ السَّاكِنَةِ عِندَ مَداخِلِ البَحر ، تاجِرَةِ الشُّعوبِ في جُزُرٍ كَثيرة : هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ :

يا صورُ، إنَّكِ قُلتِ : أَنا كامِلَةُ الجَمال .
[٤] حُدودُكِ في قَلبِ البِحار وبانوكِ أَكمَلوا جَمالَكِ .
[٢٥] وكانَت سُفُنُ تَرْشيشَ ناقِلَةَ بَضائِعِكِ .
لقَدِ آمتَلأتِ وثَقُلَ حِملُكِ في قَلبِ البِحار .
[٢٦] القَذَّافونَ أَتَوا بِكِ إِلى مِياهٍ غَزيرَة
فحَطَّمَتكِ الرِّيحُ الشَّرقِيَّةُ في قَلبِ البِحار .
[٢٧] غِناكِ وسِلَعُكِ وبَضائِعُكِ
ومَلاَّحوكِ وبَحَّارَتُكِ وجَلافِطَةُ صُدوعِكِ وسَماسِرَةُ تِجارَتِكِ
وجَميعُ رِجالِ حَربِكِ الَّذينَ فيكِ وكُلُّ الجَمْعِ الَّذي في وَسَطِكِ
يَسقُطونَ في قَلبِ البِحارِ يَومَ سُقوطِكِ .
[٢٨] مِن صَوتِ صُراخِ بَحَّارَتِكِ تَرتَعِشُ سَواحِلُكِ .
[٢٩] فجَميعُ ضابِطي المَقاذيفِ والمَلاَّحونَ وجَميعُ البَحَّارَة
يَنزِلونَ مِنَ السُّفُنِ ويَقِفونَ على البَرّ
[٣٠] ويُسمِعونَ علَيكِ أَصْواتَهم ويَصرُخونَ بِمَرارة
ويَحْثونَ فَوقَ رُؤُوسِهم تُراباً ويَتَمَرَّغونَ في الرَّماد
[٣١] ويَحلِقونَ شَعَرَ رُؤُوسِهم علَيكِ ويَتَحَزَّمونَ بِالمُسوح
ويَبْكونَ علَيكِ بِمَرارَةِ النَّفْسِ نَحيباً مُرًّا .
[٣٢] وفي نَوحِهم يَرفَعونَ الرِّثاءَ علَيكِ ويَرْثونَكِ قائِلين :
مَن كانَ شَبيهاً بِصور في وَسَطِ البَحر ؟
[٣٣] بِإِنزالِ سِلَعِكِ مِنَ البِحار أَشبَعتِ شُعوباً كَثيرة
وبِوَفرَةِ أَمْوالِكِ وبَضائِعِكِ أَغنَيتِ مُلوكَ الأَرض .

[٣٤] ها إِنَّ الأَمْواجَ حَطَّمَتكِ في أَعْماقِ المِياه
فسَقَطَت بَضائِعُكِ وكُلُّ جَمعِكِ في وَسَطِكِ.
[٣٥] جَميعُ سُكَّانِ الجُزُرِ دَهِشوا علَيكِ
ومُلوكُهمُ ٱقشَعَرَّت شُعورُهم وٱمتُقِعَت وُجوهُهم
[٣٦] والتُّجَّارُ في الشُّعوبِ صَفَّروا علَيكِ
وقد صِرتِ مَوضِعَ رُعْبٍ فلا تَكونينَ لِلأَبَد».

٢٨ [٢] «يا ٱبنَ الإِنْسان، قُلْ لِرَئيسِ صور: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ:
لِأَنَّ قلبَكَ قد تَشامَخَ، فقُلتَ: إِنِّي إِله
وعلى عَرشِ إِلهٍ جَلَستَ في قَلبِ البِحار
وأَنتَ بَشَرٌ لا إِله، ولكِن جَعَلتَ قَلبَكَ كقَلبِ إِله
[٣] ها أَنتَ أَحكَمُ مِن دانيل وما دونَكَ سِرٌّ مَسْتور.
[٤] بِحِكمَتِكَ وفِطنَتِكَ ٱقتَنَيتَ يُسْراً وجَمَعتَ ذَهَباً وفِضَّةً في خَزائِنِكَ.
[٥] بِكَثرَةِ حِكمَتِكَ في مُتاجَرَتِكَ كَثَّرتَ يُسرَكَ
فتَشامَخَ قَلبُكَ مِن يُسرِكَ.
[٦] فلِذلك هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: بِما أَنَّكَ جَعَلتَ قَلبَكَ مِثلَ قَلبِ إِله
[٧] لِذلك هاءَنَذا أَجلُبُ علَيكَ الغُرَباءَ أَظلَمَ الأُمَم
فيُجَرِّدونَ سُيوفَهم على جَمالِ حِكمَتِكَ ويُدَنِّسونَ بَهاءَكَ.
[٨] يُنزِلونَكَ في الهُوَّة فتَموتُ مَوتَ القَتْلى في قَلبِ البِحار.
[٩] أَفتَقولُ: إِنِّي إِلهٌ أَمامَ الَّذي يَقتُلُكَ وأَنتَ بَشَرٌ لا إِلهٌ في يَدِ قاتِلِكَ؟
[١٠] إِنَّكَ تَموتُ مَوتَ القُلفِ بِيَدِ الغُرَباء

لِأَنِّي أَنا تَكَلَّمتُ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ» .
[١٢] هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ :
أَنتَ خاتَمُ الكَمال مُمتَلِئٌ حِكمَةً وكامِلٌ جَمالاً[٢٢] .
[١٣] كُنتَ في عَدنٍ، جَنَّةِ الله وكانَ كُلُّ حَجَرٍ كَريمٍ كِساءً لَكَ
مِنَ الياقوتِ الأَحمَرِ والياقوتِ الأَصفَر والماسِ والزَّبَرجَدِ والجَزْعِ
واليَشْبِ واللاَّزَوَردِ والبَهرَمانِ والزُّمُرُّد
وصُنع دُفوفِكَ ومَزاميرِكَ مِن ذَهَب هُيِّئَت يَومَ خُلِقتَ .
[١٤] كُنتَ كَروباً مُنبَسِطاً مُظَلِّلاً، أَقَمتُكَ في جَبَلِ اللهِ المُقَدَّس
وتَمَشَّيتَ في وَسَطِ حِجارَةِ النَّار .
[١٥] كامِلٌ أَنتَ في طُرُقِكَ
مِن يَومَ خُلِقتَ إِلى أَن وُجِدَ فيكَ إِثْم .
[١٦] مِن كَثرَةِ مُتاجَرَتِكَ آمتَلأَ باطِنُكَ عُنفاً وخَطِئتَ
فَدَنَّسْتُكَ مُبعِداً إِيَّاكَ عن جَبَلِ الله
وأَبَدتُكَ أَيُّها الكَروبُ المُظَلِّل من بَينِ حِجارَةِ النَّار .
[١٧] تَشامَخَ قَلبُكَ مِن جَمالِكَ وأَفسَدتَ حِكمَتَكَ مِن بَهائِكَ
فطَرَحتُكَ إِلى الأَرض وجَعَلتُكَ أَمامَ المُلوكِ لِيَنظُروا إِلَيكَ .
[١٨] بِكَثرَةِ آثامِكَ وظُلمِ مُتاجَرَتِكَ دَنَّستَ مَقادِسَكَ
فأَخرَجتَ مِن وَسَطِكَ ناراً فأَكَلَتكَ وجَعَلتُكَ رَماداً على الأَرض
على عَينِ كُلِّ مَن يَنظُرُ إِلَيكَ .

(٢٢) هذا القول النبوي يستهدف ملك صور، أتبعل الثاني، ويستخدم عناصر من الأساطير الشرقية .

[19]جَميعُ عارِفيكَ في الشُّعوبِ دَهِشوا علَيكَ
وصِرتَ مَوضِعَ رُعْبٍ فلا تَكونُ لِلأَبَد».

١٥. حزقيال «مسؤول» عن الجلوَين

النبي مسؤول عن النفوس، وهو الرقيب الذي يسهر.

٣٣ [1]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [2]«يا آبنَ الإِنْسان، كَلِّمْ بَني شَعبِكَ وقُلْ لَهم: إِذا جَلَبتُ على أَرضٍ سَيفاً، فأَخَذَ شَعبُ تِلكَ الأَرضِ رَجُلاً مِن بَينِهم وجَعَلوه لَهم رَقيباً، [3]فرأَى السَّيفَ آتِياً إِلى تِلكَ الأَرض، ونَفَخَ في البوقِ وأَنذَرَ الشَّعْب، [4]فسَمِعَ السَّامِعُ صَوتَ البوقِ ولم يُبالِ، ثُمَّ أَتى السَّيفُ وأَخذَه، فإِنَّ دَمَه يَكونُ على رَأسِه. [5]إِنَّه سَمِعَ صَوتَ البوقِ ولم يُبالِ، فدَمُه يَكونُ علَيه. لكِنَّه إِذا بالى بِالأَمرِ، يُنَجِّي نَفْسَه. [6]فإِذا رأَى الرَّقيبُ السَّيفَ آتِياً ولم يَنفُخْ في البوقِ ولم يُنذِرِ الشَّعْب، فأَتى السَّيفُ وأَخَذَ نَفْساً مِنهم، فتِلكَ تَكونُ قد أُخِذَت في إِثمِها، لكِنِّي مِن يَدِ الرَّقيبِ أَطلُبُ دَمَها.

[7]وأَنتَ يا آبنَ الإِنْسان، فقَد جَعَلتُكَ رَقيباً لِبَيتِ إِسْرائيل، فتَسمَعُ الكَلِمَةَ مِن فمي وتُنذِرُهم عنِّي. [8]فإِذا قُلتُ لِلشِّرِّير: يا شِرِّير، إِنَّكَ تَموتُ مَوتاً، ولم تَتَكَلَّمْ أَنتَ مُنذِراً الشِّرِّيرَ بِطَريقِه، فذلك الشِّرِّيرُ يَموتُ في إِثمِه، لكِنِّي مِن يَدِكَ أَطلُبُ دَمَه. [9]أَمَّا إِذا أَنذَرتَ الشِّرِّيرَ بِطَريقِه لِيَرجِعَ عنه ولم يَرجِعْ عن طَريقِه، فهو يَموتُ في إِثمِه، لكِنَّكَ تَكونُ قد خَلَّصتَ نَفْسَكَ».

[٢١]وفي السَّنَةِ الثَّانِيَةَ عَشرَةَ مِن جَلائِنا(٢٣)، في الشَّهرِ العاشِر، في الخامِسِ مِنَ الشَّهرِ، أَتى إِلَيَّ المُفلِتُ مِن أُورَشَليمَ قائِلاً: «قد ضُرِبَتِ المَدينَة». [٢٢]وقد كانَت علَيَّ يَدُ الرَّبِّ في المَساء، قَبلَ أَن يَأتِيَ المُفلِت، وفَتَحَ الرَّبُّ فَمي، حينَ أَتى إِلَيَّ في الصَّباح، فآنفَتَحَ فَمي ولم أَبقَ أَبكَم.

٣. أقوال نبوية في الرجاء

بعد خراب الهيكل ووصول قافلة مجلوّي ٥٨٦ الكبرى، بدَّل حزقيال اتّجاه وعظه النبوي. فإن فتور الهمة عند الجميع يُخشى أن يعرّض للخطر العودة إلى الارض المقدّسة. ولذلك أخذ يحثّ المجلوّين على الثقة بقدرة الله.

١. مثل الراعي الصالح

كان الملوك رُعاة الشعب الاسرائيلي، لكنهم أخلفوا برسالتهم ولم ينظروا إلاّ إلى مصلحتهم. فسيتولّى الله نفسه قيادة قطيعه ويعيده إلى أرض إسرائيل.

٣٤ [١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٢]«يا آبنَ الإِنْسان، تَنَبَّأْ على رُعاةِ إِسْرائيل، تَنَبَّأْ وقُلْ لَهم: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِلرُّعاة: وَيلٌ لِرُعاةِ إِسْرائيلَ الَّذينَ يَرعَونَ أَنفُسَهم. أَلَيسَ على الرُّعاةِ أَن يَرعَوا الخِراف؟ [٣]إِنَّكم تَأكُلونَ الأَلْبانَ وتَلبَسونَ الصُّوفَ وتَذبَحونَ السَّمين، لكِنَّكم لا تَرعَونَ الخِراف. [٤]الضِّعافُ لم تُقَوُّوها والمَريضَةُ لم تُداوُوها والمَكْسورَةُ لم تَجبُروها والشَّارِدَةُ لم تَرُدُّوها والضَّالَّةُ لم تَبحَثوا عنها، وإِنَّما تَسَلَّطتُم علَيها بِقَسوَةٍ وقَهْر. [٥]فأَصبَحَت مُشَتَّتَةً مِن غَيرِ راعٍ، وصارَت مَأكَلاً لِجَميعِ وُحوشِ الحُقولِ وهي مُشَتَّتَة. [٦]لقد تاهَت خِرافي في جَميعِ الجِبالِ وعلى

(٢٣) أي في ٥٨٦.

كُلِّ تَلَّةٍ عالِيَة ، وشُتِّتَت خِرافي على وَجهِ الأَرضِ كُلِّها ، ولَيسَ مَن يَنشُدُ ولا مَن يَبحَث .

٧لِذلِكَ أَيُّها الرُّعاةُ آسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبّ . ٨حَيٌّ أَنا ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ . بِما أَنَّ خِرافي صارَت نَهْباً وأَصبَحَت خِرافي مَأكَلاً لِكُلِّ وَحشِ الحُقولِ مِن غَيرِ راعٍ ، ولم يَنشُدْ رُعاتي خِرافي ، بل رَعى الرُّعاةُ أَنفُسَهم ، وخِرافي لم يَرعَوها ، ٩لِذلك أَيُّها الرُّعاةُ آسمَعوا كَلِمَةَ الرَّبّ . ١٠هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا على الرُّعاة ، فأَطلُبُ خِرافي من أَيديهم وأَكُفُّهم عن رَعْيِ الخِراف ، فلا يَرْعى الرُّعاةُ أَنفُسَهم بَعدَ اليَوم ، وأُنقِذُ خِرافي مِن أَفْواهِهم ، فلا تَكونُ لَهم مَأكَلاً .

١١لِأَنَّه هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا أَنشُدُ خِرافي وأَفتَقِدُها أَنا . ١٢كما يَفتَقِدُ الرَّاعي قَطيعَه يَومَ يَكونُ في وَسَطِ خِرافِه المُنتَشِرَة ، كذلك أَفتَقِدُ أَنا خِرافي وأُنقِذُها مِن جَميعِ المَواضِعِ الَّتي شُتِّتَت فيها يَومَ الغَيمِ والغَمامِ المُظلِم ، ١٣وأُخرِجُها مِن بَينِ الشُّعوب ، وأَجمَعُها مِنَ الأَراضي وآتي بِها إِلى أَرضِها وأَرْعاها على جِبالِ إِسْرائيلَ وفي الأَودِيَةِ وفي جَميعِ مساكِنِ الأَرض . ١٤في مَرعًى صالِحٍ أَرْعاها وفي جِبالِ إِسْرائيلَ العالِيَةِ يَكونُ مَرْعاها . هُناكَ تَربِضُ في حَظيرَةٍ صالِحَة ، وتَرْعى في مَرْعًى دَسِمٍ على جِبالِ إِسْرائيل . ١٥أَنا أَرْعى خِرافي وأَنا أُربِضُها ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ ، ١٦فأَبحَثُ عن الضالَّةِ وأَرُدُّ الشارِدَةَ وأَجبُرُ المَكْسورَةَ وأُقَوِّي الضَّعيفَةَ وأُهلِكُ السَّمينَةَ والقَوِيَّة ، وأَرْعاها بِعَدْل .

١٧وأَنتُنَّ يا خِرافي ، هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا أَحكُمُ بَينَ شاةٍ وشاة ، بَينَ الكِباشِ والتُّيوس .

[٢٣]وأُقيمُ علَيها راعِياً آخَرَ لِيَرْعاها، عَبْدي داوُد، فهو يَرْعاها وهو يَكونُ راعِيَها. [٢٤]وأَنا الرَّبَّ أَكونُ لَهم إِلهاً ، وعَبْدي داوُدُ يَكونُ في وَسْطِهم رَئيساً. أَنا الرَّبَّ تَكَلَّمتُ. [٢٥]وأَقطَعُ لَهم عَهدَ سَلام، وأَكُفُّ الوَحشَ الضَّارِيَ عنِ الأَرض، فيَسكُنونَ في البَرِّيَّةِ آمِنين، ويَنامونَ في الغاب. [٢٦]وأَغرِسُهم وتَكونُ بَرَكَةٌ حَولَ تَلَّتي، وأُنزِلَ المَطَرَ في أَوانِه، فيَكونُ مَطَرُ بَرَكَة. [٢٧]ويُعْطي شَجَرُ الحُقولِ ثَمَرَه، والأَرضُ تُعْطي غَلَّتَها، ويَكونونَ على أَرضِهم آمِنين، فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبُّ حينَ أُحَطِّمُ قُضْبانَ نيرِهم، وأُنقِذُهم مِن أَيدي الَّذينَ آستَعبَدوهم. [٢٨]ولا يَكونونَ بَعدَ اليَومِ نَهْباً لِلأُمَم، ووَحشُ الأَرضِ لا يَأكُلُهم، فيَسكُنونَ آمنين، ولا أَحَدَ يُرَوِّعُهم. [٢٩]وأُقيمُ لَهم مَغرِساً عَظيمَ الآسم، فلا يَكونونَ بَعدَ اليَومِ فَريسَةً لِلْجوعِ في الأَرض، ولا يَحمِلونَ بَعدَ اليَومِ تَعْييرَ الأُمَم، [٣٠]فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبُّ إِلهُهم معَهم، وأَنَّهم شَعْبي بَيتُ إِسْرائيل، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ. [٣١]وأَنتُنَّ يا خِرافَ مَرْعايَ، بَشَرٌ أَنتُنَّ، وأَنا إِلهُكم، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ».

٢. عمل الله في العهد الجديد

سبق لإرميا ان أنبأ بعهد جديد في مستقبل غير محدَّد. يعود حزقيال إلى هذه الفكرة ويشدِّد على العمل الذي سيمارسه الله في صميم نفوس عباده. ولا بدّ من الانتباه إلى الطابع المجاني الذي يتّسم به هذا العمل. يجعل النبي هذا العمل في مستقبل يبدو أحياناً أنه يختلط بالعودة من الجلاء.

٣٦ [١٦]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائلاً: [١٧]«يا آبنَ الإِنْسان، إِنَّ بَيتَ إِسْرائيل، لَمَّا سَكَنوا في أَرضِهم، نَجَّسوها بِسُلوكِهم وأَعْمالِهم، وصارَ سُلوكُهم كَنَجاسَةِ الطَّمثِ أَمامي. [١٨]فصَبَبتُ غَضَبي علَيهم بِسَبَبِ الدَّمِ

الَّذي سَفَكوه على الأَرض، ولِأَنَّهم نَجَّسوها بِقَذارَتِهم، [١٩] وشَتَّتُّهم بَينَ الأُمَم، فتَذَرَّوا في الأَراضي. على مُقتَضى طَريقِهم وأَعْمالِهم دُنتُهم. [٢٠] فلَمَّا دَخَلوا بَينَ الأُمَمِ الَّتي دَخَلوا بينَها، دَنَّسوا آسمِيَ القُدُّوس، إِذ قيلَ فيهم: هذا شَعبُ الرَّبِّ وقد خَرَجَ مِن أَرضِه. [٢١] فعَطَفتُ على آسمِيَ القُدُّوسِ الَّذي دَنَّسه بَيتُ إِسْرائيلَ في الأُمَمِ الَّتي دَخَلوا بَينَها. [٢٢] لِذلك قُلْ لِبَيتِ إِسْرائيل: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: لَيسَ لِأَجلِكم أَنا فاعِلٌ، يا بَيتَ إِسْرائيل، بل لِأَجلِ آسمِيَ القُدُّوسِ الَّذي دَنَّستُموه في الأُمَمِ الَّتي دَخَلتُم بَينَها. [٢٣] فأُقَدِّسُ آسمِيَ العَظيمَ الَّذي دُنِّسَ(٢٤) في الأُمَمِ الَّتي دَنَّستُموه فيما بينها، فتَعلَمُ الأُمَمُ أَنِّي أَنا الرَّبّ، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، حينَ أَتَقَدَّسُ فيكم على عُيونِها. [٢٤] وآخُذُكم مِن بَينِ الأُمَم، وأَجمَعُكم مِن جَميعِ الأَراضي وآتي بِكم إِلى أَرضِكم. [٢٥] وأَرُشُّ عليكم ماءً طاهِراً، فتَطهُرونَ مِن كُلِّ نَجاسَتِكم، وأُطَهِّرُكم مِن جَميعِ قَذاراتِكم. [٢٦] وأُعْطيكم قَلباً جَديداً وأَجعَلُ في أَحْشائكم روحاً جَديداً وأَنزِعُ مِن لَحمِكم قَلبَ الحَجَر، وأُعْطيكم قَلباً مِن لَحْم، [٢٧] وأَجعَلُ روحي في أَحْشائِكم(٢٥) وأَجعَلُكم تَسيرونَ على فَرائِضي وتَحفَظونَ أَحْكامي وتَعمَلونَ بِها. [٢٨] وتَسكُنونَ في الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها لِآبائِكم، وتَكونونَ لي شَعباً وأَكونُ لَكم إِلهاً. [٢٩] وأُخَلِّصُكم مِن كُلِّ نَجاسَتِكم، وأَدْعو الحِنطَةَ وأُكَثِّرُها، ولا أُلْقي علَيكمُ الجوع. [٣٠] وأُكَثِّرُ ثَمَرَ الشَّجَرِ وغَلَّةَ الحَقْل، لِئَلاَّ يَنالكم بَعدَ

(٢٤) قدَّس (= وضع على حدة، في مرتبة فريدة) هو عكس دنَّس.

(٢٥) ان هبة روح الله ستؤدّي الى تجديد باطني، ترافقه قدرة على إتمام مشيئة الرب. راجع أناجيل الطفولة ومطلع أعمال الرسل.

اليَومِ عارُ الجوعِ في الأُمَم. [٣١]وتَذكُرونَ سُلوكَكمُ الشِّرِّير وأَعْمالكم غَيرَ الصَّالِحَة، فتَكرَهونَ أَنفُسَكم بِسَبَبِ آثامِكم وقَبائِحِكم. [٣٢]ولَستُ لِأَجلِكم أَعمَلُ ذلك، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، فآعلَموا وآخزَوا وآخجَلوا من سُلوكِكم، يا بَيتَ إِسْرائيل.

[٣٣]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: إِنَّه يَومَ أُطَهِّرُكم مِن جَميعِ آثامِكم، أُعمِرُ المُدُنَ وتُبْنى الأَخرِبَة، [٣٤]وتُحرَثُ الأَرضُ المُقفِرَة، بَعدَ أَن كانَت خَراباً على عَينَي كُلِّ عابِر، [٣٥]فيَقولون: قد صارت هذه الأَرضُ المُقفِرَةُ كَجَنَّةِ عَدْنٍ والمُدُنُ الخَرِبَةُ المُقفِرَةُ المُنهَدِمَةُ حَصينَةً مَسْكونَة، [٣٦]وتَعلَمُ الأُمَمُ الَّتي أُبقِيَت مِن حَولِكم أَنِّي أَنا الرَّبَّ بَنَيتُ ما كانَ مُنهَدِماً وغَرَستُ ما كانَ مُقفِراً. أَنا الرَّبَّ تَكَلَّمتُ وصَنَعتُ.

٣. رؤيا العظام اليابسة

ان روح الله قادر على إحياء الهياكل العظمية. وبذلك يستطيع أن يُنعش رجاء المجلوّين.

٣٧ [١]وكانَت علَيَّ يَدُ الرَّبّ، فأَخرَجَني بِروحِ الرَّبّ، ووَضَعَني في وَسَطِ السَّهلِ وهو مُمتَلِئٌ عِظاماً، [٢]وأَمَرَّني علَيها مِن حَولِها، فإِذا هي كَثيرَةٌ جِدًّا على وَجهِ السَّهْل، وإِذا بِها يابِسَةٌ جِدًّا. [٣]فقالَ لي: «يا آبنَ الإِنْسان، أَتُرى تَحْيا هذه العِظام؟» فقُلتُ: «أَيُّها السَّيِّدُ الرَّبّ، أَنتَ تَعلَم». [٤]فقالَ لي: «تَنَبَّأْ على هذه العِظامِ وقُلْ لَها: أَيَّتُها العِظامُ اليابِسَة، اِسمَعي كَلِمَةَ الرَّبّ. [٥]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ لِهٰذه العِظام: هاءَنَذا أُدخِلُ فيكِ روحاً فتَحيَين. [٦]أَجعَلُ علَيكِ عَصَباً وأُنشِئُ علَيكِ لَحماً وأَبسُطُ علَيكِ جِلداً وأَجعَلُ فيكِ روحاً فتَحيَينَ وتَعلَمينَ أَنِّي أَنا الرَّبّ». [٧]فتَنَبَّأتُ

كما أُمِرتُ ، فكانَ صَوتٌ عِندَ تَنَبُّؤي ، وإِذا بِآرتِعاش ، فتقارَبَتِ العِظامُ كُلُّ عَظم إِلى عَظمِه . [٨]ونَظَرتُ فإِذا بِالعَصَبِ واللَّحمِ قد نَشَأَ علَيها ، وبُسِطَ الجِلدُ علَيها مِن فَوقُ ولم يَكُنْ بِها روح . [٩]فقالَ لي : «تَنَبَّأْ لِلرُّوح ، تَنَبَّأْ يا آبنَ الإِنْسانِ وقُلْ لِلرُّوح : هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هَلُمَّ أَيُّها الرُّوحُ مِن الرِّياحِ الأَربَع ، وهُبَّ في هؤُلاءِ المَقْتولينَ فيَحْيَوا» . [١٠]فتَنَبَّأتُ كما أَمَرَني ، فدَخَلَ فيهمِ الرُّوح ، فعاشوا وقاموا على أَقْدامِهم جَيشاً عَظيماً جِدًّا جِدًّا .

[١١]فقالَ لي : «يا آبنَ الإِنْسان ، هذه العِظامُ هي بَيتُ إِسْرائيلَ بِأَجمَعِهم . ها هم قائِلون : قد يَبِسَت عِظامُنا وهَلَكَ رَجاؤُنا وقُضِيَ علَينا . [١٢]لِذلك تَنَبَّأْ وقُلْ لَهم : هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا أَفتَحُ قُبورَكم وأُصعِدُكم مِن قُبورِكم يا شَعْبي ، وآتي بِكم إِلى أَرضِ إِسْرائيل ، [١٣]فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ ، حينَ أَفتَحُ قُبورَكم وأُصعِدُكم مِن قُبورِكم يا شَعْبي . [١٤]وأَجعَلُ روحي فيكم فتَحيَون ، وأُقِرُّكم في أَرضِكم ، فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبَّ تَكَلَّمتُ وصَنَعتُ ، يَقولُ الرَّبّ» .

[٢١]وقُلْ لَهم : هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ : هاءَنَذا آخُذُ بَني إِسْرائيلَ مِن بَينِ الأُمَمِ الَّتي ذَهَبوا إِلَيها وأَجمَعُهم مِن كُلِّ جِهَة ، وآتي بِهم إِلى أَرضِهم ، [٢٢]وأَجعَلُهم أُمَّةً واحِدَةً في هذه الأَرض ، في جِبالِ إِسْرائيل ، ومَلِكٌ واحِدٌ يَكونُ مَلِكاً لِجَميعِهم ، ولا يَكونونَ بَعدَ اليَوم أُمَّتَين ، ولا يَنقَسِمونَ بَعدَ اليَومِ إِلى مَملَكَتَينِ أَبداً . [٢٣]ولا يَتَنَجَّسونَ بَعدَ اليَوم بِقَذاراتِهم وبِقَبائِحِهم وجَميعِ مَعاصيهم ، وأُخَلِّصُهم مِن جَميعِ ضَلالاتِهمِ الَّتي خَطِئوا فيها وأُطَهِّرُهم ، فيَكونونَ لي شَعباً وأَكونُ لَهم إِلهاً ، [٢٤]وعَبْدي

داوُدُ يَكونُ مَلِكاً علَيهم، وراعٍ واحِدٌ يَكونُ لِجَميعِهم، ويَسيرونَ على أَحْكامي ويَحفَظونَ فَرائضي ويَعمَلونَ بِها. [٢٥]ويَسكُنون في الأَرضِ الَّتي أَعطَيتُها لِعَبْدي يَعْقوب والَّتي سَكَنَ فيها آباؤُكم، فيَسكُنونَ فيها هم وبَنوهم وبَنو بَنيهم لِلأَبَد، وداوُدُ عَبْدي يَكونُ رَئيساً لَهم لِلأَبَد. [٢٦]وأَقطَعُ لَهم عَهدَ سَلام. عَهدٌ أَبَدِيٌّ يَكونُ معَهم، وأُقيمُهم وأُكَثِّرُهم وأَجعَلُ مَقدِسي في وَسطِهم لِلأَبَد. [٢٧]ويَكونُ مَسكِني فَوقَهم وأَكونُ لَهم إِلهاً ويَكونونَ لي شَعباً. [٢٨]فتَعلَمُ الأُمَمُ أَنِّي الرَّبُّ المُقَدِّسُ لإِسْرائيل، حينَ يَكونُ مَقدِسي في وَسطِهم لِلأَبَد».

٤. رؤيا انتصار الله على قوى الشرّ

تُصوَّر الأممَ الوثنية في صراعها مع الشعب الاسرائيلي بصورة قوى الشرّ التي، من خلال اسرائيل، تحارب الله نفسه. وهي تجسّد هنا في شخص ومنطقة أسطورية. ويستخدم الانشاء صور كوارث حربية وكونية ليُنبئ بالرؤى.

٣٨ [١]وكانَت إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ قائِلاً: [٢]يا آبنَ الإِنْسان، اِجعَلْ وَجهَكَ نحوَ جوج، في أَرضِ ماجوج، رَئيسِ وقائِدِ ماشَكَ وتوبَل، وتَنَبَّأْ علَيه، [٣]وقُلْ: هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: هاءَنَذا علَيكَ يا جوج، رَئيسَ ماشَكَ وتوبَل وقائِدَهما، [٤]فأُعيدُكَ على عَقِبَيكَ وأَجعَلُ كَلاليبَ في فَكَّيكَ، وأُخرِجُكَ أَنتَ وجَميعَ جَيشِكَ خَيلاً وفُرساناً مِن كُلِّ لابِسِ ثِيابٍ فاخِرَة، جَمعاً كَثيراً، ذا مَجانِبَ وتُروسٍ مِن كُلِّ قابِضِ سَيف. [١٦]إِنَّكَ في آخِرِ الأَيَّام تَكون، فآتي بِكَ على أَرْضي، لِكَي تَعرِفَني الأُمَم، حينَ أَتَقَدَّسُ بِكَ أَمامَ عُيونِها، يا جوج.

[١٧]هكذا قالَ السَّيِّدُ الرَّبّ: أَلَستَ أَنتَ الَّذي تَكَلَّمتُ علَيه في الأَيَّامِ

القَديمةِ على أَلسِنَةِ عَبيدي أَنبياءِ إِسْرائيلَ المُتَنَبِّئينَ في تِلكَ الأَيَّامِ وطَوالَ السِّنينَ بِأَنِّي سأَجلُبُكَ علَيهم. [١٨]في ذلك اليَوم، يَومِ يأتي جوجٌ على أَرضِ إِسْرائيل، يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبّ، يَطلَعُ سُخْطي في أَنْفي. [١٩]وفي غَيرَتي ونارِ غَضَبي تَكَلَّمتُ: لَيَكونَنَّ في ذلك اليَومِ آرتِعاشٌ عَظيمٌ على أَرضِ إِسْرائيل.

لكنَّ الانبياء أنبأوا بأن الانتصار النهائي هو لله. وهذا ما أكَّده حزقيال، إلاَّ أن هذا الانتصار أخذ يقع ما وراء الزمان.

[٢٢]وأُحاكِمُه بِالطَّاعونِ والدَّمِ والمَطَرِ الهاطِلِ وحِجارَةِ البَرَد، وأُمطِرُ النَّارَ والكِبْريتَ علَيه وعلى جُيوشِه وعلى الشُّعوبِ الكَثيرةِ الَّتي معَه، [٢٣]فأَتَعَظَّمُ وأَتَقَدَّسُ وأُعَرِّفُ نَفْسي على عُيونِ أُمَمٍ كَثيرة، فيَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبّ.

٥. حضور جديد لله في هيكله الذي أُعيد بناؤه

يمتاز هذا الهيكل بالقداسة، لا تنفي عبادة الأوثان فقط، كما كانت قبل الجلاء، بل تشير، بمختلف أفناء الهيكل، إلى درجة مشاركة كل واحد في قداسة الله.

٤٠ [١]في السَّنَةِ الخامِسَةِ والعِشرينَ مِن جَلائِنا، في رَأسِ السَّنة، في العاشِرِ مِنَ الشَّهر، في السَّنَةِ الرَّابِعَةَ عَشرَةَ بَعدَ أَن ضُرِبَتِ المَدينَة، في ذلك اليَومِ نَفْسِه، كانَت علَيَّ يَدُ الرَّبّ، وأَتى بي إِلى هُناكَ. [٢]في رُؤَى إِلهِيَّةٍ أَتى بي إِلى أَرضِ إِسْرائيلَ ووَضَعَني على جَبَلٍ شامِخٍ جِدًّا، علَيه كَبِناءِ مَدينَةٍ مِن جِهَةِ الجَنوب. [٣]فأَتى بي إِلى هُناك، فإِذا بِرَجُلٍ مَنظَرُه كَمَنظَرِ النُّحاس، وبِيَدِه حَبلُ كَتَّانٍ وقَصَبةُ قِياس، وهو واقِفٌ بِالباب. [٤]فقالَ لِيَ الرَّجُل: «يا آبنَ الإِنْسان، أُنظُرْ بِعَينَيكَ وآسمَعْ بِأُذُنَيكَ وآنتَبِهْ

لِكُلِّ ما أُريكَ إِيَّاه ، فإِنَّكَ لِكَي تَراه أُتِيَ بِكَ إِلى هُنا ، وكُلُّ ما تَراه فأَخبِرْ بِه بَيتَ إِسْرائيل» .

٤٣ [١]وذَهَبَ بي إِلى الباب ، إِلى البابِ المُتَّجِهِ نَحوَ الشَّرق . [٢]فإِذا بِمَجدِ إِلهِ إِسْرائيلَ قد أَتى مِن جِهَةِ الشَّرق ، وصَوتُه كصَوتِ مِياهٍ غَزيرَة ، والأَرضُ قد تَلأْلأَت مِن مَجدِه . [٣]والرُّؤْيا الَّتي رَأَيتُها كانَت كالرُّؤْيا الَّتي كُنتُ قد رَأَيتُها حينَ أَتَيتُ لِتَدْميرِ المَدينة ، وكالرُّؤْيا الَّتي كُنتُ قد رَأَيتُها عِندَ نَهرِ كَبار ، فسَقَطتُ على وَجْهي .

[٤]ودَخَلَ مَجدُ الرَّبِّ إِلى البَيتِ من البابِ المُتَّجِهِ نَحوَ الشَّرق[٢٦] . [٥]فحَمَلَني الرُّوحُ ودَخَلَ إِلى الدَّارِ الدَّاخِلِيَّة ، فإِذا بِمَجدِ الرَّبِّ قد مَلأَ البَيت . [٦]وسَمِعتُ أَحَداً يُكَلِّمُني[٢٧] مِنَ البَيت ، وكانَ رَجُلٌ واقِفاً بِجانِبي ، [٧]وقالَ لي : «يا آبنَ الإِنْسان ، هذا مَكانُ عَرْشي ومَكانُ أَخامِصِ قَدَمَيَّ والَّذي أَسكُنُ فيه في وَسْطِ بَني إِسْرائيلَ لِلأَبَد » .

٦. الارض المقدّسة الجديدة

يعبّر عن الخصب بغزارة المياه .

٤٧ [١]ورَجَعَ بي إِلى مَدخَلِ البَيت ، فإِذا بِمِياهٍ تَخرُجُ مِن تَحتِ البَيتِ نَحوَ الشَّرق ، لِأَنَّ وَجهَ البَيتِ نَحوَ الشَّرق ، والمِياهَ تَنزِلُ مِن تَحتُ مِن جانِبِ البَيتِ الأَيمَنِ عن جَنوبِ المَذبَح . [٢]وخَرَجَ بي مِن طَريقِ بابِ الشَّمال ، ودارَ بي في الطَّريقِ الخارِجِيِّ إِلى البابِ الخارِجِيِّ المُتَّجِهِ نَحوَ

(٢٦) الرب يعود من الشرق ، من حيث غادر الهيكل .
(٢٧) الله نفسه .

الشَّرْق ، فإذا بالمياهِ تَجْري مِنَ الجانِبِ الأَيمَن . [٣] ولَمَّا خَرَجَ الرَّجُلُ نَحوَ الشَّرْق ، كانَ بِيَدِه حَبْل ، فقاسَ أَلفَ ذِراعٍ وعَبَرَ بِيَ المياه ، فوَصَلَتِ المياهُ إِلى الكَعبَين . [٤] ثُمَّ قاسَ أَلفاً وعَبَرَ بِيَ المياه ، فوَصَلَتِ المياهُ إِلى الرُّكبَتَين . ثُمَّ قاسَ أَلفاً وعَبَرَ بي ، فوَصَلَتِ المياهُ إِلى الوَسَط . [٥] ثُمَّ قاسَ أَلفاً فإِذا بِنَهرٍ لم أَقدِرْ على عُبورِه ، لِأَنَّ المياهَ صارَت طاغِيَة ، وكانَت مِياهَ سِباحَةٍ ونَهراً لا يُعبَر . [٦] فقالَ لي : «أَرَأَيتَ يا آبنَ الإِنْسان ؟» . وذَهَبَ بي ورَجَعَ بي إِلى شاطِئِ النَّهر . [٧] ولَمَّا رَجَعتُ ، إِذا على شاطِئِ النَّهرِ أَشْجارٌ كَثيرةٌ جِدًّا مِن هُنا ومِن هُناك(٢٨) . فقالَ لي : «إِنَّ هذه المياهَ تَخرُجُ نَحوَ المِنطَقَةِ الشَّرقِيَّة ، وتَنزِلُ إِلى العَرَبَة وتَتَّجِهُ إِلى البَحْر(٢٩) . وحينَ تَنصَبُّ المياهُ في البَحرِ تُصبِحُ مِياهُه طَيِّبَة . [٩] وكُلُّ نَفسٍ حَيَّةٍ تَدِبُّ حَيثُ يَبلُغُ مَجرى النَّهرِ تَحْيا ، ويَكونُ السَّمَكُ كَثيراً جِدًّا ، لِأَنَّ هذِه المياهَ تَبلُغُ إِلى هُناكَ وتُصبِحُ طَيِّبَة ، فكُلُّ ما يَبلُغُ إِلَيه النَّهرُ يَحْيا . [١٠] ويَقِفُ على الشَّاطِئِ الصَّيَّادونَ مِن عَينَ جَدْيَ إِلى عَينَ عَجَلائيم ، فيَكونُ مَنشَراً لِلشِّباك ، ويَكونُ سَمَكه على أَصْنافِه كسَمَكِ البَحرِ العَظيم(٣٠) كَثيراً جِدًّا . [١١] أَمَّا مُستَنقَعاتُه وبِرَكُه فلا تُصبِحُ طَيِّبَة ، بل تُحفَظُ لِلمِلْح . [١٢] وعلى النَّهرِ على شاطِئِه مِن هُنا ومِن هُناكَ يَنبُتُ كُلُّ شَجَرٍ يُؤكَل ، ولا يَذبُلُ وَرَقُه ولا يَنقَطِعُ ثَمَرُه ، بل كُلَّ شَهرٍ يُؤتي بَواكير ، لِأَنَّ مِياهَه تَخرُجُ مِنَ المَقدِس ، فيَكونُ ثَمَرُه لِلطَّعامِ ووَرَقُه لِلعِلاج» .

(٢٨) راجع رؤ ٢٢.
(٢٩) العَرَبَة هي الوادي الأسفل للأردن . والبحر هو البحر الميت .
(٣٠) البحر الأبيض المتوسط .

٧. أورشليم الجديدة

تمتاز بحضور الله .

٤٨ [٣٠] وهذه مَخارِجُ المَدينَةِ مِن جِهَةِ الشَّمال : قِياسُها أَربَعَةُ آلافٍ وخَمسُ مِئَة . [٣١] وأَبوابُ المَدينَةِ بِحَسَبِ أَسْماءِ أَسْباطِ إِسْرائيلَ ثَلاثَةُ أَبْوابٍ نَحوَ الشَّمال : بابُ رأُوبينَ واحِد ، وبابُ يَهوذا واحِد ، وبابُ لاوِيَ واحِد . [٣٢] ومِن جِهَةِ الشَّرْق : أَربَعَةُ آلافِ وخَمسُ مِئَة . والأَبوابُ ثَلاثَة : بابُ يوسُفَ واحِد ، وبابُ بَنْيامينَ واحِد ، وباب دانٍ واحِد . [٣٣] ومِن جِهَةِ الجَنوب : أَربَعَةُ آلافِ وخَمسُ مِئَة . والأَبوابُ ثَلاثَة : بابُ شِمْعونَ واحد ، وبابُ يَسَّاكَرَ واحِد ، وبابُ زَبولونَ واحِد . [٣٤] ومِن جِهَةِ الغَرْب : أَربَعَةُ آلافِ وخَمسُ مِئَة . والأَبوابُ ثَلاثَة : بابُ جادٍ واحِد ، وبابُ أَشيرَ واحِد ، وبابُ نَفْتالِيَ واحِد . [٣٥] فيَكونُ المُحيطُ ثَمانِيَةَ عَشَرَ أَلفَ ذِراع . ويَكونُ آسمُ المَدينَةِ مِن ذلك اليَومِ «الرَّبُّ هُناكَ» .

قراءة لبني جيلنا

يبدو ان تعليم حزقيال في الله يناسب الانسان المعاصر على أفضل وجه . ففي زمننا ، يوفّر التقدم التقني للانسان ارتياحاً عميقاً ويولّد عنده كبرياءً نكاد أن نقول انه طبيعي . والحال ان حزقيال يذكّره بأنه مجرَّد أداة ، فإن الله يبقى في عزلته وتعاليه : إنه الأوحد .

ولذلك تبدو عِبرة النبي على جانب كبير من الاهمية . فما يهبه الله للانسان هو مجّاني محض ، لان خليقته لا تستحقّ أي شيء ، بل عليها بالاحرى أن تكون موضع توبيخاته ، إن لم نقل : عقوباته . وهنا نذكر ما ورد في سفر تثنية الاشتراع : «إذا تمسَّك الله بكم واختاركم . . . فحبًّا لكم» . واضح تطبيق كل ذلك على الحياة المسيحية : مجانيَّة الايمان . . . والتربية المسيحية . . . والثبات .

ولكن ما قد يكون أروع أيضاً هو العمل الباطني في نفس المؤمن، كما يراه حزقيال في زمن العهد الجديد: فإن تحوُّل القلب، بفضل عمل روح الله، هو في الحقيقة عنصر هام من عناصر الوحي.

سِفرُ المَراثي

هي مجموعة خمسة أناشيد نَدْب أموات تصف خراب أورشليم والهيكل، وثقة السكّان التي لا تُقهر، بالرغم من أحوالهم التي يُرثى لها.

أُلِّفت بُعيدَ الاحداث المروية. كاتبها غير معروف، لكن أصحاب الترجمة السبعينية والتفاسير اليهودية القديمة، كالتراجيم والتلمود، نسبتها الى إرميا. غير أننا نجد فيها تأثيرات أخرى كثيرة.

مقاطعها تطريزية، فإن أحرفها الاولى تتعاقب في ترتيب الابجدية العبرية.

المرثاة الاولى

شكاوى أورشليم

١ ج - [٣] جَلَت يَهوذا لِلشَّقاءِ وشِدَّةِ العُبودِيَّة.
سَكَنَت في الأُمَم ولم تَجِدِ الرَّاحَة
جَميعُ طارِديها أَدرَكوها بَينَ المَضايِق.

د - [٤] طُرُقُ صِهْيونَ نائِحة لِعَدَمِ القادِمينَ إِلى الأَعْياد
وجَميعُ أَبوابِها مُقفِرَة.
كَهَنَتُها مُتَنَهِّدون وعَذاراها مُتَحَسِّرات، وهي في مَرارة.

هـ - [٥]مُضايِقوها تَغلَّبوا علَيها وأَعداؤها مُطمَئِنُّون
لِأَنَّ الرَّبَّ آلَمَها لِكَثرَةِ مَعاصيها .
أَطفالُها ساروا مَسبِيِّينَ أَمامَ وَجهِ المُضايِق .
ك - [١١]كُلُّ شَعبِها مُتَنَهِّدون مُلتَمِسونَ طَعاماً .
بَذَلوا نَفائِسَهم لِلأَكْل وإِنْعاشِ النَّفْس .
«أُنظُرْ يا رَبُّ وتَأَمَّلْ كَيفَ صِرتُ مُزْدَراة» .
ل - [١٢]يا جَميعَ عابِري الطَّريق ، تَأَمَّلوا وآنظُروا
هَل مِن أَلَمٍ كأَلَمي الَّذي أَصابَني
الَّذي آلَمَني به الرَّبُّ في يَومِ آضطِرامِ غَضَبِه .
ر - [٢٠]أُنظُرْ يا رَبُّ فإِنِّي في ضيق وأَحْشائي جائِشة
وقَلْبي مُضطَرِبٌ في باطِني لِأَنِّي عَصَيتُ عِصْياناً .
السَّيفُ يُثكِلُ في الخارِج وكالمَوتِ في البَيت .
ش - [٢١]إِسمَعْ أَنِّي أَتنَهَّد فلَيسَ مَن يُعَزِّيني .
جَميعُ أَعْدائي سَمِعوا بِمُصيبَتي فشَمِتوا لِأَنَّكَ أَنتَ فَعَلتَ .
أُجلُبِ اليَومَ الَّذي نادَيتَ بِه فيَصيروا مِثْلي .

المرثاة الثانية

دمار أورشليم

٢ ب - [٢]أَزالَ السَّيِّدُ، ولم يُشفِق، جَميعَ مَساكِنِ يَعْقوب .
هَدَّمَ بِسُخطِه حُصونَ بِنتِ يَهوذا وأَلصَقَها بِالأَرْض

أَلحَقَ العارَ بِالمُلكِ والرُّؤساء .

ط - [٩]غاصَت في الأَرضِ أَبْوابُها، أَبادَ وحَطَّمَ مَزاليجَها .

مَلِكُها ورُؤَساؤُها بَينَ الأُمَم ولم يَبْقَ مِن شَريعة .

حَتَّى أَنبياؤُها لا يَنالونَ رُؤْيا مِن لَدُنِ الرَّبّ .

ي - [١٠]شُيوخُ بِنتِ صِهْيونَ جَلَسوا على الأَرضِ صامِتين .

ذَرُّوا تُراباً على رُؤُوسِهم وشَدُّوا مُسوحاً[١] .

عَذارى أُورَشَليمَ طَأطَأنَ رُؤُوسَهُنَّ إِلى الأَرْض .

ك - [١١]كَلَّت عَينايَ مِنَ الدُّموعِ وجاشَت أَحْشائي .

أُريقَت كَبِدي على الأَرض لِتَحَطُّمِ بِنتِ شَعْبي

إِذ غُشِيَ على الطِّفلِ والرَّضيعِ في ساحاتِ المَدينَة .

ل - [١٢]قالوا لِأُمَّهاتِهم : على حُضونِ أُمَّهاتِهم .

م - [١٣]بِماذا أُمَثِّلُكِ وماذا أُشَبِّهُ بِكِ يا بِنتَ أُورَشَليم ؟

ماذا أُساوي بِكِ فأُعَزِّيَكِ أَيَّتُها العَذْراءُ بِنتُ صِهْيون ؟

لِأَنَّ تَحَطُّمَكِ عَظيمٌ كالبَحْر فمَن ذا يَشْفيكِ ؟

ن - [١٤]أَنبياؤُكِ رَأَوا لَكِ الباطِلَ والبَهرَج .

لم يَكشِفوا عن إِثمِكِ لِيُبَدِّلوا مَصيرَكِ

بل رَأَوا لَكِ أَقْوالَ وَحْيٍ ، أَباطيلَ وغَوايات .

ص - [١٨]أُصرُخي إِلى السَّيِّد ، يا سورَ بِنتِ صِهْيون .

إِذرِفي الدُّموعَ كالنَّهرِ نَهاراً ولَيلاً .

(١) علامات حزن .

لا تَهدَإِي ولا تَسكُنْ حَدَقَةُ عَينِكِ .
ق - [١٩] قومي آهتِفي لَيلاً في أَوَّلِ الهَجَعات .
أَريقي كالماءِ قَلبَكِ أَمامَ وَجهِ السَّيِّد .
إِرفَعي إِلَيه كَفَّيكِ لِأَجلِ حَياةِ أَطْفالِكِ
(الَّذينَ غُشِيَ علَيهم مِنَ الجوعِ في رأسِ كُلِّ شارِع) .

المرثاة الثالثة

صرخة رجاء الى الله

٣ ط - [٢٥] الرَّبُّ صالِحٌ لِلَّذينَ يَنتَظِرونَه ، لِلنَّفْسِ الَّتي تَلتَمِسُه .
[٢٦] خَيرٌ أَن يُنتَظَرَ بِسُكوتٍ خَلاصُ الرَّبّ .
[٢٧] خَيرٌ لِلرَّجُلِ أَن يَحمِلَ النِّيرَ في صِباه .
م - [٣٧] مَنِ الَّذي تَكَلَّمَ فكانَ الأَمْرُ دونَ أَن يَأمُرَ السَّيِّد ؟
[٣٨] أَلَيسَ مِن فمِ العَلِيِّ يَخرُجُ الشَّرُّ والخَير ؟
[٣٩] فلِماذا يَتَذَمَّرُ الإِنسان ؟ فليَتَجَبَّرْ على خَطيئَتِه .
ن - [٤٠] لِنَفحَصْ طُرُقَنا ونَختَبِرْها ونَرجِعْ إِلى الرَّبّ .
[٤١] لِنَرفَعْ قُلوبَنا معَ الأَيدي إِلى اللهِ في السَّموات .
[٤٢] إِنَّنا عَصَينا وتَمَرَّدْنا وأَنتَ لم تَغفِر .
ر - [٥٨] دافَعتَ أَيُّها السَّيِّدُ عن قَضِيَّتي وآفتَدَيتَ حَياتي
[٥٩] قد رَأَيتَ يا رَبُّ ظُلامَتي فأَجرِ ليَ الحُكْم .
[٦٠] رأَيتَ آنتِقامَهم كُلَّه وجَميعَ أَفكارِهم علَيَّ .

المرثاة الرابعة

تذكير بأيام الحصار الاخيرة

٤ آ - [١]كَيفَ كَدُرَ الذَّهَبُ وتَغَيَّرَ النُّضارُ الخالِص
وتَبَعثَرَت حِجارةُ القُدْسِ[(٢)] في رأسِ كُلِّ شارِع؟
د - [٤]لَصِقَ لِسانُ الرَّضيعِ بِحَنَكِه مِنَ العَطَش.
الأَطفالُ طَلَبوا خُبزاً ولم يَكُنْ مَن يَكسِرُه لَهم.
هـ - [٥]الَّذينَ يأكُلونَ الطَّيِّباتِ هلكوا في الشَّوارِع
والَّذينَ رُبُّوا في القِرمِزِ اِحتَضَنوا المَزابِل.
ط - [٩]كانَتْ قَتْلى السَّيْفِ أَحسَنَ حالاً مِن قَتْلى الجوع
لِأَنَّ هؤُلاءِ كانوا يَذوبونَ مِن قِلَّةِ غِلالِ الحُقول.
ي - [١٠]أَيدي النِّساءِ الحَنوناتِ طَبَخَت أَولادَهُنَّ
فكانوا لَهُنَّ طَعاماً في تَحَطُّمِ بِنتِ شَعْبي.
ع - [١٧]كَلَّت عُيونُنا مِن تَرَقُّبِ نُصرَةٍ باطِلة
تَرَصَّدْنا تَرَصُّداً أُمَّةً لا خَلاصَ فيها[(٣)].
ق - [١٩]كانَ مُطارِدونا أَخَفَّ مِن عِقْبانِ السَّماء.
جَدُّوا في إِثرِنا على الجِبالِ وكَمَنوا لَنا في البَرِّيَّة.

(٢) الذهب والحجارة المقدَّسة = سكّان أورشليم.
(٣) مصر التي تدخَّلت في أثناء الحصار.

المرثاة الخامسة

أشفق الله على مِثل هذا العذاب!

٥ [١١]قدِ ٱغتَصَبوا النِّساءَ في صِهْيون والعَذارى في مُدُنِ يَهوذا.
[١٢]بِأَيديهم عُلِّق الرُّؤَساء ولم يُكَرِّموا وُجوهَ الشُّيوخ.
[١٣]الشُّبَّانُ حَمَلوا الرَّحى والفِتْيانُ عَثَروا تَحتَ الخَشَب.
[١٤]ٱنقَطَعَ الشُّيوخُ عنِ الباب(٤) والشُّبَّانُ عن أَغانِيِّهم.
[١٥]قدِ ٱنقَطَعَ سُرورُ قُلوبِنا وٱنقَلَبَ رَقصُنا مَناحَةً.
[١٦]سَقَطَ تاجُ رَأسِنا، ويلٌ لَنا لِأَنَّنا خَطِئنا.
[١٧]لِهذا سَقُمَت قُلوبُنا ولِهٰذا أَظلَمَت عُيونُنا:
[١٨]لِأَنَّ جَبَلَ صِهْيونَ موحِشٌ فبَناتُ آوى تَتَرَدَّدُ فيه.
[١٩]أَنتَ يا رَبُّ ثابِتٌ لِلأَبَد وعَرشُكَ مِن جيلٍ إِلى جيل.
[٢٠]لِماذا تَنْسانا على الدَّوام وتَخذُلُنا طولَ الأَيَّام؟
[٢١]أَرجِعْنا يا رَبُّ إِلَيكَ فنَرجِع، جَدِّدْ أَيَّامَنا كما كانَت في القِدَم
[٢٢]إِن لَم تَنبِذْنا نَبْذاً ولَم تَغْضَبْ علَينا جِدًّا.

(٤) كانوا يثرثرون في الساحة التي كانت أمام باب المدينة.

سِفرُ أَشْعَيا الثاني

أو كتاب التعزية (اش ٤٠ - ٤٥)

الكتاب

يضمّ الفصول ٤٠ - ٤٥ من مجموعة أشعيا. كيف ان مجمل هذه الاقوال النبوية، المميَّزة بالافكار والإنشاء، أُلحق بمجموعة أشعيا النبي؟ هذا أمر لم يوضَّح حتى اليوم. ولقد أظهر العثور على مخطوطات قمران أن مجموعة أشعيا كانت، في الحقبة الرومانية، وحتى المكّابية على ما يبدو (القرن الثاني والاول ق. م.) مطابقة، منذ ذلك الوقت، للمجموعة المعروفة في أيّامنا.

ان التصميم المتَّبع فيها هو غير دقيق إجمالاً. فهناك قسمان أساسيان، لكنّ العناصر في داخل كلٍ منهما مبعثرة.

المحيط

هو محيط المنفى، لا بل محيط نهاية المنفى. يُذكر فيه قورش، علماً بأنه، بعد بضع سنوات، سيستولي على بابل ويأذن لليهود في العودة إلى أورشليم. أنشأ المملكة الفارسية وباشر عملياته الظافرة في شنّ الحرب على ليديا.

والمشاكل التي يتوخّى هذا الكتاب أن يجيب عنها هي مشاكل المنفى. أَفَلا تكون آلهة بابل، التي ساعدت نبوكد نصّر، أقدر من الرب، فهو لم يستطع أن ينصر شعبه ولم يمنع من تدنيس هيكله؟

ولكن، ان سلَّمنا بأن الرب هو القدير، وجب علينا أن نستنتج أن الجلاء هو

عقاب ، فلعلَّ خطايا إسرائيل أدَّت إلى فسخ العهد . أفهَل بقي مجال للرجاء ؟ أوَلَم ينتهِ دور الشعب الاسرائيلي ؟

هناك أمر صغير ، لكنه لا يخلو من الاهمية : دُمِّر الهيكل ، مسكن الرب على هذه الارض ، فأين يكون الرب في هذا الوقت ؟ لا شك أنه لم يعد موجوداً إلاّ في سموات السموات . ومن تُرى يقوم بخدمته بعد الآن ، بما أن شعبه متشتّت بين الوثنيين ؟

الكاتب

تلميذ مجهول من تلاميذ أشعيا . كان نبي القرن الثامن قد قال : «اختم على التعليم في تلاميذي» (اش ٨/١٦) . وبعد مئتَي سنة من الزمن ، نعود فنجد نبيًّا يكلّمنا هو أيضاً على الرب ، «قدّوس اسرائيل» ، ويأتينا هو أيضاً بفلسفة دينية في التاريخ .

فهو إذاً في الحقيقة تلميذ بعيد في الزمن عن أشعيا ، وفي إمكاننا ان نضع نشاطه في سنوات المنفى الاخيرة .

الرسالة

تركِّز قبل كل شيء على الله . فلقد أصبح التعليم قائماً على التوحيد ، ونرى ان النبي يلقّننا درساً «عن عِلم» . وهذا ما يشكّل جواباً عن مشكلة المجلوّين الاولى ، وهي صلة الرب بآلهة بابل .

لا شك ان المجموعة تُستهلّ بصرخة رجاء ويقين : انتهت العبودية . ولكن النبي يضيف على الفور أن مجد الرب يتجلّى ، لأن الله حاضر ، وهو الممثِّل الاكبر .

ولا عجب في ذلك ، لان قدرته واضحة للجميع في خلق العالم ونبوءات الانبياء .

رأينا منذ البدء ان الله صُوِّر أولاً بصورة المخلِّص ، وبالتالي بصورة المكافئ . ووصلنا الآن إلى الوقت الذي يصوَّر فيه الرب بصورة الخالق . وهكذا ، أخذوا يكتبون ، في الدوائر الكهنوتية ، تاريخاً للشعب الإسرائيلي ، يُستهلّ فيه برواية الخلق الطقسية ، كما وصلت الينا في الفصل الاول من سفر التكوين .

فالرب ، لا آلهة بابل ، هو الذي رتَّب العالم كما نراه اليوم ، مع الجلد والكواكب ، والارض وأسُسها . والانسان نفسه هو في يد الله ، ولا يستطيع أن يناقشه .

هذا هو الدليل الايجابي ، وهو يُستكمَل بالعرض السلبي لعدم الاوثان : يحتاج الوثن الى صانع ، فهو مرتبط بالانسان ، وهذا هو الذي يصلّون أمامه . ليس هو كائناً

حيًّا، بل هو صورة عاجزة، قد يذهب بها الظافر غداً. لا شك ان هذا الدليل مُموَّه، لان النبي يميِّز بين حقيقة الله غير المنظورة وصورة الآلهة الوثنيين الماديّة، فمن الراجح أن النخبة المثقّفة لم تكن تخلط بين الوثن والإله. لكن الدليل، على ما يبدو، كان موجَّهاً إلى الجماهير.

إلى ذلك يُضاف برهان الانبياء، وهو ان الربّ هو الإله الوحيد الذي أنبأ بأحداث هذا الزمن قبل حدوثها، لا بل بما جرى، على وجه عام، منذ البداية. ولا عجب في ذلك، فإن الله هو إله الارض كلها، وهو الذي يسهر على سير التاريخ. وقورش الفاتح هو الاداة التي سيستخدمها الله في السنوات المقبلة: انه «راعي» الشعب الاسرائيلي. لا بدّ من العودة الى مثل حزقيال، حيث يلوم الله رعاة شعبه (الملوك) لانهم لم يسعوا إلاّ الى ارتياحهم، وحيث يقول إنه ينبذهم للابد. فقورش يحلّ محلّهم الى حين، لا بل أطلق النبي عليه لقب «المسيح»، أي الشخص المكرَّس. لنذكرْ ما قاله أشعيا: «سيصفِّر الرب ذبابة مصر ونحلة أشُّور».

ولكن ما هو رأي الرب بإسرائيل؟ هل فسخ عهده؟ هذه هي مشكلة المجلوّين الثانية. أيُشبه الله إنساناً يندم أمام نكرانِ جميل الذين كان له فضل عليهم؟ قام إرميا بتحطيم ابريق أمام الناس وقال: «سأحطِّم هذا الشعب وهذه المدينة، كما يحطِّم إناء الخزَّاف، ولن يُصلَح». أفيكون دمار الشعب الاسرائيلي دماراً نهائياً؟

عن هذا السؤال يجيب النبي بالسلب. عاد الى موضوع الحب الزوجي الذي كان هوشع أول مَن عالجه، فصرَّح بأن العقاب لن يدوم. صحيح أنه كان غير راضٍ فعاقب امرأته. لكن حبّه لم يتغيَّر، وعهده يدوم للابد. فغير وارد ان يطلّق اسرائيل، الذي يبقى الزوجة المحبوبة. فحبّ الله لشعبه شيء رائع.

من ذلك نستنتج على الفور أمر التحرير. وللتعبير عنه، يستند تلميذ أشعيا إلى الخروج القديم من مصر، الذي كان دليلاً على خلاص اسرائيل. سيُشقّ طريق في بريّة سورية، يصل بين بابل وأورشليم. سيهدي الله شعبه ويسير أمامه، ويعامله كما يعامل الراعي قطيعه. وها ان عجائب صحراء سيناء تتجدَّد، فإن الله سيُخرج ينابيع في الارض القاحلة، ويُسيل من الصخرة ماء يروي غليل المتعطِّشين. سيُنبت السَّنط والآس والزيتون، وتُزهر الاشجار في السهوب. وأمام هذا المشهد، تقوم الوحوش نفسها بتمجيد الله. نرى أنفسنا مرتفعين بعد الآن الى المستوى الروحي: سيُروي الله غليل الفقراء اليابسي اللسان، ويُدعى الجميع الى المشاركة في عطية الله: «أيُّها العَطاشى هلمُّوا الى الماء!».

بقيت مشكلة معنى عذاب اسرائيل. إنه عقاب مستوجَب. ولكن هل هو فعَّال؟ عندئذ نقع على هذه الفقرات الخارقة التي نُسمّيها «أناشيد العبد المتألِّم». إنها أربع فقرات أُدرجت في مجمل المجموعة: ١/٤٢ - ٩ و١/٤٩ - ٧ و٤/٥٠ - ٩ و٥٢/ ١٣ - ١٢/٥٣. نجد فيها صورة إنسان بار يتألّم ليُكفِّر عن الآخرين. فلقد أخذ على عاتقه المسؤولية عن خطاياهم، ولكن من دون أن تنال منه النجاسة. أمَّا نتيجة ذلك التفكير الطوعي، فهو التبرير، أي التحرير من الخطيئة. ماذا يمثّل العبد؟ أجماعة إسرائيل أم شخصاً منفرداً؟ قد نميل الى التفكير في «البقية الباقية» التي ذكرها عاموس والتي قد تكفُر في المنفى عن خطايا الشعب في إجماله. لكن هناك تفريداً شديداً (دعوة وطابع تلميذ ووداعة وثقة) يجعلنا نفكر بالاحرى في فرد ينبعث من تلك النخبة من المتديِّنين. ولقد رأى تبشير الرسل في يسوع تحقيقاً ممتازاً لهذا «العبد المتألِّم» (متى ١٦/٣ ومر ٤٥/١٠ ولو ٣٧/٢٢ ورسل ١٣/٣ و٢٦).

واذا صحّ ان هذه الاناشيد الاربعة ليست من تأليف صاحب المجموعة، فإنها، مع ذلك، جزء من المؤلَّف. وهي تتحكّم، بوجه من الوجوه، في النظرة الشمولية التي تظهر فيها: فالخلاص معروض مجّاناً على الوثنيين، وهم سيأتون يوماً الى أورشليم دلالةً على خضوعهم للربّ. وحينئذ، ترى أورشليم حولها أبناءً لم تلدهم.

بفضل هذه الاقوال النبوية، خطى الوحي خطوات واسعة، وعلى صعيد الالم الفادي، لن يمكن ان يُضاف شيء قبل العهد الجديد.

مدخل

دعوة النبي ورسالته

بدلَ رؤية الله، التي وجدناها عند أشعيا، لا نعود نرى هنا إلاّ كلمته. كُلِّف النبي بأن يطلب الى المجلوِّين إعداد العودة الى فلسطين، بقيادة الله نفسه.

٤٠ [١]«عَزُّوا عَزُّوا شَعْبي(١)، يَقولُ إِلهُكم

[٢]خاطِبوا قَلبَ أُورَشَليم ونادوها بأَن قد تَمَّ تَجَنُّدُها

(١) من هنا عنوان الكتاب.

وكُفِّرَ إثمُها ونالَت مِن يَدِ الرَّبِّ ضِعفَينِ عن جَميعِ خَطاياها»
[٣]صَوتُ[٢] مُنادٍ في البَرِّيَّة: «أَعِدُّوا طَريقَ الرَّبّ
وآجعَلوا سُبُلَ إِلهِنا في الصَّحْراءِ قَويمة[٣].
[٤]كُلُّ وادٍ يَرتَفِع وكُلُّ جَبَلٍ وتَلٍّ يَنخَفِض[٤]
والمُنعَرِجُ يُقَوَّم ووَعرُ الطَّريقِ يَصيرُ سَهلاً
[٥]ويَتَجَلَّى مَجدُ الرَّبِّ ويُعايِنُه كُلُّ بَشَرٍ لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ قد تَكَلَّم»[٥]
[٦]صَوتُ قائِلٍ: «نادِ». فقال: «ماذا أُنادي؟»
«كُلُّ بَشَرٍ عُشْبٌ وكُلُّ جَمالِه كزَهْرِ البَرِّيَّة.
[٧]العُشبُ يَيبَسُ وزَهرُه يَذْوي إِذا هَبَّ فيه روحُ الرَّبّ.
(إِنَّ الشَّعبَ عُشبٌ حَقًّا)
[٨]العُشبُ يَيبَسُ وزَهرُه يَذوي، وأَمَّا كَلِمَةُ إِلهِنا فتَبْقى لِلأَبَد».
[٩]إِصعَدي إِلى جَبَلٍ عالٍ، يا مُبَشِّرَةَ صِهْيون.
إِرفَعي صَوتَكِ بِقُوَّة، يا مُبَشِّرَةَ أُورَشَليم.
إِرفَعيه ولا تَخافي، قولي لِمُدُنِ يَهوذا: «هُوَذا إِلهُكم»[٦].
[١٠]هُوَذا السَّيِّدُ الرَّبُّ يَأتي بِقُوَّة، وذِراعُه تُمِدُّه بِالسُّلْطان.

(٢) ستكون عودة المجلوّين عمل كلمة الله.
(٣) سيكون الله على رأس العائدين.
(٤) كلام طبّقه الإنجيليون على دور السابق (متى ٣/٣). وكانت جماعة قمران تطبّقه على نفسها.
(٥) هذا البلاغ، الذي يُستهلّ به الكتاب، يدل على رسالة النبي.
(٦) ان عودة المجلوّين هي ظهور لقدرة الله. والكاتب يؤكّد أيضاً على حضور خاص لله في وسط شعبه.

هُوَذا جَزاؤُه معَه وأُجرَتُه قُدَّامَه .
[١١] يَرْعى قَطيعَه كالرَّاعي ، يَجمَعُ الحُمْلانَ بِذِراعِه
ويَحمِلُها في حِضنِه ويَسوقُ المُرضِعاتِ رُوَيداً .

١. الله واسرائيل : تاريخ حافل بالتعاليم

أخذ إسرائيل يعي اختياره من قبل الله ، بل وكلَّ ما صنعه الله إليه ، وأخذ يتعلَّم على وجه أفضل تعالي الله وعدم الاوثان .

١. الله خالق العالم وسيّده

ان الله لا نظير له ، وهو وحده خالق .

[١٢] مَنِ الَّذي قاسَ بِكَفِّه المِياه ومَسَحَ بِشِبرِه السَّموات
وكالَ بِالثُّلثِ تُرابَ الأَرض ووَزَنَ الجِبالَ بِالقَبَّانِ والتِّلالَ بِالميزان ؟
[١٨] فبِمَن تُشَبِّهونَ الله وأَيَّ شِبهٍ تُعادِلونَه بِه ؟
[٢١] أَما تعلَمون أَوَلَم تَسمَعوا ؟ أَما بَلَغَكم مِنَ البَدء ؟
أَما فَهِمتُم أُسُسَ الأَرض ؟(٧)
[٢٢] إِنَّه جالِسٌ على كُرَةِ الأَرض وسُكَّانُها كالجَراد .
يَبسُطُ السَّمواتِ كالنَّسيج ويَمُدُّها كَخيمةٍ لِلسُّكْنى .
[٢٥] فبِمَن تُشَبِّهونَني فأُساوِيَه ،(٨) يَقولُ القُدُّوس ؟(٩)
[٢٦] إِرفَعوا عُيونَكم إِلى العَلاءِ وآنظُروا مَنِ الَّذي خَلَقَ هذه

(٧) يُلقَّن الآن خَلْق العالم بشكل واضح . الى هذا الزمن نفسه ترقى رواية تك ١ . سنرى كيف أن أصحاب المزامير جعلوا من هذا التعليم صلاة (مز ٨ و١٩ و١٠٤) .
(٨) الله واحد ، لكنه لا مثيل له أيضاً .
(٩) عبارة «قدّوس اسرائيل» عبارة كانت عزيزة على أشعيا ، يردّدها تلميذه البعيد .

الَّذي يُخرِجُ قُوَّاتِها بِعَدَد ويَدْعوها جَميعاً بِأَسْمائِها
لِعَظَمَةِ قُدرَتِه وشِدَّةِ قُوَّتِه فلا يَنقُصُ أَحَدٌ مِنها .
[٢٧]فلِمَ تَقولُ يا يَعْقوب وتَتَكَلَّمُ يا إِسْرائيل :
«طَريقي تَخْفى على الرَّبّ وحَقِّي يَفوتُ إِلهي ؟»
[٢٨]أَما عَلِمتَ أَوَما سَمِعتَ أَنَّ الرَّبَّ إِلهٌ سَرمَدِيّ خالقُ أَقاصي الأَرض
لا يَتعَبُ ولا يُعْيِي ولا يُسبَرُ فَهمُه .
[٢٩]يُؤْتي التَّعِبَ قُوَّةً ولِفاقِدِ القُدرَةِ يُكثِرُ الحَول .
[٣٠]الفِتْيانُ يَتعَبونَ ويُعيَون والشُّبَّانُ يَعثُرونَ عِثاراً .
[٣١]أَمَّا الرَّاجونَ لِلرَّبّ فيَتَجَدَّدونَ قُوَّةً
يَرتَفِعونَ بِأَجنِحَةٍ كالعِقْبان
يَعْدونَ ولا يُعْيَون ، يَسيرونَ ولا يَتعَبون .

٢. يستخدم الله سيطرته على العالم ليخلّص إسرائيل

فلقد دعا قورش ليحرّر اليهود من أسرهم .

٤١ [١]أَنصِتي إِلَيَّ أَيَّتُها الجُزُر[(١٠)] ولْتَتَجَدَّدِ الشُّعوبُ قُوَّةً .
لِتَدنُ ثُمَّ لِتَتَكَلَّمْ . لِنَتَقَدَّمْ مَعاً لِلقَضاء .
[٢]مَنِ الَّذي أَنهَضَ مِنَ المَشرِقِ ذاكَ الَّذي دَعاه البِرُّ لِيَتبَعَه[(١١)]
وجَعَلَ الأُمَمَ بَينَ يَدَيه وأَخضَعَ لَه المُلوك .
وسَيفُه جعَلَهم كالتُّراب وقَوسُه كالتِّبنِ المُذَرَّى ؟

(١٠) تدلّ الجزر على الأمم الوثنية .
(١١) قورش .

[٣]يُطارِدُهم ويَعبُرُ سالِماً في سَبيلٍ لم يَسلُكْه بِقَدَمَيه .
[٤]مَنِ الَّذي فَعَلَ وصَنَعَ؟ الدَّاعي الأَجْيالَ مِنَ البَدْء .
أَنا الرَّبُّ ، أنا الأَوَّل ومع الآخِرينَ أَنا هو .

٣. اختيار اسرائيل، عربون رجاء

نجد هنا الفكرة الكبرى التي تسود سفر تثنية الاشتراع ، وهي ان الله اختار اسرائيل ولا يزال يؤيّده ، فهو فاديه .

[٨]أَمَّا أَنتَ يا إِسْرائيلُ عَبْدي ويا يَعْقوبُ الَّذي آختَرتُه
نَسْلَ إِبْراهيمَ خَليلي
[٩]يا مَن أَخَذتُه مِن أَقاصي الأَرض ودَعَوتُه مِن أَقْطارِها
وقُلتُ لَه : «أَنتَ عَبْدِيَ آختَرتُكَ ولم أَنبِذْكَ»
[١٠]فلا تَخَفْ فإِنِّي معَكَ ولا تَتَلَفَّتْ فأَنا إِلهُكَ .
قد قَوَّيتُكَ ونَصرتُكَ وعَضَدتُكَ بِيَمينِ بِرِّي .
[١١]كُلُّ الغاضِبينَ علَيكَ يَخزَونَ ويَخجَلون
والنَّاسُ خُصومُكَ يَصيرونَ كلا شَيءٍ ويَهلِكون .
[١٢]تَلتَمِسُ مُشاجِريكَ فلا تَجِدُهم ومُحارِبوكَ
يَصيرونَ كلا شَيءٍ ومِثلَ العَدَم
[١٣]لِأَنِّي أَنا الرَّبَّ إِلهَكَ آخُذُ بِيَمينِكَ
قائِلاً لَك : «لا تَخَفْ فأَنا أَنصُرُكَ»
[١٤]لا تَخَفْ يا دودةَ يَعْقوب ويا هامَةَ إِسْرائيل
فإِنِّي أَنصُرُكَ ، يَقولُ الرَّبّ ، وفاديكَ هو قُدُّوسُ إِسْرائيل .
[١٥]هاءَنَذا قد جَعَلتُكَ نَورَجاً ، سِكَّةً جديدَةً ذاتَ أَسْنان

فتَدوسُ الجِبالَ وتَسحَقُها وتَجعَلُ التِّلالَ كالعُصافَة.

٤. الخروج الجديد

يراعي الله هذا الاختيار، ولذلك سيجدِّد خوارق الخروج القديم. وأمَّا الخصب العجيب المذكور هنا، فإنه يذكِّر بالازمنة المشيحية.

[١٦] تُذَرِّيها فتَذهَبُ الرِّيحُ بِها وتُبَدِّدُها الزَّوبَعَة
فتَبتَهِجُ أنتَ بِالرَّبّ وتَفتَخِرُ بِقُدُّوسِ إِسْرائيل.
[١٧] البائِسونَ والمَساكينُ[١٢] يَلتَمِسونَ ماءً ولَيسَ ماء.
قد جَفَّت أَلسِنَتُهم مِنَ العَطَش.
أَنا الرَّبَّ أَستَجيبُ لَهم أَنا إِلهَ إِسْرائيلَ لا أَترُكُهم.
[١٨] أَفتَحُ الأَنهارَ على الرَّوابي الجَرْداء والعُيونَ في وَسَطِ الأَودِيَة.
أَجعَلُ البَرِّيَّةَ غُدْرانَ مِياه والأَرضَ القاحِلَةَ يَنابيعَ مِياه.
[١٩] أَجعَلُ في البَرِّيَّةِ الأَرْزَ والسَّنْطَ والآسَ وشَجَرَ الزَّيتون
وأَجعَلُ في البادِيَةِ السَّرْوَ والدَّرْدارَ والبَقْسَ جَميعاً
[٢٠] لِكَي يَرَوا ويَعلَموا ويَتَأَمَّلوا ويَفهَموا جَميعاً
أَنَّ يَدَ الرَّبِّ صَنَعَت ذلك وقُدُّوسَ إِسْرائيلَ خَلَقَه.

٥. النشيد الأول للعبد

يبدو العبد شخصاً أميناً لدعوته، يؤدّي تعليمه الى التنوير والتحرير.

(١٢) من المستوى المادّي العائد الى الخروج القديم من مصر يتمّ الانتقال هنا الى المستوى الروحي. ستحوَّل البرّيّة إلى أرض خصيبة تشبه فردوس سفر التكوين. هذه صورة تعلن عن مجيء الأزمنة المشيحية القريب.

٤٢ [١]هُوَذا عَبدِيَ(١٣) الَّذي أَعضُدُه
مُختارِيَ الَّذي رَضِيَت عنه نَفْسي
قد جَعَلتُ روحي علَيه(١٤) فهو يُبْدي الحَقَّ لِلأُمَم.
[٢]لا يَصيحُ ولا يَرفَعُ صَوتَه ولا يُسمِعُ صَوتَه في الشَّوارِع.
[٣]القَصَبَةُ المَرْضوضَةُ لن يَكسِرَها والفَتيلَةُ المُدَخِّنَةُ لن يُطفِئَها
يُبْدي الحَقَّ بأَمانَة.
[٤]لا يَني ولا يَنثَني إِلى أَن يُحِلَّ الحَقَّ في الأَرض
فلِشَريعَتِه تَنتَظِرُ الجُزُر.
[٥]هٰكذا قالَ اللهُ الرَّبّ، خالِقُ السَّمواتِ وناشِرُها
باسِطُ الأَرضِ مع ما يَنبُتُ مِنها
الَّذي يُعْطي الشَّعبَ علَيها نَسَمَةً والسَّائِرينَ فيها روحاً:
[٦]«أَنا الرَّبَّ دَعَوتُكَ في البِرّ وأَخَذتُ بِيَدِكَ وجَبَلتُكَ
وجَعَلتُكَ عَهداً لِلشَّعبِ ونوراً لِلأُمَم
[٧]لِكَي تَفتَحَ العُيونَ العَمْياء وتُخرِجَ الأَسيرَ مِنَ السِّجْن
والجالِسينَ في الظُّلمَةِ مِن بَيتِ الحَبْس».

٦. سيجدِّد حبّ الله لشعبه عجائب الخروج من مصر

يظهر حب الله بحضور دائم. سيحرّر الله أبناءه ويشرف على خروج جديد.

(١٣) عبد يختلف عن إسرائيل. وبالرغم من كونه منبثقاً منه، فإنه يظهر خالياً من أية خطيئة، وهذا ما يميّزه عن خطايا شعبه، ومن جهة أخرى، يبدو تألّمه تألّم إنسان بارّ يكفّر عن خطايا الآخرين، في حين ان محنة اسرائيل تُعدّ عقاباً على خطاياه.

(١٤) راجع اش ١١/٢.

٤٣ [١]والآنَ هكذا قالَ الرَّبُّ خالِقُكَ يا يَعْقوب وجابِلُكَ يا إِسْرائيل:
لا تَخَفْ فإِنِّي قَدِ ٱفتَدَيتُكَ ودَعَوتُكَ بِٱسمِكَ، إِنَّكَ لي.
[٢]إِذا عَبَرتَ المِياهَ فإِنِّي مَعَكَ أَوِ الأَنْهارَ فلا تَغمُرُكَ
وإِذا سِرتَ في النَّارِ فلا تَكتَوي ولا يَلفَحُكَ اللَّهيب
[٣]لِأَنِّي أَنا الرَّبُّ إِلهُكَ، قُدُّوسُ إِسْرائيلَ مُخَلِّصُكَ
وقد جَعَلتُ مِصرَ فِديَةً عنكَ وكوشَ وسَبَأَ بَدَلاً مِنكَ
[٤]إِذ قد صِرتَ كَريماً في عَينَيَّ ومَجيداً فإِنِّي أَحبَبتُكَ
وأُسلِمُ أُناساً بَدَلاً مِنكَ وشُعوباً بَدَلاً مِن نَفسِكَ.
[٥]لا تَخَفْ فإِنِّي مَعَكَ
وسآتي بِنَسلِكَ مِنَ المَشرِق وأَجمَعُكَ مِنَ المَغرِب.
[٦]أَقولُ لِلشَّمالِ: هاتِ، ولِلجَنوبِ: لا تَمنَع.
هَلُمَّ بِبَنِيَّ مِن بَعيد وبِبَناتي مِن أَقاصي الأَرض
[٧]كُلِّ مَن يُدْعى بِٱسْمي ومَن لِمَجْدي خَلَقتُه وجَبَلتُه وصَنَعتُه.
[١٦]هكذا قالَ الرَّبُّ
الفاتِحُ في البَحرِ طَريقاً[(١٥)] وفي المِياهِ الطَّاغِيَةِ مَسْلَكاً
[١٧]المُخرِجُ المَركَباتِ والخَيلَ والعَسكَرَ وذَوي البأس
فيَضَّجِعونَ ولا يَقومون، وخَمَدوا وكَفَتيلَةٍ ٱنطَفَأُوا:
[١٨]لا تَتَذَكَّروا الأَوائِلَ ولا تَتَأَمَّلوا القَدائم.
[١٩]هاءَنَذا آتي بِالجَديد ولَقَد نَبَتَ الآنَ أَفَلا تَعرِفونَه؟

(١٥) عبور البحر الأحمر.

أَجعَلُ في البَرِّيَّةِ طَريقاً(١٦) وفي القَفرِ أَنْهاراً .
٢٠يُمَجِّدُني وَحشُ البَرِّيَّة، بَناتُ آوى وبَناتُ النَّعام
لِأَنِّي أَجعَلُ مِياهاً في البَرِّيَّة وأَنْهاراً في القَفْرِ
لِأَسقِيَ شَعْبي ، مُخْتاري
٢١الشَّعبَ الَّذي جَبَلتُه لي، فهم يُحَدِّثونَ بِحَمْدي .
٢٢لكِنَّكَ لم تَدعُني يا يَعْقوب ، وسَئِمتَني يا إِسْرائيل .
٢٤لم تَشتَرِ لي بِالفِضَّةِ قَصَبَ طيبٍ ولم تُروِني مِن شَحمِ ذبائِحِكَ
بل أَنتَ اَستَعبَدتَني بِخَطاياكَ وأَسأَمتَني بِآثامِكَ .
٢٥أَنا أَنا الماحي مَعاصِيَكَ لِأَجْلي وخَطاياكَ لا أَذكُرُها .

٧. كيان الرب ، لا كيان الاوثان

ان الرب هو الكائن ، خلافاً للاوثان التي هي غير كائنة .

٤٤ ٦هكذا قالَ الرَّبُّ مَلِكُ إِسرائيل وفاديه رَبُّ القُوَّات :
أَنا الأَوَّلُ وأَنا الآخِر ولا إِلهَ غَيري .
٧ومَن مِثْلي ؟ فلْيُنادِ ويُخبِرْ بِالأَمرِ ويَعرِضْه علَيَّ
مُنذُ أَنْشأتُ شَعباً عريقاً في القِدَم وأَحْداثاً آتِيَة ، فلْيُخبِروه بِها(١٧) .
٨لا تَرْتاعوا ولا تَضطَرِبوا : أَلَم أُسمِعْكم مِن ذلك الوَقتِ وأُخبِرْكم ؟
أَنتُم شُهودي ، فهَل مِن إِلهٍ غَيري ؟
ما مِن صَخرٍ ولا عِلمَ لي بِه .

(١٦) برّيّة سورية ، التي سيجتازها العائدون .
(١٧) برهان آخر على حقيقة الله الواحد : التنبؤ .

[١٣]وحَفَّارُ الخَشَبِ يَمُدُّ الخَيط ويَرسُمُ الصُّورَةَ بِالطَّبْشورة ويُسَوِّيها بِالمِنحَت ويَرسُمُها بِالبِرْكار ويَصنَعُها على شَكلِ إِنسانٍ وجَمالِ بَشَرٍ لِتُقيمَ في البَيت . [١٤]قَطَعَ لَه أَرْزاً وأَخَذَ سِندِيانةً وبُطمَةً تَرَكَهما تنمِيانِ لَه بَينَ أَشْجارِ الغاب ، وغَرَسَ صَنَوبَرَةً فأَنْماها المَطَر . [١٥]ثُمَّ يَكونُ ذلك لِلإِنْسانِ وَقوداً يأخُذُ مِنه لِيَستَدفِئ ، أَو يوقِدُه لِكَي يَخبِزَ خُبزاً ، أَو يَعمَلُ مِنه إِلهاً يَرتَمي أَمامَه ويَصنَعُ مِنه تِمْثالاً ويَسجُدُ لَه . [١٦]يُحرِقُ نِصفَه بِالنَّار ، وعلى نِصفِه يَشْوي لَحماً ، ثُمَّ يأكُلُ ما شُوِيَ ويَشبَعُ ويَستَدفِئُ ويَقول : «آه ! قدِ آستَدفَأتُ ورَأَيتُ ناراً» . [١٧]ويَصنَعُ بَقِيَّتَه إِلهاً تِمْثالاً يَسجُدُ لَه ويَرتَمي فيُصَلِّي إِلَيه ويقول : «أَنقِذْني ، فإِنَّما أَنتَ إِلهي» .

[١٨]لا يَعلَمونَ ولا يَفهَمون ، لِأَنَّه قد غُشِّيَ على عُيونِهم لِئَلاَّ يُبصِروا وعلى قُلوبِهم لِئَلاَّ يَفهَموا[(١٨)] .

٨. دعوة قورش ورسالته

٤٥ [١]هكذا قالَ الرَّبُّ لِمَسيحِه : لِقُورُشَ الَّذي أَخَذتُ بِيَمينِه
لِأُخضِعَ الأُمَمَ بَينَ يَدَيه وأَحُلَّ أَحْقاءَ المُلوك
لِأَفتَحَ أَمامَه المَصاريع ولا تُغلَقَ الأَبْواب .
[٤]لِأَجلِ عَبْدي يَعْقوب وإِسْرائيلَ مُخْتاري
دَعَوتُكَ بِآسمِكَ ولَقَّبتُكَ وأَنتَ لم تَعرِفْني .
[٥]أَنا الرَّبُّ ولَيسَ مِن رَبٍّ آخَر . لَيسَ مِن دوني إِله .
شَدَدتُكَ بِزُنَّارٍ وأَنتَ لم تَعرِفْني

(١٨) راجع مز ١١٤.

[٦]لِكَي يَعلَموا مِن مَشرِقِ الشَّمسِ ومِن مَغرِبِها أَنَّه لَيسَ غَيري
أَنا الرَّبُّ ولَيسَ مِن رَبٍّ آخَر .
[٧]أَنا مُبدِعُ النُّورِ وخالِقُ الظَّلام وصانِعُ الهَناءِ وخالِقُ الشَّقاء
أَنا الرَّبُّ صانِعُ هذه كُلِّها .
[٨]أُقطُري أَيَّتُها السَّمواتُ مِن فَوق ولْتُمطِرِ الغُيومُ البِرّ
لِتَنفَتِحِ الأَرضُ وليُبرعِمِ الخَلاص ولْيَنبُتِ البِرُّ أَيضاً .
أَنا الرَّبُّ خَلَقتُ ذلك .
[١٨]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبُّ خالِقُ السَّموات
هو اللهُ جابِلُ الأَرضِ وصانِعُها
الَّذي أَقَرَّها ولم يَخلُقْها خَواءً ، بل جَبَلَها لِلسُّكْنى :
إِنِّي أَنا الرَّبُّ ولَيسَ مِن رَبٍّ آخَر .

٩. الخلاص الشامل الذي يأتي به الرب

يُظهَر التعارض القائم بين قدرة الرب وعجز الآلهة الوثنيين .

[٢١]أَخبِروا وقَدِّموا بَراهينَكم ولْيَتَشاوَروا مَعاً .
مَنِ الَّذي أَسمَعَ بِهذه مِنَ القَديم وأَخبَرَ بِها مِن ذلك الزَّمان ؟
أَلَستُ أَنا الرَّبّ ؟ فإِنَّه لَيسَ مِن رَبٍّ آخر ، لا إِلهَ غَيري
إِلهٌ بارٌّ مُخَلِّصٌ ، لَيسَ سِوايَ .
[٢٢]تَوَجَّهوا إِلَيَّ فتَخلُصوا يا جَميعَ أَقاصي الأَرض[(١٩)]
فإِنِّي أَنا اللهُ ولَيسَ مِن إِلهٍ آخر .

(١٩) شمولية .

[٢٣]بِذاتي أَقسَمتُ ومِن فَمي خَرَجَ البِرّ : كَلِمَةٌ لا رُجوعَ عنها
ستَجْثو لي كُلُّ رُكبَةٍ ويُقسِمُ بي كُلُّ لِسان
[٢٤]سيَقولونَ فِيَّ : بِالرَّبِّ وَحدَه البِرُّ والقُوَّة
وإِلَيه يَأتي جَميعُ الَّذينَ غَضِبوا علَيه فيَخزَون .
[٢٥]بِالرَّبِّ تَتَبَرَّرُ وتَفتَخِر ، كُلُّ ذُرِّيَّةِ إِسْرائيل

٤٦ [١]قد رَكَعَ(٢٠) بالٌ وآنْحَنى نَبو
وصارَت أَصنامُهم على حَيَواناتٍ وبَهائِم .
إِنَّ مَحمولاتِكمُ الَّتي تُقِلُّونَها هي لَها حِملٌ مُنهِك
[٢]إِنحَنَت ورَكَعَت جَميعاً ولم تَستَطِعْ أَن تُنَجِّي الحِمْل
هي أَنفُسُها ذَهَبَت إِلى الأَسْر .

٢. الله واسرائيل : مستقبل ثقة وفرح بالرغم من المحنة

لأن الله سيّد المستقبل ، ولأنه يحب شعبه ، ستستيقظ أورشليم . وسيعرِّف اسرائيل الوثنيين الايمان الصحيح ، بشهادته وروحه الرسولية . وسيعطي الله مساكينه الطعام الذي ينتظرونه ، في حين ان كلمته تقوم برسالتها قياماً أميناً .

١. الرب سيّد المستقبل

ان الوحي بالمستقبل وتحقيق النبوءات برهان آخر على ان الرب هو الإله الحق الأوحد .

٤٨ [٣]أَخبَرتُ بِالأَوائِلِ مُنذُ ذلك الزَّمان
مِن فَمي خَرَجَت وأَسمَعتُ بِها . بَغتَةً عَمِلتُ فحَدَثَت .

(٢٠) حين سيهرب البابليون أمام قورش ، ذاهبين بآلهتهم .

[٤]لِعِلْمي بِأَنَّكَ قاسٍ
ورَقَبَتُكَ عِرقٌ مِن حَديد[(٢١)] وجَبهَتُكَ مِن نُحاس
[٥]أَخبَرتُكَ بِهذه مُنذُ ذلك الزَّمان مِن قَبلِ أَن تَحدُثَ أَسمَعتُكَ إِيَّاها
لِئَلَّا تَقول: «صَنَمي صَنَعَها ومَنْحوتي ومَسْبوكي أَمَرَ بِها».
[٦]قد سَمِعتَ فَرَأَيتَها كُلَّها وأَنتُم أَفَلا تُخبِرونَ بِها؟
أَسمَعتُكَ بِمُحدَثاتٍ مُنذُ الآن وبِمَكْنوناتٍ لم تَعرِفْها.
[٧]الآنَ خُلِقَت لا مِن ذلك الزَّمان وقَبلَ اليَومِ لم تَسمَعْ بِها
لِئَلَّا تَقول: «هاءَنَذا قد عَرَفتُها».
[٨]لم تَسمَعْ ولم تَعرِفْ ومُنذُ ذلك الزَّمانِ لم تَنفَتِحْ أُذُنُكَ
فإِنِّي عَلِمتُ أَنَّكَ تَغدُرُ غَدْراً ومِنَ البَطنِ سُمِّيتَ عاصِياً.
[١١]مِن أَجْلي مِن أَجْلي عَمِلتُ فكَيفَ أُدَنَّس؟
وكَرامَتي لا أُعْطيها لِغَيري[(٢٢)].
[١٧]هكذا قالَ الرَّبُّ فاديكَ، قُدُّوسُ إِسْرائيل:
أَنا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذي يُعَلِّمُكَ ما يَنفَع
ويَهْديكَ الطَّريقَ الَّذي تَسيرُ فيه.
[١٨]لَيتَكَ أَصغَيتَ إِلى وَصايايَ
فكانَ سَلامُكَ كالنَّهرِ وبِرُّكَ كأَمْواجِ البَحْر
[١٩]وكانَت ذُرِّيَّتُكَ كالرَّمْل وسُلالَةُ أَحْشائِكَ كحَصاه

(٢١) موضوع التقسية.
(٢٢) مجانيّة الخلاص. التدنيس يناقض هنا التقديس: لا بدّ أن يوضع اسم الله في مرتبة فريدة. وهكذا يظهر مجد الله (راجع حز ٣٦).

فلم يَنقَرِضْ ولم يَبِدِ آسمُه مِن أمامي .

٢. النشيد الثاني للعبد

يدور الكلام هنا على دعوة العبد. تتّسم رسالته بطابع الشمولية (سيكون نور الأمم) الذي أشعرنا به النشيد الأول.

٤٩ [١] إِسمَعي لي أَيَّتُها الجُزُر وأَصْغي أَيَّتُها الشُّعوبُ البَعيدة :
إِنَّ الرَّبَّ دَعاني مِنَ البَطْن وذَكَرَ آسْمي مِن أَحْشاءِ أُمِّي
[٢] وجَعَلَ فَمي كَسَيفٍ ماضٍ وفي ظِلِّ يَدِه خَبَأَني
وجعَلَني سَهماً مُحَدَّداً وفي جَعبَتِه سَتَرَني
[٣] وقالَ لي : «أَنتَ عَبْدي يا إِسْرائيل ، فإِنِّي بِكَ أَتَمَجَّد» .
[٤] فقُلْتُ: «إِنِّي باطِلاً تَعِبتُ وسُدًى وعَبَثاً أَتلَفتُ قُوَّتي» .
إِلَّا أَنَّ حَقِّي عِندَ الرَّبّ وأَجْري عِندَ إِلهي .
[٥] والآنَ قالَ الرَّبُّ الَّذي جَبَلَني مِنَ البَطنِ عَبداً لَه
لِأَرُدَّ يَعْقوبَ إِلَيه فيَجتَمِعَ إِلَيه إِسْرائيل
فأَكونَ مُمَجَّداً في عَينَيِ الرَّبّ ويَكونَ إِلهي عِزَّتي .
[٦] قالَ : «قَليلٌ أَن تَكونَ لي عَبداً
لِتُقيمَ أَسْباطَ يَعْقوب وتَرُدَّ المَحْفوظينَ مِن إِسْرائيل .
إِنِّي قد جَعَلتُكَ نوراً لِلأُمَم لِيَبلُغَ خَلاصي إِلى أَقاصي الأَرض»
[٨] هكذا قالَ الرَّبّ :
إِستَجَبتُ لَكَ في وَقتِ الرِّضى وأَعَنتُكَ في يَومِ الخَلاص
وجَبَلتُكَ وجَعَلتُكَ عَهداً لِلشَّعْب
لِتُنهِضَ الأَرضَ وتُورِّثَ المَواريثَ المُدَمَّرة

[٩] لِتَقولَ لِلأَسْرى : «آخرُجوا» ولِلَّذينَ في الظُّلْمَةِ : «آظْهَروا»
فيَرعونَ في الطُّرُق ويَكونُ مَرْعاهم في كُلِّ الرَّوابي الجَرْداء .
[١٠] لا يَجوعونَ ولا يَعْطَشون ولا تَلفَحُهمُ السَّمومُ ولا الشَّمْس
لِأَنَّ راحِمَهم يَهْديهم وإِلى يَنابيعِ المِياهِ يورِدُهم .
[١١] أَجعَلُ جَميعَ جِبالي طَريقاً وسُبُلي مُرتَفِعَة .
[١٢] هؤُلاءِ مِن بَعيدٍ يأتون وهؤُلاءِ مِنَ الشَّمالِ والغَرْب
وهؤُلاءِ مِن أَرضِ السِّينِيِّين .
[١٣] إِهتِفي أَيَّتُها السَّموات وآبتَهِجي أَيَّتُها الأَرض
وآندَفِعي بِالهُتافِ أَيَّتُها الجِبال
فإِنَّ الرَّبَّ قد عَزَّى شَعبَه ورَحِمَ بائِسيه .
[١٤] قالَت صِهْيون : «تَرَكَني الرَّبّ ونَسِيَني سَيِّدي» .
[١٥] أَتَنْسى المَرأَةُ رَضيعَها فلا تَرحَمُ آبنَ بَطنِها ؟
حتَّى ولَو نَسِيَتِ النِّساء، فأَنا لا أَنْساكِ .
[١٦] هاءَنَذا على كَفَّيَّ نَقَشتُكِ وأَسْوارُكِ أَمامَ عَينَيَّ في كُلِّ حين .

٣. النشيد الثالث للعبد

ان التعليم الروحي الذي لقَّنه العبد جلب عليه الاضطهاد. لكن الرب يأتي الى نجدة تلميذه.

٥٠ [٤] آتاني السَّيِّدُ الرَّبُّ لِسانَ تِلْميذ
يَعَثُ كَلِمَةً لِأَعرِفَ أَن أَسنُدَ المُعْيي .
يُنَبِّهُ أُذُني صَباحاً فصَباحاً لِأَسمَعَ كَتِلْميذ(٢٣) .

(٢٣) يتمّ الانتقال من القول النبوي الى تعليم الحكيم.

[٥]السَّيِّدُ الرَّبُّ فَتَحَ أُذُني فلم أَعصِ ولا رَجَعتُ إِلى الوَراء.
[٦]أَسلَمتُ ظَهْري لِلضَّارِبين وخَدِّي لِلنَّاتِفين
ولم أَستُرْ وَجْهي عنِ الإِهاناتِ والبُصاق
[٧]السَّيِّدُ الرَّبُّ يَنصُرُني، لِذلك لم أَخجَلْ مِنَ الإِهانة
ولِذلك جَعَلتُ وَجْهي كالصَّوَّان وأَنا عالِمٌ بِأَنِّي لا أَخْزى.
[٨]مُبَرِّري قَريبٌ فمَنِ الَّذي يُخاصِمُني؟ فلْنَمثُلْ مَعاً
مَن صاحِبُ دَعْوى عَليَّ؟ فليَتَقَدَّمْ إِلَيَّ.
[٩]ها إِنَّ السَّيِّدَ الرَّبَّ يَنصُرُني فمَنِ الَّذي يُجَرِّمُني؟
ها إِنَّهم جميعاً كلِباسٍ يَبلَون، العُثُّ يأكُلُهم.

٤. الابتهاج بتحرير أورشليم

يوافق تحرير أورشليم مُلك الرب. فالفداء وملكوت الله يندرجان هنا بفضل الإنباء بالأزمنة المشيحية.

٥٢ [١]إِستَيقِظي آستَيقِظي، إِلبَسي عِزَّكِ يا صِهْيون
إِلبَسي ثِيابَ فَخرِكِ يا أُورَشَليم، يا مَدينَةَ القُدْس
فإِنَّه لا يَعودُ يَدخُلُكِ أَقلَفُ ولا نَجِس.
[٧]ما أَجمَلَ على الجِبالِ قَدَمَي المُبَشِّر
المُخبِرِ بِالسَّلامِ المُبَشِّرِ بِالخَير، المُخبِرِ بِالخَلاص
القائِلِ لِصِهْيون: «قد مَلَكَ إِلهُكِ»[٢٤].

(٢٤) سيملك الله على العائدين، وهذا المُلك يُنبئ بمملكة الله الشاملة في آخِر الأزمنة (راجع مزامير المُلك).

[٨]أَصْواتُ رُقَبائِكِ ! قد رَفَعوا أَصْواتَهم وهم يَهتِفونَ جَميعاً
لِأَنَّهم يَرَونَ عِياناً الرَّبَّ راجِعاً إِلى صِهْيون .
[٩]إِندَفِعي بِالهُتافِ جَميعاً يا أَخرِبَةَ أُورَشَليم
فِإنَّ الرَّبَّ قد عَزَّى شَعبَه وٱفتَدى أُورَشَليم .
[١٠]كَشَفَ الرَّبُّ عن ذِراعِ قُدسِه(٢٥) على عُيونِ جَميعِ الأُمَم
فتَرى كُلُّ أَطْرافِ الأَرضِ خَلاصَ إِلهِنا .

٥. النشيد الرابع للعبد

ان هذا النشيد الأخير للعبد يصوّره بصورة مَن يشارك بألمه التكفيري في إحلال مُلك الله. مع أنه بارّ، فهو يأخذ على عاتقه المسؤولية عن الخاطئين، سواء أكانوا وثنيين أم لا، ويستحقّ الغفران عن خطاياهم. لقد قاربت الكنيسة بين هذه الصفحة وروايات آلام المسيح.

[١٣]هُوَذا عَبْدي يُوفَّق، يَتَعالى ويَرتَفِعُ ويَتَسامى جِدًّا.
[١٤]كما أَنَّ كَثيرينَ ذُعِروا في شأنِكَ
هكذا لم يَعُدْ مَنظَرُه مَنظَرَ إِنْسان
وصورَتُه صورَةَ بَني آدَم .
[١٥]هكذا تَنتَفِضُ أُمَمٌ كَثيرة وأَمامَه يَسُدُّ المُلوكُ أَفْواهَهم
لِأَنَّهم رَأَوا ما لم يُخبَروا بِه وعايَنوا ما لم يَسمَعوا بِه .

٥٣ [١]مَنِ الَّذي آمَنَ بِمَا سَمِعَ مِنَّا ولِمَن كُشِفَت ذِراعُ الرَّبّ ؟
[٢]فإِنَّه نَبَتَ كَفَرْعٍ أَمامَه وكَأَصلٍ(٢٦) مِن أَرضٍ قاحِلَة

(٢٥) ترمز الذراع الى القوّة، فإن الله هو قويّ وقدّوس في آن واحد.
(٢٦) اذكُرْ «جِذع يسّى» (اش ١١).

لا صورَةَ لَه ولا بَهاءَ فنَنظُرَ إلَيه ولا مَنظَرَ فنَشتَهِيَه.
[٣]مُزدَرًى ومَتْروكٌ مِنَ النَّاس، رَجُلُ أَوجاعٍ وعارِفٌ بِالأَلَم
ومِثلُ مَن يُستَرُ الوَجهُ عنه: مُزدَرًى فلَم نَعبَأْ به.
[٤]لقَد حَمَلَ هو آلامَنا وآحتَمَلَ أَوجاعَنا
فحَسِبْناه مُصاباً مَضْروباً مِنَ اللهِ ومُذَلَّلاً.
[٥]طُعِنَ بِسَبَبِ مَعاصينا وسُحِقَ بِسَبَبِ آثامِنا
نَزَلَ بِه العِقابُ مِن أَجلِ سَلامِنا وبِجُرحِه شُفينا.
[٦]كُلُّنا ضَلَلْنا كالغَنَم[(٢٧)]، كُلُّ واحِدٍ مالَ إِلى طَريقِه
فأَلقى الرَّبُّ علَيه إِثمَ كُلِّنا.
[٧]عُومِلَ بِقَسوَةٍ فتَواضَع ولم يَفتَحْ فاهُ
كحَمَلٍ سيقَ إِلى الذَّبْحِ
كنَعجَةٍ صامِتَةٍ أَمامَ الَّذينَ يَجُزُّونَها ولم يَفتَحْ فاهُ
[٨]بالإِكْراهِ وبِالقَضاءِ أُخِذَ، فمَن يُفَكِّرُ في مَصيرِه؟
قدِ آنقَطَعَ مِن أَرضِ الأَحْياء
وبِسَبَبِ مَعصِيَةِ شَعْبي ضُرِبَ حتَّى المَوت
[٩]فجُعِلَ قَبرُه مع الأَشْرار وضَريحُه مع الأَغنِياء
مع أَنَّه لم يَصنَعْ عُنفاً ولم يوجَدْ في فَمِه مَكْر.
[١٠]والرَّبُّ رَضِيَ أَن يَسحَقَ ذاكَ الَّذي أَمرَضَه
فإِذا قَرَّبَت نَفسُه ذَبيحَةَ إِثمٍ، يَرى ذُرِّيَّةً وتَطولُ أَيَّامُه

(٢٧) موضوع القطيع والراعي.

ورِضى الرَّبِّ يَنجَحُ عن يَدِه .
[١١] بِسَبَبِ عَناءِ نَفْسِه يَرى النُّور ويَشبَعُ بِعِلمِه
يُبَرِّرُ عَبْديَ البارُّ الكَثيرين وهو يَحتَمِلُ آثامَهم .
[١٢] فلِذلك أَجعَلُ لَه نَصيباً بَينَ العُظَماء وغَنيمةً مع الأَعِزَّاء
لِأَنَّه أَسلَمَ نَفْسَه لِلمَوت وأُحصِيَ مع العُصاة
وهو حَمَلَ خَطايا الكَثيرين وشَفَعَ في مَعاصيهم .

٦. حب الله لشعبه

هذه صفحة من أروَع صفحات العهد القديم ، تُظهر ديمومة العهد وعمق حب الله .

٥٤ [١] إِهتِفي أَيَّتُها العاقِرُ الَّتي لم تَلِدْ
إِندَفِعي بالهُتاف وآصرُخي ، أَيَّتُها الَّتي لم تَتَمَخَّض
فإِنَّ بَني المَهْجورةِ أَكثَرُ مِن بَني المُتَزَوِّجة ، قالَ الرَّبّ .
[٢] وَسِّعي مَوضِعَ خَيمَتِكِ ولْيَبسُطوا جُلودَ مَساكِنِكِ ، ولا تَمْنَعيهم .
طَوِّلي أَطْنابَكِ وثَبِّتي أَوتادَكِ
[٣] فإِنَّكِ تَتَجاوَزينَ إِلى اليَمينِ وإِلى الشِّمال
ويَرِثُ نَسلُكِ الأُمَمَ ويُعَمِّرُ المُدُنَ الخَرِبَة .
[٤] لا تَخافي فإِنَّكِ لا تَخزَين ولا تَخجَلي فإِنَّكِ لا تَفتَضِحين
لِأَنَّكِ ستَنسَينَ خِزْيَ صِباكِ ولا تَذكُرينَ عارَ إِرْمالِكِ مِن بَعدُ[٢٨] .
[٥] لِأَنَّ زَوجَكِ هو صانِعُكِ الَّذي رَبُّ القُوَّاتِ آسمُه

(٢٨) موضوع الحب الزوجي .

وفاديكِ هو قُدُّوسُ إسْرائيل ، يُدْعى إلهَ الأَرضِ كُلِّها .
[٦]وقَد دَعاكِ الرَّبُّ كآمرَأةٍ مَهْجورَةٍ كَئيبَةِ الرُّوح .
وهل تُرذَلُ زَوجَةُ الصِّبا ؟ يَقولُ إِلهُكِ
[٧]هُنَيهَةً هَجَرتُكِ[(٢٩)] وبِمَراحِمَ عَظيمَةٍ أَضُمُّكِ .
[٨]في سَورَةِ غَضَبٍ حَجَبتُ وَجْهي عنكِ لَحْظَةً
وبِرَأفَةٍ أَبَدِيَّةٍ أَرحَمُكِ : قالَ الرَّبُّ فادِيكِ.
[٩]فذلك يَكونُ لَدَيَّ كأَيَّامِ نوح
حينَ أَقسَمتُ أَلَّا تَعبُرَ مِياهُ نوح على الأَرْض
وكذلك أُقسِمُ أَلَّا أَغضَبَ علَيكِ وأَلَّا أَزجُرَكِ.
[١٠]وإِنِ آبتَعَدَتِ الجِبالُ وتَزَعزَعَتِ التِّلال فإِنَّ رَأفَتي لن تَبتَعِدَ عنكِ
وعَهدَ سَلامي لن يَتَزَعزَع : قالَ الرَّبُّ راحِمُكِ .
[١١]أَيَّتُها البائِسَةُ أَلْعوبَةُ الرِّياحِ غَيرُ المُتَعَزِّيَة
هاءَنَذا أُكَحِّلُ حِجارَتَكِ وأُؤَسِّسُكِ باللاَّزَوَرْد
[١٢]وأَجعَلُ شُرَفَكِ ياقوتاً وأَبْوابَكِ حِجارَةً لامِعَة
وكُلَّ مُحيطِكِ حجارةً كَريمة .
[١٣]وجَميعُ بَنيكِ يَكونونَ تَلامِذَةَ الرَّبّ وسَلامُ بَنيكِ يَكونُ عَظيماً
[١٤]تُثَبَّتِينَ في البِرّ وتَبعُدينَ عنِ الظُّلمِ فإِنَّكِ لا تَخافين
وعنِ الدَّمارِ فإِنَّه لا يَدْنو مِنكِ .

(٢٩) محنة الجلاء.

٧. الله طعام المساكين

هذا الطعام، وهو ماديّ وروحي في آن واحد، يولّد شبعاً يوجّهنا نحو تعليم التطويبات.

٥٥ [١]أَيُّها العِطاشُ جَميعاً، هَلُمُّوا إِلى المِياه
والَّذينَ لا فِضَّةَ لَهم هَلُمُّوا آشتَروا وكُلوا
هَلُمُّوا آشتَروا بِغيرِ فِضَّةٍ ولا ثَمَنٍ خَمْراً ولَبَناً حَليباً
[٢]لِماذا تَزِنونَ فِضَّةً لِما لَيسَ بِخُبْز وتَتعَبونَ لِما لا شِبَعَ فيه؟
إِسمَعوا لي سَماعاً وكُلوا الطَّيِّب، ولْتَتَلَذَّذْ بِالدَّسَمِ نُفوسُكم.
[٣]أَميلوا آذانَكم وهَلُمُّوا إِلَيَّ، إِسمَعوا فتَحْيا نُفوسُكم
فإِنِّي أُعاهِدُكم عَهداً أَبَدِيًّا على الخَيراتِ الَّتي وُعِدَ بِها داوُد.
[٤]هاءَنَذا جَعَلتُه لِلشُّعوبِ شاهِداً، لِلشُّعوبِ قائِداً وآمِراً.
[٥]ها إِنَّكَ تَدْعو أُمَّةً لم تَكُنْ تَعرِفُها وإِلَيكَ تَسْعى أُمَّةٌ لم تَكُنْ تَعرِفُكَ
بِسَبَبِ الرَّبِّ إِلٰهِكَ وقُدُّوسِ إِسْرائيلَ الَّذي مَجَّدَكَ.
[٦]إِلتَمِسوا الرَّبَّ ما دامَ يوجَد، أُدْعوه ما دامَ قَريباً.
[٧]لِيَترُكِ الشِّرِّيرُ طَريقَه والأَثيمُ أَفْكارَه ولْيَرجِعْ إِلى الرَّبِّ فيَرحَمَه
وإِلى إِلٰهِنا فإِنَّه يُكثِرُ العَفْو
[٨]فإِنَّ أَفكاري لَيسَت أَفْكارَكم ولا طُرُقُكم طُرُقي، يَقولُ الرَّبّ.
[٩]كما تَعْلو السَّمواتُ عنِ الأَرض
كذلكَ طُرُقي تَعْلو عن طُرُقِكم وأَفْكاري عن أَفْكارِكم

٨. فعَّالية كلمة الله

ان كلمة الله، المنقولة إلى النبي ليبلِّغها إلى معاصريه، قد يبدو انها تقع في الفراغ. لكنها في الحقيقة لا تبقى بدون مفعول، وإن كان هذا المفعول لا يُرى.

[١٠] لِأَنَّه كما يَنزِلُ المَطَرُ والثَّلجُ مِنَ السَّماء
ولا يَرجِعُ إِلى هُناك دونَ أَن يُروِيَ الأَرض
ويَجعَلَها تُنتِجُ وتُنبِت لِتُؤتِيَ الزَّارِعَ زَرعاً والآكِلَ طَعاماً
[١١] فكذلك تَكونُ كَلِمَتي الَّتي تَخرُجُ مِن فمي:
لا تَرجِعُ إِلَيَّ فارِغة، بل تُتِمُّ ما شِئتُ وتَنجَحُ فيما أَرسَلتُها لَه.

قراءة لبني جيلنا

يستطيع بنو جيلنا أن يجنوا فائدة عميقة من هذا المؤلَّف: بفضل روحه الواسع الأفق والمنفتح: المسيحي إنسان جامع، يتقبَّل كل خير وكل جمال، لأن ما هو صالح وجميل لا يمكن ان يصدر إلَّا عن الله. وهو مستعد أيضاً لهبة الخير والجمال لجميع الذين يقتربون منه، لأن الخير والجمال هما فيه وعليه ان يشهد لهما. ولأن الفداء هو بمقياس العالم، فالمسيحي هو مواطن العالم.

مرَّة أخرى، يعود إلى مشكلة الألم. إن كان لا يفهم لماذا الألم، فهو يرى على الأقلّ كيف يمكنه ان يستخدمه: موازنة خطيئة العالم، ومساعدة الضعفاء، والتعويض عن خطاياه الشخصية.

وفي إمكانه أخيراً ان يلتفت إلى المسيح ويسأله أن يساعده على حمل كل ما في العالَم من ألم، ولا سيّما ألم الأولاد والضعفاء والمتهوِّرين، لكي ينقلب فديةً للبشرية.

حجّاي وزكريّا

الإطار التاريخي

هو إطار العودة من المنفى وإعادة بناء الهيكل.

في السنة ٥٣٨، بعد ان استولى قورش على بابل في السنة السابقة، أصدر مرسوماً يأذن اليهود في العودة الى فلسطين.

منذ ٥٣٧، انطلقت قافلة تضمّ نحو ٤٢٠٠٠ شخص، يقودهم رئيسان لامعان: عظيم الكهنة يشوع والمفوَّض السامي زُربَّابل. انَّهما يهوديَّان تقيَّان ذهبا وكلّهما حماسة، وأخذا معهما الأواني الطقسية التي كان نبوكدنصَّر قد سلبها من الهيكل.

كان وصولهم مؤلماً، فإن المدينة المقدسة ظهرت لهم مدمَّرة مهجورة. من الاسوار لم يبقَ إلاَّ جوانب حيطان، وفي فناء الهيكل، نبت العشب والجُنيبات. فأخذت كل أسرة تبحث عن مكان بيتها وحدود حقولها. لكن السكّان القليلين الذين لم يغادروا المدينة احتكروا أموال المجلوِّين كما طاب لهم.

في وسط خيبات الأمل الأولى هذه، أخذوا يُعِدّون منازلهم. لكنهم أسرعوا إلى إصلاح ساحة الهيكل وإعادة بناء مذبح المحرقات. فعاد دُخان الذبائح يرتفع كل يوم الى الرب، ودام ذلك ثلاثة قرون ونصف.

لكن المِحَن الكبرى بدأت يوم قرَّروا ان يُعيدوا بناء الهيكل نفسه (٥٣٦). ذلك بأن السامريين أرادوا الاسهام في هذا العمل، غير أن سكّان أورشليم رفضوا مخالطة ذلك الشعب الفاسد وشبه الوثني، فأدَّى هذا الامر إلى مضاعفات سياسية، وتوقَّف العمل.

ودامت هذه الحال حتى ٥٢٠، مع أن قافلة أقلّ عدداً وصلت في ٥٢٢ لتمدَّ المجلوّين بالمال وتسعدهم على استعادة عزيمتهم وثقتهم.

وفي شهر آب (أوغسطس) ٥٢٠، قام النبي حجّاي يحثّ يشوع وزربّابل على إعادة بناء االهيكل، فاستُؤنف العمل في أيلول (سبتمبر). وبعد ذلك بشهرَين، أي في تشرين الأول (اكتوبر)، أسمعهم زكريا أيضاً كلمة من عند الله.

فالنبيّان عاشا، كما نرى، في زمن واحد، تمّ فيه تجديد الهيكل بعد العودة من المنفى.

المجموعتان

تضمّ مجموعة حجّاي فصلَين قصيرَين، في حين ان مجموعة زكريا هي أطول بكثير، ولكن لا يُنسب إلى النبيّ الذي عاش في ٥٢٠ إلّا الفصول الثمانية الأولى. أمّا نهاية المجموعة فهو يعود الى مجهول عاش في أواخر القرن الرابع.

رسالة حجّاي

انّها بلاغ مشيحي، بسبب الهيكل أوّلاً. لا شك أنه أصغر بكثير من هيكل ما قبل الجلاء. لكنه سيُحاط بمجد أعظم بكثير. ولا يفيدنا القول النبوي عن السبب. يحسن بالمسيحي أن يتذكّر ان يسوع صلّى وعلّم في هذا الهيكل.

ثم بسبب الأشخاص. زربّابل من ذرية داود. والحال ان حجّاي يقول بأن الله سيختاره ليجعل منه كخاتم يحافظ عليه بعناية كبرى. وهكذا تظهر المشيحية الملكية القديمة في سني المحنة هذه.

رسالة زكريّا

نعود فنجد هنا نظرة حجّاي المشيحية، في شرح أوفى. فالجماعة اليهودية تعيش في العصر المشيحي: على النظام الملكي والكهنوت ان يحكما معاً. أمّا النظام الملكي (تحلّ كلمة «أصل» محل «الملِك») فسيمارسه زربّابل، وعليه تُعقد الآمال المشيحية في ذلك الزمن. وأمّا الكهنوت فهو على عاتق يشوع الذي عاد في القافلة الاولى. ولا شك ان تأثير الكهنوت يعود مباشرةً إلى تعليم حزقيال.

سِفرُ حجّاي

١. إعادة بناء الهيكل

أُعيد بناء مذبح المحرقات منذ ٥٣٧، أي قبل سبع عشرة سنة. فحان أوان إعادة بناء الهيكل.

١ [١]في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لَدارِيوسَ المَلِك، في الشَّهرِ السَّادِس(١)، في اليَومِ الأَوَّلِ مِنَ الشَّهْر، كانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ على لِسانِ حَجّايَ النَّبِيِّ إِلى زَرُبَّابَل آبنِ شأَلْتيئيل، حاكِمِ يَهوذا، وإِلى يَشوعَ بنِ يوصاداقَ الكاهِنِ العَظيم(٢) قائِلاً: [٢]«هكذا تَكَلَّمَ رَبُّ القُوَّاتِ قائِلاً: إِنَّ هذا الشَّعبَ قد قال: إِنَّه لم يَبلُغ وَقتُ الذَّهاب، وَقتُ إِعادَةِ بِناءِ بَيتِ الرَّبّ». ([٣]فكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ على لِسانِ حَجّايَ النَّبِيِّ قائِلاً:). [٤]أَفحانَ لكم أَن تَسكُنوا في بُيوتِكُمُ المُسَقَّفَة، وهذا البَيتُ خَرِب؟ [٥]والآن، هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: فَكِّروا في مَصيرِكم. [٦]لقَد زَرَعتُم كَثيراً وآستَغلَلتُم قَليلاً. أَكَلتُم ولَم تَشبَعوا. شَرِبتُم ولَم تَرتَوُوا. اكتَسَيتُم ولَم تَدفَأُوا. والَّذي يَأخُذُ أُجرَةً يأخُذُها في

(١) آب (اوغسطس) ٥٢٠.

(٢) منذ العودة في ٥٣٧، يحكم الجماعةَ اليهودية، في الأمور المدنية، حاكم مسؤول أمام السلطات الفارسية، وفي الأمور الدينية عظيمُ كهنة. هنا: زربَّابل ويشوع.

صُرَّةٍ مَثْقوبَة. [٧]هٰكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: فَكِّروا في مَصيرِكم. [٨]إصعَدوا إِلى الجَبَلِ وأتوا بِخَشَب، وأَعيدوا بِناءَ البَيت، فأَرْضى بِه وأُظهِرَ فيه مَجْدي، قالَ الرَّبّ.

٢. مجد الهيكل الجديد

سيكون عظيماً، فإن المشيح سيظهر في مجده.

٢ [١]في الشَّهرِ السَّابِع، في الحادي والعِشْرينَ مِنَ الشَّهْر، كانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ على لِسانِ حَجّايَ النَّبِيِّ قائِلاً: [٢]«كَلِّمْ زَرُبَّابَلَ بنَ شأَلْتيئيل، حاكِمَ يَهوذا، ويَشوعَ بنَ يوصاداقَ، الكاهِنَ العَظيم، وبَقِيَّةَ الشَّعبِ قائِلاً: [٣]مَنِ الباقي فيكُم، الَّذي رأَى هذا البَيتَ في مَجدِه الأَوَّل، وكيفَ تَرَونَه الآن؟ أَلَيسَ هو في عُيونِكم كلا شَيء؟ [٤]فالآن، تَشَدَّدْ يا زَرُبَّابَل، يَقولُ الرَّبّ، وتَشَدَّدْ يا يَشوعُ بنُ يوصاداقَ، الكاهِنُ العَظيم، وتَشَدَّدوا يا جَميعَ شَعبِ الأَرض، يَقولُ الرَّبّ، وآعمَلوا لِأَنِّي أَنا معَكم، يَقولُ رَبُّ القُوَّات، [٥]على حَسَبِ الكَلِمَةِ الَّتي عاهَدتُكم بِها عِندَ خُروجِكم مِن مِصر، وروحي يُقيمُ فيما بَينَكم، فلا تَخافوا. [٦]فإِنَّه هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: بَعدَ وَقتٍ قَليلٍ أُزَلزِلُ السَّماءَ والأَرضَ والبَحرَ واليابِسة، [٧]وأُزَلزِلُ جَميعَ الأُمَم، وتأتي نَفائِسُ جَميعِ الأُمَم، فأَملأُ هذا البَيتَ مَجْداً، قالَ رَبُّ القُوَّات. [٨]لِيَ الفِضَّةُ ولِيَ الذَّهَب، يَقولُ رَبُّ القُوَّات. [٩]وسيَكونُ مَجدُ هذا البَيتِ الأَخيرُ أَعظَمَ مِنَ الأَوَّل(٣)، قالَ رَبُّ القُوَّات. وفي هذا المَكانِ أُعْطي السَّلام، يَقولُ رَبُّ القُوَّات».

(٣) إلى هذا الهيكل سيأتي يسوع بعد ذلك بخمسة قرون.

٣. وعد لزربَّابل

اختار الله زربَّابل، وهو من ذرية داود، ليجسِّد في شخصه الانتظار المشيحي.

[٢٠] وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ ثانِيَةً إِلى حَجَّاي، في الرَّابِعِ والعِشْرينَ مِنَ الشَّهْرِ، قائِلاً: [٢١] «كَلِّمْ زَرُبَّابَل، حاكِمَ يَهوذا، قائِلاً: إِنِّي أُزَلزِلُ السَّماءَ والأَرْض، [٢٢] وأَقلِبُ عَرشَ المَمالِك، وأُدَمِّرُ قُدرَةَ مَمالِكِ الأُمَم، وأَقلِبُ المَركَبَةَ ورُكَّابَها، وتَسقُطُ الخَيلُ ورُكَّابُها، كُلُّ واحِدٍ بِسَيفِ أَخيه. [٢٣] في ذلك اليَومِ، يَقولُ رَبُّ القُوَّات، آخُذُكَ يا زَرُبَّابَلُ بنُ شَأَلْتيئيلَ عَبْدي، يَقولُ الرَّبّ، وأَجعَلُكَ كخاتَمٍ(٤) فإِنِّي قدِ آختَرتُكَ، يَقولُ رَبُّ القُوَّات».

(٤) كان الخاتم، الذي تُختَم به الوثائق، يوضع في الاصبع أو في العنق.

سِفرُ زَكَريّا

(زك ١ – ٨)

١. أورشليم عاصمة العالم الدينية في المستقبل

لكن مركز تلك الشمولية العجيبة هو أورشليم.

٢ [٥]ورَفَعتُ عَينَيَّ ورَأَيتُ رُؤيا، فإِذا بِرَجُلٍ وبِيَدِه حَبلُ مِساحَة. [٦]فقلتُ: «إِلى أَينَ أَنتَ مُنطَلِق؟» فقالَ لي: «لِأَمسَحَ أُورَشَليم وأَرى كم عَرضُها وكم طُولُها». [٧]فإِذا بِالمَلاكِ المُتَكَلِّمِ معي قد تَقَدَّمَ، وتَقَدَّمَ مَلاكٌ آخَرُ لِلِقائِه. [٨]فقالَ له: «بادِرْ فكَلِّمْ هذا الفَتى قائِلاً: إِنَّ أُورَشَليمَ ستُسكَنُ بِغَيرِ أَسْوارٍ مِن كَثرَةِ البَشَرِ والبَهائِمِ فيها، [٩]وأَنا أَكونُ لَها، يَقولُ الرَّبّ، سورَ نارٍ مِن حَولِها ومَجداً في وَسَطِها.

[١٤]إِهتِفي وآفرَحي يا بِنتَ صِهْيون
فهاءَنَذا آتي وأسكُنُ في وَسَطِكِ، يَقولُ الرَّبّ
[١٥]فتَنضَمُّ أُمَمٌ كَثيرَةٌ إِلى الرَّبِّ في ذلك اليَوم
وتَكونُ لي شَعباً فأَسكُنُ في وَسَطِكِ
فتَعلَمينَ أَنَّ رَبَّ القُواتِ أَرسَلَني إِلَيكِ.

[١٦]ويَرِثُ الرَّبُّ يَهوذا نَصيبَه في الأَرضِ المُقَدَّسة[(١)]
ويَعودُ ويَخْتارُ أُورَشَليم.
[١٧]لِيَسكُتْ كُلُّ بَشَرٍ أَمامَ وَجهِ الرَّبّ
فإِنَّه قدِ آستَيقَظَ مِن مَسكِنِ قُدْسِه[(٢)].

٢. مجيء المشيح

بمجيء المشيح (الأصل) سيطهّر الله قلوب عباده، كما أنبأ به حزقيال.

٣ [٨]فآسمَعْ، يا يَشوعُ الكاهِنُ العَظيم، أَنتَ وأَصحابُكَ الجالِسونَ أَمامَكَ، فإِنَّهم رِجالٌ بُشَراء[(٣)]. هاءَنَذا آتٍ بِعَبدِيَ «النَّبْت»[(٤)]. فهُوَذا الحَجَرُ الَّذي جَعَلتُه أَمامَ يَشوع. على هذا الحَجَرِ الواحِدِ سَبعُ عُيون. وهاءَنَذا أَنقُشُ نَقْشَه»، يَقولُ رَبُّ القُوَّات، وأُزيلُ إِثمَ هذه الأَرضِ في يَومٍ واحِد[(٥)].

٨ [١]وكانَت كَلِمَةُ رَبِّ القُوَّات قائِلاً:
[٢]هكَذا قالَ رَبُّ القُوَّات:
غِرتُ على صِهيونَ غَيرةً عظيمة وبِغَضَبٍ عَظيمٍ غِرتُ علَيها.
[٣]هكَذا قالَ الرَّبّ:
قد رَجَعتُ إِلى صِهيون سأَسكُنُ في وَسَطِ أُورَشَليم

(١) للمرّة الأولى تظهر هذه العبارة في الكتاب المقدس.
(٢) يخرج الله من السماء ليأتي الى هيكله الذي تمّ بناؤه منذ قريب.
(٣) ان إعادة الكهنوت في أورشليم يدل على العطف الإلهي.
(٤) «النَّبْت» = اسم أُطلق على المشيح (راجع اش ٢٣).
(٥) رمز. فالحجر هو الهيكل والعيون هي علم الله بكل شيء.

فتُدْعى أُورَشَليمُ مَدينةَ الأَمانة
وجَبَلُ رَبِّ القُوَّاتِ الجبَلَ المُقَدَّس.
[٤]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات:
الشُّيوخُ والعَجائِزُ يَعودونَ يَسكُنونَ في ساحاتِ أُورَشَليم
كُلُّ واحِدٍ عَصاهُ بِيَدِه مِن كَثرَةِ أَيَّامِه
[٥]وتَمتَلِئُ ساحاتُ المَدينة بَنينَ وبَناتٍ يَلعَبونَ في ساحاتِها.
[٦]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات:
إِن عَسُرَ الأَمْرُ في عُيونِ بَقِيَّةِ هذا الشَّعبِ في تِلكَ الأَيَّام
أَفَيَعسُرُ في عَينَيَّ أَيضاً، يَقولُ رَبُّ القُوَّات؟
[٧]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات:
هاءَنَذا أُخَلِّصُ شَعْبي مِن أَرضِ المَشرِق
ومِن أَرضِ مَغرِبِ الشَّمْس
[٨]وآتي بِهم فيَسكُنونَ في وَسَطِ أُورَشَليم
ويَكونونَ لي شَعباً وأَكونُ لَهم إِلهاً بِالحَقِّ والبِرّ.
[٢٠]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: ستَأتي شُعوبٌ أَيضاً وسُكَّانُ مُدُنٍ كَبيرة، [٢١]ويَسيرُ سُكَّانُ الواحِدَةِ إِلى الأُخْرى قائلين: «لِنَسِرْ سَيراً لِآستِرْضاءِ وَجهِ الرَّبّ وآلتِماسِ رَبِّ القُوَّات. وأَنا أَيضاً أَسير». [٢٢]فتأتي شُعوبٌ كَثيرةٌ وأُمَمٌ قَوِيَّةٌ لِآلتِماسِ رَبِّ القُوَّاتِ في أُورَشَليم وآستِرْضاءِ وَجهِ الرَّبّ.
[٢٣]هكذا قالَ رَبُّ القُوَّات: إِنَّه في تِلكَ الأَيَّام سيَتَمَسَّكُ عَشَرَةُ أُناسٍ مِن جَميعِ أَلسِنَةِ الأُمَمِ بِذَيلِ يَهودِيٍّ قائلين: «إِنَّنا نَسيرُ معَكم، فقَد سَمِعْنا أَنَّ اللهَ معَكم».

سِفرُ أَشْعَيا الثّالِث

(اش ٥٦ - ٦٦)

الوقت

أصبحت عودة المجلوّين أمراً واقعاً، وأُعيد بناء الهيكل (٥١٥)، لا أسوار أورشليم (٤٤٥).

المؤلّف

يرى بعض العلماء أن هناك عدّة مؤلّفين، ويعتقد بعضهم الآخر بأن مؤلّف هذه الفصول واحد، تتلمذ للذي وضع «كتاب التعزية»، ولكن كان صاحب فكرة طريفة تُواصل فكرة معلّمه في اتّجاه شخصي.

الرسالة

توجّه الرسالة نحو الخلاص المشيحي. يظهر فيها تطوّر هام: فلم يعد النسل كافياً للحصول على الخلاص. فإن أراد الاسرائيلي ان يستفيد من هذا الخلاص، وجب عليه ان يكون متواضعاً وتقيًّا وان يكون منكسر القلب. هذا انتصار الفردية الدينية والصلة الشخصية بالله.

ومع ذلك، تبقى الرؤية ضيّقة جداً، فإن الشمولية تكاد ان لا تظهر. لا شك ان الإنباء بتوبة الأمم يحتلّ مكانة كبرى في الكتاب، لكنه يرتبط فوراً بتأكيد الاولية لصالح أورشليم وسكّانها. فتصبح أورشليم نقطة تجمع كل الذين سيؤمنون بالإله الحقّ. وعلى الجميع، يهود أو وثنيين، ان يحفظوا الشرائع الموسوية. وأخيراً، فإن المؤمنين سيشكلون جماعة كهنوتية، يكون فيها الوثنيون خدّامهم.

١. شمولية الخلاص

ستتم توبة الوثنيين في المستقبل، والغرباء والخصيان، الذين كانوا مُبعَدين من الشعب الاسرائيلي، يكون لهم حق المواطنة، ولكن شرطَ ان يحفظوا أحكام موسى، كراحة السبت والصوم.

٥٦ [١]هكذا قالَ الرَّبّ: حافِظوا على الحَقِّ وأَجْروا البِرّ
فقَدِ آقتَرَبَ خَلاصي أَن يَجيءَ وبِرِّي أَن يَتَجَلَّى.
[٢]طوبى لِلإِنسانِ العامِلِ بِذلك ولِآبنِ آدَمَ المُتَمَسِّكِ بِه
الَّذي يُحافِظُ على السَّبتِ فلا يَنتَهِكُه
ويَحفَظُ يَدَه مِن فِعلِ كُلِّ شَرّ.
[٣]لا يَقُلِ آبنُ الغَريبِ الَّذي آنضَمَّ إِلى الرَّبّ:
«إِنَّ الرَّبَّ يَفصِلُني عن شَعبِه»
ولا يَقُلِ الخَصِيّ: «ها أَنا شَجَرَةٌ يابِسَة».
[٤]فإِنَّه هكذا قالَ الرَّبُّ لِلخِصْيان:
الَّذينَ يُحافِظونَ على سُبوتي
ويُؤثِرونَ ما رَضيتُ بِه ويَتَمَسَّكونَ بِعَهْدي
[٥]أُعْطيهم في بَيتي وداخِلَ أَسْواري
نُصُباً وآسماً خَيراً مِنَ البَنينَ والبَنات
وأُعْطي كُلَّ واحِدٍ مِنهمُ آسماً أَبَدِيًّا لا يَنقَرِض.
[٦]وبَنو الغَريبِ المُنضَمُّونَ إِلى الرَّبِّ
لِيَخدُموه ويُحِبُّوا آسمَ الرَّبِّ ويَكونوا لَه عَبيداً
كُلُّ مَن حافَظَ على السَّبتِ ولم يَنتَهِكْه وتَمَسَّكَ بِعَهْدي

[٧] آتي بِهم إِلى جَبَلِ قُدْسي وأُفَرِّحُهم في بَيتِ صَلاتي
وتَكونُ مُحرَقاتُهم وذَبائِحُهم مَرضِيَّةً على مَذبَحي
لِأَنَّ بَيتي بَيتَ صَلاةٍ يُدْعى لِجَميعِ الشُّعوب.
[٨] يَقولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ الَّذي يَجمَعُ مَنفِيِّي إِسْرائيل:
سأجمَعُ آخَرينَ أَيضاً إِلى مَجْموعيه.

٢. الطابع الباطني للحياة الدينية

شعر النبي باحتمال أخلاقية عقيمة. ولذلك أُدرجت الطقوسية في شريعة المحبة.

٥٨ [١] نادِ بِمِلْءِ فَمِكَ ولا تُمسِكْ، إِرفَعْ صَوتَكَ كالبوق
وأَخبِرْ شَعْبي بِمَعصِيَتِه وبَيْتَ يَعْقوبَ بِخَطاياه.
[٢] إِنَّهم يَلتَمِسونَني يَوماً فيَوماً ويَرومونَ مَعرِفَةَ طُرُقي
كأَنَّهم أُمَّةٌ تَعمَلُ بِالبِرّ ولم تُهمِلْ حَقَّ إِلهِها.
يَسأَلونَني أَحْكامَ البِرّ ويَرومونَ التَّقَرُّبَ إِلى الله.
[٣] «ما بالُنا صُمْنا وأَنتَ لم تَرَ وعَذَّبنا أَنفُسَنا وأَنتَ لم تَعلَمْ؟»
في يَومِ صَومِكم تَجِدونَ مَرامَكم وتُعامِلونَ بِقَسوَةٍ جَميعَ عُمَّالِكُم.
[٤] إِنَّكم لِلخُصومَةِ والمُشاجَرَةِ تَصومون ولِتَضرِبوا بِلَكمَةِ الشَّرّ.
لا تَصوموا كاليَوم لِتُسمِعوا أَصْواتَكم في العَلاء.
[٥] أَهكَذا يَكونُ الصَّومُ الَّذي فَضَّلتُه
اليَومُ الَّذي فيه يُعَذِّبُ الإِنْسانُ نَفْسَه.
أَإِذا حَنى رأسَه كالقَصَب وٱفتَرَشَ المِسحَ والرَّماد
تُسَمِّي ذلك صَوماً ويَوماً مَرضِيًّا لِلرَّبّ؟

[6]أَلَيسَ الصَّومُ الَّذي فَضَّلتُه هو هذا: حَلُّ قُيودِ الشَّرِّ وفَكُّ رُبُطِ النِّير
وإِطْلاقُ المَسْحوقينَ أَحْراراً وتَحْطيمُ كُلِّ نير؟
[7]أَلَيسَ هو أَن تَكسِرَ للجائِعِ خُبزَكَ
وأَن تُدخِلَ البائسينَ المَطْرودينَ بَيتَكَ
وإِذا رَأَيتَ العُرْيانَ أَن تَكسُوَه وأَن لا تَتَوارى عن لَحمِكَ[1]؟
[8]حينَئِذٍ يَبزُغُ كالفَجرِ نورُكَ ويَندَبُ جُرحُكَ سَريعاً
ويَسيرُ بِرُّكَ أَمامَكَ ومَجدُ الرَّبِّ يَجمعُ شَملَكَ.
[9]حينَئِذٍ تَدْعو فيَستَجيبُ الرَّبّ وتَستَغيثُ فيَقول: هاءَنَذا
إِن أَزَلتَ مِن أَبْنائِكَ النِّير والإِشارَةَ بِالإِصبَعِ والنُّطقَ بالسُّوء
[10]إِذا تَخَلَّيتَ عن لُقمَتِكَ لِلجائِعِ وأَشبَعتَ الحَلقَ المُعَذَّب
يُشرِقُ نورُكَ في الظُّلمَة ويَكونُ دَيجورُكَ كالظُّهْر
[11]ويَهْديكَ الرَّبُّ في كُلِّ حين ويُشبِعُ نَفْسَكَ في الأَرضِ القاحِلَة
ويُقَوِّي عِظامَكَ فتَكونُ كَجَنَّةٍ رَيَّا وكيَنْبوعِ مِياهٍ لا تَنضُب.
[12]وبِفَضلِكَ يَبْنونَ أَخرِبَةَ قَديمِ الأَيَّام وأَنتَ تُقيمُ أُسُسَ الأَجْيال
وتُدْعى سادَّ الثُّلْمة ومُرَمِّمَ الأَزِقَّةِ لِلسُّكْنى
[13]إِن كَفَفتَ عنِ آنتِهاكِ السَّبت، عن قَضاءِ مَرامِكَ في يَومِيَ المُقَدَّس
ودَعَوتَ السَّبتَ نَعيماً ومُقَدَّسَ الرَّبِّ مُكَرَّماً
وكَرَّمتَه غَيرَ مُباشِرٍ فيه أَعْمالَكَ
ولا واجِدٍ مُرامَكَ ولا ناطِقٍ بِكَلامٍ على كَلام

(١) راجع: «أحبب قريبك حبّك لنفسك».

[١٤] فحينَئذٍ تَتَنَعَّمُ بِالرَّبّ وأَنا أُركِبُكَ على مَشارِفِ الأَرض
وأُطعِمُكَ ميراثَ يَعْقوبَ أَبيكَ، لِأَنَّ فَمَ الرَّبِّ قد تَكَلَّم.

٣. مجد أورشليم في المستقبل

يتّخذ مفهوم أورشليم طابعاً روحياً: فان الله هو نورها. وفضلاً عن ذلك، يظهر نوع من الأمومة الروحية.

٦٠ [١] قومي آستنيري فإِنَّ نورَكِ قد وافى
ومَجدَ الرَّبِّ قد أَشرَقَ علَيكِ.
[٢] ها إِنَّ الظُّلْمَةَ تُغَطِّي الأَرض والغَمامَ المُظلِمَ يَشمُلُ الشُّعوب
ولكِن عليكِ يُشرِقُ الرَّبّ وعلَيكِ يَتَراءَى مَجدُه
[٣] فتَسيرُ الأُمَمُ في نورِكِ والمُلوكُ في ضِياءِ إِشْراقِكِ.
[٤] إِرفَعي عَينَيكِ إِلى ما حَولَكِ وآنظُري: كُلُّهُمُ آجتَمَعوا وأَتوا إِلَيكِ.
بَنوكِ مِن بَعيدٍ يَأتون وبَناتُكِ يُحمَلنَ على الوَرْك
[٥] حينَئذٍ تَنظُرينَ وتَتَهَلَّلين ويَخفُقُ قَلْبُكِ ويَنشَرِح
فإِلَيكِ تَتَحَوَّلُ ثَروَةُ البَحْر وإِلَيكِ يأتي غِنى الأُمَم.
[٦] كَثرَةُ الإِبلِ تُغَطِّيكَ، بُكرانُ مِديَنَ وعيفَة
كُلُّهم مِن شَبأَ يَأتون حامِلينَ ذَهَباً وبَخوراً
يُبَشِّرونَ بِتَسابيحِ الرَّبّ(٢).

(٢) ان النظرة الشمولية التي يتّسم بها هذا النصّ حملت على تطبيقه على رتبة عيد الظهور. ولقد استوحى منها إنجيل الطفولة عند متى.

٤. رسالة العبد

نعود فنجد هنا أفكاراً عُبِّر عنها في كتاب التعزية

٦١ [١]روحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عليَّ لِأَنَّ الرَّبَّ مَسَحَني
وأَرسَلَني لِأُبَشِّرَ الفُقَراء وأَجبُرَ مُنكَسِري القُلوب[(٣)]
وأُنادِيَ بِإِفْراجٍ عنِ المَسبِيِّين وبِتَخلِيَةٍ لِلمَأسورين
[٢]لِأُعلِنَ سَنَةَ رِضاً عِندَ الرَّبّ ويَومَ آنتِقامٍ لِإِلهِنا
وأُعَزِّيَ جَميعَ النَّائحين.
[٣](لِأَجعَلَ لِنائحي صِهْيون) لِأَمنَحَهمُ التَّاجَ بَدَلَ الرَّماد
وزَيتَ الفَرَحِ بَدَلَ النَّوح وحُلَّةَ التَّسْبيحِ بَدَلَ روحِ الإِعْياء
فيُدعَونَ بُطْمَ البِرّ وأَغْراساً لِلرَّبِّ يَتَمَجَّدُ بِها
[٦]أَمَّا أَنتُم فتُدعَونَ كَهَنَةَ الرَّبّ ويُقالُ لكم خَدَمَةُ إِلهِنا
تأكُلونَ غِنى الأُمَمِ وبِمَجدِها تَفتَخِرون.
[٨]لِأَنِّي أَنا الرَّبُّ مُحِبُّ الحَقّ، مُبغِضُ النَّهبِ والظُّلْم
فأُعْطيهمُ المُكافَأَةَ في الحَقّ وأُعاهِدُهم عَهداً أَبَدِيًّا.
[٩]وستُعرَفُ ذُرِّيَّتُهم في الأُمَم وسُلالَتُهم بَينَ الشُّعوب
فكُلُّ مَن رآهم يَعرِفُهم لِأَنَّهم ذُرِّيَّةٌ بارَكَها الرَّبّ.
[١٠]أُسَرُّ سُروراً في الرَّبّ وتَبتَهِجُ نَفْسي في إِلهي
لِأَنَّه أَلبَسَني ثِيابَ الخَلاص وشَمِلَني بِرِداءِ البِرّ

(٣)نجد هنا مرّة أُخرى موضوع العبد المتألّم (راجع اش ٤٢).

وكالعَريسِ الَّذي يَتعَصَّبُ بِالتَّاج وكالعَروسِ الَّتي تَتحَلَّى بِزينَتِها(٤)
١١فكما أَنَّ الأَرضَ تُخرِجُ نَباتَها والجَنَّةَ تُنبِتُ مَزْروعاتِها
كذلكَ السَّيِّدُ الرَّبُّ يُنبِتُ البِرَّ والتَّسبِحَةَ أَمامَ جَميعِ الأُمَم.

٥. الأَرض المقدسة

ان موضوع الحب الزوجي، العزيز على هوشع، قد انتقل من الشعب الاسرائيلي الى الأرض المقدسة.

٦٢ ١إِنِّي لِأَجلِ صِهْيونَ لا أَسكُت ولِأَجْلِ أُورَشَليمَ لا أَهدَأ
حتَّى يَخرُجَ كضِياءٍ بِرُّها وكمَشعَلٍ مُتَّقِدٍ خَلاصُها.
٢فتَرى الأُمَمُ بِرَّكِ وجَميعُ المُلوكِ مَجدَكِ
وتُدعَينَ بِآسمٍ جَديدٍ يُعَيِّنُه فَمُ الرَّبّ
٣وتَكونينَ إِكْليلَ فَخْرٍ في يَدِ الرَّبّ وتاجَ مُلكٍ في كَفِّ إِلهِكِ.
٤لا يُقالُ لَكِ مِن بَعدُ: «المَهْجورة»
ولِأَرضِكِ لا يُقالُ مِن بَعدُ: «الدَّمار»
بل تُدْعَينَ: «رِضايَ فيها» وأَرضُكِ تُدْعى «المُتَزَوِّجة»
لِأَنَّ الرَّبَّ يَرْضى عَنكِ وأَرضَكِ تَكونُ مُتَزَوِّجة.
٥فكَما أَنَّ شابًّا يَتَزَوَّجُ بِكراً كذلك بَنوكِ يَتَزَوَّجونَكِ
وكسُرورِ العَريسِ بِالعَروسِ يُسَرُّ بِكِ إِلهُكِ.
١١هذا ما أَسمَعَه الرَّبُّ إِلى أَقاصي الأَرض:
قولوا لِآبنَةِ صِهْيون: هُوَذا خَلاصُكِ آتٍ

(٤) يصبح البرّ والخلاص ثياباً وجواهر.

هُوَذا جَزاؤُه مَعَه وأُجرَتُه أَمامَه .
[١٢] وهُمْ يُدعَونَ «الشَّعبَ المُقَدَّس» «مُفتَدَي الرَّبّ»
وأَنتِ تُدعَينَ «المَطْلوبَة» «المَدينَةَ غيرَ المَهْجورة» .

٦. دعوة الى التدخّل المباشر من قبل الله

ستُستجاب هذه الصفحة العجيبة في التجسُّد

٦٣ [١٥] تَطَلَّعْ مِنَ السَّماءِ وآنظُرْ[٥] مِن سُكْنى قُدسِكَ وبَهائِكَ .
أَينَ غَيرَتُكَ وجَبَروتُكَ ؟
هلِ آحتَبَسَ آرتِعاشُ أَحْشائِكَ ومَراحِمُكَ لي ؟
[١٦] فإِنَّكَ أَنتَ أَبونا: إِبْراهيمُ لم يَعرِفْنا وإِسْرائيلُ لم يَعلَمْ بِنا .
أَنتَ يا رَبُّ أَبونا مُنذُ الأَزَلِ آسمُكَ فادينا .
[١٧] لِمَ ضَلَّلتَنا يا رَبُّ عن طُرُقِكَ وقَسَّيتَ قُلوبَنا عن خَشيَتِكَ ؟
إِرجِعْ إِلَينا مِن أَجْلِ عَبيدِكَ أَسْباطِ ميراثِكَ .
[١٨] وَقتاً قَليلاً وَرِثَ شَعبُ قُدسِكَ ، أَعداؤُنا داسوا مَقدِسَكَ .
[١٩] مِن زَمَنٍ بَعيدٍ لم تَتَسَلَّطْ علَينا ولم نُدعَ بِآسمِكَ .
لَيتَكَ تَشُقُّ السَّمواتِ وتَنزِل، فتَسيلُ الجِبالُ مِن وَجهِكَ

٦٤ [٣] مُنذُ الأَزَلِ لم يَسمَعوا ولم يُصْغوا
ولم تَرَ عَينٌ إِلهاً ما خَلاكَ يَعمَلُ لِلَّذينَ يَنتَظِرونَه .
[٤] لاقَيتَ المَسْرورَ بِعَمَلِ البِرّ ، أُولئِكَ الَّذينَ يَذكُرونَكَ في طُرُقِكَ .

(٥) هذه الفقرة جزء من مزمور وُضع قبل إعادة بناء الهيكل . إنه يلمّح الى حياة دينية بعيدة عن الكمال وغير جديرة بخلف إبراهيم ويعقوب . فلا بدّ من تدخّل مباشَر من قبل الله .

لكِنَّكَ غَضِبتَ لِأَنَّنا خَطِئْنا ولكِنَّنا مُنذُ الأَزَلِ بِهذه الطُّرُقِ نُخَلَّص .
[٥] وكُنَّا كُلُّنا كالنَّجِس وبِرُّنا كُلُّه كثَوبِ الطَّامِث
وكُلُّنا ذَبَلْنا كالوَرَق وآثامُنا كالرِّيح ذَهَبَت بِنا
[٦] ولم يَبقَ مَن يَدْعو بِٱسمِكَ ولا يَنتَبِهُ لِيَتَمَسَّكَ بِكَ
حتَّى حَجَبتَ وَجهَكَ عَنَّا وجَعَلتَنا نَذوبُ بِقُوَّةِ إِثمِنا .
[٧] والآنَ يا رَبُّ أَنتَ أَبونا
نَحنُ الطِّينُ وأَنتَ جابِلُنا ونَحنُ جَميعاً عَمَلُ يَدِكَ .

٧. الخليقة الجديدة

عاد القديس يوحنا في الرؤيا الى تجديد جميع الأشياء .

[١٧] لِأَنِّي هكذا أَخلُقُ سَمَواتٍ جَديدة وأَرضاً جَديدة
فلا يُذكَرُ الماضي ولا يَخطُرُ على البال .
[١٨] بل تَهَلَّلوا وٱبتَهِجوا لِلأَبَدِ بِما أَنا أَخلُق
فإِنِّي هاءَنَذا أَخلُقُ أُورَشَليمَ لِلآبتِهاج وشَعبَها لِلسُّرور
[١٩] وأَبتَهِجُ بِأُورَشَليمَ وأُسَرُّ بِشَعْبي
ولا يُسمَعُ فيها مِن بَعدُ صَوتُ بُكاء، ولا صَوتُ صُراخ .
[٢٠] ولا يَموتُ هُناكَ مِن بَعدُ طِفلُ أَيَّام ولا شَيخٌ لم يَستَكمِلْ أَيَّامَه
لِأَنَّ صَغيرَ السِّنِّ يَموتُ وهو آبنُ مِئَةِ سَنَة
والَّذي يَموتُ دونَ مِئَةِ سَنَةٍ فإِنَّه مَلْعون .
[٢١] ويَبْنونَ بُيوتاً ويَسكُنونَ فيها ويَغرِسونَ كُروماً ويأكُلونَ ثَمَرَها .

٨. لن يقتصر الخلاص على نسل من الانسال

سيحطّم الخلاص، بعد اليوم، المِشدّ الحديدي للّحم والدم، ويوهب للقلب الأمين.

٦٦ [١]هكذا قالَ الرَّبّ: السَّمَاءُ عَرْشي والأَرضُ مَوطِئُ قَدَمَيَّ
فأَيَّ بَيتٍ تَبْنونَ لي وأَيُّ مَكانٍ يَكونُ مَقَرَّ راحَتي؟
[٢]كُلُّ هذه يَدي صَنَعَتها فهٰكذا كانَت كُلُّها، يَقولُ الرَّبّ.
لكِن إِلى هذا أَنظُر:
إِلى المِسْكينِ المُنسَحِقِ الرُّوح المُرتَعِدِ من كَلِمَتي[(٦)].
[١٠]إِفرَحوا مع أُورَشَليم وآبتَهِجوا بِها يا جَميعَ مُحِبِّيها
سُرُّوا معَها سُروراً، يا جَميعَ النائِحينَ علَيها
[١١]لِكَي تَرضَعوا وتَشبَعوا مِن ثَدْيِ تَعازيها
وتَحلُبوا وتَتَنَعَّموا مِن دِرَّةِ مَجدِها
[١٢]لِأَنَّه هكذا قالَ الرَّبّ:
هاءَنَذا أُميلُ إِلَيها السَّلامَ كالنَّهْرِ ومَجدَ الأُمَم كالوادي الطَّافِح
فتَرضَعونَ وعلى الوَرْكِ تُحمَلون وعلى الرُّكْبتَينِ تُدَلَّلون.
[١٣]كإِنسانٍ تُعَزِّيه أُمُّه كذلكَ أَنا أُعَزِّيكم وفي أُورَشَليمَ تُعَزَّون
[١٤]وتَنظُرونَ فتُسَرُّ قُلوبُكم وتُزهِرُ عِظامُكم كالعُشْب
وتُعرَفُ يَدُ الرَّبِّ أَنَّها مع عَبيده ويَغضَبُ على أَعْدائِه
[١٨]أَمَّا أَنا فنَظَراً إِلى أَعْمالِهم وأَفْكارِهم، قد حانَ أَن أَحشُرَ جَميعَ الأُمَمِ والأَلسِنَة، فتأتي وتَرى مَجْدي. [١٩]وأَجعَلُ بَينَهم آيَةً وأُرسِلُ ناجينَ مِنهم

(٦) ما يطالب الله به ليس ثقةً عمياء بحضور مادي للهيكل، بل ثقة بالرب.

إِلى الأُمَم، إِلى تَرْشيشَ وفولَ ولود، الَّتي تَشُدُّ القِسِيَّ، وتوبَلَ وياوانَ والجزُرِ البَعيدةِ الَّتي لم تَسمَعْ بِسُمعَتي ولم تَرَ مَجْدي، فيُنادونَ بِمَجْدي بَينَ الأُمَم [٢٠] ويَأتونَ بِجَميعِ إِخوَتِكم مِن جَميعِ الأُمَمِ تَقدِمَةً لِلرَّبّ، على الخَيلِ والمَركَباتِ والهَوادِجِ والبِغالِ والمَحامِل، إِلى جَبَلِ قُدْسي أُورَشَليم، قالَ الرَّبّ، كما يَأتي بَنو إِسْرائيلَ بِالتَّقدِمَةِ في إِناءٍ طاهِرٍ إِلى بَيتِ الرَّبّ. [٢١] ومِنها أَيضاً أَتَّخِذُ كَهَنَةً ولاوِيِّين، قالَ الرَّبّ.

سِفرُ مَلاخي

الوقت

يرجّح ان تكون الأقوال النبوية قد قيلت قبيل ٤٤٥، فإن هذا التاريخ هو تاريخ مهمة نحميا الأولى، حيث حرّم الزواجات المختلطة، اذ ان المؤلّف يرى فيها فضيحة الساعة. ان الجماعة اليهودية هي الآن في حال فتور أقصى.

المؤلّف

لا نعرف هل كلمة ملاخي هي اسم علم ام اسم جنس («رسولي»). ولا نعرف أي شيء عنه.

رسالته

صبغة أقواله صبغة تثنية الاشتراع، يشدّد فيها على العبادة والشريعة. ويحتل الكهنة مكان الصدارة. نرى في الحقيقة ان المؤلّف عنيف في شأنهم، فإنه يصرّح بأن معاثر حياتهم هي التي تحول دون مجيء العصر المشيحي. يكمن المثال الأعلى لحالتهم في معرفة الشرائع وحفظها على أفضل وجه.

ينبئ النبي بـ«يوم الرب» بشكل تطهير واسع. وهذا الحدث سيُمهَّد له عن يد رسول سيُقارَن بإيليا، رأى فيها الانجيليون يوحنا المعمدان السابق. وأخيراً، فإن ليترجية العصر المشيحي ستسودها الذبيحة الكاملة المقرَّبة لله في العالم كلّه (رأى فيها المجمع التريدنتيني إنباءً مستوراً بالافخارستيا).

١. الذبيحة الكاملة في الزمن المشيحي

١ [6] الاَبنُ يُكرِمُ أَباه والعَبدُ يُكرِمُ سَيِّده. فإن كُنتُ أَنا أَباً فأَينَ كَرامَتي؟

وإن كُنتُ سَيِّداً فأَينَ مَهابَتي، قالَ لكم ربُّ القُوَّات، أَيُّها الكَهَنَةُ المُزدَرونَ آسْمي؟ وتَقولون: «بِمَ آزدَرَينا آسمَكَ»؟ [٧]«بِأَنَّكم تُقَرِّبونَ على مَذبَحي طَعاماً نَجِساً، وتَقولون: بِمَ نَجَّسْناكَ؟ بِقَولِكم إِنَّ مائِدَةَ الرَّبِّ حَقيرة. [٨]إِذا قَرَّبتُم بَهيمَةً عَمْياءَ ذَبيحَةً، أَفَلَيسَ ذلك شَرًّا؟ وإِذا قَرَّبتُم عَرْجاءَ وسَقيمةً، أَفَلَيسَ ذلك شَرًّا؟ قَرِّبْها لِحاكِمِكَ، أَفَيَرْضى عنكَ أَو يُكرِمُ وَجهَكَ، قالَ رَبُّ القُوَّات؟ [٩]فالآنَ آستَرْضوا وَجهَ اللهِ لِيَرأَفَ بِنا (فإِنَّ هذا قد كانَ مِن أَيديكم). أَلَعَلَّه يُكرِمُ وُجوهَكم؟، قالَ رَبُّ القُوَّات. [١٠]مَن مِنكم يُغلِقُ الأَبْوابَ لِئَلَّا توقِدوا نارَ مَذبَحي عَبَثاً؟ لَيسَ هَوايَ فيكم، قالَ رَبُّ القُوَّات، ولا أَرْضى تَقدِمَةً مِن أَيديكم، [١١]لِأَنَّه مِن مَشرِقِ الشَّمسِ إِلى مَغرِبِها آسْمي عَظيمٌ في الأُمَم، وفي كُلِّ مَكانٍ تُحرَقُ وتُقَرَّبُ لِآسْمي تَقدِمَةٌ طاهِرَة، لِأَنَّ آسْمي عَظيمٌ في الأُمَم، قالَ رَبُّ القُوَّات[١]. [١٢]أَمَّا أَنتُم فقد دَنَّستُموه بِقَولِكم إِنَّ مائِدَةَ الرَّبِّ مُنَجَّسةٌ وطَعامَها مُزْدَرًى. [١٣]وقُلتُم: «أُنظُروا! ما أَثقَلَ ذلك!»، وآحتَقَرتُموه، قالَ رَبُّ القُوَّات، وأَتَيتُم بِالبَهيمةِ المَسْروقَةِ، العَرْجاءِ والسَّقيمة، وقَرَّبتُموها تَقدِمَةً. أَفأَرْضى بِهذا مِن أَيديكم؟ قال الرَّبّ. [١٤]مَلْعونٌ الماكِرُ الَّذي عِندَه في قَطيعِه ذَكَر، وهو يَنذِرُ ويَذبَحُ لِلسَّيِّدِ ما هو مَعيب، فإِنِّي مَلِكٌ عَظيم، قالَ رَبُّ القُوَّات، وآسْمي مَهيبٌ بَينَ الأُمَم.

٢. توبيخ الكهنة

يستهدف هذا التوبيخ الحياة الطقسية.

(١) يذكّرنا هذا النصّ بذبيحة القربان.

٢ [٢]إن لم تَسمَعوا ولَم تَجعَلوا في قُلوبِكم أَن تُؤَدُّوا مَجداً لِآسْمي، قالَ رَبُّ القُوَّات، أُرسِلُ علَيكُمُ اللَّعنَة، وأَلعنُ بَرَكاتِكم، أَلعَنُها لِأَنَّكم لم تَجعَلوا ذلك في قُلوبِكم. [٣]هاءَنَذا أَقطَعُ أَذرُعَكم وأَذْري الرَّوثَ على وُجوهِكم، رَوثَ أَعْيادِكم، ويُذهَبُ بِكم معَه، فتَعلَمونَ أَنِّي أَرسَلتُ إِلَيكُم بِهذه الوَصِيَّة، لِيَبْقى عَهْدي مع لاوي، قالَ رَبُّ القُوَّات.

٣. توبيخ في شأن الزواجات

المقصود هو الزواجات بنساء غريبات، ولقد قاومها نحميا مقاومة شديدة في ٤٤٥، والمقصود أيضاً هو الطلاق بين اليهود.

[١١]لقد غَدَرَ يَهوذا وصُنِعَت قَبيحَةٌ في إِسْرائيلَ وفي أُورَشَليم، لِأَنَّ يَهوذا دَنَّسَ قُدسَ الرَّبِّ الَّذي أَحبَّه، وتَزَوَّجَ بِنتَ إِلهٍ غَريب(٢). [١٢]لِيَستَأصِلِ الرَّبُّ، لِلإِنْسانِ الَّذي يَصنَعُ هذه، شاهِدَه ومُحامِيَه مِن خِيامِ يَعْقوب، والمُقَرِّبَ تَقدِمَةً لِرَبِّ القُوَّات. [١٣]وهذا ثانِياً ما صَنَعتُم: غَمَرتُم مَذبَحَ الرَّبِّ بِدُموعِ البُكاءِ والنَّحيب، لِأَنَّه لم يَعُدْ يَلتَفِتُ إِلى التَّقدِمَة، ولا يَقبَلُ مِن أَيديكُم شيئاً مَرضِيًّا. [١٤]وتقولون: لِماذا؟ لِأَنَّ الرَّبَّ كانَ شاهِداً بَينَكَ وبَينَ آمرَأَةِ صِباكَ الَّتي غَدَرتَ بِها، وهي قَرينَتُكَ وآمرَأَةُ عَهدِكَ. [١٥]ولا يَصنَعُ أَحَدٌ ذلك إِن كانَ فيه بَقِيَّةُ حَياة. وماذا يَطلُبُ هذا الشَّخصُ؟ نَسْلاً مِنَ الله. فصونوا أَرْواحَكم، ولا تَغدُرْ بِآمرَأَةِ صِباك. [١٦]لِأَنَّه، إِذا طَلَّقَ أَحَدٌ عن بُغْض(٣)، قالَ الرَّبُّ إِلهُ إِسْرائيل، غَطَّى لِباسَه عُنفاً، قالَ رَبُّ القُوَّات. فصونوا أَرْواحَكم ولا تَغدُروا.

(٢) أي عبادة أوثان.

(٣) راجع متى ١٩/١-٩.

٤. يوم الرب السابق

بعد أقلّ بقليل من خمسة قرون، يأتي المشيح يتقدّمه يوحنا المعمدان.

٣ [١]هاءَنَذا مُرسِلٌ رَسولي فيُعِدُّ الطَّريقَ أَمامي، ويَأتي فَجأَةً إِلى هَيكَلِه السَّيِّدُ الَّذي تَلتَمِسونَه، ومَلاكُ العَهدِ الَّذي تَرتَضونَ به(٤). ها إِنَّه آتٍ، قالَ رَبُّ القُوَّات. [٢]فمَنِ الَّذي يَحتَمِلُ يَومَ مَجيئِه ومَنِ الَّذي يَقِفُ عِندَ ظُهورِه؟ فإِنَّه مِثلُ نارِ السَّبَّاك وكَمَسْحوقِ مُنَظِّفِ لِلثِّياب. [٣]فيَجلِسُ سابِكاً ومُنَقِّياً الفِضَّة، فيُنَقِّي بَني لاوي ويُمَحِّصُهم كالذَّهَبِ والفِضَّة، فيَكونونَ لِلرَّبِّ مُقَرِّبينَ بِالبِرّ، [٤]وتَكونُ تَقدِمَةُ يَهوذا وأُورَشَليمَ مَرضِيَّةً لِلرَّبّ، كما في الأَيَّامِ الماضِيَةِ والسِّنينَ القَديمة.

[١٣]لقدِ اشتَدَّت علَيَّ أَقْوالُكم، قالَ الرَّبّ. وتَقولون: بِمَ تَحادَثْنا علَيكَ؟ [١٤]إِنَّكم قُلتُم: عِبادَةُ اللهِ باطِلة، وما المَنفَعَةُ في حِفظِ أَوامِرِه وفي مَشيِنا بِالحِدادِ أَمامَ رَبِّ القُوَّات؟ [١٥]والآنَ فإِنَّنا نُهَنِّئُ المُتَكَبِّرين، فإِنَّ صانِعِي الشَّرِّ قد أَفلَحوا، جَرَّبوا اللهَ ونَجَوا. [١٦]حينَئِذٍ تَكَلَّمَ مُتَّقو الرَّبِّ الواحِدُ مع صاحِبِه، وأَصْغى الرَّبُّ وسَمِع: كُتِبَت مُذَكِّرَةٌ أَمامَه لِمُتَّقي الرَّبِّ والمُفَكِّرينَ بِاسمِه. [١٧]إِنَّهم سيَكونونَ خاصَّتي، قالَ رَبُّ القُوَّات، يَومَ أَعمَلُ وأُشفِقُ علَيهم، كما يُشفِقُ الإِنسانُ على ابنِه الَّذي يَخدُمُه. [١٨]فتَرجِعونَ وتُمَيِّزونَ البارَّ مِنَ الشِّرِّير، والَّذي يَعبُدُ اللهَ مِنَ الَّذي لا يَعبُده. [١٩]فإِنَّه هُوَذا يأتي اليَومُ المُضطَرِمُ كالتَّنُّور، فيَكونُ جَميعُ المُتَكَبِّرينَ وجَميعُ صانِعِي الشَّرِّ قَشًّا، فيُحرِقُهمُ اليَومُ الآتي، قالَ رَبُّ القُوَّات، حتَّى

(٤) يدور الكلام هنا، لا على السابق كما في البدء، بل على الله نفسه.

لا يُبقِيَ لَهم أَصلاً ولا غُصناً. ٢٠وتُشرِقُ لكم، أَيُّها المُتَّقونَ لِٱسْمي، شَمسُ البِرِّ، والشِّفاءُ في أَشِعَّتِها، فتَسرَحونَ.

٢٣هاءَنَذا أُرسِلُ إِلَيكم إِيلِيَّا[٥] النَّبِيَّ قَبلَ أَن يأتِيَ يَومُ الرَّبِّ العَظيمُ الرَّهيب، ٢٤فيَرُدُّ قُلوبَ الآباءِ إِلى البَنينَ وقُلوبَ البَنينَ إِلى آبائِهم، لِئَلَّا آتِيَ وأَضرِبَ الأَرضَ بِالتَّحْريم.

(٥) كان اليهود يعتقدون بأن ايليا الذي أُخذ الى السماء سيعود. وبه تشبّه خاتمة ملاخي رسول الرب.

سِفرُ يُونَان

المؤلِّف

يذكر سفر الملوك الثاني نبيًّا كان يعيش على عهد ياربعام الثاني (القرن السابع) وكان قد أنبأ بفتوحات ملك اسرائيل.

ومع ذلك وبالرغم من عنوان الكتاب الذي نحن في صدده، لا يمكن أن يكون يونان مؤلِّفه. فاللغة، وهي أحدث بكثير، تشير إلى مؤلِّف يرقى عهده إلى القرن الخامس.

فلا بدّ من الكلام على اسم مستعار، أي على نسبة خيالية الى شخص مشهور من أشخاص الماضي (هذا ما سيكون شأن أمثال سليمان ومزامير داود الخ).

الفن الأَدبي

ليس هو نبوءة، فإنه لا يحتوي على أي قول نبوي. وليس هو رواية تاريخية، مع اننا أمام رواية كثيرة الاستعارات.

ذلك بأن المؤلِّف كدَّس الأعاجيب في نحو خمسين آية، وهذا الأمر، وكذلك طبيعة الأحداث الموجَّهة نحو خوارق الأمور أكثر ممَّا هي موجَّهة نحو الأمور الفائقة الطبيعة، يمنع أن نرى فيها تاريخاً: فهناك وقوع القرعة على يونان ونَبْت الخِروعة في ليلة واحدة وابتلاع الحوت ليونان والمحافظة عليه حيًّا (ومغنِّياً) مدّة ثلاثة أيَّام وثلاث ليال...

ولا يحسن بنا أن نقول: «القصة صحيحة، اذ ان يسوع أشار اليها» (متى ١٢/ ٤١). فإن يسوع استشهد بقصة يونان لأن معاصريه كانوا يعرفونه. في هذا الأمر وفي أمور كثيرة غيره، كيّف يسوع أقواله مع الرأي العام.

وهناك، على كل حال، أمور نفسية بعيدة الاحتمال، كتوبة أهل نينوى الفورية.

فنحن هنا بالأحرى أمام كتاب تعليم، لأن التعليم يحتلّ فيه مكاناً هاماً.

التعليم

ما يلفت النظر لأول وهلة هو الطابع الشمولي الذي يتّسم به المؤلّف. فإن العناية الإلهية لا تقتصر على البشر (سكان نينوى هنا)، بل تشمل البهائم. وبذلك يُدعى اسرائيل الى عدم الانغلاق في انفراديته الدينية، والى تبشير الوثنيين. ويبدو يونان غريباً في استيائه أمام توبة أهل نينوى.

وهذه الشمولية تُضفي على الأقوال النبوية طابعاً لم يكن معروفاً. كان معظم الاسرائيليين العائدين من المنفى يعتقدون بأن الأقوال التي أُنذرت بها الأمم الوثنية كانت نهائية وكان لا بدّ أن تتمّ بكاملها. أمّا صاحب كتاب يونان فإنه يقول بأن جميع تلك الأقوال مشروطة، أي ان الله يوقف مفعول تهديداته حالَما يرى ظهور التوبة. وهذا تطبيق لما قاله الله على لسان حزقيال: «لا أريد موت الخاطئ، بل ان يرجع ويحيا». فالشعور الذي يسود هذا الكتاب هو عطف الله، حين يجد كائنات على أحسن استعداد: فالحيوانات نفسها مستعدّة للتوبة.

كان الروح القدس يضع، في صميم تلك الاقوال، بذراً سيزدهر في المسيح: «فكما ان يونان كان في بطن الحوت ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ، كذلك يكون ابن الانسان في بطن الارض ثلاثة أيّام وثلاث ليالٍ». فيونان هو صورة للمسيح. «سيقوم رجال نينوى يومَ الدينونة مع هذا الجيل ويحكمون عليه، لأنهم تابوا بإنذار يونان، وههنا أعظم من يونان». رسالة يونان هي صورة لرسالة المسيح (متى ١٢/٤٠ - ٤١).

١. يونان يرفض الذهاب إلى نينوى

١ [١]كانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إلى يونانَ بنِ أَمِتَّايَ قائِلاً: [٢]«قُمِ آنطَلِقْ إِلى نينَوى المَدينَةِ العَظيمة، ونادِ علَيها، فإِنَّ شَرَّها قد صَعِدَ إِلى أَمامي». [٣]فقامَ يونانُ لِيَهرُبَ إِلى تَرْشيشَ مِن وَجهِ الرَّبّ، فنَزَلَ إِلى يافا، فوَجَدَ سَفينَةً سائِرةً إِلى تَرْشيش(١). فدَفَعَ أُجرَتَها ونَزَلَ فيها لِيَذهَبَ مَعهم إِلى

(١) معادلة لأميركا، في زمن النهضة.

تَرْشيشَ مِن وَجهِ الرَّبّ. [٤]فألْقى الرَّبُّ ريحاً شَديدةً على البَحْر، فكانَت عاصِفَةٌ عَظيمةٌ في البَحْر، فأَشرَفَتِ السَّفينَةُ على الآنكِسار. [٥]فخافَ المَلّاحونَ وصَرَخوا كُلٌّ إِلى إِلهِه، وأَلقَوُا الأَمتِعَةَ الَّتي في السَّفينَةِ إِلى البَحرِ لِيُخَفِّفوا عَنهم. أَمَّا يونان، فكانَ قد نَزَلَ إِلى جَوفِ السَّفينةِ وآضَّجَعَ وآستَغرَقَ في النَّوم. [٦]فدَنا مِنه رَئيسُ البَحّارَةِ وقالَ لَه: «ما بالُكَ مُستَغرِقاً في النَّوم؟ قُمْ فآدعُ إِلى إِلهِكَ لَعَلَّ اللهَ يُفَكِّرُ فينا فلا نَهلِك». [٧]وقالَ بَعضُهم لِبَعْض: «هلُمُّوا نُلقِ قُرَعاً لِنَعلَمَ بِسَبَبِ مَن أَصابَنا هذا الشَّرّ». فأَلقَوا قُرَعاً، فوَقَعَتِ القُرعَةُ على يونان. [٨]فقالوا له: «أَخبِرْنا بِسَبَبِ مَن أَصابَنا هذا الشَّرّ. ما عَمَلُكَ ومِن أَينَ جِئتَ وما أَرضُكَ ومِن أَيِّ شَعبٍ أَنت»؟ [٩]فقالَ لَهم: «أَنا عِبْرانيّ، وإِنِّي أَتَّقي الرَّبّ، إِلهَ السَّموات، الَّذي صَنَعَ البَحرَ واليَبَس». [١٠]فخافَ الرِّجالُ خَوفاً شَديداً وقالوا لَه: «لِماذا صَنَعتَ ذلك؟» وقد عَلِموا أَنَّه هارِبٌ مِن وَجهِ الرَّبّ، لِأَنَّه أَخبَرَهم. [١١]وقالوا لَه: «ماذا نَصنَعُ بِكَ حتَّى يَسكُنَ البَحرُ عنَّا؟» وكانَ البَحرُ يَزْدادُ هِياجاً. [١٢]فقالَ لَهم: «خُذوني وأَلْقوني إِلى البَحرِ فيَسكُنَ البَحرُ عنكم، فإِنِّي عالِمٌ أَنَّ هذه العاصِفَةَ العظيمَةَ إِنَّما حَلَّت بِكم بِسَبَبي». [١٣]وكانَ الرِّجالُ يُجَذِّفونَ لِيَرجِعوا إِلى اليابِسَة، فلَم يَستَطيعوا لِأَنَّ البَحرَ كانَ يَزْدادُ هِياجاً علَيهم. [١٤]فدَعَوا إِلى الرَّبِّ وقالوا: «أَيُّها الرَّبّ، لا نَهلِكَنَّ بِسَبَبِ نَفْسِ هذا الرَّجُل، ولا تَجْعَلْ علَينا دَماً بَريئاً، فإِنَّكَ أَنتَ، أَيُّها الرَّبُّ، قد صَنَعتَ كما شِئتَ». [١٥]ثُمَّ أَخَذوا يونانَ وأَلقَوه إِلى البَحْر، فوَقَفَ البَحرُ عن هَيَجانِه. [١٦]فخافَ الرِّجالُ الرَّبَّ خَوفاً شَديداً، وذَبَحوا ذَبيحَةً لِلرَّبِّ ونَذَروا نُذوراً.

٢ [١]فأَعَدَّ الرَّبُّ حوتاً عَظيماً لِٱبتِلاعِ يونان. فكانَ يونانُ في جَوفِ الحوتِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وثَلاثَ لَيالٍ.

٢. وعظ يونان وتوبة نينوى

[١١]فأَمَرَ الرَّبُّ الحوتَ، فقَذَفَ يونانَ إِلى اليابِسَة[(٢)].

٣ [١]وكانَت كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلى يونانَ ثانِيَةً قائِلاً: [٢]«قُمِ ٱنطَلِقْ إِلى نينَوى المَدينةِ العَظيمة، ونادِ علَيها المُناداةَ الَّتي أُكَلِّمُكَ بِها». [٣]فقامَ يونانُ وٱنطَلَقَ إِلى نينَوى بِحَسَبِ كَلِمَةِ الرَّبّ، وكانَت نينَوى مَدينَةً عَظيمَةً جِدًّا، يَقتَضي ٱجتِيازُها ثَلاثَةَ أَيَّام[(٣)]. [٤]فدَخَلَ يونانُ أَوَّلاً إِلى المَدينَةِ مَسيرَةَ يَومٍ واحِد، ونادى وقال: «بَعدَ أَربَعينَ يَوماً تنقَلِبُ نينَوى». [٥]فآمَنَ أَهلُ نينَوى بِالله، ونادَوا بِصَومٍ ولَبِسوا مُسوحاً مِن كَبيرِهم إِلى صَغيرِهم. [٦]وبَلَغَ الخَبَرُ مَلِكَ نينَوى، فقامَ عن عَرشِه، وأَلْقى عنه رِداءَه والْتَفَّ بِمِسْحٍ وجَلَسَ على الرَّماد. [٧]وأَمَرَ أَن يُنادى ويُقالَ في نينَوى بِقَرارِ المَلِكِ وعُظَمائِه: «لا يَذُقْ بَشَرٌ ولا بَهيمةٌ ولا بَقَرٌ ولا غَنَمٌ شَيئاً، ولا تَرْعَ ولا تَشرَبْ ماءً، [٨]ولْيَلتَفَّ البَشَرُ والبَهائِمُ بِمُسوح، ولْيَدْعوا إِلى اللهِ بِشِدَّة، ولْيَرجِعْ كُلُّ واحِدٍ عن طَريقِه الشِّرِّيرِ وعنِ العُنفِ الَّذي بِأَيديهم، [٩]لَعَلَّ اللهَ يَرجِعُ ويَندَمُ ويَرجِعُ عنِ ٱضطِرامِ غَضَبِه، فلا نَهلِك». [١٠]فرَأَى اللهُ أَعْمالَهم

(٢) تتواصل الخوارق.

(٣) دُمِّرت نينوى قبل نحو قرنَين (٦١٢)، وأمست أثراً بعد عين. ولذلك يُنسب اليها محيط غير معقول.

وأَنَّهم رَجَعوا عن طَرِيقِهم الشِّرِّير. فنَدِمَ اللهُ على الشَّرِّ الَّذي قالَ إِنَّه يَصنَعُه بِهم[٤]، ولم يَصنَعْه.

٣. استياء يونان وجواب الله

٤ [١]فساءَ الأَمرُ يونانَ مَساءَةً شَديدَةً وغَضِب. [٢]وصَلَّى إِلى الرَّبِّ وقال: «أَيُّها الرَّبّ، أَلَم يَكُنْ هذا كَلامي وأَنا في أَرْضي؟ ولِذٰلك بادَرتُ إِلى الهَرَبِ إِلى تَرْشيش، فإِنِّي عَلِمتُ أَنَّكَ إِلهٌ رَؤُوفٌ رَحيمٌ طَويلُ الأَناةِ كَثيرُ الرَّحمَةِ ونادِمٌ على الشَّرّ. [٣]فالآن، أَيُّها الرَّبّ، خُذْ نَفْسي مِنِّي، فإِنَّه خَيرٌ لي أَن أَموتَ مِن أَن أَحْيا». [٤]فقالَ الرَّبّ: «أَبِحَقٍّ غَضَبُكَ؟» [٥]وخَرَجَ يونانُ مِنَ المَدينَةِ وجَلَسَ شَرقِيَّ المَدينَة، وصَنَعَ لَه هُناكَ كوخاً وجَلَسَ تَحتَه في الظِّلّ، رَيثَما يَرى ماذا يُصيبُ المَدينَة. [٦]فأَعَدَّ الرَّبُّ الإِلهُ خِروَعَةً فآرتَفَعَت فوقَ يونان، لِيَكونَ على رَأسِه ظِلٌّ فيُنقِذَه مِنَ الضَّرر، ففَرِحَ يونانُ بالخِروَعَةِ فَرَحاً عَظيماً. [٧]ثُمَّ أَعَدَّ اللهُ دودَةً عِندَ طُلوعِ الفَجرِ في الغَد، ولَسَعَتِ الخِروَعَةَ فيَبِسَت. [٨]فلَمَّا أَشرَقَتِ الشَّمسُ أَعَدَّ اللهُ ريحاً شَرقِيَّةً حارَّة، فضَرَبَتِ الشَّمسُ على رَأسِ يونان، فأُغمِيَ علَيه، فتَمَنَّى المَوتَ لِنَفسِه وقال: «خَيرٌ لي أَن أَموتَ مِن أَن أَحْيا». [٩]فقالَ اللهُ لِيونان: «أَبِحَقٍّ غَضَبُكَ بِسَبَبِ الخِروَعَة؟» فقال: «بِحَقٍّ غَضَبي حتَّى المَوت». [١٠]فقالَ الرَّبّ: «لَقَد أَشفَقتَ أَنتَ على الخِروَعَةِ الَّتي لم تَتعَبْ فيها ولم تُرَبِّها، والَّتي نَبَتَت بِنتَ لَيلَة، ثُمَّ هَلَكَت بِنتَ لَيلَة، [١١]أَفَلا أُشفِقُ أَنا على

(٤) ان عقوبات الله مشروطة.

نينَوى المَدينةِ العَظيمَةِ الَّتي فيها أَكثَرُ مِنِ اثنَتَي عَشرَةَ رِبْوَةً مِن أُناسٍ لا يَعرِفونَ يَمينَهم من شِمالِهم[٥]، ما عدا بَهائِمَ كَثيرة؟» .

(٥) الأولاد في سن الطفولة.

سِفرُ عوبَديا

هو نبي من أنبياء القرن الخامس ، لم ينظم إلَّا قصيدة قصيرة جداً . وهذه القصيدة تأتي على مستوَين : عقاب أدوم وانتصار الشعب الاسرائيلي . والرابط الذي يجمع بين هذين الموضوعَين هو ما نجده في عوبديا من روح قومية متطرّفة : فإن أدوم ، الذي استفاد من أحداث ٥٨٦، استوجب العقاب (وسيعاقَب في الواقع ، حين يقوم النبطيون باجتياح أرض أدوم في ٣١٢) ، فيفرح النبي بهذا الاحتمال . لا شك ان يوم الرب يستدعي عدل الله ، لكن الاحتمال هو بالاحرى احتمال مكافأة لإسرائيل . نشعر هنا وهنا بروح انتقام عند النبي .

١. عقاب نبي أدوم

١ ٥لَو أَنَّ السُّرَّاقَ أَتَوكَ أَوِ النَّاهِبينَ لَيلاً فيا لَدَمارِكَ !

أَما يَسرِقونَ ما يَكْفيهم ؟

لو أَنَّ القاطِفينَ أَتوكَ ، أَما كانوا أَبقَوا إِلَّا خُصاصَةً ؟

٦كَيفَ فُتِّشَ عيسو وفُحِصَت خَباياه ؟

٧جَميعُ مُحالِفيكَ طَرَدوكَ إِلى الحُدود

وخَدَعَكَ مُسالِموكَ وسَيطروا عَلَيكَ وأَكَلوا خُبزَكَ

جَعَلوا فَخًّا مِن تَحتِكَ . إِنَّه لا فَهْمَ فيه(١)

(١) كان بنو أدوم مشهورين بحكمتهم .

[٨]أَلَيسَ في ذلك اليَومِ(٢)، يَقولُ الرَّبّ
أَنِّي أُبيدُ الحُكَماءَ مِن أَدومَ والفَهمَ مِن جَبَلِ عيسو؟
[٩]فيَفزَعُ أَبْطالُكَ يا تَيمان لِكَي يَنقَرِضَ كُلُّ رَجُلٍ مِن جَبَلِ عيسو

٢. يوم الرب

[١٥]فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ قَريبٌ على جَميعِ الأُمَم
فكما فَعَلتَ يُفعَلُ بِكَ ويَعودُ آنتِقامُكَ على رأسِكَ.
[١٦]وكما شَرِبتُم(٣) على جَبَلِ قُدْسي تَشرَبُ جَميعُ الأُمَمِ كُلَّ حين
يَشرَبونَ ويَكتَظُّون ويَكونونَ كأَنَّهم لم يَكونوا.
[١٧]وفي جَبَلِ صِهْيونَ يَكونُ ناجون(٤) - ويَكونُ المَكانُ قُدساً -
ويَرِثُ بَيتُ يَعْقوبَ الَّذينَ وَرِثوهم.

(٢) ستَرافق يومَ الرب «دينونةُ» أدوم.
(٣) في كأس غضب الله.
(٤) عن «يوم الرب» و«البقية»، راجع المدخل الى عاموس.

سِفر يوئيل

المؤلّف

نعرف عنه أنه شارك في التجديد بعد العودة من المنفى . ويرجَّح أنه قام بخدمته النبوية حوالى ٤٠٠. هذا كل ما نعرفه .

المجموعة

لا نقصّر في الدقة ، ان رأينا في أقوال يوئيل إنباءً بـ«يوم الرب» المقبل ، يرمز اليه في الوقت الحاضر اجتياح الجراد . يحتوي القسم الأول من المجموعة على وصف تلك الآفة والدعوة الى التوبة ، ويحتوي القسم الثاني على وصف «يوم الرب» على الطريقة الرؤيوية .

التعليم

انه غزير ومتنوّع ، يمتاز على وجه خاص بما يختصّ بالروح القدس . ينبئ يوئيل لمستقبل غير محدَّد - يمكن أن نقول : للأزمنة المشيحية - بفيض روح النبوَّة على جميع أعضاء شعب الله . نذكر هذا الروح ، الذي قال فيه أشعيا ان المشيح يحصل عليه كاملاً ، في حين ان حزقيال أظهر هذا الروح نفسه يستولي على أعضاء العهد الجديد ويحوّلهم . وتمّت هنا خطوة أخرى : ذلك بأن الروح لن يُحصَرْ في بعض الناس المُعهد إليهم برسالة خاصة ، بل يشمل جميع أعضاء شعب الله الجديد ، الذين يكلَّفون برسالة من قِبَل المسيح ، علماً بأن عليهم أن يواصلوا عمله .

في الحقيقة ، رأى يوئيل ، بسبب روحه الانفرادية والقومية ، ان المستفيدين وحدهم من تلك الموهبة الخارقة هم بنو اسرائيل ، لأن الغرباء لن يحق لهم أن ينالوه ، اذ انهم لن يستطيعوا أن يأتوا إلى أورشليم التي ستصبح مَقدساً . والشعوب التي

أساءت إلى إسرائيل ستلقى عقاباً شديداً. نرى أنفسنا بعيدين عن ذلك الانفتاح الذي وجدناه في كتاب التعزية أو حتى في كتاب يونان. وهكذا نلاحظ مرّة أخرى أن الوحي لا يتقدَّم دائماً في خط صعودي، فإن الله يتّبع تعرُّجات الانسان.

وإذا كان «يوم الرب»، من حيث أنه تعبير لفظي، يذكّرنا بما ورد عند عاموس، فإنه يصوِّر لنا هنا بإنشاء رؤيوي أكثر تركيزاً. قال لنا عاموس إنه سيكون «يوم ظلام». أمَّا هنا فإن الصور، التي ستصبح تقليدية، هي مأخوذة من وصف الكوارث الكونية، من شمس تنكسف وقمر يدمي وكواكب تكفّ عن التلألؤ وأرض تزلزل.

١. الآفة

١. الجراد

١ [١]كَلِمَةُ الرَّبِّ الَّتي كانَت إِلى يوئيلَ بنِ فَتوئيل.

[٢]إِسمَعوا هذا أَيُّها الشُّيوخ وأَصْغوا يا جَميعَ سُكَّانِ الأَرْض:
هل حَدَثَ هذا في أَيَّامِكم أَو في أَيَّامِ آبائِكم؟
[٣]أَخبِروا بِه أَبْناءَكم ولْيُخبِرْ أَبْناؤُكم أَبْناءَهم وأَبْناؤُهُمُ الجيلَ الآتي.
[٤]فَضلَةُ القارِضِ أَكَلَها اللاَّحِس
وفَضلَةُ اللاَّحِسِ أَكَلَها القاضِم[(١)]
[١٣]تَحَزَّموا ونوحوا أَيُّها الكَهَنَة، وَلوِلوا يا خُدَّامَ المَذبَح
تَعالَوا فبيتوا بِالمُسوحِ يا خُدَّامَ إِلهي
لِأَنَّه قدِ آمتَنَعَ عن بَيتِ إِلهِكم التَّقدِمَةُ والسَّكيب.
[١٤]أَوصوا بِصَومٍ مُقَدَّس ونادوا بِآحتِفال
إِجمَعوا الشُّيوخَ وجَميعَ سُكَّانِ الأَرْضِ إِلى بَيتِ الرَّبِّ إِلهِكم

(١) القارض واللاحس والقاضم هي أنواع مختلفة من الجراد.

وآصرُخوا إِلى الرَّبّ .
[١٥]يا لَليَوم ! فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ قَريب فيَأتي كالدَّمارِ مِن عِندِ القَدير .

٢. دعوة إلى التوبة

٢ [١]أُنفُخوا في البوقِ في صِهْيون وآهتِفوا في جَبَلِ قُدْسي
ولْيَرتَعِدْ جَميعُ سُكَّانِ الأَرض ، فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ آتٍ وهو قَريب
[٢]يَومَ ظُلمَةٍ ودَيجور ، يَومَ غُيومٍ وغَمامٍ مُظلِم .
كما يَنتَشِرُ الفَجرُ على الجِبال ، شَعبٌ كَثيرٌ مُقتَدِر
لم يَكُنْ لَه شَبيهٌ مُنذُ الأَزَل
ولَن يَكونَ لَه مِن بَعدُ إِلى سِني جيلٍ وجيل .
[١٢]فالآنَ ، يَقولُ الرَّبّ :
«إِرجِعوا إِلَيَّ بِكُلِّ قُلوبِكم وبِالصَّومِ والبُكاءِ والِآنتِحاب» .
[١٣]مَزِّقوا قُلوبَكم لا ثِيابَكم ، وآرجِعوا إِلى الرَّبِّ إِلهِكم
فإِنَّه حَنونٌ رَحيمٌ طَويلُ الأَناةِ كَثيرُ الرَّحمَة ونادِمٌ على الشَّرّ .
[١٤]لَعَلَّه يَرجِعُ ويَندَم
ويُبْقي وَراءَه بَرَكَةً وتَقدِمَةً وسَكيباً لِلرَّبِّ إِلهِكم[٢]
[١٥]أُنفُخوا في البوقِ في صِهْيون
وأَوصوا بِصَومٍ مُقَدَّس ونادوا بِآحتِفال .
[١٦]إِجمَعوا الشَّعبَ وقَدِّسوا الجَماعَة وآجمَعوا الشُّيوخ

(٢) قد تكون البَرَكة إنتاجاً جديداً من القمح والعنب ، يمكّن من تقريب الحُزَم وسكيب الخمر .

وآجمَعوا الأطفالَ وراضِعي الأَثْداء
ولْيَخرُجِ العَريسُ مِن مُخدَعِه والعَروسُ مِن خِدرِها .
[١٧]بَينَ الرِّواقِ والمَذبَح لِيَبْكِ الكَهَنَةُ خُدَّامُ الرَّبّ
ولْيَقولوا : «أَشفِقْ يا ربُّ على شَعبِكَ
ولا تَجعَلْ ميراثَكَ عاراً فتَسخَرُ مِنهُمُ الأُمَم
لِماذا يُقالُ في الشُّعوبِ : أَينَ إِلٰهُهم» .
[١٨]لقَد غارَ الرَّبُّ على أَرضِه وأَشفَقَ على شَعبِه .

٢. يوم الرب

١. فيض روح النبوة

٣ [١]وسيَكونُ بَعدَ هٰذه أَنِّي أُفيضُ روحي على كُلِّ بَشَر(٣)
فيَتَنَبَّأُ بنوكم وبَناتُكم ويَحلُمُ شُيوخُكم أَحْلاماً
ويَرى شُبَّانُكم رُؤًى(٤)
[٢]وعلى العَبيدِ والإِماءِ أَيضاً أُفيضُ روحي في تِلكَ الأَيَّام
[٣]وأَجعَلُ الآياتِ في السَّماءِ وعلى الأَرضِ، دَماً وناراً وأَعمِدَةَ دُخان
[٤]فتَنقَلِبُ الشَّمسُ ظَلاماً والقَمَرُ دَماً
قَبلَ أَن يأتِيَ يَومُ الرَّبِّ العَظيمُ الرَّهيب(٥) .

(٣) كان روح الله يُنعش الأنبياء، لكنهم كانوا قلائل. فسيكون فيض الروح شاملاً في الزمن الذي يقصده يوئيل (حتى العبيد). استشهد القديس بطرس بهذا النصّ يومَ العنصرة.
(٤) كلمة نبي وحالِم وراءٍ مترادفة.
(٥) علامات كونية تصبح صوراً أدبية لوصف «يوم الرب».

٥ويَكونُ أَنَّ كُلَّ مَن يَدْعو بِآسمِ الرَّبِّ يَخلُص
لِأَنَّه في جَبَلِ صِهْيونَ وفي أُورَشَليمَ يَكونُ ناجون، كما قالَ الرَّبّ
وفي الباقينَ أَحْياءً مَن يَدْعوهُم الرَّبّ.

٢. دينونة الأُمَم

٤ ١فها أَنا في تِلكَ الأَيَّامِ وفي ذلكَ الزَّمان
حينَ أَرُدُّ أَسْرى يَهوذا وأُورَشَليم
٢أَجمَعُ جَميعَ الأُمَمِ وأُنزِلُهم إِلى وادي يوشافاط
وأُحاكِمُهم هُناك(٦) في شَأنِ شَعْبي وميراثي إِسْرائيل
الَّذي شَتَّتوه بَينَ الأُمَمِ وآقتَسَموا أَرْضي
٣وأَلقَوُا القُرعَةَ على شَعْبي وآستَبدَلوا بِالصَّبِيِّ الزَّانِيَة
وباعوا الصَّبِيَّةَ بِالخَمرِ وشَرِبوا
١٢لِتَنهَضِ الأُمَمُ وتَصعَدْ إِلى وادي يوشافاط
فإِنِّي هُناكَ أَجلِس لِأَدينَ جَميعَ الأُمَمِ مِن كُلِّ ناحِيَة.
١٣أَعمِلوا المِنجلَ فإِنَّ الحِصادَ قد بَلَغ
وهَلُمُّوا دوسوا فإِنَّ المَعصَرَةَ مَلأَى والدِّنانَ فائِضَة
لِأَنَّ شَرَّهم قد كَثُر.

(٦) يتضمّن «يوم الربّ» «محاكمة» للأمم الوثنية التي قاتلت اسرائيل وهذه المحاكمة، بسبب خلط بين الاصعدة الزمنية، تختلط، على ما يبدو، بعودة الأسرى. وفضلاً عن ذلك، تُجعل في وادي يوشافاط (يوشافاط = الرب يدين). وهذا الاسم أُطلق، في القرن الرابع ب. م.، على الوادي في جنوب هيكل أورشليم الى الشرق. ومن هنا كثرة القبور التي نراها في ذلك المكان، في احتمال الدينونة الأخيرة.

١٤في وادي القَرارِ جَماهيرُ جَماهير
فإِنَّ يَومَ الرَّبِّ قَريبٌ في وادي القَرار.

٣. يوم الرب وتجديد اسرائيل

١٥قد أَظلَمَتِ الشَّمسُ والقَمَر وسَحَبَتِ الكَواكِبُ ضِياءَها.
١٦يَزأَرُ الرَّبُّ مِن صِهْيون ويَجهَرُ بِصَوتِه مِن أُورَشَليم
فتَرتَجِفُ السَّمواتُ والأَرْض
ويَكونُ الرَّبُّ مُعتَصَماً لِشَعبِه وحِصْناً لِبَني إِسْرائيل.
١٧«فتَعلَمونَ أَنِّي أَنا الرَّبُّ إِلهُكم السَّاكِنُ في صِهْيونَ جَبَلِ قُدْسي
وتَكونُ أُورَشَليمُ قُدْساً ولا يَمُرُّ فيها الغُرَباءُ مِن بَعدُ»(٧).
١٨وفي ذلك اليَوم تَقطُرُ الجِبالُ نَبيذاً وتَفيضُ التِّلالُ لَبَناً
وجَميعُ مجاري يَهوذا تَفيضُ مِياهاً
ويَخرُجُ يَنْبوعٌ مِن بَيتِ الرَّبّ ويَسْقي وادي شِطِّيم.
١٩وتَكونُ مِصرُ خَراباً وأَدومُ قَفْرَ خَراب
لِأَنَّهم عَنَّفوا بَني يَهوذا وسَفَكوا الدَّمَ البَريءَ في أَرضِهم
٢٠فيَسكُنُ يَهوذا لِلأَبَد وأُورَشَليمُ مِن جيلٍ إِلى جيل.
٢١ولا أَتَغاضى عن دَمِهِم الَّذي تغاضَيتُ عنه
ويَسكُنُ الرَّبُّ في صِهْيون.

(٧) ان قداسة أورشليم لن تسمح بأن يصل اليها الغريب. نشعر هنا بتأثير حزقيال.

سِفر زكريّا الثاني (زك 9 - 14)

الكتاب

ما بين أقوال يوئيل والقسم الثاني من سِفر زكريا ، انقضى قرن ، وهو على جانب من الاهمية في تاريخ اسرائيل ، فقد أطاح الاسكندر الكبير بالمملكة الفارسية ، وبعد موته تمركز خلفاؤه مؤسِّسو السلالات اليونانية المقدونية . ومنذ القرن الثالث ، وقع اليهود تحت سيطرة اللاّجيين في مصر ، وسيبقون هكذا طوال مئة سنة ، ثم ينتقلون تحت سيطرة السلوقيين في آسية . لم يُسمع صوت الأنبياء في القرن الرابع (والحكماء أيضاً) . لا بل نتساءل هل لا تكون تلك الأقوال التي أُضيفت الى سِفر زكريا في أواخر القرن الرابع جَمعاً لمقاطع قديمة . وفي هذه الحال ، يكون صاحبها محرِّراً لا مؤلِّفاً ، ويكون انشاؤها مختارات تُعالَج فيها اقتباسات من هوشع وتثنية الاشتراع وحزقيال وأيوب .

التعليم

انه من النوع الأخيري خاصة . ففي معركة تتجمّع فيها قوّات الأمم الوثنية لتحارب اسرائيل ، ينصر الله شعبه ، فتحرَّر أورشليم وتجدَّد .

نعود فنجد الفكرة المشيحية ، لكن عباراتها تتّجه في اتّجاهات مختلفة . هنا نشاهد مجيء مشيح وديع متواضع ، يدخل المدينة المقدسة راكباً على حمار ، وهنا يرد ذكر نهوض بيت داود . وأخيراً ، يدور الكلام على العبد المتألِّم الذي سبق ذكره في كتاب التعزية ، ولكن تُطلق عليه تسمية «المطعون» الغامضة . وسيطبّق الانجيليون على شخص المسيح بعض تلك الملامح المشيحية .

١. المَشيح الوديع المتواضع

٩ [٩]اِبتَهِجي جِدًّا يا بنتَ صِهْيون وآهتِفي يا بِنتَ أُورَشَليم
هُوَذا مَلِكُكِ آتِياً إِلَيكِ بارًّا مُخَلِّصاً وَضيعاً
راكِباً على حِمارٍ وعلى جَحشٍ آبنِ أتان[(١)].
[١٠]وأَستَأصِلُ المَركَبَةَ مِن أَفْرائيم والخَيلَ مِن أُورَشَليم
وتُستَأصَلُ قَوسُ القِتال ويُكَلِّمُ الأُمَمَ بِالسَّلام
ويَكونُ سُلْطانُه مِنَ البَحرِ إِلى البَحْر ومِنَ النَّهرِ إِلى أَقاصي الأَرْض.

٢. الراعيان

ان الله، راعي اسرائيل، رفضه شعبه. ولذلك سيُقيم له راعياً شريراً، يقوم النبي بتقليده.

١١ [٤]هكذا قالَ الرَّبُّ إِلهي: «إِرعَ غَنَمَ القَتْلِ [٥]الَّتي يَقتُلُها مُشْتَروها ولا يُعاقَبون. وكُلُّ مَن يَبيعُها يَقول: تَبارَكَ الرَّبّ، فإِنِّي قدِ آغتَنَيتُ، ورُعاتُها لا يُشفِقونَ علَيها. [٦]فأَنا أَيضاً لا أُشفِقُ مِن بَعدُ على سُكَّانِ الأَرْض، يَقولُ الرَّبّ، بل هاءَنَذا أُسلِمُ البَشَرَ كُلَّ واحِدٍ إِلى يَدِ قَريبِه وإِلى يَدِ مَلِكِه، فيَسحَقونَ الأَرضَ ولا أُنقِذُ مِن أَيديهم». [٧]فرَعَيتُ غَنَمَ القَتْلِ الَّتي لِتُجَّارِ الغَنَم، وأَخَذتُ لي عَصَوَينِ آثنَتَين، فسَمَّيتُ الواحِدَةَ نِعمَة، وسَمَّيتُ الأُخرى حِبال، ورَعَيتُ الغَنَم، [٨]وأَبَدتُ الرُّعاةَ الثَّلاثَةَ في شَهرٍ واحِد. نَفَدَ صَبْري مِنْها، ونُفوسُها أَيضاً سَئِمَت مِنِّي. [٩]وقُلتُ: «إِنِّي لا أَرْعاكِ، فمَن يُريدُ المَوتَ فلْيَمُت، ومَن يُريدُ الهَلاكَ فلْيَهلِكْ، وأَمَّا البَقِيَّة

(١) راجع متى ٢١/٥.

فلْيَأكُلْ بَعضُها لحَمَ بَعْض» . ١٠وأَخَذتُ عَصايَ نِعمَةَ وحَطَّمتُها لِأَنقُضَ عَهْدِيَ الَّذي قَطَعتُه مع جَميعِ الشُّعوب . ١١فنُقِضَ في ذلكَ اليَوم ، وهكذا عَلِمَ تُجَّارُ الغَنَمِ المُراقِبونَ لي أَنَّها كَلِمَةُ الرَّبّ . ١٢وقُلتُ لَهم : «إن حَسُنَ في عُيونِكم ، فهاتوا أُجرَتي ، وإِلَّا فآمتَنِعوا» ، فوَزَنوا أُجرَتي ثَلاثينَ مِنَ الفِضَّة ، ١٣فقالَ لِيَ الرَّبّ : «أَلقِها إِلى السَّبَّاكِ ثَمَناً كَريماً ثَمَّنوني بِه» . فأَخَذتُ الثَّلاثينَ مِنَ الفِضَّة ، وأَلقَيتُها في بَيتِ الرَّبِّ إِلى السَّبَّاك . ١٤وحَطَّمتُ عَصايَ الأُخْرى حِبال ، لِأَنقُضَ الإِخاءَ بَينَ يَهوذا وإِسْرائيل[٢] .

١٥وقالَ لِيَ الرَّبّ : «عُدْ فخُذْ لَكَ أَدَواتِ راعٍ غَبِيّ ، ١٦فهاءَنَذا أُقيمُ راعِياً في الأَرضِ لا يَفتَقِدُ النَّعجَةَ المُختَفِيَة ولا يَطلُبُ المَفْقودةَ ولا يَجبُرُ المَكْسورةَ ولا يَعولُ القائم ، بل يأكُلُ لحَمَ السِّمانِ ويَنزِعُ أَظْلافَها .

١٧وَيلٌ لِلرَّاعي الباطِلِ الَّذي يُهمِلُ الغَنَم
لِيَكُنِ السَّيفُ على ذِراعِه وعلى عَينِه اليُمْنى
ولْتَيبَس ذِراعُه يُبساً ولْتَكِلَّ عَينُه اليُمْنى كَلالَةً» .

٣. المطعون

١٢ ٩ويَكونُ في ذلك اليَومِ أَنِّي أَطلُبُ إِبادَةَ جَميعِ الأُمَمِ الزَّاحِفَةِ على أُورَشَليم . ١٠وأُفيضُ على بَيتِ داوُدَ وعلى سُكَّانِ أُورَشَليمَ روحَ النِّعمَةِ

(٢) قد يكون في ذلك تلميح الى الانشقاق الذي تمّ في هيكل جرزيم (القرن الرابع) .

والتَّضَرُّعات، فيَنظُرونَ إِلَيَّ. أَمَّا الَّذي طَعَنوه(٣) فإِنَّهم يَنوحونَ علَيه كما يُناحُ على الوَحيد، ويَبْكونَ علَيه بُكاءً مُرًّا كما يُبْكى على البِكْر. ١١في ذلكَ اليَوم، يَشتَدُّ النَّوحُ في أُورَشَليمَ كنَوحِ هَدَدرِمُّونَ في سَهلِ مَجِدُّون.

٤. المحنة الأَخيرة قبل الخلاص النهائي

١٣ ٧أَيُّها السَّيفُ آستَيقِظْ على راعِيَّ وعلى قَريبي، يَقولُ رَبُّ القُوَّات

إِضرِبِ الرَّاعِيَ فتَتَبَدَّدَ الخِراف(٤) وأَنا أَرُدُّ يَدي على الصِّغار

٨ويَكونُ في كُلِّ أَرضٍ، يقول الرَّبّ

أَنَّ ثُلثَينِ مِنها يَنقَرِضانِ ويَهلِكان والثُّلثُ يُبْقى علَيه فيها

٩فأُدخِلُ هذا الثُّلثَ في النَّار وأَصهَرُه صَهرَ الفِضَّة

وأَمتَحِنُه آمتِحانَ الذَّهَب. هو يَدْعو بِآسمي وأَنا أَستَجيبُه

أَنا أَقولُ: هو شَعْبي، وهو يَقول: الرَّبُّ إِلهي.

٥. بهاء أورشليم الأَخيرة

١٤ ١ها إِنَّ يَوماً لِلرَّبِّ يأتي، وتُقَسَّمُ غَنيمَتُكِ في وَسَطِكِ ٢وأَجمَعُ كُلَّ الأُمَمِ على أُورَشَليمَ لِلقِتال، فتُؤخَذُ المَدينَةُ وتُنهَبُ بُيوتُهم وتوطَأُ نِساؤُهم، ويَخرُجُ نِصفُ المَدينَةِ إِلى الجَلاء، لكِن لا تَنقَرِضُ بَقِيَّةُ الشَّعبِ مِنَ المَدينة. ٣ويَخرُجُ الرَّبُّ ويُحارِبُ تِلكَ الأُمَم، كما يُحارِبُ في يَومِ القِتال. ٤وتَقِفُ قَدَماه في ذلك اليَومِ على جَبَلِ الزَّيتونِ الَّذي قُبالَةَ

(٣) يذكّرنا «المطعون» بالعبد المتألّم الذي ورد ذكره في كتاب التعزية. اذا نظر إليه الإنسان بإيمان، نال الخلاص (راجع حيّة النحاس في البرّيّة (عد ٢١/٨ ويو ٣/١٤).

(٤) راجع متى ٢٦/٣١.

أُورَشَليمَ إِلى الشَّرق ، فيَنشَقُّ جَبَلُ الزَّيتونِ مِن نِصفِه نَحوَ الشَّرْقِ ونَحوَ الغَرْبِ وادِياً عَظيماً جِدًّا ، ويَنفَصِلُ نِصفُ الجَبَلِ إِلى الجَبَلِ إِلى الشَّمالِ ونِصفُه إِلى الجَنوب . [٥]وتَهرُبونَ إِلى وادي جِبالي ، لِأَنَّ وادِيَ الجِبالِ يَنتَهي إِلى آصَل . تَهرُبونَ كما هَرَبتُم مِنَ الزِّلْزالِ في أَيَّامِ عُزِّيَّا ، مَلِكِ يَهوذا ، ويأتي الرَّبُّ إِلهي وجَميعُ القِدِّيسينَ معَه .

[٨]ويَكونُ في ذٰلك اليَومِ أَنَّ مِياهاً حَيَّةً تَخرُجُ مِن أُورَشَليم ، نِصفُها إِلى بَحرِ الشَّرْقِ ونِصْفُها إِلى بَحرِ الغَرْب ، وذلك صَيفاً وشِتاءً[٥] . [٩]ويَكونُ الرَّبُّ مَلِكاً على الأَرضِ كُلِّها ، وفي ذلك اليَوم ، يَكونُ رَبٌّ واحِدٌ وآسمُه واحِد[٦] . [١٠]وتَعودُ كُلُّ الأَرضِ سَهْلاً مِن جَبْعَ إِلى رِمُّونَ في جَنوبِ أُورَشَليم ، وتَرتَفِعُ أُورَشَليمُ وتُسكَنُ في مَكانِها من بابِ بَنْيامينَ إِلى مَكانِ البابِ الأَوَّلِ وإِلى بابِ الزَّوايا ، ومِن بُرجِ حَنَنْئيلَ إِلى مَعاصِرِ المَلِك ، [١١]ويَسكُنونَ فيها ، ولا يَكونُ تَحْريمٌ مِن بَعدُ ، فتُسكَنُ أُورَشَليمُ بِالأَمْن . [١٧]ويَكونُ أَنَّ جَميعَ الَّذينَ لا يَصعَدونَ مِن عَشائِرِ الأَرضِ إِلى أُورَشَليمَ لِيَسجُدوا لِلمَلِكِ، رَبِّ القُوَّات ، لا يَنزِلُ علَيهم مَطَر . [١٨]وعَشيرةُ مِصرَ، إِن كانَت لا تَصعَدُ ولا تأتي ، أَفلا تَنالُها الضَّربَةُ الَّتي يَضرِبُ بِها الرَّبُّ الأُمَمَ الَّتي لا تَصعَدُ لِتُعَيِّدَ عيدَ الأَكْواخ؟ [١٩]هٰذا يكونُ عِقابُ مِصرَ وعِقابُ جَميعِ الأُمَمِ الَّتي لا تَصعَدُ لِتُعَيِّدَ عيدَ الأَكْواخ .

[٢٠]في ذلك اليَوم ، يَكونُ على جَلاجِلِ الخَيلِ «قُدسٌ لِلرَّبّ» ، والقُدورُ في بَيتِ الرَّبِّ تَكونُ كالكُؤُوسِ أَمامَ المَذبَح . [٢١]بل كُلُّ قِدرٍ في أُورَشَليمَ

(٥) دليل على الخِصب .

(٦) ملك الله على الجميع .

وفي يَهوذا تَكونُ قُدساً لِرَبِّ القُوَّات . وجَميعُ الذَّابِحينَ يَأتونَ ويَأخُذونَ مِنها ويَطبُخونَ فيها ، ولا يَكونُ مِن بَعدُ تاجِرٌ في بَيتِ رَبِّ القُوَّاتِ في ذلك اليَوم .

قراءة لبني جيلنا

ما يكتشفه المسيحي في مجمل تلك المجموعات المتنوّعة هو نهاية مؤسَّسة من المؤسَّسات والاهتمام بحلول الأزمنة الجديدة .

ذلك بأن الحركة النبوية تميل إلى الزوال . أيًّا كانت أهمّية تلك المؤسَّسة ، لا يمكن ان تكون لها قيمة مطلقة وثابتة . فالحركة النبوية تزول لتترك المكان لتعليم الحكماء . أفلا يجب علينا ان نرى في ذلك دعوة الى عدم التعبّد لحقائق محترمة تخطّاها الزمن ؟

ان الاهتمام بحلول عالم جديد هو أيضاً في صميم قلوبنا . ولكن لا بدّ لنا ان نفهم ، في تعليم المسيح ، أنه علينا نحن أن نُعِدّ «يوم الرب» في حياة كل واحد منّا . فإن تحويل عالمنا الحاضر هو في أيدينا ، والسبل الى ذلك هي ، قبل كل شيء ، العدل والمحبة . ولكن لا نَنْسَ أن «الملكوت وصل إلينا» ، وأنه ينمو بحكم قوّته الذاتية ، وأنه سيبلغ ازدهاره التام ، عند اكتمال تدبير الله الخلاصي .

سِفر بَارُوك

ان سِفر باروك ، الذي يجهله «القانون» العبري ، عُدَّ في الزمن القديم ملحَقاً لسفر إرميا ، مع ان العناصر التي يتألَّف منها هي مختلفة كل الاختلاف : مزمور توبة ، مؤلَّف حِكمي ، خُطبة تعزية . هذا وان الترجمة اللاتينية الشائعة أضافت اليه «رسالة إرميا» .

مجمل الكتاب خليط الى حد بعيد . ولم يُسهم في وضعه لا باروك ولا إرميا ، اذ إن تأليفه قد تمَّ ما بين القرن الثالث والثاني ق . م .

فائدته قليلة ، فهو يُطلعنا على الحياة الدينية في الجماعات اليهودية المشتَّتة (الشعور بالخطيئة ، التعلّق بالشريعة) .

المقدّمة

يتصوَّر المحرِّر أن المجلوّين الذين ظلُّوا في بابل يُرسلون المال إلى أورشليم لإنفاقه على الذبائح والتقادم . والى الرسل يُسلِّم أيضاً «سِفر باروك» .

١ [١٤] أُتْلوا هذا الكِتابَ الَّذي أَرسَلْناه إِلَيكم لِيُنادى بِه في بَيتِ الرَّبِّ في يَومِ العيد وفي الأَيَّامِ المُناسِبة[(١)] .

(١) المقصود هو المحافل التي كانت تُعقد في اليوم الأول واليوم الثامن من عيد الاكواخ .

١. مزمور توبة (٢٠٠)

مؤلَّف من الاعتراف بخطيئة اسرائيل ومن رجاء التحرُّر.

[١٥]لِلرَّبِّ إِلهِنا البِرُّ، ولَنا خِزْيُ الوُجوه، كما في هذا اليَوم، لِبَني يَهوذا ولِسُكَّانِ أُورَشَليم، [١٦]ولِمُلوكِنا ورُؤَسائِنا وكَهَنَتِنا وأَنبيائِنا وآبائِنا، [١٧]لِأَنَّنا خَطِئْنا إِلى الرَّبّ [١٨]وعَصَيناه ولم نَسمَعْ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِنا لِنَسيرَ على أَوامِرِ الرَّبِّ الَّتي جَعَلَها نُصْبَ عُيونِنا. [١٩]مِن يَومِ أَخرَجَ الرَّبُّ آباءَنا مِن أَرضِ مِصرَ إِلى هذا اليَوم، ما زِلْنا نُعاصي الرَّبَّ إِلهَنا ونَتَمَرَّد، فلا نَستَمِعُ لِصَوتِه. [٢٠]فلَحِقَت بِنا الشُّرورُ واللَّعنَةُ الَّتي أَمَرَ الرَّبُّ موسى عَبدَه بِها، يَومَ أَخرَجَ آباءَنا مِن أَرضِ مِصْر، لِيُعطِيَنا أَرضاً تَدُرُّ لَبَناً حَليباً وعَسَلاً، كما في هذا اليَوم. [٢١]فلَم نَستَمِعْ لِصَوتِ الرَّبِّ إِلهِنا، بِحَسَبِ جَميعِ كَلامِ الأَنبِياءِ الَّذينَ أَرسَلَهم إِلَينا. [٢٢]ومَضَينا كُلُّ واحِدٍ على عَزْمِ قَلبِه الشِّرِّير، عامِلينَ لِآلِهَةٍ أُخَر، صانِعينَ الشَّرَّ أَمامَ عَينَيِ الرَّبِّ إِلهِنا.

٢ [١]فأَتَمَّ الرَّبُّ كَلامَه الَّذي تَكَلَّمَ بِه علَينا وعلى قُضاتِنا الَّذينَ حَكَموا إِسْرائيل، وعلى مُلوكِنا ورُؤَسائِنا وعلى بَني إِسْرائيلَ ويَهوذا.

٢. قصيدة حِكَمية (٢٠٠)

حلّ العِقاب لأن اسرائيل ترك حكمة الله. يحسن بنا الانتقال إلى سِفر أيوب (الفصل ٢٨)، فإن المؤلّف اتّخذه نموذجاً، على ما يبدو.

٣ [٩]إِسمَعْ، يا إِسْرائيلُ، وَصايا الحَياة، أَصْغوا لِتَتَعَلَّموا الفِطنَة.

[١٠]لِماذا، يا إِسرائيل، لِماذا أَنتَ في أَرضِ الأَعْداء

[١١]تَشيخُ في أَرضِ الغُربَة وتَتَنَجَّسُ مع الأَمْوات

وتُحسَبُ مع الَّذينَ هم في مَثْوى الأَمْوات؟
[١٢]لقد تَرَكتَ يَنبوعَ الحِكمَة.
[١٣]ولو أنَّكَ سَلكتَ طَريقَ الله لَسَكَنتَ في السَّلامِ لِلأَبَد.
[١٤]تَعَلَّمْ أَينَ الفِطنَةُ وأَينَ القُوَّةُ وأَينَ الذَّكاء
لِكَي تَعلَمَ أَيضاً أَينَ طولُ الأَيَّامِ والحَياة
وأَينَ نُورُ العُيونِ والسَّلام.
[١٥]مَن وَجَدَ مَوضِعَ الحِكمَة ومَن دَخَلَ إِلى كُنوزِها؟
[٢٩]مَن صَعِدَ إِلى السَّماءِ فأَمسَكَها ونَزَلَ بِها مِنَ الغُيوم؟
[٣٠]مَن عَبَرَ البَحرَ فوَجَدَها وحَصَلَ عَلَيها بِالذَّهَبِ الإِبْريز؟
[٣١]لَيسَ أَحَدٌ يَعرِفُ طَريقَها ويَرغَبُ في سَبيلِها.
[٣٢]لكِنَّ العالِمَ بِكُلِّ شَيءٍ يَعلَمُها وبعَقلِه وَجَدَها
وهو الَّذي جَهَّزَ الأَرضَ لِلأَبَد ومَلأَها حَيَواناتٍ مِن ذَواتِ الأَربَع
[٣٣]والَّذي يُرسِلُ النُّورَ فيَذهَب دَعاه فأَطاعَه مُرتَعِداً.
[٣٤]إِنَّ النُّجومَ أَشرَقَت في مَحارِسِها وتَهَلَّلَت.
[٣٥]دَعاها فقالَت: «هاءَنَذا» وأَشرَقَت مُتَهَلِّلَةً لِلَّذي صَنَعَها.
[٣٦]هٰذا هو إِلهُنا، ولا يُحسَبُ غَيرُه تُجاهَه.
[٣٧]إِهتَدى إِلى كُلِّ طَريقٍ لِلمَعرِفَة
وجَعَلَه لِيَعْقوبَ عَبدِه وإِسْرائيلَ حَبيبِه.
[٣٨]وبَعدَ ذلك رُئِيَت على الأَرض وعاشَت بَينَ البَشَر.

٤ [١]هي كِتابُ أَوامِرِ الله والشَّريعةُ القائِمَةُ لِلأَبَد.

كُلُّ مَن تَمَسَّكَ بِها فلَه الحَياة والَّذينَ يُهمِلونَها يَموتون .
[٢]تُبْ يا يَعْقوبُ وأَمسِكْها وسِرْ إِلى الضِّياءِ لِمُلاقاةِ نورِها .
[٣]لا تُعْطِ مجدَكَ لِآخَر وآمتِيازاتِكَ لِأُمَّةٍ غَريبة .
[٤]طوبى لَنا يا إِسْرائيل لِأَنَّ ما يُرضي اللهَ مَعروفٌ لَدَينا .

٣. خطبة تعزية (١٨٠)

ان الله ضرب أورشليم ، ولكن الى حين فقط . فسيعود أبناؤها ذات يوم في خروج جديد يبعث على الابتهاج . ويكون في ذلك اليوم سلام وعدل للشعب الاسرائيلي ومجد لله الأزلي .

[٥]تَشَجَّعْ يا شَعْبي ، يا ذِكْرى إِسْرائيل
[٦]لم تُباعوا لِلأُمَمِ لِهَلاكِكم
ولكِن لِأَنَّكُم أَسخَطتُمُ الله أُسلِمتُم إِلى أَعْدائِكم .
[٧]فإِنَّكم أَغضَبتُم صانِعَكم بِذَبحِكم لِلشَّياطينِ لا للهِ .
[٨]ونَسيتُمُ الإِلهَ الأَزَلِيَّ الَّذي يَرزُقُكم وأَحزَنتُم أُورَشَليمَ الَّتي رَبَّتكُم .
[٩]إِنَّها رَأَتِ الغَضَبَ الَّذي حَلَّ بِكم مِن قِبَلِ الله
فقالَت : «إِسمَعْنَ يا جاراتِ صِهْيون
إِنَ اللهَ قد جَلَبَ علَيَّ حُزْناً عَظيماً
[١٠]لِأَنِّي رأَيتُ جَلاءَ بَنِيَّ وبَناتي الَّذي جَلَبَه علَيهِمِ الأَزَلِيّ .
[١١]إِنِّي رَبَّيتُهم بِفَرَح ولكِنِّي وَدَّعتُهم بِحُزنٍ وبُكاء .
[١٢]لا يَشمَتَنَّ أَحَدٌ بي أَنا الأَرمَلَةَ الَّتي هَجَرَها كَثيرون .
لقَد أَقفَرتُ بِسَبَبِ خَطايا بَنِيَّ لِأَنَّهم حادوا عن شَريعَةِ الله
[٢٧]تَشَجَّعوا يا بَنِيَّ وآستَغيثوا بِالله

فإِنَّ الَّذي جَلَبَ علَيكم هذه سَيتَذَكَّرُكم .
[٢٨]وكما قَصَدتُم أَن تَشرُدوا عنِ الله
فإِذا رَجَعتُم إِلَيه تَزْدادونَ آلتِماساً لَه عَشرَةَ أَضْعاف
[٢٩]فإِنَّ الَّذي جَلَبَ علَيكم هذه الشُّرور
يَجلُبُ لكمُ الِآبتِهاجَ الأَبَدِيَّ مع خَلاصِكم .

٥ [١]إِخْلَعي يا أُورَشَليمُ ثَوبَ الحُزْنِ والشَّقاء
وآلبَسي لِلأَبَدِ بَهاءَ المَجدِ الَّذي مِن عِندِ الله .
[٢]تَسَربَلي بِرِداءِ البِرِّ الَّذي مِن عِندِ الله
وآجعَلي على رَأسِكِ تاجَ مَجدِ الأَزلِيّ .
[٣]فإِنَّ اللهَ سيُظهِرُ سَناكِ لِكُلِّ ما تَحتَ السَّماء
[٤]ويَكونُ آسمُكِ مِن قِبَلِ اللهِ لِلأَبَد «سَلامَ البِرِّ ومَجدَ التَّقْوى»
[٥]إِنهَضي يا أُورَشَليمُ وقِفي في الأَعالي
وتَطَلَّعي مِن حَولِكِ نَحوَ المَشرِق وآنظُري أَبْناءَكِ
مُجتَمِعينَ مِن مَغرِبِ الشَّمسِ إِلى مَشرِقِها بِكَلِمَةِ القُدُّوس
ومُبتَهِجينَ بِذِكْرِ الله .
[٦]غادَروكِ راجِلينَ، تَسوقُهمُ الأَعْداء
لٰكِنَّ اللهَ يُعيدُهم إِلَيكِ مَحْمولينَ بِمَجدٍ كَعَرْشٍ مَلَكِيّ
[٧]لِأَنَّ الرَّبَّ قد عَزَمَ أَن يُخفَضَ كُلُّ جبَلٍ عالٍ والتِّلالُ الخالِدَة
وأَن تُردَمَ الأَودِيَةُ لِتَمْهيدِ الأَرض(٢)

(٢) راجع كتاب التعزية (اش ٤٠/٤).

لِيَسيرَ إِسْرائيلُ بأَمانٍ في مَجدِ الله .
[٨]وبأَمرِ اللهِ أَيضاً ظَلَّلَتِ الغابات
وكُلُّ شَجَرٍ طَيِّبِ الرَّائِحَةِ على إِسْرائيل
[٩]لِأَنَّ اللهَ سَيَهْدي إِسْرائيلَ بِسُرورٍ في نورِ مَجدِه
بالرَّحمَةِ والبِرِّ اللَّذَينِ مِن عِندِه .

٤. رسالة إرميا إلى المجلوِّين (٣٠٠)

هجاء الأوثان مع التشديد على عجزهم . أمام التجديد الذي أضفاه الاسكندر على العبادات البابلية ، يقوم المؤلِّف بحثّ اليهود الذين ظلُّوا في بابل على الاخلاص للإله الحق .

نُسخَةُ الرِّسالَةِ الَّتي أَرسَلَ بِها إِرْمِيا إِلى الَّذينَ أَوشَكَ مَلِكُ بابِلَ أَن يَسوقَهم أَسْرى إِلى بابِل ، يَخبِرُهم بِما أَمَرَه اللهُ بِه :

٦ [١]إِنَّه بِسَبَبِ الخَطايا الَّتي خَطِئتُم بِها إِلى اللهِ يَسوقُكم نبوكَدْنَصَّر ، مَلِكُ بابِل ، أَسْرى إِلى بابِل . [٢]فإِذا دَخَلتُم بابِل ، فستَكونونَ هُناكَ سِنينَ كَثيرةً وزَماناً طَويلاً ، إِلى سَبعَةِ أَجْيال ، وبَعدَ ذٰلك أُخرِجُكم مِن هُناكَ بِسَلام . [٣]ستَرَونَ بَعدَ الآنَ في بابِلَ آلِهَةً مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ والخَشَب ، تُحمَلُ على الأَكْتافِ[٣] وتُلْقي الرَّهبَةَ على الأُمَم . [٤]فآحذَروا أَن تَتَشَبَّهوا بِالغُرَباء وتأخُذَكم مِنها رَهبَةٌ [٥]إِذا رَأَيتُمُ الجُموعَ أَمامَها ووَراءَها يَسجُدونَ لَها ، بل قولوا في قُلوبِكم : «لَكَ ، يا سَيِّد ، يَنبَغي السُّجود» . [٦]فإِنَّ مَلاكي معَكم وهو يُعْنى بِنُفوسِكم .

[٧]إِنَّ تِلكَ الآلِهَةَ لَها أَلسِنَةٌ نَحتَها صانِع ، وهي مُلَبَّسَةٌ بِالذَّهَبِ

(٣) في تطواف .

والفِضَّة ، لكِنَّها كاذِبَةٌ لا تَستَطيعُ الكَلام . [٨]يأخُذُ النَّاسُ لَها ذَهَباً ، كما يُؤخَذُ لِعَذْراءَ تُحِبُّ الزِّينة ، ويَصوغونَ أَكاليلَ يَجعَلونَها على رُؤُوسِ آلِهَتِهم . [٩]ورُبَّما سَرَقَ الكَهَنَةُ الذَّهَبَ والفِضَّةَ مِن آلِهَتِهم وأَنفَقوهما على أَنفُسِهم ، وقد يُعطونَ مِنهما لِلزَّواني اللَّواتي على السَّطْح . [١٠]ويُزَيِّنونَ الآلِهَةَ بِالمَلابِسِ كالبَشَر ، وهي مِنَ الفِضَّةِ والذَّهَبِ والخَشَب ، ولكِنَّها لا تَسلَمُ مِنَ الصَّدَإِ والدُّود . [١١]وإذا أَلبَسوها الأُرجُوان ، مَسَحوا وُجوهَها مِن غُبارِ الهَيكَلِ المُتَراكِمِ علَيها . [١٢]ومِنها مَن في يَدِه صَولَجانٌ كالحاكِمِ على مِنطَقة ، ولكِنَّه لا يَستَطيعُ أَن يُهلِكَ مَن يُسيءُ إِلَيه . [١٣]ومِنها مَن في يَمينِه سَيفٌ وفأس ، ولكِنَّه لا يَحْمي نَفْسَه مِنَ الحَرْبِ واللُّصوص . [١٤]ومِن ذٰلك يُعرَفُ أَنَّها لَيسَت بآلِهَة ، فلا تَخافوها .

[١٩]مَثَلُ آلِهَتِهم المَصنوعَةِ مِنَ الخَشَبِ والمُلَبَّسَةِ بِالذَّهَبِ والفِضَّةِ مَثَلُ فَزَّاعةٍ في أَرضِ قُثَّاء لا تَحرُسُ شَيئاً . [٧٠]ومَثَلُ آلِهَتِهم المَصْنوعةِ مِنَ الخَشَبِ والمُلَبَّسَةِ بِالذَّهَبِ والفِضَّةِ مَثَلُ دَغْلٍ شَوكِيٍّ في بُسْتانٍ يَقَعُ علَيه كُلُّ طَير ، أَو مَثَلُ مَيتٍ مَطْروحٍ في الظُّلمَة . [٧١]ومِنَ الأُرجُوانِ والكَتَّانِ اللَّذَينِ يأكُلُهما العُثُّ علَيها ، تَعلَمونَ أَنَّها لَيسَت بِآلِهَة . وفي آخِرِ الأَمْرِ تُؤكَلُ هذه وتَصيرُ عاراً في النَّاحِية . [٧٢]إِنَّ الرَّجُلَ البارَّ الَّذي لا صَنَمَ لَه أَفضَل ، لِأَنَّه بَعيدٌ عنِ العار(٤) .

(٤) قارن بين هجاء الأوثان هذا وما ورد في كتاب التعزية .

أَسْفَارُ الحِكْمَةِ

سِفرُ المَزامير

مدخل عام الى المزامير

عدد المزامير ١٥٠، وهي تشكّل صلاة الشعب المختار الطقسية. تكوَّنت هذه المجموعة شيئاً فشيئاً على مرّ القرون، وهي تظهر اليوم، على وجه لا يخلو من التصنّع، بمظهر خمسة كتب.

مَن هو مؤلّفها؟ من المستحيل أن نعرف مَن هو بالضبط. كان داود أول مَن ابتكر هذا الفن، ولذلك تُنسب إليه كثير من المزامير في مطلعها. لكن الحقيقة على غير ذلك. وهناك مجموعات وُضعت تحت رعاية رجال مشهورين، كأئمّة الغناء آساف وهيمان وأيتان. وهناك أخيراً بعض المزامير التي وضعها تلاميذ تأثّروا بإرميا النبي.

كان عدد كبير من المزامير مؤلّفات فردية تبنّتها الجماعة بعد ذلك، وهناك مزامير أخرى وُضعت مباشرةً للاستعمال الطقسي، علماً بأن الجماعة كانت تعدّ نفسها مالكة تلك القطع الطقسية. فمن خلال هذه القطع تمرّ صلاتها، بما فيها من هموم الساعة. فإن تغيّرت هذه الهموم، لم تتردّد الجماعة في إضافة بعض البيوت الى القصيدة السابقة. فهي وحدها تمارس حقوق المؤلّف، ويبقى واضع المزمور مجهول الهوية.

وهذه المزامير المئة والخمسون تشكّل المجموعة التي احتفظ بها الكتاب المقدس. لكن هناك مزامير أخرى كثيرة يُعرف بعضها، كـ«مزامير سليمان» أو «أناشيد قمران»، لم يُعترَف بأنها قطع ملهمة، وهناك أيضاً مزامير أخرى لم يُعثر عليها إلى اليوم.

ما يُثير إعجاب المسيحي، لا بل كل إنسان متديّن في الحقيقة، هو ان يكتشف هنا أفراحه وآلامه، وان يسمع ما أطلقه في أحد أيامه من نداءات إلى الثقة أو صرخات

في الشدّة، وان يرى نفسه أمام الله الخالق والمخلّص، والحنون والرحيم، والمنحني بالأفضلية على الفقراء والبؤساء.

ذلك بأن صاحب المزامير لم يكن رجلاً تافه التقوى. فحتى ان تكلّم على الخليقة، لا يتكلّم على طريقة الشاعر الرومنطيقي، بل يتكلّم كإسرائيلي متشرِّب من تعليم الأنبياء.

وهذا ما يدلّ في الوقت نفسه على اتّساع وحي المزامير وحدوده. يظهر فيها الله دائماً بمظهر الإله الأوحد وإله سيناء والرب الذي سيملك يوماً على جميع الأمم وعلى الطبيعة نفسها. وقد نراه، من جهة أخرى، في هيئة إله محارب ومنتقم. لم يكن الاسرائيلي إنساناً كاملاً، بل كان يظنّ انه ينتمي الى «حزب» الأبرار الذي يأخذ على عاتقه ان يدافع عن مصالح الله ضدّ حزب الخاطئين. فضلاً عن ذلك، لا تزال هناك المشكلة المعروفة، مشكلة المكافأة المحصورة في هذه الدنيا. فكانت سعادة الأشرار حجر عثرة، فلا عجب ان ترتدي أحياناً الدعوة الى تدمير الخاطئين طابعاً عنيفاً.

ولكن هناك غير ذلك أيضاً من حسن الحظ: فمن مشاعر ثقة تظهر حتى في صميم المحنة، إلى أشواق حب الله يعبَّر عنها بعبارات يستطيع المسيحي الورِع ان يتبنَّاها.

يبقى لنا ان نتساءل لماذا تعرض الكنيسة على المسيحيين صلاة المزامير التي هي في أصلها صلاة يهودية. الجواب ان المزامير تحمل لنا وحياً وكلمة من عند الله. والحال ان هذه الكلمة ليست جامدة، بل حية للأبد، فهي تدرك مسيحي اليوم كما أدركت يهودي الأمس. لا شك ان الكاتب ابن زمانه، وان تلك اللعنات التي يتلفّظ بها تدل على ان تعليم المسيح لم يصل إليه. لكن الروح القدس وضع تحت الكلام البشري بذراً سينمو كلَّما تعاقبت الأجيال التي ستتلو ذلك المزمور. فالذي كان يعود الى الجماعة اليهودية لن يدرك كماله إلاَّ في زمن كنيسة المسيح، كما ان بعض المزامير الملَكية (المزمور ٢ مثلاً) لن تدرك كمالها إلاَّ في يسوع، الملك المشيح.

ومن هنا يتّضح كيف يستطيع المسيحي ان يستعمل هذه المزامير. فبعد ان يطّلع على معناها الأصلي، يتساءل كيف تلاها المسيح، وكيف تقرأها الكنيسة في ضوء تقدّم الوحي. بمعزل عن هذه القراءة الكنسية، لا بل على سبيل التكملة، ما من شيء يمنع المسيحي من التعبير عن نفسه وراء نبرات صاحب المزامير القديم. وهناك أفضل من ذلك. فيومَ تحول استعداداته الباطنية (من ألم وخور عزيمة ومشقّة في الصلاة) دون

أي تعبير شخصي، يمكنه ان يكتفي بالاعراب اللفظي عن كلمات المزمور، تاركاً للكنيسة ان ترفع الى الرب ما تحتويه تلك الكلمات من صلاة حقيقية.

يحسن بنا ان نضيف ان المزامير كانت تُتلى عادةً بمسايرة موسيقية. والى جانب ذلك، كان ايقاع القصيدة أو الموسيقى يرافَق بتصفيق اليدين أو الرجلين، وبترنّح الجسم. كان الأداء لا يساعد على التخشّع، لكنه كان يستولي على الكيان كله ويقذفه نحو الله.

بقي لنا أن نعرض بعض معلومات عن المزامير، تجدها أدناه. بعد ان تردّدنا طويلاً، اخترنا ٦٠ مزموراً من أصل ١٥٠، تتمثّل فيها جميع أُسَر المزامير.

مزامير للحجّ
مزامير تاريخية
مزامير ثقة
مزامير ألفة بالله
مزامير حمد
مزامير لمقاومة خور العزيمة
مزامير للألم
مزامير تسبيح
مزامير استغاثة
مزامير توبة
مزامير في الخليقة
مزامير الملك
مزامير مشيحية
مزامير حكمة أو تعليم
مزامير لعنة

وكذلك لم يُحتفَظ بكامل بعض المزامير، على سبيل الايجاز والتوضيح. وتُرجم اسم يهوَه بـ«الربّ»، كما كانوا يترجمونه في زمن المسيح. أمّا ترقيم المزامير فقد اعتمدنا الترقيم العبري وهو لا يطابق تماماً ترقيم النص اليوناني. فهناك مزمور واحد في النص العبري يُقسم إلى مزمورين، وهذا يتكرّر مرتين (١١٦ و١٤٧). وعلى عكس ذلك، مرتين يُدمج مزموران من المجموعة العبرية في مزمور واحد من الترجمة اليونانية (٩ و١٠ و١٣٣ و١١٤).

١. مزامير حجّ

يجب علينا ان نتصوَّر الحجَّاج ينطلقون من جميع جهات الأرض المقدسة ويتَّجهون الى أورشليم. كان يسوع واحداً منهم. فتغنَّى معهم بفرح الذهاب الى الهيكل، وسمع رفاق طريقه يسألون الله الغفران عن الخطايا التي من أجلها سيُعلَّق على الصليب.

٨٤. رجاء الحاج

«طوبى لسكّان بيتك»

مزمور يرقى عهده الى زمن النظام الملكي. وهو في الوقت نفسه قصيدة طقسية وفعل ايمان بحضور الله في وسط شعبه.

٢ ما أَحبَّ مساكِنَكَ يا رَبَّ القُوَّات
٣ تَشْتاقُ وتَذوبُ نَفْسي إِلى دِيارِ[١] الرَّبّ
ويُهَلِّلُ قَلْبي وجِسْمي لِلإِلهِ الحَيّ.
٤ العُصْفورُ وَجَدَ له مَأوى واليَمامَةُ عُشًّا
تَضَعُ فيه أَفْراخَها عِندَ مَذابِحِكَ
يا رَبَّ القُوَّات، مَلِكي وإِلهي.
٥ طوبى لِسُكَّانِ بَيتِكَ فإِنَّهم لا يَكُفُّونَ عن تَسْبيحِكَ. سِلاه
٦ طوبى لِلَّذينَ بِكَ عِزَّتُهم ففي قُلوبِهم مَراقٍ إِلَيكَ.
٧ إِذا مَرُّوا[٢] بِوادي البَلَسان جَعَلوا مِنه يَنابيع
وباكورَةُ الأَمطارِ تَغمُرُهم بِالبَرَكات.
٨ مِن ذُروَةٍ إِلى ذُروَةٍ يَسيرون حتَّى يَتَجَلَّى اللهُ لَهم في صِهْيون.

(١) أفنية هيكل أورشليم.
(٢) يعود الضمير الى الناس المذكورين في الآيتين ٥-٦.

٩أيُّها الرَّبُّ إلهُ القُوّات اِستَمِعْ صَلاتي وأَصْغِ يا إلهَ يَعْقوب . سِلاه
١٠أَللَّهُمَّ يا تُرسَنا آنظُرْ وإلى وَجهِ مَسيحِكَ[٣] تَطَلَّعْ.
١١إنَّ يوماً في دِيارِكَ خَيرٌ من أَلْفِ كما أَشاء
والوُقوفَ في عَتَبَةِ بَيتِ إلهي
خَيرٌ مِنَ السُّكْنى في خِيامِ[٤] الأَشْرار .
١٢الرَّبُّ الإلهُ سورٌ وتُرْسٌ يَهَبُ النِّعمَةَ والمَجْد
لا يَمنَعُ الخيرَ عنِ السَّائرينَ في الكَمال .
١٣طوبى للإنسانِ المُتَّكِلِ علَيكَ يا رَبَّ القُوّات .

١٢٢. فرح الحاجّ

«لنذهب إلى بيت الرب»

كان الاسرائيلي يذهب إلى أورشليم خضوعاً لأحكام سفر تثنية الاشتراع، التي كانت تفرض ثلاثة حِجَج في السنة، بمناسبة أعياد الفصح والعنصرة والأكواخ. وكانوا يأتون أيضاً إلى المدينة المقدسة للاحتكام الى الملك. فهناك كان خليفة داود يجري الحكم.

١فَرِحتُ حينَ قيلَ لي : «لِنَذهَبْ إلى بَيتِ الرَّبّ» .
٢تَوَقَّفَت أَقْدامُنا في أَبْوابِكِ يا أُورَشَليم .
٣أُورَشَليمُ المَبنِيَّةُ كَمدينةٍ في وَحدَةٍ مُتَماسِكة .
٤إلى هُناكَ صَعِدَتِ الأَسْباطُ أَسْباطُ الرَّبّ
عَمَلاً بِسُنَّةٍ في إسْرائيل لِكَي يَحمَدوا آسمَ الرَّبّ .

(٣) المَلِك الحاليّ . وفي المستقبل، بعد سقوط النظام الملكي، تتجه الافكار نحو الملك المثالي، المشيح.
(٤) أي في رفقة الأشرار.

٥هُناكَ نُصِبَت عُروشٌ لِلقَضاء عُروشُ بَيتِ داوُد .
٦أُطلُبوا السَّلامَ لِأُورَشَليم . السَّكينَةُ لِلَّذينَ يُحِبُّونَكِ !
٧السَّلامُ في أَسوارِكِ والسَّكينَةُ في قُصورِكِ !
٨لِأَجلِ إِخوَتي وأَخِلاَّئي لَأَدْعُوَنَّ لَكِ بِالسَّلام
٩لِأَجلِ بَيتِ الرَّبِّ إِلهِنا أَلتَمِسُ لَكِ السَّعادة .

١٣٠. من الأَعماق

«من الأعماق صرختُ اليك» .

هذه القصيدة هي من مزامير التوبة ، لكنها كانت ترنَّم في الحج الى أورشليم . وهي تعبّر عن التيقّن من رأفة الله الذي يغفر .

١مِنَ الأَعْماقِ صَرَختُ إِلَيكَ يا رَبّ ٢يا سَيِّدُ آستَمِعْ صَوتي .
لِتَكُنْ أُذُناكَ مُصغِيَتَينِ إِلى صَوتِ تَضَرُّعي .
٣إِن كُنتَ يا رَبُّ لِلآثامِ مُراقِباً فمَن يَبْقى ، يا سَيِّدُ ، قائِماً ؟
٤إِنَّ المَغفِرَةَ عِندَكَ لِكَي تَكونَ المَهابَةُ لَكَ .
٥إِنتَظَرتُ الرَّبَّ ، آنتَظَرَته نَفْسي ورَجَوتُ كَلِمَتَكَ .
٦تَرَقُّبُ نَفْسي لِلرَّبِّ أَشَدُّ مِن تَرَقُّبِ الرُّقَباءِ لِلصُّبْح .
٧لِيَكُنْ إِسْرائيلُ راجِياً لِلرَّبِّ أَشَدَّ مِنَ الرُّقَباءِ لِلصُّبْح(٥) .
فإِنَّ عِندَ الرَّبِّ الرَّحمَةَ وعِندَه وَفرَةَ الفِداء .
٨وهو يَفتَدي إِسْرائيلَ مِن جَميعِ آثامِه(٦) .

(٥) كالحرّاس القائمين على أسوار المدينة المقدّسة .

(٦) الفداء من مواضيع الكتاب المقدّس . كان «جوئيل» (أو «الفادي») يفتدي حياة أحد أعضاء الأسرة أو أملاكه . ومن هنا انتقلوا إلى المعنى الروحي : الله «يفتدي» اسرائيل من خطاياه . أما المسيح فإنه سيفتدي البشرية كلها من خطاياها .

٢. مزامير طقسية

جُمعت هنا مزامير تذكّر بنقل تابوت العهد الى أورشليم في زمن داود . فأصبحت أورشليم أمّا للحجّاج الذين يأتون اليها . ولذلك نراهم يفرحون ويشعرون بأخوّتهم الروحية .

٢٤. نقل تابوت العهد إلى أورشليم

«ارفعن رؤوسكنّ أيتها الأبواب»

يرينا هذا المزمور أبواب أورشليم تنفتح أمام تابوت العهد . ربّما ألّف داود نفسه هذا القسم من المزمور . لنتصوّر الاطار الواقعي : كان الموكب يقف أمام أبواب المدينة ، وكانت جوقة المرتّلين تطلب ان تُفتح . وكان مرتّل منفرد يسأل فتجيبه أصوات . وكانت جوقة المرتّلين تكرّر الطلب .

[٧] إِرْفَعْنَ رُؤُوسَكُنَّ(٧) أَيَّتُها الأَبواب وآرتَفِعنَ أَيَّتُها المَداخِلُ الأَبَدِيَّة
فيَدخُلَ مَلِكُ المَجْد(٨) .
[٨] مَن هذا مَلِكُ المَجْد ؟
هو الرَّبُّ العَزيزُ الجَبَّار الرَّبُّ الجَبَّارُ في القِتال .
[٩] إِرفَعْنَ رُؤُوسَكُنَّ أَيَّتُها الأَبواب وآرتَفِعْنَ أَيَّتُها المَداخِلُ الأَبَدِيَّة
فيَدخُلَ مَلِكُ المَجْد .
[١٠] مَن هذا مَلِكُ المَجْد ؟ رَبُّ القُوَّاتِ هو مَلِكُ المَجْد . سِلاه

٨٧. أورشليم ، أم جميع البشر

«الرب يحب أبواب صهيون»

يرى صاحب المزمور في أورشليم مثال المدينة المقدسة ، ويرى فيها أيضاً ، للمستقبل ، وطن جميع الناس الديني .

(٧) كانت الأبواب تُفتح من تحت الى فوق .
(٨) «مَلِك المجد» أو المَلِك المجيد . المقصود هو الله الذي يقوم على أجنحة كروبي تابوت العهد .

[١]على الجِبالِ المُقَدَّسَةِ أَساسُها
[٢]الرَّبُّ يُؤثِرُ أَبوابَ صِهْيون[(٩)] على جَميعِ مَساكِنِ يَعْقوب .
[٣]لقد قيلَتِ الأَمجادُ فيكِ يا مَدينةَ الله . سِلاه
[٤]أَذكُرُ[(١٠)] رَهَبَ وبابِلَ لِمَعارِفي هُوَذا فَلِسْطِينُ وصورُ مع كوش :
«فيها وُلِدَ فُلان» .
[٥]أَمَّا صِهْيونُ فيُقالُ فيها : «كُلُّ إِنسانٍ وُلِدَ فيها»[(١١)]
والعَلِيُّ هو الَّذي ثَبَّتَها

٣. مزامير تاريخية

يحقّق الله تدبيره الخلاصي من خلال التاريخ. فيصبح هذا التاريخ موضوع تسبيح. كثيراً ما ذكر أصحاب المزامير في صلاتهم ضربات مصر وأحداث الخروج، وذكروا أحياناً تدمير أورشليم وخراب الهيكل في ٥٨٦. وكان الاسرائيلي المجلوّ الى بابل يفكّر في أورشليم.

٧٩. أورشليم المدمَّرة

«إِلامَ، يا ربّ ؟»
[١]أَللَّهُمَّ، قد دَخَلَتِ الأُمَمُ ميراثَكَ[(١٢)] نَجَّسَت هَيكَلَ قُدسِكَ
جَعَلَت أُورَشَليمَ أَطْلالاً[(١٣)] .
[٢]أَسلَمَت جُثَثَ عَبيدِكَ طَعاماً لِطُيورِ السَّماء

(٩) صهيون = أورشليم.
(١٠) من المُفترض ان الله يتصفّح الكتاب الذي سُجّلت فيه الشعوب التي تعرفه.
(١١) لكل إنسان وطنان، الواحد مادّي: فلسطين، صور الخ، والآخر روحي، وهو أورشليم، فإنها ستصبح، في آخر الأزمنة، مركز جميع مختاري الله.
(١٢) كان إسرائيل ميراث الله.
(١٣) استولى نبوكد نصر على أورشليم ودمّرها في ٥٨٦.

ولُحومَ أَصفيائِكَ لِوُحوشِ الأَرض.
[٣]سَفَكَت دِماءَهم كالماءِ حَولَ أُورَشَليم ولم يَكُنْ مَن يُواري الثَّرى
[٤]صِرْنا عاراً لِجيرانِنا هُزُؤاً وسُخرِيَّةً لِلَّذينَ حَولَنا.
[٥]إلامَ يا رَبُّ؟ أَعلى الدَّوامِ تَغضَب وكالنّارِ تَتَّقِدُ غَيرَتُك؟
[٨]لا تَنسِبْ إِلَينا آثامَ الأَقْدَمينَ أَسرِعْ، ولْتُبادِرْنا مَراحِمُكَ
فقد ذُلِّلْنا تَذليلاً
[٩]أُنصُرْنا يا إِلهَ خَلاصِنا إِكراماً لِمَجدِ آسمِكَ
وأَنقِذْنا وآغفِرْ خَطايانا مِن أَجلِ آسمِكَ
[١٣]ونَحنُ شَعبَكَ وغَنَمَ رَعِيَّتِك[١٤] لِلأَبَدِ نَحمَدُكَ
إِلى جيلٍ فجيلٍ نُحَدِّثُ بِتَسْبِحَتِكَ.

١٠٦. اسرائيل ناكر جميل

«خلَّصنا بالرغم من خطايانا»

مزمور كُتب في أثناء الجلاء. تنشأ صلاة التسبيح والتوبة عن تناوب احسانات الله ونكران الجميل عند إسرائيل.

[١]هَلِّلويا![١٥]
إِحمَدوا الرَّبَّ لِأَنَّه صالِح لِأَنَّ لِلأَبَدِ رَحمَتَه
[٢]مَن ذا الَّذي يُحَدِّثُ بِمَآثِرِ الرَّبّ ويُسمِعُ تَسبِحَتَه كُلَّها؟
[٦]قد خَطِئْنا نَحنُ وآباؤُنا الإِثمَ والشَّرَّ آرتَكَبْنا.
[٧]آباؤُنا في مِصرَ لم يَفطَنوا لِعَجائِبِكَ ولم يَتَذَكَّروا وافِرَ مَراحِمِكَ

(١٤) الله الراعي موضوع من مواضيع الكتاب المقدّس.
(١٥) كلمة عبرية معناها: «سبّحوا الله».

بل تَمَرَّدوا على العَلِيِّ عِندَ بَحرِ القَصَب[١٦]
٨فخَلَّصَهم مِن أَجْلِ آسمِه لِيُعَرِّف جبَروتَه .
٩وزَجَرَ بَحرَ القَصَبِ فجَفَّ وسَيَّرَهم في الغِمارِ كما في القِفار
١١وغَطَّتِ المِياهُ مُضايِقيهم فلم يَبقَ مِنهم أَحَد
١٢فآمَنوا بِكَلامِه وأَنشَدوا تَسبِحَتَه .
١٣سُرْعانَ ما نَسُوا أَعْمالَه ولم يَنتَظِروا تَدْبيرَه .
١٦حَسَدوا موسى في المُخَيَّم وهارونَ قِدّيسَ الرَّبّ .
١٧فآنفَتَحَتِ الأَرضُ وآبتَلَعَت داتان وغَطَّت جَماعةَ أَبيرام[١٧]
١٩صَنَعوا عِجْلاً في حوريب وسَجَدوا لِصَنَمٍ مَسْبوك
٢٠وآستَبدَلوا بِمَجدِهم[١٨] صورةَ ثَورٍ آكِلِ عُشْب[١٩] .
٢٣فنَوى أَن يُبيدَهم لَولا أَنَّ موسى مُختارَه
وَقَفَ في الثُّلمَةِ أَمامَه لِيَرُدَّ غَضَبَه عن إِهْلاكِهم .
٣٤لم يُبيدوا الشُّعوبَ الَّتي كَلَّمَهُمُ الرَّبُّ علَيها[٢٠]
٣٥بلِ آختَلَطوا بِالأُمَم وتَعَلَّموا أَعْمالَها .
٣٦وعَبَدوا أَصْنامَها فكانَ لَهم ذٰلِك فَخًّا
٣٧وذَبَحوا بَنيهم وبَناتِهم لِلشَّياطين .

(١٦) عن عبور البحر الأحمر، راجع خر ١٤.
(١٧) تمرّد أبيرام على موسى.
(١٨) إله إسرائيل «مجد»، في حين أن آلهة الوثنيين «عَدَم».
(١٩) = عجل الذهب (راجع خر ٣٢).
(٢٠) يعتقد صاحب المزمور بأن بني إسرائيل، عند دخولهم إلى أرض كنعان، لم يخضعوا لأمر الله بإبادة الكنعانيين، بل اختلطوا بهم (زراعة وزواج وذبائح).

٣٨وسَفَكوا دماً زَكِيًّا دَمَ بَنيهم وبَناتِهم
الَّذينَ ذَبَحوهم لِأَصْنامِ كَنْعان فتَدَنَّسَتِ الأَرضُ بِالدِّماء[٢١].
٣٩وتَنَجَّسوا بِأَعْمالِهم وزَنَوا بِأَفْعالِهم[٢٢]
٤٠فغَضِبَ الرَّبُّ على شَعبِه وآستَقبَحَ ميراثَه.
٤١وأَسلَمَهم إِلى أَيدي الأُمَم[٢٣] فتَسَلَّطَ علَيهم مُبغِضوهم
٤٢وضايَقَهم أَعْداؤُهم فأُذِلُّوا تَحتَ أَيديهم.
٤٣مَرَّاتٍ كَثيرةً أَنقَذَهم
لكِنَّهم تَمَرَّدوا على تَدْبيرِه وآنحَطُّوا بآثامِهم
٤٤فنَظَرَ إِلى ضيقِهم عِندَ سَماعِه صُراخَهم.
٤٥تَذَكَّرَ عَهدَه لَهم وأَشفَقَ بِحَسَبِ مَراحِمِه الوافِرَة
٤٦وأَنالَهم رأفَةً عِندَ جَميعِ الَّذينَ أَسَروهم.
٤٧خَلِّصْنا أَيُّها الرَّبُّ إِلهُنا ومِن بَينِ الأُمَمِ آجمَعْنا
لِنَحمَدَ آسمَكَ القُدُّوس ونَفتَخِرَ بِتَسبِحَتِكَ.

١١٤. الخروج

«عند خروج اسرائيل من مصر»

١عِندَ خُروجِ إِسْرائيلَ مِن مِصْر وبَيتِ يَعْقوبَ مِن شَعبٍ أَعْجَمِيّ
٢صارَ يَهوذا مَقدِسَه وإِسْرائيلُ سَلطَنَتَه[٢٤].

(٢١) ذبح الأطفال لمولك، الإله الكنعاني.
(٢٢) تشبّه عبادة الأوثان بالزنى، وهي صورة يرقى عهدها الى هوشع النبي.
(٢٣) على عهد القضاة.
(٢٤) اسرائيل اسم آخر ليعقوب. فكان يهوذا وإسرائيل يدلاّن على المملكتين اللتين شُطرتا بسبب الانشقاق.

[٣]البَحرُ رأَى فهَرَب   الأُردُنُّ إِلى الوَراءِ رَجَع .
[٤]الجِبالُ وَثَبَت كالكِباش   والتِّلالُ كالحُمْلان .
[٥]ما لَكَ يا بَحرُ تَهرُب   ويا أُردُنُّ إِلى الوَراءِ تَرجِع
[٦]ويا جِبالُ تَثِبينَ كالكِباش   ويا تِلالُ كالحُمْلان ؟
[٧]إِرتَعِدي يا أَرضُ مِن وَجهِ السَّيِّد   مِن وَجهِ إِلهِ يَعْقوب
[٨]الَّذي يُحَوِّلُ الصَّخرَ إِلى غُدْران   والصَّوَّانَ إِلى عُيونِ ماء(٢٥) .

٤. مزامير ثقة

يأخذنا الاعجاب أمام ذلك الاعتراف المكرَّر بثقة ثابتة بإله يبدو، في بعض الاحيان، أنه «يحوّل وجهه» ولا يعود يهتمّ بعبيده. يختلط الايمان بأن الله سند متين وأنه يحمي المؤمن به، باستغاثة مكرّرة تدلّ على ان الكاتب يعاني كما نعاني اليوم نحن، محنًا كثيرة.

٤. صلاة المساء

«على مضاجعكم كونوا صامتين»

[٢]في دُعائي أَجِبْني، يا إِلهَ بِرِّي .
في الضِّيقِ فرَّجتَ عنِّي   فٱرحَمْني وٱستَمِعْ إِلى صَلاتي .
[٣]يا بَني البَشَر، حتَّامَ يَكونُ مَجْدي عاراً
وحَتَّامَ الباطلَ تُحِبُّونَ والكَذِبَ تَبتَغون ؟ سِلاه
[٤]إِعلَموا أَنَّ الرَّبَّ قد صَنَعَ العَجائِبَ لِصَفِيِّه .
الرَّبُّ يَسمَعُ حينَ أَدْعوه .
[٥]إِرتَعِدوا ولا تَخطَأُوا   في قُلوبِكم تَحَدَّثوا

(٢٥) تلميح إلى أحداث الخروج من مصر.

وعلى مَضاجِعَكم كونوا صامِتين. سِلاه
[٦]ذَبائِحَ بِرٍّ اِذبَحوا وإِلى الرَّبِّ آطمَئِنُّوا.
[٧]كَثيرونَ يَقولون: «مَن يُرينا الخَير»؟
أَطلِعْ عَلينا نورَ وَجهِك، يا ربّ.
[٨]جَعَلتَ في قَلْبي سُروراً أَعظَمَ مِن سُرورِهم
حينَ تَكثُرُ حِنطَتُهم ونَبيذُهم.
[٩]بِسلامٍ أَضَّجِعُ ومِن ساعَتي أَنام
لأَنَّكَ وَحدَكَ يا رَبُّ في أَمان تُسكِنُني.

١٣. استغاثة

«أُنشد للربّ وأَعزف لاسمه»

الكاتب يعاني المحن فيشعر بدويّ التمرّد يرتفع من باطنه. وكأن الربّ قد نسيه – «يحجب وجهه» –. لكن الخاتمة تدل على ان الله أتى لنصرته. ولذلك فان الشكر يرافق الاعتراف بالثقة، وهي أقوى من الألم.

[٢]إِلامَ يا رَبُّ، أَلِلأَبَدِ تَنْساني؟ إِلامَ تَحجُبُ وَجهَكَ عَنِّي؟
[٣]إِلامَ أُودِعُ نَفْسِيَ الهُموم ولَيلَ نهارَ قَلبِيَ الغُموم؟
إِلامَ علَيَّ يَتَغَلَّبُ عَدُوِّي؟
[٤]أُنظُرْ وآستَجِبْ لي أَيُّها الرَّبُّ إِلهي وأَنِرْ عَينَيَّ لِئَلاَّ أَنامَ نَومةَ المَوت
[٥]فيَقولَ عَدُوِّي: «علَيه قَويتُ» وآبتَهَجَ مُضايِقِيَّ لأَنِّي تَزَعزَعتُ.
[٦]وأَنا تَوَكَّلتُ على رَحمَتِكَ ويَبتَهِجُ قَلْبي بِخَلاصِكَ[٢٦].

(٢٦) كان الله في نظرهم مخلّص شعبه قبل كل شيء.

أُنشِدُ لِلرَّبِّ لأَنَّهُ أَحسَنَ إِلَيَّ وأَعزِفُ لآسمِ الرَّبِّ العَلِيّ[٢٧] .

٤٦. الله سند متين

«إله يعقوب حِصن لنا»

مزمور رجاء، لا يُحصر في فرد واحد، بل يشمل الأمة كلها. لا شك انه يشير الى حدث واقعي. وهو انصراف سنحاريب الفجائي، مع انه أتى ليحاصر أورشليم. يتّسم هذا المزمور بطابع حربي، ويرتفع الانشاء فيه الى شيء من الأسلوب الملحمي: فإن سقوط أورشليم المحتمل يشبَّه بالعودة الى الخواء الاصلي (المياه التي تجيش وتزعزع الجبال). أمّا حماية الله فهي تشبّه بنهر هادئ يجلب لأورشليم الفرح والخصب. وهناك اللازمة التي تقطّع المزمور: «ربّ القوّات معنا»، فهي عِمّانوئيل (الله معنا) الذي تغنّى به أشعيا النبي.

٢ أَللهُ مُعتَصَمٌ لَنا وعِزَّةٌ نُصرَةٌ نَجِدُها دائماً في المَضايِق.
٣ لِذلك لا نَخْشى إِذا الأَرضُ تَقَلَّبَت
والجِبالُ في جَوفِ البِحارِ تَزَعزَعَت
٤ إِذا عَجَّت مِياهُها وجاشَت والجِبالُ بِطُمُوِّها رَجَفَت[٢٨] .
(رَبُّ القُوَّاتِ مَعَنا إِلهُ يَعْقوبَ حِصْنٌ لَنا). سِلاه
٥ هُناكَ نَهرٌ فُروعُه تُفرِحُ مَدينةَ الله[٢٩] أَقدَسَ مَساكِنِ العَلِيّ.
٦ أَللهُ في وَسَطِها فلَن تَتَزَعزَع أَللهُ عِندَ آنبِثاقِ الصُّبحِ يَنصُرُها.
٧ الأُمَمُ ضَجَّت والمَمالِكُ زُعزِعَت فرَفَعَ صَوتَه والأَرضُ آنحَلَّت.
٨ رَبُّ القُوَّاتِ مَعَنا إِلهُ يعقوبَ حِصْنٌ لَنا. سِلاه
٩ هَلُمُّوا فآنظُروا أَعمالَ الرَّبِّ مَن يُقيمُ في الأَرضِ ذُهولاً.

(٢٧) لم ترد هذه الآية الأخيرة في النص العبري التقليدي.
(٢٨) تلميح الى القوى الكونية التي سيطر الله عليها في خلق العالم. فإن عاد الخواء...
(٢٩) رمز الحماية الإلهية.

[10]يُزيلُ الحُروبَ حتَّى مِن أَقاصي الأَرض
يُحَطِّمُ الأَقْواسَ ويكَسِّرُ الرِّماح
ويُحرِقُ التُّروسَ بِالنَّار .
[11]كُفُّوا وآعلَموا أَنِّي أَنا الله
المُتَعالي على الأُمَم ، المُتَعالي على الأَرض .
[12]رَبُّ القُوَّاتِ مَعَنا إِلهُ يَعْقوبَ حِصْنٌ لَنا . سِلاه

٩١. لا خوف لدى الله

«أوصى ملائكته بأن يحفظوك»

يستطيع المسيحي أن يتلو هذا المزمور، ويجد فيه، من خلال صور لم يعتدها، فضيلة الرجاء الكبرى. ما أجمل صورة العصفور يحمي صغاره تحت جناحيه! ولكن تلي هذه الصورةَ سلسلةٌ من المشاهد: أهوال الليل (أحلام سيئة التأثير) والسهام، وهي ترمز إلى الأمراض والمجاعات وحَرّ الظهر الخانق الذي يرهق المريض والحيوانات المعادية للإنسان. من كل ذلك يُنقذ الله عبيده. وفي رواية تجارب المسيح في البرية، وُضعت الآيتان ١١ و١٢ على لسان الشيطان، وهو يحاول إسقاط محاوره مقترحاً عليه ان يصنع آية غير مفيدة (متى ٤/٦).

[1]السَّاكِنُ في كَنَفِ العَلِيِّ يَبيتُ في ظِلِّ القَدير
[2]يَقولُ لِلرَّبِّ: «أَنتَ مُعتَصَمي وحِصْني إِلهي الَّذي علَيه أَتَوَكَّل» .
[3]هو الَّذي يُنقِذُكَ مِن فَخِّ الصَّيَّاد ومِنَ الوَباءِ الفَتَّاك .
[4]يُظَلِّلُكَ بِريشِه وتَعتَصِمُ تَحتَ أَجنِحَتِه
وحَقُّه يكونُ لَكَ تُرساً ودِرْعاً .
[5]فلا تَخْشى اللَّيلَ وأَهوالَه ولا سَهْماً في النَّهارِ يَطير
[6]ولا وَباءً في الظَّلامِ يَسْري ولا آفَةً في الظَّهيرةِ تَفتُك .
[7]يَسقُطُ عن جانِبِكَ أَلْفٌ وعن يَمينِكَ عَشَرَةُ آلاف

ولا شَيءٌ يُصيبُكَ.
[٨]حَسبُكَ أَن تَنظُرَ بِعَينِكَ فتُعايِنَ جَزاءَ الأَشْرار
[٩]لِأَنَّكَ قُلتَ: «الرَّبُّ مُعتَصَمي» وجَعَلتَ العَلِيَّ لَكَ مَلْجأً.
[١٠]الشَّرُّ لا يَنالُكَ ولا تَدْنو الضَّربَةُ مِن خَيمَتِكَ:
[١١]لِأَنَّه أَوصى مَلائِكَتَه بِكَ لِيَحفَظوكَ في جَميعِ طُرُقِكَ.
[١٢]على أَيديهم يَحمِلونَكَ لِئَلاَّ تَصدِمَ بِحَجَرٍ رِجلَكَ.
[١٣]تَطَأُ الأَسَدَ والأَفْعى تَدوسُ الشِّبلَ والتِّنِّين.
[١٤]أُنَجِّيه لِأَنَّه تَعَلَّقَ بي[٣٠] أَحْميه لِأَنَّه عَرَفَ آسْمي.
[١٥]يَدعوني فأُجيبُه أَنا معه في الضِّيقِ فأُنقِذُه وأُمَجِّدُه.
[١٦]بِطولِ الأَيَّامِ أُشبِعُه وأُريه خلاصي.

١٢١. الله رجائي الدائم

«الرب لا يغفو ولا ينام»

يشبّه الرب بالحارس الذي يسهر في الليل على أسوار أورشليم ولا ينام. والرب يحفظ عبيده من وهج الشمس أو من سوء تأثير القمر. يبلغ هذا المزمور ذروته في هذا القول: «الرب يحفظك من كل سوء».

[١]أَرفَعُ عَينَيَّ إِلى الجِبال مِن أَينَ تأتي نُصرَتي؟
[٢]نُصرَتي مِن عِندِ الرَّبّ صانِعِ السَّمَواتِ والأَرض.
[٣]لا تَرَكَ قَدَمَكَ تَزِلُّ ولا نامَ حارِسُكَ!
[٤]ها إِنَّ حارِسَ إِسرائيلَ لا يَغْفو ولا يَنام.
[٥]الرَّبُّ حارِسٌ لَكَ الرَّبُّ ظِلٌّ لَكَ إِلى يَمينِكَ

(٣٠) الضمير هو الله.

[٦] فلا تُصيبُكَ الشَّمسُ في النَّهار   ولا القَمَرُ في اللَّيل .
[٧] يَحرُسُكَ الرَّبُّ مِن كُلِّ سوء   هو يَحرُسُ نَفسَكَ .
[٨] الرَّبُّ يَحرُسُكَ في ذَهابِكَ وإِيابِكَ   مِنَ الآنَ ولِلأَبَد .

٥. مزامير أُلفة بالله

لا نظنّ ان الألفة بالله هي وقف على المسيحيين. فلقد كان اليهودي الورِع يعرف حقيقتها العميقة. وهي تفترض عند الشخص شيئاً من الرقيّ الديني. في المزامير القديمة، يختفي الفرد وراء الجماعة. أمَّا هنا فإن المؤمن يتوجّه مباشرة الى الله. فتارةً يصرّح اللاوي بأن الله نصيبه، خلافاً لسائر الاسرائيليين، فهم نالوا نصيباً من الأرض تحدّها حبال التقسيم، وتارةً يشبّه الله بالراعي («الربّ راعيَّ») أو بالمضيف. فنرى أنفسنا ترتفع أيضاً في مجال الخدمة والمحبة («إليك ظمئت نفسي») لتصل إلى روح الطفولة («مثل مفطوم عند أمّه»).

١٦. مزمور اللاوي

«الربّ حصّة ميراثي».

يكاد يكون الفرح في هذا المزمور فرح الظفر. ونشعر بالابتهاج الذي يستولي على المؤمن، حين يفكّر في ان الله اختاره اختياراً نهائياً. وما أروع الكلمات الأخيرة، فلا عجب أن تُتلى يوم يتقدّم الاكليريكيون من المذبح لينالوا سرّ الدرجة.

[١] أَللَّهُمَّ آحفَظْني فإِنِّي بِكَ آعتَصَمتُ .
[٢] قُلتُ لِلرَّبّ : «أَنتَ سَيِّدي   ولا خَيرَ لي سِواكَ» .
[٥] الرَّبُّ كَأسي وحِصَّةُ ميراثي[٣١]   أَنتَ الضَّامِنُ لِنَصيبي
[٦] حِبالُ التَّقسيمِ وَقَعَت لي في نعيم   وهو لي ميراثٌ جَليل .
[٩] لِذلك فَرِحَ قَلْبي وآبتَهَجَت نَفْسي   حتَّى جَسَدي آستَقَرَّ في أمان

(٣١) كانوا يقسّمون الأرض أولاً إلى أجزاء متساوية. ثم كانوا يقترعون لتوزيعها.

[10]لأَنَّكَ لن تَترُكَ في مَثْوى الأَمْواتِ نَفْسي
ولَن تَدَعَ صَفِيَّكَ يَرى الهُوَّة .
[11]ستُبيِّنُ لي سَبيلَ الحَياة .
أَمامَ وَجهِكَ فَرَحٌ تامّ وعن يَمينِكَ نَعيمٌ على الدَّوام .

٢٣. الراعي الصالح

«في مراعٍ نضيرة يُريحني»

يجب ربط القسم الأول من هذا المزمور بأقوال إرميا وحزقيال في الرب، راعي شعبه. أمّا القسم الثاني، فإنه يعرض لنا صور الضيافة، من ترحيب (الزيت على الرأس) والجلوس إلى المائدة (الكأس الفائضة). يكتمل هذا المزمور في الانجيل، وفيه مثل الراعي الصالح والمائدة في بيت سمعان.

[1]الرَّبُّ راعِيَّ فما مِن شَيءٍ يُعوِزُني [2]في مَراعٍ نَضيرةٍ يُريحُني .
مِياهَ الرَّاحةِ يورِدُني ويُنعِشُ نَفْسي
[3]وإلى سُبُلِ البِرِّ يَهْديني إِكْراماً لاَسمِه .
[4]إِنِّي ولَو سِرتُ في وادي الظُّلُمات لا أَخافُ سُوءًا لأَنَّكَ مَعي .
عَصاكَ وعُكَّازُكَ يُسَكِّنانِ رَوعي .
[5]تُعِدُّ مائِدَةً أَمامي تُجاهَ مُضايِقِيَّ
وبِالزَّيتِ تُطَيِّبُ رأسي فتَفيضُ كأسي .
[6]الخَيرُ والرَّحمَةُ يلازِماني جَميعَ أَيَّامِ حَياتي
وسُكْنايَ في بَيتِ الرَّبِّ طَوالَ أَيَّامي .

٦٣. العطش إلى الله

«إليك ظَمئت نفسي»

يذكّرنا هذا المزمور بالمسيحيين «الروحيين». فنحن بعيدون جداً من الطموحات الأرضية ومن الأنانية التي تتغلغل في حياتنا: «أطيب من الحياة رحمتك».

٢أَللَّهُمَّ أَنتَ إِلهي إِلَيكَ بكَرتُ إِلَيكَ ظَمِئَت نَفْسي وتاقَ جَسَدي .
كأَرضٍ قاحِلةٍ مُجدِبَةٍ لا ماءَ فيها .
٣كذلِكَ في القُدسِ شاهَدتُكَ لِأَرى عِزَّتَكَ ومَجدَكَ .
٤أَطيَبُ مِنَ الحَياةِ رَحمَتُكَ . وإِيَّاكَ تُسَبِّحُ شَفَتايَ .
٥وكذلِكَ في حَياتي أُبارِكُكَ وأَرفَعُ كَفَّيَّ بِآسمِكَ .
٧إِذا ذَكَرتُكَ على مَضجَعي تَمتَمتُ بِكَ في الهَجَعات
٨لِأَنَّكَ كُنتَ لي نُصرَةً فأُهَلِّلُ في ظِلِّ جَناحَيكَ .

١٣١. روح الطفولة

«مثل مفطوم عند أمّه»

انها صلاة توكّل هادئ يرفعها إنسان سلّم أمره الى الله . يجب ألاَّ نستغرب الاعتراف بشيء من التواضع ، فإنه يمهّد للخاتمة الجميلة حيث ينام الطفل شبعان وهادئاً .

١يا رَبُّ ، لم يَستَكبِرْ قَلْبي ولا آستَعلَت عَيناىَ
ولم أَسلُكْ طَريقَ المَعالي ولا طَريقَ العَجائِبِ مِمَّا هو أَعْلى مِنِّي
٢بل أُسَكِّنُ نَفْسي وأُسكِتُها .
مِثْلَ مَفْطومٍ عِندَ أُمِّه مِثْلَ مَفْطومٍ هكذا نَفْسي علَيَّ .
٣لِيَكُنْ إِسْرائيلُ راجِياً لِلرَّبِّ مِنَ الآنَ ولِلأَبَد .

٦. مزامير شكر

الشكر أمر نادر في أيّامنا . أمّا المزامير ، فالشكر يبدو فيها أحياناً شكر انتصار : ذلك بأن تدخّل الله لصالح صاحب المزمور يصوَّر بصور خارقة ، من خلال صور العاصفة . ويبدو الشكر في أحيان أخرى خفيًّا ، بشكل عرفان جميل للغفران الذي منحه الله ، يُضاف إليه العزم على السير في الطريق الذي يدلّ الله عليه . وقد يكون

الشكر شكر الجماعة بمناسبة الحصول على غلال وافرة، وهو شكر يتجاوز الأوضاع الراهنة: «لتحمدك الشعوب يا الله، لتحمدك الشعوب جميعاً».

١٨. شكر المُنتصر

«حيّ الرب»

ان أعدنا هذا المزمور الى حجمه الحقيقي، بدا لنا صلاة بسيطة جداً. فإن كاتبه أوشك ان يهلك فدعا الى الرب بثقة فنجّاه الله من المحنة، ولذلك أراد ان يشكر مخلّصه. في القسم الأول، يُعرض الموت بصورة سيل يجرف كل شيء، أو بصورة مثوى الاموات. وفي القسم الثاني، يرتدي تدخّل الله صورة تجلّ إلهي (ظهور إلهي يوصف باستعمال صور تقليدية). لكن المقصود في الواقع هو وصف عاصفة شديدة (ريح وغيوم حالكة وبروق وبَرَد ورعد). والخاتمة تعبّر، على غرار المطلع، عن فرح الكاتب وشكره الفائض.

[٢] أُحِبُّكَ يا رَبُّ، يا قُوَّتي يا مُخَلِّصي، مِنَ العُنْفِ خَلَّصْتَني.

[٣] الرَّبُّ صَخرَتي وحِصْني ومُنقِذي إِلهي الصَّخرُ بِه أَعتَصِم
تُرْسي وقُوَّةُ خَلاصي ومَلْجإِي.

[٤] أَدعو الرَّبَّ سُبْحانَه فأَنْجو مِن أَعْدائي.

[٥] أَمْواجُ المَوتِ غَمَرَتني وسُيولُ بَليعالَ رَوَّعَتني

[٦] وحَبائِلُ مَثْوى الأَمْواتِ حاطَتْني وشِباكُ المَوتِ آستَبَقَتني.

[٧] في ضيقي الرَّبَّ دَعَوتُ وإِلَيه إِلهي صَرَختُ
فسَمِعَ صَوتِي مِن هَيكَلِه وبَلَغَ صُراخي مِسمَعَيه.

[٨] تَزعزَعَتِ الأَرضُ وتَزَلزَلَت وأُسُسُ الجِبالِ آرتَعَدت
ومِن غَضَبِه آرتَجَّت

[٩] دُخانٌ صَعِدَ مِن أَنفِه ونارٌ آكِلَةٌ مِن فَمِه
وجَمْرٌ آتَّقَدَ منه.

[١٠] حَنى السَّمواتِ ونَزَل والغَيمُ المُظلِمُ تَحتَ قَدَمَيه
[١١] رَكِبَ على كَروبٍ وطار وحَلَّقَ على أَجنِحَةِ الرِّياح .
[١٢] أَقامَ مِنَ الظُّلمَةِ حِجاباً لَه
ومِن ظَلامِ المِياهِ وظُلُماتِ الغُيومِ خَيمَةً حَولَه .
[١٣] أمامَ بَهائِه مَرَّتِ الغُيوم : بَرَدٌ وجَمْرُ نار .
[١٤] أَرعَدَ الرَّبُّ مِنَ السَّماء وأَطلَقَ العَلِيُّ صَوتَه .
[١٥] أَرسَلَ سِهامَه فبَدَّدَهم وبُروقَه فهَزَمَهم .
[١٦] أعماقُ البَحرِ آنكَشَفَت وأُسُسُ الكَونِ آنجَلَت
لِصَوتِ وَعيدِكَ يا رَبُّ ولِهُبوبِ ريحِ مِنخَرَيكَ .
[١٧] يُرسِلُ مِن عَلْيائِه فيأخُذُني ومِنَ البِحارِ يَنتَشِلُني .
[١٨] مِن عَدُوِّيَ الجَبَّارِ يُنقِذُني مِن مُبغِضِيَّ ، لأَنَّهم أَقْوى مِنِّي .
[١٩] في يَومِ بَلِيَّتي دَهَموني فكانَ الرَّبُّ سَنَدي .
[٢٠] إِلى الرُّحْبِ أخرَجَني ولأنَّه يُحِبُّني خَلَّصَني .
[٤٧] حَيٌّ الرَّبُّ وتَبارَكَ صَخرَتي وتَعالى إِلهُ خَلاصي .

٣٢. فرح الغفران

«طوبى لمن معصيته غُفرت»

يختلف هذا المزمور كل الاختلاف عن المزمور السابق . إنه فرح الغفران ، أي ، على ما يبدو ، فرح الاعتراف بالخطيئة . كان وخز الضمير يد الله التي تثقّل على الخاطئ . وفي أعقاب الغفران ، أصبحت النفس طيّعة ، تصغي الى الله يقول لها : «إنّي أُرشدكِ في الطريق» .

[١] طوبى لِمَن مَعصِيَتُه غُفِرَت وخَطيئَتُه سُتِرَت .
[٢] طوبى لِمَن لا يَحسُبُ عليَه الرَّبُّ إِثْماً ولا في روحِه خِداع .

[٣] حينَ سَكَتُّ بَلِيَت عِظامي وأَنا أَزأَرُ طَوالَ نَهاري.
[٤] لِأَنَّ يَدَكَ ثَقُلَت عَلَيَّ نَهاراً وليلاً
تَحَوَّلَ قَلْبي إِلى هَشيمٍ في قَيظِ الصَّيف. سِلاه
[٥] أَبحتُكَ خَطيئَتي وما كَتَمتُ إِثْمي قُلتُ: «أَعتَرِفُ لِلرَّبِّ بِمَعاصِيَّ»
وأَنتَ رَفَعتَ وِزْرَ خَطيئَتي. سِلاه
[٦] لِذٰلك يُصَلِّي إِلَيكَ كُلُّ صَفِيٍّ في أَوانِ الضِّيق
حتَّى وإن طَغَتِ المِياهُ الغزيرة لَمَا ٱستَطاعَت إِلَيه سَبيلا
[٧] أَنتَ سِترٌ لي، مِن الضِّيقِ تَقيني وبِتَرانيمِ النَّجاةِ تُحيطُني. سِلاه
[٨] إِنِّي أُعَلِّمُكَ وأُرشِدُكَ في الطَّريقِ الَّذي تَسلُكُه
وأَكونُ ناصِحاً لَكَ وعَيني تَرعاكَ.
[٩] لا تَكُنْ كالفَرَسِ والبَغْلِ بِغَيرِ فَهْم بِشَكيمَةٍ ورَسَنٍ يُكبَحُ جِماحُها
لِكَي لا يَقتَرِبا مِنكَ.
[١٠] ما أَكثَرَ أَوجاعَ الشِّرِّير أَمَّا المُتَوَكِّلُ على الرَّبِّ فالرَّحمَةُ تَحوطُه.
[١١] إِفرَحوا بِالرَّبِّ وٱبتَهِجوا أَيُّها الأَبْرار
وهَلِّلوا يا مُستَقيمي القُلوبِ أَجمَعين.

٦٧. شكر على الغلال

«الارض أعطت غلّتها»

لا شك ان وفرة الغلال هي التي دعت إلى تأليف هذا المزمور. كان الوثنيون يعتقدون بأن الخصب يمكن الحصول عليه بالوسائل السحرية، في حين ان اليهودي الورِع كان يعتقد بأنه ثمر كرم الله، لا في إسرائيل فقط، بل في جميع الأمم. ومن هنا طابع الشمولية الذي يتّسم به هذا المزمور.

[٢] لِيَرحَمْنا اللهُ ولْيُبارِكْنا ولْيُضِئْ بِوَجهِه علَينا! سِلاه

[٣]لِكَي يُعرَفَ في الأَرضِ طَريقُكَ وفي جَميعِ الأُمَمِ خَلاصُكَ .
[٤]لِتَحمَدْكَ الشُّعوبُ يا أَللهُ لِتَحمَدْكَ الشُّعوبُ جَميعاً !
[٥]لِتَفرَحِ الأُمَمُ وتُهَلِّلْ لِأَنَّكَ بِالعَدْلِ تَدينُ العالَمين
بِالاَستِقامةِ تَدينُ الشُّعوب وفي الأَرضِ تَهْدي الأُمَم . سِلاه
[٦]لِتَحمَدْكَ الشُّعوبُ يا أَللهُ لِتَحمَدْكَ الشُّعوبُ جَميعاً !
[٧]ألأَرضُ أَعطَت غلَّتَها فلْيُبارِكْنا اللهُ إِلهُنا
[٨]لِيُبارِكْنا الله ولْتَخشَه أَقاصي الأَرضِ جَميعُها !

٧. مزامير لمقاومة خور العزيمة

٤٢-٤٣. الإنسان في عمق الهوّة

«لماذا تكتئبين يا نفسي ؟»

يشكّل هذان المزموران صلاة واحدة تظهر وحدتهما في اللازمة التي تكرّر ثلاث مرّات : «لماذا تكتئبين يا نفسي ؟» . وهذه الصلاة ، التي تُتلى في ساعات خور العزيمة ، تدل على ان الرجاء يُكتسَب بالقوة . نُفي لاوي من الجليل الى ينابيع الأردن ، فكان الوثنيون يسخرون به : «أين إلهك ؟ وماذا يصنع ؟» . وكان يذكر في الوقت نفسه احتفالات الهيكل حيث كان يوجّه جمهور الحُجّاج . فظهر الرجاء يوماً بعد يوم وكأنه بصيص نور : «ارتجي الله ، فإني سأعود أحمده» .

لا يصعب علينا ، في شتى الظروف ، ان نتلو هذا المزمور في الساعات الحالكة وان نبني في أنفسنا رجاءنا .

٤٢ [٢]كما يشْتاقُ الأَيِّلُ إِلى مَجاري المِياه
كذلِكَ تَشْتاقُ نَفْسي إِلَيكَ يا أَللهُ .
[٣]ظَمِئَت نَفْسي إِلى الله ، إِلى الإِلهِ الحَيِّ متى آتي وأَحضُرُ أَمامَ الله ؟

٤قد كانَ لي دَمْعي خُبْزاً نَهاراً ولَيلاً
إِذ قيلَ لي طولَ يَومي : «أَينَ إِلٰهُك ؟»
٥أَذكُرُ هذا فأُفيضُ نَفْسي علَيَّ :
إِنِّي أَعبُرُ مع الجُمْهورِ وأَقصِدُ بِهِم بَيتَ الله
بِصَوتِ تَهْليلٍ وحَمْدِ المُعَيِّدين .
٦لِماذا تَكتَئِبينَ يا نَفْسي وعلَيَّ تنوحين ؟
إِرتَجي اللهَ فإِنِّي سأَعودُ أَحمَدُه
وهو خَلاصُ وَجْهي[٣٢] ٧وإِلٰهي .
تَكتَئِبُ نفسي فِيَّ فلِذلِكَ أَذكُرُكَ :
مِن أَرضِ الأُردُنِّ وجِبالِ حَرْمون مِن جَبَلِ مِصْعار[٣٣] .
٨غَمْرٌ يُنادي غَمْراً على صَوتِ شَلاَّلاتِكَ
جَميعُ مِياهِكَ وأَمواجِكَ قد جازَت علَيَّ .
٩في النَّهارِ يأمُرُ الرَّبُّ رَحمَتَه
وفي اللَّيلِ نَشيدُه عِنْدي صَلاةٌ لإِلٰهِ حَياتي .
١٠أَقولُ للهِ صَخرَتي : «لِمَاذا نَسيتَني
ولِمَاذا أَسيرُ بالحِدادِ مِن مُضايَقَةِ العَدُوّ ؟»
١١عِندَ تَرَضُّضِ عِظامي عَيَّرَني مُضايِقِيَّ
بِقَولِهم لِيَ النَّهارَ كُلَّه : «أَينَ إِلٰهُكَ ؟»

(٣٢) = خلاصي .
(٣٣) جبل بالقرب من ينابيع الأردن .

[١٢] لِمَاذا تكتئِبينَ يا نَفْسي وعَلَيَّ تنوحين؟
إِرتَجي اللهَ فإِنِّي سأَعودُ أَحمَدُه
وهو خَلاصُ وَجْهي وإِلهي.

٤٣ [١] أَللَّهُمَّ أَنْصِفْني ودافِعْ عن قَضِيَّتي مع قَوْمٍ غَيرِ أَصفِياء
ومِن صاحِبِ الكَيدِ والإِثْمِ نَجِّني.
[٢] فإِنَّكَ أَنتَ إِلهُ حِصْني فلِماذا نَبَذتَني؟
ولِماذا أَسيرُ بِالحِدادِ مِن مُضايَقَةِ الأَعْداء؟
[٣] أَرسِلْ نورَكَ وحَقَّكَ فهما يَهدِياني
إِلى جَبَلِ قُدسِكَ وإِلى مَساكِنِكَ يوصِلاني.
[٤] فأَدخُلُ إِلى مَذبَحِ الله إِلى إِلهِ فَرَحي وآبتِهاجي
وبالكِنَّارةِ أَحمَدُكَ يا أَللهُ إِلهي.
[٥] لِماذا تَكتَئِبينَ يا نَفْسي وعلَيَّ تَنوحين؟
إِرتَجي اللهَ فإِنِّي سأَعودُ أَحمَدُه
وهو خَلاصُ وَجْهي وإِلهي.

٨. مزامير للألم

الألم نصيب كل كائن بشري. عرفه صاحب المزمور كما عرفناه نحن أيضاً. والاصداء التي وصلت إلينا تختلف في عبارتها. فنحن تارة أمام تذكير بألم شديد، يُضاف إليه شكر حارّ، وتارة أمام ألم لا يزال يُرهقنا، سواءٌ أكان جسدياً أم نفسياً، فنرسل صراخاً إلى الله. هذه المزامير لها طابع إنساني عميق، ولذلك تبقى حالية في جميع الظروف.

٢٢. الله يتركنا في الظاهر

«إلهي إلهي، لماذا تركتني؟»

انه مزمور لساعات الشدّة، كرّر يسوع، وهو على الصليب، كلماته الأولى، ولم يفعل ذلك فقط لأنه «أتمّ» مثال المتألّم على أكمل وجه، بل لأن هذا المزمور يحتوي على الصلاة العاديّة التي يرفعها الانسان، إذا تركه الله في الظاهر وهو في قلب المحنة. في القسم الأول، يعرض صاحب المزمور حالته الميئوس منها: قد يعاني من مرض مُقرِف أثار عليه سخرية أعدائه، أو قد اضطهد لاسباب غير صوابية. يمكننا أن نقارن هذا المزمور بنشيد العبد المتألّم. وفي الانجيل، بعد التلميحات الى هذا المزمور، نجدها في رواية الآلام. وفي القسم الثاني، شكر لله الذي انتشل صاحب المزمور من ضيقه. أمّا الخاتمة فلها طابع الشمولية.

[٢] إلهي إلهي، لِماذا تَرَكتَني؟ هَيهاتِ أَن تُخَلِّصَني كَلِماتُ زَئيري!
[٣] إلهي، في النَّهارِ أَدْعو فلا تُجيب وفي اللَّيلِ لا سَكينَةَ لي.
[٤] أَمَّا أَنتَ فإِنَّكَ قُدُّوس جالِسٌ في تَسابيحِ إِسْرائيل.
[٥] علَيكَ تَوَكَّلَ آباؤُنا تَوَكَّلوا فنَجَّيتَهم.
[٦] إِلَيكَ صَرَخوا فنَجَوا وعَلَيكَ تَوَكَّلوا فلم يَخزَوا.
[٧] أَمَّا أَنا فدودَةٌ لا إِنْسان عارٌ عِندَ البَشَرِ ورَذالَةٌ في الشَّعْب.
[٨] جَميعُ الَّذينَ يَرونَني يَسخَرونَ
بي ويَفغَرونَ الشِّفاهَ ويَهُزُّونَ الرُّؤُوس:
[٩] «إِلى الرَّبِّ سلَّمَ أَمرَه فلْيُنَجِّهْ ولأَنَّهُ يُحِبُّه فلْيُنقِذْه».
[١٠] أَنتَ مِنَ البَطْنِ أَخرَجتَني وعلى ثَدْيَي أُمِّي طَمأَنتَني
[١١] علَيكَ مِنَ الرَّحِمِ أُلْقيتُ ومِن بَطْنِ أُمِّي أَنتَ إِلهي[٣٤]
[١٢] لا تَتَباعَدْ عنِّي فقدِ اقتَرَبَ الضِّيقُ ولا مُعين.

(٣٤) هذا القول الأخير يضفي على الأقوال السابقة معناها.

١٥مِثْلَ الماءِ آنسَكَبتُ وتَفَكَّكَت جميعُ عِظامي .
مِثلَ الشَّمْعِ صارَ قَلْبي وذابَ في وَسْطِ أَحْشائي .
١٦كالخَزَفِ جَفَّ حَلْقي ولِساني لَصِقَ بِفَكِّي
وفي تُرابِ المَوتِ أَضجَعْتَني .
١٧كِلابٌ كثيرةٌ أَحاطَت بي زُمرَةٌ مِنَ الأَشْرارِ أَحدَقَت بي .
ثَقَبوا يَدَيَّ ورِجلَيَّ .
١٨وأَحصَوا كُلَّ عِظامي وهم يَنْظُرونَ ويَرونَني .
١٩يَقتَسِمونَ بَينَهم ثِيابي ويَقتَرِعونَ على لِباسي .
٢٠وأَنتَ يا رَبُّ ، لا تَتَباعَد يا قُوَّتي ، أَسرِعْ إِلى نُصرَتي .
٢٣سأُبَشِّرُ إِخوَتي بِآسمِكَ وفي وَسْطِ الجَماعَةِ أُسَبِّحُكَ .
٢٤«يا أَتقِياءَ الرَّبِّ سَبِّحوه ويا ذُرِّيَّةَ يَعْقوبَ كافَّةً مَجِّدوه .
ويا ذرِّيَّةَ إِسْرائيلَ كافَّةً آخشَوه»
٢٥فإِنَّه لم يَزدَرِ بُؤسَ البائِسِ ولم يَستَقبِحْه
ولا حَجَبَ عنه وَجهَه وإِذا صَرَخَ إِلَيه كانَ سَميعاً .
٢٧سيأكُلُ الوُضَعاءُ ويَشبَعون ويُسَبِّحُ الرَّبَّ مُلتَمِسوه .
لِتَحْيَ قُلوبُكم لِلأَبَد .
٢٨جَميعُ أَقاصي الأَرضِ تَتَذَكَّر وإِلى الرَّبِّ تَتوب
وجَميعُ عَشائِرِ الأُمَمِ أَمامَه تَسجُد
٢٩لأَنَّ المُلكَ لِلرَّبِّ وهو يَسودُ الأُمَم .
٣٠لَه وَحدَه يَسجُدُ جَميعُ عُظَماءِ الأَرض
وأَمامَه يَجْثو جَميعُ الهابِطينَ إِلى التُّراب

لَه تَحْيا نَفْسي [٣١]وإِيَّاه تَعبُدُ ذُرِّيَّتي .

٨٨. صلاة لزمن المرض

«صرتُ كرجل لا قوّة له»

هذه الصلاة هي صلاة «رجل لا قوّة له» ، يعاني المرض منذ طفولته ، ويعلم بأن مرضه عضال . لا يظهر في النص أيّ أمل ، بل عَرضُ حالة راهنة واستغاثة ورغبة في عدم الموت منذ اليوم . لا نستغرب خوف هذا الرجل أمام الموت الذي يفصله عن الله للابد . وهذا ما يزيدنا تقديراً للوحي المسيحي في شأن الحياة بعد الموت ، اذ اننا نعلم ، بعد مجيء المسيح ، بأن الالم يمكن أن يكون فعّالاً ، وبأن الموت لا يفصل عن الله ، بل يرينا رأفته وأمانته .

[٢]أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ خَلاصي في النَّهارِ صَرَختُ وأَنا في اللَّيلِ أَمامَكَ .
[٣]لِتَبلُغْ صَلاتي إِلى أَمامِكَ أَمِلْ أُذُنَكَ إِلى صُراخي .
[٤]فقد شَبِعَت مِنَ البَلايا نَفْسي ولامَسَت مَثْوى الأَمواتِ حَياتي .
[٥]حُسِبتُ مع المُنحَدِرينَ في الجُبِّ صِرتُ كَرَجُلٍ لا قُوَّةَ لَه .
[٦]فِراشي بَينَ الأَمْوات مِثْلُ القَتْلى الرَّاقِدينَ في القُبور
مَن عُدتَ لا تَذكُرُهم وهم مِن يَدِكَ مُنتَزَعون .
[٧]جَعَلتَني في الجُبِّ الأَسفَل في الأَعماقِ والظُّلُمات .
[٨]علَيَّ ثَقُلَ غَضَبُكَ وضايَقتَني بِجَميعِ أَمْواجِكَ . سِلاه
[٩]أَبعَدتَ عنِّي مَعارِفي ولَهم قَبيحةً جَعَلتَني .
قد أُغلِقَ علَيَّ فلا مَخرَجَ لي [١٠]ذابَت مِنَ البُؤسِ عَيني .
إِلَيكَ يا رَبِّ طَوالَ النَّهارِ صَرَختُ وإِلَيكَ كَفَّيَّ بَسَطتُ .
[١١]«أَلِلأَمْواتِ تَصنَعُ العَجائِب أَم يَقومُ الأَشْباحُ لِيَحمَدوكَ ؟ سِلاه
[١٢]أَفي القبرِ يُحَدَّثُ بِرَحمَتِكَ وفي الهاوِيَةِ بِأَمانَتِكَ ؟

١٣أَفي الظُّلمَةِ تُعرَفُ عَجائِبُكَ وفي أَرضِ النِّسْيانِ بِرُّكَ؟»
١٤إِلَيكَ يا رَبِّ أَصرُخ وإِلَيكَ في الصَّباحِ تُبادِرُ صَلاتي.
١٥لِمَ يا رَبِّ تَنبِذُ نَفْسي وتَحجُبُ وَجهَكَ عَنِّي؟
١٦مِسْكينٌ أَنا ومُنازِعٌ مُنذُ طُفولَتي وقد قاسَيتُ أَهْوالَكَ فعَيِيت.
١٧جازَ علَيَّ غَضَبُكَ وأَفنَتني مَخاوِفُكَ.
١٨كالمِياهِ أَحاطَت بي طَوالَ النَّهار وأَطبَقَت علَيَّ في آنٍ واحِد.
١٩أَبعَدتَ عنِّي المُحِبَّ والرَّفيق فلَيسَ لي سِوى الظَّلامِ أَنيس.

١٠٢. صلاة إنسان بائس

«يا ربّ استمع صلاتي»

إنسان في كامل عافيته يمرّ بمحنة تحطّم قواه وتتركه خائر العزيمة ومنعزلاً. وحين يفكّر في الله، يشاهده دائماً هو هو طوال القرون. فتصعد من قلبه هذه الصلاة: «يا إلهي، لا ترفعني».

٢يا رَبِّ آستَمِعْ صَلاتي ولْيَبلُغْ إِلَيكَ صُراخي.
٣في يَومِ ضيقي لا تَحجُبْ عنِّي وَجهَك أَمِلْ إِلَيَّ أُذُنَك.
أَسرِعْ إِلى إِجابَتي يَومَ أَدْعوك.
٤فأَيَّامي كالدُّخانِ تَلاشَت وعِظامي كالوَقودِ آضْطَرَمَت.
٥أُصيبَ ويَبِسَ كالعُشْبِ قَلْبي حتَّى نَسيتُ أَن آكُلَ خُبْزي.
٦مِن صَوتِ تأَوُّهي لَصِقَ جِلْدي بِعَظْمي.
٧شابَهتُ بَجعَةَ البَرِّيَّة صِرتُ مِثلَ بومَةِ الأَخرِبة.
٨سَهِرتُ ونُحتُ كالعُصْفورِ المُنفَرِدِ على الأَسْطِحَة.
٩طَوالَ النَّهارِ عَيَّرَني أَعْدائي وفي حَنَقِهم علَيَّ يَلعَنونَني.
١٠أَكَلتُ الرَّمادَ مِثلَ الخُبْزِ ومَزَجتُ بِالدُّموعِ شَرابي

[١١] بِسَبَبِ غَضَبِكَ وسُخطِكَ فإِنَّكَ رَفعتَني ثُمَّ طَرَحتَني .
[١٢] أَيَّامي كظِلٍّ مائِل وقد يَبِسْتُ كالعُشْب .
[٢٤] في الطَّريقِ أوهَنَ قُوَّتي وقَصَّرَ أَيَّامي .
[٢٥] أَقولُ : يا إِلهي لا تَرفَعْني في نِصفِ أَيَّامي إِلى جيلٍ فجيلٍ سِنوكَ.
[٢٦] في البَدْءِ أَسَّستَ الأَرضَ والسَّمواتُ صُنعُ يَدَيك
[٢٧] هي تَزولُ وأَنتَ تَبْقى وكُلُّها كالثَّوبِ تَبْلى
وكما يُغَيَّرُ الثَّوبُ تُغَيِّرُها [٢٨] وأَنتَ أَنتَ وسِنوكَ لا تَنتَهي .

٩. مزامير تسبيح

لعلَّ هذه المزامير تساعدنا ، أكثر من سائر المزامير ، على تجديد صلاتنا . فإنها تعبّر عن تجرّد تامّ ، لا نرى بفضله إلاّ الله في عمله القدير المفيد . نؤخذ برأفته ونتمنّى لو مَلَكَ على العالم كله . وفي الخلفية ، نفتخر بأنه هو ملك اسرائيل .

هذه المزامير متنوّعة جداً ، فإلى جانب تسبيح لخصب الأرض ، نرى أصحاب المزامير ينظرون إلى الرب نظرهم الى إله الفقراء (راجع نشيد مريم العذراء) . او يدعون كافة الشعوب الى الانضمام الى تسبحة اسرائيل . سنتوقّف بالأفضلية عند المزمور ١٣٩ الذي عبّر الكاتب فيه تعبيراً رائعاً ، بكلمات بشرية هزيلة ، عن حضور الله وعلمه اللامتناهي . وتنتهي مجموعة المزامير بصلاة طقسية ، تُدعى فيها جميع آلات الطرب عند اللاويين الى الاشتراك في تسبيح الله .

٣٣. نشيد في قدرة الله ورأفته

«كلمة الله مستقيمة»

هذا نشيد في قدرة الله . يبتدئ المزمور بالتسبيح وينتهي بصرخة رجاء .

[١] هَلِّلوا لِلرَّبِّ أَيُّها الأَبْرار فإِنَّ التَّسبيحَ يَجدُرُ بِالمُستَقيمين .
[٢] إِحمَدوا الرَّبَّ بِالكِنَّارة وآعزِفوا له على عودٍ عُشارِيِّ الأَوتار .
[٣] أَنشِدوا لَه نَشيداً جَديداً أَحسِنوا العَزفَ مع الهُتاف .

٤فإنَّ كلِمةَ الرَّبِّ مُستَقيمة وجَميعَ صُنعِه أَمانة .
٥يُحِبُّ البِرَّ والحَقّ ومِن رَحمَةِ الرَّبِّ آمتلأَتِ الأَرض .
٦بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوات وبروحِ فَمِه صُنِعَ كُلُّ جَيشِها .
٧يَجمَعُ مِياهَ البِحارِ وكأَنَّها سَدّ ويَجعَلُ الغِمارَ في أَحْواض .
٨فلتَخْشَ الرَّبَّ الأَرضُ كُلُّها ولْيَهَبْه جَميعُ سُكَّانِ الدُّنْيا .
٩إِنَّه قالَ فكان(٣٥) وأَمَرَ فوُجِد .
١٠الرَّبُّ يُحبِطُ مَساعِيَ الأُمَم ويُبطِلُ أَفكارَ الشُّعوب
١١أَمَّا مَساعي الرَّبِّ فلِلأَبَدِ قائِمة وأَفْكارُ قَلبِه مدى الأَجيالِ باقِيَة .
١٢طوبى لِلأُمَّةِ الَّتي كانَ لَها الرَّبُّ إِلهاً
ولِلشَّعبِ الَّذي آختارَه لَه ميراثاً .
١٣الرَّبُّ مِنَ السَّمواتِ نَظَر فرأَى جَميعَ بَني البَشَر .
١٤مِن مَقَرِّ سُكْناه راقَبَ سُكَّانَ الأَرضِ أَجمَعين .
١٥هو وَحدَه جابِلُ قُلوبِهم ومُطَّلِعُ على جَميعِ أَعْمالِهم .
٢٠تنتَظِرُ الرَّبَّ نُفوسُنا فهو نُصرَتُنا وتُرسُنا .
٢١به تَفرَحُ قُلوبُنا وعلى آسمِه القُدُّوسِ تَوَكُّلْنا .
٢٢لِتَكُنْ عَلَينا يا رَبُّ رَحمَتُكَ بِحَسَبِ رَجائِنا لَكَ .

٦٥. الى الله الذي يعطي الأَرض خصبها

«افتقدتَ الأَرض وسقَيتَها»

في هذا المزمور نفحة شعرية قوية ، وهو يشبه المزمور ٦٧. للماء أهمية كبرى في

(٣٥) تذكير ب تك ١، فالكلمة خالقة .

فلسطين، وهي عطية الرب الكبرى. نرى الله يطوف البلاد في مركبة ويزرع الخِصب.

[٢]أَللَّهُمَّ في صِهْيونَ يَجدُرُ بِكَ التَّسْبيح
[٥]فطوبى لِمَن تَخْتارُه وتُقَرِّبُه فيَسكُنُ في دِيارِكَ
فنَشبَعُ مِن خَيراتِ بَيتِكَ ومِن قُدْسِ هَيكَلِكَ.
[٦]بأَعاجبَ مِنَ البِرِّ تَستَجيبُ لَنا يا إِلهَ خَلاصِنا
يا مُعتَمَدَ أَقاصي الأَرضِ كُلِّها والجُزُرِ البَعيدة.
[٧]يا مَن بِقُوَّتِه يُوَطِّدُ الجِبال ويَتَسَربَلُ بِالِاقتِدار
[٨]ويَسكُنُ عَجيجَ البِحار وهَديرَ الأَمواجِ وصَخَبَ الشُّعوب.
[٩]السَّاكِنونَ في الأَقاصي يَخافونَ آياتِكَ
وبِفَضلِكَ تُهَلِّلُ أَبوابُ الصَّباحِ والمَساء.
[١٠]اِفتَقَدتَ الأَرضَ وسَقَيتَها وبالغِنى غَمَرتَها
نَهرُ اللهِ آمتَلأَ مِياهاً ولِلنَّاسِ تُعِدُّ الحِنطَة.
فكذلِكَ أَعدَدتَ الأَرْض.
[١١]تُرَوِّي أَتلامَها وتُسَوِّي أَخاديدَها بِالوابِلِ تُبَلِّلُها وتُبارِكُ نَبتَها.
[١٢]تُكَلِّلُ العامَ بِجودِكَ وتَقطُرُ بِالدَّسَمِ آثارُكَ.
[١٣]مَراعي البَرِّيَّةِ تَقطُر والتِّلالُ بِالبَهجَةِ تَتَسَربَل
[١٤]المُروجِ بِالغَنَمِ تَكْتَسي والأَودِيَةُ بِالحِنطَةِ تَتَوشَّح
فيَهتِفونَ ويُنشِدون.

١٠٠. دعوة الى التسبيح

«اهتفوا للرب يا أهل الأرض جميعاً»

كان الحجّاج يرنّمون هذا المزمور عند دخولهم الى الهيكل. وهذه الصلاة بسيطة

وغنيّة في آن واحد، فإن الفرح بالانتماء الى الرب والتيقّن من محبته وأمانته يضفيان على هذا المزمور القصير كثافة خاصة.

[٢]إهتِفوا لِلرَّبِّ يا أَهلَ الأَرضِ جَميعاً
أُعبُدوا الرَّبَّ بِالفَرَح   أُدخُلوا إِلى أَمامِه بِالتَّهْليل.
[٣]إعلَموا أَنَّ الرَّبَّ هو الله
هو صَنَعَنا ونَحنُ لَه   نَحنُ شَعبُه وغَنَمُ مَرْعاه.
[٤]أُدخُلوا أَبوابَه بِالشُّكْران   ودِيارَه بِالتَّسْبيح
إِحمَدوه وبارِكوا آسمَه.
[٥]فإِنَّ الرَّبَّ صالِحٌ ولِلأَبَدِ رَحمَتُه   وإِلى جيلٍ فجيلٍ أَمانَتُه.

١١٣. التسبيح لإله الفقراء

«يُنهض المسكين من التراب»

في المزمور تعارض بارز بين قدرة الله ومجده من جهة، والمفضَّلين عنده من جهة أخرى، كالفقراء والبؤساء والمرأة العاقر. والله قادر على قلب هذه الأوضاع. وفي ذلك تمهيد، لا لنشيد مريم العذراء فقط، بل لتعليم يسوع في الملكوت أيضاً، ولا سيّما في التطويبات. وهذا المزمور هو مطلع الهَلِّيل الذي تلاه يسوع مساء خميس الأسرار.

[١]هَلِّلويا!
يا عَبيدَ الرَّبِّ سَبِّحوا   لِآسمِ الرَّبِّ سَبِّحوا
[٢]لِيَكُنِ آسمُ الرَّبِّ مُبارَكاً   مِنَ الآنَ ولِلأَبَد.
[٣]مِن مَشرِقِ الشَّمسِ إِلى مَغرِبِها   اِسمُ الرَّبِّ مُسبَّح
[٤]تَعالى الرَّبُّ على جَميعِ الأُمَم   وفَوقَ السَّمَواتِ مَجدُه!
[٥]مَن مِثلُ الرَّبِّ إِلهِنا   الجالِسِ في الأَعالي

[6]الَّذي تَنازَلَ ونَظَر إِلى السَّمَواتِ والأَرض؟
[7]يُنهِضُ المِسْكِينَ مِنَ التُّراب ويُقيمُ الفَقيرَ مِنَ الأَقْذار
[8]لِيُجلِسَه مع العُظَماء عُظَماءِ شَعبِه .
[9]يُجلِسُ عاقِرَ البَيتِ أُمَّ بَنينَ مَسْرورة .
هَلِّلويا !

١١٧. تسبيح شامل

«امدحيه يا جميع الشعوب»

مزمور شمولي التعبير. إلاَّ ان الداعي الى التسبيح يبقى موقف الله من اسرائيل .

[1]سَبِّحي الرَّبَّ يا جَميعَ الأُمَم وآمدَحيه يا جَميعَ الشُّعوب
[2]لِأَنَّ رَحمَتَه علَينا عَظيمة وصِدقَ الرَّبِّ قائمٌ أَبداً .
هلِّلويا !

١٣٩. التسبيح لمعرفة الله اللامتناهية

«الظلمة ليست ظلمةً عندك»

من السهل ان يستعمل المسيحي هذا المزمور الرائع، فإن الاختراعات الفنية العصرية لا تمسّ بتعالي الله .

[1]يا رَبِّ قد سَبَرْتَني فَعَرَفْتَني [2]عَرَفْتَ جُلوسي وقِيامي .
فَطِنتَ مِن بَعيدٍ لِأَفْكاري [3]قَدَّرتَ حَرَكاتي وسَكَناتي
وأَلِفتَ جَميعَ طُرُقي .
[4]قَبلَ أَن يَكونَ الكَلامُ على لِساني أَنتَ يا رَبُّ عَرَفتَه كُلَّه
[5]مِن وَراءُ ومِن قُدَّامُ طَوَّقتَني وجَعَلتَ علَيَّ يَدَكَ .
[6]عِلمٌ عَجيبٌ فَوقَ طاقَتي أَرفَعُ مِن أَن أُدرِكَه .

٧أَينَ أَذهَبُ مِن روحِكَ وأَينَ أَهرُبُ مِن وَجهِكَ ؟
٨إِن صَعِدتُ إِلى السَّماءِ فأَنتَ هُناكَ
وإِنِ آضَّجَعتُ في مَثْوى الأَمواتِ فأَنتَ حاضِر .
٩إِنِ آتَّخَذتُ أَجنِحَةَ الفَجْرِ وسَكَنتُ أَقاصِيَ البَحْرِ
١٠فهُناكَ أَيضاً يَدُكَ تَهْديني ويَمينُكَ تُمسِكُني .
١١وإِن قُلتُ : «لِتُغَطِّني الظُّلمَة ولِيَكُنِ اللَّيلُ زُنَّاراً حَولي»
١٢حَتَّى الظُّلمَةُ لَيسَت ظُلمَةً عِندَكَ واللَّيلُ يُضيءُ كالنَّهار .
١٣أَنتَ الَّذي كَوَّنَ كُليَتَيَّ ونَسَجَني في بَطْنِ أُمِّي .
١٤أَحمَدُكَ لِأَنَّكَ أَعجَزتَ فأَدهَشتَ . عَجيبةٌ أَعْمالُكَ .
نَفْسي أَنْتَ تَعرِفُها حَقَّ المَعرِفَة ١٥لم تَخْفَ عِظامي علَيْكَ
حينَ صُنِعتُ في الخَفاء وطُرِّزتُ في أَسافِلِ الأَرْض .
١٦رأَتْني عَيناكَ جَنيناً وفي سِفرِكَ كُتِبَت جَميعُ الأَيَّامِ
وكُوِّنَت قَبْلَ أَن توجَد .
١٧أَللَّهُمَّ ما أَصعَبَ أَفكارَكَ علَيَّ وما أَكثَرَ مَجموعَها !
١٨أَعُدُّها فتَزيدُ على الرِّمال وإِذا آستَيقَظتُ لا أَزالُ معَكَ .
٢٣أَللَّهُمَّ آسبِرْني وآعرِفْ قَلْبي إِمتَحِنِّي وآعرِفْ هُمومي
٢٤وآنظُرْ هل مِن سَبيلِ سوءٍ فِيَّ وآهْدِني سَبيلَ الأَبَد .

١٤٦. دواعٍ إلى تسبيح الله

«سَبِّحي الربَّ يا نفسي»

أمام الانسان القوي ، الذي لاشى الموت مشاريعه ، يبدو الله إله البِر ، الذي يُنقذ ويُنهض ويسهر بمحبة ، أو بكلمة واحدة ، الذي لا يزال عمله فعّالاً .

[1] هَلِّلويا !

سَبِّحي الرَّبَّ يا نَفْسي [2] أُسَبِّحُ الرَّبَّ طولَ حَياتي
ما دُمتُ حَيًّا أَعزِفُ لِإِلهي .
[3] لا تَتَّكِلوا على العُظَماء ولا على آبنِ آدَمَ الَّذي لا خَلاصَ عِندَه
[4] مَن تَخرُجُ روحُه فيَعودُ إِلى تُرابِه يَومَئِذٍ تَتَلاشى أَفْكارُه .
[5] طوبى لِمَن إِلهُ يَعقوبَ نُصرَتُه في الرَّبِّ إِلهِه رجاؤُه
[6] صانِعِ السَّمَواتِ والأَرضِ والبَحْرِ وكُلِّ ما فيها
حافِظِ الحَقِّ لِلأَبَد [7] مُجْري الحُكْمِ لِلمَظْلومين
رازِقِ الجِياعِ خُبزاً . أَلرَّبُّ يَحُلُّ قُيودَ الأَسْرى .
[8] الرَّبُّ يَفتَحُ عُيونَ العُمْيان الرَّبُّ يُنهِضُ الرَّازِحين .
الرَّبُّ يُحِبُّ الأَبْرار [9] الرَّبُّ يَحفَظُ النُّزَلاء
ويُؤَيِّدُ اليَتيمَ والأَرمَلَة ويُضِلُّ الأَشْرارَ في طَريقِهم .
[10] يَملِكُ الرَّبُّ لِلأَبَد إِلهُكِ يا صِهْيونُ إِلى جيلٍ فجيل .
هَلِّلويا !

١٤٨. دعوة الى الطبيعة لتسبح الله

«سبّحيه يا جميع كواكب النور»

ان العالم بأسره والطبيعة بأسرها مدعوّة الى تسبيح الرب . يمكن المقارنة بين هذا المزمور والمزمور ١٠٤ حيث النظرة تختلف .

[1] هَلِّلويا !

سَبِّحوا الرَّبَّ مِنَ السَّمَوات سَبِّحوه في الأَعالي .
[2] سَبِّحوه يا جَميعَ مَلائِكَتِه سَبِّحيه يا جَميعَ قوَّاتِه .

[٣]سَبِّحيه أَيَّتُها الشَّمسُ والقَمَر   سَبِّحيه يا جَميعَ كَواكِبِ النُّور .
[٤]سَبِّحيه يا سَماءَ السَّمَوات   ويا أَيَّتُها المِياهُ الَّتي فَوقَ السَّمَوات .
[٥]فلْتُسَبِّحِ آسمَ الرَّبِّ   فإِنَّه هو أَمَرَ فخُلِقَت
[٦]وأَقامَها إِلى الدَّهرِ وإِلى الأَبَد   سَنَّ سُنَّةً لن تَزول .
[٧]سَبِّحي الرَّبَّ مِنَ الأَرضِ   أَيَّتُها التَّنانينُ وجَميعُ الغِمار
[٨]النَّارُ والبَرَدُ ، والثَّلجُ والضَّباب   الرِّيحُ العاصِفَةُ المُنَفِّذَةُ لِكَلِمَتِه .
[٩]الجِبالُ وجَميعُ التِّلال   الشَّجَرُ المُثمِرُ وجَميعُ الأَرْز
[١٠]الوُحوشُ وجَميعُ البَهائِم   الحَيَواناتُ الدَّابَّةُ والطُّيورُ المُجَنَّحَة .
[١١]مُلوكُ الأَرضِ وجَميعُ الشُّعوب   الرُّؤَساءُ وجَميعُ قُضاةِ الأَرْض
[١٢]والشُّبَّانُ والعَذارى   والشُّيوخُ والأَحْداث .
[١٣]لِيُسَبِّحوا آسمَ الرَّبِّ   فإِنَّ آسمَه عالٍ دونَ سِواه
وجَلالَه فَوقَ الأَرضِ والسَّمَوات   [١٤]وقد عَظَّمَ قُوَّةَ شَعبِه .
فالتَّسْبيحُ في أَفواهِ جَميعِ أَصْفِيائِه
بَني إِسْرائيلَ الشَّعبِ المُقَرَّبِ إِلَيه .
هَلِّلويا .

١٥٠. تسبيح آلات الطرب

«سبِّحوه بالدفّ والرقص»

قامت آلات الطرب بدور هام في طقوس الهيكل. وهي تُعدّ وسيلة تسبيح تشارك كلام الانسان. نتصوّر احتفالات الحج، حيث كانت آلات الطرب ترافق نشيد المزامير.

[١]هَلِّلويا !
سَبِّحوا اللهَ في قُدسِه   سَبِّحوه في جَلَدِ عِزَّتِه

[٢]سَبِّحوه لِأَجْلِ مَآثِرِه   سَبِّحوه لِأَجْلِ وَفرَةِ عَظَمَتِه .
[٣]سَبِّحوه بِصَوتِ البوق   سَبِّحوه بِالعودِ والكِنَّارة
[٤]سَبِّحوه بِالدُّفِّ والرَّقْص   سَبِّحوه بِالأَوتارِ والمِزْمار
[٥]سَبِّحوه بِصُنوجِ الرَّنين   سَبِّحوه بِصُنوجِ الهُتاف
[٦]كُلُّ نَسمَةٍ فلْتُسَبِّحِ الرَّبَّ .
هَلِّلويا !

١٠. مزامير استغاثة

تأتي الاستغاثة عفوياً على لسان الانسان أمام الله الذي يخضع له في كل شيء. كثيراً ما يدور الكلام على استغاثة تقارب بين هذه المزامير والمزامير التي يعبّر فيها عن الألم. فجميع هذه الأناشيد مؤلَّفة على طريقة واحدة، ولذلك اكتفينا باختيار مزمورَين فقط.

٤٠. ابتهال حارّ

«لا تبطئ يا إلهي»

خلافاً للمزمور ٢٢، يُستهلّ هذا المزمور بشكر، والقسم الثاني وحده هو صلاة استغاثة. يمكن وضعه في عداد المزامير المستوحاة من إرميا النبي.

[٢]رَجَوتُ الرَّبَّ رَجاءً   فحَنا علَيَّ وسَمِعَ صُراخي
[٣]وأَصعَدَني مِن هاوِيَة الهَلاك   ومِن طينِ الأَوحال
وأَقامَ على الصَّخرِ قَدَمَيَّ   وثَبَّتَ خَطَواتي
[٤]وجَعَلَ في فمي نَشيداً جَديداً   تَسْبِحةً لِإِلهِنا .
يَرى الكَثيرونَ ويَرهَبون   وعلى الرَّبِّ يَتَّكِلون .
[٥]طوبى لِلإِنْسانِ   الَّذي جَعَلَ الرَّبَّ لَه وَكيلاً

ولم يَلتَفِتْ إلى المُتَكبِّرين والمُنْحازينَ إلى الكَذِب .
[٦]ما أكثَرَ ما صَنَعتَ أيُّها الرَّبُّ إلهي !
لَنا عَجائِبُكَ وتَدابيرُكَ فما لَكَ مِن مَثيل .
فلَو أرَدتُ أن أخبِرَ بِها وأتحَدَّث لَكانَت أكثَرَ مِن أن تُحْصى .
[٧]ذَبيحةً وتَقدِمَةً لم تَشَأْ لكِنَّكَ فَتَحتَ أُذُنَيَّ[٣٦]
ولم تَطْلُبْ مُحرَقَةً وذَبيحَةَ خَطيئة .
[٨]حينَئِذٍ قُلتُ : هاءَنَذا آتٍ فقَد كُتِبَ علَيَّ في طَيِّ الكِتاب
[٩]هَوايَ أن أعمَلَ بِمَشيئَتِكَ يا أللهُ شَريعَتُكَ في صَميمِ أحْشائي[٣٧]
[١٢]وأنتَ يا رَبِّ لا تَحبِسْ عنِّي مَراحِمَكَ
بل تَحفَظُني رَحمَتُكَ وحَقُّكَ على الدَّوام .
[١٣]شُرورٌ لا عَدَدَ لَها أحاطَت بي
وآثامي أدرَكَتْني فلَم أستَطِعْ أن أُبصِر
وصارَت أكثَرَ مِن شَعَرِ رأسي وقَلْبي قد هَجَرَني
[١٨]وأنا بائِسٌ مِسكين السَّيِّدُ يَهتَمُّ لي .
أنتَ نُصرَتي ومُخَلِّصي فلا تُبطِئْ يا إلهي .

(٣٦) يوافق صاحب المزمور العديد من الأنبياء ، فيقول ان الله لا يقبل الذبيحة إلاّ بقدر ما تعبّر عن الاستعدادات الباطنية . وهذه الاستعدادات تقوم على قبول الشريعة التي لا يفهمها الانسان تماماً إلاّ بنعمة من الله (فتح الآذان = فتح العقل) .

(٣٧) تكرار لما قيل في الآية ٧، ولكن بمزيد من التوضيح . وضع مؤلّف الرسالة الى العبرانيين هذه الكلمات على لسان المسيح عند دخوله الى العالم ، لكنه أضفى عليها معنًى يختلف قليلاً .

١٢٣. استغاثة

«عيوننا إلى الرب إلهنا»

هذه الاستغاثة ترافقها ثقة عظيمة ، فان صاحب المزمور متيقّن من تدخّل الله ، إلاّ ان ساعة تدخّله تبقى غير أكيدة .

[1]إلَيكَ رَفعتُ عَينَيَّ يا ساكِنَ السَّموات .
[2]كما يَرفَعُ العَبيدُ عُيونَهم إِلى يَدِ سادَتِهم
وكما تَرفَعُ الأَمَةُ عَينَيها إِلى يَدِ سَيِّدَتِها
كذلِكَ عُيونُنا إِلى الرَّبِّ إِلهِنا حَتَّى يَتَحَنَّنَ علَينا .
[3]تَحَنَّنْ علَينا يا رَبُّ ، تَحَنَّنْ علَينا فقَد شَبِعْنا هَواناً
[4]ولقَد شَبِعَت نُفوسُنا مِن هُزْءِ المُتَرَفين .

١١. مزامير توبة

٥١. ارحمني يا الله

«إغسلني فأفوق الثلج بياضاً»

مزمور «إرحمني يا الله» هو مزمور نموذجي لهذه الأُسرة . ليس داودُ صاحبه ، لكنه يعبّر عن المشاعر التي كانت مشاعره بعد ارتكابه الخطيئة المزدوجة – الزنى ببتشابع وقَتل زوجها . إنه مجبول بتعليم الأنبياء (حزقيال) ، وهو يعبّر عن الندامة الصادقة التي تشعر بها كل نفس خاطئة ، والرغبة الحارّة في الاطّهار والتجدّد الباطني . ولذلك تعرض الكنيسة علينا هذا المزمور للتوبة . وجدير بالذكر ان صاحب المزمور يشدّد على الندامة الباطنية ، وهي افضل من الذبيحة المادية .

[3]إرحَمْني يا أَللهُ بِحَسَبِ رَحمَتِكَ وبِكَثْرَةِ رأفَتِكَ اَمْحُ مَعاصِيَّ .
[4]زِدْني غُسْلاً مِن إِثْمي ومِن خَطيئَتي طَهِّرْني .
[5]فإِنِّي عالِمٌ بِمَعاصِيَّ وخَطيئَتي أَمامي في كُلِّ حين .
[6]إِلَيكَ وَحدَكَ خَطِئتُ والشَّرَّ أَمامَ عَينَيكَ صَنَعتُ

فتَكونُ عادِلاً إذا تكلَّمتَ وتكونُ نَزيهاً إذا قَضَيتَ.
[٧]إنِّي في الإثْمِ وُلِدتُ وفي الخَطيئةِ حَبِلَت بي أُمِّي.
[٨]أحبَبتَ الحقَّ في أَعْماقِ النَّفس وعلَّمتَني الحِكمَةَ في الخِفْيَة.
[٩]نَقِّني بِالزُّوفى(٣٨) فأطهُر إغسِلْني فأفوقَ الثَّلجَ بَياضاً.
[١٠]أَسمِعْني سُروراً وفَرَحاً فتَبتَهِجَ العِظامُ الَّتي حَطَّمتَها.
[١١]أُحجُبْ وَجهَكَ عن خَطايايَ وآمحُ جَميعَ آثامي.
[١٢]قَلباً طاهِراً آخلُقْ فِيَّ يا أَلله ورُوحاً ثابِتاً جَدِّد في باطِني.
[١٣]مِن أمامِ وَجهِكَ لا تَطرَحْني وروحُكَ القُدُّوسُ لا تَنزِعْه مِنِّي.
[١٤]أُردُدْ لي سُرورَ خَلاصِكَ فيُؤَيِّدَني روحٌ كَريم.
[١٥]أُعَلِّمُ العُصاةَ طُرُقَك فيَتوبُ إِلَيكَ الخاطِئون.
[١٦]أَنقِذْني مِنَ الدِّماءِ يا أَللهُ إلهُ خَلاصي
فيَهتِفَ لِساني بِبِرِّكَ.
[١٧]أَيُّها السَّيِّدُ آفتَحْ شَفَتَيَّ فيُخبِرَ فَمي بِتَسبِحَتِكَ
[١٨]فإنَّكَ لا تَهْوى الذَّبيحة وإذا قَرَّبتُ مُحرَقةً فلا تَرتَضي بِها.
[١٩]إنَّما الذَّبيحةُ للهِ روحٌ مُنكَسِر
القَلبُ المُنكَسِرُ المُنسَحِق لا تَزْدَريه يا أَلله.
[٢٠]أَحسِنْ بِرِضاكَ إلى صِهْيون فآبنِ أَسوارَ أُورَشَليم.
[٢١]حينَئذٍ تَرْضى بِذَبائحِ البِرّ - بِالمُحرَقَةِ والتَّقدِمةِ التَّامَّة -
حينَئذٍ يُقَرِّبونَ على مَذبَحِكَ العُجول.

(٣٨) نبات كانوا يستعملون ساقه للرشّ في التطهير.

١٢. مزامير في الخليقة

تشكّل هذه المزامير تسبيحاً لقدرة الله الخالقة. وفي الوقت نفسه، يبدو اسهامها اللاهوتي هاماً جداً. في الأساطير القديمة، كانت المياه الأصلية مؤلّهة، وكانت قد قُهرت في أعقاب معركة ضارية، وكان يُخشى ان يتجدّد الخواء الأصلي. وكان هناك إله العاصفة وكثير من الآلهة الثانوية التي تختلط بالعناصر الطبيعية. أمَّا هذه المزامير، فإن الرب يظهر فيها الإله الأوحد، الذي خلق كل شيء ونظَّمه بكلمته، من دون ان يقاومه أحد.

وهذه المزامير تتضمّن أيضاً تعليماً في بعض الأحيان، وتأمُّلاً في بعض الأمور الجوهرية، كحكمة الله وعظمة الإنسان وشقائه.

لا حاجة إلى الاضافة أن هذه القصائد لا تتّسم بأي طابع رومنطيقي، وأن النزعة الغنائية التي تنبعث منها أحياناً مُشبعة بالايمان العميق وموجَّهة الى موقف ديني.

لا تَرِد هذه المزامير، على سبيل الاستثناء، بالترتيب العددي، بل بتعاقب ينتقل من التأمل الاعجابي في حركة الله الخلاَّقة، الى التعليم الذي يُستخلص في مجال علاقات الانسان مع الله.

١٠٤. تسبيح الاله الخالق

«صَنعتَ كل شيء بالحكمة»

في أثناء الجلاء الى بابل، توسَّع تعليم الأنبياء - أشعيا الثاني - في فكرة الله الخالق، فأكملت هذه الفكرة المفهوم الأصلي للإله المخلّص. وفي الوقت نفسه، حرَّرت حلقات بابل الكهنوتية تاريخاً لإسرائيل كان مدخله الفصل الأول من سفر التكوين، حبَّذا لو قرأناه قبل تلاوة هذا المزمور، لأنه ألهم صلاة صاحب المزمور. لكنه لم يتقيَّد بحرفية مصادره. والفكرة التي وجَّهت تعداده أعمال الله هي الحكمة التي بها رُتِّبت: «لقد صنعتَ جميعها بالحكمة».

الاعجاب دائم والخاتمة سهلة: «اعزف لله ما دُمتُ». في نظرنا نحن أيضاً، الخليقة واختراعات الفنون هي عمل الله. فعلينا ان نُعجب بها وان نشكر الله عليها.

[1] بارِكي الرَّبَّ يا نَفْسي   أَيُّها الرَّبُّ إِلهي لقد عَظُمتَ جِدًّا
تَسَربَلتَ البَهاءَ والجَلال   [2] أَنتَ المُلتَحِفُ بِالنُّورِ كرِداء

الباسِطُ السَّماءَ كالسِّتارة ³الباني عُلِّيَّاتِه على المِياه[٣٩]
الجاعِلُ الغَمامَ مَركَبَةً لَه السَّائِرُ على أَجنِحَةِ الرِّياح
⁴الجاعِلُ مِنَ الرِّياحِ رُسُلَه ومِن لَهيبِ النَّارِ خُدَّامَه
⁵المؤسِّسُ الأرضَ على قواعِدِها فلا تَتَزَعزَعُ أَبَدَ الدُّهور .
⁶كَسَوتَها الغَمرَ[٤٠] لِباساً على الجِبالِ وَقَفَتِ المِياه .
⁷عِندَ زَجرِكَ تَهرُب وعِندَ صَوتِ رَعدِكَ تَهطُل
⁸تَعْلو الجِبالَ وتَنزِلُ إِلى الأَودِيَة إِلى المَوضِعِ الَّذي حَدَّدتَ لَها .
⁹جَعَلتَ لَها حَدًّا لا تُجاوِزُه فلا تَعودُ تُغَطِّي وَجهَ الأَرض .
¹⁰أَنتَ مُفَجِّرُ العُيونِ في الوِهاد فتَسيلُ بَينَ الجِبال
¹¹تَسْقي جَميعَ وُحوشِ البَرِّيَّة وبِها تُرْوي حَميرُ الوَحْشِ عَطَشَها
¹²عِندَها تَسكُنُ طُيورُ السَّماء وتُغَرِّدُ مِن بَينِ الأَغْصان .
¹³من عُلِّيَّاتِكَ تَسْقي الجِبال ومِن ثَمَرِ أَعْمالِكَ تَشبَعُ الأَرض
¹⁴تُنبِتُ لِلبَهائِمِ كَلأً ولِخِدمَةِ البَشَرِ خُضَراً
لِإِخْراجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرض ¹⁵وخَمرٍ تُفَرِّحُ قَلبَ الإِنْسان
لِكَي يُنَضِّرَ الزَّيتُ الوُجوه[٤١] ويُسنِدَ الخُبزُ قَلبَ الإِنْسان .
¹⁶تَشبَعُ أَشْجارُ الرَّبِّ أَرزُ لُبْنانَ الَّذي غَرَسَه .
¹⁷هُناكَ تُعَشِّشُ العَصافير وبَيتٌ لِلَّقلَقِ في رُؤُوسِها
¹⁸الجِبالُ الشَّامِخَةُ لِلوُعول والصُّخورُ مُعتَصَمٌ لِلوَبار

(٣٩) كانت الكسمولوجية العبرية تجعل قسماً من الماء فوق قبّة الجَلَد .
(٤٠) = البحر ، في اصطلاح الساميين .
(٤١) كانوا يستخدمون الزيت للتجميل .

[١٩] صَنَعَ القَمَرَ لِلأَوقات والشَّمسُ عَرَفَت غُروبَها .
[٢٠] تُلْقي الظَّلامَ فإِذا اللَّيل فيه تَسْعى جَميعُ وُحوشِ الغاب .
[٢١] تَزأَرُ الأَشبالُ في طَلَبِ الفَريسة والْتِماسِ طَعامِها مِنَ الله .
[٢٢] تُشرِقُ الشَّمسُ فتَنسَحِب وفي مَآويها تَربِض .
[٢٣] يَخرُجُ الإِنسانُ إِلى شُغلِه وإِلى عَمَلِه حتَّى المَساء .
[٢٤] ما أَعظَمَ أَعْمالَكَ يا رَبّ
لقد صَنَعتَ جَميعَها بِالحِكمَة فآمتَلأَتِ الأَرضُ مِن خَيراتِكَ .
[٢٥] هذا البَحرُ العَظيمُ المُترامي الأَطْراف
هُناكَ دَبيبٌ لا حَدَّ لَه مِن حَيَواناتٍ صِغارٍ وكِبار .
[٢٦] هُناكَ تَجْري السُّفُن ولَوِياتان[٤٢] الَّذي كَوَّنتَه لِتَسخَرَ مِنه .
[٢٧] الجَميعُ يَرْجونَكَ لِتُعطِيَهم طعامَهم في أَوانِه
[٢٨] تُعْطيهم فيَلتَقِطون تَبسُطُ يَدَكَ فخيراً يَشبَعون .
[٢٩] تَحجُبُ وَجهَكَ فيَرْتاعون .
تَسحَبُ أَرْواحَهم فيَموتون وإِلى تُرابِهم يَعودون
[٣٠] تُرسِلُ رُوحَكَ فيُخلَقون وتُجَدِّدُ وَجهَ الأَرض[٤٣] .
[٣١] لِيَكُنْ مَجدُ الرَّبِّ لِلأَبَد لِيَفرَحِ الرَّبُّ بأَعْمالِه
[٣٢] يَنظُرُ إِلى الأَرضِ فتَرتَعِد يَمَسُّ الجِبالَ فتُدَخِّن .
[٣٣] أُنشِدُ لِلرَّبِّ مُدَّةَ حَياتي أَعزِفُ للهِ ما دُمتُ .
[٣٤] لِيَطِبْ لَه كَلامي ! أَمَّا أَنا فبِالرَّبِّ أَفرَح .

(٤٢) وحش من وحوش الخواء، في الأساطير الفينيقية .
(٤٣) راجع موضوع الروح .

[٣٥] لِيَنقَرِضْ مِنَ الأَرضِ الخاطِئون ولا يَبْقَ فيها الأَشْرار.
بارِكي الرَّبَّ يا نَفْسي. هَلِّلويا!

٢٩. نشيد إلى إله العاصفة

«صوت الرب يحطّم الأَرز»

ينظر صاحب المزمور الى العاصفة نظره الى صوت الله. ذلك بأن الاسرائيلي لا يربط نفسه بما نسميه الأسباب الثانية! فالعاصفة ظهور لقدرة الله. وهناك ظهورات أخرى كعبور البحر الأحمر وعجائب البرّيّة. ولكن الحضور الالهي هنا وهناك، وهو قادر على الإنفاذ، حيث اقتضى الأمر. وفي الهيكل الذي يسكنه الله، «كلّ يقول: له المجد».

[١] قَدِّموا لِلرَّبِّ يا أَبناءَ اللهِ قَدِّموا لِلرَّبِّ مَجداً وعِزًّا
[٢] قَدِّموا لِلرَّبِّ مَجدَ آسمِه أُسجُدوا لِلرَّبِّ في بَهاءِ قُدْسِه.
[٣] صَوتُ الرَّبِّ على المِياه إِلهُ المَجدِ أَرعَد
الرَّبُّ على المِياهِ الغَزيرة.
[٤] صَوتُ الرَّبِّ بِالقُوَّة صَوتُ الرَّبِّ بِالبَهاء.
[٥] صَوتُ الرَّبِّ يُحَطِّمُ الأَرْز يُحَطِّمُ الرَّبُّ أَرزَ لُبْنان.
[٦] يَجعَلُ لُبْنانَ يَقفِزُ قَفزَ العِجْلِ وسِرْيونَ(٤٤) يَثِبُ وُثوبَ وَلَدِ الثَّور.
[٧] صَوتُ الرَّبِّ يَقُدُّ شُهُبَ نار(٤٥).
[٨] صَوتُ الرَّبِّ يُزَلزِلُ البَرِّيَّة يُزَلزِلُ الرَّبُّ بَرِّيَّةَ قادِش.
[٩] صَوتُ الرَّبِّ يُزَعزِعُ البُطمَ
ويُعَرِّي الغابات وكُلٌّ يقولُ في هَيكَلِه: «لَه المَجْد».

(٤٤) جبل حرْمون.

(٤٥) بروق العاصفة.

[١٠] جَلَسَ الرَّبُّ على الطُّوفان جَلَسَ الرَّبُّ مَلِكاً لِلأَبَد .
[١١] الرَّبُّ يُؤْتي العِزَّةَ شَعبَه الرَّبُّ يُبارِكُ بِالسَّلامِ شَعبَه .

٨. عظمة الانسان وشقاؤه

«على صُنع يديكَ ولَّيته»

لم يكتفِ أصحاب المزامير بالنظر بإعجاب الى جمال الطبيعة التي خلقها الله، بل فكَّروا أيضاً في ذلك القول الذي وجدوه في الرواية الكهنوتية لنشأة العالم (تك ١) : «خلق الله الانسان على صورته» . فلم يسع صاحب هذا المزمور إلاَّ أن فكَّر في التناقض الظاهر الذي يحمله الانسان في نفسه : صِغَره أمام اتّساع السماء، وعظمته أيضاً، لأنه يشبه الله بمشاركته في القدرة الخالقة : «على صنع يديك ولَّيته» .

[٢] أَيُّها الرَّبُّ سَيِّدُنا ما أَعظَمَ آسمَكَ في الأَرضِ كُلِّها !
لَأُعَظِّمَنَّ جَلالَكَ فَوقَ السَّمَوات[٤٦] [٣] بِأَفْواهِ الأَطْفالِ والرُّضَّع
أَعدَدتَ لَكَ حِصْناً[٤٧] أَمامَ خُصومِكَ
لِتَقضِيَ على العَدُوِّ والمُنتَقِم .
[٤] عِندَما أَرى سَمَواتِكَ صُنعَ أَصابِعِكَ والقَمَرَ والكَواكِبَ الَّتي ثَبَّتَّها
[٥] ما الإِنْسانُ حَتَّى تَذكُرَه وآبنُ آدَمَ حَتَّى تَفتَقِدَه ؟
[٦] دونَ الإِلهِ حَطَطتَه قَليلاً بِالمَجدِ والكَرامةِ كلَّلتَه
[٧] على صُنعِ يَدَيكَ وَلَّيتَه وكُلُّ شَيءٍ تَحتَ قَدَميه جَعَلتَه
[٨] الغَنَمَ والبَقَرَ كُلَّها حتَّى بَهائِمَ البَرِّيَّة
[٩] وطَيرَ السَّماءِ وسَمَكَ البَحْرِ ما يَجوبُ سُبُلَ البِحار .
[١٠] أَيُّها الرَّبُّ سَيِّدُنا ما أَعظَمَ آسمَكَ في الأَرضِ كُلِّها !

(٤٦) كان من المفترض ان الله يسكن في قبّة السماء (أبانا الذي في السموات . . .) .
(٤٧) من فوق، يشرف الله على الأرض والناس .

١٩. الله صنع السماء والشريعة

«السموات تحدِّث بمجد الله»

ينتهي التأمّل في قدرة الله الخالقة بهذه الفكرة: لم يكتفِ الله بصنع السماء التي تحدِّث بمجده، بل خلق الشريعة أيضاً، وهي هديته الرائعة لإسرائيل.

كان لصاحب المزمور داعيان الى تسبيح الرب: لا ينتهي نشاط الله الخلاَّق بالكواكب والشمس، بل كان له هدف ديني في الأساس، لأن الله بالشريعة يخبر اسرائيل بمشيئته.

٢السَّمَواتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ الله والجَلَدُ بِمَا صَنَعَت يَداه.

٣النَّهارُ لِلنَّهارِ يُعلِنُ أَمرَه واللَّيلُ لِلَّيلِ يُذيعُ خَبَرَه.

٤لا حَديثٌ ولا كَلام ولا صَوتٌ يَسمَعُه الأنام

٥بل في الأَرضِ كُلِّها سُطورٌ بارِزة

وكَلِماتٌ إِلى أَقاصي الدُّنْيا بيِّنة.

هُناكَ لِلشَّمسِ نَصَبَ خَيمةً

٦وهي كالعَريسِ الخارِجِ مِن خِدرِه

وكالجَبَّارِ تَبتَهِجُ في عَدْوِها(٤٨).

٧مِن أَقاصي السَّماءِ خُروجُها وإِلى أَقاصيها مَدارُها

ولا شَيءَ في مأمَنٍ مِن حَرِّها.

٨شَريعَةُ الرَّبِّ كامِلَةٌ تُنعِشُ النَّفْس

شَهادةُ الرَّبِّ صادقةٌ تُعَقِّلُ البَسيط.

٩أَوامِرُ الرَّبِّ مُستَقيمةٌ تُفَرِّحُ القُلوب

وَصِيَّةُ الرَّبِّ صافِيَةٌ تُنيرُ العُيون.

(٤٨) هذا النشيد الى الشمس يقتبس العبارات والتشابيه من الأساطير البابلية.

١٠مخافةُ الرَّبِّ طاهِرَةٌ تَثبُتُ لِلأَبَد
وأَحْكامُ الرَّبِّ حَقٌّ وعَدْلٌ على السَّواء.
١١هي أَشْهى مِنَ الذَّهَبِ ومِن أَخلَصِ الإِبْريز
وأَحْلى مِنَ العَسَلِ ومِن قَطْرِ الشِّهاد
١٢وعَبدُكَ أَيضاً يَستَنيرُ بِها وفي حِفْظِها ثَوابٌ عَظيم.
١٣مَنِ الَّذي يَتَبَيَّنُ زَلَّاتِه؟ مِنَ الخَفايا طَهِّرْني.
١٤واحفَظْ مِنَ الكِبرياءِ عَبدَكَ فلا تَتَسَلَّطَ عَلَيَّ
حينَئِذٍ أَكونُ كامِلاً ومِن مَعصِيَةٍ عَظيمةٍ مُطَهَّراً.
١٥لِتَكُنْ أَقوالُ فَمي وخَواطِرُ قَلْبي
مَرضِيَّةً لَدَيكَ أَيُّها الرَّبُّ صَخرَتي وفادِيَّ.

١٣. مزامير مُلك الله

ان هذه المزامير، التي يرقى عهدها اجمالاً إلى العودة من الجلاء، ترمي الى مُلك إله إسرائيل على العالم كله. يمتاز هذا المُلك بتجدّد الخليقة وبـ«الدينونة»، أي بتدخّل غير عادي يؤدي الى زوال عبادة الأوثان وحتى الخطيئة عامةً. وهذا العمل الإلهي يأتي بالفرح، لا بفرح الناس فقط، بل بفرح الطبيعة كلها أيضاً. ويمتاز إنشاء هذه المزامير بسيل من الصور. فهناك ما يرافق التجلّيات الإلهية عادةً، لا بل تصفيق الأنهار وصرخات ابتهاج الغابات أو الجبال. وتمتاز هذه المزامير أخيراً بأن المشيح لا يظهر، لأن الله يحقّق مُلكه من دون وسيط.

٤٧. ملك الرب

«الله ملك الأرض كلها»
يصعد الربّ إلى هيكل أورشليم في موكب ملكي. واسرائيل يشارك في هذا المجد لأنه وريث إلهه.

٢صَفِّقي بِالأَيدي يا جَميعَ الشُّعوب إِهتِفي للهِ بِصَوتِ التَّهْليل

[3] فإِنَّ الرَّبَّ عَلِيٌّ رَهيب على جَميعِ الأَرضِ مَلِكٌ عَظيم
[4] يُخضِعُ الشُّعوبَ تَحتَنا والأُمَمَ تَحتَ أَقْدامِنا .
[5] إِختارَ لَنا ميراثَنا فَخرَ يَعْقوبَ الَّذي أَحَبَّه . سِلاه
[6] صَعِدَ اللهُ بِالهُتاف أَلرَّبُّ بِصَوتِ البوق .
[7] إِعزِفوا لِإِلهِنا آعزِفوا إِعزِفوا لِمَلِكِنا آعزِفوا
[8] فإِنَّ اللهَ مَلِكُ الأَرضِ كُلِّها . إِعزِفوا لَه بِمَهارة .
[9] أَللهُ على الأُمَمِ مَلَك أَللهُ على عَرشِ قُدْسِه جَلَس .
[10] إِجتَمَعَ أَشرافُ الشُّعوب : هم شَعبُ إِلهِ إِبْراهيم
لِأَنَّ للهِ تُروسَ الأَرضِ وهو المُتَعالي جِدًّا .

٩٣. الرب ملك العالم

«منذ البدء عرشك ثابت»

الرب مَلِك لأنه وضع قوانين الكون المادّي وأنه اعطى الانسان كلمة تفرض متطلّباتُها نفسَها عليه .

[1] الرَّبُّ مَلَكَ والجَلالَ لَبِس لَبِسَ الرَّبُّ العِزَّةَ وتَمَنطَقَ بِها .
والدُّنْيا ثابِتَةٌ لا تَتَزعزَع .
[2] مُنذُ البَدءِ عَرشُكَ ثابِت مُنذُ الأَزَلِ أَنتَ أَنتَ .
[3] رَفَعَتِ الأَنهارُ يا رَبُّ
رَفَعَتِ الأَنهارُ صَوتَها رَفَعَتِ الأَنْهارُ عَجيجَها .
[4] أَكثَرَ مِن صَوتِ المِياهِ الغَزيرة بل أَكثَرَ عَظَمَةً مِنَ البِحارِ الطَّاغِية
الرَّبُّ في العُلى عَظيم .
[5] شَهادَتُكَ صادِقَةٌ جِدًّا .
بِبَيتِكَ تَليقُ القَداسَة يا رَبُّ طولَ الأَيَّام .

٩٦. الربّ ديّان العالم

«يدين الشعب بالاستقامة»

ان «دينونة» الله لصالح شعبه تنبئ بالدينونة الأخيرة التي ستُظهر مُلك الله إظهاراً جليًّا.

[١]أَنشِدوا لِلرَّبِّ نَشيداً جَديداً أَنشِدوا لِلرَّبِّ يا أَهلَ الأَرضِ جَميعاً.
[٢]أَنشِدوا لِلرَّبِّ وبارِكوا آسمَه
بَشِّروا مِن يَومٍ إِلى يومٍ بِخَلاصِه[٤٩].
[٣]حدِّثوا في الأُمَمِ بِمَجدِه[٥٠] في جَميعِ الشُّعوبِ بِعَجائِبه
[٤]لِأَنَّ الرَّبَّ عَظيمٌ وجَديرٌ بِالتَّسبيح ورَهيبٌ فَوقَ جَميعِ الآلِهَة
[٥]لأَنَّ جَميعَ آلِهَةِ الشُّعوبِ أَصْنام والرَّبَّ هو الَّذي صَنَعَ السَّموات.
[٦]البَهاءُ والجَلالُ أَمامَه العِزَّةُ والمَجدُ في مَقدِسِه.
[٧]قَدِّموا لِلرَّبِّ يا عَشائِرَ الشُّعوب قَدِّموا لِلرَّبِّ عِزَّةً ومَجداً.
[٨]قَدِّموا لِلرَّبِّ مَجدَ آسمِه إِحمِلوا تَقدِمةً وتَعالَوا إِلى دِيارِه
[٩]أُسجُدوا لِلرَّبِّ بِزينَةٍ مُقَدَّسة[٥١]
إِرتَعِدوا يا أَهلَ الأَرْضِ مِن وَجهِه.
[١٠]قولوا في الأُمَم: «الرَّبُّ مَلَكَ» الدُّنْيا ثابِتَةٌ لن تَتَزَعزَع.
يَدينُ الشُّعوبَ بِالِآستِقامَة.
[١١]لِتَفرَحِ السَّمواتُ وتَبتَهِجِ الأَرْض لِيَهدِرِ البَحرُ وما فيه
[١٢]لِتَبتَهِجِ الحُقولُ وكُلُّ ما فيها حينَئذٍ تُهَلِّلُ جَميعُ أَشجارِ الغاب.

(٤٩) من الراجح ان «الخلاص» يشير الى العودة من الجلاء.
(٥٠) دعوة الى التبشير.
(٥١) يبدو أن هذه الفقرة تُوجّه الى اللاويين والكهنة.

[١٣]أمامَ وَجهِ الرَّبِّ لِأَنَّه آتٍ آتٍ لِيَدينَ الأَرْض.
يَدينُ الدُّنْيا بِالبِرّ والشُّعوبِ بأَمانَتِه.

٩٧. انتصار المَلِك

«رأت جميع الشعوب مجدك»
في إطار التجلّيات الإلهية العادي، يتقدّم الله منتصراً، وأمامه ينحني كل شيء.

[١]الرَّبُّ مَلَكَ فلتَبتَهِجِ الأَرض ولْتَفرَحِ الجُزُرُ الكَثيرة[٥٢]!
[٢]الغَمامُ والغَيمُ المُظلِمُ مِن حَولِه والبِرُّ والحَقُّ قاعِدَةُ عَرشِه.
[٣]النَّارُ تَسيرُ أَمامَه وتُحرِقُ مِن حَولِها خُصومَه.
[٤]بُروقُه أَضاءَتِ الدُّنْيا ورَأَتِ الأَرضُ فآرتَعَدَت.
[٥]ذابَتِ الجِبالُ كالشَّمعِ مِن وَجهِ الرَّبّ
مِن وَجهِ سَيِّدِ الأَرضِ كُلِّها.
[٦]حَدَّثَتِ السَّمواتُ بِبِرِّه ورَأَت جَميعُ الشُّعوبِ مَجدَه.
[٧]لِيَخزَ جَميعُ عُبَّادِ المَنْحوت المُفتَخِرينَ بِالأَوثان.
أُسجُدوا لَه يا جَميعَ الآلِهَة.
[٨]سَمِعَت صِهْيونُ ففَرِحَت وبَناتُ يَهوذا آبتَهَجَت
مِن أَجلِ أَحْكامِكَ يا رَبّ.
[٩]لِأَنَّكَ أَنتَ يا رَبُّ عَلِيٌّ على الأَرضِ كُلِّها
مُتَعالٍ جِدًّا على الآلِهَةِ جَميعِهم.
[١٠]يا مُحِبِّي الرَّبِّ كونوا لِلشَّرِّ مُبغِضين.

(٥٢) وثنيّو شرق البحر الأبيض المتوسط.

فهو يَحفَظُ نُفوسَ أَصْفِيائِه مِن أيدي الأَشْرارِ يُنقِذُهم .
[١١]أَشرَقَ النُّورُ على الأَبْرار والفَرَحُ على مُسْتَقيمي القُلوب .
[١٢]أَيُّها الأَبْرارُ بِالرَّبِّ آفرَحوا وبِذِكرِه القُدُّوسِ أَشيدوا .

٩٨. التسبيح لديّان الشعوب

«لتصفّق الأنهار»

هذا المزمور كثير الشبه بالمزمور ٩٦، وهو يشدّد على مشاركة الطبيعة المادية في فرح الانسان وفي التسبيح الذي يرفعه الى الله .

[١]أَنشِدوا لِلرَّبِّ نشيداً جَديداً فإِنَّه صَنَعَ العَجائِب
الخَلاصُ بِيَمينِه بِذِراعِه القُدُّوسة .
[٢]كَشَفَ الرَّبُّ خَلاصَه لِعُيونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّه .
[٣]ذَكَرَ رَحمَتَه وأَمانَتَه لِبَيتِ إِسْرائيل
فرأَت جَميعُ أَقاصي الأَرضِ خَلاصَ إِلهِنا .
[٤]إِهتِفوا لِلرَّبِّ يا أَهلَ الأَرضِ جَميعاً إِندَفِعوا بِالعَزفِ وبِالتَّهْليل
[٥]إِعزِفوا لِلرَّبِّ بِالكِنَّارة بالكِنَّارَةِ وصَوتِ التَّرْنيم .
[٦]إِهتِفوا بِالأَبْواقِ وصَوتِ الصُّور أَمامَ الرَّبِّ المَلِك .
[٧]لِيَهدِرِ البَحرُ وما فيه والدُّنْيا وسُكَّانُها .
[٨]لِتُصَفِّقِ الأَنهار ولْتُهَلِّلِ الجِبالُ جميعاً [٩]أَمامَ الرَّبّ .
فإِنَّه آتٍ لِيَدينَ الأَرض
يَدينُ الدُّنْيا بِالبِرّ والشُّعوبَ بِالآستِقامة .

٩٩. التسبيح لقداسة المَلِك

«الرب قدّوس»

ثلاث مرّات مختلفة يُعلَن الربّ قُدُّوساً، أي منفصلاً عن الدنس، لا بل غريباً عن كل حدود بشرية. وهذه القداسة تضفي على مُلْكه طابعاً خاصاً.

[١]الرَّبُّ مَلَكَ فالشُّعوبُ تَرتَعِد
هو جالِسٌ على الكَروبينَ(٥٣) فالأَرضُ تَتَزَعزَع.
[٢]الرَّبُّ عَظيمٌ في صِهْيون ومُتَعالٍ على جَميعِ الشُّعوب.
[٣]لِيُحمَدِ آسمُكَ العَظيمُ الرَّهيب فإِنَّه قُدُّوسٌ [٤]قَدير
أَنتَ المَلِكُ المُحِبُّ لِلحَقّ
فإِنَّكَ أَنتَ أَقَمتَ الِآستِقامة وأَجرَيتَ في يَعْقوبَ الحَقَّ والعَدل.
[٥]عَظِّموا الرَّبَّ إِلهَنا وآسجُدوا لِمَوطِئِ قَدَمَيه(٥٤)
فإِنَّه قُدُّوس.
[٦]موسى وهارونُ بَينَ كَهَنَتِه وصَموئيلُ بَينَ مَن يَدْعونَ بِآسمِه.
كانوا يَدْعونَ الرَّبَّ وكانَ يُجيبُهم.
[٧]في عَمودِ الغَمامِ كَلَّمَهم حَفِظوا شَهادَتَه والفَرائِضَ الَّتي آتاهم.
[٨]أَيُّها الرَّبُّ إِلهُنا إِنَّكَ أَجَبتَهم
كُنتَ إِلهاً مُسامِحاً ومِن مَساوِئِهم مُنتَقِماً.
[٩]عَظِّموا الرَّبَّ إِلهَنا وآسجُدوا لِجَبَلِ قُدْسِه
فإِنَّ الرَّبَّ إِلهَنا قُدُّوس.

(٥٣) كان من المفترَض ان يقوم الله على كروبي تابوت العهد. وبقيت العبارة، حتى بعد السنة ٥٨٦.

(٥٤) تابوت العهد.

١٤. مزامير مشيحية

هذه المزامير تشكّل أولاً صلوات من أجل العاهل المالك. والفكرة السائدة فيها هي فكرة القدرة، ولذلك يُطلب الى الله ان يسود أعداءه. ويُحتفَل فيها أيضاً بأفراح الملْك، بزواج الملِك مثلاً. ويذكَر بالوعد الذي وعد الله به داود بسلالة لا نهاية لها. واذا كان هناك بعض الظلال، ذُكرت الصفات اللازمة عند الملِك، ولا سيما إنصاف الوضعاء.

وبعد ان زال النظام الملَكي (٥٨٦)، أخذوا يتلون المزامير وهم يقصدون الملِك الخفيّ الذي سيأتي، أي المشيح، علماً بأن مُلكه سيحقّق على وجه مثالي البرنامج الذي حقّقه داود على وجه ناقص. وهكذا فإن صورة خلفاء داود، التي رُسمت في هذه المزامير بخطوطها العريضة، لم تكن سوى صورة اوّلية لذلك المشيح المُقبل الذي سيرسله الله والذي سيسميه المسيحي يسوع، كلمة الله المتجسّد.

٢. الملك المشيح

«انتَ ابني»

هذا المزمور صلاة من أجل الملِك، ألّفه كاتبه بمناسبة تحالف غريب موجّه ضدّ الملك. والقول النبوي الذي أُدرج فيه يدل على روابط البنوّة والأبوّة الخاصة التي تربط بين الملِك والله. ورأت الكنيسة تحقيق هذا المزمور في يسوع ابن الله بالمعنى الحصري.

[١] لِمَاذا آرتَجَّتِ الأُمَم وبِالباطِلِ تَمتَمَتِ الشُّعوب؟

[٢] مُلوكُ الأَرضِ قاموا والعُظَماءُ على الرَّبِّ ومَسيحِه تآمَروا:

[٣] «لِنَكسِرْ قُيودَهما ولْنُلْقِ عَنَّا نيرَهما».

[٤] السَّاكِنُ في السَّمواتِ يَضحَك والسَّيِّدُ بِهم يَهزَأ.

[٥] بِغَضَبِه حينَئِذٍ يُخاطِبُهم وبِسُخطِه يُرَوِّعُهم:

[٦] «إِنِّي مَسَحتُ مَلِكي على جَبَلِ المُقَدَّسِ صِهْيون»(٥٥).

[٧] أُعلِنُ حُكمَ الرَّبّ:

(٥٥) ان الله هو الذي يقيم كلاً من الملوك في أورشليم.

«قالَ لي : أَنتَ آبْنِي وأَنا اليَومَ وَلَدتُكَ[٥٦] .
[٨]سَلْني فأُعطِيَكَ الأُمَمَ ميراثاً وأَقاصِيَ الأَرضِ مِلْكاً .
[٩]بِعَصاً مِن حديدٍ تُكَسِّرُهم وكإِناءِ خَزَّافٍ تُحَطِّمُهم»[٥٧] .
[١٠]أَيُّها المُلوكُ الآنَ تَعَقَّلوا ويا قُضاةَ الأَرضِ آتَّعِظُوا .
[١١]أُعبُدوا الرَّبَّ بِخَشيَة وقَبِّلوا قَدَمَيه بِرِعدَة .
لِئَلاَّ يَغضَبَ فتَضِلُّوا الطَّريق لِأَنَّه سُرْعانَ ما يَضطَرِمُ غَضَبُه .
فطوبى لِجَميعِ الَّذينَ بِه يَعتَصِمون .

٤٥. المَلِك المشيح ، عروس الكنيسة

«عرشك يا الله أبد الدهور»

كان هذا المزمور في الأصل نشيد زواج ألَّفه كاتبه بمناسبة عرس أحد ملوك اسرائيل واحدى أميرات صور . وما هو مُبالَغ فيه سيطبَّق على المشيح في الحقيقة ، من طابع إلهي يتّسم به المَلِك ، ومن خلود عرشه . رأت الكنيسة فيه عرس المسيح والكنيسة .

[٢]جاشَ قَلْبي بِطَيِّبِ الكَلام لَأُحَدِّثَنَّ المَلِكَ بِأَعْمالي
لِساني قَلَمُ كاتِبٍ رَشيق .
[٣]إِنَّكَ أَجمَلُ بني آدم والظَّرفُ على شَفَتَيكَ آنسَكَب
فلِذٰلِكَ بارَكَكَ اللهُ لِلأَبَد .
[٤]تَقَلَّدْ سَيفَكَ على جَنبِكَ أَيُّها الجَبَّار بِالجَلالِ والبَهاءِ [٥]سِرْ وآركَبْ
في سَبيلِ الحَقِّ والدَّعةِ والبِرّ .

(٥٦) جرياً على العادة في الشرق كله ، كان الملك يصبح «ابن الله» بالتبنّي .

(٥٧) وعد بالسيادة الشاملة .

أُشدُدْ قَوسَكَ يَجعَلْ يُمْناكَ مُخيفة

[٦]نِبالُكَ مَسْنونَةٌ وشُعوبٌ تَحتَكَ يَسقُطون

وأَعْداءُ المَلِكِ تَنخَلِعُ قُلوبُهم .

عَرشُكَ يا اللهُ أَبَدَ الدُّهور وصَولجَانُ مُلكِكَ صَولجَانُ آستِقامة .

[٨]أَحبَبتَ البِرَّ وأَبغَضتَ الشَّرّ .

لِذلِكَ مَسَحَكَ اللهُ إِلهُكَ بِزَيتِ آلابتِهاجِ دونَ أَصْحابِكَ(٥٨) .

[٩]ثِيابُكَ كُلُّها مُرٌّ وعودٌ وصَبِر .

مِن قُصورِ العاجِ تُطرِبُكَ الأَوتار .

[١٠]مِن بَينِ كَرائِمِكَ بَناتُ المُلوك

قامَت مَلِكَةٌ عن يَمينِكَ بِذَهَبِ أُوفير(٥٩) .

[١١]إِسمَعي يا بِنتُ وآنظُري وأَميلي أُذُنَكِ إِنسَي شَعبَكِ وبَيتَ أَبيكِ

[١٢]فيَصْبُوَ المَلِكُ إِلى حُسنِكِ إِنَّه سَيِّدُكِ فلَه آسجُدي .

[١٣]وبِنتُ صورَ وأَغنِياءُ الشَّعْبِ يَستَعطِفونَ بِالهَدايا وَجهَكِ .

[١٤]بِنتُ المَلِكِ لِباسُها مِن نَسائِجِ الذَّهَب

[١٥]تُزَفُّ إِلى المَلِكِ إِلى الدَّاخِل

وفي إِثْرِها عَذارى . وصَائِفُها يُحضَرنَ إِلَيكَ .

[١٦]يُزفَفْنَ بِفَرَحٍ وآبتِهاج ويَدخُلْنَ إِلى قَصرِ المَلِك .

[١٧]يَكونُ بَنوكَ عِوَضاً مِن آبائِكَ تُقيمُهم رُؤساءَ على الأَرضِ كُلِّها .

(٥٨) الزيت الذي كانوا يستعملونه في تكريس الملوك .

(٥٩) على الشاطئ الشرقي من البحر الأحمر ، كانت مناجم ذهب .

[١٨]سأَذكُرُ آسمَكَ مِن جيلٍ إلى جيل
لِذلك تَحمَدُكَ الشُّعوبُ أَبَدَ الدُّهور .

٧٢. المَلِك المشيح ، بِرّ الفقراء

«يعطف على الكسير والمسكين»

صلاة رائعة من أجل ملك يتولّى السلطان . والصورة المرسومة هي صورة مَلِك مثالي ، ولذلك يطبّق المزمور على المشيح . يُشدّد الكاتب على برّه ، ولا سيّما نحو المساكين والفقراء والبؤساء . أمّا القدرة التي يوعَد بها (من الفرات إلى أقاصي الأرض) وسيطرته الشاملة (تخدمه جميع الأمم) ، فلا يمكن ان تحقّق إلاّ في المشيح الآتي .

[١]أَللَّهُمَّ ، هَب لِلمَلِكِ حُكمَكَ ولِآبنِ المَلِكِ عَدلَكَ
[٢]فيَقضِيَ بِالبِرِّ لِشَعبِكَ وبِالإِنصافِ لِوُضَعائِكَ .
[٣]لِتَحمِلِ الجِبالُ لِلشَّعبِ سَلاماً والتِّلالُ بِرًّا
[٤]وُضعاءُ الشَّعبِ يُنصِفُهم وبَنو المَساكينِ يُخَلِّصُهم .
والظَّالِمونَ يَسحَقُهم .
[٥]يَبقى تَحتَ الشَّمسِ والقَمَر مِن جيلٍ إِلى جيل .
[٦]يَنزِلُ كالمَطَرِ على العُشْب وكالرَّذاذِ الَّذي يَسْقي الأَرض .
[٧]البِرُّ في أَيَّامِه يُزهِر والسَّلامُ يَعُمُّ إِلى أَن يَزولَ القَمَر[(٦٠)]
[٨]ويَملِكُ مِنَ البَحرِ إِلى البَحرِ ومِنَ النَّهرِ[(٦١)] إِلى أَقاصي الأَرض .
[٩]أَمامَه أَهلُ البادِيَةِ يَركَعون وأَعْداؤُه التُّرابَ يَلحَسون .

(٦٠) = إلى آخِر الأزمنة .
(٦١) الفرات .

١٠مُلوكُ تَرْشيشَ والجُزُرِ الجِزيَةَ يُؤَدُّون
ومُلوكُ شَبَأَ وسبَأَ[٦٢] الهَدايا يُقَدِّمون .
١١جَميعُ المُلوكِ لَه يَسجُدون وكُلُّ الأُمَمِ لَه يَخدُمون .
١٢لِأَنَّه يُنقِذُ المِسْكينَ المُستَغيث والبائِسَ الَّذي بِلا نَصير .
١٣يَعطِفُ على الكَسيرِ والمِسْكين ويُخَلِّصُ نُفوسَ المَساكين .
١٤مِنَ الظُّلْمِ والعُنفِ يَفتَدي نُفوسَهم ودَمُهم في عَينَيه ثَمين
١٥لِيَحيَ ويُعْطَ ذَهَبَ شَبأ .
في كُلِّ حينٍ يَدْعونَ لَه وطَوالَ النَّهارِ يُبارِكونَه .
١٦وفُرَتِ الحِنطَةُ في البِلاد وتَمَوَّجَت على رُؤُوسِ الجِبال
كلُبنانَ إِذ أَخرَجَ ثِمارَه وأَزْهارَه وإِذ أَخرَجَتِ الأَرضُ عُشبَها !
١٧إِسمُه لِلأَبَد يَكون وتَحتَ الشَّمسِ يَدوم
تَتَبارَكُ به قَبائِلُ الأَرضِ كُلُّها وتُهَنِّئُه الأُمَمُ جَميعُها
١٨تَبارَكَ الرَّبُّ الإِلهُ إِلهُ إِسْرائيل الصَّانِعُ العَجائِبَ وَحدَه
١٩وتَبارَكَ لِلأَبَدِ آسمُه المَجيد ولْتَمتَلِئِ الأَرضُ كُلُّها مِن مَجدِه
آمين ثُمَّ آمين .

١١٠. المشيح ، الكاهن للأبد

«أنت كاهن للأبد» .

يُستهلّ المزمور بقول نبويّ («قال الرب لسيّدي») ينبئ بقدرة المَلِك ويذكّر بصفته ابناً (بالتبنّي) لله . يليه قول نبوي آخر يُضفي على المشيح صفة الكاهن . ولقد تطوّرت هذه النظرة الفكرية على زمن المسيح ، حتى ان «رهبان» قمران تصوّروا ، الى جانب

(٦٢) ترشيس في اسبانية ، وشبأ في جنوب جزيرة العرب ، وسبأ في مناطق الحبشة النائية .

المشيح التقليدي، المتحدّر من داود، مجيء مشيح آخر، من نسل كهنوتي، ومتحدّر من هارون. والمسيح جمع في شخصه هاتَين الصفتَين.

قالَ الرَّبُّ لِسَيِّدي: «اِجلِسْ عن يَميني
حتَّى أَجعَلَ أَعداءَكَ مَوطِئاً لِقَدَمَيكَ».
[٢]يَمُدُّ الرَّبُّ مِن صِهْيونَ صولَجانَ عِزَّتِكَ[(٦٣)]
فتَسَلَّطْ في وَسْطِ أَعْدائِكَ.
[٣]لَكَ الرِّئاسَةُ يومَ وُلِدتَ
في بَهاءِ القَداسةِ مِنَ الرَّحِمِ، مِنَ الفَجرِ وَلَدتُكَ.
[٤]أَقسَمَ الرَّبُّ ولَن يَندَم أَن أَنتَ كاهِنٌ لِلأَبَدِ على رُتبَةِ مَلْكيصادَق.
[٥]السَّيِّدُ عن يَمينِكَ يُحَطِّمُ المُلوكَ يومَ غَضَبِه
[٦]يَدينُ الأُمَمَ ويَملأُها جُثَثاً ويُحَطِّمُ الرُّؤُوسَ في الأَرضِ الواسِعة.
[٧]في الطَّريقِ مِنَ الوادي يَشرَب فلِذلِكَ يَرفَعُ رأسَه.

١٣٢. المشيح مَلِك للأبد

«وتاجه عليه يُزهِر»

يذكّر هذا المزمور بنقل تابوت العهد الى أورشليم عن يد داود. وبهذه المناسبة، يَذكر الكاتب نبوءة ناتان (٢ صم ٧) ويذكّر بوعد السلالة بالخلود («وأُعدّ سراجاً»). ولذلك طُبِّق هذا المزمور، كالمزمور ٢، بعد زوال النظام الملكي، على المشيح الآتي.

[١]أُذكُرْ يا رَبُّ داوُد وكُلَّ ما عاناه
[٢]القَسَمَ الَّذي لِلرَّبِّ أَقسَمَه والنَّذْرَ الَّذي لِعَزيزِ يَعْقوبَ[(٦٤)] نَذَرَه:

(٦٣) عزّة الملك.

(٦٤) «عزيز يعقوب» نعت قديم ليَهوه.

[٣] «لن أَدخُلَ الخَيمةَ بَيتي ولن أَعلُوَ سَريرَ مَضجَعي
[٤] ولن أُعطِيَ عَينَيَّ نَوماً ولا أَجْفاني رُقاداً
[٥] إِلى أَن أَجِدَ لِلرَّبِّ مُقاماً ولِعَزيزِ يَعْقوبَ مَسكِناً» .
[٦] ها قد سَمِعْنا أَنَّه في أَفْراتَة(٦٥) قد وَجَدْناه في حُقولِ الغاب(٦٦) .
[٧] لِنَدخُلْ إِلى مَسكِنِ الرَّبِّ لِنَسجُدْ لِمَوطِئِ قَدَمَيه(٦٧) .
[٨] قُمْ يا رَبُّ إِلى مَكانِ راحَتِكَ أَنتَ وتابوتُ عِزَّتِكَ .
[٩] كَهَنَتُكَ البِرَّ يَلبَسون(٦٨) وأَصْفِياؤُكَ يُهَلِّلون .
[١٠] مِن أَجلِ داوُدَ عَبدِكَ لا تَرُدَّ وَجهَ مَسيحِكَ .
[١١] أَقسَمَ الرَّبُّ لِداوُد(٦٩) وهي حَقيقَةٌ لَن يَرتَدَّ عَنها أَبَداً :
«مِن ثَمَرَةِ بَطنِكَ أُجلِسُ على العَرْشِ الَّذي لَكَ
[١٢] إِن حَفِظَ بَنوكَ عَهْدي وشَهادَتي الَّتي أُعَلِّمُهم إِيَّاها
فبَنوهم أَيضاً لِلأَبَدِ يَجلِسون على العَرشِ الَّذي لَكَ» .
[١٣] فإِنَّ الرَّبَّ آختارَ صِهْيون وآشْتَهاها لَه مَسكِناً :
[١٤] «هذا هو مَكانُ راحَتي لِلأَبَد هٰهُنا أَسكُنُ لِأَنِّي آشتَهَيتُه .

(٦٥) أفراتة = بيت لحم .
(٦٦) الغاب = قريَة يعاريم ، حيث كان تابوت العهد تحت الحراسة .
(٦٧) كان من المفترَض ان يقوم الله على أجنحة كروبي تابوت العهد ، فكان التابوت موطن قَدَمي الله .
(٦٨) أي انهم أبرار في كل كيانهم .
(٦٩) تلميح الى نبوءة ناتان (٢ صم ٧) . وعد الله داود بالسهر على جميع نسله . فبسبب هذا الوعد ، يُطلب الى الله ألاّ يرتدَّ (= أن يحمي) عن المَلِك ، «مكرَّس» الله .

[١٥] أُبارِكُ طَعامَها بَرَكَةً أُشبِعُ مَساكينَها خُبزاً[٧٠]
[١٦] أُلبِسُ كَهَنَتَها الخَلاص وأَصْفِياؤُها يُهَلِّلونَ تَهْليلاً .
[١٧] هُناكَ أُقيمُ لِداوُدَ نَسْلاً وأُعِدُّ لِمَسيحي سِراجاً[٧١] .
[١٨] أُلبِسُ أَعْداءَه خِزْياً وتاجُه علَيه يُزهِر» .

١٥. مزامير حكمة أو تعليم

في نظر العديد من المسيحيين، ليس لهذه المزامير من أهمية كبرى: فما الفائدة في التأمّل في قِصَر الحياة أو في سعادة الأشرار؟ لا يخلو هذا التفكير من فائدة، وليس من قليل الأهمية ان نطّلع على مسيرة اليهودي الورع الروحية. نجد «الطريقَين» (المزمور ١) في الصلاة المسيحية[٧٢]. ويجب على المسيحي ألاّ يهمل الأخلاقية الطبيعية، فلقد كانت، في نظر اليهودي، شرط كل ألفة بالله (المزمور ١٥). ولا بدّ ان ترافقنا فكرة الموت (مز ٤٩ و٨٠) من وقت إلى آخر. أمّا المزمور ٧٣، فإنه يستحقّ مكاناً خاصاً بصفته شعوراً مُسبقاً بالحياة الأبدية: «وراء المجد تأخذني».

١. الطريقان

«طوبى لمن يتمتم بشريعة الرب»

ان الانسان الذي يعمل بمشيئة الرب تكون حياته مليئة وخصيبة (ار ١٧). أمّا حياة الخاطئين فهي تؤدي إلى الشقاء والهلاك.

[١] طوبى لِمَن لا يَسيرُ على مَشورَةِ الشِّرِّيرين
ولا يَتَوَقَّفُ في طَريقِ الخاطِئين
ولا يَجلِسُ في مَجلِسِ السَّاخِرين
[٢] بل في شَريعةِ الرَّبِّ هَواه وبِشَريعَتِه يُتَمتِمُ نَهارَه ولَيلَه .

(٧٠) أي أكثرهم.

(٧١) السراج رمز الحياة المستمرّة، ومن هنا خلود سلالة داود.

(٧٢) راجع الـ«ديداكي» أو «تعليم الرسل الاثني عشر».

[٣]فيَكونُ كالشَّجَرَةِ المَغْروسةِ على مَجاري المِياه
تُؤْتي ثَمَرَها في أَوانه وورَقُها لا يَذبُل أَبَداً.
فكُلُّ ما يَصنَعُه يَنجَح.
[٤]لَيسَ الأَشْرارُ كذلك.
بل إِنَّهم كالعُصافةِ الَّتي تَذْروها الرِّياح.
[٥]لِذلك لا يَنتَصِبُ في الدَّينونةِ الأَشْرار
ولا الخاطِئونَ في جَماعةِ الأَبْرار
[٦]فإِنَّ الرَّبَّ عالِمٌ بِطَريقِ الأَبْرار وإِنَّ إِلى الهلاكِ طَريقَ الأَشْرار.

٤٩ [٨]لا يَفتَدي أَخٌ أَخاه ولا يُعطي اللهَ فِداه[٧٣]:
[٩]فِديَةُ نُفوسِهم باهِظَة وهي لِلأَبَدِ ناقِصَة.
[١٠]أَفَبَعدَ ذلِكَ لِلأَبَدِ يَحْيا والهُوَّةَ[٧٤] لا يَرى؟
[١١]بل يَرى الحُكَماءَ يَموتون الجاهِلَ والغَبِيَّ كِلاهُما يَهلِكان
فيَترُكانِ ثَروَتَهما لِلآخَرين.
[١٢]قُبورُهم لِلأَبَدِ بُيوتُهم وهي من جيلٍ إِلى جيلٍ مَساكِنُهم
وبِأَسْمائِهم دَعَوا أَراضِيَهم
[١٣]الإِنسانُ في التَّرَفِ لا يَفهَم بل يُشبِهُ البَهائمَ العَجْماء
[١٤]تِلكَ طريقُ المُعتَدِّينَ بِأَنفُسِهم وعاقِبَةُ الرَّاضينَ بِمَصيرِهم. سِلاه
[١٥]كالغَنَمِ تُرِكوا في مَثْوى الأَمْوات والمَوتُ يَرْعاهم.

(٧٣) يستطيع الغني أن يفدي نفسه من الموت، بدفع فدية لله. لكن ما من ثروة تستطيع أن توفّر مزيداً من الايام لحياة لا نهاية لها.

(٧٤) القبر.

في الصَّباحِ تَتلاشى صورَتُهم ومَثْوى الأَمواتِ سُكْناهم .
[١٦] لٰكِنَّ اللهَ يَفْتَدي نَفْسي مِن يَدِ مَثْوى الأَمواتِ يأخُذُني . سِلاه
[١٧] لا تَخَفْ إِذا آغتَنى الإِنْسان وآزدادَ بَيتُه مَجداً
[١٨] فإنَّه إِذا ماتَ لا يأخُذُ شَيئاً ولا يَنزِلُ مَجدُه وَراءَه .
[١٩] ونَفسُه الَّتي في حَياتِه بارَكَها
- وتُحمَدُ أَنتَ على إحسانِكَ إِلى نَفسِكَ -
[٢٠] تَنضَمُّ إِلى جيلِ آبائِه الَّذينَ لَن يَرَوُا النُّورَ أَبَداً .
[٢١] أَلإِنسانُ في التَّرَفِ لا يَفهَم بل يُشبِهُ البَهائِمَ العَجْماء .

١٥. صديق الرب

«مَن يسكن في جبل قدسك ؟»
ان الحق والمحبة هما الاستعدادات الجوهرية للوصول إلى الألفة بالله .

[١] يا رَبُّ ، مَن يُقيمُ في خَيمَتِكَ ومَن يَسكُنُ في جبَلِ قُدسِكَ ؟
[٢] السَّالِكُ طَريقَ الكَمالِ وفاعِلُ البِرِّ والمُتَكَلِّمُ مِن قَلْبِه بِالحَقِّ
[٣] مَن بِلِسانِه لا يَغْتاب وبِصاحِبِه لا يَصْنَعُ شَرًّا
وبِقَريبِه لا يُنزِلُ عاراً .
[٤] الرَّذيلُ حَقيرٌ في نَظَرِه ومَن يَتَّقونَ الرَّبَّ يُكرِمُهم
وإِن أَقسَمَ ، مُضِرًّا بِنَفْسِه ، لم يُخلِفْ .
[٥] لا يُقرِضُ بالرِّبى فِضَّتِه ولا يَقبَلُ على البَريءِ الرَّشوَة .
فمَن عَمِلَ بِذلِكَ لا يَتزَعزَعُ لِلأَبَد .

٤٩. سعادة الأشرار

«الموت يَرعاهم»

يواجه صاحب المزمور هنا مشكلة العهد القديم الكبرى، مشكلة إرميا وأيوب والجامعة. وهو يجعل نفسه في وضع التأهب لقبول كلمة الله. لكن سعادة الأشرار لا تدوم، فإن الموت سينتزع منهم ذلك الغنى الذي كانوا يفتخرون به. انه لتعليم قصير، بانتظار الحل الذي سيأتي به الايمان بالحياة الأبدية.

[٢]إسمَعوا هذا يا جَميعَ الشُّعوب أَصْغوا يا جَميعَ سُكَّانِ العالَم.
[٣]يا بَني العامَّةِ ويا بَني الخاصَّة الغَنِيَّ والفَقيرَ على السَّواء.
[٤]إِنَّ فَمِي يَنطِقُ بِالحِكمَة وقَلْبي يُتَمتِمُ بِمَا يُعقَل.
[٥]أَميلُ أُذُني إِلى المَثَل وأَحُلُّ بِالكِنَّارةِ لُغْزي.
[٦]لِماذا أَخافُ في أَيَّامِ السُّوء؟ الإِثْمُ يَتَعَقَّبُني ويُحيطُ بي:
[٧]إِنَّهم على ثَروَتِهم يَتَّكِلون وبِوَفرَةِ غِناهم يَفتَخِرون.

٧٣. الموت لا يستطيع ان يُوقف المحبة

«وراء المجد تأخذني»

هذا المزمور أيضاً يطرح مشكلة المكافأة. كانت سعادة الأشرار حجر عثرة في نظر صاحب المزمور، لا سيّما وانه تألّم كثيراً مع أنه بريء. ان اعتقد بأنه يستطيع حل مشكلته بحسب التعليم التقليدي - «في المهالك أوقعتَهم» - فهو يأتي، فيما يتعلّق بوضعه، بعنصر جديد. ومع انه لا يستخلص نتيجة ملموسة، فهو يؤكد، نظراً إلى ألفته بالله، ان الموت لن يفصله عنه. وهل هناك كثير من المسيحيين في إمكانهم أن يقولوا: «مَن لي سواك في السماء؟ ومعك على الأرض لا أهوى شيئاً».

[١]أَجَل، ما أَطيَبَ اللهَ لِإِسْرائيل لِذَوي القُلوبِ الطَّاهِرَة.
[٢]أَمَّا أَنا فقَد أَوشَكَت أَن تعثُرَ قَدَمايَ وكادَت أَن تَزِلَّ خُطايَ.
[٣]لِأَنِّي غِرْتُ مِنَ السُّفَهاء حينَ رأيتُ رَخاءَ الأَشْرار.
[٤]فإِنَّهم لا أَوجاعَ لَهم حتَّى المَوت وأَبْدانُهم سَمينة.
[٥]لَيسوا في عَناءِ كالنَّاس ولا يُصابونَ مع البَشَر.

٦فالكِبرياءَ لِذلِكَ تَطَوَّقوا وثَوبَ العُنْفِ ٱكْتَسَوا .
٧فآثامُهم مِنَ الشَّحم خارِجَة وقُلوبُهم بِالمكرِ طافِحة .
٨بِالشَّرِّ يَتَكَلَّمونَ ساخِرين وبِالظُّلمِ يَتَحَدَّثونَ مُتَشامِخين
٩يَجعَلونَ في السَّماءِ أَفْواهَهم وتَسْعى في الأَرضِ أَلسِنَتُهم(٧٥)
١٠لِذَلك يَتَحَوَّلُ شَعْبي إِلَيهم ويُجَرَّعون مِياهاً طافِحة
١١ويَقولونَ : «كيف يَكونُ اللهُ عالِماً وهل مِن عِلمٍ عِندَ العَلِيّ ؟»
١٢ها هُمُ الأَشْرارُ دائِماً آمِنون وأَمْوالاً يَزْدادون .
١٣باطِلاً إِذاً نَقَّيتُ قَلْبي وغَسَلتُ بِالطَّهارةِ كَفَّيَّ .
١٤وحينَ ضُرِبتُ النَّهارَ كُلَّه وأُدِّبتُ في كُلِّ صَباح
١٥لو قُلتُ مِثلَ هذا الحَديث لَغَدرتُ بِجيلِ أَبنائِكَ .
١٦ولقَد فَكَّرتُ لِأُدرِكَ ذلك لَكِنَّه عَسُرَ في عَينَيَّ
١٧إِلى أَن دَخَلتُ أَقداسَ الله وتأَمَّلتُ في آخِرَتِهم .
١٨أَجَل، في المَزالِقِ جَعَلتَهم وفي المَهالِكِ أَوقَعتَهم .
١٩كَيفَ صاروا في لَحظَةٍ إِلى الدَّمار ! إِنقَرَضوا ومِنَ الأَهْوالِ بادوا .
٢٠كحُلْمٍ عِندَ اليَقظَةِ، يا سَيِّدي تَحتَقِرُ خَيالَهم عِندَ ٱستيقاظِكَ .
٢١لقَد قَسا قَلْبي ووُخِزَت كُلْيَتايَ ٢٢وأَنا غَبِيٌّ ولا عِلمَ لي
وقد صِرتُ عِندَكَ كالبَهيمة ٢٣وأَنا معَكَ في كُلِّ حين
وأَنتَ أَخَذتَ بِيَدي اليُمْنى .
٢٤بِمَشورَتِكَ تَهْديني ووَراءَ المَجدِ تأخُذُني .

(٧٥) تلتهي بانتقاد الله .

[٢٥]مَن لي في السَّماء؟ ومعكَ على الأَرضِ لا أَهْوى شيئاً.
[٢٦]فَنِيَ جَسَدي وقَلْبي: أَللهُ لِلأَبَدِ صَخرَةُ قَلْبي ونَصيبي.
[٢٧]أَلا إِنَّ مَن يَبتَعِدونَ عنكَ يَهلِكون وتُدَمِّرُ مَن علَيكَ يَزْنون.
[٢٨]ولي أَنا يَطيبُ التَّقَرُّبُ إِلى الله
وقد جَعلتُ في السَّيِّدِ الرَّبِّ مُعتَصَمي
لِأُحَدِّثَ بِجَميعِ أَعمالِكَ.

٩٠. قِصَر حياة الانسان

«أَفنَينا سنينا زفيراً»

يذكّرنا هذا المزمور بسفر الجامعة. لكن التشاؤم أخفّ هنا، وعذوبة الرجاء قريبة «وليكن لطف الرب إلهنا علينا!».

[١]أَيُّها السَّيِّد، كُنتَ لَنا مَلْجَأً جيلاً فجيلاً.
[٢]مِن قَبلِ أَن وُلِدَتِ الجِبال وكَوَّنتَ الأَرضَ والدُّنيا
مِنَ الأَزَلِ ولِلأَبَدِ أَنتَ الله.
[٣]تُعيدُ الإِنسانَ إِلى الغُبار وتقول: «عودوا يا بَني آدَم»
[٤]فإِنَّ أَلفَ سَنَةٍ في عَينَيكَ
كيَومِ أَمْسِ العابِر وكهَجْعَةٍ مِنَ اللَّيل[٧٦].
[٥]تَغمُرُهم بِالرُّقاد فيَصيروا كالعُشبِ النَّابِتِ في الصَّباح
[٦]في الصَّباحِ يُزهِرُ ويَنبُت وفي المساءِ يذبُلُ ويَيبَس.
[٧]مِن غَضَبِكَ فَنينا وبِسُخطِكَ آرتَعْنا.
[٨]جَعَلتَ آثامَنا تُجاهَكَ وخَفايانا في نورِ وَجهِكَ.

(٧٦) زمناً قصيراً جداً.

[٩]بِسُخطِكَ اِنحَطَّت أَيَّامُنا كُلُّها   وأَفنَينا سِنينا زفيراً.
[١٠]أَيَّامُ سِنينا سَبْعونَ سَنَة   وإِذا كُنَّا أَقوِياءَ فثَمانون
وجُلُّها عَناءٌ وشَقاء   تَمُرُّ سَريعاً ونَحنُ نَطير.
[١١]مَن ذا الَّذي يُدرِكُ شِدَّةَ غَضَبِك
ومَن ذا الَّذي يَخْشى حِدَّةَ سُخطِكَ؟
[١٢]علِّمنا كَيفَ تَعُدُّ أَيَّامَنا(٧٧)   فنَنفُذَ إِلى قَلبِ الحِكمَة.
[١٣]إِرجِعْ يا رَبُّ! حتَّى متى؟ تَرَأَّفْ بِعَبيدِكَ.
[١٤]بِرَحمَتِكَ أَشبِعْنا في الصَّباح   فنُهَلِّلَ ونَفرَحَ كُلَّ أَيَّامِنا.
[١٥]فَرِّحْنا بِقَدْرِ الأَيَّامِ الَّتي فيها أَذلَلْتَنا   والسِّنينَ الَّتي فيها السُّوءَ رأَينا.
[١٦]لِيَظْهَرْ لِعَبيدِكَ صُنعُكَ   وعلى أَبْنائِهم بَهاؤُكَ
[١٧]ولْيَكُنْ لُطفُ الرَّبِّ إِلهِنا علَينا   وثَبِّتْ عَمَلَ أَيدينا.

١١٩. مديح الشريعة

«شريعتك هي نعيمي»

من أجل الكهنة والراهبات أُدرجت هنا هذه المقتطفات من المزمور ١١٩. لا ننظر إليه وكأنه إطناب في الشريعة التي قال القديس بولس إنها سقطت. كانت الشريعة، في نظر اليهودي، تجلّياً لمشيئة الله، فكانت ممارستها امتيازاً (راجع المزمور ١٩) وحفظها ضمان للسعادة. ولذلك يعدّد صاحب المزمور الألفاظ التي تعني هذه الحقيقة الدينية، وهذا الاحسان الإلهي: الشريعة والوصايا والسُّبُل والأحكام والفرائض والكلمة والوعد.

[١]طوبى لِلكامِلينَ في سُلوكِهم   لِلسَّائرينَ في شَريعَةِ الرَّبّ.
[٢]طوبى لِلَّذينَ يَحفَظونَ شَهادَتَه   وبِكُلِّ قُلوبِهِم يَلتَمِسونَه

(٧٧) علِّمنا أن نشعر بالزمن الذي يمرّ.

[٣]وأعمالَ الظُّلْمِ لا يَعمَلون بل في طُرُقِه يَسيرون .
[٤]أَنتَ أَوصَيتَ بِأَوامِرِكَ كَي تُحفَظَ حِفْظاً كامِلاً .
[٥]لَيتَ طُرُقي تَثبُت لِحِفْظِ فَرائِضِكَ !
[٦]حينَئِذٍ لا أَخْزى إِذا نَظَرتُ إِلى جَميعِ وَصاياكَ
[٧]أَحمَدُكَ بِقَلبٍ مُستَقيم إِذا تَعَلَّمتُ أَحْكامَ عَدلِكَ .
[٨]إِنِّي أَحفَظُ فَرائِضَكَ ! فلا تَترُكْني تَماماً .
[٤٩]أُذْكُرْ لِعَبدِكَ كَلِمَتَكَ الَّتي جَعَلتني أَرْجوها .
[٥٠]هذه تَعزِيَتي في بُؤسي أَنَّ قَولَكَ يُحْييني .
[٥١]إِنَّ المُتَكَبِّرينَ سَخِروا بي كَثيراً لَكِنِّي عن شَريعَتِكَ لم أَحِدْ .
[٥٢]تَذَكَّرتُ أَحكامَكَ الدَّائِمَة فتَعَزَّيتُ يا رَبّ .
[٧٣]يَداكَ صَنَعَتاني وثَبَّتَتاني أَفهِمْني فأَتَعَلَّمَ وَصاياكَ .
[٧٤]يُبصِرُني الَّذينَ يَتَّقونَكَ فيَفرَحون لِأَنِّي أَرْجو كَلِمَتَكَ .
[٧٥]عَلِمتُ يا ربُّ أَنَّ أَحْكامَكَ بِرٌّ وأَنَّكَ بِالحَقِّ ذَلَّلتَني .
[٧٦]فلتَكُنْ رَحمَتُكَ تَعزِيَةً لي بِحَسَبِ قَولِكَ لِعَبدِكَ .
[٧٧]ولْتَأْتِني رَأفَتُكَ فأَحْيا لِأَنَّ شَريعَتَكَ هي نَعيمي .
[١٦٢]سُرِرتُ بِقَولِكَ كَمَن أَصابَ غَنيمةً وافِرة .
[١٦٣]أَبغَضتُ الكَذِبَ وآستَقبَحتُه وما أَحْبَبتُ إِلاَّ شَريعَتَكَ .
[١٦٤]سَبْعَ مَرَّاتٍ في النَّهارِ سَبَّحتُكَ على أَحْكامِ بِرِّكَ .
[١٦٥]سَلامٌ وافِرٌ لِمُحِبِّي شَريعَتِكَ ولَيسَ لَهم حَجَرُ عِثار .
[١٦٦]إِنتَظَرتُ يا رَبِّ خَلاصَكَ وعَمِلتُ بِوَصاياكَ .
[١٦٧]نَفْسي حَفِظَت شَهادَتَكَ وقد أَحبَبتُها حُبًّا شَديداً .

[١٦٨] حَفِظتُ أَوامِرَكَ وشَهادَتَكَ لِأَنَّ جَميعَ طُرُقي أَمامَكَ.

١٦. مزامير لعنة

وردت في المزامير، كما وردت في أقوال الأنبياء، تمنّيات شر للآخرين. وهي كثيراً ما تُزعج المسيحي. ومع ذلك فإن المسيح تلا هذه المزامير. فكيف ننظر اليها لكي نستطيع ان نتلوها نحن أيضاً؟

كانت فكرة خدمة الله تتسلّط على أهل الورع من اليهود، فكانوا يتمنّون أن يزول أعداؤه. فلو استطاعوا ان يحقّقوا الأمنية الواردة في خاتمة هذا المزمور، لظنّوا، ولا شكّ، أنهم أبطال الله.

لكن المسيح، وهو المعبّر عن محبة الآب، لم يتبنَّ تلك النظرة. فحافظ على صيغة المزامير وهي طقسية، لكنه تخطّى في الوقت نفسه تاريخ بابل وسائر الأمم الوثنية، ووصل الى الحقيقة الكامنة، وهي تحقيق مُلك الله.

الكنيسة حفظت هذا المزمور وسائر مزامير اللعنة، لأنها تعتقد بأن هناك حقيقة تشقّ طريقها عَبرَ ما في تلك الصيغة من نقص، وهي الوحي بالملكوت. كانت المزامير مرحلة من مراحل طريق الحق الذي لم نجتزْها بكاملها حتى اليوم.

نتلو إذاً هذه المزامير، بدون أن نتمسّك بالصيغة، بل في البحث فيها عن الكلمة الأزلية، عن علامة الله.

١٣٧. نشيد الجلاء

«ان نسيتُك يا أورشليم»

[١] على أَنهارِ بابِلَ هُناكَ جَلَسْنا فبَكَينا عِندَما صِهْيونَ تَذَكَّرْنا
[٢] على الصَّفْصافِ في وَسَطِها عَلَّقْنا كِنَّارَاتِنا.
[٣] هُناكَ سأَلَنا الَّذينَ أَسَرونا نَشيداً والَّذينَ عَذَّبونا طَرَباً:
«أَنشِدوا لَنا مِن صِهْيونَ نَشيداً»
[٤] كَيفَ نُنشِدُ نشيدَ الرَّبّ ونَحنُ في أَرضِ الغُربَة؟
[٥] إِن نَسيتُكِ يا أُورَشليم فلتُشَلَّ يَميني

[6]ولْيَلْتَصِقْ لِساني بِحَنَكي إِن لم أَذكُرْكِ
إِن لم أَرفَعْ أُورَشَليمَ إِلى أَوجِ فَرَحي.
[7]أُذكُرْ يا رَبُّ بَني أَدومَ(٧٨) في يَومِ أُورَشَليم
القائِلينَ: آنسُفوا حَتَّى أَساسَها آنسُفوا.
[8]يا آبنَةَ بابِلَ(٧٩) الصائِرَةَ إِلى الدَّمار
طوبى لِمَن يُجازيكِ على ما جازَيتِنا بِه.
[9]طوبى لِمَن يُمسِكُ أَطْفالَكِ ويَضرِبُ بِهمِ الصَّخرَة!

(٧٨) عند سقوط أورشليم، كان موقف بني أدوم ممقوتاً.
(٧٩) بابل التي دمَّرت أورشليم في ٥٨٦.

اسفار الحكمة

ان اسفارِ الحكمة أو الاسفار الحِكَمية هي الكتب التي تعود الى الفن الأدبي المسمَّى «الحِكَمي» . لن يدور الكلام بعد الآن حول أحداث تاريخ الشعب الاسرائيلي ، بل يُلقى تعليم . سيبحث الكاتب في احدى المشاكل البشرية الكبرى ويحاول ان يحلّها بالاستناد الى خبرته وتفكيره . هذا شأن مشكلة الألم والموت ، والمسؤولية الجماعية والفردية ، والتصرّف في الحياة ، وطبيعة الحكمة نفسها .

طرق التعبير عن هذا التعليم متنوّعة جداً . فهناك المثل الشعبي واللغز والارشاد .

هناك كتب حكمية بحصر المعني ، كسِفر أيوب والأمثال والجامعة وابن سيراخ والحكمة ، يُضاف إليها عادةً نشيد الأناشيد . لكنّ في داخل كتب التاريخ أو الأنبياء فقراتِ حكمية ، كاللّغز الذي عرضه شمشون ، والمثل الذي أدلى به ناتان لداود ، أو كبعض التعاليم المشيحية التي وردت في سِفر أشعيا (قض ١٤/٤ و٢ صم ١٢/١-٤ واش ١١/١-٩) .

أسهم الحكماء في التمهيد للوحي بالكلمة والروح القدس في داخل العهد الجديد . وسيكون يسوع في وقت لاحق معلّم الحكمة الأعلى .

سِفرُ الأمثال

حُرِّر هذا العمل في حوالى ٤٨٠، وهو مؤلَّف من عدد من المجموعات، يرقى أقدمها الى سليمان المَلِك، في حين ان أحدثها يعود الى زمن العودة من الجلاء.

يشمل لفظ «الأمثال» حِكَماً وتشابيه وألغازاً الخ ليست نسبتها الى سليمان أمراً يجب التمسّك بحرفيته، وهذا شأن نسبة المزامير الى داود، كما رأينا. عدَّ التقليد سليمان مبتكر الفن الحِكَمي في إسرائيل، وهذا هو السبب الذي حمل أحد كتّاب القرن الخامس على نسبة عمله الى ابن داود، علماً بأن مجمل الأمثال لا يعود أصله الى التراث الاسرائيلي فقط، بل هناك عدد من الأمثال تأثَّرت بالأدب المصري.

الى جانب الصياغة البسيطة للحياة اليومية - حكمة بشرية ودنيوية - نجد في القسم الأحدث تعليماً وافياً في الحكمة الإلهية. وفي الفصل الثامن، تبدو هذه الحكمة مجسَّدة الى حدٍّ بعيد وسابقة لخلق العالم. فهي معلم من المعالم في السير نحو الوحي بالثالوث الذي أتى به العهد الجديد.

المدخل

١ [١]أَمْثالُ سُلَيْمانَ بنِ داوُد، مَلِكِ إِسْرائيل:

[٢]لِمَعرِفَةِ الحِكمَةِ والتَّأديب، لِلتَّفَطُّنِ لِأَقْوالِ الفِطْنَة

[٣]لِلاَستِفادةِ مِن تأديبِ التَّعَقُّل - البِرِّ والحَقِّ والِاَستِقامة -

[٤]لِإِعطاءِ السُّذَّجِ دَهاءً والفَتى عِلْماً وتَدَبُّراً

[٦]لِلتَّفَطُّنِ لِلمَثَلِ والتَّعْريضِ لِكَلِماتِ الحُكَماءِ وأَلْغازِهم .
[٥]يَسمَعُ الحكيمُ فيَزْدادُ تَعْليماً والفَطِنُ يَكتَسِبُ سِياسةً .
[٧]مَخافَةُ الرَّبِّ رَأسُ العِلْم والحِكمَةُ والتَّأديبُ يَستَهينُ بِهِما الأَغْبِياء .

المجموعة الأولى
توصيات الحكمة

هذا المقطع أحدث المقاطع، وهو من عمل كتبة العودة من الجلاء (نهاية القرن السادس). الحِكَم مدروسة وتشكل مجموعات أدبية صغيرة، وهي تعليم في مجملها .

١. دعوة الحكمة

هنا دعوة الى الاقتداء بحكمة الله كما نراها من خلال عمله في العالم .

[٢٠]الحِكمَةُ تُنادي في الشَّوارِع وفي السَّاحاتِ تُطلِقُ صَوتَها
[٢١]في رُؤُوسِ الأَسْوارِ تَصرُخ وفي مَداخِلِ أَبْوابِ المَدينَةِ تَقولُ أَقْوالَها :
[٢٢]إِلى مَتى ، أَيُّها السُّذَج ، تُحِبُّونَ السَّذاجة
والسَّاخِرونَ يَبتَغونَ السُّخرِيَّة والجُهَّالُ يُبْغِضونَ العِلْم ؟
[٢٣]إِنِ آرتَدُّوا لِتَوبيخي ها إِنِّي أُفيضُ علَيكُم رُوحي وأُعلِمُكم كَلامي .

٣ [٢٧]لا تَمنَعِ الإِحْسانَ عن أَهلِه إِذا كانَ في يَدِكَ أَن تَصنَعه .
[٢٨]لا تَقُلْ لِقَريبِكَ[(١)] : «إِذهَبْ وعُدْ فأُعْطِيَكَ غَداً»
إِذا كانَ الشَّيءُ عِندَكَ .
[٢٩]لا تَدُسَّ على قَريبِكَ شَرًّا وهو ساكِنٌ مَعَكَ آمِناً .

(١) توسيع نطاق هذا المفهوم. فالقريب يعني هنا الآخرين عامةً .

[٣٠] لا تُخاصِمْ أَحَداً من دونِ سَبَب ما لم يَكُنْ قد عامَلَكَ بِشَرّ.
[٣١] لا تَغَرْ مِن رَجُلِ العُنْف(٢) ولا تَختَرْ مِن طُرُقِه شَيئاً
[٣٢] لِأَنَّ المُلْتَوِيَ قَبيحَةٌ عِندَ الرَّبّ ولِلمُستَقيمينَ مَوَدَّتُه.
[٣٣] لَعنَةُ الرَّبِّ في بَيتِ الشِّرِّير. أَمَّا مَنزِلُ الأَبْرارِ فهو يُبارِكُه.
[٣٤] يَسخَرُ مِنَ السَّاخِرين ولِلمُتَواضِعينَ يُعْطي النِّعْمَة.

٢. توبيخ الكسلان

في ارشاد قصير، تدعو الحكمة الكسلان الى الاقتداء بالنملة.

٦ [٦] إِذْهَبْ إِلى النَّملَةِ أَيُّها الكَسْلان، أُنظُرْ إِلى طُرُقِها وكُنْ حَكيماً.
[٧] إِنَّها لَيسَ لها قائِدٌ ولا مُشرِفٌ ولا حاكِم
[٨] وتُعِدُّ في الصَّيفِ طَعامَها وتَجمَعُ في الحَصادِ غِذاءَها.
[٩] إِلى مَتى تَرقُدُ أَيُّها الكَسْلان؟ مَتى تَنهَضُ مِن نَومِكَ؟
[١٠] قَليلٌ مِنَ النَّوم، قَليلٌ مِنَ الغَفْوِ، قَليلٌ مِنَ التَّكَتُّفِ لِلرُّقاد
[١١] فيَأتي عَوَزُكَ كَجَوَّالٍ وفاقَتُكَ كرَجُلٍ مُتَسَلِّح.

٣. عمل حكمة الله في خلق العالم

تذكّرنا هذه الفقرة بلازمة المزمور ١٠٤ «ما أعظم أعمالك يا رب». لقد صنعتَ جميعها بالحكمة».

٨ [٢٢] الرَّبُّ خَلَقَني(٣) أُولى طُرُقِه، قَبلَ أَعمالِه مُنذُ البَدْء
[٢٣] مِنَ الأَزَلِ أُقِمتُ، مِنَ الأَوَّلِ مِن قَبلِ أَن كانَتِ الأَرْض.

(٢) يُضمَر: الذي ينجح.
(٣) في العبرية: حازني.

[٢٤]وُلِدتُ حين لم تَكُنِ الغِمارُ واليَنابيعُ الغَزيرَةُ المِياه
[٢٥]قَبلَ أَن غُرِسَتِ الجِبال[(٤)] وقَبلَ التِّلالِ وُلِدتُ
[٢٦]إِذ لم يَكُنْ قد صَنَعَ الأَرْضَ والحُقولَ وأَوَّلَ عَناصِرِ العالَم.
[٢٧]حينَ ثَبَّتَ السَّمواتِ كُنتُ هُناك وحينَ رَسَمَ دائِرَةً على وَجهَ الغَمْر
[٢٨]حينَ جَمَّدَ الغُيومَ في العَلاء وحَبَسَ يَنابيعَ الغَمْر
[٢٩]حينَ وَضَعَ لِلبَحرِ حَدَّه - فالمِياهُ لا تَتَعَدَّى أَمرَه -
وحينَ رَسَمَ أُسُسَ الأَرْض
[٣٠]وكُنتُ عِندَه مُهَندِساً وكُنتُ في نَعيمٍ يَوماً فَيَوماً -
أَلعَبُ أَمامَه في كُلِّ حين
[٣١]أَلعَبُ على وَجهِ أَرضِه ونَعيمي مع بَني البَشَر.

٤. الدعوة إلى وليمة الحكمة

٩ [١]الحِكمَةُ بَنَت بَيتَها ونَحَتَت أَعمِدَتَها السَّبعَة.
[٢]ذَبَحَت ذَبائِحَها ومَزَجَت خَمرَها وأَعَدَّت أَيضاً مائِدَتَها.
[٣]أَرسَلَت جَوارِيَها تُنادي على مُتونِ مَشارِفِ المَدينَة:
[٤]«مَن كانَ ساذِجاً فليَمِلْ إِلى هُنا»
وتَقولُ لِكُلِّ فاقِدِ الرُّشْد:
[٥]«هَلُمُّوا كُلوا مِن خُبْزي وآشرَبوا مِنَ الخَمْرِ الَّتي مَزَجتُ.
[٦]أُترُكوا السَّذاجَةَ فتَحيَوا، أُسلُكوا طَريقَ الفِطنَة».

(٤) تذكَّر كسمولوجية الفصل الأول من سفر التكوين.

المجموعة الثانية
حِكَم دنيويَّة

في هذه السلسلة العريقة في القدم، سنرى على وجه أفضل ماذا كانت الحكمة الدولية: خبرة بشرية خالية من كل طابع ديني. يجوز لنا ان نتكلّم هنا على ثقافة إنسانية موجَّهة نحو فعّالية معيَّنة. يرجّح ان هذه الأمثال المفكّكة يرقى عهدها الى زمن سليمان.

١٠ [١]أَمثالُ سُلَيمان: أَلِآبنُ الحكيمُ يَسُرُّ أَباه والِآبنُ الجاهِلُ غَمٌّ لِأُمِّه.
[٢٦]كالخَلِّ لِلأَسْنانِ والدُّخانِ لِلعَينَينِ، كَذٰلِكَ الكَسْلانُ لِمَن أَرسَلَه.

١١ [٢٢]المَرأَةُ الجَميلةُ العارِيَةُ مِنَ الفَهْمِ حَلقَةٌ مِن ذَهَبٍ في أَنفِ خِنْزير.

١٢ [٤]المَرأَةُ الفاضِلَةُ إِكْليلٌ لِزَوجِها وذاتُ الفَضائحِ كنَخْرٍ في عِظامِه.

١٣ [٢]أَلإِنسانُ مِن ثَمَرِ فَمِه يَأكُلُ خَيراً ونَفْسُ الغادِرينَ تَأكُلُ العُنْف.

١٤ [٤]حَيثُ لا تَكونُ بَقَرٌ فالمِعلَفُ فارِغ وبِقُوَّةِ الثَّورِ غِلالٌ كَثيرة.
المُعوِزُ مُبغَضٌ حتَّى عِندَ صَديقِه وأَحِبَّاءُ الغَنِيِّ كَثيرون.

١٥ [١]الجَوابُ اللَّيِّنُ يَرُدُّ الحَنَق والكَلامُ المُؤلِمُ يُثيرُ الغَضَب.
[١٦]القَليلُ مع مَخافَةِ الرَّبِّ خَيرٌ مِن كَنزٍ عَظيمٍ مع الآضطِراب.
[١٧]أَكلَةٌ مِنَ البُقولِ مع المَحَبَّة خَيرٌ مِن ثَورٍ مَعْلوفٍ مع البَغْضاء.
[٢٠]الِآبنُ الحَكيمُ يُفَرِّحُ أَباه والجاهِلُ مِنَ البَشَرِ يَستَهينُ بِأُمِّه.

١٧ [١١]الشِّرِّيرُ لا يَلتَمِسُ إلاَّ التَّمَرُّد فيُرسَلُ علَيه مَلاكٌ قاسٍ.

[١٢] اللِّقاءُ بِدُبَّةٍ فَقَدَت صِغارَها ولا اللِّقاءُ بِجاهِلٍ في غَباوَتِه .

١٨ [٢٢] مَن وَجَدَ زَوجَةً وَجَدَ خَيراً ونَالَ رِضًى مِن لَدُنِ الرَّبّ .

١٩ [١٧] مَن يَرحَمِ الفَقيرَ يُقرِضِ الرَّبّ فهُو يُجازيه على صَنيعِه .
[٢٤] الكَسْلانُ يَغمِسُ يَدَه في الطَّبَق ، لا يوصِلُها ولا إِلى فَمِه .

٢٠ [٢٤] مِنَ الرَّبِّ خَطَواتُ الرَّجُل ، أَمَّا الإِنْسانُ فكَيفَ يَفهَمُ طَريقَه ؟
[٢٩] فَخرُ الشُّبَّانِ قُوَّتُهم وبَهاءُ الشُّيوخِ المَشيب .

٢١ [١] قَلبُ المَلِكِ في يَدِ الرَّبِّ سَواقي ماء فحَيثُما شاءَ يُميلُه .
[٢] كُلُّ طَريقٍ لِلإِنْسانِ مُستَقيمٌ في عَينَيه ووازِنُ القُلوبِ هو الرَّبّ .
[٣] إِجْراءُ العَدلِ والحَقّ أَفضَلُ عِندَ الرَّبِّ مِنَ الذَّبيحة(٥) .
[٤] تَرَفُّعُ العَينَينِ انتِفاخُ القَلْب . سِراجُ الأَشْرارِ الخَطيئَة .
[٥] أَفكارُ المُجِدِّ إِنَّما هي لِلرِّبحْ وكُلُّ عَجولٍ إِنَّما هو لِلعَوَز .
[٦] تَحْصيلُ الكُنوزِ بِلِسانِ الكَذِب بُطْلٌ زائِلٌ لِمُلتَمِسي المَوت .
[٩] السُّكْنى في زاوِيَةِ سَطْحٍ خَيرٌ مِنِ امرَأَةٍ مُنازِعةٍ وبَيتٍ مُشتَرَك .
[١٠] نَفْسُ الشِّرِّيرِ تَرغَبُ في الإِساءَة فقَريبُه لا يَنالُ حُظوَةً في عَينَيه .
[١١] إِذا غُرِّمَ السَّاخِرُ صارَ السَّاذِجُ حَكيماً
وكَذا إِذا عُلِّمَ الحَكيمُ تَقَبَّلَ العِلْم .
[١٢] يَتَأَمَّلُ البارُّ بَيتَ الشِّرِّير ويُلْقي الأَشْرارَ في السُّوء .

(٥) تأثير من الأنبياء (راجع عا ٥/٢٢ وهو ٦/٦ وار ٧/٢١) .

[١٣]مَن سَدَّ أُذُنَه عن صُراخِ الضَّعيف فهُو أَيضاً يَصرُخُ ولا يُسمَعُ لَه .

المجموعة الثالثة

أمثال مقتبسة من مصر ومكيَّفة

وضع موظَّف مصري رفيع مؤلَّفاً وقسَّمه إلى ثلاثين فصلاً . ويبدو ان الكاتب الملهم نقَّحها فأزال منها العنصر الأسطوري وأضفى عليها الطابع اليهوي .

٢٢ [١٧]أَمِلْ أُذُنَكَ وآسمَعْ كَلامَ الحُكَماء ووَجِّهْ قَلبَكَ إِلى عِلْمي

[٢٠]أَلَم أَكتُبْ لَكَ ثَلاثينَ فَصلاً مِنَ المَشوراتِ والعِلْم[٦]

[٢٢]لا تَسلُبِ الفَقيرَ لِأَنَّه فَقير ولا تَسحَقِ البائِسَ عِندَ الباب[٧]

[٢٣]فإِنَّ الرَّبَّ يُخاصِمُ لِخُصومَتِهما ويَخطَفُ نُفوسَ الَّذينَ خَطَفوهما .

٢٣ [١]إِذا جَلَستَ تأكُلُ مع ذي سُلطَة

فتَأَمَّلْ أَشَدَّ التَّأَمُّلِ في ما هو أَمامَكَ

[٢]وضَعْ سِكِّيناً لِحَنجَرَتِكَ ، إِن كُنتَ ذا شَرَه .

[٣]لا تَشتَهِ طَيِّباتِه فإِنَّها طَعامٌ خادِع .

[٢٠]لا تَكُنْ بَينَ المُدمِنينَ لِلخَمْر والمُتَّهِمينَ لِلَّحْم

[٢١]فإِنَّ المُدمِنَ والمُتَهِمَ يَفتَقِران والنَّومَ يُلبِسُ الثِّيابَ البالِيَة .

[٢٢]إِسمَعْ لِأَبيكَ الَّذي وَلَدَكَ ولا تَستَهِنْ بِأُمِّكَ إِذا شاخَت .

[٢٩]لِمَنِ «الوَيْلُ» ؟ لِمَن «واأسفاه» ؟ لِمَنِ المُشاجَرات ؟ لِمَنِ الشَّكْوى ؟

(٦) إشارة إلى الأمثال المصرية .

(٧) كانوا يجرون العدل في الساحة أمام أبواب المدينة .

لِمَنِ الضَّرَباتُ مِن دونِ سَبَب ؟ لِمَن إِظْلامُ العَينَين ؟
[٣٠] لِلَّذينَ يُدمِنونَ الخَمْر ، لِلَّذينَ يَدخُلونَ لِيَذوقوا المَمْزوج .
[٣١] لا تَنظُرْ إِلى الخَمْرِ إِذا آحمَرَّت وأَبدَت في الكَأسِ حَبَبَها :
إِنَّها تَسوغُ مَريئَةً .
[٣٢] لٰكِنَّها في الآخِرِ تَلسَعُ كالحَيَّة وتَنفُثُ سُمَّها كالأَفْعى .
[٣٣] تَرى عَيناكَ الغَرائِب ويَنطِقُ قَلبُكَ بِالهَذَيان
[٣٤] وتَكونُ كمُضطَجِعٍ في عُرضِ البَحْر أَو كنائمٍ على رأسِ السَّارِيَة
[٣٥] وتقولُ : «ضَرَبوني ولم أَتَوَجَّعْ، رَضَّضوني ولَم أَشعُرْ
مَتى أَستَيقِظُ فأَعودُ إِلى طَلَبِها» .

المجموعة الرابعة

أمثال مكمِّلة

مجموعة صغيرة لا نعرف كاتبها ، وهي تتناول حالات عمليّة .

٢٤ [٢٣] هٰذه أَيضاً لِلحُكَماء :

[٣٠] إِنِّي مَرَرتُ بِحَقلِ الكَسْلان وبِكَرْمِ الإِنْسانِ الفاقِدِ الرُّشْد
[٣١] فإِذا العَوسَجُ قد عَلاه كُلَّه والشَّوكُ غَطَّى وَجهَه
وجِدارُ حِجارَتِه قدِ آنهدَمَ .
[٣٢] فنَظَرتُ فوَعَيتُ في قَلْبي ورَأَيتُ فآستَفَدتُ تأديباً :
[٣٣] قَليلٌ مِنَ النَّومِ ، قَليلٌ مِنَ الغَفْوِ ، قَليلٌ مِنَ التَّكَتُّفِ لِلرُّقاد
[٣٤] فيَأتي عَوَزُكَ كَجَوَّالٍ وفاقَتُكَ كَرَجُلٍ مُتَسَلِّح .

المجموعة الخامسة

حِكَم دنيوية أخرى

يجب ربط هذا المقطع الجديد بالمقطع الثاني، فإنه يعود هو أيضاً إلى زمن سليمان. انتبه الى بعض وجوه الشبه بتعليم الانجيل.

٢٥ [١]هذه أَيضاً أَمثالُ سُلَيمانَ الَّتي نَقَلَها رِجالُ حِزقِيَّا، مَلِكِ يَهوذا.

[٦]لا تَفتَخِرْ أَمامَ المَلِك وفي مَكانِ العُظَماءِ لا تَقِفْ

[٧]فإِنَّه خَيرٌ أن يُقالَ لَكَ: «اِصعَدْ إِلى هنا» مِن أَن تُحَطَّ أَمامَ الأَمير(٨).

[١١]الكَلامُ المَنْطوقُ بِه في أَوانِه تُفَّاحٌ مِن ذَهَبٍ مع نُقوشٍ مِن فِضَّة.

[١٢]المُوَبِّخُ الحكيمُ لِلأُذُنِ الواعِيَة حَلقَةٌ مِن ذَهَبٍ وحَلْيٌ مِن إِبْريز.

[١٧]لا تُكثِرْ نَقلَ القَدَمِ إِلى بَيتِ قَريبِكَ لِئَلاَّ يَسأَمَ مِنكَ فيَكرَهَكَ.

[٢١]إِن جاعَ عَدُوُّكَ فأَطعِمْه خُبزاً وإِن عَطِشَ فآسقِه ماءً

[٢٢]فإِنَّكَ تَركُمُ على هامَتِه جَمْراً والرَّبُّ يُجازيك(٩).

٢٦ [١٧] مَن مَرَّ فتَدَخَّلَ في خُصومَةٍ لا تَعْنيه كَمَنْ يأخُذُ كَلباً بِأُذُنَيه.

[٢٧]مَن يَحفِرْ حُفرَةً يَسقُطْ فيها ومَن يُدَحرِجْ حَجَراً يَرْجِعْ علَيه.

٢٧ [١٥]الوَكْفُ المُتَواصِلُ في يَومٍ مُمطِر والمَرأَةُ المُنازِعَةُ سِيَّان.

[١٦]مَن ضَبَطَها فإِنَّما يَضبِطُ الرِّيح ويَقبِضُ بِيَمينِه على زَيت.

(٨) راجع لو ١٤/٧-١١.

(٩) راجع متى ٥/٤٤.

المجموعة السادسة والسابعة والثامنة

حِكَم متنوّعة

في المقطعين السادس والثامن فارق جديد، وهو حكمة البرّيّة. أمّا المقطع السابع، فهو غريب بأمثاله العددية. نكتفي بقطف بعض الأمثال من هذا المقطع الأخير.

٣٠ [١]أَقْوالُ آجورَ بنِ ياقَةَ المَسّاوِيّ:

[٥]كُلُّ قَولٍ للهِ مُمَحَّصٍ هو تُرسٌ لِلمُعتَصِمينَ بِه.

[٦]لا تَزِدْ على كَلامِه لِئَلاَّ يُوَبِّخَكَ فتُكَذَّب.

[٧]شَيئَينِ سَأَلتُكَ فلا تَمنَعْني إِيَّاهما قَبلَ أَن أَموت:

[٨]أَبعِدْ عنِّي الباطِلَ وكَلامَ الكَذِب

لا تُعطِني الفَقرَ ولا الغِنى، بلِ آرزُقْني مِنَ الطَّعامِ ما يَكْفيني

[٩]لِئَلاَّ أَشبَعَ فأَجحَدَ وأَقولَ: «مَنِ الرَّبّ؟»

أَو أَفتَقِرَ فأَسرِقَ وأَعتَدِيَ على آسمِ إِلهي.

[١٥]لِلعَلَقَةِ بِنْتانِ تَقولانِ: «هاتِ هاتِ»

ثَلاثٌ لا تَشبَع وأَربَعٌ لا تَقول: «كَفى»:

[١٦]مَثْوى الأَمواتِ والرَّحِمُ العَقيمةُ والأَرضُ الَّتي لا تَشبَعُ ماءً

[٢١]تَحتَ ثَلاثَةٍ تَرتَجُّ الأَرْض وتَحتَ أَربَعَةٍ لا تَستَطيعُ الِآحتِمال:

[٢٢]تَحتَ عَبدٍ إِذا مَلَك وأَحمَقَ إِذا شَبِعَ مِنَ الطَّعام

[٢٣]وتَحتَ مَمْقوتَةٍ إِذا صارَت لِرَجُل وأَمَةٍ إِذا وَرِثَت مَولاتَها.

المجموعة التاسعة

المرأة المثالية

إليك الآن قصيدة أبجدية عن المرأة الفاضلة. تجد فيها، لا الاحترام للمرأة فقط، بل المثال الأعلى للزوجة والأم، في داخل وسط اجتماعي معيَّن.

٣١ [١٠]آ – مَن يَجِدُ المَرأَةَ الفاضِلَة؟ إنَّ قيمَتَها فَوقَ اللآلِئ.

[١١]ب – قَلبُ زَوجِها يَثِقُ بِها فلا تُعوِزُه الغَنيمة.

[١٢]ج – تأتيه بِالخَيرِ دونَ الشَّرِّ جَميعَ أَيَّام حَياتِها.

[١٣]د – تَلتَمِسُ صوفاً وكَتَّاناً وتَعمَلُ بِحِذْقِ كَفَّيها

[١٤]هـ – فتَكونُ كسُفُنِ التَّاجِر تَجلُبُ طَعامَها مِن بَعيد.

[١٥]و – تَقومُ واللَّيلُ مُخَيِّم وتُعْطي طَعاماً لِبَيتِها ولِجَواريها أَعْمالَهُنَّ.

[١٦]ز – تَتَأَمَّلُ حَقلاً فتَشْتَريه وبِثَمَرِ كَفَّيها تَغرِسُ كَرماً.

[١٧]ح – تَشُدُّ وَسْطَها بِالقُوَّة وتُشَدِّدُ ذِراعَيها.

[١٨]ط – تَذوقُ ما أَنجَحَ تِجارَتَها فلا يَنطَفِئُ في اللَّيلِ سِراجُها.

[١٩]ي – تُلْقي يَدَيها على المِكَبّ وأَنامِلُها تُمسِكُ المِغزَل.

[٢٠]ك – تَبسُطُ كَفَّيها إِلى البائس وتَمُدُّ يَدَيها إِلى المِسْكين.

[٢١]ل – لا تَخافُ على بَيتِها مِنَ الثَّلْج

لِأَنَّ أَهلَ بَيتِها جَميعَهم لابِسونَ ثِياباً مُضاعَفة

[٢٢]م – تَصنَعُ لِنَفسِها أَغطِيَةً ولِباسُها الكَتَّانُ النَّاعِمُ والأُرجُوان.

[٢٣]ن – زَوجُها مَعْروفٌ في الأَبْواب حَيثُ يَجلِسُ بَينَ شُيوخِ البَلَد.

[٢٤]س – تَصنَعُ ثِياباً وتَبيعُها وتَعرِضُ زَنانيرَ على الكَنْعاني.

[٢٥]ع – لِباسُها العِزُّ والبَهاء وهي تَضحَكُ لِليَومِ الآتي.

[٢٦] ف - تَفتَحُ فَمَها بِالحِكمة وعلى لِسانِها تَعْليمُ الرَّحمَة.
[٢٧] ص - تُراقِبُ طُرُقَ بَيتِها ولا تأكُلُ خُبزَ الكَسَل.
[٢٨] ق - يَقومُ بَنوها ويُهَنِّئونَها ويَقومُ زَوجُها فيَمدَحُها:
[٢٩] ر - «بَناتٌ كَثيراتٌ قُمنَ بِالمآثِر أَمَّا أَنتِ ففُقتِهِنَّ جميعاً»
[٣٠] ش - الحُسنُ غُرورٌ والجَمالُ باطِل
والمَرأَةُ المُتَّقِيةُ لِلرَّبِّ هي الَّتي تُمدَح.
[٣١] ت - أَعْطوها مِن ثَمَرِ يَدَيها ولْتَمدَحْها في الأَبْوابِ أَعْمالُها[١٠].

قراءة لبني جيلنا

قد يخيب أمل القارئ المسيحي لأول وهلة أمام تلك الحكمة الدنيوية! فإنه، إذا قارنها بتعليم المسيح، وجد ان الزمان قد تخطّاها إلى حد بعيد وانها لم تعد جديرة بالمسيحي. لكنه سينتهز هذه الفرصة ليتذكّر ان الفضائل الفائقة الطبيعة لا وجود لها في حالة صِرْف، بل انها ترتكز على فضائل طبيعية فُطر عليها الانسان. والدليل على ذلك كثرة الاستشهادات والتلميحات الى سِفر الأمثال التي نجدها في العهد الجديد.

(١٠) ربّما يجب أن نرى في هذه الفقرة كلها وصفاً تمثيلياً يستهدف الحكمة نفسها.

سِفرُ أيّوب

ليس هذا السِفر كتاب تاريخ ، بل مؤلَّفاً يرمي الى التعليم . فالأساليب الأدبية واضحة (راجع الحواشي) ، والقانون العبري يجعله في عداد اسفار الحكمة .

المشكلة المطروحة هي مشكلة الألم . والمفيد هنا أننا لسنا أمام نظرية من النظريات ، بل أمام مأساة يعيشها انسان يتألم . ولقد حلَّل الكاتب هذه الحالة ، وأيوب في صميم أزمة تمرُّد .

حُرِّرَ هذا المؤلَّف يومَ حاول الشعب الاسرائيلي ان يحلّ مشكلة المكافأة ، فوجد نفسه في طريق مسدود . كان يجهل وجود الآخرة ، فاعتقد بأن الله يجب ان يمارس عدله في هذه الدنيا . فلا بدّ ان تقوم المكافأة على ايام طويلة وذرية كثيرة وغنى وعافية . النجاح في هذه الدنيا وصداقة الله أمران يتعادلان . لكن الاختبار اليومي كان يكذِّب هذه النظرة الرسمية : فهناك «أشرار» سعداء (الأمر الذي أثار اشمئزاز إرميا) ، في حين ان إرميا نفسه قضى حياته في العذاب ، مع انه تفانى في سبيل الذي دعاه . أولم يمت الملك يوشيا في مجدّو في السنة ٦٠٩ ، مع انه شجَّع الاصلاح الديني . كيف نفهم كل ذلك ؟

ان ألم أيوب ، مع أنه يحتجّ ببراءته ، يطرح المشكلة في العمق . يؤكّد أصدقاؤه ان في آلامه عقاباً أنزله الله بسبب خطايا ثابتة ، قد يجهلها أيوب . لكن أيوب يحتجّ ويتمرَّد بعنف فيتطرَّق أخيراً الى مسألة مصير الانسان ، متَّهماً العدل الإلهي .

في صميم ذلك التمرّد ، يشعر أيوب برغبة صادقة في الاهتداء الى الله . لكن ألم أيوب يقتضي ضوءًا جديداً ، يقتضي خطوة جديدة في الوحي الإلهي .

وسيكتشف أيوب ، في الواقع ، ان عدل الله على صلة بحكمته وان هذه الحكمة لا تُقاس بحكمة الانسان ، لأنها فوق متناوله . يكفي النظر الى النظام الطبيعي للشعور

بأن قدرة الله تفوق إمكانيات الانسان (الفصل ٣٨)، فكم بالأحرى في النظام الأخلاقي. أمّا حكمة الله فهي من نظام يختلف كل الاختلاف عن حكمة الانسان. فالله يحفظ سرّه، وهذا السرّ لا يستطيع أيوب ان يكشفه. ولذلك يجيب بكلمات ملؤها التواضع والإيمان (الفصل ٤٢). السرّ لم يتّضح، لكن الوحي خطى خطوة كبيرة.

حُرّر سِفر أيوب في حوالى ٤٥٠، وهو يضمّ:

١. مقدّمة نثرية، يبدو فيها أيوب باراً وسعيدًا، ثم يُصاب فجأة بالمحن (١ و ٢).

٢. ثلاث حلقات خُطَب شعرية، يحاول فيها أصدقاء أيوب حَملَه على التسليم بالحلّ القديم (الألم عقاب)، في حين انه يحتجّ بهذه النظرة (٣ - ٣١).

٣. خطبة يحاول فيها شخص جديد يسمّى أليهو ان يبرّر تصرّف الله (٣٢ - ٣٧).

٤. تدخل الله، يليه خضوع أيوب (٣٨ - ٤٢/٦).

٥. خاتمة نثرية يردّ فيها الله لأيوب جميع ما كان له (٤٢/٧ - ١٧).

آ) الاعلان عن الموضوع

١. أيوب بارّ وسعيد

يُستهلّ المؤلّف بالنظرية القديمة: البار سعيد في هذه الدنيا.

١ [١]كانَ رَجُلٌ في أَرضِ عوصٍ آسمُه أَيّوب، وكانَ هٰذا الرَّجُلُ كامِلاً مُستَقيماً يَتَّقي اللهَ ويُجانِبُ الشَّرّ. [٢]ووُلِدَ لَه سَبعَةُ بَنينَ وثَلاثُ بَنات. [٣]وكانَ يَملِكُ سَبعَةَ آلافٍ مِنَ الغَنَم وثَلاثَةَ آلافٍ مِنَ الإِبِل وخَمسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَر وخَمسَ مِئَةِ أَتان، ولَه خَدَمٌ كَثيرونَ جِدًّا. وكانَ ذلكَ الرَّجُلُ أَعظَمَ أَبْناءِ المَشرِقِ[١] جَميعاً. [٤]وكانَ بَنوه يَذهَبونَ فيُقيمونَ مَأدُبةً في

(١) جميع هذه الأعداد رمزية، تدل على الكمال.

بَيتِ كُلٍّ مِنهم في يَومِه، ويَبعَثونَ فيَدْعونَ أَخَواتِهِم الثَّلاثَ لِيَأكُلْنَ ويَشرَبنَ مَعَهم. [٥]فإذا تَمَّ مَدارُ أَيَّامِ المَأدُبة، كانَ أَيُّوبُ يَدْعوهُم ويُطَهِّرُهم[٢]، ثُمَّ يُبَكِّرُ في الصَّباحِ فيُصعِدُ مُحرَقاتٍ لِعَدَدِهم جَميعاً، لِأَنَّ أَيُّوبَ كانَ يَقول: «لَعَلَّ بَنِيَّ خَطِئوا فَجَدَّفوا على اللهِ في قُلوبِهم». هكَذا كانَ أَيُّوبُ يَصنَعُ كُلَّ الأَيَّام.

٢. أيوب يُمتحن بشدّة

أذن الله للشيطان ان يمتحن أيوب في ممتلكاته أولاً، ثم في جسده.

[٦]واتَّفَقَ يَوماً أَن دَخَلَ بَنو اللهِ[٣] لِيَمثُلوا أَمامَ الرَّبّ، ودَخَلَ الشَّيطانُ أَيضاً بَينَهم. [٧]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان: «مِن أَينَ أَقبَلتَ؟» فأَجابَ الشَّيطانُ وقالَ لِلرَّبّ: «مِنَ الطَّوافِ في الأَرضِ والتَّرَدُّدِ فيها». [٨]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان: «أَمِلتَ بالَكَ إِلى عَبْدي أَيُّوب؟ فإِنَّه لَيسَ لَه مَثيلٌ في الأَرْض. إِنَّه رَجُلٌ كامِلٌ مُستَقيم يَتَّقي اللهَ ويُجانِبُ الشَّرّ». [٩]فأَجابَ الشَّيطانُ وقالَ لِلرَّبّ: «أَمَجَّاناً يَتَّقي أَيُّوبُ الله؟ [١٠]أَلَم تَكُنْ سَيَّجتَ حَولَه وحَولَ بَيتِه وحَولَ كُلِّ شَيءٍ لَه مِن كُلِّ جِهَة، وقد بارَكتَ أَعْمالَ يَدَيه، فانتَشَرَت ماشِيَتُه في الأَرْض. [١١]ولكِنِ ابسُطْ يَدَكَ وامسَسْ كُلَّ ما لَه فتَرى أَلا يُجَدِّفُ عَلَيكَ في وَجهِكَ». [١٢]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان: «ها إِنَّ كُلَّ شَيءٍ لَه في يدِكَ، ولكِن إِلَيه لا تَمدُدْ يَدَكَ». وخَرَجَ الشَّيطانُ مِن أَمامِ

(٢) أي ينزع عنهم النجاسة الطقسية.
(٣) يصوِّر الله هنا بصورة ملك تحيط به حاشيته. ويمثّل «بنو الله» أعضاء مشورة الله أو البلاط السماوي.

وَجهِ الرَّبّ[٤].

[١٣]واتَّفَقَ يوماً أَنَّ بَنيه وبَناتِه كانوا يَأكُلونَ ويشرَبونَ خَمراً في بَيتِ أَخيهِمِ البِكْر. [١٤]فأَقبَلَ رَسولٌ إِلى أَيُّوبَ وقال: «كانَتِ البَقَرُ تَحرُثُ والأُتُنُ تَرْعى بِجانِبِها، [١٥]فهَجَمَ علَيها أَهْلُ سَبَأ وأَخَذوها، وقَتَلوا الخَدَمَ بِحَدِّ السَّيف، وأَفلَتُّ أَنا وَحْدي لِأُخبِرَك»[٥]. [١٦]وبَينَما هو يَتَكَلَّم، أَقبَلَ آخَرُ فقال: «قد سَقَطَت نارُ اللهِ مِنَ السَّماء وأَحرَقَتِ الغَنَمَ والخَدَمَ وأَكَلَتهم، وأَفلَتُّ أَنا وَحْدي لِأُخبِرَك». [١٧]وبَينَما هو يَتَكَلَّم، أَقبَلَ آخَرُ فقال: «قد تَوزَّعَ الكَلْدانِيُّونَ إِلى ثَلاثِ فِرَق، وأَغاروا على الإِبِلِ فأَخَذوها، وقَتَلوا الخَدَمَ بِحَدِّ السَّيف، وأَفلَتُّ أَنا وَحْدي لِأُخبِرَك». [١٨]وبَينَما هو يَتَكَلَّم، أَقبَلَ آخَرُ فقال: «كانَ بَنوكَ وبَناتُكَ يأكُلونَ ويَشرَبونَ خَمراً في بَيتِ أَخيهِمِ البِكْر، [١٩]فإِذا بِريحٍ شَديدةٍ قد هَبَّت مِن وَراءِ البَرِّيَّة وصَدَمَت زَوايا البَيتِ الأَربَع، فسَقَطَ على الشُّبَّانِ فماتوا، وأَفلَتُّ أَنا وَحْدي لِأُخبِرَك».

[٢٠]فقامَ أَيُّوبُ وشَقَّ رِداءَه وحَلَقَ شَعرَ رَأسِه[٦] وآرتَمى إِلى الأَرضِ وسَجَدَ، [٢١]وقال:

«عُرْياناً خَرَجتُ مِن جَوفِ أُمّي وعُرْياناً أَعودُ إِلَيه
الرَّبُّ أَعْطى والرَّبُّ أَخَذ فلْيَكُنِ آسمُ الرَّبِّ مُبارَكاً»[٧].

(٤) يبدو الشيطان هنا عدواً للإنسان، لا لله.
(٥) أسلوب اصطناعي يستخدَم الى نهاية الفقرة.
(٦) رُتَب مأتمية.
(٧) مشاعر خضوع وروح فقر رائع. فقد خسر الشيطان الدور الأول.

[٢٢]في هذا كُلِّه لم يَخطَأْ أَيُّوب ولم يَقُلْ في اللهِ غَباوَة .

٢ [١]ثُمَّ ٱتَّفَقَ يَوماً أَن دَخَلَ بنو اللهِ لِيَمثُلوا أَمامَ الرَّبّ ، ودَخَلَ الشَّيطانُ أَيضاً بَيْنَهُم لِيَمثُلَ أَمامَ الرَّبّ . [٢]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان : «مِن أَينَ أَقبَلتَ ؟» فأَجابَ الشَّيطانُ وقالَ لِلرَّبّ : «مِنَ الطَّوافِ في الأَرضِ والتَّرَدُّدِ فيها» . [٣]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان : «أَمِلتَ بالَكَ إِلى عَبْدي أَيُّوب ؟ فإِنَّه لَيسَ لَه مَثيلٌ في الأَرْض . إِنَّه رَجُلٌ كامِلٌ مُستَقيم يَتَّقي اللهَ ويُجانِبُ الشَّرّ ، والى الآنَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمالِه ، وقَد حَرَّضتَني على ٱبتِلاعِه بِدونِ سَبَب» . [٤]فأَجابَ الشَّيطانُ وقالَ لِلرَّبّ : «جِلْدٌ بِجِلْدٍ ، وكُلُّ ما يَملِكُه الإِنسانُ يَبذُلُه عن نَفسِه . [٥]ولكِنِ ٱبسُطْ يَدَكَ وٱمسَسْ عَظْمَه ولَحْمَه ، فتَرى أَلا يُجَدِّفُ عَلَيكَ في وَجهِكَ» . [٦]فقالَ الرَّبُّ لِلشَّيطان : «ها إِنَّه في يَدِكَ ، ولكِنِ ٱحتَفِظْ بِنَفسِه»⁽٨⁾ . [٧]فخَرَجَ الشَّيطانُ مِن أَمامِ وَجهِ الرَّبّ .

وضَرَبَ الشَّيطانُ أَيُّوبَ بِقَرْحٍ خَبيثٍ مِن أَخمَصِ قَدَمِه إِلى قِمَّةِ رَأسِه . [٨]فأَخَذَ لَه خَزَفَةً لِيَحتَكَّ بِها وهو جالِسٌ على الرَّماد . [٩]فقالَت لَه ٱمرَأَتُه : «أَإِلى الآنَ مُتَمَسِّكٌ بِكَمالِكَ ؟ جَدِّفْ على اللهِ ومُتْ» . [١٠]فقالَ لَها : «إِنَّما كَلامُكِ كَلامُ إِحْدى الحَمْقى . أَنَقبَلُ الخَيرَ مِنَ اللهِ ولا نَقبَلُ مِنه الشَّرّ ؟» في هذا كُلِّه لم يَخطَأْ أَيُّوبُ بِشَفَتَيه⁽٩⁾ .

٣. قدوم «أصدقاء» أيوب الثلاثة

حضر الخصوم ، وستتجابه النظريات التي يمثّلونها .

(٨) قدرة الشيطان يضع الله حدوداً لها .

(٩) خسر الشيطان الشوط .

[١١]وسَمِعَ ثَلاثَةُ أَصدِقاءَ لِأَيُّوبَ بِكُلِّ ما أَصابَه مِنَ البَلْوى ، فأَقبَلَ كُلٌّ مِن مَكانِه ، أَليفازُ التَّيمانِيّ وبِلدَدُ الشُّوحِيّ وصوفَرُ النَّعماتِيّ ، واتَّفَقوا على أَن يأتوا فيَرْثوا لَه ويُعَزُّوه . [١٢]فرَفَعوا أَبْصارَهم مِن بَعيدٍ فلَم يَعرِفوه . فرَفَعوا أَصْواتَهم وبَكَوا ، وشَقَّ كُلٌّ مِنهُم رِداءَه وذَرُّوا تُراباً نَحوَ السَّماءِ فوق رُؤُوسِهم(١٠) . [١٣]وجَلَسوا معَه على الأَرضِ سَبعَةَ أَيَّامٍ وسَبعَ لَيالٍ(١١) ، ولم يُكَلِّمْه أَحَدٌ بِكَلِمَة ، لِأَنَّهم رَأَوا أَنَّ كآبَتَه كانَت شَديدةً جِدًّا .

ب) خطب أيوب وأصدقائه
المجموعة الأولى

١. لعنات أيوب

يعاني أيوب ألماً شديداً ، فيلعن يوم مولده ويأسف على كونه لم يمت على الفور

٣ [١]بَعدَ ذلك فتَحَ أَيُّوبُ فَمَه ولَعَنَ يَومَه
[٢]وتَكَلَّمَ أَيُّوبُ وقال :
[٣]«لا كانَ نَهارٌ وُلِدتُ فيه ولا لَيلٌ قال : قد حُبِلَ بِرَجُل !
[٤]لِيَكُنْ ذلك النَّهارُ ظَلاماً
ولا رَعاهُ اللهُ مِن فَوقُ(١٢) ولا أَشرَقَ علَيه نور !
[٥]لِتُطالِبْ بِه الظُّلُماتُ وظِلالُ المَوت

(١٠) رتب حداد أخرى .
(١١) أي وقتاً طويلاً .
(١٢) راجع ار ٢٠/١٤-١٨، فالقريحة الشعرية هي هي .

ولْيَستَقِرَّ عليه غَمامٌ ولْتُرَوِّعْه كَواسِفُ النَّهار !
[٦]وذلك اللَّيلُ لِيَشْمَلْه الظَّلام
ولا يُضَمَّ إِلى أَيَّامِ السَّنَة ولا يَدخُلْ في عَدَدِ الشُّهور !
[٧]لِيَكُنْ ذلك اللَّيلُ عاقِراً ولا يُسمَعْ فيه هُتاف !
[٨]لِيَشْتِمْه لاعِنو اليَوم المُستَعِدُّونَ لِإِيقاظِ[١٣] لاوِياثان !
[٩]لِتُظلِمْ كَواكِبُ شَفَقِه ولْيَتَرَقَّبِ النُّورَ فلا يَكون ولا يَرَ أَجْفانَ الفَجْر !
[١٠]لِأَنَّه لم يُغلِقْ عَلَيَّ أَبوابَ البَطْن ولَم يَستُرِ الشَّقاءَ عن عَينَيَّ .
[١١]لِمَ لَم أَمُتْ مِنَ الرَّحِم ولم تَفِضْ روحي عِندَ خُروجي مِنَ البَطْن ؟
[١٢]لِماذا صادَفَتْ رُكبَتَينِ تَقبَلانِني وثَدْيَينِ يُرضِعانِني ؟
[١٣]إِذَن لَكُنتُ الآنَ أَضَّجِعُ فأَسكُن ولَكُنتُ أَنامُ فأَستَريح
[١٤]معَ مُلوكِ الأَرضِ ومُشيريها الَّذينَ ابتَنَوا لِأَنفُسِهم خَرائِب
[١٥]أَو معَ أُمَراءَ لَهم ذَهَب وقَد مَلأُوا بُيوتَهم[١٤] فِضَّة
[١٦]أَو كَسِقطٍ مَغْمورٍ فلَم أَحْيَ ومِثلَ أَجِنَّةٍ لم يَرَوُا النُّور .
[٢٤]فإِنَّ التَّنَهُّدَ طَعامٌ لي وزَئيري يَنصَبُّ كالمِياه .
[٢٥]لِأَنَّ ما كُنتُ أَخْشاه قد أَتاني وما فَزِعتُ مِنه قد جاءَ إِلَيَّ .
[٢٦]فلا طُمَأنينَةَ لي ولا قَرارَ ولا راحة وقد داهَمَني الاِضطِراب» .

٢. جواب أَليفاز

«ان كنت بائساً، فذلك ان الله يعاقبك» . يدلي أَليفاز بالجواب التقليدي ،

(١٣) من يريدون العودة الى الخواء، يرمز إليهم هذا الوحش .
(١٤) قبور الفراعنة مثلاً .

ويضيف ان كل كائن مجرم أمام الله ، حتى الملاك . فالأفضل ان يقبل أيوب التأديب العادل الذي يُنزله .

٤ [١]فأَجابَ أَليفازُ التَّيمانِيُّ وقال :

[٢]«إِن أَلقَينا إِلَيكَ كَلِمَةً فهَل يَشُقُّ علَيك ؟
ولكِن مَن يَستَطيعُ أَن يَحبِسَ أَقْوالَه ؟
[٣]إِنَّكَ قد أَدَّبتَ كَثيرين وشَدَّدتَ أَيدِياً مُستَرخِيَة
[٤]وأَنهَضَت أَقْوالُك العاثِرين وثَبَّتَّ الرُّكَبَ المُرتَعِشَة .
[٥]أَمَّا الآنَ فنَزَلَت بِكَ البَلْوى فوَنَيتَ ، مَسَّتكَ فذُعِرت(١٥) .
[١٢]لقَد أُسِرَّ إِلَيَّ بِكَلِمَة فأَحَسَّت أُذُني مِنها هَمْساً .
[١٣]في كَوابيسِ رُؤَى اللَّيل عِندَ وُقوعِ السُّباتِ على الأَنام
[١٤]أَخَذَني الرُّعبُ والرِّعدَة فأَرجَفَت عِظامي كُلَّها .
[١٥]مَرَّت ريحٌ على وَجْهي(١٦) فاَقشَعَرَّ شَعَرُ جَسَدي .
[١٦]ثُمَّ وَقَفَ ولم أَعرِفْ مَنظَرَه كأَنَّه صورَةٌ تُجاهَ عَينَيَّ
فكانَ سُكوتٌ ثم صَوتٌ أَسمَعُه :
[١٧]أَيَكونُ الإِنسانُ بارًّا أَمامَ الله أَمِ الرَّجُلُ طاهِراً أَمامَ صانِعِه ؟
[١٨]ها إِنَّه لا يَأتَمِنُ عَبيدَه وإِلى مَلائِكَتِه يَنسِبُ غَباوَةً(١٧) .
[١٩]فكَيفَ الَّذينَ يَسكُنونَ بُيوتاً مِن طين وفي التُّرابِ أَساسُهم ؟

(١٥) تختلف النظرة ، حين يكون الإنسان نفسه مصاباً بالألم .
(١٦) قول يبلَّغ ليلاً في أثناء رؤية شخصية . لا يُذكَر الروح . جدير بالذكر ان الحكمة لا تنتج عن تفكير الانسان ، بل يرافقها نور (وحي) إلهي .
(١٧) جواب تقليدي : يُحمى البريء ويُباد المجرم .

إِنَّهم يُسحَقونَ سَحْقَ العُثّ .
[٢٠]بَينَ صباحٍ ومَساءٍ يُحَطَّمون

٥ [٨]أَمَّا أَنا فإِلى اللهِ أَتَوَسَّل وإِلَيه أَرفَعُ قَضِيَّتي

[١٧]طوبى لِلإِنْسانِ الَّذي يُوَبِّخه الله فلا تَنبُذَنَّ تَأديبَ القَدير .
[١٨]فإِنَّه يَجرَحُ ويَعصِب ، يَضرِبُ ويَداه تَشْفِيان .
[١٩]في سِتِّ شَدائِدَ يُنقِذُكَ وفي السَّابِعةِ لا يَمَسُّكَ سوء .
[٢٠]في المَجاعةِ يَفْديكَ مِنَ المَوت وفي القِتالِ مِن حَدِّ السَّيف .
[٢١]مِن سَوطِ اللِّسانِ تَستَتِر ولا تَخْشى الدَّمارَ إِذا وَقَع .
[٢٢]تَسخَرُ بِالدَّمارِ والفاقة ولا تَخْشى مِن وُحوشِ الأَرض
[٢٣]لِأَنَّ لَكَ عَهداً مع حِجارَةِ الحُقول ووُحوشُ البَرِّيَّةِ تُسالِمُك .
[٢٤]وتَعلَمُ أَنَّ خَيمَتَكَ أَمْنٌ وتَتَفَقَّدُ مُلكَكَ فلا يَنقُصُ شَيء .
[٢٥]وتَعلَمُ أَنَّ ذُرِّيَّتَكَ تَكثُر وأَنَّ خَلَفَكَ كعُشبِ الأَرض
[٢٦]وتَدخُلُ القَبرَ في شَيبَةٍ وافِيَة ، كما يُرفَعُ الكُدسُ في أَوانِه .
[٢٧]هٰذا ما فَحَصْناه وهو الحَقّ فآسمَعْه وآنتَفِعْ بِه» .

٣. احتجاج أيوب : أنا بريء

بعد أن أثبت أيوب «برّه» في سلوكه وكلامه ، يُظهر شدّة ألمه ، فان الله يلاحقه .

٦ [١]فأَجابَ أَيُّوبُ وقال :

[٢]«لَيتَ كَرْبي وُزِنَ وبُؤسي رُفِعَ مَعَه في ميزان !
[٣]ولٰكِنَّهما أَثقَلُ مِن رَملِ البِحار ، فلِذلكَ أَلْغو في كَلامي
[٤]لِأَنَّ سِهامَ القَديرِ فِيَّ يَمتَصُّ روحي سُمَّها

وأَهْوالَ اللهِ آصطَفَّت علَيَّ .
[٨]مَن لي بِأَن أُوتى سُؤلي ويَهَبَ لِيَ اللهُ رَجائي ؟
[٩]لَيرْضَ اللهُ فيُحَطِّمَني وَلْيُطلِقْ يَدَه فيَستَأصِلَني !
[١٠]فتَبْقى لي تَعزِيَةٌ أَبتَهِجُ بِها في عَذابٍ لا يَرفُق
لِأَنِّي لم أَجحَدْ أَقْوالَ القُدُّوس[١٨] .
[١٤]إِنَّ قَريبَ اليائِسِ هو الَّذي يَرحَمُه وإِلاَّ فَقَد نَبَذَ مَخافَةَ القدير .
[١٥]قد غَدَرَني إِخْواني كسَيلٍ، كَمَجْرى الأَودِيَةِ العابِرَة[١٩]
[١٦]الَّتي أَظْلَمَت مِنَ الجَمْدِ وآستَتَرَ فيها الثَّلْجُ .
[١٧]في فَصْلِ الجَفافِ لا تَصمُت ويَومَ الحَرِّ تَجِفُّ مِن مَكانِها .
[١٨]تَحيدُ القَوافِلُ عن طَرِيقِها ، تَتَوَغَّلُ في المَتاهي فتَهلِك .
[١٩]تَرَقَّبَتها قَوافِلُ تَيماء[٢٠] ورَجَتها مَواكِبُ سَبَأ .
[٢٠]فخابَ أَمَلُهم لِأَنَّهم وَثِقوا ، بَلَغوا إِلَيها فخَجِلوا .
[٢١]هٰكذا أَنتُمُ الآنَ : لا شيء . رَأَيتُم بَلِيَّتي ففَزِعتُم .
[٢٤]عَلِّموني وأَنا أَصمُت ، بَيِّنوا لي في أَيِّ شَيءٍ ضَلَلْتُ .
[٢٩]عودوا ولا تَظلِموا ، عودوا فإِنَّ بِرِّي ثابِت .
[٣٠]هَل مِن ظُلمٍ على لِساني أَم ذَوقي لا يُمَيِّزُ البُؤسَ[٢١] ؟

٧ [١]أَلَيسَت حَياةُ الإِنْسانِ في الأَرضِ تَجَنُّداً وكَأَيَّامِ أَجيرٍ أَيَّامُه ؟

(١٨) يتّخذ أيوب نقيض النظرية التقليدية ، فهو عادل في سلوكه ، ومع ذلك يتألّم .
(١٩) مقارنة بالاودية الموقّتة .
(٢٠) قافلة آتية من جزيرة العرب .
(٢١) أيوب عادل حتى في أقواله .

٢مِثلَ العَبدِ المُشْتاقِ إلى الظِّلِّ والأَجيرِ المُنتَظِرِ أُجرَتَه .
٣هكذا أُورِثتُ أَشهُرَ باطِلٍ ولَيالي مَشَقَّةٍ قُدِّرَت لي[٢٢] .
٤إِذا آضَّجَعتُ قُلتُ : مَتى أَقوم ؟
وعلى آمتِدادِ اللَّيلِ أَشبَعُ بَلْبالاً إِلى الفَجْر .
٥قدِ آكتَسى لَحْمي دوداً وقِشْرَ تُراب[٢٣] وتَشَقَّقَ جِلْدي وقاح .
٦أَيَّامي أَسرَعُ مِنَ المَكُّوك وقد نَفِدَت لِفُقْدانِ الخُيوط .
٧تَذَكَّرْ أَنَّ حَياتي هَباء . إِنَّ عَيني لن ترى خَبَراً .
٨طَرْفُ ناظِري لا يَراني مِن بَعدُ وعَيناكَ تَطلُباني فلا أَكون .
٩إِنَّ الغَمامَ يَتَبَدَّدُ ويَعبُر وكذا الهابِطُ إِلى مَثْوى الأَمْواتِ لا يَصعَد .
١٠لا يَعودُ إِلى بَيتِه ومَكانُه لا يَعرِفُه مِن بَعدُ
١٦لقَدِ آضمَحلَلتُ فلا حَياةَ لي لِلأَبَد . كُفَّ عنِّي فإِنَّما أَيَّامي نَفَس .
١٧ما الإِنسانُ حتَّى تَستَعظِمَه[٢٤] وتُميلَ إِلَيه قَلبَكَ .
١٨وتَتَفَقَّدَه كُلَّ صَباح وتَمتَحِنَه كُلَّ لَحظَة ؟
١٩إِلى مَتى لا تَصرِفُ طَرفَكَ عَنِّي ولا تُمهِلُني رَيثَما أَبلَعُ ريقي ؟
٢٠إِذا خَطِئتُ فماذا فَعَلتُ لَكَ ، يا رَقيبَ البَشَر ؟
ولِمَ جَعَلتَني هَدَفاً لَكَ حتَّى صِرتُ عِبئاً علَيكَ ؟
٢١ولِمَ لا تَتَحَمَّلُ مَعصِيَتي ولا تَنقُلُ عَنِّي إِثْمي ؟

(٢٢) كما أن المرتزق ينتظر نهاية خدمته العسكرية ، وكما أن العامل ينتظر نهاية العمل اليومي ، كذلك ينتظر المريض نهاية الليل أو يصبو الى راحة الموت .
(٢٣) نوع من البَرَص .
(٢٤) قارن بـ مز ٨/٥.

فإنِّي لا أَلبَثُ أَن أَضَّجِعَ في التُّراب فتُبَكِّرُ في طَلَبي فلا أَكون».

٤. تدخّل بِلداد

«إسأَلِ الله، فيعيد لك السعادة». ليس جواب بِلدد إلاَّ تكراراً لأقوال زميله.

٨ [١]فأَجابَ بِلدَدُ الشُّوحِيُّ وقال:

[٢]«إِلى مَتى أَنتَ تَنطِقُ بِمِثْلِ هذا وأَقْوالُ فَمِكَ كَريحٍ عاصفة؟

[٣]أَلَعَلَّ اللهَ يُحَرِّفُ القَضاء أَمِ القَديرُ يُحَرِّفُ العَدْل؟

[٤]إِن كانَ بَنوكَ قد خَطِئوا إِلَيه فقَد أَسلَمَهم إِلى يَدِ مَعصِيَتِهم(٢٥).

[٥]أَمَّا أَنتَ فإِن بَكَرتَ إِلى الله وٱلتَمَستَ رَحمَةَ القَدير.

[٦]وكُنتَ طاهِراً مُستَقيماً فإِنَّه يَسهَرُ علَيكَ ويُعيدُكَ إِلى مَقَرِّ بِرِّكَ.

[٧]فتَكونُ حالَتُكَ الأُولى وَضيعةً وَتَكونُ حالَتُكَ الأَخيرةُ مُزدَهِرَة.

٥. أيوب يتّهم الله

قدرة الله اعتباطية، والله غير عادل.

٩ [١]فأَجابَ أَيُّوبُ وقال:

[٢]قد عَلِمتُ يَقيناً أَنَّ الأَمرَ كذلِك

فكَيفَ يَكونُ الإِنسانُ بارًّا أَمامَ الله؟

[٣]فإِن طابَ لَه أَن يُخاصِمَه، لم يُجِبْه عن واحِدٍ مِن أَلْف.

[٤]إِنَّه حَكيمُ القَلْبِ شَديدُ البَأس فمَن ذا الَّذي يَتَصَلَّبُ أَمامَه ويَسلَم؟

[٥]يُزَحزِحُ الجِبالَ ولا تَشعُر وفي غَضَبِه يَقلِبُها.

(٢٥) المفهوم القديم دائماً.

[٦] ويُزَعزِعُ الأَرضَ مِن مَكانِها فترتَجِفُ أَعمِدَتُها .
[٧] يأمُرُ الشَّمسَ فلا تُشرِق ويَختِمُ على الكَواكِب .
[٨] هو الباسِطُ السَّمواتِ وَحدَه والسَّائِرُ على مُتونِ البَحْر
[٩] خالِقُ بَناتِ النَّعشِ والجَوزاء والثُّرَيَّا وأَخاديرِ الجَنوب
[١٠] صانِعُ عَظائِمَ لا تُسبَر وعَجائِبَ لا تُحْصى
[١١] يَمُرُّ بي فلا أُبصِرُه ويَجْتازُ فلا أَشعُرُ بِه .
[١٢] إِن سَلَبَ فمَن ذا يَرُدُّه أَو مَن يَقولُ لَه : ماذا تَفعَل ؟
[١٤] فكَيفَ أَنا أُجيبُه أَو أَختارُ حُجَجي علَيه ؟
[١٥] فإِنِّي لو كُنتُ بارًّا لا أُجيب وإِنَّما أَلتَمِسُ رَحمَةَ دَيَّاني .
[١٦] لو دَعَوتُه فأَجابَني لَما آمَنتُ أَنَّه أَصْغى إِلى صَوتي .

١٠ [١] لقَد سَئِمَت نَفْسي حَياتي .
أُطلِقُ شَكْوايَ وأَتَكَلَّمُ بِمَرارَةِ نَفْسي .
[٢] أَقولُ لله : لا تُؤَثِّمْني . أَعلِمْني على أَيِّ شيءٍ تُخاصِمُني .
[٣] أَيَحسُنُ لَدَيكَ أَن تَظلِمَني
أَن تَنبُذَ صُنعَ يَدَيكَ وتُعينَ مَشورَةَ الأَشْرار ؟
[٤] أَلَكَ عَينانِ جَسَدِيَّتان ؟ أَلَعَلَّكَ تَنظُرُ نَظَرَ البَشر ؟
[٥] أَكأَيَّام إِنْسانٍ أَيَّامُكَ أَم كأَعْوامِ رَجُلٍ أَعْوامُكَ
[٦] حتَّى تَبحَثَ عن إِثْمي وتَفحَصَ عن خَطيئَتي ؟
[٧] على عِلمِكَ بأَنِّي لَستُ مُذنِباً وأَنَّه لا مُنقِذَ لي مِن يَدِكَ .
[٨] يَداكَ جَبَلَتاني وصَوَّرَتاني بِجُملَتي والآنَ تَبتَلِعُني !

[٩]أُذكُرهْ أَنَّكَ قد صَوَّرتَني مِثلَ الطِّين فإِلى التُّرابِ تُعيدُني.
[١٠]أَلَم تَكُنْ قد صَبَبتَني كاللَّبَنِ الحَليب وجَمَّدتَني كالجُبْنِ.
[١١]وكَسَوتَني جِلداً ولَحماً وحَبَكتَني بِعِظامٍ وعَصَب
[١٢]وحَياةً ونِعمَةً آتَيتَني وحَفِظَت عِنايَتُكَ روحي؟
[١٣]وقد كَتَمتَ هذه في قَلبِكَ وإِنِّي لأَعلَمُ أَنَّها في نَفسِكَ.
[١٤]إِذا خَطِئتُ تُراقِبُني ولا تُبَرِّئُني مِن إِثْمي
[١٥]إِذا أَذنَبتُ فالوَيلُ لي وإِن بَرَرتُ فلا أَرفَعُ رَأسي
لِما جُرِّعتُه مِنَ العار ولِلبُؤسِ الَّذي آنتَشَيتُ منه.
[١٦]وإِنِ آرتَفَعَ رَأسي تَصْطادُني كاللَّيث ثُمَّ تَعودُ فتَصولُ علَيَّ.
[١٧]تُجَدِّدُ هَجَماتِكَ في وَجْهي وتُشَدِّدُ غَضَبَكَ علَيَّ
وجُيوشُكَ تَتَناوَبُ ضِدِّي.
[١٨]لِمَ أَخرَجتَني مِنَ الجَوف؟
إِذَن لَكانَت تَفيضُ روحي ولا تَراني عَين.
[١٩]ولَكُنتُ كأَنِّي لم أَكُنْ قطُّ فأُقادُ مِنَ البَطنِ إِلى القَبْر.
[٢٠]أَلَيسَت أَيَّامي إِلى حين؟ فلْيَكُفَّ ويُخفِّفْ عنِّي فأَبْتَسِمَ قَليلاً.
[٢١]قَبلَ أَن أَنصَرِفَ آنصِرافَ مَن لا يَأُوب
إِلى أَرضِ ظُلمَةٍ وظِلالِ مَوت
[٢٢]أَرضِ ظَلامٍ كاللَّيل
وظِلالِ مَوتٍ وعَدَمِ نِظام حَيثُ النُّورُ كالظَّلام».

٦. جواب صوفَر

«إِنَّكَ تُعاقَب على أَخطاء لا تنتبه لها».

١١ [١]فأَجابَ صوفَرُ النَّعْماتِيُّ وقال:
[٤]تَقول: تَعْليمي طاهِر وأَنا نَزيهٌ في عَينَيكَ.
[٥]ولكِن يا لَيتَ اللهَ يَتَكَلَّم ويَفتَحُ شَفَتَيه لِإِجابَتِكَ.
[٦]ويُخبِرُكَ بِأَسْرارِ الحِكمَة - الَّتي تُحَيِّرُ كُلَّ فِطنَة -
فتَعلَمَ أَنَّ اللهَ قد تَسامَحَ عن شيءٍ من إِثمِكَ.
[٧]أَلَعَلَّكَ تَسبِرُ غَورَ الله أَم تَبلُغُ إِلى كَمالِ القَدير؟
[٨]هو عُلُوُّ السَّمَواتِ فماذا تَفعَل؟
وهو أَعمَقُ مِن مَثْوى الأَمْواتِ فماذا تَدْري؟
[٩]مَداه أَطوَلُ مِنَ الأَرْضِ وأَعرَضُ مِنَ البَحْر.
[١٠]إِن مَرَّ وسَجَنَ وجَمَعَ قُضاتَه، فمَن يَرُدُّه؟

٧. أيوب يدافع عن نفسه

«عرِّفني خطاياي، ولكن لا تلاحقْني»

١٢ [١]فأَجابَ أَيُّوبُ وقال:
[٢]إِنَّك في الحَقيقةِ صَوتُ الشَّعْب وفي مَوتِكم تَموتُ الحِكمَة.
[٣]غَيرَ أَنَّ لي عَقلاً كما لكم، لا أُقَصِّرُ عنكم في شَيء
ومَنِ الَّذي يَفوتُه مِثلُ هذه؟
[٤]أَصبَحتُ أُضْحوكَةً لِأَصدِقائي وأَنا أَدْعو إِلى اللهِ فيَستَجيبُني.
إِنَّ البارَّ الكامِلَ لَأُضْحوكة.
[٥]العُسرُ في رَأيِ المَيسورينَ إِهانة، فهي مُعَدَّةٌ لِمَن زَلَّت قَدَمُه.
[٦]خِيامُ اللُّصوصِ في سَلام والطُّمأنينةُ لِمُسخِطي الله

لِكُلِّ مَن يَقبِضُ على اللهِ في يَدِه .

١٣

[٣]لكِنِّي إِنَّما أُخاطِبُ القَدير وأَوَدُّ أَن أُجادِلَ الله .
[٤]أَمَّا أَنتُم فإِنَّما تَطْلونَ بِالكَذِب وطِبُّكم لا قيمةَ لَه .
[٥]مَن لي بِأَن تَسكُتوا فيَكونَ لكم في ذلِك حِكمَة .
[٦]إِسمَعوا حُجَجي وأَصْغوا إِلى دَعاوى شَفَتَيَّ .
[١٣]أُسكُتوا عنِّي فأَتَكَلَّم ، مَهْما أَصابَني .
[١٤]لِمَ آخُذُ لَحْمي بِأَسْناني وأَجعَلُ نَفْسي في كَفِّي؟[٢٦] .
[١٥]إِنَّه ولَو قَتَلَني أَبْقى بِلا أَمَلٍ ، لَكِنِّي أَحتَجُّ عن طُرُقي أَمامَه
[١٦]وذلك يَكونُ خَلاصي ، لِأَنَّ الكافِرَ لا يَقومُ أَمامَه .
[١٧]فاسمَعوا كَلامي وما أُبيِّنُه على مَسامِعِكم
[١٨]فإِنِّي قد أَعدَدتُ الدَّعْوى وأَنا عالِمٌ بِأَنِّي سأَكونُ بارًّا
[١٩]مَنِ الَّذي يُحاجِجُني ؟ فإِنِّي لا أَلبَثُ أَن أَسكُتَ وتَفيضَ روحي .
[٢٠]أَمرَينِ لا تَفْعَلْ بي فحينَئِذٍ لا أَتَوارى عن وَجهِكَ .
[٢١]أَبعِدْ عنِّي يَدَكَ ولا يُرَوِّعْني رُعبُكَ .
[٢٢]أُدعُ فأُجيب أَو فَلأُخاطِبْكَ أَنا فتُجاوِبَني .
[٢٣]ما الَّذي لي مِنَ الآثامِ والخَطايا ؟ أَعلِمْني مَعصِيَتي وخَطيئَتي .
[٢٤]لِمَ تُواري وَجهَكَ وتَعُدُّني عَدُوًّا لَكَ ؟
[٢٥]أَتُرَوِّعُ وَرَقَةً مَنْثورة وتُطارِدُ قَشَّةً يابِسة ؟
[٢٦]فإِنَّكَ تَكتُبُ علَيَّ أُموراً مَريرة وتُلحِقُ بي آثامَ صِبائي .

(٢٦) يخاطر بكل ما له .

٢٧وتَجعَلُ رِجلَيَّ في مِقطَرَة(٢٧)
وتُراقِبُ جَميعَ طُرُقي وتَخُطُّ حَولَ باطِنِ قَدَمَيَّ.
٢٨وهذا الرَّجُلُ يَبْلى كشَيءٍ مُسَوَّس وكَثَوبٍ قد أَكَلَه العُثّ.

١٤

١الإِنْسانُ مَولودُ المَرأَة، قَليلُ الأَيَّامِ كَثيرُ الشَّقاء.
٢كَزَهرٍ يَنبُتُ ثُمَّ يَذْوي وكَظِلٍّ يَبرَحُ ولا يَقِف.
٣إِنَّكَ على مِثلِ هذا فَتَحتَ عَينَيكَ وإِيَّايَ قُدتَ لِلتَّحاكُمِ مَعَكَ.
٤مَن يأتي بِطاهِرٍ مِن نَجِس؟ لا أَحَد!.
٥فإِذا كانَت أَيَّامُه مَحْدودة وعَدَدُ شُهورِه مُعَيَّناً عِندَكَ
وقد قَضَيتَ لَه أَجَلاً لا يَتَعَدَّاه.
٦فاَصرِفْ طَرفَكَ عنه لِيَستَريح إِلى أَن يَفِيَ نَهارَه كالأَجير.
١٣مَن لي بِأَن تُخفِيَني وتُوارِيَني في مَثْوى الأَمْوات
حتَّى يَجْتازَ غَضَبُكَ وأَن تَضرِبَ لي أَجَلاً ثُمَّ تَتَذَكَّرَني.
١٤إِذا ماتَ الرَّجُلُ أَفَيَحْيا؟
إِذَن لاَنتَظَرتُ كُلَّ أَيَّامِ تَجَنُّدي حتَّى يَحينَ اَبتِدالي.
١٥فإِنَّكَ تَدْعوني فأُجيبُكَ وتَتوقُ إِلى صُنعِ يَدَيكَ.
١٦أَمَّا الآنَ فإِنَّكَ تُحْصي خَطَواتي ولا تَرصُدُ خطايايَ.
١٧تَختِمُ على مَعصِيَتي في صُرَّةٍ وتَستُرُ إِثْمي.

(٢٧) آلة تعذيب تُدخل فيها رِجلا المحكوم عليه.

المجموعة الثانية والثالثة

كثيراً ما تكرّر خطب أصدقاء أيوب وأجوبته حججاً سبق التطرّق اليها. سنكتفي بالاستشهاد هنا بالفقرات التي لها قيمة أدبية رفيعة أو فيها تعليم جديد.

٨. شكوى أيوب

يعبّر أيوب عن شدة الانسان المخذول، لكنه يعبّر أيضاً عن الثقة بالله التي في أعماق نفسه.

١٩ [١] فأَجابَ أَيُّوبُ وقال:

[٥] وأَنتُم إِذا كُنتُم في الواقِعِ تَستَكبِرونَ عليَّ وتُوَبِّخونَني بِعاري

[٦] فآعلَموا أَنَّ اللهَ هو الَّذي آذاني ولَفَّ عليَّ شَبَكَته.

[١٣] أَبعَدَ إِخْواني عنِّي فآعتَزَلَتْني مَعارِفي.

[١٤] خَذَلَني ذَوو قَرابَتي والَّذينَ أَلِفتُهم قد نَسوني.

[١٥] حَسِبَني نُزَلاءُ بَيتي وإِمائي غَريباً وأَصبَحتُ أَجنَبِيًّا في أَعيُنِهم.

[١٦] دَعَوتُ عَبْدي فلَم يُجِبْ وبِفَمي تَضَرَّعتُ إِلَيه.

[١٧] قد صارَ نَفَسي خَبيثاً عِندَ آمرَأَتي
وأَمسَيتُ مُنتِناً لِأَبْناءِ أَحْشائي (٢٨).

[١٨] حتَّى الصِّبْيانُ آزدَرَوني، أَقومُ فيتَكَلَّمونَ عليَّ.

[١٩] قد مَقَتَني أُمَناءُ سِرِّي والَّذينَ أَحبَبتُهمُ آنقَلَبوا عليَّ.

[٢٠] لَصِقَت عِظامي بِلَحْمي ونَجَوتُ بِجِلدِ أَسْناني.

[٢١] إِرحَموني آرحَموني أَنتُم يا أَصدِقائي فإِنَّ يَدَ اللهِ قد مَسَّتْني.

[٢٢] لِمَ تُطارِدونَني مِثلَ اللهِ ولا تَشبَعونَ مِن لَحْمي؟

(٢٨) تأثير بياني: سبق أن ذكرت المقدّمة وفاة جميع أولاد أيوب.

[٢٣]مَن لي بِأَن تُكتَبَ أَقوالي ومَن لي بِأَن تُحفَرَ في سِفْرٍ.
[٢٤]بِإِزْميلٍ مِن حَديدٍ وبِالرَّصاص(٢٩) أَن تُنقَشَ في الصَّخرِ لِلأَبَد؟
[٢٥]فادِيَّ حَيٌّ(٣٠) وسَيَقومُ الأَخيرَ على التُّراب.
[٢٦]وبَعدَ أَن يَكونَ جِلْدي قد تَمَزَّق، أُعايِنُ اللهَ في جَسَدي.
[٢٧]أُعايِنُه أَنا بِنَفْسي وعَيناي تَرَيانِه لا غَيري.
قد فَنِيَت كُلْيَتاي(٣١) في داخِلي.

٩. أيوب يطرح مشكلة الألم

يطرح أيوب، بعد غيره من الناس، مشكلة سعادة الأشرار. لا يهمّه ان يعاقَب بنو الشرير. والموت نفسه يختلف عند الغني القليل النزاهة وعند الفقير الذي سلك سبيل شريعة الله.

٢١ [٧]لِماذا يَحيا الأَشْرارُ(٣٢) ويَشيخونَ ويَعظُمُ اْقتِدارُهم؟
[٨]ذُرِّيَّتُهم قائِمةٌ أَمامَهم على أَيَّامِهم وخَلَفُهم لَدى أَعيُنِهم.
[٩]بُيوتُهم آمِنَةٌ مِنَ الخَوف وعَصا اللهِ لا تَعْلوهم.
[١٠]ثَورُهم يُلقِحُ ولا يُخطِئ وبَقَرَتُهم تَلِدُ ولا تُسقِط.
[١١]يُسَرِّحونَ صِبْيانَهم كالغَنَم وأَطْفالُهم يَرقُصون.
[١٢]يُنشِدونَ بِالدُّفِّ والكِنَّارة ويَطرَبونَ بِصَوتِ المِزْمار.
[١٣]يَقطَعونَ أَيَّامَهم في السَّعادة

(٢٩) كانوا يكتبون على الحجر بريشة من حجر. وكانوا يركّبون الرصاص مع الحديد.
(٣٠) سيبرّر الله نفسه موقف أيوب ويخزي أصدقاؤه الذين افتروا عليه.
(٣١) الكُلْيتان عند الساميين هما مركز المشاعر.
(٣٢) قارن بـ ار ١٢/١-٢.

ثُمَّ في لَحظَةٍ يَهبِطونَ إلى مَثْوى الأَمْوات .
[١٤] مع أَنَّهم يَقولونَ لله : إبتَعِدْ عَنَّا ، فإِنَّ مَعرِفَةَ طُرُقِكَ لا نَبتَغيها .
مَنِ القَديرُ حتَّى نَعبُدَه وما فائِدَتُنا أَن نَتَوَسَّلَ إلَيه ؟[٣٣]
[١٦] أَلَيسَت سَعادَتُهم في أَيديهم ؟ يَقولون : بُعداً عَنَّا لِمَكايِدِ الأَشْرار !
[١٧] أَيَنطَفِئُ غالِباً مِصْباحُ الأَشْرار وتَحِلُّ المُصيبَةُ علَيهم
ويَقسِمُ اللهُ غَضَبَه لِكُلٍّ نَصيباً ؟
[١٨] فيُمْسونَ كالتِّبنِ في وَجهِ الرِّيح
وكالعُصافَةِ الَّتي تَذهَبُ بِها الزَّوبَعة .
[١٩] أَيَدَّخِرُ اللهُ عِقابَ الشِّرِّيرِ لِبَنيه[٣٤] بل فلْيُكافِئْه فيَعلَم .
[٢٠] ولْتَرَ عَيناه دَمارَه ولْيَشرَبْ مِن غَضَبِ القَدير .
[٢١] لِأَنَّه ما بُغيَتُه في بَيتِه مِن بَعدِه وقد قُطِعَ عَدَدُ شُهورِه ؟
[٢٢] أَفاللهُ يُلَقِّنُ عِلماً وهو الَّذي يَدينُ أَهلَ العَلاء ؟
[٢٣] هٰذا يَموتُ في عِزِّ قُوَّتِه وقد غَمَرَته السَّعادَةُ والطُّمَأنينة
[٢٤] والسِّمَنُ يَكْسو جَنبَيه وعِظامُه مَليئَةٌ بِالنُّخاع .
[٢] وذاكَ يَموتُ في مَرارَةِ نَفسِه ولم يَذُقْ هَناءً .
[٢٦] وكِلاهُما يَضَّجِعانِ في التُّراب فيَكْسوهما الدُّود .
[٣٤] فما بالُكم تُعَزُّونَني عَبَثاً وما بَقِيَت أَجوِبَتُكم إلاَّ خِداعاً ؟»

(٣٣) هذا ما يناقض النظرية التقليدية .
(٣٤) معاقبة الكافر في أولاده ليست حلاً عادلاً .

ج) تدخّل أَليهو

١. أيوب وأصدقاؤه على خطأ

يتدخّل هذا الشخص الجديد للتشديد على إجحاف شكاوى أيوب وضعف استدلال أصدقائه.

٣٢ [١]فأَمسَكَ هؤُلاءِ الرِّجالُ الثَّلاثَةُ عن مُحاوَرَةِ أَيُّوبَ لِآعتِقادِه نَفْسَه بارًّا. [٢]فغَضِبَ أَليهو بنُ بَرَكْئيلَ البوزِيّ، مِن عَشيرةِ رام. غَضِبَ غَضَباً شَديداً على أَيُّوبَ، لِزَعمِه أَنَّه أَبَرُّ مِنَ الله. [٣]وغَضِبَ غَضَباً شَديداً على أَصدِقائِه الثَّلاثَة، لأَنَّهم لم يَجِدوا جَواباً، ومع ذلك فقَد أَثَّموا أَيُّوب. [٤]وكان أَليهو قد آنتَظَرَ أَيُّوبَ مُمسِكاً عنِ الكَلام، لأَنَّ الآخَرينَ كانوا أَكبَرَ مِنه سِنًّا. [٥]فلَمَّا رأَى أَليهو أَنَّه لم يَبقَ جَوابٌ في أَفواهِ الرِّجالِ الثَّلاثَة، غَضِبَ غَضَباً شَديداً، [٦]وأَجابَ أَليهو بنُ بَرَكْئيلَ البوزيُّ وقال:

«إِنِّي صَغيرٌ في الأَيَّام وأَنتُم شُيوخ.
لِذلك تَراجَعتُ وهِبتُ أَن أُبدِيَ لكم عِلْمي.
[١١]فإِنِّي آنتَظَرتُ أَقْوالَكم وأَصغَيتُ إِلى حُجَجِكم
مُدَّةَ بَحثِكم عن الكَلِمات.
[١٢]وإِلَيكم رَكَّزتُ آنتِباهي فلَم يَكُنْ فيكم مَن أَفحَمَ أَيُّوب
مُجيباً على كَلامِه.
[١٧]والآنَ أُجيبُ أَنا بدَوري وأُبْدي أَنا أَيضاً عِلْمي
[١٨]فإِنِّي مَليءٌ بِالكَلِمات وروحٌ باطِنِيٌّ يُضايِقُني.
[١٩]إِنَّ جَوفي كَخَمرٍ لا مَخرَجَ لَها، كَمِنْفاخِ حَدَّادٍ يَكادُ يَنشَقّ.

٢. ان الله يعلّم الانسـان عن طريق الألم

كانوا يظنّون ان الله يعلّم الانسان عن طريق الأحلام. لكن الألم هو أيضاً وسيلة يستخدمها الله لتعليم الانسان، كما ان عطف الله لا يزال مستعداً للتخليص.

٣٣ [٧]فلا رُعْبي يَروعُكَ ولا سُلْطاني يَثقُلُ عليكَ.

[٨]لكِنَّكَ قُلتَ على أُذُنَيَّ - وقد سَمِعتُ ما نَطَقتَ بِه -:

[٩]«إِنِّي طاهِرٌ بِلا مَعصِيَة، إِنِّي نَقِيٌّ ولا إِثمَ فِيَّ.

[١٠]وإِنَّما هو يَجِدُ عِلَلاً عليَّ ويَحسَبُني عَدُوًّا لَه.

[١١]يَجعَلُ رِجلَيَّ في مِقطَرَة ويَتَرَصَّدُ جَميعَ سُبُلي»[٣٥].

[١٢]فأُجيبُكَ أَنَّكَ في هذا غَيرُ مُحِقّ، فإِنَّ اللهَ أَكبَرُ مِنَ الإِنْسان.

[١٣]فَما بالُكَ تُخاصِمُه؟ أَلِأَنَّه لا يُجيبُ عن جَميعِ أَعْمالِه؟

[١٤]إِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِطَريقة ثُمَّ بِأُخْرى ولا نَشعُرُ بِذلك.

[١٥]في حُلْمٍ، في رُؤيا اللَّيل[٣٦]

حينَ يَقَعُ السُّباتُ على الأَنام وهم نائِمونَ على مَضاجِعِهم.

[١٦]حينَئِذٍ يَفتَحُ آذانَ النَّاس ويَختِمُ على إِنْذارِهم

[١٧]لِيَصرِفَ الإِنسانَ عن عَمَلِه ويَمحُوَ الكِبرِياءَ عنِ الرَّجُل

[١٨]فيَقِيَ نَفْسَه مِنَ الهُوَّة وحَياتَه مِن عُبورِ القَناة[٣٧].

[١٩]يُؤَدَّبُ بِالأَلَمِ على مَضجَعِه وفي عِظامِه صِراعٌ شَديد.

[٢٠]تَعافُ حَياتُه الخُبْز ونَفْسُه لَذيذَ الطَّعام.

(٣٥) راجع ١٣/٢٧.

(٣٦) كانوا يعتقدون بأن الله يتّصل بالإنسان عن طريق الأحلام.

(٣٧) التي تؤدّي الى مثوى الأموات.

[٢١]يَذوبُ لَحمُه عنِ العِيان وتُعَرَّى عِظامُه المَخفِيَّة
[٢٢]وقَد دَنَت نَفْسُه مِنَ الهُوَّة وحَياتُه مِنَ المُهلِكين.
[٢٣]إِن وُجِدَ مَلاكٌ شَفيعٌ لَه وَسيطٌ مِن بَينِ الأَلْف
لِيُعلِمَ الإِنْسانَ بِواجِبه
[٢٤]ويَرحَمَه ويَقول: أَعْفِه مِنَ الهُبوطِ في الهُوَّة فقَد وَجدتَ فِديَة.
[٢٥]يَصيرُ جَسَدُه أَغَضَّ مِنه وهو صَبِيّ ويَعودُ إِلى أَيَّامِ شَبابِه
[٢٦]ويَدْعو إِلى اللهِ فيَرْضى عَنه.
حينَئِذٍ يُعايِنُ وَجهَه بِالهُتاف فيُعيدُ إِلى الإِنسانِ بِرَّه.
[٢٧]فيُرَنِّمُ بَينَ النَّاسِ ويقول:
قد خَطِئتُ وحِدتُ عن الاِستِقامة ولم يَجزِني
[٢٨]بلِ افتَدى نَفْسي مِن المُرورِ بِالهُوَّة وحَياتي تُبصِرُ النُّور.
[٢٩]هٰذا كُلُّه يَفعَلُه الله بِالإِنْسانِ مَرَّتَينِ وثَلاثاً
[٣٠]لِيُعيدَ نَفْسَه مِنَ الهُوَّة ويُنيرَها بِنورِ الأَحْياء.

٣. الله غاية في العدل

يؤكّد أليهو عدل الله ويقول ان البرهان على ذلك هو قدرته.

٣٤ [٥]قالَ أَيُّوب: «إِنِّي بارّ، لٰكِنَّ اللهَ رَفَضَ حَقِّي.
[٦]أُكَذِّبُ والحَقُّ لي وسَهمُه فِيَّ مُستَعصٍ وأَنا بِلا مَعصِيَة.
[٧]أَيُّ رَجُلٍ كأَيُّوبَ يَشرَبُ الهُزْءَ كالماء
[٨]ويَمْشي في عِشرَةِ فاعِلي الآثام ويَسيرُ مع ذَوي الشُّرور.
[٩]فقَد قالَ إِنَّه لا يَنفَعُ الرَّجُلَ أَن يَكونَ هَواه في الله.

[١٠]لِذلكَ اسمَعوا لي يا أُولي الأَلْباب :
حاشَ للهِ مِنَ الشَّرّ ولِلقَديرِ مِنَ الظُّلْم
[١١]فإنَّه يَجْزي الإِنْسانَ على حَسَبِ أَفْعالِه
ويُعامِلُ الإِنسانَ على حَسَبِ سَبيلِه .
[١٢]لا شَكَّ أَنَّ اللهَ لا يأتي بِالشَّرّ والقَديرَ لا يُحَرِّفُ الحقّ .
[١٦]فإن كُنتَ ذا فَهم فاسمَع هذا وأَصغِ إِلى صَوتِ أَقْوالي .
[١٧]أَلَعَلَّ مَن يُبغِضُ الحَقَّ يَحكُم ، أَم تُؤَثِّمُ البارَّ العَظيم ؟
[١٨]القائِلَ لِلمَلِك : يا عَديمَ الخَير ! ولِلعُظَماء : يا أَشْرار !
[١٩]الَّذي لا يُحابي الرُّؤَساء ولا يُفَضِّلُ الغَنِيَّ على البائِس
لِأَنَّهم جَميعاً أَعْمالُ يَدَيه .
[٢٠]يُفاجِئُهمُ المَوتُ في نِصفِ اللَّيل ويَتَزَعزَعُ الشَّعبُ ويَهلِك
ويُستأصَلُ المُقتَدِرُ بِغَيرِ عَناء
[٢١]لِأَنَّ عَينَيه على طُرُقِ الإِنْسان وهو يُبصِرُ جَميعَ خَطَواتِه .
[٢٢]لا ظُلمَةٌ ولا ظِلالُ مَوت يَتَوارى فيها فاعِلو الآثام
[٢٣]لِأَنَّ اللهَ لا يَضرِبُ لِلإِنْسانِ مَوعِداً
لِيَمثُلَ أَمامَه في القَضاء
[٣٤]بل قد يَقولُ لي أُولو الأَلْباب والرَّجُلُ الحَكيمُ الَّذي يَستَمِعُني :
[٣٥]إِنَّ أَيُّوبَ يَتَكَلَّمُ بِلا عِلْم وكَلامُه لَيسَ عن فِطنَة .
[٣٦]إِذَنْ فلْيُمتَحَنْ أَيُّوبُ حَتَّى النِّهايَة
بِسَبَبِ أَجوِبَتِه الَّتي هي أَجوِبَةُ أَهْلِ الآثام .
[٣٧]فإِنَّه يَزيدُ على خَطيئَتِه مَعصِيَة

فيَزرَعُ الرَّيبَةَ بَينَنا ويُكثِرُ أَقْوالَه على الله» .

د) تدخّل الله وخضوع أيوب

١. مدخل : وساطة الحكمة

الإنسان في أعماق الأرض يقلع الذهب والحجارة الكريمة، لكن الله وحده يستطيع ان يهب الحكمة، لأنه يعرف مصدرها .

٢٨ [١]إنَّ لِلفِضَّةِ مَناجِم ولِلذَّهَبِ مَكاناً يُنَقَّى فيه .
[٢]والحَديدُ يُستَخرَجُ مِنَ التُّراب والحَجَرُ المَصْهورُ يَصيرُ نُحاساً .
[٣]جَعَلوا لِلظُّلمَةِ حَدًّا وبَحَثوا في كُلِّ زاوِيَة
عنِ الحَجَرِ الَّذي في الظَّلامِ وظِلالِ المَوت .
[٤]حَفَروا نَفَقاً بَعيداً عنِ المَساكِن وعنِ الأَماكِنِ الَّتي نَسِيَتها القَدَم
فهُم على بُعدٍ مِنَ النَّاسِ يَتَدَلَّونَ مُرتَجِحين(٣٨) .
[٥]أَلأَرضُ الَّتي يَخرُجُ مِنها الخُبزُ آنقَلَبَ ما تَحتَها كما بِالنَّار .
[٦]صَخرُها مَكانُ السَّفير وفيها أَترِبَةُ الذَّهَب .
[٧]سَبيلٌ لم يَعرِفْه الكاسِر ولم تبصِرْه عَينُ النَّسْر
[٨]ولَم تَطَأْه الضَّواري ولم يَسلُكْه الأَسَد .
[٩]بَسَطوا أَيدِيَهم إِلى الصَّوَّان وقَلَّبوا الجِبالَ مِن أُصولِها .
[١٠]في الصُّخورِ حَفَروا أَنْفاقاً وكُلُّ ثَمينٍ عُيونُهم رَأَته .
[١١]فَحَصوا يَنابيعَ الأَنْهار وأخرَجوا المَكْنوناتِ إِلى النُّور .

(٣٨) فنّ العامل في المناجم .

١٢أَمَّا الحِكمَةُ فأَينَ توجَد[٣٩] والفِطنَةُ أَينَ مَقَرُّها ؟
١٣لا يَعرِفُ الإِنْسانُ قيمَتَها ولا وُجودَ لَها في أَرضِ الأَحْياء .
١٤الغَمرُ قالَ : لَيسَت عِنْدي .
١٥لا يُعْطي الإِبْريزُ بَدَلاً مِنها ولا توزَنُ الفِضَّةُ ثَمَناً لَها
١٦ولا يُساويها ذَهَبُ أُوفير ولا الجَزْعُ الكَريمُ ولا السفير[٤٠]
١٧ولا يُقاسُ بِها الذَّهَبُ ولا الزُّجاج
ولا تُبدَلُ بِأَواني الذَّهَبِ الخالِص .
١٨لا يُذكَرُ معها المَرْجانُ ولا البِلَّور
وآستِخْراجُ الحِكمَةِ يَفوقُ آستِخْراجَ اللآلِئ .
١٩لا يُقاسُ بِها ياقوتُ كوشَ الأَصفَر ولا يُساويها الذَّهَبُ الخالِص .
٢٠لكِن مِن أَينَ تَأتي الحِكمَة ، والفِطنَةُ أَينَ مَقَرُّها ؟
٢١إِنَّها مَحْجوبةٌ عن عَينَي كُلِّ حَيّ ومُتَوارِيَةٌ عن طَيرِ السَّماء .
٢٢الهاوِيَةُ والمَوتُ قالا : قَد بَلَغَ مَسامِعَنا خَبَرُها .
٢٣اللهُ يُبصِرُ سُبُلَها وهو عالِمٌ بِمَكانِها
٢٤لِأَنَّه يَنظُرُ إِلى أَقاصي الأَرْض ويَرى جَميعَ ما تَحتَ السَّموات .
٢٥وحينَ جَعَلَ لِلرِّيحِ وَزناً وعايَرَ المِياهَ بِمِقْدار
٢٦وجَعَلَ أَحْكاماً لِلمَطَر وسَبيلاً لِلرُّعودِ القاصِفَة[٤١]

(٣٩) بعد أن ذكر الكاتب مصدر الثروات المادية ، يوجّه قارئه نحو سر الحكمة .
(٤٠) السفير حجر كريم مرغوب جداً .
(٤١) كانوا يعتقدون بأن الله ، في نشأة العالم ، ضبط قوة الريح وشدة المطر وقوة العاصفة ، تجنباً لتدمير العالم والإنسان .

[٢٧] حينَئِذٍ رَآها وأَخبَرَ بِها وثَبَّتَها وسَبَرَها
[٢٨] وقالَ لِلْبَشَر : ها إِنَّ مَخافَةَ الرَّبِّ هيَ الحِكمَة
وآجتِنابَ الشَّرِّ هو الفِطنَة» .

٢. تدخّل الله

الله يُري أيوب المسافة اللامتناهية الفاصلة بينهما : ان الله الخالق قادر على كل شيء ، ولذلك أخذ أيوب يدرك ان أقواله لا معنى لها .

٣٨ [١] فأَجابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ العاصِفَةِ(٤٢) وقال :
[٢] «مَن هذا الَّذي يُسَوِّدُ تَدْبيري بِأَقْوالٍ لَيسَت مِنَ العِلمِ بِشيء ؟
[٣] شُدَّ وَسْطَكَ وكُنْ رَجُلاً : إِنِّي سائِلُكَ فأَخبِرْني .
[٤] أَينَ كُنتَ حينَ أَسَّستُ الأَرْض(٤٣) ؟ تَكَلَّمْ إِن كُنتَ عالِماً بالفِطنَة .
[٥] مَن وَضَعَ مَقاديرَها إِن كُنتَ تَعلَم أَم مَن مَدَّ الحَبلَ علَيها ؟
[٦] على أَيِّ شَيءٍ غُرِزَت قَواعِدُها أَم مَن وَضَعَ حَجَرَ زاوِيَتِها
[٧] إِذ كانَت كَواكِبُ الصُبحِ تُرَنِّمُ جَميعاً وكُلُّ بَني اللهِ يَهتِفون ؟
[٨] ومَن حَجَزَ البَحرَ بِمِصراعَين حينَ آندَفَعَ خارِجاً مِنَ الرَّحِم
[٩] إِذ جَعَلتُ الغَمامَ لِباساً لَه والغَيمَ المُظلِمَ قِماطاً
[١٠] وفَرَضتُ عليه حُكْمي وجَعَلتُ لَه مَغاليقَ ومِصراعَين
[١١] وقُلتُ : إِلى هُنا تأتي ولا تَتَعَدَّى وهُنا يَقِفُ طُغيانُ أَمواجِكَ ؟

(٤٢) إطار عاديّ للتجلّيات الإلٰهية .

(٤٣) يروي الله خلق العالم كما كانوا يتصوّرونه في ذلك الزمان . تُمثَّل الأرض ببناء قيست أبعاده بالحبل . وارتكزت أعمدته على أسس متينة . من أحشاء الارض يخرج البحر ، وكلمة الله تحصر أمواجه العاتية (لم تعد هناك حاجة إلى أبواب ومزاليج) .

[١٦] هل وَصَلتَ إلى يَنابيعِ البَحْر أَم جُلتَ في أَعْماقِ الغَمْر؟
[١٧] هل كُشِفَت لَكَ أَبْوابُ المَوت أَم عايَنتَ أَبْوابَ ظِلالِ المَوت؟
[١٨] هل أَحَطتَ بِعَرضِ الأَرض؟ أَخبِرْ إِن كُنتَ عالِماً بِكُلِّ ذٰلك.
[١٩] أَينَ الطَّريقُ إِلى مَقَرِّ النور؟ والظُّلمَةُ أَينَ مَوضِعُها
[٢٠] لِتَذهَبَ بِهما إِلى أَرضِهما وتَعرِفَ طُرُقَ مَسكِنِهما؟
[٢١] تَعرِفُها لِأَنَّكَ كُنتَ قد وُلِدتَ وعَدَدُ أَيَّامِكَ كَثير.
[٢٢] هل وَصَلتَ إِلى مَخازِنِ الثَّلْج أَم عايَنتَ مَخازِنَ البَرَد
[٢٣] الَّتي ٱدَّخَرتُها لِأَوانِ الشِّدَّة لِيَومِ الحَربِ والقِتال؟
[٢٤] بِأَيِّ طَريقٍ يَتَوَزَّعُ النُّور وتَنتَشِرُ الرِّيحُ الشَّرقِيَّةُ على الأَرْض؟
[٢٥] مَن شَقَّ قَناةً لِوابِلِ المَطَر وطَريقاً لِقَصفِ الرَّعْد
[٢٦] لِيُمطِرَ على أَرضٍ لا إِنْسانَ فيها، على قَفْرٍ لا بَشَرَ فيه
[٢٧] لِيُروِيَ القِفارَ المُقفِرة ويُنبِتَ فيها العُشْب؟
[٢٨] هل مِن أَبٍ لِلمَطَر أَم مَن وَلَدَ قَطَراتِ النَّدى؟
[٢٩] مِن بَطنِ مَن خَرَجَ الجَليد ومَن وَلَدَ صَقيعَ السَّماء؟
[٣٠] تَتَجَمَّدُ المِياهُ كالحِجارة ويَتَماسَكُ وَجهُ الغَمْر.

٣٩ [١٩] أَأَنتَ الَّذي يُعْطي الفَرَسَ قُوَّةً ويُقَلِّدُ عُنُقَه ٱرتِعاشاً
[٢٠] ويوثِبُه كالجَراد؟ إِنَّ مَهابَةَ صَهيلِه تُفزِع.
[٢١] يُكدِفُ في الوادي ويَمرَحُ نَشاطاً ويَقتَحِمُ لِلِقاءِ السِّلاح.
[٢٢] يَضحَكُ على الذُّعْرِ ولا يَرهَب ولا يَنهَزِمُ مِنَ السَّيف.
[٢٣] تُصَلصِلُ علَيه الجَعبَةُ وسِنانُ الرُّمحِ والمِزْراق.

[٢٤]في هَيَجانِه وفَورِه يَلتَهِمُ الأَرْض ولا يَملِكُ نَفْسَه إِذا هَتَفَ البوق .
[٢٥]إِذا نُفِخَ في البوقِ يَقولُ : ها !
ويَستَشعِرُ القِتالَ عن بُعْد وصِياحَ القُوَّادِ والهُتاف .

٤٠ [١]ووَاصَلَ الرَّبُّ كَلامَه إِلى أَيُّوبَ وقال :
[٢]«هل يُخاصِمُ القَديرَ لائِمُه ويُجيبُ الله مُوَبِّخُه ؟»
[٣]فأَجابَ أَيُّوبُ الرَّبَّ وقال :
[٤]«تَكَلَّمتُ بِطَيشٍ فبِمَاذا أُجيبُكَ ؟ إِنِّي أَجعَلُ يَدي على فَمي .
[٥]قد تَكَلَّمتُ مَرَّةً فلا أُجيب ومَرَّتَينِ فلا أَزيد» .

لكن الله يواصل كلامه. يظهر لنا الكاتب حيوانَين قويَّين جداً : فرس البحر والتمساح يشعر الانسان بالنسبة اليهما بأنه ضعيف جداً .

[٦]فأَجابَ الرَّبُّ أَيُّوبَ مِنَ العاصِفَةِ وقال :
[١٥]أُنظُرْ إِلى بَهيموتَ الَّذي صَنَعتُه مِثلَكَ
إِنَّه يَأكُلُ العُشبَ مِثلَ الثَّور .
[١٦]قُوَّتُه في مَتنَيه وشِدَّتُه في عَضَلِ بَطنِه .
[١٧]يَشُدُّ ذَنَبَه كالأَرْز وأَعْصابُ فَخذَيه مَحْبوكَة .
[١٨]عِظامُه أَنابيبُ مِن نُحاس وأَضْلاعُه حَديدٌ مُطرَّق .
[١٩]هو أَوَّلُ طُرُقِ اللهِ في الخَلْق وصانِعُه يُعمِلُ السَّيفَ فيه .
[٢٠]فالجِبالُ تُخرِجُ لَه الطَّعام وحَولَه تَلعَبُ جَميعُ وُحوشِ البَرِّيَّة .
[٢١]يَربِضُ تَحتَ عَرائِسِ النِّيل ويَختَبِئُ تَحتَ القَصَبِ في المُستَنقَع .
[٢٥]أَمَّا لَوِياثان أَفتُمسِكُه بِشِصّ أَم تَربطُ لِسانَه بِحَبْل ؟

٤١ [٤]إنِّي لا أَسكُتُ عن وَصفِ أَعْضائِه وبَيانِ مآثِرِه وحُسنِ بِنيَتِه.
[٥]مَن كَشَفَ مُقَدَّمَ لِباسِه ومَن يَدخُلُ بَينَ صَفَّي دِرعِه؟
[٦]مَن فَتَحَ مِصْراعَي فَمِه؟ إنَّ دائِرَةَ أَسْنانِه هائِلَة.
[٧]ظَهرُه صُفوفُ تُروسٍ مَخْتومَةٍ بِخَتمٍ مُلَزَّز
[٨]يَنضَمُّ بَعضُها إلى بَعْضٍ فلا تَتَسَلَّلُ الرِّيحُ بَينَها.
[٩]كُلٌّ مِنها مُلتَصِقَةٌ بِالأُخْرى فهِي مُتَماسِكَةٌ لا تَنفَصِل.
[١٠]عُطاسُه يَقدَحُ النُّور وعَيناه كأَجْفانِ الفَجْر.
[١١]تَخرُجُ مِن فَمِه مَشاعِل ويَتَطايَرُ مِنه شَرَرُ النَّار.
[١٢]ومِن مِنخَرَيه يَنبَعِثُ دُخان كأَنَّه مِن قِدْرٍ تَغْلي على النَّار.
[١٣]نَفَسُه يُضرِمُ الجَمْر ومِن فَمِه يَخرُجُ لَهيب.
[١٤]في عُنُقِه تَكمُنُ القُوَّة وأَمامَه يَعْدو الهَوْل.
[١٥]مَطاوي لَحمِه مُتَلاصِقَةٌ مَسْبوكَةٌ علَيه لا تَتَزَحزَح.
[١٦]قَلبُه صُلْبٌ كالحَجَر وقاسٍ كالرَّحى السُّفْلى.
[١٧]عِندَ نُهوضِه تَرْتاعُ الآلِهة ومِنَ الذُّعرِ يَنصَرِفون.
[١٨]لا يَثبُتُ السَّيفُ الَّذي يُصيبُه ولا الرُّمحُ ولا المِزْراقُ ولا السِّنان.
[١٩]يَحسَبُ الحَديدَ تِبْناً والنُّحاسَ خَشَباً مُسَوِّساً.
[٢٠]لا يُهزِمُه صاحِبُ القَوس وحِجارَةُ المِقْلاعِ تَنقَلِبُ قَشًّا.
[٢١]يَحسَبُ المِطرَقَةَ قَشًّا ويَضحَكُ على آهتِزازِ الحَرْبَة.
[٢٢]مِن تَحتِه شَقَفٌ مُحَدَّد. كالمُشطِ يَزحَفُ على الطِّين.
[٢٣]يُغْلي الهاوِيَةَ كالمِرجَل ويُحَوِّلُ البَحرَ إلى قِدرِ طيب.

٣. خضوع أيوب

يعترف أيوب بأن الانسان لا يستطيع ان يدرك حكمة الله. فيقبل السرّ الذي يحيط بها ويخضع. وبات السلام قريباً.

٤٢ [١]فأجاب أَيُّوبُ الرَّبَّ وقال:

[٢]«قد عَلِمتُ أَنَّكَ قادِرٌ على كُلِّ شَيء فلا يَستَحيلُ علَيكَ مُراد.
[٣]مَن ذا الَّذي يُخْفي التَّدْبيرَ في غَيرِ عِلْم؟
إِنِّي قد أَخبَرتُ مِن غَيرِ أَن أُدرِك بِعَجائِبَ تَفوقُني ولا أَعلَم.
[٤]إِسمَعْ فأَتَكَلَّم، أَسأَلُكَ فأَخبِرْني.
[٥]كُنتُ قد سَمِعتُكَ سَمعَ الأُذُن أَمَّا الآنَ فعَيني قد رَأَتكَ.
[٦]فلِذلك أَرجِعُ عن كَلامي وأَندَمُ في التُّرابِ والرَّماد».

هـ) الخاتمة

[٧]وكانَ، بَعدَ أَن كَلَّمَ الرَّبُّ أَيُّوبَ بِهذا الكَلامِ، أَن قالَ لِأَليفازَ التَّيمانِيّ: «إِنَّ غَضَبي قدِ آضطَرَمَ علَيكَ وعلى كِلا صاحِبَيكَ، لِأَنَّكم لم تَتَكَلَّموا علَيَّ بِحَسَبِ الحَقِّ كعَبْدي أَيُّوب. [٨]فخُذوا الآنَ لَكم سَبعَةَ ثيرانٍ وسَبعَةَ كِباش، وآذهَبوا إِلى عَبْدي أَيُّوب، وأَصعِدوا مُحرَقَةً عنكم. وعَبْدي أَيُّوبُ يُصَلِّي مِن أَجلِكم، فإِنِّي أَرفَعُ وَجهَه(٤٤) ولا أُعامِلُكم بِحَسَبِ حَماقَتِكم، لِأَنَّكم لم تَتَكَلَّموا علَيَّ بِحَسَبِ الحَقِّ كَعَبْدي

(٤٤) يتشفّع أيوب للإنسان، كما فعل ابراهيم وموسى وصموئيل وارميا.

أَيُّوب» . ⁹فذَهَبَ أَليفازُ التَّيمانِيُّ وبِلدَدُ الشُّوحِيُّ وصوفَرُ النَّعماتِيّ ، وصَنَعوا ما أَمَرَهمُ الرَّبُّ ، ورَفَعَ الرَّبُّ وَجهَ أَيُّوب .

¹⁰وأَعادَ الرَّبُّ لِأَيُّوبَ مَكانَتَه ، لِأَنَّه صلَّى لأَجلِ أَصدِقائِه . وزادَ اللهُ أَيُّوبَ ضِعفَ ما كانَ لَه قَبلاً(٤٥) . ¹¹وزارَه جَميعُ إِخوَتِه وأَخَواتِه وكُلُّ مَن كانَ يَعرِفُه مِن قَبلُ ، وأَكَلوا معَه خُبزاً في بَيتِه ، ورَثَوا لَه وعَزَّوه عن كُلِّ المُصيبَةِ الَّتي أَنزَلَها الرَّبُّ بِه ، وأَهْدى لَه كُلٌّ مِنهم فِضَّةً وخُرصاً مِن ذَهَب . ¹²وبارَكَ الرَّبُّ آخِرَةَ أَيُّوبَ أَكثَرَ مِن أُولاه . فكانَ لَه مِنَ الغَنَم أَربَعَةَ عَشَرَ أَلْفاً ، ومِنَ الإِبِلِ سِتَّةُ آلاف ، وأَلفُ فَدَّانٍ مِنَ البَقَر وأَلفُ أَتان . ¹³وكانَ لَه سَبعَةُ بَنينَ وثَلاثُ بَنات(٤٦) . ¹⁴وسَمَّى الأُولى يَمامة والثَّانِيَةَ صَبْراً والثَّالِثَةَ قَرنَ كُحْل . ¹⁵ولم توجَدْ نِساءٌ في الحُسْنِ كبَناتِ أَيُّوبَ في الأَرضِ كُلِّها . وأَعطاهُنَّ أَبوهُنَّ ميراثاً بَينَ إِخوَتِهِنَّ(٤٧) .

¹⁶وعاشَ أَيُّوبُ بَعدَ هذا مِئَةً وأَربَعينَ سَنَةً ، ورأَى بَنيه وبَني بَنيه إِلى أَربَعَةِ أَجْيال . ثُمَّ ماتَ أَيُّوبُ شَيخاً كَبيراً قد شَبِعَ مِنَ الأَيَّام .

قراءة لبني جيلنا

لا تزال مشكلة الألم إحدى مشاكل زمننا الأساسية ، كما كانت يوم وضع كاتب سِفر أيوب مؤلَّفه . منذ الأيام القديمة حيث كان الاسرائيلي يكبّ على التفكير في هذا اللغز ، اعتقد بأن هناك تعادلاً بين النجاح والفضيلة . فإن تألَّم الانسان ، فذلك

(٤٥) الخاتمة توافق المقدمة ، إذ ان أيوب البار يرى محنة الألم تبتعد عنه ، ويستعيد السعادة الزمنية ، التي كانت النظرية القديمة ترى فيها نتيجة الطاعة لله .

(٤٦) ضِعف المواشي ، لا الأولاد .

(٤٧) لان أيوب كان غنيًا جداً .

ان الله يعاقبه على الخطايا التي ارتكبها. سبق لأحد الأنبياء، كان تلميذاً لأشعيا، ان وصف لنا «بارًا يتألّم»، لكن الدين اليهودي رفض ان يدخل في مثل هذا السرّ. أمَّا هنا فإن وجهة النظر تختلف، لأن الشخص البارز لا يسلّم بالمعادلة التقليدية، وانتهى بالاعتراف بأن الانسان لا يستطيع ان يحاسب الله، فإن الله يبقى سيّد وحيه.

هل تغيَّر شيء في أيامنا؟ لا نعرف الغاية من الألم أكثر ممَّا كانوا يعرفونها في أيام سفر أيوب. كُتب للإنسان ان يكون سعيداً، لكنه يتألّم بالانتظار، لكن الوحي، منذ مجيء المسيح، خطى خطوة كبيرة على هذا الطريق، لأن المسيحي بات يعلم ان ألمه ليس بدون فائدة، بل ان اتّحد هذا الألم بألم المسيح، شارك في الفداء الذي خرج من الصليب ولا يزال يخلّص العالم.

ولكن لا بدّ من التمييز بين صعيد الاستدلال وصعيد الحساسية. عندما يتألّم الانسان، لا يبحث عن التفسير، لأنه لا يهمّه، بل يطلب فقط سبباً للرجاء. فإن علم بأن ألمه مفيد، خفَّ تمرّده وتمكن من الانتظار. الحساسية تسود والحجج العقلية تفقد قوّتها. في الهدوء يبحث الانسان عن تفسير، ويبقى الوحي هنا غير كامل. فهل الألم هو من الله؟ وهل الانسان وحده مسؤول عنه؟ كيف نفهم ألم الأطفال والمعاقين؟

قد يحمل ألم المسيحي، كألم أيوب، على التمرّد، ولكن، كما ان الألم عند أيوب كان يقتضي تقدُّماً في الوحي، فقد يحمل المسيحي أيضاً على تسليم أمره الى الله الى حدٍ ما، لا بل على مزيد من المحبة.

سِفرُ نشِيدِ الأناشِيدِ

يبدو هذا السِفر، لأول وهلة، كتاب حبّ بشريّ، مجموعة أغاني شعرية وُضعت لتغنّى في الأعراس. ومن هنا الإنشاء الواقعي حيث يشدَّد على تفاصيل جمال العروس، وحيث يبدو الخصب أحرّ التمنّيات الموجّهة إلى العروسين.

فلماذا دخلت هذه المجموعة في الكتاب المقدس؟ ولماذا جُعلت في عداد أسفار الحكمة؟

لأن اليهود رأوا امكانية تفسير تلك الأغاني بالمعنى التمثيلي. سبق لهوشع النبي ان اكتشف، بمناسبة حبّه الزوجي الفاشل، عمق العلاقات القائمة بين الرب واسرائيل، فشبّهها بالحب القائم بين الزوجَين. وهذا ما فعله إرميا وحزقيال ايضاً. وهذا شأن الشخصَين المذكورَين في نشيد الأناشيد. وفي هذا المؤلَّف المركّب تركيباً غير مُحكَم، نلاحظ طائفة من الانفصالات واللقاءات الموقّتة، قبل عودة الزوجة بوجه نهائي. هذا ما يعني، على الصعيد الديني، ان الله يبحث بلا ملل عن اسرائيل، وان اسرائيل ينقض عهده مع الله أحياناً، بانتظار اللقاء النهائي.

هذا هو التفسير اليهودي. فلا عجب ان نرى هذا السِفر يدخل في قانون العهد القديم.

اكتفت الكنيسة بتوسيع هذه النظرة، فان الجماعة اليهودية كانت صورة سابقة للجماعة المسيحية. فالنشيد كان يحمل في أصله القران السرّي بين المسيح والكنيسة. ولكن لا بدّ من تجنّب الوقوع في الإفراط.

مَن الذي جمع أغاني الحب هذه؟ لا نعلم. يرقى المؤلَّف إلى القرن الرابع ق. م.، وقد نُسب الى سليمان، كما نُسب اليه سفر الأمثال والجامعة.

١ [١]نَشيدُ الأناشيدِ(١) لِسُلَيمان(٢)

المدخل

المقدّمة : رغبة الحبيبة في الاجتماع إلى الحبيب ، يُراد بهذا المدخل ان الحبيب جدير بأن يُحَبّ كثيراً .

[٢]لِيُقَبِّلْني بِقُبَلِ فَمِه فإِنَّ حُبَّكَ أَطيَبُ مِنَ الخَمْر
[٣]أَطْيابُكَ طَيِّبَةُ الرَّائِحة وآسمُكَ طِيبٌ مُراق
فلذلكَ أَحَبَّتكَ العَذارى .
[٤]إِجذِبْني وَراءَكَ فنَجْري . قد أَدخَلَني المَلِكُ أَخاديرَه .
نَبتَهِجُ بِكَ ونَفرَح، ذاكِرينَ حُبَّكَ أَكثَرَ مِنَ الخَمْر .
إِنَّهم على صَوابٍ إِذ يُحِبُّونَكَ .

١. أول اجتماع موقّت

تعريف الحبيبة . المرأة شرقية سمراء .

الحبيبة

[٥]أَنا سوداءُ لكِنَّني جَميلَةٌ يا بَنَاتِ أُورَشَليم
كخِيامِ قيدار(٣) ، كسُرادِقِ سَلْمى .
[٦]لا تَلتَفِتَنَّ إِلى كَوني سَوداء ، فإِنَّ الشَّمسَ قد جَعَلَتني سَمْراء .
قد غَضِبَ عَلَيَّ بَنو أُمِّي فجَعَلوني ناطورةً لِلكُروم

(١) أي النشيد المثالي .
(٢) نسبة خيالية .
(٣) اسم قبيلة عربية تعيش تحت الخيَم .

والكَرْمُ الَّذي لي لم أَنظُرْه
[٧]أَخبِرْني يا مَن تُحِبُّه نَفْسي :
أَينَ تَرْعى وأَينَ تُربِضُ عِندَ الظَّهيرة ؟
لِئَلاَّ أَكونَ تائِهةً عِندَ قُطْعانِ أَصحابِكَ .

تدخّل الجوقة : الجوقة رابط بين الحبيبَين .

الجوقة

[٨]إِن كُنتِ لا تَعرِفينَ ، أَيَّتُها الجَميلةُ بَينَ النِّساء
فآخرُجي في إِثْرِ الغَنَم وآرعَي جِداءَكِ عِندَ مَساكِنِ الرُّعاة .

الحوار : يعبّر الحبيبان عن إعجابهما المتبادل .

الحبيب

٢ [٢]كالسُّوسَنَةِ بَينَ الشَّوك كذلكَ خَليلَتي بَينَ البَنات .

الحبيبة

[٣]كالتُّفَّاحةِ في أَشْجارِ الغابة . كذلكَ حَبيبي بَينَ البَنين .
في ظِلِّه آشتَهَيتُ الجُلوس وثَمَرُه حُلْوٌ في حَلْقي .
[٤]أَدخَلَني بَيتَ الخَمْرِ ورايَتُه علَيَّ هي الحُبّ .
[٥]أَسنِدُوني بِأَقْراصٍ مِنَ الزَّبيب
أَنعِشوني بِالتُّفَّاحِ فقَد أَسقَمَني الحُبّ .
[٦]شِمالُه تَحتَ رَأسي ويَمينُه تُعانِقُني .

الحبيبة

[٨]صَوتُ حَبيبي . هُوَذا مُقبِل

وهو يَطفِرُ على الجبالِ ويَقفِزُ على التِّلال .
[٩]حَبيبي يُشبِهُ ظَبْياً أَو شادِنَ أَيِّلَة ، هُوَذا واقِفٌ وَراءَ حائِطِنا .
يَتَطَلَّعُ مِنَ النَّوافِذ ويَتَرَصَّدُ مِنَ الشَّبابيك
[١٠]حَبيبي تَكَلَّمَ وقالَ لي : «قومي يا خليلتي ، يا جَميلَتي ، وهَلُمِّي .
[١١]فإِنَّ الشِّتاءَ قد مَضى والمَطَرَ وَقَفَ وزال
[١٢]قد ظَهَرَتِ الزُّهورُ في الأَرْض ووافى أَوانُ الأَغانِيّ
وسُمِعَ صَوتُ اليَمامةِ في أَرضِنا .
[١٣]التِّينةُ أَخرَجَت بَكائِرَها والكُرومُ أَزهَرَت وأَفاحَت رائِحَتها .
فقومي يا خَليلَتي ، يا جَميلَتي ، وهَلُمِّي .
[١٤]يا حَمامَتي الَّتي في نخاريبِ الصَخرِ وفي خَفايا المُنحَدَرات
أَريني مُحَيَّاكِ ، أَسمِعيني صَوتَكِ
فإِنَّ صَوتَكِ لَطيفٌ ومُحَيَّاكِ جَميل» .

٢. الى ملاقاة الحبيب .

٣ [١]في اللَّيالي على فِراشي اَلتَمَستُ مَن تُحِبُّه نَفْسي
إِلتَمَستُه فما وَجَدتُه .
[٢]أَنهَضُ وأَطوفُ في المَدينَة ، في الشَّوارِعِ وفي السَّاحات
أَلتَمِسُ مَن تُحِبُّه نَفْسي. إِنِّي التَمَستُه فما وَجَدتُه .
[٣]صادَفَني الحُرَّاسُ الطَّائِفونَ في المَدينة :
«أَرأَيتُم مَن تُحِبُّه نَفْسي ؟»
[٤]فما إِن تَجاوَزتُهم حَتَّى وَجَدتُ مَن تُحِبُّه نَفْسي

فأَمسَكتُه ولَن أُطلِقَه حَتَّى أُدخِلَه بَيتَ أُمِّي وخِدرَ مَن حَبِلَت بي .

٣. دعوة الحبيب إلى الحبيبة

يُعجب الحبيب ويؤكّد حبّه، فيدعو الحبيبة الى اتّباعه.

الحبيب

٤ [١]جَميلَةٌ أَنتِ يا خَليلَتي جَميلةٌ أَنتِ
وعَيناكِ كَحمامَتَينِ مِن وَراءِ نِقابِك
وشَعْرُكِ كقَطيعِ مَعَزٍ يَهبِطُ مِن جَبَلِ جِلْعاد .
[٢]أَسْنانُكِ كقَطيعِ خِرافٍ مَجْزوزةٍ قد صَعِدَت مِنَ الِٱغتِسال
كُلُّ واحِدَةٍ مِنها مُتئِم وما فيها عاقِر .
[٣]شَفَتاكِ كخَيطٍ مِنَ القِرمِز وكَلامُكِ عَذْبٌ .
خَدَّاكِ كنِصفَي رُمَّانة مِن وَراءِ نِقابِكِ .
[٥]ثَدْياكِ كشادِنَي ظَبيَة تَوأَمَينِ يَرعَيانِ بَينَ السَّوسَن .
[٧]كُلُّكِ جَميلَةٌ يا خَليلَتي ولا عَيبَ فيكِ .
[٨]هَلُمِّي مَعي مِن لُبْنانَ أَيَّتُها العَروس هَلُمِّي مَعي مِن لُبْنان .
أُترُكي رأسَ أَمانَة ، رأسَ سَنيرَ وحَرْمون
مِن مَرابِضِ الأُسود ، مِن جِبالِ النُّمور .
[٩]قد خَلَبتِ قَلْبي يا أُخْتِيَ العَروس
قد خَلَبتِ قَلْبي بإِحْدى عَينَيكِ وبِحَلقَةٍ مِن عِقدِكِ .
[١٠]ما أَجمَلَ حُبَّكِ يا أُختِيَ العَروس
إِنَّ حُبَّكِ أَلَذُّ مِنَ الخَمْر

ورائِحَةَ أَطْيابِكِ فَوقَ جَميعِ الأَطْياب .
[١١]شَفَتاكِ تَقطُرانِ شَهْداً أَيَّتُها العَروس
وتَحتَ لِسانِكِ عَسَلٌ ولَبَنٌ حَليب
ورائِحَةُ ثِيابِكِ كرائِحَةِ لُبْنان .
[١٢]أُختِيَ العَروسُ جَنَّةٌ مُقفَلَة ، جَنَّةٌ مُقفَلةٌ ويَنبوعٌ مَخْتوم .

٤. انفصال جديد

قرع الحبيب في أثناء نوم الحبيبة ، فتردَّدت . فذهب الحبيب وذهبت الحبيبة تبحث عنه ثانية .

الحبيبة

٥ [٢]إِنِّي نائِمَةٌ وقَلْبي مُستَيقِظ ، إِذا بِصَوتِ حَبيبي قارِعاً
أَنِ اَفتَحي لي يا أُخْتي يا خَليلَتي يا حَمامَتي يا كامِلَتي
فإِنَّ رَأسي قدِ اَمْتَلأَ مِنَ النَّدى وخَصائِلي مِن قَطَراتِ اللَّيل .
[٣]قد نَزَعتُ ثَوبي فكَيفَ أَلبَسُه ؟
قد غَسَلتُ رِجلَيَّ فكَيفَ أُوَسِّخُهما ؟
[٤]حَبيبي أَرسَلَ يَدَه مِنَ الثَّقْب فتَحَرَّكَت لَه أَحْشائي
[٥]فقُمتُ لِأَفتَحَ لِحَبيبي وكانَت يَدايَ تَقطُرانِ مُرًّا
وأَصابِعي بِالمُرِّ السَّائِلِ على مِقبَضِ المِزْلاج .
[٦]ففَتَحتُ لِحَبيبي ، لكِنَّ حَبيبي ولَّى ومَضى .
نَفْسي فاضَت مِن تَواريه . إِلتَمَستُه فما وَجَدتُه ودَعَوتُه فلم يُجِبْني .

الجوقة

٦ [١]أَينَ ذَهَبَ حَبيبُكِ، أَيَّتُها الجَميلَةُ في النِّساء؟
إِلى أَينَ تَوَجَّهَ حَبيبُكِ فنَلتَمِسَه معَكِ؟

الحبيبة

[٢]حَبيبي نَزَلَ إِلى جَنَّتِه، إِلى رَوضَةِ الأَطْياب
لِيَرْعى في الجَنَّاتِ ويَجمَعَ السُّوسَن.
[٣]أَنا لِحَبيبي وحَبيبي لي، هو الَّذي يَرْعى بَينَ السُّوسَن.

٥. التعبير عن حب الحبيبين المتبادل

أيجوز الكلام على لقاء نهائي؟ لا شك أنه خاتمة حب استئثاري يطمح الى ان يكون أبدياً. هذا الوضع مثالي أكثر ممّا هو فعلي بالنسبة الى الجماعة اليهودية، لكنه وضع الكنيسة التي لا تستطيع أن تنفصل عن رأسها المسيح وهي جسده.

الحبيب

[٨]المَلِكاتُ سِتُّونَ والسَّرارِيُّ ثَمانون (والأَبْكارُ لا عَدَدَ لَهُنَّ).
[٩]لكِنَّ حَمامَتي كامِلَتي وَحيدة، هي وَحيدةٌ لِأُمِّها، مُفَضَّلَةٌ لِوالِدَتِها.
رَأَتها البَناتُ فهَنَّأنَها، رَأَتها المَلِكاتُ والسَّرارِيُّ فأَثنَينَ علَيها.
[١٠]مَن هذه المُشرِفَةُ كالصُّبْح، الجَميلَةُ كالقَمَر
المُخْتارةُ كالشَّمْس المَرْهوبةُ كصُفوفٍ تَحتَ الرَّايات[٤]؟

(٤) طبّقت الليترجية هذا النصّ على مريم العذراء.

الحبيبة

٧ [١١]أَنا لِحَبيبي وأَشْواقُه إِلَيَّ
[١٢]هلُمَّ يا حَبيبي ، لِنَخرُجْ إِلى الحُقول ولْنَبِتْ في القُرى
[١٣]فنُبكِرَ إِلى الكروم ونَنظُرَ هل أَفرَخَ الكَرْم
وهَل تَفَتَّحَت زُهورُه وهَل نَوَّرَ الرُّمَّان
وهُناكَ أَبذُلُ لَكَ حُبِّي .

٨ [٦]إِجْعَلْني كخاتَمٍ على قَلبِكَ كخاتَمٍ على ذِراعِكَ
فإِنَّ الحُبَّ قوِيٌّ كالمَوت والهَوى قاسٍ كمَثْوى الأَمْوات
سِهامُه سِهامُ نارٍ ولَهيبُ الرَّبّ
[٧]المِياهُ الغَزيرةُ لا تَستَطيعُ أَن تُطفِئَ الحُبّ والأَنْهارُ لا تَغمُرُه
ولَو بَذَلَ الإِنْسانُ كُلَّ مالِ بَيتِه في سَبيلِ الحُبّ لَٱحتُقِرَ ٱحتِقاراً .

قراءة لبني جيلنا

قد يرى المسيحي نفسه قليل الاكتراث لذلك التعبير عن الحب البشري ، لأنه لا يرى كيف يرفع مثل تلك الحساسية الى مستوى صلاته . لكن ، يجب ألاّ ينسى ان كبار الروحانيين استخدموا مثل هذه المفردات في علاقاتهم مع المسيح : فإن اتّحاد الكنيسة برأسها يمثّل هنا بما يمكن تسميته العرس السرّي بين المسيح والنفس التي يدعوها الى درجة رفيعة من المشاهدة .

يبدو ، مع ذلك ، ان التطبيق الشخصي سهل . فما يمثّله نشيد الأناشيد للمسيحي في أيامنا هو دعوة الى اللقاء بين الانسان والله . وهو أيضاً عبارة عن حالاتنا النفسية المتعاقبة : فهناك تارة كرم عظيم نظنّه نهائياً ، وتارة يتغلّب على هذا الكرم ميلنا الشخصي . إلاّ ان في صميم قلوبنا ختماً رسمه روح المسيح يوم اعتمدنا ، وعلامةً لانتمائنا الى المسيح ، وهي تذكّرنا في كل حين بأننا جُعلنا للقاء النهائي .

سِفر الجامِعة

كتاب حِكَمي يرقى عهده الى حوالى السنة ٢٥٠ ويرمي الى مقاومة مفاتن الحضارة اليونانية التي جاء بها خلفاء الاسكندر.

كلمة «الجامعة» ترجمة لكلمة «كوهيليت» العبرية، وهي لفظ غامض يعني «رجل الجماعة»، وقد يدلّ على خطيب أو على شخصية بارزة.

التعليم المعبَّر عنه في هذا الكتاب مفيد، ولكنه متشعّب. هناك شعور سائد وهو تشاؤم الانسان الذي ذاق طعم جميع رغبات الحياة، لكنه جنى منها خيبة الأمل. وردت بعض حِكَم ملطِّفة حملت المفسّرين على الاعتقاد بأنها إضافات حرّرها تلميذ للجامعة. ولكن ليس هناك ما يمنع من نسبتها الى الكاتب نفسه، علماً بأن النفس المعذَّبة قد تعرف أيضاً ساعات رجاء.

ان مثل هذا التشاؤم يحمل الكاتب على اتّخاذ موقف معيَّن من مشكلة المكافأة، اذ انه لا يستطيع ان يسلّم بالحلّ القديم القائل بأن السعادة هي مكافأة على الفضيلة وان البؤس هو معاقبة على الشرّ، فإن مصيراً واحداً ينتظر الحكيم والجاهل، ما من إنسان مهما عظمت فضيلته، يستطيع ان يحصل على حياة سعيدة.

فبناءً على ذلك يُعدّ الحلّ المقبل، فهو يعتقد بأن السعادة البشرية غير قادرة على تلبية رغبات الانسان. سيكشف الوحي في وقت لاحق ان الله وحده قادر على إعطاء الانسان ما يصبو إليه من الازدهار.

ايّانا أخيراً ان نبقى على هذا الانطباع السلبي المحض. فإن الجامعة – أو تلميذه – ينادينا هنا أو هنا باسم الإيمان، ويدعونا الى تسليم أمرنا لله وإلى قبول الحياة كما يعطينا إيّاها.

يمكننا إذاً ان نعبّر على الوجه التالي عن رسالة الكتاب الموجَّهة الى يهود القرن

الثالث ق . م .: «لا تبحثوا في أخلاق اليونانيين عن إرضاء رغباتكم، بل حافظوا على عهد إلهكم وصداقته . هذه هي السعادة الوحيدة التي تجدونها في الحياة».

المقدمة

هذه الفقرة الشهيرة تنمّ عن تشاؤم لا مثيل له : يستحيل على الانسان أن ينتظر من الحياة شيئاً جديداً، وما يمكنها أن تهبه لا ثبات له .

١ ١أَقْوالُ الجامِعَةِ، آبنِ داودَ، المَلِكِ في أُورَشَليم(١) :

٢باطِلُ الأَباطيل، يَقولُ الجامِعة
باطِلُ الأَباطيل، كُلُّ شَيءٍ باطِل(٢) .
٣أَيُّ فائِدَةٍ لِلإِنْسانِ مِن كُلِّ تَعَبِه الَّذي يُعانيه تَحتَ الشَّمْس؟
٤جيلٌ يَمْضي وجيلٌ يأتي والأَرضُ قائِمَةٌ أَبَدَ الدُّهور .
٥والشَّمسُ تَشرُقُ والشَّمسُ تَغرُب
ثُمَّ تُسرِعُ إِلى مَكانِها ومِنه تَطلَع .
٦تَذهَبُ الرِّيحُ إِلى الجَنوبِ وتَدورُ إِلى الشَّمال
تَدورُ وتَدورُ ذاهِبَةً، ثُمَّ إِلى مَدارِها تَعود .
٧جَميعُ الأَنْهارِ تَجْري إِلى البَحْرِ والبَحرُ لَيسَ بِمَلآن
ثُمَّ إِلى المَكانِ الَّذي جَرَت منه الأَنْهار . هُناكَ تَعودُ فتَجْري أَيضاً .
٨جَميعُ الأَموالِ تُعْيي فلا يَستَطيعُ الإِنْسانُ الكَلام .
لا تَشبَعُ العَينُ مِنَ النَّظَر ولا تَمتَلِئُ الأُذُنُ مِنَ السَّماع .
٩ما كانَ فهُو الَّذي سَيَكون وما صُنِعَ فهُو الَّذي سَيُصنَع

(١) ليست نسبة هذا السفر الى سليمان سوى خيال أدبي، كما هي نسبة سفر الأمثال إليه .
(٢) ان الكلمة العبرية التي نترجمها بـ«باطل» تعني «النفخة» (ما لا يُدرَك) .

فلَيسَ تَحتَ الشَّمسِ شَيءٌ جَديد .
[١٠]رُبَّ أَمرٍ يُقالُ فيه : «أُنظُرْ، هذا جديد»
بل قد كانَ في الدُّهورِ الَّتي كانَت قَبلَنا .
[١١]لَيسَ مِن ذِكْرٍ لِما سَبَق
ولا مِن ذِكْرٍ لِما سيَكون عِندَ الَّذينَ يأتونَ مِن بَعدُ .

آ) سلسلة أولى من الحِكَم

١. بطلان الحكمة

تُعدّ الحكمة هنا علم التصرّف العملي بالحياة .

[١٢]أَنا الجامِعَةَ مَلكتُ على إِسْرائيلَ بِأُورَشَليم
[١٣]فوَجَّهتُ قَلْبي لِيَطلُبَ
ويَبحَثَ بِالحِكمةِ عن كُلِّ ما صُنِعَ تَحتَ السَّماء
فإِذا هو عَمَلٌ رَدِيءٌ جَعَلَه اللهُ لِبَني البَشَر لِيَعمَلوه .
[١٤]رَأَيتُ جَميعَ الأَعْمالِ الَّتي عُمِلَت تَحتَ الشَّمْس
فإِذا كُلُّ شَيءٍ باطِلٌ وسَعيٌ وَراءَ الرِّيح .
[١٧]ووَجَّهتُ قَلْبي إِلى مَعرِفَةِ الحِكمَة ومَعرِفَةِ الجُنونِ والحَماقة
فعَرَفتُ أَنَّ هذا أَيضاً سَعْيٌ وَراءَ الرِّيح .
[١٨]لِأَنَّ في كَثرَةِ الحِكمَةِ كَثرَةَ الغَمّ ، ومَنِ آزْدادَ عِلْماً فقَدِ آزْدادَ أَلَماً.

٢. بطلان الملذّات البشرية

الكاتب يقصد سليمان

٢ [١]ثُمَّ ناجَيتُ قَلْبي قائِلاً : «هَلُمَّ فأُذيقَكَ الفَرَح فترى السعادة

وإِذا هذا أَيضاً باطِل» .
[٢]في الضَّحِكِ قُلتُ : «مَجْنون» ، وفي الفَرَحِ : «ماذا يَنفَع ؟»
[٣]عَزَمتُ في قَلْبي أَن أُسلِمَ جَسَدي لِلخَمْر
وقَلْبي مُنصَرِفٌ إِلى الحِكمَة
وأَن أَلزَمَ الحَماقَة
حتَّى أَرى ما يَصلُحُ لِبَني البَشَرِ
أَن يَصنَعوه تَحتَ السَّماءِ طَوالَ أَيَّامِ حَياتِهِم .
[٤]فصَنَعتُ أَعمالاً عَظيمة وبَنَيتُ لي بُيوتاً وغَرَستُ لي كُروماً
[٥]وأَنشَأتُ لي جَنَّاتٍ وفَراديس وغَرَستُ فيها أَشْجاراً مِن كُلِّ ثَمَر .
[٦]وصَنَعتُ لي بِرَكَ ماءٍ لِأَسقِيَ بِها الغَرائِسَ النَّامِيَةَ الأَشْجار .
[٧]واَقتَنَيتُ عَبيداً وإِماءً فكانَ بَيتي عامِراً بِالبَنين
ورُزِقتُ مَواشِيَ كَثيرةً مِنَ البَقَرِ والغَنَم
حَتَّى فُقتُ جَميعَ الَّذينَ كانوا قَبْلي بِأُورَشَليم .
[٨]وجَمَعتُ لي فِضَّةً وذَهَباً أَموالَ المُلوكِ والأَقاليم
واَتَّخَذتُ لي مُغَنِّينَ ومُغَنِّياتٍ ومَلَذَّاتِ بَني البَشَرِ واَمرَأَةً ونِساء .
[٩]فزِدتُ عَظَمَةً وتَفَوَّقتُ على جَميعِ الَّذينَ كانوا قَبْلي بِأُورَشَليم
والحِكمَةُ أَيضاً بَقِيَت لي .
[١٠]وكُلُّ ما اَبتَغَته عَينايَ لم أَحْرِمْهما مِنه
ولا مَنَعتُ قَلْبي مِنَ الفَرَح شَيئاً .
بل فَرِحَ قَلْبي مِن كُلِّ عَمَلي وكانَ ذلك نَصيبي مِن عَمَلي كُلِّه .
[١١]ثُمَّ اَلتَفَتُّ إِلى جَميعِ أَعْمالي الَّتي عَمِلَتها يَدايَ

وإلى ما عانَيتُ مِنَ التَّعَبِ في عَمَلِها
فإذا كُلُّ شَيءٍ باطِلٌ وسَعيٌ وَراءَ الرِّيح
ولا فائِدَةَ في شيءٍ تَحتَ الشَّمْس.

٣. بطلان العمل

يُفكّر الانسان في الذي سيرث ثمر عمله.

[١٨]وكَرِهتُ كُلَّ ما عانَيتُ تَحتَ الشَّمسِ
مِن تَعَبي الَّذي سأَترُكه لِلإِنْسانِ الَّذي يَخلُفُني:
[١٩]ومَن يَدْري هل يَكونُ حَكيماً أَو أَحمَق؟
مع أَنَّه سيَتَسَلَّطُ على كُلِّ عَمَلي
الَّذي أفرَغتُ فيه تَعَبي وحِكمَتي تَحتَ الشَّمْس:
هذا أَيضاً باطِل.
[٢٠]فانثَنَيتُ على قَلْبي يائِساً مِن كُلِّ التَّعَبِ الَّذي عانَيتُه تَحتَ الشَّمْس
[٢١]لِأَنَّه رُبَّ إِنْسانٍ كانَ تَعَبُه بِحِكمَةٍ وعِلمٍ ونَجاح
ثُمَّ تَرَكَ نَصيبَه لِإِنْسانٍ لم يَتعَبْ فيه: هذا أَيضاً باطِلٌ وشَرٌّ عَظيم.
[٢٢]ماذا يَكونُ لِلإِنْسانِ مِن كُلِّ تَعَبِه
ومِن كَدِّ قَلبه الَّذي عاناه تَحتَ الشَّمْس؟
[٢٣]لِأَنَّ أَيَّامَه كُلَّها مُؤلِمَة وأَعمالَه غَمّ
حَتَّى في اللَّيلِ لا يَستَريحُ قَلبُه:
هذا أَيضاً باطِل.

٤. مع ان الحياة، كما هي اليوم، عطية من الله.

يعبّر الكاتب، بالرغم من تشاؤمه، عن إيمانه بحكمة الله.

٣ [١]لِكُلِّ أَمرٍ أَوان ولِكُلِّ غَرَضٍ تَحتَ السَّماءِ وَقْت .
[٢]لِلوِلادَةِ وَقتٌ ولِلمَوتِ وَقْت ، لِلغَرْسِ وَقتٌ ولِقَلْعِ المَغْروسِ وَقْت
[٣]لِلقَتْلِ وَقْتٌ ولِلمُداواةِ وَقْت ، لِلهَدْمِ وَقتٌ ولِلبِناءِ وَقْت
[٤]لِلبُكاءِ وَقتٌ ولِلضَّحِكِ وَقْت ، لِلنَّحيبِ وَقتٌ ولِلرَّقصِ وَقْت
[٥]لِرَمْيِ الحِجارَةِ وَقتٌ ولِجَمْعِ الحِجارَةِ وَقْت
لِلمُعانَقَةِ وَقتٌ ولِلإِمْساكِ عنِ المُعانَقَةِ وَقْت
[٦]لِلبَحثِ وَقتٌ ولِلإِضاعَةِ وَقْت ، لِلحِفْظِ وَقتٌ ولِلرَّمْيِ وَقْت
[٧]لِلتَّمْزيقِ وَقتٌ ولِلخِياطَةِ وَقْت ، لِلصَّمْتِ وَقتٌ ولِلنُّطقِ وَقْت
[٨]لِلحُبِّ وَقتٌ ولِلبُغْضِ وَقْت ، لِلحَرْبِ وَقتٌ ولِلصُّلْحِ وَقْت .
[٩]فأَيُّ فائِدَةٍ لِلعامِلِ مِمَّا يُعانيه ؟
[١٠]إِنِّي رَأَيتُ العَمَلَ الَّذي جَعَلَه اللهُ لِبَني البَشَرِ لِيَعمَلوه :
[١١]صَنَعَ كُلَّ شَيءٍ حَسَناً في وَقتِه وجَعَلَ الأَبَدَ في قُلوبِهم
مِن غَيرِ أَن يُدرِكَ الإِنسانُ أَعْمالَ اللهِ مِنَ البِدايَةِ إِلى النِّهايَة .
[١٢]فعَلِمتُ أَنَّه لا خَيرَ لِلإِنْسان سِوى أَن يَفرَحَ وتَطيبَ نَفسُه في حَياتِه
[١٣]وأَنَّ كُلَّ إِنسانٍ يأكُلُ ويَشرَب ويَذوقُ هَناءَ كُلِّ تَعَبِه
إِنَّما ذٰلِكَ عَطِيَّةٌ مِنَ الله .

ب) سلسلة ثانية من الحِكَم

١ .لا يفكّر الكاتب في الاستعمال العقلي للأموال ، فكم بالأحرى الاستعمال المسيحي لها .

[٩]الَّذي يُحِبُّ الفِضَّةَ لا يَشبَعُ مِنَ الفِضَّة

والَّذي يُحِبُّ الثَّروَةَ لا يَجْني ثَمَرَها.
هذا أَيضاً باطِل.
[١٠] إِذا زادَتِ الخَيراتُ زادَ الَّذينَ يأكُلونَها
فأَيُّ رِبْحٍ لِمالِكِها إِلاَّ أَن يَنظُرَ إِلَيها بِعَينَيه؟
[١١] نَومُ العامِلِ عَذْبٌ سَواءٌ أَكَلَ كَثيراً أَم قَليلاً
وشِبَعُ الغَنِيِّ لا يَدَعُه يَنام

٢. حسنات الاتّزان

السعادة والبؤس جزء من وضع الانسان، فيجب استخدامهما. وفضلاً عن ذلك، فلا بدّ من اتّخاذ موقف وسط حكيم بين الافراط في الحكمة والافراط في الشرّ.

٧ [١٣] أُنظُرْ إِلى عَمَلِ الله: مَنِ الَّذي يَستَطيعُ أَن يُقَوِّمَ ما قد لَوى؟
[١٤] في يَومِ السَّرَّاءِ كُن مَسْروراً وفي يَومِ الضَّرَّاءِ تأَمَّلْ:
إِنَّ اللهَ صَنَعَ هذه وتِلك
لِئَلاَّ يَطَّلِعَ الإِنسانُ على شَيءٍ مِمَّا يَكونُ فيما بَعدُ.
[١٥] وهذا كُلُّه رَأَيتُه في أَيَّامِ أَباطيلي:
بارٌّ يَهلِكُ في بِرِّه وشِرِّيرٌ تَطولُ أَيَّامُه في شَرِّه.
[١٦] لا تَكُنْ بارًّا بِإِفْراط ولا تَكُنْ حكيماً فَوقَ ما يَنبَغي(٣)
فلِماذا تُهلِكُ نَفْسَكَ؟
[١٧] لا تَكُنْ شِرِّيراً بِإِفْراط ولا تَكُن جاهِلاً، لِئَلاَّ تَموتَ قَبلَ ساعَتِكَ.

(٣) لاحِظ نكتة الظرف.

[١٨] يَحسُنُ أَن تُمسِكَ بِهذا دونَ أَن تَكُفَّ يَدَكَ عن ذاك
فإِنَّ مَن يَخْشى اللهَ يَجِدُ كِلَيهما .

٢. بطلان الحب والبغض أمام الموت

يشدّد الكاتب مرة أخرى على تساوي مصير البار ومصير الشرير .

٩ [١] هذا كُلُّه وَجَّهتُ قَلْبي إِلَيه وآختَبَرتُه كُلَّه :
أَنَّ الأَبْرارَ والحُكَماءَ وأَعْمالَهم في يَدِ الله
حتَّى إِنَّ الإِنْسانَ لا يَعرِفُ الحُبَّ أَوِ البُغْض(٤)
فكِلاهُمَا باطِلٌ أَمامَه
[٢] لِلجَميعِ مَصيرٌ واحِد : لِلبارِّ والشِّرِّير ، لِلصَّالِحِ والطَّالِح
لِلطّاهِرِ والنَّجِس ، لِلذَّابِحِ ولِغَيرِ الذَّابِح .
الصَّالِحُ مِثلُ الخاطِئ والَّذي يَحلِفُ كالَّذي يَتَّقي الحِلْف .
[٣] وشَرُّ ما يَجْري تَحتَ الشَّمْسِ أَن يَكونَ لِلجَميعِ مَصيرٌ واحِد
فتَمتَلِئُ قُلوبُ بَني البَشَرِ مِنَ الخُبْث
وصُدورُهم مِنَ الجُنونِ في حَياتِهم
وفيما بَعدُ يَصيرونَ إِلى الأَمْوات .
[٤] مع أَنَّ الَّذي لَه صِلَةٌ بِجَميعِ الأَحْياءِ لَه رَجاء
لِأَنَّ الكَلْبَ الحَيَّ خَيرٌ مِنَ الأَسَدِ المَيْت .
[٥] والأَحْياءُ يَعلَمونَ أَنَّهم سيَموتون . أَمَّا الأَمْواتُ فلا يَعلَمونَ شَيئاً
ولم يَبقَ لَهم جَزاءٌ ، إِذ قد نُسِيَ ذِكرُهم .

(٤) يشير الكاتب الى طابعهما اللغزي .

٤. الخاتمة: الاستفادة من السعادة الممكنة التي توفّرها الحياة

قد تذكّرنا هذه الخاتمة بالأبيقورية إلى حد ما. لكن هذه السعادة تُربط فوراً بالله.

[٧]فآذهَبْ وكُلْ خُبزَكَ بِفَرَح وآشرَبْ خَمرَكَ بِقَلبٍ مَسْرور
لِأَنَّ اللهَ قد رَضِيَ عن أَعْمالِكَ.
[٨]لِتَكُنْ ثِيابُكَ بَيضاءَ في كُلِّ حين ولا يَنقُصِ الطِّيبُ عن رَأسِكَ.
[٩]تَمَتَّعْ بِالعَيشِ مع المَرأَةِ الَّتي أَحبَبتَها جَميعَ أَيَّامِ حَياتِكَ الباطِلَة
الَّتي أُوتيتَها تَحتَ الشَّمسِ جَميعَ أَيَّامِكَ الباطِلَة
فإِنَّ ذلك نَصيبُكَ في الحياة وفي التَّعَبِ الَّذي تُعانيه تَحتَ الشَّمْس.
[١٠]كُلُّ ما تَصِلُ إِلَيه يَدُكَ مِن عَمَلٍ فآعمَلْه بِقُوَّتِكَ
فإِنَّه لا عَمَلَ ولا حُسْبانَ ولا عِلمَ ولا حِكمَةَ
في مَثْوى الأَمْواتِ الَّذي أَنتَ صائِرٌ إِلَيه.

ملحق

حُزن الشيخ الذي يتأسّف على شبابه. نلاحظ التعارض القائم بين الشباب والشيخوخة، ونُعجب بتفنّن الكاتب في وصف انحطاط القوى والحواس التدريجي عند الشيخ.

١١ [٩]فآفرَحْ أَيُّها الشَّابُّ في صِباكَ ولْيُسعِدْكَ قلبُكَ في أَيَّامِ شبابِكَ
وسِرْ في طُرُقِ قَلبِكَ وبِحَسَبِ رُؤيَةِ عَينَيكَ
لكِنِ آعلَمْ أَنَّ اللهَ مِن أَجلِ هذه كُلِّها سيُحضِرُكَ لِتُدانَ علَيها.
[١٠]فأَقصِ الغَمَّ عن قَلبِكَ وأَبعِدِ السُّوءَ عن جَسَدِكَ
فإِنَّ الصِّبا ورَبيعَ العُمرِ باطِلان.

١٢ [١]وآذكُرْ خالِقَكَ في أَيَّامِ شَبابِكَ

قَبلَ أَن تأتيَ أَيَّامُ السُّوءِ
وتَرِدَ السِّنونَ الَّتي فيها تَقول: «لَيسَ لي فيها لَذَّة»
[٢]قَبلَ أَن تُظلِمَ الشَّمسُ والنُّورُ والقَمَرُ والكَواكِب
وتَعودَ الغُيومُ بَعدَ المَطَر
[٣]يَومَ يَرتَعِشُ حُرَّاسُ البَيت ويَنحَني رِجالُ البَأس
وتَكُفُّ اللَّواتي على المِطحَنَةِ لِقِلَّتِهِنَّ
ويُخَيِّمُ الظَّلامُ على النَّاظِراتِ مِنَ النَّوافِذ
[٤]ويُغلَقُ البابُ على الشَّارِعِ ويَنخَفِضُ صَوتُ المِطحَنَة
ويَقومُ الإنسانُ عِندَ صَوتِ العُصْفور وتَسكُتُ جَميعُ بَناتِ الأَغاني
[٥]ويَفزَعُ الإنسانُ مِنَ الصُّعود ويَتَخَوَّفُ في الطَّريق
واللَّوزُ مُزهِرٌ والجَرادُ مُثقَلٌ ويَتفَهُ الأَصَف
لِأَنَّ الإنسانَ يَنطَلِقُ إِلى دارِ أَبَدِيَّتِه ويَدورُ النَّادِبونَ في الشَّارِع
[٦]قَبلَ أَن يَنقَطِعَ حَبلُ الفِضَّة ويَنكَسِرَ كوبُ الذَّهَب
وتَتَحَطَّمَ الجَرَّةُ عِندَ العَينِ وتَنقَصِفَ البَكَرَةُ على البِئْر
[٧]فيَعودَ التُّرابُ إِلى الأَرضِ حَيثُ كان
ويَعودَ النَّفَسُ إِلى اللهِ الَّذي وَهَبَه.
[٨]باطِلُ الأَباطيل، يَقولُ الجامِعة. كُلُّ شَيءٍ باطِل.

قراء لبني جيلنا

من الواضح ان المسيحي لا يسعه ان يتمسّك بحرفية هذه الأقوال التي تنمّ عن تشاؤم يتجاوز الحدّ، لكن إيمانه يساعده على اكتشاف وجهَين مفيدَين في نزعة هذا

العمل المخيِّب . أجل ، ان الحياة باطلة ، وإن الغنى واللذة وحتى العمل لا ثبات لها ، فإن الموت يفصلنا عن كل ذلك ، وإن التعلّق المفرط لا يجلب إلاّ الألم والمتاعب . ومن جهة أخرى ، نرى عادةً في كل حياة ، حتى عند الذي يتألّم ، بعض لحظات سعادة . وان كان طابع الحياة «البرجوازي» علامة خمول ، فإن تقبُّل شرارة الفرح ، لا بل تقبُّل سنوات هناء ، بعرفان جميل (ما أكثر الذين هم أشقى مني !) ، هي الموقف العادي الذي يجب أن يكون موقف المؤمن .

سِفر يشوع بن سيراخ

يرقى هذا السفر الى حوالى السنة ١٩٠ ق . م . كتبه يشوع بن سيراخ باللغة العبرية ، لكنه فُقد بعد ذلك ، وفي أيّامنا عُثر على ثُلثَيه . وحفظت الكنيسة الترجمة اليونانية التي قام بها حفيده بعد نحو ستين سنة .

تأثّر سِفر ابن سيراخ بأوضاع زمانه ، كما تأثّر سِفر الجامعة . لمّا انتزع السلوقيون فلسطين من أيدي اللاجيّين (معركة بانيون : ٢٠٠) ، شعر اليهود بأن يداً من حديد ستثقّل على أكتافهم ، ولن تمضي ثلاثون سنة قبل أن يشنّ ابيفانيوس انطيوخس الاضطهاد عليهم . وأخذت الحضارة الهلّنستية تستهوي الكثيرين ، فوقع بعضهم في حبالها وهم يتساءلون : أليست حكمة اليونانيين أوفر سعادة من حكمة شعب إسرائيل ؟ أوليسوا في الطليعة ، في حين ان اليهود يتخلّفون برفضهم دخول تيّار التاريخ ؟

كان لكاتب هذا السِفر هدفان : الأول تعليمي وهو البرهان على ان الحكمة مِلك اليهود وحدهم ، والثاني عملي وهو الدلالة على ان مثال اليهود الاعلى لا يولّد الحزن ، بل المَرَح . فالكاتب هو الانسان المثقّف في ذلك الدين اليهودي الذي عرفه القرن الثاني ، وهو يحب تناول المآكل الفاخرة والاستماع الى الموسيقى الجميلة .

خلافاً لما رأيناه في الأعمال السابقة (أيوب والجامعة) ، لا يتطرّق الكاتب هنا إلى معالجة معنى الحياة ، بل إلى الحكمة مباشرة . وهو ينظر إليها تارة في مصدرها ، أي الله نفسه ، وتارة يُظهرها بمظهر مشورات تستهدف الحياة اليومية ، من علاقة الوالدين مع أولادهم ، والصلة بالنساء والأغنياء والاصدقاء ، وتارة يطابق بينها وبين الشريعة التي أعطاها الله لإسرائيل . ولذلك يتوسّع ابن سيراخ في دعوة معلّمي الشريعة ويُعجب

بها ، ولا شك أنه كان واحداً منهم . وينتهي الكتاب بظهور حكمة الله في إسرائيل ، فإن الله لم يبخل على شعب إسرائيل ، طوال تاريخه ، بأناس لامعين .

ان هذه النظرة اللاهوتية ، التي لا ترى حكمة إلاَّ في إسرائيل ، والتي تطابق بينها وبين كلمة الله كما تجلَّت في الشريعة ، قد تبدو لنا نظرة قصيرة المدى ، لكنها تمهّد لنظرة القديس يوحنا اللاهوتية في الكلمة ، حكمة الله .

لا يتطرّق ابن سيراخ مباشرة الى موضوع مصير الانسان والمكافأة ، لكن ما ورد في كتابه يفترض أنه اتَّخذ موقفاً معيّناً من هذا الموضوع ، وهو ان المكافأة والخلاص ، سواء أتناولا الشعب اليهودي أم الفرد ، لا يتجاوزان الحياة في هذه الدنيا . وكان لا بدّ من شنّ الاضطهاد في زمن المكابيّين لكي تُثار المشكلة على وجه عميق . ومن هذه الناحية ، يرجع ابن سيراخ إلى الوراء ويتقرّب بالأحرى من سفر الأمثال .

ليس في الكتاب أيّ تصميم . فنكتفي باتّباع ترتيب الفصول وعرضِ النصوص التي تُظهر ما في الكتاب من أفكار جوهرية .

١ . الكتاب المقدّس اليهودي وترجمة ابن سيراخ

[١] لَقَد تَلَقَّينا مِنَ الشَّريعَةِ والأَنْبياءِ ومَن خَلفَهم[(١)] كَثيراً مِنَ الأُمورِ الجَليلَةِ الحَرِيَّةِ بأَن يُثْنى لِأَجلِها على إِسْرائيلَ بأَدَبِه وحِكمَتِه . ومِنَ الواجِبِ على أَربابِ المُطالَعةِ أَن لا يَقتَصِروا على ٱكتِسابِ المَعرِفَة ، [٥] بل أَن يَستَطيعَ أَصدِقاءُ المَعرِفَةِ أَن يُفيدوا أَيضاً الَّذينَ في الخارِجِ بِالكَلامِ والقَلَم . ذلِكَ ما حَمَلَ جَدِّي يَشوع ، بَعدَ أَنِ ٱنقَطَعَ طَويلاً إِلى قِراءَةِ الشَّريعةِ والأَنْبياءِ [١٠] وسائِرِ أَسفارِ آبائِنا وتَضَلَّعَ مِنها كما يَنْبَغي ، على أَن يُدَوِّنَ هو أَيضاً شَيئاً مِمَّا يَختَصُّ بِالأَدَبِ والحِكمَة ، حتَّى إِذا ما خَضَعَ الرَّاغِبونَ في التَعَلُّمِ أَيضاً لِهذه العُلوم ، ٱزْدادوا تَقَدُّماً في السَّيرِ بِحَسَبِ الشَّريعة .

[١٥] ولِذلك فأَنتُم مَدعُوُّونَ إِلى أَن تُطالِعوها بِرَغبَةٍ وٱنتِباه وأَن تَتَسامَحوا

(١) هي أقسام الكتاب المقدّس العبري الثلاثة . وهذا ما يدلّ على ان الكتاب المقدّس كان وحدة قائمة في مجمله منذ القرن الثالث ق . م .

فيما قد يَبْدو [٢٠] أَنَّنا لم نَقْدِرْ، مع ما بَذَلْنا مِنَ الجَهْد، على التَّعْبيرِ عن بَعضِ أَلْفاظِه، لِأَنَّ ما يُعَبَّر عنه بالأَلْفاظِ العِبرِيَّةِ لَيسَ له ما يُعادِلُه إِذا نُقِلَ إِلى لُغَةٍ أُخرى، ولا يَقتَصِرُ الأَمرُ على ما نَقَلْناه، بل هُناكَ فَرقٌ غَيرُ قَليلٍ بَينَ الشَّريعَةِ والنُّبُوَّاتِ [٢٥] وسائِرِ الأَسْفارِ وبَينَ نَصِّها الأَصْليّ.

وكُنتُ، حينَ قَدِمتُ مِصرَ في السَّنَةِ الثَّامِنَةِ والثَّلاثينَ في عَهْدِ أَوَرجَتيس(٢) وأَقَمتُ بها، وَجَدتُ فيها مُستَوًى رَفيعاً مِنَ الثَّقافة، [٣٠] فأَوجَبتُ على نَفْسي أَن أَصرِفَ أَنا أَيضاً شَيئاً مِنَ العِنايَةِ والجِدِّ إِلى تَرجَمَةِ هذا الكِتاب. [٣١] ووَقَفتُ لَها كَثيراً من السَّهَرِ والعِلمِ [٣٢] في تِلكَ المُدَّة، [٣٣] حَتَّى آتِيَ على هذا العَمَلِ بِتَمامِه وأَنشُرَ الكِتابَ [٣٤] لِأَجلِ المُغتَرِبينَ الَّذينَ يُريدونَ هم أَيضاً أَن يكونوا أَصدِقاءَ المَعرِفَة [٣٥] فيُصلِحوا أَخْلاقَهم ويَعيشوا بِحَسَبِ الشَّريعة.

٢. أصل الحكمة

١ [١] كُلُّ حِكمَةٍ فهِيَ مِنَ الرَّبِّ(٣) ولا تَزالُ معَه لِلأَبد.

[٢] مَنِ الَّذي يُحْصي رَملَ البَحرِ وقَطَراتِ المَطَرِ وأَيَّامَ الأَبَد؟

[٣] مَنِ الَّذي يَسبِرُ عُلُوَّ السَّماءِ واتِّساعَ الأَرضِ وعُمقَ الغَمْر؟

[٤] قَبلَ كُلِّ شَيءٍ خُلِقَتِ الحِكمة ومُنذُ الأَبَدِ العَقلُ الفَطِين.

[٦] لِمَن كُشِفَ أَصلُ الحِكمَةِ ومَنِ الَّذي يَعرِفُ حِيَلَها؟

[٨] واحِدٌ هو حَكيمٌ رَهيبٌ جِدًّا وهو الجالِسُ على عَرشِه

(٢) بطليمس السابع أَوَرجَتيس، أي في حوالى السنة ١٣٢.

(٣) ترجمة كلمة «يَهوَه».

[٩] الرَّبُّ هو الَّذي خَلَقَها ورآها وأَحْصاها وأَفاضَها على جَميعِ أَعْمالِه
[١٠] في كُلِّ بَشَرٍ على حَسَبِ عَطِيَّتِه ومَنَحها لِمُحِبِّيه.

٣. الثقة بالرب بالرغم من المحنة

٢ [١] يا بُنَيَّ، إِن أَقبَلتَ لِخِدمَةِ الرَّبِّ فأَعْدِدْ نَفْسَكَ لِلمِحنَة.
[٢] أَرشِدْ قَلبَكَ وآصبِرْ ولا تَكُنْ قَلِقاً في وَقتِ الشِّدَّة.
[٣] تَمَسَّكْ بِه ولا تَحِدْ لِكَي يَرتَفِعَ شَأنُكَ في أَواخِرِكَ.
[٤] مَهْما نابَكَ فاَقبَلْه وكُنْ صابِراً على تَقَلُّباتِ حالِكَ الوَضيع
[٥] فإِنَّ الذَّهَبَ يُمتَحَنُ في النَّار والمَرضِيِّينَ مِنَ النَّاسِ في أَتُّونِ الذُّلّ.
[٦] تَوَكَّلْ علَيه يَنصُرْكَ وقَوِّمْ سُبُلَكَ واَجعَلْ فيه رَجاءَكَ.
[٧] أَيُّها المُتَّقونَ لِلرَّبِّ آنتَظِروا رَحمَتَه ولا تَحيدوا لِئَلاَّ تَسقُطوا
[٨] أَيُّها المُتَّقونَ لِلرَّبِّ آمِنوا بِه فلا يَضيعَ أَجرُكُم.
[٩] أَيُّها المُتَّقونَ لِلرَّبِّ آرْجوا الخَيراتِ والفَرَحَ الأَبَدِيَّ والرَّحمَة.
[١٠] إِعتَبِروا الأَجْيالَ القَديمَةَ وآنظُروا:
هل تَوَكَّلَ أَحَدٌ على الرَّبِّ فخَزِيَ؟
أَو هل ثَبَتَ على مَخافَتِه فخُذِلَ؟ أَو هَل دَعاه فآزدَراه؟
[١١] فإِنَّ الرَّبَّ رَؤُوفٌ رَحيمٌ يَغفِرُ الخَطايا ويُخَلِّصُ في يَومِ الضِّيق.

٤. واجب الولد نحو أبيه

٣ [١] يا بَنِيَّ آسمَعوا لي أَنا أَبوكم وآعمَلوا هكذا لِكَي تَخلُصوا
[٢] فإِنَّ الرَّبَّ أَكرَمَ الأَبَ في أَولادِه وأَثبَتَ حَقَّ الأُمِّ على بَنيها.

[٣]مَن أَكرَمَ أَباه فإنَّه يُكَفِّرُ خَطاياه .
[٤]ومَن عَظَّمَ أُمَّه فهو كَمُدَّخِرِ الكُنوز .
[٥]مَن أَكرَمَ أَباه سُرَّ بِأَولادِه وفي يَومِ صَلاتِه يُستَجابُ لَه .
[٦]مَن عَظَّمَ أَباه طالَت أَيَّامُه ومَن أَطاعَ الرَّبَّ أَراحَ أُمَّه .
[١٢]يا بُنَيَّ ، أَعِنْ أَباكَ في شَيخوخَتِه ولا تُحزِنْه في حَياتِه .
[١٣]كُنْ مُسامِحاً وإِن فَقَدَ رُشدَه ولا تُهِنْه وأَنتَ في كُلِّ قُوَّتِكَ .
[١٤]فإِنَّ الإِحْسانَ إِلى الأَبِ لا يُنْسى ويُعَوَّضُ بِه عن خَطاياكَ .
[١٧]يا بُنَيَّ اَقْضِ أَعْمالَكَ بِالوَداعة فيُحِبَّكَ الإِنْسانُ المَرضِيُّ عنه .
[١٨]إِزْدَد تَواضُعاً ما اَزدَدتَ عَظَمَةً فتَنالَ حُظوَةً لَدى الرَّبّ .
[٢٠]لِأَنَّ قُدرَةَ الرَّبِّ عَظيمة والمُتَواضِعونَ يُمَجِّدونَه .
[٢١]لا تَطلُبْ ما يَتَعذَّرُ عَليكَ ولا تَنظُرْ في ما يَتَجاوَزُ قُدرَتَكَ .

واجب نحو الفقراء

[٣٠]الماءُ يُطفِئُ النَّارَ المُلتَهِبَة والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطايا .
[٣١]مَن يُقابِلُ بِالإِحْسانات يُفَكِّرُ في ما هو بَعدَ ذلك
وفي يَومِ سُقوطِه يَجِدُ سَنَداً .

٤ [١]يا بُنَيَّ لا تَحرِمِ الفَقيرَ ما يَعيشُ بِه ولا تُماطِلْ عَينَيِ المُعوِز .
[٢]لا تُحزِنِ النَّفسَ الجائِعَة ولا تُغظِ الرَّجُلَ في فاقَتِه .

٥. فرح الذي له الحكمة

[١١]الحِكمَةُ تُرَبِّي أَبناءَها(٤) وتَعتَني بِالَّذينَ يَطلُبونَها .

(٤) الحكمة مجسَّدة هنا .

[١٢] مَن أَحَبَّها أَحَبَّ الحياة والَّذينَ يَبتَكِرونَ إِلَيها يَمتَلِئونَ سُروراً .
[١٣] مَن مَلَكَها وَرِثَ المَجد وحَيثُما دَخَلَ بارَكَه الرَّبّ
[١٤] الَّذينَ يَعبُدونَها يَخدُمونَ القُدُّوس والَذينَ يُحِبُّونَها يُحِبُّهمُ الرَّبّ .
[١٥] مَن سَمِعَ لَها يَدينُ الأُمَم ومَنِ آنصَرَفَ إِلَيها يَسكُنُ آمِناً .
[١٦] إِنِ آتَّكَلَ علَيها يَرِثُها وذُرِّيَّته تَبقى على آمتِلاكِها .
[١٧] فإِنَّها في أَوَّلِ الأَمرِ تَسيرُ مَعه سَيراً مُعوَجًّا
فتَجلُبُ علَيه الخَوفَ والرُّعبَ وتُعَذِّبُه بِتأديبِها
إِلى أَن تَثِقَ بِه وتَمتَحِنَه بِأَحْكامِها .
[١٨] ثُمَّ تَعودُ إِلَيه رأساً وتَسُرُّه وتَكشِفُ لَه أَسْرارَها .
[١٩] وإِن ضَلَّ فهي تَخذُلُه وتُسلِمُه إِلى يَدَي زَلَّتِه .

٦. ضرورة التوبة

٥ [١] لا تَعتَمِدْ على أَمْوالِكَ ولا تَقُل : «إِنَّها تَكْفيني» .
[٢] تَتَبعْ هَواكَ وقُوَّتَكَ لِتَسيرَ في شَهَواتِ قَلبِكَ .
[٣] ولا تَقُلْ : «مَن الَّذي يَتَسَلَّطُ علَيَّ ؟» فإِنَّ الرَّبَّ يُعاقِبُكَ عِقاباً .
[٤] لا تَقُل : «قد خَطِئتُ ، فماذا جَرى لي ؟» فإِنَّ الرَّبَّ طَويلُ الأَناة .
[٥] لا تَكُنْ واثِقاً مِن نَيلِ الغُفْران حَتَّى تَزيدَ خَطيئَةً على خَطيئَة .
[٦] ولا تَقُلْ : «رَحمَتُه عَظيمةٌ فيَغفِرُ كَثرَةَ خَطايايَ»
فإِنَّ عِندَه الشَّفَقَةَ والغَضَب وسُخطُه يَحِلُّ على الخاطِئين .
[٧] لا تُؤَخِّرِ التَّوبَةَ إِلى الرَّبّ ولا تُؤَجِّلْ مِن يَومٍ إِلى يَوم .
فإِنَّ غَضَبَ الرَّبِّ يَنفَجِرُ بَغتَةً فتُستَأصَلُ في يَومِ العِقاب .

[٨]لا تَعتَمِدْ على أَمْوالِ الظُّلْم فإِنَّها لا تَنفَعُكَ شَيئاً في يَومِ الشِّدَّة .

ب) حِكَم متنوِّعة

١. الصداقة

[٥]الفَمُ العَذْبُ يُكَثِّرُ الأَصدِقاء واللِّسانُ اللَّطيفُ يُكَثِّرُ المُؤانَسات .
[٦]لِيَكُنِ المُسالِمونَ لَكَ كَثيرين والنَّاصِحونَ لَكَ مِنَ الأَلْفِ واحِداً .
[٧]إِذا اتَّخَذتَ صَديقاً فاتَّخِذْه بَعدَ الِامتِحان ولا تَثِقْ بِه سَريعاً
[٨]فهُناكَ الصَّديقُ في يَومِه والَّذي لا يَثبُتُ في يَومِ ضيقِكَ
[٩]وهُناكَ الصَّديقُ الَّذي يَنقَلِبُ إِلى عَدُوٍّ فيَكشِفُ مُخاصَمَتَكَ لِعارِكَ
[١٠]وهُناكَ الصَّديقُ الَّذي يُجالِسُكَ إِلى المائِدَة
والَّذي لا يَثبُتُ في يَوم ضيقِكَ .
[١١]في يُسرِكَ يَكونُ كأَنَّه أَنتَ بِنَفسِكَ ويُخاطِبُ خُدَّامَكَ بِحُرِّيَّة
[١٢]لكِنَّه إِذا آنحَطَطتَ يَنقَلِبُ علَيكَ ويَتَوارَى عن وَجهِكَ .
[١٣]تَباعَدْ عن أَعْدائِكَ وآحذَرْ مِن أَصدِقائِكَ .
[١٤]الصَّديقُ الأَمينُ مَلجَأٌ حَصين ومَن وَجَدَه وَجَدَ كَنْزاً .
[١٥]الصَّديقُ الأَمينُ لا يُعادِلُه شَيء وقيمَتُه لا يُقَدَّرُ لَها ثَمَن .
[١٦]الصَّديقُ الأَمينُ دَواءُ الحَياة والَّذينَ يَتَّقونَ الرَّبَّ يَجِدونَه .
[١٧]مَن يَتَّقِ الرَّبَّ يُحسِنْ تَوجيهَ صَداقَتِه
فكَما يَكونُ هو يَكونُ صاحِبُه .

٢. الأولاد

٧ [٢٣] هل لَكَ أَولاد؟ فأَدِّبْهم، ومِن حَداثَتِهم أَخضِعْ رِقابَهم

[٢٤] هل لَكَ بَنات؟ فاعتَنِ بأجسادِهِنَّ
ولا تُظهِرْ لَهنَّ وَجهًا بَشوشًا
[٢٥] زَوِّجْ بِنتَكَ تَكُنْ قد قُمتَ بِأمرٍ عَظيمٍ
وأَعطِها لِرَجُلٍ عاقل.

٣. النساء

٩ [١]لا تَغَرْ على المَرأَةِ الَّتي في حِضنِكَ ولا تُعَلِّمْها تَعْليماً يُسيءُ إِلَيكَ.
[٢]لا تُسَلِّمْ نَفسَكَ إِلى آمرَأَةٍ فتُسَلِّطَها على قُوَّتِك.
[٣]لا تَلْقَ المَرأَةَ البَغِيَّ لِئَلاَّ تَقَعَ في أَشْراكِها.
[٤]لا تُطِلِ المُقامَ مع المُغَنِّيَة لِئَلاَّ تُصْطادَ بِحِيَلِها.
[٥]لا تَتَفَرَّسْ في الفَتاة لِئَلاَّ تُعاقَبَ مَعَها.
[٨]إِصرِفْ نَظَرَكَ عنِ المَرأَةِ الجَميلة ولا تَتَفَرَّسْ في الحَسْناءِ الغَريبة.
فإِنَّ حُسنَ المَرأَةِ أَغْوى كَثيراً مِنَ النَّاس وبِه يَشتَعِلُ الحُبُّ كالنَّار.
[٩]لا تُجالِسِ المَرأَةَ المُزَوَّجةَ أَبَداً ولا تَكُنْ لَها مُنادِماً على الخَمْر
لِئَلاَّ تَميلَ نَفسُكَ إِلَيها وتَزِلَّ بِهَواكَ إِلى الهَلاك.

٤. الله والانسان

٥ [١٤]هو صَنَعَ الإِنْسانَ في البَدْء وتَرَكَه يَستَشيرُ نَفسَه(٥).
[١٥]فإِن شِئتَ حَفِظتَ الوَصايا وأَتَمَمتَ ما يُرْضيه بِأَمانة.
[١٦]وَضَعَ أَمامَكَ النَّارَ والماء فتَمُدُّ يَدَكَ إِلى ما شِئتَ

(٥) فقرة مفيدة في حرية الإنسان.

[١٧]الحَياةُ والمَوتُ أَمامَ النَّاس فما أَعجَبَهم يُعْطى لَهم.
[١٨]إِنَّ حِكمَةَ الرَّبِّ عَظيمة وهو قَوِيٌّ قَديرٌ يَرى كُلَّ شَيء.
[١٩]وعَيناه إِلى الَّذينَ يَتَّقونَه وهو يَعلَمُ كُلَّ أَعْمالِ الإِنْسان.
[٢٠]لم يُوصِ أَحداً أَن يَكونَ كافِراً ولا أَذِنَ لِأَحَدٍ أَن يَخطَأ.

١٧ [١]خَلَقَ الرَّبُّ الإِنسانَ مِنَ الأَرض وإِلَيها أَعادَه.
[٢]جَعَلَ لِلنَّاسِ أَيَّاماً مَعْدودةً ووَقتاً مُعَيَّناً
وأَولاهم سُلْطاناً على كُلِّ ما فيها.
[٣]وأَلبَسَهم قُوَّةً كالَّتي لَه وصَنَعَهم على صورَتِه.
[٤]وأَلْقى رُعبَ الإِنْسانِ على كُلِّ ذي جَسَد
لِكَي يَتَسَلَّطَ على الوُحوشِ والطُّيور(٦).
[٦]وأَعطاهم عَقلاً ولِساناً وعَينَينِ وأُذُنَينِ وقَلْباً لِلتَّفْكير.
[٧]ومَلأَهم مِنَ العِلمِ والفِطنَة وأَطلَعَهم على الخَيرِ والشَّرّ.
[٨]وجَعَلَ عَينَه على قُلوبِهم لِيُظهِرَ لَهم عَظَمَةَ أَعْمالِه.
[١٠]ويَحمَدونَ آسمَه القُدُّوس لِيُخبِروا بِعَظائِمِ أَعْمالِه.
[١١]وزادَهُمُ العِلمَ وأَورَثَهم شَريعةَ الحَياة.
[١٢]وعاهَدَهم عَهداً أَبَدِيًّا وأَراهم أَحْكامَه(٧).
[١٣]فرَأَت عُيونُهم عَظَمَةَ مَجدِه وسَمِعَت آذانُهم مَجْدَ صَوتِه.
[١٤]وقالَ لَهم: «إِحتَرِسوا مِن كُلِّ ظُلْم»

(٦) نجد هنا نظرة تك ١، لا بل مز ٨.
(٧) شريعة سيناء.

وأَوصاهم كُلَّ واحِدٍ في حَقِّ قَريبِه .
[١٥] طُرُقُهم أَمامَه في كُلِّ حينٍ فهي لا تَخفى عن عَينَيه .
[٢٤] لٰكِنَّه يَجعَلُ لِلتَّائِبينَ مَرجِعاً ويُعَزِّي فاقِدي الصَّبْر .
[٢٥] تُبْ إِلى الرَّبِّ وأَقْلِعْ عنِ الخَطايا
تَضَرَّعْ أَمامَ وَجهِه وأَقلِلْ مِنَ العَثَرات .
[٢٦] إِرجِعْ إِلى العَلِيِّ وأَعرِضْ عنِ الظُّلْم وأَبغَضِ القَبيحةَ أَشَدَّ بُغْض .
[٢٧] فمَنِ الَّذي يُسَبِّحُ العَلِيَّ في مَثْوى الأَمْوات إِن لم يَحمَدْه الأَحْياء ؟
[٢٨] لا حَمدَ عِندَ المَيتِ الَّذي لا وُجودَ لَه
فلا يَحمَدُ الرَّبَّ إِلاَّ الحَيُّ المُعافى .
[٢٩] ما أَعظَمَ رَحمَةَ الرَّبِّ وعَفوَه لِلَّذينَ يَتوبونَ إِلَيه !

٥. عمل الحكمة في العالم

٢٤ [١] الحِكمَةُ تَمدَحُ نَفْسَها وتَفتَخِرُ بَينَ شَعبِها .
[٢] تَفتَحُ فَمَها في جَماعَةِ العَلِيِّ وتَفتَخِرُ أَمامَ قُدرَتِه .
[٣] «إِنِّي خَرَجتُ مِن فَمِ العَلِيِّ وكالبُخارِ غَطَّيتُ الأَرْض[٨] .
[٤] ونَصَبتُ خَيمَتي في العُلى وكانَ عَرْشي في عَمودِ الغَمام[٩] .
[٥] أَنا وَحْدي جُلتُ في دائِرَةِ السَّماء وتَمَشَّيتُ في عُمْقِ الغِمار
[٦] وعلى أَمْواجِ البَحرِ والأَرضِ كُلِّها
وعلى كُلِّ شَعْبٍ وكُلِّ أُمَّةٍ تَسَلَّطتُ .

(٨) تُمثِّل الحكمة بروح الله (تك ١ /٢) .
(٩) في أثناء الخروج من مصر ، كان الغمام يرمز الى حضور الله في وسط شعبه .

[٧]في هذِه كُلِّها ٱلتَمَستُ الرَّاحة وفي أَيِّ ميراثٍ أَحِلُّ.
[٨]حينَئِذٍ أَوصاني خالِقُ الجَميع والَّذي خَلَقَني أَقَرَّ خَيمَتي
وقال: «أُنصُبي خَيمَتَكِ في يَعْقوب ورِثي في إِسْرائيل»[١٠].
[٩]قَبلَ الدُّهورِ ومُنذُ البَدءِ خَلَقَني وإِلى الدُّهورِ لا أَزول.
[١٠]في المَسكِنِ المُقَدَّسِ أَمامَه خَدَمتُ[١١]
وهكذا في صِهْيونَ ٱستَقرَرتُ
[١١]وجَعَلَ لي مَقَرًّا في المَدينَةِ المَحْبوبة وسَلطَنَتي هي في أُورَشَليم.
[١٢]فتأَصَّلتُ في شَعبٍ مَجيدٍ وفي نَصيبِ الرَّبّ، نَصيبِ ميراثِه.
[١٣]كالأَرْزِ في لُبْنانَ ٱرتَفَعتُ وكالسَّرْوِ في جِبالِ حَرْمون.
[١٤]كالنَّخْلِ في عَينَ جَدْيَ ٱرتَفَعتُ وكغِراسِ الوَرْدِ في أَريحا
كالزَّيتونِ النَّضيرِ في السَّهْلِ وكالدُّلْبِ ٱرتَفَعتُ.
[١٥]كالدَّارَصينِيِّ والقُنْدولِ العَطِرِ فاحَ عِطْري
وكالمُرِّ المُنْتَقى ٱنتَشَرَت رائِحَتي
كالقِنَّةِ والجَزْعِ والمَيعَةِ ومِثْلَ بُخارِ اللُّبانِ في الخَيمَة.
[١٦]إِنِّي مَدَدتُ أَغْصاني كالبُطمَة وأَغْصاني أَغْصانُ مَجدٍ ونِعمَة.
[١٧]أَنا كالكَرمَةِ أَنبَتُّ النِّعمَة وأَزْهاري ثِمارُ مَجدٍ وغِنًى.
[١٩]تعالوا إِلَيَّ أَيُّها الرَّاغِبونَ فِيَّ وٱشبَعوا مِن ثِماري.
[٢٠]فإِنَّ ذِكْري أَحْلى مِنَ العَسَل وميراثي أَلَذُّ مِن شَهْدِ العَسَل.
[٢١]أَلَّذينَ يأكُلونَني لا يَزالونَ يَجوعون

(١٠) حكمة الله ملك اسرائيل الخاص.
(١١) العبادة تجلٍّ من تجلّيات الحكمة الإلهية.

والَّذينَ يَشرَبونَني لا يَزالونَ يَعطَشون.
[٢٢]مَن سَمِعَ لي فلا يُخزَى ومَن عَمِلَ بِإرْشادي فلا يَخطَأ.

٦. الكلام يكشف عن الطَّبع

٢٧ [٤]عِندَ هَزِّ الغِربالِ تَبقى الأَقْذار، كذلك عُيوبُ الإنْسانِ في كَلامِه.
[٥]آنِيَةُ الخَزَّافِ تُختَبَرُ بِالأَتُّون والإنْسانُ يُختَبَرُ بِحَديثِه.
[٦]الحَقلُ المَزْروعَةُ فيه الشَّجَرَةُ يَظهَرُ مِن ثَمَرِها
كذلك مَشاعِرُ قَلبِ الإنسانِ تَظهَرُ مِن كَلامِه.
[٧]لا تَمدَحْ رَجُلاً قَبلَ أَن يَتَكَلَّم، فإِنَّه بِهٰذا يُمتَحَنُ النَّاس.

٧. تربية الأولاد

٣٠ [١]مَن أَحَبَّ ٱبنَه أَكثَرَ مِن ضَربِه لِكَي يُسَرَّ بِه في آخِرِ الأَمْر.
[٢]مَن أَدَّبَ ٱبنَه يَجْني ٱرتِياحاً ويَفتَخِرُ بِه بَينَ مَعارِفِه.
[٣]مَن عَلَّمَ ٱبنَه يُثيرُ غَيرَةَ عَدُوِّه ويَبتَهِجُ بِه أَمامَ أَصْدِقائِه.
[٤]إِذا تُوُفِّيَ أَبوه فكأَنَّه لم يَمُتْ لِأَنَّه خَلَّفَ مَن هو نَظيرُه.
[٧]مَن دَلَّلَ ٱبنَه فسيَضمِدُ جِراحَه وعِندَ كُلِّ صُراخٍ تَضطَرِبُ أَحْشاؤُه.
[٨]الفَرَسُ الَّذي لم يُرَوَّضْ يَصيرُ جَموحاً
والاَبنُ الَّذي لم يُضبَطْ يَصيرُ وَقِحاً.
[٩]إِن دَلَّلتَ ٱبنَكَ رَوَّعَكَ وإِن لاعَبتَه أَحزَنَك.
[١٠]لا تُضاحِكْه لِئَلاَّ تَغتَمَّ معَه وفي آخِرَتِكَ يأخُذُكَ صَريفُ الأَسْنان
[١١]ولا تَترُكْ لَه حُرِّيَّةً في شَبابِه.

[١٢]أرضُضْ أَضْلاعَه ما دامَ صَغيراً لِئَلاَّ يَتَصَلَّبَ فيَعصِيَكَ.
[١٣]أَدِّبِ ٱبنَكَ وٱجتَهِدْ في تَهْذيبِه لِئَلاَّ تُعانِيَ قِلَّةَ حَيائِه.

٨. العدل الالهي

٣٥ [١]مَن حَفِظَ الشَّريعةَ فقَد أَكثَرَ مِنَ التَّقادِم
ومَن تَمَسَّكَ بِالوَصايا فقَد ذَبَحَ ذَبيحةً سَلامِيَّة.
[٢]مَن وَفى بِالشُّكرِ فقَد قَدَّمَ السَّميذ
ومَن تَصَدَّقَ فقَد ذَبَحَ ذَبيحةَ الحَمْد.
[٣]مَرْضاةُ الرَّبِّ ٱلإِقْلاعُ عنِ الشَّرّ والإِقْلاعُ عنِ الإِثْمِ ذَبيحةُ تَكْفير.
[١٢]فإِنَّ الرَّبَّ دَيَّان ولا يَلتَفِتُ إِلى كَرامةِ الوُجوه.
[١٣]لا يُحابي الوُجوهَ على حِسابِ الفَقير
بل يَستَجيبُ صَلاةَ المَظْلوم.
[١٤]لا يُهمِلُ تَضَرُّعَ اليَتيمِ ولا تَضَرُّعَ الأَرمَلَةِ إِذا سَكَبَت شَكْواها.
[١٦]مَن قامَ بِخِدمَةِ الرَّبِّ بِحَسَبِ مَرْضاتِه يُقبَلْ
ودُعاؤُه يَبلُغُ إِلى الغُيوم.
[١٧]صَلاةُ المُتَواضِعِ تَنفُذُ الغُيوم ولا يَتَعَزَّى حَتَّى تَصِل.
[١٨]ولا يَكُفُّ حَتَّى يَفتَقِدَه العَلِيّ ويُنصِفَ الأَبْرارَ ويُجرِيَ القَضاء.
[١٩]فالرَّبُّ لا يُبطِئُ ولا يُطيلُ أَناتَه علَيهم.

٩. دُعاء لإسرائيل

٣٦ [١]إِرحَمْنا، أَيُّها الرَّبُّ إِلهُ الجَميع

وآنظُرْ وأَلْقِ رُعبَكَ على جميع الأُمَم.
[٢]إرفَعْ يَدَكَ على الأُمَمِ الغَريبة ولْتَرَ عِزَّتَكَ.
[٣]كما قد ظَهَرَت فينا قَداسَتُكَ أَمامَهم
هكذا فلْتَظهَرْ عَظَمَتُكَ فيهم أَمامَنا.
[٤]ولْيَعرِفوكَ كما عَرَفْنا نَحنُ أَن لا إِله إِلاَّ أَنتَ يا رَبّ.
[٥]جَدِّدِ الآياتِ وأَجْرِ عَجائِبَ أُخْرى ومَجِّدْ يَدَكَ وذِراعَكَ اليُمْنى.
[١٠]إِجمَعْ كُلَّ أَسْباطِ يَعْقوب وآردُدْ لَها ميراثَها كما في البَدْءِ[(١٢)].
[١١]أَيُّها الرَّبُّ آرحَم الشَّعب الَّذي دُعِيَ بِآسمِكَ
وإِسرائيلَ الَّذي أَنزَلتَه مَنزِلَةَ بِكرِكَ.
[١٢]أَشفِقْ على مَدينَةِ قُدسِكَ أُورَشَليم، مَدينَةِ راحَتِكَ.
[١٣]إِمْلأْ صِهْيونَ من رِوايَةِ مآثِرِكَ ومَقدِسَكَ مِن مَجدِكَ.
[١٤]إِشْهَدْ لِلَّذينَ هُم خَلقُكَ في البَدْءِ وأَتِمَّ النُّبوءاتِ الَّتي بِآسمِكَ
[١٥]أَعطِ الَّذينَ يَنتَظِرونَكَ الثَّواب ولْيَتَبَيَّنْ صِدْقُ أَنبِيائِكَ.
[١٦]إِستَجِبْ أَيُّها الرَّبُّ صَلاةَ عَبيدِكَ
بِحَسَبِ بَرَكَةِ هارونَ على شَعبِكَ.
[١٧]ولْيَعلَمْ جَميعُ سُكَّانِ الأَرْضِ أَنَّكَ أَنتَ الرَّبُّ إِلهُ الدُّهور.

١٠. مجد الله في الطبيعة المادية

٤٢ [١٥]سأُذَكِّرُ الآنَ بِأَعْمالِ الرَّبّ وأُخبِرُ بِما رَأَيتُ
بأَقْوالِ الرَّبِّ كانَت أَعْمالُه والخَليقَةُ تُطيعُ مَشيئَتَه.

(١٢) لمّ شَمْل جميع الأسباط المشتّتة الى جماعة واحدة يميّز رجاء اليهودية.

١٦الشَّمسُ المُنيرَةُ تَنظُرُ إلى كُلِّ شَيء وعَمَلُ الرَّبِّ مَملوءٌ مِن مَجدِه.
١٧لم يُؤتَ قِدّيسو الرَّبِّ(١٣) أن يُخبِروا بِجَميعِ عجائِبِه
الَّتي أثبَتَها الرَّبُّ القَدير لِكَي يَثبُتَ كُلُّ شَيءٍ في مَجدِه.
١٨إنَّه سَبَرَ الغَمرَ والقَلْب ونَفَذَ إلى مَقاصِدِها
لِأَنَّ العَلِيَّ يَعلَمُ كُلَّ عِلْم ونَظَرُه على عَلاماتِ الأَزمِنَة(١٤).
١٩يُخبِرُ بِالماضي والمُستَقبَل ويَكشِفُ عن آثارِ الخَفايا.
٢٠لا يَفوتُه فِكرٌ ولا يَخْفى علَيه كَلام.
٢١رَتَّبَ عَظائِمَ حِكمَتِه وهو الكائِنُ مُنذُ الأَزَلِ وإِلى الأَبَد
ولم يُضَفْ إِلَيهِ شَيءٌ ولم يُحذَفْ منه شَيء
ولا يَحتاجُ إِلى مَشورَةِ أَحَد.
٢ما أَشْهى جَميعَ أَعْمالِه وهي مِثلُ شَرارةٍ يشاهِدُها الإِنْسان.
٢٣كُلُّ هذه تَحيا وتَبْقى لِلأَبَدِ لِكُلِّ حاجَة وتُطيعُ جَميعاً.
٢٤كُلُّ الأَشْياءِ جُعِلَتِ اثنَينِ اثنَينِ كُلُّ واحِدٍ بِإِزاءِ الآخَر
ولم يَصنَعْ شَيئاً ناقِصاً.
٢٥بَلِ الواحِدُ يُبرِزُ مَزايا الآخَر
فمَنِ الَّذي يَشبَعُ مِن رُؤيَةِ مَجدِه؟

(١٣) الملائكة.
(١٤) الكواكب.

١١. مجد الله في تاريخ شعب إسرائيل

٤٤ [١]لِنَمدَحِ الرِّجالَ المَشْهورينَ وآباءَنا بِحَسَبِ أَجْيالِهم .
[٩]ومِنهم مَن لم يَبقَ لَهم ذِكرٌ وقد هلَكوا كأَنَّهم لم يَكونوا قَطّ
وصاروا كأَنَّهم لم يَكونوا هُم وبَنوهم بَعدَهم .
[١٠]وهُناكَ رِجالُ رَحمَةٍ وأَعمالُ بِرِّهم لم تُنْسَ .
[١١]الميراثُ الصَّالِحُ يَدومُ مع ذُرِّيَّتِهم وهو أَولادُهم .
[١٢]ذُرِّيَّتُهم تَبْقى أَمينةً لِلعُهود وأَولادُهم كذلك بِفَضلِهم .
[١٣]لِلأَبَدِ تَدومُ ذُرِّيَّتُهم ولا يُمحى مَجدُهم .

٤٧ [٢]كما يُفصَلُ الشَّحمُ مِنَ الذَّبيحَةِ السَّلامِيَّة
هكذا أُفرِدَ داوُدُ مِن بَينِ بَني إِسْرائيل .
[٣]لاعَبَ الأُسودَ مُلاعَبتَه الجِداء والأَدْبابَ كأَنَّها حُمْلانُ الضَّأْن .
[٤]أَلَم يَقتُلِ الجَبَّارَ وهو شابٌ ولم يَرفَعِ العارَ عن شَعبِه
حينَ رَفَعَ يَدَه بِحَجَرِ المِقْلاع وخَفَضَ صَلَفَ جُلْيات ؟
[٥]لِأَنَّه دَعا الرَّبَّ العَلِيَّ فأَعْطى يَمينَه قُوَّةً
لِيَقتُلَ رَجُلاً شَديدَ القِتال ويُعلِيَ شأنَ شَعبِه .
[٦]فأَعطَوه مَجدَ قاتِلِ رِبْوات
ومَدَحوه بِبَرَكاتِ الرَّبِّ مُقَدِّمينَ لَه تاجَ المَجْد .
[٧]فإِنَّه حَطَّمَ الأَعْداءَ مِن كُلِّ جِهَة
وأَفْنى الفَلِسطينِيِّينَ المُقاوِمينَ لَه وحَطَّمَ قُوَّتَهم إِلى يَومِنا هذا .

٨في جَميعِ أَعْمالِه حَمَدَ القُدُّوسَ العَلِيَّ بِكَلامِ مَجْد[١٥].
وبِكُلِّ قَلبِه أَنشَدَ وأَحَبَّ الَّذي صَنَعَه.
٩أَقامَ المُرَتِّلينَ أَمامَ المَذبَح لِيُرسِلوا أَلْحانَهمُ العَذْبة.
١٠جَعَلَ لِلأَعْيادِ رَوْنَقاً ولِلحَفَلاتِ بَهاءً تامًّا لِيُسَبَّحَ آسمُ الرَّبِّ القُدُّوس
ويُدَوِّيَ المَقدِسُ مُنذُ الصَّباح.
١١الرَّبُّ غَفَرَ خَطاياه وأَعْلى شأنَه لِلأَبَد
وأَعْطاه عَهداً مَلَكِيًّا وعَرشَ مَجدٍ في إِسْرائيل.

٤٨ ١وقامَ إِيلِيَّا النَّبِيُّ كالنَّار وتَوَقَّدَ كَلامُه كالمِشعَل.
٢وهو الَّذي جَلَبَ علَيهِمِ الجوع وبِغَيرَتِه جَعَلَهم نَفَراً قَليلاً.
٣بِكَلامِ الرَّبِّ أَغلَقَ السَّماء وأَنزَلَ ناراً ثلاثَ مَرَّات
٤ما أَعظَمَ مَجدَكَ يا إِيلِيَّا بِعَجائِبِكَ! ومَن لَه فَخرٌ كفَخرِكَ؟
٥أَنتَ الَّذي أَقَمتَ مَيتاً مِنَ المَوت ومِنْ مَثْوى الأَمْواتِ بِكَلامِ العَلِيّ
٦وأَهبَطتَ المُلوكَ إِلى الهَلاك والعُظَماءَ مِن أَسِرَّتِهم
٧وسَمِعتَ في سيناءَ عِتاباً وفي حوريبَ أَحكامَ آنتِقام
٨ومَسَحتَ مُلوكاً لِلمُجازاة وأَنبِياءَ خُلَفاءَ لَكَ[١٦]
٩وخُطِفتَ في عاصِفَةٍ مِن نار في مَركَبَةِ خَيلٍ نارِيَّة
١٠وآكتُتِبتَ في إِنْذاراتٍ لِلأَيَّامِ الآتِيَة لِتُسَكِّنَ الغَضَبَ قَبلَ آنفِجارِه

(١٥) المزامير.
(١٦) ردَّ ايليّا الحياة الى ابن أرملة صَرفَت (١ مل ١٧/١٧)، وسمع الله يوبّخه على خوفه (١ مل ١٩/٩)، ودهن بالزيت الملكَين حزائيل وياهو، وعيَّن أليشاع خليفةً له (١ مل ١٩/ ١٥).

وتَرُدَّ قَلبَ الأَبِ إِلى الآبن وتُصلِحَ أَسْباطَ يَعْقوب .
١١طوبى لِمَن عايَنَكَ ولِمَن رَقَدَ في المَحَبَّة فإِنَّنا نَحنُ أَيضاً نَحْيا حَياةً .
١٢لَمَّا تَوارى إِيلِيَّا في العاصِفَة اِمتَلأَ أَليشاعُ مِن روحِه
وفي أَيَّامِه لم يُزَعزِعْه ذو سُلْطان ولم يَستَولِ علَيه أَحَد .
١٣لم يَفُقْه أمرٌ وحَتَّى في رُقادِ المَوتِ جَسَدُه تَنَبَّأ .
١٤صَنَعَ في حَياتِه الخَوارِق وفي مَوتِه كانَت أَعمالُه عَجيبة[١٧] .
١٥ومع هذه كُلِّها لم يَتُبِ الشَّعْبُ ولم يُقلِعوا عنِ خَطاياهم
إِلى أَن طُرِدوا مِن أَرضِهم وتَشَتَّتوا في الأَرضِ كُلِّها .

١٢. صلاة شكر

٥١ ١سأَحمَدُكَ أَيُّها الرَّبُّ المَلِك
وأُسَبِّحُكَ أَنتَ اللهَ مُخَلِّصي ، وأَحمَدُ آسمَكَ
١٣في شَبابي وقَبْلَ تَجْوالي التَمَستُ الحِكمَةَ عَلانِيَةً في صَلاتي .
١٤أَمامَ الهَيكَلِ طَلَبتُها وإِلى آخِرِ حَياتي أَسْعى وَراءَها .
١٥بِزَهرِها كَبِعِنَبٍ يَنضَجُ آبتَهَجَ قَلْبي
ودَرَجَت قَدَمي في الطَّريقِ المُستَقيم
ومُنذُ شَبابي جَدَدتُ في إِثرِها .
١٦أَمَلتُ أُذُني قَليلاً فتَلَقَّيتُها ووَجَدتُ لِنَفْسي تأديباً كَثيراً .
١٧وتَقَدَّمتُ بِفَضلِها والَّذي آتاني الحِكمَةَ أُوتيه تَمْجيداً .
١٨فإِنِّي عَزَمتُ أَن أَعمَلَ بِها وغُرتُ على الخَيرِ فلا أَخْزى .

(١٧) ٢ مل ١٣/٢٠.

[١٩]جاهَدَت نَفْسي لِأَجلِها ومارَستُ الشَّريعةَ بِدِقَّةٍ بالِغَة .
ومَدَدتُ يَدَيَّ إِلى العَلاء وبَكَيتُ على جَهالاتي .
[٢٠]وَجَّهتُ نَفْسي إِلَيها وبِالطَّهارَةِ وَجَدتُها .

سِفْرُ الحِكْمَة

هذا السِفر هو آخِر أسفار الحكمة، وهو آخر أسفار العهد القديم من حيث التاريخ. القديس هيرونيمس هو الذي أطلق عليه هذا الاسم. أمّا فيما سبق، فكان يسمّى، في الترجمة اليونانية السبعينية، «حكمة سليمان»، لكن هذه النسبة الى سليمان كانت من باب الخيال.

يدل هذا السفر على انفصال، ويعلن، من عدة نواحي، عن العهد الجديد. فنحن نبتعد عن الثقافة العبرية الخالصة لنقترب من الثقافة الهلّنستية. نحن في أواسط القرن الأول ق. م. في مدينة الاسكندرية. يكتب مؤلّف السِفر باليونانية، وهذا الأمر هو علامة الأزمنة. لكن الأفكار وحتى المفردات الفلسفية لا تخلو من الاقتباسات من الهلّنستية، ولا سيما من الرواقية. نلاحظ وجود الثنائية الأفلاطونية «نفس/جسد» التي حلّت محلّ الثلاثية الساميّة «جسد/نفس/روح»، والتي ستساعد على التعبير عن الخلود. وهناك أيضاً تأثير الثقافة الاسكندرية في المعارف الدنيوية التي يكشف عنه كاتبنا. وأكبر دليل على ذلك نجده في الاستشهادات الكتابية، فإن لغتها هي اليونانية (السبعينية). فهو يوجّه كتابه إلى بيئة تتكلّم اليونانية وعلى علم بالحياة الفكرية في المدينة المصرية الكبرى.

هل يعني ذلك انه لم يعد يهودياً؟ لا أبداً، فإنه لا يزال متمسّكاً بالايمان التقليدي. لكنه توصّل إلى الجمع بين الفكر اليهودي والفكر اليوناني. فمن خلال أُطر جديدة سيعبر الوحي.

وهذا الروح الجديد يُعلن عن المستقبل. فالعهد الجديد سيحرَّر باليونانية. وسنجد في رسائل القديس بولس محاولة ذلك الجمع بين الفكر اليهودي والفكر اليوناني.

وسيتغلَّب ردهاً من الزمن في الكنيسة القديمة دين يهودي مسيحي مبنيّ على الثقافة اليونانية. فسفر الحكمة هو في الحقيقة نقطة اتصال، يعلن عن الأزمنة الجديدة.

والتعليم الذي ينقله يوافق ما نقوله. فالسؤال هو هو: هل الحكمة الوثنية حقيقة جوهرية؟ وهل في إمكان الأديان الأسرارية والتنجيم، التي كانت مدعاة للفخر في القرن الأول ق. م.، ان تجيب على مشاكل الانسان؟ هذه هي المسألة التي تطرَّق إليها الجامعة وابن سيراخ، بإنجازات جديدة، في القرنَين السابقَين. ولكن لم يُعط أي جواب حاسم، أو بالأحرى لم يرتكز على أي برهان متين.

أَما بعد اليوم، فلم تبقَ الأمور كما كانت عليه. أجل، يصرّح كاتب سِفر الحكمة أنها من الله، وانها تتجلّى في خلق العالم وفي ماضي اسرائيل، وأنها عطية من الله للانسان، وانها تُنال بالصلاة، وانها تعطي الانسان الذي يتقبّلها المشاركة في الله نفسه، وأنها أخيراً توفّر للانسان جميع الخيرات المرغوبة، من فضيلة وكفاءة وغنى ومعرفة. لا يجوز القول بأن الكاتب يعدّ الحكمة أقنوماً إلهياً، إلاّ انه يشدّد على تجسيدها، حتى انها تمهّد للتعبير اللاهوتي عن الكلمة.

أَمَّا الجديد في هذا السِفر فهو هذا: «خلق الله الانسان للخلود... يعيش الأبرار للأبد». سبق لسِفر دانيال وللسفر الثاني من المكابيين ان تحدَّثا، قبل مئة سنة، عن «قيامة الجسد». لا يمكن إدخال هذه الفكرة في «مقولات» إنسان اسكندري. وهذه الاستحالة هي التي حملت الكاتب على الكلام عن خلود النفس، علماً بأن النفس ليست هنا مفهوماً فلسفياً محضاً يختلف عن فساد الجسد، بل عنصر وهي بصفتها مشاركة في أبدية الله السعيدة.

من اليوم فصاعداً، تجد مشكلة المكافأة حلّها النهائي، ذلك بأن هذه المكافأة لم تعد جماعية وأرضية، بل أصبحت شخصية وما وراء التاريخ. سيكون توازن المواقف ممكناً وسيجد الألم نفسه تعويضاً، وسيتمّ ما كان في صميم مطالب أصحاب المزامير، وهو أن الموت نفسه لا يستطيع أن يحطّم محبة المؤمن لإلهه.

في أمر خاص – مشكلة المكافأة – نرى الوحي يسير إلى الأمام. انه سير متردّد، لا يتمّ فيه التقدّم في خط تصاعدي دائم، بل يتكيّف فيه الله مع انعطافات أوضاع بشرية متقلّبة. منذ بضعة قرون، عرف المصريون واليونانيون الخلود، إمَّا كفكرة فلسفية، وإمَّا كحياة سعيدة في مملكة أوزيريس. لكن الساعة لم تأتِ. كان لا بدّ ان يصطدم الانسان بسرّ الألم والموت، وان السعادة النادرة التي يجدها في هذه الأرض لم تكن إلاّ باكورة، وان يرضى بأن يعطي الله الحلّ متى يشاء. بعد ذلك يأتي اليوم

الذي تُزيح فيه حكمة الله جانباً من الستار . فيكون عندئذ مجيء كلمة الله إلى هذا العالم قريباً جداً .

آ) الحكمة ازاء الأبرار والأشرار

ان الكافر ، الذي يرفض الحكمة ، يتّجه نحو الموت . أمَّا البار ، الذي يتقبّل الحكمة في قلبه ، فإنه يتّحد بالله ويشارك في أبديته السعيدة .

١. الحكمة صانعة حياة

لم يصنع الله الموت ، بل خلق كل شيء للحياة .

١ [١]أَحِبُّوا البِرَّ[(١)] يا أَيُّها الَّذينَ يَحكُمونَ الأَرض
وفَكِّروا في الرَّبِّ تَفْكيراً صالِحاً وٱلتَمِسوه[(٢)] بِصَفاءِ قُلوبِكم
[٢]لِأَنَّه يَكشِفُ نَفسَه لِلَّذينَ لا يُجَرِّبونَه ويَتَجَلَّى لِلَّذينَ لا يَكفُرونَ بِه .
[٣]فإِنَّ الأَفْكارَ المُعوَجَّةَ تُبعِدُ عنِ الله
والقُدرَةَ، إِذا امتُحِنَت ، تُخْزي الأَغْبِياء .
[٤]إِنَّ الحِكمَةَ لا تَدخُلُ النَّفْسَ السَّاعِيَةَ إِلى الشَّرّ
ولا تَسكُنُ الجَسَدَ المَدينَ لِلخَطيئَة
[٥]فإِنَّ الرُّوحَ القُدُسَ المُؤَدِّبَ يَهرُبُ مِنَ الخِداع
ويَبتَعِدُ عن الأَفكارِ الغَبِيَّة ويَنهَزِمُ إِذا حَضَرَ الإِثْم .
[٦]إِنَّ الحِكمَةَ روحٌ يُحِبُّ الإِنْسان
فلا يُهمِلُ مُعاقَبَةَ المُجَدِّفِ على أَقْوالِ فَمِه

(١) البِرّ = العمل بمشيئة الله .
(٢) راجع عا ٥/٤.

لِأَنَّ اللهَ شاهِدٌ لِكُليَتَيه ورَقيبٌ صادِقٌ لِقَلبه(٣) وسامِعٌ لِلِسانِه .
٧إِنَّ روحَ الرَّبِّ يَملأُ المَسْكونَة
والَّذي بِه يَتَماسَكُ كُلُّ شَيءٍ لَه عِلمٌ بِكُلِّ كَلِمَة(٤) .
٨فلِذلِكَ لا يَخْفى علَيه ناطِقٌ بِسوء ولا يَنْجو مِنَ العَدْلِ المُتَّهِم .

٢. حكمة الله وخلود الانسان

هذا هو الوحي العظيم في هذا الكتاب : رجاء الانسان يغمره الخلود . بعد المحنة ، تستريح نفوس الأبرار في السلام .

٢ ١فإِنَّهم فَكَّروا تَفْكيراً خاطِئاً
فقالَ بَعضُهم لِبَعْض : «قَصيرَةٌ حَزينَةٌ حَياتُنا
١٢لنَكمُنْ لِلبارّ فإِنَّه يُضايِقُنا
يُقاوِمُ أَعْمالَنا ويَلومُنا على مُخالَفاتِنا لِلشَّريعَة
ويَتَّهِمُنا بأَنَّنا نُسيءُ إِلى تَأديبِنا .
١٣يَزعُمُ أَنَّ عِندَه عِلمَ الله ويُسَمِّي نَفسَه ٱبنَ الرَّبّ .
١٤صارَ لَوماً على أَفكارِنا وحتَّى مَنظَرُه ثَقُلَ علَينا
١٥لِأَنَّ سيرَتَه لا تُشبِهُ سيرَةَ الآخَرين وسُبُلَه مُختَلِفَة(٥) .
١٦أَمسَينا في عَينَيه شَيئاً مُزَيَّفاً ويَتَجَنَّبُ طُرُقَنا تَجَنُّبَ النَّجاسات .
يُغَبِّطُ آخِرَةَ الأَبْرار ويَتَباهى بأَنَّ اللهَ أَبوه .
١٧فلْنَنظُرْ هل أَقوالُه صادِقة ولْنَختَبِرْ كيفَ تَكونُ عاقِبَتُه .

(٣) في ذلك الزمان ، كانوا يعدّون الكليتَين مركز المشاعر ، والقلب مركز الفكر .
(٤) راجع رسل ٢/٤.
(٥) في ذلك الزمان ، كان الوثني لا يفهم موقف اليهودي .

[١٨]فإن كانَ البارُّ آبنَ اللهِ فهو يَنصُره ويُنقِذُه مِن أَيدي مُقاوِميه .
[١٩]فلْنَمتَحِنْه بالشَّتْمِ والتَّعْذيب لِكَي نَعرِفَ حِلمَه ونَختَبِرَ صَبرَه .
[٢٠]ولْنَحكُمْ علَيه بِميتَةِ عار فإِنَّه سيُفتَقَدُ بِحَسَبِ أَقْوالِه»
[٢١]هكذا فَكَّروا ، ولكِنَّهم ضَلُّوا لِأَنَّ شَرَّهم أَعْماهم
[٢٢]فلم يَعرِفوا أَسْرارَ الله ولم يَرْجوا جَزاءً لِلتَّقْوى
ولم يُقَدِّروا تَكْريمَ النُّفوسِ الطَّاهِرَة .
[٢٣]فإِنَّ اللهَ خَلَقَ الإِنْسانَ لِعَدَمِ الفَساد وجَعَلَه صورةَ ذاتِه الإِلهِيَّة(٦)

٣ [١]أَمَّا نُفوسُ الأَبْرارِ فهي بِيَدِ الله فلا يَمَسُّها أَيُّ عَذاب .
[٢]في أَعيُنِ الأَغْبِياءِ يَبْدو أَنَّهم ماتوا وحُسِبَ ذَهابُهم مُصيبَةً
[٣]ورَحيلُهم عنَّا كارِثَةً لكِنَّهم في سَلام
[٤]وإِذا كانوا في عُيونِ النَّاسِ قد عوقِبوا
فرَجاؤُهم كانَ مَمْلوءًا خُلوداً(٧) .
[٥]وبَعدَ تأديبٍ يَسير سيَكونُ لَهم إِحْساناتٌ عَظيمة
لِأَنَّ اللهَ آمتَحَنَهم فوَجَدَهم أَهْلاً لَه .
[٦]كالذَّهَبِ في البوتَقَةِ مَحَّصَهم وكَذَبيحةِ قُرِّبَت مُحرَقَةً قَبِلَهم .
[٧]في وَقتِ آفتِقادِهم يَتَلأَلأُون وكالشَّرَرِ بَينَ القَشِّ يَركُضون
[٨]يَدينونَ الأُمَمَ ويَتَسَلَّطونَ على الشُّعوب ويَملِكُ الرَّبُّ علَيهم لِلأَبَد .

(٦) تك ١/٢٦.
(٧) يُستعمل هذا اللفظ هنا للمرة الاولى في العهد القديم، وهو على صلة بأنتروبولوجية أفلاطون اليونانية .

٩المُتَوَكِّلونَ علَيه سيُدرِكونَ الحَقَ والأُمَناءُ في المَحَبَّةِ سيُلازِمونَه
لِأَنَّ النِّعمةَ والرَّحمَةَ لِمُختاريه .

٥ ١٥أَمَّا الأَبْرارُ فسيَحيَونَ لِلأَبَد وعِندَ الرَّبِّ ثَوابُهم
ولَهم عِنايةٌ مِن لَدُنِ العَلِيّ .
١٦فلِذلكَ سيَنالونَ إِكْليلَ البَهاء وتاجَ الجَمالِ مِن يَدِ الرَّبّ
لِأَنَّه بِيَمينِه يَحْميهِم وبِذِراعِه يَستُرُهم .

ب) ما هي الحكمة

الحكمة عطية من الله ، وان كانت قريبة من الانسان . وهذه العطية متّحدة بالله وتشارك في روحه ، حتى ان المسيحي يرى فيها ، قبل الأوان ، الأقنوم الثالث في الثالوث الأقدس ، الذي سيكشف عنه المسيح بعد نحو مئة سنة .

١. صُنعت الحكمة من أجل الانسان

الحكمة تجلس على باب الذي يطلبها ، وهي خميرة كمال ووعد بالخلود .

٦ ١فاسمَعوا أَيُّها المُلوكُ وافهَموا ! وتَعَلَّموا يا قُضاةَ أَقاصي الأَرض !
٢أَصْغوا أَيُّها المُتَسَلِّطونَ على الجَماهير والمُفتَخِرونَ بِجُموعِ أُمَمِكم !
٣لِأَنَّ سُلْطانَكم مِنَ الرَّبّ وقُدرَتَكم مِنَ العَلِيّ
وهو الَّذي سيَفحَصُ أَعْمالكم ويَسْتَقْصي نِيَّاتِكم .
٤فإِنَّكم أَنتُمُ الخادِمينَ لِمُلكِه لم تَحكُموا بِالصَّوابِ ولم تَحفَظوا الشَّريعة
ولم تَسيروا بِحَسَبِ مَشيئَةِ الله .
٥فسَيَطلَعُ علَيكم مَطلَعاً مُخيفاً وسَريعاً
لأَنَّ حُكْماً لا يُشفِقُ يُجْرى على الوُجَهاء .

[٦]فإِنَّ الصَّغيرَ أَهْلٌ لِلرَّحمَة، أَمَّا أَرْبابُ القُوَّةِ فبِقُوَّةٍ يُفحَصون.
[٧]وسَيِّدُ الجميعِ لا يَتَراجَعُ أَمامَ أَحَد ولا يَهابُ العَظَمَة
لأَنَّ الصَّغيرَ والكَبيرَ هو صَنَعَهما وهو يَعتَني بِالجَميعِ على السَّواء.
[٨]لكِنَّ المُقتَدِرينَ يَنتَظِرُهم تَحْقيقٌ شَديد.
[٩]فإِلَيكم أَيُّها المُلوكُ أُوَجِّهُ كَلامي لِكَي تَتَعَلَّموا الحِكمَةَ ولا تَزِلُّوا
[١٠]فإِنَّ الَّذينَ يَحفَظونَ بِقَداسَةٍ ما هو مُقَدَّسٌ يُشهَدُ لَهم بِالقَداسة
والَّذينَ يَتَعَلَّمونَه يَجِدونَ فيه دِفاعاً.
[١١]فارغَبوا في كلامي واصْبوا إِلَيه تَتَأَدَّبوا.

٢. طبيعة الحكمة

ان هذا التعداد الكبير لمختلف وجوه الحكمة يؤدّي إلى الوحي بالكلمة وبالروح القدس.

٧ لِذلِكَ صلَّيتُ فأُوتيتُ الفِطنَة ودَعَوتُ فأَتاني روحُ الحِكمَة.
[٨]ففَضَّلتُها على الصَّوالِجَةِ والعُروش
وعَدَدتُ الغِنى كَلا شيءٍ بِالقِياسِ إِلَيها
[٩]ولم أُعادِلْ بِها الحَجَرَ الَّذي لا يُقَدَّر
لِأَنَّ كُلَّ الذَّهَبِ بِإِزائِها قَليلٌ مِنَ الرَّمْل
والفِضَّةَ عِندَها تُحسَبُ طيناً.
[١٠]وأَحبَبتُها فوق العافِيةِ والجَمال وآثَرتُ أَن أَتَّخِذَها قَبلَ النُّور
لِأَنَّ رَونَقَها لا يَقِرُّ لَه قَرار.
[١١]فأَتَتني معَها جَميعُ الخَيرات وعن يَدَيها غِنًى لا يُحْصى.
[٢٢]فإِنَّ فيها روحاً فَطِناً قُدُّوساً وَحيداً مُتَشَعِّباً لَطيفاً

مُتَحَرِّكاً ثاقِباً طاهِراً واضِحاً سَليماً مُحِبًّا لِلخَيرِ حادًّا
[٢٣] حُرًّا مُحسِناً مُحِبًّا لِلبَشَر ثابِتاً آمِناً مُطمَئِنًّا
يَقدِرُ على كُلِّ شَيءٍ ويُراقِبُ كُلَّ شيء
يَنفُذُ إلى جَميعِ الأَرْواح، الفَهِمَةِ مِنها والطَّاهِرَةِ والأَشَدِّ لَطافَةً
[٢٤] لِأَنَّ الحِكمَةَ أَكثَرُ حَرَكَةً مِن كُلِّ حَرَكَة
فهي لِطَهارَتِها تَختَرِقُ وتَنفُذُ كُلَّ شَيء.
[٢٥] فإِنَّها نَفحَةٌ مِن قُدرَةِ اللهِ وآنبِعاثٌ خالِصٌ مِن مَجدِ القَدير.
فلِذٰلك لا يَتَسَرَّبُ إِلَيها شيءٌ نَجِس
[٢٦] لِأَنَّها آنعِكاسٌ لِلنُّورِ الأَزَلِيّ
ومِرآةٌ صافِيَةٌ لِعَمَلِ الله وصورَةٌ لِصَلاحِه.
[٢٧] تَقدِرُ على كُلِّ شيءٍ وهي وَحدَها
وتُجَدِّدُ كُلَّ شَيءٍ وهي ثابِتَةٌ في ذاتِها
وعلى مَرِّ الأَجْيالِ تَجْتازُ إِلى نُفوسٍ قِدِّيسة فتُنشِئُ أَصدِقاءَ للهِ وأَنبِياء
[٢٨] لِأَنَّ اللهَ لا يُحِبُّ إِلاَّ مَن يُساكِنُ الحِكمَةَ(٨).
[٢٩] فإِنَّها أَبْهى مِنَ الشَّمس وأَسْمى مِن كُلِّ مَجْموعةِ نُجوم
وإِذا قيسَت بِالنُّورِ ظَهَرَ تَفَوُّقُها
[٣٠] لِأَنَّ النُّورَ يَعقُبُه اللَّيل. أَمَّا الحِكمَةُ فلا يَغلِبُها الشَّرّ.

٨ [١] إِنَّها تَمتَدُّ بِقُوَّةٍ مِن أَقْصى العالَمِ إِلى أَقْصاه وتُدَبِّرُ كُلَّ شَيءٍ لِلفائِدَة.

(٨) ذروة التعليم في الحكمة. ان التجسيد، وان كان مجرّد حيلة أدبية، يمهّد للتفكير اللاهوتي في الكلمة، مع ان بعض صفاته قد تنطبق على الروح القدس.

٣. صلاة لنيل الحكمة

بما ان الحكمة هي عطيّة من الله، فلا يمكن ان تكون مجرد نتيجة جهود الانسان. وضع الكاتب مؤلَّفه تحت اسم سليمان، فتصوَّر هذا الملك يسأل الله الحكمة.

٩ [١]«يا إلهَ الآباءِ[(٩)] ويا رَبَّ الرَّحمَة، يا صانِعَ كُلِّ شيءٍ بِكَلِمَتِك
ومُكَوِّنَ الإِنْسانِ بِحِكمَتِكَ لِكَي يَسودَ الخَلائِقَ الَّتي صَنَعتَها
[٣]ويَسوسَ العالَمَ بِالقَداسَةِ والبِرّ ويُجرِيَ الحُكْمَ بِٱستِقامةِ النَّفْس
[٤]هَبْ لِيَ الحِكمةَ الجالِسَةَ مَعَكَ إِلى عَرشِكَ
ولا تَنبُذْني مِن بَينِ أَبْنائِكَ
[١٣]فأَيُّ إِنْسانٍ يَعلَمُ قَضاءَ الله أَو مَنِ الَّذي يَتَصَوَّرُ ما يُريدُ الرَّبّ؟
[١٤]لِأَنَّ أَفْكارَ البَشَرِ مُتَرَدِّدة وخَواطِرَنا غيرُ راسِخَة
[١٥]فإِنَّ الجَسَدَ الفاسِدَ يُثَقِّلُ النَّفْس
والخَيمَةَ التُّرابِيَّةَ عِبءٌ لِلعَقلِ الكَثيرِ الهُموم[(١٠)].
[١٦]ونَحنُ بِالجَهْدِ نَتَكَهَّنُ بِمَا على الأَرض
وبِالكَدِّ نَهتَدي إِلى ما بَينَ أَيدينا
فما في السَّمواتِ مَنِ الَّذي ٱكتَشَفَه؟
[١٧]ومَنِ الَّذي عَلِمَ بِمَشيئَتِكَ لو لم تُؤتِ الحِكمة
وتُرسِلْ مِنَ العُلى رُوحَكَ القُدُّوس؟

(٩) أجداد اسرائيل.
(١٠) التصوّر هنا يوناني: يُنظر الى المركَّب البشري في عناصره المتعارضة، والجسد عقبة تحول دون نشاط النفس.

[١٨]هكذا قُوِّمَت سُبُلُ الَّذينَ على الأَرض
وتَعَلَّمَ النَّاسُ ما يُرضيكَ وبِالحِكمَةِ نالوا الخَلاص» .

ج) الحكمة تعمل في اسرائيل

على غرار يشوع بن سيراخ ، يختم كاتب الحكمة مؤلَّفه بالبحث في تدخّلات الله في شعب اسرائيل ، لكنه ، بدل ان يهتمّ بالأشخاص ، يبحث في الأحداث .
نلاحظ ، في الوقائع المختارة الثلاث ، كيف يعالج الكاتب التاريخ . يُذكَر الحادث ، لكنه يفتح سبيلاً لتوسيع أدبي ، وهذا التوسيع يفسح في المجال لعِبرة لها تأثير حسن . هذا هو ما يسمّونه «مدراش» .

١. اعتبارات عامّة في عمل الله

١١ [٢٢]إِنَّ العالَمَ كُلَّه أَمامَكَ مِثلُ ما تَرجَحُ بِه كِفَّةُ الميزان
وكَنُقطَةِ نَدى الفَجْرِ الَّتي تَسقُطُ على الأَرض .
[٢٣]لكِنَّكَ تَرحَمُ جَميعَ النَّاس لِأَنَّكَ على كُلِّ شَيءٍ قَدير
وتَتَغاضَى عن خَطايا النَّاسِ لِكَي يَتوبوا .
[٢٤]فإِنَّكَ تُحِبُّ جَميعَ الكائِنات ولا تَمقُتُ شَيئاً مِمَّا صَنَعتَ
فإِنَّكَ لَو أَبغَضتَ شَيئاً لَما كَوَّنتَه .
[٢٥]وكَيفَ يَبْقى شَيءٌ لم تُرِدْه أَم كَيفَ يُحفَظُ ما لم تَدْعُه ؟
[٢٦]إِنَّكَ تُشفِقُ على كُلِّ شَيء
لِأَنَّ كُلَّ شَيءٍ لَكَ أَيُّها السَّيِّدُ المُحِبُّ لِلحَياة .

١٢ [١]فإِنَّ روحَكَ غَيرَ القابِلِ لِلفَساد هو في كُلِّ شَيء
[٢]ولِذلك فإِنَّكَ تُوَبِّخُ شَيئاً فشَيئاً الَّذينَ يَزِلُّونَ
وتُنذِرُهم مُذَكِّراً إِيَّاهم بِما يَخطَأُونَ فيه

لِكَي يُقلِعوا عنِ الشَّرِّ ويُؤمِنوا بِكَ أَيُّها الرَّبّ .
[١٣]إذ لَيسَ سِواكَ إلهٌ يَعتَني بِجَميعِ النَّاسِ
حَتَّى تُرِيَه أَنَّكَ لا تَحكُمُ حُكمَ الظُّلْم .
[١٦]لِأَنَّ قُوَّتَكَ هي مَبدَأُ عَدلِكَ .
وبِما أَنَّكَ تَسودُ الجَميع فأَنتَ تُشفِقُ على جَميعِ النَّاس .
[١٧]تَعرِضُ قُوَّتَكَ لِلَّذينَ لا يُؤمِنونَ بِكَمالِ قُدرَتِكَ
وتُخْزي جَسارَةَ الَّذينَ يَعرِفونَها .
[١٨]أَمَّا أَنتَ فإِنَّكَ تَسودُ قُوَّتَكَ فتَحكُمُ بالرِّفْق
وتَسوسُنا بِكَثيرٍ مِنَ المُراعاة
لِأَنَّ في يَدِكَ القُدرَةَ على العَمَلِ مَتى شِئتَ .
[١٩]وبِأَعمالِكَ هذه علَّمتَ شَعبَكَ
أَنَّ البارَّ يَجِبُ علَيه أَن يكونَ مُحِبًّا لِلنَّاس[(١١)]
وجَعَلتَ لِأَبنائِكَ رَجاءً حَسَناً لِأَنَّكَ تَمنَحُ التَّوبَةَ عنِ الخَطايا .

٢. موقف عبّاد الأصنام لا عذر له

١٣ [١]إِنَّ جَميعَ النَّاسِ الَّذينَ لازَمَهم جَهْلُ اللهِ
هم مَغْرورونَ طَبعاً بِأَنفُسِهم
فإِنَّهم لم يَقدِروا أَن يَعرِفوا الكائنَ مِنَ الخَيراتِ المَنْظورة
ولَم يَعرِفوا الصَّانِعَ[(١٢)] مِن آعتِبارِ أَعْمالِه .

(١١) شمولية الرأفة .
(١٢) سيتناول القديس بولس هذه الفكرة هو أيضاً (روم ١/١٩-٢٠) .

[٢]لكِنَّهم حَسِبوا النَّارَ أَوِ الرِّيحَ أَوِ الهَواءَ اللَّطيف
أَو مَدارَ النُّجومِ أَوِ المِياهَ الجارِفَةَ أَو نَيِّرَيِ السَّماء آلِهةً تُسَيِّرُ العالَم.
[٣]فإِن حَسِبوا تِلكَ آلِهَةً لِأَنَّهم خُلِبوا بِجَمالِها
فلْيَعلَموا كم سَيِّدُها أَعظَمُ مِنْها
لِأَنَّ الَّذي خَلَقَها هو أَصلُ الجَمال.
[٤]وإِن دَهِشوا مِن قُدرَتِها وفاعِلِيَّتِها
فلْيَفهَموا مِنْها كم مُكَوِّنُها أَقدَرُ مِنها
[٥]فإِنَّ عَظَمَةَ المَخْلوقاتِ وجَمالَها
يُؤَدِّيانِ بالقِياسِ إِلى التَأَمُّلِ في خالِقِها.
غَيرَ أَنَّ أُولئِكَ النَّاسَ يَستَوجِبونَ تَوبيخاً أَخَفّ
فلَعَلَّهم لا يَضِلُّونَ إِلاَّ لِأَنَّهم يَلتَمِسونَ الله ويَرغَبونَ في الاهتِداءِ إِلَيه.
[٧]بِما أَنَّهم يَعيشونَ فيما بَينَ أَعْمالِه
فهُم يُمعِنونَ النَّظَرَ فيها فيَغُرُّهم مَنظَرُها
لِأَنَّ المَخلوقاتِ المَنْظورةَ جَميلة.
[٨]مع ذلك فهُم أَيضاً لا يُغفَرُ لَهم
[٩]لِأَنَّهم إِن كانوا قد بَلَغوا مِنَ العِلم
أَنِ آستَطاعوا أَن يَتَكَهَّنوا بِسَيرِ الأَشياءِ الأَبَدِيّ
فكَيفَ لم يَهتَدوا قَبلَ ذلك إِلى سَيِّدِها؟

٣. أحداث تاريخ اسرائيل تُظهِر حكمة الله

• المنّ

يتوسّع الكاتب في تكثيف المنّ مع ذوق آكله. العبرة: المنّ هو أكثر من طعام مادي، هو كلمة الله الذي يغذّي أولاده.

١٦ [٢٠]أَمَّا شَعبُكَ فبَدَلاً مِن ذلِكَ ناوَلتَهم طَعامَ مَلائِكة[(١٣)]
وقَدَّمتَ لَهم مِنَ السَّماءِ خُبزاً مُعَدًّا لم يَتعَبوا فيه
خُبزاً يُوَفِّرُ كُلَّ لَذَّةٍ ويُلائِمُ كُلَّ ذَوق.
[٢١]لِأَنَّ المادَّةَ الَّتي مِن عِندِكَ كانَت تُظهِرُ عُذوبَتَكَ لِأَبنائِكَ
وتَخضَعُ لِشَهوَةِ مُتَناوِلِها فَتَتَحَوَّلُ إِلى ما شاءَ كُلُّ واحِد.
[٢٢]وكان الثَّلجُ والجَليدُ يُقاوِمانِ النَّارَ ولا يَذوبان
لِكَي يُعلَمَ أَنَّ غَلاَّتِ الأَعْداء
أَكَلَتها النَّارُ المُلتَهِبَةُ في البَرَدِ والبارِقَةُ في وَسَطِ الأَمْطار
[٢٣]في حينِ أَنَّ هذه النَّارَ كانَت تَنْسى حَتَّى خاصَّتَها
لِيَستَطيعَ الأَبْرارُ أَن يَتَغَذَّوا.
[٢٤]فإِنَّ الخَليقةَ الَّتي في خِدمَتِكَ أَنت صانِعَها تَتَوَتَّرُ لِمُعاقَبةِ الظَّالمين
وتَرتَخي لِلإِحْسانِ إِلى المُتَوَكِّلينَ علَيكَ.
[٢٥]لِذلِكَ كانَت حينَئِذٍ تَتَحَوَّلُ إِلى كُلِّ شَيء
فتَكونُ في خِدمَةِ عَطِيَّتِكَ المُغَذِّيَةِ كُلَّ شَيء
على ما يَشاءُ الَّذينَ يَطلُبونَها.
[٢٦]فعَلِمَ بَنوكَ الَّذينَ أَحبَبتَهم يا رَبّ

(١٣) طعام ملائكة لأنه نازل من عند الله، واذاً من السماء حيث يُفترض أن يقيموا.

أَن لَيسَ ما يَخرُجُ مِنَ الثِّمارِ هو يُغَذِّي الإِنْسان
بلِ كَلِمَتُكَ هي الَّتي تَحفَظُ المُؤمِنينَ بِكَ .

• ليلة الفصح

١٨ ٥ولَمَّا عَزَموا على قَتْلِ أَطْفالِ القِدِّيسين
وخُلِّصَ طِفلٌ واحِدٌ مِنهم بَعد أَن عُرِّضَ(١٤)
اِنتَزَعتَ جُمهورَ أَولادِهم لِتُعاقِبَهم
وأَهلَكتَهم جَميعاً في الماءِ الجارِف .
٦وتِلكَ اللَّيلَةُ أُخبِرَ بِها آباؤُنا مِن قَبلُ لِكَي تَطيبَ نُفوسُهم
لِعِلمِهم اليَقينِ بِأَيَّةِ أَقْسامٍ وَثِقوا .
٧فتَوَقَّعَ شَعبُكَ خَلاصَ الأَبْرارِ وهَلاكَ الأَعْداء
٨لِأَنَّ ما عاقَبتَ بِه المُقاوِمينَ صارَ لَنا مَوضوعَ آفتِخارٍ بِدَعوَتِكَ لَنا .
٩فإِنَّ بَني الصَّالِحينَ القِدِّيسين كانوا يَذبَحونَ خُفيَةً
وأَجمَعوا على إِقامَةِ هذه الشَّريعَةِ الإِلهِيَّة
أَن يَشْتَرِكَ القِدِّيسونَ في الخَيراتِ والمَخاطِرِ على السَّواء
وكانوا مُنذُ ذلك الحين يُنشِدونَ أَناشيدَ الآباء .
١٤وبَينَما كان صَمتٌ هادِئٌ يُخَيِّمُ على كُلِّ شَيء
وكانَ اللَّيلُ في مُنتَصَفِ مَسيرِه السَّريع
١٥هَجَمَت كَلِمَتُكَ القَديرةُ مِنَ السَّماء، مِنَ العُروشِ المَلَكِيَّة
كالمُحارِبِ العَنيفِ في وَسَطِ الأَرضِ المَلْعونة .

(١٤) موسى .

كانَت تَحمِلُ قَضاءَكَ المَحْتومَ كَسَيفٍ مُرهَف
[١٦] فوَقَفَت ومَلأَت كُلَّ مَكانٍ مَوتاً
وكانَ رَأسُها في السَّماءِ وقَدَماها على الأَرْض .

• **عبور البحر الأحمر**

معبر البحيرات المرّة أصبح حقل عشب . العبرة : الله هو مخلّص شعبه .

١٩ [٦] وكانَتِ الخَليقةُ كُلُّها بِحَسَبِ طَبيعَتِها الخاصَّة تُجبَلُ مَرَّة ثانِية
وتَخضَعُ لِأَوامِرِكَ لِيُحفَظَ بَنوكَ سالِمين .
[٧] ورَأَوا غَماماً يُظَلِّلُ المُخَيَّم والأَرضَ اليابِسَةَ تَبرُزُ مِمَّا كان ماءً مِن قَبلُ
والبَحرَ الأَحمَرَ يُصبِحُ طَريقاً سالِكاً
والأَمْواجَ المُندَفِعةَ تُصبِحُ مَرْجاً أَخضَرَ
[٨] عَبَرَت فيه أُمَّةٌ بِكامِلِها تَستُرُها يَدُكَ وتَشهَدُ خَوارِقَ عَجيبة .
[٩] رَعَوا كالخَيلِ ووَثَبوا كالحُمْلان مُسَبِّحينَ لَكَ أَيُّها الرَّبُّ مُنقِذُهم
[١٠] فإِنَّهم كانوا يَتَذَكَّرونَ ما جَرى في غُربَتِهم
كَيفَ أَخرَجَتِ الأَرضُ، لا الحَيَواناتُ ، بَعوضًا
وكيفَ فاضَ البَحْرُ، لا الحَيَواناتُ المائِيَّةُ جَمًّا مِنَ الضَّفادِع .

٤. الخاتمة

الله مخلّص

[٢٢] فإِنَّكَ يا رَبُّ في كُلِّ شَيءٍ عظَّمتَ شَعبَكَ ومَجَّدتَه
ولَم تَأنَفْ أَن تُساعِدَه في كُلِّ زَمانٍ ومَكان .